

الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
محافظة جدة - منطقة مكة المكرمة

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال العلمية المتعلقة بالقرآن وعلومه

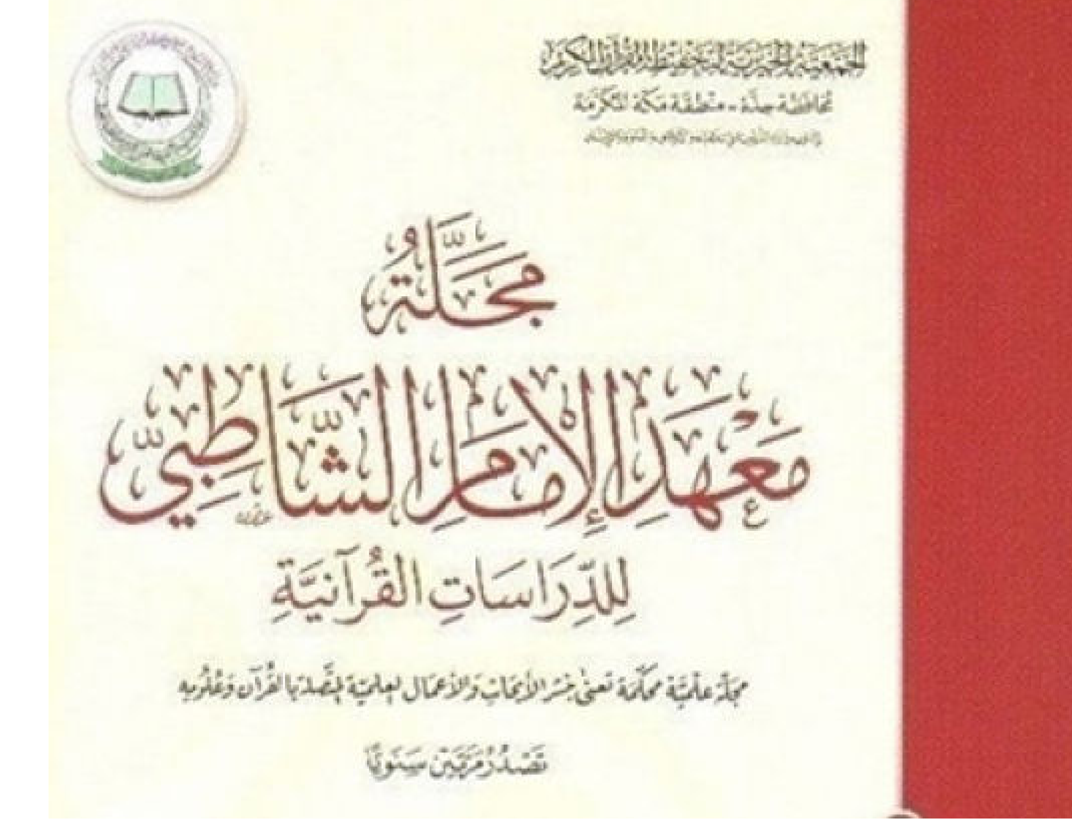
تصدر مرتين سنويًا



- تفسير القرآن بالقرآن : دراسة تأصيلية .
- تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي.
- التوجيهات النحوية لقراءة أبي السمّال العدوي (ت ١٦٠هـ) .
- تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه، لابن زنجلة.
- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة .

العدد الثاني
ذو الحجة
١٤٢٧ هـ
ديسمبر
٢٠٠٦م

تصدر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي



العدد الأول

تصدر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي



تأملات قرآنية: من نبإ موسى وفرعون

إعداد:

د. أحمد بن عبد الله العماري الزهراني*

* عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية- سابقاً -.

- نال درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٣٩٩هـ بتحقيق كتاب " **إعلام العالم بعد رسوخه لناسخ الحديث ومنسوخه** " لابن الجوزي.
- نال درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام ١٤٠٤هـ بتحقيق الجزء الأول من **تفسير ابن أبي حاتم**.

الملخص

تعرض هذه المقالة قصة نبي الله موسى ــ عليه السلام ــ مع عدو الله المتكبر فرعون، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها في سورة القصص ؛بدءاً من ميلاد موسى بمصر ثم إلقاء أمه له في النهر ووصوله إلى قصر فرعون ثم رجوعه إلى أمه ، ونشأته في بيت فرعون إلى بلوغ أشده ، وما وقع له من الخطأ الذي كان سبباً في خروجه من المدينة ووروده إلى مدين وزواجه من ابنة شيخ كبير على أن يكون أجيراً عنده بضع سنين ثم تكليم الله له وتكليفه بالرسالة وعودته إلى مصر مؤيداً بالآيات لدعوة فرعون إلى الإيمان بالله وطاعته ثم جحود فرعون بما جاء به موسى وأخوه هارون الذي أرسله الله معه ليشد عضده ثم كانت النهاية بمطاردة فرعون وجنوده لموسى وأتباعه إلى البحر حيث غرق فرعون وجنوده ،وضرب موسى بعصاه البحر فصار طريقاً يبساً له ولأتباعه ،وبذلك نجاهم الله من القوم الظالمين .

وقد ختمت هذه المقالة باستنباط الدروس والعبر التي تضمنها نبإ موسى وفرعون ، كما جرت الإشارة إلى كثير منها في أثناء عرض القصة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده . أمّا بعــد:

فإن القرآن الكريم كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، علــى ســيد المرسلين، فيه خبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهــدى في غــيره أضــله الله، وكانت نهايته الخذلان والخسران.

قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٦٨-٧٠].

لقد أمرنا الله تعالى بتلاوة كتابه وتدبره وفهمه والتفكر فيه، لما لذلك مــن الآثار في النفس البشرية، من الاستقامة على الصراط المستقيم، والابتعاد عن السوء، أو الأمر به، ولئلا تبقى مترددة فيما تقدم عليه من فعل الخــيرات، والبعــد عــن المنكرات، حتى تكون في حالة اطمئنان، ويقين وخضوع، وخــشوع لمــن خلــق فسوى، وقدر فهدى.

وإن الله تعالى لما خلق الخلق لم يتركهم هملاً ضالين، بل بعث فيهم رســلاً منهم مبشرين ومنذرين، لكي يحققوا الغاية والحكمة من خلقهم، ويحذروهم مــن اتباع الهوى، والظلم و البغي في الأرض بغير الحق، وقد قام الرسل- عليهم الصلاة والسلام- بما كلّفوا به خير قيام، لكن الناس انقسموا نحوهم قسمين:

قسم اتبعوهم ولزموا هديهم، وساروا على الطريق المستقيم خلفهم، وقسم آخر تنكب السبيل، وحاد عن الهدى، وضل الطريق، وكتب الله عليه الــشقاوة في

الدارين، عدلاً منه وحكمة.

ومن أولئك الذين كتب الله عليهم الشقاء طاغيتا زمانهما، فرعون وهامان، وجنودهما، إنهم كانوا خاطئين.

وإنّ قصة نبي الله موسى –عليه السلام–مع طاغية زمانه فرعون، قد عرضت في القرآن الكريم في مواضع متعددة، بأساليب متنوعة، فيها من الدروس والعبر، والعظات الشيء الكثير .

وإن عرضها على النفوس لأمر مهم، من بداية الاستضعاف حتى التمكين، ومعرفة ما بين ذلك من أحوال الطرفين المتحاورين، المتجاورين المتباعدين، المختلفين في الرأي والرؤية، والهدف والغاية، والوسيلة والأسلوب، حتى يطمئن أهل الاستضعاف في الأرض– من أهل الخير والصلاح–، أن العاقبة لعباد الله المتقين،وأن الله– سبحانه– سيمنُّ عليهم، إذا اخذوا بالأسباب الشرعية، من الصبر على ما يلاقون في الطريق، من المعاناة والعقبات، ومن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ،كما قال تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ** ﴾ [الحج:٤١] .

لقد وعدهم الله على ذلك بالاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، كما قال تعالى : ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ** ﴾ [النور:٥٥].

ولكي يعلموا أن التمكين في الأرض، لا يأتي إلاّ بعد مفاوز طويلة تقطع

في الطريق، يواجهون من خلالها عقبات، ومصائب متعددة ومتنوعة.

كما أن عرض هذه السيرة ــ سيرة نبي الله موسى ــ عليه السلام ــ مع فرعون طاغية عصره ــ فيها دعوة لأولئك القوم الذين تكبروا في الأرض بغير حق، وطغوا وتجبروا واستكبروا، وسعوا في الأرض بالفساد، لكي يتفكروا في مصيرهم وعاقبته، فإن أخاهم فرعون ادعى الربوبية والألوهيّة،﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعات :٢٤] . وقال :﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى** ﴾ [القصص:٣٨].

وهدد قومه أن يتخذوا إلها سواه، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فما استطاع أن يكف عن فمه شربة من الماء، وفي ذلك بيان لضعفه ، وهوانه على الله تعالى.

فعلى الطغاة الظالمين في كل عصر ومصر، أن يراجعوا حساباتهم، ويُعملوا عقولهم، التي وهبهم الله تعالى، ويُنقذوا أنفسهم من النار، قبل أن يحق عليهم القول فلا يستطيعون لأنفسهم حولاً ولا قوةً، والعاقل من اعتبر واتعظ، ونهى النفس عن الهوى.

وصدق الله القائل:﴿ **إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق:٣٧].

والقائل : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يوسف :١١١].

ولما قرأت سورة القصص ذات يوم، تداعت لدي خواطر وتأملات، فأحببت أن أسطر بقلمي ما فتح الله عليّ به من سيرة نبي الله موسى –عليه السلام–

مع ذلك العدو المتكبر" فرعون"- عليه من الله تعالى ما يستحق- تذكرة وعبرة ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

١- واقع الناس قبل ميلاد موسى- عليه السلام-

كان في مصر فريقان من الناس، فريق يُسمّون "بني إسرائيل" ومنهم موسى- عليه السلام-، وفريق آخر يُسمّون "القبط" ومنهم فرعون الطاغية.

وكان بنو إسرائيل مستضعفين من قبل القبط، حيث كانوا يستخدمونهم في أمور الحياة كلها، استخداماً فيه امتهان واستذلال، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فقد قال بنو إسرائيل لموسى- عليه السلام- ﴿ **قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ** ﴾ [الأعراف:١٢٩].

فقولهم (أوذينا من قبل أن تأتينا) دال على عظم ما كانوا يلاقون من الفريق الآخر، وهم القبط، لكن موسى -عليه السلام- بشرهم بهلاك عدوهم، وأن العاقبة لهم.

يقول ابن كثير- رحمه الله تعالى:" وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل كانوا يسخّرون في ضرب اللَّبِن، وكانوا مما حملوا من التكاليف الفرعونيّة أنهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون إليه فيه، بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبنه وماءه، ويطلب منهم كل يوم قسط معين،إن لم يفعلوه وإلاّ ضربوا وأهينوا غاية الإهانة، وأوذوا غاية الأذية [(١)].

ولقد ذكر الله تعالى بعض ذلك الأذى الذي كان يوقعه فرعون على بني

---

(١) البداية والنهاية (١/٢٦٣) .

إسرائيل من التفرقة والاستضعاف، وقتل الأبناء، واستحياء النساء، في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤].

وقد جاء في حديث" الفتون[١]" ما يفسر الدوافع التي دفعت فرعون وقومه الأقباط، إلى التنكيل ببني إسرائيل .

سأل سعيد بن جبير- رحمه الله- ابن عباس -رضي الله عنهما- عن الفتون الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٤٠].فقال ابن عباس:

" تذكّر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم – عليه السلام- أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً. فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعدُ إبراهيم. فقال فرعون: فكيف ترون ؟ فأتمروا وأجمعوا أمرهم، على أن يبعث رجالاً، معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم،والصغار يذبحون، قالوا توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاماً كل ذكر فتقل أبناؤهم ،ودعوا عاماً

(١) حديث الفتون، حديث طويل رواه النسائي في السنن الكبرى، والطبري في تفسيره (١٦/١٢٥-١٢٧) وابن أبي حاتم في تفسيره. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور(٤/٢٩٦-٣٠١) وذكره ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة طه.

فلا تقتلوا منهم أحداً ، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم يكثـرون بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن تفنوا بمن تقتلـون وتحتـاجون إليهم ، فأجمعوا أمرهم على ذلك، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة، فلما كان من قابل حملت بموسى – عليه السلام – فوقع في قلبها الهم والحزن"[1].

وفي هذا الجو المحموم ولد موسى – عليه السلام –

٢– ميلاد موسى– عليه السلام–

ولد موسى– عليه السلام– في جوء مملوء بالرعب والخوف والقتل والتشريد.

ولد في العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر من قبل فرعون الطاغية وقومه الأقباط.

ولد موسى–عليه السلام– في طائفة مستضعفة كل الاستضعاف متفرقة مشتتة ؛ يسومهم فرعون وقومه سوء العذاب، يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم.

إنّ البلاء يقع على الفرد والجماعة، ويتفاوتون في درجاته، لكن الذي وقع على بني إسرائيل كان من أعظم البلاء، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة :٤٩].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ**

(١) – البداية والنهاية (٣٠٠/١)

يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف:١٤١].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ [إبراهيم:٦].

ولد موسى- عليه السلام- في بيت امرأة لا تملك حولاً ولا قوةً، قلبها يرجف ويتقطع أساً وحسرةً على ولدها الرضيع، أين تخفيه من فرعون وزبانيته؟ أين تذهب به في الأرض وهي امرأة مستضعفة؟

ولد موسى- عليه السلام- وليس له أسرة أو قوم يحمونه من فرعون وجنوده.

ولد موسى-عليه السلام- وهو ضعيف كل الضعف، لا يعرف أباً ولا أمّاً ولا أختاً، ولا قريباً ولا بعيداً، ولا يميناً ولا شمالاً، ولا أكلاً ولا شرباً، وطاغوت عصره يتهدده بالذبح والهلاك.

سبحان الله! فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية، يتملكه الخوف، والرعب، والخور، من طفل رضيع لا يدري ما الحياة؟ مجرد من كل قوة وحيلة، إلاّ من قوة فاطر السموات والأرض، الذي لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، الواحد القهار، الملك الجبار، الكبير المتعال، السميع البصير، العزيز الحكيم، اللطيف الخبير، الرحمن الرحيم، الذي إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون، مدبر الأمور ومصرفها، بيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير،حفظ عبده، ورعاه وهو في بطن أمه، وهداه- بعد خروجه إلى الكون- النجدين، وساق له رزقه وهو لا يشعر، وهيأ له من يرعاه، ويدافع عنه، ويتولى شؤونه على مرأى ومسمع من فرعون

وجنوده،وهم لا يشعرون، وتتجلى بعض مظاهر تلك الرعاية لموسى- عليه السلام- في عدة أمور:

أولاً: إلهام أمه إذا خافت عليه من العدوان أن تلقيه في اليم حتى لا يقع في يد الظلمة - فرعون وجنوده - . قال تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ [سورة القصص:٧].

ثانياً: هيأ الله له آل فرعون يلتقطونه من اليم، وينقذونه من الغرق، وهم أعداؤه المتربصون به الخائفون منه العازمون على قتله والتخلص منه. قال تعالى : ﴿ **فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ** ﴾ [سورة القصص : ٨].

ثالثاً: قذف الله سبحانه في قلب زوجة فرعون الطاغية حبّ ذلك الطفل الرضيع، فوقفت سداً منيعاً بحبها الحاني على ذلك الرضيع الغريب الضعيف، ضد القوة والقسوة والغلظة من فرعون وجنده تجاه موسى- عليه السلام- فاستوهبته من فرعون ليكون قرة عين لها وله، فوهبها إياه مع عدم رضاه بذلك. قال تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [القصص :٩]. فرفض"فرعون" هذا العرض من امرأته، زاعما أنه ليس بحاجة إليه، ولله-تعالى- الحكمة البالغة.

وقد جاء في حديث "الفتون" أن امرأة فرعون أرسلت إلى من حولها من النساء من أجل أن تقوم بإرضاعه فلم تجد حتى جاءت أخته بعد أن أرسلتها أمها لكي

تتحسس أخبار موسى فلـــما رأتـــه دلتـــهم على من يرضعه[١].قـــال تعـــالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص :١١]، ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [سورة القصص:١٢].

رابعاً : حرّم الله تعالى على موسى-عليه السلام- جميع المراضع سوى أمه، لحكم عظيمة، ومنها:

١- إرجاعه إلى أمه كي تقر عينها، ويذهب عنها الحزن، ولتعلم أن وعـــد الله حـــق كما قال تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القـــصص:١٣]. تتجلى رحمة الله تعالى ولطفه بموســـى وأمه الولهانة المترقبة لأخباره، وحسن تدبيره، حيث أنقذ ذلك الرضيع مـــن أيـــدي أعدائه، وهو في قبضتهم، وأسكن روعها، وأقرّ عينها برؤية ابنها.

٢- إن المخلوق مهما تكبر وتجبر في هذه الحياة، وادعى أن بيده كل شيء، فإنـــه لا يستطيع أن يجلب لنفسه خيراً، أو يدفع عنها ضراً، فمن باب أولى أن لا يضر غيره، أو ينفعه.

٣- بيان أن من توكل على الله حق التوكل كفاه، وهذا واضح من حال أم موسى عندما استسلمت لأمر الله، وقذفت بابنها في اليم، وتوكلت علـــى الله في حفظـــه ورعايته كفاها سبحانه في ذلك.

٤- ومن ذلك أنه لا يمكن يحدث شيء في هذا الكون إلاّ بعد إرادة الله له ســـواء كان خيراً أو شراً.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣٠١/١).

٣- حال أم موسى حين ولدته وخوفها أن يقتله زبانية فرعون

يعجز اللسان عن التعبير، والقلم عن الكتابة، في وصف حال تلك الأم الحنون، التي أصيبت بالذهول في تفكيرها، والخرس في لسانها، والحزن في قلبها، والخوف والرجفان في نفسها، على فلذة كبدها، على رضيع لا حول له ولا قوة، أمام عدو طغى وتكبر وتجبر، فأصبح لا يرى في الوجود إلاّ هو، فالأمر أمره، والنهي نهيه،-كما يظن ويزعم- وأصدر أمره الظالم، بقتل أبناء بني إسرائيل حتى يتخلص منهم، خوفاً على ملكه الزائل، ونفسه الحقيرة، فماذا ترى سيكون موقف تلك الأم الودود، المتخفية بابنها المولود، وهي في حالة من الذعر والقلق والوجل الشديد؟! لكن الله سبحانه ألهمها الثبات في مواقفها، وربط على قلبها يوم كادت تبدي بأنه ابنها، وجعل نفسها مطمئنة وواثقة بوعد الله لها، وأرشدها إلى الطريق الأمثل في التعامل مع الحدث العظيم، حيث أمرها - بوحي إلهام- بإرضاعه، فإذا خافت عليه من هجمة العدو عليه أمرها أن تقذفه في اليم، وأن تكل أمره إلى الله، وأن تضرب بالخوف والحزن جانباً، فهو في رعاية خالقه ورازقه ومحييه ومميته، ومع ذلك بشرها بأمرين عظيمين:

أحدهما: قريب! وهو أنه سيرجع إليها لكي تقر عينها، ويذهب حزنها، ويهدأ روعها، وتقوم بإرضاعه وكفالته ولها على ذلك أجر.

وثانيهما: بعيد! وهو أنه سيكون من المرسلين؟!

إنه لأمر عجيب! كيف تصدق أمه بهذا ، وهي تعلم علم اليقين أن ابنها قد التقمه النهر، وغار في ظلماته، لا يستطيع النجاة من غمراته؟! ولكن لا عجب أن تصدق النفس المؤمنة المطمئنة الواثقة بنصر الله لها أنه سينجز لها ما وعدها إيّاه، فإن الله لا يُخلف الميعاد.

قال تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٧].

وقال تعالى:﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ * فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:١٠- ١٣].

يقول سيد قطب : " وها هي ذي أمه حائرة به ، خائفة عليه ، تخشى أن يصل نبأه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين، ها هـي ذي بطفلـها الصغير في قلب المخافة ،عاجزة عن حمايته ، عاجزة عن إخفائه ،عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه،عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة، هاهي ذي وحـدها ضعيفة عاجزة مسكينة.

يا لله! يا للقدرة !يا أم موسى أرضعيه ، فإذا خفت عليه وهو في حضنك، وهو في رعايتك ، إذا خفت عليه وفي فمه ثديك ، وهو تحت عينيك ، إذا خفـت عليه (فألقيه في اليم) !! (ولا تخافي ولا تحزني) إنه هنا في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها ، اليد التي لا خوف معها ، اليد التي لا تقرب المخاوف مـن حماها ، اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً ، وتجعل البحر ملجأ ومناماً ، اليد التي لا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض جميعاً أن يدنوا من حماهـا الآمـن العزيز الجناب. (إنا رادوه إليك) فلا خوف على حياته ، ولا حزن على بـعده (وجاعلوه من المرسلين) وتلك بشارة الغد ، ووعد الله أصدق القائلين .

هذا هو المشهد الأول في القصة. مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح ،ويترل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحروق برداً وسلاماً ، ولا يذكر السياق كيف تلقته أم موسى ،ولا كيف نفذته، إنما يسدل الستار عليها ليرفعه" [1].

(لقد سمعت الإيحاء ، وألقت بطفلها إلى الماء ، ولكن أين هو يا ترى، وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها كيف؟كيف أمنت على فلذة كبدها أن تقذف به في اليم؟كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أمٌّ ؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة ؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب ؟

والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية (فارغاً) لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف ! (إن كادت لتبدي به) وتذيع أمرها في الناس وتهتف كالمجنونة: أنا ضيعته ،أنا أضعت طفلي ،أنا ألقيت به في اليم اتباعا لهاتف غريب ! (لولا أن ربطنا على قلبها) وشددنا عليه وثبتناها،وأمسكنا بها من الهيام والشرود (لتكون من المؤمنين) المؤمنين بوعد الله الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه [2].

إن عناية الله-تعالى- هي العناية الحقيقية، وإن رقابته هي الرقابة الحقة، وإن حفظه هو الحفظ الحقيقي، لقد تجلت رعاية الله تعالى ورقابته وحفظه لكليمه موسى-عليه السلام- في جميع أطوار حياته، من حين ولادته حتى نهايته. وكذلك غيره من إخوانه الرسل، وعباد الله الصالحين، فلله الحمد والشكر، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.

---

(١) في ظلال القرآن(٥/٢٦٧٨-٢٦٧٩) .

(٢) في ظلال القرآن(٥/٢٦٨٠) .

وإن عَرضَ سير الأنبياء والمرسلين- الذين اختـــارهم الله -تعـــالى-، واصطفاهم من خلقه-، على الأسماع لهو أمر مهم، ومطلوب، فهم القدوة الطيبـــة الذين حملوا المنهج الرباني، وطبقوه في أنفسهم، ثم دعوا البشر إلى اعتناقه وتطبيقه، ولاقوا في سبيل ذلك من المتاعب والمشاق ما الله به عليم، ومع ذلك حفظهـــم الله تعالى، ومكنهم في الأرض، وصرف عنهم كيد عدوهم، وفي معرفة سيرهم خير زاد في الطريق إلى الله تعالى.

٤- موقف أخت موسى من الحدث والدور الذي قامت به

إنّ النص القرآني يجمل موقف أخت موسى- عليه السلام- في أمرين:

الأول: كونها رأته من بُعْد، وآل فرعون لا يشعرون بذلك.

والثاني: عرضها على آل فرعون المشورة بطريق الاســـتفهام ؛ في مـــسألة رضاعه التي احتاروا في شانها حيث لم يتقبل الطفل رضاعاً من المرضـــعات الـــلاتي أحضرن لإرضاعه ، ولم يلتم ثدياً بتدبير الله تعالى في ذلك ؛ فقالت : إنها تعـــرف من يكفله لهم ويقوم بإرضاعه بنصح وأمانة، قال تعـــالى:﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ** ﴾ [القصص:١١- ١٢].

وهذه طريقة القرآن في عرض كثير من المشاهد والأحـــداث يجمـــل ولا يفصل ، ولكن هذا الإجمال يجد معه القارئ كأنما شاهد القصة أو الحدث- كاملة أو متكاملة، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وإذا أراد الإنسان أن يـــرى التفصيل في قصة أخت موسى من الحدث فإن لذلك عدة محاور:

الأول: ما دار بين الأم وابنتها في شأن موسى ـــ عليه السلام ـــ .

الثاني: الدور الذي قامت به أخت موسى .

الثالث: الحوار الذي دار بين أخت موسى وآل فرعون .

الرابع: رجوعها إلى أمها بالبشارة العظيمة برجوع موسى- عليه السلام- إليهن .

ولنبدأ بشيء من التفصيل لكل من هذه المحاور حتى تتبين لنا صورة المعاناة التي واجهت أم موسى وأخته في شأن موسى – عليه السلام-.

أما **المحور الأول** : الذي يدور الحديث فيه حول ما دار بين أم موسى وابنتها في شأن موسى-عليه السلام- وكيف تبحثان عنه وتتعرفان عليه، وأين هو من أرض الله ،هل هو في قاع النهر؟ أو على سطحه ، بعد أن غرق وفقد الروح بسبب الغرق ؟ أو هو في بطون حيتان النهر بعد أن أُلقي به في اليم؟ أو هو على سطح الأرض بعد أن لفظه النهر وقذفه الموج إلى الشاطئ؟

وإذا كان الأمر كذلك فهل خرج من النهر حياً أم ميتاً؟ وإذا كان حياً فما اليد التي وقعت عليه، وأخذته وحضنته؟ هل هي من شيعته؟ أم من عدوّه؟ وإذا كان من عدوّه فكيف الوصول إليه؟ وهل سينجو من البطش منهم؟ بسبب القرار الظالم الذي أصدره فرعون بذبح الأبناء في ذلك العام، وإذا قدر أنّ أخته وقعت عينها عليه فكيف تصل إليه؟ وكيف تحاول أخذه والهرب به إلى أمها إذا عثرت عليه؟ إنّ الأسئلة حول هذا كثيرة وغزيرة ومثيرة ومحيرة؟!

لقد سبق الحديث عن حال أم موسى، وما كابدته، وما تعانيه من خوف وقلق على ابنها الرضيع الذي ليس له حول ولا قوة ولا حيلة.

أمّا أخته فإنها تشارك أمها في المعاناة، وفي القلق والخوف على أخيها، ولكنها ضعيفة مسكينة مستضعفة في قوم فرعون ، شأنها شأن بنات ونساء بني إسرائيل المستضعفات في ذلك العصر من المفسدين الظالمين، ومع ذلك كله قامت

بالدور المطلوب، فلله درها من امرأة حرة كريمة، تغلّبت على المخاوف الداخلية في نفسها، والعلنية في واقعها، وتحايلت على قوم جبارين حتى أنقذت أخاها من بين أيديهم بعد توفيق الله تعالى وتأييده.

أمّا **المحور الثاني**: والذي يتضمن الدور الذي قامت به أخت موسى -عليه السلام- حيال البحث عن أخيها، بعد الحوار الذي دار بينها وبين أمها في البحث عن موسى- عليه السلام- وقالت أمها لها : " قصّيه" ؛ فقد استجابت أخته لأمر أمها، وقامت بالبحث عن أخيها لكي تطمئن عليه، وتعرف أين هو وفي أيّ مكان هو؟

ولقد قامت بهذا الدور في خفية وحذر من فرعون وجنوده ﴿ **فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ ولو شعروا أن هذه أخته وأنها تبحث عنه لما سلمت منهم، ولربما نفذوا فيها وفي أخيها حكم الإعدام، ولكن الله سلّم وله في ذلك حكم جليلة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

أما **المحور الثالث**: الذي يتضمن الحديث عن ما دار بين أخت موسى وآل فرعون، فإنها لما رأته في أيدي خدم آل فرعون ؛ ظهر لها أمران :

الأول: كونه ممتنعاً عن الرضاع من أيّ ظئرٍ تحاول القيام بإرضاعه.

والثاني: كون أولئك الخدم حريصين على إرضاعه ورعايته، فقد قرت به عين زوجة فرعون ، وهي ترجو أن ينفعهم أو أن يتخذوه ولدًا حيث إنها لا تلد، وكان ذلك بتوفيق الله تعالى وتقديره.

ولما نظرت أخته إلى حال أخيها وحالهم وهم في حيرة من أمره ودهشة، حيث لم يقبل الرضاع قالت لهم في استحياء وخوف ووجل من أن ينكشف حالها وحال أمها بطريق الاستفهام : " هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له

ناصحون"؟ فنكرت البيت الذي سيقوم بإرضاعه، و لم تكشف لهم عن حاله شيئًا، مع أنها زكت أهل ذلك البيت لمعرفتها بذلك، وهذا من الفطنة بمكان بعد توفيق الله تعالى فاستجابوا لها، وقبلوا مشورتها، وذهبت به إلى أمها في سرور داخلي غير مكشوف، وفي فرحة تغمرها برجوع أخيها معها إلى أمها. وقيل: إنهم أرسلوا إليها فقدمت إليهم على استحياء.

وورد في حديث الفتون أن أخته قالت لهم من الفرح حين أعياهم الظؤرات[١]: "أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فقالوا: وما يدريك ما نصحهم؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك! فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه ورغبتهم في صهر الملك، ورجاء منفعة الملك، فأرسلوها فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريّاً، وانطلق البشير إلى امرأة فرعون[٢].

وأيّاً كان الأمر: ذهبت به إلى أمها، أو أنهم أرسلوا إليها فقدمت ... فالعبرة باللقاء الذي تم بين الأم والأخت والابن الرضيع، بعد تلك المعاناة الشديدة من الذهول والخوف، والقلق من الأم والأخت على ذلك الطفل الرضيع.

ولله درك يا أخت موسى على ذلك الدور الذي قمت به في ذلك الجو المخيف، والمجتمع الموبوء المحيط بك وبأمك وبأخيك، ذلك الدور الذي قلما يقوم به عظماء الرجال، فكيف بالنساء! وكم نحن بحاجة إلى تملي الدروس والعظات والعبر، واستنباطها من خلال النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية، وكم نحن بحاجة إلى اللجوء إلى الله الذي بيده مقاليد الأمور كلها، والأخذ

---

(١) جمع ظئر. والظئر: هي المرأة التي تقوم بالإرضاع.

(٢) البداية والنهاية (١/٣٠١).

بالأسباب، والتوكل عليه، والصبر في الطريق بدون تردد ولا انهزام.

أما **المحور الرابع**: الذي يتضمن البشارة برجوع موسى– عليه السلام– إلى أمه الحائرة الخائفة الفارغة الذاهلة المتلمسة لأخباره صباح مساء، فبعد تلك المعاناة عاد الرضيع الغائب إلى أمه سليماً معافىً محفوظاً بحفظ الله له، بعد تسخير أعدائه لرعايته وكلاءته.

ما أعظم فرحتك يا أم موسى بموسى، هل الأمر حقيقة أم خيال؟ عيون تدمع من الفرح،وصدر يضمه من الفرح، وثغر يقبله من الفرح، وثدي يرضعه من الفرح، وقلب ينبض من الفرح، ونفس مطمئنة من الفرح، وأيدٍ ترتعش من الفرح، وأرجل تتبختر من الفرح .

ما أرحمك يا رب بعبادك! وما أحلمك يا رب بعبادك! وما أكرمك يا رب بعبادك! من دعاك أجبته، ومن استغفرك غفرت له، ومن سألك أعطيته،ومن استعاذك أعذته، ومن توكل عليك كفيته، ومن خاف منك أمنته، ومن استنصرك نصرته،ومن استجارك أجرته، ومن تقرب إليك شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليك ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاك يمشي أتيته هرولة.

لقد لجأت أم موسى إلى الله تعالى فربط الله على قلبها، وهدّأ من روعها، وكادت تبدي بخبر موسى لولا وعد الله لها سبحانه بأنه سيعيده إليها، وسيكون– زيادة على ذلك– من المرسلين. قال تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص:٧] .وقال تعالى : ﴿ **فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [القصص:١٣] .

٥- رحلة في النهر لرضيع في المهد : الرحلة البحرية لموسى وهو في المهد

يبرز للعيان عدة أسئلة لا نجد لها جواباً، بل الجواب لها عناية الله ورعايته وتدبيره لحياة ذلك الطفل الرضيع، ومن تلك الأسئلة:

يا ترى ما الذنب الذي ارتكبه ذلك الطفل الرضيع حتى يرمى به في اليّم العظيم؟ وهل كان هناك حرس يتلقونه إذا قذف به في النهر حتى ينقذوه من الغرق و الهلاك؟ وهل اليد التي قذفته متعمدة أو سقط منها خطأ، فما استطاعت أن تلحق به وتسترجعه إليها؟ وهل يعقل أن أهله كارهون له ويريدون التخلص منه؟

والجواب على ذلك كله يظهر لنا جليا في قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص:٦٨-٧٠].

إن الله سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته وحده دون من سواه، وهداهم النجدين، وأوضح لهم الطريقين بواسطة رسله الكرام ؛ طريق الخير والصلاح وطريق الشر والفساد، وقد بلغوا ما أنزل إليهم، وأول تكليف طلبوه منهم عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وجعل سبحانه من سنته ابتلاء الناس بعضهم ببعض، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾ [محمد:٤] ، كما جعل من سنته التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل،كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [البقرة:٢٥١].

وإن من عدل الله وفضله ومنته أنه حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً. قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:٤٩]. وقال تعالى :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦].

وفي الحديث القدسي الصحيح:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"رواه مسلم.

وبعض خلق الله كتبت عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فيشقى به من كان تحت ولايته، أو حوله، ومن أولئك "فرعون المثبور"ذلك الرجل الطاغية، الذي ادعى الربوبية، كما حكى الله عنه:﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤].

ووصفه الله بالطغيان وكثرة الفساد في الأرض،قال تعالى : ﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِى ٱلۡأَوۡتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِى ٱلۡبِلَٰدِ * فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ * إِن رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾ [الفجر:١٠- ١٤] .

وقال تعالى:﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعًا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡىِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص:٤].

ومن أعظم فساده ادعاؤه الربوبية والألوهية ، ثم ذبحه لأبناء بني إسرائيل خوفاً على ملكه ونفسه منهم.

وقضى الله سبحانه أن يولد نبي الله موسى – عليه السلام- في العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر. فأصبحت أم موسى في حالة يرثى لها. كيف تخفي ولدها الرضيع عن زبانية فرعون، وهم يعرفون أنها كانت حاملاً ؟ كيف تغادر أرض الظالمين وليس لها حول ولا قوة؟ إذن هل تباشر وأد ولدها بيدها وتدسه في التراب خير لها أم تسلمه إلى قوم قست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة؟!!

وعبر الرضيع النهر يتقاذفه الموج من هنا وهناك، ويسوقه وهو في بطن

ذلك التابوت في هدوء وسكون وفي راحة وطمأنينة قدرية، ليس له حيلة ولا بصيرة مما هو فيه، لا عقل يفكر به، ولا بصر ينظر به، ولا سمع يميّز به ما يسمع، ولا لسان يعبر به ويبين به عما يجد، ولا يد يبطش بها، ولا رجل يمشي عليها، كل هذه الجوارح مسلوب عملها ذلك، لكونه لا زال في المهد رضيعاً، لكن عناية الله ورعايته ورقابته تحيط به وتحفظه من كلِّ شيء، وصدق الله القائل: ﴿ **لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام:٦٧] ولكن الناس لا يعلمون.

وقال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ** ﴾ [الأنعام :٥٩- ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ * كِرَامًا كَـٰتِبِينَ** ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

ما أعظم المنن والنعم التي امتن الله بها وأنعم بها على خلقه، لا يستطيع الإنسان عدها، بل لا يستطيع شكرها، وصدق الله القائل : ﴿ **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [سورة إبراهيم :٣٤].

إن المخاوف البحرية أيّاً كانت ؛ أمواجاً، أو غرقاً، أو حيوانات من حيوانات البحر المفترسة، أو ظلمات، أو غير ذلك مما يتصوره الإنسان على مثل ذلك الرضيع الصغير الضعيف أو غيره، تكون أمناً وطمأنينة وهدوءاً وسكينة بتدبير الله تعالى لها، فهو الخالق المصرف الذي بيده ملكوت كل شيء، إذا أراد شيئاً قال

له كن فيكون، فقد ساقته عناية الله بلطف وهدوء، وهو يسبح في تابوته على سطح اليم إلى شاطئ قريب من بيت فرعون وجنوده، فاستقبلنه الجواري اللاتي يخدمن زوجة فرعون، وحملن التابوت بما فيه دون أن يكشفنه إلى سيدهنّ، فلما كشفن عنه هيأ الله له في قلب امرأة فرعون المحبة والإجلال ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولكن كيف تتعامل مع زوجها الظالم القاضي بذبح كل مولود ذكر في ذلك العام،هل تخفيه عن العيون وتتستر عليه؟ إنها لا تستطيع ذلك لأن أمره قد ذاع وانتشر في أوساط الجند والحاشية.

إن بيوت الجبابرة ودواوينهم قد تخترق، إمّا من داخلها أومن خارجها ، انظر إلى ما هيأه الله لهذا الرضيع وهو في المهد، لا يعرف توكلاً، وليس له عزيمة ولا قدرة، ولا يعرف وسيلة ولا هدفاً ولا غايةً، وهو في قبضة من يريد ذبحه والتخلص منه، وليس لديه أيّ تردد في ذلك ، وهو داخل داره وبين جنوده وغلمانه، ومع ذلك هيأ الله له من يعطف عليه ويدافع عنه، ويجادل فرعون في أمره وهو لا يشعر بذلك، فأصبح عدواً وحزناً لفرعون في داخل داره ، فقد أصرت زوجة فرعون على النهي عن قتل الطفل ودفعت الاعتداء عليه ؛ فاستجاب فرعون لها، مع تخوفه منه وكرهه لذلك،وصرف الله عنه بطش فرعون وظلمه وطغيانه ...

ثم إنها استنفرت خدمها للعناية بموسى- عليه السلام- فكلّفتهم البحث عن المرضعات لكي يقمن بإرضاعه وإطعامه، فحضرن وحاولن أن يرضعنه، لكنه امتنع عن ذلك، فلم يلقم ثديا على الإطلاق، لأن الله تعالى حرّم ذلك عليه لحكمة يريدها سبحانه. قال تعالى: ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ** ﴾ [القصص:١٢]. وقد بيّن لنا الله شيئاً من تلك الحكمة،كما ذكرنا فيما سبق عند الكلام على ميلاد موسى— عليه السلام-.

ورجع موسى إلى الحضن الذي فارقه، وإلى اليد التي تلقته وحملتـــه، وإلى العين التي دمعت عليه وودعته،وإلى الثغر الذي قبّله ولثمه، كيف فرحتـــك يـــا أم موسى برضيعك البحّار، وصغيرك الغائب؟!

لقد عاد رجفان قلبك سكوناً وطمأنينة، وقلق النفس هـــدوءاً، ودمـــوع الحزن دموع فرح وغبطة، وظلام البيت نوراً وضياءً، وثرثـــرة الكـــلام تـــسبيحاً وتذكيراً، والحزن فرحاً وسروراً، والخوف أمناً ويقيناً، فقري عيناً يـــا أم موســـى بطفلك الغائب، وعيشي أنت وإياه على فراش واحـــد، نـــسمات نفـــسه تقبـــل صدرك،ولمسات يديه الصغيرتين تداعب ثديك، وصوته الصغير يقـــرع أسماعـــك، وتزايغ بصره يغازل بصرك، وحركات رجليه الضعيفتين تضرب حواشيك فأنت في سرور وفرح،وهدوء وغبطة،فالحمد لله الذي رد الغائـــب إلى أهلـــه،وربط علـــى جأشك وقلبك حتى عاد إليك من أفزعك فراقه، لك الحمد يا رب حتى ترضـــى، ولك الحمد بعد الرضى .

٦- نشأة موسى في بيت " فرعون " وموقف زوجة فرعون منهما

قبل أن نتعرف على نشأة ذلك الطفل الرضيع، في بيت طاغية العـــصر- فرعون- اللعين، نتعرف على شيء من سيرة وسلوك فرعون الطاغية الجبار الـــذي تربى الطفل الرضيع في بيته على غير محبة منه ولا ود، من خلال النصوص القرآنية.

إن فرعون ادعى لنفسه الربوبية والألوهية وأعلن ذلك في الملأ. قال تعالى:

﴿ **فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعـات:٢٠-٢٤] وقال تعـــالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي**

لأظنه من الكاذبين ﴾ [القصص:٣٨] .

وتنكر فرعون لرب العالمين، وسأل موسى عنه، سؤال استنكار واستكبار. قال تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء:٢٣] .

وتوعد من اتخذ غيره إلهاً بالسجن والتنكيل. قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ** ﴾ [الشعراء:٢٩] .

وإن فرعون علا في الأرض وأفسد فيها شر فساد . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص:٤] ، وقال تعالى: ﴿ **فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ** ﴾ [يونس:٨٣].

ولقد طغى فرعون كل الطغيان، فأضل قومه وغوى، فقال الله تعالى لنبيه موسى– عليه السلام– : ﴿ **ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ** ﴾ [طه:٢٤] ، وقال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ** ﴾ [الفجر:١١] . وقال تعالى : ﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ** ﴾ [طه:٧٩] .

وأعلن فرعون لقومه أن الرأي رأيه، ولا رأي لأحد سواه، وأنه يرشدهم إلى أهدى سبيل، وأقوم طريق. قال تعالى : ﴿ **يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ** ﴾ [غافر:٢٩] .

هذه نبذة يسيرة، من خلال النصوص القرآنية، بينت لنا ووضحت شيئًا من سيرة فرعون الطاغية، ومواقفه المخزية، نعوذ بالله من حاله، وحال أصحابه، وحال أمثاله في كل عصر ومصر، وفي ذلك غنية ومعتبر لمن أراد أن ينظر ويعتبر.

حاولت آسية – زوجة فرعون – أن ترغب أم موسى للبقاء معها في مقر فرعون، وتغدق عليها من النعم والخيرات، لكنها رفضت ذلك وامتنعت، فعاش موسى في كنف أمه سليماً معافى، والكفالة والرعاية تصل إليه وإلى أمه من بيت آل فرعون.

فلما كبر وترعرع طلبته (آسية) أن يقدم إليها لكي تراه ، وأمرت حاشيتها باستقباله وتكريمه بالهدايا والجوائز، وتم ذلك.

وورد في حديث الفتون:(فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أريني ابني فوعدتها يوماً تريها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظئورها وقهارمتها [1]: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه، وأنا باعثة أميناً يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته فرحاً به، ونحلت أمه بحسن أثرها عليه [2].

وزهت زوجة فرعون بابنها المدعى، وفرحت به فرحاً شديداً، وأرادت تكريمه زيادة على ما فعلت، ففكرت في إدخاله على فرعون ليكرمه ويرفع من شأنه، وليغدق عليه من الحلل والجوائز، وعزمت على ذلك وقالت:(لآتين به فرعون

---

(١) لعلها جمع قهرمان وهو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه ، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس ، ينظر لسان العرب مادة (ق هـ ر م) .

(٢) البداية والنهاية (١/٣٠١).

فلينحلنه وليكرمنه، فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم بنيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه [(١)].

سبحان الله كيف وصل الحال بفرعون وبطانته السيئة إلى أن يفسروا تحركات ذلك الطفل الصغير إلى أنها تهديدات وتوعدات بانقضاء ملك فرعون على يد ذلك الطفل الرضيع.

لقد استيقنت نفوسهم أنهم على غير الحق، لكن التكبر في الأرض بغير حق يؤدي بصاحبه إلى عدم الانصياع للبراهين والأدلة الصادقة، ولقد هرعت –آسية– زوجة فرعون حينما علمت أن زوجها استدعى الذباحين ليذبحوا موسى ، وأخذت تناقشه في شأن ابنها الصغير موسى، وتريد أن تقنعه بأن ما جرى فعل طفل صغير لا يعقل من أمور الحياة شيئاً.

لكن فرعون تأول ما جرى بما تأولته به بطانته ، وزعم أنه يصرعه ويرثه، وأنه يعلو عليه فلا بد من التخلص منه، لئلا يقع منه شيء من ذلك. وربط الظلمة الظالمون بين ما وعد الله– سبحانه– خليله إبراهيم– عليه السلام– أن في ذريته الملك والنبوة، وبين هذا الطفل الرضيع وظنوا أنه سيكون من أولئك الذرية، الذين سيهدم ويحطم على أيديهم ملك فرعون وجنوده –مستقبلاً– وكان الأمر كذلك.

وورد في حديث الفتون أن امرأة فرعون جاءت إليه تسعى (فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني؟!. فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق أنت! أئت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين

---

(١) المصدر نفسه.

و لم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب إليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده. فقالت المرأة :ألا ترى؟! فصرفه الله عنه بعد ما كان همَّ به وكان الله بالغاً فيه أمره [١].

وهكذا نشأ موسى – عليه السلام- وترعرع بين أحضان أمه، وتحت رقابة زوجة فرعون آسية التي هيأها الله تعالى لحمايته ورعايته ورقابته والدفاع عنه بالليل والنهار، حيث ألقى الله تعالى على موسى منها محبة له ؛ فصارت تكن في قلبها ما لا يظهر على أعماله وأقوالها، فصرف الله بسببها عن موسى ظلم الظالمين، وكيد الخائنين والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولما وقعت المواجهة بين موسى- عليه السلام- وبين فرعون وسحرته في يوم الزينة كانت هي -رضي الله عنها- ترصد الموقف، وتتربص بفرعون وجنده، وتدعو الله سبحانه أن ينتصر موسى عليهم. وكتب الله تعالى النصر لموسى-عليه السلام- ؛ فصار قرة عين لها بقضاء الله وقدره حيث أخرجها بفضل الله تعالى من الظلمات إلى النور ونجاها ربنا سبحانه بسبب موسى من فرعون وقومه الظالمين .

٧- موقف فرعون من موسى – عليه السلام- لما بلغ أشده ووقع منه ما وقع في المدينة

لما شب موسى – عليه السلام- عن الطوق ، وبلغ أشده، وصار يذكر في المجتمع على ألسنة الرجال، وكان عوناً ونصيراً- بأمر الله- لبني إسرائيل حيث خفف عنهم كثيراً من الأحمال والأثقال والسخرية والاستهزاء والامتهان والاحتقار في أوساط المجتمع القبطي.

---

(١) المصدر نفسه.

فبينما موسى –عليه السلام– ذات يوم يمشي على حين غفلة في تلك المدينة، إذ رأى رجلين يقتتلان: أحدهما: إسرائيلي من شيعته، والآخر: قبطي من أعدائه ؛ فاستغاثه واستنصره الإسرائيلي فأجابه فوكز القبطي فقضى عليه ، كما أخبر الله بذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [القصص:١٥]. ولا يعلم بهذا الحادث إلا الله تعالى ثم موسى والرجل الذي من شيعته.

وانتشر خبر المقتول القبطي في المجتمع. وصاروا يبحثون عمن قتله، وأين يكون حتى يقاد، ويقتص منه على فعلته الشنيعة. ورفع أمره إلى فرعون واستعظم ذلك واستنكره، وطلب منهم تقديم البينة والبحث عن الجاني ، وعلم موسى –عليه السلام– بذلك فأصبح خائفاً في المدينة يترقب الأخبار، ويفكر كيف المخلص ممن يطلبه ويبحث عنه.

وعاد موسى –عليه السلام– إلى نفسه وحاسبها، ولامها على ما أقدمت عليه، وعلم أن ما أقدم عليه إنما هو ضرب من عمل الشيطان، فقال لما رأى المقتول أمام ناظريه : ﴿ **قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [القصص: ١٥].

ثم لجأ – عليه السلام– إلى ربه واعترف بأنه ظلم نفسه ، وطلب منه العفو والمغفرة، فهو أهل العفو والمغفرة ، كما عاهد ربه أنه لن يكون عوناً ولا ظهيراً للمجرمين. قال تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا**

لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٦- ١٧].

لقد غفر الله تعالى لعبده موسى – عليه السلام- لكنه أصبح يعيش في تلك المدينة التي ارتكب فيها تلك الخطيئة خائفًا من أن ينكشف أمره ، وليس له ركن شديد يأوي إليه لا من شيعته ولا من غيرهم، كما أنه خائف أن يعود ضرر ما ارتكبه على بني إسرائيل، فهم مستضعفون، وربما يزدادون شقاءً وبؤسًا بسببه، وخائف على أسرته – أمه وأخته – ومن سواهم أن يقع عليهم من ألوان العذاب ما الله به عليم .

وهو يترقب متى يصلون إليه، ويترقب متى يقع في أيديهم، ويترقب كيف يواجههم إذا تراءى هو وإياهم.

لقد أصبح موقفه مهتزاً أمام أولئك القوم الذين تربصوا به وهو في المهد، وحاولوا قتله، والتخلص منه، فكيف وقد وقع منه ما يسئ إليهم، ولو انكشف فأين يذهب؟ وكيف يبحث عن المخرج للهروب حتى لا يقع في قبضة أولئك المجرمين؟

وقضى الله سبحانه وتعالى أن ينكشف أمر موسى لدى فرعون وجنوده بطريقة عجيبة حيث لم يتعبوا في استقصاء الخبر، بل جاء الخبر إليهم دون عناء ولا مشقة.

فبينما كان موسى – عليه السلام- خائفاً يترقب الأخبار، إذ هو بذلك الرجل الذي من شيعته الذي استنصره واستغاثه على القبطي يقاتل قبطيًا آخر، فطلب من موسى إعانته عليه كما أعانه من قبل على السابق. فاستنكر موسى – عليه السلام- فعل الرجل ، ووصمه بالغواية ، وبيّن الله ذلك في كتابه فقال :

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ

مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص:١٨].

ثم أراد موسى عليه السلام أن يبطش بالرجل القبطي فظن الإسـرائيلي أن موسى يريد البطش به ؛ فأفشى السر الذي مضى من قتل الفرعوني السابق ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص:١٩] ، فزيادة على كشف ذلك السر وصف موسى – عليه السلام- بالجبروت في الأرض ، وبأنه لا يريد أن يكون من المصلحين ...

انفك النزاع بين الإسرائيلي والفرعوني، وانطلق الفرعوني بعد ما سمع الحوار الذي دار بين موسى والإسرائيلي إلى قومه، وأخبرهم الخبر، وأن موسى هو الذي قتل الفرعوني. فعليكم أن تأخذوا بالثأر، وهنا جند فرعون جنده، وأمرهم بالبحث عن موسى والقبض عليه، وتقديمه للعدالة، أهذا يصدر من موسى الذي تربى في بيوتنا، وأحسنا إليه وأغدقنا عليه يفعل تلك الفعلة الشنيعة؟

٨- (وما يعلم جنود ربك إلا هو)

لما بدأ جند فرعون يبثون عيونهم من أجل التعرف على مكان موسى لكي يصلوا إليه ؛ هيأ الله تعالى لعبده موسى – عليه السلام- جنديًا من جنوده المجهولين ينقل إليه خبر أعدائه، ويمحضه النصح ، ويرشده إلى الطريق الأسلم ، وما أجمل النصح والإرشاد في ساعة الكرب والاختناق .

إن موسى – عليه السلام- يعيش حالة كرب من تربص أعدائه به ، ومتابعتهم له ، وبحثهم عنه ، وليس له من يعينه بالرأي والمشورة ، وهو فرد أعزل

من كل شيء ، فيأتي ذلك الرجل من مكان بعيد (من أقصى المدينة) ، بعد أن علم بخبر القوم وأنهم يبحثون عن موسى- عليه السلام- من أجل القضاء عليه، فينطلق مسرعا تجاه موسى يخبره الخبر.

وهنا عدة أسئلة واستفهامات عدة حول هذا الرجل وما قام به ؛ منها :

ما العلاقة بين موسى وهذا الرجل؟هل هو من شيعته؟أو هل هو من قرابته؟ وهل كان بينه وبين موسى تعاون في ذلك المجتمع الجاهلي؟وهل هو مكلف بعمل معين يقوم به؟وهل كان يعلم بمقر موسى؟ وكيف وصل إليه، وجنود فرعون منتشرون في أنحاء المجتمع؟وكيف وصل إليه خبر الملأ؟

إن هذه الأسئلة لا نستطيع أن نجد لها جواباً يقيناً ، لكن الذي يجب أن لا نحتار فيه أن قيام ذلك الرجل بذلك الدور العظيم هو من حفظ الله لعباده ورعايتهم ودفع الشرور عنهم فلله الحمد على فضله وإحسانه . لقد قام ذلك الرجل بدور الرجال إذا ذكر الرجال بحق ، فهؤلاء قليل .

لقد اخترق الملأ (فرعون وملائه) وعرف خبرهم وعرف خطتهم نحو موسى – عليه السلام- فأخبره خبرهم ، ولم يأبه بفرعون وجنوده ، ذلك الرجل الذي ادعى الربوبية والألوهية، ويا ويل من يخالفه في الرأي، أو يخرج عن قانونه ، فذهب إلى موسى لكي يخبره وينقذه من الوقوع في قبضتهم.

كم تحتاج الأمة إلى الرجال الصادقين الصالحين الذين يفكرون لها ويتشاورون في قضايا أمتهم ودينهم ، ويكشفون مخططات الأعداء، ويعدون العدة لإنقاذ أمتهم من الوقوع في براثنهم ، ويحفظون دينهم من التشويه ، والنقص أو الزيادة، ويبلغونه كما جاء من عند الله .

لقد استجاب موسى – عليه السلام- لنصيحة ذلك الرجل ولا شك أنها وقعت على قلبه برداً وسلاماً ، ونفست عنه كرباً وهماً وحيرة من أمره.

فخرج من تلك المدينة وربما يكون الهاجس الأمني يسيطر على موسى في طريقه فربما يلحقون به في الطريق فينتقمون منه.

هذه حياة الأنبياء وسيرتهم ، وهذه أقدار الله تعالى لهم ، تــولى الله تعــالى تربيتهم ، وابتلاهم قضاء وقدرا منه لهم، ليكونوا قدوة لمن بعدهم مــن أمتــهم، وليعلم ورثة الأنبياء أن الطريق الصحيح هو طريق الأنبياء فليصبروا وليحتسبوا على ما يلاقون في طريقهم وليدعوا ربهم أن يهديهم السبيل المستقيم وأن ينجيهم مــن كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين، ومكر الماكرين ، أسوة بالأنبياء في ذلــك ، ولا يستعجلوا الطريق ، فإن النصر بيد الله تعــالى ، ﴿ **وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران:١٢٦].

٩- الرحلة البرية الأولى لموسى – عليه السلام- : الخروج من الوطن

لقد خرج نبي الله موسى- عليه السلام- من بلده الذي ولد فيه ونشأ فيه "مصر" إلى بلد آخر لا يعرفه، ولا يعرف الطريق إليه، يسمى "مدين" خرج وحيداً لا أنيس معه في الطريق من قريب ولا من بعيد، يتجاذب معه أطــراف الحــديث، ويؤنسه وحشة الطريق. و لم يخرج آمناً مطمئناً ينظر في صفحات الكون المــشاهد، ويرى عظمة الله تعالى في مخلوقاته المتعددة والمتنوعة، بل خرج خائفاً وجلاً من قوم تمــالؤوا عليــه ليقتلــوه، ويترلــوا بــه أشــد العقوبــة، وكــان ي ترقب الانقضاض عليه من كل جانب، لأنه لا يعرف مسالك الطريق، وما تعــود ذلك، آه من وحشة الطريق، وانعدام النــصير، وقلــة الــسالك،وجور البــاغي، ومطاردته.

ومن كان هذه حاله -خوف يتملكه، وعدو يطارده ويتهدده- لزمته حالة

قلق، وتربص مستمر، وتفكير مضطرب، لا يدري متى يبطش به العدو، ويقع في قبضته، ولا يدري متى يصل إلى قوم يأنس برؤيتهم، ويزيلون عنه شيئاً من العناء والوحشة والرجفة والقلق، كيف يأوي إليهم، وكيف يقص خبره عليهم، وكيف يستقبلونه؟ ولا يدري هل سيعود إلى وطنه الذي خرج منه مضطرًا ...

إنها معاناة في داخل النفس، ومعاناة في الطريق، ومعاناة من قلة الزاد ... لكن الرجل المؤمن بالله، والواثق بنصره، والمتوكل عليه حق التوكل، يلجأ إليه ويعتصم به ويتضرع إليه، فهو الخالق الرازق وهو المحيي والمميت، وهو النافع وبيده مقاليد الأمور، لا راد لما قضى، ولا مانع لما أعطى، ولا مذل لمن أعز ، ولا معز لمن أذل.

لقد لجأ موسى – عليه السلام– إلى ربه، وطلب منه أمرين عظيمين:

الأول : طلبه النجاة من الظالمين . قال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [القصص : ٢١].

الثاني: طلبه أن يرشده ويهديه إلى الطريق المستقيم . قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ** ﴾ [سورة القصص :٢٢].

إن اللجوء إلى الله تعالى في حالة السراء والضراء هو المطلوب،لأن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، ومقدر الأمور ، وبيده مقاليد كل شيء.

إن البشر مهما أعطوا من القوة ومهما أعدوا من العدة، فإنهم لا يساوون شيئا أمام قدرة الله وعظمته، فالخلق خلق الله، والأمر أمره.

وإن نبي الله موسى –عليه السلام– لجأ إلى قوة ما بعدها قوة، وإلى رعاية ما بعدها رعاية، وإلى رقابة ما بعدها رقابة، وإلى إرادة ما بعدها إرادة، لجأ إلى الله تعالى، ونعم بالله، ما خاب من دعاه ولا خاف من توكل عليه ولا ذل من لاذ

بجانبه.

إن الظالمين نسوا قدرة الله، وظنوا أنهم خارجون من قبضة الله سبحانه، إنهم في غيهم يعمهون، وفي ظلالهم يسدرون، إنهم جاهلون بحقيقة أنفسهم، ومن كان حاله كذلك فهو ظالم لنفسه ولغيره ؛ ولذا يجب الحذر منهم، وكشف حالهم، والبعد عن العيش في كنفهم، فإنهم لا يزيدون الناس إلا ضلالاً وتباراً.

وعلى المسلم أن يدعو ربه أن يوفقه في أقواله وأعماله، وأن يهديه إلى الطريق والسبيل القويم، فإنه لا يهدي لذلك إلا هو سبحانه، ويجب أن يكون هذا ديدن المسلم، ويزداد ذلك في حالة الكرب والشدة كما فعل نبي الله موسى – عليه السلام– .

وبينما كان نبي الله موسى– عليه السلام– ماشياً في طريقه إلى (مدين) وقبل أن يصل إلى تلك المدينة وجد في طريقه ماءً يسمى (ماء مدين) يرد إليه الناس يسقون أنعامهم ، ويروون غليلهم ، وإن منظر الرعاة وهم يسقون رعيتهم– من الماشية– ليثير الدهشة لمن ينظر في أمرهم، ويشاهد حالهم .

لو نظرت إلى الدلاء وهي في أشطانها خالية وملأى من الماء، واختلافها في النزع والإنزال ، ولو سمعت إلى الرجز ممن يسقي وينزع الدلاء ، ولو رأيت تزاحم المواشي على الماء ، ولو رأيت التنازع بينهم أيهم يتقدم عن صاحبه وجاره لرأيت عجباً ، ولو رأيت عضلات الذراعين المفتولتين وهي تنزع الدلاء ، ولو رأيت العرق وهو يتصبب من الجبين ومناسم الجسم ، مبللاً الملابس، ولو سمعت النغمات التي تصدر منهم وهم ينادون بها دوابهم ، ولكل نوع من الماشية نغمة غير نغمة الأخرى فللغنم نغمة، وللبقر نغمة ، وللإبل نغمة ، وللحمير نغمة، لرأيت عجباً !!

ولقد لفت انتباه نبي الله موسى– عليه السلام– من تلك الأمة المجتمعة على السقي – امرأتان بعيدًا عنهم تمنعان غنمهما عن ذلك المجتمع، فسألهما موسى–

عليه السلام- عن سر بعدهما عن الرعاء فأجابتا بأمرين :

الأول : أهما لا تسقيان حتى ينصرف الرعاة .

الثاني : أن أباهما شيخ كبير .

ويبدو- والله أعلم- أن أباهما رسم لهما الخطة في السقي، فلكونه لا يستطيع أن يرد معهما الماء لمساعدهما في السقي ، وليكون محرمًا لهما، أرشدهما إلى التريث، والبعد عن المزاحمة للرعاء حتى يصدروا، ثم تردان بعدهم الماء فطبقتا ذلك ، وربما يكون ذلك التصرف صادراً منهما لرجاحة عقليهما، وتغلب الحياء والخجل عليهما حتى لا تقعا في مزاحمة الرعاة، فلله درهما، وشكر الله سعيهما، وهكذا شأن المسلمات المؤمنات القانتات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ويبتعدن عن مواطن الرجال في أي مكان كانوا؛ لما يؤدي إليه اختلاط النساء بالرجال من فتنة وفساد في الأخلاق ...

فتقدم موسى- عليه السلام- إلى الماء وكشف الغطاء عنه وأدلى دلوه ونزع لهن من الماء وسقى لهن، وعاد إلى الظل مناجياً ومنادياً ربه في خضوع وافتقار ، وسكون وانكسار. اخرج ابن أبي شيبة بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى- عليه السلام- لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم .قال ابن كثير: إسناده صحيح. أهـ. وهو موقوف ، ويحتمل أن يكون من الإسرائيليات ...

إن نبي الله موسى- عليه السلام- حباه ربه قوة في جسمه ، وفي عقله، وإيمانه، ومع ذلك يلجأ إلى من حباه تلك القوة فيعترف بالتقصير والفقر، وأن لا

ملجأ من الله إلا إليه . قال تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

إن هذه المبادرة من نبي الله موسى- عليه السلام- في إعانة الضعيف ومساعدته في قضاء حاجته لهو خلق عظيم حثّ عليه الدين الحنيف .

إن موسى-عليه السلام- خرج من مدينته خائفاً يترقب ومن كانت هذه حاله فإنه يبحث عن مكان خفي لا يراه الناس ولا يحب أن يروه حتى لا ينكشف أمره خشية أن يدلّوا عليه أعداءه ، لكن موسى-عليه السلام- يبادر إلى فعل الخيرات ، ويساعد المحتاج ، ويعين الضعيف على قضاء حاجته ، مفوضاً أمره إلى خالقه ومتوكلاً عليه ، ومعترفاً بضعفه وفقره أمام ربه وخالقه .

وهكذا يجب أن يكون الذين يقتدون برسل الله الكرام- عليهم الصلاة والسلام- وينتهجون نهجهم، ويسيرون على طريقهم آخذين بالأسباب ومتوكلين على الله غير عابئين بالعوائق والعقبات التي يلاقونها في طريقهم إلى الله تعالى .

لقد رجعت المرأتان إلى مستقرهما، وإلى أبيهما، وهما تحملان شعوراً عجيباً لذلك الرجل الذي بادر إلى السقي لهما وإعانتهما، بعدما استفسر عن حالهما، وأخبرتا أباهما بحاله ، وربما أنهما سمعتا مناجاته لربه، ونقلتا تلك المناجاة إلى أبيهما.

١٠- موسى-عليه السلام- والشيخ الكبير

لما قام موسى – عليه السلام- بالسقي لتلك المرأتين الضعيفتين تولى إلى الظل وحيداً فريداً أين ييمم وجهه، وأين يتوجه وأين يأوي ويختفي من الأعداء الذين يتابعون أخباره، ويقتفون أثره كي يبطشوا به، لجأ إلى ربه اللطيف الخبير، فشكا إليه حاله – وهو سبحانه أعلم به- فإن الإنسان مهما أعطي من الخير ؛ لا

يزال فقيراً إلى خالقه ورازقه ومحييه ومميته، قال تعالى: ﴿ **فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [سورة القصص :٢٤] .

ويذكر بعض السلف: أن المرأتين سمعتا هذا الدعاء من موسى — عليه السلام– ولما قفلتا راجعتين إلى مقرهما ومسكنهما واجهتا أباهما بما رأتا وشاهدتا من تصرف ذلك الفتى نحوهما، فأعجبتا بقوته، وبأدبه الجم، وبمبادرته لإعانتهما، وذكرتا لأبيهما ما سمعتا منه من ذلك الدعاء الذي يدل على قوة الصلة بالله تعالى والاعتراف لله تعالى بحاجته إليه مهما أعطي من الخير سواء كان كبيراً أو صغيراً، وأن ذلك يدل على وحشة يعيشها موسى في طريقه.

ثم طلبت إحداهما من أبيهما أن يستأجره، ولعلها قد تفرست في موسى – عليه السلام– وهو يسقي لهما الغربة والمشقة والعناء، زيادة على ما رأت منه وشاهدت من القوة والأمانة، فأرادت الاستفادة منه والعطف عليه، وهذا من الأسباب التي هيأها الله سبحانه لموسى — عليه السلام– . قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ** ﴾ [سورة القصص : ٢٦]، فأمرها أبوها بالذهاب إلى موسى لدعوته، والإتيان به، ويبدو أن مكانه الذي آوى إليه ليس بعيداً عنهم.

فجاءت تلك الفتاة موسى – عليه السلام– على استحياء ، لتبلغه دعوة أبيها ، ولما وصلت إليه أبلغته الدعوة في أدب رفيع، ومنطق سليم، وأخبرته أن والدها يريد أن يجازيه ويحسن إليه مقابل ما قدم لهما من الخدمة في السقي . قال تعالى :﴿ **فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾

[سورة القصص : ٢٥].

فاستجاب موسى – عليه السلام- لتلك الدعوة وانطلق معها إلى أبيها، كيف لا وهو يعيش وحشة الطريق وغربتها، لا يعرف من يأوي إليه ويستأنس بالحديث معه، ولاشك أن ذلك من تنفيس الكربات عن النفس خاصة وهي تعاني من أمور كثيرة، من أعظمها مطاردة الأعداء، وقلة الناصر.

فلما وصل إلى ذلك الشيخ الكبير عرفه بنفسه، وعرض عليه أمره، وقص عليه خبره، فكان من كرم الضيافة، ومواقف الرجال، وحسن الاستقبال، وحماية الضيف والجار، ونصرة الضعيف والمظلوم، والوقوف ضد الباطل وأهله، أن قال ذلك الشيخ الكبير مسريا عن موسى- ما أخبر الله تعالى عنه بقوله- : ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [القصص :٢٥] .

ما أجمل العبارات المضيئة، بل المشرقة وهي تقرع الأسماع، وتسلي النفوس، وتثبت العقول، فتعيد للنفس هدوءها وسكونها وأمنها، بعد قلقها ورجفتها وخوفها.

وكأني بموسى – عليه السلام- يتهلل وجهه بالبشر والضياء ، وينطلق لسانه أكثر بالشكر والثناء لله رب العالمين، ويزداد شموخاً وثباتاً في الطريق، وتنقلب الغربة والوحشة ألفةً، والخوف أمناً، والقلق والوجل هدوءاً وسكوناً، والضعف قوةً، والفقر غناً، والتنقل والترحال استقراراً، والحزن فرحة، وشظف العيش رخاء.

إنّ النفس الأبيّة لا ترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى – عليه السلام- حيث عاش مع الشيخ

الكبير عيشة عمل وكدح يرعى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار.

إن موسى – عليه السلام- عاش فترة زمنية مع الشيخ الكبير والله وحده هو الذي يعلم ماذا حصل له فيها من المواقف والمشاهد، والذي نعلمه نحن البشر من خلال النص القرآني الكريم أنه قضى أتم الأجلين وأكملهما عشر سنوات، حيث كان الاتفاق بينهما على ثمان سنوات، فإن أكملها عشراً فذلك تفضل منه وكرم وليس بإلزام.

قال تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ** ﴾ [سورة القصص : ٢٧، ٢٨].

ولما قضى موسى أكمل الأجلين وأتمهما ودع مضيفه هو وزوجته ليعود إلى أهله وبلاده التي غادرها منذ زمن، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولتبدأ حياة ومرحلة جديدة من حياة موسى – عليه السلام- أعظم مما مرَّ عليه من قبل .

١١- الرحلة البرية الثانية لموسى- عليه السلام- :رحلة العودة إلى الوطن

إن من سنن الله تعالى في خلقه حنين الإنسان إلى وطنه، مهمـا كـان في ذلك الوطن من العنت والشقاء، وإن نبي الله موسى-عليه السلام- لمّا غادر وطنه بغير رضاً منه أو اختيار، وغاب عنه سنين عديدة، بسبب جور الظالمين عليه، أعد عدته، وعاد إلى وطنه، بعد ما قضى ذلك الأجل الذي تمّ بينه وبين ذلك الشيخ الكبير، والذي يقدر بعشر سنوات، ويسدل الستار على تلك السنوات العشر، لا

ندري ماذا تلقى فيها موسى، وماذا عمل فيها، إلاّ رعيه للغنم فقط، ثم عقــد العزم على الرجوع إلى أهله وبلاده، مستصحباً معه في طريقه أهله ومتاعه، ويلقى في تلك الرحلة من المشاهد والمواقف الشيء العظيم، والنص القرآني يشير إلى ذلك بدون تفصيل .

قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ * ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ** ﴾ [سورة القصص: ٢٩-٣٢].

إن هذا النص القرآني الكريم يحمل في طياته أخبار تلك الرحلة بإيجاز، ويعرض لنا مشاهدها باختصار،مع التمام في المعنى، وهذا من بلاغــة القــرآن وفــصاحته وعظمته.

لقد عاد موسى- عليه السلام- إلى بلاده برفقة أهله، وبعض متاعــه، يحــثُّ الخطو إلى بلاده،عادة كل غائب يعود إلى أهله وأرضه، لكن يفاجأ-عليه السلام- بنداءات ومشاهدات وبراهين، لم يعهدها من قبل في طريقه، ممــا أثــار في نفــسه الخوف والوجل والقلق، والحذر، ومن تلك المواقف:

١- مشاهدته لنار بعيدة عنه، وهو في ليلة مظلمة مطيرة، وتوجهه نحوها قاصداً الاستضاءة بها، والتصلية والتدفئة.

٢- سماعه من شاطئ الوادي الأيمن عند الشجرة النابتة في تلك البقعة – النداء الصادر من الله رب العالمين .

٣- رؤيته لعصاه بعد إلقائها وهي متغيرة عليه في صورتها وخلقتها وحركتها، وخوفه منها.

٤- منظر يده بعد أن أخرجها من جيبه وهي بيضاء نقية من غير سوء.

٥- وجود الاطمئنان والسكون بعد أن يضع يده على قلبه، رحمة من الله تعالى به.

هذه المواقف العظيمة التي شاهدها موسى-عليه السلام- وهو في طريقه إلى أهله وبلاده، ما كانت تخطر بباله،ولا كان يتوقع رؤيتها وسماعها، وبناء على ذلك أصيب بالخوف وعدم الاطمئنان،لكن عناية الله تعالى لعبده وتكريمه له، ترافقه من المهد إلى اللحد.

إن أعظم مشهد وموقف قابله موسى-عليه السلام- في هذه الرحلة البرية هو تكليف الله تعالى له بالرسالة إلى عدوه اللدود"فرعون" الذي هرب منه في أول الأمر، وهجر أهله وأرضه من أجله، وهذا تحقيق لوعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد حيث طمأن أمّه بأنه سبحانه سيرده إليها،وفوق ذلك سيجعله من المرسلين. كما قال سبحانه:﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ [سورة القصص:٧].

ومن المواقف العظيمة التي لاقاها موسى في طريقه، كون ربه الذي خلقه يناديه، ويتكلم معه بدون واسطة، هذا هو الفضل العظيم، وهذا هو العطاء الجزيل، الذي لا منّة فيه ولا نفاذ،أيّ تكريم وأيّ تشريف هذا؟!! ترجع به يا موسى إلى أمك وأهلك وأعدائك، بعد رحلتك المضنية، وغربتك المتعبة، فارقت أمك وأهلك

ووطنك، وأنت في حالة يرثى لها من الخوف والمطاردة،والغربة والوحشة، تمكث في غربتك عشر سنين، والشمس تشرق عليك وتغرب، وأنت خلف غنيمات تغدو بها وتروح، والله هو الوحيد الذي يعلم ما يكنه صدرك،وما يلوح في ذهنك،وما تأمرك به نفسك.

إن ما حصل لك في طريقك وأنت في رحلتك الأولى، وفي رعيك للغنم هو نوع من الابتلاء،كما أن ما حصل لك في طريقك وأنت عائد إلى أهلك ووطنك من المواقف والمشاهد العظيمة هو نوع من الابتلاء أيضا، وإن كان هناك فرق بين الابتلاءين، وتلك الابتلاءات هي سبيل التمكين.

إنّ هذا هو اختيار الله تعالى لك، ونعم الاختيار ، ونعم المختار. قال تعالى: ﴿ **وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ** ﴾ [سورة طه : ١٣] ، وهي محبة الله تعالى ترعاك وتكلؤك قال تعالى:﴿ **وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ** ﴾ [سورة طه:٣٩] ، وهو اصطفاء الله تعالى لك من دون الناس بالرسالة والكلام. قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ [سورة الأعراف:١٤٤].

ما أعظم هذه القدرة التي تحيط بك يا موسى، وما أعظم هذا التكريم الذي فزت به من بين خلق الله، اختيار واصطفاء، ومحبة وكلام،ونصر وتأييد، وعلو وتمكين،كل ذلك يأتي بعد ذلك العناء الذي لاقيته في أول حياتك، ما عقلت منها وما لم تعقل، والأعمال بالخواتيم.

ولقد حرم أهل الابتداع من الإيمان بهذه الصفات الإلهية- المحبة والكلام والرؤية والسماع- كما حرموا الإيمان بغيرها من الصفات - برحمة الله تعالى ، وبعزته وحكمته، وعلمه وسمعه وبصره، وقدرته ومشيئته، وإحاطته بكل

شيء،وهيمنته وجبروته، وعلّوه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ وذلك لفساد المدرسة التي نشأوا عليها، مدرسة الزيغ والإلحاد، والتحريف والتأويل والتعطيل والتشبيه والتجسيم والحلول. وصدق الله تعالى القائل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف:١٨٠].

إن التكاليف الربانية ليست بالشيء اليسير، إنها تكاليف عظيمة وكبيرة وثقيلة، تحتاج إلى رجال أقوياء في حملها، وفي تبليغها إلى الآخرين، وتحتاج إلى صبر ويقين، وتوكل على الله، وهمّة عالية، وموسى -عليه السلام- من أولئك الرجال العظماء، فقد صنعه الله تعالى على عينه، وغذاه ورباه ومحّصه حتى بلغ أشده، واستوى على سوقه، فكلّفه وأرسله،بعد أن أعطاه الله تعالى حكمًا وعلمًا، فقام بما كلّف به خير قيام . قال تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة القصص :١٤].

١٢- مطالب موسى- عليه السلام- من ربه

ولما علم موسى -عليه السلام- بتكليف الله تعالى له بالرسالة، لم يتردد في حملها، لكنه تذكر شيئاً من ماضيه مع فرعون وقومه،إنه عاش أول حياته في قصر فرعون، ورأى من طغيانه وجبروته الشيء الكثير، ومع ذلك حفظه الله من بأسه وبطشه، وهو في حالة ضعف وغربة، وطلب موسى من الله تعالى مطالب تُحققُ له، لكي يستطيع أن يقوم بأداء ما كلّف به خير قيام، بعضها معنوي، وبعضها حسي، ومن تلك المطالب ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى

صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى * يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى * وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى * هَـٰرُونَ أَخِى ﴾ [طه: ٢٥-٣٠] . وقال تعالى : ﴿ **وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** ﴾ [سورة القصص:٣٤].

وقد استجاب الله تعالى لعبده موسى ما طلب، قال تعالى:﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ** ﴾ [سورة طـه:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ** ﴾ [سورة القصص:٣٥].

إنّ هذه الإجابات من الله تعالى لعبده موسى تحمل في طياتها الرحمة والنصرة والغلبة على العدو، نصرة من الله تعالى لموسى وهارون على عدوهما فلا يصل إليهما، ونصرة من هارون لأخيه موسى – عليهما السلام- تتمثل في شد أزره وعضده، وفي الفصاحة والبيان، وفي الأنس من وحشة الطريق، وكل هذا رحمة من الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا** ﴾ [سورة مريم:٥٣].

يقول سيد قطب–رحمه الله تعالى:(لقد طلب إلى ربه أن يشرح له صدره.. وانشراح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة، ويحيل عناءه لذة، ويجعله دافعاً للحياة لا عبئاً يثقل خطى الحياة.

وطلب إلى ربه أن ييسر له أمره. وتيسير الله للعباد هو ضمان النجاح. وإلا فماذا يملك الإنسان بدون هذا التيسير؟ ماذا يملك وقواه محدودة وعلمه قاصر، والطريق طويل وشائك ومجهول؟!وطلب إلى ربه أن يحل عقدة لسانه فيفقهوا قوله.. وقد روي أنه كانت بلسانه حبسة، والأرجح أن هذا هو الذي عناه ،

ويؤيده ما ورد في سورة أخرى من قوله: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ [القصص:٣٤].

وقد دعا ربه في أول الأمر دعاء شاملاً بشرح الصدر وتيسير الأمر، ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره وييسر له تمامه.

وطلب أن يعينه الله بمعين من أهله ؛ هارون أخيه، فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب...

لقد أطال موسى سؤله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير، وربه يسمع له، وهو ضعيف في حضرته، ناداه وناجاه ، فها هو ذا الكريم المنان لا يُخجِلُ ضيفه، ولا يرد سائله، ولا يبطئ عليه بالإجابة الكاملة :﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [سورة طـه:٣٦].

هكذا مرة واحدة، في كلمة واحدة ؛ فيها إجمال يغني عن التفصيل ، وفيها إنجاز لا وعد ولا تأجيل .. كل ما سألته أعطيته ؛ أعطيته فعلاً ، لا تُعطاه ولا ستعطاه ؟ وفيها مع الإنجاز عطف وتكريم وإيناس بندائه باسمه "يا موسى" وأيّ تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد ؟ [1].

ثم كلفه الله تعالى وأخاه هارون بالذهاب إلى"فرعون" الطاغية، وأمرهما أن يُلينا له في القول، لعل رحمة الله تعالى تدركه، ويعود عما هو فيه من الظلم والطغيان، ما أحلم الله بعباده ؟ بين لهم عظمته سبحانه في مخلوقاته، الدالة على وحدانيته وتفرده بالأمر والنهي، والخلق والتدبير، وبعث فيهم رسلاً منهم، مبشرين ومنذرين، فخيره إليهم نازل، وشرهم إليك صاعد.

لقد سبق في علم الله تعالى الأزلي أن فرعون لا يؤمن، ومع ذلك أمر عبديه

(١) في ظلال القرآن(٢٣٣٤/١).

ونبييه- موسى وهارون- عليهما السلام- أن يذهبا إليه ويترفقا به في الحوار والنقاش لعله يتذكر أو يخشى، كل ذلك من أجل أن يرسم طريقاً في الدعوة إلى الله تعالى لمن يأتي بعدهم،من إلانة في القول، وترفق بالآخر،والصبر على المعاناة في الطريق من القريب والبعيد، والصديق والعدو، والأخذ بالأسباب، وعدم اليأس أو القنوط، فإن القلوب علمها عند الله تعالى يصرفها ويقلبها كيف يشاء.

ويجب على من يدعو الناس إلى دين الله تعالى أن يحرص على هدايتهم، وإن لم يهتدوا، وأن يبلغهم دين الله تعالى برفق ولين، وأن يلجأ إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح والدعاء، وأن يطلب من الله تعالى التوفيق والسداد.

وإن التعاون بين أفراد البشر على تبليغ دين الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور لهو أمر مطلوب، سواء كان ذلك وفق نشاط منهجي، أو لا منهجي مادام أن النتيجة واحدة، والغاية واحدة، وإن شد الأزر في الطريق إلى الله تعالى، وتوزع الأدوار، والتعاون على القيام بها، لهي من الأسباب التي تجعل العمل ناجحا، وتجعل النفوس وثابة إلى المعالي كلما حققت شيئاً من أهدافها وغاياتها.

وإن قصة موسى –عليه السلام- وطلبه من ربه سبحانه أن يشد أزره بأخيه هارون – عليه السلام- خير شاهد على ذلك.

١٣- موقف فرعون وملئه من موسى – عليه السلام- لما جاءهم بآيات الله

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾ [سورة القصص:٣٦].

إن هذا الموقف يختلف عن الموقف الأول تماماً، إذ تحول الحال من الضعف إلى القوة، ومن التخفي إلى الظهور، ومن المطاردة إلى المواجهة، ومن الخوف إلى

الأمن، ومن الوحشة في الطريق إلى الأنس، ومن ضيق الصدر إلى الانشراح، ومن التلعثم إلى الفصاحة، ومن التردد إلى الانطلاقة ...

حمل موسى وهارون إلى "فرعون" المعجزات الباهرات، والدلالات القاهرات، التي لو أُلقيت على الجبال الرواسي لخشعت وخضعت وانقادت، بل لصارت دكاء. لكن القلوب القاسية والمغلفة تنكر الحقائق، وتشكك فيها، بل تقف ضدها بغياً وعدواناً، وعناداً وجحوداً، بل أنكر "فرعون" الصانع كما حكى الله ذلك عنه فقال: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [سورة الشعراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ** ﴾ [سورة طـه:٤٩]. إنها صيغة استفهام إنكاري صادرة من "فرعون".

إن موسى وهارون أول ما بادرا" فرعون" في دعوتهما دعياه إلى الاعتراف بالرب الخالق المالك المدبر لهذا الكون كله، كما قال تعالى: ﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [سورة الشعراء:١٦].

وقال تعالى: ﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ** ﴾ [طـه:٤٧].

ومن اعترف بالربوبية فقد اعترف بألوهية ذلك الرب إلزاماً، وأنه صاحب الأمر والنهي، والأسماء والصفات الحسنى، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

لقد تلطف موسى وهارون في دعوتهما"فرعون" وذلك بتوجيه من الله تعالى لهما،لأن الهدف من دعوته هدايته، وإخراجه من الظلمات إلى النور.

قال تعالى : ﴿ **ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى * ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ**

إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [سورة طـه: ٤١-٤٤].

إن في هذا التوجيه سنة ربانية لمن يقوم بحمل المنهج الرباني ويدعو إليـــه، وهي أن يتلطف بمن يدعوه، ويبين له بالدلائل البينات،والبراهين الـــساطعات،ما يدعو إليه، لعله يتذكر أو يخشى، فيخرج من الظلمات إلى النور، ومن الـــرق إلى الحرية، حرية العبودية لله تعالى، وإن الرفق واللين في بيان الحق والوصول إليه، أنفع وأوقع في النفس البشرية.

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية : "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار،وموسى صفوة الله من خلقـــه إذ ذاك،ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلاّ بالملاطفة واللين، وأن دعوتهما له تكـــون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** ﴾ [سورة النحل:١٢٥]" .أ.هـــ.

إنّ مواجهة أهل الباطل المتمكنين في الأرض" كفرعون" وغيره، لهو أمـــر صعب على النفس،خاصة وأن الله تعالى بين لهما أنه طغى، لأن الذي لا يـــستحي ممن خلقه ورزقه، وبيده محياه ومماته، فإنه من باب أولى لا يستحي من مخلوق مثله، فقد يبطش به، أو يسفّهه،أو يسجنه، أو يسلط عليه السفهاء، وإن هذه المواقف ما غابت عن"موسى وهارون"- عليهما السلام- فقد حكى الله عنهما ذلـــك فقـــال تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ** ﴾ [سورة طـه:٤٥].

لكن من كان الله تعالى معه فلا يخاف ظلماً ولا بخساً، ولقد وجـــه الله تعـــالى عبديه الصالحين بعدة توجيهات في مواجهة "فرعون" الطاغية، وأخبرهمـــا أنـــه- سبحانه- معهما يسمع ويرى، ومن تلك التوجيهات الربانية:

١–السرعة في تنفيذ حجج الله تعالى وبراهينه ومعجزاته . قال الله تعالى : ﴿ **ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى** ﴾ [سورة طه:٤٢]. وفسر ابن عباس –رضي الله عنهما– ذلك بقوله: لا تُبطئا. وبقوله: لا تضعفا. وأياً كان الشأن فالتوجيه لهما بالصمود أمام فرعون، والمبادرة في بيان دلائل الحق والإعجاز، وعدم الفتور في عرضها وبيانها. والواجب على كل من عرف شيئاً من معالم هذا الدين أن يبادر إلى تنفيذها وإرشاد الناس إليها، وأن لا يصاب بالكسل أو الخور والجبن في تبليغها، مهما قُوبل به في الطريق من الصعاب والعقبات، فهذه سنة الأنبياء، بتوجيه لهم من الله تعالى .

٢–اللين في القول ؛ لقوله تعالى:﴿ **فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ [سورة طه:٤٤]. إن الرفق في جميع الأمور ما كان في شيء إلا زانه، كما أن الغلظة والشدة ما كانت في شيء إلا شانته، وقد جاء هذا التوجيه من الله لموسى وهارون– عليهما السلام– أيضًا لنبينا محمد–صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] . وهذه سنة شرعية لمن يحملون المنهج الرباني ويبلغونه عباد الله، لأن الهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتعريفهم بخالقهم، والخضوع والتذلل له.

٣– عدم الخوف في القيام بالرسالة الربانية ، فإن من طبيعة النفس البشرية أن يعتريها شيء من الخوف عندما تقابل أهل الطغيان ، وهذا على درجات متفاوتة، والذين يحملون المنهج الرباني يدركون تبعاته، وما يترتب على تبليغه ونشره، وموسى وهارون– عليهما السلام– وقع لهما شيء من الخوف من طاغية عصرهما

"فرعون"،أن يبطش بهما، ويعتدي عليهما، لأول وهلة يلتقيان معه، لجهله من جانب، ولظلمه وطغيانه وجبروته من جانب آخر، والله ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ * قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾ [طـه: ٤٥-٤٦].

إن الله تعالى اختار من خلقه من يحمل رسالته،ويقوم بنشرها وتبليغها،وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل-عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم- وجاء في وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [سورة الأحزاب:٣٩].

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : يمدح تبارك وتعالى"الذين يبلغون رسالات الله" أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها،"ويخشونه" أي: يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله. "وكفى بالله حسيباً" أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً.

وسيد الناس في هذا المقام- وفي كل مقام- محمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو-صلوات الله وسلامه عليه- فإنه بُعِث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨].

ثم ورَّثَ مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره،وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتـدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم) .

ما أجمل سيرة السلف الصالح من الأنبياء والرسل! ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم، وكيف يخشى أو يخاف من كان الله تعالى معه بالنصر والتأييد؟! أنقذ نوحاً وموسى ويونس من الغرق، وإبراهيم من النار، وعيسى ومحمد من القتل، وأهلك من عاداهم و لم يستجب لدعوتهم، وأخذ كلاً بذنبه، وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر:١٤].

١٤- العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل مخلوق من خلقه بداية ونهاية،ولا يبقى إلاّ وجهه الكريم، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٨] وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] ، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء :٣٥] .

ولقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه أحوال كثير من خلقه، أفراد ومجموعات، من الذين طغوا وتجبروا وتكبروا في الأرض بغير الحق،بل بغياً وعدواناً،كما جاء في وصف فرعون وجنوده، في قوله تعالى: ﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠] .

وبين لنا -سبحانه- كيف أخذهم، وأنه-سبحان-أخذ كلاً بذنبه، فقال بعد أن ذكر الله تعالى نوحاً، وإبراهيم،ولوطاً، وشعيباً، وهوداً، وصالحا،وموسى- عليهم السلام - وقومهم. ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقد وعد الله تعالى عباده الصالحين بالنصر والفوز المبين، والغلبة والتمكين، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١- ١٧٣].

ولقد بذل رسول الله موسى- عليه السلام- جهداً عظيماً في دعوة فرعون وملئه، لكنهم أعرضوا عنه وتنكروا له،بل ضاقوا ذرعاً به وبدعوته، ووقفوا ضده، يحاورونه، ويجادلونه، ويناقشونه، ويسفهون ما يدعو إليه، ومع ذلك ثبت نبي الله موسى- عليه السلام- على دينه ثبات الجبال الرواسي ، ولم يقصّر في تبليغ ما كلّف به من ربه، وترفق بفرعون وملئه في دعوته، وصبر على ما لاقى منهم من المتاعب والمطاردة والمشاق والأذى، فقد وقفوا ضده مواقف مخزية، ومن تلك المواقف السيئة:

١- التكذيب بآيات الله تعالى، والاستكبار عنها: قال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آل عمران:١١] . وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس:٧٥].

٢- وصمهم لموسى- عليه السلام- بأنه ساحر ومسحور ، وأن ما جاء به

سحر: قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [لأعراف:١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٠١]. وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:٧٦] .

٣– اتهموا موسى وقومه بالفساد في الأرض: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [لأعراف:١٢٧].

٤– قتلهم لأبناء بني إسرائيل، واستحياء نسائهم: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٦] .

٥– الإنكار لربوبيّة ربِّ الأرباب: قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء :٢٣] .

٦– العزم على قتل موسى والتخلص منه: قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص:٩]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ

﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦] . وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨] .

٧- ادعاء فرعون الربوبيّة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] .

٨- ادعاؤه الكمال في الرأي والدلالة: قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

إلى غير ذلك من المواقف المشينة من فرعون وقومه، في حق الله تعالى وأنبيائه ورسله.

وقد أخذ الله تعالى فرعون وقومه أخذ عزيز مقتدر، و بيّن الله لنا في كتابه ، أنه طغى ، فأخذه الله تعالى بالغرق ليكون عبرة لمن خلفه ، فقال تعالى : ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه:٢٤] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة :٥٠] .

وقال تعالى : ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه : ٧٨] .

قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم

بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنفال:٥٤] .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٠٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٠] .

وقال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٥٢] .

ومن العاقبة السيئة لفرعون وجنوده، أنهم يعرضون على النار غدواً وعشياً، ويوم القيامة يذوقون أشد العذاب. قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] .

ولم يقع ما حلَّ بهم إلاّ بعد ما أنذروا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر:٤١] .

١٥- الدروس والعبر المستفادة من نبإ موسى وفرعون

سنقتصر هنا على إبراز بعض الدروس والعبر المستفادة من نبإ موسى وفرعون التي لم يتم إبرازها في أثناء الفصول السابقة :

١- إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى،ما دامت السماوات والأرض، لا يزول هذا الصراع إلاّ بزوال هذا الكون. وما وقع بين موسى-عليه السلام- وفرعون وملئه من هذا الباب.

٢- إن الله تعالى أخبر أن التمكين في الأرض سيكون لموسى ومن اتبعه،

وأن الدائرة السيئة ستكون على فرعون وملئه. قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [القصص:٥-٦]، وقد ظلم فرعون وقومه نبي الله موسى وقومه ، وقضى الله أن ينتصر المظلوم ولو بعد حين ...

٣- إنّ بعض خلق الله كتبت عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فيشقى به من كان تحت ولايته، أو حوله، ومن أولئك "فرعون المثبور"ذلك الرجل الطاغية، الذي ادعى الربوبية...

٤- إنّ من أعظم فساد فرعون ادعاؤه الربوبية والألوهية، ثم ذبحه لأبناء بني إسرائيل خوفاً على ملكه ونفسه منهم ، ولو استسلم لله تعالى واستجاب لسعد في الدارين، ولكن لله تعالى الحكمة البالغة...

٥- إن الرجل المصلح في هذه الحياة لا بد أن يجد معاناة ومصاعب في طريق دعوته الإصلاحية .. وإن عليه أن يتوكل على الله حق التوكل ويثق بنصره...

٦- إنّ النفس الأبيّة لا ترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى - عليه السلام- حيث عاش مع الشيخ الكبير عيشة عمل وكدح يرعى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار.

٧- إن الوفاء بالعقود والالتزام بها واجب، فلا يجوز الإخلال بها، أو نقضها،والله تعالى يقول:﴿: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ** ﴾ [المائدة :١] ونبي الله

موسى-عليه السلام- وفّىّ بما التزم به مع ذلك الشيخ الصالح، بل أدى أكمل الأجلين.

٨- إن من سنن الله تعالى في خلقه حنين الإنسان إلى وطنه، مهما كان في ذلك الوطن من العنت والشقاء، وإن نبي الله موسى-عليه السلام- لّما غادر وطنه بغير رضاً منه أو اختيار، وغاب عنه سنين عديدة، بسبب جور الظالمين عليه، أعد عدته، وعاد إلى وطنه، بعد ما قضى ذلك الأجل الذي تمّ بينه وبين ذلك الشيخ الكبير، والذي يقدر بعشر سنوات. فعلى كل مغترب أن يفكر في العودة إلى أهله وبلاده، لكي يقوم بما يستطيع من الإصلاح، بين أهله وذويه، إقتداء بنبي الله موسى-عليه السلام-.

٩- إن التكاليف الربانية ليست بالشيء اليسير، إنها تكاليف عظيمة وكبيرة وثقيلة، تحتاج إلى رجال أقوياء في حملها، وفي تبليغها إلى الآخرين، وتحتاج إلى صبر ويقين، وتوكل على الله، وهمّة عالية، وموسى-عليه السلام- من أولئك الرجال العظماء، فقد صنعه الله تعالى على عينه، وغذاه ورباه ومحّصه حتى بلغ أشده، واستوى على سوقه، فكلّفه وأرسله، بعد أن أعطاه الله تعالى الحكم والعلم، فقام بما كلّف به خير قيام.

١٠- يجب على من يدعو الناس إلى دين الله تعالى أن يحرص على هدايتهم، وإن لم يهتدوا، وأن يبلغهم دين الله تعالى برفق ولين، كما مرّ في قصة موسى وهارون مع فرعون، وأن يلجأ إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح والدعاء، وأن يطلب من الله تعالى التوفيق والسداد.

١١- إن الله تعالى اختار من خلقه من يحمل رسالته، ويقوم بنشرها وتبليغها، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل- عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم-

وجاء في وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [سورة الأحزاب:٣٩].

١٢- إن الله تعالى ليمهل للظالم ولا يهمله ، ثم يأخذه بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، وهذا ما حصل لفرعون وغيره من الأمم الظالمة، وقد أخبرنا ربنا سبحانه بذلك في كتابه، ولا يظلم ربك أحداً، فقال تعالى: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٠].

١٣- إن الحق ينتصر بجهود الضعفاء ولا تقتصر نصرته على جهود الأقوياء، فلا يحقرن الإنسان أيّ جهد يقوم به في نصرة الحق ، فإن مؤمن آل فرعون، وأخت موسى، وأمه، وآسية، كانوا ضعفاء، ومع ذلك قاموا بأعمال عظيمة في نصرة الحق .

١٤- إن الله تعالى وعد عباده الصالحين بالنصر والفوز المبين، والغلبة والتمكين، فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ** ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣]. فلا يتعجل الصالحون ما وعدوا، أو تمل نفوسهم، ولا يستوحشوا من قلة الناصرين،أو السالكين، فإن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- بدءوا طريقهم فرادى، فما وهنوا لما أصابهم، وما ضعفوا وما استكانوا، ولنا فيهم قدوة وأسوة ، والله ولي الصالحين.

كتبه وحرره الراجي عفو ربه

د/ أحمد بن عبد الله العماري الزهراني

غفر الله له ولوالديه ، ولسائر المسلمين . آمين.



علوم القرآن
تاريخه .. وتصنيف أنواعه

إعداد

د . مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار*

* من مواليد مدينة الزلفي بمنطقة نجد عام ١٣٨٤هـ.

- تخرج في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونال منها درجة الماجستير بأطروحته " **الوقف وأثره في التفسير**"

، ثم الدكتوراه عام ١٤٢١ بأطروحته " **التفسير اللغوي**".

- يعمل أستاذاً مساعداً بقسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض، ومشرفاً علمياً على موقع " شبكة التفسير والدراسات القرآنية".

- له مؤلفات وبحوث عديدة، منها: "**فصول في أصول التفسير**"، و" **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم**".

الملخص

تحدث الباحث في هذا المقال عن محورين، ثم أتبعها بملحوظات عامة على علوم القرآن.

وكان المحور الأول والثاني حول الحديث عن مصطلح (علوم القرآن) وكتبه ، وتتبع الباحث الأحاديث النبوية وآثار السلف وتراجم العلماء وعناوين الكتب ، وخلص إلى حاجة إعادة البحث في تاريخ تدوين علوم القرآن لاختلاف طرائق العلماء في تناوله .

وقد استطرد الباحث في ذكر الفرق بين علوم القرآن وعلوم التفسير ، وعلوم القرآن وأصول التفسير ، وحرر الفرق بينها .

وذكر الباحث في هذا المحور بعض الكتب التي حملت في عنوانها مصطلح(علوم القرآن)، وحرص الباحث على ذكر الكتب التي لم يذكرها من سبقه ممن جمع المؤلفات في علوم القرآن .

وكان المحور الثاني عن ترتيب أنواع علوم القرآن ، وقد اجتهد الباحث في النظر في هذا الموضوع من زاوية ترتيب هذه الأنواع في منظومة متداخلة بحيث يجمع النظير إلى نظيره ، وتكون الموضوعات المترابطة تحت عنوان كلي مشترك .

وقد قدم لهذا بأسئلة متعلقة بهذه الأنواع ، وهي متى يصنف علم ما في علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي ؟ وما الفرق بين علوم القرآن وموضوعات القرآن؟

ثم خلص إلى مجموعة من الملحوظات على علوم القرآن ؛ ذكر فيها عددًا من المسائل التي يمكن أن تكون مجالاً للمدارسة والبحث والتحرير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن بداية ظهور علوم القرآن مرتبطة ببداية نزوله ، فلما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ في غار حراء ، وتلى عليه قوله تعالى : ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١ ــ ٥] بدأت العلوم المرتبطة بالقرآن بالظهور شيئًا فشيئًا.

ويمكن أن يُستنبطَ من نزوله على الرسول ﷺ في غار حراء جملة من أنواع علوم القرآن، ففيه من العلوم :

علم نزوله، خصوصًا أول ما نزل .

علم قراءته.

علم الوحي.

ثمَّ ما لبث القرآن ينْزل مرةً بعد مرَّةٍ ، ويحدثُ من علومِه غير هذه الثلاثة على حسبِ موضوعات الآيات وما يتعلَّقُ بها .

تعريف علوم القرآن :

تقع مشكلة عند الباحث حينما يريد أن يقوم بتعريف للعلم الذي يكتب فيه ، خصوصًا إذا كان قد استقرَّ في ذهنه ذلك الأثر المنطقي في التعريف ، وهو أن يكون جامعًا مانعًا .

وذلك القيد متعذِّرٌ جدًّا في التعريفات على جهة العموم ، فضلاً عن تعريفات العلوم التي تتميز بتداخل المعلومات في كثيرٍ من الأحيان ، وبذا يصعب التعريف الدقيق المبين لجميع جزئيات العلم .

ومن ثَمَّ ، فإنه يمكن أن يُكتفى في تعريف العلوم بما يبين نوع هذا العلم ويميز مسائله عن غيره ، لذا كانت الأمثلة مما يصلح للدخول في تعريف العلم ، وهذا هو الحاصل في تعريفات المعاصرين لعلوم القرآن اعتمادًا على ما كتبه الزركشي (ت : ٧٩٥) ، والسيوطي (ت : ٩١١) في كتابيهما في علوم القرآن .

ومن تعريفات هذا العلم عند المعاصرين ما ذكره الأستاذ الدكتور فهد الرومي ، قال :(ويعرَّف علوم القرآن كفنٍّ مدون بأنه : مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك) [١].

فلو طبَّقت الحدَّ الجامع المانع في هذا التعريف لما رأيته كذلك ، لكن إذا تجرَّدت من هذه النظرة ، فهل ترى أن علوم القرآن قد اتضحت لك أم لا ؟

الذي يبدو ـــ والله أعلم ـــ أنَّ هذا التعريف قد وضَّح المراد بعلوم القرآن، وذلك لسلوكه التمثيل لبعض مفردات هذا العلم التي يستعان بها على معرفة غيرها، فإذا كان ذلك كذلك فإن مثل هذا التعريف الذي يقوم على بيان أمثلة للعلم معتبرٌ في التعريف ؛ لأنَّ المراد بالتعريف معرفة جنس العلم عن غيره .

ولو قيل معرفة العالي والنازل ، والمتواتر والآحاد،والصحيح والشاذ من أي العلوم ؟ لكان الجواب : من علم الحديث .

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ.د. فهد الرومي ، ط : ٧ .

ولو قيل : معرفة أن الأمر يقتضي الوجوب ، وأن النهي يقتضي الفساد ، وأن الأحكام التكليفية خمسة : الفرض والواجب والمندوب والمكروه والمباح ، وأن الأخبار لا تُنسخ ، من أي العلوم ؟ لكان الجواب : من علم أصول الفقه .

فأنت تتعرف على العلم بمعرفة أفراده ، وهذا كافٍ في التعريف الذي يراد به تعريف المعرَّف .

والحرص على إيراد التعريف الجامع المانع إنما هو من آثار علم المنطق ؛ ومتى تبين بالتعريف المُمَثِّل للعلم ببعض أمثلته كفى وأغنى ، وإن كان الوصول إلى التعريف الأمثل مطلوبًا ، لكن لا يعاب على تعريفات المعاصرين أنها غير جامعة مانعة ما دام أنه لا يمكن الوصول إلى هذا النوع من الحدِّ في التعريف ، وما دام أنه يمكن أن يوصل إلى معرفة ماهيته بما عرَّفوه به .

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام هو أنَّ إدخال بعض العلوم في علوم القرآن قد لا يتبين خروجه عن علوم القرآن من خلال التعريف، بل يتبين بنقده مباشرة لبيان خروجه عنها ، وهذا لا يخلُّ بطريقة التعريف المذكورة سابقًا .

نظائر مصطلح علوم القرآن :

تأتي إضافة علم إلى لفظ القرآن ، فيتكون منها مصطلح (علوم القرآن)، لكن قد تأتي إضافة لفظ (علم) إلى غير هذا اللفظِ بذاته ، لكنها تدلُّ عليه .

ومن هذه الإضافات : (علم القرآن) ، (علوم التنْزيل) ،(علم التنْزيل)، (علوم الكتاب)، (علم الكتاب)، وقد يرد في عناوين الكتب، أو في كلام العلماء مصطلحاتٌ أخرى ترجع إلى معنى هذا المصطلح [1]، لكن الذي استأثر بهذا العلم

(١) مثل ما فعله البلقيني في عنوان كتابه (مواقع العلوم من مواقع النجوم) ، ويظهر أنه قد أخذ العنوان من قوله تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة : ٧٥] ، على أحد القولين في المراد بالنجوم ، وهي نجوم القرآن التي تنْزل مرة بعد مرة .

من بينها هو مصطلح (علوم القرآن) .

وسيأتي في تدوين هذا العلم الإشارة إلى بعض الكتب التي تحمل شيئًا من هذه العناوين .

مصطلح علوم القرآن في السنة وآثار السلف :

وهناك جملة من الآثار التي يرد فيها هذا المصطلح المضاف (علوم القرآن) ولا يلزم أن يكون المراد به جملة العلوم الاصطلاحية التي ظهرت عند المتأخرين في كتبهم ، لكن يمكن القول بأن جملة من العلوم الناشئة منه تدخل فيه بناءً على تعميم الإضافة في (علم القرآن) ، وما شابهه ، وعدم وجود ما يدل على تخصيصها.

ومن الأمثلة التي ورد فيها إشارة إلى هذا المصطلح المضاف ما يأتي:

١- دعاء الرسول ﷺ لابن عمِّه ابن عباس ، قال: (اللهم علِّمه الكتاب)[١]، وهذا يشمل جملة العلوم المتعلقة بالقرآن ، من قراءته ، وحفظه ، وتفسيره ، ومعرفة نزوله وأحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، وغير ذلك من علومه .

وفي رواية عند الإمام أحمد : (اللهم فقه في الدين ، وعلِّمه التَّأويل)[٢]؛ والمرادُ به علم التفسيرِ الذي هو أجلُّ أنواع علومِ القرآنِ وأعظمها ، ولا تخلو تفاسير السلف من ذكر جملة من أنواع علوم القرآن ؛كعلم الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني ، والعام والخاص ، وغيرها .

٢ - قوله ﷺ :(خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه) [٣]، وهذا يشملُ جُملةَ

---

(١) أخرجه جمع من الأئمة ، منهم البخاري ، رقم الحديث ٦٨٤٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد (١ : ٣١٤) .

(٣) رواه البخاري في صحيحة ، رقم الحديث ٤٧٣٩ .

أنواعِ علومِ القرآنِ من قراءته وحفظه وتفسيره وغيرِها ؛ لأنَّه خبر مطلقٌ غير محدَّدٍ بنوعٍ من أنواع تعلُّمِ القرآنِ وتعليمه .

ويشير إلى ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن : عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل) [(١)].

وهذا يشمل أنواع العلم بالقرآنِ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨) : (... فإن أصحاب رسول الله ﷺ تلقوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعا، كما قال أبو عبدالرحمن السلمي — وهو الذي روى عن عثمان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، كما رواه البخاري في صحيحه ، وكان يقرئ القرآن أربعين سنة — قال : (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا) ، ولهذا دخل في معنى قوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه) **تعليم حروفه ومعانيه جميعًا** ، بل تَعَلُّمُ معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه ، وذلك هو الذي يزيد الإيمان ، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما : (تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا إيمانًا ، وأنتم تتعلمون القرآن، ثُمَّ تتعلَّمون الإيمان ...) [(٢)].

٣– في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ**

---

(١) رواه الطبري في تفسير ، تفسير الطبري ، تحقيق : شاكر (١ : ٨٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ : ٤٠٢ — ٤٠٣) .

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة : ٢٦٩]، قال البغوي (ت : ٥١٦) :(وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره ،وحلاله وحرامه، وأمثاله)[١].

وهذا المثال شبيهٌ بمصطلحِ علوم القرآنِ الذي استقرَّ بعدَ عهدِ السلفِ .

٤ – قال ابن أبي شيبة : (حدثنا أبو أسامة قال ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قالوا : أَخْبِرْنا عن عبد الله .قال : علم القرآن والسنة، ثم انتهى ، وكفى بذلك علمًا) [٢].

٥– وأخرج البيهقي (ت : ٤٥٨) في شعب الإيمان عن الحسن (ت : ١١٠) قال : (أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علومَ التوارة والإنجيل والزبور الفرقان ، ثم أودعَ علومَ القرآن المُفَصَّلَ ، ثم أودع المُفَصَّلَ فاتحةَ الكتاب ، فمن عَلِمَ تفسيرَها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنْزلة) [٣].

وهذا المثال يظهر منه أنَّ المرادَ بعلومِ القرآنِ أعمُّ من المرادِ به في مصطلحِ المتأخرينَ، فهو يشمل على كلِّ المعلومات التي يشملها القرآن ، وهي من صميمِه، فكلُّ معلومةٍ حواها فهي من علومِه، والله أعلمُ بمرادِ الحسن (ت : ١١٠) من ذلك .

٦ – وقال الذهبي (ت : ٧٤٨) : (قال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت : سمعت الشعبي ، وقيل له : إن إسماعيل السدي قد أعطي حظًا من علم القرآن ، فقال إن : إسماعيل قد أعطي حظًا من الجهل بالقرآن) .

---

(١) معالم التنْزيل ، للبغوي ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار (١ : ٢٥٦) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦ : ٣٨٥) ، وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ : ١٢٩) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٢ : ٤٥٠) ، وقد نقله السيوطي عنه في الدر المنثور (١ : ١٦) .

قلت[١] : ما أحد إلا وما جهل من علم القرآن أكثر مما علم ، وقد قال إسماعيل بن أبي خالد : كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله) [٢].

٧ – وعن الأصمعي (ت : ٢١٥) قال : (قال لي أبو عمرو بن العلاء : لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت ، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها ، ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت حرف كذا وذكر حروفا) [٣].

٨ – وعن عبد الرزاق (ت : ٢١١) قال :(سمعت سفيان يقول : سلوني عن علم القرآن والمناسك ، فإني عالم بهما) [٤].

وبعد ، فهذه بعض الأمثلة الواردة عنهم في هذا المصطلح ، وهي تبيِّن أنه متداولٌ بينهم ، وأنه مما يتعلق بالقرآن مباشرة ، خصوصًا حفظه وإقراؤه ، وتفسيره .

التدوين في علوم القرآن :

لقد طغى جانب التلقي على أخذ العلم في عهد الرسول ﷺ ، وكذا في عهد أصحابه ، ثمَّ بدأ التدوين[٥] ينمو شيئًا فشيئًا في عهد التابعين،ثمَّ في عهد أتباعهم .

وفي هذه العهود لم يُذكر تدوينٌ باسم مصطلحِ علوم القرآن ، وترجع الكتابة في هذا العلم إلى عصر متأخر عن نزوله ، لكنه كان علمًا منقولاً عن السلف ، وهم به أعلم وأدرى ، خصوصًا الصحابة الذي شاهدوا التنْزيل وعاصروه ، وأدركوا من

---

(١) القائل هو الذهبي .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ : ٢٦٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ : ٤٠٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ : ٢٤٧) .

(٥) بدأ التدوين في عهد الرسول ﷺ ، ومن أعظم ما دُوِّنَ كتاب الله سبحانه ، ثمَّ إنهم كانت لهم تدويناتٌ لبعض سنة الرسول ﷺ ، وإنما كان أكثر في عهد التابعين ، ثم في من جاء بعدهم ، وهكذا .

أماراته ما لا يمكن أن يدركه من لم يشاهد .

أمَّا التدوينُ في شيءٍ من علومِه فقد كان موجودًا في عهد التابعين وأتباعِ التابعين، وقد كان النصيبُ الأكبرُ **لعلمِ التفسيرِ** الذي كان أكثــرَ أنــواع علــومِ القرآنِ تدوينًا ، ولا يخفى على من يطَّلع على تفاسيرهم أنها تشتمل على جملة مــن أنواع علوم القرآن التي أبرزتها تقسيمات العلماء اللاحقين لهم ؛ كالمكي والمدني ، وأسباب النُّزول، وقصص القرآن ، ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، وغير ذلك .

ومن نسخ التفسير التي كُتبت في عهدهم:

١-سعيدُ بنُ جبيرٍ (ت:٩٤) الذي كتبَ جملةً منَ التَّفسيرِ لعبدِ الملكِ بــنِ مــروانَ (ت:٨٦)[1].

٢- وعــن وِقاءِ بــنِ إياس[2]، قــال: (رأيــتُ عَزْرَةَ [3] يختلفُ إلى ســعيدِ بنِ

(١) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦ : ٣٣٢) : « سئل أبي عن عطاء بن دينار ، فقال هو صالح الحديث ، إلاَّ أن التفسير أخذه من الديوان ، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بــن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان ، فأرسله عن سعيد بن جبير » .

وفيه عن أحمد بن صالح : « عطاء بن دينار هو من ثقات أهل مصر ، وتفــسيره عــن ســعيد بــن جبير صحيفة ، وليس له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير » .

(٢) وِقاء بن إياس الأسدي، أبو يزيد الكوفي، روى عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وغيرهما، وهو لــين الحديث. ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق بشار معروف (٧: ٤٥٩)، وتقريب التهــذيب (ص: ١٠٣٦).

(٣) عَزْرَةُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بن زرارة ، الخزاعي ، الكوفي ، الأعور ، روى عن جابر بن زيد وســعيد بن جبير ، وروى عنه قتادة ووِقاء ، وغيرهما ، وهو ثقة . ينظر : تهذيب الكمال ، للمــزي ، تحقيــق بشار معروف (٥ : ١٦٣) ، وتقريب التهذيب (ص : ٦٧٦) .

جبيرٍ، ومعه التَّفسيرُ في كتابٍ، ومعه الدَّواةُ يُغَيِّرُ) [(١)] .

٣- نسخة مجاهد بنُ جبرٍ (ت : ١٠٤) التي كتب فيها تفسير شيخِه عبد الله بـــنِ عباسٍ (ت : ٦٨)[(٢)] .

٤- وأملى مجاهدٌ (ت : ١٠٤) التَّفسيرِ على القاسمِ بـــنِ أبي بَـــزَّةَ (ت: ١١٥)[(٣)] فكتبه، وقدْ أُخِذَ تفسيرُ مجاهدٍ (ت : ١٠٤) من إملائه للقاسمِ (ت : ١١٥)[(٤)] .

٥- وكتب ابن أبي نجيح تفسير مجاهد ، ونُقل عنه في كثير من مـــصادر التفـــسير، وروايته من أكثر الروايات عن مجاهد .

٦- وأملى الحسنُ البصريُّ (ت : ١١٠) التَّفسيرَ على تلاميذِهِ ، فكتبوه [(٥)].

---

(١) المعرفة والتاريخ ، للفسوي ، تحقيق : أكرم ضياء العمري (٣ : ٢١٢ ـــ ٢١٣) ، وطبقات ابن سعد (٦ : ٢٦٦) .

(٢) عن مجاهدٍ ، قال : « عرضتُ المصحفَ على ابنِ عباسٍ ثلاثَ عرضاتٍ ، من فاتحةِ الكتـــابِ إلى خاتمتِه ، أوقفُه عند كل آيةٍ ، وأسألُه عنهـــا » . تفسير الطبري ، تحقيق شاكر (١ : ٩٠) .

وقال ابن أبي مليكة : « رأيتُ مجاهداً يسألُ ابنَ عباسٍ عنِ تفسيرِ القرآنِ ، ومعه ألواحُه ، فيقـــولُ له ابنُ عباسٍ : اكتبْ ، قال:حتى سألَه عن التَّفسيرِ كُلِّه » . تفسير الطبري،تحقيق شاكر (١: ٩٠) .

(٣) القاسم بن أبي بَزَّةَ المكي ، القارئ ، مولى عبد الله بن السائب ، روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما ، وعنه شبل بن عباد المكي وحجاج بن أرطاة وغيرهما ، كان ثقة ، مـــات ســـنة (١١٥) ، وقيل غيرها . ينظر : تهذيب الكمال (٦ : ٦٢) ، وتقريب التهذيب (ص : ٧٩٠) .

(٤) قال سفيان بن عيينة : « لم يسمعه [يعني : التفسير] أحد من مجاهد ، إلاَّ القاسم بن أبي بـــزة أملاه عليه ، وأخذ كتابه الحكمُ ، وليثٌ ، وابنُ أبي نجيح » . المعرفة والتاريخ ، للفسوي (٢: ١٥٤) والثقات ، لابن حبان ، ط دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند (٧ : ٣٣١) ، وزاد ممن أخذوه : ابن جريج ، وابن عيينة .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، ط : دار الفكر (١ : ٨٩) .

٧- وكتب عطية العوفي (ت : ١١١) نسخة يرويها عن ابن عباس (ت: ٦٨). وقد تناقلها عن عطية (ت : ١١١) بيت العوفيين ، وهي سلسلة ضعيفة الإسناد، لكنهم يروون كتابًا ، فيرتقي بهذا حال النسخة ؛ لأنها لا تعتمد على الحفظ .

٨- وكتب السُّدي صحيفة في التفسير يرويها عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ، وقد رواها عنه أسباط بن نصر .

٩- وكتبَ عليٌّ بنُ أبي طلحةَ الوَالِبيُّ (ت : ١٤٣)[١] صحيفتَهُ المشهورةَ التي فيها تفسيرُ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ (ت : ٦٨)[٢] .

١٠- وكتبَ سعيدُ بنُ أبي عَرُوبَةَ (ت : ١٥٦)[٣] تفسيرَ قتادةَ بنِ دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ (ت : ١١٧)[٤] .

---

(١) علي بن أبي طلحة ، واسمه سالم ، بن المخارق الهاشمي ، مولى العباس بن عبد المطلب روى عن مجاهد وغيره ، وقيل : أخذ تفسير ابن عباس عنه ، وروى عنه معاوية بن صالح الحضرمي وغيره ، صدوق قد يخطئ ، وله في التفسير الصحيفة المشهورة التي أرسلها عن ابن عباس ، توفي سنة (١٤٣). ينظر : تهذيب الكمال (٥ : ٢٦٢) ، وتقريب التهذيب (ص : ٦٩٨) .

(٢) هي الصحيفة المشهورة عن علي بن أبي طلحة ، التي قال الإمام احمد فيها : « بمصرَ كتابُ التأويلِ عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، لو جاء رجلٌ إلى مصرَ ، فكتبه ، ثم انصرفَ به ، ما كانت رحلته عندي ذهبتْ باطلاً » . الناسخ والمنسوخ ، للنحاس ، تحقيق : د . سليمان اللاحم (١ : ٤٦٢) .

(٣) سعيد بن أبي عروبة ، واسمه مِهران ، أبو النَّضْر البصري ، روى عن أيوب السختياني وقتادة وغيرهما ، وعنه : يزيد بن هارون ويحيى بن سلام وغيرهما ، ثقة حافظ ، من أثبت الناس في قتادة ، قال أبو حاتم : « سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يكن لسعيد بن أبي عروبة كتاب ، إنما كان يحفظ ذلك كله ، وزعموا أن سعيداً قال : لم أكتب إلاَّ تفسيرَ قتادة ، وذلك أنَّ أبا معشر كتب إليَّ أنْ أكتبه » . توفي سعيد بن أبي عروبةَ سنة (١٥٦) . ينظر : تهذيب الكمال (٣ : ١٨٥) ، وتقريب التهذيب (ص : ٣٨٤) .

(٤) قال أبو يعقوب الفسوي : « حدثنا يوسف بن سلمة ، عن أحمد ، ثنا قريش بن أنس ، قال : حلف لي سعيد بن أبي عروبة أنه ما كتب عن قتادة شيئاً قط ، إلاَّ أن أبا معشر [زياد بن كليب=

١١– وألَّفَ عبدُ الملكِ بنُ جُرَيجٍ المكيُّ (ت : ١٥٠) كتاباً في التَّفسيرِ[١] .

١٢– وألَّفَ مقاتلُ بنُ سليمانَ (ت : ١٥٠) كتاباً في التَّفسيرِ[٢] .

١٣– وألَّفَ سفيانُ الثَّوريُّ (ت : ١٦١) كتاباً في التَّفسيرِ[٣] .

١٤– وألَّفَ وكيعُ بنُ الجَرَّاحِ (ت : ١٩٧) كتاباً في التَّفسيرِ[٤] .

١٥– وألَّفَ يحيى بنُ سلامٍ البصريُّ (ت : ٢٠٠) كتاباً في التَّفسيرِ[٥] .

وصحف التفسير من الموضوعات التي تحتاج إلى بحث مفصَّلٍ ، وليس فيها ـ فيما أعلم ـ ما يُغني ، ومن أراد مفاتحها فليطَّلع على مقدمة المفسِّر الثعلبي (ت : ٤٢٨) لتفسيره (الكشف والبيان) ، ومقدمة ابن حجر (ت : ٨٥٢) لكتابه (العجاب في بيان الأسباب) ، ففيهما بعض هذه النسخ المروية عن السلف .

ويلاحظ أنَّ بعضَها يتفرع كتفرُّع أغصان الشجرة ، فقد ينسب التفسيرُ إلى أحد المفسرين ، ثمَّ يُنسب تفسيره إلى عدد ممن كتبه عنه ، ومرجعه في النهاية إلى مفسرٍ واحدٍ؛ كتفسير السُّدي (ت : ١٢٨) ، فالتفسير الذي يروى عنه بواسطة

=التميمي] كتب إليَّ أن اكتب له تفسير قتادة » . المعرفة والتاريخ ، للفسوي (٢ : ٢٨٥) ، وينظر: الجرح والتعديل (٤ : ٦٥) .

(١) ينظر : تاريخ بغداد (٨ : ٢٣٧) .

(٢) لتفسيره عدَّة مخطوطات ، ينظر : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط / علوم القرآن / مخطوطات التفسير وعلومه (١ : ١٩) ، وقد طُبِعَ بتحقيق عبد الله شحاته ، ثم طُبِع بدار الكتب العلمية ، تحقيق : أحمد فريد .

(٣) هذا التَّفسيرُ من روايةِ أبي حذيفة النهدي عن سفيان ، وقد طُبع بتحقيق : امتياز علي عرشي .

(٤) قال إبراهيم الحربي : « لما قرأ وكيع التفسير ، قال للناس : خذوه ، فليس فيه عن الكلبي ولا ورقاء شيء » . تهذيب التهذيب (١١ : ١١٤) .

(٥) لهذا التفسير نسخ خطية ، ينظر : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط / علوم القرآن / مخطوطات التفسير وعلومه (١ : ٢١) ، وقد طُبِع مؤخَّرًا جزء منه ، تحقيق : هند شلبي .

أسباط بن نصر الهمْداني (ت : ١٧٠) قد يُنسبُ إلى أسباط (ت : ١٧٠) ، فيقال: تفسير أسباط (ت : ١٧٠) ،وإنما التفسير لمن كتبه،وهو السُّدِّيُّ (ت : ١٢٨) .
وبحث هذا ، ومعرفة من نسخ هذه التفاسير ، ولو تشجَّرت = مفيدٌ في معرفة طرق التفسير .

هذا، ولقد كان لبعض أنواع علوم القرآن نصيب من التدوين في عهد السلف، ومن تلك العلوم: الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والوجوه والنظائر، ووقوف القرآن، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن وإعرابه التي هي من مشاركات أهل العربية.
وسأذكر هنا بعض أمثلةٍ من أنواع التصنيف التي كتبت مستقلة في بعض العلوم المتعلقة بالقرآن ، فمنها :

١- كتاب **المقطوع والموصول** ، لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت : ١١٨) .

٢- كتاب **الناسخ والمنسوخ** الذي يرويه همام بن يحي (ت : ١٦٣) عن قتادة ابن دعامة السدوسي (ت : ١١٧) [(١)].

٣- تنْزيل القرآن بمكة والمدينة ، لمحمد بن شهاب الزهري (ت : ١٢٤) [(٢)].

٤- كتاب **الناسخ والمنسوخ** ، لمحمد بن شهاب الزهري (ت : ١٢٤) [(٣)].

٥- الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠) [(٤)].

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، نشرته دار الرسالة ، وقد ألف في الناسخ والمنسوخ جماعة ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكتابه مطبوع بتحقيق الدكتور محمد المديفر .

(٢) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، نشرته مؤسسة الرسالة . وراويه عن الزهري متروك ، وهو الوليد بن محمد الموقري ، ولعل روايته رواية كتاب ، فتحتمل من هذه الجهة.

(٣) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، نشرته مؤسسة الرسالة . وراويه عن الزهري متروك ، وهو الوليد بن محمد الموقري ، ولعل روايته رواية كتاب ، فتحتمل من هذه الجهة .

(٤) طُبع بتحقيق د. عبد الله شحاته باسم : الأشباه والنظائر ، وقد ألَّف فيه هارون الأعور (ت : بعد : ١٧٠) ، وكتابه مطبوع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، وألَّف فيه الحسين بن واقد المروزي =

٦- متشابه القرآن ، لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠) [١].

٧- كتاب **وقف التمام**، لنافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ،أحد القــراء الــسبعة (ت: ١٦٩) ، وقد يسمى كتاب الوقف أو كتاب الوقوف [٢] .

٨- معاني القرآن ، للإمام أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي الكــوفي النحــوي المقرئ (ت : ١٨٣) [٣] .

= (ت : ١٥٩) ، ويحيى بن سلام (ت : ٢١٠) واسم كتابه تفسير القرآن ممــا اشــتبهت أسمــاؤه وتصرفت معانيه (التصاريف) ، وقد حققته الدكتورة هند شلبي ، ثمَّ توالى التأليف فيه بعد ذلك .

(١) ذكره ابن النديم ضمن من ألَّف في متشابه القرآن (ص : ٧٨) ، وقد ذكر تحت مــن ألَّــف في متشابه القرآن من ألَّف في المتشابه على الحفَّاظ ، ومن ألَّف في الآيات المتشابهة التي يقــع في فهمهــا إشكالٌ ، فهي تكون من قبيل علم المشكلِ ، وهذا النوع قد ألَّف فيه العلماء كقطرب (ت : ٢٠٦)، وابن قتيبة (ت : ٢٧٦) ، وغيرهم .

أما كتاب مقاتل بن سليمان فقد نقل منه الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبــدع، ينظر : (ص : ٧٠) .

(٢) نقل منه كثيرًا النحاس في كتابه القطع والائتناف ، وقد ذكره جماعة ، منهم الهــذلي في كتابــه الكامل في القراءات الخمسين ، مخطوط : نسخة رواق المغاربة بالأزهر ، لوحة ٣٨أ . وقد ذكر جملة ممن ألف فيه ، فقال : « ... لأن ما من عالم إلا قد صنف في الوقف والابتداء ؛ كنافع ، ونــصير ، والعباس بن الفضل الرازي ، وابن عيسى ، وأبي حاتم ، والأنباري ، والزعفراني ، والأخفش ، وابــن مهران ، والعراقي ، وأنا في غير هذا الكتاب ... » .

وقد أُلِّف في هذا العلم كثيرًا ، وقد قام بعض المحققين بإحصاءات لما كتب فيه ، ينظر على ســبيل المثال : ما كتبه الدكتور يوسف المرعشلي في تحقيقه للمكتفى في الوقف والابتداء ، وما كتبه الدكتور محمد العيدي في مقدمته لتحقيق كتاب علل الوقوف للسجاوندي .

(٣) هو أحد مصادر الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ، ينظر في نسخة المحمودية بمكتبة المدينة المنورة العامة (لوحة : ١١) ، وقد نصَّ عليه الأزهري في تهذيب اللغة (١ : ١٦) ، (٦ : ٤٢٣) .

وقد كتب في معاني القرآن كثير من اللغويين ، ومن كتبهم التي اعتمدها الثعلبي في مقدمة تفسيره : معاني القرآن للفراء ، وللكسائي ، ولأبي عبيد ، وللزجاج ، وهو يرويها بالإسناد إلى أصحابها .

٩- متشابه القرآن ، للإمام أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي النحوي المقرئ (ت : ١٨٣) [١] .

١٠- غريب القرآن لمؤرج السدوسي اللغوي البصري (ت : ١٩٥) [٢] .

١١- مشكل القرآن ، لمحمد بن المستنير ، المعروف بقطرب ، اللغوي البصري (ت :٢٠٦) [٣] .

١٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى الأخباري اللغوي البصري (ت : ٢١٠) [٤] .

١٣- فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤) [٥].

١٤- أسباب النُّزول ، لعلي بن المديني (ت : ٢٣٤) .

---

(١) قد طبع بتحقيق الدكتور صبيح التميمي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس .

(٢) هو أحد مصادر الثعلبي التي رواها بالإسناد في مقدمة تفسيره الكشف والبيان (لوحة ١١) ، وقد ذكر جملة منها ، وهي غريب القرآن للأخفش ، وغريب القرآن للنضر بن شميل ، وغريب القرآن لابن قتيبة ، وهذا العلم مما اعتنى به اللغويون وألفوا فيه .

(٣) هو أحد مصادر الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ، وقد رواه بسنده إلى قطرب ، مخطوط الكشف والبيان ، نسخة المحمودية بمكتبة المدينة المنورة (لوحة ١٢) .

(٤) طبع بتحقيق فؤاد سزكين .

(٥) طبع بتحقيق وهبي سليمان غاوجي ، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، ثم طبع بتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي ، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .

وقد أُلِّف في هذا العلم جماعة ، ومن الكتب المطبوعة فيه كتاب ابن الضريس (ت : ٢٩٤) بتحقيق : مسفر بن سعيد الغامدي نشرته دار حافظ للنشر والتوزيع ، وكذا حققته غزوة بدير ، نشرته دار الفكر بسوريا .

وكتاب الفريابي (ت : ٣٠١) بتحقيق يوسف عثمان فضل الله جبريل ، نشرته مكتبة الرشد .

وكتاب النسائي (ت : ٣٠٣) بتحقيق فاروق حمادة ، نشرته دار الثقافة بالدار البيضاء ، ونشرته مؤسسة الكتب الثقافية ، بتحقيق سمير الخولي ، ويوجد في المطبوع غيرها .

١٥- كتاب قراءات النبي ﷺ ، للمقرئ أبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت : ٢٤٦) [١] .

وهذه القائمة التي ذكرها غيض من فيض[٢] ، وقد قصدت أن أشير إلى بعض العلوم التي كُتِبَ فيها ، وليس المقصود منها الاستقصاء .

والكتب التي كُتِبَت في علم من علوم القرآن مفرداً هي أيضًا مما يحتاج إلى رصد وتحليل ، ولا يوجد في ذلك كتابة مستقلة فيما أعلم ، والله الموفق .

تدوين جملة من علوم القرآن في كتاب مستقل :

لو كان المعتبر في دراسة علم من العلوم المصطلح بذاته دون النظر إلى ما يحويه الكتاب،فإنَّك ستدخل بعض الكتب التي يوجد في عنوانها مصطلح (علم القرآن) أو (علوم القرآن) أو أحد نظائرها ،وهي ليست محتوية على تقسيمات هذا العلم، بل هي كتب تفسير ، تفسِّر القرآن آية آية ، ولا تخلو من ذكر جملة من مسائل علوم القرآن ، لكن ذكرها في هذه الكتب من باب التفسير وليس لأنها من علوم القرآن فحسب ، كما هي العادة في كتب التفسير .

ومن أمثلة كتب التفسير التي جاء في عنوانها مصطلح علوم القرآن = كتاب (**الجامع لعلم القرآن**) ؛ لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي

---

(١) مطبوع بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين .

(٢) ينظر على سبيل المثال : الفهرست لابن النديم ، تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان (ص : ٦٩ ـــ ٨٣) ففيها مجموعة من علوم القرآن التي كُتِبَ فيها ، واستدراكات على تاريخ التراث العربي / قسم التفسير وعلوم القرآن ، للأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين ، وغيرها .

(ت : ٣٨٤) [١]، وهذا الكتاب من كتب التفسير ، يفسِّر القرآن آية آية ، وهو كتاب يتميَّز بالتنظيم ،والاعتماد على أسلوب السؤال والجواب ، وختم الآية بما تتضمنه من أحكام، وهو مصدر من مصادر المعتزلة ، فمن أراد الاطلاع على قولهم من كتبهم ، فإنه سيجد في هذا الكتاب مسائلهم ، والمقصود أنَّ هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من كتب علوم القرآن التي تذكر مباحثه مبحثًا مبحثًا ، من نزوله ، وناسخه ومنسوخه ، ووقوفه ، وأحكامه ... الخ [٢].

وإذا كان المعتبر بذلك أن يكون الكتاب محتويًا على جملة من أنواع علوم القرآن وإن لم يكن في عنوانه مصطلح (علم القرآن) أو (علوم القرآن) فإنَّ أوَّل كتاب يمكن أن يكون سابقًا في التأليف هو كتاب (فهم القرآن) للحارث المحاسبي (ت : ٢٤٣) ؛ لأنه طرح فيه جملة من مباحث علوم القرآن؛ منها: فضائل القرآن،

---

(١) لهذا الكتاب مختصر ، ذكره القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١ : ٥٩) ، قال : « رأيت هذا القول أولاً في نكت علم القرآن تلخيص محمد بن يوسف ابن بندار من كتاب أبي الحسن علي بن عيسى البغدادي النحوي » .

(٢) ومن الأمثلة في عناوين الكتب ما يأتي :

١- كتاب **التسهيل لعلوم التنْزيل** ، لمحمد بن احمد بن جزي الكلبي (ت : ٧٤١) ، وهو من كتب التفسير النفيسة ، وهو من الكتب المتوسطة في التفسير ، ويعمد إلى الترجيح بين الأقوال ، لكن دون أن يذكر مستند ترجيحه في الغالب .

٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي (ت : ٧٥٦) ، وهو كتاب حافل وغزير بالمعلومات ، وجلُّ الكتاب في إعراب القرآن ، وتوجيه القراءات، وفيه مباحث تفسيرية وبلاغية كثيرة .

٣- اللباب في علوم الكتاب ، لعمر بن علي ، المعروف بابن عادل (ت : بعد ٨٨٠) ،وكتابه كبير جدًّا جمع فيه الأقوال ، ومن أهم مصادره تفسير الرازي ، وقد طُبِع أخيرًا في عشرين مجلدًّا .

وفضائل القراء، وفقه القرآن، والمحكم والمتشابه، والنسخ – وهو أطولها –، والتقديم والتأخير ، والإضمار ، والحروف الزوائد ، والمفصَّل والموصول [1].

وهو بجمعه هذه المباحث في كتاب مستقلٍّ يُعَدُّ أول من جمع بعض أنواع علوم القرآن في كتاب مستقلٍّ – وإن لم يسمِّه بالمصطلح الدارج[2] – لأنَّ المراد ذكر تاريخ هذا العلم ، وكيف تدرج ، فإذا كانت تُذكر الكتب المفردةُ في علم من علومه ، فهذا الكتاب من باب أولى أن يذكر ، وإن لم يكن عنوانه يحمل هذا المصطلح ، فالعبرة بما يحويه لا بما اصطلح عليه من التسمية ، والله الموفق .

ولو أنك استقرأت ما دوَّنه العلماء في (علوم القرآن) ، لظهر لك الأتي :

---

(١) يعني : علم الوقف والابتداء .

(٢) يلاحظ أن كثيرًا من المعاصرين الذين كتبوا في علوم القرآن لم يشيروا إلى هذا الكتاب ، وأول من رأيته أشار إليه الدكتور فاروق حمادة في كتابه مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (ص : ١٠ ــ ١١)، قال : « من ألصق الكتب المتقدمة بهذا المعنى الاصطلاحي ، وأحراها أن تكون سابقة في الميدان حتى الآن ، كتاب الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى (٢٤٣) ، وقد سمَّاه (فهم القرآن) ، قال في مقدمته ... وكل الموضوعات التي ذكرها في كتابه هي من صلب علوم القرآن ... » .

ثمَّ وجدت الدكتور حازم سعيد حيدر قد ذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور فاروق حمادة ، وأشار إلى أوليته في التدوين في علوم القرآن ، فقال ــ بعد تفصيله لموضوعات كتاب فهم القرآن ــ : «... وهذه الأقسام السبعة كما ترى من صميم علوم القرآن ، والكتاب يدخل ضمن مصطلح علوم القرآن بالمعنى التدويني ، فهو يعد أول كتاب صنف في هذا العلم ، بحسب اطلاعنا وحكمنا على ما بين أيدينا وفي نهاية هذا المبحث أستطيع القول : إن الحارث المحاسبي أول من دون في علوم القرآن بصورة مستقلة من حيث المحتوى والمضمون دون العنوان ، فيكون ظهور التأليف في هذا العلم في القرن الثالث ، أما ظهور مصطلح علوم القرآن في العنوان والمحتوى فقد تأخر قليلا إلى أواخر القرن الرابع ومطالع الخامس وبدأ في مؤلف ابن حبيب النيسابوري (ت : ٤٠٦) التنبيه على فضل علوم القرآن ، وهذه النتيجة بناء على ما وصلنا إليه واطلعنا عليه ، وليست على وجه القطع واليقين » علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص : ٩٥) .

١- رسائل مفردة في نوع من أنواع علوم القرآن ؛ ككتب الناسخ والمنسوخ.

٢- كتب جامعة لأنواع علوم القرآن ، وقد ذكرت في عناوينها هذا المصطلح، وهذه الكتب قد ظهرت متأخرة ؛ عند الزركشي (ت:٧٩٤) في كتابه (**البرهان في علوم القرآن**) ، والسيوطي (ت : ٩١١) في كتابه (**الإتقان في علوم القرآن**) .

٣- كتب جمعت بعض أنواع علوم القرآن ، ولكن لا يوجد في عنوانها مصطلح علوم القرآن أو ما يرادفه ، مثل كتاب (**فهم القرآن**) للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣) ، وكتاب (**جمال القراء وكمال الإقراء**) للسخاوي (ت : ٦٤٣).

٤- كتب قصدت نوعًا من أنواع علوم القرآن ، لكن المؤلف أضاف إليها مقصدًا آخر ، وهو استيعاب بعض أنواع علوم القرآن ، ومن ذلك ما ذكره أبو داود سليمان بن نجاح (ت : ٤٩٦) في كتابه (التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁) ،وعنوان الكتاب ـ كما هو ظاهر ـ في رسم المصاحف، لكنه ذكر بعض أنواع علوم القرآن .

قال في مقدمة كتابه (مختصر التبيين لهجاء التنْزيل): (... سألني سائلون من بلاد شتَّى أن أجرِّد لهم من كتابي المسمى بالتبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ المجتمع عليه وعلى سائر النسخ بالزيادة في بعضها والنقصان من بعضها ، وأن أنبه على ذلك كله ، وأذكر لهم في أول كل سورة إن كانت مكية أو مدنية ، وعدد كل سورة في أولها أيضًا ، دون سائر ما تضمنه الكتاب المذكور من الأصول والقراءات ، والمعنى والتفسير والشرح ، والإحكام ، والتبيين ،

والرد على الملحدين،والتقديم والتأخير ، والوقف التام والكافي والحسن، والناسخ والمنسوخ ، والغريب ، والمشكل ، والحجج والتعليل ...) [١].

٥- كتب قصدت الجمع بين التفسير وعلوم القرآن في آن واحدٍ جمعًا مقصودًا وهي على نوعين :

النوع الأول : من نصَّ على إدخال أنواع علوم القرآن أثناء تفسيره للآيات، فسار على تفسير السور والآيات كما هو الحال في التفاسير المعروفة ، لكنه قصد إلى أنواع من علوم القرآن فذكرها ، ومن ذلك كتاب (**البستان في علوم القرآن**) ، لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهيني الحموي (ت : ٧٣٨) ، حيث كتبه على التفسير ، وقصد إدخال جمع من علوم القرآن أثناء ذلك .

قال الحموي : (أما بعد : فهذا كتاب (البستان في علوم القرآن) ، قصدت فيه الاختصار مع البيان ،وجمع الفوائد مع الإتقان ، راجيًا بــه - لي ولمحصليه - الغفران ، والرحمة من الله والرضوان ، ويشتمل على أنواع مــن علــوم الكتــاب العزيز؛ المسمى بالفرقان :

النوع الأول : معرفة تفسير غريب اللفظ والمعنى،وأسباب النُّزول، والقصص، وما صحَّ من المنسوخ على ما ذهب إليه في ذلك كل من يُعتمد عليه.

---

(١) مختصر التبيين لهجاء التنْزيل،لأبي داود سليمان بن نجاح،تحقيق الدكتور أحمد شرشال(٢: ٣، ٤) وقد فعل أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت : ٤٧٠) في كتابه (الإيضاح في القراءات) طريقة أخرى في ذكر علوم القرآن ، حيث جعل ذلك في مقدمة كتابه ، وقد قسم المقدمة إلى ثلاثة وخمسين بابًا ، وقد ضمَّن عددًا منها بأنواع من علوم القرآن ؛ كالأحرف السبعة ، والمكي والمدني ، والوقف والابتداء ، وجمع القرآن ، وغيرها .

النوع الثاني : معرفة المبهمات من الأسماء والأنساب، وضمائر الغيبة والخطاب، والعدد ، والمدد ، واختلاف الأقوال في ذلك ...

الثالث: معرفة قراءات الأئمة السبعة رحمة الله عليهم، ولكل إمام منهم راويان...

الرابع : معرفة الوقوف والموقوف عليه إن لم يتوقف فهمه على ما بعده وبالعكس ، فالوقف لازم إن اختلَّ المعنى بالوصل ، وتامٌّ إن لم يختل ، ولم يكن للثاني تعلق بالأول ...

الخامس : معرفة خط الإمام مصحف عثمان بن عفان ...

السادس : معرفة عدد آي كل سورة (العدد الكوفي) ، وكونها مكية أو مدنية أو مختلفًا فيها ، وذلك مذكور في أول كل سورة .

السابع : معرفة رؤوس الآيات وأخماسها وأعشارها ، والمختلف في كونه آية أو غير آية بين الكوفيين وغيرهم ...

الثامن : معرفة أجزائه الثلاثين وأخماسها وأنصافها وأنصاف أسداسها وأسباع القرآن وأرباع الأسباع ...) [(١)]، ثم شرع في تفسير الاستعاذة والبسملة والفاتحة حتى ختم كتابه بتفسير سورة بالناس .

ولا يعني أن هذه التفاسير تختلف في مادتها العلمية عن التفاسير السابقة ، لكن المقصود أن مؤلفيها قد رتبوها ترتيبًا متوافقًا مع أنواع علوم القرآن ، أو قصدوا ذكر جملة من علوم القرآن قصدًا مباشرًا ، وهذا مما لا يحسن إغفاله في نشأة علوم القرآن .

---

(١) البستان في علوم القرآن (مخطوط ، لوحة ١ أ ــ ب) .

النوع الثاني : من رتَّب كتابه على أنواعٍ من علوم القرآن ، وجعل التفسير نوعًا منها ، ولها أمثلة أذكرها لأهميتها في معرفة صور التدوين في هذا العلم وما حصل لها من تطور حتى وصلت إلى ما كتبه الزركشي (ت : ٧٩٤) ومن بعده :

١- كتاب **(الاستغناء في تفسير القرآن)** ، لمحمد بن علي بن أحمد ، المعروف بالأُدْفُوي (ت : ٣٨٨) .

وقد قال في مقدمة كتابه : (هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروبًا من علوم القرآن ، من بين كلام غريب ، ومعنى مستغلق ،وإعراب مشكل ، وتفسير مروي، وقراءة مأثورة ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وأذكر فيه- إن شاء الله - ما بلغني من اختلاف الناس في القراءات ، وعدد الآي ، والوقف والتمام ، وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها ــ إن علمت ذلك ــ وما فيه من حذفٍ لاختصارٍ، أو إطالةٍ لإفهامٍ وما فيه تقديم وتأخير .

وإذا مرَّ العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في باب أُفرده له ، وأذكر أين نزلت السورة بمكة أو بالمدينة، على قدر الطاقة، ومبلغ الرواية ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيًا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنيًا ...) [(١)].

وقد استفاد من هذا الكتاب تلميذه مكي (ت : ٤٣٧) ، وقال في مقدمة تفسيره المسمى بالهداية إلى بلوغ النهاية : (... جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب

(١) ينظر (ص : ٤٤٢) من رسالة ماجستير بعنوان (الأدفوي مفسرًا ، وتحقيق سورة الفاتحة) للباحث عبد الله بن عبد الغني كحيلان ، قدمها لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام عام ١٤٠٥ .

شيخنا أبي بكر الأُدْفُوي رحمه الله ، وهو الكتاب المسمى بكتاب الاستغناء المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن) [1].

٢- كتاب (**البرهان في (علوم) تفسير القرآن**) ، لعلي بن إبراهيم بن سعيد، المعروف بالحوفي (ت : ٤٣٠) [2].

٣- كتاب (**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**) ، لمكي بن أبي طالب (ت : ٤٣٧) .

قال مكي (ت : ٤٣٧): (جمعت فيه علومًا كثيرة ، وفوائد عظيمة من تفسيرٍ

---

(١) تفسير سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير مكي ، تحقيق زارة صالح ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية ، جامعة سيدي محمد عبد الله (ص : ٩٠) .

(٢) قال ابن خير الإشبيلي (ت : ٥٧٥) في (فهرسة ما رواه عن شيوخه ص : ٢٣) : ((ذكر ما رويته عن شيوخي رحمهم الله من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن)) .

وقد ذكر كثيرًا من كتب القراءات وما يتصل بها، وكتب التفسير وغيرها، ومما ذكر فيها(ص:٧١) ما يأتي : ((كتاب البرهان في علوم القرآن ، في مائة سفر ، لأبي الحسن الحوفي ...)) ونستفيد من هذا النقل فائدتين :

الأولى : النظر في أنواع علوم القرآن في الكتب التي ضمنها ابن خير فهرسة ما رواه في علوم القرآن ، فيظهر لنا مراده بعلوم القرآن ، وهو على ما استقر عليه المصطلح عندنا .

الثاني : أن الاختلاف في تسمية كتاب الحوفي (ت : ٤٣٠) لازالت قائمة تحتاج إلى تحرير ، فابن خير يروي الكتاب بسنده إلى المؤلف ، ويسميه بهذا الاسم ، لا باسم (البرهان في تفسير القرآن) كما جاء في بعض المصادر ، وقد قال ابن خير في آخر روايته لهذا الكتاب (ص : ٧١) : ((... قال شريح بن محمد : وحدثني به أيضًا ـــ إجازة ـــ الفقيه أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج اللخمي رحمه الله ، قال أجازني أبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي الحوفي المقرئ النحوي جميع روايته وأوضاعه بخط يده على يدي أبي صاحب الوردة في ربيع الآخر سنة ٤٢١)) .

وهذا يفيد في معرفة زمن تأليف كتاب البرهان ، وأنه متقدم على تاريخ هذه الإجازة .

تنبيه : ورد في مطبوعة فهرست ابن خير(الجوفي) بالجيم ، وهو تصحيف .

مأثورٍ أو معنى مفسَّرٍ ، أو حكمٍ مبينٍ ، أو ناسخٍ أو منسوخٍ ، أو شرحِ مـــشكلٍ ، أو بيان غريبٍ ، أو إظهار معنى خفيٍّ ، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جلَّ ذكره ؛ من قراءةٍ غريبةٍ ، أو إعرابٍ غامضٍ أو اشتقاق مشكلٍ، أو تصريف خفيٍّ، أو تعليل نادر،أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثـــر تعدادها، ويطول ذكرها ، جعلته بداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلـــغ إليَّ من علم كتاب الله تعالى ذكره ، وما وقفت على فهمه ، ووصل إليَّ علمُـــه مـــن ألفاظ العلماء ، ومذاكرات الفقهاء ، ومجالس القراء ، ورواية الثقات من أهل النقل والروايات ، ومباحثات أهل النظر والدراية) [1].

٤- كتاب (**التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلـــوم التنْزيـــل**) لأحمد بن عمار ، المعروف بالمهدوي (ت : ٤٤٠).

قال : (وأنا مبتدئ إن شاء الله في نظم هذا المختصر الصغير ، مجتهـــد أن أجمع فيه جميع أغراض الجامع الكبير من الأحكام المجملة ، والآيـــات المنـــسوخة ، وأحكامها المهملة ، والقراءات المعهودة المستعملة ، والتفسير والغريـــب والمـــشكل والإعراب والمواعظ والمثال والآداب ، وما تعلق بذلك من سائر علوم التنزيل المحتملة للتأويل ، ويكون المحذوف من الأصل ما أنا ذاكره في هذا الفصل فأحذفـــه مـــن الأحكام التي هي أصول الحلال والحرام أكثر تفريع المسائل المنثـــورة ممـــا لـــيس بمنصوص في السورة ، وأقتصر من ذكر الاختلاف على الأقوال المشهورة ، وأذكر الناسخ والمنسوخ بكماله وأورده مختصرًا على أتم أحواله ، وأذكر القراءات الـــسبع في الروايات التي اقتصر عليها أهل الأمصار ، سوى من لم يبلغ مبلغهم من الاشتهار إلا ما لا اختلاف فيه بين السبعة القراء ، فإني أذكره منسوبًا إلى بعض من روى عنه

(١) تفسير سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير مكي ، تحقيق زارة صالح (ص : ٨٩) .

القراء ليعرف من هذا الاختصار ما هو من القراءات المروية مما لم يُقرأ به قارئ ، وإن كان جائزًا في العربية ، وأذكر من مسائل الإعراب الخفية ما يحتاج إليه ، مما اختلف القراء فيه ، أو كان جائزًا في المقاييس العقلية ، فإذا أكملت السورة من هذا المختصر جمعت في آخره أصول القراءات واختصار التعليل فيها ، وأصول مواقف القراءة ومبادئها ؛ ليجمع ـــ بعون الله وتوفيقه ـــ هذا الاختصار ما لم تجمعه الدواوين الكبرى ، ولتكون أغراض الجامع مضمنة فيه، ومجملة في معانيه .

وأجعل ترتيب السور مفصلاً ، ليكون أقرب متناولاً ، فأقول : القول من أول سورة كذا إلى موضع كذا منها ، فأجمع من آيِهَا عشرين آية أو نحوها ، بقدر طول الآية وقصرها .

ثم أقول الأحكام والنسخ وأذكرهما .

ثم أقول التفسير فأذكره .

ثم أقول القراءات فأذكرها .

ثم أقول الإعراب فأذكره .

ثم أذكر الجزء الذي يليه حتى آتي على آخر الكتاب إن شاء الله على ما شرطته فيه، وأذكر في آخر كل سورة موضع نزولها ، واختلاف أهل الأمصار في عددها ، وأستغني عن تسمية رؤوس آيها ، وأبلغ غاية الجهد في التقريب والقصد ...) [1].

وهذه الأقسام التي ذكرتها (٣ ـــ ٦) تشير إلى حاجة الباحثين إلى إعادة النظر في الحديث عن نشأة علوم القرآن والتدوين فيه .

---

(١) التحصيل (تحقيق سورتي الفاتحة والبقرة / ص : ٥، ٦) للباحث علي بن محمود بن سعيد هرموش ، رسالة مرقومة على الآلة الكاتبة ، بمكتبة قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

بعض المدونات التي تحمل مصطلح علوم القرآن :

وسأذكر لك بعض الكتب التي تحمل مصطلح علوم القرآن [1] ، ولأن هذا المقام من باب التفتيش لا التحري ، فإن العبرة هنا بما تحمله هذه الكتب من هذا العنوان ، ولا يلزم أن تكون هذه الكتب المذكورة من كتب هذا العلم ، ولكنها تُذكر هنا بسبب عنوانها حتى ينكشف أنها من كتب التفسير لا من كتب علوم القرآن .

ومن أمثلة هذه الكتب المذكور فيها هذا المصطلح :

١-كتاب **الرغيب في علم القرآن** لمحمد بن عمر الواقدي (ت : ٢٠٧) ، صاحب المغازي[2].

٢- **الحاوي في علوم القرآن** ، لمحمد بن خلف المرزبان (ت : ٣٠٩) [3].

٣- كتاب **الشامل في علم القرآن** ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت : ٣٣٠ تقريبًا) ، ولم يتمه [4].

٤- كتاب **الأنوار في علم القرآن** ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم المقرئ (ت : ٣٥٤) [5].

---

(١) أغلب هذه المدونات لم يذكرها المعاصرون الذين ذكروا مدونات علوم القرآن التي تحمل هذا المصطلح .

(٢) كذا جاء اسمه في طبعة دار المعرفة للفهرست (ص: ١٤٤)، وفي طبعة دار قطري بن الفجاءة، تحقيق: ناهد عباس عثمان (ص: ١٩٥) باسم الترغيب في علم المغازي، والكتاب عنوانه مشكل في الطبعتين.

(٣) الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان (ص : ١٧١) ، ومعجم الأدباء (٦ : ٢٦٤٦) .

(٤) الفهرست ، تحقيق ناهد عثمان (ص : ٢٨٧) .

(٥) الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان (ص : ٦٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٦ : ١٠٧) ، وقد ذكر الثعلبي تحت كتب القراءات التي رواها بسنده عن مؤلفيها كتاب الأنوار ، ولم يزد على هذه التسمية ، وقد يكون هذا الكتاب في علم القراءات كما ذكره الثعلبي .

٥- الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن ، لأبي الفـرج محمـد بـن أحمـد الشنبوذي المقرئ (ت : ٣٨٧) [(١)].

٦- كتاب **الشافي في علم القرآن** ، ليونس بن محمد بن إبـراهيم الوفراونـدي النحوي (عاش في القرن الرابع) [(٢)] .

٧- التَّنبيه على فضل علوم القرآن ، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب (ت : ٤٠٦) [(٣)] .

٨- الكافي في علم القرآن ، لأبي محمد إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمـد بن عبد الرحمن السرخسي ثم الهروي القَرَّاب (ت : ٤١٤) ، جاء في ترجمتـه في سير أعلام النبلاء : (قال أبو عمرو بن الصلاح : رأيت كتاب أبي محمد القَـرَّاب المسمى بالكافي في علم القرآن في عدة مجلدات،وهو كتاب ممتع مشتمل على علـم

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٢٣٢٧) .

(٢) الفهرست ، ط : دار المعرفة (ص : ١٢٨) ، وفي معجم الأدباء ، لياقوت ، تحقيـق : إحـسان عباس نقلاً عن الفهرست (٦ : ٢٨٥٣) ، وقد جاء في طبعة قطري بن الفجاءة ، تحقيـق : ناهـد عباس عثمان (ص : ١٧١) باسم كتاب الشافي في علل النحو ، وهذا يحتاج إلى تحقيق الأمر في أيهما على صواب .

هذا ، و لم يذكر ابن النديم سنة وفاته ؛ لأنه ذكر ضمن مجموعة أعلام لم تُعرف أنسابهم وأخبارهم على استقصاء (ص : ١٦٦وما بعدها) ، وابن النديم عاش في القرن الرابع على الراجح ، وأنه توفي في حدود سنة ٣٨٠ ، ينظر مقدمة تحقيق الفهرست (ص : ٩ ــ ١٠)

(٣) حققه محمد بن عبد الكريم الراضي ، مجلة المورد : م١٧ ، ع٤ ، سنة ١٤٠٨ / ١٩٨٨ (ص : ٣٠٥ ــ ٣٢٢) ، وقد حققته الدكتورة نورة الورثان ، وجعلت العنوان (التنْزيل وترتيبه) ، وفي هذا الكتاب المطبوع إشكال من حيث إنه جزء من كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن ، أو إنه هو كل الكتاب وفي التسمية نظر ، وهذا يحتاج إلى تحرير .

كثير...) [(١)] .

٩- الكامل في علم القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت :٤٢٧) صاحب تفسير الكشف والبيان ، وفي ترجمة الواحدي (ت : ٤٦٨) لنفسه ذكر أنه قرأ هذا الكتاب على مؤلِّفه ؛ يعني شيخهِ الثعلبي (ت : ٤٢٧)[(٢)] .

١٠- المحيط بعلم القرآن،لأحمد بن علي بن جعفرك البيهقي (ت : ٥٤٤) [(٣)].

١١- نظم في علوم القرآن ، جاء في ترجمة أحمد بن حسين بن حسن بن أرسلان الرملي (ت:٨٤٤) :(ونظم في علوم القرآن فصولاً تصل إلى ستين نوعًا) [(٤)].

١٢- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم لعبدالوهاب بن أحمد الشعراني الصوفي (ت : ٩٧٣) .

قال في كشف الظنون : (... ادَّعى أنه ذكر فيه من علوم القرآن نحو ثلاثة آلاف علم ، أَلَّفه فَرْقًا بين علامات المحققين والمتشبهين ، وفرغ في جمادى الآخرة سنة (٩٣٢) اثنتين وثلاثين وتسعمائة) [(٥)].

ويظهر أن هذا الكتاب في التَّصوف ، فالمؤلف من كبار الصوفية في عصره، وله فيها مؤلفات ، ولعله يريد بالعلوم مجموع المعلومات التي استنبطها ، وعلى هذا يكون من كتب الاستنباط ، لا من كتب علوم القرآن بالاصطلاح التدويني .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧ : ٣٧٩ ــ ٣٨١) .

(٢) معجم الأدباء (٤ : ١٦٦٣) .

(٣) معجم الأدباء (١ : ٣٩٩) .

(٤) طبقات المفسرين ، لأحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان الخزي (ص : ٣٢٧) ، وشذرات الذهب (٧ : ٢٤٩) .

(٥) كشف الظنون (١ : ٦١٩) .

١٣- البيان في علوم القرآن لأبي عامر فضل بن إسماعيل الجرجاني ، ذكره صاحب كشف الظنون ، و لم يذكر سنة وفاته (١).

وبتتبع المؤلفات في علوم القرآن يظهر أنَّ الكتابة في علم من علومه على استقلاله - كعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الوقف والابتداء ، وعلم أسباب النُّزول ... إلخ - أكثر من كتابة الكتب التي جمعت عدَّة علوم منه في كتاب مستقلٍّ .

علوم القرآن في تراجم العلماء:

إذا تتبعت تراجم العلماء ، وجدت منهم من يوصف بعلمه بعلوم القرآن، بل لقد اشتهر به بعضهم ، ومن هذه التراجم على سبيل المثال :

١- قال الأصمعي (ت : ٢١٥) : (قال لي أبو عمرو لو تهيأ لي أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها) (٢).

٢- قال عمارة بن زيد المدني : (كنت صديقا لمحمد بن الحسن ، فدخلت معه إلى الرشيد ، فسأله عن أحواله ، فقال : في خير يا أمير المؤمنين ، ثم تسارَّا ، فسمعت محمد بن الحسن يقول : إن محمد بن إدريس الشافعي يزعم أنه للخلافة أهل .

قال : فغضب الرشيد ، وقال : عليَّ به . فأُتِي به ، حتى وقف بين يدي الرشيد، فَكَرِهَ الرشيد أن يعجل عليه من غير امتحان ، فقال له : هيه ؟

(١) كشف الظنون (١ : ٢٦٣) .

(٢) معرفة القراء الكبار (١ : ١٠٣) .

قال : وما هيه يا أمير المؤمنين ، أنت الداعي وأنا المدعو . وأنت السائل وأنا المجيب .

قال : فكيف علمك بكتاب الله ؟ فإنه أولى أن يُبتدأ به ؟

قال : جمعه الله في صدري وجعل جنبي دفتيه .

قال : فكيف علمك به ؟

قال : أي علم تريد يا أمير المؤمنين؟ أعِلْم تأويله أم عِلْم تنزيله ؟ أم مَكِّيُّه أم مدنيُّه ؟ أم ليليه أم نهاريه ؟ أم سفريه أم حضريه ؟ أم هجريه أم عربيه . فقال : له الرشيد : لقد ادعيت من علوم القرآن أمرا عظيما) [١].

٣- وعن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت:٢٥٥) قال: (ورد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه ، فدخلت مسلما عليه ، فقال لي : يا سجستاني ، من علماؤكم بالبصرة ؟ قلت : الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي ، والمازني أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأي أفقهنا ، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث ، وأنا ـــ رحمك الله ـــ أُنسَبُ إلى علم القرآن ، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط ...) [٢].

٤- وجاء في ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم الأندلسي أبو عبد الله المقرىء (ت : ٣٩٣) ، قال الحاكم (ت : ٤٠٥) : (إنه كان متقدما في علم القرآن وإنه سمع بمصر والشام والعراق والجبال وأصبهان وأنه ورد بلاد خراسان) [٣].

---

(١) تاريخ دمشق : (٥١ : ٣١٩ ــ ٣٢٠) .

(٢) تاريخ بغداد (١١ : ٤٠٧) .

(٣) التدوين في أخبار قزوين (١ : ١٨٩٤) .

٥- وقال الذهبي (ت : ٧٤٨) في ترجمة أبي بكر أحمد بن الفضل الأصبهاني (ت : ٤٠٦) : (قال الدقاق : لم أر بأصبهان شيخًا جمع بين علم القرآن والقراءات، والحديث والروايات، وكثرة الكتابة والسماعات أفضل من أبي بكر الباطَرقاني) [(١)].

٦- وجاء في تذكرة الحفاظ للذهبي (ت : ٧٤٨) في ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت : ٤٢٩) : (كان رأساً في علم القرآن : حروفه وإعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه) [(٢)].

٧- وقال أبو القاسم بن بشكوال (ت: ٥٧٨)- في أبي عمرو الداني (ت : ٤٤٤) - : (وكان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه ، وجمع في معنى ذلك كله تواليف حسانًا مفيدة) [(٣)].

٨- وجاء في ترجمة أبي محمد عبد الله بن سهل الأنصاري المرسي المقري شيخ القراء بالأندلس (ت:٤٨٥) ما نصه:(قال أبو الأصبغ بن سهل الكاتب : أشكلت علي مسائل من علم القرآن لم أجد فيمن لقيته من يشفيني حتى لقيته) [(٤)].

ومن خلال المعلومات السابقة يظهر أن (علوم القرآن) قد استُخدِم للدلالة على الآتي :

١- المعلومات التي حواها القرآن الكريم ، وهذا هو أوسع معنى استُخدِم فيه مصطلح (علوم القرآن) .

٢- القراءات وما يرتبط بها من علوم الأداء .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ : ١٨٣) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٣ : ١٠٩٩) .

(٣) الصلة ، لابن بشكوال (٢ : ٤٠٦) .

(٤) لسان الميزان (٣ : ٢٩٨) .

٣– علم التفسير على وجه الخصوص .

٤– علوم القرآن بالمصطلح التدويني ؛ كما هـو عنـد الزركـشي (ت : ٧٩٤) وغيره .

الفرق بين علوم القرآن وعلوم التفسير :

لا شكَّ أنَّ اختلاف الإضافات تدلُّ على اختلاف المـصطلحات ، إلا إذا كان المضاف إليه له أكثر من نظير في معناه ؛كالذي سبق في مـصطلح (علـوم التَّنْزيل)، ومصطلح (علوم الكتاب) ، وأمثالها .

لكن الأمر هنا يختلف فالتفسير غير القرآن ، لذا فعلوم التفسير ليست هـي علـوم القرآن ، وأصول التفسير ليست هي علوم القرآن .

وإذا تأمَّلت الأمر وجدت أنَّ التفسير جزءٌ من علوم القرآن، بـل هـو أكـبر علومه.

فعلوم القرآن تشمل التفسير – الذي هو بيانُ القرآنِ وشرحُه وإيضاحُه – مـن علوم القرآن ، وتشمل غيره من الأنواع ؛ كالمكي والمدني ، والقراءات ، والناسخ والمنسوخ ... الخ .

وبعض هذه الأنواع قد تكون مشتركة بين التفسير وعلوم القرآن ، وهذا أمـر معتاد ، فكل ما هو من علوم التفسير ، فهو من علوم القرآن قطعًا ، وقد يكـون إفراد هذه العلوم بعناوين مستقلة في كتب علوم القرآن مظنَّة الخلط الذي يقع بـين المصطلحين .

ولأضرب لك مثالاً تحتذي به في بعض العلوم التي هي من صميم علم التفسير ، وذلك علم (غريب القرآن) ، الذي كتب فيه كتابًا مستقلاً جمهور من علماء اللغة المتقدمين ، وشاركهم فيه كثير من المتأخرين .

وإذا رجعت إلى كتب علوم القرآن المتقدمة المستوعبة لجملة علومه[1] وجدت أنهم يذكرون علم غريب القرآن عِلْمًا مستقلاً .

ففي كتاب **البرهان في علوم القرآن** الزركشي (ت : ٧٩٤) تجد قوله : (النوع الثامن عشر : معرفة غريبه)[2] ، وتجد قوله:(النوع الحادي والأربعون : معرفة تفسيره وتأويله) [3] .

وفي كتاب **الإتقان في علوم القرآن** ، للسيوطي (ت : ٩١١) تجد قوله : (النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه) [4] ، وتجد قوله : (النوع السابع والسبعون في بيان تفسيره وتأويله ، وبيان شرفه ، والحاجة إليه) [5] .

ومن هذا يتبين أن أهمَّ كتابين متقدمين في علوم القرآن قد جعلا علم " غريب

---

(١) لقد أغفلت كثير من كتب علوم القرآن غير المستوعبة لجلِّ علومه ، وخصوصًا الكتب المعاصرة جملة من الموضوعات التي طرحها الزركشي والسيوطي في كتابيهما ، واعتنوا ببعضِ علومه ، حتى صار من يؤلف في علوم القرآن لا يكاد يخرج عنها ، وقد أُغفلت بهذا بعض علوم القرآن المهمة ، حتى إنك لا تكاد تجدها ، أو إنك تجدها في كتاب أو كتابين .

وأكبر سبب في ذلك أنَّ المؤلفين المعاصرين لم يقصدوا التأليف المستوعب لهذه العلوم ؛ لأنهم يكتبون ما يدرِّسونه في المدارس والمعاهد والجامعات ، وحال المقررات كما هو معلومٌ الانتقاء من موضوعات العلوم ، فكان ذلك مما أثر في ترك بعض علوم القرآن ، وعدم دراستها .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١ : ٢٩١) .

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢ : ١٤٦) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٢ : ٣) .

(٥) الإتقان في علوم القرآن (٤ : ١٦٧) .

القرآن" علمًا مستقلاً ، كما جعلا علم التفسير علمًا مستقلاً ، وإذا تأمَّلت الأمر ، وجدت أنَّ علم غريب القرآن من علوم التفسير الأصيلة التي لا يمكن أن تنفكَّ عنه، فما من مفردة إلا ولها معنى ، ومن جَهِلَ معنى من معاني ألفاظ القرآن فأنَّى له أن يفسِّر ؟!

ومن ثَمَّ ، فإنك لو جعلت علم غريب القرآن مندرجًا تحت علم التفسير دون أن تُفْرِدَهُ بمبحث مستقلٍّ ، فإنَّ ذلك الأمر صوابٌ بلا ريبٍ ، ولو أفردته وجعلته علمًا مستقلاً من علوم القرآن فإنَّ الأمر محتملٌ ، لكن يحسن بك أن لا تظنَّ أنَّ بين علم (التفسير) و(علوم القرآن) تنازع في هذا المبحث ، بل هو من علم التفسير ، وهو من باب أولى من علوم القرآن ؛ لأنَّ علم التفسير جزء من علوم القرآن .

ولسائل أن يسأل : إذا كانت بعض العلوم الموجودة في كتب علوم القرآن هي من علوم التفسير ، فكيف أستطيع التفريق بينهما ؟

والجواب عن ذلك فيما يأتي :

أولاً : هناك معلومات نظرية مرتبطة بالتفسير ، فهو كأي علمٍ آخر لا ينفكُّ عن هذه المعلومات النظرية ؛ كالبحث في طبقات المفسرين ، ومناهج المفسرين ، وتاريخ التفسير ، فإن هذه العلوم تدخل في علم التفسير العام ؛ لأنَّ البحث عن التفسير يجرُّ إلى مثل هذه الموضوعات العلمية النظرية .

ثانيًا : هناك معلومات لا تؤخذ إلا من التفسير،وهي تمثِّل جزءًا من علومه، وهي على قسمين :

القسم الأول : أن يكون العلم مما لا أثر له في التفسير ؛ كعلم مبهمات القرآن .

القسم الثاني: أن يكون العلم مما له أثر واضح جدًّا؛كعلم أسباب النُّزول .

ثالثًا : إذا كان النظر إلى ماهيَّةِ التفسير الذي هو بيان لمعاني القرآن الكريم، فإنَّ أي معلومة لها أثر في بيان المعنى فإنها تدخل في علم التفسير .

وعلوم القرآن تنقسمُ إلى أقسام بالنسبة إلى هذه الفكرة :

الأول : أن يكون أصل العلم من العلوم التي لها أثر في التفسير ؛ كعلم غريب القرآن ، وعلم أسباب النُّزول، فوجوده في كتب علوم القرآن على أنه من علومه ، لا يعني أنه ليس من علوم التفسير ، فالعلاقة واضحة بينه وبين التفسير .

الثاني : أن يكون العلم لا علاقة له بالتفسير ؛ لأنه لا أثر له فيه ؛ كعلم (عدد الآي) ، وعلم (تلاوة القرآن) ، وعلم (فضائل القرآن) ، فالأصل في هذه العلوم أنها لا أثر لها مباشر في التفسير .

الثالث : أن يكون أصل العلم لا علاقة له بالتفسير ، لكن قد يوجد فيه بعض المسائل العلمية التي يكون فيها مساس مباشر بالتفسير دون غيرها من مسائل ذلك العلم، فتكون هذه المعلومة بذاتها من التفسير دون غيرها من مسائل ذلك العلم ، ومن ذلك علم (المكي والمدني) ، فإنَّ ما يرتبط بتاريخ النُّزول يفيد المفسر في الترجيح بين الأقوال ، وفي معرفة الناسخ من المنسوخ ، أما ما عدا ذلك من مباحث ذلك العلم فإن الغالب عليها أنها مما لا أثر له في التفسير ، فهي من علوم القرآن ، لا التفسير .

الفرق بين علوم التفسير وأصول التفسير :

إن أصول التفسير أخصُّ من علوم التفسير ، والمسائل التي تُدرسُ في الأصول غالبًا ما تمثِّل شكل القاعدة التي يندرج تحتها أمثلة متعددة ،وتكون من مبادئ هذا العلم، ويغلب عليها الجانب التطبيقي ، ومن عرفها فإنه يسهل عليه ممارسة علم التفسير .

وتحديد مسائل هذا العلم اجتهادي ، تختلف فيه الأنظار ، غير أنَّه يمكن وجود ضابطٍ في مسائل هذا العلم ، ويمكن وصفها بأنها : جملةُ العلوم التي إن عرفتها تستطيع أن تمارس التفسير ، وتقرأ فيه وأنت متمكن من معرفة الصحيح من الضعيف والباطل .

أمَّا إذا كانت معلوماته عامَّةً ، ولا تختلف عن معلومات علوم القرآن ، فإنَّ في إدخالها في أصول التفسير نظر ، وغالبًا ما يكون سبب ذلك التسامح – لا التحرير – في إطلاق المصطلح ، وجعلِه عنوانًا للكتاب الذي يحمل جملة من علوم القرآن وقليلاً من أصول التفسير .

ومن هنا يكون النظر إلى المحتوى الذي يشمله الكتاب لا إلى العنوان ، لذا قد تجد جزءًا من كتاب ما يحمل جملة كبيرة من أصول التفسير ، وإن كان الكتاب ليس في علم التفسير ولا علوم القرآن ، ومن ذلك ما تجده في كتاب الموافقات للشاطبي (ت : ٧٩٠) ، فقد طرح فيه مسائل كثيرة هي من أصول التفسير[(١)] ، خصوصًا في القسم المتعلق بالكتاب – أي : القرآن – من الأدلة التفصيلية (الكتاب والسنة والإجماع والقياس) ، وإن كان الكتاب – كما ترى – من كتب أصول الفقه .

وفي نظري أنَّ مسائل أصول التفسير الكبرى أربعة أقسام :

الأول : معلومات نظرية تشمل التعريف بالعلم وكتبه ومصادره ، ومصادر التفسير (أي : طرقه) ،وغيرها من المقدمات النظرية التي يتطرق إليها في مقدمة كل علم.

---

(١) ينظر كتاب الموافقات للشاطبي ، تحقيق : مشهور بن حسن آل سلمان (٤: ١٤٣ وما بعدها) ، وهذا الكتاب مليء بمعلومات تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير ، وهو من الكتب التي قلَّت الاستفادة منه في كتب أصول التفسير وعلوم القرآن المعاصرة .

الثاني : الاختلاف في التفسير أنواعه وأسبابه .

الثالث : كيفية التعامل مع هذا الاختلاف ، ويشمل قواعد التفسير .

الرابع : كيف نفسِّر القرآن ؟ وهذا الموضوع يمثِّل الشقَّ الثاني لدراسة أصول التفسير ، وهو كالنتيجة للقسم الأول الذي يتمثَّل بمعرفة المنهج الصحيح الذي سار عليه التفسير .

ويدخل في هذه الموضوعات بعض المسائل الجزئية التي لا تشكِّل موضوعًا عامًّا ، كدراسة عبارات السلف في التفسير الذي يمكن أن يدخل في موضوع الاختلاف في التفسير .

ولا تُدرس مسائل أصول التفسير الموجودة في بعض علوم القرآن بأسلوب موسع كما يُدرسُ ذلك العلمُ مستوعبًا في علوم القرآن أو علوم التفسير ، بل تتكوَّن مسائل أصول التفسير بعد دراسة هذه العلوم ، ويؤخذ منها المعلومات المتعلقة بأصول التفسير فحسب ،دون غيرها من التفاصيل الموجود في ذلك العلم، ولأضرب لذلك مثالاً يُحتذى :

سبق طرح علم (غريب القرآن) كعلم مشترك بين علوم القرآن وعلوم التفسير ، فهل لهذا العلم علاقة بأصول التفسير ؟

في علم أصول التفسير لا تدرس جزيئات هذا العلمِ مفصلة كما تدرسها في ذينك العلمين ، بل تلتقط من ذلك العلم جزئيات تمثلُّ قاعدة كلية بذاتها ؛ كالمشترك اللغوي في الألفاظ، الذي يمكن الاستفادة منه في عدد من مسائل أصول التفسير، منها :

* الاحتمال الوارد في التفسير،إذ يمكن أن تُسْبَكَ قاعدةٌ متعلقة بالمشترك اللغوي ، فيقال : إن اللفظ إذا كان له أكثر من معنى لغوي صحيح ، وقد فسَّرها بها السلف فالأصل قبولها ، وهذه القاعدة ترجع إلى المشترك اللغوي كما هو ظاهر .

* أن الاشتراك اللغوي سبب من أسباب الاختلاف في التفسير .

ويمكن أن تسبك قاعدة أخرى متعلقة بالألفاظ ، وهي : كل معنى غير وارد في لغة العرب ، فلا يجوز تفسير القرآن به .

وهكذا غيرها مما تُخرجه من تضاعيف هذه العلوم ، فإنك لا تدرسها بجزئياتها وتفصيلاتها كما في علوم القرآن والتفسير ، وإنما تلتقط منها ما يناسب موضوع أصول التفسير .

وبعد ، فإن علم أصول التفسير جزء من علوم التفسير ، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن .

تصنيف أنواع علوم القرآن وترتيبها :

إن تصنيف علوم القرآن مما يحتاج إلى إعادة نظر، بحيث يكون الترتيب منطقياً وتجمع الأشباه والنظائر إلى بعضها وترتب أواخرها على أوائلها.

ومن أحسن الاجتهادات في ترتيب أنواع علوم القرآن وتصنيفها ما قام به البُلْقِيني (ت : ٨٢٤) في كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم ، قال : (... وأنواع القرآن شاملة ، وعلومه كاملة ، فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف ، وينحصر في أمور :

الأمر الأول : مواطن النُّزول وأوقاته ووقائعه ، وفي ذلك اثنا عشر نوعًا:

المكي ، المدني ، السفري ، الحضري ، الليلي ، النهاري ، الصيفي ، الشتائي ، الفراشي ، النومي ، أسباب النُّزول ، أول ما نزل ، آخر ما نزل .

الأمر الثاني : السند ، وهو ستة أنواع :

المتواتر ، الآحاد ، الشاذ ، قراءات النبي ، الرواة ، الحفاظ .

الأمر الثالث : الأداء ، وهو ستة أنواع :

الوقف ، الابتداء ، الإمالة ، المد ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

الأمر الرابع : الألفاظ ، وهو سبعة أنواع :

الغريب ، المعرب ، المجاز ، المشترك ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه .

الأمر الخامس : المعاني المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعًا :

العام الباقي على عمومه، العام المخصوص ، العام الذي أريد به الخصوص ، ما خص فيه الكتاب السنة ، ما خصصت فيه السنة الكتاب ، المجمل ، المبين، المؤول ، المفهوم ، المطلق ، المقيد ، الناسخ ، والمنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين .

الأمر السادس : المعاني المتعلقة بالألفاظ ، وهو خمسة أنواع :

الفصل ، الوصل، الإيجاز ، الإطناب ، القصر .

وبذلك تَكَمَّلت الأنواع الخمسين .

ومن الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر الأسماء الكنى الألقاب المبهمات) [١].

وهذا الترتيب من أجمع ما وقع في تصنيف أنواع علوم القرآن وترتيب نظائرها تحت علم عامٍّ يجمعها،وإن لم يسمِّ هذه العلوم بمسمًّى واضح،كما هو ظاهر من الأمور الستة التي جعلها أصلا يرجع إليها خمسون علمًا من علوم القرآن.

---

(١) الإتقان (١ : ٥ ـــ ٦) .

وعلوم القرآن بحاجة إلى أمرين :

الأول: تصنيف المتناظرات في العلم تحت مسمى علم واحد ، فيجمع ما بتعلق بنُزول القرآن تحت (علم نزول القرآن) ، وما يتعلق بأداء القرآن يجمع تحت (علم أداء القرآن) ، وما يتعلق بأحكام القرآن يجمع تحت (علم أحكام القرآن) .

الثاني : ترتيب العلوم في الصنف الواحد ، ثم ترتيب هذه الأصناف في علوم القرآن بحيث لا تؤخذ معلومة تحتاج إلى علم لم يؤخذ قبلها ، بل تتناسق المعلومات الواحد تلو الآخر ،فيردُّ إلى ما سبق دون الحاجة إلى شرحٍ مستطرد لمعلومة ستأتي فيما بعد.

ومن أمثلة ذلك أن يُدرس موضوع (الأحرف السبعة) قبل موضوع (القراءات القرآنية) ، كما أنه يُدرس أيضًا قبل موضوع (جمع القرآن) ؛ لأنه إذا درس هذين الموضوعين قبل موضوع (الأحرف السبعة) ، فإن سيُضطر إلى الاستطراد في معرفتها لاحتياج هذين الموضوعين لها ، وإلا لبقيت (الأحرف السبعة) طلاسم يحال إليها لا يعرف منها سوى المصطلح شيئًا .

ولقد نظرت بتأمُّلٍ إلى أنواع العلوم التي في علوم القرآن ، فظهر لي أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : العلوم الناشئةُ منه ، وهي ما كانت متعلقةً به تعلقًا مباشرًا، ولا تخرج إلا منه ، ومن هذه العلوم :

١- علم نزول القرآن ، وأحواله .

٢- علم القراءات ، وما يرجع إلى كيفية أدائه ، وآداب تلاوته وأحكامها.

٣- علم جمع القرآن وتدوينه .

٤- علم الرسم والضبط .

٥- علم عدِّ الآي .

٦- علم فضائل القرآن .

٧- علم خصائص القرآن .

٨- علم مبهمات القرآن .

٩- علم سوره وآياته .

١٠- علم الوقف والابتداء .

١١- علم المكي والمدني .

١٢- علم أسباب النُّزول .

١٣- علم التفسير ، ويدخل فيه جملة من العلوم المرتبطة بالتفسير ؛ كأصول التفسير ، وطبقات المفسرين ومناهج المفسرين وغيرها .

١٤- علم أمثال القرآن .

١٥- علم أقسام القرآن .

١٦- علم الوجوه والنظائر .

القسم الثاني : العلوم المشتركة مع غيره من العلوم ، وهي على قسمين :

الأول : العلوم المرتبطة به كنصٍّ شرعيٍّ تؤخذُ منه الأحكامُ التشريعية ، ويشاركه فيها الحديث النبويُّ ؛ لأجل هذه الحيثيةِ ، وقد نشأ عن دراستهما من هذه الجهة علم الفقه وعلم أصول الفقه ، فما كان في هذين العلمين من موضوعات مشتركة مع علوم القرآن ؛ فإنها ترجع إلى كونه نصٌّ تشريعيٌّ .

ومن هذه العلوم :

١- علم الأحكام الفقهية .

٢- علم الناسخ والمنسوخ .

٣- علم العام والخاص .

٤- علم المطلق والمقيد .

٥– علم المجمل والمبين .

٦– علم المحكم والمتشابه .

وهذه العلوم ترتبط بعلم الفقه وأصوله ، وبعلم الحديث كذلك ، ولا يعني هذا أنَّ هذه العلوم أصلٌ في هذا العلم وفرعٌ في ذاك ، وإنما هي متعلقة بالنصِّ الشرعي سواءً أكان قرءانًا أم سنة ، وبحثها في هذه العلوم يتفق في مسائل ويختلف في أخرى تبعًا لمنهج كلِّ علمٍ .

الثاني : العلوم المرتبطة به باعتباره نصًّا عربيًّا ، وهذه العلوم تعتبر من العلوم الخادمة له : ويدخل في ذلك جملة من علوم الآلةِ ؛ كعلم النحو ، وعلم البلاغة ، وعلم الصرف .

ويدخل فيه :

١– علم معاني القرآن .

٢– علم متشابه القرآن .

٣– علم إعراب القرآن .

٤– علم أساليب القرآن .

٥– علم لغات القرآن ،ويشمل ما نزل بغير لغة الحجاز، وما نزل بغير لغة العرب، وهو ما يسمى بالمعرَّب .

٦– علم غريب القرآن .

ويشاركه في ذلك أي نصٍّ عربيٍّ من نثرٍ أو شعرٍ ، مع مراعاة قدسيَّةِ القرآن، وأنه – مع كونه نصًّا عربيًّا – لا يلزم أن يرد فيه كل ما ورد عن العرب، ولا أن يُحمل على غرائب ألفاظهم وأساليبهم .

وتقسيم هذه العلوم ضمن مجموعات متجانسة تحت أمر كليٍّ مما يمكن أن تتعدَّد فيه الاجتهادات ، وليس في ذلك مشاحَّة ، بل في الأمر سعة ظاهرة .

أنواع علوم القرآن

العلوم الناشئة منه

١– علم نزول القرآن وأحواله.

٢– علم القراءات.

٣– علم جمع القرآن وتدوينه.

٤– علم الرسم والضبط.

٥– علم عدِّ الآي.

٦– علم فضائل القرآن.

٧– علم خصائص القرآن.

٨– علم مبهمات القرآن.

٩– علم سوره وآياته.

١ – علم الوقف والابتداء

١١– علم المكي والمدني.

١٢– علم أسباب الترول.

١٣– علم التفسير.

١٤– علم أمثال القرآن.

١٥– علم أقسام القرآن.

١٦– علم الوجوه والنظائر.

العلوم المشتركة مع غيره

العلوم المرتبطة باعتباره نصاً شرعياً

١- علم الأحكام الفقهية.

٢- علم الناسخ والمنسوخ.

٣- علم العام والخاص.

٤- علم المطلق والمقيد.

٥- علم المجمل والمبين.

٦- علم المحكم والمتشابه.

العلوم المرتبطة باعتباره نصاً عربياً

١- علم معاني القرآن.

٢- علم متشابه القرآن.

٣- علم إعراب القرآن.

٤- علم أساليب القرآن.

٥- علم لغات القرآن.

٦- علم غريب القرآن.

ملاحظات حول علوم القرآن :

أ- يلاحظ أنَّ ارتباط معلومات العلوم الأخرى بعلم القرآن قد يختلف من علمٍ إلى علمٍ ، فعلم اللغة وعلم البلاغةِ أكثر ارتباطًا بعلوم القرآن من علمِ الصرف ؛ لأنهما يرتبطان بعلم إعجاز القرآن .

كما يلاحظُ أنَّ البحث عن **علم إعجاز القرآن** انبثق عنه البحث عن **علم البلاغة العربية** ، لكنَّ علم إعجاز القرآنِ ـــ مع كونه عند السابقين يتعلق بنظم القـــرآن وعربيته من حيث العموم ـــ من العلوم الخاصَّة بالقرآن ولا يشاركه فيه غيره مـــن الكلام العربيِّ حتى لو كان الحديثَ القدسيَّ [١] .

ومن ثَمَّ ، فإنَّ تلك العلوم من لغة وبلاغة وغيرها إنما هي خادمة له ، ومبيِّنة لفضل القرآن على ما سواه من الكلام العربيِّ .

ب- من هذا الترتيب تعلم أنَّ جملة من العلومِ الإسلامية قد تكون مشتركة في مباحثها مع جملة من أنواع علوم القرآنِ ، ويكون بينهما تداخل وترابط .

ج- إنَّ تصنيف العلم بأنه من العلوم الناشئة من القرآن لا يعـــني أنـــه لا يُستفاد في مباحثه من غيره من العلوم التي يشارك القرآن فيها غيره ؛ لأنَّ النظر هنا إلى أصل بروز هذا العلم ، وأنه لو لم يكن هناك قرآن لما وُجد مثل هذا العلم .

فإن قيل : إنَّ عناية المسلمين بالقرآن هي السبب في بروز كثير من العلوم الإسلامية؛ كعلوم العربية مثلاً ، التي كان أصل البحث فيها لخدمة هذا الكتاب من

---

(١) إن لفظ الحديث القدسي ومعناه من الله سبحانه ؛ لأنَّ الرسول ﷺ يقول فيه « قال الله ... » ، فالأصل أن يكون من قول الله ابتداءً ، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بدليل .

ويقع عند بعضهم شبهة ، وهي كيف يكون الفرق بين القرآن والحديث القدسي إذا كان كذلك في مسألة الإعجاز ؟

وهذه الشبهة فيها نظر ؛ لأنه يلزم منها أن يكون كل كلام الله معجزًا ، وهذا ما لا يدل عليه نصٌّ أبدًا ، وإنما وقع التحدي بالقرآن فقط ، فكان معجزًا ، أما سائر كلام الله فلم يقع فيه تحدٍّ .

وجوه متعددة : حفظ عربيته من اللحن ، ومعرفة معنى ألفاظه ، ومعرفة جملة أساليبه ... الخ .

فالجواب : إن هذا القول صحيح ، لكن هذه العلوم تأتي في المرتبة الثانية من حيث الترتيب ، فهي من العلوم الخادمة والمساعدة ، وكان يمكن ــ افتراضًا ــ أن تقوم العلوم المرتبطة بالعربية بدون القرآن ، وإن كان القرآن هو السبب الأكبر في بروزها ونشوئها .

د- أن النظر إلى أنواع علوم القرآن من منطلق التعديد والتكثير لا يمكن حصره ، حتى لقد قال بعضهم إن تحت كل حرفٍ علمًا من علوم القرآن ، كما ادَّعى بعضهم أنَّ علومَ القرآنِ لا تُحصى عددًا ، قال ابن العربيِّ (ت : ٥٤٣): (وقد ركَّبَ العلماءُ على هذا كلامًا ، فقالوا : إنَّ علومَ القرآنِ خمسونَ علمًا ، وأربعُمائة علمٍ ، وسبعةُ آلاف ، وسبعونَ ألفَ علمٍ ، على عدد كَلِمِ القرآنِ، مضروبةً في أربعةٍ ، إذ لكلِّ كلمةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ ، وحدٌّ ومطلع . هذا مطلقٌ دون اعتبارِ تركيبِه ، ونَضْدِ بعضِه إلى بعضٍ، وما بينها من روابط على الاستيفاءِ في ذلك كلِّه ، وهذا مما لا يحصى، ولا يعلمُه إلاَّ اللهُ) [(١)] .

وهذا تكثيرٌ لا دليل عليه ، ولا حاجة تدعو إليه ، ولا شكَّ أنَّ النظر في عدِّ هذه العلوم قد اختلف عند هذا القائل به ، ولأضرب لك مثلاً من كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (ت : ٩١١) ترى فيه تشقيق علومٍ تندرج تحت علمٍ واحدٍ .

عدَّ السيوطي (ت : ٩١١) من النوع الثلاثين إلى النوع الخامس والثلاثين ما يأتي:

---

(١) قانون التأويلِ ، لابن العربيِّ ، تحقيق : محمد السليماني (ص : ٥٤٠) .

(الثلاثون : في الإمالة والفتح وما بينهما .

الحادي والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .

الثاني والثلاثون : في المدِّ والقصر .

الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمزة .

الرابع والثلاثون : في كيفية تحمُّلِه .

الخامس والثلاثون : في آداب تلاوته) [(١)].

وهذه كلها تدخل في نوع واحدٍ ، وهو علم الأداء،ولا داعي لهذا التكثير، وإلاَّ لاستدرِك عليه غيرها من علوم الأداء .

كما تجد أنَّ السيوطيَّ (ت : ٩١١) أراد أن ينحو بعلوم القرآن إلى مصطلحات غيره من العلوم ، لذا تجدُّ يعدُّ علومًا لا تكاد توجد إلا في أمثلة قليلة، ومـا دعـاه إليها إلا تنظير هذا العلم بغيره ، قال :

(الحادي والعشرون : في العالي والنازل. الثاني والعشرون : في معرفة المتـواتر .

الثالث والعشرون : في المـشهور . الرابـع والعـشرون : في الآحـاد .

الخامس والعشرون : في الشاذِّ . السادس والعـشرون : الموضـوع .

السابع والعشرون : المدرج) [(٢)].

وهذه التقسيمات غريبة على علوم القرآن ، وليست منه بل هي من علوم مصطلح الحديث ،ولا يوجد أثر علمي في معرفة هذه التفصيلات التي قد تدعو إلى التكلف.

ومما يدل على أثر الكتابة في أنواع علوم الحديث على أنواع علوم القرآن أن المؤلفين الذين قصدوا جمع أنواع علوم القرآن جعلوا علة كتابتهم أنهم لم يجدوا

---

(١) الإتقان ، للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (١ : ١٥) .

(٢) الإتقان للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (١ : ١٥) .

لعلوم القرآن ما يجمع أصولها مثل ما هو الحال في علوم الحديث ، وإليك النصوص الدالة على ذلك :

١- قال الزركشي (ت : ٧٩٤) : (ولما كانت علوم القرآن لا تحصى ، ومعانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالقدر الممكن .

ومما فات المتقدمين وضعُ كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعيونه ، وضمنته من المعاني الأنيقة ، والحكم الرشيقة ما يهز القلوب طربًا ، ويبهر العقول عجبًا ؛ ليكون مفتاحًا لأبوابه ، وعنوانًا على كتابه ، معينًا للمفسر على حقائقه ، مطلعًا على بعض أسراره ودقائقه ، وسميته البرهان في علوم القرآن) [(١)].

٢- قال علم الدين البلقيني (ت : ٨٢٤) في خطبة كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم : (قد اشتهرت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبةٌ لبعض خلفاء بني العباس ، فيها ذكر بعض أنواع القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس ، وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث ، وتلك الأنواع في سنده دون متنه ، وفي مسنديه وأهل فنه ، وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة ، فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف ، وينحصر في أمور ...) [(٢)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (١ : ٩) .

(٢) الإتقان (١ : ٤ ــ ٥) .

٣- قال السيوطي (ت : ٩١١) في التحبير في علم التفسير : (وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه ، حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير ، الذي هو كمصطلح الحديث ، فلم يدونه أحد لا في القديم ولا في الحديث ...) [(١)].

وقال في الإتقان في علوم القرآن : (ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ...) [(٢)].

وهذا يفسر تأثير الكتابة في أنواع علوم الحديث على الكتابة في أنواع علوم القرآن ، والمسألة ظاهرة بالتتبع في الأنواع التي ذكرها هؤلاء الأعلام الثلاثة في كتبهم .

هـ- مسائل علوم القرآن بين النقل والاجتهاد .

إذا نظرت إلى علوم القرآن وسبرتها فإنه سيظهر لك ما يأتي :

أولاً : أنَّ جملة من مسائله نقلية لا مجال فيها للرأي ، كعلم القراءات ، وعلم أسباب النُّزول ، وعلم مبهمات القرآن ، وعلم فضائل القرآن .

ثانيًا : أن جملة منها الأصل فيها نقلي ، لكن إذا انعدم النقل قام القياس والاجتهاد المبني على النقلي ؛ كعلم المكي والمدني .

قال السيوطي (ت : ٩١١) : (وقال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي ، وقياسي .

فالسماعي : ما وصل إلينا نزوله بأحدهما .

---

(١) التحبير في علم التفسير ، للسيوطي ، تحقيق : فتحي عبد القادر فريد (ص : ٢٨) .

(٢) الإتقان (١ : ٤) .

والقياسي : كل سورة فيها : يا أيها الناس فقط ، أو كلا ، أو أولها حرف تَهَجٍّ سوى الزهراوين والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة = فهي مكية.

وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية .

وكل سورة فيها فريضة أو حَدٌّ فهي مدنية) [(١)].

ثالثًا : وأن بعضًا من علومه مبني على الاجتهاد المحض ؛ كعلم تناسب الآي والسور ، وعلم إعجاز القرآن .

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن بعض المسائل العلمية في علوم القرآن قد تكون من باب الاجتهاد المستند إلى النصوص ، أو إلى الواقع المرتبط بالمسألة ، أو إلى غيرها من القرائن التي يستند إليها المجتهد في بيان بعض مسائله وتحريرها .

ومن ثَمَّ ، فلا تثريب على من تكلم عن هذه المسائل التي تعتمد على الاستنباط والاستدلال ما دام كلامه مبنيًا على علم ، كما هو الحال في غيره من العلوم التي يقع فيها الاجتهاد .

و- إنَّ هذا العلم مليءٌ بالأمثلة والتطبيقات ، ودراسة هذه الأمثلة تُكسِبُه نوعًا من الجِدَّةِ والمتعة التي يفتقدُها من يدرسه بلا تطبيقاتٍ .

ومن أهم مصادر هذه التطبيقات :

١- القرآن الكريم ، وذلك في الموضوعات التي توجد أمثلته في الآيات ؛ كقصص القرآن ، وأمثال القرآن ، وأقسام القرآن ، وغيرها من الموضوعات .

٢- تفسيرات السلف، إذ أن الأصل أنَّ هذه العلوم عنهم صدرت، ومنهم تؤخذ.

٣- الكتب المفردة في علومه ، ككتب الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النُّزول ، وغيرها ، وهذه الكتب قد تكون مجالاً لتطبيق العلم الذي كُتِبت من أجله ، وقد

---

(١) الإتقان (١ : ٤٨) .

يوجد فيها مجالٌ لغيره من العلوم الأخرى ، كالمكي والمدني – مثلاً – يمكن أن يدرس من خلال كتب الناسخ والمنسوخ أو من خلال كتب أسباب النُّزول ، لما بين هذه العلوم من العلاقة الوثيقة .

٤- كتب التفسير المطولة ، إذ يوجد فيها تحريرات للمفسرين قد لا توجد في كتب علوم القرآن .

٥- كما يمكن أن تُدرس بعض علومه فيما طُرِح في كتب العلوم الأخرى، ثُمَّ الموازنة بين هذا العلم في علوم القرآن وفي كتب العلوم الأخرى ؛ كعلم الناسخ والمنسوخ في كتب علوم القرآن وكتب أصول الفقه ، أو علم أحكام القرآن في كتب أحكام القرآن وكتب الفقهاء ، وهكذا .

وأخيرًا ، فالموضوع لا زال بحاجة إلى مزيد عناية وطرح من المتخصصين ؛ ليظهر ما في هذا العلم من كنوز مدفونة ، ويخرج بحلّة مشوقةٍ يدعو القارئ إلى المتابعة فيه ، والعناية به ، والله الموفق.



فهرس المراجع

استدراكات على تاريخ التراث العربي / قسم التفسير وعلوم القرآن ، حكمت بشير ، نشر دار ابن الجوزي .

الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة .

البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ .

التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، نشر الدار التونسية .

التدوين في أخبار قزوين ، لعبد الكريم الرافعي القزويني ، تحقيق عزيز الله العطاردي ، نشر مكتبة المطبعة العزيزية حيدر أباد ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

الصلة ، لابن بشكوال ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط /مخطوطات التفسير وعلومه، نشر مؤسسة آل البيت بالأردن .

الفهرست، لابن النديم ، تحقيق ناهد عباس عثمان ، نشر دار قطري بن الفجاءة.

الفهرست لابن النديم ، نشر دار المعرفة ١٣٩٨ .

المعرفة والتاريخ ، للفسوي ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠١ .

الموافقات ، للشاطبي ، تحقيق مشهور حسن آل سلمان ، نشر دار ابن عفان .

تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، نشر دار إحياء التراث ببيروت .

تفسير الثعلبي (مخطوطة المحمودية بمكتبة الحرم بالمدينة المنورة) .

تفسير الطبري ، تحقيق : شاكر ، مصورة عن طبعة دار المعارف .

دراسات في علوم القرآن، للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ط٧.

سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، مجموعة من المحققين تحت إشراف شعيب الأرناؤوط ، نشر الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٢ .

شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ،طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت .

صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

طبقات المفسرين للأدنه وي ، تحقيق الدكتور سليمان الخزي ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤١٧ .

فهم القرآن ، للحارث المحاسبي ، تحقيق حسين القوتلي ، نشر دار الكندي ودار الفكر ، الطبعة الثاني ١٣٩٨ .

قانون التأويل ، لابن العربي ، تحقيق الدكتور محمد السليماني ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى عبد الله ، المعروف بحاجي خليفة ، نشر دار الفكر ببيروت ١٤٠٢ .

مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جمع ابن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد .

مختصر التبيين لهجاء التنْزيل ، لأبي داود سليمان بن نجاح ، تحقيق الدكتور أحمد شرشال ، نشر مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية .

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.

مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق كمال الحوت ، نشر الرشد بالرياض ١٤٠٩.

معالم التنْزيل ، للبغوي ، تحقيق خالد العك ،ومروان سوار ، الطبعة الثانية ، نشر دار المعرفة ببيروت ، ١٤٠٧ .

معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، تحقي الدكتور إحسان عباس ، نشر دار الغرب ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

معرفة القراء الكبار ، للذهبي ، حققه بشار معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤.



التفسير الإذاعي للقرآن الكريم

إعداد

عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر*

* من مواليد الأحساء بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
• نال درجة الماجستير في الدراسات القرآنية سنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أُمِّ القرى بمكة المكرمة.

الملخص

تعتبر الإذاعة من القنوات المهمة في هذا العصر لتبليغ الدين الإسلامي ، ونشر تعاليمه وشرائعه للناس .

وإنَّ من أهم البرامج الدينية التي ينبغي العناية بها في هذه الإذاعات هي تفسير كلام الله تعالى الذي نَزَل لهداية الناس وإرشادهم للتي هي أقوم .

فبماذا يُسمى هذا اللون من التفسير ؟ وهل كان للمفسرين المعاصرين دورٌ في تفسير القرآن عبر الإذاعات العربية ؟ وما هو المنهج الأمثل لإعداد وتقديم هذا التفسير عبر الإذاعة ؟

لقد حاولت أن أُجيب على هذه التساؤلات من خلال هذا البحث الذي سميته بـ"التفسير الإذاعي للقرآن الكريم" ، وتقوم فكرته على ثلاثة محاور:

الأول: المراد بالتفسير الإذاعي.

الثاني: ذكر نماذج لأبرز التفاسير الإذاعية التي خُصِص إعدادها وطرحها للإذاعة ، وقد حرصت أن تكون هذه النماذج من أقطار مختلفة عبر العالم العربي حتى يتسنى لنا الوقوف على طرائق المُفسرين ومنهجهم في تفسير القرآن عبر الإذاعة.

الثالث: بيان المنهج الأمثل – في نظري – في طريقة إعداد وتقديم التفسير عبر الإذاعة ، وذلك وفق ما رأيته مناسباً لعامة فئات المجتمع مستنيراً بما ذكرته من نماذج التفاسير الإذاعية .

وقد خَرَجت من هذا البحث إلى أنه لا تزال الإذاعات العربية بحاجةٍ ماسةٍ إلى تفاسير إذاعيةٍ جديدةٍ تواكب روح العصر وتدعو الناس إلى إمعان النظرِ والتأملِ في كتاب الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير الإذاعي

اهتم العلماء رحمهم الله تعالى بتفسير القرآن الكريم عبر مَرِّ العصور، فمنهم من جَعَلَه في مُصَنَّف، ومنهم من قرأه في المدارس وأملاه في المجالس، ومنهم مَنْ جَلَسَ على كرسيه في المسجد أو الجامع وأخذ يشرحه ويكشف معانيه.

وهكذا كُلَّمَا وجدوا مجالاً أو فرصةً سانحةً لتفسير كلام الله تعالى استثمروها حق الاستثمار وأدَّوا ما عليهم من حقٍ في بيان كلام الله تعالى.

ومما أنعم الله تعالى على هذه الأمة المعاصرة أن هيأ لها وسائلَ جديدةً لتقديم تفسير كلام الله تعالى لم تكن موجودةً من قبل...ومنها موجات الأثير التي تُعتبر مرتعاً خصباً لتفسير القرآن الكريم .

وفي هذه المقالة [١] أحببت أن أُبين مفهوم التفسير الإذاعي، مع بيان نماذج لأبرز من شارك في تفسير القرآن كاملاً، والمنهجَ الأمثلَ في عرضه، فأقول وبالله التوفيق.

---

(١) لم أجد أحداً كتب عن التفسير الإذاعي سوى الدكتور: محمد رجب البيومي في رسالةٍ له بعنوان: "التفسير القرآني" (ص:١٧٩-١٩١) وهي هديةٌ توزعها مجلة الأزهر مع عددي رمضان وشوال سنة (١٤٢٥هـ)، إلاَّ أنَّ كتابته كانت مُقتضبة، ولم تُلم بالموضوع من جميع جوانبه.

أولاً: المراد بالتفسير الإذاعي:

قبل الولوج إلى معنى التفسير الإذاعي فإني أُحب أن أُبيِّن معاني مفرداته – على سبيل الإيجاز والاختصار– وذلك جرياً على عادة الباحثين والدارسين عند ذكر الحدود.

التفسير لغة : الكشف والبيان، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾ [الفرقان:٣٣] أي بياناً، ومنه قولك: فَسَر الرجلُ عن ساعديه أي كَشَفَ عنهما[١] .

التفسير اصطلاحاً : اختلف العلماء في المراد بالتفسير على تعاريف عِدَّة [٢] أبرزها القول بأنه: شرحٌ وبيانٌ للقرآن الكريم [٣] .

الإذاعة لغة: الظهور والانتشار [٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ** ﴾ [النساء:٨٣] والمراد: أظهروه وأفشوا به في الناس، ومنه قول أبي الأسود [٥] :

أذاعوا به في الناس حتى كأنَّه بِعَلْياءَ نارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ

الإذاعة في اصطلاح الإعلاميين [٦] : إحدى وسائل الاتصال الجماهيري التي تعتمد على نقل الأخبار والبرامج والمعلومات من محطات الإرسال بواسطة

---

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥٠٤/٤)، ولسان العرب، لابن منظور(٥٥/٥).

(٢) تُنظر هذه التعاريف في كتاب الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٦٧/٤-١٦٩).

(٣) مفهوم التفسير والتأويل...، للدكتور: مساعد الطيار (ص:٦٤).

(٤) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٦٥/٢).

(٥) يُنظر: تفسير الطبري (٢٥٢/٧)، وتفسير ابن عطية (١٨٨/٤).

(٦) تجربتي مع الإذاعة، لفهد بن عبد العزيز السنيدي (ص:٢٢).

الموجات الكهرومغناطيسية [١]..وتقوم الفكرة على نقل الأصوات بعد تحويلها إلى موجات عن طريق محطات الإذاعة (الإرسال) حيث يتم الاستماع إليها عن طريق أجهزة الاستقبال.

المراد بالتفسير الإذاعي: هو بيان معاني القرآن الكريم عن طريق إعداده وطرحِهِ في الإذاعة.

إلاَّ أنَّ الدكتور محمد رجب البيومي كان تعريفه للتفسير الإذاعي أوسعَ مما ذهبتُ إليه، فهو يرى أنَّ التفسير الإذاعي يدخل فيه كلُّ تفسير تَمَّ طرحه في الإذاعة، سواءً كان مُعَداً خصيصاً للإذاعة أو دروساً تلقى في المساجد وتقوم الإذاعة بنقلها، كدروس الشيخ محمد متولي الشعراوي [٢].

وهذا الرأي – في نظري- لا يُسمى تفسيراً إذاعياً؛ لأنَّ التفسير الإذاعي ينبغي أن يكون له خصوصيةٌ في التناول، فيُراعى فيه جوانبَ كثيرة كالزمن، والفئة، ومنهج العرض.

وأمَّا مَنْ طَرَحَ تفسيره في المسجد فهو لم يُعِدَّه بالدرجة الأُولى للإذاعة، لذا فإنَّ تفسيره قد يستغرق وقتاً طويلاً لا يُناسب الوقت المحدد الذي وضعته الإذاعة، أو يُسهب في جوانب دون أُخرى فتنتفي سِمةُ الإيجاز والاختصار التي هي من صميم التفسير الإذاعي، أو يستخدم مُصطلحاتٍ علميةٍ قد تخفى على كثيرٍ من المستمعين ونحو ذلك.

وهذا لا يعني أنني أُمانع من عَرض هذه الدروس في الإذاعة –بل فيها خيرٌ

(١) الموجات الكهرومغناطيسية: هي التي لا تحتاج إلى وسط مادي لانتقالها. يُنظر: المصدر السابق (ص:١٨).

(٢) التفسير القرآني (ص:١٨٠).

كثير- وإنما قصدي أنه لا ينطبق عليها وصف التفسير الإذاعي الذي يقوم على نوعٍ من الإعداد والطرح الخاص للإذاعة.

ثانياً: نماذج للتفسير الإذاعي:

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم التفسير الإذاعي، فإني أُحب أن أذكُر نماذج لتفاسير إذاعيةٍ طُرِحت في إذاعات مُختلفةٍ من العالم العربي وهي الآتي:

الأول: "التيسير في أحاديث التفسير"، للشيخ محمد المكي الناصري[1] **(المغرب)**: وقد أعَدَّه للإذاعة الوطنية بالمغرب عندما أسنَدَت إليه حصة التفسير الصباحية، وكان ذلك أيام الستينيات الميلادية، ثُمَّ أُذيع بعد ذلك في إذاعة القرآن الكريم السعودية، وغايته من هذا التفسير توعية الناس وتقريب معاني القرآن من أفهامهم حتى يكون إدراكها واستيعابها مُيَّسراً.

وقد تحدَّث رحمه الله عن تجربته في تفسير القرآن كاملاً للإذاعة فقال: "..وذات يوم من أسعد أيام الستينات تلقيت دعوة مُلِحَّة من الإذاعة الوطنية بالمغرب للقيام بإلقاء أحاديث يومية في تفسير القرآن لفائدة المواطنين والمواطنات، وكافة المؤمنين والمؤمنات، وذلك برواية ورش عن نافع التي هي القراءة المُتبعة عند المغاربة منذ عِدَّة قرون فوجدت هذه الدعوة النبيلة هوى في النفس وحنيناً في القلب واستجابةً روحيةً كاملة، لكني أحسست في نفس الوقت بثقل المسؤولية وصعوبة التكليف" [2].

---

(١) **محمد المكي الناصري**: أمين عام رابطة علماء المغرب، توفي بالرباط سنة (١٩٩٤م)، له العديد من المؤلفات منها: "إعجاز القرآن" و "تاريخ التشريع الإسلامي" و "الحضارة المغربية" وغيرها. يُنظر: سيرة الشيخ محمد المكي الناصري، لمجموعة من الكتَّاب.

(٢) التيسير (٦/١).

وقد قام هذا التفسير على الخطوات الآتية [(١)] :

– تقسيم التفسير إلى حلقات كل واحدة منها تشمل ربع حزب من القرآن، فيكون عدد حلقات "التيسير في أحاديث التفسير" مائتان وأربعون حلقة.

– وضع تمهيد لكل حلقة –يناسب المستمع للإذاعة ويفيده– في هذا التمهيد يتطرق الشيخ الناصري لمضمون الربع أو موضوعه العام، ثُمَّ يعرض للسياق الذي ورد فيه وارتباطه بما قبله من القرآن، مبرزاً أوجه التناسب بين الآي، فإذا تعلق الأمر ببداية السورة تكلم أيضاً عن تسميتها.

– الاحتراز من المصطلحات العلمية والفقهية إذا كان من شأنها أن تجعل فهم واستيعاب المستمع عسيراً، إذ أنَّ التيسير موجه بالدرجة الأولى إلى محدودي الثقافة الإسلامية من المستمعين والقراء..

– تجنب الآثار الواهية والأخبار الموضوعة التي حُشيت بها كثير من كتب التفسير فأفسدت على العامة فهمهم لكتاب ربهم، وشوشت عليهم عقيدتهم وتصوراتهم، من ثَمَّ كان لِزاماً على المفسر التحري في صحة الروايات والالتزام في تفسير القرآن بالثابت الصحيح من المنقول...

– اختيار أسلوب سهل لكتابة هذا التفسير حتى لا يعلو على المدارك، مع الحرص على استعمال لغة قريبة مما يتكلم به الناس في العصر الراهن مهما كان مستواهم التعليمي..

– إذا لم يتيسر تفسير الربع المحدد للحلقة الواحدة ركز الشيخ الناصري على بعضه وترك الباقي لحصة لاحقة، وهذا الإجراء فرضته على الشيخ طبيعة البرامج الإذاعية

---

(١) يُنظر: الشيخ محمد المكي الناصري مُفَسِّراً، مقال للدكتور: عبد الرزاق هرماس في مجلة الإحياء المغربية، عدد (١٣)، سنة (١٤١٩هـ)

التي حَرَّر لأجلها تفسيره، فلما أراد طبعه تركه على حاله منبهاً القارئ إليه في المقدمة..

وقد طُبِعَ هذا التفسير سنة (١٤٠٥هـ) في ست مُجلدات عن دار الغرب الإسلامي في بيروت.

الثاني: تفسير القرآن للدكتور: عبد الله الطيب[1] **(السودان)**: وقد فَسَّر القرآن كاملاً للإذاعة السودانية في أُم درمان، وكان ذلك ما بين عامي (١٩٥٨م-١٩٦٩م) تقريباً مع تلاوة الشيخ صدّيق أحمد حمدون (وهو أحد قرَّاء السودان المشهورين)، وقد كانت طريقته في التفسير تقوم على ثلاثة عناصر:

الأولى: توضيح مفردات المقطع ويسميه (المفردات).

الثانية: بيان المعنى الإجمالي للمقطع ويسميه (الخلاصة).

الثالثة: شرح المقطع باللهجة السودانية الدارجة على ألسنة السودانيين ويسميه (خلاصة بالدارجة)، وقد ذكر السبب في ذلك في مقدمته لتفسير جزء عَمَّ فقال: "هذا وما دعاني إلى إثبات التلخيص بالدارجة إلاَّ أرب التيسير، فقد وجَدت أنَّ درس القرآن قد دَرَسَ دروساً، ولقد شهدت التلعثم يقع في قصار المفصل القصار جداً بين خريجي الجامعات، فهذا أمر يجب تلافيه[2]، ولعل هذا السبب الرئيس الذي جعل تفسيره يلقى قبولاً فائقاً في أواسط السودان.

وقد طبع من هذا التفسير "تفسير جزء عَمَّ" سنة (١٩٧٠م)، و"تفسير جزء

---

(١) **عبد الله الطيب**: باحث وشاعر وروائي سوداني، تولى عدَّة مناصب في السودان وغيرها منها عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وحاصل على جائزة الملك فيصل للأدب العربي سنة (٢٠٠٠م)، من مؤلفاته: "رمزية الحمامة في الشعر العربي"، "والمرشد إلى فهم أشعار العرب"، توفي سنة (١٤٢٤هـ). يُنظر: موقع الدكتور عبد الله الطيب على الإنترنت www.abd-alla.org

(٢) تفسير جزء عَمَّ (ص:٨).

تبارك" سنة (١٩٨٩م) عن الدار السودانية للكتب في الخرطوم، و كذلك "تفسير جزء قد سمع" الذي أعدَّه قبل مرضه الأخير .

الثالث: تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور:فضل حسن عبــاس[(١)] **(الأردن)**: وقد فَسَّره كاملاً في الإذاعة الأردنية سنة (١٩٧١م)، وقد تكلم عـــن تفسيره فقال: "وقد وفقني الله تبارك وتعالى قبل ثُلــث قــرن تحديــداً في ســنة (١٩٧١م) ففسَّرت القرآن الكريم كاملاً للإذاعة الأردنية وكانت تجربة رائــدة إذ كانت الأُولى من نوعها، لأنني لم أكن مُفَسِّراً فحسب، بل كنتُ أتلــو الآيــات الكريمات وأفسِّرها ثُمَّ أتلو غيرها، وكانت هذه الحلقة الواحدة خمس عشرة دقيقة. وقد استغرق هذا التفسير أربعمائة حلقة أي ما يقرب من مائة ساعة، وقــد أُذيــع عِدَّة سنين، وأظنّه لا يزال يُذاع في الإذاعات الموجهة خـارج الأردن ولله الحمــد والمنة[(٢)].

وقد كان لهذا التفسير الإذاعي بالغَ الأثر في نفوس مستمعيه ومنهم الدكتور: جمال محمود أبو حسَّان الذي كان أحد المنشغلين والمعجبين بسماعه آنذاك ولهــذا نجده يقول: " شغلت دروس في التفسير الإذاعي كانت تذاع في السبعينيات مــن القرن الماضي عبر الإذاعة الأردنية في فترة الظهيرة، شغلت الناس، ولا أحــسب أنَّ أحداً ممن عرف بها إلا حرص على الاستماع إليها، ذلك أني واحد من هؤلاء كنت طالباً في المرحلة الإعدادية من الدراسة، وليس لديَّ تلــك الاهتمامــات العلميــة

---

(١) **فضل عباس حسن عباس**: من علماء فلسطين، وهو مُقيم–حالياً– في الأردن، وقد دَرَّس التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك. يُنظر: دراســات إســلامية وعربيــة، إشــراف الدكتور: جمال محمود أبو حسَّان (ص:١–٤٠)

(٢) التفسير أساسياته واتجاهاته للأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس ص:٢٠٦.

الكبيرة ومع هذا كنت حريصاً جداً على أن لا يفوتني منها أي درس...

كان الأستاذ–ولا زال بحمد الله تعالى– ذا صوت ندي مؤثر جداً حين يقرأ الآيات التي يُفسرها، وإنك حين تسمعه يقرأ تُحِسُ أنَّ حروف الآيات القرآنية الكريمة تُنادي مُعَبرةً عن نفسها بأسلوب بالغ....

و لم تكن تلك القراءة وحدها التي شدتني إلى دروس التفسير، ولكن الذي شدني إضافة إلى ذلك هو طبيعة تلك الدروس من حيث سهولة الأداء، ويسر اللغة الفصيحة، حين تخرج من مُتمرِّس دءوب، فإذا اجتمع إلى السهولة واليسر في الأداء عنصر الفهم والعلم، اكتملت الحلقة المطلوبة، وغدا التفسير شيئاً رائعاً، لأنَّ الإنسان يُحِسُ بتأثير الآيات الكريمة تأثيراً جذاباً يصِلُ من خلاله إلى المعرفة بعِظَمة الخالق مُنَزِّل الكتاب.

وقد مَنَّ الله تعالى على الأستاذ الفاضل أنَّ فَسَّر القرآن الكريم كُلَّه للإذاعة الأُردنية ولا أعلم في الأردن ولا في غيرها من فعل ذلك غيره، ولكني أسفت إلى أنني لم أتمكن من الاستماع إلى كُلِّ الدروس، بسبب اختلال التوقيت الحكومي ما بين الشتاء والصيف، إذ كانت الحلقات تُذاع على مسامع الناس ونحن في حصص المدرسة!

بقيت الإذاعة تُذيع هذا التفسير ثُمَّ قطعت بثه في داخل الأردن، وسمعت أنه يُبث في محطات إذاعية أُخرى خارج بلادنا، فكان بانقطاع هذا البث حِرمان وأي حِرمان لأنفسٍ توَّاقة تُحِبُ أن تسمع تفسيراً للقرآن الكريم يُقَرِّب إليها مراميه"[(١)].

إلاَّ أنه مع الأسف الشديد لم يحظ هذا التفسير بالطبع حتى نتمكن من معرفة طريقة الشيخ في عرضه للتفسير، والوقوف من خلالها على أبرز الجوانب التي قام بها.

(١) دراسات إسلامية وعربية، إشراف الدكتور: جمال محمود أبو حَسَّان (ص:١–٢).

الرابع:"على هامش التلاوة" للأستاذ الدكتور:محمد السعدي فرهود[(١)] **(مصر)** : وقد فَسَّر القرآن كاملاً في الإذاعة المصرية، و لم أحظ بمعلومات كافية حول هذا التفسير سوى ما كتبه الدكتور: البيومي فقال: "اخترت الأستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود بين من أسهموا في التفسير الإذاعي، لأنه المُفَسِّر الوحيد الذي قام بتفسير كتاب الله كاملاً في حلقات يومية متصلة استمرت بضع سنوات، و لم يتح لغيره أن يُوالي هذا الجهد المتواصل دون انقطاع، حتى تَمَّ التفسير الكريم، مبتدئاً بفاتحة الكتاب ومختتماً بسورة الناس، وقد تواضع صاحبه فرأى أن يكون عنوان التفسير "على هامش التلاوة" نظراً لإيجازه الدقيق، وكان الأضبط أن يأخذ عنوان "لباب التفسير[(٢)]، و لم يذكر الدكتور البيومي عن السنة التي تَمَّ فيها طرح هذا التفسير في الإذاعة المصرية، وعن الفترة التي استغرق فيها، وأشار إلى أنه قيد الطباعة، ولا أدري هل طبع أم ما زال حبيس المطبعة.

وقد استمع الأستاذ الدكتور: فضل عباس إلى بعض حلقات هذا التفسير وبيَّن أنَّ أحد القراء كان يقرأ النص المُحدَّد ثُمَّ يقوم الدكتور فرهود بتفسيره[(٣)].

الخامس:"التفسير الوسيط"،للدكتور: وهبة مصطفى الزحيلي[(٤)] **(سوريا)**: وقد أذاعه البرنامج العام في الإذاعة السورية، ثُمَّ في إذاعة صوت الشعب

---

(١) **محمد السعدي فرهود:** أُستاذ في كلية اللغة العربية، ثُمَّ عميداً لها، ثُمَّ رئيساً لجامعة الأزهر- آنذاك-، من أعماله: مراجعة فهارس التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

(٢) التفسير القرآني (ص:١٨٦)

(٣) التفسير أساسياته واتجاهاته (ص:٢٠٦).

(٤) **وهبة مصطفى الزحيلي:** ولد في دمشق سنة (١٣٥١هـ)، حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة في الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق، وقد شغل مناصب ووظائف وعضويات عدة في =

صباح كلِّ يوم من أيام الأسبوع (ما عدا يوم الجمعة) وذلك من خلال البرنامج الصباحي "قصص من القرآن" وزاوية "الإسلام والحياة"، وقد استغرق ذلك سبعَ سنين (١٩٩٢-١٩٩٨م) أتى خلالها على جميع القرآن الكريم تفسيراً وبياناً وقصصاً [١].

والذي يظهر أنَّ هذا التفسير لم يكن اسمه في بداية الأمر وأثناء بَثِّه في الإذاعة بالتفسير الوسيط، إنما كان ذلك بعد أن تفرغ الدكتور لإخراجه وطباعته.

و يمتاز هذا التفسير بأمور منها الآتي[٢] :

- قَسَّم آيات القرآن إلى مجموعات حسب موضوعاتها، وقدَّم بين يدي كل مجموعة من الآيات بمقدمةٍ تكوِّن موضوعاً متكاملاً مُمَهِّداً لفهم الآيات والمراد منها.

- بيان مدلول الآيات بدقةٍ وشمول، وبأسلوبٍ سهل ميسَّر ولغة سهلة جداً.

- بيان أسباب نزول الآيات مُقتصراً على الصحيح الثابت منها.

- قد يذكر أحياناً بعض ما تمس الحاجة إليه من وجوه إعرابية.

- البعد عن ذكر القصص والروايات الإسرائيلية، التي لا يخلو منها تفسير قديم.

وقد طُبع هذا التفسير سنة (١٤٢١هـ) عن دار الفكر بدمشق، في ثلاث مجلدات ضخمة بلغ عدد صفحاتها (٢٩٦٧) صفحة.

= العالم العربي والإسلامي أغلبها في قضايا الفقه وأصوله، من مؤلفاته:آثار الحرب في الفقه الإسلامي، التفسير المنير، الفقه الإسلامي وأدلته وغيرها. يُنظر: موقع الدكتور: وهبة الزحيلي على الإنترنت www.zuhayli.net

(١) يُنظر: وهبة الزحيلي، للدكتور:بديع السيد اللحام (ص:١٥١).

(٢) المصدر السابق (ص:١٥١).

ثالثاً: منهج التفسير الإذاعي:

لقد اجتهدت في إيجاد منهجٍ مثاليٍ لتفسير القرآن الكريم عبر الإذاعة، وذلك وفق ما رأيته مناسباً لعامة فئات المجتمع مستنيراً بما ذكرته من التفاسير الإذاعية السابقة وهو الآتي:

(**١**) تقسيم السورة إلى مقاطع بقدرٍ يناسب زَمَنَ الحلقةِ المتاح، وذلك أدعى إلى تَمَكّن المُفَسِّر من العرض بطريقةٍ سليمة ومنهجية، والأخذ بالموضوع من جميع جوانبه، وكذلك أدعى إلى تركيز المستمع ولَمِّ فكرِه من الضياع والشتات، ويُفَضَّل أن يكون المقطعُ وحدةً موضوعيةً كأن يكتفي بالمقطع الذي فيه أمْرُ الله تعالى لبني إسرائيل بذبح البقرة وهو لا يتجاوز سبعَ آيات، ونحو ذلك.

(**٢**) ترتيل النص القرآني ترتيلاً جميلاً قبل البدء في التفسير حتى ترتاح النفس فتزكو عما يُدنِّسها وتتهيء سماع التفسير وهذا ما أشار إليه تعالى حينما قَدَّم التلاوة على التعليم في قوله : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران:١٦٤].

(**٣**) البدء بمدخل سريعٍ حول السورة أو المقطع يتضمن أسمائها، وعددَ آياتها، ووقتَ أو مكانَ نزولها، وموضوعاتها، ومقاصدها وعلاقتها بما قبلها ونحو ذلك.

(**٤**) بيانُ المُفرَدَة القرآنية التي تحتاج إلى ذلك بعبارةٍ سهلةٍ ويسيرة، فلا يجنح إلى ذكر اشتقاقاتها وتصريفها بشكلٍ مُسهِبٍ ومُطوَّل، بل يكتفي بذكر معناها وبعض الشواهد المؤيدة على ذلك من القرآن أو السنة أو من كلام العرب.

(**٥**) الاقتصار على توضيح المعنى الإجمالي للنص القرآني.

(**٦**) الاقتصار على الرأي الراجح- إن كان في النص أكثر من رأي- دون بقية الآراء.

(٧)عدم اللجوء إلى ذكر موضوعات علوم القرآن كالمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأسباب الترول..ونحو ذلك إلاَّ بقدر ما يُحتاج إليه في فهم النص.

(٨)ترك الاستطراد في الجوانب الفقهية آو النحوية والبلاغية..ونحو ذلك إلاَّ بقدر ما يُحتاج إليه في فهم النص.

فإذا مَرَّ على آية تشتمل على حكمٍ فقهي فإنه ينبغي أن يكون توضيحه للحُكم بشكلٍ مُجملٍ ومختصر، دون أن يتطرق إلى تفصيلات وأُمورٍ ليس المجال مناسباً لذكرها كعرض أقوال الفقهاء ووجه استنباط كلٍّ واحدٍ منهم وذكرِ الأدلة الأخرى المانعة أو المؤيدة ونحو ذلك.

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] فإنه ينبغي للمُفَسِّر أن لا يعدو توضيحه للآية من الأحكام سوى حُكم فرضية الصيام على هذه الأمة كما فُرِض على غيرها من الأمم، دون الدخول إلى أحكام الصيام التفصيلية التي تُخرج عن الغرض المطلوب.

(٩) الإعراض كُلياً عن الروايات الإسرائيلية.

(١٠) الاختصار في تخريج الأحاديث والحُكم عليها قدر الإمكان، مع الإعراض كُلياً عن الأحاديث الباطلة والموضوعة.

(١١) أن يتم عرض التفسير بعبارةٍ سهلةٍ وميسرة، بعيدةٍ عن الصعوبة والتعقيد، كي يتسنى فهمه لدى المُتلقين أصحاب الفئات والفهوم المختلفة، كالتاجر في متجره، والفلاح في مزرعته، والسائق في سيارته..ونحو ذلك، وذلك باستخدام الأساليب المختلفة التي تشدُّ انتباه السامع، وتُؤثر فيه وهي على نوعين:

الأول: **أسلوب اللغة والسرد**، كطريقة السؤال والجواب فيقول مثلاً: ما معنى كلمة كذا الواردة في قوله تعالى: ...؟، فالجواب هو...ونحو ذلك، مع مراعاة سلامة الحرف، وصحة إعرابه.

والثاني: **أسلوب العرض والأداء**، وذلك بأن تكون نبرةُ المُفسر مؤثرةً وجذابةً في نفوس مستمعيه،وأن يكون أدائه جميلاً سلساً رقيقاً، بعيداً عن الجفاف والغلظة التي تُنَّفر الأسماع، وأن يكون بارعاً وموفقاً في استخدام علامات الترقيم المساعدة في فهم النص، فيستفهم ويتعجب متى ما احتاج إلى ذلك، ومستخدماً أيضاً ما يُسمى بالتلوين الصوتي الذي يُظهر تفاعل المُفَسِّر مع النص، فإذا مَرَّ على آية الوعد كذكر الجنة ونعيمها كان أدائه عند تفسيرها هادئَ الطبع، مسرورَ الخاطر، وإذا مَرَّ على آية الوعيد كذكر النار وجحيمها كان أدائه فيها مناسباً لتلك اللحظة الساخنة كرفعه للصوت رفعاً معقولاً يُظهر فيه أثر هذه الآية الخطيرة وهلمَّ جراً.

وبما أنَّ الغاية العُظمى والهدف الأسمى للقرآن هو هداية الناس للتي هي أقوم، فإنه يحسن بالمُفَسِّر بعد تفسيره للمقطع وفق الطريقة السابقة الاهتمام بجانبين:

الأول: الاستنباطات والمُلح التي تُبهج الروح، وتُمتع الذهن، وتُرَّسِخ في النفس المُسلِمة صِدق القرآن، وأنه وحيٌ من عند الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الآخر: تنزيل الآيات على الواقع إن أمكن ذلك، فإنه مُفيدٌ جداً في تعميق النص في نفوس الناس وربطهم بكتاب ربهم، فإذا مَرَّ مثلاً بآية تُحَذِّر من الربا وتُبيِّن ضرره على الأفراد والمجتمعات فإنه يُشير إشارةً سريعةً ومُختصرةً إلى مدى انتشار هذا الأمر في واقعه، وكيف غرق الناس في وحل الضلال

والحرمات..، فيتنبه السامع إلى خطورة هذا المرض ويُدرِك أنَّ ما ورد في النص القرآني لم يكن مقصوراً على قومٍ دون قوم أو زمنٍ دون آخر.

حاجة الإذاعات إلى تفاسير إذاعية جديدة:

إنَّ العمل الذي بَذَلَه أصحابُ التفاسير السابقة يُعتبراً جهداً ضخماً، وإنجازاً كبيراً في تخصيص وقتٍ كبيرٍ من حياتهم للتفسير الإذاعي، ولهذا فإنَّ تبني مشروع ضخم كهذا يحتاج إلى تفرغٍ تامٍ، وإلى المزيد من بذل الجهد والوقت حتى يخرج على الوجه المطلوب، وما زلنا –إلى هذه اللحظة– نعيش نضوباً في التفسير الإذاعي وحاجةً إليه، مما يجعل الكثير من الإذاعات العربية تلجأ إلى اختيار تفاسير مطبوعةٍ يتمُّ طرحها عبر الإذاعة، كما هو صنيع إذاعة القرآن السعودية التي طرحت تفسير السعدي عبر إذاعتها...إلاَّ أنَّ هذه الإذاعات أيضاً لا زالت تجد صعوبةً وحيرةً في اختيار هذه التفاسير العزيزة التي يُقارب منهجها منهج الإذاعة المطلوب.

وفي الختام: فإني أُحبُّ أن أُبيِّن ميزةً في التفسير الإذاعي قد لا تكون في غيره، وهي أنَّ المستمعين له يمثلون عدداً كبيراً يفوق غيره من القنوات التي يمكن أن يُفسَّر القرآن من خلالها.

فلا تبخلوا معاشر المفسرين بهذه الوسيلة الذهبية التي بها يصل الناس إلى فهم كلام الله تعالى.

قائمة المصادر

- **الإتقان في علوم القرآن**، الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث- القاهرة، ط٣، سنة (١٤٠٥هـ).
- **تجربتي مع الإذاعة**، الأستاذ: فهد بن عبد العزيز السنيدي، دار الوطن- الرياض، ط١، سنة (١٤٢٢هـ).
- **التفسير أساسياته واتجاهاته**، الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس، مكتبة دنديس- عمَّان، ط١، سنة (١٤٢٦هـ).
- **التفسير القرآني**، الدكتور: محمد رجب البيومي، وهي عبارةٌ عن رسالةٍ صغيرة وزعتها مجلة الأزهر مع عددي رمضان وشوال سنة (١٤٢٥هـ).
- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر- القاهرة، ط١، سنة (١٤٢٢هـ).
- **تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**، عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع قضالة- المغرب، ط٢، سنة (١٤٠٣هـ).
- **تفسير جزء عَمَّ**، الدكتور: عبد الله الطيب، الدار السودانية للكتب- الخرطوم، ط١، سنة (١٩٧٠م).
- **التيسير في أحاديث التفسير**، الشيخ محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، سنة (١٤٠٥هـ).
- **دراسات إسلامية وعربية**، إشراف الدكتور: جمال محمود أبو حسَّان، دار الرازي- عمَّان، ط١، سنة (١٤٢٣هـ).
- **الشيخ محمد المكي الناصري مُفَسِّراً**، مقال للدكتور: عبد الرزاق هرماس في مجلة الإحياء المغربية، عدد (١٣)، سنة (١٤١٩هـ).

- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور (ت:٧١١هـ)، دار صادر- بيروت.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، سنة (١٤٢٠هـ).
- **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمُفَسِّر**، الدكتور: مساعد بن سليمان الطيَّار، دار ابن الجوزي- الدمام، ط١، سنة (١٤٢٣هـ).
- **وهبة الزُحيلي**، الدكتور: بديع السيد اللحام، دار القلم- دمشق، ط١، سنة (١٤٢٢هـ).





نظرات في بعض ما انحذف - حشواً- من الألفات

تأليف

د . عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي*

* من مواليد مدينة "مراكش" بالمغرب عام ١٩٦٥م.
- نال درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط عام ١٩٩٢.
- نال درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بتحقيق كتاب "**فرائد المعاني في شرح حرز الأماني**" لابن آجروم.
- مجاز في القراءات العشر الصغرى والكبرى والشاذة.
- يعمل أستاذاً مساعداً بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى.

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ، وبعد :

فإن الأصل في الرسم أن يكون وفق المنطوق ، حرفاً بحرف ، إذ هو وُصلة إلى النطق، غير أن الناظر في رسم المصحف قد يجد وجوهاً من الرسم تخالف ما عرف من نطق القراءة، والحق أن الرسم إنما وضع على هذه الصورة لعلة إما لحكاية حال ، أو لأداء صوتي، أو لتتبع تصريف في علة مخرج أو صفة ، ثم لعله أن يكون قد تقادم الزمن حتى خفي على الناظر وجه تلك العلة ، فمال بها إلى الشذوذ.

وقد اهتممت – لما سبق لي من درس القراءات والنحو معاً – بتتبع وجوه الرسم التي خفيت عللها، ودقت مآخذها ، وبدأتُ من ذلك بالألف، فقسمتها أقساماً بحثت بعضها في كتابات سبقت، وقد جعلت هذا البحث للقسم الرابع منها: وهو الألف التي حذفت مراعاة لقراءة شاذة، مما أُغفل البحث عن علته لانعدامه فيما صح قرائياً.

فتتبعت ما تيسر من هذا الوجه من محذوف الألفات ، ثم جنحت إلى البحث عن علل الانحذاف فيما هي فيه منحذفة ، فإذا عرض منها شيء تناولته بالتحليل، فتقصيت مواقعه في القرآن ، ثم تتبعت ما روي في غير المتواتر من قراءات تعضد هذا الرسم وتجيءُ على وَفْقِه ، تتبعاً أرجو أن يكون فيه استقصاءٌ وتجويد.

و لم أغفل الإشارة إلى جملة أحكام شرعية أو لغوية تفيدها القراءة الشاذة التي وافقت الرسم.

والله الهادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدِمة

ولما سُقِط في يدي ، ورأيت أني قد عيَّنت مفهوم ما أصبت في بدء هذه المنظومة الفكرية، الموسومة بنظرية الاحتمال ، في مرسوم الإمام ، ظلْتُ ألُم متفرِّقات تناكر بعضها وتآلف بعض ، حتى أظهرني المذهب على وجه أوجهها ، فعرَّفت بعضها وأعرضت عن بعض ، فكان ما كان منها مصطفى ، متواتراً مقفًّى، نظرت فيه إلى علة اختلاف الرسم في الكلم ذي النظير ، وأنه قد لا يطَّرد النمط في رسمها ، مع طرده في بعضها !

فما الموجب وما المجوِّز بين هذا وذاك ؟

فقلَّبت أطراف ما صحّ مما احتمله الرسم ، ولمَّا لم ألفه ، تنكَّبت طريقه حتى عرض لي ما وُسِمَ بالشذوذ ، فلبثت مليَّاً أرقب أُقسُومته ، فأربى مقسمه على مانيط به وجعله .

وآمنت بمراتب الشذوذ علواً ودنواً ، فنأيت بما استخرجته لها جانباً لِيُنمَى في كتاب وحده تنقيحاً لمناطه ، وتمييعاً لصراطه .

ثمَّ ذهبت أوَّل مذهبي ، فحجَّ هذا المبحث عَيّاً عدمِ الحيلة في اختراع ما من أجله وضع على هذه السبيل .

ثمَّ إنه يلوح لك ، أنَّ اللغة تسع ذلك ، وتعايي زاعم الغلط ، بمسموع شواهدها ، وغريب أنماطها ؛ والغرابة من لَدِنْنا لا من جهتها ، فهي كما هي أصول لا تضاهى ، وفروع لا تَناهى .

وكذلك الشذوذ الذي زُكِنَ به مُبْعَد المقروء قَبْلُ ، إنما هو من جهة معرفتنا به، لا من قِبَلِ أصله ومحتدِه .

فلو أنت قلَّبت أبنية المرسوم تقاليب الجذر ؛ لأفضيت إلى دوح فينـان ، فيـه خيرات حسان ، ولأُرِيتَ ما غَبِيَ عنك من سماعات تكاد تُذهِبُ بالمقيس، ممـالأة عليه بالمثال والمُثُل ، ولرَحُبَتك نجوة هذه القراءات ، التي حوت استعمالات دقَّـت عن بعض أمهات المعجم ، وغُمَّت على بعض ، ولو بانت لصيم لرؤيتها ، ولجيء بعلم كثير ؛ تترع منه المزادة ، وتضوع منه الإفادة .

فكان النظر في ما زعمت باعجاً عين بحث وُسِمَ بالنظرية ، ليحمل ما احتمله اختلاف المرسوم ، من أمشاج الرسوم ، إلى أوجه الفهوم .

ولِيلاَّ يعلم أهل العلم أنَّنا ندَّعي ما لا يحمل علَّة ،وإنما علَّته حفَل بها وجه علَّته، وحاق بها .

وقد تبدو لذي الرأي الأمور .

والله أعلم وأعلى ...



خصائص الرسم العربي

أقول : من خصائص الرسم العربي تحمُّله لأكثر من صيغة تحتملها هيئته، وفيه دليل على تقدم الواضع ، وأنه لا يهبط رتبةً عن الناطق .

فوسع رسمه ، يحكي قُذام لفظه . وإذا تنوع اللفظ بتنوع قيده ، فإنَّ فيه دليلاً على مرونته ، وشدة الأنس به .

وإذا كان الرسم أثراً للفظ كما تحكيه لغته ، فإنَّ الرسم القرآني أثـــر للفـــظ القرآني تابع له ، ومصدر لمسموعه بمجموع أنماطه ؛ إلا ما قُيِّد معلـــلاً كهجـــاء الفواتح . وخصصناه بمبحث لعزة الكلام فيه .

فلا يسلم إذن قول من قال بأن ما يحتمله المرسوم ، كان ســـبباً في اخـــتلاف المقروء، على ما قدمناه . وهو قول من لم يتصور طبيعة الأشياء بدءاً ومعـــاداً، و لم يخبر مراتب القول صحة وفساداً. ولأن الكتابة إنما كانت لحفظ نصه كما تُلـــي ، لأنه لم ينزل مكتوباً ، وإنما نزل متلواً ، فكتب على ما تلـــي بـــه أو أذن فيـــه ، فاحتمال رسمه غيرَ مُقيد، تابع لاحتمال لفظه غير مُحجَّر ولا مشدَّد .

ولاعتقادنا في الرسم القرآني كمال العلم بما يكون عليه قويم الرسم العـــربي ، كدنا لا نقول بغيره ، وعسينا أن نجعل له عموماً على أقلامنا ، فلا تخط إلا علـــى سبيله ، ولا ترسم إلا على قبيله ، وذلك لحصول مكين العلم به ، وثبوت معـــين طبعه ووضعه ، فلهو أحفظ نصًّاً ، وأحكم رصًّا ، كيف لا، وقد أقـــرَّه صـــاحب الشريعة ، وخطته يدٌ رضِيَّةٌ بديعة .

واجتمعت عليه الأصحاب ، واستمرَّ في الأعقاب ، على توالي الأحقـــاب. لم يُحجَّ و لم يتَسَنَّ ، و لم يغالب و لم يُمنَّ .

أفلا يكون مثل هذا حجة ، لمن شاء أن يستقيم على المحجَّة .

لا بل لمثل هذا فليعضد العاضدون ، ومن أجل هذا كتبنا على أنفسنا ما تقرؤون .

أنخنا رواحلنا بساحة مرسوم الكتاب ، نتحسَّس منه رَوْح الصواب ، لظني أن الهداية منه ، فإذا هو هي .

وقلت ما قلت معالجة مني في كبد ، نظرت وأبصرت ، ثم فكرت وقدرت .

فعنّ لي مقولٌ في علل المرسوم ، وتبين لي أن ما ثبت علمه ، فقد عُلم ثبوته ، فكان غَنائي أن قرَّت لي عين الطلب ، وآثرت قارئي بجني الرطب ، وأغنيته عن هز النخل ، ووضيع الدَقل ، حسبة مني على السابغ كل فضل .

وما العلل التي أروم ، براتقة فتْقاً ظُنّ في ما عليه أحوم ، إذ لا أزعم افتئاتاً ، لأن الكمال به ومنه وفيه .

وأنا حينما أكابد العلل ، لا أقصد تطلب الوجه للرسم ، وإنما أدلُّك على ما يحمله من مذاهب علم قد تخفى ، على كل أعشى ، تقصّيت ذلك في جملته ، بعام أوجه قراءاته ، ولم أخص المتواتر منها بالفحص والتقليب ، إذ ما وضَح شرطه لا يحمل التثريب ، وإنما نفَذتُ إلى مسمى شاذِّ أحرفه ، فلربما حصلت له قبلُ صحة ، أعقبها انقطاع لحكمة ، ولا نعوج على اتهام الأمة ، وتظنين الأئمة .

فقد أحاطوا بما وسعهم علمه ، وعالجوا تدوين ما أمكنهم فهمه ، ولم يمنوا طرق الاجتهاد ، والله يحكم بين العباد .

وأنبئك أنَّ المنهج في هذا على سَنَن المنهج في أوله ، حيث عرضت الحرف ، الذي يتضمن الألف ، وخرَّجت انحذافه في مظانه ، وفصَّلت الخلف فيه ، إن جرى عليه ، وأشرت إلى كل من أشار إليه بعلة ، وبيَّنت الخلف القرائي فيه ، والعمدة في ذلك الشاذ لا المتواتر ، لأنَّ البحث فيه ، فإن جاراه شيء من متواتر الحرف لم

أضِنَّ بذكره إذا تعلق به النظر ، ممالأة لظواهر التعليل، وأبنية التحليل ، وجعلت الاحتمال للوجه ، علةَ الانحذاف في محتمله، سواء أكان ذلك الوجه بنية أم صوتاً .

ثم سلكت من مسالك التعليل ، السبْرَ والتقسيم ، للحاجة إليهما في التقديم والتقويم ، ولأنهما ألصق بالباب من سائرها ، ثمَّ لأنَّ هذا الباب يرد عليه من الوجوه المحتملة ، ما لا يعلم قدره إلا الذي كابده .

وكذلك نحصي الاحتمال ، ولا نغفل عما يرد على ذلك الاحتمال ، ثم نسبُره، لندخله في عموم المراد ، أو نخرجه ليصفوَ الحكم من التداخل ، مستدلين بما قوى عندنا وجوداً ووجوباً ، أو مستأنسين بما قد يكون فيه وجْهٌ من وجْهٍ .

فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده .



ما حذف ألفه لاحتمال قراءة شاذة

﴿ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾

هذه الكلمة مما حذفَ منه الألف اختصاراً ، كما نص عليه في المقنع[1] ، تحديثاً عن أحمد بن عمر ... عن نافع بن أبي نعيم قال : الألف غير مكتوبة يعني في المصاحف في قوله في البقرة: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [البقرة :٥٥].

قلت : وكذلك رسمتْ في مصحف الجزري ، والخزانة ، والخلاصة [2].

لم تذكر المصادر علَّة حذف الألف منها إلا علة الاختصار كما هو مقرر عند أهل الفن ، وهي علَّة عامة في النظائر ، لا تنفذ إلى تبين علل الأجزاء ، مع إمكان البحث عن علل قد تكون مسوغةَ الحذف ، وهذا بيان ذلك :

قرئت هذه الكلمة في الشاذ حيث وقعت على صورة رسمها في المصاحف ﴿ الصعْقة ﴾ بحذف الألف بعد الصاد ، وإسكان العين على المصدر ، وهي قراءة ابن محيصن اتفاقاً في جميع القرآن ، إلا الذاريات ؛ فقد اختلف عنه في حرفها كقراءة الجمهور ، عدا الكسائي ، فبعكس ذلك كما رُوي عن ابن مُحَيْصِن في غيرها، بخلفه فيها ، رويت عن عمر ، وعلي ، وعثمان ، رضي الله عنهم [3].

وقرأ الباقون بإثبات الألف بعد الصَّاد ،وكسر العين ، على صيغة اسم الفاعل.

فرسْمها بالحذف فيه إشارة إلى الاحتمال القرائي كما مرَّ ، ولو رسمت بالإثبات لما احتملت الخلف الذي لا يسع أحداً إنكاره ، ولو كان شاذاً لاحتمال الصحة فيه.

---

(١) ص ١٠ .

(٢) نثر المرجان جـ ٤٤/٧ .

(٣) انظر الكامل ١٦٢ ب ، قراءات البحر ٢٧/١ ، الكشاف ٢١٧/١ ، المحرر ٣٠٢/١ ، الإتحاف ١٣٧ ، إيضاح الرموز ٢٧١ .

﴿ ٱلۡمَسَـٰجِدَ ﴾

وقعت في القرآن ستَّ مرات ، الأولى ، والثانية ، في البقرة :

﴿ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ [البقـــرة : ١١٤] ، ﴿ وَأَنتُمۡ عَـٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَـٰجِدِۗ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

والثالثة ، والرابعة ، في التوبة :

﴿ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة :١٧]، ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٨] .

والخامسة في الحج:﴿ وَمَسَـٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ ﴾ [الحج: ٤٠] .

والسادسة في الجن : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن :١٨] .

و لم يذكر السخاوي [١] إلا خمسة مواضع هنا ، وقد ذكر حرف التوبة الأول وهو : ﴿ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ ، عند قول الشاطبي في العقيلة :

.... مســـاجد الله الأولى نافع أثرا [٢]

قلت : اتفقت المصاحف على رسم هذا الحرف بحذف الألف بعـــد الـــسين حيث وقع ، وكيف وقع ، ولا يضر قول السخاوي[٣]: و لم يذكر أبو عمرو ذلك في المقنع ، إلا ما ذكره عن نافع في : ﴿ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الأولى في التوبة .

---

(١) الوسيلة (٢٦٦) .

(٢) نفسه (١٥٥) .

(٣) نفسه (٢٦٧) .

فقد ذكره فيما حذفت منه الألف بعد السين قال[١]: وكذلك حذفوها بعد السين في قوله : ﴿ **ٱلْمَسَٰجِدَ** ﴾ و ﴿ **مَسَٰجِدَ** ﴾ حيث وقعا ، فانتفى ما ذكره السخاوي .

وقال الأركاتي[٢]:... يحذف الألف بعد السين بالاتفاق كما نصَّ عليه الداني وغيره .

وعلَّة الحذف هي كما يلي :

قرأ الحرف الثاني في البقرة : ﴿ **وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ** ﴾ بالتوحيد على صورة الرسم : الأعمش ، والشعبي ، وأبو العالية ، ومجاهد ، وأبو عمرو أراد الأعمش بذلك : المسجد الحرام .

قال الهذلي : وعلى قول الأعمش : يوذن أنَّ الاعتكاف مختص بالمسجد الحرام...[٣].

ومثله عن أبي عمرو قال : خصّ به بيت الله الحرام .

قلت : وصحَّة الاعتكاف في غير المسجد الحرام ، توذن بأنَّ القراءة على التوحيد هنا يراد بها (الجنس) وهو عام فيما يقع عليه كما تعلم ، يدلّك على ذلك قراءة الجمهور بالجمع .

وأما الحرف الأول في التوبة : ﴿ **أن يعمروا مسجد الله** ﴾ فقد قرأه بالحذف على التوحيد :

---

(١) المقنع (١١-١٨) .

(٢) نثر المرجان ٥٤٠/٧ .

(٣) الكامل : ١٦٨/ب ، إيضاح الرموز ٢٩٥ ، المحرر ١٣٠/٢ ، المختصر ١٢ ، قراءات البحر ٦٠/١ .

ابن كثير وأبو عمرو من السبعة قال في الطيِّبة :

(.........مســـجد "حق" الاولَ ....)

قيَّده بقوله : الاول ، متَّبعاً في ذلك الإمام الشاطبي إذ قال :

(.........ووحد "حق" مســـجد الله الاوَّلا)

ومن الشاذ : ابن محيصن ، والجحدري .

قال الهذلي[1]: ﴿ **مســـجد الله** ﴾ الأول بغير ألف : مكي غـــير بـــن مقـــسم ، وبصري غير أيوب ، زاد حماد بن سلمة عن ابن كثير ، والجعفي ، وخارجة، ومحبوب عن أبي عمرو ، والمِنقَري عن عبد الوارث ، والزعفراني ، وابن محيصن .

أما الموضع الثاني من التوبة : ﴿ **إنما يعمر مســـجد الله** ﴾ فقد قـــرأه بالتوحيـــد: حمَّاد بن أبي سلمة عن ابن كثير ، والجحدري ، وابن محيصن ، وقتادة ، ومجاهد، وأبو البرهسم ، وغيرهم[2].

وأما الحرف الأول في البقرة ، وحرف الحج ، وحرف الجن ، فاتَّفقوا على قراءها بالجمع ، على غير صورة الرسم .

وعلل ذلك بالاختصار حيث وقعن عند الداني [3]، وبتقييد ما ليس فيه خلـــف عند السخاوي [4] قال :

وأما فيما سوى ذلك ؛ فقد تيقنّا أنَّ الألف حذفت منه اختصاراً .

قلت : أما الأحرف التي دار فيها الخلف القرائي ، بين التواتر والـــشذوذ ،فإنمـــا رسمت على احتمال ذلك محذوفةَ الألف ، وجُعل فوق الكلمة بين السين والجـــيم

---

(١) الكامل ١٩٨/أ ، المحرر ٤٣٥/٦ .

(٢) الكامل ١٩٨/أ ، المحرر ٤٣٥/٦ ، قراءات البحر ٢٥٠/١ ، الوسيلة ٢٦٧ .

(٣) المقنع ١١-١٨ .

(٤) الوسيلة ٢٦٧ .

ألف صغيرة " تسمى ألف الإشارة " أو " حذفة " ليشار بها إلى القراءة بالمد على الجمع ، وأنَّ الألف محذوفة هنا على قراءة التوحيد .

أما الأحرف التي لم يرد فيها خلف فرشي فهي بين علتين :

أولى العلتين :

أنهم حملوا ما ليس فيه خلف على ما فيه خلف رسماً ، لينساق الرسم على نظام واحد طرداً للباب . وهو من باب حمل النظير على النظير رسماً ، وأنَّ ما غير رسمه لأجل الخلف ، أَنِس به ما ليس فيه خلف ، لأنَّ التغيير يأنس بالتغيير ، ولا احتمال أنَّ فيه خلفاً لم تصل إليه يد البحث .

أخراهما :

أنَّ الحرف الآخر الذي في البقرة ، مما أماله قتيبة [1] عن الكسائي ، فرسم على احتمال صوت الإمالة أيضاً . وأن سائر الأحرف داخلة ، وإنما وقع التمثيل بالجزء على الكل .

وقد نلمس دليلاً على هذا من تقييد المالكي [2] الحرفَ بموضع الخفض، أنَّ غيره لم يقيد ، والدليل عليه أنَّ الهذلي ذكره في الإمالة بغير تقييد .

قال : (..... والمساجد)

ولو أراد تقييده لفعل كما فعل بما قبله ، قال : (....نسائكم) ، والنساء في موضع الخفض ، ثم عطف بقوله : والمساجد . ولم يقيده .

وإذا قلت : إنه قد قيده بالمحلى"بأل" دون غيره .

قلت : يَرِدُ عليك حرف الجن ، فهو محلى" بأل" غير مخفوض ، فلو رام ذلك لما وسعه الإطلاق . وبالله التوفيق .

---

(١) الكامل ٨٧/أ .

(٢) الروضة ١٣٥ .

﴿ ضِعَـٰفًا ﴾

ورد حذف حرف الألف بعد العين من هذا الحرف كما نصَّ عليه في المقنع[١]، وتبعه على ذلك الشاطبيُّ في العقيلة :

(......... ضعافاً .... حصراً [٢])

وقال الخراز [٣]:

(والحذف في المقنع في ضعافاً.....)

وعلَّة الحذف عندهم الاختصار ، على عادتهم في ذلك .

فقد أورده الداني في ذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً [٤].

وإلى مثله أشار السَّخاوي .

قال: فحذف الألف فيه (أي ما ذكر في البيت) تخفيف [٥].

قلت : ولا فرق ، إذ التخفيف اختصار ، ويختصر للتخفيف . فكأن العلة هيَ هيَ ، وإنما ينوع اللفظ فقط .

والحق أنَّ العلة إن كانت فإنما تكون لشيئين غير ما ذكر .

أولهما : قرأ ابن محيْصِن[٦] بخلف عنه ﴿ **ضُعُفاً** ﴾ بضمِّ الضاد والعين والقصر وتنوين الفاء على صورة رسمها ، جمع ضعيف ، كرغيف فمما تجمع عليه " رُغُفٌ" بضمتين .

---

(١) المقنع : ١٥-١١.

(٢) الوسيلة : ١٢١.

(٣) الدليل في المورد ص ٧٣.

(٤) المقنع : ١٥.

(٥) الوسيلة : ١٢٠.

(٦) المبهج : أ/١٦١من الإيضاح ٣٣٩، المحرر٣/ ٥٠٦، قراءات البحْر ١٣١/١ .

قال لقيط بن زرارة[١]:

إن الشـــواءَ والنشـــيلَ والرُّغُف

والقينةَ الحســـناءَ والروضَ الأُنف

فرسمها بالحذف يحتمل هذه القراءة بالصورة ، ويحتمل قراءة الجمهور بالإشارة التي هي فوقٌ بين العين والفاء ، وهي ألف بقدر ثلثها في غير هذا .

آخرهما : أنَّ حمزة اختلف عنه في إمالته . فروى خلف عن سليم عنه إمالتـــه فتحةِ العين والألفِ بعدها ، وكذلك روى محمَّد بن واصل ، عن ابـــن ســـعدان ، ومحمد بن الجهم ، والحلواني عن خلف ، وأبو هاشم الرفاعي ، كلهم عن سليم ، ونص ترجمتهم عنه بكسر العين والألف .

وقال ابن الجهم : لم نروها بالكسر عن غير خلف .

واختلف أصحاب أبي عمرَ الدوري في ذلك . فحدثنا ابن خواســـتي ، قـــال: حدثنا أبو طاهر ، قال: حدثنا ابن فرح ، قال : حدثنا أبو عمر ، عن سليم ، عـــن حمزة : ﴿ **ضعافاً** ﴾ مكسورة العين[٢] .

قلت : فعلة من أمال ، أن الضاد وقعت مكسورة والكسرة – قبلُ أو بعـــدُ – جالبةٌ للإمالة ، فأميلت فتحة العين بعدها ، ولزم على ذلك إمالة ألفها ، ولابدَّ لأنها مطل حركتها ، تخفيفاً ، وإرسالاً للسان بها من جهة واحدة ، وهـــذا دأبهـــم في مثلها.

فلما اجتمع على الكلمة علَّتان للحذف ؛ علة لغوية ، وعلة صوتية ، تقـــوَّى بهما مطلب الحذف ، لأنَّ علل بناء الكلمات إنما يكون على الكثرة غالباً .

---

(١) الصحاح- الأساس- التاج- رغف .

(٢) الموضّح ٨٢-٨٣-٨٤، النشر ١/ ٦٣ .

فإن قال قائل : إنَّ للحرْف قراءاتٍ أخرى ، مثل : ﴿ **ضعفاء** ﴾ [١]مهموزة، و ﴿ **ضعافى** ﴾ [٢].

قلت : إنَّ الإمالة جارية في الأخيرة كجريها فيما سبق .

وأما ﴿ **ضعفاء** ﴾ فإنَّ رسَمها يحمله رسُمها بغير همز في المتواتر ، مع اختلاف الحركات التي تؤدي معنى الجمع في كلها .

وأما ما يشكل من همزها فإن الهمز لا صورة له ، بدليل أنه قد يلغى إذا صوِّر لأنه متطرِّف ،ويسهل ولا صورة لتسهيله متطرفاً ، وقد استدل عليه في الرسم بالقطعة .

مؤدى هذا : أنَّ الهمزة هنا يجوز إبدالها حرفاً من جنس حركة ما قبلها ، وما قبلها هي الألف .

الألف ساكنة ، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ،فاعتبر ما قبل الألف لا ما قبل الهمز ، لأنها ألف ،ولا ضير ،لأنهما – أي الألف مع فتحة ما قبلها – كالشيء الواحد ، إذ لا تتصور الألف إلا مفتوحاً ما قبلها . وحركة ما قبلها الفتحة ولابدَّ ، ومن صورتها الألف فاجتمع ألفان . فيجوز حذف إحداهما تخلُّصاً من اجتماعهما في كلمة ، ويجوز إقرارهما لعدم امتناع الجمع في الوقف . وعلى تقدير حذف إحداهما، يقدر المد طولاً وقصراً ، ولا نريد ذلك هنا . لئلا نخرج بالمتتبع إلى ما لا يُؤم ، وكذلك تسّهل مع الرَّوم ، إشعاراً ببعض حركتها .

كل هذا لأنه طرف ، والأطراف محلّ التغيير .

وعلى الله قصد السبيل ، فحسن رسمها بالحذف لأجل ما ذكر .

---

(١) أبو عبد الرحمن وأبو حيوة والزهري وابن محيصن وعائشة– المحرر ٣/ ٥٠٦.

(٢) قراءات البحر : ١٣١/١.

﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾

نُصَّ على حذف الألف التي بين الكاف والراء من هذا الحرف حيث وقع، وجملة ذلك : حرف النساء : ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء : ٤٣].

وحرفا الحج : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾[الحج: ٢]، ثلاثة مواضع .

اتفق الشيخان على حرفي الحج ، وتفرد أبو داود بحرف النساء .

ذيل بهما – أعني حرفي الحج – الداني باب ما روى عبد الله بن عيسى عن قالون عن نافع من الحذف مما لم يروه عنه ، وإنما رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي عنه (أعني قالون) زيادة على ما رواه عبد الله بن عيسى عنه.

قال [(١)]: ....وفي الحج : ﴿ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ .

وفي العقيلة [(٢)]: هو هو : قال :

.... سكارى نافع كثرا .

قال أبو عمرو [(٣)]: ورأيت رسم عامة الحروف المذكورة في مصاحف أهل العراق ، على نحو ما رويناه عن مصاحف أهل المدينة .

ورآه كذلك السخاوي [(٤)] في المصحف الشامي بغير ألف .

قال الخرَّاز :

---

(١) المقنع ١٤ .

(٢) الوسيلة ٢٣٩ .

(٣) المقنع ١٤-١٥ .

(٤) الوسيلة ٢٣٩ .

(...... وعنهما في الحج جاء الحرفان)[١].

يعني بالضمير هنا : الشيخين على ما فصَّلناه قبل .

وحرف النساء ، تفرَّد بنقل الحذف فيه التتزيل[٢]، ففي المورد :

(واحذف سكارى عنه...)[٣].

والضمير راجع إلى البيت قبله : (.... إلى نجاح) .

وهو أبو أبي داود سليمان ، والمقصود هو ، وإنما اضطره الوزن إلى هذا الاقتصار على ذكر الوالد بلا ولد .

قال[٤]: والعمل عندنا على الحذف في ﴿ **سُكَٰرَىٰ** ﴾ بالمواضع الثلاثة .

وأما علة حرفي الحج : ﴿**سَكْرى**﴾ بفتح السين وإسكان الكاف ، فالحذف فيهما إشارة إلى قراءة حمزة والكسائي وخلف في العشر .

قال في الطيبة : (سَكْرى معا شفا) .

وفي الشاذ : رواية عمران بن حصين ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قراءة عبد الله بن مسعود ، وحذيفة ، وأصحاب عبد الله ، وكذلك الأعمش ، وابن سعدان ، ومسعود بن صالح ، وحكى المهدوي عزوها إلى الحسن كما في المحرر[٥].

وهي جمع سكران عند سيبويه[٦] قال :

---

(١) المورد في الدليل٨٣ .

(٢) مختصر التتزيل ٤٠٢/٢ .

(٣) المورد ٨٤ .

(٤) الكامل ٢٢٠/أ و ب ، المحرر ٢٢٤/١٠ ، قراءات البحر ٤٣٥/٢ .

(٥) الكتاب ٦٤٩/٣.

(٦) المحتسب ٧٢/٢ .

وقد قالوا : رجل سكران ، وقوم سَكْرى ، وذلك لأنهم جعلوه كالمرضى ، وقالوا : رجال رَوبَى ، جعلوه بمنزلة سَكرى .

والرَّوْبى : الذين استثقلوا نوماً ، فشبهوه بالسكران .

قال أبو علي[1] : ويصح أن يكون سَكْرَى جمع سَكِر كـ: زَمْنى وزمِن .

وقد حكى سيبويه [2]: رجل سَكِر بمعنى : سكران ، فيجيء: سكرى حينئذ لتأنيث الجمع .

قال بشر : (فأما تميم تميم بن مرٍّ فألفاهم القوم رَوَبى نِياما)

وبضم السين وسكون الكاف ﴿ **سُكْرى** ﴾ في الشاذ أيضاً : عن الحسن ، والأعرج ، وأبي زرعة ، وابن جبير ، والأعمش .

قال أبو الفتح [3]: ورُوِّينا عن أبي زرعة أنه قرأها أيضاً : ﴿ **سُكرى** ﴾ بضم السين، والكاف ساكنة .

كما رواه ابن مجاهد عن الحسن ، والأعرج وهو اسم مفرد ، على"فُعلى" كـ : (الحبلى) ، و (البشرى) .

وعليه فالحذف في هذين الحرفين إشارة إلى قراءتي القصر مع ضم السين وفتحها كما فصِّل ، والله أعلم .

أما الحرف الذي في النساء : فلم يخالف فيه بين العشرة .

وقد قرأه في الشاذ [4] الأعمش في رواية جرير والمطوعي ﴿ سُكْرى ﴾ بضم السين وسكون الكاف ، على مثال فعلى كما تقدَّم .

---

(١) انظر الحجة ٢٦٦/٥ .

(٢) الكتاب ٦٤٩/٣ .

(٣) المحتسب ٧٢/٢ .

(٤) نفسه ١٨٨/١ ، الكامل ١٦٩/ب ، المحرر ٧١/٤ .

وقرأه إبراهيم النخعي : ﴿**سَكرى**﴾ بفتح السين وقد تقدَّم تعليل نظيره في سورة الحج .

وعليه فلا نقول إنَّ الحذف في حرف النساء أجري على نمط نَظِيرَيْه في سورة الحج ، وإنما حذف استقلالاً بما يحمل رسمه من إشارة إلى ما فيه من القراءات على ما فصِّل ، وما أغنى بناء الرسم ، بخفي العلم والوسم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

﴿ إِنَـٰثًا ﴾

اتفق الشيخان على حذف الألف من هذا الحرف الذي في سورة النساء ، دون غيره عند أبي داود . حكاه الخرَّاز محترزاً بإلاَّ :

قال [1]: (إلا إناثاً.........) .

يعني : ﴿ **إِلَّآ إِنَـٰثًا** ﴾ في سورة النساء .

وعلة حذف الألف الذي بين النون والثاء . أنه إشارة إلى قراءة [2] ابن عباس وأبي حيوة ، والحسن ، وعطاء ، وأبي العالية ، وأبي نهيك، ومعاذ القارئ "إلا أُنُثاً" بضم الهمزة والثاء مع القصر .

قال ابن جني [3] : فينبغي أن يكون جمعَ أَنِيث ، كقولهم : سيف أَنِيث الحديد، وكغدير وغُدُر .

وحكى الطبري ، أنه جمع إناث ، كثمار وثُمر .

(١) الدليل : ٧٦.

(٢) المحرر ٢٢٩/٤، قراءات البحر ١٥٠/١.

(٣) المحتسب ١٩٩/١.

وعن ابن عباس أيضاً ﴿ **أُنْثا** ﴾ بضم فسكون .

وهاتان القراءتان على صورة الرسم ، فلو رسمت بإثبات الألف لما احتملت هذا. ولا يَرِدُ عليها روايةُ عائشة رضي الله عنها " أُثُناً " بثاء مضمومة قبل النون ، (جمع : وثن)، وأصله: وُثُن .

أبدلت الواو همزة لانضمامها ضماً لازماً ، كما أبدلت في : أجوه ،(وجوه)، وأقتت ، (وقتت) . وكذلك القراءة التي بُلِّغَها سيبويه [(١)]: "وُثْن" .

وعند ابن جني[(٢)]: أُثْنا ، كذا نسبه إلى سيبويه .

ولا ضير ؛ فالتعاقب بين الواو والهمز في هذا وارد كما ذكرنا .

على كل حال : فهذه القراءة التي قدمت فيها الثاء على النون ، ليست منفكَّة عن المرسوم،لأنه قبل النقط يسع الصورةَ تعاقبُ النون والثاء على التقديم والتأخير . وهذا باب واسع .

و لم يقع الاتفاق على غير هذا الحرف ، لتوارد الخلف فيه كما رأيت .

وسائر الأحرف لم ينقل فيها خلاف قرائيّ فيما بلغته أيدينا ، ولكن يمكن أن يقال :

فرق بين هذا الحرف الذي في النساء ، وسائر الأحرف أن الذي في النساء لا يشبه غيره ، لأنَّ المراد هنا : عَلَمٌ على صنم لحي من العرب كانت معبودَهم ، وتسمى : أُنثى بني فلان .

يَعَضُدُ هذا ، القراءةُ الصحيحة : ﴿ **أوثاناً** ﴾، والشاذ أيضاً :﴿ **أثنا** ﴾ وعمم ذلك فشمل كلَّ ما ليس فيه روح، من حجر،وخشب، فانمازت لما ذكر. والله أعلم .

---

(١) الكتاب ٥٧١/٣.

(٢) المحتسب ١٩٩/١.

﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ ﴾ - ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾

وقع الخلف في رسم هذه الكلمة بين المصاحف ، ففي بعضها بإثبات الألـــف ، وفي بعضها بحذف الألف .

قال أبو عمرو[1] : أخبرني الخاقاني ، قال : حدثنا الأصبهاني : قـــال: حـــدثنا الكسائي عن ابن الصباح، قال : قال محمد بن عيسى عن نصير :

وهذا ما اختلف فيه أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل المدينة ، وأهل مدينـــة السلام ، وأهل الشام ، في كتاب المصاحف .

قال : وفي الأنعام في بعض المصاحف : ﴿ **فَالِقُ ٱلْحَبِّ** ﴾ بالألف ، وفي بعضها: ﴿ **فلق** ﴾ بغير ألف [2]...

وقال في العقيلة [3]: (وفالق الحَبِّ عن خُلف) .

وقيدها بـــ ﴿ **ٱلْحَبِّ** ﴾ احترازاً من : ﴿ **فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ** ﴾ ، كما قيَّدها صـــاحب المورد بـــ : (الأولى) .

قال : [4] (........وأولى فالق) .

احترازاً من الثانية .

وبـــ ﴿ **الحَبِّ** ﴾ قيَّدها الداني .

ولأنَّ الخلف في الثانية، اختص به أبو داود وهو صريح قول الخرَّاز [5]:

---

(١) المقنع ٩٢.

(٢) المقنع ٩٣.

(٣) الوسيلة ١٣٩.

(٤) الدليل ٨٢ .

(٥) الدليل ٨٣ .

(وجاء خلف فالق الإصباح عن الذي يعزى إلى نجاح)

وعليه فالاختيار عند المغاربة في ذلك ، الحذفُ في : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ ، والإثبات في : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ ،وعليه جرى عملهم،كما صرَّح بذلك المارغني في الدليل .

قال [١]: وبالحذف ...وفي ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ جرى عملُنا .

وعلَّة الحذف في الأولى : احتمالها قراءة النخعي ، وابن خثيم ، والمطوعي ، وابن قيس ، والأعمش ، وعبدالله [٢]. (فَلَق الحبَّ) بفتح الفاء واللام والقاف ، وحذف الألف : فعل ماض والحب مفعول به منصوب بـ" فَلَقَ " .

قال السخاوي[٣]: ويحتمل أن يكون الكاتب قصدها بالرسم ، إن كانت من الأحرف السبعة المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فحذف الألف من ﴿ فَالِقُ ﴾ تخفيف واختصار .

والنحويون لا يستحسنون الحذف من اسم الفاعل إلا إذا سُمّي به نحو : " عامر ، وصالح " فإنهم يحذفون ألفه فرقاً بينه إذا كان اسماً ، وإذا كان فعلاً .

وعلة الحذف في الثانية ، على خلاف في ذلك عند أبي داود أيضاً : قراءة إبراهيم النخعي ، والحسن في رواية عباد ، وأبو حيوة ، ويحيى بن وثاب[٤]:

---

(١) الدليل ٨٢ .

(٢) قراءات البحر : ١٩٢/١، مختصر في شواذ القرآن: ٤٤، إيضاح الرموز ٣٧٩، الإتحاف ٢١٣.

(٣) الوسيلة ص١٤٠، قراءات البحر ١٩٢/١، الكامل أ/١٩٠، المحرر ٥/ ٢٩٥.

(٤) قراءات البحر ١٩٢/١، الكامل أ/١٩٠، المحرر ٥/ ٢٩٥.

﴿ فَالَقَ الإصْباحَ ﴾ بفتح الفاء ، واللام ، والقاف ، فعل ماض ، نصب به الإصباح بعده على ما تقدَّم في نظيره .

ولا يضرّ عدم ذكر الداني والشاطبي لها ، فلربما لم يصح عندهما فيها شيء .

وذكْر أبي داود لها يوذن بما فيها من الخلاف، وقد وثق بما ذكرنا فيها من الخلف القرائي، ولو علم لكان مجوزاً، ورافعاً للخلاف، على أن صاحب المبهج، قال : تقتضي رواية المطوعي أن يقرأ كذلك .

و لم أره منصوصاً ، والإشارة إليه تجعل فيه وجهين [١].

قلت : وهذا الذي حصل بالوقوف على الخلف القرائي في ذلك ، ويعلل حذفها في بعض المصاحف بالإشارة إلى هذا الوجه الذي لم يقف عليه صاحب المبهج ، ولو وقف عليه لابتهج به مبهجُه . ولنُضِّر به وجهُه .

﴿ وَجَٰوَزۡنَا ﴾

جاء حذف ألف هذا الحرف في الموضعين : الأول في سورة الأعراف ، ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، ومثله في سورة يونس .

عن أبي داود قال الخزَّار [٢] : (غضبان جاوزنا وفي صلصال)

عَوْد حذفه عن أبي داود إلى ثالث بيت قبل هذا : (وعن أبي داود في الأشهاد).

ثم واصل العطف ليشمل : جاوزنا .

وقال ابن عطية : كتب في بعض المصاحف بغير ألف [٣].

(١) إيضاح الرموز ٣٧٩ .

(٢) ٨٩- ٩١.

(٣) المحرر ٧/٢١٠.

قلت : قرأ الحرف الذي في الأعراف : الحسن بن أبي الحسن ، وإبراهيم النخعي ، وأبو رجاء ، ويعقوب [(١)].

وحرف "يونس" الحسن بن أبي الحسن [(٢)]: ﴿وجَوَّزْنا﴾ بشدِّ الواو ، وطرح الألف على صورة رسمها .

على " فَعَّل " الذي يجيء بمعنى "فَعَلَ" المجرد مثل :قَدَّر وقَدَر ، وليس التضعيف للتعديه ، من أجاز المكان ، وجاوزه وجَوَّزَه : قطعه .

قال الدمياطي [(٣)]: من " فَعَّلَ " المرادف لفاعل .

فالحذف فيه إشارة إلى هذه القراءة ، والحذفة إشارة إلى قراءة الجماعة .

﴿ نَفَقَتُهُمْ ﴾

هذا الحرف مما حذفت منه الألف بين القاف والتاء ، وهو مقيس في حذفه هذا على الملحق بجمع المؤنث، المتّفق على حذف ألفه ،كـ : ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ، و ﴿ ٱلْغُرُفَٰتِ ﴾.

وعلة حذف ألف هذا ونظائره عند أبي عمرو: الاختصار. نصَّ على ذلك في المقنع [(٤)].

قلت : قرأ المطوعي عن الأعمش ، وزيد بن علي ، على خلف بينهم ، والأعرج بخلف عنه [(٥)] ﴿ نفقَتَهم ﴾ بالفتح وبالقصر ، وحميد ، وطلحة :

(١) المحرر ٦/٥٨- قراءات البحر ١/٢٢٣.

(٢) المحرر ٧/٢١٠، قراءات البحر ١/٢٨١، الإيضاح ٤٤١، منتهى الأماني والمسرات ٢٥٤.

(٣) منتهى الأماني والمسرات ٦٥٤.

(٤) المقنع ٢٢.

(٥) المحرر ٦/ ٥٢٤، الكامل ب/١٩٨ .

﴿ نَفَقَتُهم ﴾[(١)] بالضم والقصر أيضاً على صورة الرسم ، سواء في ذلك نصب التاء ورفعها ، إذ لا يغير صورة الرسم شيئاً لاحتماله إياه .

فمن نصَب التاء فإنما نصب على المفعولية ، والفاعل ضمير مستتر يعود على المتقبل سبحانه ، على بناء الفعل : نقبْل للفاعل لغة ، أو نِقبل بكسر حرف المضارعة قراءة المطوعي ، لغة في حرف المضارعة ، بشرط أن لا يكون ياء ، للثقل وأن يكون مفتوح العين فيه ، مكسورها في ماضيه ثلاثياً. أو زاد على الثلاثة مبتدَءاً بهمزة وصل .

ومن رفع فعلى أنها نائب الفاعل ، على بناء الفعل : ﴿ **تُقْبَلَ** ﴾ للمفعول .

فحذف الألف في هذا الحرف للإشارة إلى هذا الخلف القرائي ، إذ لو رسم بإثبات الألف لما اعتقد فيه الخلف . والله تعالى أعلم .

﴿ تُسَـٰقِطْ ﴾

رسمت هذه الكلمة محذوفَة الألف بين السين والقاف ، نصَّ على ذلك أبو عمرو[(٢)] روايةً مسندةً إلى نافع بن أبي نعيم القارئ .

وكذلك ابن نجاح قال [(٣)]:

وكتبوا : ﴿ **تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم: ٢٥]، بحذف الألف بين السين والقاف ، ورُوِّينا ذلك عن نافع بن أبي نعيم المدني رحمه الله عن مصاحف أهل المدينة .

---

(١) قراءات البحر ٣٥٦/١، الكامل ب/١٩٨.

(٢) المقنع ١٢ .

(٣) المختصر ٨٣٠/٤ .

وفي العقيلة [١]: (.... نافع تساقط اختصرا)

وأورد السخاوي[٢] روايةَ أبي عمرو بسنده إلى نافع ، بغير ألف بين السين والقاف فيها .

وقال الخرَّاز [٣]: (ساقط احذف ...)

يشير إلى الاتفاق الحاصل بعموم نقل الحذف في هذا الحرف .

والعلة في هذا الحذف تظهر بعد تتبع الأوجه القرائية في الحرف ، فقد قرأ أبو حيوة ومسروق : ﴿ يُسقِط ﴾ بضم الياء، و ﴿ تُسقط ﴾ بضم التاء من أسقط، وعن أبي حيوة أيضاً : ﴿ يَسقُط ﴾ بفتح الياء وضم القاف ، و﴿ تَسقُط ﴾ بفتح التاء وضم القاف [٤].

فهذه الأوجه كلها بالحذف على صورة رسمها ، فالحذف يشير إلى هذه الأوجه القرائية ، والحذفةُ تشير إلى قراءة الإثبات وهي : (تسَّاقط ، ويسَّاقط ، تسَاقط ، تتساقط).

فلو رسمت بالإثبات ، لم تحتمل وجه الحذف والإسقاط .

قال السَّخاوي : فلعله قُصد بالرسم [٥].

يريد وجه الحذف ، إذ الرسم عليه وبه .

---

(١) الوسيلة ١٨٣ .

(٢) الوسيلة ١٨٤ .

(٣) المورد مع الدليل ٩٨ .

(٤) الكامل ٢١٦، قراءات البحر ٣٩٤/١- ٤٩٥، المحرر ٤٥٤/٩ .

(٥) الوسيلة ١٨٤ .

﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾

اختلف في رسم هذه الكلمة ؛ فاتَّفق أبو عمرو وابن نجاح على حذف الألف بعد السين ، في حرف الأنبياء ، وقيَّدها في المقنع [١] بـــ: ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وفي سائرها الحذف عن ابن نجاح في التتريل .

تبع الشاطبيُّ الداني في عقيلته : (يسارعون جذاذاً عنه .....)

قال السخاوي : قوله : عنه ، يعني عن نافع ، قال قـــالون فيمـــا رواه عنـــه: ﴿ يسارعون في الخيرات ﴾ في الأنبياء بغير ألف بعد السين [٢].

وتبع الخرَّاز ابن نجاح في دليله : قال :

......والأنبيا فيها يسارعون أيضاً رويـــا

......في التتريل مـــحذوفةٌ من غير ما تفصيل

قال المارغني : ..... ومن غير تفرقة بين : ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ المتقدِّم في الأنبيـــاء ، وبين غيره وهو ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ الواقع في غير الأنبياء .....والعمل عندنا على ما لأبي داود من الحذف في الألفاظ .... من غير تفصيل [٣].

وعليه فالحذف جار في الحرف من غير تفصيل .

جرى خلف قرائي في هذا الحرف على ما يأتي بيانه :

قرأ الحر بن عبد الرحمن النحوي ، وطلحة : ﴿ يُسْرِعون﴾على صورة المرســـوم بسين ساكنة .

---

(١) المقنع (١٢) .

(٢) الوسيلة (١٨٥) .

(٣) الدليل (٧٧-٧٨) .

قال ابن جني [١]: ومن ذلك قراءة الحـــرّ النحـــوي"يُـــسْرِعون" في كـــل القرآن.وعممها أيضا ابن عطية [٢] تبعاً لسالفه .

قال: وقرأ الحرّ النحوي ﴿ يُسْرعون ﴾ في كل القرآن .

فعلة الحذف احتمال قراءة : ﴿ يُسْرعون ﴾ بإسْكان السين مـــن أســـرع : إذا كلَّف نفسه السرعة، غيرُ متعدٍّ.

فلو رسمت على قراءة الجماعة : ﴿ يُسَرِعُونَ ﴾ بإثبات الألف بعد السين من سارع: إذا سابق – فهو يقتضي المشاركة المفهومة من قراءة الجماعة – لم تحتمل قراءة الحذف .

وفيه علة ثالثة : وهي قراءتها بالإمالة الكبرى لدوري الكـــسائي ، فالحـــذف — أيضاً – إشارة إلى صوت الإمالة . فعلى هذا وذاك عزّ داعي الحذف في الحرف.

﴿ سَـٰمِرًا ﴾

اتفق الشيخان على نقل الحذف في هذا الحرف بين السين والميم ، حيـــث نـــصَّ عليه أبو عمرو فيما رواه بسنده إلى نافع [٣] .

وقال ابن نجاح [٤]: وفيه من الهجاء (سمراً) من غير ألف .

قال الخراز [٥]: (تساقط احذف سامراً) .

---

(١) المحتسب ١٧٧/١، قراءات البحر ١٢٢/١ .

(٢) المحرر ٤٢٩/٤ .

(٣) المقنع ١٢ .

(٤) المختصر ٨٩٣/٤ .

(٥) الدليل ٩٨ .

وفي الدليل : وأما سامراً ، ففي : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾، و ﴿ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ، لا غير.

قلت : وعلة الحذف ، الإشارة إلى قراءة ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي حيوة، وابن محيصن ، وعكرمة ، والزعفراني ، ومحجوب عن أبي عمرو : ﴿سُمَّراً﴾ [(١)] بضم السين وتشديد الميم مفتوحة . جمع سامر ، وسامر مفرد بمعنى الجمع ، كالباقر والجامل . يقال قوم سَمْرٌ ، وسُمَّر ، وسَامر ، والسامر القوم يسمرون ، مأخوذ من السَّمَر ، وهو ما يقع بين الأشخاص ليلاً على ضوء القمر ، وكانت عادةَ العرب .

قال ذو الرّمُة :

(وكم عرَّست بعد السُّرى من مُعَرَّس به من عزيفِ الجن أصوات تسامِر)

فصورة رسمها ، على هذه القراءة كما اتَّضح ، وعمل قراءة الجمهور بالإشارة التي فوقها بين السين والميم فلَوْ رسمت ثابتة الألف لم تتحمل حذفها .

يشترط السَّخاوي صحة نقلها لتصح العلةُ بها، قال : فإن كان الصحابة أخذوا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلموا صحته ، فعليه كان الرسم، مع أنه يحتمل (سامراً) على تقدير حذف الألف ، وإلا فالحذف اختصار [(٢)].

قلت : انقطاع سند القراءة ، لا يعني عدَمَ ثبوتها ، وهذا لا يخفى على ذي بصر، فانقطاع السند ليس حائلاً بين أجزاء الواقع ، ثم هو غير مؤثر في وحي المرسوم ، إذ لم يشترط اشتراط التلاوة ، ونحن نقصد احتمال الرسم للقراءة من غير المتواتر ، لنستدلَّ بما بقي ، على ما خفيَ ، والله المستعان .

---

(١) الكامل ٢٢٢/أ ، المحتسب ٩٦/٢، قراءات البحر ٤٥٢/٢، المحرر ٣٨٠/١٠، الإيضاح ٥٤٧ .

(٢) الوسيلة ١٨٩ .

﴿ خِلَٰلِهِۦ ﴾

نصَّ أبو عمرو على حذف الألف من بين لامي هذا الحرف، وقيّده بسورة النور ، فيما رواه بسنده إلى نافع [١].

وأطلق القول فيها فيما حذفت منه الألف بعد اللام ، فيشمل حرف الروم[٢] .

وقال ابن نجاح [٣] : وفيه من الهجاء حذف الألف من .... و : من خلاله.

قلت : تعاقب على هذا الحرف علّتان للحذف :

الأولى : قرأ ابن مسعود [٤] ، وابن عباس ، والضحاك ، ومعاذ العنبري عن أبي عمرو ، والزعفراني : ﴿ خَلَلِه ﴾ في سورة النور .

وحرف الروم قرأه كذلك علي ، وابن عباس والضحاك والحسن بخلفه اسم جنس[٥]، مفرد ﴿ خِلَٰلُ ﴾، قراءة الجمهور : كجَبَل وجِبَال ، على صورة رسمها وتحمل قراءة الجمهور بالإشارة بالألف القصيرة بين لامي الكلمة .

الأخرى : قرأه قتيبة بالإمالة في الموضعين ، وداعي الإمالة الكسرة في الخاء قبل اللام ، وهي مجوِّزة لإمالة ما بعدها طلباً للتجانس ، كما هو معروف ، فتعاقب على الحرف داعيان للحذف ، الإشارة إلى القراءة ، والإمالة التي تطلب نقيض الألف فانحذف لذلك .

---

(١) المقنع ١٢ .

(٢) المقنع ١٨ .

(٣) المختصر ٩٠٧/٤ .

(٤) قراءات البحر ٤٦٥/٢، المحرر ٥٣٥/١٥ .

(٥) المحرر ٤٧٠/١١ و٣٠/١٠ .

﴿ طَٰٓئِرُهُمۡ ﴾

هذا الحرف حذف منه الألف بين الطاء والهمزة وهو في الأعراف وله نظيران:

في سورة النمل : ﴿ **قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ** ﴾ [النمل: ٤٧] .

وفي سورة يس : ﴿ **قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ** ﴾ [يس: ١٩] .

يلحق بهما حرف الإسراء: ﴿ **وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ** ﴾ [الإسراء : ١٣].

أما علة الحذف في حرف الأعراف ، فالإشارة إلى قراءة الحسن ، والأعمش ، والسختياني ، ومورق ، وأبو مجلز ، وابن فائد ، وغيرهم : ﴿طَيْرُكُم ﴾ بغير ألف، جمع طائر ، عزاه ابن جني [(١)] إلى أبي الحسن .

وفي قول صاحب الكتاب : اسم للجمع. بمنزلة الجامل والباقر ، غير مكسِّر .

قال: ورُوِّينا عن قطرب في كتابه الكبير ، أنَّ الطير قد تكون واحداً ، كما أنَّ ﴿ الطائر﴾ الذي يقرأ به الجماعة واحدٌ، على أنه قد يكون الطائر جِماعاً بمنزلة الجامل والباقر ، أنشد ابن الأعرابي :

(وبالعثانين وبالحناجرِ كأنه تهتانُ يومٍ ماطرٍ)

(على رءوس كرءوس الطائر)

وكذلك حرف يس [(٢)] : قرأه ابن هرمز ، والحسن ، وعمرو بن عبيد ، وزرّ ابن حبيش ﴿ طيرُكم ﴾ بياء ساكنة بعد الطاء ، وعلته متحدة مع علة سابقة، فرُسم

(١) المحتسب ٢٥٧/١ والخصائص ٤٩٠/٢، إيضاح الرموز ص ٤٠٣، قراءات البحر ٢٢٢/١، وانظر الوسيلة عند قول الشاطبي ص ١٤٣ : (.........وطائره بالحذف ....)

(٢) المحرر ٢٨٤/١٢، إيضاح الرموز ص ٤٠٣، قراءات البحر ٥٦٣/٢.

الحرفان على هذه القراءة بحذف الألف والإشارة بألف صغيرة بين الطاء والراء إلى قراءة الجماعة . وألحق بالحرفين حرف النمل للاشتراك في المعنى المراد طرداً للباب.

وقرأ حرف الإسراء [1] الحسن ، وأبو رجاء ، وابن مجاهد:﴿ طَيْره في عنقه ﴾. وكلها تتصاقب في معنى التطير ، والطيرة ينتظمها سِمط واحد .

ويشاركها في المادة الحيوان الطائر . وهو بالحذف كذلك ، وعلته فيه ، خلفاً في الصحيح ، ولسنا بقاصديه .

وفي الطيبة :

(.......... والطـــــــائر في الطير كالعقود خيرَ ذاكر)
(وطائراً معا بطيراً إذ ثنا ظُبىً......................)

﴿ وَفِصَـٰلُه ﴾

ورد هذا الحرف من كتاب الله في موضعين :

في سورة لقمان: ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤]، وفي سورة الأحقاف: ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقد اتفق الشيخان على الحذف في حرف لقمان ، وانفرد أبو دود بالحـــذف في حرف الأحقاف .

قال الخرَّاز [2] :

(وعن أبي عمرو فصالُ لقمان وعن أبي داود جاء الحرفان)

---

(١) المحرر ٣١/٩، إيضاح الرموز ص ٤٠٣، قراءات البحر ٣٥٢/١، الوسيلة ص ١٧٤ عنـــد قـــول الشاطبي : (بالحذف طائره عن نافع) ، والمقنع ١٣.

(٢) في الدليل: ١٠٢ .

وهذا الحرف مما رواه أبو عمرو بسنده إلى نافع كما في المقنع [١] .

قال في العقيلة [٢] :

(...... وله فصاله ظهراً)

وفي المختصر قال [٣] : ... وكذا ، ﴿ وَفِصَـٰلُه ﴾ عطفه على حـذف ألـف (لقمان) .

وفي حرف الأحقاف قال : وكتبوا ﴿ وَفِصَـٰلُه ﴾ بحذف الألف [٤] .

والعمل عند المغاربة على حذف ألف الموضعين ، وإن جرت عـادة بعـض المصاحف على الحذف في الأول ، والإثبات في الآخر اتباعاً لأبي عمرو .

لأنه بالنظر إلى علَّة الحذف التي هي احتمال القراءة يترجح الحذف في كليهما، والحذف في حرف الأحقاف أقوى لاحتماله قراءة صحيحة ، وهي قراءة يعقـوب الحضرمي .

قال في الطيبة :

(.... وَفَصْلُ في فصالُ (ظـَ)ـبْيٌ)

فالحذف لهذا الاحتمال أقوى ، وإن كان بحثنا في علة الحذف لاحتمال القراءة الشاذة ، فإنه قد دعت موجبات العلم إلى هذا التحرير .

فتعين إذن ترجيح مذهب أبي داود لشموله .

---

(١) المقنع ١٣ .

(٢) الوسيلة ٢٠١ .

(٣) المختصر ٩٩٢/٤ .

(٤) المختصر ١١١٩/٤ .

وعلَّة الحذف في الأول في سورة لقمان : احتماله لقراءة الحسن بخلفه ، وأبي رجاء ، وقتادة والجحدري[١] ، ﴿ وفَصْلُه ﴾ بفتح الفاء وسكون الصاد: مصدر ، وهو أعمّ من : الفِعَال ، لأنه مستعمل في الرضاع وغيره ، كالفَطْمِ والفِطَام .

وعلة الحذف في حرف الأحقاف ، احتماله لقراءة الحسن، وأبي رجاء، وقتادة، والجحدري، ويعقوب [٢]، ﴿ وفَصْلُه ﴾ كالأول أو هما مصدران ، أعني : فَصْلَ، وفِصَال : كالفَطْم والفِطَام .

﴿ مَسَٰكِنِهِمْ ﴾

اتَّفق الشيخان على نقل الحذف في هذا الحرف حيث وقع ، أما حرف(سبأ) فقد نصَّ أبو عمرو عليه فيما رواه بسنده إلى نافع ، وقيَّده بقوله [٣]: وفي سبأ : في ﴿ مسكنهم ﴾ ، وأطلق القول فيه بالحذف فيما أجمع كتاب المصاحف على حذف الألف منه ، قال [٤] : و (مسكنهم) فشملت الوارد منه .

وكذلك نصَّ أبو داود على أنه مما أجمعت عليه كتاب المصاحف قال[٥]: وكتبوا في جميع المصاحف﴿ مَسْكَنِهِمْ ﴾ بغير ألف ، في حرف سبأ .

---

(١) المحتسب ١٦٧/٢، المحرر ٤٩٤/١١، قراءات البحر ٥٢٦/٢، الإيضاح ٥٩٠، الكامل ٢٢٧/ب، وقد ذكر موافقة يعقوب لمن ذكر في حرف الأحقاف ، وهو الصحيح .

(٢) الكامل ٢٢٧/ب ، قراءات البحر ٦٣٣/٢ ، الإيضاح ٦٥٩ .

(٣) المقنع ١٣ .

(٤) المقنع ١٨ .

(٥) المختصر ١٠١١/٤ .

وفي حرف الأحقاف ، قال [١]: و ﴿ مسكنهم ﴾ بغير ألف .

وعمَّمه الضباع عنهما أيضاً ، قال [٢] : ﴿ مسكن ﴾ كيف جاء عنهما سوى الشاطبي ، فقد خصَّه بعضهم عنه بحرف سبأ فقط .

قلت : خصّه بحرف سبأ السخاوي في الوسيلة قال [٣]: في هذا الباب أيضاً في ﴿ **مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٌ** ﴾ اعتماداً منه على منطوق الشاطبي في العقيلة قال [٤]:

(.... وفي مسكنهم عن نافع.......)

وكذلك قال بن القاصح[٥]: وروى نافع كغيره فيها حذف ألـــف ﴿ **لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسۡكَنِهِمۡ** ﴾ [سبأ : ١٥] .

وقيَّدها بالآية .

أما العلَّة في حذف حرف الأحقاف ، فاحتمال قراءة الأعمـــش ، وعيـــسى الهمداني، ونصر بن عاصم : ﴿ مَسْكَنُهُم ﴾ على الإفراد إرادة اسم الجنس .

قال أبو الفتح [٦]: (.... بمسكنهم . هنا : الجماعة)

وإن كان قد جاء بلفظ الواحد ، وذلك أنه موضع تقليل لهم ، وذكر العفـــاء عليهم، فلاق بالموضع ذكر الواحد ، لقلته عن الجماعة ...

---

(١) المختصر ١١٢٠/٤ .

(٢) السمير ٣٧ .

(٣) الوسيلة ٢٠٧ .

(٤) العقيلة مع الوسيلة ٢٠٧ .

(٥) تلخيص الفوائد ص ٣٧ .

(٦) المحتسب ٢٦٦/٢ .

وقال أبو حيان : واجتزأ بالمفرد عن الجمع تصغيراً لشأنهم ، وأنهم لما هلكوا في وقت واحد فكأنهم كانوا في مسكن واحد [(١)].

وعلة حرف سبأ احتماله قراءة الكسائي في السبعة ﴿ مسكِنِهم ﴾ بكسر الكاف على إرادة الموضع ، وعلى ذلك : علي ، وخلف ، والأعمش ، وعلقمة ، في الشاذ : قال أبو الحسن : كسر الكاف لغة فاشية ، وهي لغة الناس اليوم [(٢)].

وقرأ حمزة وحفص كذلك بالإفراد إلا أنهما، بفتح الكاف ، ﴿مسكَنهم﴾ وافقهم في الشاذ : النخعي وابن سعدان [(٣)] .

قال الفارسي[(٤)]: والفتح حسن أيضاً لكن هذا كما قالوا : ﴿ مسجد ﴾ وإن كان سيبويه يرى هذا اسم البيت ، وليس اسم موضع السجود ، قال : هي لغة الناس اليوم ، والفتح هي لغة الحجاز، وهي اليوم قليلة .

وهو بالفتح في الكاف على المصدر الميمي وهو اسم جنس يراد به الجمع كما تقدَّم .

وقال الفراء [(٥)]: هي لغة يمانية فصيحة .

وقال أبو حيان [(٦)]: ومن أفرد ينبغي أن يحمل على المصدر ، أي : في سكناكم

---

(١) البحر المحيط ٦٥/٨ .

(٢) الحجة للفارسي ١٤/٦، الكامل ٤/٢٣٠، قراءات البحر ٥٤٩/٢، المحرر ١٦٤/١٢، البحر المحيط٢٦٩/٧.

(٣) الكامل٢٣٠، المحرر ١٦٤/١٢ .

(٤) انظر الحجة ١٤/٦ .

(٥) معاني القرآن ٣٥٧/٢ .

(٦) البحر ٢٦٩/٧ .

حتى لا يكون مفرداً يراد به الجمع لأنَّ سيبويه يرى ذلك ضـــرورة ، نحـــو قـــول الشاعر :

كلوا في بعض بطنكم تخفوا

يريد : في بطونكم على إرادة الجمع بالإفراد ، وهذا عند سيبويه من الضرائر .

وعليه فرسم الحرف بالحذف في الموضعين أولى من الإثبات ، للاحتمال القرآني المذكور .

وهذا يحتمل أمرين :

الأول : أنَّ السَّخاوي لم يطلع إلا على ما رواه أبو عمرو بـــسنده إلى نـــافع، وهو المقيد بحرف سبأ ، ولم يطلع على إطلاق الداني له فيمـــا اجتمعـــت عليـــه المصاحف في المقنع أيضاً ، بعد الأول .

الآخر : أنه اعتمد منطوق الشاطبي ، ﴿ **فِي مَسَٰكِنِهِمْ** ﴾، وظن أنَّ كلمة (في) تقيد للحرف في "سبأ "حيث فيها : ﴿ **فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ** ﴾ ولم يهتد إلى أنَّ حرف" في" ظرف ولا صلة له بالتقييد .كأنه قال : وفي حرف ﴿ **مَسَٰكِنِهِمْ** ﴾ حيث وقع، أو أنَّ الشاطبي أراد التقييد حيث لم يطلع على ما اتفق عيه من المـــصاحف ، والله تعالى أعلم .

وإنما ذكرنا هذا للفائدة لا لافتئات على الأعلام رضي الله عنهم أجمعين .

﴿ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾

رسمت في المصاحف بحذف الألف بعد اللام حيث وقعت ، وليس في العشر خلاف في التي في البقرة ، على أنها " كَلام" بفتح اللام ، وألف بعدها في اللفظ دون الرسم في المتواتر . وكذلك في حرف التوبة .

أما التي في حرف الفتح فقد قرأها حمزة والكسائي وخلَف في العشر ، وابن مسعود، وطلحة ، وابن وثاب ، والأعمش ، في الشاذ [١]، على الرسم ﴿ كَلِم ﴾ بفتح الكاف وبعده لام مكسورة جمع كلمة .

وعليه ترجمة سيبويه[٢] في البدء :" هذا باب علم ما الكلم من العربية " يريد ثلاثة أنحاء من الكلام الاسم ، والفعل ، والحرف ، وهو أخفّ كما قال السيرافي [٣] .

وهو أي " الكلم " اسم جنس جمعي ، يفرّق بينه وبين مفرده بالتاء ويجوز تذكيره وتأنيثه .

وعليه بنى ابن مالك تذكيره في قوله :

(واحده كلمة ....)

على اعتبار اللفظ ، حملاً على قوله تعالى : ﴿ **أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ** ﴾ [القمر: ٢٠].

وعلى اعتبار المعنى بنى ابن معطي قوله :

(واحدها...........)

حملاً على قوله تعالى : ﴿ **أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ [الحاقة: ٧].

وأما " كلام " فهو اسم مصدر وليس مصدراً ، ويكون بمعناه .

---

(١) النشر ٤٧٥/٢ ، إعراب القرآن ١٩٩/٤ ، المحرر ٤٤٩/١٣ .

(٢) الكتاب ١٢/١ .

(٣) نفسه ١٢/١ ، وهامش ١ .

أما حرف البقرة [(١)] فقد قرأه الأعمش ، وابن محيصن ، والمطوعي : ﴿ كَلِم ﴾ بحذف الألف بعد اللام وكسرة كما مرّ .

والقراءة كما ترى يتحملها المرسوم ويساعدها ، فلو رسمت بالإثبات لما احتملت قراءة الحذف كما هو مقرَّر .

وكذلك حرف الأعراف : ﴿ وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤] ، قرأه المطوعي ، وأبو رجاء: ﴿بكلِمي﴾ [(٢)] .

فإن قال قائل : فما علة الحذف في حرف التوبة ، وقد أصفقوا على قراءته بغير ما عليه صورته ﴿ كلام ﴾ ؟.

قلت : حملوا ما ورد فيه الخُلْف ، على ما لم يرد فيه ، طرداً للباب ، وحملاً على الأكثر ، برهان ذلك :

أنَّ حرف " الفتح " أيضاً دار فيه الخلف بين المتواتر والشاذ كما بيناه . فأجروا رسمه على نسق واحد استئناساً ، لأنَّ التغيير يأنس بالتغيير .

﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾

ورد هذا الحرف مثبتَ الألف بين العين والقاف ، فيما بين أيدينا من المصاحف ، ولم يعرِّج علماء الرسم عليه ، كأبي عمرٍ ، وابن نجاح ، وكذلك الشاطبي ، والسخاوي ، والخرَّاز ، والضبَّاع ...

وذلك يعني إثبات الألف فيه .

---

(١) المحتسب ٩٣/١ ، المحرر ٣٥٩/١ ، قراءات البحر ٣٤/١ .

(٢) قراءات البحر ٢٢٣/١ .

غير أني وقفت على نصٍّ حذفه في مـصحف الجـزَري ، ويؤيِّـد هـذا أنَّ الأركاتيّ[١] يتبيَّن احتمال الاختلاف في رسمه من قوله :

ثمَّ هو بإثبات الألف بعد العين ، على الأكثر .

فاحتمل الحذف لذلك ، ثمَّ قطع بحذفها نقلاً عن مصحف الجزري ، يعـضد هذا أنَّ الحرف قرئ على صورة رسمه هكذا ﴿ عقبتم﴾ في الشَّاذّ .

بيان ذلك :

قرأ الأعمش [٢]، وأبو حيوة ، والزعفراني ، ومجاهد ، والحسن ، والزهـري ، وعكرمة، وحُمَيْد : ﴿ عقَّبتم ﴾ بحذف الألف وتشديد القاف ، من باب التفعيل .

وعقَّب ، بالتشديد : أصاب عقبى .

وهي والمتواترة بمعنى واحد ، يقال ، عاقب الرَّجل ، وعَقَبَ : أخذ شيئاً .

قال طرَفة [٣]:

ولقد كنتُ عليكم عاتباً فعَقَبْتُم بِذَنُوبٍ غيرَ مرْ

أراد : أعطيتم ، وعدتم .

وقال [٤] في قوله تعالى ،﴿ ولم يُعقِّبْ﴾ : لم يرجع . كذا قال أحمد بن يحيى .

وقرأ [٥] النخعيُّ ، والزهريُّ ، والأعرج ، وأبو حيوة ، ويحيى بن وثَّاب، بخلْفه: ﴿ عَقَبْتُمْ ﴾ بالحذف كذلك ، إلاَّ أنها مخففة القاف .

---

(١) نثر المرجان ٣١٦/٧ .

(٢) المحّتسب ٣١٩/٢، الكامل ٢٤٣/أ، المحرر ٤١٣/١٤-٤١٤، قراءات البحر ٦٩٤/٢، الإيضاح ٦٩٧ .

(٣) الديوان ٨٧، المحتسب ٣٢٠/٢ .

(٤) المحتسب ٣٢٠/٢ .

(٥) المحتسب ٣١٩/٢، المحرر ١٤/ ٤١٤، قراءات البحر ٦٩٤/٢ .

وقرأ [(١)] مسروق ، والنخعي ، والزهري : ﴿ عَقِبْتُمْ﴾ بالحذف كذلك ، إلا أنها بكسر القاف .

وهما بمعنى : غنِمْتُم ، أو اقتفيْتم .

قال أبو الفتح[(٢)]: وحُكيَ عن الأعمش ، قال :

﴿ عَقَبْتُم﴾ : ﴿ عَقِبْتُم ﴾ ، فقد يجوز أن يكـون ، ﴿ عَقِبْتُم ﴾ : بـوزن : ﴿ غنمتم ﴾ ومعناه ، جميعاً .

ورُويَ أيضاً بيتُ طرَفَة :

.... فعَقِبْتُم ....

بكسر القاف .

وأما حرف النحل فقد قرأه ابن سيرين[(٣)]: ﴿ وإنْ عقَّبْتم فعقِّبوا ﴾ ، بمعـنى : إن تتبعتم فتتبَّعوا بقدر الحقَّ الذي لكم ، ولا تزيدوا عليه .

قال لبيد :

حتى تهجَّر في الرواح وهاجَه طلبُ المعَقِّبِ حقَّه المظلومُ

فالأرجح الحذف في هذا الحرف لعلل ثلاث :

الأولى : أنَّ في الحرف قراءةً على صورة الرسم ، محذوفة الألف على ما تقدَّم.

الثانية : احتمال الحذف في غير مصحف الجزري ، لقول الأركاتي :

بإثبات الألف ... على الأكثر .

الثالثة:حذفها في مصحف الجزري كما نصَّ على ذلك في نثر المرجان، وقد سبق.

والله تعالى أعلم ،،

(١) المحتسب ٣٢٠/٢، المحرر ١٤/ ٤١٤، قراءات البحر ٦٩٤/٢ .

(٢) المحتسب ٣٢٠/٢ .

(٣) المحتسب ١٣/٢، المحرر ٥٤٨/٨ .

﴿ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾

اتَّفق الشيخان على حذف ألفي الحرفين، بين الشِّين والراء في﴿ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾،وبين الغين والرَّاء في ﴿ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾ .

قال أبو عمرو فيما رواه بسنده إلى نافع [(١)]: وفي المعـــارج : ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾ في باب ذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً .

قال في العقيلة : (ثم المشارق عنه والمغارب ...)

علَّق السَّخاوي بقوله :

(عنه) ، يعني عن نافع . قال في الباب المرويِّ عنه :

وفي المعارج : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾ [المعـارج :٤٠] بحذف الألف فيها .

قال : وكذلك رأيته في المصحف الشامي [(٢)] .

قلت : واقتصر أبو عمرو والشاطبي على حذف حرف المعارج ، وعمَّم أبـــو داوود الحذف في جملة الوارد منها بالجمع في جميع القرآن .

وهو في سورة الأعراف : ﴿ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧] ، قال[(٣)]:

وفي هذا الخمس من الهجاء حذف الألف من : .... ثمَّ ذكره .

---

(١) المقنع ١٤ .

(٢) الوسيلة ٢٣٤ .

(٣) المختصر ٥٦٧/٣ .

وفي الصافات : ﴿ وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ (الصافات ٥). قال [١]: بحذف الألف من ذلك كله وقد ذُكِر نظيره.

وفي المعارج: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾[المعارج ٤٠] قال[٢]: بحذف الألف من ذلك.

قلت : وهذا موضع الاتِّفاق بين الشيخين ، قال الخرَّاز[٣]:

وفيه أيضاً جاء لفظ ...

.... مع مشارقٍ مغارب

كلاً وقد جاء كذاك فيهما

لدى المعارج ولكن عنهما

قلت:يريد اتفاق الشيخين في حرف المعارج، وانفرادَ أبي داود بسائر ما ورد حذفاً.

والعمل عند المغاربة على حذف ذلك كله اتباعاً لأبي داود .

وعلَّة الحذف في هذا أنَّ حرف المعارج قرأه [٤] أبيّ ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء، وعبد الله بن مسلم ، وابن محيصن ، والجحدري : ﴿ المشْرق والمغْرب﴾ على الإفراد بصورة رسمه ، يريد : موضع الشروق وموضع الغروب .

هذا من حيث الفرْش ، وأما من حيث الأصل : فقد أماله [٥] قتيبة بن مهران عن الكسائي ، ونوح بن منصور ، وجعفر بن عبد الله ، ونعيم .

---

(١) المختصر ١٠٣١/٤ .

(٢) المختصر ١٢٣٠/٥ .

(٣) الدليل ٨٧ .

(٤) الكامل ٢٤٥/أ، المحرر ١٠٧/١٥، قراءات البحر ٧١٨/٢، نثر المرجان ٥٠٦/٧ .

(٥) الكامل ٩٠/ب .

وأما حرف الأعراف فقد أماله [١] قتيبة بن مِهران ، ونعيم ، وأبو زيد .

وحرف الصافات أيضاً [٢].

وداعي الإمالة هنا كسْرة الراء كما هو مقرر .

وعلى هذا فإنَّ حرف المعارج هو محل اتفاق في الحذف ، وذلك لاحتماله القراءةَ ، فرشاً وأصلاً ، فداعي الحذف فيه أقوى ، لاجتماع علتين، ولذا ورد بالاتفاق .

وسائر الحروف محل اختلاف ، والعَمَلُ على الحذف ، لورود قراءة الإمالة فيهما لمن ذُكر من أصحابها ، لتحمل صورة صوتِ الإمالة .

والله يفعل ما يشاء ، وإليه كنه الأشياء ..



---

(١) الكامل ٨٨/أ ، ٩٠/أ .

(٢) الكامل ٩٠/ب .

فهرس المصادر المطبوعة

١. **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر** : للشيخ أحمد بن محمد البنا/ت:١١١٧هـ رواه وحققه وعلق عليه علي ابن محمد الضباع مطبعة دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان .

٢. **احتمال الصورة لغير وزن** : أ.د/ سليمان بن إبراهيم العايد ، مجلة جامعة أم القرى – السنة الثانية ١٤١٠هـ.

٣. **أحكام القرآن** : لابن العربي أبي بكر محمد بن عبدالله ت ٥٤٣هـ بتحقيق علي محمد البجاوي، الناشر دار المعرفة بيروت.

٤. **أدب الكاتب** :لأبي محمد عبدالله بن سليم بن قتيبة ت ٢٧٢هـ حققه محمد الدالي طبعة مؤسسة الرسالة سوريا الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٥. **أساس البلاغة** : للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ بتحقيق عبد الرحيم محمود طبعة المعرفة بيروت.

٦. **إعراب القرآن** : لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ت ٣٣٨هـ طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤م.

٧. **الاستكمال في مذاهب القراء السبعة في الإمالة** :لأبي الطيب عبد المنعم بن غلبون، ت٣٨٩هـ ، تحقيق : عبد الفتاح بحيري إبراهيم – مطابع الزهراء ، القاهرة .

٨. **إيضاح الرموز في القراءات الأربع عشرة** : شمس الدين القباقبي ، ت: ٨٤٩هـ، تحقيق د/ أحمد شكري . دار عمَّار الأردن ٢٠٠٣م .

٩. **الإمالة والتفخيم مع تحقيق الاستكمال** :لابن غلبون (المتقدم) ، تحقيق : د/ عبد العزيز سفر – الكويت ٢٠٠١م .

١٠. **باب الهجاء** : لابن الدهَّان ، ت٥٢٩هـ . تحقيق د/ فايز فارس ، مؤسسة الرسالة – دار الآمال ١٩٨٦م .

١١. **البرهان في علوم القرآن** : للإمام بدر الدين بن بهادر الزركشي ت ٧٩٤هـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة الطبعة الثانية بيروت ١٣٩١هـ.

١٢. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ بتحقيق محمد علي النجار المكتبة العامة بيروت.

١٣. **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** : للضبي أحمد يحي ت ٥٩٩ هـ دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٧م.

١٤. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين** : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ بتحقيق محمد أبي الفضل، مطبعة البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ.

١٥. **البيان في غريب إعراب القرآن** :لأبي البركات ابن الأنباري عبد الرحمن ت ٥٧٧ هـ بتحقيق طه عبد الحميد – الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٤٠٠ هـ.

١٦. **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه**: محمد طاهر الكردي – مكتبة المعارف ، الطائف .

١٧. **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه** :للشيخ محمد طاهر الكردي المكي الخطاط كاتب المصاحف راجعه فضيلة الشيخ الضباع الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٨. **تاريخ توثيق نص القرآن الكريم** : عبد الرحمن العك ، دمشق .

١٩. **تفسير البحر المحيط** : لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف ت٧٥٤ هـ دار الفكر بيروت ١٢٩٨ هـ.

٢٠. **تهذيب اللغة** : للأزهري محمد بن أحمد ت ٣٧٠ هـ تحقيق : عبد السلام هارون – المؤسسة المصرية القاهرة ١٣٨٤هـ.

٢١. **جامع البيان في تفسير القرآن** : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

٢٢. **الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصاحف** : لابن وثيق الأندلسي أبي إسحاق إبراهيم ت ٦٥٤ هـ بتحقيق د. غانم قدوري حمد – دار الأنبار مطبعة العاني – بغداد الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٢٣. **جزء فيه قراءات النبي** : لأبي عمر حفص بن عمر الدوري ت ٢٤٦ هـ بتحقيق : حكمت بشير ياسين نشرته مكتبة الدار بالمدينة النبوية الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٢٤. جمال القراء وكمال الإقراء : لعلم الدين علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣ هـ بتحقيق علي حسين البواب مطبعة المدني بمصر الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٢٥. الجمع الصوتي الأول للقرآن أو المصحف المرتل :للبيب السعيد ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.

٢٦. الجنى الداني في حروف المعاني :لحسن بن قاسم المرادي بتحقيق طه حسين مؤسسة الكتاب جامعة الموصل بالعراق ١٣٩٦ هـ.

٢٧. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام :لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ت ٣٧٧ هـ بتحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي طبعة دار المأمون للتراث ١٤٠٤ هـ .

٢٨. الخصائص :لأبي الفتح ابن جني ، ت ٣١٢هـ ، تحقيق : محمد النجار – دار الهدى – بيروت .

٢٩. دليل الحيران على مورد الظمآن في فنَّي الرسم والضبط : للشيخ : إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي ، وهو شرح على منظومة الإمام محمد بن محمد الشريفي الفاسي الشهير بالخرَّاز . ويليه : تنبيه الخلاَّن على الإعلان بتكميل مورد الظمآن ، لعبد الواحد بن عاشر الأندلسي ، ضبط الشيخ : زكريا عميرات . ط.دار الكتب العلمية ط: الأولى ١٤١٥هـ .

٣٠. رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين :لعبد الحي الفرماوي ، مكتبة الأزهر الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ.

٣١. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : لغانم قدوري حمد ، منشورات اللجنة الوطنية بالعراق ط الأولى ١٤٠٢ هـ.

٣٢. رصف المباني في شرح حروف المعاني :لأحمد بن عبد النور المالقي بتحقيق أحمد محمد الخراط دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

٣٣. سر صناعة الإعراب :لأبي الفتح عثمان بن جني بتحقيق حسن هنداوي – دار القلم دمشق – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

٣٤. **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين** : للشيخ علي محمد الضباع، ونقحه محمد علي خلف الحسيني مطبعة الشهد الحسيني الطبعة الأولى.

٣٥. **شرح التصريح على التوضيح** : للشيخ خالد الأزهري المطبعة الأزهرية القاهرة ١٣٤٤ هـ.

٣٦. **شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد** :لأبي البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصح، راجعه وعلق عليه عبد الفتاح القاضي مطبعة مصطفي البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ.

٣٧. **شرح شافية ابن الحاجب** : للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت ٦٨٦ هـ بتحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزقراق ومحمد محيي الدين دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٨. **شرح الرحيق المختوم على اللؤلؤ المنظوم** : للعلامة : حسن بن خلف الحسيني ، مطبعة المعاهد بمصر .

٣٩. **شرح "كلا" و "بلى" و "نعم" والوقف على كل واحدة منهن** : لمكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ هـ تحقيق : أحمد حسن فرحات ، دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

٤٠. **شرح المفصل** : لابن يعيش موفق الدين أبي البقاء ، بيروت عالم الكتب.

٤١. **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** : لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني المالكي بتحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧ م .

٤٢. **الصحاح تاج اللغة ، وصحاح العربية** : لإسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

٤٣. **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل** :لأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي ت ٧٢١ هـ حققته : هند شلبي ، طبعة دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٤٤. **عنوان النجابة في قواعد الكتابة** : طبعه الشاذلي الزاوق – تونس .

٤٥. **الفتح والإمالة** : لأبي عمرو الداني ، ت: ٤٤٤هـ، إخراج : العمروي، دار الفكر – بيروت ٢٠٠٢م .

٤٦. **فنون الأفنان في عيون القرآن** : لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ حققه حسن ضياء الدين عتر – دار البشائر الإسلامية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٤٧. **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** : "علوم القرآن ورسم المصاحف" صدر عن المجمع الملكي الأردن ١٤٠٧ هـ.

٤٨. **فهرسة الخزانة الحسنية** :للشيخ محمد المنوني الجزء الأول المطبعة الملكية ١٤٠٣.

٤٩. **فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي** :لمحمد العربي الخطاب الرباط عام ١٤٠٧ هـ المجلد السادس في علوم القرآن.

٥٠. **فهرس خزانة القرويين** : لمحمد العابد الفارسي – دار الكتاب بالدار البيضاء عام ١٣٩٩ هـ بالمغرب.

٥١. **قراءة أبي السمَّال العدوي** :جمع د/ حمدي خليل – القاهرة ٢٠٠٠م .

٥٢. **القراءات القرآنية في البحر المحيط** : استخرجها : أ.د/ أحمد محمد خاطر – مكتبة الباز ، مكة المكرمة .

٥٣. **كتاب إيقاظ الإعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان ابن عفان رضي الله عنه** :للشيخ محمد حبيب الله بن ما يابى الجنكي الشنقيطي – الناشر مكتبة المعرفة حمص – الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

٥٤. **كتاب البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان** : لابن معاذ الجهني الأندلسي، تحقيق د/ غانم قدوري الحمد . دار عمَّار – الأردن ٢٠٠٠م .

٥٥. **كتاب البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان** : لابن معاذ الجهني محمد بن يوسف ٤٤٢ هـ تحقيق د. غانم قدوري الحمد، من مجلة المورد ، المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦م.

٥٦. **كتاب الخط** :لأبي القاسم الزجَّاجي ، ت٣١١هـ ، تحقيق : د/ غانم قدوري الحمد – دار عمار – الأردن ٢٠٠٠م .

٥٧. **كتاب السبعة في القراءات** : لابن مجاهد أحمد بن موسى ت ٣٢٤ هـ تحقيق شوقي ضيف ، مطبعة دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٠ هـ.

٥٨. **كتاب سيبويه** : لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون طبعة عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

٥٩. **كتاب العين** : للخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ تحقيق عبد الله درويش ، مطبعة العاني بغداد ١٣٨٦ هـ.

٦٠. **كتاب الكتاب** : لابن درستويه عبد الله بن جعفر ت ٣٤٧ هـ تحقيق إبراهيم السامرائي، وعبد الحسين ، مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت ط: الأولى ١٣٩٧ هـ.

٦١. **كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** : لأبي محمد مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧ هـ تحقيق : محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.

٦٢. **كتاب مختصر في ذكر الألفات** : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق : حسن فرهود – دار التراث – القاهرة ١٩٨٠م .

٦٣. **كتاب المصاحف** : لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

٦٤. **كتاب النقط** : لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤ هـ بتحقيق : محمد أحمد دهمان ، دار الفكر دمشق الطبعة الثانية ١٣٠٤ هـ مع "المقنع".

٦٥. **كتاب هجاء مصاحف الأمصار** : لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ت بعد ٤٣٠ هـ بتحقيق : محي الدين عبد الرحمن رمضان - مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ١٩ ج١ سنة ١٣٩٣ هـ.

٦٦. **الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل** : للعجلوني إسماعيل بن محمد ت ١١٦٢هـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ.

٦٧. **لطائف الإشارات لفنون القراءات** : للإمام شهاب الدين القسطلاني ت ٩٢٣هـ ، تحقيق : الشيخ عامر عثمان ، و د/ عبد الصبور شاهين (الجزء الأول فقط)، القاهرة ١٩٨٢م .

٦٨. **لطائف البيان في رسم شرح مورد الظمآن** : للشيخ أحمد بن محمد أبي زيتحار - الطبعة الثانية ، مطبعة محمد علي صبيح ١٣٧٩ هـ.

٦٩. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** : لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، طبعة المجلس الأعلى االقاهرة ١٣٨٦ هـ.

٧٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**:لابن عطية عبد الحق بن غالب ت ٥٤٦ هـ طبعة وزارة الأوقاف المغربية،تحقيق أحمد صادق الملاح المجلس الأعلى بمصر ١٣٩٤ هـ.

٧١. **المحكم فيما شذَّت إمالته من حروف المعجم في القرآن العظيم** : د/ محمد بن سيدي الأمين – ط : الأولى ١٤٢٢هـ ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

٧٢. **المحكم في نقط المصحف** : لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ٤٤٤ هـ تحقيق : عزة حسن ، طبعة دار الفكر سوريا الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

٧٣. **مختصر التبيين لهجاء التتريل** : للإمام أبي داود سليمان بن نجاح ، ت ٤٩٦هـ ، تحقيق : د/ أحمد شرشال ، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

٧٤. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** : لابن خالويه أبي عبد الله الحسين بن أحمد ، عني بنشره المستشرق ، "برجشتراسر" المطبعة الحمانية بمصر ١٩٣٤ م .

٧٥. **المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصالة الخطية** : للشيخ نصر الهوريني – المطبعة الأميرية بولاق ١٣٠٢ هـ.

٧٦. **معاني القرآن** : لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء ت ٢٠٧ هـ بتحقيق : محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ عالم الكتب بيروت.

٧٧. **معاني القرآن وإعرابه** : لأبي إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١١ هـ تحقيق عبد الجليل شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، عالم الكتب بيروت.

٧٨. **معاني القرآن الكريم** : للإمام أبي جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ تحقيق : محمد علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٧٩. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: للإمام شمس الدين أبي عبد الله الذهبي ت ٧٤٨ هـ حققه : بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤ه.

٨٠. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : لجمال الدين بن هشام الأنصاري ت ٧٦١ هـ حققه : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م.

٨١. **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار** : لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤ هـ تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الفكر سوريا الطبعة الثانية ١٣٠٤ هـ.

٨٢. **منار الهدى في بيان الوقف والابتداء** : لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني — مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٢٩٣ هـ.

٨٣. **المنهل في بيان قواعد علم الحروف** : رؤوف جمال الدين — إيران ، قم .

٨٤. **المواهب الفتحية في العلوم العربية** : لحمزة فتح الله - مطبعة بولاق القاهرة ١٣١٢ هـ.

٨٥. **موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني** : يوسف بن محمد الخوارزمي، تحقيق : عبد الرحمن الآلوجي ، دار المعرفة — دمشق ١٩٨٩م .

٨٦. **نثر المرجان في رسم نظم القرآن** : للشيخ محمد غوث بن ناصر الدين النانطي الأركاني مطبعة بريس حيدر آباد دكن الهند في ٨ مجلدات نسخة الشيخ القاضي محمد الرفاعي .

٨٧. **النشر في القراءات العشر**: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت ٨٣٣ هـ صححه الشيخ علي محمد الضباع دار الكتب العلمية.

٨٨. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** : لجلال الدين السيوطي/ ت ٩١١ هـ تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية الكويت.

٨٩. **الوسيلة إلى كشف العقيلة**:للإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ، ت ٦٤٣هـ ، تحقيق : د/ مولاي محمد الإدريسي الطاهري . مكتبة الرشد — الرياض .

فهرس المصادر المخطوطة

١. **الإيضاح**، لأبي عبد الله الأهوازي ت ٥٠٠ هـ مصورة عن الجامعة الإسلامية.

٢. **ألفات الوصل** – لابن آجروم . ت٧٢٣هـ . د/ عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي .

٣. **البارع في مقرأ نافع** ، لابن آجروم . ت٧٢٣هـ . د/ عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي .

٤. **جميلة أرباب المراصد** ، في شرح عقيلة أتراب القاصائد ، الجعبري برهان الدين (نسخة خاصة) .

٥. **شرح كتاب سيبويه** للسيرافي ، ت ٣٦٨هـ . (نسخة خاصة) .

٦. **الفتح المبين في بحث الصفاقسي والسمين** . (نسخة خاصة) .

٧. **الكامل في القراءات الخمسين** ، لأبي القاسم الهذلي المغربي ت ٤٦٥هـ . نسخة مصورة من مكتبة الأزهر .

٨. **الروضة في القراءات الإحدى عشر** ، لأبي علي الحسن بن محمد المالكي ت ٤٣٨هـ ، نسخة مصورة من مكتبة الحرم المكي .

٩. **النكت على الخلاصة لابن مالك** ، و**الكافية** لابن الحاجب ، و**الشافية** له ، **وشذور الذهب** لابن هشام ، **ونزهة الطرف في علم الصرف** له . للجلال السيوطي ت ٩١١هـ (نسخة خطية أصلية للشيخ الإدريسي محمد بن إدريس – بمدينة مراكش) تحقيق : د/ عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي .







توجيه الإمام ابن القيم .. رحمه الله للقراءات القرآنية

جمعها ووثَّق نصوصها وقدَّم لها

د . عبد العزيز بن حميد الجهني*

* نال درجة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة أم القرى عام ١٤٢٣هـ بتحقيق كتاب "**المختار في معاني قراءات أهل الأمصار**" لأبي بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس .
- يعمل أستاذاً مساعداً بكلية المعلمين بجدة.
- عضو في لجنة تطوير المناهج في معهد الإمام الشاطبي بجدة.

الملخص

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد؛ فهذا بحث عن (**توجيه ابن القيم رحمه الله للقراءات القرآنية**).

قمت فيه بجمع المواضع التي تحدث فيها عن توجيه القراءات القرآنية واقتصرت في ذلك على القراءات المتواترة وهي مسائل مبثوثة في كتبه، تحدث فيها عرضًا عن هذه القراءات لتوضيح آية أو بيان دليل أو ترجيح قول. وقد وثَّقت هذه المسائل من أمات كتب القراءات التي اعتمدها ابن القيم، كما قمت بتخريج الشواهد النثرية والشعرية من الأصول المعتمدة.

وقد صدَّرتها بتمهيد جعلته في أربعة مباحث، تحدثت في الأول عن نشأة ابن القيم وسيرته باختصار، وجعلت الثاني لبيان مكانته النحوية، أما الثالث فكان عن موقفه من القراءات المتواترة، وكان الرابع عن الملامح البارزة في توجيهه للقراءات. وختمت البحث بفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

والحمد لله أولاً وآخرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرا.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ كتابَ الله عزَّ وجل هو النورُ المبين، والصراطُ المستقيم، والحجةُ الباقية إلى يوم الدين. مَنْ تَمَسَّكَ به نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عنه هَلَكَ. جَعَلَ الله فيه صلاحَ الأمة وفلاحَها، وفوزَها في دينها ودنياها، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[(١)]. أَودَعَ فيه الباري جَلَّ في علاه أَسْرَارَ الكَلِم، وبدائع الحِكَم، أخبارَ الأمم، مما يجلُّ عن الوصف، ويحارُ فيه العقل. وهو مع ذلك جامعةُ العلوم، وموسوعةُ الفنون، يجدُ فيه المسلمُ هدايتَه والعالمُ بُغْيَتَه، والمتعلمُ طِلْبَتَه، كما قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: مَنْ أرادَ العلمَ، فَلْيُثَوِّرِ القرآن، فإنَّ فيه علمَ الأولين والآخرين[(٢)].

من أجل ذلك صَرَفَ كثيرٌ من أئمة السلف هِمَمَهُمْ، وَوَجَّهُوا عنايتَهم إلى كتاب الله الكريم، ينهلون من معينه، ويتزودون، من علومه، ويغوصون في أسراره، ويبحثون في آياته ومعجزاته.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٢) جاء في اللسان (ثور): تثويرُ القرآن قراءتُه ومفاتشةُ العلماء به في تفسيره ومعانيه. وقيل: لِيُنَقِّرْ عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.

ومن جملة هذه العلوم التي صَمدَ لها علماءُ السلف رضوانُ الله عليهم – والتي لها تعلقٌ بكتاب الله الكريم – علمُ القراءات وما يتصلُ به من توجيه أو تعليل أو احتجاج، حيث وَجَدَ فيه الأئمةُ كنزًا لا ينفد، ومعينًا لا ينضب، وَرَوَاءً لا ينقطع.

وقد ضَرَبَ علماءُ النحو واللغة من ذلك بسهم وافر، فقد كانت لهم اليدُ الطولى في توجيه هذه القراءات، وبيان عللها، واستنباط القواعد منها. فوضعوا فيه الكتبَ الرائقة، والمصنفات الفائقة، التي خدمت القرآن ببيان قراءاته، وضبط حروفه ولغاته.

وهذا الجهدُ المبارك، لم يكنْ مقتصرًا على علماء النحو واللغة، بل كان لغيرهم من علماء الإسلام مشاركةٌ في توجيه هذه القراءات؛ لكونها تتعلق بجوانبَ شَتَّى من علوم الدين، كالعقيدة والتفسير والفقه والأصول. لذا تجدُ لكثير من علماء الإسلام – ممن اتَّصَفُوا بالموسوعية والشمول – احتجاجاتٍ عدة، مبثوثةً هنا وهناك، لإثبات حكم أو تفسير آية أو ترجيح قول. وهي دلالةُ الرسوخ والاقتدار، كما قال ابن تيمية رحمه الله: والعارفُ في القراءات، الحافظُ لها، له مزية على مَنْ لم يعرفْ ذلك، ولا يعرف إلا قراءةً واحدة[(١)].

ومن أبرز هؤلاء الأفذاذ الذين كان لهم نصيبٌ من هذا العلم شيخُ الإسلام شمس الدين ابنُ قيم الجوزية. الذي طَبَّقَتْ شهرتُه الآفاق، وسارت بكتبه الرُّكبان، فقد وقفتُ في أثناء القراءةِ والاطِّلاع في كتب هذا الإمام على بعض التوجيهات لعدد من القراءات التي تَعَرَّضَ لها في كتبه المتعددة وتآليفه المتنوعة في معرض حديثه عن الأحكام والعقائد والتفسير والرقائق. فأحببتُ أنْ أجمع هذه التوجيهات

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٠٤/١٣).

وأنظمها في سلك واحد. واقتصرتُ في ذلك على القراءات المتواترة، السبعية والعشرية. وقد دفعني إلى ذلك أمور، منها:

١- تَعَلُّقُ هذه المباحث بعلم شريف وهو علمُ القراءات. ومن المعلوم أنَّ شَرَفَ العلم من شَرَفِ المعلوم.

٢- إمامةُ مؤلفها، ومكانته في علوم الدين.

٣- الوقوف على جوانب متعددة من علم هذا الإمام.

٤- كون هذه المباحث مبثوثةً في غير مظانها.

٥- الفوائد العديدة، والاستباطات الدقيقة التي تضمنتها هذه التوجيهات، مما لا تكادُ تجدها عند غيره.

وقد صَدَّرْتُ هذا المباحثَ بمقدمة، وتمهيد، وتلوتُها بالفهارس.

تَضَمَّنَ التمهيد أربعة مباحث، قصرتُ الأول منها على ترجمة ابن القيم بشكل مقتضب، وخَصَّصْتُ الثاني لمكانته النحوية، أما الثالث فهو لموقفه من القراءات المتواترة وتحدثت في الرابع عن أبرز الملامح في توجيهه للقراءات.

أما مسائل البحث فقد رتبتها على نسق السور والآيات كما هو متعارف عليه في أبواب القراءات.

وفي الختام أتوجه إلى الله العلي القدير بأنْ يتقبل مني هذا العمل، وأنْ يتجاوزَ عن ما فيه من خلل، وأنْ يغفر لي الزلل. سبحانَ ربِّك ربِّ العزة عَمَّا يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكتبه د. عبد العزيز بن حميد الجهني

تـــمهيـــد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نبذة عن نشأة ابن القيم وسيرته:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية، أو بابن القيم.

وُلِدَ في السابع من شهر صفر سنة (٦٩١)هـ. وتُوفي رحمه الله في ليلة الخميس الثالث عشر من شهر رجب سنة (٧٥١). وله من العمر ستون سنة.

هذان التاريخان بين الولادة والوفاة قضى خلالهما هذا الإمام سنين عمره الحافلة بالعلم والعبادة والزهد والصلاح. وإنَّ الباحث ليصعب عليه أنْ يترجم لعلم كابن القيم بشكل مقتضب وقد أُفردت له المصنفات، وترجم له العشرات إنْ لم يكن المئات[١].

لذا ارتأيتُ أنْ أقفَ مع مظهرين بارزين في حياة هذا الإمام كان لهما أثرٌ في تكوينه الخلقي والعلمي:

الأول منهما: نشأته في بيت علم وصلاح، فقد كان أبوه من العُبَّاد الزُّهَّاد، ومن المشاركين في بعض العلوم كالفرائض وغيرها. ولا شكَّ أنَّ هذه البيئة تثمر — بإذن الله — بذرةً صالحة.

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاَّ وشيجُه وَتُغْرَسُ إلاَّ في منابتها النخلُ[٢]

(١) من أوسع من ترجم للعلامة ابن القيم الشيخُ بكر أبو زيد في كتابه الحافل الموعب (ابن قيم الجوزية، حياته آثاره موارده) وهو يغني عن كل ترجمة. وكما قيل: لا عطر بعد عروس.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه (٦٣).

قال عنه ابنُ كثير رحمه الله: كثيرُ التَّوَدُّدِ لا يَحْسِدُ أحدًا ولا يُؤْذيه، ولا يستعيبهُ، ولا يحقدُ على أحد.. وبالجملة كان قليلَ النظير في مجموعه وأموره وأحواله. والغالبُ عليه الخير والأخلاق الصالحة(١).

والوقفة الثانية في حياة هذا الإمام هي توفيق الله له بأنْ هَيَّأَ له صحبةَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فلازمه قرابة الستة عشر عامًا، كانت نقطة تحول في حياته، كما أشار إلى ذلك في النونية(٢).

ومن توفيق الله لطالب العلم أنْ يُهَيِّأَ اللهُ له عالمَ سنة في أول أمره، كما يقول بعض السلف. فاحتفى الطالب بشيخه، وعَرَفَ له قدره، ونَهَلَ من علومه، واستقى من معارفه، مع ما فَتَح اللهُ عليه من الفهم والحفظ والذكاء، ومداومة القراءة والاطِّلاع، حتى فاق أقرانه، وبَزَّ خِلاَّنَه، وأصبح علمًا من أعلام الإسلام، الذين يُشَارُ إليهم بالبنان، ويلقون كُلَّ حفاوة وامتنان. وهذه كتبُه تشهدُ بعلمه، وتصدحُ بفهمه، وتُنَادي بإمامته وعُلُوِّ مترلته، يفيءُ إليها العلماء، ويستنيرُ بها النجباء، لِمَا عُرِفَ عنها من العذوبة والنقاء، والسلامة والصفاء، مع العمق والسعة والتحليل، واقتفاء الأثر واتباع الدليل. وأحْسَبُ أنَّ ذلك – والعلم عند الله- لِمَا صاحبها من نُصْح للخلق، وإخلاص للخالق.

---

(١) البداية والنهاية (٩/٤٩١).

(٢) يقول ابن القيم في النونية عن هذه الصحبة بعد أنْ كادت تزل به القدم:

حتى أتاحَ لي الإلهُ بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

فتًى أتى من أرض حَرَّان فيا ... أهلاً بمن قد جاء من حَرَّان

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتى أراني مطلع الإيمان

يقول الحافظ ابن حجر عنها: وكُلٌّ تصانيفه مرغوبٌ فيها بين الطوائف[1].

وعَقَّبَ الشوكاني على ذلك بقوله: وأظنُّها سَرَتْ إليه بركةُ ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء، والقيام معه في مِحَنِه، ومؤاساته بنفسه، وطول تردده إليه[2].

وهذا توفيقٌ من الله وسداد، لهذا الإمام الجليل، الذي عاش حياةً مِلْؤُها الإيمان، وقوة الصلة بالخالق الدَّيَّان.

وقد أَحْسَنَ تلميذُه الحافظُ ابنُ رجب في وصف حاله، التي هي نبراسٌ لكل مَنْ رَامَ الهدى ، إذ يقول: كان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتَأَلُّهٍ ولَهَجٍ بالذكر، وشَغَفٍ بالمحبة، والإنابة والاستغفارِ، والافتقار إلى الله، والانكسارِ له، والاطِّراحِ بين يديه على عتبة عبوديته، لم أُشَاهِدْ مثلَه في ذلك، ولا رأيتُ أوسعَ منه علما، ولا أَعْرَفَ بمعاني القرآن السنة وحقائق الإيمان منه. وليس هو المعصوم، ولكنْ لم أَرَ في معناه مثلَه[3].

رَحِمَه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيحَ جناته، وجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة، إنَّه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الثاني: مكانة ابن القيم النحوية:

من المظاهر البارزة عند جملة من علماء السلف رضوان الله عليهم تلك الموسوعية في تلقي العلم ومدارسته، فتجدُ العالِمَ مبرزًا في أكثر من فنٍّ من فنون العلم، ولكنَّه قد يشتهر بعلم من هذا العلوم فتطغى هذه الشهرةُ على البقية. ولعل

---

(١) الدرر الكامنة (٤/٢٢).

(٢) البدر الطالع (٢/١٤٥).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

هذا ينطبقُ بشكل واضح على ابن القيم رحمه الله، فإمامته في علوم الــدين طغــت على جوانب أخرى تقدم فيها وحَصَّلَ منها علومًا جمَّة، ومن ذلك علــم النحــو، الذي كان له فيه باعٌ طويل.

فقد طَلَبَ النحو على شيوخه، وَقَرَأَ فيه أشهرَ كتبه. قال الصفدي: قَرَأَ العربيةَ على أبي الفتح البعلي، قرأ عليه (المُلَخَّص) لأبي البقاء، ثم قرأ (الجرجانيــة) ثم قــرأ (ألفية ابن مالك) وأكثر (الكافية الشافية) وبعض (التسهيل). ثم قَرَأَ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعةً من (المُقَرَّب)[1].

وهذه كتبه: كــ(بدائع الفوائد)[2] و (التبيان في أقسام القرآن) وغيرها تشهدُ بإمامته في هذا الفن، ولكنَّه لم يفرغ له جهده. يَدُلُّ على ذلك ما وَعَدَ بــه مــن تأليف كتاب في (الحكومة بين البصريين والكوفيين فيما اختلفوا فيه، وبيان الراجح من ذلك)[3]، وما ذكره مترجموه من تأليفه لكتاب (معاني الأدوات والحروف)[4]، وهذا لا يتأتى إلا لمن تَقَدَّمَ في هذا العلم، وتَمَكَّنَ من أصوله وفروعه. وقد شهد له بذلك أصحابُ التراجم، ومنهم مَنْ هو من تلاميذه، كالحافظ ابن رجــب الــذي يقول عنه: تفنن في علوم الإسلام... وبالعربية، وله فيها اليدُ الطولى، وعلم الكلام والنحو[5].

ويقول السيوطي: صار من الأئمة الكبار في التفــسير والحــديث والفــروع والأصول والعربية[6].

---

(١) الوافي بالوفيات (٢/١٩٥).

(٢) قال عنه السيوطي: (وهو كثير الفوائد، أكثره مسائل نحوية). بغية الوعاة (١/٦٣).

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٣/٢٨).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات (٢/١٩٦) وبغية الوعاة (١/٦٣).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٦) بغية الوعاة (١/٦٣).

هذه إشارات تقتضيها هذه العجالة ، ومَنْ أرادَ البيانَ الشافي فعليه بما سَطَّره الباحثُ: أيمن الشوا، في كتابه (الإمام ابن قيم الجوزية، وآراؤه النحوية). فقد جَمَعَ فيه كُلَّ ما يتعلق بالدرس النحوي أصوله وفروعه، من كتب ابن القيم كافَّةً، وَرَتَّبها ترتيبًا موضوعيًا، فَقَدَّمَ بذلك خدمةً جليلة للباحثين، فجزاه الله خيرًا.

المبحث الثالث: موقفه من القراءات المتواترة:

ينطلقُ ابن القيم في تعامله مع القرآن - في جانبي الإعراب والتوجيه - من منطلقين رئيسين، يجدرُ الوقوفُ عندهما لتتضحَ معالمُ المنهج المحكم السديد الذي اختطَّه لنفسه، وسار عليه في إعرابه وتوجيهه. أمَّا الأول منهما: فهو أنَّ القرآن ليس كغيره من الكلام، لذا (لا يجوز أنْ يُحْمَلَ كلامُ الله عز وجل، ويُفَسَّرَ بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتملُه تركيبُ الكلام، ويكونُ الكلام به له معنًى ما، فإنَّ هذا مقامٌ غَلِطَ فيه أكثرُ المعربين للقرآن، فإنَّهم يُفَسِّرُون الآية ويعربونها بما يحتملُه تركيب تلك الجملة، ويُفهمُ من ذلك التركيب أيُّ معنًى اتَّفَقَ. وهذا غَلَطٌ عظيم يقطعُ السامعُ بأنَّ مُرَادَ القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر، وكلام آخر، فإنَّه لا يلزم أنْ يحتمله القرآن... بل للقرآن عُرْفٌ خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه... فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي)[1].

هذا ما يتعلق بجانب الإعراب، وهو المنطلق الأول، أمَّا الثاني: وهو ما يتعلق بجانب التوجيه — وهو مدار حديثنا — فهو يرى أنَّ القراءات المتواترة جمعاء، هي كلامُ الله، لا يجوزُ بأي حال من الأحوال الطعنُ فيها أو في نقلتها من أئمة القراء،

(١) بدائع الفوائد (٣/٢٧-٢٨).

الذين ثبتت عنهم بالتواتر. وهذا بابٌ زَلَّتْ فيه أقدامُ كثير من النحاة، بسبب مخالفة بعض القراءات ما تعارفوا عليه من قواعد، وأصَّلُوه من قوانين، وهـذا ولا شـك مزلقٌ خطير، وَقَفَ منه ابنُ القيم موقفَ العالم السلفي، الذي يعرفُ للقراء قدرهم، وللقراءات قدسيتها، فهو يحتجُ بها لا لها، ويُخْضِعُ قواعدَ النحو لشواهدها، بـل إنَّ (قواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتـصريفه وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها. فهو الحجة لها والشاهد. وشـواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد من غيره.

حتى إنَّ فيه من قواعد الإعراب، وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابطُ النحاة وأهل علم المعاني إلى الآن)[1]. فعليه (لا يجوزُ تحريـفُ كـلام الله انتصارًا لقاعدة نحوية، هَدْمُ مائة أمثالها أسهل من تحريف معنى الآيـة)[2]. وتحتـدُّ لهجته – رحمه الله – بسبب جرأة النحاة على كلام الله فيقول: (وهذا من النحـاة شبيهٌ من رَدِّ الجهمية نصوصَ الصفات، لمخالفتها أقيـستهم، ومـن رَدِّ أحاديـث الأحكام عند مخالفتها الرأي. والمقصودُ بالأقيسة والاستنباطات فَهْـمُ المنقـول لا تخطئته)[3]. ويُبَيِّنُ موقفه من أئمة هذا الشأن، بقوله: (ومن المصائب تخطئة العرب وأهل المدينة. ونحن إنَّما نجهدُ أنفسنا في استخراج المقاييس؛ لنوافقهم فيما تكلمـوا به. فإذا كان ما ثَبَتَ عنهم خطأً ولحنًا، وخالفناهم فيه، لم نكن تابعين لهـم، ولا قاصدين لنهج كلامهم)[4]. وقد سار ابنُ القيم على هذا النهج القويم في قبوله جميع

---

(١) الصواعق المرسلة (٤٧٤/٢).

(٢) بدائع الفوائد (٤٥/١).

(٣) المصدر السابق (١٨٠/٤).

(٤) المصدر السابق (١٧٩/٤).

القراءات المتواترة، وجعلها حاكمة لا محكومة، في جميع ما عَمَدَ إلى توجيهه، أو بيان الحجة فيه.

المبحث الرابع: الملامح البارزة في توجيهه للقراءات:

لم يكن توجيه القراءات هدفًا قائمًا بذاته عند ابن القيم، ولم تكن همتُه مصروفةً إليه؛ بل كان وسيلةً لفهم آية، أو بيان حكم، أو شرح دليل، أو إزالة إشكال. فهو في توجيهه لم يَسِرْ على وتيرة واحدة، وإنما يتعاطى القراءة بحسب السياق الذي يتحدث فيه.

فكلٌّ قراءة لها منهجها الخاص بها، ولكن يمكن تحديد أُطُرٍ عامة سار عليها ابنُ القيم في تعاطيه لهذه القراءات، وهي على النحو التالي:

١- يُوردُ القراءات في الآية مصرحًا بأسماء قرائها تارةً، ومغفلاً ذلك تارةً أخرى.

٢- يذكرُ في بعض الآيات القراءات الشاذة فيها، مع توجيهها نحويًا[(١)].

٣- يتوسع في تعليل بعض أوجه القراءات، بما لم تجده في كتب التوجيه المفردة[(٢)].

٤- يُورِدُ الاعتراضات ويرد عليها، بالحجة والدليل[(٣)].

٥- يَرُدُّ على الأقوال الشاذة في معاني القراءات[(٤)].

---

(١) كما في قراءة أبي حيوة بجر (غير). وقراءة الكسر في (شرب).

(٢) وهو أمرٌ ظاهر، بل هو من أبرز مميزات هذه المباحث، ويظهر ذلك في الفقرات التالية: (٢، ٧، ١٢، ١٦، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٧)

(٣) كما في توجيه قراءة الكسائي في الفقرة الثانية.

(٤) كما في قراءة التثقيل في (فتذكر) في الفقرة الأولى.

٦- يحتج بأقوال أهل المعاني في بيان معنى القراءة[١].

٧- يستدل بأقوال النحاة كسيبويه والمبرد والفارسي[٢].

٨- ينقل اختيارات أصحاب التوجيه، ممن اشتهروا في هذا الفن[٣].

٩- يناقش أقوال المعربين ويختار الراجح منها[٤].

١٠- يستشهد بالآيات والأحاديث في معرض الاستدلال[٥].

١١- يورد أقوال المفسرين في معنى الآية للاستدلال والتوضيح[٦].

١٢- يرجح بين القراءتين، معللاً سبب هذا الترجيح[٧].

خطة البحث:

١- جمعتُ أقوالَ ابن القيم في توجيه القراءات مستعيناً في ذلك -بعد الله- بكتابين جامعين: الأول منهما: (**بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**). وهو مطبوع في خمسة مجلدات. والثاني كتاب (**الإمام ابن قيم الجوزية وآراؤه النحوية**) وهو مطبوع في مجلد واحد. وهذان الكتابان من أجمع ما كُتِبَ عن ابن القيم رحمه الله. فالأول خَدَمَ جانبَ التفسير، والثاني خَدَمَ جانبَ النحو. فجزى اللهُ مؤلفيهما خير الجزاء. وإنْ كان يُؤْخَذُ عليهما إدخال كتاب (الفوائد

---

(١) انظر الفقرات (٢، ١١، ١٢).

(٢) انظر: الفقرات: (٤ ،١٢).

(٣) انظر الفقرات: (١٥، ١٧، ٢٤، ٢٥).

(٤) انظر الفقرات: (٤، ٧، ١٦، ١٧، ٢٦).

(٥) انظر الفقرات: (٢، ٢٢، ٢٦).

(٦) انظر الفقرات: (١٩، ٢٤، ٢٥).

(٧) انظر الفقرات: (٢، ٤، ٧، ٨، ١٢، ١٧، ٢٢، ٢٧).

المشوق إلى علوم القرآن) المنسوب لابن القيم، والذي ثبتت نسبته لابن النقيب، وطُبِعَ بأخرة منسوباً لصاحبه.

٢- رجعت في توثيق أقوال المؤلف إلى كتبه وجعلتُ الإحالة إليها.

٣- اقتصرت في هذا الجمع على القراءات المتواترة، دون غيرها من القـــراءات الشاذة، التي تعدد ذكرها في كتبه.

٤- رَتَّبْتُ هذه القراءات على نسق كتب التوجيه من حيث السور والآيات.

٥- أُورِدُ بعد ذكر الآية كلام ابن القيم بنصه، دون تدخل مني.

٦- قمت بتوثيق القراءات من أُمَّات كتب هذا الفن، واقتصرت في ذلك على ثلاثة كتب؛ وهي السبعة والتيسير والنشر.

٧- وثَّقْتُ الأقوال التي نقلها المؤلفُ من مصادرها الأصيلة، أو مـــن مـــصادر مساعدة.

٨- ترجمتُ لبعض الأعلام، وتركت البعض لشهرتهم.

٩- قمت بتوثيق الشواهد الشعرية، مع ضبطها بالشكل.

١٠- قمت بتصحيح ما أراه وهمًا في بعض مطبوعات كتب ابن القيم، أو أشير إلى هذا الوهم.

١١- عملت مقدمة وتمهيدًا صَدَّرْتُ بهما هذا البحث.



بسم الله الرحمن الرحيم

١- قوله تعالى: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال رحمه الله تعالى[(١)]: فيها قراءتان: التثقيلُ والتخفيفُ[(٢)]. والصحيحُ أنَّهما بمعنًى واحد من (الذِّكْر)[(٣)]. وأَبعَدَ مَنْ قال: فيجعلهما ذكرًا لفظًا ومعنًى[(٤)]. فإنَّه سبحانه جعل ذلك علَّةً للضلال الذي هو ضد الذِّكر، فإذا ضَلَّتْ أو نَسِيَتْ ذَكَّرَتْها الأخرى فَذَكَرَتْ[(٥)].

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) الطرق الحكمية (١٤٩-١٥٠).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بإسكان الذال وتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بفتح الذال وتشديد الكاف. وانفرد حمزة برفع الفعل، والباقون على النصب، ولم يتعرض لها المؤلف.
انظر: السبعة (١٩٣) والتيسير (٧١) والنشر (١٧٨/٢).

(٣) قال الفارسي: (فمن قال (فَتُذَكِّر إحداهما الأخرى) كان ممن جعل التعدية بالتضعيف، ومن قال (فَتُذْكِر إحداهما) كان ممن نقل بالهمزة. وكلاهما سائغ) الحجة (٤٣٢/٢). وانظر: علل القراءات (١٠٠/١) والكشف (٣٢١/١)، وشرح الهداية (٢١٢/١).

(٤) وذلك في قراءة التخفيف. ونُسِبَ هذا القول لسفيان بن عيينه في تفسير الطبري (١٦٩/٣) ومعاني القرآن للنحاس (٣١٨/١) والحجة لأبي علي (٤٣٢/٢) وزاد ابنُ زنجلة في حجة القراءات (١٥١) أبا عمرو بن العلاء. وتفرد مكي في الكشف (٣٢١/١) بنسبته للفراء، وما في المعاني (١٨٤/١) يخالف ذلك.
وَعَدَّ الزمخشري في الكشاف (٥١٣/١) هذا القول من بدع التفاسير. وانظر: البحر المحيط (٧٣٣/٢-٧٣٤) والدر المصون (٦٦٣/٢-٦٦٤).

(٥) قال ابن إدريس: (التخفيف في الإذكار أكثر، وفي الموعظة التشديد أشهر). المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١٠٢/١).

قال رحمه الله تعالى[١]: اختَلَف المفسرون: هل هو كلامٌ مُسْتَأْنَفٌ، أو داخلٌ في مضمون هذه الشهادة[٢]، فهو بعضُ المشهود به[٣].

وهذا الاختلاف مبنيٌّ على القراءتين في كسر (إنَّ) وفتحها. فالأكثرون على كسرها على الاستئناف، وَفَتَحَها الكسائيُّ وحدَه[٤].

والوجه هو الكسر؛ لأنَّ الكلام الذي قبله قد تم. فالجملةُ الثانية مُقَرِّرَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لمضمون ما قبلها. وهذا أبلغُ في التقرير، وأذهبُ في المدح والثناء[٥].

ولهذا كان كَسْرُ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[٦] أحسنَ من الفتح. وكان الكسر في قول الملبي: "لبيك إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك"[٧] أحسنَ من الفتح[٨].

وقد ذُكِرَ في توجيه قراءة الكسائي ثلاثةُ أوجه:

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٩٤-٤٩٦).

(٢) في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٨٤-٢٨٥).

(٤) انظر: السبعة (٢٠٢) والتيسير (٧٣) والنشر (٢/١٧٩).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٣/٢٢-٢٣) والكشف (١/٣٣٨).

(٦) سورة الطور، آية (٢٨) وهي قراءة السبعة عدا نافع والكسائي.

(٧) جزء من حديث ابن عمر في الصحيحين، البخاري (١٥٤٩) ومسلم (١١٨٤).

(٨) قال ابن حجر: (رُوِيَ بكسر الهمزة على الاستئناف، وبفتحها على التعليل. والكسر أجود عند الجمهور) فتح الباري (٣/٥١٦).

أحدها: أنْ تكونَ الشهادةُ واقعةً على الجملتين، فهي واقعةٌ على (أنَّ[(١)] الدين عند الله الإسلام) وهو المشهود به. ويكون فتح (أنَّه) من قوله (أنَّه لا إله إلا هـو) على إسقاط حرف الجر، أي: بأنَّه لا إله إلا هو. وهذا توجيـه الفـراء[(٢)]، وهـو ضعيفٌ جدًّا[(٣)]؛ فإنَّ المعنى على خلافه، وأنَّ المشهود به هو نفسُ قوله (أنَّه لا إلـه إلا هو)، فالمشهودُ به (أنَّ) وما في حَيِّزِهَـا، والعنايـةُ إلى هـذا صُـرِفَتْ، وبـه حَصَلَتْ. ولكنْ لهذا القول – مع ضعفه – وَجْهٌ، وهو أنْ يكون المعنى: شَـهِد اللهُ بتوحيده أنَّ الدين عند الله الإسلام[(٤)]. والإسلامُ هو توحيدُه سبحانه. فتـضمنت الشهادةُ توحيدَه وتحقيقَ دينه أنَّه الإسلامُ لا غيره.

الوجه الثاني: أنْ تكون الشهادةُ واقعةً على الجملتين معًا، كلاهما مـشهودٌ به، على تقدير حذف الواو وإرادتها. والتقدير: وأنَّ الدين عنده الإسلام، فتكـون جملةً استُغْنِيَ فيها عن حرف العطف بما تضمنت من ذكر المعطوف عليه[(٥)]. كمـا وَقَعَ الاستغناءُ عنـها في قولـه: ﴿ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فيحسنُ ذكرُ الواو وحذفُها كما حُذِفَتْ هنا، وَذُكِـرَتْ في قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[(٦)].

(١) في المطبوع (إنَّ) وما أثبته هو الموافق للسياق.

(٢) في معاني القرآن (١/١٩٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/٨٥-٨٦).

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن في الموضع السابق.

(٥) ذكر هذا القول الطبري في تفسيره (٣/٢٨٤-٢٨٥) ونسبه النحاس في معاني القرآن (١/٣٧٠) للكسائي. وانظر: البحر المحيط (٣/٦٨) والدر المصون (٣/٨٥).

(٦) سورة الكهف، آية: (٢٢).

الوجه الثالث: - وهو مذهبُ البصريين- أنْ يجعل (أنَّ) الثانية بـدلاً مـن الأولى، التقدير: شَهِدَ اللهُ أنَّ الدين عند الله الإسلام، وقولُه (أنَّه لا إلـه إلا هـو) توطئةٌ للثانية وتمهيد. ويكون هذا من البدل الذي الثاني فيه نفس الأول، فإنَّ الدينَ الذي هو نفسُ الإسلام عند الله هو شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، والقيامُ بحقها. ولك أنْ تجعله على هذا الوجه من باب بدل الاشـتمال؛ لأنَّ الإسـلام يـشتملُ علـى التوحيد[1].

فإنْ قيل: فكان ينبغي على هذه القراءة أنْ يقول: إنَّ الدين عنده الإسلام[2]؛ لأنَّ المعنى: شَهِدَ اللهُ أنَّ الدين عنده الإسلام. فَلِمَ عَدَلَ إلى لفظ الظاهر؟ قيل: هـذا يُرَجِّحُ قراءةَ الجمهور، وأنَّها أفصحُ وأحسنُ.

ولكنْ يجوزُ إقامةُ الظـاهر مُقَامَ المضـمر، وقـد وَرَدَ في القـرآن وكـلام العـرب كثيرًا[3]. فإنَّ الله تـعالى قـال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[4]، وقـال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5] وقـال تـعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[6].

٣- قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ﴾ [النساء: ٢٩].

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي (٢٣/٣) والكشف (٣٣٨/١) والبيان في غريب إعراب القرآن (١٩٥/١) والموضح (٣٦٤/١).

(٢) في المطبوع: إنَّ الدين عند الله الإسلام. وهو خلاف المقصود. وما أثبته هو الموافق للسياق.

(٣) انظر: أمالي ابن الحاجب (١٥٢/١-١٥٣).

(٤) سورة البقرة، آية: (١٩٦).

(٥) سورة الأنفال، آية: (٦٩).

(٦) سورة الأعراف، آية: (١٧٠).

قال رحمه الله تعالى[١]: قُرِئَ برفع التجارة ونصبها[٢]. فالرفع على التمام[٣]، والنصبُ على أنَّها خبرُ (كان) الناقصة. وفي اسمها على هذا وجهان:

أحدهما: التقدير: إلا أنْ يكونَ سببُ الأكل أو المعاملة تجارةً.

والثاني: إلا أنْ تكونَ أموالُ الناس تجارةً[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

قال رحمه الله تعالى[٥]: اختَلَف القراءُ في إعراب (غير)، فَقُرِئَ رفعًا ونصبًا، وهما في السبعة[٦].

وَقُرِئَ بالجر في غير السبعة[٧]، وهي قراءةُ أبي حَيْوَة[٨].

---

(١) بدائع الفوائد (٣/٧٣).

(٢) قرأ أهل الكوفة بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.
انظر: السبعة (٢٣١) والتيسير (٧٩) والنشر (٢/١٨٧).

(٣) أي أنْ تكون (كان) تامة، بمعنى: وقع أو حدث، وهي المستغنية بمرفوعها. انظر: الكتاب (١/٤٦) والمقتضب (٤/٩٥) والتبصرة والتذكرة (١/١٩١) وشرح المفصل (٧/٩٧-٩٨).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي (٣/١٥٢) والكشف (١/٣٨٦) والموضح (١/٤١٣).

(٥) طريق الهجرتين (٣٣٣-٣٣٤).

(٦) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.
انظر: السبعة (٢٣٧) والتيسير (٨١) والنشر (٢/١٨٩).

(٧) وهي قراءة شاذة. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٤٨٣) ومشكل إعراب القرآن (١/٢٠٦) والبحر المحيط (٤/٣٥).

(٨) شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام. روى القراءة عن الكسائي وغيره. توفي سنة (٢٠٣)هـ. غاية النهاية (١/٣٢٥).

فأمَّا قراءةُ النصب فعلى الاستثناء؛ لأنَّ (غيرًا) يُعْرَبُ في الاستثناء إعراب الاسم الواقعِ بعد (إلا) وهو النصب. هذا هو الصحيح[1].

وقالت طائفةٌ: إعرابُها نصبٌ على الحال[2]. أي: لا يستوي القاعدون غيرَ مضرورين، أي لا يستوون في حال صحتهم هم والمجاهدون[3]. والاستثناءُ أصحُّ؛ فإنَّ (غيرًا) لا تكادُ تقعُ حالاً في كلامهم إلا مضافة إلى نكرة[4]، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾[5] وقوله عز وجل: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾[6] وقوله ﷺ: "مرحبًا بالوفد غيرَ خزايا ولا ندامى"[7].

فإنْ أُضيفت إلى معرفة كانت تابعةً لما قبلها، كقوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[8].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠٨/٤) والكشف (٣٩٦/١).

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢٧٨/٢) ومغني اللبيب (٢١١) وهمع الهوامع (٢٧٨/٣) التصريح(٥٧٧/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٩٣/٢) وإعراب القرآن للنحاس (٤٨٣/١) وعلل القراءات (١٥٣/١) وحجة القراءات (٢١١) وشرح الهداية (٢٥٦/٢).

(٤) انظر: الأزهية (١٨٠).

(٥) سورة البقرة، آية: (١٧٣) وغيرها.

(٦) سورة المائدة، آية: (١).

(٧) جزء من حديث في صحيح البخاري (٥٣).

(٨) سورة الفاتحة، آية: (٧).

ولو قلت: مرحبًا بالوفد غيرِ الخزايا ولا الندامى؛ لجررتَ (غير). هـــذا هـــو المعروف من كلامهم[١].

والكلام في عدم تعريف (غير) بالإضافة، وحسن وقوعها إذ ذاك حالاً له مقامٌ آخر[٢].

وأما الرفعُ فعلى النعت للقاعدين. هذا هو الصحيح[٣]. وقال أبو إســحاق[٤] وغيرُه: هو خبرُ مبتدأ محذوف، تقديره: الذين هم غيرُ أولي الضرر[٥].

والذي حَمَلَه على هذا ظَنُّهُ أنَّ (غيرًا) لا تقبلُ التعريف بالإضافة، فلا تجــري صفةً للمعرفة[٦]. وليس مع مَن ادَّعَى ذلك حجةٌ يعتمدُ عليها، ســوى أنَّ (غـــيرًا) تَوَغَّلَتْ في الإبهام، فلا تتعرفُ بما يُضَافُ إليه[٧].

وجوابُ هذا أنَّها إذا دَخَلَتْ بين متقابلين لم يكن فيها إبهامٌ لتعيينها ما تُضَافُ إليه[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٧/١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢٤/٢-٢٨).

(٣) انظر: علل القراءات (١٥٣/١) والحجة لأبي علي (١٧٩/٣) والكشف (٣٩٦/١) وشــرح الهدايــة (٢٥٦/٢) والموضح (٤٢٦/١).

(٤) الزجاج.

(٥) انظر: معاني القرآن (٩٢/٢).

(٦) قال سيبويه: (وغير) أيضًا ليس باسم متمكن، ألا ترى أنَّها لا تكــون إلا نكــرة، ولا تُجمــع، ولا تدخلها الألف واللام). الكتاب (٤٧٩/٣). وانظر: شرح الكافية (٢١٠/٢-٢١١) وشرح التسهيل لابن مالك (٢٢٧/٣).

(٧) انظر: مغني اللبيب (٢١٠).

(٨) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢٢٦/٣-٢٢٧) ومغني اللبيب (٢١٠) والتصريح (٥٧٦/٢).

وأمَّا قراءةُ الجر ففيها وجهان أيضًا: أحدهما: - وهو الصحيح- أنَّه نعتٌ للمؤمنين[١]. والثاني: - وهو قول المبرد — أنه بدلٌ منه، بناءً على أنَّه نكرةٌ فلا تُنْعَتُ به المعرفة[٢].

وعلى الأقوال كُلِّها فهو مفهوم[٣] معنى الاستثناء، وإنَّ نفيَ التسوية غيرُ مُسَلَّطٍ على ما أُضيفَ إليه غيره، وقولــه ﴿ **فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُطَٰهِدِينَ ......عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً** ﴾[٤] هو مُبَيِّنٌ لمعنى نَفْيِ المساواة. قالوا: والمعنى: فَضَّلَ اللهُ المجاهدَ على القاعد من أولي الضَّررِ درجةً واحدة؛ لامتيازه عنه بالجهاد بنفسه وماله.

٥- قوله تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام : ٩١].

قال رحمه الله تعالى[٥]: مَنْ قَرَأَهَا بالياء[٦] فهو إخبارٌ عن اليهود بلفظ الغَيبة.

ومَنْ قَرأَهَا بتاءٍ للخطاب[٧]، فهو خطابٌ لهذا الجنس الذي فعلوا

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٨٤/١) ومعاني القرآن للزجاج (٩٣/٢) وإعراب القراءات الشواذ (٤٠٤/١).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٨٣/١).

(٣) كذا في المطبوع. ولعل الصواب (مُفْهِمٌ).

(٤) من الآية نفسها.

(٥) هداية الحيارى (٢٥١).

(٦) في الأفعال الثلاثة. وهما ابن كثير وأبو عمرو. انظر: السبعة (٢٦٢-٢٦٣) والتيسير (٨٦) والنشر (١٩٥/٢).

(٧) وهم بقية السبعة. انظر المصادر السابقة.

ذلك[١]، أي: تجعلونه يا مَنْ أُنْزِلَ عليه كذلك[٢]. وهذا من أعلام نبوته أنْ يُخبِرَ أهلَ الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم، وأنَّهم جعلوه قراطيسَ وأَبْدَوا بعضَه وأَخْفَوا كثيرًا منه. وهذا لا يُعْلَمُ من غير جهتهم إلاَّ بوحي من الله.

٦- قوله تعالى: ﴿ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩].

قال رحمه الله تعالى[٣]: قُرِئَ بكسر الدال وفتحها[٤]. فقيل: المعنى إنَّهم رِدْفٌ لكم. وقيل: يُرْدِفُ بعضُهم بعضًا أرسالاً لم يأتوا دَفْعَةً واحدةً[٥].

٧- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ [هود: ٨١].

قال رحمه الله تعالى[٦]: وقيل: إنَّ من هذا[٧] قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ

---

(١) قال ابن الجوزي: (والمعنى: تبدون منها ما تحبون وتخفون كثيراً، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم ونحو ذلك مما كتموه). زاد المسير (٨٤/٣). وانظر: تفسير الطبري (٣٥٠/٥-٣٥١).

(٢) انظر الحجة لأبي علي (٣٥٥/٣) والكشف (٤٤٠/١) والموضح (٤٨٥/١-٤٨٦).

(٣) زاد المعاد (١٧٦/٣-١٧٧).

(٤) قرأ نافع بفتح الدال، وقرأ الباقون بكسرها.
انظر: السبعة (٣٠٤) والتيسير (٩٥) والنشر (٢٠٧/٢).

(٥) القول الأول على قراءة الفتح، والقول الثاني على قراءة الكسر.
انظر: الحجة لأبي علي (١٢٤/٤-١٢٥) وحجة القراءات (٣٠٧-٣٠٨) وشرح الهداية (٣٢١/٢).

(٦) بدائع الفوائد (٦٥/٣-٦٦).

(٧) أي: الاستثناء المنقطع.

بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ في قراءة الرفع[١]. ويكونُ (امرأتك) مبتدأ، وخبرُه ما بعده[٢]. وهذا التوجيه أولى من أنْ يُجْعَلَ الاستثناءُ في قراءة مَنْ نَصَبَ من قوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، وفي قراءة مَنْ رَفَعَ من قوله ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾[٣] رفعًا ونصبًا[٤]. وإنَّما قلنا إنَّه أولى؛ لأنَّ المعنى عليه، فإنَّ الله تعالى أَمَرَه أنْ يَسْرِيَ بأهله إلا امرأته. ولو كان الاستثناءُ من الالتفات لكان قد نَهَى المُسْرَى بهم عن الالتفات وأَذِنَ فيه لامرأته[٥]. وهذا ممتنعٌ لوجهين: أحدهما: أنَّه لم يَأْمُرْه أنْ يسريَ بامرأته، ولا دَخَلَتْ في أهله الذين وُعِدَ بنجاتهم.

والثاني: أنَّه لم يُكَلِّفْهم بعدم الالتفات ويَأْذَنَ فيه للمرأة.

---

(١) في قوله (امرأتك) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالنصب.
انظر: السبعة (٣٣٨) والتيسير (١٠٢) والنشر (٢/٢١٨)

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢/٢٦٦-٢٦٧) وشواهد التوضيح والتصحيح (٤٢) ومغني اللبيب (٧٧٩-٧٨٠).

(٣) وهو قول غالب أهل التوجيه. انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٦٩-٧٠) وإعراب القرآن للنحاس (٢/٢٩٦-٢٩٧) والحجة لأبي علي (٤/٣٧١) وحجة القراءات (٣٤٧-٣٤٨) والكشف (١/٥٣٦) وشرح الهداية (٢/٣٥٢-٣٥٣) والكشاف (٣/٢٢) والموضح (٢/٦٥٦).

(٤) وهو اختيار ابن مالك في شرح التسهيل (٢/٢٢٦-٢٦٧) وابن هشام في مغني اللبيب (٧٨٠).

(٥) وبهذا اعترض أبو عبيد على قراءة الرفع. انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٣٧١-٣٧٢) والمحرر الوجيز (٣/١٩٦) والبيان في غريب إعراب القرآن (٢/٢٦).

٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قال رحمه الله تعالى[١]: قال تعالى حاكيًا عن موسى أنَّه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ أي: هالكًا[٢]، على قراءة مَنْ فَتح التاءَ[٣]، وهي قراءةُ الجمهور. وَضَمَّهَا الكسائيُّ وحدَه[٤].

وقراءةُ الجمهور أحسنُ وأوضحُ وأفخمُ معنًى، وبها تقومُ الدلالةُ ويتمُّ الإلزامُ بتحقق كُفْرِ فرعون وعناده[٥]. ويشهدُ لها قولُه تعالى إخبارًا عنه وعن قومه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٩٠-٩١).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٢٠٣).

(٣) في قوله (علمت).

(٤) انظر: السبعة (٣٨٥-٣٨٦) والتيسير (١١٥) والنشر (٢/٢٣٢).

(٥) قال ابن إدريس: (فضمُّ التاء إخبارٌ من موسى عليه السلام عن نفسه أنَّه عَلِمَ ذلك. وفتحها إعلامٌ من موسى لفرعون أنَّه عَلِمَ بذلك ولكنَّه عاند، فكانت الحجة عليه أعظم، لأنَّه خالف مع العلم). المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١/٤٠٤).

(٦) سورة النمل، الآيتان: (١٣، ١٤).

فأخبر سبحانه أنَّ تكذيبهم وكفرهم كان عن يقين — وهو أقوى العلم[١]– ظُلْمًا منهم وعُلُوًّا لا جهلاً[٢].

٩– قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج: ٢٣].

قال رحمه الله تعالى[٣]: اختلفوا في جَرِّ (لؤلؤ) ونصبه[٤]. فَمَنْ نَصَبَه ففيه وجهان: أحدهما: أنَّه عَطْفٌ على موضع قوله (مِنْ أَسَاوِرَ).

والثاني: أنَّه منصوبٌ بفعل محذوف دَلَّ عليه الأول. أي: وَيُحَلَّونَ لؤلؤا.

وَمَنْ جَرَّه فهو عطفٌ على الذَّهَب. ثم يحتملُ أمرين: أحدهما: أنْ يكونَ لهم أَسَاوِرُ من ذهب وأَسَاوِرُ من لؤلؤ. ويحتملُ أنْ تكونَ الأَسَاوِرُ مُرَكَّبَةً من الأَمرين معًا، الذهبُ المُرَصَّعُ باللؤلؤ[٥]. واللهُ أعلمُ بما أراد.

١٠– قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

قال رحمه الله تعالى[٦]: قول الله تعالى ذكره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: لسان العرب (يقن).

(٢) انظر: حجة القراءات (٤١١) والكشف (٥٢/٢) وشرح الهداية (٣٩٢/٢) والموضح (٧٦٩/٢-٧٧٠).

(٣) حادي الأرواح (٢٤٣).

(٤) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالجر.
انظر: السبعة (٤٣٥) والتيسير (١٢٧) والنشر (٢٤٤/٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤١٩/٣-٤٢٠) وحجة القراءات (٤٧٤) والبحر المحيط (٤٩٧/٧) والدرر المصون (٢٥٣/٨-٢٥٤).

(٦) الوابل الصيب (٩٦).

ءَامَنُوٓاْ﴾ وفي القراءة الأخرى (إنَّ الله يَدْفَعُ)[١]. فَدَفْعُهُ وَدِفَاعُه[٢] عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله. ومادةُ الإيمان وقوتُه بذكر الله تعالى. فَمَنْ كان أكملَ إيمانًا وأكثرَ ذِكْرًا كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودفاعُه أعظم. وَمَنْ نَقَصَ نَقَص، ذِكْرًا بِذِكْرٍ وَنِسْيَانًا بِنِسْيَان.

١١- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾

[الفرقان: ١٨]

قال رحمه الله تعالى[٣]: وفيها قراءتان أشهرهما: (نَتَّخِذَ) بفتح النون وكسر الخاء، على البناء للفاعل، وهي قراءةُ السبعة.

والثانية: (نُتَّخَذَ) بضم النون وفتح الخاء، على البناء للمفعول وهي قراءةُ الحسن[٤] ويزيد بن القعقاع[٥].

وعلى كُلٍّ واحدة من القراءتين إشكال: فأمَّا قراءةُ الجمهور، فإنَّ الله سبحانه إنَّما سَأَلَهم: هل أَضَلُّوا المشركين بأمرهم إياهم بعبادتهم، أم هم ضَلُّوا السبيل باختيارهم وأهوائهم؟ وكيف يكونُ هذا الجوابُ مطابقًا للسؤال؟ فإنَّه لم يسألهم: هل اتخذتم من دوني أولياء، حتى يقولوا: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يدفع) من غير ألف. وقرأ الباقون (يدافع) بألف. انظر: السبعة (٤٣٧) والتيسير (١٢٨) والنشر (٢/٢٤٥).

(٢) قال ابن إدريس: (فإسقاطُ الألف من (دَفَعَ يَدْفَعُ)، وإثباتها من (دَافَعَ يُدَافِعُ دِفَاعًا)). المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٢/٤٨١).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/٢٤٠-٢٤٢).

(٤) البصري.

(٥) أبو جعفر أحد القراء العشرة، انظر: النشر (٢/٢٥٠) والإتحاف (٢/٣٠٦).

مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾، وإنَّما سألهم: هل أَمَرْتُم عبادي هؤلاء بالشرك، أم هم أَشْرَكُوا من قَبَلِ أنفسهم؟ فالجوابُ المطابقُ أنْ يقولوا: لم نَأْمُرْهم بالشرك، وإنَّما هم آثروه وارتضوه أو لم نأْمُرْهم بعبادتنا، كما قال في الآية الأخرى عنها: ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾[1].

فلمَّا رأى أصحابُ القراءة الأخرى ذلك فَرُّوا إلى بناء الفعل للمفعول. وقالوا: الجوابُ يَصِحُّ على ذلك ويطابق، إذ المعنى : ليس يَصْلُحُ لنا أنْ نُعْبَدَ ونُتَّخَذَ آلهةً فكيف نَأْمُرُهم بما لا يصلحُ لنا، ولا يحسنُ مِنَّا؟ ولكنْ لَزِمَ هؤلاء من الأشكال أمرٌ آخر، وهو قولُه: ﴿ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾، فإنَّ زيادة "مِنْ" لا يحسنُ إلا مع قصد العموم[2]، كما تقول: ما قامَ مِنْ رجلٍ، وما ضربتُ مِنْ رجلٍ. فأمَّا إذا كان النفيُ واردًا على شيءٍ مخصوص، فإنه لا يحسنُ زيادةُ "مِنْ" فيه، وهم إنَّما نَفَوا عن أنفسهم ما نُسِبَ إليهم من دعوى المشركين أنَّهم أَمَرُوهم بالشرك، فَنَفَوا عن أنفسهم ذلك بأنَّه لا تحسنُ منهم، ولا يليقُ بهم أنْ يُعْبَدُوا، فكيف ندعو عبادَك إلى أنْ يعبدونا؟ فكان الجوابُ على هذا: أنْ تُقْرَأَ: ما كان ينبغي لنا أنْ نُتَّخَذَ أولياءَ من دونك، أو من دونك أولياء[3].

فأجابَ أصحابُ القراءة الأولى بوجوه:

أحدها: أنَّ المعنى: ما كان ينبغي لنا أنْ نعبدَ غيرَك، ونتخذَ غيرَك وليًّا ومعبودًا.

---

(١) سورة القصص، آية: (٦٣).

(٢) انظر: الجنى الداني (٣١٦) ومغني اللبيب (٤٢٥).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٥٤-١٥٥) وتفسير القرطبي (١٣/١٥).

فكيف ندعو أحدًا إلى عبادتنا؟ أي إذا كانوا لا يرون لأنفسهم عبادةَ غير الله تعالى، فكيف يدعون غيرَهم إلى عبادتهم؟ وهذا جوابُ الفراء[١].

وقال الجرجاني: هذا بالتدريج يصير جوابًا للسؤال الظاهر، وهو أنَّ مَنْ عَبَدَ شيئًا فقد تَوَلَّاه، وإذا تَوَلَّاه العابدُ صار المعبودُ وليًّا للعابد. يَدُلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾[٢] فَدَلَّ على أنَّ العابد يصيرُ وليًّا للمعبود.ويصيرُ المعنى كأنَّهم قالوا: ما كان ينبغي لنا أنْ نَأْمُرَ غيرَنا باتخاذنا أولياءَ، وأنْ نتخذ من دونك وليًّا يعبدُنا. وهذا بسطٌ لقول ابن عباس في هذه الآية. قال: يقولون: ما تَوَلَّيْنَاهم، ولا أَحْبَبْنَا عبادتَهم. قال: ويحتملُ أنْ يكونَ قولُهم: ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أنْ يُريدُوا مَعْشَرَ العبيد، لا أنفسَهم. أي نحن وهم عبيدُك، ولا ينبغي لعبيدك أنْ يتخذوا من دونك أولياء. ولكنَّهم أضافوا ذلك إلى أنفسهم تواضعًا منهم. كما يقولُ الرجلُ لِمَنْ أتى منكرًا: ما كان ينبغي لي أنْ أَفْعَلَ مثلَ هذا، أي أنت مثلي عبدٌ مُحَاسَبٌ، فإذا لم يَحْسُنْ من مثلي أنْ يفعلَ هذا لم يَحْسُنْ منك أيضًا.

قال: ولهذا الإشكال قَرَأَ مَنْ قَرَأَ: (نُتَّخَذَ) بضم النون. وهذه القراءةُ أقربُ في التأويل[٣]. لكنْ قال الزجاج[٤]: هذه القراءةُ خَطَأٌ، لأنَّك تقولُ: ما

---

(١) في معاني القرآن (٢/٢٦٤).

(٢) سورة سبأ، الآيتان (٤٠، ٤١).

(٣) لم أقف على هذا النص للجرجاني ولا على قول ابن عباس رضي الله عنهما فيما لدي من مصادر.

(٤) في معاني القرآن (٤/٦٠-٦١).

اتَّخَذْتُ مِنْ أحدٍ وليًّا، ولا يجوزُ: ما اتَّخّذْتُ أحدًا مِنْ ولي، لأنَّ "مِنْ" إنَّمَا دَخَلَتْ لأنَّها تنفي واحدًا من معنى جميع. تقول: ما مِنْ أحد قائمًا، وما مِنْ رجل محبًّا لمـــا يَضُرُّه، ولا يجوزُ: ما رجلٌ مِنْ محب لِمَا يضرُّه. قال: ولا وجَه عندنا لهذا البَتَّةَ، ولو جازَ هذا لجَازَ في: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[1] ما أحدٌ عنه مِـــنْ حاجزين. فلو لم تدخل "مِنْ" لصحت هذه القراءة.

قال صاحبُ النظم: العلةُ في سقوط هذه القراءة: أنَّ "مِنْ" لا تدخلُ إلا على مفعول لا مفعولَ دونَه، فإذا كان قبلَ المفعول مفعولٌ لم يَحْسُنْ دخـــولُ "مـــنْ"، كقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾[2] فقولــه: ﴿ مِن وَلَدٍ ﴾ لا مفعول دونه سواه، ولو قال: ما كان لله أنْ يَتَّخِذَ أحدًا من ولد، لم يَحْـــسُنْ فيـــه دخولُ "مِنْ" لأنَّ فعل الاتخاذ مشغولٌ بأحد. وَصَحَّحَ آخرون هذه القـــراءةَ لفظًـــا ومعنًى، وأَجْرَوها على قواعد العربية. قالوا: وقد قَرَأَ بها مَنْ لا يُرْتَابُ في فصاحته، فَقَرَأَ بها زيدُ بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو جعفر، ومجاهد، ونَصْر بـــن علقمـــة، ومكحول، وزيد بن علي، وأبو رجاء، والحسن، وحَفْص بن حميد، ومحمـــد بـــن علي، على خلاف عن بعض هؤلاء. ذكر ذلك أبو الفتح ابنُ جني[3]. ثم وَجَّهَهَـــا بأنْ يكون "مِنْ أولياء" في موضع الحال، أي ما كان ينبغي لنا أنْ نَتَّخِذَ مِنْ دونـــك أولياء. ودخلت "مِنْ" زائدةً لمكان النفي. كقولك: اتَّخَذْتُ زيدًا وكيلاً، فإذا نفيتَ قلتَ: ما اتَّخّذْتُ زيدًا مِنْ وكيل. وكذلك: أعطيتُه درهمًا. وما أعطيتُه مِنْ درهم.

---

(١) سورة الحاقة، آية: (٤٧).

(٢) سورة مريم، آية: (٣٥).

(٣) في المحتسب (١١٩/٢-١٢٠). وانظر: زاد المسير (٧٨/٦) والبحر المحيط (٩٢/٨).

وهذا في المفعول فيه. قلتُ: يعني أنَّ زيادتَها مع الحال، كزيادتها مع المفعول[١].

ونظيرُ ذلك أنْ تقولَ: ما ينبغي لي أنْ أخدمك متثاقلاً، فإذا أَكَّدْتَ، قلتَ: مِنْ متثاقل. فإنْ قيل: فقد صَحَّت القراءتان لفظًا ومعنًى، فأيُّهما أحسن؟.

قلتُ: قراءةُ الجمهور أحسنُ وأبلغُ في المعنى المقصود، والبراءةُ مما لا يليقُ بهم، فإنَّهم على قراءة الضَّمِّ: يكونون قد نَفَوا حُسْنَ اتخاذ المشركين لهم أولياء، وعلى قراءة الجمهور: يكونون قد أخبروا أنَّهم لا يليقُ بهم، ولا يحسنُ منهم أنْ يتخذوا وليًا من دونه، بل أنت وحدَك وَلِيُّنا ومعبودُنا، فإذا لم يَحْسُنْ بنا أنْ نُشْرِكَ بك شيئًا، فكيف يليقُ بنا أنْ نَدْعُوَ عبادَك إلى أنْ يعبدونا من دونك؟ وهذا المعنى أَجَلُّ من الأول وأكبرُ، فتأمله[٢].

والمقصود: أنَّه على القراءتين: فهذا الجوابُ من الملائكة، وَمَنْ عُبِدَ من دون الله من أوليائه، وأمَّا كونُه من الأصنام فليس بظاهر.

١٢- قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠].

قال رحمه الله تعالى[٣]: وأمَّا قولُه ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ فهذه فيها قراءتان: إحداهما: (إلياسين) بوزن (إسماعيل)[٤]، وفيها وجهان: أحدهما: أنَّه اسمٌ ثانٍ للنبي (إلياس و إلياسين) كميكال وميكائيل.

والوجه الثاني: أنَّه جمعٌ، وفيه وجهان: أحدهما: أنَّه جمعُ (إلياس)، وأصلُه:

---

(١) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٣/١٣٩-١٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/٥٢).

(٣) جلاء الأفهام (١٦٢-١٦٣).

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي.

انظر: السبعة (٥٤٩) والتيسير (١٥١) والنشر (٢/٢٦٩).

(إلياسيين) بياءين، كعبرانيين، ثُمَّ خُفِّفَتْ إحدى الياءين فقيل: إلياسين. والمرادُ أتباعُه، كما حكى سيبويه[١]: الأشعرون، ومثله: الأعجمون. والثاني: أنَّه جمعُ (إلياس) محذوف الياء.

والقراءةُ الثانية: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ آلِ يَاسِينَ ﴾[٢] وفيه أوجه:

أحدها: أنَّ (ياسين) اسمٌ لأبيه، فَأُضِيفَ إليه الآل. كما يُقَالُ: آلُ إبراهيم. والثاني: أنَّ (آل ياسين) هو إلياسُ نفسُه، فيكونُ (آل) مضافة إلى (ياسين). والمرادُ بالآل (ياسين) نفسه، كما ذَكَرَ الأَوَّلُون. والثالث: أنَّه على حذف ياء النسب فَيُقَالُ: (ياسين) وأصله: ياسيين، كما تقدم. وآلُهم أتباعُهم على دينهم. والرابع: أنَّ (ياسين) هو القرآن، وآلُه هم أهلُ القرآن. والخامس: أنَّه النبي ﷺ، وآلُه أقاربُه وأتباعه، كما سيأتي[٣].

وهذه الأقوالُ كُلُّها ضعيفة، والذي حَمَلَ قائلها عليها استشكالهم إضافة (آل) إلى (ياسين)، واسمُه: إلياس وإلياسين. ورأوها في المصحف مفصولة[٤]. وقد قَرَأَها بعضُ القراء: (الياسين)[٥] فقال طائفةٌ منهم: له أسماء: ياسين، وإلياسين، وإلياس.

---

(١) في الكتاب (٣/٤١٠).

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر. انظر: مصادر القراءة السابقة.

(٣) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري (١٢/١١٤-١١٥) وزاد المسير (٧/٨٢-٨٤) وتفسير القرطبي (١٥/١١٥-١١٧) والبحر المحيط (٩/١٢٢-١٢٣).

(٤) انظر: النشر (٢/٢٦٩).

(٥) بألف الوصل، وهي قراءة شاذة. انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٤٣٦) والمحتسب (٢/٢٢٣) والبحر المحيط (٣/١٢٣).

وقالت طائفةٌ: (ياسين) اسمٌ لغيره، ثُمَّ اختلفوا، فقال الكلبيُّ[(١)]: (ياسين) محمدٌ ﷺ[(٢)]. وقالت طائفةٌ: هو القرآن. وهذا كُلُّه تعسفٌ ظاهرٌ لا حاجة إليه. والصوابُ –والله أعلم– في ذلك أنَّ أصلَ الكلمة (آل إلياسين)، كآل إبراهيم، فَحُذِفَت الألفُ واللامُ من أَوَّله لاجتماع الأمثال، ودلالة الاسم على موضع المحذوف. وهذا كثيرٌ في كلامهم، إذ اجتمعت الأمثالُ كَرِهُوا النّطْقَ بها كُلِّها، فَحَذَفُوا منها ما لا إلباسَ في حذفه. وإنْ كانوا لا يحذفونه في موضع لا تجتمعُ فيه الأمثالُ، ولهذا لا يحذفون النونَ من (إنِّي وأنِّي وكأنِّي ولكنِّي). ولا يحذفونها من (ليتني). ولَمَّا كانت اللامُ في (لعل) شبيهةً بالنون حذفوا النونَ معها. ولا سِيَّمَا عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له. فيقولون مرةً: (إلياسين)، ومرةً: (ياسين). وَرُبَّمَا قالوا: (ياس)[(٣)]، ويكون على إحدى القراءتين قد وَقَعَ السلامُ عليه، وعلى القراءة الأخرى على آله.

١٣– قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال رحمه الله تعالى[(٤)]: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ وفي القراءة الأخرى (عِبَادَهُ)[(٥)] وهما سواء؛ لأنَّ المفردَ مضافٌ، فَيَعُمُّ عمومَ الجمع[(٦)].

---

(١) محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر. الأخباري المفسر. توفي بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. وفيات الأعيان (١٢٦/٤) وسير أعلام النبلاء (٢٤٨/٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣٩٢/٢).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٣٧/٣–٤٣٨).

(٤) الوابل الصيب (١١).

(٥) قرأ حمزة والكسائي بالجمع، وقرأ الباقون بالإفراد.
انظر: السبعة (٥٦٢) والتيسير (١٥٣) والنشر (٢٧١/٢).

(٦) قال الزمخشري (ويجوز أنْ يريد (العبد والعباد) على الإطلاق؛ لأنَّه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم). الكشاف (٣٠٦/٥). وانظر: الموضح (١١١٣/٣).

١٤- قولـــه تعـــالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال رحمه الله تعالى[١]: قرأ أهلُ الكوفة على البناء للمفعول، حملاً على (زُيِّنَ). وقرأ الباقون (وَصَدَّ) بفتح الصاد[٢]، ويحتملُ وجهين : أحدهما: أَعْرَضَ، فيكـــون لازمًا. والثاني: صَـــدَّ غيره، فيـــكون متعـــدياً. والقراءاتـــان كالآيـــتين لا يتناقضان[٣].

١٥- قوله تعـــالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور :٢٨].

قال رحمه الله تعالى[٤]: كَسْرُ (إنَّ) وَفَتْحُها[٥]. فَمَنْ فَتَح كان المعنى: نَـــدْعُوهُ لأَنَّه هُوَ البَرُّ الرَّحِيْمُ. وَمَنْ كَسَرَ كان الكلامُ من جملتين: إحداهما قوله (نَدْعُوْهُ)، ثُـــمَّ اسْتَأْنَفَ فقال: (إِنَّه هُوَ البَرُّ الرَّحِيْمُ). قال أبو عبيد: والكسرُ أحسنُ، وَرَجَّحَـــه بمـــا ذكرناه[٦].

---

(١) شفاء العليل (٩٦).

(٢) انظر: السبعة (٥٧١) والتيسير (١٠٨) والنشر (٢/٢٢٣).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي (٦/١١١-١١٢) والمختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١/٣٦٠-٣٦١).

(٤) تهذيب مختصر سنن أبي داود (٢/٣٣٨).

(٥) قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: السبعة (٦١٣) والتيسير (١٦٥) والنـــشر (٢/٢٨٢).

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/٢٥٨) وحجة القراءات (٦٨٣-٦٨٤) والمختار في معاني قراءات أهـــل الأمصار (٢/٧٠٧).

١٦- قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

قال رحمه الله تعالى[١]: فيها قراءتان: إحداهما بتخفيف (كَذَبَ)، والثانية بتشديدها[٢]. يُقَالُ: كَذَبَتْه عينُه، وكَذَبَه قلبُه، وكَذَبَه حَدْسُه، إذا أَخْلَفَ ما ظَنَّه وحَدَسَه[٣]، قال الشاعر[٤]:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رَأَيتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبَابِ خَيَالا

أي: أَرَتْكَ ما لا حقيقةَ له[٥]. فَنَفَى هذا عن رسوله، وأَخْبَرَه أنَّ فُؤَادَه لم يَكْذِبْ ما رآه. و (ما) إمَّا أنْ تكونَ مصدريةً، فيكون المعنى: ما كَذَبَ فُؤَادُه رُؤْيَتَه. وإمَّا أنْ تكون موصولةً، فيكون المعنى: ما كَذَبَ الفُؤَادُ الذي رآه بعينه[٦].

وعلى التقديرين فهو إخبارٌ عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما، وتصديق كل منهم لصاحبه. وهذا ظاهرٌ جدًّا في قراءة التشديد. وقد اسْتَشْكَلَها طائفةٌ منهم المبردُ،، وقال: في هذه القراءة بُعْد[٧]، قال: لأنَّه إذا رأى بقلبه فقد عَلِمَه أيضًا بقلبه، وإذا وَقَعَ العلمُ فلا كَذِبَ معه، فإنَّه إذا كان الشيءُ في القلب معلومًا فكيف يكونُ معه تكذيب؟ قلتُ: وجوابُ هذا من وجهين: أحدهما: أنَّ الرجلَ قد يَتَخَيَّلُ

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٥٦).

(٢) قرأ هشام عن ابن عامر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.

انظر: السبعة (٦١٤) والتيسير (١٦٦) والنشر (٢/٢٨٣).

(٣) انظر: لسان العرب (كذب).

(٤) وهو الأخطل. والبيت في ديوانه (٢٣٩) والكتاب (٣/١٧٤) والمقتضب (٣/٢٩٥) وأمالي ابن الشجري (٣/١٠٩) والتصريح (٣/٥٩٢).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٢٣١).

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٦٩٢-٦٩٣).

(٧) لم أقف على قول المبرد هذا وَوَصْفُ القراءة بالبعد هو قول النحاس في إعراب القرآن (٤/٢٦٨).

الشيء على خلاف ما هو به، فَيُكَذِّبُه قلبُه، إذ يُريه صورةَ المعلوم على خلاف ما هي عليه، كما تُكَذِّبُه عينُه، فيقالُ: كَذَّبَتْه عينُه. فنفى -سبحانه- ذلك عن رسوله، وأخبر أنَّ ما رآه الفؤادُ فهو كما رآه. كَمَنْ رأى الشيء على حقيقة ما هو به، فإنَّه يَصِحُّ أنْ يُقَالَ: لم تُكَذِّبْه عينُه[١].

الثاني: أنْ يكونَ الضميرُ في (رأى) عائدًا إلى الرأي لا إلى الفؤاد، ويكون المعنى: ما كَذَّبَ الفُؤَادُ ما رآه البصرُ. وهذا - بحمد الله- لا إشكال فيه. والمعنى: ما كَذَّبَ الفُؤَادُ ما رآه البَصَرُ بل صَدَّقَه[٢].

وعلى القراءتين فالمعنى: ما أَوْهَمَهُ الفُؤَادُ أنَّه رأى و لم يَرَ، ولا اتَّهَمَ بَصَرَه.

وقال رحمه الله في موضع آخر[٣]: قال سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي: ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رآه ببصره. ولهذا قرأها أبو جعفر[٤] ﴿ مَا كَذَّبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ بتشديد الذال. أي: لم يُكَذِّب الفُؤَادُ البَصَرَ، بل صَدَّقَه وَوَاطَأَه؛ لصحة الفُؤَادِ والبصرِ أو استقامة البصيرة والبصر، وكون المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حَقًّا. وَقَرَأَ الجمهورُ (مَاكَذَبَ الفُؤَادُ) بالتخفيف، وهو مُتَعَدٍّ، و(مَا رَأَى) مفعوله. أي: ما كَذَبَ قَلبُه ما رَأَتْه عيناه، بل وَاطَأَه وَوَافَقَه.

١٧- قوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم :١٢].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٦٦/١٣) والكشف (٢٩٤/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٩٦/٣) والدر المصون (٨٨/١٠).

(٣) مدارج السالكين (٣٩٨/٢-٣٩٩).

(٤) يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة. وهي قراءة التشديد التي هي رواية هشام السابقة.

قال رحمه الله تعالى[١]: فيها قراءتان: ﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ﴾ و ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾[٢].

وهذه المماراةُ أصْلُها من الجحد والدفع، تقول: مَرَيْت الرجلَ حَقَّه، إذا جَحَدْتُه[٣]. كما قال الشاعر:

لَئِنْ هَجَرْتَ أَخا صِدْقٍ وَمَكْرُمَةٍ لَقَدْ مَرَيْتَ أخًا مَا كَانَ يَمْرِيكَا[٤]

ومنه المماراة، وهي المجادلةُ والمكابرة، ولهذا عَدَّى هذا الفعلَ بـ(على)، وهي على بابها، وليستْ بمعنى (عن) كما قَالَه المبردُ[٥]. بل الفعلُ متضمنٌ معنى المكابرة، وهذا في قراءة الألف أظهر[٦].

ورَجَّحَ أبو عبيدة[٧] قراءةَ مَنْ قَرَأَ (أَفَتَمْرُوْنَهُ). قال: وذلك أنَّ المشركين إنَّما شأنُهم الجحود لِمَا كان يأتيهم من الوحي. وهذا كان أكثر من المماراة منهم. يعني أنَّ مَنْ قرأ (أَفَتُمَارُونَه) فمعناه: أفتجادلونه؟ ومَنْ قرأ (أَفَتَمْرُوْنَهُ) معناه: أفتجحدونه؟ وجحودُهم لِمَا جاء به كان هو شأنَهم، وكان أكثر من مجادلتهم له. وخالفه أبو علي وغيره، واختاروا قراءةَ (أَفَتُمَارُونَه). قال أبو علي: مَنْ قرأ (أَفَتُمَارُونَه)

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٥٧).

(٢) قرأ (أَفَتَمْرُوْنَهُ) بفتح التاء من غير ألف حمزة والكسائي. وقرأ الباقون (أَفَتُمَارُونَه) بضم التاء وألف. انظر: السبعة (٦١٤-٦١٥) والتيسير (١٦٦) والنشر (٢/٢٨٣).

(٣) انظر: الكشاف (٥/٦٣٩-٦٤٠).

(٤) البيت من غير نسبة في المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٢/٧٠٩) والكشاف (٥/٦٣٩) وتفسير القرطبي (١٧/٩٤) والبحر المحيط (١٠/١٢) والدر المصون (١٠/٨٩).

(٥) في الكامل (٢/٧٢١).

(٦) انظر: الكشف (٢/٢٩٤-٢٩٥) والكشاف (٥/٦٣٩).

(٧) كذا في المطبوع، وفي تفسير القرطبي (١٧/٩٤): أبو عبيد.

فمعناه: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دَفْعَه عَمَّا عَلِمَه وَشَاهَدَه؟ وَيُقَوِّي هذا الوجه قولُه تعالى ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾[1]. ومَنْ قرأ (أَفَتَمْرُوْنَهُ) كان المعنى: أفتجحدونه؟ قال: والمجادلة كأنَّها أَشْبَهُ في هذا؛ لأنَّ الجحود كان منهم في هذا وغيره، وقد جادله المشركون في الإسراء[2].

قلتُ: القومُ جَمَعُوا بين الجدال والدفع والإنكار، فكان جدالُهم جدالَ جحود ودَفْعٍ لا جدالَ اسْتِرشَادٍ وَتَبَيُّن حَقٍّ. وإثباتُ الألف يدلُّ على المجادلة، والإتيانُ بـ(على) يدلُّ على المكابرة، فكانت قراءةُ الألف منتظمةً للمعنيين جميعًا، فهي أولى، وبالله التوفيق.

١٨- قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ [الواقعة :٥٥].

قال رحمه الله تعالى[3]: قُرِأَت الآيةُ بالوجوه الثلاثة[4]. فَمَنْ قَرَأَهَا بالضم أو الفتح فهو مصدر. ومَنْ قَرَأَهَا بالكسر فهو بمعنى المشروب[5].

وعلى الأول يَقَع التشبيهُ بين الفعلين، وهو المقصود بالذِّكْر. شَبَّهَ شُرْبَهم من الحميم[6] بشرب الإبل العطاش التي قد أصابها الهِيَامُ، وهو داءٌ تشربُ منه ولا

(١) سورة الأنفال، آية: (٦).

(٢) الحجة لأبي علي (٢٣٠/٦). وانظر: الكشف (٢٩٥/٢).

(٣) بدائع الفوائد (٩٦/٢-٩٧).

(٤) في كلمة (شرب) فقد قرأها نافع وعاصم وحمزة بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها.
انظر: السبعة (٦٢٣) والتيسير (١٦٨) والنشر (٢٨٦/٢). وأما قراءة الكسر فهي شاذة. انظر زاد المسير (١٤٥/٨) والبحر المحيط (٨٧/١٠) والدر المصون (٢١١/١٠).

(٥) انظر: إعراب القراءات السبع (٣٤٥/٢-٣٤٦) والكشف (٣٠٥/٢).

(٦) في قوله تعالى: (فشاربون عليه من الحميم) وهي الآية التي تسبقها.

تروى[١]. وهو جمع أَهْيَم، وأصلُه: هُيْم، بضم الهاء، كَأَحْمَر وحُمْر، ثُمَّ قَلَبُوا الضمة كسرةً لأجل الياء فقالوا: هِيْم[٢].

وأمَّا قراءةُ الكسر فوجهها أنَّه شَبَّهَ مشروبهم بمشروب الإبل الهِيْم في كثرته وعدم الرِّيِّ به[٣]، والله أعلم.

١٩- قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

قال رحمه الله تعالى[٤]: اختُلِفَ في النجوم التي أقسم بمواقعها[٥]، فقيل: هي آياتُ القرآن، ومَوَاقعُها نُزُولُها شيئًا بعد شيء. وهذا قولُ ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء، وقول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة. وقيل: النجومُ هي الكواكب، ومواقعُها مساقطُها عند غروبها. هذا قول أبي عبيدة[٦] وغيره.

وقيل: مواقعُها: انتشارُها وانكدارُها يوم القيامة. وهذا قول الحسن[٧]. ومن حجة هذا القول أنَّ لفظ (مَوَاقِع) تقتضيه، فإنَّه (مَفَاعِلُ) من الوقوع، وهو السُّقُوط. فلكل نجم موقع، وجمعُها مواقع[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١٢٨/٣) وتفسير غريب القرآن (٤٥٠). وزاد المسير (١٤٥/٨).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٣٨/٤) والدرر المصون (٢١١/١٠).

(٣) انظر: الكشاف (٣١/٦).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (١٣٦-١٣٧).

(٥) قرأ (بموقع) على التوحيد حمزة والكسائي. وقرأ الباقون (بمواقع) على الجمع. وحديث المؤلف هنا عن قراءة الجمع. انظر: السبعة (٦٢٤) والتيسير (١٦٨) والنشر (٢٨٦).

(٦) في مجاز القرآن (٢٥٢/٢).

(٧) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري (٢٦٤/١٣-٢٦٦) وزاد المسير (١٥١/٨) وتفسير القرطبي (٢١٥/١٧-٢١٦) والبحر المحيط (٩٢/١٠).

(٨) انظر: المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٧٢٦/٢).

ومن حجة قول مَنْ قال هي مساقطها عند الغروب أنَّ الرَّبَّ تعالى يُقْسِمُ بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها، إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آيةٌ وعبرة ودلالة... ويُرَجِّحُ هذا القول أيضًا أنَّ النجوم حيث وَقَعَتْ في القرآن فالمرادُ منها الكواكب، كقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[1] وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾[2].

ومَنْ قَرَأَ (بِمَوْقِعِ النُّجُوم) على الإفراد[3] فلدلالة الواحد المضاف إلى الجمع على التعدد. والمواقعُ اسم جنس، والمصادرُ إذا اختلفت جُمِعَتْ. وإذا كان النوعُ واحدًا أُفْرِدَتْ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[4] فَجَمَعَ الأصواتَ لتعدد النوع، وأفرد صوتَ الحمير لوحدته. فإفرادُ موقع النجوم لوحدة المضاف إليه. وتعددُ المواقع لتعدده، إذ لكل نجمٍ موقع[5].

٢٠- قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ[6] فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾

[المدثر: ٥٠-٥١].

---

(١) سورة الطور، آية: (٤٩).

(٢) سورة الأعراف، آية: (٥٤).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي كما سبق.

(٤) سورة لقمان، آية: (١٩).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٢٦٢-٢٦٣) وحجة القراءات (٦٩٧) والكشف (٢/٣٠٦) وشرح الهداية (٢/٥٢٨) والموضح (٣/١٢٤١-١٢٤٢).

(٦) قرأ نافع وابن عامر (مُسْتَنْفَرَة) بفتح الفاء. وقرأ الباقون بكسرها. انظر السبعة (٦٦٠) والتيسير (١٧٦) والنشر (٢/٢٩٤).

قال رحمه الله تعالى(١): شَبَّهَهُمْ(٢) في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بِحُمُرٍ رأت الأسَدَ أو الرُّمَاةَ(٣) ففرت منه. وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإنَّ القومَ في جهلهم بما بَعَثَ الله به رسولَه كالحُمُر، وهي لا تعقلُ شيئًا.

فإذا سَمِعَت صوتَ الأسد أو الرامي نَفَرتْ منه أشدَّ النُّفُور. وهذا غايةُ الذم لهؤلاء؛ فإنَّهم نَفَرُوا عن الهدى الذي فيه سعادتُهم وحياتُهم كَنُفُور الحُمُر عما يهلكها ويعقرها.

وتحت المُسْتَنْفِرَة معنىً أبلغُ من النافرة؛ فإنَّها لشدة نفورها قد اسْتَنْفَرَ بعضُها بعضًا، وحَضَّه على النفور، فإنَّ في الاستفعال من الطلب قدرًا زائدًا على الفعل المجرد فكأنَّها تَوَاصتْ بالنفور، وتواطأت عليه(٤).

وَمَنْ قَرَأَهَ بالفتح(٥) فالمعنى أنَّ القَسْوَرَة اسْتَنْفَرَها وحَمَلَها على النُّفُور ببأسه وشدته(٦).

٢١- قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾(٧) [الإنسان: ٢١] .

---

(١) أعلام الموقعين (١/١٦٤).

(٢) أي المعرضين عن كلام الله. وهذا التوجيه على قراءة الكسر.

(٣) وهما قولان في تفسير القسورة. انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢٠٦) وتفسير غريب القرآن (٤٩٨).

(٤) انظر: الكشاف (٦/٢٦٣).

(٥) وهما نافع وابن عامر كما سبق.

(٦) انظر: حجة القراءات (٧٣٤) والكشف (٢/٣٤٧-٣٤٨) والموضح (٣/١٣١٤).

(٧) في هذه الآية ثلاث قراءات سيتحدث عنها المؤلف جميعها بالترتيب.

قال رحمه الله تعالى[١]: اختَلَفَ القراءُ السبعةُ في نَصْبِ ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ﴾ وَرَفْعِه على قراءتين[٢]. واختلفَ النحاةُ في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين[٣]. واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم، فيطوفون وعليهم ثيابُ السُنْدُس والإستبرق، أو للسادات الذين يطوفُ عليهم الولدان، فيطوفون على ساداتهم، وعلى السادات هذه الثياب[٤].

وليس الحالُ هاهنا بالبَيِّن، ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع.

فالصواب أنَّه منصوبٌ على الظرف[٥]؛ فإنَّ (عالياً) لَمَّا كان بمعنى (فوق) أُجْرِيَ مُجْرَاه. قال أبو علي: وهذا الوجه أَبْيَنُ، وهو أنَّ (عالياً) صفة، فَجُعِلَ ظرفاً، كما كان قوله: ﴿ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾[٦] كذلك. وكما قالوا: هو ناحيةً من الدار[٧].

وأمَّا مَنْ رَفَع (عَالِيْهِمْ) فعلى الابتداء، و (ثِيَابُ سُنْدُسٍ) خبرُه. ولا يمنعُ من هذا إفرادُ (عالٍ) وجمع (الثياب)؛ فإنَّ (فاعلاً) قد يُرَادُ به الكثير[٨]. كما قال:

---

(١) حادي الأرواح (٢٤٢-٢٤٣).

(٢) قرأ نافع وحمزة بإسكان الياء وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء.
انظر: السبعة (٦٦٤) والتيسير (١٧٧) والنشر (٢/٢٩٦).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٧٨٦) والدر المصون (١٠/٦١٦-٦١٨).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥/٢٦٢) والكشاف (٦/٢٨٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢١٨-٢١٩) وإعراب القراءات السبع (٢/٤٢٢).

(٦) سورة الأنفال، آية (٤٢).

(٧) الحجة لأبي علي (٦/٣٥٥).

(٨) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٥٥-٣٥٦) والموضح (٣/١٣٢٣).

أَلاَ إنَّ جيراني العَشِيَّةَ رَائِحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ من هَوًى وَمَنَادِحُ[(١)]

قال تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾[(٢)].

٢٢- وَمَنْ رَفَع (خُضْرًا)[(٣)] أجراه صفةً للثياب، وهو الأقيسُ من وجوه: أحدها: المطابقةُ بينهما في الجمع. الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿ **وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا** ﴾[(٤)]. الثالث: تخلصه من المفرد بالجمع. ومَنْ جَرَّ[(٥)] أجراه صفةً للسُّنْدُس على إرادة الجنس، كما يُقَالُ: أَهْلَكَ النَّاسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدِّرْهَمُ البِيْضُ[(٦)].

وتَتَرَجَّحُ القراءةُ الأولى بوجه رابع أيضًا وهو أنَّ العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا** ﴾[(٧)] وكقوله: ﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ** ﴾[(٨)] فإذا

---

(١) البيت لحيَّان بن حُلْبَة المحاربي في النوادر لأبي زيد (١٥٧) وشرح شواهد الإيضاح لابن بري (٥٧٠) والأشباه والنظائر (٤/٢٢٧). ومن غير نسبة في معاني القرآن للفراء (١/١٣٠) والحجة لأبي علي (٦/٣٥٦) والمحتسب (٢/١٥٤) والموضح (٣/١٣٢٣) وهمع الهوامع (٦/١١٩).

(٢) سورة المؤمنون، آية: (٦٧).

(٣) هم نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم. وقرأ الباقون بالجر. انظر: السبعة (٦٦٤-٦٦٥) والتيسير (١٧٧) والنشر (٢/٢٩٦).

(٤) سورة الكهف، آية: (٣١).

(٥) وهم ابن كثير وحمزة الكسائي وأبو بكر عن عاصم، كما سبق.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٥٧) والكشف (٢/٣٥٥) وشرح الهداية (٢/٥٤٥).

(٧) سورة يس، آية: (٨٠).

(٨) سورة القمر، آية: (٢٠).

كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفرادُ صفة الواحد – وإنْ كان في معنى الجمع – أولى[١].

٢٣- وفي (إسْتَبْرَق) قراءتان[٢]: الرفعُ عطفاً على (ثياب). والجرُّ عطفًا على (سُنْدُس)[٣].

٢٤- قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير:٢٤] .

قال رحمه الله تعالى[٤]: القراءتان[٥] كالآيتين. فَتَضَمَّنَتْ إحداهما – وهي قراءةُ الضَّاد – تنزيهه عن البخل. فإنَّ الضَّنين هو البخيل. يُقَالُ: ضَنِنْتُ به أَضَنُّ، بوزن، بَخِلْتُ به أَبْخَلُ، ومعناه[٦]. ومنه قول جميل بن معمر[٧]:

أَجُودُ بِمَضْنُونِ التِّلادِ وإنَّني بِسِرِّكِ عَمَّنْ سَالَني لَضَنِينُ[٨]

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالرفع. وقرأ الباقون بالجر. انظر: مصادر القراءة السابقة.

(٣) انظر: حجة القراءات (٧٤٠-٧٤١) والكشف (٢/٣٥٦) وشرح الهداية (٢/٥٤٥).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (٧٨-٧٩).

(٥) في قوله (بضنين). فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد. انظر: السبعة (٦٧٣) والتيسير (١٧٩) والنشر (٢/٢٩٨).

(٦) انظر: الصحاح (ضنن).

(٧) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، أحد عشاق العرب، وصاحب بثينة. الشعر والشعراء (٤٣٤) والأغاني (٧/٧٢).

(٨) لم أجده في ديوانه وهو لقيس بن الخطيم في أمالي القالي (٢/١٧٧، ٢٠٢) وبلا نسبة في تفسير القرطبي (١٩/٢٣١) والبحر المحيط (١٠/٤١٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس بخيلاً بما أَنْزَلَ اللهُ. وقال مجاهد: لا يَضَنُّ عليهم بما يعلم[١].

وأجمع المفسرون على أنَّ (الغيب) ها هنا القرآن والوحي. وقال الفراء[٢]:

يقول تعالى: يأتيه غيبُ السماء وهو منفوسٌ فيه، فلا يَضَنُّ به عليكم.

وهذا معنًى حسنٌ جدًّا؛ فإن عادة النفوس الشُّحُّ بالشيء النفيس، ولا سِيَّمَا عَمَّنْ لا يعرفُ قَدْرَه، ويَذُمُّه ويَذُمُّ مَنْ هو عنده، ومع هذا فهذا الرسول لا يبخلُ عليكم بالوحي الذي هو أَنْفَسُ شيء وأجلُّه. وقال أبو علي الفارسي: المعنى يأتيه الغيبُ فَيُبَيِّنُه ويخبرُ به ويظهرُه ولا يكتمُه كما يكتمُ الكاهنُ ما عنده، ويخفيه حتى يَأْخُذَ عليه حُلْوانًا[٣].

وفيه معنًى آخر، وهو أنَّه على ثقة من الغيب الذي يُخْبِرُ به فلا يخافُ أنْ ينتقضَ، ويظهرَ الأمرُ بخلاف ما أَخْبَرَ به، كما يَقَع للكهان وغيرهم ممن يُخْبِرُ بالغيب، فإنَّ كَذِبَهم أضعافُ صدقهم. وإذا أَخْبَرَ أحدُهم بخبر لم يكنْ على ثقة منه، بل هو خائفٌ من ظهور كذبه. فإقدامُ هذا الرسولِ على الإخبار بهذا الغيب العظيم الذي هو أعظمُ الغيب واثقًا به، مُقيمًا عليه، مُبْدِيًا له في كُلِّ مَجْمَع وَمُعيدًا، مُنَادِيًا به على صِدْقِهِ، مُجْلِبًا به على أعدائه = من أعظم الأدلة على صدقه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/١٠٢) وتفسير القرطبي (١٩/٢٣١).

(٢) في معاني القرآن (٣/٢٤٢).

(٣) الحجة لأبي علي (٦/٣٨١).

أمَّا قراءةُ مَنْ قَرَأَ (بظنين) بالظاء، فمعناه: المُتَّهَم، يُقَالُ: ظَنَنْتُ زيدًا، بمعنى: اتَّهَمْتُه[1]. وليس من الظَّنِّ الذي هو الشعور والإدارك، فإنَّ ذاك يتعدى إلى مفعولين[2]. ومنه ما أنشده أبو عبيدة:

أَمَا وَكِتَابِ اللهِ لا عَنْ شَنَاءَةٍ هُجِرْتُ، وَلكنَّ المُحِبَّ ظَنِينُ[3]

والمعنى: وما هذا الرسولُ على القرآن بمتهم، بل هو أمينٌ لا يزيدُ فيه ولا ينقص. وهذا يدلُّ على أنَّ الضميرَ يرجعُ إلى محمد ﷺ؛ لأنَّه قد تَقَدَّمَ وصفُ الرسول الملكي بالأمانة[4]، ثُمَّ قال: ﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾ [التكوير :٢٢]، ثُمَّ قال: (وما هو) أي: وما صحابكم بمتهم ولا بخيل.

واختَارَ أبو عبيدة[5] قراءةَ (الظاء) لمعنيين: أحدهما: أنَّ الكفارَ لم يُبَخِّلُوه، وإنَّما اتَّهَمُوه، فَنَفْيُ التُّهْمَةِ أَولَى من نفي البخل.

الثاني: أنَّه قال (على الغيب)، ولو كان المرادُ البخلَ لقال: بالغيب؛ لأنَّه يُقَالُ: فلانٌ ضَنِينٌ بكذا، وَقَلَّما يُقَالُ: على كذا[6].

قلتُ: وَيُرَجِّحُه أنَّه وَصَفَه بما وَصَفَ به رسولَه الملكي من الأمانة، فَنَفَى عنه

---

(١) انظر: لسان العرب (ظنن).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٨٠-٣٨١) والكشف (٢/٣٦٤).

(٣) نسبه المبرد في الكامل (١/٢٣) لعبد الرحمن بن حسان. وفي اللسان (ظنن) لنهار بن توسعة نقلاً عن ابن بري، وبلا نسبة في تفسير القرطبي (١٩/٢٣٠).

(٤) وهو جبريل عليه السلام في قوله تعالى: (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمين) آية (٢١) من السورة نفسها.

(٥) كذا في المطبوع. وفي إعراب القرآن للنحاس (٥/١٦٣) وتفسير القرطبي (١٩/٢٣٠-٢٣١): أبو عبيد.

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٨٠٣).

التُّهْمَةَ، كما وَصَفَ جبريلَ بأنَّه أمين. ويُرَجِّحُه أيضًا أنَّه سبحانه نَفَى أقسامَ الكذب كُلَّها عَمَّا جاء به من الغيب. فإنَّ ذلك لو كان كذبًا فإمَّا أنْ يكونَ منه، أو ممَّنْ عَلَّمَه. وإنْ كان منه فإمَّا أن يكون تَعَمَّدَه، أو لم يَتَعَمَّدْه. فإنْ كان من مُعَلِّمه فليس هو بشيطان رجيم، وإنْ كان منه مع التَّعمُّد فهو المُتَّهَمُ، ضد الأمين. وإنْ كان عن غير تَعَمُّدٍ فهو المجنون. فَنَفَى سبحانه عن رسوله ذلك كُلَّه، وَزَكَّى سَنَدَ القرآنِ أَعْظَمَ تزكية.

٢٥- قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق :١٩] .

قال رحمه الله تعالى[١]: قُرِئَ (لَتَرْكَبُنَّ) بضم الباء للجمع، وبفتحها[٢]. فَمَنْ فَتَحَها فالخطابُ عنده للإنسان، أي: لَتَرْكَبَنَّ أيُّها الإنسان. وقيل: هو النبي ﷺ خاصة. وقيل: ليست التاءُ للخطاب، ولكنَّها للغيبة، أي لَتَرْكَبَنَّ السماءُ طبقاً عن طبق. وَمَنْ ضَمَّها فالخطابُ للجماعة ليس إلا[٣].

فَمَنْ جَعَلَ الكنايةَ للسماء قال: المعنى: لَتَرْكَبَنَّ السماءُ حالاً بعد حال، من حالاتها التي وَصَفَها اللهُ تعالى، من الانشقاق والانفطار والطيِّ، وكونها كالمُهْل مَرَّةً وَمَوَرَانها وتفتحها، وغير ذلك من حالاتها. وهذا قولُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[٤]. وَدَلَّ

(١) التبيان في أقسام القرآن (٧١-٧٢).

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها.
انظر: السبعة (٦٧٧) والتيسير (١٧٩) والنشر (٢/٢٩٨-٢٩٩).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٩١) وحجة القراءات (٧٥٦-٧٥٧). والكشف (٢/٣٦٧-٣٦٨) والموضح (٣/١٣٥٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/١٥٥-١٥٦) وتفسير القرطبي (١٩/٢٦٦-٢٦٧) وتفسير ابن كثير (٤/٤٩١).

على السماء ذِكْرُ الشَّفَق والقمر[١]. وعلى هذا فيكونُ قَسَمًا على المَعَاد وتغيير العالم.

وَمَنْ قال الخطابُ للنبي ﷺ فله ثلاثةُ[٢] معانٍ: لَتركَبَنَّ سماءً بعد سماء، حتى تنتهيَ إلى حيث يُصْعِدُك اللهُ. هذا قولُ ابن عباس في رواية مجاهد، وقولُ مسروق والشعبي[٣]، قالوا: والسماءُ طَبَقٌ، ولهذا يُقَالُ للسموات: السَّبْعُ الطباق[٤]. والمعنى الثاني: لَتَصْعَدَنَّ دَرَجةً بعد دَرَجَة، ومَنْزِلَةً بعد مَنْزِلَة، ورُتْبَةً بعد رُتْبَةٍ، حتى تنتهي إلى محل القُرْبِ والزُّلْفَى من الله. والمعنى الثالث: لَتَرْكَبَنَّ حالاً بعد حال، من الأحوال المختلفة التي نَقَّلَ اللهُ فيها رسوله ﷺ، من الهجرة والجهاد، ونَصْرِه على عدوه، وإدالةِ العدو عليه تارةً، وغناه وفقره وغير ذلك من حالاته التي تَنَقَّلَ فيها إلى أنْ بَلَّغَ ما بَلَّغه إياه[٥].

وَمَنْ قال الخطابُ للإنسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد، وهو تَنَقُّلُ الإنسان حالاً بعد حال، من حين كونه نُطْفَةً إلى مُسْتَقَرِّه من الجنة أو النار. فكم بين هذين من الأطباق والأحوال للإنسان. وأقوالُ المفسرين كُلُّها تدورُ على هذا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لَتَصيْرَنَّ الأُمورُ حالاً بعد حال. وقيل: لَتَرْكَبَنَّ أيها الإنسان حالاً بعد حال، من النُّطْفَةِ إلى العَلَقَة إلى المُضْغَة، إلى كونه حَيًّا، إلى خروجه إلى هذه الدار، ثُّم ركوبه طَبَقَ التمييز بين ما ينفعُه ويضرُّه، ثُمَّ ركوبه بعد ذلك طبقًا آخر، وهو طبقُ البلوغ، ثُمَّ ركوبه طَبَقَ الأَشُدِّ، ثم طَبَقَ الشيخوخة، ثم طَبَقَ الهَرَم، ثم ركوبه طَبَقَ ما بعد الموت في البرزخ، وركوبه في أثناء هذه الأحوال أطباقًا عديدة، لا يَزَالُ ينتقلُ فيها

---

(١) في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾

(٢) في المطبوع (ثلاث).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٦٦/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٩١/٤).

(٤) انظر: لسان العرب (طبق).

(٥) انظر: حجة القراءات (٧٥٦).

حالاً بعد حال إلى دار القرار. فذلك آخرُ أطباقه التي يعلمها العبادُ، ثُمَّ يفعلُ اللهُ سبحانه بعد ذلك ما يشاء. واختار أبو عبيدة[1] قراءة الضم، وقال: المعنى بالناس أَشْبَهُ منه بالنبي ﷺ، فإنَّه ذَكَرَ قبل الآية مَنْ يُؤْتَى كتابَه بيمينه، وَمَنْ يُؤْتَى كتابَه بشماله[2]، ثُمَّ ذَكَرَ بعدها قوله: ﴿ **فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[3]؟ فَذَكَرَ كونهم طبقًا بعد طبق. قال الواحدي: وهذا قولُ أكثر المفسرين، قالوا: لَتَرْكَبُنَّ حالاً بعد حال، ومترلاً بعد مترل، وأمرًا بعد أمر. قال سعيدُ بن جبير وابنُ زيد[4]: لتكونُنَّ في الآخرة بعد الأولى، ولتصيرُنَّ أغنياءَ بعد الفقر، وفقراء بعد الغنى. وقال عَطَاء: شِدَّةً بعد شِدَّة. وقال أبو عبيدة: لتركبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الرسل[5].

٢٦- قوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾[البروج: ١٥][6].

قال رحمه الله تعالى[7]: وَصَفَ نَفْسَه بالمجيد[8]، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسَعَةِ أفعاله، وكثرة خيره ودوامه.

---

(١) كذا في المطبوع. وفي تفسير القرطبي (٢٦٧/١٩) الاختيار والقول لأبي عبيد.

(٢) في الآيتين (٧، ١٠) من السورة نفسها.

(٣) آية (٢٠).

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني. صاحب قرآن وتفسير توفي سنة (١٨٢هـ). الفهرست (٣١٥) سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٣٩١/٦) والبحر المحيط (٤٣٩/١٠) وتفسير ابن كثير (٤٩١/٤).

(٦) في (المجيد) قراءتان، فقد قرأ حمزة والكسائي بالجر، وقرأ الباقون بالرفع.
انظر: السبعة (٦٧٨) والتيسير (١٧٩) والنشر (٢٩٩/٢).

(٧) التبيان في أقسام القرآن (٦٠-٦١).

(٨) وذلك على قراءة الرفع. فهو صفةٌ لـ(ذو). انظر: علل القراءات (٧٦٣/٢) وإعراب القراءات =

وأمَّا مَنْ ليس له صفاتُ كمال، ولا أفعالٌ حميدةٌ فليس له من المجد شيء. والمخلوق إنَّما يصيرُ مجيداً بأوصافه وأفعاله، فكيف يكونُ الرَّبُّ تبارك وتعالى مجيدًا وهو مُعَطَّلٌ عن الأوصاف والأفعال؟ تعالى اللهُ عَمَّا يقولُ المُعَطِّلُون عُلُوًّا كبيرًا. بل هو المجيد الفَعَّالُ لما يُريدُ[1].

والمجدُ في لغة العرب كثرةُ أوصاف الكمال وكثرةُ أفعال الخير[2]. وأحسنُ ما قُرِنَ اسمُ المجيد على الحميد، كما قالت الملائكةُ لبيت الخليل عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[3]. وكما شَرَعَ لنا في آخر الصلاة أنْ نُثْنِيَ على الرَّبِّ تعالى بأنَّه حميد مجيد[4]. وَشَرَع في آخر الركعة عند الاعتدال أنْ نقولَ: "رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، أَهْلَ الثَنَاءِ والمجد"[5]. فالحمدُ والمجدُ على الإطلاق لله الحميد المجيد. فالحميدُ: الحبيبُ المُسْتَحِقُّ لجميع صفات الكمال. والمجيدُ العظيمُ الواسعُ القادرُ الغنيُّ، ذو الجلال والإكرام.

وَمنْ قَرَأَ (المجيد) بالكسر[6]، فهو صفةٌ لعرشه سبحانه. وإذا كان عَرْشُه مجيدًا فهو سبحانه أَحَقُّ بالمجد.

= السبع (٢/٤٥٧) وحجة القراءات (٧٥٧) وشرح الهداية (٢/٥٥١).

(١) يَرُدُّ المؤلفُ رحمه الله على المعطلة الذين ينفون صفات الله عز وجل أو بعضها، وينكرون قيامها بذاته سبحانه.وهم طوائف عدة، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.
انظر: الصواعق المرسلة (١/١٧٨) وما بعدها.

(٢) انظر: لسان العرب (مجد).

(٣) سورة هود، آية: (٧٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٣٣٦٩) صحيح مسلم (٤٠٥).

(٥) انظر: صحيح مسلم (٤٧٧).

(٦) وهي قراءة حمزة والكسائي كما سبق.

وقد اسْتَشْكَلَ هذه القراءةَ بعضُ الناس، وقال: لم يُسْمَعْ في صفات الخلق (مجيد)[١]. ثُمَّ خَرَّجَها على أحد الوجهين: إمَّا على الجِوَارِ[٢]، وإمَّا أنْ يكون صفةً لِرَبِّكَ[٣]. وهذا من قلة بضاعة هذا القائل. فإنَّ الله سبحانه وَصَفَ عَرْشَه بالكرم[٤]، وهو نظيرُ المجد. وَوَصَفَه بالعظمة[٥]. فَوَصْفُهُ سبحانه بالمجد مطابقٌ لِوَصْفِه بالعظمة والكرم، بل هو أَحَقُّ المخلوقات أنْ يُوصَفَ بذلك؛ لسَعَته وَحُسْنِه وبهاءِ منظره. فإنَّه أوسعُ كُلِّ شيء في المخلوقات وأجملُه، وأجمعُه لصفات الحُسْن وبهاء المنظر، وعُلُوِّ القَدْرِ والرُّتبةِ والذَّات. ولا يَقْدِرُ قَدْرَ عَظَمَتِه وحُسْنِه وبهاءِ منظره إلا الله. ومجدُه مُسْتَفَادٌ من مجد خالقه ومبدعه. والسماواتُ السبعُ والأرضون السبع في الكرسي الذي بين يديه كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ في أرض فَلاَة، والكرسيُّ فيه كتلك الحَلْقَة في الفَلاَة[٦]. قال ابنُ عباس: السماوات السبعُ في العرش كسبعة دراهم جُعِلْنَ في تُرْس[٧]. فكيف لا يكون مجيدًا وهذا شأنُه. فهو عظيمٌ كريمٌ مجيد.

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (٨٠٩/٢-٨١٠).

(٢) لم أقف على هذا التخريج فيما لدي من مصادر. ولكن ورد في إعراب القرآن للنحاس (١٩٥/٥) ما يُفيد رده على هذا الوجه. والكلام في مطبوعة الكتاب غير مستقيم، ولعل في العبارة سقطا، وهو الأرجح. ونقل الفارسي في الحجة (٣٩٣/٦) عن بعض النحويين منعه حمل الجر على أنه وصف للعرش.

(٣) وقد قال بهذا الوجه غير واحد من أهل التوجيه. انظر بالإضافة إلى ما سبق: الموضح (١٣٥٦/٣) والدر المصون (٧٤٨/١٠).

(٤) في سورة المؤمنون، آية (١١٦).

(٥) في ثلاثة مواضع، في سورة التوبة، آية: (١٢٩)، وسورة المؤمنون آية: (٨٦)، وسورة النمل، آية: (٢٦).

(٦) انظر: كتاب العرش لابن أبي شيبة وعرش الرحمن لابن تيمية.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/٣).

وأمَّا تَكَلُّفُ هذا المُتَكَلِّفِ جَرَّه إلى الجوار، أو أنَّه صفةٌ لرَبِّكَ فتكلفٌ شديد، وخروجٌ عن المألوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك.

٢٧- قوله تعالى: ﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾ [البلد : ١٣].

قال رحمه الله تعالى[١]: قراءةُ مَنْ قَرَأَ (**فَكَّ رَقَبَةً**) بالفعل، كأنَّها أرجحُ من قراءة مَنْ قَرَأَها بالمصدر[٢]؛ لأنَّ قوله : ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ** ﴾[٣] على حَدِّ قوله: ا **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ** ﴾[٤]و﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ** ﴾[٥]، ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝ نَارٌ حَامِيَةُۢ** ﴾ [٦] ونظائره، تعظيمًا لشأن (العقبة) وتفخيمًا لأمرها. وهي جملةُ اعتراض بين المُفَسِّرِ والمُفَسَّر. فإنَّ قولَه: ﴿ **فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ**[٧] **فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝ ثُمَّ**

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢٨-٢٩).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (فَكَّ) بفتح الكاف على أنه فعل ماض، ونصب (رقبة) وقَرَأَ الباقون (فكُّ) بالرفع والإضافة.
انظر: السبعة (٨٦٨) والتيسير (١٨١) والنشر (٢/٣٠٠).

(٣) آية (١٢) من السورة نفسها.

(٤) سورة الحاقة، آية: (٣).

(٥) سورة الانفطار، آية: (١٧).

(٦) سورة القارعة، الآيتان: (١٠-١١).

(٧) رسمت الكلمتان (فك، أطعم) في المطبوع على قراءة حفص. وهذا مخالف لمراد المؤلف في حديثه عن قراءة الفعل. ومن قرأ (فك) على أنها فعل ماض فهو يقرأ (أطعم) كذلك. انظر: المصادر السابقة.

كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(١)] تفسيرٌ لاقتحام (العقبة) [(٢)] مكان شاق كؤود يقتحمه الناسُ حتى يصلوا إلى الجنة. واقتحامُه بفعل هذه الأمور. فَمَنْ فَعَلَها فقد اقْتَحَمَ العقبةَ. ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾ وهذا عطفٌ على قوله: ا **فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾، والأحسنُ تَنَاسُبُ هذه الجملِ المعطوفةِ التي هي تفسيرٌ لما ذُكِرَ أولاً[(٣)].

وأيضًا فإنَّ مَنْ قَرَأَها بالمصدر المضاف فلا بُدَّ له من تقدير، وهو ما أَدْرَاكَ ما اقْتِحَامُ العقبة؟ واقْتَحَامُها فَكُّ رقبة[(٤)]. وأيضًا فَمَنْ قَرَأَها بالفعل فقد طابق بين المُفَسِّر وما فَسَّره. وَمَنْ قَرَأَها بالمصدر فقد طابق بين المُفَسِّر وبعض ما فَسَّره. فإنَّ التفسير إنْ كان لقوله (اقْتَحَمَ) طابقه بقوله: ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾وما بعده، دُوْنَ (فَكُّ رقبة) وما يليه . وإنْ كان لقوله: (العقبة) طابقه ﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴿١٣﴾ **أَوْ إِطْعَـٰمٌ** ﴾ ، دون قوله ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾ وما بعده. وإنْ كانت المطابقةُ حاصلةً معنًى، فحصولُها لفظًا ومعنًى أَتَمُّ وأحسن[(٥)].

۞ ۞ ۞

---

(١) الآيات (١٣-١٧) من السورة نفسها.

(٢) كذا في المطبوع، والعبارة قلقة. ولعل الصواب.... تفسيرٌ لـ(اقتحم). والعقبةُ: مكان...

(٣) نقل ابن زنجلة عن أبي عمرو قوله: (معناه: فَهَلاَّ فَكَّ رقبةً أو أطعم فكان من الذين آمنوا) حجة القراءات (٤٦٤).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٤١٤-٤١٦) وحجة القراءات (٧٦٤-٧٦٦) والكشف (٢/٣٧٥-٣٧٧).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/٧١) والدر المصون (١١/٩).

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في رياض علم هذا الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته والتي كانت تدور في فلك كتاب الله الكريم، توجيهاً واحتجاجاً وتعليلاً بقراءاته المتواترة نقف مع شيء من نتائج هذه الدراسة.

أولاً: أهمية جمع ما تفرق من أقوال الأئمة الأعلام في توجيه القراءات، ممن لم تكن لهم مؤلفات مفردة في هذا الفن.

وهو جانب من جوانب التأليف التي ذكرها العلماء، وهو جمع المتفرق. مع ما تشتمل عليه هذه التوجيهات المتفرقة من فوائد زوائد لم تشتمل عليها كتب هذا العلم.

ثانياً: إلقاء الضوء على جوانب مشرقة من علوم هذا الإمام الذي يتسم بالموسوعية والشمول. وهي جوانب لم تأخذ حقها من العناية والاهتمام.

ثالثًا: الفوائد الماتعة والثمرات اليانعة التي يجتنيها الباحث في هذا العلم الجليل، المتعلق بكتاب الله الكريم. ومن المعلوم أنَّ شرف العلم من شرف المعلوم.

وبعد، فهذه التوجيهات رافدٌ من روافد هذا الصرح الشامخ –علم النحو والصرف– الذي يدور حول كتاب الله الكريم، استنباطاً وتعليلاً وتوجيهاً، فهو المعين الثر، والبحر الثجّاج، وهو – بجميع قراءاته– المصدر الأول والأعلى من مصادر السماع في أصول النحو العربي.

فهرس المصادر والمراجع

١- **إتحاف فضلاء البشر**، للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق: د. شعبان إسماعيل، عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى (١٤٠٧)هـ.

٢- **الأزهية في علم الحروف**، للهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٤١٣)هـ.

٣- **الأشباه والنظائر**، للسيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.

٤- **إعراب القراءات السبع وعللها**، لابن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٥- **إعراب القراءات الشواذ**، للعكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧)هـ.

٦- **إعراب القرآن، للنحاس**، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية (١٤٠٥)هـ.

٧- **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

٨- **إغاثة اللهفان**، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية (١٣٥٨).

٩- **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر - بيروت.

١٠- **أمالي ابن الحاجب**، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قداره، دار عمار- عمان، ودار الجيل- بيروت، (١٤٠٩)هـ.

١١- **أمالي ابن الشجري**، تحقيق: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

١٢- **الأمالي**، لأبي علي القالي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٠٤)هـ.

١٣- الإمام ابن قيم الجوزية وآراؤه النحوية، لأيمن عبد الرزاق الشوا، دار البشائر - دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

١٤- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر -بيروت، (١٤١٢)هـ.

١٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٤)هـ.

١٦- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٧- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر-بيروت.

١٨- البدر الطالع، للشوكاني، دار المعرفة- بيروت.

١٩- بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- الطبعة الثانية (١٣٩٩)هـ.

٢٠- البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٠)هـ.

٢١- التبصرة والتذكرة، للصيمري، تحقيق: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى (١٤٠٢)هـ.

٢٢- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تصحيح وتعليق: طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤٠٢)هـ.

٢٣- التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق: د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤١٨)هـ.

٢٤- تفسير الطبري (جامع البيان)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر - بيروت، (١٤٢٠)هـ.

٢٥- تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٣٩٨)هـ.

٢٦- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، راجعه وضبطه وعلق عليه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، درا الحديث -القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٦)هـ.

٢٧- تفسير ابن كثير، دار الحديث –القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٠)هـ.

٢٨- تهذيب مختصر سنن أبي داود، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي وأحمد محمد شاكر، دار المعرفة – بيروت.

٢٩- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦)هـ.

٣٠- جلاء الأفهام، لابن القيم، تحقيق: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٧)هـ.

٣١- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٣٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، تحقيق: محمد العلاوي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى (١٤١٢)هـ.

٣٣- حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة الخامسة (١٤١٨)هـ.

٣٤- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٣٥- الدر المصون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٧)هـ.

٣٦- الدرر الكامنة، لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة – مصر.

٣٧- ديوان الأخطل، شرح: مجيد طراد، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦)هـ.

٣٨- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر – بيروت.

٣٩- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت.

٤٠- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٤٠٧)هـ.

٤١- **زاد المعاد في هدى خير العباد**، لابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الخامسة والعشرون (١٤١٢)هـ.

٤٢- **السبعة في القراءات**، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف- الطبعة الثالثة.

٤٣- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الحادية عشرة (١٤١٩)هـ.

٤٤- **شرح التسهيل**، لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (١٤١٠)هـ.

٤٥- **شرح شواهد الإيضاح**، لابن بري، تحقيق: د. عيد مصطفى درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية – القاهرة (١٤٠٥)هـ.

٤٦- **شرح الكافية**، للرضي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، الطبعة الثانية (١٩٩٦)م.

٤٧- **شرح المفصل**، لابن يعيش، عالم الكتب – بيروت.

٤٨- **شرح الهداية**، للمهدوي، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦)هـ.

٤٩- **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٨)هـ.

٥٠- **شفاء العليل**، لابن القيم، دار المعرفة – بيروت (١٣٩٨)هـ.

٥١- **شواهد التوضيح والتصحيح**، لابن مالك، تحقيق: د. طه محسن، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، (١٤٠٥)هـ.

٥٢- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٤)هـ.

٥٣- **صحيح البخاري**، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٧)هـ.

٥٤- **صحيح مسلم**، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٩)هـ.

٥٥- الصواعق المرسلة، لابن القيم، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٨)هـ.

٥٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٧- طريق الهجرتين، لابن القيم، اعتنى به: السيد محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٠)هـ.

٥٨- عرش الرحمن، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز السيروان، دار العلوم العربية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥)هـ.

٥٩- علل القراءات، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: نوال بنت إبراهيم الحلوة، الطبعة الأولى (١٤١٢)هـ.

٦٠- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٢)هـ.

٦١- فتح الباري، لابن حجر، دار السلام – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١)هـ.

٦٢- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة – بيروت.

٦٣- الكامل، للمبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.

٦٤- كتاب العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا – الكويت، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.

٦٥- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣)هـ.

٦٦- الكشاف، للزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٨)هـ.

٦٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠١)هـ.

٦٨- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت.

٦٩- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٧٠- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (١٤٠٦)هـ.

٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٧٢- المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، لأبي بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس، رسالة دكتواره، إعداد: عبد العزيز بن حميد الجهني، جامعة أم القرى (١٤٢٣)هـ.

٧٣- مدارج السالكين، لابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣)هـ.

٧٤- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٥)هـ.

٧٥- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨)هـ.

٧٦- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة.

٧٧- معاني القرآن، للنحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤٠٨)هـ.

٧٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢)هـ.

٧٩- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الفكر.

٨٠- المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت.

٨١- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر الشيرازي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى (١٤١٤)هـ.

٨٢- **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، قدم له الشيخ علي محمد الضباع، وخرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيـــروت، الطبعة الأولى (١٤١٨)هـــ.

٨٣- **النوادر في اللغة**، لأبي زيد الأنصاري، دار الكتاب العربي – بيـــروت الطبعة الثانية (١٣٨٧)هـــ.

٨٤- **هداية الحيارى**، لابن القيم، راجعه وعلّق حواشيه: سيف الدين الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (١٤٠٠)هـــ.

٨٥- **همع الهوامع**، للسيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم وعبد الـــسلام هـــارون، مؤسسة الرسالة – بيـــروت، الطبعة الثانية (١٤٠٧)هـــ.

٨٦- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، لابن القيم، تخريج وتعليق: السيد عبد الغني زايد، مؤسسة أم القرى – المنصورة (١٤٢٤)هـــ.

٨٧- **الوافي بالوفيات**، للصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مـــصطفى، دار إحيـــاء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠)هـــ.

٨٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، تحقيق: د. يوسف علي طويل ود. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية – بيـــروت، الطبعة الأولى (١٤١٩)هـــ.





(كَيْفَ) الاستفهاميّة
في الدراسات النَّحْويّة وأوجه إعرابها
في القرآن الكريم

إِعداد ودراسة

د . أحمد بن مُحمّد بن أحمد القُرشيّ الهاشمي*

* ولد بالمدينة النبوية عام ١٣٨٣هـ.

- نال درجة الماجستير عام ١٤١١هـ في اللغويات من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة بتحقيق ودراسة كتاب "**البرود الضافية والعقود الصافية في شرح الكافية**" لابن أبي القاسم القرشي (ت٨٧٣هـ) ، ونال درجة الدكتوراه عام ١٤١٥هـ بتحقيق ودراسة **شرح ألفية ابن مالك** لابن هاني الأندلسي.
- يعمل أستاذاً مشاركاً بقسم اللُّغة العربيّة بكُلِّيّة المعلّمين بالمدينة المنوّرة ويرأسه حالياً.
- له عدة مشاركات علمية.

الملخّص

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أمّا بعد :

فأدوات المعاني أُوتيت نصيباً من الدراسة العامّة في كُتب النّحو، والدراسة المتخصّصة في كُتب أدوات المعاني .

ونالت – أيضاً – حظّاً من العناية في كُتب التفاسير ، وإعراب القرآن الكريم ، وعلومه ، قديمها وحديثها.

وقد حَظِيتُ بنصيبٍ من المشاركة في دراسة أداة الاستفهام (كَيْفَ)، وسمّيت الدراسة : (كَيْفَ الاستفهاميّة في الدراسات النّحويّة وأوجه إعرابها في القرآن الكريم) ، وهي تقع في فصلين :

الفصل الأول : كَيْفَ الاستفهاميّة في الدراسات النحويّة

تناولت فيه : الخلاف في أصلها ، وهل يُجازى بها ؟ وحكم العطف بها، وإتيان(أنّى) و(بَلْهَ) بمعناها، وحكم نصْب الاسم على المعيّة بعدها، وختمت الفصل بحكم حذْف فائها، والوقوف عليها.

وفي الفصل الثاني : ـــ وهو أوجه إعراب (كَيْفَ) في القرآن الكريم ـــ بيّنت فيه أنّها جاءت في أكثر المواضع إمّا حالاً، وإمّا خبراً ،وفي آياتٍ أُخر تحتمل الخبريّة والحاليّة، وبيّنت اختلاف النّحويّين في وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها حالاً في بعض الآيات .

وقد جاءت جملة (كَيْفَ) وما بعدها في آياتٍ معلِّقةً فِعْل النظر والرؤية، وفي آياتٍ أُخر في محلّ نصْبٍ مقولَ القول، أو مفعولاً به على إسقاط حرف الجرّ، أو مفعولاً ثانياً، أو سادّةً مسدّ المفعولين .

وبيّنت أنّ بعض النّحويّين ذهبوا إلى جواز أن تقع (كَيْفَ) في القرآن الكريم مفعولاً مطلقاً، وأجازوا في آياتٍ أن تقع بدلاً، و ـــ أيضاً ـــ في آياتٍ أن تقع شرطيّةً غير جازمةٍ ، وجوابُها محذوفٌ، وفي آياتٍ أُخر أن تقع هي وما بعدها في محلّ جزمٍ جوابَ شرطٍ مقدرٍ أو مذكورٍ .

و قد جاءت (كَيْفَ) في القرآن الكريم في (ثلاثةٍ وثمانين) موضعاً لم يُحذف عامُلها إلاّ في (خمسةٍ) مواضع .

هذا وباللّه التوفيق ، هو حسبنا ونِعْم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين، أمّا بعد:

فالقرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفّل الله- عزّ وجلّ- بحفظه، وحثّنا- سبحانه- على تدبره، وفهمه، ودراسته، ومعرفة علومه.

قال الحرَالّي : " وأكملُ العلماء من وهبه الله تعالى فهماً في كلامه، ووعياً عن كتابه، وتبصرةً في الفرقان، وإحاطةً بما شاء من علوم القرآن،ففيه تمامُ شهودِ ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم، بما يُزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين؛ إذْ فيه كلّ العلوم " [١] .

ولّما كانت علوم القرآن لا تُحصى، ومعانيه لا تُستقصى، وجبت العناية به بالقدر الممكن .

فاعتنى السلف والخلف بدراسة كتاب الله عزّ وجلّ، وانكبّوا عليه شرحاً، وتفسيراً، وبياناً، واستنباطاً لأنواع علوم القرآن، منها: علم التفسير، والقراءات، والرسم العثماني، وأسباب النزول، وعدّ الآي، والوجوه والنظائر، ومعرفة المكيّ والمدنيّ، وتوجيه القراءات، والوقف والابتداء، وآداب تلاوته، وأحكامه، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

واهتموا – أيضاً – بمعرفة غريبه، وبلاغته، وإعجازه، وإعرابه، ومعرفة أدوات القرآن [٢] .

وقد حظي النوع الأخير من علوم القرآن ـــ أعني به علمَ معرفـــة أدوات القرآن ـــ بالنّصيب الأوفر من العناية في الدراسات التي اعتنت بكتاب الله تفسيراً، وبلاغةً ، وإعراباً ، من ذلك: (معاني القرآن) للفـــرّاء، و (إعـــراب القـــرآن) للنّحاس ، و (معاني القرآن وإعرابه) للزجّاج، و (البيـــان في غريـــب إعـــراب القرآن) لأبي البركات ابن الأنباريّ ، و (التبيان في إعراب القـــرآن) للعكـــبريّ، و (الفريد في إعراب القرآن المجيد) للهمذانيّ، و (البحر المحيط) و(النّهر الماد) لأبي حيّان الأندلسيّ، و(الدرّ المصون) للسمين الحلبيّ ، وغيرهـــا مـــن كتـــب المتقدمين والمتأخرين .

إلاّ أنّ هناك فئةً من العلماء أفردوا بالتـــأليف أداةً مـــن أدوات المعـــاني، وعكفوا أنفسهم على دراسة مواقعها في كلام العرب، وكتاب الله عـــزّ وجـــلّ ، ومعرفة معانيها وتصرّفها، والاحتجاج لكلّ موقعٍ من مواقعها، وما دار بين العلماء من الخلاف في بعضها.

من هؤلاء العلماء أبو القاسم الزجّاجيّ (٣٣٧هـــ)، وأبو جعفر النّحـــاس (٣٣٨هـــ) في كتابيهما (اللامات)، وابن خالويـــه (٣٧٠هـــــ) في (كتـــاب الألِفَات) و(كتاب الماءات)، وأحمد بن فارس (٣٩٥هـــ) في (مقالـــة كـــلاّ) و (اللامات)، وأحمد بن رستم الطبريّ في (رسالة كلاّ في الكـــلام والقـــرآن)، ومكيّ القيسيّ (٤٣٧هـــ) في كتابه (شرح كلاّ و بلى و نعَم والوقف على كلّ واحدةٍ منهنّ في كتاب الله عزّ وجلّ) و (الياءات المشدّدات في القـــرآن وكـــلام العرب)، و أبو البركات ابن الأنباريّ (٥٧٧هـــ) في (كتاب كِـــلا وكِلتـــا)، و (كتاب كَيْفَ) و (كتاب لو) و (كتاب ما)، وتقـــيّ الـــدين الـــسبكيّ (٧٥٦هـــ) في كتبه (أحكام كُلّ وما عليه تدلّ) و (نيل العُلا في العطف بـــلا)

و (كشف القناع في إفادة لــولا الامتنــاع) ، وعثمــان النجــديّ الحنبلــيّ (١٠٩٧هـــ) في رسالتيه (أيّ المشددة) و (كشف الضوّ عن معنى لوّ) .

ومن المعاصرين زين كامل الخويسكيّ في (لعلّ في القــرآن الكــريم) ، ومحمد الباتل في (أيّ المشددة بين أقوال النُّحاة ونصوص التراث) وغيرهم .

وبناءً على ما سبق إيراده ، أحببت أن يكون لي نصيبٌ من المــشاركة في دراسة أداةٍ من أدوات المعاني ، فوقع ـــ بعد مشيئة الله ـــ الاختيار على (كَيْــفَ الاستفهاميّة) ، حيث إنّي قرأت أحكامها في كُتب أدوات المعاني ، فرأيت أنّهـــا جديرةٌ بالدراسة في كُتب النّحو مع ربطها بالقرآن الكريم ؛ لمعرفة أوجه إعرابها .

وكنتُ أَحْسَبُ أنّني سبّاقٌ إلى هذه الدراسة لكنْ لدى استقرائي إعراب قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨] في كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن) لأبي البركات ابن الأنباريّ (٥٧٧هـــ) ، وجدتُه يذكر في خاتمة إعرابها ما نصّهُ : (وفي (كَيْفَ) كلامٌ طويلٌ ، وقد أفردنا فيه كتاباً) .

إلاّ أنّه لم يصل إلينا كبعض كُتبه، وتبادر إلى ذهني صـــدْق مَـــنْ قـــال : (ما ترك الأوّل للآخِرِ شيئاً)، وحقيقة القول : (كم ترك الأوّل للآخِرِ) .

حينئذٍ واصلت البحث بجدٍّ وهمّةٍ لاكَللَ فيهما ولا مَلَلَ ، وعقدت العـــزمَ على تتبُّع أحكام (كَيْفَ) في كُتب النّحـــو ، والـــصّرف ، وأدوات المعـــاني ، والبلاغة ، وعلوم القرآن .

وتتبّعت ـــ أيضاً ـــ أوجهَ إعرابِها في كُتب التفاسير ، وإعـــراب القـــرآن الكريم قديمها وحديثها .

والله يشهد أنّ جمْعَ المادة العلميّة لم أقف عليه بالهيّن الليّن ، أو وافتني محض الصُّدفة ، بل كان ذلك ثمرة اطلاعٍ واستقراءٍ للكُتب على مدار أشهرٍ .

وبعد أنْ فرغتُ من جمع المادة العلميّة ودراستها ، سمّيتُ الدراسة : (كَيْفَ الاستفهاميّة في الدراسات النّحويّة وأوجه إعرابها في القرآن الكريم) ، وهي تقع في فصلين :

الفصل الأوّل: (كَيْفَ) في الدراسات النّحويّة
وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول : الخلاف في أصل (كَيْفَ) .

المبحث الثاني : هل يُجازى بـ (كَيْفَ) ؟

المبحث الثالث : الخلاف في حكم العطف بـ (كَيْفَ) .

المبحث الرابع : إتيان (أَنَّى) بمعنى (كَيْفَ) .

المبحث الخامس : إتيان (بَلْهَ) بمعنى (كَيْفَ) .

المبحث السادس : نصْبُ الاسم على المعيّة بعد (كَيْفَ) .

المبحث السابع : حذْفُ فاء (كَيْفَ) .

المبحث الثامن : الوقف على (كَيْفَ) .

الفصل الثاني : أوجه إعراب (كَيْفَ) في القرآن الكريم
وفيه أحدَ عشرَ مبحثاً

المبحث الأول : وقوع (كَيْفَ) خبراً .

المبحث الثاني : وقوع (كَيْفَ) حالاً .

المبحث الثالث : وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها حالاً .

المبحث الرابع : (كَيْفَ) تحتمل الخبريّة والحاليّة .

المبحث الخامس : وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها معلِّقةً فِعْلَ النظر والرؤية .

المبحث السادس : وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها حالاً .

المبحث السابع : وقوع (كَيْفَ) مفعولاً مطلقاً .

المبحث الثامن : وقوع جملة (كَيْفَ) بدلاً .

المبحث التاسع : مجيء (كَيْفَ) شرطيّةً .

المبحث العاشر : وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها جوابَ شرطٍ .

المبحث الحادي عشر : حذْف عامل (كَيْفَ) .

وختاماً: اللّهَ أسألُ أن يكتب لنا أن نعمل ، وأن يكتب لنا القبول فيما نعمل في الدارين ، فإنّه لا ينفعُ العبد إلاّ ما مَنَّ بقبوله ، هو مولانا نِعْم المولى ونِعْم النصير .



الفصل الأول

(كَيْفَ) في الدراسات النّحويّة

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأوّل: الخلاف في أصل (كَيْفَ)

من أسماء الاستفهام (كَيْفَ) ، ويُستفهم بها عن كلّ حالٍ ، والأحوال أكثر من أن يُحاط بها ، فجاؤوا بـ (كَيْفَ) اسماً مبهماً يتضمن جميع الأحوال ، فإذا قلت : كَيْفَ زيدٌ ؟ أغنى عن ذكر ذلك كلّه .

وهي اسمٌ مبنيٌّ لشبهها بالحرف في المعنى ؛ إذْ تضمنت معنى حرف الاستفهام ، وهو (الهمزة) ، والدليل على ذلك وجوب اقتران الهمزة بالبدل منها ، إذا قلت : كَيْفَ زيدٌ ؟ أصحيحٌ أم سقيمٌ ؟

وبُنيت على حركةٍ فراراً من التقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحةً ؛ لأنّها أخفُّ ، والنطقُ بها بعد الياء الساكنة أسهلُ [٣] .

قال ابن خالويه : " وهو اسمٌ ، فزال الإعراب عنه لمّا استُفهم به وضارع الحروف ، فوجب أن يُسْكَن آخره ، فلمّا التقى في آخره ساكنان فتحوا الفاء .

فإن قيل : فهلاّ حرّكوه بالكسر لالتقاء الساكنين ؛ إذ هو أكثر في كلام العرب ؟

فقُلْ : كرهوا الكسر مع الياء ، والفتح أكثر في مثل ذلك ، نحو : أيْنَ ، وحَيْثَ ، حكاه الخليل وسيبويه " [٤] .

وقد اختلف النّحويّون في أصل (كَيْفَ) ، أهي اسمٌ صريحٌ غير ظرف أم أنّها ظرفٌ ؟

ذهب سيبويه إلى أنّها ظرفٌ [٥] ، وذهب أبو الحسن الأخفش والسيرافيّ إلى أنّها اسمٌ غير ظرفٍ [٦] .

قال ابن هشامٍ الأنصاريّ : " قال ابن مالكٍ ما معناه: لم يقل أحدٌ إنّ (كَيْفَ) ظرفٌ؛ إذ ليست زماناً ولا مكانا، ولكنّها لّما كانت تُفسّر بقولك: على أيّ حالٍ ؛ لكونها سؤالاً عن الأحوال العامّة ، سُمّيت ظرفاً ؛ لأنّها في تأويل الجار والمجرور ، واسم الظرف يُطلق عليهما مجازا " .

واستحسن كلامه ابن هشام الأنصاريّ ، وقال : " ويُؤيّده الإجماع ، على أنّه يقال في البدل : كَيْفَ أنت ؟ أصحيحٌ أم سقيمٌ ؟ بالرفع ، ولا يُبدل المرفوع من المنصوب " [٧] .

هذا الادّعاء والاستحسان غير مسلَّمٍ به ؛ لأنّ سيبويه نصّ على ظرفيتها ، فقال : " وكَيْفَ: على أيّ حالٍ ؟ وأين: أيُّ مكانٍ ؟ ومتى : أيُّ حينٍ ؟ وأمّا حيث : فمكانٌ، بمنزلة قولك: هو في المكان الذي فيه زيدٌ ، وهذه الأسماء تكون ظروفاً " [٨] .

وممّن ذهب إلى القول بظرفيتها –أيضاً– المبرد[٩]، ووافقهما الزمخشريّ[١٠].

وقد أبان ابن الشجريّ السبب في إجراء (كَيْفَ) مجرى الظروف ، فقال :

" وإنّما عَدُّوا (كَيْفَ) في الظروف للاستفهام بها عن الحال، والحال تُشبه الظرف؛ لأنّها عبارةٌ عن الهيئة التي يقع فيها الفعل ، ولذلك تقول : كَيْفَ زيدٌ جالساً ؟ أي : على أيّ هيئةٍ جلوسُه، كما تقول: أين زيدٌ قائماً ؟ فينوب (كَيْفَ) مناب اسم الفاعل في نصب الحال ، كنيابة أين " [١١] .

وأمّا القائلون باسميّة (كَيْفَ) كأبي الحسن الأخفش ، والسيرافيّ ، وجمهور النّحويّين ، فقد استدلّوا على **اسميّتها بالأدلّة التالية** :

الأوّل : لا تخلو (كَيْفَ) إمّا أن تكون اسماً ، أو فعلاً ، أو حرفاً ، فانتفت أن تكون حرفاً ؛ لأنّها تفيد مع الاسم المفرد ويكون كلاماً ، نحو : كَيْفَ

أنت ؟ والحرف لا يفيد مع الاسم إلاّ في باب النداء ، وليس هذا بنداءٍ ، وإنّما وقعت به الفائدة في النداء ، نحو : يا زيدُ ، مع كلمةٍ واحدةٍ باعتبار الجملة المقدرة لا باعتبار الحرف مع كلمةٍ واحدةٍ .

وانتفت أن تكون فعلاً ؛ لدخولها على الأفعال واتصالها بها، نحو:كَيْفَ أصبحت ؟ والفعل لا يدخل على الفعل ؛ لأنّه لا يفيد ولا يكون منهما كلامٌ .

و-أيضاً- فإنّ (كَيْفَ) على زنة (فَعْل) بسكون العين، وليس في الأفعال فعلٌ على هذه الزنة، فلمّا انتفى أن تكون حرفاً، أو فعلاً، تعيّن أن تكون اسماً .

الثاني : جواز إبدال الاسم منها، فيكون البدل من(كَيْفَ) إمّا مرفوعاً، نحو : كَيْفَ زيدٌ ؟ أصحيحٌ أم سقيمٌ ؟ وإمّا منصوباً ، نحو : كَيْفَ سرت ؟ أراكباً أم ماشياً ؟ فلولا أنّ (كَيْفَ) اسمٌ لما أُبدل منها الاسم ، ولو كانت ظرفاً لما كان البدل منها إلاّ مجروراً بمثل ما تضمنته ، فكان يجب أن يقال : كَيْفَ سرت ؟ أعلى ركوبٍ أم على مشيٍ ؟ وكَيْفَ زيدٌ ؟ أعلى صحةٍ أم على سقمٍ ؟ كما يجب أن يقال : أين كنت ؟ أ في الدار أم في المسجد ؟

فلمّا لم يَجب أن يقال ذلك بل أبدلوا منها بدون حرف جرٍّ ، عُلم أنّها ليست ظرفاً ؛ لأنّ البدل يُساوي المبدل منه في جنسه .

الثالث : أنّ (كَيْفَ) داخلةٌ تحت حدّ الاسم ، وذلك أنّها تدلّ على معنً في نفسها ولا تدلّ على زمان ذلك المعنى .

الرابع : أنّها تجاب بالاسم ، والجواب على وفق السؤال ، وذلك قولهم : كَيْفَ زيدٌ ؟ فيقال : صحيحٌ ، أو مريضٌ ، أو غنيٌّ ، أو فقيرٌ ، وذلك أنّها سؤالٌ عن الحال ، فجوابها يكون حالاً .

الخامس : دخول حرف الجر عليها ، فقد حُكي عن العرب أنّهم قالوا : على كَيْفَ تبيع الأحمرين ؟وحكى قُطرب – أيضاً- عن بعض العرب أنّهم قالوا : انظر

إلى كَيْفَ يصنع ؟ فأدخلوا عليها حرف الجرّ ، فدلَّ على أنَّها اسمٌ مع شــذوذه في الاستعمال [١٢] .

والتعويل في الدّلالة على اسميّة (كَيْفَ) الأدلّة الأربعة الأُول، وأمّا الدليل الخامس – وهو دخول حرف الجرّ عليها– فقد حُكِم عليه بالشذوذ، وبــيّن علّــة ذلك ابن يعيش، فقال: " فإن قيل: فإذا كان اسماً على ما ذكرتم فلِمَ امتنعت منــه حروف الجر، و لم تدخل عليه كما دخلت على أين، إذا قلت: من أين، و إلى أين ؟

فالجواب: أنَّ (أين) لَمَّا كانت سؤالاً عن الأمكنة ونائبةً عن الَّلفظ بهـــا، وكانت الأمكنة المنوب عنها مما تدخلها حروف الجر، فتقول: من السوق، ومـــن الجامع، وإلى السوق، وإلى الجامع، جاز أن تدخل على ما ناب عنها وقام مقامها .

وأما (كَيْفَ) فإنَّما هي سؤالٌ عن الأحوال، والأحوال لا تدخل عليهـــا حروف الجرِّ، ألا تراك لا تقول: أمن صحيحٍ ؟ ولا أمن سقيمٍ ؟ فكـــذلك ســـائر الأحوال، فلم تدخل على (كَيْفَ) كما لم تدخل على ما ناب عنه " [١٣] .

وثمرة هذا الخلاف بين سيبويه القائل بظرفيَّـــة (كَيْـــفَ)، والأخفـــش والسيرافيّ القائلين باسميّتها لخّصه ابن هشامٍ الأنصاريّ في **ثلاثة أمورٍ** :

أحدها : أنّ موضعها عند سيبويه نصْبٌ دائماً ، وعندهما رفْعٌ مع المبتدأ ، نصْبٌ مع غيره .

الثاني : أنّ تقديرها عند سيبويه : في أيّ حـــالٍ ، أو علـــى أيّ حـــالٍ ، وعندهما تقديرها في نحو : كَيْفَ زيدٌ ؟ أصحيحٌ زيدٌ ، ونحوه ، وفي نحو : كَيْـــفَ جاء زيد ؟ أراكباً جاء زيد ، ونحوه .

الثالث : أنّ الجواب المطابق عند سيبويه أن يقال : (على خيرٍ) ونحوه ، ولهذا قال رُؤبة – وقد قيل له : كَيْفَ أصبحت ؟ – (خيرٍ عافاكَ اللهُ) أي: علـــي

خيرٍ ، فحذف الجار وأبقى عمله ، فإن أُجيب على المعنى دون اللفظ ، قيل : صحيح ، أو سقيم ، وعندهما على العكس (١٤) .

المبحث الثاني: هل يُجازى بـ (كَيْفَ) ؟

ذهب الكوفيّون وقُطرب من البصريّين إلى أنّ (كَيْفَ) يُجازى بها مطلقاً ، كما يُجازى بمتى ما ، وأينما ، وما أشبههما من كلمات المجازاة ، فيجزمون بها قياساً لا سماعاً عن العرب ، نحو : كَيْفَ تكنْ أكنْ (١٥) .

واشترط الزجاجيّ في الجزم بها أن يُضمّ إليها (ما) فيُجازى بها ، كقولك : كَيْفَما تصنعْ أصنعْ (١٦) .

قال الفراء: " إذا رأيت حروف الاستفهام قد وُصلت بـ (ما) ، مثل قوله: أينما ، ومتى ما ، وأيُّ ما ، وحيثما ، وكَيْفَما ، و (أيّا ما تدعوا) كانت جزاءً و لم تكن استفهاماً . فإذا لم تُوصل بـ (ما) كان الأغلب عليها الاستفهام ، وجاز فيها الجزاء " (١٧).

وحجّة من أجاز المجازاة بها أنّها مشابهةٌ لكلمات المجازاة في الاستفهام ، فكَيْفَ سؤالٌ عن الحال ، وأين سؤالٌ عن المكان ، إلى غير ذلك .

وأنّ معناها كمعنى كلمات المجازاة، فمعنى (كَيْفَما تكنْ أكنْ): في أيّ حالٍ تكن أكن ، ومعنى (أينما تكنْ أكنْ) : في أيّ مكانٍ تكن أكن .

فلمّا شابهت (كَيْفَ) ما يُجازى به في الاستفهام ، وفي معنى المجازاة، وجب أن يُجازى بها كما يُجازى بغيرها من كلمات المجازاة (١٨) .

وأمّا البصريّون فقد ذهبوا إلى أنّه لا يجوز أن يُجازى بها ، وَأَبَوْه ، قال سيبويه: " وسألت الخليل عن قوله : كَيْفَ تصنعْ أصنعْ ، فقال : هي مستكرهةٌ ، وليست من حروف الجزاء ، ومخرجها على الجزاء ؛ لأنّ معناها : على أيّ حالٍ تكنْ أكنْ " (١٩) .

واحتجّ البصريّون على الكوفيّين بأن قالوا : إنّما قلنا : إنّه لا يجوز المجـــازاة بها **لستة أوجه** :

الوجه الأوّل: إنّما امتنعت (كَيْفَ) من المجازاة ؛ لأنّ حروف الجزاء التي يُستفهم بها كانت استفهاماً قبل أن تكون جزاءً ، والدليل على تقديم الاســتفهام وتمكّنه أنّ الاستفهام يدخل على الجزاء ، كدخوله على سائر الأخبار ، فتقــول : أ إنْ تأتني آتِك ؟ ونحوه، ولا يدخل الجزاء على الاستفهام [٢٠].

الوجه الثاني: أنّ(كَيْفَ) قَصُرت عن سائر أخواتها من حروف الاستفهام؛ لأنّ جوابها لا يكون إلاّ نكرةً ؛ لأنّها سؤالٌ عن الحال ، فيقـــال: كَيْـــفَ زيـــدٌ ؟ فتقول: صحيحٌ، ولا تقول : الصحيح .

وأمّا سائر أخواتها من حروف الاستفهام فتجاب تارةً بالمعرفة، وتارةً تجاب بالنكرة فيقال: ما عندك ؟ فتقول : خيرٌ ، أو الخيرُ، ويقال: أيّ النـــاس عنـــدك ؟ فتقول: رجلٌ يعجبك ، أو زيدٌ .

قال ابن السّراج: " ثمّ رأيت أنّه ما كان من حروف الاستفهام متمكناً يقع على المعرفة والنكرة جُوزي به؛ لأنّ حروف الجزاء الخالصة تقـــع علـــى المعرفـــة والنكرة، تقول: إنْ يأتني زيدٌ آته ، وإنْ يأتني رجل أعطه .

فكذلك: مَنْ ، وما ،وأيّ ، وأين ،ومتى ، وأنّى ، وذلـــك إذا قلـــت في الاستفهام: مَنْ عندك ؟ جاز أن تقول: زيدٌ، أو رجلٌ، أو امرأةٌ، وكذلك كلّ مـــا ذكرنا من هذه الحروف.

وأمّا (كَيْفَ) فحقُّ جوابها النكرة، وذلك قولك : كَيْفَ زيدٌ ؟ فيقـــال: صالحٌ، أو فاسدٌ، ولا يقال: الصالح ،ولا أخوك ؛ لأنّها حالٌ ، والحال نكرةٌ "[٢١] .

فلمّا قَصُرت عن أحد الأمرين ضَعُفَتْ عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازاة [٢٢] .

الوجه الثالث: أنّ (كَيْفَ) قَصُرت عن أدوات الشرط بكونها لا يكون الفعلان معها إلاّ متفقين ، نحو : كَيْفَ تجلسُ أجلسُ .

ومع الأدوات قد يكون الفعلان متفقين ، نحو : متى تجلسْ أجلسْ ، ومختلفين، نحو : متى تجلسْ أركبْ (٢٣) .

الوجه الرابع: إنّما لم يجز المجازاة بـ (كَيْفَ) مع كونها اسماً ؛ لأنّه لا يجوز الإخبار عنها ، فلا يقال : كَيْفَ في الدار ؟ كما يقال : من في الدار ؟ وما عندك ؟ على الابتداء و الخبر .

و – أيضاً – لا يعود إليها ضميرٌ، فلا يقال: كَيْفَ ضربته ؟ والهاء تعود إلى (كَيْفَ) .

وأمّا سائر أخواتها (مَنْ ، وما ، وأيّ ، ومهما) ، فيجوز الإخبار عنها ، ويعود إليها ضميرٌ ، فلمّا قَصُرت (كَيْفَ) في ذلك عن نظائرها ضَعُفَتْ عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازاة (٢٤) .

الوجه الخامس: الأصل في الجزاء أن يكون بالحرف ، إلاّ أن يُضْطر إلى استعمال الأسماء ،ولم تكن ثَمَّ ضرورةٌ تدعو إلى المجازاة بها، فينبغي ألاّ يُجازى بها ؛ لأنّا وجدنا أيّاً تُغني عنها ، ألا ترى أنّ القائل إذا قال : في أيّ حال تكنْ أكنْ ؟ فهو في المعنى بمنزلة : كَيْفَ تكن أكن ؟ (٢٥) .

الوجه السادس: أنّ قولهم : إنّها أشبهت كلمات المجازاة في الاستفهام ، وإنّ معناها كمعنى كلمات المجازاة ، ألا ترى أنّك إذا قلت : كَيْفَ تكن أكن ؟ كان معناه : على أيّ حالٍ تكون أكون عليه ، فقد ضمنت له أن تكون على أحواله وصفاته كلِّها ، قال ابن عصفور : " وهذا باطلٌ ؛ لأنّه يلزم أن يكون على جميع أحواله ، وهذا يستحيل إلاّ أن يقترن بالكلام قرينةٌ تُخلّص الوصفَ الذي التُزم إلى تساويه فيه ، مثل : كَيْفَما يكنْ من قام أكنْ " (٢٦) .

وخلاصة القول في المسألة : أنّ جمهور النّحويّين لا يُجيزون المجازاة بـ (كَيْفَ)للأوجه التي سبق ذكرها، والكوفيّون يُجازون بها ، قال ابن السّراج : " والكوفيّون يُدخلون (كَيْفَ ، وكَيْفَما) في حروف الجزاء ، ولو جازت العرب بها لاتبعناها " (٢٧) .

المبحث الثالث: الخلاف في حكم العطف بـ (كَيْفَ)

اختلف البصريّون والكوفيّون في (كَيْفَ) هل يجوز العطف بها ؟

ذهب الكوفيّون إلى جواز العطف بـ (كَيْفَ) ، وقال ابن بابشاذ : لم يذهب إلى العطف بـ (كَيْفَ) بعد النفي إلاّ هشامٌ وحده ، نحو : ما مررت بزيدٍ فكَيْفَ عمروٍ .

وذهب البصريّون إلى أنّ العطف لا يجوز بشيءٍ من حروف الاستفهام(٢٨).

أمّا الكوفيّون فاستدلوا على ذلك بأنّ العرب تقول : ما أكلت لحماً فكَيْفَ شحماً ، وما يعجبني لحمٌ فكَيْفَ شحمٌ .

وقالوا : مجيء الاسم الذي بعد هذه الأداة من الإعراب على حسب إعراب الاسم المتقدم دليلٌ على أنّها للعطف (٢٩) .

وقال ابن هشام الأنصاريّ: (٣٠) " زعم قومٌ أنّ (كَيْفَ) تأتي عاطفةً ، وممّن زعم ذلك عيسى بن موهب ، وأنشد عليه :

إذا قَلَّ مالُ المرْءِ لانَتْ قَناتُهُ وهَانَ على الأَدْنى فكَيْفَ الأباعدِ "

وقد ردّ سيبويه على الكوفيّين بأنّ ما استدلّوا به رديءٌ لا تتكلم به العرب ، وأنّ يونس زعم أنّ الجرّ خطأٌ ، وألزم سيبويه من أجاز العطف بأين وكَيْفَ ، أن يُجيز العطف بلِمَ وكمْ ، فقال : " وأمّا : ما مررتَ برجلٍ فكَيْفَ امرأةٍ ، فزعم يونس أنّ الجرَّ خطأٌ ، وقال : هو بمنزلة أين .

ومن جرّ هذا فهو ينبغي له أن يقول : ما مررتَ بعبد الله فلِمَ أخيه، وما لقيتَ زيداً مرّةً فكم أبا عمروٍ ؟ تريد : فلِمَ مررتَ بأخيه ، وفكم لقيتَ أبا عمروٍ؟" [٣١] .

وأمّا الجواب عن استدلال الكوفيّين فقد ذهب ابن عصفور إلى أنّ هذا الاستدلال " خطأٌ؛ لأنّها لو كانت للعطف لعطفت المخفوض على المخفوض ؛ لأنّه لم يوجد من حروف العطف ما يعطف المرفوع والمنصوب ، ولا يعطف المخفوض .

وهم يقولون : ما مررت برجلٍ فكَيْفَ بامرأةٍ ؟ ولا يقولون : فكَيْفَ امرأةٍ ؟ فدلّ ذلك على أنّها ليست بعاطفة ، وأنّ ما بعدها إذا كان مرفوعاً أو منصوباً محمولٌ على إضمار فعلٍ ، فكأنّك قلت : فكَيْفَ آكلُ شحماً ؟ و فكَيْفَ يعجبني عمروٌ ؟

فإن قيل : فهلاّ قلت : فكَيْفَ امرأةٍ ، على تقدير : فكَيْفَ مررت بامرأةٍ ؟

فالجواب : إنّ إضمار الخفض وإبقاءَ عمله لا يجوز كما تقدم إلاّ في ضرورة الشعر أو نادر الكلام .

وممّا يدلّ على أنّ (كَيْفَ) ليست من حروف العطف دخول حرف العطف عليها وهو الفاء " [٣٢].

وأمّا البيت الذي أنشده عيسى بن موهب على جواز العطف بكَيْفَ ، فقد خرّجه ابن هشام الأنصاريّ على أنّ " هذا خطأٌ ؛ لاقترانها بالفاء ، وإنّما هي هنا اسمٌ مرفوعُ المحلّ على الخبريّة ، ثُمّ يُحتمل أنّ (الأباعد) مجرور بإضافة مبتدأ محذوف ، أي : فكَيْفَ حالُ الأباعدِ ، فحذف المبتدأ ؛ أو بتقدير : فكَيْفَ الهوانُ على الأباعد ، فحذف المبتدأ والجار ، أو بالعطف بالفاء ثُمّ أُقحمت (كَيْفَ) بين العاطف والمعطوف ؛ لإفادة الأولويّة بالحكم " [٣٣] .

المبحث الرابع : إتيان (أَنَّى) بمعنى (كَيْفَ)

(أَنَّى) تكون شرطاً ، وتكون ــ أيضاً ــ استفهاماً ، وقد ذهب سيبويه وجمهور النّحويّين إلى أنّها من الظروف (٣٤) ، وعَدّها أبو البركات ابن الأنباريّ وغيره في ظروف المكان ، فقال : " أَيْن وأَنَّى ، سؤالٌ عن المكان " (٣٥) .

أما ابن مالك فقد خالف جمهور النّحويّين وذهب إلى القول بأنها ليست ظرفاً ، بل هي لتعميم الأحوال ، فقال : " فأَنَّى لتعميم الأحوال ، وليست ظرفاً ؛ لأنّه لازمان ولا مكان ، ولكنّها تشبه الظرف ؛ لأنّها بمعنى : على أيّ حالٍ ، فلمّا كانت تُقدّر بالجار والمجرور ، والظرف يُقدّر بهما ، كانت بمترلته " (٣٦) .

ويرى سيبويه والجمهور أنّ (أَنّى) تأتي لمعنيين: تكون بمعنى : كَيْفَ ، وتكون بمعنى : أين ، قال سيبويه : " أَنَّى تكون في معنى : كَيْفَ وأين " (٣٧) .

والمعنيان متقاربان يتجاذبانها ، فيجوز أن يُتأوّلَ كلٌّ واحدٍ منهما للآخر ، قال الكُميت : (٣٨)

أَنَّى ومِنْ أَيْن آبكَ الطَّربُ ؟ مِنْ حيثُ لاصَبْوةٌ ولا رِيَبُ

فجاء بالمعنيين جميعاً .

قال ابن يعيش : " الشاهد فيه استعمال (أَنّى) بمعنى : (كَيْفَ) ، ألا ترى أنّه لا يَحسُن أن تكون بمعنى : (أين) ؛ لأنّ بعدها : من أين ، فتكون تكراراً ، ويجوز أن تكون بمعنى : من أين ، وكُررت على سبيل التوكيد ، وحَسُن التكرار لاختلاف اللفظين ، فاعرفه " (٣٩) .

وزاد الأعلم، والعكبريّ، وابن مالكٍ، والرضيّ، وغيرهم في (أَنَّى) معنىً ثالثاً، وهو أن تكون بمعنى: متى (٤٠).

والفرق بين (أَنَّى) و(كَيْفَ) : أنّ النّحويّين يُجازون بـــ (أنّى) دون (كَيْفَ) ، يقولون : أَنَّى تقمْ أقمْ ، قال لبيد :

فأَصْبَحْتَ أَنَّى تأتها تلْتبسْ بها كِلا مَركَبيْها تحتَ رجليك شَاجِرُ[٤١]

هذا وقد وردت(أَنَّى)بمعنى (كَيْفَ) في القرآن الكريم في(ثمانيةٍ وعشرين) موضعاً ، وقد يتجاذبها في بعض المواضع ـــ مع شَبَهِ (كَيْفَ) ـــ شَبَهُ (أين) ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ** ﴾ [المائدة : ٧٥]، جاءت بمعنى: كَيْفَ، أو بمعنى : أين [٤٢] .

و - أيضاً - قوله تعالى:﴿ **قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا** ﴾ [البقرة : ٢٤٧].

قال الزمخشريّ والعكبريّ : بمعنى : كَيْفَ ، أو بمعنى : من أين [٤٣] .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ** ﴾ [آل عمران :٤٠] .

و - أيضاً - قوله تعالى:﴿ **قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ** ﴾ [آل عمران :٤٧].

و - أيضاً - قوله تعالى: ﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ** ﴾ [الأنعام :١٠١] .

في هذه الآيات جاءت (أَنَّى) بمعنى : كَيْفَ ، أو بمعنى من أين ؟ [٤٤] .

ورُبّما يتجاذب (أَنَّى) - مع الشبهين السابقين - شَبَهُ (متى) ، وذلك في مواضعَ قليلةٍ ، وقد خُرّج على ذلك قوله تعالى : ﴿ **نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ** ﴾ [البقرة :٢٢٣] .

قال العكبريّ : " أَنَّى شِئْتُمْ : أي كَيْفَ شِئْتُمْ ، وقيل : متى شِئْتُمْ ، وقيل : من أين شِئْتُمْ بعد أن يكون في الموضع المأذون فيه " [٤٥] .

وخُرّج – أيضاً – على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة :٢٥٩] .

قال العكبريّ : " أَنَّي : في موضع نصبٍ بـــ(يُحْيِي)، وهي بمعنى : متى ، فعلى هذا يكون ظرفاً .

ويجوز أن يكون بمعنى: كَيْفَ ، فيكون موضعها حالاً من (هَذِه) "(٤٦).

وخَرّج أبـــو حيّان على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ [آل عمران: ٣٧] .

فقال : " أَنَّى : سؤالٌ عن الكَيْفيّة ، وعن المكان ، وعن الزمان ، والأظهر أنّه سؤالٌ عن الجهة ، فكأنّه قال : من أيّ جهةٍ لكِ هذا الرزق " (٤٧) .

وخُرّج ـــ أيضاً ـــ على ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ [آل عمران :١٦٥] (٤٨) .

وحاصل ما سبق ذكره : ما إعرابُ (أَنَّى) إن كانت بمعنى : كَيْـــفَ ، أو بمعنى : من أين ، أو بمعنى : متى ؟

إذا كانت (أَنَّى) بمعنى : كَيْفَ ، إمّا أن تكون اسماً مبنيّاً على السكون في محلّ نصبٍ على الحال ، نحو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة :٧٥] .

ونحو قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ [آل عمران:٤٧] (٤٩).

أو تكون (أَنَّى) اسماً مبنيّاً على السكون متعلّقةً بمحذوفٍ هو الخبر، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ [آل عمران:٣٧] ، ونـــحو قـــوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان: ١٣] (٥٠) .

وإذا كانت بمعنى : من أين ، كانت ظرفَ مكانٍ مبنيّاً وإعرابها كالسابق .

وإذا كانت بمعنى : متى ، كانت ظرفَ زمانٍ مبنيّاً ، وهي فيهما مبنيّةٌ ؛ لتضمن حرف الاستفهام أو الشرط .

المبحث الخامس : إتيان (بَلْهَ) بمعنى (كَيْفَ)

من أدوات المعاني (بَلْهَ) وهي على ثلاثة أوجهٍ : (٥١)

الأوّل : أن تكون اسمَ فعل أمر ، بمعنى : دَعْ ، نحو : بَلْهَ زيداً ، أي : دَعْ زيداً .

فالاسم الذي بعدها منصوبٌ على أنّه مفعولٌ به ، (وبَلْهَ) اسم فعل أمرٍ مبنيٌّ على الفتح ، وفاعله ضميرٌ مستترٌ فيه وجوباً ، ففتحتُها فتحةُ بناءٍ ، وعلى ذلك فالجملة اسميّة .

الثاني : أن تكون مصدراً مضافاً إلى ما بعده ، وهي بمعنى : تَرْك ، النائب عن : اُتْركْ ، نحو : بَلْهَ زيدٍ ، أي : تَرْكَ زيدٍ .

وعلى هذا تكون (بَلْهَ) مفعولاً مطلقاً لفعلٍ محذوفٍ ، وهي مضافٌ ، و(زيدٍ) مضاف إليه ، من إضافة المصدر لمفعوله .

وفتحةُ (بَلْهَ) في هذا الوجه فتحةُ إعرابٍ ، وهي جملةٌ فعليّةٌ حُذف صدرها .

الوجه الثالث : أن تكون (بَلْهَ) مرادفةً لـ (كَيْفَ)، فيكون ما بعدها مرفوعاً ، نحو : بَلْهَ زيدٌ ، أي :كَيْفَ زيدٌ .

فـ(زيدٌ) مرفوعٌ على أنّه مبتدأٌ ، و(بَلْهَ) خبرٌ مقدّمٌ ، وفتحةُ (بَلْهَ) ههنا فتحةُ بناءٍ ، والجملةُ اسميّةٌ .

وقد رُوي بالأوجه الثلاثة قولُ كعبٍ بن مالكٍ يصف السيوفَ : (٥٢)

تذرُ الجَماجمَ ضاحياً هاماتُها بَلْهَ الأكُفّ كأنّها لم تُخلَقِ

بنصب (الأكُفّ) على أنّ (بَلْهَ) اسمُ فعلٍ ، وبجرّه على أنّها مصدرٌ ، وبرفعه على أنّها بمعنى : كَيْفَ .

وأنكر أبو عليّ الفارسيُّ الرفعَ بعد (بَلْهَ)، على أن تكون بمعنى : كَيْفَ، وإنكاره مردودٌ عليه **للأدلّة التالية** :

الأوّل : روى قُطرب جوازَ الرفع بعد (بَلْهَ) .

الثاني : حكى أبو عليّ الفارسيُّ نفسُه عن الأخفش أنّه جوّز مجيء (بَلْهَ) بمعنى :كَيْفَ (٥٣) .

الثالث:وردت(بَلْهَ) بمعنى: كَيْفَ، وبمعنى : دَعْ في(كتاب العين) (٥٤).

وقد ذكر الرضيّ أنّ (بَلْهَ) إذا كانت بمعنى كَيْفَ جاز دخول (مِنْ) عليها ، وأورد حكايةَ أبي زيدٍ على ذلك ، فقال : " حكى أبو زيدٍ أنّ فلاناً لا يُطِيق أن يحمل الفِهْرَ فمِنْ بَلْهَ أن يأتي بالصخرة "(٥٥)

يقول : لا يُطِيق أن يحمل الفِهْرَ فكَيْفَ يُطِيق حمْلَ الصخرة .

المبحث السادس : نَصْبُ الاسم على المعيّة بعد (كَيْفَ)

المفعول معه : هو الاسم ، المنصوب ، بعد (واوٍ) بمعنى (مَعَ) . والنّاصب له ما تقدمه من فعلٍ ، نحو: استوى الماءُ والخشبةَ ، وجاء البردُ والطيالسةَ ، وسرت والنيلَ .

أو ما يعمل عمل الفعل من مصدرٍ ، أو اسم فاعلٍ ، أو اسم مفعولٍ ، نحو : يعجبني سيرُك والطريقَ ، وأنا سائرٌ والقمرَ (٥٦) .

قال ابن مالكٍ : " هو الاسم التالي واواً تجعله بنفسها في المعنى كمجرور مَعَ ، وفي اللفظ كمنصوبٍ معدًّىً بالهمزة .

وانتصابه بما عمل في السابق من فعلٍ ، أو عاملٍ عمله ، لا بمضمرٍ بعد الواو خلافاً للزجّاج ، ولا بها خلافاً للجرجانيّ ، ولا بالخلاف خلافاً للكوفيّين " (٥٧) .

عُلِمَ من كلام ابن مالكٍ السابق أنّ نصْبَ المفعول معه مشروطٌ بأنْ يسبقه فعلٌ أو ما يعمل عمله ، ولكن سُمع من كلام العرب نصبُ المفعول معه بعد(ما) و (كَيْفَ) الاستفهاميّتين من غير أن يُلفظ بفعلٍ ، نحو : ما أنت وزيداً ؟ ونحو : كَيْفَ أنت وقصعةً من ثريدٍ ؟

قال سيبويه : " وزعموا أنّ ناساً يقولون : كَيْفَ أنت وزيداً ، وما أنت وزيداً ؟ وهو قليلٌ في كلام العرب " (٥٨) .

وقد ذهب النّحويّون إلى أنّ الرفع فيهما هو الجيد ؛ لعدم الفعل وما يعمل عمله .

و ـــ أيضاً ـــ لعدم امتناع عطفه على ما قبله ؛ لأنّ الذي قبله ضميرٌ مرفوعٌ منفصلٌ ، والضمير المنفصل يجري مجرى الظاهر ، فيجوز العطف عليه ، فلذلك كان الوجه الرفع (٥٩) .

وقد خرّج سيبويه والنّحويّون النّصب في هذين المثالين بإضمار : كنتَ وتكونُ ، فيكون التقدير : كَيْفَ تكونُ أنت وقصعةً من ثريدٍ ، وما كنتَ أنت وزيداً ؟ فـ(قصعةً وزيداً) : منصوبان بـ (تكونُ، وكنتَ) مضمرةً ، لا بـ (كَيْفَ ، وما) الاستفهاميّتين .

قال سيبويه : " ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كَيْفَ) ، ولكنّهم حملوه على الفعل ، على شيءٍ لو ظهر حتى يلفظوا به لم يَنقض ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على (ما) و (كَيْفَ) ، كأنّه قال : كَيْفَ تكونُ وقصعةً من ثريد ، وما كنتَ وزيداً ؟ ؛ لأنّ كنتَ وتكونُ يقعان ههنا كثيراً ، ولا ينقضان ما

تريد من معنى الحديث ، فمضى صدر الكلام وكأنّه قد تكلم بها ، وإن كان لم يَلفظ بها ؛ لوقوعها ههنا كثيراً " [٦٠] .

وقد حسُن تقدير الفعل بعد (ما، وكَيْفَ) الاستفهاميتين ؛ لأنّ الاستفهام من المواضع التي يكثُر استعمال الفعل فيها ، لذا أجازوا فيه النّصب ، قال سيبويه : " واعلم أنّه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام، نحو:(هل، وكَيْفَ ، ومَنْ) اسمٌ وفعلٌ ، كان الفعل بأن يليَ حرف الاستفهام أولى ؛ لأنّها عندهم في الأصل من الحروف التي يُذكر بعدها الفعل " [٦١] .

المبحث السابع: حَذْف فَاءِ (كَيْفَ)

يرى النّحويّون أنّه إنْ وَلِي (كي) اسمٌ ، أو فعلٌ ماضٍ ، أو مضارعٌ مرفوعٌ ، عُلِم أنّ (كي) اسمٌ مختصرٌ من (كَيْفَ) ، وقد حُذفت فاؤُها [٦٢] ، من ذلك قول الشاعر : [٦٣]

كي تَجْنحون إلى سِلْمٍ وما ثُئِرتْ قتلاكُمُ ولَظَى الهيجاء تَضْطرِمُ ؟

أراد:كَيْفَ تجنحون، فحذف الفاء، كما قال بعضهم:(سَوْ أفعلُ) يريد:سوف [٦٤].

ومنه ـــ أيضاً ـــ قول الشاعر : [٦٥]

أو راعيان لبُعْرانٍ لنا شَردتْ كي لا يُحِسَّان من بُعرانِنا أَثَرا

ووجه الاستشهاد من البيتين : أنّه لو كانت (كي) هذه هي المصدريّة لانتصب الفعل بعدهما ، فمجيئُهما بالنّون التي للرفع دليلٌ على أنّها ليست هي ، بل أصلها (كَيْفَ) ، وقد حُذفت فاؤُها .

ويرى بعض النّحويّين أنّ (كي) قد تكون لغةً في (كَيْفَ) ، وليس هو من باب حذف الفاء ، قال الرضيّ : " قال الأندلسيّ : إمّا أن يُقال : هي لغةٌ في (كَيْفَ) ، أو يُقال : حذْفُ فاء (كَيْفَ) ضرورةٌ " [٦٦] .

المبحث الثامن: الوقف على (كَيْفَ)

الوقف هو : قطْعُ النطق عند آخر كلمةٍ [٦٧] .

والمراد ـــ هنا ـــ الاختياريّ ، وهو غير الوقف الذي يكـــون اســـتثباتاً ، أو إنكاراً ، أو تذكّراً ، أو ترنّماً .

ويقابله الابتداء ، والابتداء عملٌ ، فيكون الوقف استراحةً عن ذلك العمل .

والوقف له أنواعٌ ، وأحكامٌ [٦٨] ، وغالبُه يلزمه تغييرٌ : إمّـــا في الحركـــة بحذفٍ ، وهو السكون ، أو بروم ، أو إشمامٍ ، وإمّا في الكلمة بزيادةٍ عليهـــا إمّـــا بتضعيفٍ ، وإمّا بهاء السَّكْت ، أو بنقصٍ بحذف حرف العلّة ، أو بقلـــب آخـــر الكلمة إلى حرف العلة ، أو بإبدال حرفٍ صحيحٍ منه [٦٩] .

ومن خواصّ الوقف زيادةُ هاء السَّكْت ، وإنّما تُجتلب للتوصل بهـــا إلى بقاء الحركة في الوقف ، كما اجتُلبت همزة الوصل للتوصل إلى بقاء الـــسكون في الابتداء .

وسُمّيت هاء السّكت ؛ لأنّها يُسكت عليها في الوقف دون آخر الكلمة .

وتطّرد زيادتها في ثلاثة مواضعَ : الفعل المعتلّ المحذوف الآخر ، و (مـــا) الاستفهاميّة ، وكلّ مبنيّ محرَّكٍ بحركة بناءٍ لازمٍ [٧٠] .

وما يعنيني من المواضع الثلاثة التي تُزاد فيها هاء السّكت عند الوقف، هو الموضع الأخير ، وهو كلُّ كلمةٍ مبنيّةٍ على حركةِ بناءٍ لازماً ، ولم يُشبه المعْرَب .

فالكلمة المستوفية لهذه القيود الثلاثة ، جاز لحاقُ هاء السّكت بها ، نحو : هُوَ ، وهِيَ ، وياء المتكلم عند من فتحهنّ في الوصل ، وكَيْفَ ، وثُمَّ .

فيُقال في الوقف على هُوَ ، وهِيَ : هُوَهْ ، وهِيَهْ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ** ﴾ [القارعة :١٠] .

ويُقال في الوقف على غُلامِيَ ، وكِتابِيَ : غُلامِيَهْ ، وكِتابِيَهْ ، قال تعالى : ﴿ **هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ** ﴾ [الحاقة : ١٩] ، وقال تعالى :﴿ **مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ** ﴾ [الحاقة : ٢٨، ٢٩] .

ويُقال في الوقف على كَيْفَ ، وثُمَّ : كَيْفَهْ ، وثُمَّهْ (٧١) .

قال ابن مالكٍ في هذا الموضع :

ووَصْلَ ذي الْهاءِ أَجِزْ بكُلِّ ما حُـــــرِّكَ تحريكَ بناءٍ لَزِما

ووَصْلُها بغير تحـــريك بِنَا أُديم شَذَّ ، في الْمُدَامِ اسْتُحْسِنا (٧٢)

وقال : " ويجوز أن تلحق هذه الهاءُ كلَّ محرَّكٍ حركةَ بناءٍ لازمٍ ، نحـو : كَيْفَ ،وثُمَّ ، وإنَّ .

ولا تلحق هذه الهاءُ ذا حركةٍ عارضةٍ كاسم (لا) ، والمنادى المضموم ، والعددِ المركّب ، ولا تلحق الفعل الماضي ، وإن كانت حركتُه لازمـةً ؛ لـشَبَهه بالمضارع " (٧٣) .

الفصل الثاني

أوجه إعراب (كَيْفَ) في القرآن الكريم

وفيه أحدَ عشرَ مبحثا

المبحث الأوّل: وقوع (كَيْفَ) خبراً

يرى النّحويّون أنّ (كَيْفَ) تكون خبراً قبل ما لا يستغني ، نحو : كَيْفَ أنت ؟ وكَيْفَ كنت ؟ ومنه : كَيْفَ ظننت زيداً ؟ وكَيْفَ أعلمتَه فرسَك ؟؛ لأنّ ثانيَ مفعولي (ظنّ) ، وثالثَ مفعولات (أعلم) خبران في الأصل (٧٤) .

قال ابن مالك : " إذا وقعت (كَيْفَ) قبل مالا يتمّ كلاما ، كانت خبراً مقدَّماً ، وما بعدها مخبَرٌ عنه ؛ لأنّه لا يجوز أن تكون ملغاة ؛ لأنّه قد حصلت بها الفائدة ، وتمّ بها الكلام ، ولا يجوز أن تكون هي المخبَر عنه ، وما بعدها الخبر ؛ لأنّها قي تأويل صفة نكرةٍ ، فيقبُح جعلُها اسماً مخبَراً عنه بما بعده ، فوجب أن تكون خبراً مقدَّماً في موضع رفع ، إن عدمت نواسخ الابتداء ، ولذلك يُبدل مها ويجاب بالرفع ، نحو : كَيْفَ زيدٌ ؟ أفارغٌ أم مشغولٌ ؟ وإن وُجِدت نواسخ الابتداء فهي في موضع نصبٍ خبراً قبل (كان) أو إحدى أخواها ، ومفعولاً ثانياً قبل (ظنّ) أو إحدى أخواها ، ولذلك يُبدل منها ويجاب بالنصب ، نحو : كَيْفَ كان زيدٌ ؟ أصحيحاً أم سقيماً ؟ وكَيْفَ رأيت عمر ؟ أشاعراً أم فقيهاً ؟" (٧٥) .

وقد جاءت (كَيْفَ) في القرآن الكريم خبراً في (سبعة وعشرين) موضعاً ، منها (موضعٌ واحدٌ) وقعت فيه (كَيْفَ) في محلّ رفعٍ خبراً مقدَّماً للمبتدأ المؤخَّرِ (نَذِير) في قوله تعالى : ﴿ **فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** ﴾ [الملك: ١٧] (٧٦) .

وأُعربت في(ستةٍ وعشرين) موضعاً في محلّ نصبٍ خبر(كان) ، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام :١١] .

كَيْفَ: في محل نصب ؛ لأنَّه خبر (كان) ، و(عَاقِبَةُ) اسمها ، وقال : (كان) و لم يُؤنثّ الفعل ؛ لأنَّ (العاقبةَ) بمعنى : المعاد ، فهو في معنى المذكّر ؛ ولأنّ تأنيث (العَاقِبَة) غير حقيقيّ ، فجاز تذكير فعلها [٧٧] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف :١٠٣] .

قال السَّمين الحلبيّ : " كَيْفَ : خبرٌ لــ(كان) مقدَّمٌ عليها واجب التقديم؛ لأنَّ له صدرَ الكلام ، و (عَاقِبَةُ) اسمُها " [٧٨] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [غافر: ٢١] .

قال ابن الأنباريّ : " كَيْفَ : في موضع نصبٍ ؛ لأنّها خبرُ (كان)، و(عَاقِبَةُ) مرفوعٌ ؛ لأنَّه اسمُ (كان) ، ويكون في (كَيْفَ) ضميرٌ يعود على (العَاقِبَةُ) ، كقولك : أين زيدٌ ؟ وكَيْفَ عمروٌ ؟ ففي كلِّ واحدٍ من (أين ، وكَيْفَ) ضميرٌ يعود إلى المبتدأ " [٧٩] .

ففي المواضع السابقة نجد أنّ (كَيْفَ) وقعت خبراً للفعل الناسخ (كان) وهي في الوقت نفسه جاءت معلِّقةً فعل النظر .

وقد جاءت (كَيْفَ) خبراً للفعل الناسخ (كان) و لم تُسبق بفعل النظر في (ستةِ) مواضع ، من ذلك :

قوله تعالى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد: ٣٢] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ** ﴾ [سبأ : ٤٥] .

وقعت (كَيْفَ) في كلتا الآيتين في محلّ نصبٍ خبراً لـ(كان) ، و(عِقَاب) و (نَكِير) اسمها [٨٠] .

المبحث الثاني : وقوع (كَيْفَ) حالاً

يرى النّحويّون أنّ (كَيْفَ) تقع حالاً قبل ما يستغني ، نحو : كَيْفَ جاء زيدٌ ؟ أي : على أيّ حالةٍ جاء زيدٌ [٨١] .

قال ابن مالكٍ : " فإذا وقعت (كَيْفَ) قبل تامٍّ مستغنٍ عنها كانت في موضع نصبٍ على الحال ؛ لأنّها في تأويل صفةٍ نكرةٍ متقدمةٍ على موصوفها ، والصفة المتقدمة على الموصوف لا يجوز أن تكون نعتاً له ؛ لأنّ النعت تابع ، فلا يتقدم على المتبوع ، بل يجب فيها أحد أمرين : إمّا أن تُجعل حالاً من الموصوف ، وإمّا أن تُقام مقامه ، ويُجعل هو بدلاً منها ، فلم يجز في (كَيْفَ) أن تُقام مقام الموصوف ؛ لأنّها في تأويل صفةٍ نكرةٍ ، والصفة النكرة يقبُح فيها ذلك ، فوجب أن تكون حالاً ، ولذلك يُبدل منها ، ويجاب بالنصب ، تقول : كَيْفَ سار زيد ؟ أراكباً أم ماشياً ؟ فيقال : ماشياً أو راكباً ؛ ويقال : كَيْفَ جئت ؟ فتقول : مسرعاً ، بالنصب لا غير ؛ لأنّ البدل من الحال حالٌ ، والحال لا تكون إلاّ منصوبةً " [٨٢] .

وقد وقعت (كَيْفَ) في القرآن الكريم حالاً، وذلك في (خمسةٍ وأربعين) موضعاً ، وهي أكثر مواقع (كَيْفَ) ، منها (تسعةَ عشرَ) موضعاً وقعت فيها (كَيْفَ) حالاً ، و لم تُسبق بفعل النظر أو الرُؤية ، من ذلك :

قـــوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨] كَيْفَ : اسم استفهام مبنيٌّ على الفتح في محلّ نصبٍ على الحال من الواو في (تَكْفُرُونَ) ، وهو العامل (٨٣) .

ومنه ـــ أيضاً ـــ قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء :٢١] ، قال العكبريّ : " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ ؟ كَيْفَ في موضع نصْبٍ على الحال، والتقدير: أتأخذونه جائرين ؟ وهذا يتبيّن لك بجواب (كَيْفَ) ، ألا ترى أنّك إذا قلت : كَيْفَ أخذتَ مالَ زيدٍ ؟ كان الجواب حالاً ، تقديره : أخذتُه ظالماً أو عادلاً ، ونحو ذلك؛ وأبداً يكون موضعُ (كَيْفَ) مثلَ موضع جوابها" (٨٤) .

ومن ذلك قولـــه تعالى : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة :٤٣] ، كَيْفَ : في محلّ نصْبٍ على الحـــال من الضمير الفاعـــل في (يُحَكِّمُونَكَ) (٨٥) .

وقد جاءت (كَيْفَ) حالاً في (ثمانيةَ عشرَ) موضعاً معلِّقةً فعل النظر ، من ذلك بعد فعل الأمر (انْظُرْ) :

قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنعام:٢٤] .

كَيْفَ : في محلّ نصْبٍ على الحال ، والعامل فيها (كَذَبُوا) ، ولا يعمل فيها (انْظُرْ) ؛ لأنَّ ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام (٨٦) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء :٢١] ، قال ابن الأنباريّ : " كَيْفَ : في موضع نصبٍ بـــ (ضَّلْنَا)، ولا يعمل فيه(انْظُرْ)؛

لأنّ (كَيْفَ) معناها الاستفهام ، والاستفهامُ له صدرُ الكلام فلا يعمل فيه ما قبله " (٨٧) .

و ــ أيضاً ــ جاءت (كَيْفَ) حالاً معلِّقةً فعل النظر بعد الفعل المضارع في مواضعَ ، منها :

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس :١٤] ، قال الزَّجَّاج : " موضعُ (كَيْفَ) نصبٌ بقوله (تَعْمَلُونَ)؛ لأنَّها حرف استفهام ، ولا يعملُ فيها (لِنَنْظُرَ) ؛ لأنَّ ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام " (٨٨) .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ [ق: ٦] ، كَيْفَ : في محلّ نصبٍ على الحال من الضمير المنصوب في (بَنَيْنَاهَا) الراجع إلى السماء (٨٩) .

وقد وقعت (كَيْفَ) حالاً معلِّقةً للفعل المضارع (تَرَى) أو الأمر منه في (ثمانيةِ) مواضعَ ، من ذلك :

قولــه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة :٢٦٠] كَيْفَ : في محلّ نصبٍ على الحال ، العامل فيها (تُحْيِي) ، أي : بأيِّ حالٍ تحيي الموتى (٩٠) .

و ــ أيضــاً ــ قولــه تعــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ [إبراهيم :٢٤] ، كَيْفَ : في محلّ نصبٍ بــ (ضَرَبَ) (٩١) .

وخلاصةُ القول : إنّ (كَيْفَ) وقعت حالاً في جميع هذه المواضع ، ولم يأت بعدها الفعل (كان) أو مضارعه .

المبحث الثالث: وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها حالاً

الأصل في الحال الإفراد ، وتقع الجملة موقع الحال ، ولذلك اشترطوا في الجملة الواقعة حالاً أن تكون خبريةً ؛ لتضمنها معنى الوصف ، كما تقع نعتاً ، وخبراً .

ولا بُدّ في الجملة الحاليّة من ضميرٍ يربطها بصاحبها ، أو واوٍ تقوم مقام الضمير ، وقد يُجمع فيها بين الأمرين ، نحو : جاء زيدٌ يضحك ، ونحو : جاء زيدٌ وعمرو قائمٌ ، ونحو: جاء زيدٌ وأبوه مسافرٌ ، هذا مذهب جمهور النّحويّين (٩٢) .

وذهب ابن جنيّ إلى أنّ الجملةَ الواقعةَ حالاً لا تلزم أن تكون خبريّةً ، فقد أجاز أن تقعَ الجملةُ الطلبيّةُ حالاً ، وتبعه أبو البقاء العكبريّ وغيره في ذلك ؛ إذْ أجازوا أن تقع جملة (كَيْفَ) وما بعدها حالاً في (ثلاث) آياتٍ (٩٣) .

وقد ردّ أبو حيّان الآيات التي استدلّوا بها ، والآيات هي :

١. قوله تعالى : ﴿ **وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا** ﴾ [البقرة :٢٥٩]، قال العكبريّ : كَيْفَ نُنْشِزُهَا : في موضع الحال من (العِظَام)، والعامل في (كَيْفَ) : (نُنْشِزُهَا)، ولا يجوز أن تعمل فيها (انْظُرْ) ؛ لأنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، ولكن (كَيْفَ، و نُنْشِزُهَا) جميعاً حالٌ من (العِظَام) ، والعامل فيها (انْظُرْ) ، تقديره : انْظُرْ إلى العظام مُحياةً " (٩٤) .

وقد ردّ أبو حيّان مذهبَ العكبريّ ، فقال : " وهذا ليس بشيءٍ ؛ لأنَّ الجملة الاستفهاميّة لا تقع حالاً ، وإنّما تقع حالاً(كَيْفَ) وحدها، نحو : كَيْفَ ضربت زيداً ؟ ولذلك تقول: قائماً أم قاعداً ، فتُبدل منها الحال " .

وذهب أبو حيّان إلى أنَّ (كَيْفَ)منصوبةٌ بـــ (نُنْشِزُهَا) نصْبَ الأحوال، وذو الحال مفعولُ (نُنْشِزُهَا) (٩٥) .

أمّا الألوسيُّ فيرى جواز وقوع جملة (كَيْفَ) حالاً كالعكبريّ، وردّ على مَن اعترضَ على ذلك، فقال: " واعتُرضت الحاليّة بأنّ الجملةَ استفهاميّةٌ، وهـــي لا تقع حالاً، وأُجيب بأنّ الاستفهام ليس على حقيقته، فما المانعُ من الحاليّة ؟" (٩٦) .

٢. استدلّ المجوِّزون ـــ أيضاً ـــ بقوله تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ** ﴾ [آل عمران : ٦] .

قال العكبريّ : " كَيْفَ يَشَاءُ : (كَيْفَ) في موضع نصبٍ بـــ (يَشَاءُ) ، وهو حالٌ ، والمفعول محذوفٌ ، تقديره : يشاء تصويركم .

وقيل : (كَيْفَ) ظرفٌ لـــ (يَشَاءُ) ، وموضع الجملة حالٌ ، تقديره : يصوّركم على مشيئته ، أي : مُريداً ، فعلى هذا يكون حالاً من ضمير اسم الله ، ويجوز أن تكون حالاً من الكاف والميم ، أي يصوِّركم متقلّبين على مشيئته " (٩٧) .

أمّا أبو حيّان والسمين الحلبيّ فقد ذهبا إلى أنّ (كَيْفَ) منصوبٌ على الحال بالفعل بعده ، والمعنى : على أيّ حالٍ شاء أن يصوِّركم صوَّركم .

وقد أورد أبو حيّان والسمين الحلبيّ الوجهين اللذين ذكرهما العكبريّ و لم يعترضا عليه .

لكنْ إعرابهما لـــ (كَيْفَ) أنّها حالٌ ، والعامل فيها الفعل الذي بعدها (يَشَاءُ)،فيه دلالةٌ واضحةٌ على عدم قبول رأي العكبريّ، وكذلك ابن جنيّ (٩٨) .

٣. استدلّ المجوِّزون ـــ أيضاً ـــ بقوله تعالى: ﴿ **فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ** ﴾ [الروم :٥٠] .

قال ابن جنيّ : " كَيْفَ يُحْيِي : جملةٌ منصوبةُ الموضع على الحال ، حمـــلاً على المعنى لا على اللفظ ؛ وذلك أنّ اللفظَ استفهامٌ ، والحالُ ضَرْبٌ من الخـــبر ، والاستفهام والخبر معنيان متدافعان .

وتلخيص كونها حالاً أنّه كأنّه قال : فانظر إلى أثر رحمة الله محييةً للأرض بعد موتها " (٩٩) .

وقد أيّد ابن جنيّ مذهبَه هذا ، أعني به : الحمل على المعنى دون اللفــظ، بجواز وقوع جملة الاستفهام صفةً ؛ لأنَّ الصفةَ ضربٌ من الخبر ، وكـــذا أجـــاز وقوع جملة الاستفهام بدلاً ممّا قبلها حملاً على المعنى لا على اللفظ (١٠٠) .

وقد أورد ابن عطيّة والهمذانيّ مذهب ابن جنيّ السابق في إعـــراب الآيـــة وسكتا و لم يعترضا عليه (١٠١)، وأمّا القُرطبيّ فقد خـــرّج الآية على مذهب ابـــن جنيّ (١٠٢).

وقد ردّ أبو حيّان الأندلسيّ مذهبَ ابن جنيّ في إعراب الآية، فقال:" وهذا فيه نظرٌ " (١٠٣) .

و ـــ أيضاً ـــ ردّه السمين الحلبيّ ، فقال : " كَيْفَ تقع جملـــةُ الطلـــب حالاً ؟ " (١٠٤) .

لكنّهما لم يبيّنا العلّة في عدم جواز وقوع جملة الطلب حالاً ، وقد أبـــان عنها رضيّ الدين الاستراباذيّ ، فقال : " وأمّا وجوب كونهـــا خبريّـــةً ؛ فـــلأنّ مقصود المجيء بالحـــال تخصيصُ وقوع مضمون عامله بوقت وقـــوع مـــضمون الحال، فمعنى قولك : جاءني زيد راكباً : أنَّ المجيء الذي هو مضمون العامل واقعٌ وقت وقوع الركوب الذي هو مضمون الحال ومن ثمة قيل : إنّ الحـــال يـــشبه الظرف معنى .

والإنشائية إمّا طلبيّة أو إيقاعيّة بالاستقراء ، وأنت في الطلبيّة لست على يقينٍ من حصول مضمونها ، فكَيْفَ تخصّصُ مضمون العامل بوقت حصول ذلك المضمون .

وأمَّا الإيقاعيّة نحو : (بعت، وطلّقت) فإنّ المتكلم بها لا ينظر ــ أيضاً ــ إلى وقتٍ يحصل فيه مضمونها ، بل مقصوده مجرد إيقاع مضمونها ، وهو منافٍ لقصد وقت الوقوع ، بلى يُعرف بالعقل لامن دلالة اللفظ أنّ وقت التلفظ بلفظ الإيقاع وقت وقوع مضمونه " [١٠٥] .

المبحث الرابع : (كَيْفَ) تحتمل الخبريّة والحاليّة

تكون (كَيْفَ) في موضع نصبٍ على الحال قبل ما يُستغنى به ، وتكون خبر مبتدأٍ في الحال أو الأصل قبل ما لا يُستغنى به ، وقد تقدم الكلام عليهما ، فلا حاجة إلى إعادته .

واحتمال وقوع (كَيْفَ) خبراً أو حالاً يرجع إلى وقوعها قبل (كان) المذكورة أو المقدرة ، فتحمل (كَيْفَ) أن تكون في موضع نصبٍ حالاً على جعل (كان) تامة ، وتحمل أن تكون في موضع نصبٍ خبراً لـ (كان) على جعلها ناقصة ، وتحتمل أن تكون في موضع رفعٍ خبراً للمبتدأ على جعل (كان) زائدة [١٠٦] .

ويقع هذا الاحتمال في (أحدَ عشرَ) موضعاً ، من ذلك :

قوله تعالى :﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [آل عمران :٢٥] .

قال أبو حيّان: (وانتصاب (فكَيْفَ)، قيل: على الحال، والتقدير: كَيْفَ يصنعون.

وقدّره الحوفيّ : كَيْفَ يكون حالهم ، فإن أراد (كان) التامّة كانت في موضع نصبٍ على الحال ، وإن كانت النـــاقصة كانت في موضع نصب على خبر (كان) .

والأجود أن تكون في موضع رفعٍ خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ ، يدلّ عليه المعنى ، والتقدير : كَيْفَ حالُهم (١٠٧) .

وقوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦ** ﴾ [التوبة : ٧] .

قال السمين الحلبيّ:"في خبر (يَكُونُ) **ثلاثة أوجهٍ أظهرها:** أنّه(كَيْفَ) ، و(عهدٌ) اسمها .

الثاني : أن يكون الخبر (لِلْمُشْرِكِينَ) .

والثالث : أن يكون الخبر (عِنْدَ اللَّهِ) .

و(كَيْفَ)على هذين الوجهين الأخيرين مُشْبهةٌ بالظرف،أو بالحال(١٠٨).

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ** ﴾ [القمر ١٥ : ١٦] .

قال ابن الأنباريّ : " كَيْفَ : في موضع نصبٍ من وجهين :

أحدهما : على خبر (كان) إن كانت ناقصةً ، و(عَذَابِي) اسمُها .

والثاني : على الحال إن كانت (كان) تامةً ، و(عَذَابِي) فاعلُها ، ولا خبر لها " (١٠٩) .

المبحث الخامس: وقوع جملة(كَيْفَ)وما بعدها معلّقةً فِعْلَ النظر والرؤية:

التعليق : عبارةٌ عن إبطال العمل لفظاً لا محلاً على سبيل الوجوب ، بخلاف الإلغاء فهو إبطاله لفظاً ومحلاً على سبيل الجواز .

ولا يكونان إلاّ في أفعال القلوب المتصرفة ، سوى (هَبْ ، وتَعَلّم) .

فالتعليق يدخل على الأفعال القلبيّة ، نحو : رأى ، عَلم ، ظَنّ ، حَسِب ، وأخواتها .

ويشاركهنّ في التعليق ـ بشرط أن يكون المعلّق الاستفهام خاصةً ـ الأفعال : (نَظرَ بالعين أو القلب ، وأبصر ، وتفكّر ، وسأل) .

وسبب التعليق : أنّ هذه الأفعال وَلِيها ماله صدر الكلام ، نحو : لام الابتداء ، أو الاستفهام ، أو القسم ، وغيرها .

وإنّما عَلّقت هذه المعلّقاتُ العاملَ ؛ لأنّ لها صدرَ الكلام ، فلو أَعمل ما قبلها فيها أوفيما بعدها لخرجت عن أن يكون لها صدرُ الكلام ، كقولك : علمتُ كَيْفَ جاء زيدٌ ؟

فـ (كَيْفَ) لّما كان لها صدرُ الكلام علّقت الفعل (عَلِم) عن العمل ، أي: رفعته عن الاتصال بما بعدها ، والعمل في لفظه ؛ لأنّ ماله صدر الكلام لا يصحّ أن يعمل ما قبله فيما بعده [١١٠] .

وقد جاءت (كَيْفَ) الاستفهامية معلّقةً فِعْلَ النظر في القرآن الكريم في(تسعة وثلاثين) موضعاً ، منها (ستةٌ وعشرون) موضعاً بعد فعل الأمر (انْظُرْ) ، و (ثلاثةَ عشرَ) موضعاً بعد الفعل المضارع ، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الإسراء :٢١] . قال أبو حيّان: "والظاهر أن (نظر) بصريةٌ؛ لأنّ التفاوت في الدنيا مُشاهدٌ، و(كَيْفَ)

في موضع نصب بعد حذف حرف الجر ؛ لأنّ (نظر) يتعدى به ، فـ (انْظُرْ) هنا معلَّقةٌ ، ولّما كان النظر مفضياً وسبباً إلى العلم جاز أن يُعلّق ، ويجوز أن يكون (النظر) من نظر الفكر ، فلا كلام في تعليقه ؛ إذْ هو فعلٌ قلبيٌّ " (١١١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس :١٤] .

قال أبو حيّان عن جملة (كَيْفَ تَعْمَلُون) : " والجملة في موضع نصبٍ لـ (نَنْظُرَ) ؛ لأنّها معلِّقةٌ ، وجاز التعليق في (نظر) وإن لم يكن من أفعال القلوب ؛ لأنّها وَصَلة فعل القلب الذي هو العِلْم " (١١٢) .

وقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] .

ذهب أبو حيّان إلى أنّ (كَيْفَ) سؤالٌ عن حالٍ ، العامل فيها (خُلِقَتْ) ، ثم قال : " وإذا عُلّق الفعل عمّا فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته " (١١٣) .

ومنه – أيضاً– قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة :٢٥٩] .

ذكر أبو حيّان أنّ (نظر) البصريّة تتعدى بإلى ، ويجوز فيها التعليق ، فتقول: انظر كَيْفَ يصنع زيدٌ ؟ ثم ذكر أنّ ما يتعدى بحرف الجرّ إذا عُلِّق صار يتعدى لمفعولٍ، ثم قال: " وليس الاستفهام في باب التعليق مراداً به معناه، بل هذا من المواضع التي جرت في لسان العرب مغلَّباً عليها أحكام اللفظ دون المعنى" (١١٤) .

وقد جاءت جملة (كَيْفَ) وما بعدها –أيضاً– معلِّقةً فعل الرُّؤية في القرآن الكريم، في (ثمانية) مواضعَ، منها (سبعةُ) مواضعَ بعد الفعل المضارع

(ترى ، أو يرى)، وموضعٌ واحدٌ عَلّقت فيه (كَيْفَ) فعل الأمر منـــه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة :٢٦٠] .

فجملة (كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) معلّقة للرؤية ؛ لأنّ (رأى) البصريّة تُعلَّق كما تُعلَّق (نظر) البصريّة، ومن كلام العرب: (أما ترى أيُّ برقٍ ههنا) (١١٥) .

وأمّا شواهد تعليق (كَيْفَ) للفعل (ترى) ، فمن ذلك قولـــه تـــعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [الفجر: ٦] .

ومنه ـــ أيضاً ـــ قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة :٣١] .

فجملة (كَيْفَ) وما بعدها جاءت معلِّقةً للفعل (ترى ، أو يرى) ؛ لأنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، وإنّما يعمل فيه ما بعده .

والرؤية ـــ هنا ـــ من رؤية القلب، بمعنى : العِلْم ، فقوله : ألم تر ، بمعنى : ألم تَعلم ، قال ابن خالويه : " وكلّ ما في القرآن من (ألم تـــر) ، فمعنـــاه : ألم تَخْبُر ، ألم تَعلم ؟ ليس من رؤية العين " (١١٦) .

المبحث السادس: وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها مفعولاً

من الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب ، الجملةُ الواقعـــةُ مفعـــولاً ، ومحلُّهـــا النّصب (١١٧) .

وقد وقعت جملة (كَيْفَ) وما بعدها في محلّ نصبٍ على أنّها مفعـــولٌ في القرآن الكريم ، في خمسة مواضعَ :

الموضع الأول : وقعت جملة (كَيْفَ) في محلّ نصبٍ مقولاً للقول في قوله تعالى:﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** ﴾ [مريم:٢٩] (١١٨) .

الموضع الثاني: وقعت جملة (كَيْفَ) في محلّ نصبٍ مفعولاً به للفعل (عَلِم) بمعنى (عَرَف)في قوله تعالى: ﴿ **فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** ﴾ [الملك :١٧](١١٩).

الموضع الثالث : وقعت جملة (كَيْفَ) وما بعدها معلِّقةً فعل النظر ، وهي في محلّ نصبٍ مفعول به على إسقاط حرف الجر ؛إذِ التقدير : انظرْ إلى كذا .

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ **وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا** ﴾ [البقرة :٢٥٩] .

أعرب أبو حيّان جملة (كَيْفَ نُنْشِزُهَا) فقال : " فتكون هذه الجملة في موضع نصبٍ على المفعول به (انْظُرْ) ؛ لأنّ ما يتعدى بحرف الجرّ إذا عُلّق صار يتعدى لمفعولٍ ، تقول : فكّرت في أمر زيدٍ ، ثم تقول : فكّرت هل يجيء زيدٌ ؟ فيكون : هل يجيء زيدٌ ؟ في موضع نصبٍ على المفعول بفكّرت " (١٢٠) .

وقد وقعت (كَيْفَ) معلِّقةً فعل النظر في القرآن الكريم ، وهي في محلّ نصبٍ مفعول به في (تسعةٍ وثلاثين) موضعاً ، وقد تقدّم الكلام عليها في المبحث السابق .

الموضع الرابع : وقعت جملة (كَيْفَ) معلِّقةً فعل الرؤية ، وهي في محلّ نصبٍ على أنّها مفعولٌ ثانٍ في آيتين :

إحداهما: قــوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [البقرة :٢٦٠] .

(رأى) في الآية بصريّةٌ تعدّت لاثنين : أحدهما : ياء المتكلم، والثاني : جملةُ (كَيْفَ تُحْيِي) في محلّ نصبٍ مفعول ثانٍ (١٢١) .

وأمّا الآية **الثانية** فقوله تعالى : ﴿ **فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ** ﴾ [المائدة :٣١] .

جملة (كَيْفَ يُوَارِي) : في محلّ نصبٍ مفعول ثانٍ لـــ (يُري) ، والهاء في محلّ نصبٍ مفعول أوّل (١٢٢) .

الموضع الخامس : وقعت جملة (كَيْفَ) معلّقةً للفعل (ترى) ، وهي في محلّ نصبٍ سدّت مسدّ المفعولين في (ستة) مواضـــعَ ، من ذلـــك قـــوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ** ﴾ [الفيل :١].

قال ابن الأنباريّ : " كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ : جملةٌ سدّت مسدّ مفعولي(ترى)؛ لأنّها من رؤية القلب ، بمعنى : العِلْم ، نحو : رأيت اللّهَ غالباً " (١٢٣) .

المبحث السابع : وقوع (كَيْفَ) مفعولاً مطلقاً

المفعول المطلق هو : المصدرُ ، المنتصبُ توكيداً لعامله ، أو بياناً لنوعه ، أو عدده ، نحو: أكرمته إكراماً ، وأكرمته إكرامَ حاتمٍ ، وأكرمته إكرامتين (١٢٤).

ويرى بعض النّحويّين أنّ (كَيْفَ) تكون مفعولاً مطلقاً ، وقـــد تتبعـــت مواضع وقوعها ، فتبيّن لي أنّها تقع مفعولاً مطلقاً في (عشرة) مواضعَ ، و أنّ هذا وَجْهٌ من وجوه إعرابها ، من ذلك :

قولـــه تـــعـــالى:﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ** ﴾ [آل عمران : ٦] .

ذهب الحوفيّ إلى القول بجواز أن تكون جملة (كَيْفَ يَشَاءُ) في محلّ نصبٍ مفعول مطلق ، والمعنى : يصوركم في الأرحام تصوير المشيئة وكما يشاء (١٢٥).

وقوله تعالى : ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٥] .

أُعربت (كَيْفَ) : اسم استفهام في محلّ نصبٍ مفعولاً مطلقاً ، التقدير : وتبيّن لكم أيَّ فعلٍ فعلنا بهم (١٢٦) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [الفجر : ٦] .

و- أيضاً - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] .

ذهب ابن هشام الأنصاريّ إلى أنّ (كَيْفَ) : اسمُ استفهامٍ في محلّ نصبٍ على المصدريّة ، فقال: " وعندي أنّها تأتي في هذا النوع مفعولاً مطلقاً- أيضاً- ؛ إذ المعنى : أيَّ فعْلٍ فعل ربُّك ؟ ولا يتجه فيه أن يكون حالاً من الفاعل " (١٢٧).

يعني به (ربُّك)؛ لأنّه يقتضي أنّ الفاعل وهو ربّ متصف بالكَيْفيّات والأحوال؛ لأنّ المعنى : فَعَل ربُّك حال كونه على أيّ حالةٍ وكَيْفيّةٍ ، واتصافه بها محالٌ ، غير جائزٍ .

ذهب الزركشيّ إلى أنّ (كَيْفَ) تجيء مصدراً في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥] .

وقولِه تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم:٥٠] (١٢٨) .

المبحث الثامن: وقوع جملة (كَيْفَ) بدلاً

من الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب ، الجملةُ الواقعةُ بدلاً ، وهي تابعةٌ في إعرابها لما قبلها .

أجاز ابن جنيّ ، والزمخشريّ ، وابن مالكٍ إبدالَ الجملة من المفرد ، قال ابن مالكٍ : " وتُبدلُ جملةٌ من مفردٍ ، كقولك : عرفت زيداً أبو مَنْ هو ؟ أي : عرفت زيداً أبوّتَه " (١٢٩) .

وقال ابن جنيّ في قول الشاعر :

إلى الله أشكو في المدينة حاجةً وبالشّام أُخْرى كَيْفَ تلتقيانِ ؟

" فقوله (كَيْفَ تلتقيان) : جملةٌ في موضع نصبٍ بدلاً من (حاجةٍ) و (حاجةٍ) ؛ فكأنّه قال : إلى الله أشكو هاتين الحالتين تَعذُّر التقائهما " (١٣٠) .

قال الأزهريّ : وإنّما صحّ ذلك لرجوع الجملة إلى التقدير بمفردٍ (١٣١).

وقد وقعت جملة (كَيْفَ) وما بعدها بدلاً من الاسم المفرد في القرآن الكريم في (عشرة) مواضعَ ، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ **وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا** ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

قال أبو حيّان :" والذي يقتضيه النظر أنّ هذه الجملة ـ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ـ في موضع البدل من (الْعِظَامِ)، وذلك أنّ (انْظُرْ) البصريّة تتعدى بإلى ، ويجوز فيها التعليق ، فتقول : انظر كَيْفَ يصنع زيدٌ ؟ فتكون هذه الجملة في موضع نصبٍ على المفعول بـ (انْظُرْ) ؛ لأنّ ما يتعدى بحرف الجرّ إذا عُلِّق صار يتعدى لمفعولٍ.

فـ (كَيْفَ نُنْشِزُهَا): بدلٌ من (الْعِظَامِ) على الموضع؛ لأنّ موضعَه نصبٌ، وهو على حذف مضاف، أي: فانْظُرْ إلى حال العظام كَيْفَ نُنْشِزُهَا ؟ " (١٣٢).

وجعل ابن هشامٍ مِثْلَ الآية السابقة في جواز إبدالِ جملةٍ فيها (كَيْفَ) من اسمٍ مفردٍ قوله تعالى : ﴿ **أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ** ﴾ [الفرقان :٤٥].

فقد ذهب إلى أنّ جملة (كَيْفَ مدّ الظلّ) في محلّ جرٍّ بدل اشتمالٍ مــن (رَبِّكَ)، المعنى : ألم تر إلى ربِّك كَيْفيّةِ مدِّ الظلّ [١٣٣] .

ومنه ــ أيضا ــ قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ [ق :٦] .

جملة (كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) في محلّ جرٍّ بدلٌ من (السَّمَاءِ) بدل اشــتمال ، والمعنى : أفلم ينظروا إلى السماءِ كَيْفيّةِ بنائها [١٣٤] .

ومِثْلُ ما سبق قولُه تعــالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية : ١٧ ــ ٢٠] .

ذهب النّحويّون إلى أنّ جملة (كَيْفَ خُلقَتْ) في محلّ جرٍ بــدلٌ مــن (الإبل) بدل اشتمال ، والمعنى : أفلا ينظرون إلى الإبلِ كَيْفِيّةِ خَلْقِها .

وجملة (كَيْفَ رُفِعَتْ) في محلّ جرٍ بدل اشــتمال مــن (الــسَّمَاءِ) ، والمعنى : إلى السماء كَيْفيّة رفْعِها .

وجملة (كَيْفَ نُصِبَتْ) في محلّ جرّ بدل من (الْجِبَالِ) بدل اشــتمال ، والمعنى : أفلا ينظرون إلى الجبالِ كَيْفِيّة نصْبِها .

وجملة (كَيْفَ سُطِحَتْ) في محلّ جرٍّ بدل اشــتمال مــن (الأَرْضِ) ، والمعنى : إلى الأرضِ كَيْفيّةِ سطْحِها [١٣٥].

قال السمين الحلبيّ : " كَيْفَ : منصوبٌ بــ (خُلِقَتْ) .... والجملة بدلٌ من (الإبل) بدلُ اشتمالٍ ، فتكون في محلّ جرٍّ .... وقد تُبــدل الجملــةُ المشتملة على استفهامٍ من اسمٍ ليس فيه استفهامٌ ، كقولهم : عرفــت زيــداً أبــو مَنْ هو ؟ على خلافٍ في هذا مقررٍ في علم النحو " [١٣٦] .

المبحث التاسع : مجيء (كَيْفَ) شرطيّة

ذهب الكوفيّون إلى جواز جزم الشرط والجزاء بـ (كَيْفَ ، وكَيْفَما) قياساً ، ومنعه جمهور البصريّين ، وبيّن الخليل أنّ الجزاء بها مستكرهٌ ؛ لأنّها ليست من حروف الجزاء ، وإن كان مخرجها مخرج المجازاة في نحو قولهم : كَيْفَ تكون أكون ؛ لأنّ فيها معنى العموم الذي يعتبر في كلمات الشرط ، إلاّ أنّه لم يُسمع الجزم بها في السَّعة (١٣٧) .

قال ابن هشامٍ ا لأنصاري : " وتستعمل على وجهين : أحدهما : أن تكون شرطاً فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين ، نحو : كَيْفَ تصنعُ أصنعُ ، ولا يجوز : كَيْفَ تجلسُ أذهبُ ، باتفاقٍ ، ولا : كَيْفَ تجلسْ أجلسْ ، بالجزم عند البصريّين إلاّ قُطرباً ؛ لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها كما مرّ ، وقيل : يجوز مطلقاً " (١٣٨) .

وقد وقعت (كَيْفَ) شرطيّة غير جازمةٍ في القرآن الكريم في (ثلاثة) مواضع ، هي :

١. قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران :٦] .

قال أبو حيّان : " كَيْفَ : هنا للجزاء لكنّها لا تجزم ، ومفعول (يَشَاءُ) محذوفٌ لفهم المعنى ، التقدير : كَيْفَ يشاء أن يصوركم ، وحُذِفَ فعل الجزاء لدلالة ما قبله عليه ، نحو قولهم : أنت ظالمٌ إن فعلت ، التقدير : أنت ظالمٌ إن فعلت فأنت ظالمٌ " (١٣٩) .

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:٦٤] .

قال أبو حيّان : " هي في معنى الشرط ، كما تقول : كَيْفَ تكونُ أكونُ ، ومفعولُ (يَشَاء) محذوفٌ ، وجوابُ (كَيْفَ) محذوفٌ يدلّ عليه (يُنْفِقُ) المتقدِّم، كما يدلُّ في قولك : أقوم إن قام زيدٌ ، على جواب الشرط ، والتقدير : ينفق كَيْفَ يشاء أن ينفق ينفق ،كما تقول : كَيْفَ تشاء أن أضربك أضربك "(١٤٠).

ثم قال : ونظيرُ ذلك قوله : ﴿ **فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ** ﴾ [الروم :٤٨].

المبحث العاشر: وقوع جملة (كَيْفَ) وما بعدها جواب شرط

ذهب بعض النّحويّين إلى أنّ جملة (كَيْفَ) وما بعدها تقع في محلّ جزمٍ جوابَ شرطٍ مقدرٍ ، أو مذكورٍ في القرآن الكريم ، وذلك في (ثلاث) آياتٍ ، هي : قوله تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٩٣] .

قيل تقدير الكلام : إنْ لم تؤمنوا فكَيْفَ آسى على قومٍ كافرين .

جملة : (فكَيْفَ آسَى) في محلّ جزمٍ جواب شرط مقدّرٍ (١٤١) .

ومثله قوله تعالى :﴿ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا** ﴾ [المزمل: ١٧] .

قيل جملة : (فكَيْفَ تَتَّقُونَ) : في محلّ جزمٍ جواب شرطٍ مقدّرٍ ، أي: إنْ جحدتم يوم القيامة فكَيْفَ تتقون عذاب الله (١٤٢) .

ومنه ــ أيضاً ــ قوله تعالى : ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا** ﴾ [مريم : ٢٩] .

قال الزّجاج : " وأجودُ الأقوال أن يكون (مَنْ) في معنى الشرط والجزاء ، فيكون المعنى : من يكن في المهد صبيّاً فكَيْفَ نكلّمه ؟ كما تقول : من كان لا يسمع ولا يعقل فكَيْفَ أُخاطبه ؟ " (١٤٣) .

وبه قال الفرّاء ، وأبو البقاء العكبريّ ، والسمين الحلبيّ [١٤٤] .

قال عضيمة : " مِنْ هذا يتبيّن لنا أنّ (كَيْفَ) الشرطيّة غيرُ جازمةٍ ، وجاءت محذوفةَ الجواب ، وشرطُها مضارعٌ على خلاف أدوات الشرط الجازمة ، فلا يُحذف جوابها إلاّ إذا كان شرطُها ماضياً لفظاً أو معنى " [١٤٥].

المبحث الحادي عشر: حذْف عامل (كَيْفَ)

الأصل في العامل ألاّ يُحذف إلاّ إذا دلّ عليه الدليل ، فإن دلّ عليه يكون حذفُهُ إمّا جائزاً ، وإمّا واجباً .

وقد جاءت (كَيْفَ) في القرآن الكريم في (ثلاثةٍ وثمانين) موضعاً ، لم يُحذف عاملُها إلاّ في (خمسة) مواضعَ ، هي :

قوله تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [آل عمران : ٢٥].

كَيْفَ : في محلّ نصبٍ على الحال: والعاملُ فيها محذوفٌ، هو ما دلّت عليه من معنى الفعل ، تقديره : كَيْفَ يصنعون، أو كَيْفَ يكون حالهم ؟

وقيل : الأجود أن تكون (كَيْفَ) في محلّ رفع خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ يدلّ عليه المعنى التقدير : كَيْفَ حالُهم [١٤٦].

وقوله تعالى :﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴾ [النساء :٤١].

كَيْفَ : في محلّ نصبٍ حال ، وناصبُها محذوفٌ دلّ عليه معنى الكلام ، تقديره : كَيْفَ يصنع هؤلاء ؟ أو كَيْفَ تكون حالهم يوم القيامة ؟

وقيل : (كَيْفَ) في محلّ رفعٍ خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ ، تقديره : كَيْفَ حالُ هؤلاء ، أو كَيْفَ صنعُهم ؟ [١٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [النساء :٦٢] ، وتخريجُها كالآية السابقة [١٤٨] .

ومنه ــ أيضاً ــ قوله تعالى:﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾ [التوبة:٨].

ذكر النّحويّون أنّ المستفهمَ عنه محذوفٌ ؛ لكونه معلوماً ممّا تقدّم ، تقديره : كَيْفَ يكون لهم عهدٌ ، أو كَيْفَ تطمئنون إليهم ؟

قال الفرّاء : "اكتفى بـ (كَيْفَ) ولا فِعْلَ معها ؛ لأنّ المعنى فيها قد تقدّمَ في قوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴾ [التوبة:٧]، وإذا أُعيد الحرفُ وقد مضى معناه استجازوا حذفَ الفعلِ " (١٤٩) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧] .

عاملُ (كَيْفَ) محذوفٌ، تقديره : فكَيْفَ تكون حالهم ، أو فكَيْفَ يعملون وما حيلتهم في ذلك الوقت ؟

وقيل : (كَيْفَ) في موضع رفعٍ ؛ لأنّها خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديره : فكَيْفَ حالُهم ، فحَذَفَ المبتدأ للعلم به (١٥٠) .



الهوامش والتعليقات

١. ينظر : البرهان ١/٦ .

٢. أورد الزركشي في مقدمة (البرهان في علوم القرآن) سبعة وأربعين نوعاً ، والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن)ثمانين نوعاً .

٣. ينظر: أسرار العربية ٣٨٦، ٣٨٩، ، وابن يعيش ٤/١٠٩، والفريد ١/٢٦١، و شرح التسهيل ٤/١٠٤ ،والدر المصون ١/٢٣٧.

٤. ينظر: إعراب ثلاثين سورة ١٨٩.

٥. ينظر: الكتاب ٤/٢٣٣.

٦. ينظر: ابن يعيش ٤/١٠٩، والرضيّ ٢/١١٧، والمغني ٢٢٦.

٧. ينظر: المغني ٢٢٦، وانظر: شرح التسهيل ٤/٧٠، ١٠٥، وروح المعاني ١/٢١٤.

٨. ينظر: الكتاب ٤/٢٣٣.

٩. ينظر: المقتضب ٣/١٧٨.

١٠.ينظر: المفصل ١٧٥، وانظر: ابن يعيش ٤/١٠٩.

١١.ينظر: أمالي ابن الشجريّ ١/٤٠١.

١٢.ينظر البيان ١/٦٧، والتبيين ١٢٩ ، وابن يعيش ٤/١٠٩، وشرح التسهيل ٤/٧٠ ، ١٠٤، والرضيّ ٢/١١٧، والمغني ٢٢٥.

١٣.ينظر: ابن يعيش ٤/١١٠، وانظر : شرح التسهيل ٤/١٠٥، والرضىّ ٢/١١٧.

١٤.ينظر : المغني ٢٢٦.

١٥.ينظر: الإنصاف ٢/٦٤٣، وشرح الجمل ٢/١٩٦، والرضيّ ٢/ ١١٧،والارتشاف ٤/١٨٦٨، والمغني ٢٢٥، والمساعد ٣/١٣٨، والهمع ٢/٥٨.

١٦.ينظر: حروف المعاني ٥٩.

١٧.ينظر: معاني القرآن ١/٨٥.

١٨.ينظر : الإنصاف ٢/٦٤٣.

١٩.ينظر: الكتاب ٦٠/٣، وانظر: الأصول ١٩٧/٢، وشرح التسهيل ٧١/٤، والرضيّ ١١٧/٢.

٢٠.ينظر : الأصول ١٩٧/٢.

٢١.ينظر: الأصول ١٩٧/٢.

٢٢.ينظر : الإنصاف ٦٤٤/٢، وابن يعيش ١١٠/٤، والمساعد ١٣٨/٣.

٢٣.ينظر : الارتشاف ١٨٦٨/٤، وانظر: المغني ٢٢٥، والمساعد ١٣٨/٣.

٢٤.ينظر: الإنصاف ٦٤٤/٢، وابن يعيش ١١٠/٤.

٢٥.ينظر: الإنصاف ٦٤٤/٢، وابن يعيش ١١٠/٤.

٢٦.ينظر: شرح الجمل ١٩٦/٢، وانظر: الإنصاف ٦٤٤/٢، ٦٤٥.

٢٧.ينظر: الأصول ١٩٧/٢.

٢٨.ينظر : الكتاب ٤٣٥/١، ٤٤١ والهامش، وشرح الجمل ٢٢٥/١ ،والارتشاف ١٩٧٩/٤، والمساعد ٤٤٣/٢، والهمع ١٣٨/٢.

٢٩.ينظر: شرح الجمل ٢٢٥/١.

٣٠.ينظر : المغني ٢٢٧.

٣١.ينظر : الكتاب ٤٤١/١ والهامش، والارتشاف ١٩٨٠/٤، والمساعد ٤٤٣/٢ ،والهمع ١٣٨/٢.

٣٢.ينظر: شرح الجمل ٢٢٦/١.

٣٣.ينظر : المغني ٢٢٧ ،٢٢٨.

٣٤.ينظر : الكتاب ٥٦/٣، والمقتضب ٤٥/٢، والأصول ١٥٩/٢، والمفصل١٧٥، وابن الشجريّ ٤٠١/١، والمساعد ١٣٤/٣، والبرهان ٢٤٩/٤.

٣٥.ينظر: أسرار العربية ٣٨٦، وانظر: ابن يعيش ١١٠/٤، والرضيّ ١١٦/٢، والارتشاف ١٨٦٧/٤.

٣٦.ينظر: شرج التسهيل ٧٠/٤.

٣٧.ينظر: الكتاب ٢٣٥/٤.

٣٨.ينظر : تأويل مشكل القرآن ٥٢٥، وحروف المعاني ٦١، والصاحبيّ٢٠٠، والمفصل ١٧٥، وابن يعيش ١١١/٤.

والشاعر أراد أن يقول : كيف طربت مع كِبر سِنّك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه الصبوة للفرح، و الرِّيب للحزن.

٣٩.ينظر: ابن يعيش ١١١/٤.

٤٠.ينظر: التبيان ١٧٨/١،وشرح التسهيل ٧٠/٤، والرضيّ١١٦/٢، والارتشاف ١٨٦٧/٤، والمساعد ١٣٤/٣، والبرهان ٢٤٩/٤.

٤١.ينظر: الكتاب ٥٨/٣، والمقتضب ٤٧/٢، والمفصل ١٧٥، وابن يعيش ١١٠/٤، وشرح التسهيل ٧٠/٤، والرضيّ ١١٦/٢.

والشاهد فيه : جَزم (تأتها) بأَنَّى؛ لأنّ معناها معنى : أين ومتى وكلاهما للجزاء، و (تلتبسْ) جُزم على أنّه جوابها.

٤٢.ينظر: الكشاف ٣٥٦/١، والرضيّ ١١٦/٢، والبرهان ٢٤٩/٤.

٤٣.ينظر: الكشاف ١٤٨/١، والتبيان ١٩٧/١.

٤٤.ينظر: التبيان ٢٥٧/١، ٥٢٧، والبحر المحيط ٤٨٣/٢.

٤٥.ينظر: التبيان ١٧٨/١، وانظر: الرضي ١١٦/٢، والبرهان ٢٤٩/٤.

٤٦.ينظر: التبيان ٢٠٨/١، وانظر: البرهان ٢٥٠/٤.

٤٧.ينظر: البحر المحيط ٤٦١/٢.

٤٨.ينظر: البحر المحيط ١١١/٣، والبرهان ٢٥٠/٤.

٤٩.ينظر : التبيان ٤٥٤/١، ٥٢٧.

٥٠.ينظر : التبيان ٢٥٦/١، ١١٤٥/٢.

٥١.ينظر : الرضيّ ٧٠/٢، و الجنى الداني ٤٢٤، والمغني ١٢٢، وجواهر الأدب ٤٥٢، والتصريح ١٩٩/٢.

٥٢.ينظر: المصادر السابقة وابن يعيش ٤٨/٤ ،وشرح التسهيل ١٨٤/٢، و الارتشاف ١٥٥٤/٣، والأشموني والصّبان ٢٠٣/٣.

٥٣.ينظر : الرضيّ ٧٠/٢ ، والارتشاف ١٥٥٥/٣، والجنى الداني ٤٢٤، والمغني ١٢٣.

٥٤.ينظر: ٥٥/٤، وانظر: الارتشاف ١٥٥٥/٣.

٥٥.ينظر: الرضيّ ٧٠/٢، وانظر: ابن يعيش ٤٩/٤.

٥٦.ينظر: ابن الناظم ٢٧٨، وتوضيح المقاصد٩٧/٢، وابن عقيل ٥٣٦/١، والتصريح ٣٤٢/١.

٥٧.ينظر : شرح التسهيل ٢٤٧/٢، وانظر: المساعد ٥٣٩/١.

٥٨.ينظر : الكتاب ٣٠٣/١.

وانظر المسألة في التبصرة والتذكرة ٢٥٨/١، وابن يعيش ٥١/٢، وشرح التسهيل ٢٥٨/٢، وابن الناظم ٢٨٢، وتوضيح المقاصد ٩٩/٢، والمساعد ٥٤٢/١، وابن عقيل ٥٣٨/١، والتصريح ٣٤٣/١.

٥٩.ينظر: ابن يعيش ٥١/٢، وشرح التسهيل ٢٥٨/٢.

٦٠.ينظر: الكتاب ٣٠٣/١، وانظر: ابن يعيش ٥٢/٢.

٦١.ينظر: الكتاب ١١٥/٣، وانظر: ابن يعيش ٥٢/٢ ، وشرح التسهيل ٢٥٩/٢.

٦٢.ينظر: شرح الكافية الشافية ١٥٣٤/٣، وشرح التسهيل ١٩/٤، وتوضيح المقاصد ١٩/٤ والجنى الداني ٢٦٥، وجواهر الأدب ٢٣٣.

٦٣.ينظر: المصادر السابقة والمغني ١٩٨، ٢٢٥، والأشموني ٢٧٩/٣، وحاشية الخضريّ ١١١/٢.

٦٤.ينظر: المغني ١٩٨.

٦٥.ينظر : ابن يعيش ١١٠/٤، وشرح التسهيل ١٩/٤، والرضيّ ١١٧/٢، والارتشاف ٢٤١٨/٥.

٦٦.ينظر : الرضيّ ١١٧/٢.

٦٧.ينظر : شرح الشافية ٢/ ٢٧١ ، والارتشاف ٧٩٨/٢، وتوضيح المقاصد ١٥٥/٥، والتصريح ٣٣٨/٢،.

٦٨.ينظر: أنواع الوقف وأحكامه في كشف المشكل ٢٠٧/٢، وشرح الكافية الشافية ١٩٧٩/٤،وشرح الشافية ٢١٧/٢، والارتشاف ٧٩٨/٢، وتوضيح المقاصد ١٥٥/٥، والمساعد ٣٠١/٤، والتصريح ٣٣٨/٢، والأشموني ٢٠٣/٤، وحاشية الخضريّ ١٧٥/٢.

٦٩.ينظر : الارتشاف ٧٩٨/٢.

٧٠.ينظر : شرح الكافية الشافية ١٩٩٨/٤، وابن الناظم ٨١٢، وشرح الشافية ٢/ ٢٩٦،وتوضيح المقاصد ١٧٦/٥، وابن عقيل ٤٧٣/٤ ، والتصريح ٢/ ٣٤٤.

٧١.ينظر :شرح الشافية ٢٩٨/٢، وابن عقيل ٤٧٦/٤، والتصريح ٣٤٥/٢، وشذا العرف ١٩٣، والوافي ١٣٥.

٧٢.ينظر : ابن الناظم ٨١٢، وابن عقيل ٤٧٥/٤.

٧٣.ينظر : شرح الكافية الشافية ٢٠٠٠/٤ ، وانظر: ابن الناظم ٨١٢.

٧٤.ينظر: المغني ٢٢٥، ٢٢٦.

٧٥.ينظر: شرح التسهيل ١٠٦/٤.

٧٦.ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ١٥٥/١٠.

٧٧.ينظر: البيان ٣١٤/١، والتبيان ٤٨٣/١، والفريد ١٢٥/٢.

٧٨.ينظر: الدر المصون ٤٠١/٥، وانظر: التبيان ٥٨٥/١، والفريد ٣٣٨/٢.

٧٩.ينظر: البيان ٣٣٠/٢، وانظر: إعراب القرآن ٨/٣، والمحرر الوجيز ١٢٨/١٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٨/١٥. وينظر بقية مواضع وقوع (كيف) خبراً مسبوقةً بفعل النظر في القرآن الكريم في : آل عمران ١٣٧، الأعراف ٨٤، ٨٦، يونس ٣٩، ٧٣ ، يوسف ١٠٩، النحل ٣٦، النمل ١٤، ٦٩، القصص٤٠، الروم٩، ٤٢، فاطر ٤٤، الصافات ٧٣، غافر٨٢، الزخرف ٢٥، محمد ١٠ .

٨٠.ينظر : إعراب القرآن وبيانه ١٢٦/٥، و ١٠٧/٨.

وينظر بقية مواضع وقوع (كيف) خبراً ولم تسبق بفعل النظر في القرآن الكريم في : الحج٤٤، فاطر ٢٦، غافر ٥ ، الملك ١٨.

٨١.ينظر : المغني ٢٢٦.

٨٢.ينظر : شرح التسهيل ١٠٥/٤، ١٠٦.

٨٣.ينظر : البيان ٦٨/١، والمحرر الوجيز ١٥٧/١، والتبيان ٤٥/١، والدر المصون ٢٣٧/١.

٨٤.ينظر: التبيان ٣٤٢/١، وانظر : المحرر الوجيز ٦٥/٤.

٨٥.ينظر : التبيان ٤٣٨/١.

وينظر المواضع الأخرى في القرآن الكريم في : آل عمران ٦، ٨٦، ١٠١، المائدة ٦٤، الأنعام ٨١، الأعراف ٩٣، يونس ٣٥، إبراهيم ٤٥، الكهف ٦٨، مريم ٢٩، الروم ٤٨، الصافات ١٥٤، القلم ٣٦، المزمل ١٧، المدثر ١٩، ٢٠.

٨٦.ينظر : الفريد ١٣٤/٢، وانظر : البحر المحيط ١٠٠/٤، والدر المصون ٥٧٥/٤.

٨٧.ينظر : البيان ٨٨/٢، وانظر: إعراب القرآن ٢٣٦/٢، والتبيان ٨١٧/٢.

٨٨.ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٠/٣، وانظر: الكشاف ١٨٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/٨، والبحر المحيط ١٣٥/٥.

٨٩.ينظر: الفريد ٣٤٧/٤، وانظر : الدر المصون ٢٠/١٠. وينظر بقية مواضع وقوع (كيف) حالاً مسبوقةً بفعل النظر في القرآن الكريم في: البقرة ٢٥٩، النساء٥٠، المائدة ٧٥، الأنعام ٤٦، ٦٥، الأعراف ١٢٩، الإسراء ٤٨، الفرقان ٩، العنكبوت ٢٠، الروم ٥٠، الغاشية١٧-٢٠.

٩٠.ينظر: إعراب القرآن ٢٨٥/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٤٥/١، والبيان ١٧٢/١، والتبيان ٢١١/١.

٩١.ينظر : الفريد ١٦٢/٣، وإعراب القرآن وبيانه ١٨٦/٥. وينظر بقية مواضع وقوع (كيف) حالاً مسبوقة بفعل الرؤية في القرآن الكريم في : المائدة ٣١، الفرقان ٤٥، العنكبوت١٩، نوح١٥، الفجر ٦ ، الفيل ١ .

٩٢.ينظر : ابن الناظم ٣٣٦، والارتشاف ١٦٠٢/٣ ، وابن عقيل ٥٩٤/١ ، والأشموني ١٨٦/٢.

٩٣.ينظر: المحتسب ١٦٥/٢، والتبيان ٢١٠/١، ٢٣٧ ، والارتشاف ١٦٠٢/٣.

٩٤.ينظر: التبيان ٢١٠/١.

٩٥.ينظر : البحر المحيط ٣٠٥/٢.

٩٦.ينظر: روح المعاني ٢٣/٣.

٩٧.ينظر : التبيان ٢٣٧/١.

٩٨.ينظر: البحر المحيط ٣٩٥/٢، والدر المصون ٢٤/٣.

٩٩.ينظر: المحتسب ١٦٥/٢.

١٠٠. ينظر المحتسب ١٦٥/٢، ١٦٦.

١٠١.ينظر : المحرر الوجيز ٢٦٩/١٢، والفريد ٧٦٣/٣.

١٠٢.ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣١/١٤ .

١٠٣.ينظر: البحر المحيط ١٧٤/٧.

١٠٤.ينظر: الدر المصون ٥٣/٩.

١٠٥.ينظر: الرضيّ ٢١١/١.

١٠٦.ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ٤١٩/٢.

١٠٧.ينظر: البحر المحيط ٤٣٥/٢. وانظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٩٢/١ ، وجامع البيان ٢٩٨/٣، والكشاف ١٨٢/١، والبيان ١٩٧/١، والتبيان ٢٥٠/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٤/٤، والدر المصون ٩٧/٣.

١٠٨.ينظر : الدر المصون ١٤/٦ . وانظر: التبيان ٦٣٦/٢، والفريد ٤٤٧/٢، والبحر المحيط ١٤/٥.

١٠٩.ينظر: البيان ٤٠٤/٢. وانظر: الفريد ٣٩٦/٤، والبحر المحيط ١٧٦/٨، والدر المصون ١٣٦/١٠. وينظر بقية مواضع وقوع (كيف) محتملة الخبرية والحالية في القرآن الكريم في : النساء ٤١، ٦٢، التوبة ٨، النمل ٥١، محمد ٢٧، القمر ١٨، ٢١، ٣٠.

١١٠.ينظر: ابن يعيش ٨٦/٧ ، وشرح التسهيل ٨٨/٢، ٨٩، وابن الناظم ٢٠٢، والتصريح ٢٥٤/١، وحاشية الخضريّ ١٥١/١.

١١١.ينظر: البحر المحيط ١٩/٦، وانظر: البيان ٨٨/٢، والدر المصون ٣٣٢/٧.

١١٢.ينظر: البحر المحيط ١٣٥/٥، وانظر: معاني القرآن وإعرابه ١٠/٣، والكشاف ١٨٣/٢، والدر المصون ١٦٣/٦.

١١٣.ينظر: البحر المحيط ٤٥٩/٨، وانظر: الدر المصون ٧٧٠/١٠.

١١٤.ينظر: البحر المحيط ٣٠٥/٢، ٣٠٦، وانظر: التبيان ٢١٠/١، والفريد ٥٠١/١، والدر المصون ٥٦٥/٢. وينظر بقية مواضع (كيف) معلِّقة فعل النظر في : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ك ي ف) ٨٤٦، أو مادة (ن ظ ر) ٨٧٦ .

١١٥.ينظر : البحر المحيط ٣٠٨/٢، والدر المصون ٥٧٢/٢.

١١٦.ينظر: إعراب ثلاثين سورة ٧٥، وانظر: المحرر الوجيز ١٠/٨٠، ١٢/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٣٠، والبحر المحيط ٣/٤٨٠. وينظر بقية مواضع (كيف) معلِّقة فعل الرؤية في القرآن الكريم في : إبراهيم ٢٤، العنكبوت ١٩، نوح ١٥، الفيل١ .

١١٧.ينظر: المغني ٤٦٠ وانظر: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ٣٩.

١١٨.ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٨/٢٤١.

١١٩.ينظر: إعراب القرآن وبيانه ١٠/١٥٥، والجدول في إعراب القرآن ١٣/١٤.

١٢٠.ينظر: البحر المحيط ٢/٣٠٥، ٣٠٦، وانظر: الدر المصون ٢/٥٦٥.

١٢١.ينظر: التبيان ١/٢١١، والبحر المحيط ٢/٣٠٨، وإعراب القرآن وبيانه ١/٤٠٢.

١٢٢.ينظر: الفريد ٢/٣٢، والبحر المحيط ٣/٤٨٠، والبيضاويّ ١٧٨.

١٢٣. ينظر: البيان ٢/٥٣٦. وينظر بقية مواضع (كيف) معلِّقة للفعل (ترى) في القرآن الكريم في: إبراهيم ٢٤، الفرقان ٤٥، العنكبوت١٩، نوح١٥، الفجر٦.

١٢٤.ينظر: ابن عقيل ١/٥٠٥، وانظر: ابن الناظم ٢٦١، والتصريح ١/٣٢٣.

١٢٥.ينظر: البحر المحيط ٢/٣٩٦، وانظر: الدر المصون ٣/٢٤.

١٢٦.ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٥/٢٠٦.

١٢٧.ينظر: المغني ٢٢٦، وانظر: إعراب القرآن وبيانه ١٠/٤٦٩، ٥٨٦.

١٢٨.ينظر: البرهان ٤/٣٣٢. وينظر بقية مواضع وقوع (كيف) مفعولاً مطلقاً في القرآن الكريم في : النساء ٥٠، والأنعام٦٥، والأعراف ١٢٩، والصافات١٥٤.

١٢٩.ينظر: شرح التسهيل ٣/٣٣٩، وانظر: المغني ٤٧٥، والأشموني ٣/١٣٢.

١٣٠.ينظر: المحتسب ٢/١٦٦. وانظر البيت في شرح التسهيل ٣/٣٤٠، والمغني ٤٧٥، والتصريح ٢/١٦٢، والأشموني ٣/١٣٢.

١٣١.ينظر: التصريح ٢/١٦٢، ١٦٣.

١٣٢.ينظر: البحر المحيط ٢/٣٠٥، ٣٠٦. وانظر: الدر المصون ٢/٥٦٥، وتفسير أبي السعود ١/٢٥٤، وروح المعاني ٢/٢٣، وإعراب القرآن وبيانه ١/٣٩٦، والإعراب المفصل ١/٣٦٢.

١٣٣.ينظر : المغني ٢٢٧، وانظر: حاشية التصريح ٢/١٦٢، ١٦٣، والجدول في إعراب القرآن ٩/٢٩٦.

١٣٤.ينظر : إعراب القرآن وبيانه ٢٨٢/٩، والجدول في إعراب القرآن ١١٢/١٢.

١٣٥.ينظر : المغني ٢٢٧، وإعراب القرآن وبيانه ٤٥٩/١٠، والجدول في إعراب القرآن ٢٦٦/١٣، ٢٦٧.

١٣٦.ينظر: الدر المصون ٧٧٠/١٠ ، وانظر: البحر المحيط ٤٥٩/٨. وينظر بقية مواضع وقوع جملة (كيف) بدلاً في القرآن الكريم في: الروم٥٠، الصافات١٥٤، القلم ٣٦ . وانظر إعرابها في : إعراب القرآن وبيانه ٥١٤/٧، والجدول في إعراب القرآن ٧١/١١ ، و ٣٤/١٣.

١٣٧.ينظر: الكتاب ٦٠/٣، وشرح التسهيل ٧١/٤ ، والرضيّ ١١٧/٢، والمغني ٢٢٥.

١٣٨.ينظر: المغني ٢٢٥.

١٣٩.ينظر : البحر المحيط ٣٩٥/٢ ، وانظر: الدر المصون ٢٤/٣، وإعراب القرآن وبيانه ٤٥٥/١.

١٤٠.ينظر : البحر المحيط ٥٣٥/٣. وانظر: الدر المصون ٣٤٥/٤، وإعراب القرآن وبيانه ٥١٨/٢، ٥١٣/٧، والجدول في إعراب القرآن ٣٣١/٣، ١٨٠/١٠.

١٤١.ينظر: الجدول في إعراب القرآن ١٣/٥.

١٤٢.ينظر: الجدول في إعراب القرآن ١١١/١٣.

١٤٣.ينظر : معاني القرآن ٣٢٨/٣.

١٤٤.ينظر: التبيان ٨٧٣/٢، والدر المصون ٥٩٥/٧.

١٤٥.ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الأول ٤٢٩/٢.

١٤٦.ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٩٢/١، والبيان ١٩٧/١، والتبيان ٢٥٠/١، والبحر المحيط ٤٣٥/٢، والدر المصون ٩٧/٣.

١٤٧.ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٣ ، والمحرر الوجيز ١٢١/٤،والتبيان ٣٥٩/١، والبحر المحيط ٢٦٢/٣، والدر المصون ٦٨٢/٣، والبيضاويّ ١٤٢.

١٤٨.ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٦٩/٢، والمحرر الوجيز ١٦٤/٤، والكشاف ٢٧٦/١، والفريد ٧٥٣/١، والبحر المحيط ٢٩٣/٣، والدر المصون ١٦/٤.

١٤٩.ينظر : معاني القرآن ٤٢٤/١. وانظر : معاني القرآن للأخفش ٥٥١/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٣٣/٢، وإعراب القرآن ٦/٢، وجامع البيان ١٠٧/١٠، والبحر المحيط ١٥/٥، والدر المصون ١٦/٦.

١٥٠.ينظر : إعراب القرآن ١٧٩/٣، والبيان ٣٧٦/٢، والفريد ٣١٥/٤، والبحر المحيط ٨٣/٨، والدر المصون ٧٠٣/٩.



فهرس المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، للسيوطيّ، تقديم محمد شريف سكرن، ومراجعة مصطفى القصاص، ط١، ١٤٠٧هـ ، مكتبة المعارف، الرياض .

ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسيّ، تحقيق ودراسة رجب عثمان محمد، ط١، ١٤١٨هـ ، مكتبة الخانجيّ ، القاهرة .

أسرار العربيّة، لأبي البركات ابن الأنباريّ، تحقيق محمد بهجة البيطار، ١٣٧٧هـ، مطبعة الترقي، دمشق .

الأصول في النّحو، لابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتليّ، ط١، ١٤٠٥هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت .

إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالوية، ١٩٨٥م، دار ومكتبة الهلال، بيروت .

إعراب القرآن ، لأبي جعفر النّحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد، ١٣٩٧هـ ، مطبعة العاني، بغداد .

إعراب القرآن الكريم وبيانه، تأليف محيي الدين الدرويش، ط٣، ١٤١٢هـ دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق .

الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، ط١، ١٤١٤هـ ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان .

أمالي ابن الشجريّ، لهبة الله بن علي الشجريّ، تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجيّ، القاهرة .

الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات ابن الأنباريّ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٤٠٧هـ ، المكتبة العصريّة، بيروت .

البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ، حققه مجموعة، ط١، ١٤١٣هـ ، دار الكتب العلميّة، بيروت .

البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة ، بيروت .

البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباريّ، تحقيق طه عبد الحميد طه، ١٤٠٠هـ ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب .

تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، ط٣، ١٤٠١هـ، المكتبة العلميّة، بيروت .

التبصرة والتذكرة، لأبي محمد الصيمريّ، تحقيق فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين، ط١، ١٤٠٢هـ ، دار الفكر، دمشق .

التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبريّ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبيّ وشركاه .

التبيين عن مذاهب النّحويّين البصريّين والكوفيّين ، لأبي البقاء العكبريّ ، تحقيق عبدالرحمن العثيمين ، ط١، ١٤٠٦ ، دار الغرب الإسلاميّ ، بيروت .

التصريح على التوضيح، لخالد الأزهريّ، دار الفكر، دمشق .

تفسير أبي السعود (**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**)، لأبي السعود العماديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت .

تفسير القرآن الكريم، للبيضاويّ، صححه محمد سالم محيسن، وشعبان محمد إسماعيل، مكتبة الجمهوريّة العربيّة، مصر.

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك، للمراديّ، تحقيق :عبـد الـرحمن علـي سليمان، ط١، ١٣٩٦هـ، مكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جريرٍ الطبريّ، قدم له الـشيخ خليـل المـيس ، ١٤١٥هـ ، دار الفكر، بيروت .

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ ، ط١، ١٤٠٨هـ دار الكتب العلميّة، بيروت .

الجدول في إعراب القرآن وصرفه، تصنيف محمود صافي، ومراجعة لينـة الحمـصيّ ،ط٢، ١٤٠٩هـ دار الرشيد ، دمشق .

الجنى الداني في حروف المعاني ، للمراديّ، تحقيق فخري الدين قباوة ، ومحمد نـديم ، ط١، ١٤١٣هـ دار الكتب العلميّة، بيروت .

جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، لعلاء الدين الإربليّ، صنعة إميل بديع يعقوب، ط١، ١٤١٢هـ ، دار النفائس ، بيروت .

حاشية الخضريّ على شرح ابن عقيل، ١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت .

حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ، للصّبان، مطبعة الحلبيّ ، القاهرة .

حاشية يس الحمصيّ على التصريح، دار الفكر، دمشق .

حروف المعاني، لأبي القاسم الزجاجيّ، تحقيق على توفيق الحمد، ط٢، ١٤٠٦هـ، مؤسـسة الرسالة، بيروت .

دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث، القاهرة .

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلـبيّ ، تحقيـق أحمـد الخـراط ، ط١، ١٤٠٦هـ، دار القلم ، دمشق .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الـدين الألوسـيّ ، ضـبطه وصحّحه على عبد الباري عطيّة، ط١، ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلميّة، بيروت .

شذا العَرف في فن الصرف، تأليف أحمد الحملاويّ ، المكتبة العلميّة الجديدة ، بيروت .

شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبـد الحميـد، ١٤٢٢هـ ، المكتبة العصريّة، بيروت .

شرح ألفيّة ابن مالك، لابن النّاظم ، تحقيق عبد الحميد السيد، دار الجيل، بيروت .

شرح ألفيّة ابن مالك ، للأشمونيّ ، مطبعة الحلبيّ ، القاهرة .

شرح التسهيل، لابن مالك ، تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط١، ١٤١٠هـ ، هجر للطباعة والنشر ، الجيزة .

شرح جُمل الزجاجيّ، لابن عصفور، تحقيق صاحب أبو جناح.

شرح شافية ابن الحاجب، لرضيّ الدين الاستراباذيّ، حققه نخبةٌ من العلماء ، ١٤٠٢هـ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت .

شرح الكافية، لرضيّ الدين الاستراباذيّ، ط٣، ١٤٠٢هـ ، دار الكتب العلميّة، بيروت .

شرح الكافية الشافية، لابن مالكٍ الأندلسيّ، تحقيق عبد المنعم هريدي، ط١، ١٤٠٢هـ، دار المأمون للتراث .

شرح المفصل، لابن يعيش النّحويّ ، عالم الكتب، بيروت .

الصاحبي في فقه اللغة، لأبي حسين ابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبيّ ، القاهرة .

العين ، للفراهيديّ، تحقيق مهدي المخزوميّ ، و إبراهيم السامرائيّ ، ط١، ١٤٠٨هـ ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت .

فتح القدير، للإمام الشوكانيّ ، ط٢، ١٣٨٣، مطبعة البابي الحلبيّ، القاهرة .

الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذانيّ ، تحقيق محمد حسن النمر، ط١، ١٤١١هـ، دار الثقافة ، الدوحة .

الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، ١٤٠٣هـ ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة .

الكشاف، لجار الله الزمخشريّ، دار المعرفة، بيروت .

كشف المشكل في النحو، لعليّ بن سليمان اليمنيّ ، تحقيق هادي عطيّة مطر، ط١، ١٤٠٤هـ، مطبعة الإرشاد ، بغداد .

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جنّي، حققه مجموعةٌ من العلماء، ط٢، ١٤٠٦هـ دار سزكين للطباعة والنشر .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطيّة، تحقيق المجلس العلميّ بتارودانت، المغرب .

المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، ١٤٠٠، دار الفكر ، دمشق .

معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين ، ط١، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت .

معاني القرآن، للفرّاء ، ط٣، ١٤٠٣هـ ، عالم الكتب، بيروت .

معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب، بيروت .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار الحديث، القاهرة .

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشامٍ الأنصاريّ ، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط١، ١٣٩٩هـ، دار نشر الكتب الإسلاميّة، لاهور .

المفصل ، لأبي قاسم الزمخشريّ ، ط٢، دار الجيل، بيروت .

المقتضب ، لأبي العباس المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ،ط٢، ١٣٩٩هـ ، مطابع الأهرام التجاريّة، القاهرة .

موصِّل الطلاب إلى قواعد الإعراب، لخالد الأزهريّ ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، مكتبة الساعي، الرياض .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطيّ ، عُني بتصحيحه محمد بدر الدين النعسانيّ، ط١، ١٣٢٧هـ ، مكتبة الكليّات الأزهريّة ، القاهرة .

الوافي في التصغير والنسب والوقف والإمالة وهمزة الوصل ، تأليف أحمد إبراهيم عمارة ، ط٤، ١٤٠٨هـ ، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة.





الألِفَاتُ ومعرفةُ أصولِهَا

تأليف أبي عمرٍو عثمانَ بنِ سعيدٍ الدانيِّ

المتوفى سنة ٤٤٤هـ

تحقيق

أ. د . غانم قدوري الحمد*

*غانم قدوري حمد صالح الناصري.

- من مواليد تكريت بالعراق عام ١٩٥٠م.
- نال الماجستير في علم اللغة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م بتقدير ممتاز بأطروحته "**رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية**".كما حصل على الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٩٨٥م بتقدير ممتاز بأطروحته "**الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**".
- درّس في جامعات بغداد وحضرموت، وهو الآن أستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت.
- له مؤلفات وبحوث وتحقيقات عديدة ، منها: تحقيق كتاب "**التحديد في الإتقان والتجويد**" لأبي عمرو الداني، و "**التمهيد في علم التجويد**" لابن الجزري.

الملخص

حظي موضوع "الألفات" باعتناء علماء العربية وعلماء قراءة القرآن الكريم، وكتبوا فيه عدداً من الكتب ، وهو يتناول الهمزات الواقعة في أوائل الكلمات في اللغة العربية ، والتي تقسم على عدة أنواع بحسب طريقة النطق ، وبحسب الوظيفة الصرفية أو النحوية أو الدلالية ، ومنها همزة الوصل ، وهمزة القطع ، وهمزة الأصل، وهمزة الاستفهام ، وتكون في الأفعال والأسماء والحروف .

وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ = ١٠٥٣ م) قد ألَّف كتاب (الألفات ومعرفة أصولها) ، ولم تبق من هذا الكتاب سوى نسخة مخطوطة واحدة ، حسب علمي ، تحتفظ بها المكتبة الأزهرية في القاهرة ، وقد اعتمدت عليها في إخراج الكتاب ، وكتبت دراسة موجزة تتضمن التعريف بالمؤلف وبالكتاب وموضوعه وطريقة تحقيقه .

والكتاب رسالة صغيرة تتألف من أربع عشرة صحيفة في أصله المخطوط ، تناول فيه الداني أنواع الألفات الواردة في أوائل الكلمات في القرآن الكريم خاصة ، وذكر أمثلة من الكلمات القرآنية لكل نوع ، مع تعليل بعض الظواهر المتعلقة بها .

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الألِفَاتُ ومعرفةُ أصولِهَا

تأليف أبي عمرٍو عثمانَ بنِ سعيدٍ الدانيِّ

المتوفى سنة ٤٤٤هـ

تحقيق أ. د . غانم قدوري الحمد

كلية التربية – جامعة تكريت

مقدمـــة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ ، والعاقبةُ للمتقينَ ، ولا عدوانَ إلا على الظـــالمينَ ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وعلى آلهِ وصحابتهِ أجمعينَ ، والتابعينَ لهـــم بإحسانٍ إلى يومِ الّدينِ .

أَمَّا بعدُ فإنَّ موضوعَ " الألِفَاتِ " حَظِيَ بعناية علماء العربية المتقـــدمين ، لِمَا يُثيرُهُ من قضايا تتعلق بالمصطلح ، وبالنطق ، وبالرسم ، وبالوظيفة ، وكتبوا في ذلك عدداً من الكتب ، ووَجَدَتْ تلك القضايا صَدىً لها في الدراسات القرآنيـــة ، للترابط الوثيق بين لغة القرآن الكريم والدراساتِ اللغوية العربية ، ذلـــك التـــرابط الذي تجلّى في جوانب متعددة شملت قراءةَ القرآن ، ومَعَانيَهُ ، وإعرابَهُ ، ورَسْمَهُ .

وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي المتوفى سنة ٤٤٤هـــــ ، من العلماء بالقرآن الذين كانت لهم عناية كبيرة بتلك الجوانب ، وكَتَبَ فيها كتباً

جاوزت المئة ، وكان من بينها كتابه (**الألفات ومعرفة أصولها**) الذي تحدَّث فيه عن أنواع الألفات الموجودة في القرآن الكريم ، وكيفية تمييزها .

وكانت أخبار كتاب (الألفات) للداني قد تلاشت، ولولا الإشارة الواردة في (فهرست تصانيف الداني) إليه ، ولولا بقاء نسخة خطية منه في مجموعٍ تحتفظ به المكتبة الأزهرية ما علمنا من أمره شيئاً ، ولا شك في أن تحقيق الكتاب على مخطوطة واحدة لا يخلو من صعوبة ، لاسيما إذا كانت غير متقنة ، لكن إخراجه بالاعتماد على تلك النسخة خيرٌ من بقائه بعيداً عن متناول يد الدارسين ، وعسى أن تظهر نسخة خطية أُخرى منه تتيح تصحيح ما قد يكون في هذه النسخة من نقص .

وسوف أكتفي بكتابة ترجمة موجزة للمؤلف ، لأني سبق لي أن كتبتُ ترجمة وافية عنه في مقدمة تحقيقي كتابه : (التحديد في الإتقان والتجويد) ، مع كتابة تعريف موجز بالكتاب وموضوعه ، ولا يسعني في هذه المقدمة إلاَّ أنْ أَشكرُ هيئة تحرير مجلةِ " معهد الإمام الشاطبي" التي رَحَّبَتْ بنشر الكتاب في العدد الأول من المجلة ، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل ، وأن يتقبَّله في صالح الأعمال .

تكريت

٣ /محرم/١٤٢٧ هـ

٢٠٠٦/٢/١م

أولاً : تعريفٌ موجزٌ بالمؤلف :

هو أبو عَمْرو عثمانُ بنُ سعيدِ بنِ عثمانَ بنِ سعيدِ بنِ عَمْرو الأمويُّ ، مولاهم، القرطبيُّ ، المعروف في زمانه بابن الصيرفيِّ ، الدانيُّ نسبةً إلى دّانية إحدى مدن شرق الأندلس ، لسَكنِه فيها في السنين الأخيرة من عمره[١] .

وهو من أهل قُرْطُبَةَ في الأندلس ، من رَبَضِ (قُوتَهْ رَاشَةْ)[٢] ، والرَّبَضُ الفضاء حَوْل المدينة[٣] . ولد فيها سنة ٣٧١هـ في الرواية الراجحة[٤] ، وبدأ بطلب العلم سنة ٣٨٥ هـ [٥]، فأخذ عن شيوخ قرطبة، وسمع في مدن الأندلس الأخرى مِثْلِ أَسْتِجَة ، وبَجَّانةَ ، وسَرَقُسْطَةَ ، وغيرِها[٦] .

---

(١) ينظر : الحميدي : جذوة المقتبس ص ٢٨٦ ، وابن بشكوال : الصلة ٤٠٥/٢، والذهبي : تذكرة الحفاظ ١١٢٠/٣ ، ومعرفة القراء له ٣٢٥/١ .

(٢) ابن بشكوال الصلة ٤٠٥/٢ .

(٣) لسان العرب ١١/٩ ربض .

(٤) ينظر : ابن بشكوال الصلة ٤٠٧/٢ ، والقفطي : إنباه الرواة ٣٤٢/٢ ، وابن الجزري : غاية النهاية ٥٠٣/١ .

(٥) ابن بشكوال : الصلة ٤٠٧/٢ ، وفي رواية ياقوت الحموي (معجم الأدباء ١٢٥/٢) سنة ٣٨٦هـ .

(٦) المصدر نفسه ٤٠٥/٢ .

ورحل أبو عمرو الداني إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، ونقل ياقوت الحموي أخبار تلك الرحلة ، عن الداني نفسه حيث قال : " فَرَحَلْتُ إلى المشرق في اليوم الثاني من المحرم ، يومَ الأحد ، في سنة سبع وتسعين ، ومكثتُ بالقيروان أربعة أشهر ، ولَقِيتُ جماعةً وكتبتُ عنهم ، ثم توَجّهتُ إلى مصر ، ودخلتُها في اليوم الثاني من الفطر في العام المُؤَرَّخِ ، ومكثتُ بها باقيَ العام والعام الثاني ، وهو عام ثمانيةٍ إلى حين خروج الناس إلى مكة ، وقرأتُ بها القرآن ، وكتبتُ الحديث والفقه والقراءات وغير ذلك ، عن جماعة من المصريين والبغداديين والشاميين وغيرهم ، ثم توجهتُ إلى مكة ، وحَجَجْتُ ، وكتبتُ بها عن أبي العباس أحمد البخاري ، وعن أبي الحسن بن فراس ، ثم انصرفتُ إلى مصرٍ ومكثتُ بها شهراً ، ثم انصرفتُ إلى المغرب ومكثتُ بالقيران أشهراً ، ووصلتُ الأندلس أوَّلَ الفتنة ، بعد قيام البرابر على [محمد ابن هشام] بن عبد الجبار [بن عبد الرحمن الناصر] بستة أيام في ذي القعدة سنة تسع وتسعين ، ومكثتُ بقرطبة إلى سنة ثلاث وأربع مئة ... "[٧] .

واضطرت الأحداثُ التي وقعت في قرطبة عاصمة الخلافة في الأندلس ، في أول القرن الخامس الهجريِّ ، أبا عمرو الداني إلى الخروج منها سنة ٤٠٣هـ ، ووصف تَنَقُّلَهُ في مدن الأندلس بعد خروجه من قرطبة إلى استقراره بمدينة دانية بقوله :" وخرجتُ منها إلى الثغر ، فسكَنْتُ سَرَقُسْطَةَ سبعة أعوامٍ ، ثم خرجتُ منها إلى الْوُطَّةَ ، ودخلتُ دانيةَ سنة تسعٍ وأربعِ مئة ، ومضيتُ منها إلى [جزيرة] مَيُورْقَةَ في تلك السنة نفسها ، فسكنتُها ثمانية أعوامٍ ، ثم انصرفتُ إلى دانية سنة سبعَ عشرة وأربعِ مئة "[٨].

(7) معجم الأدباء ١٢/١٢٤-١٢٧ .

(8) المصدر نفسه ١٢/١٢٧ .

وأخذ الداني في رحلته الطويلة في طلب العلم عن عدد كبير من الشيوخ ، بلغوا سبعين شيخاً ، أشار إليهم في أرجوزته المشهورة (المُنَبِّهة) بقوله [٩] :

وجُمْلةُ الذين قد كتبــتُ عَنْهُم مِنَ الشيوخِ إذْ طَلَبْتُ
من مقرئٍ وعالمٍ فَقيــــهِ ومُعْرِب مُحَدِّث نَبيــــهِ
سبعونَ شيخاً كلُّهُمْ سُنِّيُّ مُوَقَّــرٌ مُبجَّــلٌ مَرْضــيُّ

ولا يتسع المقام لذكر شيوخه ، ومَن رغب بالاطلاع عليهم فإن ذلــك يمكنــه بالنظر في أسانيد كتبه ، كما أنَّ المقام لا يتسع للحديث عن عشراتٍ مــن تلامذتــه الذين أخذوا العلم عنه ورَوَوْا كتبه .

وبعد اثنتين وسبعين سنة من الحياة الحافلة التي عاشها الداني تُوُفِّيَ بدانيــة يــوم الاثنين في النصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، وكان دفنه بعــد صــلاة العصر في اليوم الذي توفي فيه ، ومشى السلطان أمام نعشه ، وكان الجمع في جنازته عظيماً [١٠].

واحتَلَّ أبو عمرو الداني منزلة عالية ، عرفها له المؤرخون ، على نحو ما يَتَضّحُ من أقوالهم الآتية فيه :

قال الحميديُّ عنه : " مُحَدِّثٌ مُكْثِرٌ ، ومُقْرِئٌ مُتَقَدِّمٌ "[١١] .

وقال ابن بشكوال : " كان أحدَ الأئمةِ في علم القرآن ورواياته وتفــسيره ومعانيــه وطرقهِ وإعرابه ... وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماءِ رجالهِ ونَقَلَتِهِ " [١٢].

---

(9) المنبهة ص ٨٢ ، وفي بعض نسخ المنبهة : تسعون .

(10) ابن بشكوال : الصلة ٤٠٧/٢ ، والذهبي : معرفة القراء ٣٢٨/١ ، وابن الجزري : غاية النهاية ٥٠٥/١ .

(١١) جذوة المقتبس ص ٢٨٦ .

(١٢) الصلة ٤٠٦/٢ .

وقال الضَّبِّيُّ : " إمامُ وقتهِ في الإقراء ، مُحَدِّثٌ مُكْثِرٌ أديبٌ ... وكان حافظاً متقدماً مشهوراً شهرة تغني عن الإطناب في ذكره "[١٣].

وقال القفطيُّ : " شيخُ زمانهِ ، وعلاّمةُ أوانهِ ، وصَدْرُ عصرهِ ومكانهِ " [١٤]

وقال الذهبيُّ : " الحافظُ الإمامُ [العَلَمُ] ، شيخُ الإسلامِ ... المقرئُ صاحبُ التصانيف "[١٥] .

وقال ابن الجزري : " الإمامُ ، العلاّمةُ ، الحافظُ ، أستاذُ الأُستاذين ، وشيخُ مشايخ المقرئين " [١٦].

واشتهر الداني بكثرة المؤلفات ، ووصفها ابن بشكوال بالحسن والإفادة ، وقال : " يَكْثُرُ تَعْدادُها ويَطولُ إيرادُها " [١٧]. وقال الذهبيُّ : " والقرَّاءُ خاضعون لتصانيفه ، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك ، وله مئةٌ وعشرون مصنفاً " [١٨]. وقال ابن الجزري : " ومَن نظر في كُتُبهِ عَلِمَ مقدارَ الرجلِ وما وهَبَهُ اللهُ تعالى " [١٩] .

وقام بعض علماء الأندلس بجمع فهرس تصانيف الداني ، قال الضبي (ت ٥٩٩هـ) : " رأيتُ بعضَ أشياخي قد جمع ذكر تواليفه في جزء ، نحوَ مئةِ

---

(١٣) بغية الملتمس ص ٣٩٩ .

(١٤) إنباه الرواة ٣٤١/٢ .

(١٥) تذكرة الحفاظ ١١٢٠/٣ ، ومعرفة القراء ٣٢٦/١ .

(١٦) غاية النهاية ٥٠٣/١ .

(١٧) الصلة ٤٠٦/٢ .

(١٨) تذكرة الحفاظ ١١٢١/٣ .

(١٩) غاية النهاية ٥٠٤/١ .

تأليفٍ"[٢٠] . وقال أبو بكر بن محمد بن عبد الغني ، المشتهر باللبيب (وهو من علماء القرن السابع أو الثامن الهجري) : " رأيتُ لأبي عمرو الداني ، رحمه الله ، في برنامج مئة وعشرين تأليفاً ، منها في الرسم أحد عشر كتاباً ، وأصغرها حجماً المقنع" [٢١].

وتحتفظ مكتبة الأزهر بنسخة من فهرست تصانيف الداني ، وكنتُ قد حققته ونُشِرَ في مقدمة تحقيق كتاب (التحديد) للداني ، وقام مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت بنشره منفرداً سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م ، وفيه عناوين مئة وعشرين من مؤلفاته .

وطُبِعَ عددٌ من مؤلفات الداني ، منها :

١. التيسير في القراءات السبع .
٢. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار .
٣. المحكم في نقط المصاحف .
٤. البيان في عَدِّ آي القرآن .
٥. التحديد في الإتقان والتجويد .
٦. التعريف في اختلاف الرواة عن نافع .
٧. الإدغام الكبير .
٨. المكتفى في الوقف والابتداء .
٩. المنبِّهة على أسماء القراء والرواة .
١٠. السنن الواردة في الفتن .

---

(٢٠) بغية الملتمس ص ٣٩٩ .

(٢١) الدرة الصقلية ورقة ٤ و .

١١. مفردات القراء السبعة .

١٢. جامع البيان في القراءات السبع المشهورة .

ثانياً : تعريفٌ موجزٌ بالكتاب وموضوعه :

الأَلِفُ ، وهو الحرفُ الأولُ من حروفِ الأبجدية ، يدلُّ في الأصل على الهمزة، فحين نُعَدِّدُ الحروفَ : ألف باء تاء ، أو ألف باء جيم ... الخ فإننا نريد بالألف (الهمزة) ، لكن مصطلح الألف اسْتُعْمِلَ في مرحلة لاحقة للدلالة على حرف المدِّ في مثل : كان ودعا وكاتب ونحوها ، وهو ما يُسَمّيهِ دارسو الأصوات في زماننا بالفتحة الطويلة ، وذلك بعدَ أنِ اسْتُعمِلَ رمزُ الألف للدلالة عليها[١] .

وكان علماء العربية يدركون هذه الدلالة المزدوجة لمصطلح (الألف) ، فقال المبرد : " هذا باب ألفات الوصل والقطع ، وهُنَّ هَمزاتٌ على الحقيقة " [٢]. وقال ابن خالويه : " فإن قال قائلٌ : أخْبِرْني عن هذه الهمزة التي في أوائل الأفعال ، ألفٌ هي أم همزةٌ؟ فالجوابُ في ذلك أنها همزةٌ بإجماع البصريين والكوفيين ، وإنما يُعَبَّرُ عنها بالألف تقريباً على المتعلم ، إذ كانت ألفاً في الخط " [٣].

وقال الداني في الباب الأول من هذا الكتاب : " باب ذكر ألفات الوصل والقطع في الأفعال ... وكُلُّهُنَّ في الحقيقة همزةٌ غيرَ ألفِ الوصل وَحْدَها ، وإنما سُمّينَ ألفاتٍ مجازاً واتساعاً لكونِ صورهن صورةَ ألفٍ " [٤].

ويبدو أن ما ذهب إليه هؤلاء العلماء من أن الهمزة سُمِّيتْ ألِفاً مجازاً واتساعاً،

---

(١) ينظر : كمال محمد بشر : دراسات في علم اللغة ص ٧٨ .

(٢) المقتضب ٨٧/٢ .

(٣) كتاب الألفات ٨٢/١ .

(٤) كتاب الألفات ومعرفة أصولها ورقة ٤٢ و –٤٢ ظ .

لأنها رُسِمَتْ برمز الألف ، تعليل يخالف الحقيقة التاريخية التي تشير إلى أن الألف هو الاسم الأصلي للهمزة ، على نحو ما أشرت في أول الفقرة ، وكان الرضي أكثر دقة حين قال : " لفظة الألف كانت مختصة بالهمزة " [٥].

وكان إلى جانب هذا التداخل بينَ الألفِ والهمزة عَامِلٌ آخَرُ جَعَلَ علماء العربية يَهْتمونَ بالموضوع ويُفْرِدون له كُتُباً خاصةً به ، وهو تَعَدُّدُ صُوَرِ النطق بالهمزة ، مَعَ تَنَوعِ الوظيفة اللغوية للهمزة في بنية الكلمة العربية ، فكانت مباحث الهمزة والألف تأخذ مساحةً في كتبِ النحو والصرف ، لكنَّ عدداً من علماء اللغة العربية المتقدمين خَصُّوا الموضوع برسائل مستقلة منها :

١. كتابُ الألِفاتِ ، تأليف أبي بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد (ت ٣٢٠هـ)[٦] .
٢. كتاب الألفات ، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت٣٢٨هـ)[٧] .
٣. كتاب ألفات الوصل والقطع ، تأليف أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت٣٦٨هـ)[٨] .
٤. كتاب الألفات ، تأليف أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)[٩].

---

(٥) شرح الشافية ٣/٣٢٠ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ص ٩٠ .

(٧) المصدر نفسه ص ٨٢ .

(٨) المصدر نفسه ص ٦٨.

(٩) المصدر نفسه ص ٩٢ .

٥. كتاب الألفات في القرآن ، تأليف أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ)[١٠] .

ويأتي تأليف كتاب (الألفات) للداني بعد تأليف الكتب الخمسة المشار إليها، و لم يصل إلينا من تلك الكتب سوى كتابي ابن الأنباري[١١] ، وابن خالويه[١٢] ، ويتميز كتاب الداني عنهما بوضوح التبويب ، والتركيز على الألفات في القرآن الكريم ، مع عناية بجانب النطق وتعليل وجوهه ، من غير استطراد أو إطالة ، مما يجعله أقرب إلى الكتب التعليمية .

بدأ الداني كتابه بعد الافتتاح بقوله : " هذا كتاب أذكر فيه ألفات الوصل والقطع في الأسماء والأفعال وحروف المعاني ، وأُقسِّمُ أصولها ، وأُبيِّن فروعها ، على وجه الاختصار ... " .

وجَعَلَ ألفات الأفعال على ستة أقسام : ألف وصل ، وألف أصل ، وألف قطع ، وألف ما لم يُسَمَّ فاعله ، وألف المتكلم ، وهو المخبر عن نفسه ، وألف الاستفهام .

---

(١٠) المصدر نفسه ص ٦٩ .

(١١) نشره أبو محفوظ الكريم معصومي بعنوان (كتاب شرح الألفات) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٣٤ الجزء الثاني والثالث .

(١٢) نشره الدكتور علي حسين البواب في مجلة المورد المجلد الحادي عشر ١٩٨٢م ، الأعداد: الأول والثاني والثالث . ونشر الدكتور البواب أيضاً كتاب(التمييز في معرفة أقسام الألفات) لمحمد ابن أحمد بن داود ، في مجلة البحوث الإسلامية ع ١٨ ، ثم طبع في كتاب مستقل سنة ١٤٠٩هـ [أفاد بذلك أحد المُحَكَّمَيْنِ في هذا العمل ، و لم أقف عليه] .

وجَعَلَ ألفات الأسماء أربعة أقسام : ألف وصل ، وألف أصل ، وألف قطع ، وألف استفهام .

وتحدّث عن الألف في لام التعريف ، والألفات في الأدوات وحروف المعاني .

ودراسة علماء العربية وعلماء القراءة لموضوع الألفات ترجع إلى تعدد الوظائف الصرفية والنحوية التي تؤديها الألفات في أوائل الكلمات ، فألف الأصل لا تؤدي وظيفة بمفردها ، بينما تؤدي ألف القطع وظيفة صرفية ، وألف المتكلم وألف الاستفهام تؤديان وظيفة نحوية ، إلى جانب اختلاف أحكام نطق همزة الوصل عن نطق بقية الهمزات ،ولعل هذا يفسر عنايتهم بهذا الموضوع وإفراده برسائل خاصة به .

والنسخة التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب محفوظة في مكتبة الأزهر ، ضمن مجموع رقمه في المكتبة (٣١٣٣٨٩) ، والكتاب يبدأ بالورقة ٤٢ و ، وينتهي بالورقة ٤٨ ظ ، وفي الصحيفة الواحدة عشرون سطراً ، وهي مكتوبة بالخط المغربي الواضح المنقوط في الغالب ، من غير شكل ، ولا تخلو النسخة من وقوع التصحيف فيها في بعض المواضع ، مما أشرت إليه في الهوامش .

والنسخة مكتوبة في سنة ٨٥٣هـ على يد عبيد الله بن محمد بن محمد بن علي المقرئ ، كما جاء في الورقة الأخيرة من الكتاب .

وليس هناك ما يدعو إلى الشك في صحة نسبة الكتاب إلى أبي عمرو الداني ، فقد جاء اسمه صريحاً في أول الكتاب مرتين ، كما أنه ذُكِرَ في داخل الكتاب مرة أخرى في أول الباب الخاص بذكر ألف الأصل في الأسماء ، ونقل الناسخ رواية في الورقة الأخيرة ، بعد انتهاء الكتاب ، منقولة عن أبي عمرو الداني أيضاً ، وهي بنصها في كتابه (المحكم في نقط المصاحف) [ص ٢٧] .

وعلى الرغم من أنني لم أجد إشارة إلى كتاب (الألفات) للداني في الكتب التي ترجمت للداني أو ذكرت مؤلفاته ، إلا أن الكتاب جاء ذكره في فهرست تصانيف

الإمام أبي عمرو الداني ، باسم (كتاب الألفات ومعرفة أصولها) ، مما يعزز نسبة الكتاب إليه[١٣] .

ويتلخص عملي في تحقيق الكتاب في ما يأتي :

(١) نَسْخُ الكتابِ على وَفْقِ أُصول النشر المعاصرة ، من تقسيمه إلى فقرات، واستخدام علامات الترقيم ، وضبط النص بالشكل ، وإصلاح ما فيه من تصحيف .

(٢) الإشارة إلى مواضع الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش .

(٣) مراجعة النص على الكتب المتخصصة في الموضوع وتثبيت المصادر التي توثق ما ذكره الداني في الكتاب .

(٤) ترجمت للأعلام القليلة التي ورد ذكرها في الكتاب ترجمة موجزة .

وكان عنوان الكتاب في المخطوطة هو (كتاب الألفات في الأفعال والأسماء) ، ولكني آثرت العنوان الذي ورد في فهرست تصانيف الداني ، وهو (كتاب الألفات ومعرفة أصولها) لأنه أكثر دلالة على موضوعات الكتاب ، ولأن فهرست مؤلفاته كُتِبَ في عصر قريب من عصره .

ولا بد لي في نهاية هذا التقديم للكتاب من الإشارة إلى أنني لم أتمكن من الحصول على مخطوطة الكتاب إلا بعد وضع مخطوطات مكتبة الأزهر على الشبكة الدولية للمعلومات ، وهو مشروع رائد سيفتح آفاقاً واسعة في تحقيق التراث ونشره ، جزى الله تعالى القائمين عليه والمُمَوِّلِينَ له كُلَّ خير ، وجعلهم قدوة للدول والمؤسسات ،

---

(١٣) فهرست تصانيف الإمام أبي عمرو الداني ص ٢٤.

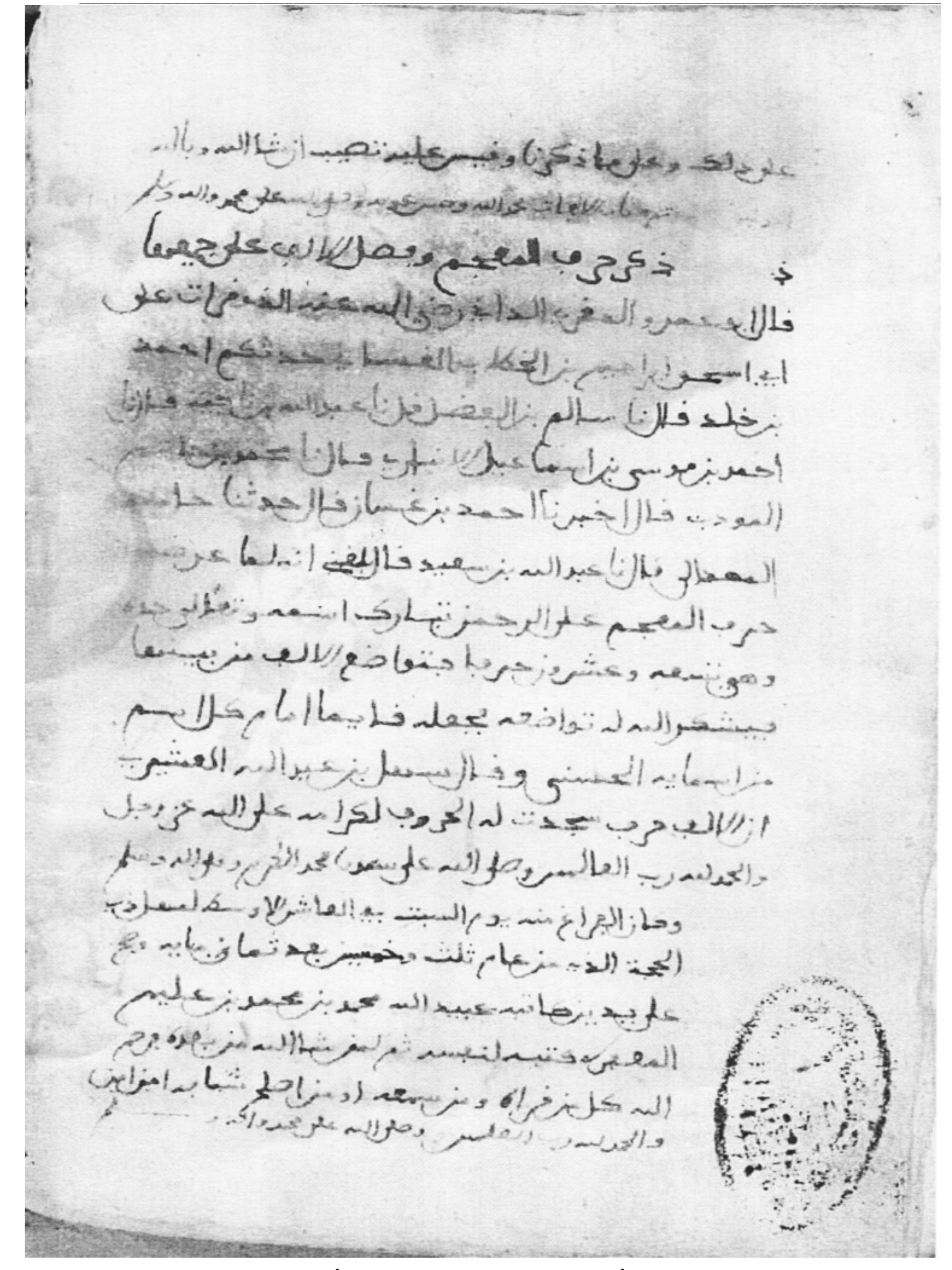
والأفراد المتمكنين ، لتيسير وصول الباحثين والمحققين إلى مخطوطات تراثنا الخالد التي لا تزال تنتظر من ينفض عنها غبار السنين ويخرجها إلى عالم النور .

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله رَبِّ العالمين .

كتاب الألفات في الأسماء والأفعال

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
كتاب الألفات في الأفعال والأسماء
من تأليف المقرئ الجليل والشيخ النبيل أبي عمرو المقرئ
عثمان بن سعيد بن عثمان رضي الله عنه
قال أبو عمرو المقرئ ... بن عثمان رضي
الله عنه الحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد
رسوله وعلى آله هذا كتاب أذكر فيه ألفات الوصل
والقطع في الأسماء والأفعال وحروف المعاني وا
قسم أصولها وأبين فروعها على وجه الاختصار
والاقتصار لكي يخف على معرفتها وحفظها
من رغب ذلك من المبتدئين وغيرهم إن شاء الله
فأول ما أبتدئ بذكره منها ألفات الأفعال لكثرتها
واختلاف أصولها وفروعها ثم أتبعها ألفات
الأسماء ثم ألفات الأدوات وبالله أستعين وعليه
أتوكل وإليه أنيب وهو حسبنا ونعم الوكيل
باب ذكر ألفات الوصل والقطع في الأفعال
اعلم أن ألفات الأفعال ست وهي ألف وصل وألف أصل
وألف قطع والألف ما لم يسم فاعله وألف المتكلم
وهو المخبر عن نفسه وألف الاستفهام ونحن نبينها
إن شاء الله وكلمة في الحقيقة همزة غير ألف الوصل

الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب الألفات



الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتاب الألفات

كتاب
الألفات ومعرفة أصولها

تأليف

أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني

المتوفى سنة ٤٤٤هـ

/٤٢و/

بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرَّحيمِ

صَلّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

كِتَابُ الأَلِفَاتِ فِي الأَفْعَالِ والأسْمَاءِ

مِن تَأْليفِ الْمُقْرئِ الجَليلِ والشَّيخِ النَّبيلِ أبِي عَمْرو

الْمُقْرئِ عُثمانَ بنِ سَعيدِ بنِ عثمانَ ، رَضِيَ اللهُ [عَنْهُ][1] وسَمَحَ لَهُ

قَالَ أَبُو عَمْرو الْمُقرِئُ عُثمَانُ بنُ سَعيدِ بن عُثْمانَ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الحمدُ للهِ حَقَّ حَمْدِهِ ، وصَلّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، وَعَلى آلِهِ .

هَذَا كِتَابٌ أَذْكُرُ فيهِ أَلِفات[2] الوَصْلِ والقَطْعِ في الأسْمَاءِ والأفْعَالِ وحُـــرُوفِ المَعَانِي[3] ، وأُقَسِّمُ أُصُولَهَا ، وأُبَيِّنُ فُرُوعَهَا، عَلَى وَجْهِ الاخْتِصَارِ، دُونَ الإكْثَـــارِ، لِكَيْ يَقِفَ على مَعْرِفَتِها وحَقيقَتِهَا مَنْ رَغِبَ ذلك مِنَ الْمُبْتَدِئينَ وغَيرِهِمْ ، إِنْ شَـــاءَ اللهُ.

---

(١) زيادة ليست في الأصل .

(٢) يعني همزات الوصل والقطع التي تكون في أول الكلمات ، قال المـــبرد في المقتـــضب (٧٨/٢) : "وهن همزات على الحقيقة " ، وقد أحسن الداني حين قال في الباب الآتي : " وإنما سُمِّينَ ألفاتٍ مجازاً واتساعاً ... " .

(٣) (حروف المـــعاني : هي الأدوات النـــحوية ، مثل : إنَّ ، وأمَّا ، وأَلاَ ، وإلاَّ ونحوها) (ينـــظر : ابن خالويه : كتاب الألفات ١٣٤/٢ ، والباب الأخير من هذا الكتاب) .

فأَوَّلُ مَا أَبْتدِئُ بذِكرِه منْهَا أَلِفَاتُ الأَفْعَالِ ، لكَثْرَتِهَا واخْتِلاف أُصُولِهَا وفُرُوعِهَا[٤] ، ثُمَّ أُتْبِعُهَا أَلِفَاتِ الأَسْمَاءِ ، ثُمَّ أَلِفاتِ الأَدَوَاتِ ، وبِاللهِ أَسْتَعِينُ ، وعَلَيهِ أَتَوَكَّلُ ، وإليهِ أُنِيبُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا ، ونِعْمَ الوَكِيلِ .

بابٌ

ذِكْرُ أَلِفاتِ الوَصْلِ والقَطْعِ في الأَفْعَالِ

أعْلَمْ أَنَّ أَلِفاتِ الأَفْعالِ ستٌّ[٥] ، وَهِيَ أَلِفُ وَصْلٍ ، وأَلِفُ أَصْلٍ ، وَأَلِفُ قَطْعٍ، وَأَلِفُ مَا لَمْ يُسَمَّ[٦] فَاعِلُهُ ، وأَلِفُ المُتَكَلِّمِ ، وَهُوَ المُخْبِرُ عَن نَفْسِه ، وَأَلِفُ الاسْتِفْهامِ ، ونَحْنُ نُبَيِّنُها إنْ شَاءِ اللهُ تَعَالى ، وكُلُّهُنَّ في الحَقِيقَةِ هَمْزَةٌ غَيْرَ أَلِفِ الوَصْلِ / ٤٢ ظ / وَحْدَهَا ، وَإِنَما سُمِّينَ أَلِفاتٍ مَجَازاً واتِّسَاعاً ، لِكَوْنِ صُوَرِهِنَّ صُورَةَ أَلِفٍ ، وَباللهِ التَّوْفيقُ .

بابٌ

ذِكْرُ أَلِفِ الوَصْلِ وَمَا تُعْرَفُ به

اعْلَمُ أَنَّ أَلِفَ الوَصْلِ في الأَفْعالِ تُعْرَفُ بِشَيْئَين : بسُقُوطِهَا في دَرْجِ الكَلامِ إذا[٧] وُصِلَ مَا قَبْلَها بِمَا بَعْدَهَا ، استِغْناءً عَنْهَا بِذلِكَ ، وَبِانْفِتَاحِ أوَّلِ مُسْتَقْبَلَها[٨] .

---

(٤) قال سيبويه (الكتاب ١٤٤/٤) : " وأكثر ما تكون في الأفعال " ، وينظر : المبرد : المقتضب ٢٢٧/١ ، وابن السراج : كتاب الخط ص ١٠٨ .

(٥) ينظر:ابن الأنباري:إيضاح الوقف١٥١/١، وشرح الألفات (له)ص ٨٣، والهروي: الأزهية ص ٧.

(٦) في الأصل : يسمى ، وهو سهو من الناسخ .

(٧) في الأصل : إذ ، وهو تحريف .

(٨) ينظر : سيبويه : الكتاب ١٤٥/٤ ، والمبرد : المقتضب ٨٠/١ ، وابن الأنباري : إيضاح الوقف ١٥١/١ ، وشرح الألفات (له) ص ٢٨٥ ، والهروي :الأزهية ص ٩ ، والحيدرة : كشف المشكل ٢١٣/٢ .

وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالى : (**نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا**)[٩] ، و (**فَقُلْنَا اضْـــرِبْ**)[١٠]، و(**قَالَ اذْهَبْ**)[١١]،و(**عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْــدِلُوا**)[١٢]،و(**رَبَّنَا افْتَحْ**)[١٣] و(**يَمُوسَى اجْعَلْ**)[١٤] ، و(**رَبَّنَا اكْشِفْ**)[١٥] ، و(**قَالُوا اطَّيَّرْنَـــا**)[١٦] ، و (**فِي ســـبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ**)[١٧]، و(**بَلِ ادَّارَكَ**)[١٨]، و (**يَأَرْضُ ابلَعِي**)[١٩]،و(**يَبُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا**)[٢٠]، و (**الْمَاءَ اهْتَزَّتْ**)[٢١]، و(**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ**)[٢٢] ، و(**إذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**)[٢٣]، و (**أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**)[٢٤]، و (**أَنِ امْشُوا**)[٢٥] ، و (**ثُمَّ ائْتُوا صَــفّاً**)[٢٦]، و (**ثُـــمَّ**

---

(٩) الفاتحة ٥-٦ .

(١٠) البقرة ٦٠ .

(١١) الإسراء ٦٣ .

(١٢) المائدة ٨ ، و(اعْدِلُوا) ساقطة من الأصل ، وهي موضع الشاهد .

(١٣) الأعراف ٨٩ .

(١٤) الأعراف ١٣٨ .

(١٥) الدخان ١٢ .

(١٦) النمل ٤٧ .

(١٧) التوبة ٣٨ .

(١٨) النمل ٦٦ .

(١٩) هود ٤٤ .

(٢٠) هود ٤٢ .

(٢١) الحج ٥ .

(٢٢) المزمل ١٩ .

(٢٣) الانفطار ١ .

(٢٤) النساء ١٣١ .

(٢٥) سورة ص ٦ .

(٢٦) طه ٦٤ .

اقْضُوا)[٢٧] ، و (**قَـالُوا ائْتـوُا)**[٢٨] ، و (**أَن اعْبُـدُوا اللَّهَ)**[٢٩] ، و (**هَـرُونَ اخْلُفْنِي)**[٣٠] ، و (**لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ)**[٣١] ، و (**اقْتُلُوا يُوسُفَ**)[٣٢] ، ومَا كَانَ مِثْلَهُ، حَيْثُ وَقَعَ .

فَالأَلِفَاتُ فِي ذَلِكَ كُلِّه أَلِفَاتُ وَصْلٍ ، أَلاَ تَرَى أَنَّهَا تَسْقُطُ مِنَ اللَّفْظِ فِي حَالِ الاتِّصَال .

وَتَقُولَ فِي مُسْتَقْبَلِ ذَلِكَ : يَهْدِي ، وَيَضْرِبُ ، وَيَذْهَبُ ، وَيَفْتَحُ ، وَيَجْعَـلُ ، وَيصْطَفِي ، وَيَهْتَزُّ ، وَيَطَّيَّرُ ، وَيَنْشَقُ ، وَيَنْفَطِرُ ، وَيَتَّقِي[٣٣] ، وَيَمْشِي ، وَيَقْتُـلُ ، ويَكْفُرُ ، وكذَلِكَ سَائِرُهَا[٣٤] ، فَتَجِدُ أَوَلَ الْمُسْتَقْبَلِ مَفْتُوحاً .

فَأَمَّا الابْتداءُ بِهَا فَيَنْبَنِي عَلَى ثَالِـثِ الْمُـسْتَقْبَلِ /٤٣ و / خَاصَّـةً ، لِلُـزُومِ حَرَكَته[٣٥] ، فَإِنْ كَان ثَالِثُهُ مَكْسُوراً أَوْ مَفْتُوحاً ابْتَدَأْتَ بِالكَسْرِ ، وَهُوَ أَصْـلُهَا ، لأَنَّهَا إِنَّمَا اجْتُلِبَتْ للسَّاكِنِ ، وَهِيَ سَاكِنَةٌ ، فَكُسِرَتْ للسَّاكِنَيْنِ ، وذَلِـكَ نَحْـوُ

(٢٧) يونس ٧١.

(٢٨) الجاثية ٢٥ .

(٢٩) المائدة ١١٧ ، وفي الأصل (أن أعبد الله) وهو ليس في القرآن .

(٣٠) الأعراف ١٤٢ .

(٣١) الحشر ١٦ .

(٣٢) يوسف ٩ ، وفي الأصل : (أن اقتلوا يوسف) وهو سهو .

(٣٣) في الأصل (يقي) ، وهو مفتوح الأول ، لكن المؤلف أورد من قبل (اتَّقُى) .

(٣٤) يلاحظ هنا أن المؤلف لم يذكر مضارع جميع الأفعال التي ذكرها من قبل .

(٣٥) ينظر : سيبويه : الكتاب ١٤٦/٤ ، والمبرد : المقتضب ٨١/١ و ٨٩/٢ ، وابـن الـسراج : كتاب الخط ص ١٠٨ ، وابن الأنباري : إيضاح الوقف ١٥٦/١ و ١٦٨ ، وشرح الألفات (له) ص ٢٨٦ ، وابن جني : سر صناعة الإعراب ١٣٠/١ ، والهروي : الأزهية ص ١٥

قَوْله: اهْدنَا ، بِكَسْرِ الأَلِفِ ، ومِثْلُهُ : اضْرِبْ ، ارْكَبْ ، اجْعَلْ ، اصْطَفِيتكَ ، ابْلَعِي ، اثَّاقَلْتُمْ ، اطَّيَّرْنَا ، اهْتَزَتْ ، اتَّخذُوا ، ائْتُوا ، امْشُوا ، اقْضُوا ، اتَّقُوا ، وشِبْهَهُ .

فَإِنْ قِيلَ : فإِنَّ النُّونَ والشِّينَ والضَّادَ والقَافَ والتَاء[٣٦] فِي (**ائْتُوا**[٣٧] ، **وامْشُوا، واقْضُوا** ، **واتَّقُوا**) مَضْمُومَةٌ ، فَكَيْفَ ابْتُدِئَت الأَلِفُ بالكَسْرِ ؟ فَقُلْ : ذَلكَ هُوَ الكَسْرُ ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : يَبْنِي ، وَيَمْشِي ، وَيَقْضِي ، وَيَتَّقِي ، وَيَأْتِي، فَتَجدُ ذَلكَ فِي المُستَقْبَلِ مَكْسُوراً ، فَتَبْنِي عَلَى ذَلكَ ، إِذْ هُوَ الأَصْلُ ، فَالضَّمَّةُ فِي ذَلكَ عَارِضَةٌ ، فَلَمْ يُعْتَدَّ بهَا ، وَلَمْ يُعْمَلْ عَلَيْهَا لذَلكَ[٣٨].

فَإِنْ كَانَ الثَّالثُ مَضْمُوماً ضَمَّةً لاَزِمَةً غَيْرَ عَارِضَة ابْتُدِئَت الأَلفُ بالضَّمِّ بِنَاءً عَلَى ذَلكَ ، وكَرَاهَةً لِلْخُرُوجِ[٣٩] منَ الكَسْرِ إِلَى الضَّمِّ ، وَذَلكَ نَحْوُ قَوْله — عَزَّ وَجَلَّ : (**اقْتُلُوا يُوسُفَ**)[٤٠] ، (**اخْرُجْ مِنْهَا**)[٤١] ، (**اكْفُرْ**)[٤٢] ، (**اخْلُفْنِي**)[٤٣]،

---

(٣٦) في الأصل : الثاء ، والمثال الذي أورده المؤلف بالتاء .

(٣٧) ها هنا كلمة مشطوبة في الأصل ، وينبغي أن تكون (ابْنُوا) لأن المؤلف ذكر أولاً حرف النون، ثم ذكر الفعل (يبني) ، وقد تكون (ائتوا) مُصَحَّفَةً عن (ابنوا) وسقطت كلمة (ائتوا) ، بناء على ترتيب الحروف التي ذكرها الداني وتتابع الأفعال المضارعة التي مثَّلَ بها ، و (ابْنُوا) في الكهف ٢١ والصافات ٩٧ .

(٣٨) ينظر : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ١/١٦٢ — ١٦٣ ، وشرح الألفات (لـه) ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٣٩) في الأصل : ليخرج

(٤٠) يوسف ٩ .

(٤١) الأعراف ١٨ .

(٤٢) الحشر ١٦ .

(٤٣) الأعراف ١٤٢ .

(**اسْلُكْ**)[٤٤] ، (**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ**)[٤٥] ، (**اقْعُدُوا**)[٤٦] ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ ، وَكَذلِكَ (**انْظُرْ إِلَى**)[٤٧] ، (**انْظُرْ كَيْفَ**)[٤٨] ، فَاعْرِفْهُ .

بَابٌ

ذِكْرُ أَلِفِ الأَصْلِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ

وَأَمَّا أَلِفُ الأَصْلِ / ٤٣ ظ / فَتُعْرَفُ بِأَنْ تَكُونَ فَاءً مِنَ الفِعْلِ فِي الْمَاضِي والْمُسْتَقْبَلِ جَمِيعاً ، وَفِي فِعْلِ الأَمْرِ وَالطَّلَبِ[٤٩] ، وَتَكُونُ مَفْتُوحَةً أَبَداً إِذَا سَمَّيْتَ الْفَاعِلَ[٥٠]،وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ-عَزَّ وجَلَّ- : (**أَتَى أَمْرُ اللهِ**)[٥١]، و(**أَتَاهَا أَمْرُنَا**)[٥٢]، و (**فَأَتَاهُمْ**)[٥٣] ، (**و أَخَذَتِ الذِينَ**)[٥٤]، و (**مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ**

(٤٤) القصص ٣٢ .

(٤٥) العنكبوت ٤٥ .

(٤٦) التوبة ٤٦ .

(٤٧) الأعراف ١٤٣ .

(٤٨) الإسراء ٢١ .

(٤٩) في الأصل : والطالب .

(٥٠) ينظر : المبرد : المقتضب ٨٠/١ ، وابن الأنباري : إيضاح الوقف ١٥١/١ ، والرماني : معاني الحروف ص ١٤٣ ، وابن فارس : الصاحبي ص ١٢٦ ، والهروي : الأزهية ص ٨ ، والحيدرة : كشف المشكل ٢١٨/٢ .

(٥١) النحل ١ .

(٥٢) يونس ٢٤ ، وفي الأصل: فلما أتاها أمرنا .

(٥٣) الزمر ٢٥ .

(٥٤) هود ٩٤ ، وفي الأصل (فأخذت) .

يُوصَلَ)[٥٥] ، و (**أَذِنَ اللهُ**)[٥٦] ، و (**أَوَ أَمِنَ**)[٥٧] ، و (**أَمِنْــتُمْ**)[٥٨] ، (**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ**)[٥٩] ، و (**أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ**)[٦٠] ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ . أَلاَ تَرَى الأَلِفَ فِي ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ فَاءً منَ الفعْلِ ، لأنَّ وَزْنَ (أَتَى وَأَمَرَ) فَعَلَ ، والمَسْتَقْبَلُ (يَــأْتِي وَيَأْمُرُ) عَلَى وَزْن يَفْعِلُ بكَسْرِ العَيْنِ ، وَيَفْعُلُ بِضَمِّهَا ، وَيَفْعَلُ بِفَتْحِهَا[٦١] ، فَهَــذِهِ كُلُّهَا أَصْلِيَّةٌ ، وَاللهُ المُوَفِّقُ .

[بَابٌ] [٦٢]

ذِكْرُ أَلِفِ القَطْعِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ

وَأَمَا أَلِفُ القَطْعِ فَتُعْرَفُ بِشَيْئَيْنِ : بِأَنْ تَكُونَ زَائدةً عَلَى فَــاءِ الفَعْــلِ وَعَيْنِــهِ وَلاَمِه، وَبِانْضِمَامِ أَوَّلِ مُسْتَقْبَلِهَا ، وَهِيَ تَأْتِي مَفْتُوحَةً فِي الْمَاضِي ، وَمَكْسُورَةً فِــي المَصْدَرِ[٦٣] .

---

(٥٥) البقرة ٢٧ .

(٥٦) النور ٣٦ .

(٥٧) الأعراف ٩٨ .

(٥٨) البقرة ١٩٦ .

(٥٩) الحج ٢٧ .

(٦٠) إبراهيم ٤٤ .

(٦١) لم يذكر الداني مثالاً لهذا البناء ، ويمكن أن يُمَثِّلَ له بـــ (يأذَنُ و يأمَنُ) لكن ماضيهما علـــى (فَعِلَ) .

(٦٢) زيادة ليست في الأصل .

(٦٣) ينظر : : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ١/١٥٢ و ١٨٠ ، والرماني : معـــاني الحـــروف ص ١٤٤ ، والهروي : الأزهية ص ١٢ ، والحيدرة : كشف المشكل ٢/٢١٥ .

فَأَمَّا إِثْبَاتُها مَفْتُوحَةً فَنَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى:(**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)[٦٤]،و(**أَلْهَاكُمُ**)[٦٥]، و(**بِمَا أَنْزَلَ اللهُ**)[٦٦] ، و (**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا**)[٦٧] ، و(**رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**)[٦٨] ، و (**رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا**)[٦٩] ، و (**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَـــا**)[٧٠] ، و (**فَــآتِهِمْ عَـــذَاباً ضِعْفاً**)[٧١] ، و (**فَأَرَاهُ الآيَةَ**)[٧٢] ، (**و يَسَمَاءُ أَقْلِعي**)[٧٣]، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ .

وَأَمَّا إِثْبَاتُهَا مَكْسُورَةً فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَـــزَّ وجَـــلَّ : (**إِعْرَاضـــاً**)[٧٤] ، و (**لاَ إِكْراهَ**)[٧٥] ، و (**إِخْراجاً**)[٧٦] وَشِبْهِه مِنَ المَصَادِرِ / ٤٤ و / ، فَالأَلِفَاتُ فِي ذلِكَ كُلِّه أَلِفُ قَطْعٍ ، أَلاَ تَرَى أَنَّ المَاضِيَ مِن ذَلِكَ : أَنْعَمَ ، وأَلْهَى ، وأَنْزَلَ ، و أَخْرَجَ، و أَفْرَغَ ، و أَقْلَعَ ، و أَكْرَهَ ، و أَعْرَضَ . و [ما] [٧٧] أَشْبَهَهُ . عَلَـــى [٧٨] وَزْنِ (إِفْعَالٍ) ، فَالأَلِفُ زَائِدَةٌ لأَنَّها لِيْسَتْ فَاءً وَلاَ عَيْناً وَلاَ لاَماً .

---

(٦٤) الفاتحة ٧ .

(٦٥) التكاثر ١ .

(٦٦) البقرة ٩٠ .

(٦٧) النساء ٧٥ .

(٦٨) التحريم ٨ .

(٦٩) البقرة ٢٠٠ .

(٧٠) البقرة ٢٥٠ .

(٧١) الأعراف ٣٨ ، وفي الأصل : (فأتاهم) .

(٧٢) النازعات ٢٠ .

(٧٣) هود ٤٤

(٧٤) النساء ١٢٨ .

(٧٥) البقرة ٢٥٦ .

(٧٦) نوح ١٨ .

(٧٧) زيادة ليست في الأصل.

(٧٨) كذا في الأصل،وهو يتحدث عن وزن مصدر الأفعال التي ماضيها على (أفعل).

وَتَقُـولُ فِي المُسْتَقْبَلِ : يُنْعِمُ ، و يُلْهِي ، و يُنـزِلُ ، و يُفرِغُ ، و يُقْلِعُ ، و يُكْرِهُ ، و يُعْرِضُ ، فَتَجِدُ أَوَّلَهُ مَضْمُوماً .

[بَابٌ][٧٩]

ذِكْرُ أَلف مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعلُهُ[٨٠]

وَأَمَا أَلِفُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ فَمَضْمُومَةٌ[٨١] أَبَداً ، دَلاَلَةٌ عَلَى تَرْك تَسْمية الفَاعِلِ[٨٢] ، وَهِيَ تُوجَدُ في القُرآنِ في أَرْبَعَةِ أَبْنيَةٍ منَ الفعْلِ ، وَهِيَ : أُفْعِلَ وافْتُعِلَ، واسْتُفْعِلَ ، وفُعِلَ ، وَهِي غَيْرُ لاَزِمَةٍ لِهَذَا البِنَاءِ الرَّابِعِ[٨٣] .

فَأَمَّا وُجُودُهَا في بِنَاءِ (أُفعِلَ) فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَـالَى : (**أُحْـصِرْتُمْ**)[٨٤]، و (**مَـنْ أُكْرِهَ**)[٨٥] ، و (**فَإِنْ أُعْطُوا منْهَا رَضُوا**)[٨٦] ، (**وَقَدْ أُخْرِجْنَا**)[٨٧] ، وَشِـبْهَهُ ، وَهِيَ مَقْطُوعَةٌ في هَذا البِنَاءِ أَبَداً ، مَا لَمْ يَقَعْ قَبْلَهَا سَاكِنٌ ، فإنَّ مَـذْهَبَ وَرْشٍ[٨٨]

---

(٧٩) زيادة ليست في الأصل .

(٨٠) ويطلق عليه الفعل المبني للمجهول .

(٨١) في الأصل : مضمومة .

(٨٢) في الأصل : ألف على ، وهو تحريف .

(٨٣) ينظر : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ١/١٩٦-١٩٩ ، والرماني : معاني الحروف ص ١٤٥ ، والهروي : الأزهية ص ١٢ .

(٨٤) البقرة ١٩٦ .

(٨٥) النحل ١٠٦ .

(٨٦) التوبة ٥٨ .

(٨٧) البقرة ٢٤٦.

(٨٨) عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ، من أشهر رواة القراءة عن نافع بن أبي نعيم ، تـوفي سنة ١٩٧ هـ (ينظر : ابن الجزري : غاية النهاية ١/٥٠٢) .

عَنْ نَافِعٍ[٨٩] – رَحِمَهُ اللهُ – أَنْ يُلْقِيَ حَرَكَتَها عَلَيْه ، وَكَذَلِكَ سائِرُ مَا يَأتِي مِنْ أَلِفَاتِ القَطْعِ وأَلِفاتِ الأَصْلِ وَغَيْرِهَا ، مَا خَلاَ أَلِفَ الوَصْلِ فَإِنَّهَا لاَ حَرَكَةَ لَهَا في الوَصْلِ ، وسَائِرُ القُرَّاءِ يَقْطَعُونَهَا مَعَ السَّاكِنِ حَيْثُ وَقَعَتْ[٩٠] .

وَأَمَّا وُجُودُهَا في بِنَاءِ (افْتُعِلَ) فَنَحْوُ قَوْلِه – جَلَّ وعَزَّ : (**الذين اتُّبِعُوا**)[٩١]، و (**فَمَنِ اضْطُرَّ**)[٩٢] ، (**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنونَ**)[٩٣] وَشِبْهِ ذَلِكَ ، وَهِيَ في هَذَا البِنَاءِ مَوْصُولَةٌ .

وَأَمَّا وُجُودُهَا في بِنَاءِ (اسْتُفْعِلَ) فَنَحْوُ قَوْلِه – عَزَّ / ٤٤ ظ / وَجَلَّ : (**وَلَقَد اسْتُهْزِئَ**)[٩٤] ، (**وقَالَ الذِّينَ اسْتُضْعِفوُا**)[٩٥] ، و (**الّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ**)[٩٦]، و (**بِمَا اسْتُحْفِظُوا**)[٩٧] ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ ، وَهِيَ أَيْضاً في هَذَا البِنَاءِ مَوْصُولَةٌ .

---

(٨٩) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أحد القراء السبعة المشهورين، توفي سنة ١٦٩هـ (ينظر : ابن الجزري : غاية النهاية ٢/٣٣٠) .

(٩٠) ويُشْتَرَطُ في الساكن أن يكون غير حرف مد ، وأن تكون الهمزة أول كلمة أخرى، ولم ينفرد به ورش ، فقد روي من بعض طرق أبي جعفر ويعقوب (ينظر التفاصيل : الداني : التيسير ص ٣٥، ومكي : الكشف ١/٨٩ ، وابن الجزري النشر ١/٤٠٨).

(٩١) البقرة ١٦٦ .

(٩٢) البقرة ١٧٣ .

(٩٣) الأحزاب ١١ .

(٩٤) الأنعام ١٠ .

(٩٥) سبأ ٣٣ .

(٩٦) المائدة ١٠٧ ، قرأه حفص عن عاصم (استَحَقَّ) بالبناء للفاعل ، والباقون بالبناء لما لم يسمَّ فاعله ، وهو موضع الاستشهاد (ينظر : الداني : التيسير ص١٠٠) .

(٩٧) المائدة٤٤ ، في الأصل : بما استحفظ ، وليس في القرآن .

وَأَمَّـــا وُجُودُهَا في بِنَاءِ (فُعِلَ) الذَّي هُوَ غَيْرُ لاَزِمٍ فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى:(**وأُمِرْنَا**)[٩٨]، (**وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**)[٩٩] ، و (**أُخِذَ**)[١] ، (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً**)[٢]، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ ، وَهِيَ فِي هِذَا البِنَاءِ أَصْلِيَّةٌ مَقْطُوعَةٌ، وَيُمْتَحَنُ ذَلِكَ كُلُّهُ بِمَا تَقَدَّمَ .

[بَابٌ] [٣]

ذِكْرُ أَلِفِ الُمتَكَلِّمِ وَهِيَ أَلِفُ الُمخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ

وَأَلِفُ الُمتَكَلِّمِ تُعْرَفُ بَأَنْ تَكُونَ فِي أَوَّلِ فِعْلٍ مُسْتَقْبَلٍ ، وَيَـــصْلُحُ فِي مَوضِـــعِهَا (أَنَا)، و أَنَهَّا أَحَدُ دَلاَئِلِ الاسْتِقْبالِ [٤] . وَهِيَ تُوجَدُ فِي فِعْلَيْنِ : أَحَدُهُمَا لَمْ يُـــسَمَّ فَاعِلُهُ ، والثَّانِي قَدْ سُمِّيَ فَاعِلُهُ .

فَأَمَّا وُرُودُهَا في فِعْلِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ فَلاَ تَكُونُ فِيهِ إِلاَّ مَضْمُومَةً أَبَـــداً ، قَلَّـــتْ حُرُوفُ ذَلِكَ الفِعْلِ أَوْ كَثُرَتْ، وذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وجَلَّ-: (**لَـــسَوْفَ أُخْـــرَجُ حَيَّاً**)[٥] (**وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً**)[٦]، و(**أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ**)[٧]، و(**لَمْ أُوْتَ كِتَابِيَهْ**)[٨]، وَمَـــا

---

(٩٨) الأنعام ٧١ ، وفي الأصل : وقد أُمرنا ، وليس في القرآن .

(٩٩) النساء ٦٠ .

(١) الأنفال٧٠.

(٢) البقرة ٢٥ .

(٣) زيادة ليست في الأصل .

(٤) ينظر:ابن الأنباري:إيضاح الوقف١٥٢/١ و١٨٤، والهروي: الأزهيـــة ص٧، والحيـــدرة: كـــشف المشكل٢١٦/٢.

(٥) مريم ٦٦ .

(٦) مريم ٣٣ .

(٧) الأحقاف ١٧ .

(٨) الحاقة ٢٥ .

كَانَ مِثْلَــهُ . وَأَمَّا وُرودُهَا فِي مَا قدْ سُمِّيَ فَاعِلُهُ فَيَكُونَ عَلَى ضَــرْبَيْنِ : مَفْتُوحَــةً ومَضْمومَةً .

فَأَمَّا انْفِتاحُهَا فَهُوَ إِذَا كَان الفِعْلُ الْمَاضِي عَلَى ثَلاَثَة أَحْرُف ، لاَ مُشَدَّد فيه ، أَو عَلَى أَكْثَرَ من أَرْبَعَة أَحْرُف إتْبَاعاً لنَظَائرهَا منْ حُرُوف الاسْتقْبَال . فَأَمَّــا الَّــذي مَاضيه عَلَى ثَلاَثَة أَحْرُف لاَ مُشَدَّدَ فيه فَنَحْوُ قَوْله- تَعَالى:(**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ** / ٤ و / **مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ**)[٩] ، وَمثْلُهُ : (**وَلكنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذي يَتَوَفَّاكُمْ**)[١٠] ، (**و أَنْ أَتْلُوا القُرْآنَ**)[١١] ، (**و أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَي**)[١٢] ، (**أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيكَ**)[١٣] ، و (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**)[١٤] ، و (**بقُوَّة أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ**)[١٥] ، و (**أَقْتُلْ مُوسَى**)[١٦] ، و (**حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَــعَ**)[١٧]، (**أَوْ أَمْضِيَ حُقُــباً**)[١٨]، (**و يَوْمَ أَمُــوتُ**)[١٩]، (**إِلاَّ مَا**

(٩) الأنعام ١٥١ .

(١٠) يونس ١٠٤ .

(١١) النمل ٩٢ .

(١٢) غافر٤٢،وأصاب هذه الآية تحريف في الرسم،كما أنها تكررت بعد مثالين .

(١٣) الأعراف ١٤٣ .

(١٤) البقرة ١٥٢ .

(١٥) الكهف ٩٥ .

(١٦) غافر ٢٦ .

(١٧) الكهف ٦٠ .

(١٨) الكهف ٦٠ .

(١٩) مريم ٣٣ .

أَرَى)[٢٠]، (**وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً**)[٢١] ، و (**أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ**)[٢٢] ، و (**لَعَلِّي ءَاتِيكُم**)[٢٣]، (**ثُمَّ لآتِينَّهُمْ**)[٢٤]، (**ولأُضِلَّنَّهُمْ [وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ] وَلآمُرَنَّهُمْ**)[٢٥]، (**فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ**)[٢٦] ، و (**سَأَصْرِفُ**) [٢٧] ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ . أَلاَ تَرَى أَنَ الْمَاضِي مِن ذَلِكَ كُلِّهِ : تَـــلاَ ، وَدَعَا ، و نَـــظَرَ ، و ذَكَرَ ، و مَاتَ ، و قَتَلَ ، و مَضَى ، و أَتَى على وَزْنِ[٢٨] (فَعَلَ) بِفَتْحِ العَيْنِ ، و (فَعِلَ) بِكَسْرِهَا ، و ذَلِــكَ ثَلاَثَةُ أَحْرُف[٢٩] .

وَأَمَّا [مَا][٣٠] مَاضِيهِ عَلَى أَكْثَرَ مِن أرْبَعَةٍ فَنَحْوُ قَوْلِهِ : (**إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ**)[٣١] ،

---

(٢٠) غافر ٢٩ .

(٢١) مريم ٢٠ ، وفي الأصل : شيئاً .

(٢٢) النمل ٣٩ .

(٢٣) طه ١٠ .

(٢٤) الأعراف ١٧ .

(٢٥) النســاء ١١٩ ، و (لأُمنــينهم) ســاقطة من الأصــل المخطوط ، وموضــع الاســتشهاد هـــو : (لآمرنهم) .

(٢٦) الأعراف ٩٣ .

(٢٧) الأعراف ١٤٦ .

(٢٨) في الأصــل : على قــدر ، ويدل على (وزن) ما ورد في بناء افــتعل واستفعل وأفعل بعد قيل .

(٢٩) يريد : أنَّ هذه الأفعال من ثلاثة أحرف .

(٣٠) زيادة يقتضيها السياق .

(٣١) الأنعام ٥٠ .

(**أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ**)[٣٢] ، و (**هَلْ أَتَّبِعُكَ**)[٣٣] ، و(**لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً**)[٣٤] ، (**ثُمَّ أَضْطَرُّهُ**)[٣٥] ، و (**لَعَلِّي أَطَّلِعُ**)[٣٦] وَمَا كَانَ مِثْلَهُ . أَلاَ تَرَى أَنَّ الْمَاضِي مِن ذَلِكَ: اتَّبَعَ ،واتَخّذَ، واطَّلَعَ ، على وَزْنِ (افْتَعَل)، وذَلِكَ خَمْسَةُ أَحْرُف مِنْ أَجْلِ الْمُشَدَّد . وأَمَّا [مَا] [٣٧]مَاضِيهِ عَلَى سِتَّة أَحْرُف فَنَحْوُ قَوْله-عَزَّ وَجَلَّ: (**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**)[٣٨]، و(**أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**)[٣٩] ، وَشِبْهِهَا ، أَلاَ تَرَى أَنَّ مَاضِيَهُمَا اسْتَجَابَ واسْتَخْلَصَ، عَلَى وَزْنِ (اسْتَفْعَلَ) ، وذَلِكَ سِتَّةُ أَحْرُف .

وأَمَّا انْضِمَامُهَا فَهُوَ إِذَا كَانَ الْمَاضِي عَلَى أَرْبَعَة أَحْرُف ، أَوْ عَلَى ثَلاَثَة أَحْرُف فِي الصُّورَةِ وعَيْنُ الفِعْلِ مُشَدَّدَةٌ ، وُالْمُشَدَّدُ يَقُومُ مَقَامَ حَرْفَيْنِ ، فَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الرُّبَاعِيِّ ، وإِنَّمَا ضُمَّتْ إِتْبَاعَاً / ٤٥ ظ / لِنَظَائِرِهَا مِنْ حَروف[٤٠] الْمُضَارَعَة .

فَأَمَّا الَّذِي عَلَى أَرْبَعَةٍ فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ:(**لأُنْذِرَكُمْ**)[٤١]،و(**سَأُنْزِلُ**)[٤٢] ،

---

(٣٢) القصص ٤٩ .

(٣٣) الكهف ٦٦ .

(٣٤) الفرقان ٢٨ .

(٣٥) البقرة ١٢٦ .

(٣٦) القصص ٣٨ .

(٣٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٨) غافر ٦٠ .

(٣٩) يوسف ٥٤ .

(٤٠) في الأصل : حرف .

(٤١) الأنعام ١٩ .

(٤٢) الأنعام ٩٣ .

(**وَلاَ أُشْرِكُ**)[٤٣] ، و (**أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ**)[٤٤] ، و (**أُحْيِي و أُمِيتُ**)[٤٥] ، و (**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى**)[٤٦] ، و (**أُفْرِغْ عَلَيْهِ**)[٤٧] ، و مَا كَانَ مِثْلَهُ ، أَلاَ تَرَى أَنَ الْماضِي مِن ذَلِكَ : أَنْذَرَ ، وأَنْزَلَ ، وأَشْرَكَ ، وأَصْابَ ، و أحْيَا ، و أَمَاتَ ، و أَرَى ، وأَفْرَغَ ، عَلَى وَزْنِ (أَفْعَلَ) .

و أَمَّا الَّذي عَلَى ثَلاَثَة أَحْرُف ، وَعَيْنُ الفعْلِ منْهُ مُشَدَّدَةٌ ، فَنَحْوُ قَوْلِه – عَزَّ وجَلَّ : (**ولأُبَيِّنَ لَكُمْ**)[٤٨] ، و (**هَلْ أُنَبِئكُمْ**)[٤٩] ، و (**أُبَلِّغُكُمْ**) [٥٠] ، وَشِبْهه ، أَلاَ تَرَى أَنَّ الْماضِي مِن ذَلِكَ : بَيَّنَ ، ونَبَّأَ ، و بَلَّغَ ، عَلَى وَزْنِ (فَعَّلَ) ، فاعْلَمْ ذَلِكَ .

[بَابٌ][٥١]

ذِكْرُ أَلِف الاسْتِفْهَامِ

وَأَلِفُ الاسْتِفْهَامِ تَكُونُ مَفْتُوحَةً أَبَداً ، وتُمْتَحَنُ بِمِحْنَتَيْنِ : بِإِتْيَانِ (أَمْ) بَعْدَهَا ، أَوْ بِحُسْنِ (هَلْ) في مَوْضِعِهَا[٥٢] .

---

(٤٣) الكهف ٣٨ .
(٤٤) الأعراف ١٥٦ .
(٤٥) البقرة ٢٥٨ .
(٤٦) غافر ٢٩ .
(٤٧) الكهف ٩٦ .
(٤٨) الزخرف ٦٣ .
(٤٩) المائدة ٦٠ .
(٥٠) الأعراف ٦٢ .
(٥١) زيادة ليست في الأَصل .
(٥٢) ينظر: ابن الأنباري : إيضاح الوقف ١/١٥٢ و١٩١ ، والهروي : الأزهية ص ١٧ .

فَأَمَّا إِتْيَانُ (أَمْ) بَعْدَهَا[٥٣] فَنَحْوُ قَوْلِه : (**قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً ... أَمْ تَقُولُونَ**)[٥٤] ، (**أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ**)[٥٥] ، (**أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ**)[٥٦] ، (**أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ...أَمْ**)[٥٧]، (**بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ**)[٥٨] ، (**أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ**)[٥٩] ، وَشِبْهِهِ ، وَهِيَ مَمْدُودةٌ [٦٠] في ذَلِكَ .

وأَمَّا مَا حَسُنَ (هَلْ) في مَوْضِعِهَا فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ : (**أَتَجْعَلُ فِيهَا**)[٦١] ، (**أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً**)[٦٢]،(**أَرَأَيْتُمْ**)[٦٣]، و(**أَرَأَيْتَ**)[٦٤]، (**أَلَم* أَحَسِبَ النَّاسُ**)[٦٥]، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ في مَوْضِعِهَا: هَلْ حَسِبَ النَّاسُ ، فَيَحْسُنُ (هَلْ) في سَائِرِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

---

(٥٣) تكررت هنا عبارة (أو يحسن هل في موضعها) وهو سهو من الناسخ .

(٥٤) البقرة ٨٠ .

(٥٥) مريم ٧٨ .

(٥٦) سبأ ٨ .

(٥٧) الصافات ١٥٣-١٥٥ .

(٥٨) سورة ص ٧٥ .

(٥٩) المنافقون ٦ .

(٦٠) كذا في الأصل ، فإن لم يكن في النص تحريف فإن أبا جعفر قرأ من رواية الحلواني بهمزة مفتوحة بعدها ألف ممدودة ، (ينظر : العطار : غاية الاختصار ٢٢٠/١ ، وابن الجزري : النشر ٣٨٨/٢) .

(٦١) البقرة ٣٠.

(٦٢) البقرة ٦٧ .

(٦٣) الأنعام ٤٦ .

(٦٤) الكهف ٦٣ .

(٦٥) العنكبوت ١-٢ .

[بَابٌ] (٦٦)

ذِكْرُ أَلِفِ الوَصْلِ والقَطْعِ في الأَسْمَاءِ وَعِدَّتُهَا / ٤٦ و / أَرْبَعٌ

اعْلَمْ [أَنَّ](٦٧) أَلِفَاتِ الأَسْمَاءِ أَرْبَعٌ : أَلِفُ وَصْلٍ ، وَأَلِفُ أَصْلٍ ، وَأَلِفُ قَطْعٍ ، وَأَلِفُ اسْتِفْهَامٍ ، لاَ غَيْرَ(٦٨) .

ذِكْرُ أَلِفِ الوَصْلِ مِنْهَا

وَأَلِفُ الوَصْلِ في الأَسْمَاءِ تُوجَدُ في القُرْآنِ في سَبْعَةِ أَسْمَاءٍ ، وَهِيَ : ابْنٌ ، وَابْنَةٌ ، وَامْرُؤٌ ، وَامْرَأَةٌ ، وَاثْنَانِ ، وَاثْنَتَانِ ، وَاسْمٌ(٦٩) .

فَأَمَّا أَلِفُ (ابْنٍ) (٧٠) فَنَحْوُ قَوْلِهِ — عَزَّ وَجَلَّ : (**عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**)(٧١) ، و (**نُوحٌ ابْنَهُ**)(٧٢) ، و (**إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**)(٧٣) وَشِبْهِهِ .

وَأَمَّا أَلِفُ (ابْنَةٍ) فَفِي قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : (**إِحْـــدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ**) (٧٤)،

---

(٦٦) زيادة ليست في الأصل .

(٦٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٦٨) ينظر : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ٢٠٢/١ .

(٦٩) ينظر : سيبويه : الكتاب ١٤٩/٤ ، والمبرد : المقتضب ٩٢/٢ ، وابن الأنباري:إيضاح الوقف ٢٠٧/١، والهروي: الأزهيةص٢.

(٧٠) في الأصل (اسم) والمناسب (ابن) .

(٧١) البقرة ٨٧ .

(٧٢) هود ٤٢ .

(٧٣) هود ٤٥ .

(٧٤) القصص ٢٧ .

و (**مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ**)(٧٥) .

و [أَمَّا](٧٦) أَلِفَ (امْرِئٍ) فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ :(**إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ**)(٧٧)، و (**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ**)(٧٨) ، و (**امْرَأَ سَوْءٍ**)(٧٩) ، و مَا يُشْبِهُهُ .

وَأَمَّا أَلِفُ (امْرَأَةٍ) فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ:(**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا**)(٨٠)، (**وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا**)(٨١) ، (**و قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ**)(٨٢) ، و(**امْرَأَتَ نُوحٍ و امْرَأَتَ لُوطٍ**)(٨٣) . و (**امرَأَتُ عِمْرَانَ**)(٨٤) وَشِبْهِه .

وأَمَّا أَلِفُ (اثْنَيْنِ) فَنَحْوُ قَوْلِه : (**اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**)(٨٥) ، و (**اثْنَي عَشَرَ نَقِيباً**)(٨٦) ، (**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا**)(٨٧) ، و (**اثْنَا عَشَرَ شَهْرَاً**) (٨٨)، وَشِبْهِهِ .

وأَمَّا أَلِفُ (اثْنَتَينِ) فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ : (**أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ و أَحْيَيْتَنَا**

---

(٧٥) التحريم ١٢ .

(٧٦) زيادة يقتضيها السياق .

(٧٧) النساء ١٧٦ .

(٧٨) النور ١١ .

(٧٩) مريم ٢٨ .

(٨٠) النساء ١٢٨ .

(٨١) الأحزاب ٥٠ ، وفي الأصل : (وإن امرأة وهبت نفسها) وهو وهم .

(٨٢) القصص ٩ .

(٨٣) التحريم ١٠ .

(٨٤) آل عمران ٣٥ .

(٨٥) المائدة ١٠٦ .

(٨٦) المائدة ١٢ ، وفي الأصل : اثنا .

(٨٧) يس ١٤ .

(٨٨) التوبة ٣٦ ، وفي الأصل : اثني .

اثْنَتَيْنِ)[٨٩] ، و (**اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً**)[٩٠]، (**فَوْقَ اثْنَتَين فَلَهُــنَّ**)[٩١] وَشِــــبْهُهُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا أَلِفُ (اسْمٍ) فَنَحْوُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**)[٩٢]، و(**بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى**)[٩٣] ، (**بكلمَةٍ منْهُ اسْمُهُ**)[٩٤] . (**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**)[٩٥] وَشِبْهِه .

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّ الأَلِفَ فِي ذَلِكَ أَلِفُ وَصْلٍ بِسُقُوطِهَا فِي التَصْغِيرِ إِذَا قُلْتَ : بُنَيٌّ ، وبُنَيَّةٌ ، وَمُرَيْءٌ ، وَمُرَيْئَةٌ /٤٦ظ/ وثُنَيَّان ، وثُنَيَّتَان ، وسُمَيٌّ[٩٦] .

وتَبْتَدِئُ الأَلِفَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بالكَسْرِ لِدُخُولِهَا فِيهِ عَلَى سَــاكِنٍ ، فَكُــسِرَتْ للسَّاكِنِ[٩٧] .

فإنْ قيلَ : لِمَ ابْتُدِئَت الأَلِفُ فِي قَوْلِه : (اسْــمُهُ ، وابْــنُ اللهِ ، وإنِ امْــرُؤٌ) بالْكَسْرِ وَالثَّالِثُ مِنْهُمَا مَضْمُومٌ ؟ قِيلَ لَهُ : تَكُونُ تِلْكَ الضَّمَةُ عَارِضَةً ، إِذْ هِيَ فِي (ابْنٌ واسْمُهُ) إِعْرَابٌ ، وَحَرَكَةُ الإعْرَابِ تَتَغَيَّرُ بَتَغَيُّرِ العَامِلِ الَّذي يَلِي الاسْمَ .

---

(٨٩) غافر ١١ .

(٩٠) الأعراف ١٦٠ ، وفي الأصل : اثنتا .

(٩١) النساء ١١ .

(٩٢) الرحمن ٨٨ .

(٩٣) مريم ٧ .

(٩٤) آل عمران ٤٥ .

(٩٥) المزمل ٨ .

(٩٦) ينظر : المبرد : المقتضب ٨٢/١ و ٩٢/١ ، وابن الأنبــاري : إيــضاح الوقــف ٢٠٧/١ ، والهروي : الأزهية ص ٩ .

(٩٧) ينظر : سيبويه : الكتاب ١٤٩/٤ ، والمبرد : المقتضب ٨٩/٢ ، وابن جــني : ســر صــناعة الإعراب ١٣٠/١ ، والهروي : الأزهية ص١١ ، والرضي : شرح الشافية ٢٦١/٢ .

ولا [٩٨] يَنْبَغي لَهُ ، ولاَ يَثْبُتُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ في (امْرِئٍ) تَابعَةٌ لِلْهَمْــزَةِ، وَالهَمْزَةُ يَلْحَقُهَا[٩٩] الإعْرَابُ والتَّغْيير فِيهَا باخْتِلاَفِ العْامِلِ أَيْضَاً ، فَلَمْ نَعْتَدَّ لِــذَلِكَ بِضَمِّ الثَّالِث لِتَغَيُّرِهُ وَانْتِقَالِه[١] .

وَكُسِرَتِ الأَلِفُ فِي أَوَّلِ تِلْكَ الأَسْمَاءِ الأَرْبَعَةُ [٢] عَلَى الأَصْلِ ، وبالله التَّوْفيقُ.

فَصْلٌ

فَأَمَّــا الأَلتفُ الدَّاخِــلَةُ مَعَ لاَمِ التَّعْــرِيفِ فِي نَــحْوِ قَوْلِــه – عَزَّ وَجَلَّ : (**الرَّحْمنِ الَّرحِيمِ**)[٣] ، و (**الْعَزيزُ الْحَكِيمُ**)[٤] ، و(**الْعَلِيمُ الْحَكِــيمُ**)[٥] ، وَشِبْهِه ، فَهِيَ عِنْــدَ عَامَّة[٦] النَّحْوِيِّينَ أَلِــفُ وَصْــلٍ ، وَتَبْتــَدِئُ بالفَتْحِ ، فَرْقَاً بَيْنَ دُخُــولِ [٧] أَلِــفِ الْوَصْــلِ عَــلَى الأَسْــمَاءِ وَالأَفْــعَالِ وَالْحُــرُوفِ[٨] ،

---

(٩٨) كذا في الأصل، وقد يكون ههنا سقط، لأن الحديث انتقل إلى تعليل حركة همزة الوصل في (امرئ) ، قال ابن الأنباري (إيضاح الوقف ٢١١/١) : " فإن قال قائل : لِمَ صارت الألف في (امرئ) تُبتَدأ بالكسر ؟ فقل : كان ينبغي أن تُبْنى على الثالث ، فبطل لأن الثالث لا يثبــت علــى إعراب واحد ... " .

(٩٩) في الأصل : ياقها ، ولعل الصواب ما أثبته .

(١) ينظر : سيبويه : الكتاب ١٤٩/٤ .

(٢) يعني :ابنة وامرأة واثنان واثنتان .

(٣) الفاتحة ٣ .

(٤) البقرة ١٢٩ .

(٥) البقرة ٣٢ .

(٦) في الأصل : عمة .

(٧) في الأصل : دخل .

(٨) هذا تعليل سيبويه في الكتاب ١٤٨/٤ ، ولبعض العلماء تعليل آخر (ينظر : ابــن الأنبــاري : إيضاح الوقف ٢١٩/١ ، والرضي : شرح الشافية ٢٦٥/٢) .

وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَيْسَانَ[٩] يَقُولُ : هِيَ أَلِفُ قَطْعٍ ، وَإِنَّما تُرِكَتْ نَبْرَتُهَا فِي الْوَصْلِ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[١٠] ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

بَابٌ

ذِكْرُ أَلِفِ الأَصْلِ فِي الأَسْمَاءِ أَيْضاً

قَالَ أَبُو عَمْرو : أَلِفُ الأَصْلِ تُعْرَفُ بِشَيْئَيْنِ : ثُبُوتَهَا فِي التَّصْغِيرِ ، وَبِكَوْنِهَا فَاءً مِنَ الْفِعْلِ[١١] . وَتَأْتِي مَفْتُوحَةً وَمَكْسُورَةً وَمَضْمُومَةً[١٢] .

فَالْمَفْتُوحَةُ نَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ: (**أَمْرُ اللهِ**)[١٣]، و(**أَبُوكِ**)[١٤] و(**أَخُوكَ**)[١٥] / ٤٧ و/ و (**أَخا**)[١٦] ، و (**أَخَانا**)[١٧] ، وشِبْهِهِ .

وَالْمَكْسُورَةُ نَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ: (**إِصْرِي**)[١٨]، و (**إِصْرَهُم**)[١٩] ، و(**إِمْراً**)[٢٠]،

---

(٩) أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان البغدادي ، عالم بالعربية ، أخذ عن المبرد وثعلب ، وتوفي سنة ٢٩٩ هـ (ينظر : الزركلي : الأعلام ٣٠٨/٥) .

(١٠) ينظر : أبو حيان: ارتشاف الضرب ٥١٣/١ ، والسيوطي : همع الهوامع٧٩/١.

(١١) المراد بالفعل هنا أصل الكلمة (ف ع ل) .

(١٢) ينظر : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ٢٠٢/١ ، والحيدرة ٢١٨/٢ .

(١٣) النساء ٤٧ .

(١٤) مريم ٢٨ .

(١٥) يوسف ٦٩ .

(١٦) الأحقاف ٢١ .

(١٧) يوسف ٦٣ ، وفي الأصل : (أخوان) وليس في القرآن .

(١٨) آل عمران ٨١ .

(١٩) الأعراف ١٥٧ .

(٢٠) الكهف ٧١ .

و(**إِفْكاً**)[٢١]، و(**إِفْكُهُمْ**)[٢٢]وَشِبْهِهِ، و (**إِمَامٍ**)[٢٣]،و (**إِلَهَ**)[٢٤] .

وَالْمَضْمُومَةُ نَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ : (**أُمِّ مُوسَى**)[٢٥] ، و (**أُمَّهاتُ**)[٢٦] ، و(**أُخْتٌ**)[٢٧] ، و (**أُذُنٌ**)[٢٨] ، و (**أُكُلٍ**)[٢٩] ، وَشِبْهِهِ .

أَلاَ تَرَى أَنَّهَا فَاءٌ مَنَ الفِعْلِ فِي سَائِرِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهَا تَثْبُتُ فِي التَّصْغِيرِ إِذَا قُلْتَ : أُمَيِّرٌ ، وأُخَيٌّ ، وأُبَيٌّ ، وأُصَيْرِي ، وأُذَيْنَةٌ ، وَشِبْهُهُ .

[بَابٌ][٣٠]

ذِكْرُ أَلِفِ القَطْعِ فِي الأَسْمَاءِ

أَلِفُ الْقَطْعِ فِي الأَسْمَاءِ تَعْرِفُهَا فِي الاسْمِ الْمُجَرَّدِ بِثُبُوتِهَا فِي التَّصْغِيرِ ، وبِزِيَادَتِهَا عَلَى فَاءِ الفِعْلِ وَعَيْنِهِ وَلاَمِهِ[٣١] ، وذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ :

---

(٢١) العنكبوت ١٧ .

(٢٢) الأحقاف ٢٨ .

(٢٣) يس ١٢ .

(٢٤) البقرة ١٣٣ .

(٢٥) القصص ١٠ .

(٢٦) النساء ٢٣ .

(٢٧) النساء ١٢ .

(٢٨) التوبة ٦١ .

(٢٩) سبأ ١٦ .

(٣٠) زيادة ليست في الأصل .

(٣١) ينظر : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ٢٠٤/١ .

(**أَحْسَنُ الخَالقِينَ**)[٣٢] ، و (**أَسْوَأَ الَّذي**)[٣٣] ، و (**ءَادَمَ**)[٣٤] ، و (**ءَازَرَ**)[٣٥] ، وَمَا كَانَ مثْلَهُ ، أَلاَ تَرَى أَنَّ وَزْنَ (آزَرَ ، و آدَمَ ، و أَحْسَنُ) : أَفْعَلُ ، وَأَنَّكَ تُـصَغِّرُ ذَلِكَ فَتَقُولُ: أُحَيْسِنٌ ، و أُوَيْدِمٌ، و أُوَيْزِرٌ [٣٦] ، وَشبْهُهُ ،فَتَجدُهَا قَدْ ثَبَتَتْ .

وَأَمَّا وُجُودُهَا في الأَسْمَاءِ الْمَجْمُوعَة فَإِنَّكَ تَعْرِفُهَا بزِيادَتِهَا ، وَبحُسْنِ دُخُـول الأَلفِ واللاَّمِ عَلَيْهَا[٣٧] ، وذَلكَ نَحْوُ قَوْله – عَزَّ وَجَلَّ : (**مُخْتَلفٌ أَلْوَانُهُ**)[٣٨] ، و(**مِـنْ أَنْفُـسِكُمْ**)[٣٩]، و(**أَنْعَـامٌ**)[٤٠] ، و(**أَصْـحَابُ**)[٤١]، و(**أَزْوَاجُ**)[٤٢] ، و(**بأَلْسنَة**)[٤٣] ، وشبْهِه ، أَلاَ تَرَى أَنَّ ذَلكَ عَلَى وَزْنِ : أَفْعَال ، وأَفْعُـلٍ ، وأَفْعلَـةٍ ، وَأَنَكَ تَقُولُ : الأَلْوَان ، والأَنْفُس ، و الأَنْعَام ،وَشِبْهُهُ، فَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلكَ .

---

(٣٢) المؤمنون ١٤ .

(٣٣) الزمر ٣٥ .

(٣٤) البقرة ٣١ .

(٣٥) الأنعام ٧٤ .

(٣٦) في الأصل : أزيد .

(٣٧) ينظر : ابن الأنباري : إيضاح الوقف ٢٠٥/١-٢٠٦ ،وفي الأصل (ويحسن دخول).

(٣٨) فاطر ٢٨ .

(٣٩) التوبة ١٢٨ .

(٤٠) الأنعام ١٣٨ .

(٤١) البقرة ٣٩ .

(٤٢) البقرة ٢٥

(٤٣) الأحزاب ١٩ ، وفي الأصل : ألسنة .

فَصْلٌ

فَأَمَّا الأَلِفُ مِنْ **(إِبَراهِيمَ)**[٤٤]، و**(إِسرائيل)**[٤٥]، و**(إِسْحَاقَ)**[٤٦] ، و**(إِسْمَاعِيلَ)**[٤٧] ، و (**إِدْرِيس**)[٤٨] ، و (**إِلْيَاس**)[٤٩] ، و (**أَيُّوبَ**)[٥٠] – عَلَيْهِمْ / ٤٧ ظ / أَفْضَلُ السَّلاَمُ – فَهِيَ أَلِفُ قَطْعٍ فِي الأَسْمَاءِ الأَعْجَمِيَّة[٥١]،وَأَلِفُ (أَرْض)[٥٢] أَلِفُ قَطْعٍ أَيْضاً ، وَلَمْ يُقْطَعْ بالأَصْلِ لَهَا لامْتِنَاعِ مَعْرِفة اشْتِقَاقِهَا[٥٣] .

وَقَالَ [بَعْضُ][٥٤] النَّحوِيِّينَ مِنَ[٥٥] الْبَصْرِيِّينَ : أَصْلِيَّةٌ فِي ذَلِكَ لِلُزُومِهَا[٥٦] .

---

(٤٤) البقرة ١٢٤ ، وورد في القرآن ٦٩ مرة .

(٤٥) البقرة ٤٧ ، وورد في القرآن ٤٣ مرة .

(٤٦) البقرة ١٣٣ ، وورد في القرآن ١٧ مرة .

(٤٧) البقرة ١٢٥ ، وورد في القرآن ١٢ مرة .

(٤٨) مريم ٥٦ ، والأنبياء ٨٥ .

(٤٩) الأنعام ٨٥ ، والصافات ١٢٣ .

(٥٠) النساء ١٦٣ ، وورد في القرآن ٤ مرات .

(٥١) ينظر : ابن الوراق : علل النحو ص ٣٧٧ .

(٥٢) كذا في الأصل، وجاء في لسان العرب (٣٧٩/٨-٣٨٣) : " تأرَّض فلان بالمكان ... يتأرض ... وأُرِضَتِ الخشبة تُؤرَض أرْضاً فهي مأروضة ... وأَرِضَتِ الأرض تَأرَض أرَضاً ... " ، وقد تكون الكلمة مصحفة ، لأن الألف في (أرض) فاء الكلمة ، فتكون ألف أصل لا ألف قطع .

(٥٣) يترجح عندي أن المؤلف يريد بالضمير في (اشتقاقها) الأسماء الأعجمية التي ذكرها ، ويمكن أن يستدل على ذلك بما قاله ابن خالويه في كتابه الألفات (١٣٦/٣) عنها .

(٥٤) زيادة ليست في الأصل .

(٥٥) في الأصل : عن .

(٥٦) في الأصل : لزومها .

وَأَمَّا أَلِفُ (**إبْلِيسَ**)[٥٧] فَهِيَ[٥٨] أَلِفُ قَطْعٍ، لأَنَّهُ مِنْ أَبْلَسَهُ اللهُ ، أَيْ آيسَهُ مِن رَحْمَتِه[٥٩]. وكذَلِكَ الأَلِفُ في قَوْلِهِ : (**مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**)[٦٠] أَلِفُ قَطْعٍ لِزِيادَتِهَا وَثُبُوتِها في التصْغِيرِ إذَا قُلْتَ : أُبَيْرِقٍ .

بَابٌ
أَلِفُ الاسْتِفْهامِ في الأَسْمَاءِ

وَأَلِفُ الاسْتِفْهَامِ تُعْرَفُ في الأَسْمَاءِ بِمِثْلِ[٦١] مَا تُعْرِفُ بِهِ في الأَفْعَالِ مِنْ مَجِيء (أَمْ) بَعْدَهَا ، وَبِحُسْنِ (هَلْ) في مَوْضِعِهَا ، و[هِيَ][٦٢] أَيْضاً مَفْتُوحَةٌ أَبَداً في الأَسْمَاءِ وَالأَفْعَالِ[٦٣].

فأمَّا مَجِيءُ (أَمْ) بَعْدَهَا فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ : (**قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ**)[٦٤] ، (**ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ**)[٦٥] ، و (**ءَاللهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ**)[٦٦] ، وَشِبْهِهَا ، تَدْخُلُ فِيه عَلَى أَلِفِ الْوَصْلِ الَّتِي مَعَهَا لامُ التَّعْرِيفِ ،

---

(٥٧) البقرة ٣٤ ، وورد في القرآن ١١ مرة .

(٥٨) في الأصل (في) .

(٥٩) ينظر : لسان العرب ٣٢٨/٧ بلس .

(٦٠) الرحمن ٥٤ . و(إستبرق) كلمة معربة ، واختلف اللغويون في همزتها ، فذهب بعضهم إلى أنها زائدة ، وذهب آخرون إلى أنها من أصل الكلمة (ينظر : ابن : منظور : لسان العرب ٢٨٥/٨).

(٦١) في الأصل : مثل .

(٦٢) زيادة ليست في الأصل .

(٦٣) ينظر :سيبويه: الكتاب ٩٩/١ ، وابن الأنباري : إيضاح الوقف ٢٠٦/١ .

(٦٤) الأنعام ١٤٣ .

(٦٥) يونس ٥٩ .

(٦٦) النمل ٥٩ .

فَتَمُدُّهَا مَعَهَا للتَّفْرِيقِ بَيْنَ الاسْتِفْهَامِ والْخَبَر، وَكَذلكَ مَا أَشْبَهَهُ(٦٧) .

و[أما] مَا حَسُنَ (هَلْ) في مَوْضِعِها فَنَحْوُ قَوْلِه – عَزَّ وَجَلَّ:(**أَرَاغِبٌ أَنْتَ**)(٦٨)، (**أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُوْن**)(٦٩) وَمَا كَانَ مِثْلَهُ .

فَاعْلَمْ ذَلِكَ ، فَهذِهِ عَشْرَةُ أَلِفاتٍ ، سِتٌ في الأَفْعَالِ ، وأَرْبَعَةٌ في الأَسْمَاءِ .

بَابٌ

أَلِفَاتُ الأَدَوَاتِ وَحُرُوفِ الْمَعَانِي وَغَيْرِهَا

اعْلَمْ أَنَّ الأَلِفَ في الأَدَوَاتِ وَالْمَعَانِي وأَسْمَاءِ(٧٠) / ٤٨ و / الإشَارَةِ أَصْلِيَّةٌ ، لامْتِنَاعِ سُقُوطِهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ تَكُونُ مَفْتُوحَةً وَمَكْسُورَةً ومَضْمُومَةً .

فَالأَدَوَاتُ نَحْوُ : إنَّ ، وإِنَّمَا ، وأَمَّا ، وإِمَّا ، وأَلاَ ، وإلاَّ ، وَشِبْهُهُ مِمَّا يَقَعُ(٧١) فِي افْتِتَاحِ الْكَلاَمِ ، [و] (٧٢) لاَ يَعْمَلُ فِيه عَامِلٌ .

وكَذَلكَ الأَلِفُ في قَوْلِه : (**ألمص**)(٧٣) ، (**ألر**)(٧٤) ، (**ألمر**)(٧٥) ، وشِبْهِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَاتِحِ .وكَذَلِكَ أَلِفُ: إِلَى، و أَوْ، وَأَمْ، وأَيْنَ، وأَيْنَمَا، وأَيَّانَ، وإِذْ، وإِذَا،

---

(٦٧) ينظر : الهروي : الأزهية ص٢٨ .

(٦٨) مريم ٤٦ .

(٦٩) يونس ٧٧ ، وفي الأصل (أفسحر) وهو في الطور ١٥ .

(٧٠) في الأصل : والأسماء .

(٧١) في الأصل : يقاع ، وهو تحريف .

(٧٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٧٣) في أول سورة الأعراف .

(٧٤) في أول سورة هود ويوسف وإبراهيم والحجر .

(٧٥) في أول سورة الرعد .

وشِبْهُ ذَلِكَ مِنْ حُرُوف[٧٦] الْمَعَانِي والأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مُتَمَكِّنَةٍ.

وَأَمَّا الْمَعَانِي[٧٧] فَنَحْوُ قَولِــهِ – عَــزَّ وجَــلَّ: (**أَنَــا**)[٧٨]، و (**أَنْــتَ**)[٧٩]، و(**أَنْتمَا**)[٨٠]، و(**أَنْتمْ**)[٨١]، وشِــبْهِ ذَلِــكَ مِـــــنَ الْمَرْفُــوعِ. و(**إِيَّــاكَ**)[٨٢]، و(**إِيَّاكُمْ**)[٨٣] وَشِبْهِهِ مِنَ المَكْنِيِّ المَنْصُوبِ .

وَأَمَّا أَســْمَاءُ الإشــَارَةِ فَنَحْــوُ : (**أولَئِكَ**) [٨٤] ، و (**أُولَئِكُمْ**)[٨٥] ، و (**أُولاَءِ**) [٨٦] وَشِبْهُ ذَلِكَ .

فَأَمَّا الأَلِفُ فِي الاسْمِ المُحَوَّلِ مِنَ الأَدَوَاتِ فَأَصْلِيةٌ أَيْضاً، وتَعْرِفُهَا بِــدُخُولِ[٨٧] الْعَامِلِ عَلَى الاســْمِ الذَّي هِيَ فِيهِ، وذَلِكَ نحْوُ قَوْلِــهِ – عَــزَّ وجَــلَّ: (إِنَّ)، و(إِنَّما)، و (أَنَّ) وَشِبْهُ ذَلِكَ[٨٨].

---

(٧٦) في الأصل : حرف.

(٧٧) الأمثلة التي أوردها المؤلف هنا من الضمائر، والمشهور استخدام مصطلح (المعاني) مــع الحــروف والأدوات.

(٧٨) الأعراف ١٨٨ .

(٧٩) مريم ٤٦ .

(٨٠) القصص ٣٥ .

(٨١) الأنبياء ٥٤ .

(٨٢) الفاتحة ٥ .

(٨٣) الممتحنة ١ .

(٨٤) البقرة ٥ .

(٨٥) النساء ٩١ .

(٨٦) آل عمران ١١٩ .

(٨٧) في الأصل : بدخل .

(٨٨) الأمثلة غير واضحة في الأصل، و لم يتضح لي المقصود بالاسم المحول من الأدوات الذي ذكــره المؤلف.

فَصْلٌ

وَكُلُّ أَلف دَخَلَتْ عَلَى حَرْفِ عَطْفٍ أَوْ حَرْفِ جَحْدٍ هِيَ أَلِفُ اسْتِفْهَامٍ ، وَمَعْنَاهَا التَّقْرِيرُ[٨٩] .

فَأَمَّا دُخُولُهَا عَلَى حَرْفِ عَطْفٍ فَنَحْوُ قَوْلِهِ – عَزَّ وجَلَّ : (**أَوَلاَ يَعْلَمُونَ**)[٩٠]، (**أَوَ كُلما**)[٩١] ، (**أَوَ لَمْ تَأْتِهِمْ**)[٩٢] ، و (**أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً**)[٩٣] ، (**أَوَ ءَابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ**)[٩٤] ، (**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**)[٩٥]، (أَفَتَطْمَعُونَ)[٩٦] ، (**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ**)[٩٧]، (**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ**)[٩٨] ، (**أَفَأَمِنْتُم**)[٩٩] ، (**أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ**)[١] ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ .

فَأَمَّا دُخُولُهَا عَلَى حَرْفِ جَحْدٍ فَنَحْوُ قَوْلِهِ : (**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله**) [٢] ، (**أَلَسْتُ**

---

(٨٩) ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم ص ٣١٥ .

(٩٠) البقرة ٧٧ .

(٩١) البقرة ١٠٠ .

(٩٢) طه ١٣٣ .

(٩٣) الأنعام ١٢٢ .

(٩٤) الصافات ١٧ .

(٩٥) البقرة ٧٦ .

(٩٦) البقرة ٧٥ .

(٩٧) يونس ٩٩ .

(٩٨) النحل ٤٥ .

(٩٩) الإسراء ٦٨ .

(١) يونس ٥١ .

(٢) البقرة ١٠٦ ، في الأصل (أنكم) .

بِرَبِّكُمْ)[٣] ، (**أَلَيْسَ لِي مُلْكَ مِصْرَ**) [٤]، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ .

فَاعْمَلْ / ٤٨ ظ / عَلَى ذَلِكَ ، وَعَلَى مَا ذَكَرْنَا ، وقِسْ[٥] عَلَيْهِ ، تُـصِبْ[٦] ، إنْ شَاءَ اللهُ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

تَمَّ **كِتَابُ الأَلِفَاتِ** ، بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِـهِ وسَلَّمَ[٧] .

۞ ۞ ۞

---

(٣) الأعراف ١٧٢ .

(٤) الزخرف ٥١ .

(٥) في الأصل : وقيس ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : تصيب ، وهو تحريف .

(٧) جاء في الأصل بعد انتهاء نص الكتاب مباشرة رواية عن فضل الألف على حروف المعجم ، رواها أبو عمرو الداني عن شيخه إبراهيم بن الخطاب الغساني ، وهي في كتابه المحكم في نقط المصاحف (ص٢٧) إلا أنه ورد باسم (اللمائي) مكان (الغساني) .

وأثبت الناسخ بعدها تاريخ النسخ على هذا النحو :

" وكان الفراغ منه يوم السبت في العاشر الأوسط لشهر ذي الحجة ، الذي من عام ثلاث وخمسين بعد ثمان مئة ، وصح على يدي كاتبه عبيد الله محمد بن محمد بن علي المقرئ ، كتبه لنفسه ، ثم لمن شاء الله من بعده ، فرحم الله كل من قرأه ، ومن سمعه ، ومن أصلح شيئاً به ، آمين آمين . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم " .

مصادر الدراسة والتحقيق

(١) **ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار)** :

أ : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ م .

ب : كتاب شرح الألفات ، تحقيق (أبو) محفوظ الكريم معصومي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٤ ، دمشق ١٩٥٩م .

(٢) **ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)** : كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦م .

(٣) **ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد)** :

أ : غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق برجشتراسر ، مكتبة الخانجي بمصر ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م .

ب: النشر في القراءات العشر ، صححه علي محمد الضباع ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (د . ت) .

(٤) **ابن جني (أبو الفتح عثمان)** : سر صناعة الإعراب ، ط١ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م .

(٥) **الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح)** : جذوة المقتبس ، ط١ ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

(٦) **أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي)** : ارتشاف الضرب ، ط١ ، تحقيق د . مصطفى أحمد النماس، القاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

(٧) **الحيدرة (علي بن سليمان اليمني)** : كشف المشكل في النحو ، ط١ ، تحقيق د. هادي عطية مطر ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

(٨) **ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد)** : كتاب الألفات ، تحقيق د . علي حسين التواب ، مجلة المورد ، المجلد الحادي عشر ، الأعداد : الأول والثاني والثالث ، بغداد ١٩٨٢ .

(٩) **الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد)** :

أ : التيسير في القراءات السبع ، تحقيق أُتو برتزل ، استانبول ١٩٣٠ .

ب: فهرس تصانيف الإمام أبي عمرو الداني ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

ج : المحكم في نقط المصاحف تحقيق د. عزة حسن ، ط٢ ، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م .

د: المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات، تحقيق محمد ابن مجقان الجزائري ، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

(١٠) **الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)** :

أ : تذكرة الحفاظ ، دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

ب: معرفة القراء الكبار ، ط١ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٩م .

(١١) **الرضي (محمد بن الحسن الاستزاباذي)** : شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي ، القاهرة .

(١٢) **الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)** : كتاب معاني الحروف ، تحقيق د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٣م .

(١٣) **الزركلي (خير الدين)** : الأعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

(١٤) **ابن السراج (محمد بن السري)**: كتاب الخط، تحقيق د. عبد الحسين محمد، مجلة المورد مج ٥ ع ٣ ، بغداد ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

(١٥) **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)**: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٧٥م .

(١٦) **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)** : همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ، ط١ ، صححه محمد بدر الدين النعساني ، مكتبة الخانجي بمصر ١٣٢٧هـ .

(١٧) **العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني)** : غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ، تحقيق أشرف محمد فؤاد طلعت ، ط١ ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ١٤١٤هـ .

(١٨) **ابن فارس (أبو الحسين أحمد)** : الصاحبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٧م .

(١٩) **كمال محمد بشر (دكتور)** : دراسات في علم اللغة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م .

(٢٠) **اللبيب (أبو بكر بن محمد بن عبد الغني)** : الدرة الصقلية في شرح العقلية ، مخطوط في مكتبة الأزهر برقم ٢٩٠ قراءات .

(٢١) **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)** : المقتضب ، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٢٢) **مكي بن أبي طالب القيسي** : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق محيي الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٢٣) **ابن منظور (محمد بن مكرم)** : لسان العرب ، طبعة بولاق ، القاهرة .

(٢٤) **ابن النديم (محمد بن إسحاق)** :الفهرست، تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٩٧١م .

(٢٥) **الهروي (علي بن محمد)** : كتاب الأزهية في علم الحروف ، تحقيق عبد المعين الملّوحي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .

(٢٦) **ياقوت بن عبد الله الحموي** : معجم الأدباء ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة .



كشاف
المقالات والبحوث القرآنية
في
المجلات السعودية المحكَّمة
خلال المدة (١٣٨٨ - ١٤٢٥هـ)

إعداد

د. خالد بن يوسف بن عمر الواصل

بتكليف من مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن للمجلات العلمية مكانة سامية في البحث العلمي، حيث شكلت مصدراً مهماً لعطاء العلماء والباحثين، ومجالاً رحباً لرصد المعلومات وتلاقح الأفكار، ووسيلة متجددة لنشر البحوث العلمية والدراسات المتخصصة.

ومنذ ظهرت المجلات في البلاد العربية، وهي تعج بآلاف من تلك البحوث والدراسات، ومع كثرتها وتعددها وتنوعها؛ إلا أن الوصول إلى تلك البحوث أصبح أمراً عسيراً على الباحثين، نظراً لقلة وجود أدلة وكشافات لكثير من تلك الدوريات ، فبقي أغلبها حبيس الأرفف في المكتبات العامة ، لا يعرف عما في باطنها من درر – خاصة المجلات المتوقفة – إلا القليل.

ومن هنا رأى **مركز الدراسات والمعلومات القرآنية** التابع لجمعية تحفيظ القرآن بجدة القيام بتكشيف تلك المجلات العلمية ورصد البحوث المتعلقة بالدراسات القرآنية، وتقديمها للباحثين .

ومن باب تعجيل الفائدة ،رأى المركز إصدار باكورة أعماله «**كشاف المقالات والبحوث القرآنية في المجلات السعودية المحكمة**» في هذه الصفحات على أن يخرج كشافاً عاماً يضم أشهر أوعية المعلومات خلال البرنامج الذي يسعى المركز لتنفيذه .

هذا وبعد الانتهاء من ترتيب هذا الكشاف صدر كشاف الدراسات القرآنية – قسم المقالات، للدكتور عبد الله الجيوسي الأستاذ بجامعة اليرموك بالأردن، والذي أصدره في نفس الحين، وهو كشاف حافل، اشتمل على عناوين المقالات القرآنية في أكثر من (٣٥٠٠) مجلة، لكن بعد فحصه وجدنا أنه فاته كثير من العناوين الواردة في

هذا الكشاف، كالعناوين ذات الأرقام (١، ٢، ٣، ٩، ١١، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٧، ٢٨).

كما أنه لم يُكشِّف جميع أعداد المجلات التي أوردها في فهرس المجلات المكشفة فيما يبدو، ولم ينص على ذلك أيضاً وهو أمر مهم، ولذلك حرصنا على بيانه في هذا الكشاف. مع تقديرنا للجهد الكبير والتغطية الواسعة في كشاف الدكتور الجيوسي ، لعلمنا بالصعوبات والمشكلات التي يعانيها من يتصدى لمثل هذا الأعمال...

وقبل الشروع في سرد تلك البحوث والمقالات لا بد من بيان أمور مهمة بين يدي هذا الكشاف وذلك عبر النقاط التالية :

أولاً / حدود الكشاف : وضعنا **أربعة نطاقات** للتضمين في هذا الكشاف .

أ- النطاق الموضوعي : وهو أن يكون البحث أو المقال ذا صلة بالقرآن الكريم .

ب- النطاق المكاني : وهو أن تكون البحوث والمقالات منشورة في مجلات صادرة في المملكة العربية السعودية.

ج _ النطاق الزماني : وهو أن تكون البحوث والمقالات قد نشرت في المدة من بداية عام ١٣٨٨هـ - وهو تاريخ أقدم مجلة تحقق فيها شرط الكشاف التالي ذكره وهي مجلة الجامعة الإسلامية- إلى نهاية عام ١٤٢٥هـ .

د - النطاق النوعي : اقتصر الكشاف على المجلات العلمية المحكَّمة ، وهي التي تُقوِّم البحوث المقدمة إليها بواسطة متخصصين قبل نشرها، وذلك من خلال إبراز نقاط القوة والضعف فيها ، وتحديد مدى صلاحيتها للنشر، وبما أن التحكيم لم يظهر في كثير من المجلات إلا بعد صدور أعداد منها فقد رأينا إلحاق تلك الأعداد الصادرة قبل مرحلة التحكيم حتى لا ينقطع تسلسل أعداد تلك المجلات ، وبالتالي انعدام الاستفادة منها ، ولا سيما مع وجود بحوث فيها ذات مادة رصينة ؛ بأقلام علماء وباحثين أفذاذ .

هذا بالإضافة إلى **النطاق الشكلي** وهو الاقتصار على المجلة المطبوعة فقط دون أشكال الأوعية الأخرى ،كذلك **النطاق اللغوي** بالاقتصار على ما صدر باللغة العربية فقط .

ثانياً / منهجية البحث ومصادر تجميع المادة العلمية :

تم استخدام منهج البحث المكتبي **وذلك بالاطلاع المباشر الفاحص على أعداد تلك المجلات** ؛ لكونه أدق في نقل المعلومات الببليوجرافية كاملة ، بخلاف الاعتماد على الأدلة والكشافات التي يحتمل ورود الأخطاء فيها كثيراً ، خصوصاً في عنوان البحث الذي كثيراً ما يختصر في فهرس المجلة أو في تلك الكشافات ، وبالتالي صعوبة التعرف على موضوع البحث من خلال ذلك العنوان المختزل ومن ثم تصنيفه ، مع ملاحظة وتقدير فارق الجهد المبذول في كل من الطريقتين.

وتتمثل الخطوات الإجرائية التي سرنا عليها في إنجاز هذا العمل في النقاط التالية:

١- القيام بمسح شامل للمجلات العلمية التي تصدر في المملكة سواء المتخصص منها في العلوم الشرعية أو غير المتخصص من العلوم الإنسانية الأخرى .

٢- مراجعة تلك المجلات واستبعاد ما لا يخضع للتحكيم العلمي .

٣- رصد المقالات والبحوث المتعلقة بالقرآن وعلومه في بطاقات خاصة بمعلوماتها الببليوجرافية ، وذلك من خلال ظاهر العنوان مع الاستقراء السريع للبحث أحياناً عند الشك في تعلق الموضوع بشرطنا.

٤- رصد المعلومات المتعلقة بتلك الدوريات من حيث جهة إصدارها وبداية صدورها ومدة دورة الصدور وبيان الأعداد التي تم تكشيفها، وما لم يتم في حالة عدم الوقوف على بعض الأعداد ، مع ذكر آخر عدد صادر من المجلة وكونها مستمرة أو متوقفة .

ثالثاً / طريقة تصنيف الموضوعات، وترتيب المعلومات البيليوجرافية:

من أكبر الصعوبات التي واجهتنا في هذا التكشيف هو اختيار الطريقة المناسبة في تصنيف عناوينه حسب موضوعاتها ؛ لاختلاف تصانيف علوم القرآن الموجودة وقصورها ، وقد وقع اختيارنا على تصنيف علوم القرآن في مكنز الفيصل الصادر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ؛ لكن وجدنا أن بعض علوم القرآن لم تذكر فيه ؛ لذلك اجتهدنا ووضعنا تلك العلوم ضمن ما يناسبها من الموضوعات المصنفة في المكنز مثل : مشكل القرآن ، الوجوه والنظائر . ووضعنا أمامها علامة (*) للتنبيه على ذلك.

وقد يلاحظ البعض أن بعض تلك المقالات والبحوث يناسبها موضوع آخر غير الموضوع الذي اخترناه، فنقول أن صنيعنا من باب الاجتهاد، وهو قابل للأخذ والرد، وربما ناسب وضع مبحث بين موضوعين- وربما أكثر- كما هو معلوم ، ولا مشاحة في الاصطلاح، والمقصود أولاً وأخيراً من هذا هو تقريب المعلومة للقارئ الكريم وليس التجديد والاستدراك في التصنيف ، وبالله التوفيق .

كما أننا ربما استحدثنا بعض التسميات أو أفردنا بعض الموضوعات التي تندرج تحت بعض العلوم المصنفة؛ لأهميتها ولكثرة ما ورد فيها من مقالات؛ مما يدل على اهتمام الباحثين بها في هذا العصر، وذلك مثل موضوعات القرآن العقدية، والدعوة في القرآن، مع أنها من التفسير الموضوعي كما هو معلوم.

ثم إن هذا التصنيف مبدئي ، وعند اكتمال المشروع سوف يكون أدق وأشمل بإذن الله تعالى .

وقد كان تصنيف علوم القرآن في مكنز الفيصل في عشر موضوعات كبرى وُضع تحت كل موضوع منها فروع أخرى ؛ اخترنا منها ما وُجِد فيه مقالات لدينا، وأضفنا ما لم نجد فيه من الموضوعات التي تتضمن مقالات أخرى لدينا، ومن هنا جاء تصنيفنا على النحو التالي :

أولاً / تاريخ القرآن :

١- الوحي. ٢- جمع القرآن. ٣- رسم القرآن .

٤- أسماء سور القرآن . ٥- فواصل القرآن (*).

٦- فضائل القرآن وسوره. ٧- المصاحف. ٨- ترجمة القرآن .

ثانياً / نزول القرآن :

١- أسباب النزول . ٢- الأحرف السبعة .

ثالثاً / ألفاظ القرآن :

١- لغات القرآن. ٢- غريب القرآن. ٣- إعراب القرآن.

٤- مبهمات القرآن ٥- فهارس القرآن.

رابعاً / معاني القرآن :

١- العام والخاص. ٢- المحكم والمتشابه. ٣- النسخ في القرآن.

٤- الوجوه والنظائر (*). ٥- مشكل القرآن(*).

خامساً / بلاغة القرآن .

سادساً / القراءات والقراء .

سابعاً / التجــويد .

ثامــناً / التفسير .

١- أصول التفسير. ٢- مناهج المفسرين. ٣- تفسير آيات معينة(*)

٤- تفسير سور معينة (*) ٥- التفسير الموضوعي ٦- التفســير اللغوي .

٧- أحكام القرآن الفقهية (*). ٨- موضوعات القرآن العقدية (*).

تاسعاً / أعلام الدراسات القرآنية .

عاشراً / مباحث قرآنية :

١- آداب تلاوة القرآن وحفظه وتعلمه(*). ٢- إعجاز القرآن.

٣- قصص القرآن . ٤- أمثال القرآن.

٥ – جدل القرآن.
٦ – أقسام القرآن .
٧ – خصائص القرآن(*)
٨ – المناسبات(*)
٩ – نقض شبهات حول القرآن(*).
١٠– الدعوة في القرآن.(*)
١١– مباحث متنوعة .(*)
١٢- ببليوجرافيا قرآنية (*).

وقد رتبت مداخل المقالات والبحوث هجائياً تحت تلك الموضوعات، كما رقمت تلك المقالات والبحوث بأرقام متسلسلة، وأُلحق بآخر الكشاف فهرس رتبت فيه تلك الموضوعات هجائياً مع أرقام المقالات المندرجة تحت كل منها .
كما أُلحق بالكشاف فهرس لأسماء كُتَّاب المقالات والبحوث، وفهرس للنصوص التراثية المحققة.

أما الطريقة المعتمدة في ترتيب المعلومات الببليوجرافية للبحث أو المقال فهي كالتالي :

عنوان المقال.اسم الكاتب._ اسم المجلة التي نشر فيها المقال._ رقم المجلد، رقم العدد أو الجزء (التاريخ)._ الصفحة الأولى من المقال _ الصفحة الأخيرة .

وقد حاولنا الاختصار بالترميز لبعض المصطلحات كالتالي: مج = مجلد
ع= عدد ، ج = جزء ، هـ = هجرية ، م = ميلادية ، ص = الصفحة ، ت = توفي .

رابعاً / المجلات التي تم تكشيفها :

بلغت المجلات العلمية السعودية التي تم تكشيفها (٤٢) مجلة ما بين مستمرة ومتوقفة ، وهذه إحصائية لتلك المجلات مع أهم معلوماتها الببليوجرافية التي نحسب أنها تهم الباحثين:

أولاً / المجلات المستمرة

م	اسم المجلة	جهة النشر	بداية الصدور	الأعداد التي لم تكشف
١	مجلة الجامعة الإسلامية	الجامعة الإسلامية بالمدينة	١٣٨٨هـ	لا يوجد
٢	مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض	رجب ١٤٠٩هـ	لا يوجد
٣	مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها	جامعة أم القرى بمكة	١٤٠٩هـ	لا يوجد
٤	مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية	جامعة أم القرى	١٤١٩هـ	مج١٥ ع٢،مج ١٦ ع٢
٥	مجلة جامعة الملك سعود:العلوم التربوية والدراسات الإسلامية	جامعة الملك سعود بالرياض إدارة النشر العلمي	١٤٠٩هـ	لا يوجد
٦	مجلة جامعة الملك سعود:كلية الآداب	جامعة الملك سعود بالرياض إدارة النشر العلمي	١٤٠٩هـ	لا يوجد
٧	مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية	جامعة الملك عبد العزيز بجدة مركز النشر العلمي	١٤٠٨هـ	لا يوجد
٨	مجلة جامعة الملك عبد العزيز العلوم التربوية	جامعة الملك عبد العزيز فرع المدينة مركز النشر العلمي	١٤٠٨هـ	١١ـــ١٢
٩	المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)	جامعة الملك فيصل بالأحساء المجلس العلمي	١٤١٩هـ	مج١ ع٢،مج٢ ع ٢،مج٣ ع٢، مج٥ ع١،٢
١٠	مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والإنسانية	جامعة الملك خالد بأبها	١٤٢٤هـ	٤
١١	البحوث الإسلامية	الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض	رمضان ١٣٩٥هـ	لا يوجد
١٢	البحوث الفقهية المعاصرة	الناشر : عبد الرحمن بن حسن النفيسة	١٤٠٩هـ	لا يوجد

١٣	مجلة كليات المعلمين	وكالة وزارة التربية والتعليم لكليات المعلمين	١٤٢٢هـ	لا يوجد
١٤	مجلة المجمع الفقهي الإسلامي	المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي	١٤٠٨هـ	١٢
١٥	مجلة الدراسات اللغوية	مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض	١٤٢٠هـ	لا يوجد
١٦	مجلة العدل	وزارة العدل	١٤٢٠هـ	لا يوجد
١٧	مجلة التوعية الإسلامية	وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف	؟	؟
١٨	دراسات إسلامية	مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالرياض التابع لوزارة الشؤون الإسلامية	١٤١٨هـ	١، ما بعد ٥
١٩	مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة	مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة	١٤٢٣هـ	لا يوجد
٢٠	مجلة الدارة	دارة الملك عبد العزيز بالرياض	١٣٩٥هـ	لا يوجد
٢١	مجلة الدرعية	أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الرياض	١٤١٩هـ	لا يوجد
٢٢	عالم الكتب	دار ثقيف للنشر والتأليف بالرياض	١٤٠٠هـ	لا يوجد
٢٣	عالم المخطوطات والنوادر	دار ثقيف	١٤١٧هـ	مج٨ع٢،مج٩ ع٢١
٢٤	مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية	مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض	١٤١٦هـ	مج١ ع١،مج٥ ع ٢
٢٥	مجلة البحوث الأمنية	مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض	١٤١٠هـ	لا يوجد

٢٦	رسالة التربية وعلم النفس	الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية بالرياض	١٤١٠هـ	٧-١١
٢٧	دراسات اقتصادية إسلامية	المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية	١٤١٤هـ	مج٤ ع١،مج٨ ع ٢،مج٩ ع١،٢، مج١٠ ع١،مج ١١ ع١،٢
٢٨	العقيق	نادي المدينة المنورة الأدبي	١٤١٢هـ	جميعها ما عدا ١، ٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨

ثانياً / المجلات المتوقفة

م	اسم المجلة	جهة النشر	بداية الصدور	الأعداد التي لم تكشف
٢٩	أضواء الشريعة	كلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام	١٣٨٩-١٣٩٠هـ	لا يوجد
٣٠	مجلة كلية أصول الدين	كلية أصول الدين بجامعة الإمام	١٣٩٧-١٣٩٨هـ	لا يوجد
٣١	مجلة كلية اللغة العربية	كلية اللغة العربية بجامعة الإمام	١٣٩١هـ	لا يوجد
٣٢	مجلة كلية العلوم الاجتماعية	كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام	١٣٩٧هـ	لا يوجد
٣٣	هذه سبيلي	المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام بالرياض	١٣٩٨هـ	لا يوجد
٣٤	مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم	جامعة الإمام محمد بن سعود كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم	١٣٩٩هـ	لا يوجد

٣٥	مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب	جامعة الإمام محمد بن سعود كلية الشريعة وأصول الدين بأبها	١٣٩٨-١٣٩٩هـ	لا يوجد
٣٦	مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء	جامعة الإمام محمد بن سعود كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (الأحساء)	١٤٠١هـ	لا يوجد
٣٧	مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية	كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة	١٤٠٢-١٤٠٣هـ	لا يوجد
٣٨	مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (بمكة)	كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز سابقاً	١٣٩٣-١٣٩٤هـ	لا يوجد
٣٩	مجلة كلية اللغة العربية	جامعة أم القرى بمكة	١٤٠١-١٤٠٢هـ	٣
٤٠	مجلة كلية الدعوة وأصول الدين	جامعة أم القرى	١٤٠٢-١٤٠٣هـ	لا يوجد
٤١	مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي	مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي التابع لكلية الشريعة بمكة	١٣٩٨هـ	لا يوجد
٤٢	مجلة كلية الآداب	جامعة الرياض (الملك سعود لاحقاً)	١٣٩٠-١٣٩١هـ	لا يوجد

وختاماً فلا شك أن هذا العمل جهد بشري يعتريه النقص والتقصير والزلل، فلا تبخل علينا أيها القارئ الكريم بملحوظاتك ومقترحاتك، ويمكنك المراسلة على العنوان التالي : **drasat١@gmail.com**

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د. خالد بن يوسف الواصل

الباحث بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية

أولاً /تاريخ القرآن

١- الوحـــي:

١- حول الوحي:محاولة لفهم ومدرجة إلى درس.عبد الفتاح إبراهيم سلامة .ــ مجلة الجامعة الإسلامية.ــع ٤٥ (محرم ــ ربيع الأول ١٤٠٠هـ) ــص ٣١ــ٥٠.

٢- كتاب الوحي لأحمد عبد الــرحمن عيسى (عرض)توفيق علي وهبة. ــ عالم الكتب . ــ مــج ٤ ، ع ٢ (شــوال ١٤٠٣هــ / يوليو ١٩٨٣م)ص ٢٤٩ ــ ٢٥٥ .

٢- جمع القرآن .

٣- دفع شبهة حول جمع القرآن .محمد الشاذلي النيفر . ــ مجلة المجمع الفقهــي الإسلامي.ــع٤(١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).ــ ص ٤٥ ــ ٤٩ .

٤- القرآن الكريم: جمعه وتدوينه.عبد الحميد أبو المكارم.ــ مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب .ــع٢(رجــب ١٤٠١هـ). ــ ص ٩٥ ــ ١١٩ .

٥- القرآن الكريم : جمعه وترتيبه. محمد حجاج . ــ مجلة كليــة اللغــة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالريــاض).ــع٢(١٣٩٢هـ).ــص١٢٤ ــ ١٥٨.

٦- القرآن الكــريم:جمعــه وتــواتره .حسين مطاوع الترتوري . ــ الدارة . ــ س١٤ ، ع٣ (ربيع الثاني ــ جمادى الثاني ١٤٠٩هــ/ نوفمبر ١٩٨٩م) . ــ ص ٧ ــ ٢١ .

٣- رسم القرآن :

٧- تتعين كتابة المصحف على الرســم العثماني.عبد الفتاح القاضي . ــ مجلــة الجامعة الإسلامية . ــ س٨ ،ع٤ (ربيع أول ١٣٩٦هــ/ مارس ١٩٧٦م). ــ ص١٥ــ ٢١ .

٨- التوجيه السديد في رسم القــرآن المجيد وضبط بلاغته.أحمد بــن أحمــد شرشــــال . ــ البحـــوث الفقهيـــة المعاصرة.ــع٤٧(ربيع الآخر ــ جمادى الآخر١٤٢١هـ ــ أغــسطس٢٠٠٠م) .ــص٣٨ ــ ٩٥.

٩- حكم تغيير رسم المصحف العثماني .(فتوى) المجمع الفقهــي الإســلامي برابطة العالم الإسلامي.ــمجلة البحــوث الإســلامية .ــع٣٣(ربيــع الأول ــ

جمادى الثاني ١٤١٢هـ).ـص ٣٢٩ ــ ٣٣٢ .

١٠- **الرسم العثماني**.عبد العزيز عبد الفتاح قارئ . ـ مجلة كلية اللغة العربية (تصدرها الرئاسة العامة للكليات والمعاهد بالرياض) . ـ ع٤ (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م).ـ ص ٢٥-٣٣.

١١- **رسم المصحف بين التحرز والتحرر**.زيد عمر مصطفى . ـ الدارة . ـ س٢٠ ، ع٣ (ربيع الآخر ــ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ) . ـ ص٧١ ــ١٢٦.

١٢- **كتابة القرآن الكريم بخط برايل للمكفوفين**.عبد الله محمد المطلق.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٦٦(الربيعان والجمادان ١٤٢٣هـ).ـص٣٣٧ـ٣٦٢ .

١٣- **كتابة القرآن الكريم بنظام برايل للمكفوفين**.عبد الله بن عبد الواحد الخميس . ـ البحوث الفقهية المعاصرة . ـع٦٠(رجب ــ رمضان ١٤٢٤هـ / سبتمبر ٢٠٠٣م).ـص ١٢٨ ــ ١٧٣.

١٤- **كتابة المصحف بالأحرف اللاتينية** .اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع١٠(رجب ـشـوال ١٤٠٤هـ).ـ ص١١ـ٦٠.

١٥- **كتابة المصحف**.اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.ـمجلة البحوث الإسلامية .ـع٦(ربيع الثاني ـجمادى الثاني١٤٠٢ هـ).ـص ١١ ــ ٥٠ .

٤- سور القرآن.

١٦- **التنزيل وترتيبه لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ)**.(دراسة وتحقيق)نورة بنت عبد الله الورثان.ـمجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية.ـمـج١٤، ع٢(١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م).ـص٦٠٧-٦٧٤.

١٧- **المختصر في أسماء السور** .إبراهيم بن سليمان آل هويمل .ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع٣٠(١٤٢١هـ).ـ ص١٣١- ٢٢٦.

١٨- **هيكل السورة القرآنية**.عادل رشاد الغنيمي.ـ هذه سبيلي.ـع ٣ (١٤٠٠-١٤٠١هـ/١٩٨٠- ١٩٨١م) .ـص٢٩٧ ــ ٣٠٥.

٥- فواصل القرآن

١٩- **أسلوب السجع وموقف الباقلاني من السجع في القرآن ، دراسة نظرية**

تحليلية ورؤية نقدية. أحمد محمد المعتوق.ـالدارة.ـس١٩، ع٢(محرم-ربيع أول١٤١٤هـ).ـص١٠٥ ـ ١٦١.

٢٠- اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة:حصرها،معانيها مناسبتها.سليمان بن قاسم العيد.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع٣٤(ربيع الآخر١٤٢٢ه).ـ ص ١٣ ـ ٦٦.

٢١- الحكمة في تذييل آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.حسين بن محمد شريف هاشم.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٦٤(رجب-شوال١٤٢٢ هـ).ـص٢٩٧ ـ ٣٥٣.

٢٢- الفاصلة في القرآن الكريم.عبد الفتاح لاشين.ـالدارة.ـس٧، ع١(شوال ١٤٠١ ه/أغسطس١٩٨١م).ـص٨٠ ـ ١٠٥.

٢٣- فواصل القرآن الكريم.عبد الفتاح القاضي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـس ٩، ع٣(ذو الحجة١٣٩٦/ ديسمبر ١٩٧٦م).ـ ص٣ ـ ٦.

٢٤- مكانة الفواصل من الإعجاز العلمي في القرآن.محمد رجاء حنفي عبد المتجلي .ـالدارة.ـس١٥، ع٣ (ربيع الآخر-جمادى الآخرة ١٤١٠ ه).ـص٧ ـ٢١.

٢٥- مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقاها بآياها. محجوب الحسن محمد.ـمجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع١٨ (ذو القعدة ١٤١٧ه) .ـص٧١ ـ ١٢٣.

٦- فضائل القرآن وسوره.

٢٦- أحاديث القراءة الواردة في صلاتي المغرب والعشاء.(جمعاً ودراسةً) .إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع ١٢٧ (١٤٢٥ه) .ـص ٢٨٩-٣٧٣.

٢٧- مخطوط[كتاب فضائل القرآن] للشيخ محمد بن عبد الوهاب.(تحقيق) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي . ع٤٨ (ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤١٧ه) .ـص١٩٣ ـ ٢٥٢.

٢٨- مع القرآن العظيم:فضله وآثاره في العالم.السيد حسين الصباح.ـمجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب.ـ ع٣(١٤٠٣-١٤٠٤هـ).ـص٩-٤٤.

٧- المصــاحف :

٢٩- تاريخ طباعة القــرآن الكــريم بالعربية في أوروبا في القرنين الــسادس عشر والسابع عشر المــيلاديين.يحيى محمــود ســاعاتي.ــ عــالم الكتــب . ــمــج١٥،ع ٥ (الربيعــان ١٤١٥هـ/ سبتمبر ـــ أكتــوبر ١٩٩٤م) . ــ ص ٥١٦ ـــ ٥٢٥ .

٣٠- تحلية المصاحف وكتب العلـــم وآلاتها.صالح بن محمد بن رشيد.ــمجلــة البحوث الإسلامية . ــ ع٦٨ (محرم ـــ صفر ١٤٢٤هـ) . ــ ص٣١٣ ـــ ٣٢٤.

٣١- تقرير حول تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته وعناية المملكة بطبعه ونشره.محمد سالم العوفي.ــمجلة بحــوث ودراسات المدينة المنورة.ــع١(١٤٢٣هـ) .ــ ص ١١٧ ـــ ١٣٠.

٣٢- دراسة فنية لمــصحف مبكــر . رسالة ماجستير لعبد الله بــن محمــد المنيف.(عرض) قسم الرسائل الجامعية بالمجلة . ــ عالم الكتب.ــمج١٩ ، ع٣ (ذو القعدة ذو الحجة ١٤١٨هـ) . ــ ص ٢٦٥ ـــ ٢٦٧. **٣٣- دور كليـــة القرآن الكريم في مراجعة المــصاحف.** (إعداد) قسم القراءات بالجامعة الإسلامية . ــ ع٦٧ ، ٦٨ (رجب ـــ ذو الحجة ١٤٠٥هـ) . ــ ص١٨٩ ـــ ١٩٧.

٣٤- مخطوطة قديمة وأصلية للمصحف الشريف.نصر الدين محمد صالح فرفور . ــ عالم المخطوطات والنوادر . ــ مج٥ ، ع٢ (رجـــب- ذو الحجـــة١٤٢١هـ/ أكتوبر٢٠٠٠/ مـــارس ٢٠٠١م) . ــ ص ٤٤٧ ـــ ٤٧٦ .

٣٥- المصاحف المنسوخة في القــرن الحادي عشر الهجري بمكتبة المــصحف الشريف في مكتبة الملك عبد العزيــز بالمدينة المنورة .عبد الرحمن بن سليمان المزيني . ــ مجلة مكتبــة الملــك فهــد الوطنيــة.ــمــج٧ ،ع٢(رجـــب-ذو الحجــــة١٤٢٢هـ/ ســــبتمبر٢٠٠١- مارس٢٠٠٢م). ــ ص ٤٧ ـــ ٩٦ .

٣٦- المصحف الكوفي ، كتابة الخطاط الشيخ محمد المرسي.إعداد وإشـــراف : قسم القراءات بالكلية . ــ مجلة القـــرآن الكريم والدراسات الإســـلامية بالمدينـــة المنورة . ــ ع١ (١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ) . ــ ص ٣٢٣ ـــ ٣٦٢ .

٨- ترجمة القرآن.

٣٧- أبحاث وتوصيات ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم التي عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في الفترة ١٠ ــ ١٢/ ٢/ ١٤٢٣هـ. مجموعة من الباحثين.ــ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ــع ٢٥ ،ج٢(شوال ١٤٢٣ه/ديسمبر ٢٠٠٢م) .ــ ص ١٠٦٥ ــ ١٠٧٦ .

٣٨- انتشار ترجمات معاني القرآن الكريم في مشرق العالم ومغربه. السيد أحمد أبو الفضل عوض الله.ــ مجلة البحوث الإسلامية.ــع٣٠(ربيع الأول ــ جمادى الثاني١٤١١ه).ــص٢٥٧ــ ٢٦٨ .

٣٩- تراجم القرآن الأجنبية في الميزان. محمد أحمد أبو فراخ.ــمجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ــ[ع٤(١٤٠٢ــ ١٤٠٣). ــص ٣٥ ــ١٣٠] + [ع٥ (١٤٠٣- ١٤٠٤ه).ــص٥٩-١٣١].

٤٠- ترجمة الصيغة الزمنية في القرآن الكريم إلى الفرنسية. عبد الجبار توامي.ــ مجلة الدراسات اللغوية.ــمج٦، ع٣ (رجب ــ رمضان١٤٢٥ه).ــص٧- ٢٨.

٤١- ترجمة القرآن. أحمد علي عبد الله.ــمجلة الجامعة الإسلامية.ــع ٦٠ (شوال ــذو الحجة ١٤٠٣ه) .ــ ص ٨٣ ــ ١٠٤.

٤٢- ترجمة القرآن. محمد بن محمد الأنصاري .ــمجلة الجامعة الإسلامية.ــ س٨، ع١ (جمادى الآخرة ١٣٩٥ه/ يونيو ١٩٧٥م).ــ ص١١٥ــ ١٢٠.

٤٣- ترجمة القرآن الكريم بين واقعنا المعاش ومستقبلنا المنشود. عبد العزيز محمد عثمان.ــمجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة. ــ ع١ (١٤٠٢هــ ــ١٤٠٣هــ).ــ ص ١٦٣ ــ ٢٠٦ .

٤٤- ترجمة معاني القرآن الكريم بين التأييد والتحريم. السيد أحمد أبو الفضل عوض الله.ــمجلة البحوث الإسلامية.ــع ١٢ (ربيع الأول ــجمادى الثاني ١٤٠٥ه) .ــص ٣٠٥ ــ٣١٤.

٤٥- حول الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم. أحمد السيد الحسيسي.مجلة البحوث الإسلامية.ــع٤٠ (رجب- شوال١٤١٤هــ).ــص٢٨١-٢٩٨.

٤٦- حول ترجمة القرآن بالإنجليزيـــة. حسنين محمد مخلوف._مجلـــة الجامعـــة الإسلامية.ــ س٧، ع٣ (محرم١٣٩٥هـ) .ـص٩٠- ٩٥.

٤٧- مدى إمكانية ترجمة القرآن. محمد فـــاروق النبـــهان._مجلـــة البحـــوث الإسلامية.ــع١٠(رجـــب- شـــوال ١٤٠٤هـ).ــ ص ٣٢٧ ـــ ٣٣٤.

٤٨- نقد ترجمة القرآن إلى الفرنسية في ضوء المنهج الـــسياقي.عبـــد الجبـــار توامي._مجلة الدراسات اللغوية.ـمج٥ ، ع١(محرم ــ ربيع الأول١٤٢٤هـ).ــ ص ٢٥٥ ـــ ٣٠٨ .

٤٩- نماذج مختارة للإشكالية البلاغية في ترجمات معاني القرآن الكريم.مساعد بن عبد الرحمن الجخيدب وسعد أحمـــد حسن._مجلة جامعة الإمام محمـــد بـــن سعود الإسلامية.ــع٤٥(محرم١٤٢٥هـ) .ـص٥١٥ ـــ ٥٥٤ .

ثانياً / نزول القرآن

١- أسباب النزول :

٥٠- أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم.عبـــد الله بـــن إبـــراهيم الوهيبي ـمجلة البحـــوث الإســـلامية.ــ ع٣٨ (ذو القعـــدة ١٤١٣هـ_صـــفر ١٤١٤هـ).ـص١٧٧ــ ٢٠٠ .

٥١- مناقشة قصة الغرانيـــق عنـــد المفسرين .عبد الله بن إبراهيم الوهيبي.ــ مجلة كلية أصول الدين (جامعة الإمـــام محمد بن سعود الإسلامية بالريـــاض).ــ ع٥(١٤٠٣- ١٤٠٤هـ).ـص١١-٣٤.

٢- الأحرف السبعة :

٥٢- الأحرف السبعة.عبـــد الكـــريم بكار.ــ مجلة كلية الشريعة واللغة العربية بالقـــصيم .ــع١(١٣٩٩هـ).ـص٤٠٥ ـــ ٤١٧.

٥٣- حديث الأحـــرف الـــسبعة : دراسة لإسناده ومتنه وآراء العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية.عبـــد العزيز عبد الفتاح القارئ . ــ مجلة كلية القرآن الكريم والدراســـات الإســـلامية بالمدينـــة المنـــورة . ــ ع١(١٤٠٢ــ ١٤٠٣هـ). ــ ص٢٧ ـــ ١٤٤ .

٥٤- القـــرآن والأحـــرف الـــسبعة. شوكت عليان . ــ الـــدارة . ــ س٥ ،

ع١ (ربيع الثاني ١٣٩٩هـ / مارس ١٩٧٩م). ـ ص ٣٠٩ ـ ٣٣٢.

ثالثاً /ألفاظ القرآن

١- لغات القرآن :

٥٥- كلمة "قرآن" عربية أصلا واشتقاقا ومعنى .رابح لطفي جمعة. ـالدارة. ـس٩ ، ع٤(رجب ١٤٠٤هـ/ أبريل ١٩٨٤). ـص١٦٢-١٦٧.

٥٦- ما ورد في القرآن من غير لغة قريش. عبد الرحمن محمد إسماعيل. ـبحوث كلية اللغة العربية(جامعة أم القرى).ـع١(١٤٠١ـ١٤٠٢هـ).ـص ٩٧ ـ ١٠٨ .

٥٧- ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. محمد تقي الدين الهلالي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـس٣، ع٤(محرم ١٣٩١هـ / مارس١٩٧١م). ـ ص ٢٠ ـ ٣٥ .

٥٨- المعرّب في القرآن الكريم. صالح بن علي السنيدي. ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض).ـع١١ (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .ـص٥٠١-٥٧٩.

٥٩- نقاء القرآن من الكلام الأعجمي. حسن ضياء الدين العتر. ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـع٢(١٣٩٦-١٣٩٧هـ).ـ ص ١٩٥ـ ٢٠٦ .

٦٠- هل توجد في القرآن كلمات معربة؟ محمد تقي الدين الهلالي. ـمجلة البحوث الإسلامية. ـ ع٨(ذو القعدة ١٤٠٣-صفر١٤٠٤هـ).ـص٢٠٦- ٢٢٢ .

٦١- هل في القرآن من غير لسان العرب. محمد بن محمد الأنصاري. ـمجلة الجامعة الإسلامية. ـ س٦ ، ع١(رجب ١٣٩٣ هـ/أغسطس١٩٧٣م).ـص٨٠ ـ ٨٨.

٢- غريب القرآن

٦٢- أبو عبيدة والتفكير البلاغي في كتاب(مجاز القرآن)رسالة ماجستير لسميرة بسيوني. (عرض) محرر قسم الرسائل الجامعية بالمجلة. ـ عالم الكتب . ـ مج١٠، ع١(رجب ١٤٠٩هـ). ـ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

٦٣- التنبيه على خطأ "الغريبين" للحافظ أبي الفضل بن ناصر

السلامي.محمود محمد الطناحي. ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي. ـع٣ (١٤٠٠هـ).ـص٤١٩ ـ ٤٢٧ .

٦٤- التنبيهات على التأويلات في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني. محمد بن عبد الرحمن الخميس. ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود. ـع ٢٢ (ربيع آخر١٤١٩هـ).ـص١٣ـ ٤٢ .

٦٥- غرائب التفسير في كتاب مفردات ألفاظ القرآن.شايع بن عبده الأسمري. ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـع٤٠(شوال ١٤٢٣هـ). ـص٢٩٩ ـ ٣٢٨.

٦٦- قراءة في غريب القرآن للسجستاني. ضاحي عبد الباقي محمد. ـمجلة الدراسات اللغوية. ـمج٥ ، ع ٣ (رجب_رمضان ١٤٢٤هـ). ـ ص ١٧٣ ـ ١٩٠ .

٦٧- مجاز القرآن لأبي عبيدة.(عرض) عباس أرحيلة. ـ الدارة. ـس١٢ ،ع ٣(ربيع الآخر١٤٠٧/ديسمبر١٩٨٦م). ـص ٢٣٥-٢٤٦.

٦٨- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني : عرضاً ودراسة.محمد بن خالد الفاضل. ـالدرعية.ـع١(محرم١٤١٩ هـ/مايو ١٩٩٨ م). ـص٢٣٩-٢٩١.

٣- إعراب القرآن

٦٩- أسلوب الاستثناء في القرآن لكريم.محمد عبد الخالق عضيمة. ـمجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض). ـع١٣و ١٤ (١٤٠٣- ١٤٠٤هـ). ـص١١- ٣٠ .

٧٠- اسم المصدر بين أقوال النحاة واستعمال القرآن الكريم.محمد المختار محمد المهدي عبد الله . ـبحوث كلية اللغة العربية (جامعة أم القرى).ـ ع١ (١٤٠١هـ ـ١٤٠٢هـ). ـص١٠٩- ١٢٨.

٧١- أصول(ما)في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية على سورة يس.إبراهيم بن سعيد الدوسري. ـالمجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإدارية والإنسانية). ـمج٤، ع١(١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م). ـ ص ٩١ـ١٤٥.

٧٢- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس.أحمد مختار عمر. ـمجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي.ـع١(١٣٩٨ هـ).ـص٧٩ ـ١٠٠.

٧٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين درويش.(عرض ونقد)عبد الكريم الحبيب. ــ عالم الكتب. ــمج١٤ ، ع٣(ذو القعدة_ذو الحجة١٤١٣هـ/ مايو ــيونيو١٩٩٣م).ــص٢٩٠-٢٩٤.

٧٤- أفعال التفضيل في القرآن الكريم.توفيق محمد الجوهري السبع. ــمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية). ــع١٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).ــص٢٣٩-٢٩٤.

٧٥- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من قطر الندى.علي حسين البواب. ــمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء. ــع١ (١٤٠١ ــ١٤٠٢هــ). ــص٣٨٥ ــ ٤١٧ .

٧٦- تفسير الكتاب العزيز وإعرابه لابن أبي الربيع الأندلسي.(تحقيق ودراسة)علي بن سلطان الحكمي. ــمجلة الجامعة الإسلامية . ــع٨٥-١٠٠ (محرم١٤١٠-ذو الحجة ١٤١٣هـ).ــص ٣٠١ ــ ٤١٦ .

٧٧- الجملة الحالية في القرآن الكريم:إحصاء ودراسة.محمد حسين أبو الفتوح.ــمجلة جامعة الملك سعود (الآداب).ــمج ٣ ،ج١(١٤١١هـ/ ١٩٩١م).ــص٣٥- ١١١.

٧٨- جموع التكسير في القرآن الكريم.محمد عبد الخالق عضيمة. ــمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء. ــع٢(١٤٠٢-١٤٠٣هـ). ــ ص ٣٤٩ ــ ٣٦٢ .

٧٩- الحمل على الجوار في القرآن الكريم. عبد الفتاح أحمد الحمور. ــ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء. ــع٢(١٤٠٢ ــ١٤٠٣ هــ). ــ ص ٣٦٣ ــ ٤١٠ .

٨٠- رسالة في قوله تعالى:(أرأيتكم) للإمام شهاب الدين الخفاجي المتوفى عام ١٠٦٩هـ.(تحقيق وتعليق) عبد الفتاح السيد سليم.ــعالم الكتب.ــمج١٣، ع٦(الجماديان١٤١٣/نوفمبر- ديسمبر١٩٩٢م). ــص٦٢٥-٦٣٨.

٨١- رسالة كلا في الكلام والقرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري.(تحقيق) أحمد حسن فرحات. ــمجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية). ــع ٢ (١٣٩٩ــ١٤٠٠هـ).ــص ٨٢ ــ١١٠.

٨٢- الـشرط بـ" إن "و "إذا "في القرآن الكريم .علي فوده. ـمجلة كلية الآداب(جامعة الرياض). ـع٤(١٣٩٥ ـ١٣٩٦هـ/١٩٧٥ـ١٩٧٦م). ـ ص ٤٣ ـ ٦٨ .

٨٣- شواذ الإعلال والإبدال في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.فريد بن عبد العزيز الزامل السليم. ـمجلة الدراسات اللغوية. ـمج٣ ، ع٢(ربيع الآخر ـجمادى الآخرة١٤٢٢هـ). ـ ص ١١ ـ ٩٦ .

٨٤- الضمائر المحتملة في القرآن الكريم.ملفي بن ناعم الصاعدي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع١٢٧(١٤٢٥هـ).ـ ص ١١- ١٠٨.

٨٥- الفعل في القرآن..تعديته ولزومه.(مستخلص رسالة دكتوراة) .إبراهيم سليمان الرشيد الشمسان.ـمجلة جامعة الملك سعود(الآداب).ـ مج١،ج١، ٢(١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).ـ ص ٣٥٩-٣٦٨.

٨٦- الفعل(كاد) في القرآن الكريم وفي صحيح البخاري.(دراسة وإحصاء)محمد حسين أبو الفتوح. ـمجلة كلية الآداب(جامعة الملك سعود).ـمج١٥ ، ع٢(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).ـص٢٢٥ ـ ٢٥٤ .

٨٧- القلب المكاني في القرآن الكريم.محمد عبد الخالق عضيمة. ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء. ـع١(١٤٠١ـ١٤٠٢هـ). ـ ص ٢٧٣ ـ ٢٨٤ .

٨٨- الكلام على قوله تعالى:(إنّ هذان لساحران)لابن تيمية.(تحقيق)ناصر بن سعد الرشيد. ـمجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي . ـع٢(١٣٩٩هـ). ـص٢٦٥ ـ ٢٧٨ .

٨٩- اللغة والنحو في ضوء القراءات .جميل أحمد ظافر.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة.ـ ع٤(١٣٩٩هـ/١٤٠٠هـ).ـص١١٥ -١٤٤.

٩٠- لمحات عن دراسة السين وسوف في القرآن الكريم.محمد عبد الخالق عضيمة. ـ مجلة كلية اللغة العربية بالرياض. ـع٣(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) . ـ ص ٦٥ ـ ٧٠ .

٩١- لمحات عن دراسة العدد في القرآن الكريم. محمد عبد الخالق عضيمة. ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة

الإمام محمد بـــن ســـعود الإســـلامية). ــع١٢(١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م). ــص١١ -٥٦.

٩٢- ما تم من الأفعال الناســخة في القرآن. إبراهيم سليمان البعيمي. ــمجلة الدراسات اللغوية . ــمج١، ع١(محرم ــ ربيع أول١٤٢٠هــ).ــ ص ٩ ـــ ٨٠ .

٩٣- من أســـرار تعديـــة الفعـــل في القـــرآن. يوســـف بـــن عبـــد الله الأنصاري.ــمجلة جامعة أم القرى لعلوم الـــــشريعة واللغـــــة العربيـــــة وآدابها.ــمج١٥، ع٢٧، ج ٢(جمـــادى الثانية١٤٢٤هـ/أغـــسطس ٢٠٠٣م).ــ ص٧٢٧-٧٧٩.

٩٤- من أسرار الحروف في القـــرآن الكريم"الباء– اللام" بدر بـــن ناصـــر البدر.ــمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ــع٢٩(المحرم١٤٢١ هــ) .ــ ص٧١ ـــ ١٧٢.

٩٥- من أســـرار نـــزع الخـــافض في القرآن الكريم . يوسف بـــن عبـــد الله الأنصاري.ــمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ــمج ١٦ ،ع٢٨(شوال ١٤٢٤/ديسمبر٢٠٠٣م) .ــ٥١صفحة.

٩٦- مـــن الدراســـات النحويـــة في القرآن.علي النجدي ناصـــف. ــمجلـــة البحث العلمي والتـــراث الإســـلامي. ــع١(١٣٩٨هــ). ــص٧٥-٧٨.

٩٧- المنصوب على نزع الخـــافض في القرآن . إبراهيم بن سليمان البعيمـــي. ــمجلة الجامعـــة الإســـلامية. ــع١١٦(١٤٢٢ هــ/٢٠٠٢م). ــ ص ٢٥٩ ـــ ٣٤٢ .

٩٨- منهج أبي البركات الأنبـــاري في إعراب القرآن في كتابه(البيان في غريب إعراب القرآن). عبد المقصود محمد عبد المقصود . ــعالم الكتب. ــ مج٢١، ع١ (رجـــب ــشـــعبان١٤٢٠/ أكتـــوبر ــنوفمبر ١٩٩٩م). ــص ٢١ ـــ ٤٥ .

٩٩- المواقع الإعرابية لـــــ (أب)في القرآن الكريم.عبد الله بن عبد الـــرحمن المهوس. ــ مجلة جامعة أم القرى لعلـــوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ــع٢٤ ، ج٢(ربيع الأول١٤٢٣هــ / ٢٠٠٢م). ــص ١٠٩٩ ـــ ١٠٥٠ .

١٠٠- النحو في تفسير الطبري.محمود شبكة. ــ مجلة كلية اللغة العربية(جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية)_ع١٠ (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). _ص٥٧-٧٦.

١٠١- نظرات في أبنية القرآن الكريم. محمد عبد الخالق عضيمة. _ مجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية). _ع٨(١٣٩٨ه/١٩٧٨ م). _ ص ١٣ ــ ٥٢ .

١٠٢- نظرية النحو القرآني. أحمد مكي الأنصاري. _مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي. _ع٥(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). _ ص ١٤٣ ــ ١٧٧ .

١٠٣- وقفة نحوية مع (من) الزائدة عند النحاة وفي القرآن الكريم. منيرة محمود الحمد. _عالم الكتب. _مج١٧ ، ع٣(ذو الحجة _ذو القعدة ١٤٢٦ه /١٩٩٦م). _ ص ٢٠١ ــ ٢١٠ .

٤- مبهمات القرآن(*)

١٠٤- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلي. تحقيق عبد الله محمد النقراط. (عرض ونقد)بنيونس الزاكي. _عالم الكتب. _مج ١٦، ع٥(الربيعان١٤١٦ه/ سبتمبر _ أكتوبر ١٩٩٥م). _ص ٤٨١ -٤٨٩.

٥- فهارس القرآن

١٠٥- بين هداية الرحمن والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. حسين عبد الرحمن الشيمي . _عالم الكتب. _مج٨ ، ع٤(ربيع الآخر١٤٠٨). _ ص ٥٥٠ ــ ٥٥٢ .

١٠٦- تنبيهات واستدراكات على معجم ألفاظ القرآن الكريم. ياسر عبد الله سرحان. _مجلة الدراسات اللغوية. _مج٥ ، ع٢(ربيع الثاني _ جمادى الثانية١٤٢٤هـ). _ ص١٨١_١٩٤ .

١٠٧- كشافات آيات القرآن الكريم : دراسة للاتجاهات النوعية والعددية وطرائق الترتيب. مساعد بن صالح الطيار. _مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. _مج٨ ، ع١ (المحرم _جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/ مارس ٢٠٠٢م). _ص ٤٠ ــ ٧٢.

١٠٨- معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم. سعد بن عبد الله الجنيدل. _ الدرعية. _ [ع٨(شوال ١٤٢٠ه/فبراير ٢٠٠٠م. _ص ١٧_

٣٢.] +[ع١٠(ربيع الآخر ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م). ـص٢٠ـ ٣٨.] +[ع١١ و١٢(رجب_ شوال١٤٢١هـ /أكتوبر ٢٠٠٠م_يناير٢٠٠١م). ـص ٢٢ ـ ٣١.]+[ع ١٤ (ربيع الآخر ١٤٢٣هـ /يونيو٢٠٠١م). ـ ص ١١ ـ٢٢.]+[ع١٧(ربيع الأول ١٤٢٣هـ/يونيو ٢٠٠٢م). ـص ٥ ـ١٥.] +[ع ٢٠(ذو الحجة ١٤٢٣ هـ/مارس ٢٠٠٣م) . ـص٧ ـ٢١ .]

١٠٩- معجم القراءات القرآنية.تأليف د.عبد العال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر. (نقد وتقويم)عبد العزيز أحمد إسماعيل. ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـ ع١٣و١٤(١٤٠٣-١٤٠٤هـ). ـ ص ٥٧ ـ ١٠٠ .

رابعاً / معاني القرآن

١- العام والخاص

١١٠- تخصيص أحد الوحيين بالآخر عند الأصوليين بين المانعين والمجوزين. علي بن سعد الضويحي. ـمجلة جامعة الملك عبد العزيز(الآداب والعلوم الإنسانية). ـع١٠(١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .ـص٣١٧ ـ ٣٧٦ .

١١١- العموم والخصوص في القرآن الكريم.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ـمجلة كليات المعلمين. ـمج١، ع١(محرم ١٤٢٢هـ/ أبريل ٢٠٠١م). ـص ٥ ـ ٣٩ .

٢- المحكم والمتشابه

١١٢- قضية المحكم والمتشابه وأثرها على القول بالتفويض.محمود بن عبد الرازق. ـمجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والعربية والإنسانية.ـع٢ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م). ـص٦٨-١٠٨.

١١٣- المحكم والمتشابه في كتاب الله : ما تأويلهما؟وماذا نجم عن الاختلاف فيهما؟.عبد الكريم الخطيب. ـأضواء الشريعة. ـع٧(جمادى الآخر١٣٩٦ هـ). ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٦٢ .

١١٤- منظومتان في متشابه القرآن. عبد القيوم بن عبد الغفور السندي.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـمج١٧، ع٣٢(ذو القعدة١٤٢٥ هـ).ـ ٧٦ صفحة.

٣- النسخ في القرآن

١١٥- النسخ في القرآن. عبد الله بن حمد الشبانة . _مجلة البحوث الإسلامية. _ع٢٩(ذو القعدة _ صفر١٤١٠_ ١٤١١هـ). _ص٢٠٧ ــ ٢٧٨.

٤- الوجوه والنظائر (*)

١١٦- ألفاظ القراءة في القرآن الكريم.سيد أحمد عبد الواحد أبو حطب. _مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. _ع١٦(صفر ١٤١٧ هـ/ يونيو ١٩٩٦ م). _ ص١٢٥ ــ ١٩١.

١١٧- الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم.كاصد ياسر الزيدي. _مجلة الدراسات اللغوية._مج٢، ع١(محرم-ربيع أول١٤٢١هـ)._ص٩_٤٨ .

١١٨- معاني الركوع والسجود في القرآن المجيد. إبراهيم بن سعيد الدوسري. _مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. _ ع٢٠ ،ج١ (صفر١٤٢١هـ/مايو٢٠٠٠م). _ ص ٣ ــ ٨٦.

١١٩- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. سليمان بن صالح القرعاوي. _مجلة البحوث الإسلامية. _ع٢٧(ربيع الأول _جمادى الثاني١٤١٠هـ)._ ص ١٦٥-١٩٠.

٥- مشكل القرآن (*)

١٢٠- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. محمد الأمين الشنقيطي. _مجلة الجامعة الإسلامية. -[س٢، ع٢(شوال ١٣٨٩هـ). _ص ١٠٤ ــ ١١٤]+[س ٢، ع٣(محرم١٣٩٠هـ). _ ص ٦٩ ــ ٨١] +[س٣، ع٤(ربيع الثاني ١٣٩٣هـ). _ص٩_٢١] +[س ٤، ع٢(شوال ١٣٩١هـ). _ص ١١+ ١٩]+[س٤، ع٣(محرم ١٣٩٢هـ)._ص ٧_١٧]+[س٤، ع٤(ربيع الثاني ١٣٩٢هـ). _ص ٣ _١٣ .

خامساً / بلاغة القرآن

١٢١- اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن.صالح بن سليمان الوهيبي._ مجلة جامعة الملك

سعود(الآداب).ـمج١٣ ، ج١٣(١٤٢١هـ/٢٠٠١م).ـص٣-٤١.

١٢٢- أسس بلاغية تطبيقها على البيان القرآني محظور ؛ مثَلٌ من المبالغة والسجع.عبد العظيم المطعني. ـبحوث كلية اللغة العربية(جامعة أم القرى). ـع١ (١٤٠١هـ ـ١٤٠٢هـ). ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٧٠ .

١٢٣- أضواء بلاغية على بعض آيات البر في القرآن الكريم.سميرة عدلي محمد رزق. ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـع٢٦(ربيع الآخر ١٤٢٠هـ). ـص٢٧٧ ـ ٣٦٤ .

١٢٤- بدائع البديع في ظلال آيات من الذكر الحكيم .صالح محمد الزهراني. ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٢٥(المحرم ١٤٢٠هـ) .ـص٢٥٧ـ٢٩٠.

١٢٥- بلاغة الدعاء في سورة آل عمران.صالح بن محمد الزهراني.ـمجلة جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع٤٦،(ربيع الآخر١٤٢٥هـ) .ـ ص٢٨٣-٣٥٦.

١٢٦- بلاغة النظم في آيات التحية.محمد بن علي الصامل.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع٤٧(رجب ١٤٢٥هـ).ـص٤٢١ -٥٠٥.

١٢٧- تأملات في أسلوب التكرار القرآني في ضوء سورة الرحمن.أحمد محمد الخراط .ـالعقيق.ـع١و٢(رجب-رمضان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).ـ ص١٢٣ ـ١٣٠.

١٢٨- التضمين في القرآن الكريم.عبد الفتاح بحيري.ـ مجلة كلية اللغة العربية بالرياض .ـع٣(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .ـص٧١ـ ٩٠.

١٢٩- التقدير والتأخير في القرآن الكريم.عبد الفتاح أحمد الحموز.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء.ـع١(١٤٠١ـ١٤٠٢هـ) .ـص٣١٣ـ ٣٤٤.

١٣٠- التقسيم بـ (أما) في القرآن الكريم: (دراسة بلاغية).فائزة بنت سالم صالح أحمد.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـمج١٧، ع ٣٢(ذو القعدة١٤٢٥هـ).ـص

١٣١- التكرار في القرآن الكريم.أحمد جمال العمري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية .ـس ١٠، ع٣(ذو الحجة١٣٩٧هـ/ نوفمبر ١٩٧٧م).ـص٩ـ١٩.

١٣٢- دراسات لأسلوب القرآن الكريم.محمد عبد الخالق عضيمة.ـمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالرياض.ـ ع٥(١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). ـ ص١٠١ -١٩٣.

١٣٣- روائع التشبيهات في سورة البقرة.صالح بن علي السنيدي.ـمجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ـع٩(١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).ـص٦٢٩ ـ ٦٨٣.

١٣٤- الفنون البلاغية في سورة هود.ماجد بن محمد الماجد.ـمجلة جامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية).ـمج٥، ع٢(١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م).٧٢صفحة

١٣٥- قبس من نور بلاغة القرآن الكريم.محمد عياض سباق.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـع ٢(١٣٩٦ـ١٣٩٧هـ).ـص١٧٧- ١٩٤ .

١٣٦- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن.عبد الفتاح لاشين السيد.ـ الدارة.ـس٧، ع٢(محرم ١٤٠٢هـ /نوفمبر١٩٨١م).ـص٥٦- ٨١.

١٣٧- مع أساليب القرآن.محمد عبد الخالق عضيمة.ـمجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض).ـع٩(١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م) .ـص١٣ـ ٢٧.

١٣٨- مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم.مصطفى بن أحمد الزرقاء.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع١(رجب ـرمضان١٣٩٥ هـ).ـص ١٠٣ ـ ١٠٨.

١٣٩- مقتضى الحال:مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم.سميرة بنت علي عدلي رزق.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـع ١٩ ،ج٢(شعبان١٤٢٠هـ /نوفمبر١٩٩٩م).ـ ص٨٥٧ ـ ٨٨٣.

١٤٠- من بلاغة بعض آيات الدعاء في القرآن الكريم.يحيى بن محمد عطيف.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية

وآدابها.ـمج١٥، ع٢٦(صفر ١٤٢٤هـ/أبريل٢٠٠٣م).ـص٧٠٧ – ٧٧٨.

١٤١- من الدراسات القرآنية واللغوية: المشاكلة والتماس الخفة من أصول العربية.عبد الفتاح شلبي.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة .ـع٢(١٣٩٦هـ ـ١٣٩٧هـ).ـص٢٢٣ ـ ٢٤٤.

١٤٢- من فوائد الالتفات ومقاصده في القرآن الكريم. محجوب الحسن محمد .ـمجلة جامعة الملك عبد العزيز(الآداب والعلوم الإنسانية).ـع٤(١٤١١ه ـ ١٩٩١م) .ـ ص١٧٩ ـ ١٩٢.

١٤٣- من مظاهر البلاغة القرآنية:قوة الحجة ووضوحها.علي محمد حسن العماري .ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٥٠و٥١ (ربيع الآخر ـ رمضان١٤٠١ه) .ـص ٢٩ ـ ٤٤.

١٤٤- نداء المخاطبين في القرآن: أسراره وبلاغته.علي عبد الواحد وافي .ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع٨ (١٣٩٨ه/١٩٧٨م).ـ ص٨٥ ـ ٩٦ .

١٤٥- نظرية النظم عند عبد القاهر ومستقبل النقد العربي. عبد العزيز عبد المعطي عرفة .ـمجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب.ـ ع٢(رجب١٤٠١هـ) .ـ ص ٣٥٣ ـ ٣٧١ .

١٤٦- النظم القرآني في سورة الرعد. محمد بن سعيد الدبل.ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ـع٩(١٣٩٩ه /١٩٧٩م) .ـ ص ٦٠٧ ـ ٦١٢ .

١٤٧- وجوه البيان في دعاء "الأشد" في القرآن الكريم. سميرة عدلي محمد رزق.ـمجلة جامعة أم القرى.ـ ع١١ (١٤١٦ه /١٩٩٥م) .ـص١٣ـ٥٢.

١٤٨- وجوه البيان في دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.سميرة عدلي محمد رزق.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع١٠(جمادى الآخرة ١٤١٤ه/ديسمبر١٩٩٣ م).ـص ١٩٥ ـ ٢٥٨ .

١٤٩- وقف التجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم.عبد العزيز علي الحربي .ـ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة

العربية وآدابها.ـ مج١٦، ع٣١(رمضان ١٤٢٥/نوفمبر٢٠٠٤م).ـ٤٩صفحة.

سادساً /القراءات

١٥٠- أبو بكر بن مجاهد وكتابه السبعة. عبد الكريم محمد الحسن بكار .ـ مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم .ـ ع٣(١٤٠٣هـ-١٤٠٤هـ) .ـ ص ٩٧ ـ ١٢٨.

١٥١- أبو الحسن الحصري وقصيدته العصماء في قراءة نافع. توفيق العبقري . ـ عالم المخطوطات والنوادر . ـ مج٧ ، ع١ ، (المحرم ـ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ) . ـ ص ١٦٩ ـ ١٨٩ .

١٥٢- احتجاجات أبي الفتح بن جني في كتابه (المحتسب) على أبي بكر أحمد بن مجاهد. إبراهيم بن صالح الحندود .ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٢٠ (رمضان١٤١٨هـ).ـ ص١٦٣-٢٩٤.

١٥٣- الاحتجاجات النحوية للقراءات القرآنية بين أبي جعفر النحاس وأبي عبيد القاسم بن سلام. إبراهيم بن صالح الحندود.ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ـ ع٣٤ (ربيع الآخر ١٤٢٢هـ) . ـ ص٤٦٥ ـ ٦٢٨.

١٥٤- الاحتجاج للقراءات : بواعثه وتطوره وأصوله وثماره. عبد الفتاح إسماعيل شلبي . ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي . ـ ع٤ (١٤٠١هـ) . ـ ص٧١ ـ ١٠٧ .

١٥٥- اختصار القول في الوقف على (كلا)و(بلى)و(نعم) في كتاب الله.لمكي بن أبي طالب.(تحقيق)أحمد حسن فرحات. ـ عالم الكتب. ـ مج١ ، ع٢(شوال١٤٠٠/أغسطس ١٩٨٠م). ـ ص ١٧٨ ـ ١٨٤ .

١٥٦- الأخذ والتحمل عند القراء.محمد بن سيدي محمد الأمين.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع٧٠(رجب- شوال ١٤٢٤هـ).ـ ص٣٢٩ ـ ٣٨٢.

١٥٧- الإسناد عند علماء القراءات.محمد بن سيدي محمد الأمين.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع١٢٩(١٤٢٥هـ) .ـ ص ١٤١ ـ ٢١٢

١٥٨- أضواء على بعض أوجه القراءات في سورة الفاتحة. محجوب الحسن محمد. ـ مجلة جامعة الملك عبد

العزيز (الآداب والعلوم الإنسانية).ــ ع٦(١٤١٣هـ/١٩٩٣م)ص١٧٩ــ٢٠٢.

١٥٩- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه،تحقيق:عبد الرحمن العثيمين.(عرض) إبراهيم القرشي عثمان . ــ عالم الكتب . ــ مج١٩ ، ع٢(رمضان/شوال ١٤١٨هـ) .ــ ص ١١٨ــ ١٥٤ .

١٦٠- تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير مقرئ مكة المكرمة.سمير شريف ستيتية . ــ مجلة جامعة أم القرى ع٩(١٤١٤هـ). ــ ص ١٦١ ــ ٢٠٩ .

١٦١- تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي.سمير شريف ستيتية.ــمجلة جامعة الملك سعود(الآداب).ــمج٦، ع١ (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).ــص٨٧-١٢٠.

١٦٢- التذكرة في القراءات الثمان. لابن غلبون (عرض) أحمد نصيف الجنابي . ــعالم الكتب.ــمج٣ ، ع١(رجب١٤٠٢هـ / أبريل ١٩٨٢م) . ــ ص٣٣ ــ ٣٦ .

١٦٣- ترقيق الراء وتفخيمها في القراءات القرآنية.حمزة بن قبلان المزيني . ــ مجلة كلية الآداب (جامعة الملك سعود) . ــ مج١٥ ، ع١(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .ــ ص٥ ــ٤٤.

١٦٤- تعليل القراءات الشاذة لأبي البقاء العكبري. (عرض) علي حسين البواب. ــ مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض).ــع١٢(١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). ــ ص٤٦٣ ــ ٤٩٢ .

١٦٥- توجيه القراءات. عبد العزيز أحمد إسماعيل.ــمجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض). ــع٥(١٤٠٣-١٤٠٤هـ).ــص٣٥-٥٨.

١٦٦- الجوهر المصون في جمع الأوجه من(الضحى) إلى قوله تعالى(وأولئك هم المفلحون) من طريقي الشاطبية والدرة ، تأليف العلامة : أبي العزائم سلطان بن أحمد بن سلامة المزاحي المصري .(تحقيق) عبد العزيز بن ناصر السيد. ــ مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ــع١٨(ذو القعدة ١٤١٧هـ). ــ ص١٣ ــ ٦٩ .

١٦٧- حول بعض القراءات القرآنية. محمود سيبويه البدوي. ــ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بالمدينة المنورة. ـ ع١(١٤٠٢ــ ١٤٠٣هـ). ـ ص٢٠٧ــ٢٦٠ .

١٦٨- حول القراءات الشاذة وحرمة القراءة بها.عبد الفتاح عبد الغني القاضي. ـ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة . ـ ع١ (١٤٠٢- ١٤٠٣هـ) .ـ ص ١٥-٢٦.

١٦٩- دراسة لغوية للقراءات الواردة في كتاب ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع.صالح سليمان العمير.ـ الدارة. ـ س١٤، ع٤(رجب ـ رمضان١٤٠٩هـ /فبراير ـ أبريل١٩٨٩م).ـ ص٥٥-٨٢.

١٧٠- الرواية والقياس بين القراء والنحاة. عبد الفتاح شلبي . ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي. ـ ع٢(١٣٩٩هـ). ـ ص٨٥-١١٠ .

١٧١- سكتات حفص في القرآن الكريم من (طريق الشاطبية)وتوجيهها .عبد العزيز بن علي الحربي. ـ الدرعية. ـ ع٢٣ (رمضان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). ـ ص ٦ ــ ٢٤ .

١٧٢- سورتا الفاتحة والبقرة من المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر.لأبي الكرم الشهرزوري المبارك بن حسن. (دراسة وتحقيق) إبراهيم بن سعيد الدوسري. ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـ ع٣١ (رجب ١٤٢١هـ). ـ ص ١٣ ــ ٢١٢ .

١٧٣- سيبويه وبراءته من تهمة الطعن في القراءات.عبد الفتاح إسماعيل شلبي. ـ بحوث كلية اللغة العربية(جامعة أم القرى) .ـ ع٢(١٤٠٤-١٤٠٥هـ) .ـ ص١٩- ٤٦ .

١٧٤- الشذوذ اللغوي وقراءات القرآن الكريم. محمد عبد الحميد سعد. ـ مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض.ـ ع٣(١٣٩٣/١٣٩٤هـ- ١٩٧٣/١٩٧٤ م).ـ ص ١٢٧ ــ ١٥١.

١٧٥- القراءات وصلتها باللهجات العربية.عبد الغفار حامد هلال . ـ مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـ ع ١٢(١٤٠٢/ ١٩٨٢م).ـ ص ٣٨٩ ــ ٤٦٢ .

١٧٦- القراءات القرآنية ومدى الاحتجاج بها في العربية.محمد بدوي المختون. ـ مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض).ـ ع١٢(١٤٠٢/١٩٨٢م) .ـ ص١٥٥ـ ٢٣٨ .

١٧٧- القراءات القرآنية وموقف المفسرين منها. محمد بن علي بن حسن عبد الله. ـ البحوث الإسلامية. ـ ع٣٥(ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ صفر ١٤١٣هـ). ـ ص ١٨٥ ـ ٢٤٦ .

١٧٨- القراءات واللهجات والعلاقة بينهما. صباح عبد الله محمد بافضل.ـ عالم الكتب.ـ مج١٥، ع٢(رمضان- شوال ١٤١٤/مارس ـ أبريل١٩٩٤م). ـ ص١٢٣ـ ١٤٦.

١٧٩- القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء.علي بن سعد الضويحي. ـ البحوث الإسلامية. ـع٤٩(رجب ـ شوال ١٤١٧هـ). ـ ص ٢٣٧ ـ ٣٠٢.

١٨٠- القرآن والقراءات في نحو ابن هشام. توفيق سبع. ـ مجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـ ع١١(١٤٠١هـ/١٩٨١م).ـص٥٧-١٠٤.

١٨١- كتاب(البديع في القراءات) للحسين بن خالويه.صبحي عبد المنعم سعيد. ـمجلة كلية الآداب(جامعة الملك سعود). ـع ٩ (١٩٨٢م). ـ ص ١٢٥ ـ ١٥٨.

١٨٢- الكواكب النيرات في أثر السنة على القراءات.علام بن محمد بن علام. ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـع٢١(المحرم١٤١٩هـ). ـص١٣-١٢٦.

١٨٣- اللغة والنحو وأثرها في ضوء القراءات. جميل أحمد ظفر. ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـ ع٤(١٣٩٩-١٤٠٠هـ).ـص١١٥- ١٤٤.

١٨٤- مخطوطة [رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية أجاب فيها عن أسئلة في علم القراءات].(تحقيق)محمد علي سلطاني. ـ البحوث الإسلامية. ـع١٣(رجب- شوال١٤٠٥هـ).ـص١٧٩ ـ ٢١٠.

١٨٥- مخطوطة[ما انفرد به القراء الثمانية من الياءات والنونات والتاءات والباءات] لأبي الطيب عبد المنعم غلبون .(تحقيق) علي بن حسين البواب. ـالبحوث الإسلامية. ـع٢٦ (ذو القعدة ١٤٠٩هـ- صفر١٤١٠هـ). ـص٢٥٥ ـ ٢٧٤ .

١٨٦- مصادر الحافظ ابن حجر وآراؤه في مسائل القراءات من خلال كتابه(فتح الباري بشرح صحيح البخاري). يحيى محمد حسن زمزمي. ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ـع٢٢ ،ج١(ربيع الأول١٤٢٢ ه/مايو ٢٠٠١م). ـص٥١ -١٢٧.

١٨٧- ملامح من قراءات النحاة الأوائل. محمود حسني محمود.ـمجلة جامعة الملك سعود(الآداب).ـمج٢ ،ع٢(١٤١٠ه/١٩٩٠م).ـ ص٥٩٣- ٦١٨.

١٨٨- المنهاج في الحكم على القراءات.إبراهيم بن سعيد الدوسري. ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ـع٢٤، ج١(ربيع أول ١٤٢٣ ه/مايو٢٠٠٢). ـ ص٣ — ٥٦ .

١٨٩- منهج الحافظ بن حجر في الاستدلال بالقراءات من خلال كتابه(فتح البارئ بشرح صحيح البخاري).يحيى بن محمد زمزمي.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـمج١٦، ع ٢٩(صفر١٤٢٥/مارس٢٠٠٤).ـ ٧٧ صفحة.

سابعاً /التجويد

١٩٠- الأخطاء التجويدية الشائعة لدى طلاب الصف الأول المتوسط في أثناء تلاوة القرآن الكريم وأسبابها بمحافظة جدة. (ملخص رسالة جامعية) للباحث هاشم بن سعدي عبيد الله الشمراني.ـ مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية.ـمج ١٢ ،ع٢ (ربيع الثاني ١٤٢١ه/ يوليو ٢٠٠٠م) .ـص١٨٩.

١٩١- الأخطاء التي يقع فيها الطلاب والعامة في قراءة الفاتحة وتصويبها .محمد بن فوزان العمر .ـمجلة كليات المعلمين.ـمج٢، ع ١(المحرم ١٤٢٣ / مارس٢٠٠٢م).ـص١-٦٢.

١٩٢- ترقيق الراء وتفخيمها في القراءات القرآنية. حمزة بن قبلان المزيني.ـمجلة كلية الآداب جامعة الملك

سعود.ـ مج ١٥، ع١(١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م).ـ ص٥ـ ٤٤.

١٩٣– حكم القراءة بالتغني والتجويد. سعود بن عبد الله الفنيسان. ـ البحوث الفقهية المعاصرة. ـ ع٦(محرم ـ ربيع الأول ١٤١١/ أغسطس١٩٩٠م). ـ ص ٢٨ ــ ١٠٥ .

١٩٤– صويت الغنة في الأداء القرآني بين الكمية والمدة الزمنية. يحيى بن علي المباركي. ـ مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ـ ع٢١،ج٢ (رمضان١٤٢١هـ/ديسمبر٢٠٠٠ م). ـ ص ٩٥٥ ــ ١٠٥٧ .

١٩٥– الظاءات في القرآن الكريم لأبي عمرو الداني .(دراسة وتحقيق) علي حسين البواب. ـ مجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض).ـ ع١٣و١٤(١٤٠٣-١٤٠٤هـ).ـ ص ٣١ ــ ٥٦ .

١٩٦– ظاهرة المد في الأداء القرآني: دراسة تطبيقية في المدة الزمنية. المد الفرعي بسبب الهمز. يحيى على مباركي. ـ مجلة جامعة أم القرى ع١٥(١٤١٧ / ١٩٩٧م). ـ ص ٧٩- ١٧٨.

١٩٧– ظاهرة المد في الأداء القرآني: دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون. يحيى علي المباركي. ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ ع١٢٠ (١٤٢٣هـ). ـ ص٣٢٣ ــ ٤٥٨.

١٩٨–القلقلة في التجويد القرآني((دراسة صوتية)). محمد صالح الضالع. ـ الدارة. ـ س١٥ ، ع٢ (محرم ـ ربيع أول١٤١٠ هـ). ـ ص١٥٦ــ١٦٨.

١٩٩– القيمة الكمية والزمنية لصويت القلقلة في الأداء القرآني. يحيى بن علي بن يحيى مباركي. ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـ ع ٢٢(ربيع الآخر١٤١٩هـ). ـ ص ١٧١ ـ٢٥٦.

٢٠٠– كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف. تصنيف: الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن وثيق الأموي الإشبيلي الأندلسي.(تحقيق)عبد الله بن ناصر القرني. ـ مجلة جامعة الإمام بن سعود الإسلامية.ـ ع٣٠(ربيع الآخر ١٤٢١هـ). ـ ص ٢٢٧ ــ ٢٧٢ .

٢٠١– مخطوطة [بيان ما وقع في القرآن الكريم من الظاء]لسليمان بن أبي القاسم التميمي السرقوسي.(تحقيق) علي بن حسين البواب. ـ مجلة البحوث

الإسلامية. _ع٢١(ربيع الأول_جمادى الثاني١٤٠٨هـ). _ ص ١٩٥_٢١١ .

٢٠٢- مخطوطة[التمييز في معرفة أقسام الألفات في كتاب الله العزيز] لمحمد بن أحمد بن داود.(تحقيق)علي بن حسين البواب. _ مجلة البحوث الإسلامية. _ع ١٨(ربيع الأول_جمادى الثاني ١٤٠٧ه). _ ص ٢٦٥ ـ ٢٨٨.

٢٠٣- الهمز . فاطمة الأمين جمعة. _الدارة. _ س ١٩، ع١(شوال _ ذو الحجة ١٤١٣ه). _ص ١٢٩ـ ١٥٥ .

٢٠٤- الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز. محمد بن سيدي محمد الأمين. _ مجلة الجامعة الإسلامية._ع١٤٤(١٤٢٢ هـ)._ص٩- ٨٨.

ثامناً / التفسير

١- أصول التفسير

٢٠٥- الإسرائيليات في التفسير وموقف الصحابة منها. ناصر بن محمد الحميد ._مجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)._ع٢ (١٣٩٩هـ/١٤٠٠هـ)._ص٦٣- ٨١.

٢٠٦- التفسير بالأثر والرأي وأشهر كتب التفسير فيها. عبد الله بن إبراهيم الوهيبي ._مجلة البحوث الإسلامية._ع ٧(رجب -شوال١٤٠٣هـ)._ ص٢٠٠-٢٣٧.

٢٠٧- التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين.محمد عبد الرحمن الشايع._مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. _ ع٤ (رجب ١٤١١ /فبراير١٩٩١م)._ ص١٩-٥٤.

٢٠٨- التفسير العلمي للقرآن الكريم وموقف العلماء منه.محمد السيد بنداري._ مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم ._ع٣(١٤٠٣ه/ ١٤٠٤ه)._ ص٥٣-٦٨.

٢٠٩- رواية التفسير في القرن الأول وتدوينه. عبد الله توفيق الصباغ._مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم._ ع٣(١٤٠٣-١٤٠٤هـ)._ص٤١- ٥٢.

٢١٠- السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني.زيد عمر عبد الله._مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية._

مـــج١٥، ع ٢ (١٤٢٣هـ /٢٠٠٣ م).ــ ص٨٣٧-٨٧٨.

٢١١- القرآن الكريم المـــصدر الأول للتفسير. محمد بن صالح البراك.ــمجلـــة الجامعة الإسلامية.ــع ١٢٣ (١٤٢٤هـ) .ــص ١١-٥٢.

٢١٢- قرار بشأن كتاب(الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم).قرارات المجمـــع الفقهي الإسلامي.ــمجلة المجمع الفقهـــي الإســـــلامي .ــع١٧(١٤٢٥هـ).ــ ص ٣١٤- ٣١٨.

٢١٣- لمحات من علوم التفسير.طلال عمر بافقيه.ــ مجلة المجمع الفقهي.ــع٤(١٤١٠هــ/١٩٨٩م).ــص ٢٥ ــ ٤٤.

٢١٤- المذهبية الفقهيـــة وأثرهـــا في تفسير آيات الأحكام قديماً وحديثاً.عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس .ــ البحوث الفقهية المعاصرة.ــع٤٦(محـــرم-ربيـــع الأول ١٤٢١هــ/يونيو-يوليو٢٠٠٠م) .ــ ص٥٤ — ١٥١.

٢١٥- مفهوم التفسير والتأويل.مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار.ــمجلة كليات المعلمين.ــمج١، ع٢(رجـــب١٤٢٢هـ /أكتوبر٢٠٠١م).ــص١-٥٠.

٢١٦- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور. حكمت بشير ياســـين .ــمجلة الجامعة الإسلامية.ــ [ع١٠١و ١٠٢(١٤١٤- ١٤١٥هـ).ــص٩—٩٢]+[ع١٠٥-١٠٦(١٤١٧-١٤١٨).ــ ص٩-١٢٤.]+ [ع١٠٧ (١٤١٨هـ ــ ١٤١٩هــ).ــ ص١٥ ــ ١٢٠].

٢١٧- نظرات في الاستدلال القرآني. عبد الستار السعيد. ــمجلة كلية أصـــول الدين(جامعة الإمام محمد بـــن ســـعود الإســـلامية).ــع٢ (١٣٩٩-١٤٠٠هـ) .ــص١١ــ ٣٣.

٢- مناهج المفسرين.

٢١٨- برهان الدين البقاعي وكتابـــه نظم الدرر. محمد بحيري إبراهيم.ــكلية القرآن الكريم والدراســـات الإســـلامية بالمدينـــــة المنـــــورة.ــ ع١(١٤٠٢- ١٤٠٣هـ).ــص٢٦١-٢٩٤.

٢١٩- البسيط في التفسير للواحـــدي (مخطوط). (عرض) بهاء الـــدين عبـــد الرحمن.ــعالم الكتب.ــمج٦ ، ع ٤(ربيع الثـــاني١٤٠٦ /ديـــسمبر١٩٨٥م).ــ ص٥٠٨-٥١٣.

٢٢٠- تأثر أبي حيان بالفخر الرازي في تفسيره البحر المحيط واعتراضاته عليه.بدر بن ناصر البدر.ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٤٣(رجب ١٤٢٤ هـ).ـ ص١٣-٩٤.

٢٢١- التأليف في التفسير عند المحدثين.عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس.ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٢٦ (ربيع الآخر١٤٢٠هـ) .ـ ص١٣-٩٠.

٢٢٢- تحقيق نسبة كتاب(عجائب علوم القرآن)لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري.حازم سعيد حيدر سعيد.ـ عالم المخطوطات والنوادر.ـ مج١، ع٢(رجب-ذو الحجة١٤١٧هـ/يناير-يونيو١٩٩٧م) .ـ ص٤٠٣-٤١٦.

٢٢٣- تفسير الإمام ابن أبي العز.جمعا ودراسة. شايع بن عبده الأسمري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ[ع١٢٠(١٤٢٣ه) .ـ ص١١-١٠٨]+[ع١٢١(١٤٢٤ه) .ـ ص١١-٩٠].

٢٢٤- تفسير الطبراني أم تفسير الغزنوي ؟إبراهيم باجس عبد المجيد.ـ عالم المخطوطات والنوادر.ـ مج٢، ع١(محرم -جمادى الآخرة١٤١٨ه).ـ ص٩٨-١٠٧.

٢٢٥- تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع ٦٧(رجب-شوال١٤٢٣ه).ـ ص١٠٣ -١٥٨.

٢٢٦- التفسير الكبير للرماني.زكريا سعيد علي.ـ عالم الكتب.ـ مج١٤،ع ٢ (رمضان-شوال١٤١٣ه) .ـ ص ٢١٣-٢١٥.

٢٢٧- تنبيهات الإمام بن كثير على قضايا ومسائل أوردها الإمام الفخر الرازي.شايع بن عبده الأسمري.ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٤٤(شوال١٤٢٤هـ).ـ ص١٣ ـ ١٠٧.

٢٢٨- ابن الجوزي ومنهجه في التفسير.أحمد فهيم مطر.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع٣١(رجب- شوال١٤١١ ه).ـ ص٢٢٩-٢٥٨.

٢٢٩- أبو حيان وبحره المحيط.محمد عبد الخالق عضيمة. ـ مجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية.ـع٧(١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م).ـص١٣-٥٠.

٢٣٠- دلالة ألفاظ القرآن الكريم عند ابن القيم.عبد الفتاح لاشين السيد.ـ الدراة.ـس٨، ع٤(رجب ١٤٠٣ه /أبريل١٩٨٣م).ـص١٢-٣٥.

٢٣١- الطبري المفسر.عمر الأسعد.ـ الدارة.ـس١٦، ع٣(ربيع الآخر-جمادى الآخرة ١٤١١هـ).ـص١٥٨-١٨٠.

٢٣٢- ابن عادل وتفسيره اللباب في علوم الكتاب.محمد عبد الرحمن الشايع .ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع١٧ (رجب ١٤١٧/ نوفمبر ١٩٩٦) .ـص١٣ ـ ٤١.

٢٣٣- العز بن عبد السلام مفسرا.عبد الله بن إبراهيم الوهيبي.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٢١(ربيع الأول-جمادى الثاني١٤٠٨هـ).ـص٢٧٦-٣١٠.

٢٣٤- علم التفسبر في كتابات المستشرقين.عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ ع٢٥ ،ج١(شوال ١٤٢٣ه/ ديسمبر ٢٠٠٢م) .ـص٧٧-١٢٩.

٢٣٥- في ظلال القرآن.(عرض)محمد لطفي الصباغ.ـ أضواء الشريعة.ـع ٢ (١٣٩٠-١٣٩١هـ).ـ ص ٧٨.

٢٣٦- اللغة في تفسير الطبري.محمود محمد شبكة . ـمجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) . ـع ٨ (١٣٩٨ه/١٩٧٨م).ـص ٥٣ ـ ٨٣.

٢٣٧- مدرسة التفسير بالمدينة المنورة.عبد الرزاق إسماعيل هرماس.ـالدارة.ـس٢٣ ،ع١ (محرم ١٤١٨ه).ـص٥ ـ ٥٤.

٢٣٨- مع الإمام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره.شايع بن عبده شايع الأسمري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع ١١٥(١٤٢٢هـ).ـص٩-١٣٤.

٢٣٩- مناظرات في تفسير الآيات.فريد مصطفى السلمان.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع ٣٢ (شوال١٤٢١هـ).ـص٨٧ - ١٤٠ .

٢٤٠- مناقشات مع كتاب(التفسير المنسوب لابن عربي) لمؤلفه محمد كركب.عبد العزيز الراجحي.ـمجلة كلية

أصول الدين (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ـع٤(١٤٠٢-١٤٠٣هـ) .ـ ص١٣١ ـ ١٥٨ .

٢٤١- منهج ابن عباس في التفسير.عبد الله سلقيني.ـمجلة كلية أصول الدين (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ـع٤(١٤٠٢-١٤٠٣هـ).ـص١١- ٣٤ .

٢٤٢- نظرات في مدرسة التفسير الحديثة.مصطفى مسلم .ـمجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع٢(١٣٩٩-١٤٠٠هـ).ـ ص٥٢ ـ ٦٢.

٢٤٣- النيسابوري مفسراً.رسالة ماجستير لعلاء محمد عيد.(عرض)أسرة التحرير بالمجلة.ـعالم الكتب. ـمج ١١، ع٣ (محرم١٤١١هـ).ـص٤٤٧ ـ ٤٤٩ .

٣- تفسير آيات معينة(*)

٢٤٤- آية الدين(تفسيرها وفقهها) . عايد بن عبد الله الحربي.ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـع١٢٦(١٤٢٥هـ) .ـ ص١١-١١٢.

٢٤٥- أجمع آية لمكارم الأخلاق ، المعاني والهدايات. عبد الله بن عبد الرحمن الشثري.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٣٥(رجب ١٤٢٢هـ).ـ ص ١٣ ـ ٧٠.

٢٤٦- أداء الأمانات والحكم بالعدل حول قوله تعالى:(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها..) الآية.أبو بكر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية. ـع٥٠و٥١(ربيع الآخر ـ رمضان ١٤٠١هـ). ـ ص ٢١ ـ ٢٨.

٢٤٧- أصول المفاسد في الأرض. "تفسير قوله تعالى:(قل إنما حرم ربي الفواحش ..)الآية".أبو بكر الجزائري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـع٥٨(ربيع الآخر- جمادى الآخرة١٤٠٣هـ).ـ ص٢١ ـ٢٥

٢٤٨- أضواء من التفسير.عبد القادر شيبة الحمد.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ س٣، ع٤(ربيع الثاني١٣٩١هـ).ـ ص ٣٣-٣٨.

٢٤٩- أضواء من التفسير"قوله تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق..)الآيات" .عبدالقادر شيبة الحمد.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ

س٨، ع١(جمادى الآخرة ١٣٩٥) .ـص ١٣ ــ ٢١.

٢٥٠- أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر.مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ[ع ٦٩و٧٠(محرم-جمادى الآخرة١٤٠٦ه). ـص٩ــ٦١]+[ع٧١و ٧٢(رجب ـذو الحجة١٤٠٦ هـ).ـص ٩ ــ ٦٣].

٢٥١- الإعراض عن ذكر الله في القرآن الكريم في ضوء قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا).سعود بن عبد العزيز الحمد.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٤٢(ربيع الآخر ١٤٢٤هـ).ـ ص ٨٥ ــ ١٣٨.

٢٥٢- الأمر بإعداد القوة لمواجهة الأعداء.(**تفسير قوله تعالى:(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة.) الآية**.) أبوبكر الجزائري . ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـع٦٠(شوال ـذوالحجة ١٤٠٣هـ).ـ ص ١٧ ــ ٢٠.

٢٥٣- (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين).أبو بكر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٥٥و ٥٦(رجب ـذو الحجة١٤٠٢ه).ـص٤٣ ــ ٤٨.

٢٥٤- إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.إبراهيم السلقيني.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـس١، ع٢(رجب ١٣٨٨ه) .ـ ص٦٨ ــ ٧٠.

٢٥٥- تأملات في قوله تعالى(وأزواجه أمهاتهم).عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر .ـمجلة البحوث الإسلامية. ـع٥٣(ذو القعدة-صفر ١٤١٨-١٤١٩ه).ـ ص ٢٦٥ ــ ٣١٦.

٢٥٦- التحية في الإسلام.سليمان بن إبراهيم اللاحم. ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٣٨(ربيع الآخر١٤٢٣هـ).ـص٨٧-١٢٠.

٢٥٧- تفسير آيات الربا.فريد مصطفى السلمان .ـ مجلة البحوث الإسلامية. ـ ع٦٦(الربيعان والجمادان ١٤٢٣ه) .ـص ١٨٣ ــ ١٥٠.

٢٥٨- تفسير الآية الأولى من سورة الفاتحة.أبو بكر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع٦٣و٦٤(رجب ــ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ) .ـص١٣-١٧

٢٥٩- تفسير آية من سورة النحل.(**قوله تعالى**:(**إن الله يأمر بالعدل والإحسان..)الآية**).أبو بكر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع

٤٦(ربيع الآخر ـ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ).ـ ص١٧ ـ ٢٣.

٢٦٠- تفسير آية من سورة النساء.(قوله تعالى:(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم .) الآية. أبو بكر الجزائري .ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ س١١، ع٤(شوال١٣٩٩هـ).ـ ص١٩ـ ٢٤.

٢٦١- تفسير آية من كتاب الله"قوله تعالى:(ليس البر أن تولوا وجوهكم...) الآية".عبد الفتاح عشماوي. مجلة الجامعة الإسلامية.ـ س١١، ع ٢(ذو الحجة ١٣٩٨هـ). ـ ص٢٧ ـ ٤٠.

٢٦٢- تفسير قوله تعالى:(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً...)الآية.أبو بكر الجزائري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع٤٥(محرم-ربيع أول١٤٠٠هـ).ـ ص٢٧ ـ ٣٠.

٢٦٣- تفسير قوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته... الآية).أبو بكر الجزائري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ ع٦١ (محرم - ربيع الأول١٤٠٤ه) .ـ ص ٢٣ ـ ٣١.

٢٦٤- الحجج البينات في تفسير بعض الآيات.فريد مصطفى السلمان.ـ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ ع٢٢، ج١(ربيع الأول ١٤٢٢هـ/مايو٢٠٠١م).ـ ص٣ـ ٤٩.

٢٦٥- ذلك الكتاب لا ريب فيه. محمود عبد الوهاب فايد .ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ س٣، ع٤ (محرم١٣٩١ه) .ـ ص٤٦-٥٤.

٢٦٦- الخلاف الأصولي في قرآنية البسملة. موسى علي موسى فقيهي.ـ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ مج١٧، ع٣٢(ذو القعدة ١٤٢٥ه).ـ ٧٩ صفحة.

٢٦٧- سبيل الفلاح."حول قوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة..)الآية".أبو بكر الجزائري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع٥٣ (المحرم-ربيع الأول١٤٠٢هـ).ـ ص٢٣-٢٧.

٢٦٨- شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.أبو بكر الجزائري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ س١١، ع١(رمضان١٣٩٨ ه).ـ ص١١ ـ ١٩.

٢٦٩- في آية القصاص تشريع ومنهاج،وحكم وأحكام، وإعجاز وبيان.محمد على متولي.ـ مجلة كلية

الشريعة واللغة العربية بالقصيم.ـع١(١٣٩٩هـ). ـ ص٨٩ ـ ١١١.

٢٧٠- كيفية الدعوة إلى الله.(تفسير قوله تعالى: (قل هذه سبيلي..) الآية.) .أبو بكر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع٥٩(رجب-رمضان ١٤٠٣هـ).ـص ١٧ ـ ٢ .

٢٧١- لا خيرة للمؤمن إذا قضى الله ورسوله .(حول قوله تعالى:(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة..)الآية). أبو بكر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية . ـع٥٢(شوال-ذو الحجة١٤٠١هـ).ـص٢١-٢٦.

٢٧٢- مفهوم قوله تعالى(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).حمد بن عبد المحسن التويجري .ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٣٠ (ربيع الآخر ١٤٢١هـ).ـ ص ١٣ـ ٤٢.

٢٧٣- الهجرة في سبيل الله.(تفسير قوله تعالى:(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا...)الآية) .أبو بكر جابر الجزائري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع ٥٧(محرم ـ ربيع الأول ١٤٠٣هـ) .ـ ص٢٥-٢٩.

٢٧٤- وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين.حسن السيد متولي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ س٤، ع٣(محرم١٣٩٢هـ).ـ ص٧٤-٨٠.

٢٧٥- الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام. محمد بن أحمد الصالح .ـ مجلة البحوث الإسلامية .ـع ٤٤(ذو القعدة ١٤١٥ـصفر١٤١٦هـ) .ـ ص٣٠٩ ـ ٣٣٦.

٤- تفسير سور معينة(*)

٢٧٦- أضواء من التفسير:تفسير سورة النجم .عبد القادر شيبة الحمد .ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ [س٨، ع ٣ (ذو الحجة١٣٩٥هـ).ـص٢١-٢٩] + [س٨، ع٤(ربيع أول١٣٩٦هـ).ـ ص٦-١٤] +[س٩، ع١ (جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ).ـص٨-١٦]+ [س٩، ع ٢ (رمضان١٣٩٦هـ).ـص١٣ -٢٢].

٢٧٧- تدارك بقية العمر في تدبر سورة النصر. سليمان بن إبراهيم اللاحم.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع١٢٥(١٤٢٤هـ) .ـ ص١١-٤٣.

٢٧٨- تفسير سورة الملك لـشمس الدين بن كمال.(تحقيق)حسن ضياء الدين عتر.ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي.ـ ع٢(١٣٩٩ هـ).ـ ص ٢٣٧-٢٦٣.

٢٧٩- ربح أيام العمر في تدبر سورة العصر.سليمان بن إبراهيم اللاحم.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٣٩(رجب١٤٢٣هـ).ـ ص١٦٩-١٩٨.

٢٨٠- سورة يوسف :قراءة نفسية. مصطفى مولود عشوي.ـمجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية.ـ مج١٥، ع٢(١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م).ـ ص٨٧٩-٩٢١.

٢٨١- شرح ومعاني جزء عم لمحمد عتريس. (عرض) عبد المجيد الإسداوي . ـ عالم الكتب. ـمج ٢١، ع١(رجب ـشعبان ١٤٢٠هـ/ أكتوبر-نوفمبر ١٩٩٩م) .ـص٦٣-٦٩.

٢٨٢- عرض وتحليل لسورة الأنفال. محمد أمين المصري.ـمجلة كلية اللغة العربية بالرياض .ـع١(١٣٩١ه).ـ ص١٩-٢٧.

٢٨٣- على مائدة القرآن:نظرات في سورة لقمان.محمد علي الصابوني.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـ ع٢(١٣٩٦/١٣٩٧ه) .ـص ١١-٣٠.

٢٨٤- في رحاب سورة العصر.زكريا سيد أحمد أبو الجود.ـمجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم.ـ[ع ٢ (١٤٠١-١٤٠٢).ـص٣-٨] +[ع٣ (١٤٠٣-١٤٠٤ه).ـص٨١-٩٦].

٢٨٥- في رحاب سورة المائدة.إبراهيم عبد الحميد سلامة.ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـس١١، ع١(رمضان١٣٩٨ ه) .ـص ٢٧-٣٩.

٢٨٦- في ظلال سورة الأنفال.أبو بكر جابر الجزائري .ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـ[س٢، ع٣ (محرم ١٣٩٠ه).ـص ٦٢-٦٨]+[س٢، ع٤(ربيع الثاني ١٣٩٠ه).ـ٨٣-٨٧]+[س٣، ع ١ (رجب١٣٩٠ه).ـ ص٥٨-٦٣].

٢٨٧- مخطوطة[إيضاح البيان عن معنى أم القرآن] لسليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي.(تحقيق) علي بن حسين البواب.ـمجلة البحوث الإسلامية. ـع

٣٦(ربيع الأول-جمادى الثانية ١٤١٣ هـ)._ ص٣٣٥-٣٦٢.

٢٨٨- مخطوطة[تفسير سورة الفلق]لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.(تحقيق) فهد بن عبد الرحمن الرومي._مجلة البحوث الإسلامية._ ع٢٧(ربيع الأول-جمادى الآخرة١٤١٠هـ) ._ص٢٥٣-٢٨٦.

٢٨٩- مخطوطة[تفسير سورة الناس]لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.(تحقيق) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ._مجلة البحوث الإسلامية._ ع٣٣(ربيع الأول-جمادى الثاني ١٤١٢ه)._ ص١٤٣-١٨٠.

٢٩٠- وقفات مع سورة الأنعام.ملفي بن ناعم الصعدي._مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها._ مج١٦، ع ٢٨(شوال١٤٢٤/ ديسمبر ٢٠٠٣م)._ ٣٦ صفحة.

٥- التفسير الموضوعي.

٢٩١- (الأرض) في القرآن الكريم. محمد فتحي عثمان. _مجلة كلية العلوم الاجتماعية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)._ع٣(١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م) ._ ص٢٥٧ — ٣٢٧.

٢٩٢- الإنسان في القرآن.محمد الغزالي._هذه سبيلي._ع٢(١٣٩٩ ه/١٩٧٩م)._ ص٢٥-٤٦.

٢٩٣- الإنسان في القرآن الكريم.عبد الرحمن بن عبد الله الزيد._مجلة جامعة أم القرى ._ع١٣(١٤١٦ه/ ١٩٩٦م)._ ص١٣ — ٦٢.

٢٩٤- أهل الكتاب في القرآن الكريم.معوض عوض إبراهيم._مجلة الجامعة الإسلامية ._[س١٠،ع١ (جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ)._ص١٧-١٩]+[س١٠،ع٣(ذو الحجة١٣٩٧ه)._ص٣-٨]+[س١١ ،ع١(رمضان ١٣٩٨ه)._ص٢٠-٢٦] +[س ١٠، ع٤(ربيع أول ١٣٩٨ه)._ص٥-١١.]

٢٩٥- الإيمان بالله في القرآن الكريم. محمد قطب._مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة . _ع١ (١٣٩٣ ه-١٣٩٤هـ)._ص٩-٣٠.

٢٩٦- الأَيْمان في القرآن :دراسة تفسيرية.عادل بن علي الشدي._مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

.ــع٤٥(محــرم ١٤٢٥هـ).ــص١٣ ــ ١٤٤.

٢٩٧- تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية.عماد زهير حافظ.ــمجلــة الجــامعــة الإســـلامية . ــ ع١١٩ (١٤٢٣هـ).ــ ص١١ ــ ١٢٤.

٢٩٨- التفسير الموضــوعي للقــرآن الكريم ونماذج منه.أحمد بــن عبــد الله الزهراني .ــمجلة الجامعة الإســلامية.ــ ع٨٥-١٠٠(محرم١٤١٠-ذو الحجــة ١٤١٣هــ) .ــ ص١١ ــ ١٧٠.

٢٩٩- التفسير الموضوعي: نــشأته ، أطواره،معالمه اليــوم. محمــد بــسيوني فودة.ــمجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب(جامعة الإمام محمد بن ســعود الإسلامية).ــ ع٣(١٤٠٣-١٤٠٤هـ). ــص٤٥- ٨٨.

٣٠٠- التمثل بــالحيوان في القــرآن الكريم.عبد المجيد السيد قطامش.ــمجلــة البحث العلمي والتراث الإســـلامي . ــ ع ٤ (١٤٠١ هـ) . ــ ص١٠٩ ــ ١٢٠.

٣٠١- الثواب والعقــاب في ســورة الحج(دراسة موضوعية).عبد الله إبراهيم الوهيبي.ــ مجلة جامعة الإمام محمد بــن سعود الإسلامية.ــع٣٨(ربيــع الآخــر ١٤٢٣ هــ).ــ ص١٣ ــ ٨٦.

٣٠٢- الجانب الخلقي مــن ســورة القلم.إبراهيم بن سعيد الدوسري.ــمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإســلامية .ــع ٢٩(المحـــرم١٤٢١هـ).ــص١٣- ٧٠.

٣٠٣- الجبال في القرآن آيــة مــن الرحمن.محمد نغش.ــ مجلــة الجــــامعة الإسلامية.ــ س ٩ ، ع٢(رمضان١٣٩٦ هــ/أيلول/ ١٩٧٦م).ــص ٤١ــ ٤٦.

٣٠٤- حديث القرآن عن المــسجد. سليمان بن إبراهيم الهويمل.ــدراســات إسلامية.ــع٣(١٤١٩هـ).ــص٢٣٥ ــ ٢٧٦.

٣٠٥- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة. عماد زهير حافظ.ــمجلة الجامعة الإســلامية.ــ ع١٢٢(١٤٢٤ هــ).ــص١١ ــ ١٠٠.

٣٠٦- الحور العين في القرآن الكريم. نورة بنت عبــد الله الورثــان.ــمجلــة جامعـــةالإمام محمـــد بـــن ســـعود الإســــــلامية.ــع٣٦ (شـــــوال ١٤٢٢هــ).ــص٩٣-١٣٦.

٣٠٧- الطبيعة في القرآن الكريم. درويش الجندي._مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ._ع١٢ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)._ص٨٧ ــ ١٥٤.

٣٠٨- الطيران وأمم الطير في ضوء القرآن الكريم. فهد بن علي العندس._مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. –ع٤٦(ربيع الآخر١٤٢٥هـ)._ص ١٣- ٨٧.

٣٠٩- العبادة وأثرها كما جاء بها القرآن الكريم.محمد بن أمين أبو بكر._ مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ._ع٣ (١٤٠٣-١٤٠٤هـ)._ص١٣٥- ١٨٠.

٣١٠- الماء في القرآن الكريم.يحيى عبد الرؤوف جبر._ الدارة._س١٠،ع ١ (شوال١٤٠٤ هـ/يونيو١٩٨٤م)._ ص٤٦ ــ ٥٣.

٣١١- المدح والذم في القرآن الكريم . عوض الجهاوي._ مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ._ع١١(١٤٠١هـ/١٩٨١م)._ ص١٠٥ _ ١٥٣.

٣١٢- مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها. حامد قنيبي._مجلة الجامعة الإسلامية._س١١، ع٣(ربيع الأول ١٣٩٩هـ)._ ص١٠٧ ــ ١١٩.

٣١٣- من مراحل عمر الإنسان (الشيخوخة) في القرآن الكريم(دراسة موضوعية).فلوة بنت ناصر بن حمد الراشد._مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها._مج١٦ ،ع٢٩(صفر١٤٢٥هـ/ مارس٢٠٠٤)._ ٥٣ صفحة .

٣١٤- نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم.بدر بن ناصر البدر._مجلة البحوث الإسلامية._ع٦١(رجب– شوال١٤٢١هــ)._ص١٧٣-٢٦٦.

٣١٥- النسيان والذكر في القرآن الكريم.السيد رزق الطويل._مجلة البحوث الإسلامية._ع١٣(رجب - شوال١٤٠٥هـ) ._ص ١٢٩ ــ ١٧٨.

٦- تفاسير لغوية .

٣١٦- الدراسات البيانية في معاني الفراء .أحمد عبد الواحد ._ مجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم

القـــرى.ـ ع٤(١٤٠٧هـ-١٤٠٩هـ).ـ ص٢٣٩ ـ ٣١٣.

٣١٧- دراسة وتحليل معاني القـــرآن للفراء.فتحية حسين عطار. ـمجلة جامعة أم القـــرى(اللغـــة العربيـــة وآدابهـــا). ـ ع١٦، ج٢(١٤١٨هـ/١٩٩٨م) . ـ ص ٧٧ ـ ١٢٥ .

٣١٨- معاني القرآن للأخفش.تحقيـــق عبد الأمير الورد.(مراجعة ونقد)الـــسيد أحمد علي محمـــد. ـعـــالم الكتـــب. ـمج٩، ع٣(محرم ١٤٠٩هـــــ). ـ ص ٤١٣ ـ ٤٢٣ .

٣١٩- معـــاني القـــرآن عنـــد ابـــن الشجري.شايع بن عبده الأسمري.ـ مجلة الجامعة الإســـلامية.ـ ع١٢٧(١٤٢٥هـ) .ـ ص ١٠٩- ٢٨٨.

٧- أحكام القرآن (*)

٣٢٠- أثر معاني الحروف في اختلاف الفقهاء.الطيب خضري السيد ســـالم.ـ أضواء الشريعة.ـ ع١٣(١٤٠٢هـــ).ـ ص١٤٧ ـ ٢٠٥.

٣٢١- بحث عن تحريم الربا في القرآن والـــسنة.محمـــد عبـــد الواحـــد غانم.ـ مجلةالمجمع الفقهي الإســـلامي.ـ ع١(١٤٠٨ هـــــ/١٩٨٧م).ـ ص٩٩ ـ ١١٦.

٣٢٢- بطلان نكاح المتعـــة بمقتـــضى الدلائل من الكتاب والسنة.عبد الله زيد آل محمود.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع ٦(ربيع الثاني-جمادى الثاني١٤٠٢هـــ). ـ ص١٨٧-٢٠١.

٣٢٣- تأملات وأحكام في قوله تعالى(ولا تباشـــروهن وأنـــتم عـــاكفون في المساجد). عبد العزيـــز بـــن صـــالح العبيـــــــد.ـ مجلـــــــة الجامعـــــــة الإسلامية.ـ ع١٢٨(١٤٢٥هـ).ـ ص٩٧ ـ ١٢٠ .

٣٢٤- الحج أشهر معلومات.أبو بكر الجزائري. ـ مجلة الجامعة الإســـلامية.ـ س١١، ع٢(ذو الحجة١٣٩٨ هـــــ).ـ ص٢١ ـ ٢٦.

٣٢٥- حـــديث القـــرآن عـــن الحج.إبراهيم بن سليمان الهويمل.ـ مجلـــة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغـــة العربية وآدابها.ـ ع١٩(شعبان١٤٢٠هـ/ نوفمبر١٩٩٩م). ـص٤٣ ـ ٧٤.

٣٢٦- حكم الرشـــوة في الكتـــاب والسنة.يوسف البرقاوي .مجلة التوعيـــة

الإســــلامية.ــ ع ٢١٩ (شــــوال-ذو الحجة١٤١٩هـ).ــ ص١٢٤ ــ ١٥٧.

٣٢٧- حكم فوائد البنوك وشهادات الاستثمار في ضوء الكتــاب والــسنة والاجماع.علي السالوس.ــ مجلة المجمــع الفقهــي الإســـلامي .ــع٦(١٤١٢/ ١٩٩٢م).ــص٤٥ ــ ٥٢.

٣٢٨- خطبــة الجمعــة في الكتــاب والسنة.عبد الرحمن بن محمد الحمــد.ــ مجلة التوعية الإسلامية.ــع٢١٧(ربيــع الآخر-جمادى الآخرة١٤١٩هــ).ــص ١٣٢ ــ ١٧٤.

٣٢٩- خمسة أحكام للحــج في آيــة واحدة .عبد الفتــاح عاشــور.ــمجلــة الجامعــة الإســـلامية.ــ س١١، ع٢(ذو الحجة ١٣٩٨هـ).ــص ١٩١ ــ ٢٠٣.

٣٣٠- الربا في ضوء الكتاب والسنة. عبد الله عبد الغني خياط.ــمجلة البحوث الإسلامية.ــع١١(ذو القعــدة-صــفر ١٤٠٤-١٤٠٥هـ).ــص١٩٣ــ ١٢٦.

٣٣١- علم أحكام القرآن:دراسة في نشأته وتطوره ومدوناته.مولاي الحسين الحيان.ــمجلة جامعة أم القــرى لعلــوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ــ مج١٦ ع٢٨(شوال١٤٢٤/ديــسمبر٢٠٠٣م) .ــ٦٢ صفحة.

٣٣٢- (فاجتنبوه لعلكم تفلحون).أبو بكر الجزائري.ــ مجلة الجامعة الإسلامية .ــ ع٥٤(ربيع الثاني-جمادى الآخــرة ١٤٠٢ هــ).ــص٢١ ــ ٢٧.

٣٣٣- قضية التشريع في ضوء القرآن الكــريم.عبــد الــستار فــتح الله ســعيد.ــأضــواء الــشريعة.ــع ١٠(١٣٩٩ هــ).ــص٣٤٨ ــ ٣٧٦.

٣٣٤- مــن أحكــام القــرآن الكريم.اللجنة الدائمة للبحوث العلميــة والإفتــاء.ــمجلــة البحــوث العلمية.ــع١٣(رجب-شــوال ١٤٠٥ هــ).ــص١٣-٦٤.

٣٣٥- النشوز بين الزوجين. عايد بن عبــد الله الحــربي.ــمجلــة الجامعــة الإسلامية.ــع١٢٨ (١٤٢٥هــــ).ــ ص١١ ــ ٩٦ .

٨- موضوعات القرآن العــقد ية (*)

٣٣٦- آيات الصفات_عرض موجز

للمنهج الصحيح الذي يجب أن تفهم صفات الله عز وجل على ضوئه.أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع١٢(ربيع الأول-جمادى الثاني١٤٠٥هـ).ـص٢٤٧ — ٢٦٦.

٣٣٧- الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ.محمد بن عبد العزيز العلي.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـع٣٧(محرم١٤٢٣هـ).ـ ص١٣-٨٤.

٣٣٨- اعتقاد فاسد في آيات تجلب الخير وتمنع الضر. عبد العزيز بن عبد الله بن باز.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـع٥ (محرم-جمادى الثاني١٤٠٠ه).ـ ص ٢٥٤- ٢٥٥.

٣٣٩- إنكار الجن من شطحات (التفسير الموضوعي للقرآن).مصطفى الوراق إبراهيم.ـ مجلة الجامعة الإسلامية[ع ٥٣(محرم – ربيع الأول ١٤٠٢ه). ـص٣٠٧-٣١٦.]+[ع٥٩ (رجب-رمضان ١٤٠٣ه).ـ ص٣٢٩-٣٤٢.].

٣٤٠- التوسل في كتاب الله عز وجل. طلال بن مصطفى عرقسوس.ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـع١٢٤(١٤٢٤ه) .ـ ص١١ — ٦٦.

٣٤١- التوكل وأثره التربوي في الكتاب والسنة.مسفر بن سعيد بن دماس الغامدي.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٤٩(رجب-شوال١٤١٧ هـ).ـ ص١٦٣ — ٢٣٦.

٣٤٢- ثمرات الإيمان والفروق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين كما جاء في القرآن الكريم. صالح الوزان.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء .ـع١(١٤٠١ه-١٤٠٢ه).ـص٣٩ — ٤٦.

٣٤٣- الجماعة في ضوء الكتاب والسنة.عبد العزيز عبد الله الحميدي .ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٦١ (محرم-ربيع الأول ١٤٠٤هـ).ـ ص٣٢-٤٦.

٣٤٤- حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة.عواد بن عبد الله المعتق.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع١١٥(١٤٢٢ه).ـص١٣٥- ٢٠٢.

٣٤٥- دراسة عقدية لبعض الصفات التي يدعى أنها من باب المشاكلة.يوسف بن محمد السعيد.ـمجلة جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٣٢ (شوال١٤٢١ هـ).ـص١٣-٨٦.

٣٤٦- الدين مفهومه وحقيقته في ضوء الكتاب والسنة.بهجت عبد الرزاق الحباشنة.ـ مجلة جامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية).ـمج ٥ ،ع٢(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).ـ٤١ صفحة.

٣٤٧- ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة.عبد الله الغنيمان.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٦٥ و٦٦ (محرم-جمادى الآخرة١٤٠٥هـ).ـ ص٩-٣٤.

٣٤٨- عقيدة اليهود في الصفات (دراسة نقدية في ضوء الكتاب والسنة) .سليمان العيد .ـمجلة جامعة الملك سعود (العلوم التربوية والدراسات الإسلامية). ـمج١٦،ع٢ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م). ـ ص١٠٧٩ ــ ١١٢٥.

٣٤٩- قضية البعث في ضوء الوحي والعقل. محمد المجذوب.ـمجلة البحوث الإسلامية .ـع١٦ (رجب-شوال ١٤٠٦هـ).ـ ص٢٧٧-٢٩٦.

٣٥٠- الكتاب والسنة: أثرهما ومكانتهما والضرورة إليهما في إقامة التعليم في مدارسنا. ربيع بن هادي مدخلي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٦٢(ربيع الآخر-جمادى الآخرة١٤٠٤هـ).ـص١٧٥ ـ ١٩١.

٣٥١- كفار قريش وآيات الاقتراح.دراسة في ضوء القرآن الكريم.سليمان بن عبد الله السويكت.ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع٢٥(المحرم١٤٢٠ هـ).ـص٢٧٣-٤٣٦.

٣٥٢- مخطوطة[البرهان في بيان القرآن]للعلامة الموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي.(تحقيق)سعود بن عبد الله الفنيسان.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع١٩(رجب-شوال ١٤٠٧هـ).ـ ص١٨٩ ــ ٢٨٤.

٣٥٣- المستشرقون حديثاً على قدم المشركين في فرية السحر.حسن ضياء الدين عتر.ـمجلة كلية أصول الدين (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ـع٣ (١٤٠٠هـ/١٤٠١هـ) .ـص١٩-٣٥ .

٣٥٤- مسلك القرآن في إثبات البعث.علي بن ناصر الفقيهي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٥٠و٥١ (ربيع الآخر-رمضان١٤٠١هـ).ـص٦٥-١٠٣.

٣٥٥- مسلك القرآن في إثبات الوحدانية.علي ناصر الفقيهي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ[ع٥٧(محرم- ربيع الأول١٤٠٣هـ).ـ ص٥٣-٦٤]+ [ع ٥٨ (ربيع الآخر-جمادى الآخرة١٤٠٣ه).ـص٩٥ـ ١١٤.

٣٥٦- مسلك القرآن في الاستدلال علىوجود الله. علي ناصر الفقيهي.ـ مجلة الجامعة الإسلامية[ع ٥٣(محرم-ربيع الأول١٤٠٢ه).ـص٥٩-٧٧] +[ع٥٥ و ٥٦(رجب-ذو الحجة ١٤٠٢ه) .ـ ص١٠٥ ــ ١٢٣.]

٣٥٧- المعجزات والغيبيات بين بصائر التتريل ودياجير الإنكار والتأويل.عبد الفتاح إبراهيم سلامة.ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـع٤٧-٤٨(رجب-ذو الحجة ١٤٠٠ه).ـص ١٦٠ ــ ٢١٢.

٣٥٨- من نصوص الوعد والوعيد وبيان الحق فيها.عبد الرحمن العبد الكريم الدرويش. ـأضواء الشريعة.ـ ع ٣ (محرم١٣٩٢ه) .ـص١٢٧ ــ ١٣٠.

٣٥٩- مواقف أهل الكتاب والمنافقين والجن من القرآن في ضوء القرآن.عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها .ـمج١٦، ع ٢٨(شوال ١٤٢٤/ديسمبر ٢٠٠٣م).ـ٤٤ صفحة.

٣٦٠- مواقف المؤمنين والكفار من القرآن في ضوء القرآن.عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـمج١٦، ع ٣٠(جمادى الأولى١٤٢٥/يوليو٢٠٠٤م) .ـ ٥٤ صفحة.

٣٦١- النبوة ،دراسة من القرآن الكريم .منيع عبد الحليم محمود.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٢(شوال-ربيع الأول١٣٩٥-١٣٩٦ه).ـص١٥٧-١٧٠.

٣٦٢- هل كتابة التعاويذ من الآيات القرآنية وغيرها وتعليقها في الرقبة شرك أو لا .عبد العزيز بن باز. ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٥٧(محرم-ربيع الأول ١٤٠٣هـ).ـص٣٣٣-٣٣٤.

تاسعاً/ أعلام الدراسات القرآنية

٣٦٣- أبو بكر بن مجاهد ومكانته في الدراسات القرآنية واللغوية.عبد الفتاح شلبي.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية بمكة.ـ ع٥(١٤٠٠-١٤٠١هـ).ـص ٦٣ ـ ٩٢.

٣٦٤- أبو عمرو بن العلاء ومنهجه في القراءات القرآنية والدراسات الصرفية والنحوية. صلاح الدين حسن.ـ الدارة.ـس٥، ع٤ (رجب ١٤٠٠هـ/يونيو ١٩٨٠م).ـص١١٩-١٣.

٣٦٥- بغية الطالبي في ترجمة أبي القاسم الشاطبي. محمد سيدي محمد الأمين.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع ٣٥(ذو القعدة ١٤١٢- ١٤١٣هـ) .ـص٢٤٧ـ ٣٠٠.

٣٦٦- العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضي وأثره في الدراسات القرآنية .عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ.ـ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة.ـ ع١(١٤٠٢-١٤٠٣هـ) .ـص٢٩٧ـ ٣٢٠.

عاشراً / مباحث قرآنية

١- آداب تلاوة القرآن وحفظه وتعليمه(*)

٣٦٧- أثر حفظ القرآن الكريم على تنمية مهارات الاستقبال اللغوي لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي بمدينة مكة المكرمة(رسالة جامعية). فائزة جميل معلم.ـ مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية.ـ مج١٤، ع١(شوال١٤٢٢هـ/يناير ٢٠٠٢م).ـص٢٢٦.

٣٦٨- الأساليب المتبعة في تدريس مادة القرآن الكريم في مدارس تحفيظ القرآن الكريم الثانوية في المملكة العربية السعودية: دراسة ميدانية تقويمية. إبراهيم بن سعيد الدوسري.ـ مجلة جامعة الملك سعود(العلوم التربوية والدراسات الإسلامية .ـ مج١٦، ع١(١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م) .ـص١٠٧ ـ ١٥٢.

٣٦٩- أفلا يتدبرون القرآن. الغزالي خليل عيد. ـ مجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض).ـ ع ١ (١٣٩٧ـ ١٣٩٨هـ) .ـص٩١- ١٢٣ .

٣٧٠- تسجيل القرآن على شريط الكاسيت. (فتوى)المجمع الإسلامي

برابطة العالم الإسلامي. _ مجلة البحوث الإسلامية. _ع٣٥(ذو القعدة١٤١٢- صفر ١٤١٣ هـ)._ص٣٣٧ ــ ٣٣٨.

٣٧١- تعليم القرآن.دراسة فقهية اجتماعية تاريخية .لبيب سعيد. _ أضواء الشريعة. _ع٥(جمادى الأولى١٣٩٤هـ) ._ص٤١.

٣٧٢- الحث على العناية بكتاب الله عز وجل وتعلمه.عبد العزيز بن عبد الله بن باز. _مجلة البحوث الإسلامية. _ع ٥٦(ذو القعدة١٤١٩ ــ صفر١٤٢٠هـ). _ ص٣٦٣ ــ٣٧٢ .

٣٧٣- حكم دعاء ختم القرآن الكريم وما يلحق به من مسائل وفروع.صالح بن أحمد بن محمد الغزالي._مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها._مج ١٦،ع٢٩ (صفر ١٤٢٥ /مارس٢٠٠٤)._ ٥٧ صفحة.

٣٧٤- حكم الطهارة لمس القرآن الكريم :دراسة فقهية مقارنة.عمر بن محمد السبيل. _مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. _ ع٢٣ ، ج١(شوال١٤٢٢هـ/ ديسمبر ٢٠٠١م). _ ص ٤٥٩-٤٩٠ .

٣٧٥- سجدات القرآن الكريم: أحكام وتوجيهات.فهد بن عبد العزيز الفاضل. _مجلة البحوث الإسلامية. _ ع٧١(ذو القعدة١٤٢٤- صفر١٤٢٥ هـ). _ ص ٩٣ ــ ١٩٣ .

٣٧٦- شغف الرسول وأصحابه بحفظ القرآن أساس تواتره.حسن ضياء الدين عتر. _مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة. _ع٦(١٤٠٢/١٤٠٣ هـ). _ص١٩١-٢٣١.

٣٧٧- العناية بتعليم القرآن الكريم وإكرام أهله . بدر بن ناصر البدر. _ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. _ع٢٥،ج١ (شوال ١٤٢٣هـ/ديسمبر٢٠٠٢م)._ص٣_٧٦.

٣٧٨- العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (دراسة ميدانية). سعيد فالح المغامسي. _مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. _ ع١١(محرم١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م)._ ص٨٩-١٢٧ .

٣٧٩- فن الترتيل وعلومه للشيخ أحمد الطويل . (عرض)عبد العزيز أحمد إسماعيل. _ دراسات إسلامية. _ع٥(١٤٢٣هـ). _ص٢٣٩-٢٧٠.

٣٨٠- القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق. محمد الراوي. _الجامعة الإسلامية. _ ع٥٠ و٥١(ربيع الآخر_ رمضان١٤٠١ هـ). _ص١٧٧-١٨٨.

٣٨١- القرآن الكريم.دراسته وتعليمه في جميع بلاد الإسلام.(قرار)مجلس رابطة العالم الإسلامي._مجلة الجامعة الإسلامية. _س٣ ، ع٢(شوال ١٣٩٠هـ). _ ص ٨٦ ـ ٨٩ .

٣٨٢- القرآن الكريم وجهود العلماء في خدمته.عبد العزيز علي صالح رضوان._مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم._ع٣(١٤٠٣-١٤٠٤ هـ)._ص ٩ ـ ١٤٠.

٣٨٣- كتاب الله ومكانته العظيمة.عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ. _ مجلة البحوث الإسلامية. _ع٦٣(ربيع الأول _جمادى الآخر ١٤٢٢هـ)._ ص٧-٣٦ .

٣٨٤- كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية (نبذة عن تاريخها ،وبيان مناهجها ومنجزاتها). إعداد: إدارة الكلية ._مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة._ ع١(١٤٠٢-١٤٠٣هـ)._ص٣٦٣-٣٧٤.

٣٨٥- لمحة في الكلام على لفظة ((آمين)) لابن الخشاب .سليمان بن إبراهيم العايد._ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ._ ع١(١٤٠٩هـ-١٤١١هـ/١٩٩١م).

٣٨٦- المدرسة القرآنية بين الماضي والحاضر. أحمد الكردي. _مجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض). _ع١١(١٤٠١هـ/١٩٨١م). _ ص ١٥ـ٣٠.

٣٨٧- مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن. منظور بن محمد رمضان._مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ._مج١٦،ع٣٠(جمادى الأولى١٤٢٥/ يوليو٢٠٠٤م)._٧٢ صفحة.

٣٨٨- من أحكام مس القرآن الكريم : دراسة فقهية مقارنة.عمر بن محمد السبيل. _مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. _ ع٢٤ ، ج١(ربيع الأول١٤٢٣هـ /مايو٢٠٠٢م) . _ص ٤٤٥-٤٨٥ .

٣٨٩- من عناية السلف بالقرآن.بدر بن ناصر البدر. ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـ ع٣٩(رجب ١٤٢٣ هـ). ـ ص ١٣ ـ ١٦٨ .

٣٩٠- الوصية بكتاب الله عز وجل.**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**. ـ مجلة البحوث الإسلامية. ـ ع٥٤(ربيع الأول ـ جمادى الآخرة١٤١٩هـ). ـ ص ٧ ـ ٣٤ .

٢- إعجاز القرآن

٣٩١- آيات الله في الأنفس والآفاق.عبد الباسط بلبول. ـ أضواء الشريعة. ـ ع ٧(جمادى الآخرة ١٣٩٦ه). ـ ص ٣٩١-٤١٠.

٣٩٢- أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني.أحمد جمال العمري. ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ س٩، ع٣(ذو الحجة١٣٩٦ ه/ ديسمبر ١٩٧٦م). ـ ص ٧ ـ ٢٢.

٣٩٣- أبو الحسن الرماني ومفهومه للإعجاز القرآني. أحمد جمال العمري . ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ س٩، ع ٢ (رمضان ١٣٩٦ه/أيلول١٩٧٦م) . ـ ص٢٨-٣٥.

٣٩٤- أبو سليمان الخطابي(ومفهومه للإعجاز القرآني).أحمد جمال العمري. ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ س٩، ع ١ (١٣٩٦ه / ١٩٧٦م). ـ ص٩٥-١٠١.

٣٩٥- الإحكام المعجز في بلاغة القرآن.محجوب الحسن محمد. ـ مجلة جامعة الملك عبد العزيز(الآداب والعلوم الإنسانية). ـ ع٧(١٤١٤هـ/١٩٩٤م). ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٤٠.

٣٩٦- أضواء على القرآن الكريم بلاغته وإعجازه.عبد الفتاح محمد محمد سلامة. ـ مجلة الجامعة الإسلامية . ـ ع ٤٦ (ربيع الآخر ـ جمادى الآخر١٤٠٠هـ) . ـ ص٨٩ ـ ١٠٣.

٣٩٧- الإعجاز البلاغي في رؤية أبي الحسن علي بن عيسى الرماني.محمد أبو موسى . ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي . ـ ع٥ (١٤٠٢ه/١٤٠٣ه) . ـ ص٢٢٥ -٢٥٩.

٣٩٨- الإعجاز البياني للقرآن الكريم :أركانه ومظاهره. حسين بن مطاوع الترتوري . ـ مجلة البحوث

الإسلامية.ــع٢٣(ذو القعدة ١٤٠٨ ــ صفر ١٤٠٩هـ).ــ ص ٢٢٥ــ ٢٦٤ .

٣٩٩- الإعجاز العلمي للقرآن. محمد المهدي محمود.ــ مجلة الجامعة الإسلامية .ــ س ٥ ،ع١(رجب ١٣٩٢هـ / أغسطس١٩٧٢ م).ــص٢٧ــ ٣٦ .

٤٠٠- إعجاز القرآن عند القاضيين أبي بكر الباقلاني وعبد الجبار الأسد الآبادي. (عرض ودراسة)السيد عبد الفتاح حجاب.ــمجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ــع١٢(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). ــ ص ٣٢٥ ــ ٣٨٨.

٤٠١- إعجاز القرآن في معيار النقد الأدبي"تاريخا ومنهجا". محمد جمعة عبد الصمد عابد.ــالدارة.ــ س١٥، ع٣(ربيع الآخر ــجمادى الآخرة١٤١٠ هـ).ــ ص ٥٧ ــ ٨١.

٤٠٢- الإعجاز النفسي في القرآن. إبراهيم الحنفي الناغي .ــمجلة الجامعة الإسلامية .ــس٤، ع٢(شوال ١٣٩١ هـ/نوفمبر ١٩٧١م).ــص٦٥ ــ ٧٣.

٤٠٣- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي(دراسة نقدية). أحمد عبد الواحد إبراهيم.ــبحوث كلية اللغة العربية(جامعة أم القرى).ــع١(١٤٠١-١٤٠٢هـ).ــ ص٢٧١ ــ ٢٨٦.

٤٠٤- بيان ما يسمى معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. ــمجلة البحوث الإسلامية.ــع٩(ربيع الأول ــ جماد الثاني١٤٠٤هـ).ــ ص ١١ ــ ٤٢.

٤٠٥- حول إعجاز القرآن:الابتداء بالأسلوب. علي حسن العماري .ــمجلة الجامعة الإسلامية .ــ س٦، ع ٤ (ربيع الثاني١٣٩٤هـ).ــ ص٧٥ ــ ٨٤.

٤٠٦- خلق الإنسان في الكتاب والسنة. نبيل بن محمد آل إسماعيل.ــمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ــع٣٠(ربيع الآخر١٤٢١هـ).ــ ص٤٣ ــ ١٣٠.

٤٠٧- دراسات حول إعجاز القرآن الكريم في القرن الثالث. صادق إبراهيم خطاب .ــ مجلة الجامعة الإسلامية.ــ س١٠، ع ٢(رمضان١٣٩٧هـ/ أغسطس ١٩٧٧م) .ــص ٧ ــ ١٤.

٤٠٨- القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني.أحمد جمال العمري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـس١٠،ع٢ (رمضان١٣٩٧ه/ أغسطس١٩٧٧م).ـ ص١٥ ـ ٢٨.

٤٠٩- مظاهر فلكية في القرآن الكريم.إبراهيم حسن شحاتة.ـالدار .ـس٧،ع ٢ (محرم ١٤٠٢ه/ نوفمبر ١٩٨١م).ـ ص ٨٢ ـ ١٠٢.

٤١٠- معجزات القرآن العلمية.حامد حسين قدير.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـع٥٥و ٥٦(رجب ـذو الحجة ١٤٠٢ه).ـ ص ١٧٦ ـ ١٨٥.

٤١١- مع الطب في القرآن الكريم.لعبد الحميد ذياب و أحمد فرقوز .(عرض)كارم السيد غنيم.ـ عالم الكتب .ـمج١٠،ع٢(شوال١٤٠٩هـ).ـص ٢٤٩ ـ ٢٥٣.

٤١٢- مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني.أحمد جمال العمري.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ س١٠،ع١(جمادى الآخرة ١٣٩٧ه /مايو١٩٧٧م).ـص٢٠ـ ٣٨.

٤١٣- من روائع الإعجاز(تعبير الحق عن ذاته) .عز الدين علي السيد.ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع٧(١٣٩٧ه / ١٩٧٧م) .ـ ص ٤٠٥ ـ ٤٥٨.

٤١٤- من مشاهد الإعجاز النفسي في القرآن الكريم. علي البدري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـس١١، ع٤(شوال ١٣٩٩ هـ).ـص ٨٥ ـ ٩٤.

٤١٥- وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٥٠(ذو القعدة ١٤١٧-صفر ١٤١٨ه).ـص ١٩٣ ـ ٣٢٢.

٣- قصص القرآن.

٤١٦- الأسلوب القرآني في قصص الأنبياء.محمد الطيب النجار.ـمجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع٣ (١٣٩٩/ ١٩٧٩م).ـ ص١٧٣ ـ ١٩٠.

٤١٧- الأنبياء في القرآن لسعد صادق محمد. (عرض)توفيق علي وهبة.ـ عالم الكتب .ـ مج١٠،ع٤(ربيع الآخر١٤١٠هـ) .ـص٥٧٦ — ٥٨٠.

٤١٨- التحقيق في براءة يوسف عليه السلام.محمد علي الصابوني.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـ ع١(١٣٩٣ـ١٣٩٤هـ).ـص٣١- ٤٦.

٤١٩- التفسير البياني للقصص القرآني بين الحق والمذهب الفني:دراسة وتقويم لمنهج باطل في التفسير.محمد بلتاجي.ـ أضواء الشريعة.ـع٦(١٣٩٥هـ) .ـ ص٩٩- ١٨٢.

٤٢٠- تنويه القرآن بعلم داود وسليمان عليهما السلام. إبراهيم بن سعيد الدوسري.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ ع ١٩ (شعبان١٤٢٠هـ/ نوفمبر١٩٩٩م) .ـ ص٣ — ٤٢.

٤٢١- حكومة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث.فريد مصطفى السلمان.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع١٧(رجب ١٤١٧هـ /نوفمبر١٩٩٦ م).ـص٤٣ — ٦٣.

٤٢٢- دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة.محمد بيومي مهران.ـ مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالرياض.ـع٥(١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).ـص ٣٨٣ — ٤٥٧.

٤٢٣- دعوة موسى عليه السلام لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة(دراسة مقارنة).سليمان بن قاسم العيد.ـمجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية.ـ مج١٤ ،ع١(١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).ـص٢٦٧- ٣٠٣.

٤٢٤- ذو القرنين بين الخبر القرآني والواقع التاريخي .عبد الله بن إبراهيم العسكر.ـ الدارة.ـ[س ٣،ع٣ (شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر١٩٧٧م).ـص٣٦- ٤٣]+ [س٣،ع٤(صفر ١٣٩٨هـ / يناير١٩٧٨م).ـص٢٢-٤٩]+[تعليق على المقال السابق لـ أحمد حسين شرف الدين .ـس٤، ع١(ربيع ثان ١٣٩٨) .ـ ص٣٠٨ — ١١٣]

٤٢٥- قصة إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة الأنعام وما فيها من مباحث النبوة. سارة بنت فراج العقلا.ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع٦٨ (محرم ـ صفر١٤٢٤هـ).ـ ص١٥٥ ـ ٢٣٢.

٤٢٦- الكهف والرقيم في التاريخ والآثار. أحمد رمضان أحمد.ـ الدارة. ـ س٤، ع٢(رجب١٣٩٨ه/يونيو ١٩٧٨ م).ـ ص١١٤- ١٣٣.

٤٢٧- مسرحية أهل الكهف بين النص القرآني والتناول المسرحي. محجوب محمد آدم.ـ مجلة كليات المعلمين.ـ مج١، ع١(محرم ١٤٢٢ه /أبريل٢٠٠١م).ـ ص٩٥-١٢٥.

٤٢٨- منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة كما عرضه القرآن الكريم. منظور بن محمد بن محمد رمضان. ـ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ ع٢٤، ج١(ربيع الأول١٤٢٣ / مايو٢٠٠٢م).ـ ص١٣٣ ـ ٢١٩.

٤٢٩- النبأ القرآني ومقولات التاريخ. محمد عبد الفضيل القوصي.ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي .ـ ع٥ (١٤٠٢ه) .ـ ص٤١٨ ـ ٤٩٨.

٤٣٠- نبوة الأسباط في الميزان. عبد الباقي أحمد سلامة .ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء .ـ ع٣(١٤٠٣ـ ١٤٠٤هـ).ـ ص١٣ ـ ٤٧.

٤٣١- نوح عليه السلام في القرآن الكريم. محمد يوسف كريت.ـ مجلة كلية الدعوة وأصول الدين(جامعة أم القرى) .ـ ع١(١٤٠٢-١٤٠٣ه).ـ ص١١٧ ـ ١٣٠.

٤- أمثال القرآن

٤٣٢- ضرب الأمثال في القرآن الكريم. أنور أحمد شلبي. ـ مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم.ـ ع ٣ (١٤٠٣ه/ ١٤٠٤ ه) .ـ ص٦٩-٨٠.

٤٣٣- مع القرآن في أمثاله. محمود الشريف.ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـ ع١ (١٣٩٣-١٣٩٤ه).ـ ص٩١ ـ ١٠٠.

٥- جدل القرآن

٤٣٤- استخراج الجدل من القرآن لابن الحنبلي. (تحقيق) محمد الحبيب الهيلة.ـ مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي.ـ ع٣(١٤٠٠هـ).ـ ص ٣١٩-٣٥٢.

٤٣٥- مفاهيم الجدل في القرآن الكريم(كتاب لزاهر عواض الألمعي).(عرض)عبد الحليم عويس.ـ عالم الكتب.ـ مج١، ع٣(المحرم ١٤٠١هـ/نوفمبر١٩٨٠م).ـ ص٤١٥ ــ ٤١٨.

٦- أقسام القرآن

٤٣٦- (**أساليب القسم والشرط في القرآن) كتاب يصدر حديثاً.** أحمد عبد العزيز اللهيب.ـ مجلة البحوث الإسلامية .ـ ع٣(رجب-ذو الحجة١٣٩٧هـ). ـ ص٣٩٥ ــ ٣٩٩.

٤٣٧- القسم بالمخلوقات في القرآن الكريم. نبيه حجاب.ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـ ع٢(١٣٩٦/١٣٩٧هـ).ـ ص ٢٠٧ ــ ٢٢٢.

٤٣٨- القسم في القرآن الكريم. عبد العزيز محمد الزير.ـ مجلة كلية اللغة العربية بالرياض.ـ ع ١ (١٣٩١هـ) .ـ ص٨٦ ــ ٩٢.

٤٣٩- من أسرار القسم في القرآن الكريم. سليمان بن علي.ـ مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ [مج١٦، ع٣١(رمضان ١٤٢٥ / نوفمبر٢٠٠٤م).ـ ١٩ صفحة+ مج١٧ ،ع٣٢ (ذو القعدة ١٤٢٥هـ).ـ ١٩ صفحة.

٤٤٠- منهج ابن القيم في كتابه(التبيان في أقسام القرآن) .عبد الله بن سالم الحمود الدوسري.ـ مجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض).ـ ع٧(١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م) .ص ٦٣٩ ــ ٦٧٠.

٧- خصائص القرآن (*).

٤٤١- أثر سماع القرآن الكريم على الأمن النفسي. عدنان العتوم و عندليب أحمد عبد الله.ـ مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية والاجتماعية.ـ

ع١٦(١٤١٨هـ/١٩٩٧م).ـص١٣-٥٥.

٤٤٢- أثر القرآن في تنمية القوى الإنسانية. أحمد عبد الرحيم السائح.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـس٣، ع٢(شوال ١٣٩٠هـ).ـ ص ٩٠ ـ ٩٣.

٤٤٣- بين القرآن والكتب السماوية. إبراهيم عبد الحميد سلامة.مجلة الجامعة الإسلامية .ـس١٠، ع٣(ذو الحجة١٣٩٧/نوفمبر ١٩٧٧م).ـ ص٢٠- ٢٣.

٤٤٤- تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها. إبراهيم عبد الحميد سلامة.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٤٦ (ربيع الآخر-جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ) .ـ ص ٧٩ ـ ٨٨.

٤٤٥- حفظ الله لكتابه. صالح الغانم السدلان.ـمجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض).ـع١(١٣٩٧/١٣٩٨هـ). ـ ص١٢٥ ـ ١٢٩.

٤٤٦- دليل صدق يتأكد بمضي الزمان. الغزالي خليل عيد .ـمجلة كلية أصول الدين (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض).ـع٢ (١٣٩٩/ ١٤٠٠هـ) .ـص ٣٤ ـ ٥١.

٤٤٧- القرآن أساس الحكم الصالح. محمود فايد.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـس٨، ع٣(ذو الحجة ١٣٩٥هـ).ـص٣٥-٤١.

٤٤٨- القرآن الكريم مصدر للتاريخ. بشير كوكو حميدة. ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع٦٥و ٦٦ (محرم-جمادى الآخرة١٤٠٥هـ).ـص١١٠-١٢٦.

٤٤٩- القرآن الكريم وأثره في الحياة التعليمية والتربوية . أحمد الكردي.ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع١٢(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).ـص٢٩٥ ـ ٣٢٤.

٨- المناسبات(*)

٤٥٠- آراء العلماء في المناسبات. أحمد حسن .ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـ [س٢، ع ٢ (شوال١٣٨٩هـ).ـص٢٨-٣٢]+ [س٣ ، ع١(رجب ١٣٩٠هـ).ـ ص ٥١-٥٧] +[س٣، ع٢(شوال

١٣٩٠هـ).ـص٤١ -٤٨]+[س ٤، ع ٤ (ربيع الثاني١٣٩٢هـ /١٩٧٢م) .ـص١٩- ٣٢].

٤٥١- علم المناسبات بين المانعين والمجيزين. إبراهيم بن سليمان آل هويمل.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٢٥(المحرم١٤٢٠ هـ).ـ ص٩٣ ــ ١٤٠.

٤٥٢- مصابيح الدرر في تناسق آيات القرآن الكريم والسور. عادل بن محمد أبي العلا.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـع١٢٩ (١٤٢٥هـ).ـ ص١١ــ١٢٠ .

٩- نقض شبهات حول القرآن

(*)

٤٥٣- أتفسير هذا أم تغرير ؟. محمد المجذوب. ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـس١٠، ع ٤ (ربيع الأول ١٣٩٨ هـ/فبراير١٩٧٨م). ـص١٢ ــ ٢٢.

٤٥٤- إلى الذين يحادون مفاتح الغيب باسم العلم الحديث. عبد الفتاح عشماوي.ـ مجلة الجامعة الإسلامية .ـس١١، ع ٣ (ربيع أول١٣٩٩هـ) .ـص١٣-٢٥.

٤٥٥- حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض. عبد العزيز بن عبد الله بن باز .ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـس٧، ع١ (رجب١٣٩٤هـ).ـ ص٣ ــ ٤٦.

٤٥٦- حكم من يسخر من القرآن وأهله. (فتوى)عبد العزيز بن عبد الله بن باز.ـ [مجلة الجامعة الإسلامية .ـس ١٠ ، ع ٢ (رمضان١٣٩٧هـ/ أغسطس ١٩٧٧م) .ـص١٥١ ــ ١٥٤]+[مجلة البحوث الإسلامية.ـع٣٢(ذو القعدة- صفر ١٤١٢هـ). ـص٣٣٧ ــ ٣٤٠].

٤٥٧- دفاع عن كتاب الله(القرآن والضرورة الشعرية). أحمد مكي الأنصاري.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـ ع٢٠،ج٢ (صفر ١٤٢١هـ/مايو ٢٠٠٠م).ـص ١١٧٩ ــ ١٢٠٠.

٤٥٨- دفاع عن الوحي المحمدي : قصة الغرانيق بين العقل والنقل. محمد سيد أحمد المُسيَّر . ـ مجلة جامعة الملك عبد العزيز للعلوم التربوية.ـع١(١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨). ـ ص ٣٠٥ ــ ٣١٧ .

٤٥٩- رسالة في القرآن وكلام الله.للإمام الموفق بن قدامة. (تحقيق)

يوسف بن محمد السعيد. _ مجلة البحوث الإسلامية._ع ٦١ (رجب-شوال١٤٢١ هـ)._ص١٢٩ ــ ١٧٢.

٤٦٠- مخطوطة[رسالة في أن القرآن الكريم غير مخلوق] للإمام الحافظ إبراهيم بن إسحاق الحربي،ويليها مخطوطة[رسالة إمام أهل السنة والجماعة إلى الخليفة المتوكل في مسألة خلق القرآن](تقديم وتعليق وتحقيق):علي بن عبد العزيز الشبل._ مجلة البحوث الإسلامية._ ع٥١(ربيع الأول-جمادى الآخرة ١٤١٨هـ)._ص١٤١ ــ ١٩٤.

٤٦١- نظم القرآن فوق مفتريات النقد والتجريح.علي البدري._مجلة الجامعة الإسلامية._ع٤٥(محرم-ربيع الأول ١٤٠٠هـ)._ص٢٠٥ ــ ٢١١.

١٠- الدعوة في القرآن. (*)

٤٦٢- أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم. أبو المجد سيد نوفل._مجلة الجامعة الإسلامية._ [ع٤٩(محرم —ربيع أول ١٤٠١ه)._ ص١٢٧-١٤١]+ [ع٥٠ و٥١(ربيع الآخر-رمضان ١٤٠١ه) . _ص ٢١٥-٢٢٠] +[ع ٥٢ (شوال-ذو الحجة١٤٠١ ه)._ص ١٠٦ _ ١١٢].

٤٦٣- أساليب الدعوة في القرآن الكريم ،الأساليب التطبيقية.أبو المجد السيد نوفل._هذه سبيلي._[ع٤(١٤٠٢ه /١٩٨٢م)._ص٢٢٧-٢٧٧] +[ع ٥ (١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م)._ص١٥ ــ٦٠]

٤٦٤- حكم الدعوة إلى الله ومكانتها في الكتاب والسنة.محمد بن عبد الله الفهيد .مجلة التوعية الإسلامية._ع ٢١٥ (شوال -ذو الحجة١٤١٨ه)._ص٨٧ ــ ١٢٨.

٤٦٥- الداعية والاكتساب في ضوء نصوص الكتاب والسنة.سعد بن عبد الرحمن الجريد._مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية._ع٣٧(محرم ١٤٢٣هـ)._ ص٢٩٦ ــ ٣٦٦.

٤٦٦- الدعوة الإسلامية ومنهجها القرآني .محمد بن سعد الشويعر._مجلة البحوث الإسلامية._ع٦٢(ذو القعدة ١٤٢١-صفر١٤٢٢ه)._ص٢٢٥-٢٦٢ .

٤٦٧- الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم.خالد بن عبد الله القريشي._مجلة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .ـع٣١(رجب١٤٢١هـ) .ـص٢٦٥-٣٣٨.

٤٦٨- دعوة عيسى عليه السلام في الكتاب والسنة. سليمان بن قاسم العيد.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع٤٣(رجب١٤٢٤هـ). ـص٩٥ ـ ١٦٢.

٤٦٩- قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة.حمود بن أحمد الرحيلي مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـع٢٠،ج١(صفر ١٤٢١ /مايو٢٠٠٠م).ـ ص٣٦٥ ـ ٤١٢.

٤٧٠- من منهج الدعوة إلى الله في سورة هود .محمد ولد سيدي ولد حبيب.ـمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها.ـع٢٤، ج١(ربيع الأول ١٤٢٣هـ/ مايو٢٠٠٢م) .ـص١٣٣-٢١٩.

٤٧١- منهج الدعوة في الكتاب والسنة.عبد الله بن ضيف الله الرحيلي.ـمجلة التوعية الإسلامية.ـع٢١٨(رجب-رمضان ١٤١٩هـ).ـص٥٤-٨١.

٤٧٢- منهج القرآن في الدعوة إلى الله .سعود البشر .ـهذه سبيلي.ـع١(١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).ـص١٦٧ـ١٩٤.

١١- مباحث قرآنية متنوعة (*)

٤٧٣- أثر القرآن في شعر إبراهيم طوقان.محمد أحمد المجاليي.ـمجلة جامعة الملك عبد العزيز(الآداب والعلوم الإنسانية).ـع ١١(١٤٢١/٢٠٠١م) .ـص٣٣- ٣٦٣.

٤٧٤- أسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم والسيرة. إسماعيل حافظ.ـالدارة .ـس ٤، ع٤(محرم١٣٩٩هـ/ديسمبر ١٩٧٨ م).ـص١٣٩-١٥٩.

٤٧٥- أصوات العربية والقرآن الكريم : منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ.عبد الله ربيع محمود. ـمجلة كلية اللغة العربية(جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض).ـع١٠(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) . ـ ص ٢٢٧ ـ ٢٨٠ .

٤٧٦- أصول الاجتماع في القرآن. حسن الساعاتي.ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية) .ـع١ (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م) .ـص١١- ٣٤.

٤٧٧- أقباس من العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم. محمود شيت خطاب .ـ مجلة البحوث الإسلامية.ـ ع٥(محرم -جمادى الثاني١٤٠٠هـ).ـص١٦٣- ١٧٠.

٤٧٨- الاقتصاد الإسلامي(خصائصه وموارده في ضوء القرآن الكريم).محمد صالح العلي.ـمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـ ع١ (١٤٠١ – ١٤٠٢هـ).ـص٢٥١ — ٢٧١.

٤٧٩- أمية الحرف وأمية الولاء.محمد إبراهيم شقرة.ـ مجلة كلية أصول الدين(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع٣ (١٤٠٠/ ١٤٠١ هـ).ـ ص ٩ — ١٧.

٤٨٠- اهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بالقرآن وعلومه .محمد بن سيدي محمد الأمين .ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـع ١١٨(١٤٢٣هـ). ـ ص١١ — ٨٤.

٤٨١- اهتمام القرآن بالعلم.أحمد عبد الرحيم السايح.ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـس٨ ،ع٣(ذو الحجة١٣٩٥هـ) .ـ ص١١٣-١١٧.

٤٨٢- البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم. فهد بن عبد الرحمن الرومي.ـمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـع١٦(صفر١٤١٧/ يونيو ١٩٩٦م).ـ ص٧٩ — ١٢٣.

٤٨٣- البدهيات في القرآن الكريم. فهد بن عبد الرحمن الرومي.ـمجلة الجامعة الإسلامية.ـع١٠٣-١٠٤ (١٤١٦-١٤١٧هـ).ـص٩ — ٥٢.

٤٨٤- البركة والرزق والأسباب الجالبة لهما في ضوء الكتاب والسنة. عبد الله مرحول السوالمة.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـع ١١٩(١٤٢٣هـ).ـ ص ٢٤٧ — ٣٣٨.

٤٨٥- بعض ملامح السمات الوجدانية النفسية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة(دراسة نفسية تحليلية مقارنة).عبد المنان ملا معمور بار.ـمجلة جامعة أم القرى.ـ ع١١(١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م). ـ ص٥٣ — ٩٠.

٤٨٦- التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة(مستخلص رسالة جامعية).جميلة عبد الله حسن سقا .ـ مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية.ـمج١٤،ع ١(شوال١٤٢٢هـ)/يناير ٢٠٠٢م).ـ ص١٣٢ ــ ٢٣٣.

٤٨٧- التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها التربوية. (مستخلص رسالة جامعية) .خالد بن عوض الفعر.ـمجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية.ـ مج١٤، ع٢(جمادى الأولى١٤٢٣ هـ/ يوليو ٢٠٠٢م).ـ ص٢٧٢-٢٧٣.

٤٨٨- التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة.عبد الله بن إبراهيم اللحيدان.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـ ع ٦٦(ربيع الأول-جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ).ـ ص١٢٣ ــ ١٨٢.

٤٨٩- التواصل اللغوي من خلال النص القرآني.رشيد بلحبيب.ـ مجلة الدراسات اللغوية.ـمج٢،ع١ (ربيع الآخر ـجمادى الآخرة ١٤٢١هـ).ـ ص ١١ ــ ٣٤.

٤٩٠- التوبة في منهج القرآن الكريم.سليمان بن صالح القرعاوي.ـالبحوث الإسلامية .ـع٥١(ربيع الأول-جمادى الآخرة ١٤١٨هـ).ـص ٢٢٩ ــ ٢٩٢.

٤٩١- التوجيه العلمي في القرآن الكريم. سليمان أتش.ـ هذه سبيلي.ـ ع ٣ (١٤٠٠-١٤٠١هـ).ـص٢٣٩ــ ٢٥٣.

٤٩٢- حدود التربية الإسلامية كما بينها القرآن الكريم. حسن ملا عثمان.ـمجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ـع٦ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).ـص٥٠١- ٥٣١.

٤٩٣- حركة الأرض حول نفسها في القرآن. عبد الرحمن هشبول الشهري.ـالمجلة العلمية لجامعة الملك فيصل(العلوم الإنسانية والإدارية).ـمج١،ع١(ذو الحجة ١٤٢٠هـ).ـص ؟ــ٥٦.

٤٩٤- دروس من كتاب الله.عبد العليم الديري.ـ أضواء الشريعة.ـع٣(١٣٩٢ هـ).ـص ٨١ ـ ٩١.

٤٩٥- السؤال في القرآن الكريم،وأثره في التربية والتعليم. أحمد عبد الفتاح ضليمي.ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـ ع١١١(١٤٢١ه).ـص٢٤٧ ـ ٣١٠.

٤٩٦- الشباب في ضوء الكتاب والسنة.أحمد عمر هاشم .مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة.ـ ع ٢ (١٣٩٦-١٣٩٧ه).ـص٥٩ ـ ٧٨.

٤٩٧- الشهادة في سبيل الله(في الكتاب والسنة).مسفر بن سعيد بن دماس الغامدي.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـ ع٤١(ذو القعدة ١٤١٤- صفر ١٤١٥ هـ) .ـ ص٢٨٣ ـ ٣٢٨.

٤٩٨- ضوابط المعرفة في القرآن الكريم .دراسة قرآنية. أحمد عبد الرحمن.ـهذه سبيلي.ـع٤(١٤٠٢ه /١٩٨٢م).ـ ص١١١ ـ ١٣٨.

٤٩٩- الطفل والطفولة في القرآن والحديث.أحمد حسن الخميس.ـمجلة الدراسات اللغوية.ـمج٤، ع١ (محرم- ربيع أول١٤٢٣هـ/أبريل- يونيو٢٠٠٢م).ـ ص١١ ـ ٤٢.

٥٠٠- الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة.عبد الحليم عويس.ـمجلة البحوث الإسلامية.ـع٢١(ربيع الأول-جمادى الثاني١٤٠٨هـ).ـ١٥٩-١٩٤.

٥٠١- الظواهر المناخية في القرآن الكريم من منظور جغرافي(المطر).بدرية محمد عمر حبيب.ـ مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.ـع١٠ (رجب-رمضان١٤٢٥ه/سبتمبر-نوفمبر ٢٠٠٤م).ـ ص٢١٧ ـ ٢٥٦.

٥٠٢- العلاقات الإنسانية في القرآن الكريم . محمود بسيوني فودة.ـمجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب . ـ ع٢ (رجب ١٤٠١ه).ـ ص ١٢١ ـ ١٣٧.

٥٠٣- العلم والمعرفة بين المنهج القرآني والتصورات الإنسانية.السيد رزق الحجر.ـمجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـع٣(١٤٠٣- ١٤٠٤هـ) .ـ ص ٣٤٥ ـ ٣٩٠.

٥٠٤- العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية.عبد الرحمن

صالح عبد الله.ـ مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية.ـ مـج٧، ع١(١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م) .ـ ص١٠٥-١٣٢.

٥٠٥- الفـرح :دراسة قرآنية تربوية.زيد عمر عبد الله.ـ مجلة جامعة الملك سعود(العلوم التربوية والدراسات الإسلامية).ـمـج١٣ ،ع٢(١٤٢١هـ /٢٠٠١م).ـ ص٥٢٩ ـــ ٥٧٧.

٥٠٦- قـانون المعرفـة في القـرآن الكريم.عبد المنعم الخفاجي .ـأضـواء الشريعة.ـع٣ (محـرم١٣٩٢هـ).ـ ص ١٢١ ـــ ١٢٦.

٥٠٧- القرآن والعقل.أحمـد عبـد الرحيم السايح .ـمجلة الجامعة الإسلامية .ـس ٢، ع ٢ (رجب١٣٨٩هـ) .ـ ص ٤٩ ـــ ٥٣.

٥٠٨- القرآن والمظاهر الطبيعية.أحمد عبد الرحيم السايح .ـس٣، ع١(رجب ١٣٩٠هـ) .ـ ص٨٩-٩٢.

٥٠٩- القرآن ومعركة المصطلحات. أحمد حسن فرحـات.مجلـة الجامعـة الإسلامية.ـ س٢، ع١ (رجب١٣٨٩هـ) .ـص٤٠ـــ ٤٨.

٥١٠- القرآن والمنهج العلمي المعاصر للأستاذ:عبد الحليم الجندي.(عـرض) محمد شوقي الفنجري.ـ الدارة.ـ س١٢ ، ع٤(رجب١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .ـ ص ١٧٤ ـــ ١٨٨.

٥١١- القرآن يتحدى.محمـد سـيد طنطـاوي.ـ مجلـة الجامعـة الإسلامية.ـع٦٢(ربيع الآخر-جمـادى الآخرة١٤٠٤هـ).ـ ص١٩ ـــ ٢٧.

٥١٢- قيمـة الـزمن في القـرآن الكريم.**عودة عبد عودة عبد الله** .ـمجلة البحوث الإسلامية .ـع٧٤(ذو القعدة- ذو الحجة ١٤٢٥هـ / محـرم — صـفر ١٤٢٦هـ).ـص ٣٢٣- ٣٨٢ .

٥١٣- كتاب(قصة الإيمان بين الفلسفة والعلـم والقـرآن) للـشيخ نـديم الجسر.(عرض) عبد الرحمن عمـيرة.ـ الـدارة.ـس٤، ع ٤(محـرم ١٣٩٩هـ/ديـسمبر١٩٧٨م).ـ ص ٣٥٢ ـــ ٣٧٢.

٥١٤- الكـون في ضـوء التـصوير القـرآني:دراسـة مقارنـة.محمـد الـسنهوتي.ـمجلـة كليـة الـشريعة والدراسـات الإسـلامية

بالأحساء.ـ ع٣(١٤٠٣-١٤٠٤هـ).ـ ص ٣٨٧ـ ٤٨٢.

٥١٥- مباحث في القرآن الكريم. محمد تقي الدين الهلالي.ـ البحوث الإسلامية.ـ ع٩(ربيع الأول-جمادى الثاني١٤٠٤هـ).ـ ص٧٧-٩٦.

٥١٦- مشروع اقرأ:لتعليم اللغة العربية عن طريق القرآن .أحمد فؤاد .ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع٥٣(محرم –ربيع الأول١٤٠٢هـ).ـ ص ١١٩-١٢٥.

٥١٧- مع القرآن الكريم(سبع سموات وسبع أرضين). عبد الباقي أحمد سلامة.ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء.ـ ع٢(١٤٠٣-١٤٠٤هـ) .ـ ص٧٩ ـ ١٠٣.

٥١٨- مع كتاب الله. أحمد عبد الرحيم السايح.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ س ١٠،ع٤(ربيع الأول ١٣٩٨هـ/فبراير ١٩٧٨م).ـ ص٢٣-٣٣.

٥١٩- مفهوم القرية ودلالتها في القرآن الكريم . محمد محمود السرياني. ـ العقيق.ـ ع١و ٢(رجب ـ رمضان ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م).ـ ص١٧-٣٤.

٥٢٠- من دلالات سورة قريش.دراسات تاريخية وتربوية. أحمد عبد الرحمن عيسى .ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).ـ ع١(١٣٩٧هـ/١٩٧٧).ـ ص ٩٣ ـ ١٢٦.

٥٢١- من روائع التصوير النفسي في القرآن. توفيق سبع.ـ مجلة كلية اللغة العربية بالرياض(الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية).ـ ع٤(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).ـ ص ٩ ـ ٢١ .

٥٢٢- منطلق الفكر الإسلامي في القرآن الكريم. أبو بكر جابر الجزائري.ـ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة.ـ ع١ (١٤٠٢- ١٤٠٣ هـ).ـ ص١٤٥-١٦٢.

٥٢٣- من منهج القرآن الكريم في التربية والتعليم. محمد المجذوب.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ ع ٥٩(رجب – رمضان ١٤٠٣هـ).ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٩.

٥٢٤- من هدي القرآن في الكون والإنسان والحياة. عمر عودة

الخطيب.ـ أضواء الشريعة.ـ ع٥(جمادى الأولى١٣٩٤هـ).ـ ص٦٥ ـ ٩٩.

٥٢٥- منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة_تصور مقترح(مستخلص رسالة جامعية). خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري.ـ مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية .ـ مج١٥، ع١(ذو القعدة١٤٢٣هـ/يناير ٢٠٠٣م). ـ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

٥٢٦- نظرات في كتاب الله .حسين محمود المصري.ـ مجلة الجامعة الإسلامية.ـ س ١٠، ع١ (جمادى الآخرة١٣٩٧هـ/ مايو١٩٧٧م).ـ ص٧ ـ ١٦.

٥٢٧- نماذج من البدهيات في القرآن الكريم وقيمتها الدلالية. يحيى بن أحمد بن مهدي عريشي.ـ مجلة كليات المعلمين.ـ مج١، ع٢(رجب١٤٢٢هـ/ أكتوبر٢٠٠١م) .ـ ص١٤١ ـ ١٩٠.

٥٢٨- هل دراسة اللهجات العربية ثورة على القرآن الكريم ؟ أو خدمة لأمة العرب. عبد الله عباس الندوي.ـ مجلة كلية الشريعة الدراسات الإسلامية بمكة. ـ ع١(١٣٩٣هـ/١٣٩٤هـ). ـ ص ١٣٩ ـ ١٥٤ .

٥٢٩- الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة . عبد الرحمن بن محمد بلعوص .ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ـ ع١٣ (ذو القعدة ١٤١٥هـ/أبريل١٩٩٥م).ـ ص٤١٣ ـ ٤٩٦.

١٢- ببليوجرافيا قرآنية (*)

٥٣٠- استدراكات على كتاب تاريخ التراث العربي في كتب التفسير. حكمت بشير ياسين.ـ مجلة الجامعة الإسلامية .ـ [ع٦٧-٦٨ (رجب- ذو الحجة ١٤٠٥هـ).ـ ص٨٦-٩٨]+[ع ٦٩-٧٠(محرم –جمادى الآخرة١٤٠٦هـ).ـ ص٦٥-٧٩]+[ع٧٣-٧٤(محرم – جمادى الآخرة١٤٠٧هـ).ـ ص٩-٤٢]+[ع٨٥-١٠٠(محرم ١٤١٠هـ- ذو الحجة ١٤١٣هـ).ـ ص١٧١-٢١٨.

٥٣١- إعجاز القرآن: قائمة ببليوجرافية منتقاة (١٤٠١-١٤٠٤هـ). محيي الدين عطية .ـ عالم الكتب.ـ مج٥، ع٤(ربيع

الآخر١٤٠٥هـ /يناير١٩٨٥م). ــ ص ٧٠٨ ــ ٧١١.

٥٣٢- التفسير والمفسرون:قائمة ببليوجرافية منتقاة (١٤٠١-١٤٠٤هـ).محيي الدين عطية.ــعالم الكتب.ــمج٥ ،ع٣(محرم١٤٠٥هـ /أكتوبر١٩٨٤م) .ــص٥٣٤ ــ ٥٤٢.

٥٣٣- حول علوم القرآن في كتاب تاريخ التراث العربي، تأليف:د.فؤاد سزكين. صبحي عبد المنعم سعيد.ــ مجلة كلية الآداب(جامعة الرياض).ــع٦ (١٣٩٩ه /١٩٧٩م).ــ ص٣٦٩ ــ ٣٩٦.

٥٣٤- شراح منظومة:حرز الأماني ووجهة التهاني في القراءات السبع المعروفة اختصاراً بـ (الشاطبية) لأبي القاسم بن فيره الشاطبي(ت ٥٩٠): عرض ببليوغرافي.مولاي محمد إدريس الطاهري .ــ عالم المخطوطات والنوادر.ــمج٦، ع١(المحرم-جمادى الآخرة١٤٢٢ه).ــ ص٢٢٩ ــ ٢٤٣.

٥٣٥- علوم القرآن(ببليوجرافيا مما صدر في المملكة العربية السعودية١٤٠٠-١٤٠٩ه).محمد خير رمضان يوسف .ــعالم الكتب.ــمج١٢،ع١(رجب ١٤١١هـ).ــص٥٤ ــ ٧٠.

٥٣٦- فهارس مسائل النحو والصرف في معاني القرآن للفراء. (صنع) محمد عبد الخالق عضيمة. ــ مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). ــع١٣و١٤(١٤٠٣-١٤٠٤هـ).ــص١٨٧ ــ ٢١٦ .

٥٣٧- المعاجم القرآنية في آداب اللغة الأردية:دراسة تقابلية. سمير عبد الحميد إبراهيم . ــ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ــع٣٥(رجب ١٤٢٢هـ).ــ ص١٩٣ ــ ٢٨٠.

٥٣٨- معجم مصنفات القرآن لعلي شواخ. (عرض ونقد) حسين عبد الرحمن الشيمي.ــعالم الكتب.ــمج٨ ،ع ١ (رجب١٤٠٧هـ).ــص٨٤ ــ ٨٧.

٥٣٩- ملاحق(نماذج من ببليوجرافية علوم الدين الإسلامي)مجلد علوم القرآن. ؟.ــمجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .ــع٨(١٣٩٨ه/١٩٧٨م).ــص٥٣٠ــ ٥٦٤ .

فهرس الكُتَّاب

(أ)

فهرس النصوص المحققة

المخطـــوط	المـؤلـف	الرقـم
رسالة كلا في الكلام والقرآن	أبي جعفر أحمد بن رستم الطبري	٢٦٦
رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية أجاب فيها على أسئلة في علم القراءات	شيخ الإسلام ابن تيمية	٣٤٥
سورتا الفاتحة والبقرة من المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر	أبي الكرم الشهرزوري	٣٣٣
الظاءات في القرآن الكريم	أبي عمرو الداني	١٥٦
كتاب فضائل القرآن	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٣٠٧
كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف	ابن وثيق الأموي الأندلسي	١٦١
الكلام على قوله تعالى(إن هذان لساحران)	شيخ الإسلام ابن تيمية	٣٨٩
ما انفرد به القراء الثمانية من الياءات والنونات والتاءات والباءات	أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون	٣٤٦

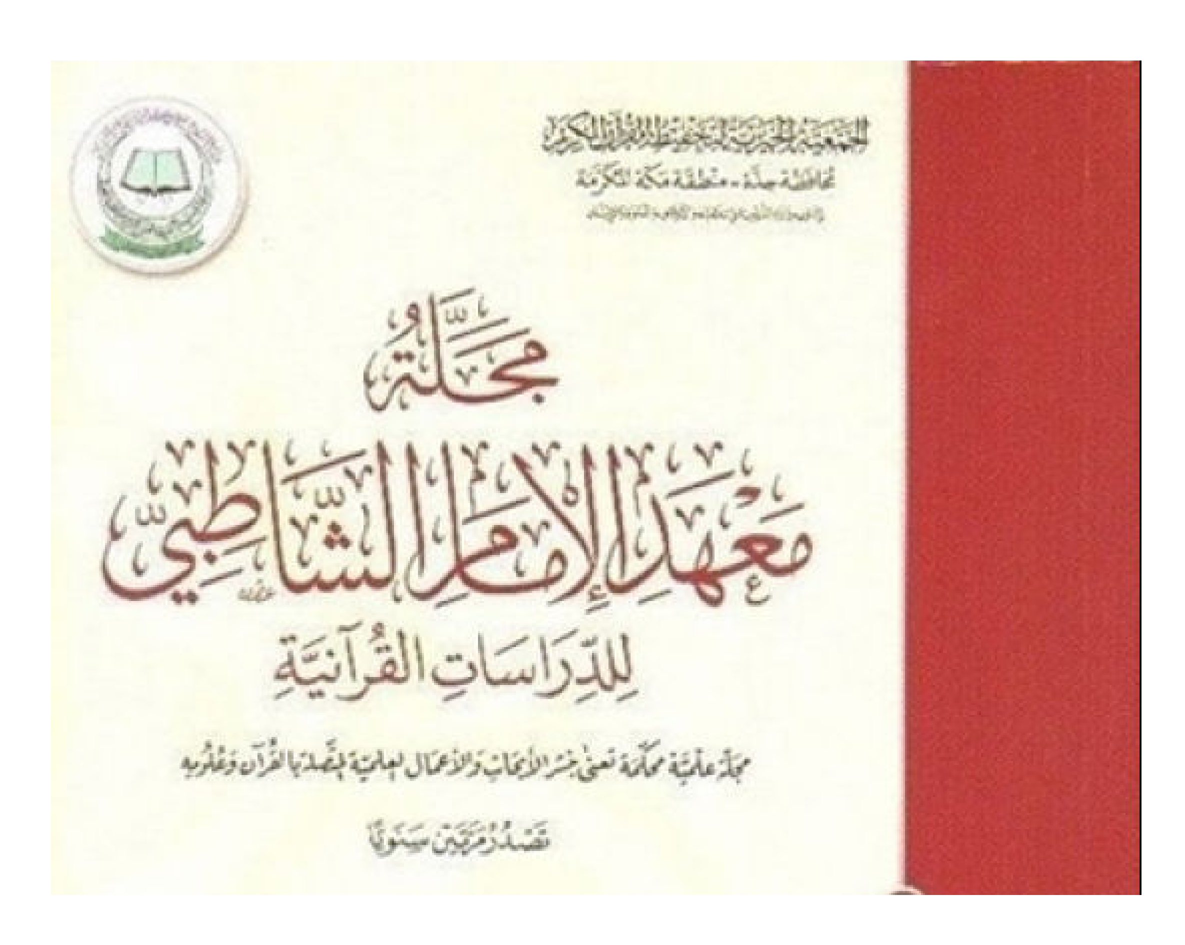


فهرس هجائي لرؤوس الموضوعات

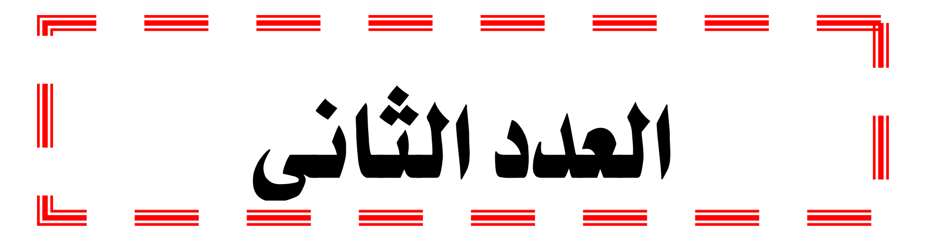
تنسيق وفهرسة

المشرق

غفر الله له ولوالديه



العدد الثاني





تفسير القرآن بالقرآن

دراسة تأصيلية

إعداد

د . أحمد بن محمد البريدي *

* من مواليد مدينة بريدة عام ١٣٩٣هـ .

- نال شهادة الماجستير من جامعة أم القرى بتحقيق الجزء الأخير من تفسير الثعلبي، ثم نال شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: "**جهود الشيخ ابن عثيمين في التفسير وعلوم القرآن**" ، والكتاب مطبوع .
- يعمل أستاذاً مساعداً بقسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين، ومشرفاً في شبكة التفسير والدراسات القرآنية .

الملخص

تحدثت عن الجانب التأصيلي لتفسير القرآن بالقرآن من محورين :

المحور الأول: خصصته للحديث عن مقدمات مهمة في الموضوع تمثل تأصيلاً للجانب النظري، واشتمل على: أهمية الموضوع، وتعريفه، وطريقة الوصول إليه، وحجيته، ومصادره، و ما يطلب من المفسر في تفسير القرآن بالقرآن .

المحور الثاني: وتحدثت فيه عن تأصيل الجانب التطبيقي لتفسير القرآن بالقرآن، واشتمل على: أقسام القرآن من جهة البيان، ومعتمد الربط بين الآيات، وأوجه تفسير القرآن بالقرآن والتي بلغت تسعة عشر وجهاً .

وقد خلصت إلى جملة من النتائج والتوصيات هي :

- أن تعريف تفسير القرآن بالقرآن هو تعريف التفسير يقيد فيه فقط .
- أن تفسير القرآن بالقرآن درجات وأنواع فهو يختلف قوةً وضعفاً ، وقرباً وبعداً ، وظهوراً وخفاءً، ومطابقة ومقاربة ، والكل يقدر بقدره، فمتى استفدنا بيان آية من آية أخرى من أي وجه فهو داخل في هذا النوع من التفسير، كما دلّ عليه صنيع من استعمل هذا الطريق من المفسرين .
- أن هناك من أخطأ في استعمال هذا الطريق كمن استدل به على معتقد فاسد، أو أراد به إنكار السنة.
- الدعوة للتطبيق العملي للمصطلح، واستكمال بقية جوانبه بالبحث والتحرير والتي أشرت إلى بعضها في خاتمة البحث .

المقـــدمة

الحمد لله مترل الفرقان ، على سيد ولد عدنان ، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، آية للرسول خالدة ، ومعجزة له باقية ، حجة لله على خلقه ، من اهتدى به هُدي ، ومن ضل عنه عمي ، كتاب لا تنقضي عجائبه، فيه الأسرار البديعة، والمعاني العظيمة، دعا الله إلى تدبره فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وأبواب التدبر كثيرة، ووسائله الموصلة إليه متعددة، وتأمـــل آيـــات القرآن والبحث عن تفسيرها من القرآن نفسه هو من وسائل التدبر ، وأول طريق من طرق التفسير، ولقد كان لبعض طرق التفسير نصيبًا مـــن جهـــود الباحثين ،فهناك رسائل علمية في تفسير الصحابة ، وفي تفسير التابعين ، وفي التفسير اللغوي، وبقي من هذه الطرق طريقان هما : تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة ، ولعل القارئ الكريم يتفق معي أن الأولى البدء بهما ، فهما المقدمان على غيرهما، فاستعنت الله تعالى بتناول الجانب التأصيلي لتفسير القرآن بالقرآن، ولعلّ الله يُيسِّر من يكمل بقية جوانبه[(١)]، فجاء في مبحـــثين، إليك تفصيلهما :

المبحث الأول: مقدمات في تفسير القرآن بالقرآن

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: أهمية تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) من أحسن الكتابات في هذا الموضوع ما طرحه الدكتور مساعد الطيار في كتابه مقالات في علـــوم القرآن (ص١٢٧)، وفي كتابه شرح مقدمة في أصول التفسير (ص٢٧١)، وقد استفدت مما كتبه.

المطلب الثاني: تعريفه.

المطلب الثالث: طريقة الوصول إليه.

المطلب الرابع: حجيته.

المطلب الخامس: مصادره .

المطلب السادس:ما يطلب من المفسر في تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني : تأصيل الجانب التطبيقي لتفسير القرآن بالقرآن

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: أقسام القرآن من جهة البيان .

المطلب الثاني: معتمد الربط بين الآيات .

المطلب الثالث: أوجه تفسير القرآن بالقرآن .

وهذا أوان الشروع بالمقصود، والله الموفق .

المبحث الأول

مقدمات في تفسير القرآن بالقرآن

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول

أهمية تفسير القرآن بالقرآن

لقد تكفّل الله سبحانه وتعالى ببيان القرآن وتفصيله وإيضاحه ، دلّ على ذلك آياتٌ كثيرة منها قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:من الآية١٨٧]، وقوله :﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:من الآية٢٢١]، وقوله : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٩]، وقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٠٥]، وهذا البيان المذكور متعدد الطرق والوسائل، فمنه بيان النبي صلى الله عليه وسلم، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]، ومنه بيان أهل العلم فهم ورثة الأنبياء، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

ومن بيان القران ما جاء في القران نفسه ، وهو أول طريق من طرق تفسير القرآن ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؛ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في

موضع آخر"[١]، وقال ابن القيم : " وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"[٢] .
وترجع هذه الأهمية إلى عدة أمور:

الأول: لا شك أن أصدق تفسير لكتاب الله هو كلام الله؛ لأنه صادر من المتكلم به ، فقائل الكلام أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره ، فإذا تبين مراد القرآن من القرآن فلا يعدل عنه إلى غيره ، وقد ذكر الشنقيطي إجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا .[٣]

وهذا معلوم في اللغة والعرف والشرع، بل إن بعض القرآن متوقفٌ فهمه الفهم التام على بيان القرآن نفسه، كما قرر ذلك الشاطبي رحمه الله حيث قال مبيناً أهميته: إن بعضه – أي القرآن – يبين بعضه، حتى إن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير مواضع أخرى أو سورة أخرى [٤].

الثاني : استعمال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطريق إذ نقل عنه عددٌ من المرويات[٥] فسر فيها بعض الآيات بآيات أخرى؛ إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى صحة استعمال هذا الطريق من التفسير ، وتأصيله .

الثالث : استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الطريق واكتسابه الجانب التأصيلي جعله منهجاً تفسيرياً سار عليه سلف الأمة من الصحابة

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣ .

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص ١٨٥ .

(٣) أضواء البيان (٣/١).

(٤) الموافقات (٢٥٤/٣) بتصرف يسير .

(٥) ستأتي أمثلة لذلك عند الحديث على مصادر تفسير القرآن بالقرآن .

والتابعين وأتباعهم؛ ففي المنقول عنهم من أمثلته الشيء الكثير .[(١)]

الرابع: وبناءً على ما تقدم اعتمده المفسرون في تفاسيرهم وتتـابعوا عليه، فالناظر في تفاسيرهم يجد تفسير القرآن بالقرآن ظاهراً وبارزاً، سـواءً بنقل تلك الروايات المأثورة عن السلف، أو بقيامهم بهذه المهمة مـن قبـل أنفسهم.

الخامس: أن تفسير القرآن بالقرآن بابُ من أبواب التدبر المأمور به في مثـل قولـه تعـالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

فما تقدم وغيره يدل على أهمية هذا الطريق من طرق التفسير، ولذا لا ينبغي الانتقال من هذه المرحلة إلى غيرها إذا صح شيء من ذلك، فالناظر في القرآن يدرك أن فيه الإيجاز والإطناب، والإطلاق والتقييد، والعام والخـاص، والمبهم والمبيَّن، فكان لزاماً على من أراد أن يخوض غمار التفسير أن يبدأ قبل كل شيء في جمع كل ما تكرر من ذكر الحادثة أو القصة، ويقابل الآيـات بعضها ببعض؛ ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، ويفهم مـا جاء مبهماً بواسطة ما جاء مبيناً، وهكذا... وبهذا يكون قد فـسر القـرآن بالقرآن، وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان؛ فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان؛ فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك؛ فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقـرآن

---

(١) ستأتي أمثلة لذلك عند الحديث على مصادر تفسير القرآن بالقرآن.

وموضحة له ..." إلى أن قال: "والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ..." إلى آخر كلامه[١].

فدل على أن تفسير القرآن بالقرآن هو المقدم، وتقديمه لا يعني إهمال بقية طرق التفسير بل هذه الطرق يكمل بعضها بعضاً.

المطلب الثاني

تعريف تفسير القرآن بالقرآن

لقد تتابع أهل العلم على استعمال هذا الطريق من طرق التفسير والإشارة إليه سواءً في كتب التفسير أو كتب علوم القرآن، بل وفي بعض كتب أصول الفقه ، لكنهم اكتفوا باستعماله وببيان صحته، وذكر بعض أنواعه ، والتمثيل له ، دون وضع تعريف أو حدٍ له ، ولعل السبب في ذلك – والله أعلم – يعود إلى أمرين :

الأول: الاكتفاء بالتمثيل عن التعريف، وكما قيل بالمثال يتضح المقال.

الثاني :ارتباطه بمصطلح التفسير، ووجه هذا الارتباط أن تفسير القرآن بالقرآن نوع من أنواع التفسير ، وجزء منه ، فاكتفوا بتعريف الكل عن تعريف الجزء، فمتى تبين مصطلح التفسير واتضح يتبين معنى تفسير القرآن بالقرآن ، وذلك عن طريق تقييده بهذا النوع من التفسير؛ ليخرج بقية أنواع التفسير ومصادره كتفسير القرآن بالسنة ، وتفسيره بأقوال السلف ، وتفسيره بما ورد في لغة العرب .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص٩٣ .

ولمعرفة المراد بهذا المصطلح لا بد من معرفة معنى التفسير ، والتفسير قد اختلفت عبارات المعرِّفين له، فعُرِّف بتعريفاتٍ كثيرةٍ، وممن عرفه ابن جُزي الكلبي، وأبو حيان، والزركشي بتعريفين مختلفين، والزرقاني وغيرهم [١]، وأحسن هذه التعريفات ما كان منطلقاً من المعنى اللغوي.

وقد نص ابن الأعرابي على أن التفسير لغة: مأخوذٌ مِن الفَسْرِ، وهو الكَشْفُ عن المغَطَّى [٢] ، وقال ابن فارسٍ: " الفَاءُ والسِّينُ والرَّاءُ؛كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على بيانِ شيءٍ ، وإيضاحه " [٣] .

وعلى هذا فتعريف تفسير القرآن هو بيان القرآن، فما كانَ داخلاً في بيانِ القرآنِ الكريمِ فهو مِن التفسيرِ، وما لم يدخل فليس من التفسير.

وبما أننا نعرف التفسير بالبيان فتعريف تفسير القرآن بالقرآن اصطلاحاً هو: **بيان القرآن بالقرآن** .

لكن ينبغي أن نعلم أن البيان درجات وأنواع فهو يختلف قوةً وضعفاً، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً، ومطابقة ومقاربة، كما سيتبين ذلك عند ذكر الأمثلة، والكل يقدر بقدره، كما أن أنواعه مختلفة كذلك، فأعلاه البيان اللفظي، لكنه غير محصور فيه، إذ هو نوع من أنواع البيان.

---

(١) انظر : تفسير ابن جُزَيّ (١ / ٦) ، تفسير أبي حيّان (١ / ٢٦)، البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٣) و (٢ / ١٦٣) ، مناهل العرفان في علوم القرآن (٢ / ٣) ، ذكر هذه التعريفات وناقشها د . مساعد الطيّار في كتابه : التفسير اللغويُّ للقرآن الكريم ص ٢١ وما بعدها، وخلص إلى أنّ الحَدَّ المنطلق من المعنى اللغوي هو الصواب، فراجعه إن شئت.

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهريّ (١٢ / ٤٠٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٥٠٤) وللاستزادة انظر : مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني ص ٤٧ ، والبرهان في علوم القرآن (٢ / ١٦٢).

والخلاصة أن مرادنا مطلق البيان، فمتى استفدنا بيان آية من آية أخرى من أي وجه؛ فهو داخل في هذا النوع من التفسير ، ويدل عليه صنيع من استخدم هذا الطريق من السلف والمفسرين، كما سيتضح إن شاء الله عند ذكر أمثلة له ، فنسمي ما تقدم تفسير قرآن بقرآن ، ويبقى النظر والتأمل عند الاستدلال به ، وفرق بين التسمية والاستدلال .

المطلب الثالث

طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن

عند التأمل يظهر أن لتفسير القرآن بالقرآن طريقين :

الطريق الأول: الوحي، وله صورتان:

الصورة الأولى: ما جاء صريحاً وواضحاً في القرآن نفسه مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق]، فالطارق هنا قطعاً المراد به النجم الثاقب، فالملاحظ هنا أن النجم الثاقب جواباً للسؤال عنه في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ .

ومثله أيضاً : ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤﴾ [القارعة] فالقارعة تفسيرها: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ جواباً لقوله تعالى: ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾.

الصورة الثانية : ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، وهو هنا من باب التفسير بالمأثور باعتبار أن القائل به هو النبي صلى الله عليه وسلم، وستأتي أمثلة لذلك .

الطريق الثاني : الرأي والاجتهاد فقول المفسر هذه الآية تفسرها هذه الآية هو من قبيل الاجتهاد ثم يخضع هذا الاجتهاد للنظر والمناقشة ولا يشكل على ما قلت عدُّ بعض المصنفين تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور فذلك إنما هو بالنظر إلى المفَسَّرِ بهِ وطريق وصوله إلينا لا إلى عملية التفسير المعتمدة على الفهم والاجتهاد بين الآيتين وجعل إحداهما مبيّنة للأخرى والذي هو من قبيل التفسير بالرأي، وبهذا التفصيل يتضح لك أنه لا فرق **بين** قولنا إن تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور - كما يسميه بعض أهل العلم ومنهم على سبيل المثال شيخ الإسلام حينما قال: ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى ويصرف الكلام عن ظاهره ؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة وإن سمي تأويلا وصرفا عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه ولموافقة السنة والسلف عليه ؛ لأنه تفسير القرآن بالقرآن ؛ ليس تفسيراً له بالرأي . والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين كما تقدم[1] - **وبين** قولنا إن تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالرأي؛ فكلا الرأيين متجه على التفصيل السابق، والنظرين السابقين، والله أعلم .

المطلب الرابع
حجية تفسير القرآن بالقرآن

والمراد به هل يلزم من قولنا: إن تفسير القرآن بالقرآن أصح طرق

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦ / ٢١).

التفسير قبوله مطلقاً، فربما يفهم أحد من هذه العبارة ذلك، والواقع خلاف ذلك إذ لا نقول بحجيته مطلقاً، ولا نرده مطلقاً بل له أحوال ترجع إلى من قام بالتفسير:

فإن كان المفسر هو النبي صلى الله عليه وسلم، وصح ذلك عنه، فهو حجة، لأنه وحي، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

وإن كان المفسر هو الصحابي فيجري عليه ما يجري في حكم تفسير الصحابي، وكذا إن كان المفسِّر هو التابعي فحكمه حكم تفسير التابعي [(١)]؛ لأن تفسير القرآن بالقرآن نوع من التفسير وجزء منه ، ولذا تصح مخالفة القائل به إذا صح دليل المخالفة، وعلى هذا صنيع من اعتمد هذا الطريق، ومن أمثلة ذلك:

ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره أورد تفسير مجاهد عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس:٢٠] بأن المراد بالسبيل طريق الخير والشر معتمداً على قوله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] لكنه لم يرتضه بالرغم من اعتماد مجاهد على تفسير القرآن بالقرآن، وإنما رجح قول ابن عباس المعتمد على سياق الآية حيث قال : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسَّره.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه أشبههما بظاهر الآية،

---

(١) انظر في حكم تفسير الصحابي وحكم تفسير التابعي: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص١٠٠ وما بعدها ، البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٩)، إعلام الموقعين لابن القيم (٤ /١١٨) الموافقات للشاطبي (٣ / ١٩٥)، كتابي: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن (ص٢٣٨) وما بعدها .

وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفة خلقه وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده[1].

ومن الأمثلة أيضا: ما ذكره قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس:٣٧] حيث قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل .[2]

فجعل الانسلاخ بمعنى الولوج ، مع ما بين هذين الفعلين من الاختلاف المؤدي لاختلاف المعنى ، فلم يسلم ابن جرير لقتادة هذا المعنى حيث قال بعد إيراده: وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي من معنى سلخ النهار من الليل بعيد ، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلْخ من ذلك في شيء، لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار، ولا كلّ النهار في كلّ الليل.اهـ .

وعلى هذا فليس كل من حمل آية على أخرى يقبل قوله بحجة أنه تفسير للقرآن بالقرآن، وإلا فأهل البدع قد استعملوا هذا الطريق تقريراً لبدعتهم، فأنت ترى المؤولة فسروا قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] أن المراد به جاء أمره استدلالاً بقوله تعالى: ﴿جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]

---

(١) تفسير ابن جرير (٥٥/٣٠) .

(٢) المرجع السابق (٥/٢٣) ، واللفظ الذي ذكره قتادة ورد في آيات متعددة في سورة الحج وفي سورة لقمان وفي سورة الحديد ، وجاء بالتاء " تولج " في سورة آل عمران ، وهذا هو السبب في إشارة قتادة إليها دون تعيينها .

وقولهم: إن الإتيان في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]بأنّ المرادَ إتْيانُ أَمْرِه مُسْتشهدينَ بقوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾[النحل:٣٣]. وهذا غير مسلم مع أن مستندهم واعتمادهم تفسير قرآن بقرآن، وذلك لمعارضته لما تقرر بأن صفات الله تعالى توقيفية، فيتوقف فيها على ما ورد، وقد أشار إلى هذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال – بعد إثباته صفة الإتيان لله تعالى– :"ولا يُعارِضُ ذلكَ أنّ الله قد يُضيفُ الإتيانَ إلى أمْرِه مثلَ قوله تعالى:﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١]، ومثلَ قوله تعالى:﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾ [النحل:٣٣] لأنّنا نقولُ: إنّ هذا مِن أمُورِ الغيب ؛ والصفاتُ تَوقيفية؛ فنــتوقّفُ فيها على ما وَرَد؛ فالإتيانُ الذي أضافهُ الله إلى نفْسه يكونُ المرادُ به إتيانُه بنفْسه؛ والإتيانُ الذي أضافه الله إلى أمْرِه يكونُ المرادُ به إتيانُ أمره ؛ لأنّه ليس لنا أنْ نقولَ على الله ما لا نعْلَم ؛ بلْ علينا أنْ نتوقّفَ فِيما وَرَدَ على حَسبِ ما وَرَد [١].

المطلب الخامس

مصادر تفسير القرآن بالقرآن

عند التأمل يظهر أن لتفسير القرآن بالقرآن أربعة مصادر:

المصدر الأول: التفسير النبوي

لقد نقل عن النبي ﷺ الكثير من التفسير، فكان أحياناً يســتعمل هــذا

---

(١) تفسير سورة البقرة (٣ / ١٦).

الطريق فيفسر آية بآية أخرى، أو يشير إليها، وهذا النوع أعلى مصادر تفسير القرآن بالقرآن ومن أمثلته:

١- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ:

((**ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣])) .(١)

قال الزركشي: فحمل النبي ﷺ الظلم هاهنا على الشرك لمقابلته بالأيمان واستأنس عليه بقول لقمان. (٢)

وقال ابن حجر : وظاهر هذا أن الآية التي في لقمان كانت معلومة عندهم ولذلك نبههم عليها ، ويحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال فتلاها عليهم ثم نبههمْ . (٣)

ولقد عاب الشوكاني على الزمخشري عدم تفسيره الظلم هاهنا بالشرك، حيث قال: والعجب من صاحب الكشاف حيث يقول في تفسير هذه الآية :

وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس ، وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرها بهذا ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.(٤)

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: ولم يلبسوا إيمانهم بظلم(٥/ ١٩٣)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه (١/١١٤)، باب برقم (١٩٧) .

(٢) البرهان في علوم القران (٢/ ٢٠١) .

(٣) فتح الباري (١/١٢٢) .

(٤) فتح القدير (٢/١٣٥)، قلت: ورده هذا التفسير النبوي تأويلاً للآية على أصول الاعتزال؛ لأنّ العاصي غير آمن من الخلود في النّار فهو مساوٍ للكافر في ذلك عندهم .

٢- حديث أبي سعيد بن المعلى أن النبي ﷺ قال: ((**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي أوتيته**)).(١)

والحديث تفسيرٌ لآية الحجر المكية ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧] بسورة الفاتحة.

قال الشنقيطي رحمه الله: هذا نص صحيح من النبي ﷺ أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم: فاتحة الكتاب ، وبه تعلم أن قول من قال إنها السبع الطوال غير صحيح ، إذ لا كلام لأحد معه صلى الله عليه وسلم . ومما يدل على عدم صحة ذلك القول: أن آية الحجر هذه مكية، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة، والعلم عند الله تعالى.(٢)

٣- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((**مفاتح الغيب خمس ثم قرأ:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤])).(٣)

قال ابن عاشور : " لقبت هذه الخمسة في كلام النبي ﷺ بمفاتح الغيب ، وفسر بها قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. "(٤)

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القران، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب (٥/ ١٤٦) .

(٢) أضواء البيان (٣/ ١٧٦) .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: وعنده مفاتح الغيب (٥/ ١٩٣) .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/١٩٨) .

٤- حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير:٧] قال: **الضُّرَبَاء: كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك أن الله يقول:** ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة]".(١)

واستعمال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الطريق، وإن كان قليلاً؛ يكسبه التأصيل العلمي، ويجعله من أهم مصادر تفسير القرآن .

المصدر الثاني: تفسير الصحابة

نقل عنهم من ذلك الكثير، وهم في المرتبة الثانية، ومن أمثلته:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير:٧] قال: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة وقال: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات:٢٢] قال: ضُرَبَاءَهُم .

وفي رواية أن عمر قال للناس: "ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ ؟ فسكتوا. قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار، ثم قرأ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾"(٢).

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٦٩) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره مسنداً كما أورده ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٢٣) كلاهما من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك بن حرب عن النعمان مرفوعاً، وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو من قول عمر، كما سيأتي بعد قليل. قال ابن حجر بعد ذكره لأثر عمر: "رواه الوليد بن أبي ثور عن سماك بن حرب فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقصر به فلم يذكر فيه عمر ، جعله من مسند النعمان ، أخرجه ابن مردويه ، وأخرجه أيضا ، من وجه آخر عن الثوري كذلك ، والأول هو المحفوظ " .فتح الباري (٩/٧٠٦).

(٢) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٦٩) ، والحاكم في مستدركه (٢/٥٦٠) وقال: حديث صحيح الإسناد =

قال ابن جرير بعد ذكره للقولين في المسألة : وأولى التأويلين في ذلك بالصحة الذي تأوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلة التي أعتل بها ... وذلك لاشك الأمثال والأشكال في الخير والشر، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ بالقرناء والأمثال في الخير والشر.

٢- عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣] فقال: الشاهد محمد ثم قرأ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]، والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣]".[(١)]

٣- عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥]: أما الأولى فحين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨] وأما الآخرة فحين قال:" ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]".[(٢)]

وابن عباس رضي الله عنه هو أشهر من استعمل هذا الطريق من الصحابة، فقد نقل عنه من ذلك الكثير.[(٣)]

٤- عن القاسم قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : " ما ننسخ من آية

= ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: إسناد متصل صحيح فتح الباري (٩/٧٠٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٣) ، وقد روي مرفوعاً، ولا يصح كما تقدم .

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/ ١٣٠).

(٢) المرجع السابق (٣٠/ ٤١) .

(٣) انظر على سبيل المثال في تفسير ابن جرير الجزء الأول الصفحات التالية (٦٨- ١٥٤- ١٨٦- ٢٧٦- ٢٨٢ – ٣٥٤- ٤٩٠ –٥٢٤-٥٢٦) . وفي الجزء الثلاثين الصفحات التالية:(١٣٠-١٧٨-٢٥٩-٢٨٦-٣٠٨).

أو تَنْسَها "[البقرة :١٠٦] قلت له : فإن سعيد بن المسيب يقرؤها " أو ننسها " فقال سعد : إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب، قال الله : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٦] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤](١).

٥- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا﴾ [غافر:١١]:هي كالتي في البقرة﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]" .(٢)

ولعلي أدع ذكر الرابط بين الآيات في هذه الأمثلة ليعمل فيها القارئ ذهنه بعد قراءته لمبحث أوجه تفسير القرآن بالقرآن .

المصدر الثالث: التابعون وأتباعهم وهم في المرتبة الثالثة

وقد ورد عنهم من ذلك الشيء الكثير، وأكتفي بذكر مثالين:

١ – قال مجاهد في قوله: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]: " الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشى الذنوب عليه قال مجاهد: مثل الآية التي في سورة البقرة ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠]".(٣)

---

(١) تفسير ابن جرير (٤٧٦/١) وعبد الرزاق في تفسيره (٥٥/١) ، والحاكم في مستدركه (٥٦٧/٢)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفي ألفاظه اختلاف ، والمقصود هنا المثال ، ولتحرير ذلك يراجع تفسير ابن كثير (٢٦٣/١) ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات لابن جني (١٠٣/١) .

(٢) تفسير ابن جرير (١٨٦/١).

(٣) المرجع السابق (١٠٠/٣٠)، وللاستزادة انظر أيضًا تفسير ابن جرير (١/ ١٨٦ – ٢٤٤ – ٥٢٥- ٥٢٦ -٥٧١).

٢- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر:٣٧] قال: النذير: النبي، وقرأ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾[١] [النجم :٥٦] .

وهو أشهر من نقل عنه هذا النوع من المتقدمين، فلقد أكثر من استعمال هذا الطريق.[٢]

وممن نقل عنه أيضًا على سبيل التمثيل لا الحصر:

قتادة[٣] ، وعكرمة[٤] ،والضحاك[٥] ، و الحسن البصري[٦] ، والربيع بن أنس[٧] ، و محمد بن إسحاق[٨] ، والسدي[٩]، وأبو العالية[١٠] ، وعبد الملك بن جريج[١١] ،

---

(١) تفسير ابن جرير (١٤٢/٢٢).

(٢) انظر: نماذج من تفسيره في تفسير ابن جرير (١/ ١٢٢- ١٨٧- ٢٤٣- ٢٤٩ - ٢٥١- ٢٦١- ٢٦٥ - ٢٧٨- ٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٧١ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٥٥٧ - ٥٦٩)- وفي (٣٠/ ٥- ٢١ - ٢٣ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٧ - ٥٥ - ٦٠ - ١١٦- ١٤٩ - ١٦٦ - ١٧٤ - ٢٠١ - ٢٧٩ - ٢٨٣ - ٣٠٩).

(٣) انظر:(٣٠ / ٣ -٣٤ - ١١١ - ٥٩٧) هذه الإحالة وما بعدها كلها عند ابن جرير في تفسيره .

(٤) انظر: (٣٠ / ١٣١- ٥٢١ - ٥٢٥) .

(٥) انظر:٣٠ (ا / ١٨٦).

(٦) انظر: (١ / ٤٨ - ٢٤٥- وفي ٣٠ / ٣١-٢٤٨).

(٧) انظر: (١/ ١١٥ - ١٧٧ - ٢٤١ - ٥٢٦).

(٨) انظر: (١/ ٢٢٥).

(٩) انظر: (١/ ٢٢٧ - ٢٣٥-٢٧٧ - ٢٨٦- ٣٣١).

(١٠) انظر: (١/ ٢٤١ - ٢٤٤).

(١١) انظر: (١/ ٢٥٠- ٢٧٦).

وقيس بن سعد[١] ، وعطاء [٢] ، و محمد بن كعب القرظي [٣] ، والكلبي[٤] ، وشمر بن عطية[٥] ، وأبو صالح[٦] ، وسفيان الثوري[٧] ، وسفيان بن عيينة [٨]، وغيرهم .

ولقد كان للسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم في استعمال هذا الطريق عدة أساليب فمنها:

١- النص على معتمد الربط بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة .

٢- الاكتفاء بذكر الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة ، دون بيان معتمد الربط بينهما، وهو الأغلب في صنيعهم .

٣- النص على اسم السورة أحياناً إن كان هناك أكثر من آية.

٤- الإشارة إلى الآية المفسِّرة دون ذكرها .

المصدر الرابع: المدونون في التفسير الذين اعتمدوا هذا الطريق

الكثير من كتب في التفسير اعتمد هذا الطريق فمن مقل ومكثر ، لكن نشير هنا إلى أشهر من اعتمده وأكثر منه ، وقد كان ذلك على طريقتين:

الطريقة الأولى: الاهتمام والعناية به ضمن التفسير دون إفراده، ومن أشهرهم:

---

(١) انظر: (١/ ٥٢٠).

(٢) انظر: (١/ ٣٨٧).

(٣) انظر: (٣٠ / ٣٥٠).

(٤) انظر: (٣٠ / ٦٨).

(٥) انظر: (٣٠ / ٦٨).

(٦) انظر: (١/ ٥٢٥).

(٧) انظر تفسيره في الصفحات التالية : ٤٣-٧٨- ٩٩ – ١٤٧ – ٢٢٦ – ٢٣٩ – ٢٤٨.

(٨) انظر تفسيره في الصفحات التالية : ٢٥٣- ٢٩٣- ٣٠٧ – ٣١٤ – ٣٢٠ .

١- تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان عن تفسير آي القرآن.

وكان تفسير القرآن بالقرآن فيه على نوعين :

النوع الأول: ما نقله من الأحاديث والآثار في هذا الباب، وقد تقدم أمثلة لذلك.

النوع الثاني: قيام ابن جرير نفسه بعملية التفسير، ومن أمثلته:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧] قال:والذي رَغب اللهُ في وَصْله وذمّ على قطعه في هذه الآية: الرحم، وقد بين ذلك في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢] [(١)] .

٢- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم.

وتفسير القرآن بالقرآن فيه على نوعين منقول ومقول كصنيع ابن جرير، والمقول أكثر وهذا يتبين للناظر في تفسيره من أول وهلة حتى قل أن تجد صفحة ليس فيها عبارة: وهو كقوله تعالى، ومن أمثلته:

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة :٣] قالَ : "والدَّم : يعني به المسفوحَ ، كقولهِ: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: من الآية١٤٥] قالهُ ابنُ عبّاسٍ ، وسعيدُ بن جبير"[(٢)].

ولذا قال أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير لاختصار تفسير ابن

---

(١) تفسير ابن جرير (١/١٨٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٧٨) .

كثير: "حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير الميزة التي انفرد بها عن جميع التفاسير التي رأيناها وهي تفسير القرآن بالقرآن فلم أحذف شيئاً مما قاله المؤلف الإمام في ذلك".(١)

ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن ابن كثير نص على أن تفسير القرآن بالقرآن من منهجه، وذلك في مقدمة تفسيره تبعاً لشيخه ابن تيمية.(٢)

الطريقة الثانية: إفراده بالتأليف بحيث يكون تفسير القرآن بالقرآن هو مقصد كتابه، ومنهم :

١- إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، واسم كتابه : مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن .(٣)

٢- محمد الأمين الشنقيطي في كتابه : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن وهو أشهر كتاب في تفسير القرآن بالقرآن وقد وضع مقدمة نافعة ذكر فيه جملة من أنواع بيان القرآن بالقرآن .

٣- تفسير القرآن بكلام الرحمن لثناء الله الهندي .

٤- ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، للدكتور ملفي الصاعدي ، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية(٤).

---

(١) عمدة التفسير (١ / ١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٧).

(٣) ومنهم من سماه : فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن ، وقد حُقِّقَت أجزاءٌ منه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٤) العدد ١٣١ - ١٤٢٦هـ .

تنبيه:

هناك كتاب اسمه : "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن" لأحد المعاصرين ، وقد جاء في مقدمته : "طريقتي فيه كشف الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن، ويكون القرآن هو الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله فى الكون ونظامه في الاجتماع، وقد اخترت أن تكون على عدد الآيات في المصحف لتبقى الهداية بالترتيب الذي اختاره الله، وليمكن الباحث عن معنى الآية أن يلاحظ سياقها فيقرأ ما سبقها وما لحقها من الآيات ليكون على علم تام وهداية واعظة".

والذي يظهر من عنوانه وما تقدم من كلامه أنه من الكتب التي عنيت بهذا الجانب ، لكن الواقع خلاف ذلك ، بل هو يمثل نموذجاً من نماذج الاستغلال السيئ لهذا المصطلح ، وقد أراد به مؤلفه أن يهدر صلة السُّنَّة بالقرآن الكريم، وينفي أن منزلتها منه منزلة المبيِّن من المبيَّن ، وقد أحدث هذا التفسير ضجة كبرى في المحيط العلمي، وقام رجال الأزهر وقعدوا من أجله، ثم أُلِّفت لجنة من بعض العلماء لتنظر في هذا الكتاب، ثم لتحكم عليه بما ترى فيه، ثم رفعت اللّجنة تقريرها لشيخ الأزهر إذ ذاك، وفيه تفنيد لآراء الرجل وحكم عليه بأنه " أفَّاك خرَّاص، اشتهى أن يُعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه، ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته". ثم صودر الكتاب واختفى عن أعين الناس[1] .

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور: محمد الذهبي (٢/ ٥٣٢). وأمثاله كثير من المغمورين الباحثين عن الشهرة على قاعدة: خالف تعرف .

المطلب السادس

ما يطلب من المفسر في تفسير القرآن بالقرآن

من أراد أن يتعرض لتفسير القرآن الكريم فإن لذلك شروطه العامة وتسمى شروط المفسر، لكن هناك شروطًا خاصة فيمن أراد أن يفسر القرآن بالقرآن فمنها:

١- جمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ومحور واحد، لمقابلة الآيات بعضها ببعض حتى يتكون لديه التفسير الصحيح، وهذا يكون بأحد طريقين:

الأول: حفظ القرآن عن ظهر قلب، وقراءته قراءة تدبر، بل إني أستطيع أن أقول: إن تفسير القرآن بالقرآن من أهم طرق التدبر العملية.

الثاني : كتب المعاجم التي تولت جمع الآيات المتناظرة سواء المعاجم اللفظية كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، أو المعاجم الموضوعية ، والتي كان الجمع فيها بحسب المواضيع وهي كثيرة، مثل: تفصيل آيات القرآن لجول لابوم ومستدركه لمونتيه، ومن أشملها :كتاب تصنيف آيات القرآن لمحمد إسماعيل .

٢- النظر في سياق الآية لمعرفة المراد بها، والغرض الذي سيقت له على وجه التحديد ، ذلك أن اللغة العربية واسعة التعبير عن المراد بل هي أوسع اللغات، فكان لدى العربي القدرة على التعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة وألفاظ مختلفة حسب ما يقتضيه حال المخاطب والسامع ،كما لديه القدرة على التعميم عن المعاني المختلفة بلفظ واحد ، فكان من الضروري لمن أراد أن يفسر القرآن بالقرآن أن يعرف مدلول كل لفظة، ويعرف معناها بحسب

سياقها، فليست الكلمة إذا اتفقت حروفها اتحد معناها بل إن معناها يختلف بحسب سياقها وفائدة ذلك من وجهين :

- أن لا يخطئ المفسر بالتعميم أو التنظير .

- معرفة الألفاظ والأساليب الواردة في القرآن على معنى مطرد، وما خرج من أفراد هذه الألفاظ والأساليب.

٣- أن يكون عارفاً بالقراءات المتواترة، إذ ربما يكون تفسيرها وإيضاحها هو في القراءة الأخرى، إذ كل قراءة بمثابة آية مستقلة، كما قرّرَ ذلكَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إذْ يقولُ :"وقد بيّنا أنَّ القراءتين كالآيتين، فزيادةُ القراءاتِ كزيادةِ الآيات" [(١)]. وبمعرفة ذلك يستطيع أن يحيط بمعاني الآيات وأحكامها[(٢)].

وعلى كلٍ فلا يشترط للظاهر من تفسير القرآن بالقرآن ما يشترط للخفي، ولا يشترط للمتصل منه ما يشترط للمنفصل، كما سيأتي بيانه.

۞ ۞ ۞

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣ / ٤٠٠) .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ص ٤٥ بتصرف .

المبحث الثاني

تأصيل الجانب التطبيقي لتفسير القرآن بالقرآن

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

أقسام القرآن من جهة البيان

ينقسم القرآن الكريم من جهة البيان إلى قسمين :

القسم الأول: ما هو بيّن في نفسه، بلفظٍ لا يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره، وهو كثير.

القسم الثاني: ما ليس ببيّن في نفسه فيحتاج إلى بيان، وبيانه إما:

- في القرآن نفسه ، وهو موضوع البحث .

- أو في السنة لأنها موضوعة للبيان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤] .

- أو في لغة العرب، لنزول القرآن بلغتهم. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢].

وبيان القرآن للقرآن على نوعين :

النوع الأول: أن يكون البيان خفياً ، كأن يكون:

- مضمراً فيه: كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[الزمر : ٧٣] فهذا يحتاج إلى بيان لأن " حتى " لا بد لها من تمام ، وتأويله :حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها .

- أو قد يومئ إلى محذوف وهو إما :

أ – متأخر: كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزُّمَر:٢٢] ، فإنه لم يجئ له جواب في اللفظ لكن أومأ إليه قوله :﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾ تقديره : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن قسا قلبه .

ب- وإما متقدم : كقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزُّمَر:٩]، فإنه أومأ إلى ما قبله ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزُّمَر:٨]كأنه قال أهذا الذي هو هكذا خير أم من هو قانت ؟ فأضمر المبتدأ .

النوع الثاني: أن يكون بيانه واضحاً، وهو أقسام :

القسم الأول: أن يكون البيان متصلاً: كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص:٢]، قال محمد بن كعب القرظي: تفسيره : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص] "[1] .

وكقوله : " ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾[الطارق]" ، ففسر الطارق بالنجم الثاقب[2].

وكقوله:﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[المعارج:١٩] قال ابن عباس وأبوالعالية:

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٠٠)، وانظر تفسير ابن جرير (٣٠ / ٣٤٦).

(٢) تفسير ابن جرير (٣٠ / ١٤١).

تفسيره: "﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج]" (١) .

القسم الثاني: أن يكون البيان منفصلاً سواءً كان في نفس السورة أو في سورة أخرى (٢) .

وأمثلة هذا النوع كثيرة جدًّا ، وقد ذكر الزركشي جملة منها(٣) ،وسيأتي ذكر لشيء منها في أوجه تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الثاني

معتمد الربط بين الآيات

هذا المطلب هو كالتوطئة لمبحث أوجه تفسير القرآن بالقرآن ، والمراد به الملحظ والرابط الذي جعل المفسر يرى أن هذه الآية مفسِّرة لتلك، فقول المفسِّر: هذه الآيةُ تفسّرُ وتبين هذه الآيةَ ؛ لابدّ وأن يكون في ذهنه علاقة ورابطاً جعله يربط بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة ، وهذا العلاقة من جهة الظهور والخفاء تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول: معتمد ظاهر وواضح، يكاد يتفق عليه المفسرون لظهوره، لا يحتاج إلى مزيد عناء.

مثال ذلك:ما تقدم من تفسير الطارق والصمد وغيرهما.

النوع الثاني: معتمد خفي يحتاج إلى إعمال الذهن ، والدقة في بيان وجهه ، خاصة فيما يروى عن السلف، إذ قد يتجاذب ذلك أكثر من وجه،

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٩ /٧٨)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٠٠) بتصرف .

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٠٥).

فينبغي التأمل كثيراً فكم من معتمد يبدو عند أول وهلة ، وعند التأمل يتبين لك معنى آخر هو ألصق وأوضح وأبين للمراد بل ربما يتجاذب الناظر فيه أكثر من معتمد .

كما تنقسم هذه العلاقة من جهة استعمال المصطلح من قبل المفسرين إلى نوعين كذلك:

النوع الأول: أن يكون الرابط بين الآيتين دقيقاً في التعبير عن مصطلح تفسير القرآن بالقرآن .

النوع الثاني: التوسع في استعمال هذا المصطلح ، فيدخل فيه المفسر الاستشهاد بالقرآن على التفسير الذي اختاره، وجمع النظائر القرآنية ،أو الآيات ذات الموضوع الواحد ،وما سوى ذلك ، وهو كثيرٌ ومستعمل عند المهتمين بهذا اللون من التفسير ، وفيما يأتي من أوجه تفسير القرآن بالقرآن ما يبين هذا الأمر ويوضحه ، بل إن نظرة عجلى على مقدمة الشنقيطي في كتابه أضواء البيان ، تبين ذلك .

وهذا الصنيع يبين لك ما تقدم تقريره بأن تفسير القرآن بالقرآن درجات وأنواع فهو يختلف قوةً وضعفاً ، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً ، ومطابقة ومقاربة ، والكل يقدر بقدره ، فمتى استفدنا بيان آية من آية أخرى من أي وجه فهو داخل في هذا النوع من التفسير ، فنسمي ما تقدم تفسير القرآن بالقرآن ، ولا نخرجه منه ، ويبقى النظر والتأمل عند الاستدلال به.

ومن خلال التأمل فيما نقل عن المفسرين من السلف وغيرهم نجد أن معتمدهم في علاقة الآية المفسِّرة بالآية المفسَّرة من حيث الجملة إما أن يكون:

تشابهاً في المعنى، أو تشابهاً في اللفظ، أو تشابهاً في الموضـوع، أو تـشابهاً في الحكم .

وهذا المعتمد ينقسم إلى قسمين :

الأول : ما نص المفسر فيه على معتمده في الربط بين الآيتين .

الثـاني: ما لم ينص المفسر فيه على المعتمد، والاكتفاء فقط بعبارات تـدل على تفسير إحدى الآيتين بالأخرى، وهو الأكثر.

وسيأتي مزيد بيان في المطلب التالي .

المطلب الثالث

أوجه تفسير القرآن بالقرآن

المراد بها وجه العلاقة بين الآية المفسَّرة والآية المفسِّرة ، ويسميها بعض العلماء بالأنواع كالشنقيطي رحمه الله ، وليس المراد هنا حصرها ، إذ هـذا يحتاج إلى استقراء تام لما روي عن السلف والمفسرين في هذا الباب ، لكـن حسبي أن أشير إلى أهمها، وما يدور عليه هذا النوع من التفسير غالباً، وقـد تحصل لي منها تسعة عشر وجهاً. أذكرها ممثلاً لها[1] :

الوجه الأول: تفسـير ما جاء موجزاً في موضع بـما جـاء مبـسوطاً في موضع آخـر.

وقد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: إن أصح الطرق في ذلك

(١) المراد هنا هو مطلق المثال ، بإعطاء تصور عن الأوجه المذكورة دون البحث في تحريره ،ومـدى قوة دلالته فهذا باب آخر ، فليتنبه .

أن يفسر القرآن بالقرآن ...وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر[١].

وأكثر ما ينطبق هذا الوجه على قصص القرآن، فقد تنوعت أساليب القرآن بذكرها بين الإيجاز والبسط، كقصة آدم وإبليس، و قصة موسى مع فرعون، وما قصه الله عن بني إسرائيل، ومن أمثلته:

قال ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة : ٦٥-٦٦]: "وهذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف، حيث يقول تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف:١٦٣] القصة بكمالها[٢].

الوجه الثاني: حمل العام على الخاص

وردَ العمومُ في القرآنِ على ثلاثةِ أقسام :

القسم الأول: ما بقي عُمومه ، وهو عَزيزٌ في الأحكامِ الفرْعيةِ ؛ كمـا قالـه السيوطي.[٣]

القسم الثاني: العامّ المراد به الخصوص.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص٩٣).

(٢) تفسيره (١/١٨٣)، وانظر: تفسير ابن جرير(١/ ٣٣١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٦٨٣) . وانظر في تعريف العـام والخـاص: روضـة النـاظر ص١٩٤، شرح مختصر الروضة (٢/٤٤٨) ، إرشاد الفحول (٢/٣٧٤).

القسم الثالث : العام المخصوص ، وهو المراد هنا ، قال السيوطي : وأمثلته في القرآن كثيرة جداً.[(١)]

والمخصِّصُ إما مُتَّصِلٌ أو مُنْفَصِل، فالمتَّصِلُ كالاستثناء، والوصْف، والشَّرْطِ، والغاية، وبَدَلِ البعضِ من الكُلِّ، والمنْفَصِلُ آيةٌ أخرى في مَحلٍ آخر.[(٢)]

وقد ذهبَ الجمهورُ إلى جوازِ تخصيصِ الكتابِ بالكتاب، وخالفَ في ذلكَ الظاهريّةُ، وتمسَّكُوا بأنَّ التخصيصَ بيانٌ للمرادِ باللفظِ، ولا يكونُ إلا بالسنّة؛ لقولهِ تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: من الآية٤٤].

ويجابُ عن ذلكَ: بأنَّ كَوْنَ النبيِّ ﷺ مُبَيِّناً لا يستلزمُ عدمَ حصولِ البيانِ في القرآنِ نَفْسِهِ ؛ وقد وقعَ ذلكَ، والوقوعُ دليلٌ على الجواز.[(٣)]

ومن المهم ذكره أنه يجبُ العملُ بعمومِ اللفظِ العامِّ إذ هو الأصل حتى يَثبتُ تخصيصهُ؛ لأنَّ العملَ بنصوصِ الكتابِ والسنّة واجبٌ على ما تقتضيهِ دلالتها حتى يقومَ دليلٌ على خلافِ ذلك.

والتخصيص يأتي إما في:

- **آخر الآيــة:** كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾[النساء:٤] فهذا عام في البالغة والصغيرة عاقلة أو مجنونة ثم خص في آخرها بقوله :﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ فخصها بالعاقلة البالغة لأن من عداها عباراتها ملغاة من العفو.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٦٨٥).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٦٨٥) ، الموافقات للشاطبي (٣ / ١٦٢) .

(٣) انظر : إرشاد الفحول (٢ / ٥١٧)

- **وإما في أولها** كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٢٢٩] فإن هذا خاص في الذي أعطاها الزوج ثم قال بعد ذلك: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ فهذا عام فيما أعطاها الزوج أو غيره إذا كان ملكاً لها .

- **وإما في آية أخرى** كقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[المائدة:٣] فهذا عام في جميع الميتات ثم خصه الله بقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٤]، فأباح الصيد الذي يموت في فم الجارح المعلم. [(١)]

ومن الأمثلة أيضا :

- تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك كما في حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، وقد تقدم .

- قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤] فهذه الآية عامة في كل متوفاة، وخصت الحامل بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق: ٤]، فعدتها وضع الحمل، وقد روى ذلك عن ابن عباس وابن شهاب[(٢)].

الوجه الثالث: حمل المجمل على المبين

وقد نص على هذا الوجه شيخ الإسلام بقوله: أصَحُّ الطرق في ذلك أنْ يُفسَّر القرآنُ بالقرآنِ، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فإنه قد فُسِّرَ في موضع

---

(١) نص على ذلك الزركشي انظر : البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر تفسير: ابن جرير (٢/ ٥١٢).

آخر.[١]

والمــجمل ما احتاج إلى بيان ، وهو واقع في القرآن خلافـــاً لداودَ الظاهري.[٢]

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" العلماءُ مُتّفِقونَ على أنّ المُجْمَل في القرآنِ يُفهم معناه، ويُعرف ما فيهِ مِن الإجمال"[٣].

وقال أيضا: "لفظُ المجملِ والمطلقِ والعامِّ كـــانَ في اصـــطلاحِ الأَئِمَّـــةِ كالشافعي، وأحمد ، وأبي عبيد وإسحاق، وغيرهم ؛ سَوَاءٌ ، لا يُريدون بالمجملِ ما لا يفهمُ معناهُ، كما فسَّرهُ به بعض المتأخرين، وأخطأ في ذلك ، بل المجملُ ما لا يكفي وحْدهُ في العملِ به،وإنْ كـَـانَ ظَاهِـــرُهُ حقًّا"[٤].

وللإجْمَالِ أسباب مُتعدِّدة ، فمنه ما يكونُ إجمالهُ بـــسببِ الاشـــتراكِ اللفظيِّ ، ومنه ما يكونُ بسببِ الحذْفِ ، ومنه ما يكونُ بسببِ اختلافِ مَرْجِعِ الضمير ، أو غرابةِ اللفظِ ، أو التقديم والتأخير ، أو غير ذلك مِن الأسبابِ مِمَّا هو مذكور في مظانه.[٥]

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص (٩٣).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٦٩٣) وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علـــم الأصـــول للشوكاني (٢/ ٥٦١).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٤٠٩) .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٣٩١) ، وانظر في تعريف المجمل والمبين : شرح مختصر الروضـــة للطوفي (٢ / ٦٤٧) ، روضة الناظر وجُنّة المناظر لابن قدامة ص (١٥٩) ، الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٦٩٣).

(٥) انظر :البرهان في علوم القرآن (٢/٢٢٩)، الإتقان في علوم القرآن (٢/٦٩٣)، إرشاد الفحـــول (٢/٥٦٣) .

وبيان المجمل قد يقع :

- **مُتَّصِلاً**، نحو قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[البقرة:من الآية١٨٧] بعد قوله: ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

- **وقد يقع منفصلاً في آية أخرى**(١)، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة:من الآية٢٣٠] بعد قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[البقرة: من الآية٢٢٩] فإنها بيَّنت أنَّ المرادَ به الطلاقُ الذي تُملكُ الرجعةُ بعدَه ولولاها لكانَ الكلُّ مُنحَصِراً في الطلْقتَيْن.(٢)

ومن أمثلة هذا النوع عند السلف:

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] قال مجاهد وقتادة وابن زيد: هو قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣]"(٣) ، فالملاحظ هنا أنهم حملوا المجمل – وهو الكلمات – على المبيَّن في سورة الأعراف .

الوجه الرابع: حمل المبهم على الواضح

قال الشنقيطي: المبهم أعم من المجمل عموماً مطلقاً ، فكل مجمل مبهم ،وليس كل مبهم مجملاً (٤) .

---

(١) وهو الأكثر .

(٢) نص على ذلك السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٦٩٤) .

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٢٤٥)، ولمزيد من الأمثلة يراجع البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٤).

(٤) أضواء البيان (٢٧/١) .

والمبهم في القرآن على نوعين :

الأول: مبهمٌ لم يدل دليل على تعيينه ، فنبقيه على إبهامه ، لأن تعيينه لا يعود بفائدة على المكلفين .

الثاني: مبهَمٌ بُيِّنَ في مكانٍ آخر، سواء في القرآن وهو المراد هنا، أو في السنة، فيحمل المبهم على الواضح، ويعيَّن فيه، ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٦]حيث أبهمت المرجون لأمر الله ووضحتها الآية الأخرى بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨].

فوضحت هذه الآية بأنهم الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك. قال به ابن عباس ، وقتادة ، وابن إسحاق(١) .

الوجه الخامس: حمل المطلق على المقيد

وهو أن تأتي آية مطلقة، وفي موضع آخر مقيدة، فيقيد المطلق به (٢)، ومن أمثلته:

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١١/ ١٢) وما بعدها .

(٢) لحمل المطلق على المقيد شروط ينبغي مراجعتها تجدها في : روضة الناظر ص (٢٣٠) ، شرح مختصر الروضة (٢ / ٦٣٩) ، تقريب الوصول ص (١٥٨) ، إرشاد الفحول (٢ / ٥٥٠)، مذكرة أصول الفقه ص (٢٣١) ، معالم أصول الفقه عند أهل السنّة والجماعة ص (٤٤٦) .

- قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال:٧٥] هكذا مطلقة، وجاءت مقيدة في سورة الأحزاب بالأيمان، قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٦] .

قال شيخ الإسلام : وهذه الآية المقيدة تقضى على تلك المطلقة في الأنفال. وعلل ذلك من ثلاثة أوجه ثالثها : أن آية الأنفال ذكر فيها الأولوية بعد أن قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين أيضًا، فهي دليل ثان ، وهاتان الآيتان تفسر المطلق في آية المواريث، ويكون هذا تفسير القرآن بالقرآن.(١) - قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة :٣] فلفظ الدم في هذه الآية مطلق، وفي موضع آخر جاء مقيداً بالمسفوح في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: من الآية١٤٥].

قالَ ابنُ كثير:" والدَّم : يعني به المسفوحَ ، كقولهِ : ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: من الآية١٤٥] قالهُ ابنُ عبّاسٍ ، وسعيدُ بن جبير".(٢)

الوجه السادس: حمل المتشابه على المحكم

قسّم الله تعالى آيات القرآن إلى قسمين:

آيات محكمة، وهي الآيات الواضحة، وآيات متشابهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥ / ٤٤٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٧٨).

وأشار سبحانه إلى الواجب فعله في الآيات المتشابه، وذلك بردها إلى المحكم، وحملها عليه، بقوله: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ ، وأم الشيء مرجعه ، قال ابن الحصّار: " قسَّمَ الله آياتِ القرآنِ إلى مُحْكَمٍ ومُتَشَابِهٍ ، وأخبرَ عن المحكماتِ أنّها أُمُّ الكتابِ ، لأنّه إليها تُرَدُّ المتشابهات ". (١)

وقال ابن كثير: " فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى ، ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه"(٢).

ومن أمثلته :

قال أبو بكر الجصاص: " قوله تعالى : ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة :٢٣٧] متشابه لاحتماله الوجهين اللذين تأولهما السلف عليهما(٣)، فوجب رده إلى المحكم، وهو قوله تعالى : ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤] وقال تعالى في آية أخرى : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٢٠].وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٢٩]. فهذه الآيات

(١) نقله السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ٦٤٦) .

(٢) تفسيره (٦/٢).

(٣) وهو أن المراد به الزوج أو المراد به الولي .

محكمة لا احتمال فيها لغير المعنى الذي اقتضته[١]، فوجب رد الآية المتشابهة وهي قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾إليها؛ لأمر الله تعالى الناس برد المتشابه إلى المحكم"[٢].

تنـــبيه:

قال النسفي ممثلاً للمتشابه: مثـــال ذلـــك ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاســتيلاء ، ولا يجــوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فنلاحظ هنا نفيه الاستواء على مذهب الأشاعرة مخالفاً بذلك منـــهج سلف الأمة، استدلالاً بآية أخرى على طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وهـــذا مثال على ما قررته سابقاً؛ من أن تفسير القرآن بالقرآن ليس بحجة بإطلاق ، والرد المجمل على استدلال النسفي رحمه الله من وجهين :

الأول: أن جعله الاستواء من المتشابه بإطلاق لا يسلم فمعناه معروف كما قرر ذلك الإمام مالك رحمه الله ، وغيره .

الثـــاني: أنه فهم من هذه الآية انتفاءَ الصفاتِ عن الله تعالى، بدعوى أنّ ثبوتها يستلزمُ المماثلةَ ، وأعرض عن الآياتِ الكثيرة الدالّة علـــى ثبـــوتِ الصفاتِ له، وأنّ إثباتَ أصْلِ المعنى لا يستلزم المماثلة .

---

(١) وهو الزوج.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٥٢).

الوجه السابع: تفسير الألفاظ الغريبة

وله صورتان:

الأولى: تفسير اللفظة بلفظة أشهر منها في آية أخرى.

مثاله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:٧٤] فالسجيل لفظة غريبة ، لكن هذا المعنى قد جاء في آية أخرى بلفظة أشهر في قوله تعالى ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات:٣٣] وكلا الآيتين في قصة قوم لوط، فدل على أن السجيل المراد به الطين، وبه فسره السلف(١).

الثانية : أن يقوم المفسر بتفسير اللفظة الغريبة ثم يذكر ما يؤيد ذلك من القرآن ، وهو الأكثر .

مثاله: قال عكرمة وقيس بن سعد في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة:١٢١] قالا : يتبعونه حق اتباعه، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس:٢] قال : إذا تبعها(٢) . ففسرا التلاوة بالاتباع ، استناداً إلى معناها في الآية الأخرى .

قال د. أحمد فرحات : لا بد من التوسع في تفسير القرآن بالقرآن في مجال دراسة المفردات القرآنية، وعلى الرغم من اتفاق العلماء قديماً وحديثاً على أن تفسير القرآن بالقرآن أعلى مراتب التفسير، لأنه تفسير صاحب الكلام لكلامه ، إلا أن هذا المصدر من التفسير لم يتوسع فيه ، وبقي محدوداً – على كل ما كتب فيه – وأعتقد جازماً من خلال تجربتي أن بالإمكان ضبط

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٢/٩٤) ، أضواء البيان (١/٢٠) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٥٢٠).

كثير من معاني المفردات القرآنية اعتماداً على هذا المصدر ، وطبقاً لقوله تعالى: ﴿ ثم إن عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] فقد تكفل الله ببيان القرآن بالقرآن ، كما يمكن إدراك كثير من الفروق اللغوية التي أغفلتها المعاجم وكتب اللغة والتفسير من خلال دراسة مقارنة لاستعمال هذه المفردات في السياقات القرآنية المتعددة(١).

الوجه الثامن: أن تكون الكلمة لها أكثر من استعمال فتذكر الآيات التي فيها الكلمة ليدل على أن أحد هذه المعاني هو المراد في القرآن لا غيره.

مثاله: قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة:٢١] قال بعض العلماء : إن المراد بهذه الغلبة ، الغلبة بالحجة والبيان، لكن عند النظر في هذه الكلمة واستعمال القرآن لها وجدنا أن الغالب في القرآن استعمال الغلبة مراداً بها الغلبة بالسّيف والسّنان كما في قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ [الروم:٢] وقوله : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾[آل عمران:١٢]وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[الأنفال:٦٥]. وعليه فيجب تفسير الغلبة في الآية الأولى بذلك.

ومن قال: إنما المراد الغلبة بالحجّة والبرهان فهو صحيح؛ لكن لا يجوز إخراج المعنى الغالب عن مراد الآية لأنه مما ورد به القرآن. (٢)

---

(١) معاجم مفردات القرآن موازنات ومقترحات (ص ٦٦).

(٢) انظر: أضواء البيان (١/ ١٥).

الوجه التاسع: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف

مثاله: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١] قال: " أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم فكان الله ينـزله على رسوله، بعضه في إثر بعض، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان:٣٢]"[١].

فدفع بهذا الكلام ما يتوهم تعارضه واختلافه، إذا دلت الآية الأولى على إنزال القرآن جملة، والآية الثانية دلت على إنزاله مفرقاً.

وفي لفظ آخر: قال له رجل: إنه قد وقع في قلبي الشك من قوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان:٣] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١]، وقد أنزل الله في شوّال وذي القعدة وغيره! قال: إنما أنزل في رمضان في ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدةً، ثم أنزل على مَواقع النجوم رَسَلا في الشهور والأيام[٢].

الوجه العاشر: حمل القراءات بعضها على بعض

مثاله : ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ [البقرة:٢٢٢] في يطهرن قراءتان:

الأولى : بتخفيف الطاء وضم الهاء ومعناها : حتى ينقطع عنهن الدم .

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠ / ٢٥٩) .

(٢) المرجع السابق (١٤٦/٢)، ولمزيد أمثلة لهذا الوجه ينظر: التفسير والمفسرون (٣٩/١).

الثـــانية: بتشديد الطاء والهاء وفتحها والمعنى: حتى يتطهرن بأن يغتسلن بالماء.

قال الشوكاني : قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص عنه بسكون الطاء، وضم الهاء، وقرأ حمـــزة، والكـــسائي، وعاصم في رواية أبي بكر: «يطَّهَّرن» بتشديد الطاء وفتحها، وفـــتح الهـــاء وتشديدها. وفي مصحف أبيّ،وابن مسعود: «ويتطهرن»[1]، والطهر انقطاع الحيض، والتطهر : الاغتسال.

وبسبب اختلاف القراء اختلف أهل العلم: فذهب الجمهور إلى أن الحائض لا يحل وطؤها لزوجها حتى تتطهر بالماء. وقال محمد بن كعب القرظي، ويحيـــى بن بكير: إذا طهرت الحائض، وتيمّمت حيث لا ماء حلت لزوجها، وإن لم تغتسل. وقال مجاهد، وعكرمة: إن انقطاع الدم يحلها لزوجها، ولكن تتوضأ. وقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد: إن انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام جاز له أن يطأها قبل الغسل، وإن كان انقطاعه قبل العشر لم يجز حتى تغتسل، أو يدخل عليها، وقت الصلاة، وقد رجح ابن جرير الطبري قراءة التشديد[2] . والأولى أن يقال: إن الله سبحانه جعل للحلّ غايتين كما تقتضيه القراءتان: إحداهما انقطاع الدم، والأخرى التطهر منه، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى، فيجب المصير إليها. وقد دلّ أن الغاية الأخرى هي المعتبرة قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾فإن ذلك يفيد أن المعتبر التطهر، لا مجرد انقطاع الدم، وقد تقرر أن القراءتين بمترلة الآيتين،

---

(١) وهي قراءة شاذة .

(٢) تفسير ابن جرير(٢/ ٣٨٥).

فكما أنه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة، كذلك يجب الجمع بين القراءتين. (١)

الوجه الحادي عشر : نسخ آية بآية أخرى

مثاله : عن قتادة في تفسير قوله تعـالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٠٩].

قـال : أتـى الله بأمـره فقال:﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] أي صغاراً ونقمة منهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها.

وفي رواية عنه: قـال: نـسختها ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]". (٢)

وعنه أيضا: في قول الله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١١٥]، قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام . فنسخها الله في آية أخرى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) فتح القدير(١/٢٢٦).

(٢) تفسير ابن جرير (١ / ٤٩٠) ، ومن العلماء من يراها غير منسوخة؛ لأنها قد وقتـت بوقـت وغاية، والغرض هنا المثال .

ﭐلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] ، قال: فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة[١] .

وقال ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ [البقرة:١٨٠]: نسختها آيةُ الميراث.[٢]

الوجه الثاني عشر: تأكيد معنى في آية قد يفهم منه خلافه

مثاله: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق:٨]: الحساب اليسير: الذي يغفر ذنوبه ويتقبل حسناته، ويسر الحساب: الذي يعفى عنه، وقرأ: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١] ، وقرأ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأحقاف:١٦]"[٣] .

قلت: وقد فهمت عائشة رضي الله عنها خلاف ما في الآية عندما قال النبي ﷺ : ((**من نوقش الحساب عذب**))، فقالت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾، قال: ((**ذلك العرض يا عائشة، من نوقش الحساب عذب**)).[٤]

---

(١) المرجع السابق (٥٠٢/١).

(٢) المرجع السابق (١١٩/٢).

(٣) تفسير ابن جرير (١١٦/٣٠) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن، سورة إذا السماء انشقت (٦/ ٨١) ، وابن جرير في الموضع المتقدم ، وانظر أيضا (٢٨٥/١) .

الوجه الثالث عشر: تفسير معنى آية بآية أخرى

مثاله: قال ابن زيد في تفسير ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] قال : "طريق الخير والشر ، وقرأ قول الله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]". [1]

ومن أمثلته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢] قال ابن كثير في تفسيرها : "أي: لو انشقت وبلعتهم، مما يرون من أهوال الموقف، وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ ، كقوله :﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ:٤٠] ". [2]

وقال القرطبي : "وقيل: إنما تمنوا هذا حين رأوا البهائم تصير ترابا وعلموا أنهم مخلدون في النار، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾"[3].

الوجه الرابع عشر: معرفة اللفظ أو الأسلوب الوارد في القرآن على معنى مطرد، وتسمى الكليات

فمثال اللفظ : قول ابن زيد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٢٠١) وفيه قاطع طريق الخير والشر، والتصحيح من طبعة أخرى، وانظر أمثلة أخرى في (٣٠ / ٦٩) عن عمر وفي (٣٠/ ٢٤٨) عن الحسن البصري .

(٢) تفسيره (٢/٢٩٠).

(٣) تفسيره (٥/١٣٠).

تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات:١٨]: إلى أن تسلم، قال : والتزكي في القرآن كله الإسلام، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:٧٦] قال : من أسلم، وقرأ: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[عبس:٣] قال : يسلم ، وقرأ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس:٧] أن لا يسلم.[1]

ومثال الأسلوب: قول ابن عباس في تفسير قوله تعالى:﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١]يقول : كادوا لا يفعلون، و لم يكن الذي أرادوا؛ لأنهم أرادوا أن يذبحوها وكل شئ في القرآن "كاد" أو "كادوا" أو" لو" فإنه لا يكون وهو مثل قوله : ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] .[2]

الوجه الخامس عشر : جمع تفاصيل القصة القرآنية

مثاله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠] قال ابن عباس: أوحى الله جل وعز إلى موسى أن أسر بعبادي ليلاً، إنكم متبعون. قال: فسرى موسى ببني إسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمائة ألف.فلما عاينهم فرعون قال﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾[الشعراء]، فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برَهَج دواب فرعون، فقالوا: يا موسى﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:١٢٩] هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قد رَهِقنا بمن

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٣٩).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٥٤).

معه! قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٢٩] قال: فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء:٦٣]، وأوحى إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك. قال: فبات البحر له أفكل - يعني: له رعدة - لا يدري من أي جوانبه يضربه. قال: فقال يوشع لموسى: بماذا أمرت؟ قال: أمرت أن أضرب البحر. قال: فاضربه. قال: فضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق فكان فيه اثنا عشر طريقا، كل طريق كالطود العظيم...الخ".(١)

وقال الشنقيطي: "لم يبين هنا كيفية فرق البحر بهم ، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣]، وقوله : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠] لم يبين هنا كيفية إغراقهم ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء] ، وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨]. وقوله: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٢٧٦) ، وانظر ايضا : (٢٧٧/١)عن السدي وفي (٢٨٦/١) عنه وفي (٢٨٨/١) عن ابن زيد.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤]، وقوله: ﴿رَهْوًا﴾ أي ساكنا على حالة انفلاقه حتى يدخلوا فيه ، إلى غير ذلك من الآيات.[(١)]

الوجه السادس عشر: جمع الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد

وهذا الوجه أعم مما قبله فذاك خاص في القصة القرآنية، وهذا عام في القصة وغيرها.

مثاله: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢] قال الضحاك: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفًا دون صف، ثم يترل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢]، وذلك قوله : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٢] ، وقوله : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]، وذلك قول الله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦]".[(٢)]

---

(١) تفسيره (٦٥/١).

(٢) تفسير ابن جرير (٦١/٢٢)، وفي (٣٠/ ١٨٦)، وانظر: (١٥٤/١) عن ابن عباس و(٣٠/ ١١١) عن قتادة .

الوجه السابع عشر : أن يذكر في القرآن أمر ثم يذكر في مكان آخر وقوعه أو كيفيته أو زمانه أو مكانه

مثاله: عن ابن عباس قال ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٤]حيث قال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥] .[١]

فابن عباس يشير إلى أن الله تعالى استجاب دعوة إبراهيم عليه السلام في جعل البيت آمنا، فآية البقرة دعاء، وآية قريش تبين حصول هذا الدعاء زمانًا ومكانًا.

الوجه الثامن عشر : التفسير بالسياق

مثاله : عن قتادة في تفسير ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ [البلد:١٢] أخبر عن اقتحامها فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾ ".[٢]

قال ابن جرير معلقاً: وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان قوله:﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾تفسيراً لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ كما قال جل ثناؤه ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة:١٠]ثم قال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾مفسراً قوله ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٩].

وقد تقدم أمثلة هذا الوجه.[٣]

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/٣٠٨)، وانظر (٣٠ / ٣٠٩) عن ابن زيد .

(٢) تفسير ابن جرير (٣٠/ ٢٠٣) .

(٣) عند الحديث عن البيان المتصل، وبقيتها في البرهان للزركشي (٢/ ٢٠٣) .

الوجه التاسع عشر:أن يختار المفسر قولاً في الآية سواء كان نحوياً أو بلاغياً أو فقهياً استنادًا على آية أخرى

ومن أمثلته : قال ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٦]: وقد زعم بعضهم أن ذلك خبر عن المنافقين كأنهم قالوا : ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد يضل به هذا ويهدي به هذا، ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله فقال الله: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ،وفيما في سورة المدثر من قول الله: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدّثر:٣١] ما ينبئ عن أنه في سورة البقرة كذلك مبتدأ .[١]

وقال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٧] لا يخفى أن الواو في قوله : ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ محتملة في الحرفين أن تكون عاطفة على ما قبلها ، وأن تكون استئنافية . ولم يبين ذلك هنا، ولكن بين في موضع آخر أن قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وأن قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو ﴿غِشَٰوَةٌ﴾، وسوغ الابتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها . ولذلك يجب تقديم هذا الخبر ، لأنه هو الذي سوغ الابتداء بالمبتدأ ... فتحصل أن الختم على القلوب والأسماع، وأن الغشاوة على الأبصار، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية:٢٣]

---

(١) تفسير ابن جرير(١٨١/١).

فإن قيل: قد يكون الطبع على الأبصار أيضاً ، كما في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النحل:١٠٨] الآية . فالجواب: أن الطبع على الأبصار المذكور في آية النحل: هو الغشاوة المذكورة في سورة البقرة والجاثية، والعلم عند الله تعالى.[١]

هذا ما تيسر جمعه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن ومن نظر وتأمل في القرآن وكلام السلف والمفسرين رأى من ذلك شيئاً كثيراً ،فما أجمل أن يدرب الإنسان نفسه على استخراج تفسير كلام الله من كلام الله؛ لكن ينبغي التأني قبل الجزم بالتفسير، قال د. محمد الذهبي : " ليس حمل المجمل على المبين أو المطلق على المقيد أو العام على الخاص أو إحدى القراء تين على الأخرى بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة ".[٢]

❊ ❊ ❊

(١) أضواء البيان (١/٤٠) ، ولمزيد من الأمثلة ينظر أيضا: تفسير ابن جرير (٣٠ / ٢٠٩) – (٣٠ / ٣٣٢) .

(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٤١).

الخاتــمة

في الختام أسأل الله أن يرزقني وإياكم تدبر كتابه والعمل بما فيه ، **وأوصي بما يلي** :

- جمع مرويات السلف في تفسير القرآن بالقرآن ، وبيان منـــهجهم في كيفية استعماله.
- بيان منهج المفسرين المعتنين في تفسير القرآن بالقرآن، خاصة ابن كثير رحمه الله.
- الرد على من أخطأ في هذا الطريق سواءً من استدل به على معتقـــد فاسد، أو أراد به إنكار السنة.
- من هنا أوجه الدعوة للمهتمين بالقرآن تعليماً وتحفيظـــاً وتفـــسيراً ، للاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن من خلال ما يلي:
  - بيان أهميته، ولفت الانتباه إليه مع تقريبه للمتعلمين.
  - التطبيق العملي من خلال إقامة الدورات التدريبية،ومدارســـته في مجالس تحفيظ القرآن .

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس المصادر والمراجع

● **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي عبد الرحمن ، تعليق د. مصطفى البغا، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار ابن كثير _ دمشق.

● **أحكام القرآن** لأبي بكر الجصاص، تحقيق: محمد قمحاوي ، دار إحياء التراث، بيروت.

● **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** ، لمحمد الشوكاني ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، مكتبة نزار مصطفى الباز _ مكة .

● **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ، لابن قيم الجوزية، رتبه محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية _ بيروت .

● **البرهان في علوم القرآن** ، للإمام بدر الدين محمد الزركشي ، خرج أحاديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، دار الكتب العلمية_ بيروت .

● **التبيان في أقسام القرآن** ، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق عصام الحرستاني ، تخريج محمد الزغلي ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الرسالة _ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ١٤١٥ هـ ، مكتبة ابن تيمية_ القاهرة .

● **التحرير والتنوير** ، لمحمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر.

● **تفسير ابن جرير(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، لمحمد بن جرير الطبري ، دار الفكر _ بيروت .

● **تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)**، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ،نشر دار الكتاب العربي .

● **تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم)**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الأندلس _ بيروت .

● **تفسير أبي حيان (البحر المحيط)**، لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وجماعة ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، دار الكتب العلمية_ بيروت .

● **تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه** ، لـ د. علي بن سليمان العبيد ، الطبعة الأولى .

• **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)** ، للإمام أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، الطبعة ١٤١٣هـ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

• **التفسير اللغوي للقرآن الكريم** ، لـــ د. مساعد الطيار ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، دار ابن الجوزي — الدمام .

• **تفسير سورة البقرة** ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية،الطبعة الأولى صفر ١٤٢٣ هـ ، دار ابن الجوزي ــ الدمام .

• **التفسير والمفسرون** لـــ د. محمد الذهبي ، الطبعة الثانية بدون بيانات .

• **تهذيب اللغة** لأبي منصور الأزهري،حققه وقدم له: عبد السلام هارون وآخرون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

• **جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن**، د. أحمد البريدي ، الرشد ، الرياض .

• **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه** على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن قدامة المقدسي ، راجعه وأعد فهارسه سيف الدين الكاتب ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ، دار الكتـــاب العربي ــ بيروت .

• **شرح مختصر الروضة** ، لنجم الدين سليمان بن سعيد الطوفي ، تحقيق عبد الله التركـــي ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية.

• **صحيح البخاري** ، لمحمد بن إسماعيل ، أشرف عليه د. بدر الدين جتين، الطبعة الثانية، دار سحنون ــ تونس .

• **صحيح مسلم** ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار سحنون – تونس .

• **عمدة التفسير لاختصار تفسير ابن كثير** لأحمد شاكر، دار الوفاء ، المنصورة .

• **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، لابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، دار الفكر ــ بيروت .

• **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، لمحمد الشوكاني ، عـــالم الكتب.

● **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم وساعده ابنه محمد، الطبعة ١٤١٦هـ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

● **المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، لعثمان بن جني، تحقيق علي ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة .

● **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر**، لمحمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى١٤١٥ هـ .

● **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ، تحقيق مصطفى عطا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

● **معاجم مفردات القرآن** (موازنات ومقترحات)، بحث مقدم لندوة (عناية المملكة بالقرآن وعلومه ١٤٢١ هـ) .

● **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة** ، لمحمد الجيزاني ، الطبعة الأولى ذو الحجة ١٤١٦ هـ ، دار ابن الجوزي ــ الدمام .

● **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد، دار الجيل ــ بيروت .

● **مقدمة جامع التفاسير** مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة ، لأبي القاسم الراغب الأصفهاني ، حققه وقدم له وعلق على حواشيه ، د. أحمد فرحات ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الدعوة ــ الكويت .

● **مقدمة في أصول التفسير**، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق عدنان زرزور، الطبعة الثالثة،دار القرآن الكريم ــ بيروت

● **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، الطبعة ١٤٠٨ هـ ، دار الفكر ــ بيروت .

● **الموافقات في أصول الأحكام** ، لأبي إبراهيم اللخمي الغرناطي الشاطبي ، علق عليه السيد محمد الخضر حسين التونسي ، دار الفكر ــ بيروت .

فهرس الموضوعات





تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي

إعداد

د . مساعد بن سليمان الطيار*

* من مواليد مدينة الزلفي بمنطقة نجد عام ١٣٨٤هـ .

- نال درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته "**الوقف وأثره في التفسير**" ، ثم الدكتوراه بأطروحته "**التفسير اللغوي**".
- يعمل أستاذاً مساعداً بقسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض، ومشرفاً علمياً على موقع " شبكة التفسير والدراسات القرآنية"، وهو عضو المجلس العلمي بمعهد الإمام الشاطبي .
- له مؤلفات وبحوث عديدة، منها: "**فصول في أصول التفسير**"، و" **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم**"، و" **المحرر في علوم القرآن**".

الملخص

يتحدث هذا البحث إلى من ينحو في تقرير إعجاز القرآن الكريم إلى إبراز سبق القرآن إلى الإخبار بأمر من الأمور الكونية الطبيعية لم يكن معلوماً للجيل الذين نزل عليهم، وظهرت معرفته في العصر الحديث، وهو ما عـــرف بالإعجاز العلمي للقرآن؛ مبيناً لهم لزوم الرجوع إلى تفـــسير الـــسلف مـــن الصحابة والتابعين وأتباعهم ممن التزم الكتاب والسنة في بحـــوثهم ، وكيفيـــة التعامل مع أقوالهم واختلافهم ، وضوابط ذلك.

كما يبين البحث ضوابط قبول التفسير المعاصر لآيات القرآن الكريم، وهي أن يكون صحيحاً في ذاته بأن تحتمله اللغة العربية وأن لا يخالف ما ثبت في الشريعة ثبوتاً قطعياً، وأن تحتمله الآية ، وأن لا يكون بحيث إذا قيل بـــه لم تحتمل الآية قول السلف إن كانوا متفقين أو أي قول من أقوالهم إن كـــانوا مختلفين ، وأن لا يجزم قائله بأنه هو المراد بالآية وأن غيره من الأقوال في المراد بالآية خطأ؛ منبهاً على وجود الخطأ في تفسير آحاد السلف، والإســـرائيليات التي يحتمل أن تكون كاذبة ، وأن ذلك لا يبرر ترك الرجوع إلى تفسير السلف والإعراض عنه ؛ لأن الحق لا يمكن أن يخرج عن مجموعهم،كما أن الحكـــم بالخطأ على تفسير ما لا يتأتى لكل أحد، ولا بد فيه من التأمل وإطالة النظر، فلعل له وجهاً دقيقاً...

كما نبه على أن ما زاده المتأخرون من وجوه المعاني لا يعني نقص علم السلف بالقرآن؛ لأن موجب ذلك لم يكن موجوداً في عصرهم.

المقدمـــة

الحمد لله الذي جعل كتابه الكريم لا يخلق من كثرة الردِّ ، وأصـــلي وأسلم على أفضل الخلق محمد بن عبد الله ، أرسله الله رحمة للعالمين ، ومبلغًّا للدين ، فأتمَّ الله به النعمة على العالمين ، ثمَّ أثني بالصلاة والسلام على آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه الغرِّ الميامين ، وعلى من تبعهم ، وسار على نهجهم إلى يـــوم الدين ، اللهم احـــشرنا في زمرتهم ، واجـــعلنا ممن قلـــت فيهم : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:١٠].

أما بعد :

فإن كتاب الله تعالى نزل بلسان عربي مبين ، وعَلِمَهُ جيل الـــسلف مجتمعين ، فلا يمكن أن يقال إن آية منه لم يقع لهم فيها الفهم الصحيح، ومن قال : إن آية لم يفهمها هؤلاء ، فإنه قد زعم النقص في البيان الرباني والنبوي على حدٍّ سواء ، فالله – سبحانه وتعالى– يقول:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوســف:٢] ، ويقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣] ، ويقـــول :﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقـــرة:٢٤٢]، ويقـــول :﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الحديـــد: ١٧]، ويقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]، ويقول :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد:٢٤]﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾

[المؤمنون: ٦٨]، ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] ، وغيرها من الآيات التي تدل على أن الله قد بين كلامه بيانًا واضحًا لا لبس فيه ولا إلغاز، وأنه يسَّر للناس فهمَه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[القمر:٢٢]،وهذا التيسير لا يمكن أن يكون لجيل دون جيل ، بل هو عامٌّ لجميع الأجيال ، فمن سعى منهم إليه وجده كذلك .

مشكلة البحث :

١- إنه من خلال قراءتي فيما سطَّره بعض المعاصرين ممن اعتنوا بإبراز (الإعجاز العلمي) في كتاب الله سبحانه وتعالى ؛ رأيت أن اعتمادهم على المأثور عن السلف قليلٌ جدًا ، وجُلُّ اعتمادهم على كتب التفسير المتأخرة ، فتراهم ينسبون القول إلى القرطبي وأبي حيان والشوكاني على أنهم هم السلف.

وهؤلاء العلماء الكرام وغيرهم لا شكَّ أنهم سلف لنا ، لكن مصطلح السلف عند علماء الشريعة لهم زمن محدود ، وليس كالإطلاق اللغوي الذي يشمل كل من سبقك ، وقد كان في فعل بعضهم قطع سلسلة التفسير ، وعدم الرجوع إلى أقوال السلف في الآية .

وإن الراصد لحركة التفسير يعرف أن الذين لا يعتمدون قول السلف (الصحابة والتابعين وأتباعهم) هم أهل البدع الذين أصَّلوا أصولاً عقلية ، ثم حاكموا آيات القرآن عليها ، فما وافق أصولهم من ظواهر القرآن قالوا به ، وما خالف أصولهم أوَّلوه لكي يوافقها .

وحاشا المخلصين من المعتنين بالإعجاز العلمي أن يكونوا كأولئك ، لذا كان يحسن بالمتخصصين تنبيههم على هذا الأمر ، لئلا يقعوا في محذور وهم لا يشعرون .

٢- في هذا العصر الذي برز فيه سلطان العلوم الكونية والتجريبية سعى نفر من المسلمين إلى إبراز سبق القرآن إلى كثير من هذه المكتشفات المعاصرة ، لكنَّ **بعضهم** تنقصه الآلة التي يستطيع بها معرفة صحة مطابقة تلك القضية في تلك العلوم للآية التي يحمل عليها ذلك التفسير الحادث ، كما أن الملاحظ على **بعضهم** أنهم لا يعرفون قول السلف في الآية لكي لا يناقضوه ، وإن ذكروه فإنهم لا يعرفون وجهه ، ولا تراهم يفقهون مدلول قولهم ؛ لأنهم لا يعرفون طرائق هؤلاء السلف الكرام في التعبير عن التفسير ، وفي اختلافات التنوع عندهم ، فإذا رأوا خلاف عبارة ظنوا أنهم مختلفون ، ولا تراهم يعرفون كيف يوفِّقون بين أقوالهم .

كما تجدهم يحرصون على الرجوع إلى معاجم اللغة لبيان بعض المدلولات التي يحتاجونها ، ولا تراهم يرجعون إلى تحريرات السلف في هذه الأمور ، وهم أهل اللغة ، ولهم فيها السبق .

ولما كان الأمر كذلك ، أردت أن أكتب في هذه الحيثية ، لأبين لإخواني الكرام ممن يسلكون بيان إعجاز القرآن الكريم على هذه الطريقة ؛ أبين لهم كيف يمكنهم التعامل مع أقوال السلف أثناء بحوثهم العلمية التي يربطون بها المكتشفات المعاصرة بآيات القرآن لكي لا يقع عندهم ردٌّ لأقوال السلف أو نقض لأقوالهم بلا علم .

وقد سميته (**تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي**).

مصطلحات البحث [(١)]:

التفسير :

إن القرآن يحتوي على عدد من العلوم ، منها التفسير ، وقد وقع خلاف في تعريف التفسير ، وأوضحها - والله أعلم - : **بيان معاني القرآن الكريم** .

لأن مدلول التفسير من جهة اللغة هو البيان ، والمراد من المفسر بيان المعاني ، أما العلوم الأخرى التي يحتوي عليها القرآن فإنها ليست من التفسير ؛ فعدُّ الآي - مثلاً - من علوم القرآن ، لكنه ليس من التفسير ؛ لأنه لا يُبنى على معرفة عدِّ الآي فهم لمعنى آية من الآية ، والمقصود أنه يحسن أن ننتبه إلى الفرق بين علوم القرآن المرتبطة بسوره وآياته ، وعلم التفسير الذي هو بيان معانيه ، فكل ما له أثر في بيان معانيه ، فهو من العلوم التي ينبغي للمفسر الاعتناء بها ليستطيع بيان معاني القرآن على الوجه المَرضيِّ.

السلف :

الأصل اللغوي لكلمة السلف يدل على السبق والتقدم ، فكل ما تقدمك فهو سلف ، وهذا الإطلاق اللغوي يشمل كل من سبقك من الناس ، لذا إذا قلت : المفسر القرطبي من السلف ، فإن ذلك قول صحيح من حيث

---

(١) سأسلك سبيل الاختصار والتقرير هنا ؛ لأن هذا المقال ليس مجالاً لتفصيل الاختلاف في تعريف هذه المصطلحات .

اللغة . غير أن للعلماء اصطلاحًا خاصًّا في المراد بالسلف ، وقد اختلفوا في تحديد الفترة الزمنية التي يقف عندها هذا المصطلح ، والغالب في ذلك أنهم الصحابة والتابعون وأتباعهم ممن التزم الكتاب والسنة .

والسلف في مصطلح المفسرين لا يخرج عن هذه الطبقات الثلاث بدلالة أنك إذا رجعت إلى التفاسير التي جمعت مأثور السلف -كتفسير الطبري وابن أبي حاتم - تجدها تعتمد على ما نُقِل عن هذه الطبقات الثلاث، وتراها تقف عند طبقة أتباع التابعين .

ومِن ثَمَّ ، فإن مصطلح السلف عند الباحث هم أهل هذه الطبقات الثلاث .

أصول التفسير :

هي الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسر حال تفسيره لكلام الله وتحريره للاختلاف في التفسير .

وإن من أهم مسائل هذا العلم ثلاثة أمور كلية :

الأول : مصادر التفسير (النقل والرأي) ، وطرقه (القرآن والسنة وأقوال السلف واللغة) .

الثاني : الإجماع في التفسير ، الاختلاف فيه (أنواعه ، وأسبابه ، وطرق المفسرين في التعبير عنه) .

الثالث : كيفية التعامل مع اختلاف المفسرين (قواعد الترجيح) .

وتفصيل هذا يؤخذ من كتب هذا العلم [١]، وليس هذا مجال تقرير هذه المسائل برمَّتها ، وإن كانت ستأتي إشارات موجز لبعض مسائل هذا العلم .

الإعجاز العلمي :

تكاد تتفق كلمة الباحثين في الإعجاز العلمي على أن المراد به : ســبق القرآن إلى الإخبار بأمور كانت غير معلومة للجيل الذين نزل عليهم القــرآن ، وظهرت معرفتها في هذا العصر المتأخر [٢].

---

(١) من الكتب المتخصصة في هذا العلم :

١ – مقدمة في أصول التفسير ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٢ – الفوز الكبير في أصول التفسير ، للعلامة ولي الله الدهلوي .

٣ – التكميل لأصول التأويل ، للمعلم المحقق عبد الحميد الفراهي .

وقد شارك المعاصرون في الكتابة تحت هذا العنوان ، ومن هذه الكتب في هذا العلم :

١ – أصول التفسير ومناهجه ، للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي .

٢ – فصول في أصول التفسير ، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار .

٣ – التفسير أصوله وضوابطه ، للأستاذ الدكتور علي بن سليمان العبيد .

كما أن هناك كتابة في موضوع من موضوعاته ، ومن ذلك :

١ – اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره ، للأستاذ الدكتور سعود الفنيسان .

٢ – قواعد الترجيح ، للدكتور حسين الحربي .

٣ – أسباب اختلاف المفسرين ، للأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع .

٤ – قواعد التفسير ، للدكتور خالد السبت .

(٢) ينظر:

تأصيل الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، نشر: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، للأستاذ الدكتور زغلول النجار.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة :

- **المقدمـــة** ، وذكرت فيها مشكلة البحث ومصطلحاته .
- **الفصل الأول : أهمية تفسير السلف وكيفية التعامل معه**

المبحث الأول : أهمية تفسير السلف .

المبحث الثاني : كيفية التعامل مع تفسير السلف .

المبحث الثالث : احتمال الآية القرآنية للمعاني المتعددة .

- **الفصل الثاني : ضوابط قبول التفسير المعاصر**

المبحث الأول: الضابط الأول : أن يكون القول الحادث صحيحًا في ذاته.

المبحث الثاني: الضابط الثاني: أن تحتمل الآية القول الحادث .

المبحث الثالث : الضابط الثالث: أن لا يبطل قول السلف .

المبحث الرابع: الضابط الرابع:أن لا يقصر معنى الآية على التفسير الحادث.

- **الفصل الثالث : اعتراضات على تفسير السلف**

المبحث الأول : وجود الخطأ في تفسير آحاد السلف .

المبحث الثاني : الإسرائيليات ومخالفتها للقضايا العلمية المعاصرة .

- **الخاتـــمة** ، وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات .

الفصل الأول

أهمية تفسير السلف وكيفية التعامل معه

المبحث الأول : أهمية تفسير السلف

إن معرفة تفسير السلف أصل أصيل من أصول التفسير ، ومن تـــرك أقوالهم ، أو ضعف نظره فيها ، فإنه سيصاب بنقص في العلم ، وقـــصور في الوصول إلى الحق في كثير من آيات القرآن [١].

وإن من استقرأ تاريخ السلف مع كتاب الله ؛ وجد تمـــام عنايتـــهم بكتاب الله حفظًا وتفسيرًا وتدبرًا واستنباطًا ، كيف لا ؟! وكتاب الله هـــو العصمة والنجاة ، لذا لا تراه خفي فهمه على الـــصحابة – بمجمـــوعهم – شيء من معانيه و لم يستفصلوا من الرسول ﷺ ، فبقي عليهم منه شيء غامضٌ لا يعرفونه .

وكذا الحال بالتابعين ، الذين هم أكثر طبقات الـــسلف أقـــوالاً في التفسير ، وعددهم فيه كثير ، لقد سألوا عن التفسير ، واستفصلوا فيما غمُض عليهم ، ولهم في ذلك أقوال ، ومن أشهرها ما رواه الطبري بـــسنده عـــن الشعبي، قال : « والله ما من آية إلا سألت عنها ، لكنها الروايـــة عـــن الله تعالى »[٢].

---

(١) قد أشار بعض العلماء إلى أهمية معرفة علم السلف وما لهم فيه من الفضل ، ومن أنفس ما كُتِب في ذلك كتاب (فضل علم السلف) لابن رجب الحنبلي .

(٢) تفسير الطبري ، تحقيق معالي الدكتور عبد الله التركي (١ : ٨١).

وروى بسنده عن مجاهد ، قال: « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها »(١).

وبقي الحال كذلك في أتباع التابعين الذين كانوا أكثر طبقات السلف تدوينًا للتفسير ، وجمعًا لما روي عن الصحابة والتابعين ، وفي عصرهم ظهر أول مدوَّن كاملٍ في التفسير (٢)، وكان لهم أقوال في التفسير ، كما كان لهم اختيارات من أقوال من سبقهم ، وهذا يعني أن من استقرأ تفسير السلف وجد أنهم قلَّما يتركون آية لا يتكلمون عنها ، ويبينون ما فيها من المعاني ، سواءٌ اتفقوا في تفسيرهم أم كان اختلافهم فيها اختلاف تنوع(٣) أو اختلاف تضادٍّ (٤)، والتضاد في تفسيرهم قليل .

كما سيظهر للمستقرئ أن ما تركوا تفسيره إنما هو واضح ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وأنَّ كثيرًا مما بحثه المتأخرون إنما يتعلق بمسائل علمية خارجة عن حدِّ التفسير الذي هو بيان معاني القرآن ، وبحث بعض هذه المسائل موجود في تفاسير السلف ، لكنه توسع وزاد في تفاسير المتأخرين .

لكن مما يحسن ذكره هنا أن يعرف المفسر المعاصر أن اجتهاده في

---

(١) تفسير الطبري تحقيق معالي الدكتور عبد الله التركي (١ : ٨٥) .

(٢) أعني تفسير مقاتل بن سليمان .

(٣) التنوع : ما تحتمله الآية من أقوال ؛ كتفسيرهم للصراط المستقيم بأنه القرآن أو الإسلام ، وهو يحتمل هذين الأمرين احتمالاً متنوعًا لا متناقضًا متضادًّا ، فلو قيل بهما معًا لأمكن ذلك .

(٤) هما القولان اللذان إذا قيل بأحدهما في الآية سقط الآخر ؛ كتفسير القرء بالطهر والحيض ، فإذا قيل بالطهر سقط الحيض ، وإذا قيل بالحيض سقط الطهر ، إذ لا يمكن اجتماعهما في زمن واحدٍ بحيث يُطلب من المرأة أن تتربص بالأطهار والحيض معًا .

التفسير سيكون في أمرين :

الأمر الأول: الاختيار من أقوال المفسرين السابقين .

الأمر الثاني: الإضافة إلى ما قاله السلف، ولكن يحرص على أن يكون مضيفًا لا ناقضًا ومبطلاً لأقوالهم .

ومثال هذه المسألة في جملة﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج:٧٣] ، فهذه الجملة واضحة المعنى من حيث التفسير ، لكن المراد بيانه هو ذلك المسلوب ، ما هو ؟

والمتقدمون يقولون : وإن يسلب الذباب الآلهة والأوثان شيئا مما عليها من طيب أو طعام وما أشبهه من شيء لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه ، وقد ورد هذا المعنى عن جماعة من السلف ؛ منهم : عبد الله بن عباس [(١)]، والسدي الكبير[(٢)]، وابن جريج [(٣)] ، وعلى هذا المعنى سار المفسرون خلفًا ، ولم يغفلوا عن بيان المثل المضروب الذي هو المقصود بضرب المثل ، ومن ذلك ما قاله الطبري (ت: ٣١٠) : « ... وإنما أخبر – جَلَّ ثناؤه – عن الآلهة بما أخبر عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها = تقريعا منه بذلك عبدتها من مشركي

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله (٥ : ٣٠٨ ـــ ٣٠٩) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم (١٠ : ٥٤٠) .

(٣) زاد المسير (٥ : ٣٠٨) .

قريش ؛ يقول تعالى ذكره : كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب = وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئًا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ، ولا ينتصر ، وأنا الخالق ما في السماوات و الأرض ، ومالك جميع ذلك ، والمحيي من أردت والمميت من أردت = إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل » (١).

وفي هذا العصر ظهر اكتشاف غريب في الذباب ، وهو أنه إذا ابتلع شيئًا من الطعام ، فإنه يتحول في جوفه إلى مواد أخرى لا يمكن استرجاعها إلى مادتها الأولية (٢).

وهذا المعنى المذكور ينطبق على الوصف المذكور في الآية ، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ ، لكن من الذي لا يستطيع استنقاذه عند من يذهب إلى هذا التفسير ؟

سواءً أقال : لا يستطيع الآلهة ، أو قال : لا يستطيع الناس ، فإن الوصف صحيح منطبق على معنى الجملة ، لكن السياق في الآلهة وليس في الناس كما ترى .

وهذا القول إذا قيل به على أنه احتمال ثانٍ مما تحتمله الآية ، فإنه يصح تفسير الآية به على أنه مثال آخر من أمثلة ما لا يستطيعون استنقاذه مما يأخذه الذباب ، وليس بمبطل لقول السلف .

---

(١) تفسير الطبري ، ط : الحلبي (١٧ : ٢٠٣) .

(٢) ينظر على سبيل المثال : موسوعة الإعجاز العلمي ، ليوسف الحاج أحمد ، نشر مكتبة ابن حجر بدمشق (ص : ٥١٤) .

وتفسير السلف أولى لأن ما قالوه ظاهر لجميع الناس يدركونه بــلا حاجة إلى مختبرات ، بخلافه القول المعاصر الذي لم يره إلا النادر من الناس ، ولا يدركه تمام الإدراك إلا القلة منهم ، فليس كل الناس عنــدهم مختــبرات يمكنهم أن يروا تحوُّل مادة الطعام التي يأكلها الذباب .

ومع هذا الترجيح يبقى ما قاله المعاصرون قولاً صحيحًا محتملاً يمكن القول به ، لكن القاعدة السليمة في ذلك : أن تثق بمعرفة السلف وتفــسيرهم لجميع القرآن ، وأنهم لم يخرجوا عن الفهم الصحيح في تفسيرهم ، ثم تعــرف ما يمكن لمن جاء بعدهم عمله من الاختيار أو الزيادة المقبولة .

وهذا المثال التطبيقي هو المنهج لمن أراد أن يزيد على تفسير السلف ، وأن يأتي بجديد من المعاني أو الاستنباطات ، فهو لا يترك ما قالوه ، ولا يجمد عنده فلا يأتي بجديد .

المبحث الثاني : كيفية التعامل مع تفسير السلف

إن من ينحى إلى دراسة (الإعجاز العلمي) يلزمه أن يكون مــدركًا لكيفية التعامل مع أقوال السلف المتفقة والمختلفة ، ويكون عنده الأداة القادرة على التمييز بين الأقوال ، والقادرة على الترجيح بينها إذا دعا إلى ذلك الحال.

وهذا الأصل يرتبط بأصول أخرى هي بالنسبة له مقدمات مهمــة ، وإلى أصول لاحقة هي كالتتمة ، وبالجملة ، فلابدَّ لمن أراد أن يحمل اكتشافًا من تلك الاكتشافات المعاصرة على آية من الآيات ؛ أن يكون ملمًّا بأصــول التفسير ، وإلا فإنه قد يحصل عنده خلل أو نقص في بيانه .

وإذا كان أهل الطب لا يرضون لأي واحد أن يكون طبيبًا حتى يلم بأصول الطب ويدرسه دراسة وافية ، وكذا أهل العلوم الأخرى ؛ إذا كان ذلك كذلك ، فأصول معرفة تفسير كلام الله أولى بذلك ، فلا يحق لأي مسلم أن يتعرض للتفسير ، وهو لا يملك أدواته ، وهذه المسألة من الخطورة بمكان ، وهي- أيضًا - من الغياب بمكان عند بعض من يكتبون في الإعجاز العلمي ، فتراهم يلوون أعناق النصوص ، ويحرفون كلام الله ليوافق ما يعرفونه من علومهم الدنيوية ، والأمر ليس كذلك في الحقيقة ، فالآية لا تدل على ما ذهبوا إليه ، وإن كانت القضية التي ذكروها - من حيث هي- صواب .

وأعود بعد ذلك إلى أصل المسألة فأقول :

إن أي مفسر - كائنًا من كان - إذا أقدم على التفسير وهو غير عالم بطريقة التعامل مع تفسير السلف حال الاتفاق وحال الاختلاف ، فإنه سيقع في تفسيره خلل بسبب نقص علمه في هذا المجال ، إلا أن يكون ناقلاً لا رأي له ، وبهذا يكون خارجًا عن أن يكون مفسرًا .

وسأذكر مثالاً يُحتذى في هذه المسألة من خلال ما ذكره بعض المعاصرين في بعض أمثلة الإعجاز العلمي .

المثال الأول :

في قوله تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠] .

ورد عن السلف في تفسير هذه الآية قولان [1] :

الأول : بسطها ، وهو مروي عن قتادة والسدي وسفيان الثوري .

الثاني : إخراجه ماءها ومرعاه ، وهو مروي عن ابن عباس وابن جريج وابن زيد .

وهذان الاختلافان يعودان إلى قولين متغايرين غير متضادين ، ويمكن اجتماعهما في معنى دحو الأرض ؛ لأن بسطها لا يعارض إخراج مائها ومرعاها ، فكلاهما محتمل ، وإن كان الأول أشهر .

وذهب بعض المعاصرين إلى أن الدحو هنا بمعنى جعل الأرض كُرَةً [2]، وهذا المعنى له أصل في اللغة ، وهو حقيقة كونية دلَّت عليه آيات قرآنية غير هذه الآية ، وبهذا يكون قد تحقق في هذه القضية صحتها من جهة اللغة ، وصحتها من جهة الواقع .

لكن هذا لا يلزم من كونها كذلك أن يكون المراد بالدحو كون الأرض كُرَةً ، ويكون المعنى : (والأرض بعد ذلك كوَّرها) ؛ أي : جعلها كُرَةً .

---

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (٢٤ : ٩٥ ــ ٩٦) ، والدر المنثور، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (١٥ : ٢٣٤) .

(٢) ينظر مقال في الشبكة العنكبوتية تحت عنوان الإعجاز العلمي (القرآن يتجلى في تكوين كوكب الأرض) لتريه القميحا (www.ishraqa.com) . والملاحظ أن كروية الأرض ، بل كل الأفلاك ثابتة عند علماء السلف والخلف من المسلمين ، إلا النزر اليسير من الخلف ممن عارض في هذه المسألة، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من كتبه، منها: الفتاوى (٥: ١٥٠) ، (٦: ٥٦٥ – ٥٨٦)، بيان تلبيس الجهمية (٢ : ٢١٢) ، الرد على المنطقيين (ص : ١٣٧ ، ٢٦٠) .

ولو ذهب مفسر إلى هذا المعنى لكان له وجه ، وكان معنى ثالثًا غير مناقض للأوَّلين ، وإن غايرهما [(١)]. وبهذا تكون لفظة (دحاها) قد دلَّت على هذه المعاني الثلاثة ، فالله سبحانه كوَّر الأرض ، وجعلها منبسطةً لكِبَرِ تكويرها، وأخرج منها الماء والمرعى ، فتجتمع هذه المعاني الثلاثة في وصف الأرض ، وليس بينها أي تناقض كما ترى .

وفي هذا المثال تلاحظ أنَّ اختلاف السلف كان على سبيل التنوع المتعدد المعاني ، وأن المعاصرين زادوا تفسيرًا آخر يدخل في التنوع أيضًا ، و لم يكن في اختلاف السلف ما يشكل على إضافة قول جديد .

المثال الثاني :

تفسير الرتق والفتق من قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٠] .

ورد في تفسير السلف للرتق والفتق في هذه الآية عدة أقوال :

القول الأول : كانتا ملتصقتين ففصل الأرض عن السماء ، فجعل الأرض في الأسفل والسماء في العلو ، وقد ذهب إلى هذا ابن عباس من رواية عطية العوفي وعلي بن أبي طلحة ، وذهب إليه الحسن والضحاك وقتادة [(٢)] .

---

(١) مما يحسن التنبيه عليه أن بعض المعاصرين ممن لهم عناية بالإعجاز العلمي لا يذهبون بهذه الآية إلى هذا المعنى ، بل إن بعضهم يردُّ هذا المعنى ، والأمر في ذلك واسع ، وإنما أردت ضرب المثال ، ولا يعني ذلك أني أتبنى هذا القول .

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (١٦ : ٢٥٥ ــ ٢٥٨) .

القول الثاني : أن السماء كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سماوات ، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين ، وذهب إلى هذا مجاهد ، وأبو صالح ، والسدي .

القول الثالث : أن السماوات كانت رتقًا لا تمطر ، والأرض كذلك رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر الأرض بالنبات ، وذهب إلى ذلك عكرمة وعطية العوفي وابن زيد .

القول الرابع : أن السموات والأرض كانتا مظلمتين ففتقهما بالنهار ، وهذه رواية عن ابن عباس ، قال الطبري : حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : خلق الليل قبل النهار ، ثم قال : ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ .

فهذه أقوال أربعة من أقوال السلف ، وظاهر من اختلافهم – رحمهم الله – أنَّ كل واحد منهم قال باجتهاده ، واعتمد على مدلول الرتق والفتق .

والرتق في اللغة : التضامُّ والالتحام .

والفتق : الانفصال والانفتاح بين شيئين .

وقد بين الطبري دلالة الرتق والفتق في اللغة، فقال: « ...﴿ كَانَتَا رَتْقًا ﴾: يقول : ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين ، يقال منه : رَتَقَ فلان الفَتْقَ : إذا شدَّه فهو يرتقُه رَتْقًا ورُتُوقًا ، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم : رتقاء .

ووحَّد الرتق ، وهو من صفة السماء والأرض ، وقد جاء بعد قوله : ﴿كَانَتَا﴾ ؛ لأنه مصدر مثل : الزَّور ، والصَّوم ، والفطر .

وقوله : ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ، يقول : فصدعناهما وفرجناهما .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق وكيف كان الرتق وبأي معنى فتق »[1].

وإذا أجريت أقوال المفسرين على معنى الرتق والفتق وجدتَ أقـــوالهم تخرج منه ، وتصدر عنه ، فما من قول إلا وفيه معنى الرتق والفتق سوى قول ابن عباس الأخير الذي هو تفسير بلازم لفظ الرتق والفتق ، واستدلال علـــى خلق الظلمة قبل النور ؛ فكأنه ظهر له أن الالتصاق قرين الظلمة ، والفتـــق قرين النور ، وهو النهار ، وعلى هذا لا يكون تفسيره هذا تفسيرًا للمفردة بما يدلُّ عليها من لغة العرب ، بل هو تفسير لها بلازمها في هذا السياق .

وعند تأمل هذه الأقوال تجد أن الرؤية في قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تحتمل أمرين :

الأول : أن الرؤية بمعنى العلم، وعلى هذا القول الأول والثاني والرابع، وهذا يعني أن الاعتبار بهذه الآية يأتي عن طريق العلم الاستدلالي .

الثاني : أن الرؤية بصرية ، وعليه القول الثالث الذي فسر الرتق بعدم إنزال المطر وبعدم إنبات النبات ، والفتق بإنزال المطر ، وبإنبات النبات ، وهذا

---

(١) تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (١٦ : ٢٥٤ ـــ ٢٥٥) .

مشاهد لكل واحد من الناس ، فهم يدركونه بأبصارهم ، وعلى هذا يكـــون المراد العبرة بالآية عن طريق البصر .

وهذا القول يعضده عدد من الأدلة ، منها :

١- كونه معلومًا مشاهدًا لجميع الناس بخلاف غيره من الأقوال التي تحتاج إلى استدلال .

٢- أن هذا المعنى له نظير في القرآن ، وذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾[الطـارق: ١١- ١٢] ،وقوله تــــعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾[عبس: ٢٤ ــــ ٢٦] ، ووجود النظير يعزز كون هذا المعنى أرجح ، مع الأدلة الأخرى المذكورة .

٣- أن السياق بعده يشير إلى صحته ، وهو قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ، وقد استدل على ترجيح هذا المعنى بالسياق عدد مـــن العلماء ، أذكر منهم عبد الرحمن بن زيد (ت:١٨٢) ، قال: « كانت السماوات رتقا لا ينْزل منها مطر ، وكانت الأرض رتقا لا يخرج منها نبات ، ففتقهما الله ، فأنزل مطر السماء ، وشَقَّ الأرض ، فأخرج نباتها ، وقرأ : ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ » .

وقال الطبري (ت:٣١٠) : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض **كانتا رتقا** من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث ، والأرض بالنبات، وإنما قلنا ذلك أولى

بالصواب في ذلك ؛ لدلالة قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ على ذلك وأنه – جل ثناؤه – لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه » [١].

ومع رجحان هذا المعنى على ما سواه يبقى لغيره احتمال الصحة ، فالأقوال غير متناقضة – كما ترى – بحيث لو قيل بأحدها سقط الآخر ، وما دام الأمر كذلك ، فإن هذه الأقوال تكون في مرتبة دون القول الأَولى .

وقد ذهب جمع من المعاصرين المعتنين بالإعجاز العلمي إلى تفسير هذه الآية بما يسمى بنظرية (الانفجار الكوني العظيم)، وهي نظرية من بين عدَّة نظريات في نشأة هذا الكون [٢] ، ومع كونها نظرية لم تثبت صحتها إلى اليوم ، فإنك تجد بعض المعاصرين يعتمدها فيقول : « وهذا السبق القرآني بحقيقة الفتق بعد الرتق تجعلنا نرتقي بنظرية الانفجار الكوني العظيم إلى مقام الحقيقة ، ونكون هنا قد انتصرنا بالقرآن للعلم المكتسب ، وليس العكس ، والسبب في لجوئنا إلى تلك النظرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية رقم (٣٠) من سورة الأنبياء هو أن العلوم المكتسبة لا يمكن لها أن تتجاوز مرحلة التنظير في القضايا التي تخضع لحس الإنسان المباشر أو إدراكه المباشر من مثل قضايا

---

(١) تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (١٦ : ٢٥٨) .

(٢) كتب عن هذه النظريات عدد من الباحثين ، ومن ذلك ما كتبته الدكتورة سارة بنت عبد المحسن ابن جلوي آل سعود في كتابها (نشأة الكون وخلق الإنسان بين العلم والقرآن) ، ومن هذه النظريات – كما ذكرتها – : نظرية الانفجار الكوني الكبير ، وفكرة الكون العملاق ، وفكرة الكون الذكي .

الخلق والإفناء وإعادة الخلق ...» [(١)].

وأقرب أقوال المفسرين لهذه النظرية القول الأول ، وهو من قال بأن السموات والأرض كانتا ملتزقتين ففتقهما إلى سماء وأرض .

وهذا يعني أن القول بهذه النظرية ــ على سبيل التفسير ــ إنما هو تفصيل لمجمل هذا القول ، وليس قولاً حادثًا جديدًا ، وإنما الجديد فيه هذه التفاصيل التي لا زالت في طور النظرية .

وإذا صحت هذه النظرية فصارت بمثابة الحقيقة التي لا خلاف فيها ، فإنه لا يمتنع أن تكون أحد المعاني المرادة بهذه الجملة من الآية ، مع بقاء احتمال الأقوال الأخرى في كونها مرادة كذلك ، لكن لا زال أقوى الأقوال ما ذكرت ترجيحه .

وهذا الأسلوب الذي ذكرت لك في التعامل مع الاختلاف ناشئٌ عن أصل مهم من أصول التفسير ، وهو (احتمال الآية القرآنية لعدد من المعاني)، وهذا الأصل من الأصول التي يلزم تحريرها وبيانها ليستفيد منها من يروم البحث في الإعجاز العلمي ، لكي يكون بحثه على أصول علمية صحيحة . فمعرفتهم له مهمٌّ للغاية ، ولا يمكنهم الانفكاك عنه ؛ لأنهم قد يقعون في تخطئة

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي : السماء في القرآن الكريم (ص : ١٠٧- ١٠٨) . وتفسير هذه الآية بهذه النظرية يدخل في باب التفسير العلمي عند المعتنين بالإعجاز العلمي الذين يفرقون بين مصطلح (التفسير العلمي) ، ومصطلح (الإعجاز العلمي) ، خلافًا لما ذهب إليه مؤلف الكتاب الذي جعلها من آيات الإعجاز العلمي بالدعوى التي ذكرها ، والتي يمكن لآخرين أن يستخدموها في غير هذه الآية من الآيات التي تذكر بعض الغيبيات .

أقوال صحيحة ، وهم لا يشعرون ، ولو أدركوا هذا الأصل لما حصل منهم مثل هذه التخطئة لبعض أقوال المفسرين .

المبحث الثالث : احتمال الآية القرآنية للمعاني المتعددة

ما دمت قد ذكرت لك بعض الأمثلة التفسيرية ، وطريقة معالجتها من جهة التفسير ، وكيفية احتمال الأقوال الحادثة ، فيحسن أن أرجع بك إلى الأصل الذي تنبثق منه هذه التطبيقات ، وهو **أن الآية إذا احتملت أكثر من معنى صحيح ليس بينها تناقض جاز حمل الآية عليها** ، وقد نص العلماء على هذه القاعدة في مواطن كثيرة ، وسأذكر لك بعض نصوص العلماء في ذلك :

١- قال محمد بن نصر المروزيُّ (ت : ٢٩٤)[(١)]: « وسمعتُ إسحاقَ[(٢)] يقولُ في قولِه :﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] : قدْ يمكنُ أنْ يكونَ تفسيرُ الآيةِ على أولي العِلْمِ[(٣)] ، وعلى أمراءِ السَّرَايَا[(٤)]؛

---

(١) محمد بن نصر ، أبو عبد الله المروزي ، الإمام الفقيه ، رحل في طلب العلم ، واستوطن سمرقند ، أخذ عن إسحاق بن راهوية وغيره ، وأخذ عنه ابنه إسماعيل وغيره ، توفي سنة (٢٩٤) . تاريخ بغداد (٣: ٣١٥ ــ ٣١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٤ : ٣٣ ــ ٤٠) .

(٢) هو إسحاق بن راهوية المروزي ، الحافظ المحدث ، له كتاب التفسير ، توفي سنة (٢٣٨) . تاريخ بغداد (٦ : ٣٤٥ ــ ٣٥٥) ، معجم المفسرين لعادل نويهض (١ : ٨٥ ــ ٨٦) .

(٣) قال به: ابن عباس ، وإبراهيم النخعي، وأبو العالية ، ومجاهد ، وبكر بن عبد الله المزني ، والحسن، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد الله بن أبي نجيح ، ، وعطاء بن السائب ، والحسن بن محمد بن علي. ينظر: تفسير الطبري ، تحقيق : الدكتور عبد الله التركي (٧ : ١٧٩ ــ ١٨١) ، وتفسير ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد الطيب (٣ : ٩٨٩) .

(٤) قال به : أبو هريرة ، وابن عباس ، وميمون بن مهران ، والسدي ، وابن زيد . ينظر : تفسير الطبري ، تحقيق : شاكر (٧ : ١٧٦ ــ ١٧٨) .

لأنَّ الآيةَ الواحدةَ يفسِّرُها العلماءُ على أوجه ، وليس ذلك باختلافٍ. وقد قالَ سفيانُ بنُ عُيَينَةَ: ليسَ في تفسيرِ القرآنِ اختلافٌ إذا صَحَّ القولُ في ذلكَ[(١)]. وقالَ: أيكونُ شَيءٌ أظهرَ خِلافاً في الظَّاهرِ منَ الخُنَّسِ؟

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ : هي بقرُ الوحشِ[(٢)].

وقالَ عليٌ : هي النُّجومُ[(٣)].

قالَ سفيانُ : وكلاهما واحدٌ ؛ لأنَّ النُّجومَ تَخْنُسُ بالنَّهارِ وتظهرُ باللَّيلِ، والوَحْشِيَّةُ إذا رأتْ إنسيّاً خَنَسَتْ في الغيطانِ[(٤)] وغيرِها ، وإذا لم تَرَ إنسيّاً ظهرتْ.

قالَ سفيانُ : فَكُلٌّ خُنَّسٌ.

قالَ إسحاقُ : وتصديقُ ذلك ما جاءَ عنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ في الماعونِ[(٥)] ، يعني أنَّ بعضَهم قالَ : الزَّكاةُ ، وقال بعضُهم : عاريةُ المتاعِ .

قالَ : وقالَ عكرمةُ : الماعونُ : أعلاه الزَّكاةُ ، وعاريةُ المتاعِ

---

(١) أخرجه كذلك سعيد بن منصور عن سفيان ، ينظر قسم التفسير من كتابه السنن ، تحقيق : سعد الحميِّد (٥ : ٣١٢) .

(٢) ينظر قوله في تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (٢٤ : ١٥٥) ، ورواه كذلك عن : أبي ميسرة ، وجابر بن زيد ، ومجاهد ، وعبد الله بن وهب ، وإبراهيم النخعي .

(٣) ينظر قوله في تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (٢٤ : ١٥٢ ، ١٥٣) ، ورواه كذلك عن : بكر بن عبد الله ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد .

(٤) الغيطان : المطمئن من الأرض . ينظر : القاموس المحيط ، مادة (غوط) .

(٥) في قوله تعالى :﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾[الماعون: ٧] .

منه [(١)].

قالَ إسحاقُ : وجَهِلَ قومٌ هذه المعاني ؛ فإذا لم توافقِ الكلمةُ الكلمةَ قالوا : هذا اختلافٌ . وقدْ قالَ الحسنُ – وذُكِرَ عنده الاختلافُ في نحـــوِ ما وصفْنا ، فقالَ – : إنما أُتِيَ القومُ منْ قِبَلِ العُجْمَةِ.[(٢)] » [(٣)] .

ولعلَّ في هذا المثالِ العزيزِ ما يدلُّ على ظهورِ هذه المسألةِ عندَ علماءِ السَّلَفِ ، وأنهم كانوا يَعُونَهَا جيداً ، حيثُ جعلوا هذه المحتملاتِ الواردةَ على النَّصِّ مقبولةً ، و لم يَرُدُّوها .

ولفهم السلف لهذه القاعدة وتعاملهم بها ؛ تجد عن بعـــضهم قـــولين متغايرين غير متضادين في الآية، وقد يحملها – من لا يدرك هذه القاعـــدة ، ولا يفقه أصول التفسير – على أنها أقوال متناقضة ، وهي ليست كـــذلك ، وليس المجال مجال عرض بعض هذه الأمثلة ، لكن أكتفي بمثال عزيز عن حبر الأمة ابن عباس (ت:٦٤) ، فقد ورد في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبـــوت:٤٥] ما رواه ابن أبي حاتم ، قال: حدثنا أبي حدثنا النفيلي حـــدثنا إسماعيل عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قولـــه تعـــالى : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: « **لها وجهان** ، قال : ذكر الله عند ما حرّمه ، قال : وذكر الله

---

(١) ينظر في أقوال السلف في ذلك في تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي (٢٤ : ٦٦٥ – ٦٧٨) .

(٢) أخرج البخاري هذا القول عن الحسن البصري بأخصر من ذلك ، قال : « أهلكتهم العجمة » ينظر التاريخ الكبير (٥ : ٩٣) .

(٣) السنة ، لمحمد بن نصر المروزي (ص : ٧ ــ ٨) .

إياكم أعظم من ذكركم إياه »[١] ، فانظر ، كيف نصَّ على وجهين متغايرين في معنى الجملة ؟ وما ذاك إلا لإعمال هذه القاعدة الجليلة ، وهي تعدد المحتملات الصحيحة للّفظ القرآني .

فإن قلت : **ألا يفتح هذا باب الوقوع في التفسيرات الباطلة والمحتملات الفاسدة ؟**

فالجواب : إن هناك أصول علمية من سار عليها ، واجتهد في تحقيقها فإنه يكون قد سار على الطريقة المثلى المرجوَّة ، فإن وصل إلى الصواب ، فذلك عين المطلوب ، وإن لم يصل إلى الصواب كان مخطئًا مأجورًا ، أما إذا لم يعتمد هذه الأصول ، فإنه مخالف من بداية الطريق ، لذا لا يمكن الالتقاء معه ، فالخطان سيكونان متوازيان ، وأنَّى لهما أن يلتقيا؟!

واعلم أن كل من نقص علمه ، أو نقص اعتماده على المصادر الصحيحة ، فإنه سيقع في الخطأ لا محالة ، وليس بمعذور إلا إذا لم يستطع التعلم ، و لم يكن إليه سبيل ، أما أن يكون بين علماء وطلاب علم ، ولا يحرص على تعلم الأسلوب الصحيح للتفسير ، فليس ذلك بمعذور ، بل إن العتب عليه مضاعف ، لعدم حرصه على سلوك السبيل الصحيح لتفسير كلام الله ، مع حرصه على الكلام فيه .

٢– عندَ تفسيرِه قولَ اللهِ تعالى : ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر:١٧] قالَ الشَّنقيطيُّ (ت:١٣٩٣) : « ... فقوله – رضيَ اللهُ عنه – : "إلاَّ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب (٩ : ٣٠٦٨) .

فهماً يعطيه الله رجلاً في كتابِ اللهِ" (١)، يدلُّ على أنَّ فَهْمَ كتابِ اللهِ تتجدَّدُ به العلومُ والمعارفُ التي لم تكنْ عند عامَّة الناسِ ، ولا مانعَ من حمل الآيةِ على ما حملها المفسِّرونَ ، وما ذكرْناه أيضاً أنَّه يُفْهَمُ منها ، لِمَّا تَقَرَّرَ عندَ العلماءِ مِنْ أنَّ الآيَةَ إنْ كانت تحتملُ معانيَ كلُّها صحيحٌ ، تَعَيَّنَ حَمْلُهَا على الجميعِ ، كما حَقَّقَه بأدلته الشيخُ تَقِيُّ الدِّينِ أبو العباسِ بنُ تَيمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ – في رسالتِهِ في علومِ القرآنِ (٢)» (٣) .

٣– جعلَ الطَّاهِرُ بنُ عاشورَ (ت:١٣٩٣) مقدمةً منْ مقدمات تفسيرِه خاصَّةً بهذه القاعدة ، وعَنْوَنَ لها بقوله : « المقدِّمَةُ التَّاسعةُ : في أنَّ المعاني التي تَتَحَمَّلُهَا جُمَلُ القرآنِ ، تُعْتَبَرُ مُرادَةً بها »(٤).

---

(١) هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) لعلَّه يريد الموضع الذي في مقدمة التفسير ، وهو قوله : « ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين : إما لكونه مشتركًا في اللفظ ؛ كلفظ قسورة الذي يراد به الرامي ، ويراد به الأسد . ولفظ عسعس الذي يراد به إقبال الليل وإدباره. وإما لكونه متواطئا في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين، كالضمائر في قوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ، وكلفظ الفجر وليال عشر والشفع والوتر وما أشبه ذلك .

فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك . فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين ، فأريد بها هذا تارة ، وهذا تارة ، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنبلية وكثير من أهل الكلام . وإما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما إذا لم يكن لتخصيصه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني » مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور (ص : ٣٩ ـــ ٥١).

(٣) أضواء البيان (٣ : ١٢٤) .

(٤) التحرير والتنوير (١ : ٩٣) ، وقد تحدث عنها حتى (ص : ١٠٠) .

ولو ذهبت إلى سرد نصوص العلماء وتطبيقاتهم في هذه المسألة لطال المقام ، وما ذكرته فيه الغنية لمن أراد أن يتذكر .

وإذا جاز احتمال الآية لأكثر من معنى ، فإنما ذلك لأن المفسر لا يستطيع الجزم – في حال الاحتمال – بأن هذا هو مراد الله دون ذاك ؛ لأن أدلة الترجيح قد تستوي في نظره ، أو قد يرى أحد الأقوال أقوى من الآخر من غير إبطاله ، وإن أبطله فإنما يبطله بالدلائل العلمية ، وليس لأنه يخالف قوله ، أو أنه لا يدرك وجه هذا القول ، فيردُّه ، ويكون القصور والنقص في ردِّه وليس في القول .

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

ضوابط قبول التفسير المعاصر

لما سبق بيان جواز احتمال الآية لأقوال متعددة ، فإن كل من يقول بقول جديد في تفسير الآية عمومًا ، وفي التفسير العلمي (أو الإعجاز العلمي) خصوصًا ، فإنه يدخل من هذا الباب ، وعليه أن يتبع الضوابط العلمية الصحيحة لمعرفة القول الصحيح من غيره ، وستأتي هذه الضوابط في المباحث الآتية .

المبحث الأول

الضابط الأول : أن يكون القول المفسَّر به صحيحًا في ذاته .

إن كل قول يقال في التفسير يمكن أن يُعلم صحيحه من خطئه ، والقول الصحيح تُعلم صحتُه من وجوه :

١- أن تدلَّ عليه لغة العرب ، وذلك في تفسير الألفاظ أو الصيغ أو الأساليب .

وهذا يعني أن تفسير ألفاظ القرآن بمصطلحات علمية سابقة له [١]؛ أو مصطلحات لاحقة لا يصحُّ البتة ؛ لأن ألفاظه عربية ، وتفسيرها يؤخذ من لسان العرب ، ولغة القرآن ، لا من هذه المصطلحات ، كمن يفسر لفظ

---

(١) ممن حرص على ربط الشريعة بالفلسفة ابن رشد الحفيد ، ومن كتبه المتعلقة بذلك : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وقد حمل جملة من مصطلحات الفلاسفة المتقدمين على الإسلام على ما جاء في القرآن والسنة .

الأقطار في قوله تعالى: ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٖ ﴾[الرحمن:٣٣] بأنه القطر الهندسي، وهو الخط الهندسي المنصِّف للدائرة أو الشكل البيضاوي (١).

والأقطار في اللغة جمع القُطْرُ بالضم، وهو الناحية والجانب (٢)، وهو المراد بآية سورة الرحمن، وكذا هو المراد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴾[الأحزاب:١٤].

ومن أوضح الأمثلة في أثر هذه المصطلحات على تفسير ألفاظ القرآن العربية بما اصطلح عليه علماء الفلك: ما يَرِدُ من كون الشمس نجمًا، والأرض كوكبًا، وذلك لا تجده في آية قرآنية، ولا سنة نبوية، ولا لغة عربية، فالشمس جرم غير النجم، والأرض جرم غير الكوكب، والقمر جرم غير هذه كلها، وإليك أدلة ذلك من القرآن.

قال تعالى - في قصة مناظرة إبراهيم لقومه عبدة النجوم -: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾[الأنعام:٧٦]، وقال فيها: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَـٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وقال فيها: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ

---

(١) ينظر: "وكان عرشه على الماء" للأستاذ الدكتور الطبيب عادل محمد عباس، نشر مركز الدراسات المعرفية (ص: ٥١)، وهذا الكتاب فيه تفسيرات كثيرة معتمدة على المصطلحات العلمية، مع إهمال المدلول اللغوي العربي، فضلا عن تفسير السلف أو الاعتماد على السنة النبوية.

(٢) ينظر - على سبيل المثال -: مادة (قطر) من القاموس المحيط، للفيروزآبادي.

بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾[الأنعام: ٧٨] ، ففرق إبراهيم بين الكوكب والشمس والقمر .

وقال تعالى – في قصة رؤيا يوسف – : ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[يوسف:٤] ، ففرق يوسف بين الكواكب والشمس والقمر .

وقال تعالى :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف:٥٤] ففرق بين الأرض والشمس والقمر والنجوم .

وقال تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[النحل:١٢] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[الحج : ١٨] .

والأحاديث وآثار السلف وأقوال علماء اللغة في التفريق بين هذه الأجرام أكثر من أن تُحصى ، فإذا جاء مفسر معاصر إلى مثل هذه الآيات وزعم أن الشمس نجم ، أو أن القمر والأرض كوكبان ، فإنه يُعترض عليه بأنَّ القرآن فرق بينها ، وأن لغة العرب فرقت بينها كذلك ، ولم يرد في موطن

واحد ما يدل على هذا التفسير لا من قريب ولا من بعيد ، ومن ثَمَّ فالتفسير بهذه المصطلحات المعاصرة لهذه الأجرام لا يصلح .

فإن قلت : هل يمتنع أن يصطلح علماء الفلك في علمهم على هذه الفروق التي لم تُجزِ حملها على كتاب الله ؟

فالجواب : لا ، لا يمتنع ، فاتفاقهم على هذا مصطلحًا بينهم لا غبار عليه ، لكن أن يحملوا ألفاظ القرآن والسنة واللغة عليه فهذا هو المحذور ؛ لأنه لم يرد فيها ما يدل على صحة هذه الإطلاقات الاصطلاحية في علم الفلك .

٢ – أن لا يخالف مقطوعًا به في الشريعة .

فإن ما لا يوافق الشريعة لا يمكن أن تدل عليه آيات القرآن بحال ، وذلك كمن يفسر قوله تعالى :﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٤]، بأنها الأطوار الداروينية [١]، ونظرية دارون – كما هو معلوم – مخالفة لجميع الشرائع السماوية التي تجعل أصل الإنسان أبانا آدم عليه السلام .

وكذا من يفسر العرش أو الكرسي بأحد الكواكب السيارة[٢] ، وهذا مخالف أيضًا لما ثبت في الشريعة من كون هذه المخلوقات فوق السموات ، وأنها أكبر منها بكثير .

---

(١) ينظر جريدة الغد ، على الشبكة العنكبوتية

http://www.alghad.jo/?news=39985

(٢) ينظر على سبيل المثال كتاب أسرار الكون في القرآن للدكتور داود سلمان السعدي (ص : ١٧٣- ١٩٠) ، وعلى هذا الكتاب ملاحظات في هذا الجانب، وفي غيره من جوانب التفسير .

المبحث الثـــاني

الضابط الثاني : أن تحتمل الآية هذا القول الحادث .

ويمكن معرفة ذلك بطرق ، منها أن تدلَّ عليه بأي وجهٍ من وجـــوه الدلالة : مطابقةً أو تضمُّنًا أو لزومًا ، أو مثالاً لمعنى لفظ عام في الآيـــة ، أو جزءًا من معنى لفظ من الألفاظ ، أو غير ذلك من الدلالات الـــتي يـــذكرها العلماء من أصوليين وبلاغيين ولغويين ومفسرين .

وهذا الضابط مهمٌّ للغاية ، إذ قد يصحُّ القول من جهة وجـــوده في الخارج ، لكن يقع الخلل في صحة ربطه بالآية ، وهذا مجال كبير للاختلاف ، بل هو مجال تحقيق المناط في كثير من القضايا التي ثبتت صحتها مـــن جهـــة الواقع ، لكن يقع التنازع في كونها مُرادة في الآية ، وهذا الاختلاف لا يصلح أن يكون محطًّا للانتقاص من الأطراف المختلفة ، فإني رأيت بعض من يـــدعو إلى تفسير كثيرٍ من الآيات القرآنية بما ثبت من المكتشفات في بحوث العلـــوم التجريبية والكونية يتنقص الآراء التي في الآية ، ويطالب علماء الشريعة بـــأن يُلِمُّوا بالعلوم المعاصرة لكي يتسنى لهم أن يقدموا التفسير المناسب لأهل هـــذا العصر ، وتلك دعوى غير لازمة .

ولو روُعيت قضية احتمال تنازع الطرفين في صحة حمـــل القـــضية العلمية الحادثة على الآية القرنية ، وأنها مجال للاجتهاد ، ولا يلزم التثريب ما دام الأمر لا يقع فيه تحريف في كلام الله ؛ لو رُوعيت وصارت منـــهجًا لمـــا

حصل تدابر وتشاحٌّ بين المتنازعين ، بل تبقى بينهم المحبة والتوادِّ والرحمة ، وقديمًا قيل : إن الاختلاف لا يفسد للودِّ قضية .

وأضرب لك مثالاً في ذلك :

قوله تعالى : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥] ورد فيها تفسيران للسلف :

الأول : أن المراد بالنجوم نجوم القرآن ، أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً متفرقة ، وقد ورد ذلك عن ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد.

الثاني : أن المراد بالنجوم نجوم السماء ، واختلف القائلون بكون المراد بها نجوم السماء على عدة معاني:

المعنى الأول : فلا أقسم بمساقط النجوم ومطالعها ، والمراد مواقع طلوعها في أول الليل ، ومواقع غروبها في آخر الليل ، وقد ورد عن مجاهد ، وقتادة .

المعنى الثاني : بمنازل النجوم ، والمراد بها المنازل المعروفة لهذه النجوم ، كالثور والسرطان والجوزاء وغيرها ، وقد ورد عن قتادة .

المعنى الثالث : بانتثار النجوم عند قيام الساعة ، وقد ورد عن الحسن البصري .

وإذا تأملت هذه الأقوال وجدها قد اختلفت في المراد بـــالنجوم ، ثم اختلف القائلون بأنها نجوم السماء في المراد بمواقعها .

فأصحاب القول الأول ذهبوا إلى موقع (مكـــان) طلـــوع الـــنجم وغروبه ، وكذا ذهب أصحاب القول الثاني ، لكن تحديد الموقع اختلـــف ، حيث ذهبوا إلى أماكنها في بروجها .

أما القول الثالث ، فذهب إلى معنى السقوط ، فجعل الموقـــع بمعـــنى الوقوع .

وذهب بعض المعاصرين بمعنى الآية إلى قضية من قضايا العلوم الكونية المعاصرة ، ومنه ما ذكره بعض الفضلاء ، قال : « وهذا القسم القرآني العظيم بمواقع النجوم يشير إلى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق الكون المبهرة ، والتي مؤداها أنه نظرًا للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عـــن أرضنا ، فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبداً ، ولكنـــه يـــرى مواقع مرَّت بها النجوم ثمَّ غادرت ، وفوق ذلك أن هذه المواقـــع نـــسبية ، وليست مطلقة ؛ لأن الضوء كأي صورة من صور المادة والطاقة لا يـــستطيع أن يتحرك في صفحة السماء إلا في خطوط منحنية ، وعين الإنسان لا تـــرى إلا في خطوط مستقيمة ، وعلى ذلك فإن الناظر إلى النجم من فوق ســـطح الأرض يراه على استقامة آخر نقط انحنى ضوءه إليها ، فيرى موقعًـــا وهميًّـــا للنجم غير الموقع الذي انبثق منه ضوءه ، فنظرًا لانحناء الـــضوء في صـــفحة السماء فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية.

ليس هذا فقط ، بل إن الدراسات الفلكية الحديثة أثبتت أن نجومًا قديمة قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة ، والضوء الذي ينبثق منها في عدد من المواقع التي مرَّت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن ، ومن هنا كان القسم القرآني بمواقع النجوم ، وليس بالنجوم ذاتها ... » [1].

وهذا القول يوافق من قال بأن النجوم هي نجوم السماء ، لكن يفارقه بأن النجوم لم يقع عليها قسم ، وإنما وقع على مواقعها الخالية منها ، وبهذا يكون مخالفًا للقول السابق في هذه الحيثية ، فالمتقدمون يذهبون بتفسير (مواقع النجوم) إلى أن القسم بالنجوم وبمواقعها ، والذين نَحَو إلى التفسير المعاصر يذهبون إلى أن القسم بالمواقع دون النجوم ، وعلى فرض صحة هذه القضية ، فإن كونها هي المرادة بقوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥] فيه نظر ؛ لأمور :

١- أن الأقوال الثلاثة قد ورد ما يشهد لها من القرآن ، فمن ذهب إلى مطالع النجوم ومغاربها يشهد له مثل قوله تعالى :﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[الطور:٤٩] .

ومن قال إن المراد منازل النجوم ، فإنه يشهد له مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾[البروج:١] على أحد الأقوال في تفسير الآية.

ومن قال بأن المراد سقوطها عند قيام الساعة ، فيشهد له مثل قوله

(١) من آيات الإعجاز العلمي : السماء في القرآن (ص : ١٩٦ ــ ١٩٧) .

تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[التكوير:٢] ؛ أي : انصبت وسقطت ، وهذا أحد معاني الانكدار في الآية .

٢– أن الله ذكر النجوم في غير ما آية ، والمراد بها تلك النجوم المتلألئة في جوِّ السماء ، ولم يشر في آية منها إلى هذه القضية ، ولو كانت هذه القضية حقيقة، فإن إبراهيم – لمـّا قال الله عنه – : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ [الصافات: ٨٨] [(١)] يكون واهمًا ، فهو لم ينظر إلى النجوم إلا توهُّمًا ، وإنما نظر إلى مواقعها من حيث لا يدري !

وإذا رجعت إلى السنة وآثار السلف وأقوال الناس رأيتهم يعتمدون رؤيتهم ما يرون من هذه النجوم ، ولا يمكن أن يدور في خلدهم أن ما يرونه إنما هو مواقع النجوم ، والموجود فيها إنما هو صورة النجم لا حقيقته ، فذلك محال أن يسلم به هؤلاء ، ويبنون على ذلك أحكامهم العلمية والعملية ، ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن شقيق قال: « خطبنا ابن عباس يومًا بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت **النجوم** ، وجعل الناس يقولون الصلاة الصلاةَ، قال : فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاةَ . فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة لا أم لك ؟ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء. قال عبد الله بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيء ، فأتيت أبا هريرة ، فسألته ، فصدق مقالته » [(٢)].

---

(١) ورد تفسير السلف لهذه الآية بأنه رأى نجمًا طالعًا في السماء ، فقال : إني مطعون . وهو يوهم بهذا أنه قد أصابه النجم على حدِّ زعمهم بتأثير النجوم .

(٢) صحيح مسلم ، برقم (٧٠٥) .

٣- أن الله خاطب العرب بما يعقلون ، والنجم عند العرب ما يشاهدونه ، خلافًا لما قيل في هذا العلم المعاصر من كون ما نراه ليس نجومًا ، وإنما مواقع النجوم، وبهذا يكون القول بها مخالفًا للمنقول والمعقول بين الناس ، والناس مجمعون على أن ما يرونه يتلألأ في السماء إنما هي النجوم ، بأي لفظ نطقوا به من لغاتهم ، فهذه النجوم يرونها ويعرفونها بأسمائها ومواقعها ويهتدون بها ، وليس من المقبول إنكار ما اتفق عليه الناس بهذه السهولة .

٤- أن هذه القضية التي ذُكرت في التفسير المعاصر لا يدركها إلا القليل من الناس ، وهم من كان عندهم من الآلات التي تقرِّب لهم ما بعُد في جَوِّ السماء فيدركون هذا بالنظر فيها ، وفي مثل هذه الحال فإن العمدة في قبول مثل هذه القضية العلمية إنما هو العالم المسلم المطلع على ما اطلع عليه المكتشفون لها ، وهم كذلك قليل جدًا ، وغير المتخصصين يقبلون منهم ما يطرحونه ثقة بهم في فهمهم وعلمهم بهذه القضايا فحسب ، وليس عندهم إمكانية تصديق ذلك بالنظر كما هو الحال في كون المقسم به النجوم التي يرونها تتلألأ في السماء .

وكثيرٌ من المسائل التي يطرحها المعتنون بالإعجاز العلمي تتصف بأن الاطلاع عليها محدود ، وإدراكها لا يتأتَّى بسهوله ، بل بمعالجة علمية معقَّدة من خلال الآلات والمعامل المتطورة .

والمقصود أن القرآن الذي نزل للناس كافة لا يمكن أن يراد به بعض ما تدركه الخاصة فقط .

وهذه الوجوه التي ذكرتها تجعل القول بهذا القول المعاصر محلَّ نظرٍ في أن يكون مرادًا بالآية ، فالاعتراض هنا على ربطه بالآية، وليس في صحته في ذاته .

المبحث الثـــالث

الضابط الثالث : أن لا يبطل قول السلف.

والمراد أن لا يكون القول المعاصر المبني علـــى العلـــوم الكونيـــة أو التجريبية مسقطًا قول السلف بالكلية ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع، وذكرت لك الأصل الأصيل في هذا ، وهو مبني على أمور :

الأول : أن تعلم أن تفسير السلف شامل للقرآن كله ، ولا يمكن أن يخرج الحق عنهم ، أو يخفى عليهم فلا يدركونه ، ويدركه المتأخرون .

والمعنى أن كل القرآن كان معلومًا لهم بوجه من الوجوه الصحيحة ، وأن ما زاده المتأخرون من الوجوه لا يعني نقص علمهم بالقرآن ؛ لأن موجب ذلك القول لم يكن موجودًا في عصرهم كي يقال بجهلهم به .

وعلى هذا فإنه لا يوجد في القرآن ما لم يعلم السلف معناه ، ولا يمتنع أن يظهر للمتأخرين وجوه صحيحة من التفسير ؛ يجوز القول بها واعتمادها ما دامت لا تناقض قول السلف .

الثاني : أن العصمة لمجموعهم ، وليست لفرد منـــهم ، لـــذا يقـــع الاستدراك في التفسير فيما بينهم ، فترى بعضهم يخطِّئ فهم الآخر ، ويـــرد

عليه ، ولو كان لقول الواحد منهم عصمة لما قُبِل تخطئة من خطَّأ منهم ، والعصمة للواحد منهم لم يدعها أحد منهم .

الثالث : أن إضافة الأقوال الجديدة الصحيحة التي تحتملها الآية ممكن، وقد سبق بيان هذه المسألة .

لكن المشكلة هنا إذا كان القول المعاصر مسقطًا لقول السلف بالكلية؛ لأنه يلزم منه أن آية من الآيات لم يُفهم معناها على مرِّ القرون حتى ظهر هذا المكتشَف العلمي المعاصر ، وهذا اللازم ظاهر البطلان ، وقد سبق نقل قول بعض المعتنين بالإعجاز وبيان ما يؤول إليه قوله من هذا اللازم .

المبحث الرابع

الضابط الرابع: أن لا يقصر معنى الآية على ما ظهر له من التفسير الحادث

وهذا الضابط يشير إلى الأسلوب التفسيري الذي يحسن بمن يريد بيان معنى جديد أن يسلكه ؛ لأن الاقتصار على القول الجديد اقتصارًا يشعر بصحته وسقوط ما سبقه من الأقوال يعتبر خطأ في طريقة التفسير .

وقد تأملت طريقة بعض الباحثين في الإعجاز العلمي ، فألفيتها لا تخرج عن الأحوال الآتية :

الأولى : أن يقتصر على ما ظهر له من ربط المكتشفات المعاصرة بآية من الآيات ، دون تعرض لأقوال المفسرين ، وهذا لا يتبين من حاله القبول أو الرفض لأقوال العلماء السابقين .

الثاني : أن ينص صراحة على رفضه لأقـوال العلمـاء الـسابقين ، ويفرض ما يراه من المكتشفات المعاصرة تفسيرًا للآية ، ولا يرتضي غيره .

الثالث : أن يذكر أقوالهم على سبيل حشد الأقوال المذكورة في الآية، دون التعريج على إمكانية قبولها من عدمه ، ثمَّ يستطرد في ذكر ما يراه تفسيرًا للآية من المكتشفات المعاصرة .

وبعض هؤلاء لا يحرص على تفسير السلف ، ولا على تفهمِّه ودرايته، بل أحسنهم حالاً من يرجع إلى تفاسير المتأخرين وينقل أقوالهم ، حتى إنه ينقل أقوال المعاصرين من المفسرين على أنها أقوال المفسرين .

ولا شكَّ أن من يدرس التفسير على أصوله يعلم أن هذا الأسلوب فيه تقصير ، لعدم الرجوع إلى تفسير الصحابة التابعين وأتباعهم أولاً ، ثم النظر في من وافقهم من المفسرين المتأخرين .

وإن التقصير في معرفة علومهم وأحوالهم كائن فينا نحن المـسلمين في مجالات متعددة ؛ كالتعبد والزهد والمتابعة وغيرها .

فإن قلت : لم تُلزم بذكر أقوال السلف من المفسرين ، وعمل الباحث المعاصر يقوم على إثبات ارتباط ذلك المكتشَف المعاصر بالآية ؟

فالجواب : إني أطالب بأكثر من ذكر أقوالهم ، وذلك بأن يتعـرَّف المعاصر على أقوالهم ويفهمها على وجهها ؛ لتتحصل له المعرفة بمرتبة القـول الحادث على النحو الآتي :

الأول : أن يكون قوله المعاصر مناقضًا لما اتفقوا عليه ، فيتوقـــف في ربطه بين قوله والآية ، ولا يتعجل حتى يسأل أهل العلم ليبينوا له صواب قوله من خطئه ، فلا يجترئ على مخالفة الإجماع الذي هو أصل من أصول الدين ، فالأمة لا يمكن أن تجمع منذ سالف دهرها على خطأ ، ثم يظهـــر الـــصواب لشخص في الزمان المتأخر .

الثاني : أن يعرف أقوالهم المختلفة ، ويتأمل قوله بينها ، هل يدخل في أحد الأقوال ، فإن وجد قوله يندرج تحت قول من الأقوال أدرجه تحته ، وبين ما زاد على ذلك القول من تفاصيل عنده .

الثالث : أن يكون قوله – مع اختلافهم – قولاً جديدًا ، لا يدخل في أحد هذه الأقوال ، فينظر إلى صحته في الواقع ، ومدى احتمال الآية لـــه ، فيقول به على سبيل الإضافة .

فإن قلت : أرأيت إن أبطل قولُه أحد الأقوال المختلفة عن السلف ؟

فالجواب : إن وصل إلى إبطال قول ، فلا أرى أن يجترئ على إبطاله إلا بعد ظهور البينة التي لا لبس فيها بأن ما قاله صواب صحيح تدل عليـــه الآية، والقول الذي أبطله خطأ محض لا تدل عليه الآية .

وهٰهنا ملحظ مهم قد أشرت إليه ، وهو أنه قد يكون القول الـــذي يقوله صحيحًا في ذاته ، لكن الخطأ الذي يقع في صحة دلالة الآية عليه ، فتراه يتعسَّف في حمل الآية عليه ، ويجعله تفسيرًا لها ، وهو ليس كذلك ، إذ لا يلزم

أن يكون كل قول صحيح في هذه المكتشفات المعاصرة أن يوجد ما يشهد لها من الآية ، فتفسَّر به ، وهذا أمر مهم للغاية .

أما ما يقع من بعض الحريصين على ربط بعض المكتشفات العلمية بالآيات ، وهذه المكتشفات ظَنِّية ظنًّا ضعيفًا ، أو إنها خطأ محض = فإن هذا لا يختلف في رده ورفضه الباحثون الجادون في الإعجاز العلمي .



الفصل الثالث

اعتراضات على تفسير السلف

قد يقع عند بعض المعتنين بالإعجاز اعتراض على هذه القضية من جهتين :

الأولى : أن الواحد من السلف قد يخطئ ، فكيف أكون ملزَمًا بقوله.

الثانية : أن في تفسير السلف إسرائيليات ، وبعضها يتعلق بأمور كونية أو تجريبية قد ثبت خطؤها .

وهاتان مسألتان من المهم دراستهما في هذا المقام، وإليك تفصيلهما في المبحثين التاليين:

المبحث الأول : وجود الخطأ في تفسير آحاد السلف

أقول : إن وقوع الخطأ من الواحد منهم غير بعيد ، سواءً أكان في التفسير ، أم في معرفة هذه القضايا كما هي في الواقع ، إذ قد يتكلمون في ذلك باجتهادهم ، أو بما وصلهم من العلم المعاصر لهم .

لكن الحكم بالخطأ لا يتأتى لكل واحد ، ولابدَّ من التريث حال الحكم بالخطأ على تفسير ما ، وليس هناك ما يمنع من التخطئة إذا ثبت وقوع الخطأ ، لكن الذي يحسن التنبه له أن بعض أقوالهم قد يكون لها وجه يجهله المخطِّئ ، ولو حمله على ذلك الوجه الذي ذكره الواحد من السلف لصحَّ عنده ، وهذا باب في أصول التفسير مهم ، وهو (توجيه أقوال السلف) فمن

تعلَّم طرائق توجيه أقوالهم وجد كثيرًا منها له وجه معتبر ، وإن كان غير راجح عند بعض العلماء ، ولأذكر لك مثالاً تهدى به في هذا المقام .

ذكر الطبري (ت:٣١٠) تفسير السلف لاستحياء النساء من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[البقرة:٤٩] ، فأورد تعبير جمهورهم عن ذلك بأنهم يبقونهنَّ على قيد الحياة ، ثم ذكر قولاً لابن جريج يخالف تعبيرُه تعبيرَهم ، قال: « وقد أنكر ذلك من قولهم ابن جريج، فقال بما حدثنا به القاسم بن الحسن قال : حدثنا الحسين بن داود قال : حدثني حجاج عن ابن جريج قوله : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾قال : يسترقون نساءكم .

فحاد ابن جريج بقوله هذا عما قاله من ذكرنا قوله في قوله : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: إنه استحياء الصبايا الأطفال إذ لم يجدهن يلزمهن اسم نساء ، ثم دخل فيما هو أعظم مما أنكر بتأويله :﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يسترقون ، وذلك تأويل غير موجود في لغة عربية ولا أعجمية ، وذلك أن الاستحياء استفعال من الحياة نظير الاستبقاء من البقاء و الاستسقاء من السقي ، وهو من معنى الاسترقاق بمعزل » [1].

ولو التمست لتفسير ابن جريج (ت:١٥٠) وجهًا في التأويل ، وذهبت إلى أنه فسَّر جملة ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ بلازمها ، وهو كون هؤلاء الفتيات

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط: دار هجر (١ : ٦٥١) .

الصغيرات سيكنَّ رقيقات حال كِبَرِهنَّ واستطاعتهن للخدمة ، لكان وجهًا حسنًا مليحًا ، فيكون تفسير الجمهور مبينًا عن معنى اللفظ من جهة اللغة ، وتفسير ابن جريج (ت:١٥٠) مبينٌ عن لازم هذا الاستحياء ، وهو الاسترقاق ، فإذا ذهبت بقوله هذا المذهب صار القولان مقبولين ، ولما احتجت إلى ردِّ قول ابن جريج (ت:١٥٠) كما ذهب إلى ذلك الإمام الطبري (ت:٣١٠) الذي ذهب بقول ابن جريج (ت:١٥٠) إلى التفسير اللفظي ، فأنكره عليه .

ولو سار من يبحث في الإعجاز العلمي على هذا النموذج ، وحرص على تفهُّم قول السلف ، واجتهد في تخريج أقوالهم ، وتعرَّف على طريقتهم في التفسير لسَلِم من انتقاد أقوالهم ، والتنقُّص لعلمهم ، كما وقع في كتاب ((من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار)) ، فقد جاء في هذا البحث عبارات ما كان لها أن تكون لو كان الباحث يتبع منهج الاعتداد بقول السلف ، والحرص على تفهُّم أقوالهم ، وتخريجها بحملها على المحمل العلمي المناسب لها ، ومما جاء في هذا الكتاب ما يأتي :

١- في تعليقه على أقوال المفسرين في قوله تعالى :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[الفرقان:٥٣] ، قال : « ولم يتيسر للمفسرين الإحاطة بتفاصيل الأسرار التي ألمحت إليها الآية ؛ لأنها كانت غائبة عن مشاهدتهم،وتعددت أقوالهم في تفسير معانيها الخفية» [١].

(١) من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار ، نشر هيئة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة : رابطة العالم الإسلامي (ص : ١٧) .

ثم ذكر أقوال المفسرين: ابن الجوزي وأبي السعود والبيضاوي والشنقيطي وطنطاوي جوهري وغيرهم ، ثم قال: « فتأمل كيف عجز البشر عن إدراك تفاصيل ما قرره القرآن الكريم ، فمن المفسرين من ذكر أن البرزخ أرضًا أو يبسًا (حاجز من الأرض) .

ومنهم من أعلن عجزه عن تحديده وتفصيله ، فقال: (هو حاجز لا يراه أحد) ، وهذا يبين لنا أن العلم الذي أوتيه محمد ﷺ فيه ما يفوق إدراك العقل البشري في عصر الرسول ﷺ ، وبعد عصره بقرون .

وكذا الأمر في الحجر المحجور ، فقد ذهب بعض المفسرين إلى حملها على المجاز ، وذلك بسبب نقص العلم البشري طوال القرون الماضية ...» [١].

ثم ذكر ما توصل إليه الباحثون المعاصرون في عالم البحار في مسألة البرزخ والحجر المحجور، ثم قال: « فانظر كيف حارت العقول الكبيرة عدة قرون – بعد نزول القرآن الكريم – في فهم الدقائق والأسرار ، وكيف جاء العلم مبينًا لتلك الأسرار ، وصدق الله القائل :﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[النمل: ٩٣] وانظر كيف استقر المعنى بعد أن كان قلقًا ...» [٢].

ومؤدى هذا الكلام أن المفسرين السابقين لم يهتدوا إلى معرفة معنى هذه الآية ، وأن معناها – كما هو – لم يظهر إلا في هذا العصر .

---

(١) من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار ، نشر هيئة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة : رابطة العالم الإسلامي (ص : ٢٠ ــ ٢١) .

(٢) من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار ، نشر هيئة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة : رابطة العالم الإسلامي (ص : ٣١) .

ولا يخفاك أن هذا من عدم فهم أصول التفسير ، وتقرير صحة ما ذهب إليه المفسرون من السلف ، ثم بناء علم آخر عليه ، وليس الاعتراض عليه كما هو الحال في هذا المثال .

والباحث الكريم الذي توصل إلى هذه النتيجة في فهم معنى الآية لم يبين للقارئ عدم تطابق ما ذكره المفسرون مع معنى الآية بأي وجه من الوجوه ، بل راح يفند أقوالهم بالجملة ، ثم يبيِّن أن ما توصل إليه العلم الحديث هو التفسير الصحيح للآية ، وما قاله المفسرون لا يخرج عن أن يكون نوعًا من البرزخ والحجر المحجور ، لكن قناعتهم بما عندهم من العلم الحديث قد تردهم - من حيث لا يشعرون - عن تفهُّم قول المفسرين ، وعن التنبه لمطابقة قولهم لمعنى الآية .

والأسلوب الصحيح في مثل هذا المثال :

١- أن يُفهم قول المفسرين على وجهه الصحيح الذي قالوا به ، وذلك بتطابق ما قالوه مع معنى البرزخ والحجر المحجور .

٢- أن يُتأدَّب في العبارات معهم ، ولا يؤتى بعبارات تشعر بالتصغير لعلمهم وفهمهم .

٣- أن يُجعل ما فهموه صحيحًا - إن كان قولاً واحدًا - أو يختار الباحث من أقوالهم المختلفة المعنى الذي يظهر له أنه صحيح ، ولا يرمي كل ما عندهم من الأقوال، ويتركها لأجل ما توصل إليه العلم الحديث .

٤– أن يجعل ما توصل إليه إضافة فحسب ، وهـي إضـافة قابلـة للصواب والخطأ ، ولا يصلح الجزم بها كما هو الحال في مثل هذا المثال .

المبحث الثاني : الإسرائيليات ومخالفتها للقضايا العلمية المعاصرة

إن معرفة كيفية تعامل السلف مع الإسرائيليات يعتبر أصلاً مهمًا من أصول التفسير ؛ لأن القارئ في التفسير سيمرُّ بها لا محالة ، لكن هذا المقـام ليس مقام التفصيل في هذه المسألة ، لذا سأكتفي بذكر بعض الأمثلة ونقاشها نقاشًا علميًّا .

لو سأل سائل : هل كل ما ورد من أخبار في أسفار بني إسـرائيل خطأ محض ؟

لا شك بأن الجواب من أي عاقل : لا ، بل فيها ما هـو صـواب ، وفيها ما هو خطأ .

ولو سأل سائل : هل عندنا ميزان يرشدنا إلى معرفة الصواب مـن الخطأ في هذه الأخبار ؟

فالجواب فيه تفصيل :

أما بعض الأمور ، فعندنا ميزان ، وهو شـرع الله ، إذ لا يمكـن أن يختلف الأنبياء في أصول الشرائع كتحريم الكذب ، والسرقة والزنى ، وغيرها من الأصول التشريعية في الأوامر والنواهي ، فإذا وجدناهم قد نسبوا إلى نبي من الأنبياء إباحة شيء من هذا أو استباحته علمنا أنه خطأ محض ، وكـذب مُفترى .

والآثار النبوية قد دلت على شيء من الأمثلة في هذا ، وهذه القضية معلومة لا تحتاج إلى تفصيل .

وأما بعض الأمور من الأخبار فإنها تتأرجح بين الصدق والكذب ، ولا يمكن الجزم بهذا أو بذاك ، لذا جاء الإرشاد النبوي ناسخًا للنهي عن التحديث عن بني إسرائيل ، ومن هذه الأحاديث :

١- روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**بلغوا عني ولو آية ،وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**)) [(١)].

٢- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا :﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ الآية**)) [(٢)].

٣- روى أحمد بسنده عن بن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري رضي الله عنه أخبره أنه : بينا هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود ، فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنازة ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**الله أعلم**)) .

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٧٤) .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢١٥) .

قال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : ((**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان حقا لم تكذبوهم ، وإن كان باطلا لم تصدقوهم**)) [١].

وهذه الأحاديث تبين بوضوح طريقة التعامل مع مرويات بني إسرائيل فيما لا يمكن الجزم بصحته أو كذبه .

فإن قلت : لِمَ لَمْ تذكر ضابط العقل هنا ؟ أليس العقل ضابطًا في معرفة الصدق من الكذب ؟

فأقول : العقل قرينة في معرفة الصدق من الكذب ، لكن هناك بعض الأمور التي تختلف فيها العقول من جهة القبول وعدمه ، كما أن هناك غرائب حكاها الرسول ﷺ ، ولولا حكايته لها لما قبلتها العقول ، فدلَّ على أن العقل ليس ضابطًا مطلقًا ؛ لأنه قد يأتي في بعض هذه المرويات ما تستغربه العقول لا ما تحيله العقول ، وليس من الصواب ردُّها لعدم ملاءمتها لعقلك ؛ إذ قد تتخرَّج عند عقل غيرك على تخريج معقول مقبول ، وسيأتي ذكر مثال لذلك .

ولكي لا يخرج الموضوع عن مداره أقول :

إن السلف لما حكوا هذه الإسرائيليات انطلقوا من هذه الأحاديث التي تجيز التحديث عن بني إسرائيل ، وتأمر بالتوقف في التصديق والتكذيب ؛ إلا إذا كان هناك بينة ظاهرة واضحة لا لبس فيها ، ومن ثَمَّ ، فإنه لا يصلح التثريب عليهم بوجود إسرائيليات في تفاسيرهم ، بعد التجويز النبوي

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤ : ١٣٦) .

للتحديث بأخبار بني إسرائيل ، وهل سنكون أشفق من الرسول ﷺ بأمته ، فنمنع ذلك ؟!

وسأذكر مثالاً من التفاسير التي نقلها السلف من بني إسرائيل ، وأناقش إحالة العقل أو إمكانيته لمثل هذا الخبر .

في تفسير قوله تعالى :﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾[ق: ١] ورد عن بعض السلف في تفسير﴿قٓ ﴾ : أنه جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف.

وهذا الخبر غريب جدًّا ، وقد استنكره بعض الأئمة ؛ كابن كثير الدمشقي [(١)]، و لم يسنده الطبري كعادته ، بل ذكره من دون ذكر قائله [(٢)]،

---

(١) قال ابن كثير : « وكأن هذا – والله أعلم – من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس؛ لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ ، وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهمن وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعهن وتبديل كتب الله وآياته. وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل والله أعلم ». تفسير القرآن العظيم، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا (٧: ٣٢٨٥).

ولا ريب أن هذا الحرف المقطَّع من جنس الحروف الأخرى ، والصحيح في تفسيرها أنها حروف لا معنى لها ، ولها مغزى ، وهو الإشارة إلى التحدي والإعجاز ، وهذا الترجيح لا ينفي الخبر المذكور ؛ لأنه يثبت وجود جبل ، ثم يجعل هذا الجبل تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿قٓ ﴾ ، فالأمران منفصلان ، فالقول بثبوت الجبل ــ لو ثبت ــ لا يلزم منه أن يكون تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿قٓ ﴾.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط: دار هجر (٢١ : ٤٠١) .

ومحله عندما تعرضه على عقلك كما ترى.

لكن هل يستحيل عقلاً وجود مثل هذا الجبل ؟

لو قال قائل – ممن سبقنا ، ولم يدرك صور الأرض من الفضاء – : لا يلزم أن يكون الإنسان أدرك جميع التفاصيل المتعلقة بالأرض وأحوالها ، وقد يكون هذا الجبل موجودًا لكن لم يدركه الإنسان ، ولم يعرف كنهه ، ويكون مما أخبرت به بعض الأنبياء ، فبقي مكتوبًا عند بني إسرائيل ، فيبقى الأمر محتملاً للتصديق والتكذيب ، وليس مما تحيله العقول .

ومما يشهد لوجود أشياء في هذا الكون لا يدركها الإنسان ، مع إخبار الرسول ﷺ بها = ما رواه مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: ((**وقت الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظل الرجل كطوله ، ما لم يحضر العصر . ووقت العصر ما لم تصفر الشمس . ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق . ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط . ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس ، فأمسك عن الصلاة ، فإنها تطلع بين قرني شيطان**)) [(١)].

وهذا الخبر صحيح عن النبي ﷺ ، وليس كخبر جبل قاف من جهة القبول والتصديق ، لكن المراد أن الرسول ﷺ قد اخبر بخبره الصادق عن أمر

---

(١) رواه مسلم برقم (٦١٢) . وهناك أمثلة كونية غيرها ذكرها الرسول ﷺ ، ولا يمكن الاعتراض عليها بسبب عدم وقوف البحوث الكونية المعاصرة على كيفيتها ، مثل سجود الشمس تحت العرش ، وغيرها من الأخبار النبوية الصحيحة .

غريب لا يدركه الناس بأبصارهم ، وعدم إدراكهم له لا ينقضه ، فكـــذلك جبل قاف يحتمل أن يكون كقرني الشيطان .

ولو استشهد بأمرين في هذه المسألة ، فقال :

الأول: أحاديث النبي ﷺ التي تأمر بأن لا نصدق مرويات بني إسرائيل ولا نكذبها ، وأنا أراه من هذا الجنس .

الثاني: وجود أحاديث صحيحة من جنس هذا الخبر من حيث الغرابة.

= فإن [١] قوله – من جهة التحليل العلمية – قول صحيح ، ولا يمكن أن يُخطَّأ بدعوى عدم قبول العقل لها .

فإذا وُجِد من يقول بهذا من السابقين ، فإننا اليوم – وقـــد جـــاب الباحثون الفضاء فلم يظهر لهم جبل قاف – يمكننا أن ننكره بالحس ، لكن لا يجوز لنا أن نقول: لقد تابعوا حركة الشمس في السماء ، فهل وقفوا على قرني الشيطان هذه ؟

وعدم وقوف البحوث الكونية المعاصرة لا يصلح لتكـــذيب الخـــبر الصادق عن المعصوم ﷺ .

والمقصود من ذلك : أن الإعذار للسلف مطلب يحسن أن نتأدب بـــه مع أسلافنا ، وفيما بيننا ، كما يحسن أن لا نلصق بهم تهمة الأخذ من بـــني إسرائيل ، ثم نبني على ذلك الإعراض عن تفـــسيرهم ، أو القـــول بـــضعف

---

(١) هذا جواب : " لو قال قائل ... " في الصفحة السابقة.

تفسيرهم، وليس هو المنهج الصحيح ، بل الصواب أن يُتعرَّف على مناهجهم في تلقُّف هذه الأخبار الإسرائيلية ، وكيفية التعامل معها بناءً على المنهج النبوي الواضح من الأحاديث التي ذكرها لك .

فإن قلت: **إن وجدنا بعض السلف يعتمدها، ويصحح التفسير بها ؟**

فأقول: على فرض ذلك ، فنحن عندنا المنهج النبوي الصحيح ، ولسنا ملزمين بغيره من أقوال كائن من كان ، فلو وقع ذلك ، فهنالك يقع الرد والاعتراض إذا كان له مجال .

لكن الملاحظ على جمهور المعاصرين الذين درسوا الإسرائيليات أو كتبوا فيها المقالات أن الحكم عندهم سابقٌ ، وهو ردُّ هذه الإسرائيليات ، والتشنيع على المفسرين الذين ذكروها ، حتى صاروا يعدون ذكرها أو الإكثار منها من عيوب التفاسير ، بل زعم بعضهم أنها من أسباب ضعف التفسير المأثور عن السلف ، وذهب بعضهم إلى الدفاع عن التفسير بردِّ الدخيل منه ، ومن هذا الدخيل عندهم الإسرائيليات ، بل طالب بعضهم بطبع كتب التفسير من جديد بعد حذف الإسرائيليات منها ، وهذا المنهج الذي سلكوه ليس بصواب ، وليس هو السبيل الذي سار عليه العلماء سلفًا وخلفًا في هذا الموضوع ، ونقاش ذلك ليس هذا محله ، وهو أمر يطول تقريره .

وبعد ، فإنَّ ورود بعض التفاسير عنهم مما تلقفوه من بني إسرائيل لا مشاحة في ردِّه إذا ثبت ثبوتًا يقينيًّا خطؤه ، وليس على من نقله منهم تثريب أو ملامة ، فالإنسان يتكلم على حسب ما ورده من العلم .

وإن رأى بعض من يطلع على مقالتي هذه تشديدًا في مسألة الإعجاز العلمي ، فإني أذكِّرهم بأن الأمر خطير ، وإن وُجِدَ تشديد فإنه مـن بـاب الذبِّ عن كتاب الله تعالى ، فلا يجوز لكل مسلم أن يقـول في كـلام الله وتفسيره ما يقول، وهو ليس من أهل العلم، ولا هو عارف بالتفسير وأصوله، فإن القول على الله بغير عـلم من الكبائر التي حرمها الله ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:٣٣]، والتفسير قول على الله ؛ لأن من فسر كلامه ، فكأنه يقول : هذا ما قاله الله ، لذا عظَّم بعـض السلف جانب التفسير ، وتورَّعوا فيه ، ومن ذلك قول مسروق[١]: « اتقـوا التفسير ، فإنما هو الرواية عن الله »[٢]،وقد كان ذلك المذهب – وهو التورع في التفسير – بارزًا في علماء التابعين من أهل المدينة والكوفة[٣] ، والـذين يريدون تفسير كلام الله بحاجة إلى أن يدرسوا هذا المذهب ، ويتأملوه قبل أن يلجوا إلى التفسير .

وإن من العجيب أن بعض الجادين في بحث الإعجاز العلمي يطالب المتكلمين فيه بأن لا يتكلموا فيما لا يحسنون من العلم ، فلا يبيحون للطبيب

---

(١) مسروق بن الأجدع ، تتلمذ على عائشة وصحب ابن مسعود ، وأفاد منه ، وهو أحـد كبـار تلاميذه، توفي عام ٦٣، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤:٦٣).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن برقم ٨٤٩، تحقيق: أحمد الخياطي،نشر:وزارة الأوقاف المغربية.

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبـد المحسن التركي ، ط : دار هجر (١ : ٧٨ ــ ٨١) .

أن يتكلم في الآيات التي تتحدث عن الفلك ليبين وجوه الإعجاز فيهـــا، ولا يبيحون للمهندس أن يتكلم في آيات الطب ليبين الإعجاز فيها ، ويـــأمرون باحترام التخصص ، ولا ترى كثيرًا منهم – مع كل أسف – يطالبون بالتعامل مع التفسير وأصوله بمثل هذه المطالبة ، وكأن علم التفسير علم سهل ميسور يستطيعه كل مثقف ، وكل متخصص في العلوم التجريبية والكونية ، ونحـــن نرى كيف يقع الخلل في فهم بعض الآيات ممن هم متخصـــصون في علـــم الشريعة، وليسوا من أهل التفسير؟ فكيف الحال بهؤلاء ؟!

إن من حقوق كتاب الله أن لا يشرع أحد في تفسير آياته وهـــو لم يتعلم أصول تفسيره ، و لم يتقن التعامل مع اختلاف المفسرين ، و لم يعـــرف كيف يقوم بتفسير الآيات بعد ذلك .

وأخيرًا : أقول : أرجو أن لا يُفهم أني أدعو إلى إقفال باب الحديث عن الإعجاز العلمي ، فملاحظاتي على ما هو مطروح لا يعني عدم قناعتي به جملة وتفصيلاً ، بل في الساحة من الحديث عنه خير كثير ، وأتمنى أن لا يعتب علي إخواني من المعتنين بالإعجاز العلمي ، وأن تتسع صدورهم لأظهر مـــا أرى أنه صوابٌ في هذه المسألة ؛ لأني أدعو إلى تصحيح المـــسار في بحـــوث الإعجاز العلمي للتوافق مع المنهج التفسيري الصحيح ، فإن كان كـــذلك ، فتلك منَّة وفضل من الله ، وإن كان غير ذلك ، فمن تقصيري ، ومن نزغات الشيطان ، أعيذ نفسي وإخواني من نزغاته .

الخاتـــمة

بعد هذه السطور التي أرجو أن أكون وُفِّقت فيها للقول الــصواب ، أقول : إن موضوع الإعجاز العلمي موضوع طويــل ، وهــو بحاجــة إلى مناقشات تأصيلية ؛ لأنه يمس بيان كلام الله ، إذ من يحمل ما جدَّ من العلوم على كتاب الله ، فإنه يقول : هذا مراد الله بهذه الآية ، ولا شك أن هذا فيه خطر عظيم ، يحسن بالمسلم الوقوف عنده طويلاً قبل الحكم بذلك .

ومن النتائج والتوصيات التي يمكن تسجيلها :

١- إنه من خلال قراءتي وحضوري أو سمــاعي لــبعض مــؤتمرات الإعجاز أرى أن الحاجة ماسة لعقد لقاء تأصيلي لمسألة الإعجاز العلمــي ، تناقش فيها أقوال العلماء السابقين ـ كالشاطبي ـ وتحرر فيها أراء المعاصرين، ويكون بين يدينا بحوث تأصيلية لهذا الموضوع الذي شرَّق وغرَّب، وانتفع به فئام من الناس .

٢- إن حاجة من يتكلم في الإعجاز العلمي من غير المتخصصين في الشريعة إلى تعلم أصول التفسير أهم من أن يتعلم المفسر هذه القضايا الموجودة في العلم المعاصر ، ولا يعني هذا أن المفسر المعاصر لا يحتاج إليها، لكن المراد أن الموازنة في الأهمية تدل على حاجة من يريد بيان الإعجاز لا من يريد بيان معاني القرآن .

٣- أن نحرص على التوازن والواقعية في طـــرح الإعجـــاز العلمـــي والقضايا المتعلقة به ، فلا نجعله كل شيء ، وأنه السبيل الأمثل للدعوة ، ولا نخليه - كذلك - من أن يكون سبيلا من سبل الدعوة إلى الله .

وأختم قولي بالحمد لله رب العالمين ، والصلاة والـــسلام علـــى الآل الطيبين ، وعلى الصحابة الكرام الغرِّ الميامين ، وعلى التابعين إلى يوم الدين .



مراجع البحث

١- **أسرار الكون في القرآن** ، للدكتور داود سليمان السعدي ، نشر دار الحرف العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، لمحمد الأمين بن محمد المختار ، نشر دار الإفتاء بالسعودية ، ١٤٠٣ هـ .

٣- **تاريخ بغداد** ، لأبي بكر أحمد بن ثابت، الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ببيروت.

٤- **التاريخ الكبير** ، للبخاري ، نشر دار الباز .

٥- **التحرير والتنوير** ، للطاهر بن عاشور ، نشر الدار التونسية ، ١٩٨٤م .

٦- **تفسير القرآن العظيم** ، لابن أبي حاتم الرازي ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٧- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ودار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٨- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٩- **الدر المنثور في التفسير المأثور** ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

١٠- **زاد المسير في علم التفسير** ، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، نشر دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١١- **سنن سعيد بن منصور** (قسم التفسير) تحقيق : سعد الحميِّد ، نشر دار الصميعي ، ط١، ١٤١٤هـ .

١٢- **السنة** ، لمحمد بن نصر المروزي ، تحقيق سالم بن أحمد السلفي ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣- **سير أعلام النبلاء** ، للذهبي ، تحقيق جماعة ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ .

١٤- **صحيح البخاري** ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا لكتاب ، نشر دار ابن كثير ، اليمامة ببيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

١٥- **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ببيروت.

١٦- **فضائل القرآن** ، لأبي عبيد ، تحقيق : وهبي سليمان غاوجي ، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١ ، ١٤١١هـ .

١٧- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، نشر مؤسسة الرسالة، ط٢ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م .

١٨- **مسند الإمام أحمد**، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ببيروت ، ط٤ ١٤٠٣هـ.

١٩- **معجم المفسرين** ، لعادل نويهض ، نشر مؤسسة نويهض للثقافة ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ.

٢٠- **مقدمة في أصول التفسير** ، لابن تيمية ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ، نشر دار القرآن الكريم ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٢١- **من آيات الإعجاز العلمي** : **السماء في القرآن الكريم** ، للأستاذ الدكتور زغلول النجار ، دار المعرفة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٢٢- **من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار** ، شارك في إعداده: الشيخ عبد المجيد الزنداني والأستاذ محمد إبراهيم السمرة والدكتور دركا برسادا راو ، نشر هيئة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة التابع لرابطة العلم الإسلامي بمكة المكرمة.

٢٣- **نشأة الكون وخلق الإنسان بين العلم والقرآن** ، للدكتورة سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٢٤- **وكان عرشه على الماء** ، للأستاذ الدكتور عادل محمد عباس ، نشر مركز الدراسات المعرفية ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

فهرس الموضوعات



التوجيهات النحوية لقراءة أبي السمَّال العدوي (ت١٦٠ هـ)

إعداد

د . عبد الله بن عويقل السلمي*

* من مواليد عام ١٣٨٣ هـ .
- نال شهادة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: "**مسائل النحو والصرف في المؤلفات البلاغية- عروس الأفراح نموذجاً**"، ثم الدكتوراه بأطروحته: "**العقود الجوهرية في حل مشكل الأزهرية، لمنصور الطبلاوي : دراسة وتحقيق**" .
- يعمل أستاذاً مشاركاً في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ورئيسًا لقسم اللغة العربية بها.

الملخــص

يتحدث هذا البحث عن التوجيهات النحوية لقــراءة أبي الــسمال العدوي (ت ١٦٠هـ)، وهو قارئ وُسم بالفصاحة، وممن يُستشهد بكلامهم، وقراءته وإن كانت شاذة سندا، فإن علماء القراءات والتفسير والنحو وجدوا لها وجهًا من العربية، بل إن بعضها يفوق في جودته وترجيح العلماء له القراءة السبعية، وقد تم اختيار قراءته لأنها تشتمل على ظواهر تخالف أحيانًا قواعــد النحاة المطردة، وترسم ظواهر كلية كرفع الاسم المشغول عنه – مثلاً – .

وقد اختص البحث بتتبع القراءة التي فيها ظواهر نحوية أو علاقتــها بالنحو أقرب كحروف المعاني، ولو تتبع الباحث كل قراءته لخرج البحث في مجلد ضخم وعمل كبير.

ومما شجع الباحث على الاهتمام بهذا القارئ وقراءته — بالإضافة إلى ما تقدم — أنه وافق قراءً كباراً منهم أبيّ بن كعب وعبــد الله بــن مــسعود والكسائي والحسن البصري وابن محيصن والأعمش.

وقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة استجلاء علاقة قراءته بلغة قومه وعلاقتها بلغة تميم. كما انتهى إلى تلخيص لأبرز الملامح الــتي حواهــا البحث.

المقدمـــة

إن من أفضل الأعمال التي ينبغي أن يشتغل بها الباحثون ويتسابق فيها المتسابقون البحث في كتاب الله، والغوص في بحره الذي لا يدرك غوره، ولا تنفد درره، ولا تنقضي عجائبه.

ومما لا شك فيه أن القراءات القرآنية - المتواترة والشاذة ــ تعد أوثـــق النصوص التي يحتج بها في مجال اللغة من جميع نواحيها.

لذا وقع اختياري على قراءة أبي السمَّال العدوي (ت ١٦٠هـ) لجمـــع توجيهاتها النحوية، ودفعني إلى ذلك أمور منها:

١) أن الاهتمام بالقراءات كان - في الغالب - متجهاً إلى القراءات الـــسبعية، و لم تحظ القراءات الشاذة وقراؤها بالقدر نفسه من الاهتمام، لا سيما في تتبع قرائها، واستجلاء الظواهر اللغوية (نحوية، وصرفية، وصوتية) فيها، فوجهـــت وجهي شطر هذه القراءة.

٢) موافقة بعض قراءاته لقراءة المشهورين كقراءة أبي بن كعـــب والحـــسن البصري وابن عباس، وتفرده بقراءات أخرى - كما سيأتي توضيحه -.

٣) كثرة قراءاته وتنوع الظواهر بين النحوية والتصريفية فيها، وقد جمعت ما يزيد على تسعين موضعاً له، وجهها المعربون والعلمـــاء بتوجيهـــات نحويـــة وتصريفية، ولكن اقتصرت في هذا البحث على التوجيهات النحوية التي تربو على أربعين موضعاً، على أمل أن يسعفني الوقت فأتمم ببحث آخر التوجيهات التصريفية - إن شاء الله -.

٤) أن بعض قراءاته عّول عليها النحويون في صياغة قاعدة نحوية أو تقوية رأي، كما في قراءة ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] برفع (كلّ)، فقد جعلها ابن جني أقوى من النصب، ورد بها على من اختاره[١].

٥) وسم العلماء له بالفصاحة[٢] ، يتجلى ذلك من قول الهذلي: "إنه إمــام في العربية" [٣] مما يعني أن له مكانة علية بين القراء. بل كاد يخرجه أحد الباحثين المعاصرين من دائرة أصحاب القراءات الشاذة إلى القراءات المتواترة، فيقــول عنه:" وأكثر علماء القراءات يضعون أبا السمَّال مــع أصــحاب القــراءات الشاذة، ولكنه - وهو القارئ الأعرابي والذي أخذ عنه أبو زيــد الأنــصاري الكثير من اختياره في القراءات - لا يتوجه إليه النقد بسهولة، ومن ثمَّ فلابّد من تقبل قراءته، والنظر في معناها على الوجه الذي تجيزه العربية، ويجري مع التعبير عن أغراض القرآن الكريم"[٤].

وأود الإشارة هنا إلى أن صعوبات واجهتني في جمع قراءة أبي الــسمَّال التي تفرقت في ثنايا كتب القراءات والتفاسير، وقد تطلب هذا مني أن أتتبعها في مصادرها المختلفة - المطبوعة والمخطوطة - ؛ لجمعها وتــصنفيها ، إلا أن هذا لم يرق في عسره إلى ما عانيته في البحث عن ترجمة لأبي السمَّال، فقــد خلا أكثر كتب التراجم من ذكره،ومن ذكره من أصحابها -كابن الجزري - ذكره في سطرين فقط. ولكني استعنت الله حتى تيسر لي ما ذكرته في الترجمة.

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٥٠.

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٥٧.

(٣) تاريخ الإسلام ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

(٤) الأعراب الرواة ص ٢٢٢– ٢٢٣.

وقد اقتضى منهج هذا البحث أن أقدم تعريفاً بأبي السمَّال يتناول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته والرواة الذين أخذ عنهم أو أخذوا عنـــه، ثم مكانتـــه العلمية فمتوفاه.

كما اقتضى أن أتطرق باختصار - أرى أن فيه فائدة وأن له بالموضوع صلة - للحديث عن القراءات الشاذة وموقف النحاة منها.

وبعد ذلك عرضت قراءته وتوجيهاتها النحوية مقتصراً على ذلك مرجئاً الحديث عن القراءات ذات التوجيه الصرفي لبحث لاحق - إن شاء الله - .

كما التزمت في ترتيب هذه الحروف ترتيب سور القرآن؛ لما فيه مـــن سهولة لمن يرغب الإفادة لا سيما والعمل مرتبط بالقرآن ويتنـــاول آياتـــه، وتلافياً لإشعار القارئ بأن البحث نثار من الموضوعات الصغيرة التي لا رابط بينها، ولا يجمعها تصور ولا تفضي إلى نتيجة ، ولم أتخل عن هذا المنـــهج إلا حينما تتناظر القراءات فأجمعها في أول ذكر لها ، أو مع الآية الـــتي توقـــف عندها العلماء أكثر من غيرها لإشكال الآية عليهم معنىً أو إعرابـــاً كمـــا في الآيات التي فيها اشتغال. ولجأت إلى ذلك تلافياً لتكرار الآيات والعنوانات.

هذا ولم يقف عملي عند جمع التوجيهات لكل قراءة وســـردها بـــل حاولت التوفيق بين الآراء، والتقريب بين المتباعد منها، والترجيح والتضعيف وغير ذلك مما يقتضيه منهج البحث العلمي متى تيسر لي ذلك.

وحري أن أشير - هنـــا - إلى أنني ذكرت أسماء القراء الذين شـــاركوا أبا السمَّال أو شاركهم، لأدلل على أنه لم ينفرد في كل ما قرأ به، وإنما كان شائعاً في القراء، مما يفيد الدارسين في تتبع بعض الظواهر والتوجيهات عـــن

أولئك القراء، كما أنني ذكرت القراءات الأخرى للآية محل الشاهد وذكرت توجيهاتها باختصار إتماماً للفائدة، بل وقدمتها على قراءته في الذكر.

وإنني إذ أضع مجمل التخريجات النحوية لما قرأ به أبو السمَّال أمام نظر القارئ الكريم لآمل أن أجد العذر فيما يلحق هذه المحاولة من قصور أو زلل أو خلل، فحسبي أنني بذلت جهدي لتدارك ذلك، سائلاً الله أن يدخر لي أجر هذا البحث وهو الموفق للصواب.



أولاً: التعريف بأبي السمَّال

اسمه ونسبه وكنيته:

هو قَعْنَب بن هلال بن أبي مغيث بن هلال بن أبي قَعْنَب العدوي، البصري،المقرئ[(١)]. يكنى بأبي السمَّال،وهو مشتهر بها في كتب القراءات والنحو.

لم يرد في اسمه خلاف إلا ما ذكر في الصفحة الأولى من مخطوطة: "شواذ القراءة واختلاف المصاحف" للكرماني، من تعليقات ليست من الكتاب، فيها تعريفات بالأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط، منهم أبو السمَّال، جاء فيها أنه "أبو السماك قنعب بن أبي قنعب العدوي" وتكنيته "بأبي السماك" تحريف -كما سيأتي-، وكذا تسميته بقنعب، فهي أيضاً من قبيل التحريف لمخالفته للمشهور في كتب الترجمة، ولاشتهار قَعْنَب.

كما التبس اسمه عند بعض المحققين بقعنب التميمي الكوفي،المحدث الذي روى عن علقمة بن مرثد وأبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود وسفيان بن عيينة[(٢)].

وهذا اللبس وقع فيه محقق كتاب "تاريخ الإسلام" للذهبي؛ لأنه أحال على مواطن ترجمة قعنب الكوفي في كتب التراجم وهو يترجم لقعنب البصري[(٣)].

أما " قَعْنَب " بفتح القاف وسكون العين وفتح النون[(٤)] فمعناه: الشديد

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ) ، وبغية الوعاة ٢٦٥/٢، وغاية النهاية ٢٧/٢، وتاج العروس ٣٨١/٧، والاختلاف بين القراءات٤٤١.

(٢) انظر ترجمته في: الجرح والتعديل١٤٨/٧، والتاريخ الكبير٢٠١/٢٧، وتهذيب التهذيب ٣٣٢/٨، الثقات ٢٣/٩.

(٣) المحقق هو د.عمر عبد السلام تدمري، انظر تاريخ الإسلام ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

(٤) أفدت هذا الضبط من قول الزبيدي في تاج العروس ٤٣٦/١: "القعنب كجعفر"، ومن الكتب التي ترجمت لقعنب الكوفي التميمي، انظر تقريب التهذيب ١٢٧/٢، الثقات لابن حبان ٢٣/٩، =

الصُّلب من كل شيء، ويطلق على الأسد والثعلب الذكر[(١)].

أما كنيته "أبو السمَّال" فلم يخالف فيها إلا الذهبي[(٢)]، وما ورد في صدر مخطوطة "شواذ القراءة" المشار إليها آنفاً، إذ جعلاه بالكاف "أبو السماك". وكذلك ذكره أبو حيان في موضع واحد في الارتشاف[(٣)]. وأستطيع أن أجزم أن ما صدرت به المخطوطة تحريف يكثر مثله في الكتابة؛ وذلك لمخالفته لما ذكر في ثناياها أكثر من ستين مرة باللام، وكذا ما ذكر في الارتشاف.

إلا أن الترجمة في كتاب الذهبي كلها بالكاف. ولا يستبعد أن يكون خطأ من المحقق أو وهماً منه أو من ناسخ المخطوط الأصلي أو خطأ طباعياً، ولا أظن كنيته بالكاف أمراً محتملاً لأمرين:

أولهما : اشتهاره "بأبي السمَّال" باللام في كتب التفسير والقراءات وإعراب القرآن والنحو، والكتب التي ترجمت له غير كتاب الذهبي المذكور.

ثانيهما : ضبط ابن الجزري للكنية حيث قال: "بفتح السين وتشديد الميم وباللام"[(٤)] وكذا ترجمة الزبيدي له في فصل السين باب اللام[(٥)].

والعدوي : نسبة إلى عدي بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، الذي من أبنائه ملكان وجذيمة ومنهم الشاعر المشهور ذو الرمة[(٦)].

= تهذيب الكمال ٦٢٤/٢٣.

(١) انظر القاموس المحيط ١١٩/١، تاج العروس ٤٣٦/١. مادة (قَعَنب).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

(٣) ٦٤٠/٢ .

(٤) غاية النهاية ٢٧/٢.

(٥) تاج العروس ٣٨١/٧.

(٦) انظر جمهرة الأنساب ١٩٨-٢٠٠، ونهاية الأرب ٣٢٣، الأنساب ١٦٧/٤.

وبنو عدي وتميم لا يجمعهما على عمود النسب جد واحد ينسبون إليه ولكن يلتقون في أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر(١).ولعل هذا يفسر لنا بعض الظواهر التي قرأ بها،وفيها موافقة للغة بني تميم -كما سنشير إليه في موضعه-.

ولادته ونشأته:

لم تشر المصادر التي ترجمته إلى تاريخ ولادته ولا مكانها، ولكن أرجح أن تكون في العقد الأخير من القرن الأول، لما يشار إلى أنه كان معاصراً للخليل بن أحمد، وكان يقدم عليه(٢). ولما تذكره المصادر من أنه كان علماً بارزاً في عصر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المتوفى سنة ١٣٢هـ وكان يعطيه العطايا فيتصدق بها(٢).

ولم تذكر المصادر مكان ولادته ولا نشأته، ولكن يبدو أنه عاش في البصرة ولهذا نسب إليها، فقيل "البصري". ولا يمكن الحكم بأنه ولد في البصرة لأن الحسن البصري ينسب إليها، وهو مولود في المدينة المنورة، ولم يستقر في البصرة إلا بعد عشرين عاماً من ولادته.

الرواة الذين أخذ عنهم وأخذوا عنه:

نقل ابن الجزري أن الهذلي في كتابه "الكامل" قد أسند قراءة أبي السمال

---

(١) انظر جمهرة الأنساب ٢٠٦-٢٠٩، ونهاية الأرب ٣٢٣، والأنساب ١٦٧/٤، ومعجم القبائل العربية ١٢٧/١.

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

عن هشام البربري عن عباد ابن راشد عن الحسن عن سمرة عن عمر[١]، ثم قال معقباً: وهذا سند لا يصح[٢]، و لم يزد على ذلك.

أما الذين رووا عنه قراءته فلم تذكر المصادر إلا أبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥هـ [٢]. ويشير أبو حاتم السجستاني إلى أن أبا السمَّال لم يقرئ الناس، وإنما أخذت القراءة عنه في الصلاة[٣].

علمه ومكانته:

اشتهر أبو السمَّال بالعلم بين معاصريه، بل قدم عليهم، قال الهذلي: قال أبو زيد: "طفت العرب كلها فلم أر فيها أعلم من أبي السمَّال"[٤]، ونقل الذهبي عن بعض العلماء قولهم فيه: "إنه إمام في العربية"[٤]، بل نقل عن محمد بن يحيى القطعي قوله: "كان أبو السمَّال في زمانه يقدم على الخليل ابن أحمد"[٤]. وقال الأخفش: "كان أبو السمَّال فصيحاً"[٥]. وهذه الأقوال تجلي مكانته العلمية بين معاصريه وعند من ترجموا له.

كما اشتهر أبو السمَّال بالزهد والورع والعزوف عن الدنيا والإكثار من العبادة والانقطاع للصلاة، قال أبو حاتم السجستاني: "كان أبو السمَّال يقطع ليله قياماً حتى أخذت عنه هذه القراءة، و لم يقرئ الناس بل أخذت عنه في

(١) انظر غاية النهاية ٢٧/٢.

(٢) انظر ترجمته في نزهة الالباء ١٧٣،وجمهرة أنساب العرب ٣٧٣،ووفيات الأعيان ٢٠٧/١،وذُكِر أنه روى عن أبي السمال في:تاريخ الإسلام ٥٧٦،وبغية الوعاة ٢٦٥/٢،غاية النهاية ٢٧/٢،تاج العروس ٣٨١/٧،الاختلاف بين القراءات ٤٤١.

(٣) تاريخ الإسلام ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

(٤) تاريخ الإسلام ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

(٥) معاني القرآن ٢٥٧/١.

الصلاة، وكان صواماً قواماً"[١] ومما يدل على زهده في الدنيا ما نقله الذهبي عن أبي زيد قال: أعطى مروان بن محمد أبا السمَّال ألف دينار فو الله ما ترك منـــها حبة إلا تصدق بها"[٢].

متوفاه:

كما أن المصادر لم تذكر مكان ولادته ولا تاريخها لم تذكر أيضاً مكـــان وفاته ولا تاريخاً محدداً لها باليوم والشهر ، كما هو الحال مع الأعلام المشهورين، و لم يرد تاريخ وفاته إلا في مصدرين من مصادر الترجمة، فالسيوطي نص على أنه توفي سنة ١٦٠هـ [٣]. وجعل الذهبي وفاته من حوادث ذلك العام[٤].



(١) معاني القرآن ١/٢٥٧.

(٢) تاريخ الإسلام ٥٧٧ (حوادث ١٦٠هـ).

(٣) بغية الوعاة ٢/٢٦٥.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٧٦ (حوادث ١٦٠هـ).

ثانياً: القراءات الشاذة وموقف النحاة منها

الشذوذ لغة: مصدر شذ يشذ، بكسر الشين وضمها في المضارع شذاً وشذوذاً: انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذ[١]. قال ابن فارس: الشين والذال أصل يدل على الانفراد والمفارقة، يقال: شذ الشيء يَشِذُّ شذوذاً. وشذاذ الناس الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم ولا منازلهم[٢].

أما الشذوذ في علم القراءات فمحل اختلاف بين علمائها، ويمكن تلخيصه في ثلاثة آراء:

الأول: أن الشذوذ هو مخالفة رسم المصحف، وهذا الذي سار عليه عدد من علماء القراءات[٣] ووافقهم شيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

الثاني: أن الشذوذ هو عدم صحة السند، وهذا رأي السيوطي[٥].

الثالث: أن الشذوذ هو الخروج عن القراءات السبع التي جمعت في كتاب ابن مجاهد المسمى "السبعة"، قال ابن جني: "وضرباً تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه.. ولكن غرضنا منه أن نرى وجه ما يسمى الآن شاذاً"[٦].

---

(١) انظر لسان العرب ٣/٤٩٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/١٨٠.

(٣) انظر القراءات وأثرها في التفسير ١/١٦١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/٣٩٣-٣٩٤، القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب ص١٠.

(٥) الاتقان ١/٢١٥،٢١٦.

(٦) المحتسب ١/١٠٣،١٠٢.

أما موقف النحويين من الاستشهاد بها فلست بصدد الاستعراض الموسع لذلك، ولكن حسبي أن أبين – بإيجا ز– أنهم على قسمين:

قسم احتج بها ورأى أنها سنة متبعة، على حد قول أبي عمرو الداني: "وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشوٍ".[1]

وهذا موقف علمي منهجي؛ لأن النظر للقراءة – عند النحاة – كان ينصب على أنها نصٌ كبقية النصوص التي يحتج بها، قال أحد الباحثين : "وجعلها بعض النحاة مصدراً من مصادر احتجاجهم إلى جانب القراءات المشهورة والشعر وأقوال العرب "[2] وهذا المنهج نجده عند سيبويه الذي كان يثبت بالقراءة الشاذة قاعدة فيقول:"وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] فإنما هو على قوله : زيداً ضربته وهو عربي كثير، وقد قرأ بعضهم (وأما ثمودَ) إلا أن القراءة لا تخالف؛ لأن القراءة السنة."[3] فالقراءة أصل للقاعدة وليس العكس.

كما نجد هذا المنهج عند الفراء، كما يبدو من قوله في إحدى القراءات الشاذة: "ولست أشتهي أن أخالف الكتاب"[4].

وقسم آخر من النحاة تشدد في قبول القراءات الشاذة، وردها وابتعد

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٠.

(٢) موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة وأثرها في النحو العربي مجلة جامعة حلب ١١٥.

(٣) الكتاب ١/١٤٨.

(٤) معاني القرآن ٢/١٨٣.

عنها، ومن هؤلاء أبو عمرو بن العلاء ، إذ نقل عنه أنه قال : إني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة.(١) بل تجاوز بعضهم إلى الطعن فيها، قال أحد الباحثين: "وكان من ثمرة القياس النحوي أن طعن بعض النحاة على طائفة من القراءات تبعاً لمقاييسهم ضيقاً واتساعاً.."(٢).

ولكن الذي يغلب على النحويين – لا سيما بعد القرن الثالث – هو اتباع القسم الأول، وهو الوقوف منها موقفاً نحوياً "التزموا فيه بالمقياس النحوي، فقبلوا ما وافقهم وردوا ما تأبى عليهم". فالزجاج (٣١٠هـ) رفض قراءة أبي جعفر المدني ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤] ، ورماها باللحن(٣)، ومثله فعل أبو جعفر النحاس (٣٣٧هـ) ، وأبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) وغيرهم. وهذا هو موقفهم مع كل النصوص التي وصلتهم بعد التقعيد المبني على استقراء ناقص ، ولا أدل على ذلك من الآيات التي خالفت قواعد النحويين وكذا النصوص الشعرية والنثرية الكثيرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٤.

(٢) موقف النحاة من القراءات القرآنية الشاذة – مجلة حلب ١٢١ ، ١٢٢.

(٣) إعراب القرآن ١٢٨/٣.

ثالثاً: التوجيهات النحوية لقراءات أبي السمَّال

تحويل صيغة الفعل من المبني للمعلوم للمبني للمجهول:

مما جاء عن أبي السمَّال من قراءات حّول فيها المبني للمعلوم للمبني للمجهول: قوله تعالى:﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾[البقرة:١٠٠] قرأ عامة القراء (عاهدوا) بالبناء للفاعل، وتكون الواو فاعلاً، و(عهداً) مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف، والتقدير: عاهدوا الله عهداً[(١)]. ولهذا قال ابن جني: "(عاهدوا عهداً) على معنى أعطوا عهداً، فعهداً على مذهب الجماعة كان مفعولاً به"[(٢)]. وعلى كل حال فـ (عاهد) لا يتعدى إلى مفعولين ، ونصب (عهداً) على وجهين : أحدهما : أنه مفعول مطلق ناب فيه اسم المصدر مناب المصدر ، وثانيهما : على تضمين (عاهد) معنى أعطى فيكون (عهداً) مفعولاً به وعدم التضمين أولى .

وقرأ أبو السمَّال (عَهِدُوا)[(٣)]. قال ابن جني في توجيهها: "(عهدوا عهداً) كأنه أشبه بجريان المصدر على فعله؛ لأن عهدت عهداً أشبه في العادة من عاهدت عهداً... و(عهداً) على قراءة أبي السمَّال هو منصوب نصب المصدر"[(٤)].

ونقل عن أبي السمَّال أنه قرأ (عوهدوا) بالواو[(٥)]. وذكر أبو حيان أنها قراءة

---

(١) انظر مختصر ابن خالويه ٨، المحتسب ١/١٨٤، االكشاف ١/٣٠٠، الدر المصون ٢/٢٥،٢٦.

(٢) المحتسب ١/١٨٤.

(٣) وردت معزوة له وحده في المحتسب ١/١٨٤، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٩، وبلا عزوٍ في البحر المحيط ١/٣٢٤، وبلا عزو في الكشاف ١/٣٠٠، الدر المصون ٢/٢٦.

(٤) المحتسب ١/١٨٤، وانظر البحر المحيط ١/٣٢٤، الدر المصون ٢/٢٦.

(٥) وردت معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ق٢٩.

الحسن البصري وأبي رجاء العطاردي(١). ويكون الفعل مبنياً للمفعول، قال العكبري: " على ما لم يسم فاعله، والواو بدل من الألف"(٢)، وقال بعضهم عن هذه القراءة: "إنها مخالفة لرسم المصحف"(٣).

وهناك قراءة ثالثة : (عَهَدوا) أثبتها ابن خالويه والعكبري(٤).

ومما قرأ به في تحويل صيغة الفعل من المبني للمعلوم للمبني للمجهول فيصبح المفعول نائباً عن الفاعل قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[البقرة:١٠٩] فالقراءة المشهورة (تَبَيَّن) ويكون (الحق) فاعلاً(٥).

وقرأ أبو السمَّال (بُيِّنَ) ببناء الفعل للمجهول(٦). ولم أجد من وجهها، ولعل ذلك عائد إلى وضوحها، إذ تحول (الحقُّ) من فاعل إلى نائب عن الفاعل ويكون الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، و(الحق) مفعولاً، ثم حذف الفاعل وأقيم المفعول به مقامه.

ومما حول فيه المبني للمعلوم للمبني للمجهول وتحول الفاعل إلى نائب فاعل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾[عبس:٣٤] قرأ العامة (يَفِرّ) بفتح الياء وكسر الفاء، وهو مضارع من (فر) وعليها يكون (المرء) فاعلاً. وقرأ أبو السمَّال وحده

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٢٤/١، وبلا عزو في الكشاف ٣٠٠/١، الدر المصون ٢٦/٢.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ١٩٠/١.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ١٤٠/١.

(٤) مختصر ابن خالويه ص٨ ، إعراب القراءات الشواذ ١٩٠/١ .

(٥) انظر إعراب القراءات الشواذ ١٩٩/١.

(٦) عزيت إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٣٠، وفي حاشية إعراب القراءات الشواذ ١٩٩/١.

(يُفَرّ) بضم الياء وفتح الفاء[١]. ويصبح (المرء) حينئذٍ نائب فاعل، أي يدفع إلى الفرار وهو غير راغب فيه.وقدمت ذكر الآيتين – هنا – وموقعهما التأخير بحسب المنهج لمناسبتها للآية التي قبلها.

ومما جاء عكس ذلك فقرئ فيه الفعل المبني للمجهول مبنياً للمعلوم فتغير الاسم الواقع بعده تبعاً لتغير القراءة قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأنعام:٤٥] قرأ جمهور القراء الفعل (قُطِع) بالبناء للمجهول، و(دابر) حينئذ بالرفع على أنه نائب عن الفاعل[٢].

وقرأ أبو السمَّال (فَقَطَع دابرَ) بفتح القاف في (قَطَع) ونصب (دابـــرَ)[٣]. وشاركه في القراءة يزيد بن قطيب وأبو البرهسم وعكرمة[٤].

وتوجيهها: أن (قطع) فعل ماضٍ مبني للفاعل، والفاعل ضمير مستتر عائد على الله سبحـــانه وتعـــالى، و(دابـــر) مفعـــول به حينئذٍ . قـــال السمين : "وفيـــه التفات إذ هو خروج من تَكلّمٍ في قوله (أخذناهم) إلى غيبة"[٥].

ومما تحولت فيه الصيغة للفعل من المبني للمجهول إلى المـــبني للمعلـــوم ورفع ما بعده على الفاعلية قوله تعـــالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

---

(١) وردت معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٦٠.

(٢) انظر البحر المحيط ١٣٢١/٤، الدر المصون ٦٣٥/٤.

(٣) وردت معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٧٥.

(٤) انظر شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٧٥، وعزيت لعكرمة – وحده – في البحـــر المحـــيط ١٣١/٤، الدر المصون ٦٣٥/٤.

(٥) الدر المصون ٦٣٥/٤ ، وانظر البحر المحيط ١٣١/٤.

تَسْعَىٰ ﴾ [طه:٦٦] قرأ العامة (يُخَيَّلُ) بضم الياء الأولى وفتح الثانية(١). وهو فعل مبني للمجهول، وعليه تكون (أنها تسعى) في محل رفع نائب فاعل، والتقدير: يخيل إليه سعيها(٢).

وقرأ ابن ذكون والحسن البصري وعيسى الثقفي (تُخَيَّل) بالتاء مضمومة والياء مشددة مفتوحة(٣). وقد وجهت على أن الفعل مسند إلى ضمير الحبال والعصي، وتكون (أنها تسعى) بدل اشتمال من ذلك الضمير، أو أنها حال أي: ذات سعي، أو أن الفعل مسند إلى (أنها تسعى) وأنث الفعل لتضمن ما بعد أن لفظ التأنيث ، والتقدير: تُخَيَّلُ إليه سعيُها(٤).

أما أبو السمَّال فقد عزى إليه ابن خالويه أنه قرأ بما قرأ به ابن ذكوان والحسن البصري سابقاً أي: بضم التاء وفتح الخاء وفتح الياء مشددة(٥). وتوجيهها كما تقدم.

وعزي إليه أنه قرأ (تَخَيَّل) بفتح التاء والياء، قال السمين: "قرأ أبو السمَّال

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٢، الكشف عن وجوه القراءات ١٠١/٢، البحر المحيط٢٥٩/٦، الدر المصون ٧٢/٨.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٨٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٢، مشكل إعراب القرآن ٤٦٨/٢، التبيان ٨٩٦/٢.

(٣) وردت لابن ذكوان في مشكل إعراب القرآن ٤٦٨/٢، الكشف ١٠١/٢، البحر المحيط ٢٥٩/٦، الدر المصون ٧٢/٨ وللحسن والثقفي في المحتسب ٩٩/٢، وللحسن وحده في إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٢.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٢، المحتسب ٩٩/٢، الكشف ١٠١/٢، الكشاف ٥٤٤/٢، البحر المحيط ٢٥٩/٦، الدر المصون ٧٢/٨،٧٣.

(٥) المختصر ص٨٨، و لم أطلع على عزوها له عند غيره.

(تَخَيَّل) بفتح التاء والياء مبنياً للفاعل"[١].

وتوجيهها على أن الأصل: تتخيَّل، ثم حذفت إحدى التائين كقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [القدر:٤] ويكون الفعل مسنداً إلى ضمير الحبال والعصي و(أنها تسعى) بدل اشتمال من ذلك الضمير[٢]. وقال الفراء: "(تخيل) في موضع نصب؛ لأن المعنى تتخيل بالسعي لهم... فإذا ألقيت الباء نصبت، كما تقول: أردت بأن أقوم، ومعناه أردت القيام.."[٣]

ونقل السمين عن ابن جبارة الهذلي قراءة ثالثة لأبي السمَّال في الآية، قال: "نقل ابن جبارة الهذلي قراءة أبي السمَّال (تُخيِّل) بضم التاء وكسر الياء، فالفعل مسند لضمير الحبال، و (أنها تسعى) مفعول، أي تُخيل الحبال سعيها"[٤].

وهذه القراءة عزيت إلى الحسن البصري وعيسى الثقفي[٥].

والحسن البصري وأبو السمَّال يغلب اتفاقهما في كثير من القراءات – كما سيتم التنبيه عليه لاحقا – وقدمت هذه الآيات التي تتحول فيها صيغة الفعل جمعاً للنظائر.

"أو" بمعنى "بل" أو "الواو":

قال تعالى : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة:١٠٠] قرأ

---

(١) الدر المصون ٧٣/٨، وفي البحر ٢٥٩/٦عزيت لأبي السماك وأحسبه تحريفاً –كما تقدمت الإشارة إليه–.

(٢) انظر التبيان ٨٩٦/٢، البحر المحيط٢٥٩/٦، الدر المصون ٧٣/٨.

(٣) معاني القرآن ١٨٦/٢.

(٤) الدر المصون ٧٣/٨، نقله عن الكامل ق ٢١٨/أ –كما في الهامش–.

(٥) انظر الدر المصون ٧٣/٨، وهي بلا عزو في التبيان في إعراب القرآن ٨٩٦/٢.

الجمهور بتحريك الواو في (أوكلما)[١]. واختلف النحاة في توجيهها على أقوال خلاصتها:

- أن الواو واو عطف، والهمزة للاستفهام، وهذا مذهب سيبويه وأكثر البصريين[٢] ويوافقهم الزمخشري إلا أنه يقدر بين الهمزة وحرف العطف محذوفاً يقدره بـ"أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا"[٣].
- وذهب الكسائي إلى أنها "أو" العاطفة، وحركت الواو تسهيلاً[٤]. قال مكي:"ولا قياس لهذا القول"[٥].
- وذهب الأخفش إلى أن الهمزة للاستفهام والواو زائدة[٦]. قال أبو حيان عن رأي الكسائي والأخفش: "وكلا القولين ضعيف، ثم قال عن رأي البصريين: وهو الصحيح"[٧].

وثمت أمر ينبغي التنبيه عليه وهو أن الهمزة على رأي البصريين مقدمة من تأخير والأصل تقدم الواو عليها، ولكن لأن لها صدر الكلام قدمت[٨].

---

(١) انظر المحتسب ١٨٣/١، إعراب القراءات الشواذ ١٩٠/١، البحر المحيط ٣٢٣/١.

(٢) انظر الكتاب ١٨٨/٣، مشكل إعراب القرآن ١٠٥/١، البحر المحيط ٣٢٣/١، الدر المصون ٢٤/٢، ووجه البصريون بذلك لعدم تجويزهم مجيء (أو) بمعنى الواو وسيأتي بيانه.

(٣) الكشاف ٣٠٠/١.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس٣٠٣/١، مشكل إعراب القرآن١٠٥/١، البحر المحيط٣٢٣/١، الدر المصون٢٤/٢.

(٥) مشكل إعراب القرآن ١٠٦/١.

(٦) معاني القرآن ص٣٢٦، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/١، مشكل إعراب القرآن ١٠٥/١، البحر المحيط ٣٢٣/١، الدر المصون ٢٤/٢.

(٧) البحر المحيط ٣٢٣/١.

(٨) انظر البحر المحيط ٣٢٣/١.

وقرأ أبو السمَّال (أوْ كلما) بسكون الواو[١]. و لم تعز القراءة لغيره.

أما توجيهها فعلى ما يأتي:

١) أنها "أو" العاطفة، والمعطوف عليه (الفاسقون) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩] قال بهذا الزمخشري، وقدره بمعنى إلا الذين فسقوا أو نقضوا[٢].

٢) أنها العاطفة ولكن بمعنى (بل)، أي للإضراب ، قال أبو الفتح بن جني: "ولا يجوز أن يكون سكون الواو في (أو) هذه على أنها في الأصل حرف عطف... من قبل أن واو العطف لم تسكن في موضع علمناه، وإنما يسكن بعدها ما يخلط معها فيكونان كالحرف الواحد، ولا تسكن من موضعين: أحدهما أنها في أول الكلمة والساكن لا يبدأ به والآخر: أنها هنا وإن اعتمدت على همزة الاستفهام قبلها فإنها مفتوحة، والمفتوح لا يسكن استخفافاً، فإذا كان كذلك كانت "أو" هذه حرفاً واحداً، إلا أن معناها معنى (بل) للترك والتحول بمنزلة "أم" المنقطعة،فكأنه قال:"وما يكفر بها إلا الفاسقون،بل كلما عاهد عهداً نبذه فريقاً منهم"[٣]. فهو يرى أن "أو" بمعنى "بل" و "أم" وهما بمعنى واحد هنا.

ومجيء "أو" بمعنى "أم" المنقطعة محل خلاف بين العلماء، فالكوفيون يجوزون ذلك، ووافقهم أبو علي الفارسي وابن برهان والعكبري[٤]. أما

(١) وردت معزوة إليه في المحتسب ١٨٣/١،مختصر ابن خالويه ص٨، الكشاف ٣٠٠/١،البحر المحيط ٣٢٣/١، الجنى الداني ٢٢٩، المغني ٦٤/١، الدر المصون ٢٥/٢.

(٢) الكشاف ٣٠٠/١ ، وانظر تفسير أبي السعود ١٣٥/١.

(٣) المحتسب ١٨٣/١.

(٤) انظر رأي الكوفيين ومن وافقهم في : معاني القرآن ٧٢/١ ، معاني الحروف للرماني ص٧٩ ، =

البصريون فأجازوا ذلك بشرطين: أن تقع بعد نفي أو نهي وأن يعاد العامل، نحو: ما قام زيد أو ما قام محمد[١].

٣) أن (أو) عاطفة أيضاً ولكن بمعنى الواو،وتلتقي حينئذٍ مع قراءة الجمهور[٢].

ومجيء (أو) بمعنى الواو محل خلاف بين البصريين والكوفيين، فالكوفيون وتبعهم الأخفش والجرمي يرون مجيء (أو) بمعنى الواو[٣] ، ومعناها حينئذ الجمع المطلق. ومنع ذلك البصريون[٤].

ويظهر لي أن التوجيه على ما قال به الكوفيون سائغ مقبول؛ لأنه معضد بكثرة الأدلة السماعية التي استدلوا بها[٥]، ولشيوع الإنابة في لغة العرب وبخاصة بين حروف الجر،وإن كان لعلماء البصرة رأي مخالف -كما هو معلوم عند المختصين - ؛ ولأن عدم الموافقة على رأي الكوفيين يستلزم تكلفاً في التأويل، وبعداً في المعنى المراد من الآية، كما فعل البصريون في تكلفهم لتوجيه قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧]فلما قالوا: إنها للشك - والله

= المحتسب ١٨٣/١، الانصاف ٤٧٨/٢، إعراب القراءات الشواذ ١٩٠/١، الارتشاف ٦٤٠/٢، البحر المحيط ٣٢٤/١ ، الجنى الداني ٢٢٩، المغني ٦٤/١، همع الهوامع ٢٤٨/٥.

(١) انظر الكتاب٣٨٨/٣، الانصاف ٤٧٨/٢، الارتشاف ٦٤٠/٢، الجنى الداني ٢٢٩، المغني٦٤/١.

(٢) انظر البحر المحيط ٣٢٤/١، الدر المصون ٢٥/٤.

(٣) انظر معاني الحروف للرماني٧٩،الإنصاف٤٧٨/١،الارتشاف٦٤١/٢،المغني٦٤/١،الهمع٢٤٨/٥.

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) والتي منها : بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتـها أو أنت في العين أمـلح

ومنها توجيه الفراء في معانيه ٧٢/١ لـ "أو" بمعنى (بل) في قوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ . انظر معاني القرآن ٧٢/١، الخصائص ٤٥٨/٢، المحتسب ١٨٣/١، الإنصاف ٤٧٨/٢ ، الدر المصون ١٦٧/١. وكثرة الأدلة السماعية هنا لا تعني أن مجيء "أو" في القرآن ولغة العرب بغير الإضراب قليل، بل هو أكثر من مجيئها للإضراب.

متره عنه - بدؤوا يتكلفون[١].

الإبدال من الاسم الظاهر المعطوف على الضمير المنصوب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾[آل عمران:٦٨] قرأ العامة (النبيُّ) بالرفع[٢]. وتوجيهه أن (النبي) بدل من اسم الإشارة المعطوف على خبر(إن) وهو(للذين) أو أنه نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان[٣].

وقرأ أبو السمَّال (النبيَّ) بالنصب[٤]. و لم تعز لغيره[٥]. وتوجيهها أن (هذا) عطف على الهاء الواقعة مفعولاً به في (اتبعوه) أي واتبعوا هذا النبي، والمعنى: أن النبي قد اتبعه غيره كما حصل لإبراهيم[٦]. ويكون (النبي) بدلاً من اسم الإشارة المعطوف على منصوب، وقد يكون عطف بيان، لأن الاسم المحلى بأل الواقع بعد الإشارة يعرب بدلاً أو عطف بيان.

نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة:

قال تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾[النساء:٧١]، قرأ العامة (فانفِروا) بكسر الفاء فيهما، و(ثباتٍ) بالكسر منوناً على أنه حال[٧].

---

(١) انظر الخصائص ٤٦١/٢، الإنصاف ٤٧٨/١ وما بعدها.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٤١/١، الكشاف ٤٣٦/١، الدر المصون ٢٤٣/٣.

(٣) انظر هذه التوجيهات في إعراب مشكل القرآن ١٦٢/١، التبيان في إعراب القرآن ٢٧٠/١.

(٤) عزيت إليه وحده في مختصر ابن خالويه ص٢١، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٥٠.

(٥) وردت بلا عزو في إعراب القرآن للنحاس ٣٤١/١، مشكل إعراب القرآن ١٦٢/١، الكشاف ٤٣٦/١، التبيان في إعراب القرآن ٢٧٠/١، البحر ٤٨٨/٢ ، الدر المصون ٢٦٣/٣.

(٦) ورد هذا التوجيه في المصادر السابقة.

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤٣٣/١، مشكل إعراب القرآن ٢٠٢/١، التبيان في إعراب القرآن ٣٧١/١.

وقرأ أبو السمَّال ومجاهد والأعمش (فانفُروا) بضم الفاء فيهما[١] في الموضعين وهي لغة، يقال: نَفَر ينفِر وينفُر بكسر الفاء وضمها[٢].

وقرأ أبو السمَّال وحده (ثباتاً) منصوباً بالفتحة منوناً[٣]. و لم أجد من وجهها، بل قال أبو حيان: "و لم يقرأ فيما علمت إلا بكسر التاء"[٤].

وكسر تاء جمع المؤنث السالم في حال النصب هو اللغة الفصيحة، ولكن نقل عن بعض العرب ما يمكن أن توجه به هذه القراءة. قال الشاعر:

فلما اجتلاها بالأُيَامِ تَحَيّزتْ ثُباتاً عليها ذلُّها واكتئابها[٥]

كما يعضد توجيه النصب بالفتحة لجمع المذكر السالم ما حكى الكسائي عن العرب من قولهم: "سمعت لغاتَهم"[٦] وقد وردت قراءة أخرى شاذة فيها نصب لجمع المؤنث بالفتحة في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾[النحل:٥٧] [٧].

ومنه ما ذكره ابن جني حينما قال: "والمحفوظ في هذا قول أبي عمرو لأبي خَيْرَة، وقد قال: استأصل الله عرقاتَهم – بنصب التاء – : هيهات أبا خيرة، لان جلدك... ثم قال: وأصحابنا لا يرون فتح هذه التاء في موضع النصب"[٨].

---

(١) انظر مختصر ابن خالويه ص٢٧، شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ق٦٣،البحر المحيط ٢٩٠/٣.

(٢) انظر تاج العروس مادة "نفر".

(٣) وردت معزوة له في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٦٣.

(٤) البحر المحيط ٢٩٠/٣.

(٥) القائل أبو ذؤيب الهذلي، وقد ورد في: ديوان الهذليين ٧٩/١، شرح المفصل ٤/٥، رصف المباني ٢٤١، الدر المصون ٢٧/٤.

(٦) انظر الخصائص ٣٠٤/٣، شرح المفصل ٤/٥، الدر المصون ٢٧/٤، الهمع ٦٧/١.

(٧) الآية ٥٧ النحل، وانظر الدر المصون ٢٧/٤ من غير عزو.

(٨) الخصائص ٣٠٤/٣.

وجواز نصب هذا الجمع بالفتحة مذهب كوفي مشهور، فأكثرهم يجوزونه مطلقاً، وهشام الضرير يجيزه في المعتل كلغة وثُبَة فقط[١]. فالقراءة حينئذ توجه على أنها لغة لبعض العرب، وهي توافق مذهباً من مذاهب النحويين، أما إعرابها بالكسر أو الفتح فهو على أنها حال في القراءتين - وقد تقدم -.

حذف عامل المفعول المطلق:

قال تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف:١٨] قرأ العامة برفع "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ "[٢]. وتوجيهها أنها على حذف المبتدأ أو على حذف الخبر، فيكون التقدير على الأول: فصبري صبر جميل، أو فشأني صبر جميل، وعلى الثاني: فصبر جميل أمثل من غيره[٣].

وقرأ أبو السمَّال (فصبراً جميلاً)[٤]. وهو موافق لأبيّ وعيسى بن عمر ونقلت عن الكسائي وعبد الله بن مسعود[٥].

وتوجيه القراءة على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، والتقدير: أصبر صبراً[٦]. وقال السمين الحلبي: "وتخريجها على المصدر الخبري ، أصبر أنا صبراً، وهذه قراءة ضعيفة، إذا خرجت هذا التخريج، فإن سيبويه لا ينقاس ذلك عنده إلا

---

(١) انظر الهمع ٦٧/١.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٩، التبيان في إعراب القرآن ٧٢٦/٢، البحر المحيط ٢٨٩/٥، الدر المصون ٤٥٨/٦.

(٣) انظر التبيان ٧٢٦/٢، شرح اللمع للاصفهاني ٣١١/١، الدر المصون ٤٥٨/٦، الهمع ٣٩/٢.

(٤) وردت معزوة له في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١١٧.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣٩/٢، مختصر ابن خالويه ٦٣، إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢، الكشاف ٣٠٨/٢، البحر المحيط ٢٨٩/٥، الدر المصون ٤٥٨/٦.

(٦) انظر إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢، إعراب القراءات الشواذ ٦٩٠/١.

في الطلب، فالأولى أن يجعل التقدير: أن يعقوب رجع وأمر نفسه، فكأنه قال: اصبري يا نفس صبراً"[(١)].

وأنكر مكي بن أبي طالب وجود هذه القراءة فقال في الآية:"ويجوز النصب ولم يقرأ به على المصدر، على تقدير: فأنا أصبر صبراً"[(٢)]

والحق أن سيبويه أجاز تقدير العامل المحذوف خبراً أو طلباً، قال: "ومن ذلك قولك: حمداً وشكراً لا كفراً وعجباً... فإنما ينتصب على إضمار الفعل، كأنك قلت: أحمد الله حمداً وأشكر الله شكراً، وكأنك قلت: أعجب عجباً..."[(٣)].

"حاشاً" مترّلة مترلة المصدر:

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:٣١] قرأ العامة "حاش لله" بغير ألف[(٤)]. قال أبو زرعة: "وحجتهم أنها مكتوبة في المصاحف بغير ألف، حكى أبو عبيد عن الكسائي أنها في مصحف عبد الله كذلك، وأصل الكلمة التبرئة"[(٥)]، وقرأ أبو عمرو (وقلن حاشا) بالألف[(٦)]. وعزاها ابن جني لابن مسعود وأبي بن كعب[(٧)]. قال النحاس: "إثبات الألف هو الأصل، ومن حذفها

(١) الدر المصون ٤٥٨/٦.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٣٨٢/١.

(٣) الكتاب ٣١٨/١،٣١٩.

(٤) انظر المحتسب ١١/٢،١٢، الكشف ١٠/٢، مشكل إعراب القرآن ٣٨٥/١، الإقناع ٦٧١/٢.

(٥) حجة القراءات ص٣٥٩.

(٦) الكشف ١٠/٢، الإقناع ٦٧١/٢، حجة القراءات ٣٥٩.

(٧) المحتسب ١١/٢.

جعل اللام التي بعدها عوضاً منها"[١].

وقرأ أبو السمَّال - وحده - (حاشاً لله) بالألف منونة[٢]. وعزاها المرادي إلى أبيّ بن كعب[٣]. ولم أجدها معزوة إليه في كتب القراءات ويظهر أنه أخطأ النقل عن ابن مالك ؛ لأنه ذكر القراءة في نص أخذه من شرح التسهيل[٤]،وابن مالك عزاها لأبي السمَّال. وهذه القراءة وجهها العلماء على أن (حاشاً) اسم متزل متزلة المصدر، منهم الزمخشري قال :"فهي نحو قولك: سقياً لك"[٥] ، "فحاشا" على هذا تكون متزلة متزلة المصدر في النصب لا في الماهية والاشتقاق.

ومنهم السمين حيث قال : "(حاشاً) في الآية ليست حرفاً ولا فعلاً وإنما هي اسم مصدر بدل من اللفظ بفعله، كأنه قيل: تنـزيهاً لله وبراءة له... ثم قال: ويدل عليه قراءة أبي السمَّال (حاشاً لله) منصوباً، ولكنهم- يعني العامة - أبدلوا التنوين ألفاً كما يبدلونه في الوقف."[٦]

وقراءة أبي السمَّال – هنا – جعلها النحاة دليلاً على اسمية (حاشا) قال الرضي:"وقد يجوز في بعض المصادر أن يستعمل استعمالين – أعني أن يكون مصدراً أو اسم فعل – نحو: رويد زيد، ورويد زيداً، ويجوز أن يكون (حاشا) من

(١) إعراب القرآن ١٣٨/٢، وانظر الكشف ١٠/٢.

(٢) وردت معزوة إليه في مختصر ابن خالويه ص٦٣، الكشاف٣١٧/٢، البحر المحيط ٣٠٣/٥، الدر المصون ٤٨٤/٦.

(٣) الجنى الداني، ٥٦١.

(٤) ٣٠٨/٢ .

(٥) الكشاف ٣١٧/٢.

(٦) الدر المصون ٤٨٤/٦.

هذا الباب، فيكون حاشا زيدٍ مصدراً مضافاً بدليل القراءة الشاذة (حاشاً لله) منوناً..."[(١)]

ثم قال: "والأولى أنه مع اللام اسم لمجيئه معها منوناً، كقراءة أبي السمَّال،فنقول: إنه مصدر بمعنى تنزيهاً لله، كما قالوا في سبحان الله - وهو بمعنى حاشاً - سبحاناً.."[(٢)] وقال ابن مالك : "والصحيح أنها اسم منتصب انتصاب المصدر، الواقع بدلاً من اللفظ بالفعل، فكأنه : تنزيهاً لله، ويؤيد هذا قراءة أبي السمَّال"[(٣)].

اسم الفعل (أفّ):

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء:٢٣] من أسماء الأفعال (أف)،وهو اسم فعل مضارع - على الراجح - معنى "أتضجر"، وذهب بعض النحاة الذين لا يثبتون اسم الفعل المضارع إلى أنه اسم فعل ماض بمعنى تضجرت[(٤)].

وقد كثرت القراءات فيها وتعددت اللغات، حتى أوصلها بعضهم إلى أربعين لغة[(٥)]. والذي يعنينا هنا هو القراءات السبعية وقراءة أبي السمَّال، فقد قرأ

---

(١) شرح الكافية ٢/٧٧٥.

(٢) شرح الكافية ٢/٧٧٥.

(٣) شرح التسهيل ، ٢/٣٠٨.

(٤) من المثبتين لاسم الفعل المضارع ابن مالك وابن يعيش وابن هشام ومن المنكرين له ابن الحاجب والرضي،انظر المسألة في شرح المفصل٤/٣٨،شرح الكافية للرضي ق٢ ١/٢٩٠،أوضح المسالك ٤/٨٣ شرح الأشموني ٣/١٩٧.

(٥) انظر الارتشاف ٣/٢٠٤، الدر المصون ٧/٣٤١.

نافع وحفص بالكسر والتنوين، وقرأ ابن كثير وابن عامر بالفتح دون تنوين، وقرأ الباقون بالكسر دون تنوين[١]. قال النحاس: "والكسر فيها لالتقاء الساكنين والتنوين لأنه نكرة فرقاً بينه وبين المعرفة، وأصل الساكنين إذا التقيا الكسر... " ثم قال موجهاً القراءة الثانية: "إن الفتح" خفيف والتضعيف ثقيل"[٢]، قال أبو زرعة: "وإنما بني على الفتح لالتقاء الساكنين، والفتح مع التضعيف حسن لخفة الفتحة وثقل التضعيف"[٣].أما القراءة الثالثة فجعل النحاس حذف التنوين لأنه معرفة،والكسر لالتقاء الساكنين[٤].

وقال أبو زرعة: "إنما يحتاج إلى التنوين في الأصوات الناقصة على حرفين مثل مهٍ وصهٍ، و"أفٌّ" على ثلاثة أحرف فما حاجتنا إلى التنوين"[٥].

وقرأ أبو السمَّال (أفُّ) مضمومة غير منونة[٦]. أما توجيهها فقد قال الفراء: "شبهت "أفُّ" بقولك مُدَّ وردَّ، إذ كانت على ثلاثة أحرف، ويدل على ذلك أن بعض العرب قد رفعها، فيقول: أفُّ لك... ويقال: ما علمك أهلك إلا مضٍّ ومضُّ"[٧] فهي إذن لغة للعرب . ويقول النحاس: "والضم بغير تنوين على

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ١٢١/٢، معاني القرآن للأخفش ٦١٠/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٣٧/٢، المحتسب ٦٢/٢، الكشف عن وجوه القراءات ٤٤/٢، حجة القراءات ٣٩٩.

(٢) إعراب القرآن ٢٣٨/٢.

(٣) حجة القراءات ٣٩٩.

(٤) إعراب القرآن ٢٣٨/٢.

(٥) حجة القراءات ٣٩٩.

(٦) عزيت له وحده في مختصر ابن خالويه ٧٦، المحتسب ٦٢/٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٣٦، الدر المصون ٣٤٢/٧.

(٧) معاني القرآن ١٢١/٢.

الاتباع كما يقال: رُدَّ"[١] ، وقال الزمخشري: "والضم إتباع كمنذ"[٢].

وقد لخص العكبري توجيه القراءات المشهورة في الآية بقوله: "فمن كسر فبناء على الأصل ومن فتح طلب التخفيف، ومن ضم أتبع، ومن نون أراد التنكير، ومن لم ينون أراد التعريف"[٣].

ما ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق:

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] قرأ العامة بكسر لام (قل) ورفع (الحق)[٤]. أما كسر اللام فعلى الأصل في التقاء الساكنين[٥]. وأما رفع الحق فعلى ثلاثة أوجه:

١) أنه خبر لمبتدأ محذوف.

٢) أنه فاعل لفعل مقدر دل عليه السياق، أي جاء الحق، وهو يخالف المواضع التي يجوز فيها حذف الفعل[٦].

٣) أنه مبتدأ وخبره "من ربكم"[٧].

وقرأ أبو السمَّال (وقلُ الحقَ) بضم اللام ونصب (الحق)[٨].

---

(١) إعراب القرآن ٢/٢٣٨.

(٢) الكشاف ٢/٤٤٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢/٨١٨.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/١٢٠، الدر المصون ٧/٤٧٦.

(٥) انظر المقتضب ٣/١٧٤، الكشف ١/٣٨، التسهيل ص٢٥٩.

(٦) انظرها مفصلة في شرح الكافية الشافية ٢/٥٩٢، شرح التصريح ١/٢٧٣.

(٧) انظر الدر المصون ٧/٤٧٦.

(٨) وردت معزوة إليه وحده في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٤٠،البحر المحيط٦/١٢٠، الدر المصون ٧/٤٧٧.

وقد وجه ضم اللام على الإتباع لحركة القاف[(١)]، وإتباع الضم ظاهرة تشيع في كلام العرب، فقد حكى الأخفش عن عيسى بن عمر أنه قال: ما سمع فُعْل إلا وسمعنا فيه فُعُل[(٢)]. قال ابن جني: "فلما اطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر"[(٣)].

أما نصب (الحق) فخرج على أنه صفة لمصدر محذوف[(٤)]، قال السمين: "والفعل يدل على مصدره وإن لم يذكر، فتنصبه معرفة كما تنصبه نكرة، وتقديره:فقل القول الحق"[(٣)]. وحذف المصدر وإحلال صفته مكانه وارد في أكثر كلام العرب[(٥)]. وأرى أن هذا التخريج لا يتجه؛ لأنه لا يلائم ما في الآية (من ربكم) ، والذي أراه أن يجعل (الحق) في هذه القراءة مفعولاً للقول، وإعمال القول لغة مشهورة لبعض العرب .

المصدر المؤكد لمضمون الجملة:

قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾[الكهف:٤٤]، وقرأ أبو عمرو والكسائي (الحقُّ) بالرفع[(٦)]، ولها توجيهات منها: أنها صفة لـ (ولاية) ويرد عليها مخالفة الوصف للموصوف في التذكير والتأنيث . ومنها أنها خبر مبتدأ محذوف أي

---

(١) انظر البحر المحيط ١٢٠/٦ .

(٢) انظر البحر المحيط ٢٠٨/٢، الظواهر اللغوية في قراءة الحسن ص١١٤.

(٣) المحتسب ١١١/١ .

(٤) انظر الدر المصون ٤٧٧/٧.

(٥) انظر شرح الكافية ق١ ٣٥٠/١، أوضح المسالك ٢١٣/٢، حاشية الصبان على الأشموني١١٣/٢.

(٦) انظر السبعة ٣٩٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢، الكشف ٦٣/٢، حجة القراءات ٤١٩، الإقناع ٣٨٩.

هو الحق أو مبتدأ خبره قوله (هو خير)[١]. وقرأ الجمهور (الحقِّ) بالكسر على أنه نعت (لله)[٢].

وقرأ أبو السمَّال (الحقَّ) بالنصب وشاركه أبو حيوة وزيد بن علي وعمرو ابن عبيد وابن أبي عبلة[٣]. وتوجيهها أن (الحقَّ) مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة كقولهم: هذا لك حقاً. قال الفراء: "ولو نصبت (الحق) على معنى حقاً كان صواباً"[٤].

وهذا التوجيه نص عليه العلماء فأجازوا مجيء المصدر مؤكداً لمضمون الجملة قبله، فيحذف عامله وجوباً حينئذ، قال سيبويه: "هذا باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله، وذلك قولك: هذا عبد الله حقاً، وهذا زيد الحق لا الباطل، وهذا زيد غير ما نقول"[٥].

فهذه إذن قراءة متوافقة مع لغة العرب وقواعد النحاة،ولهذا جعلها الزمخشري قراءة حسنة فصيحة[٦]. أما تعليقه فصاحة القراءة بأن عمرو بن عبيد هو من قرأ بها - وهو أفصح الناس - فذلك لجنوحه الاعتزالي - كما نبه عليه

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢، مشكل إعراب القرآن١/٤٤٢، الكشف ٦٣/٢.

(٢) انظر السبعة ٣٩٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢، الكشف ٦٣/٢.

(٣) وردت معزوة لهم جميعاً في تحفة الأقران ١٤٥،١٤٦، ولزيد بن علي وأبي حيوة وعمرو بن عبيد في الدر المصون ٥٠٠/٧، ولعمرو بن عبيد وحده في الكشاف ٤٨٦/٢، وبلا عزو في معاني القرآن للفراء ١٤٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢.

(٤) معاني القرآن ١٤٦/٢، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢، البحر المحيط ١٣١/٦، الدر المصون ٥٠٠/٧.

(٥) الكتاب ٣٧٨/١ وانظر أوضح المسالك ٢٢٣/٢.

(٦) الكشاف ٤٨٦/٢.

بعضهم -[١] ؛ لأن عمراً كان معتزلياً.

ويرى العكبري أن النصب على أنه نعت مقطوع جيء بـه لإفـادة التعظيم[٢]. وهذا التوجيه أولى عندي وأقرب؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير.

منع "طوى" من الصرف:

قال تعالى : ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[طـه:١٢] في (طوى) قـراءات منها (طُوىً) بضم الطاء مع التنوين وعزيت للكوفيين وابن عامر، وقرأ بـاقي السبعة بضم الطاء من غير تنوين، وقرأ الحسن البصري وأبو حيوة وابن محيصن والأعمش بكسر الطاء منوناً[٣]. ووجهت القراءة الأولى على أنه علم علـى الوادي مصروف[٤]. ووجهت القراءة الثانية على تقديره بالبقعة والعلمية فهو ممنوع من الصرف أو أنه معدول عن(طاوٍ) كعمر معـدول عـن عـامر[٥]. ووجهت القراءة الثالثة على أنه اسم مكان مذكر نكرة[٦]. ونقل عن الحسـن

(١) تحفة الأقران ص١٤٦.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ٢/٢٠ .

(٣) انظر مختصر ابن خالويه ٨٧، إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣، الكشف ٢/٩٦، إعراب القراءات الشواذ ٢/٦٦، حجة القراءات ٤٥١، البحر المحيط ٦/٢٣١، الدر المصون ٨/١٦.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٧٥، إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣، حجة القـراءات ص٤٥١، الكشف ٢/٩٦.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣، حجة القراءات ٤٥١، البحر المحيط ٢/٢٣١، الدر المصون ٨/١٦.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٥، البحر المحيط ٦/٢٣١، الدر المصون ٨/١٦.

أنه جعله بمعنى الثِّنَى بالكسر والقصر، قال النحاس: " من جعل طوى ثِنَى نّونَ لا غير"[١]، ويكون حينئذٍ مصدراً منصوباً بلفظ (المقّدس)[٢].

وقرأ أبو السمَّال (طِوى) بكسر الطاء مقصوراً من غير تنوين[٣]. وشاركه أبو زيد عن أبي عمرو[٤]. وتوجيهها على أمرين: إما أن تجعل اسماً مع ملاحظة اعتبار البقعة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. وإما أن تجعل صفة، فيجوز الصرف والمنع – وهنا جاء المنع – وأجاز الفراء الوجهين (الصرف وعدمه) [٥]، وقال السمين: "ومن كسر و لم ينون فباعتبار البقعة، فإن كان اسماً فهو نظير عنب، وإن كان صفة فهو نظير عِدَى وسِوى"[٦]. والذي أراه أن : طِوى اسم علم على الوادي –كما قال العكبري –[٧]، وهو أمر معروف ؛ ولذلك لا يعرب صفة ؛ لأن المعنى لا يصح أولاً ، وثانياً لأن طوى اسم ولأسماء لا يوصف بها ، وعليه إعرابه بدل من الوادي ، فمن نون جعله مصروفاً ، وينبغي أن يكون هذا هو الأصل ، ومن لم ينون منعه من الصرف للعلمية والتأنيث سواء ضم الطاء أو كسرها ؛ لأن الضم والكسر لغتان فيه أو العلمية والعدل في الضم فقط . أما تشبيه طِوى – بالكسر – بسوى وعدى فتشبيهه بهما في الوزن لا في الإعراب .

---

(١) إعراب القرآن ٣٣٣/٢.

(٢) الدر المصون ١٦/٨.

(٣) وردت معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٥٠.

(٤) انظر شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٥٠، البحر المحيط ٢٣١/٦، الدر المصون ١٧/٨.

(٥) انظر معاني القرآن ١٧٥/٢.

(٦) انظر الدر المصون ١٧/٨، ومثله في التبيان ٨٨٦/٢.

(٧) التبيان في إعراب القرآن ١١٩/٢.

"مساس" اسم فعل:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه:٩٧] قرأ عامة القراء بكسر الميم وفتح السين في (مِسَاس)(١). وهي حينئذٍ مصدر من (فَاعَل)، أي ماسسته مساساً وضاربته ضراباً وقاتلته قتالاً(٢).قلت: وهو اسم (لا) النافية للجنس كقول الشاعر:

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب(٣)

وقرأ أبو السمَّال (لا مَسَاسِ) بفتح الميم وكسر السين الثانية(٤). وشاركه في القراءة الحسن البصري وأبو حيوة وابن أبي عبلة(٥).

وأما توجيهها : فسيبويه يرى أنه معدول عن المصدر، قال: "ففجار معدول عن الفجرة... وكذلك عدلت عليه مساس ، والعرب تقول: أنت لا مساس ومعناه لا تمسني ولا أمسُّك"(٦) ووافقه في أنها معدولة عن المصدر الزمخشري(٧) وابن عطية(٨). ويرى آخرون أن (مساسِ) معدولة عن فعل أمر

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٩٠/٢، المحتسب ١٠٠/٢، التبيان ٩٠٢/٢، البحر المحيط ٢٧٥/٦، الدر المصون ٩٥/٨.

(٢) انظر المحتسب ١٠٠/٢، البحر المحيط ٢٧٥/٦، الدر المصون ٩٥/٨.

(٣) القائل الحارث بن خالد بن العاص، والبيت ورد في المقتضب ٦٩/٢، شرح المفصل ١٣٤/٧،شرح الكافية ق١ ٣٠٤/٢.

(٤) عزيت إليه في البحر المحيط ٢٧٥/٦، الدر المصون ٩٥/٨.

(٥) انظر المحتسب ١٠٠/٢، البحر المحيط ٢٧٥/٦، الدر المصون ٩٥/٨.

(٦) الكتاب ٢٧٥/٣.

(٧) الكشاف ٥٥١/٢.

(٨) المحرر الوجيز ١٠٢/١١.

(مُسّ) ، قال الفراء: "مثل (نزال ونظار)."(١) وقال أبو عبيدة: مثـــل نـــزال ودراك(٢).

وعلل النحاس البناء على الكسر بقوله: "سمعت محمد بن يزيد يقول: إذا اعتل الشيء من ثلاث جهات وجب أن يبنى وإذا اعتل من جهتين وجب أن لا يصرف؛ لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء، "فمساس ودراك" اعتل فيها من ثلاث جهات منها: أنه معدول، ومنها أنه مؤنث وأنه معرفة، فلما وجب البناء فيها وكانت الألف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الـــساكنين، كما يقال: "اضرب الرجل..."(٣) واستشكل ابن جني دخول (لا) النافية للجنس عليه، ثم أجاب عن ذلك فقال: "في قراءة من قرأ (لا مَسَاسِ) نظر؛ وذلـــك أن (مساس) كنزال ودراك وحذار، وليس هذا الضرب مما تدخل (لا) النافية للنكرة عليه، ... فـــ(لا) إذاً في قوله: (لا مساس) نفي للفعل، كقولك: لا أمسك، ولا أقرب منك، فكأنه حكاية قول لقائل: مساس كدراك ونزال، فقال لا مـــساس، أي لا أقول: مساسِ..."(٤) وتخريج ابن جني هذا أسلم من تخاريج الذين سبقوه؛ لأنه لا يلتفت إلى معنى الآية، ويعلل كسر (مساس) التي كان الأصل فيها البناء على الفتح على أنها اسم لا النافية للجنس وأن الكسر على الحكاية.

تحويل الفعل إلى اسم فاعل:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾[الحج:١١]

---

(١) معاني القرآن ١٩٠/٢.

(٢) مجاز القرآن ٢٧/٢.

(٣) إعراب القرآن ٣٥٨/٢.

(٤) المحتسب ١٠٠/٢.

قرأ العامة (خَسِر)[١].وتوجيهها على أنها : فعل ماضٍ موقعه الإعرابي إما الاستئناف وإما الحالية من فاعل (انقلب) وأما البدلية من (انقلب)[٢].

وقرأ أبو السمَّال قعنب (خاسر الدنيا) بصيغة اسم الفاعل[٣]. وشاركه مجاهد وحميد بن قيس وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وابن محيصن والجحدري وابن مهران وابن مقسم والزعفراني وابن أبي إسحاق وغيرهم[٤].

وتوجيه القراءة على أن (خاسرَ) حال من (انقلب)،والتقدير: انقلب على وجهه خاسراً[٥].والحالية أحد التوجيهات التي خرجت عليها قراءة العامة، فالقراءتان تلتقيان في المعنى، مما جعل الفراء يقول: "وذكر عن حميد أنه قرأ (خاسر الدنيا) وكل صواب، والمعنى واحد"[٦].

رفع الفعل المضارع بعد "إنْ" ونصبه بعد "أنْ":

قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥] يقرأ عامة القراء (أن تقعَ) بفتح همزة (أنْ) وفتح العين، ويكون المضارع منصوباً بأن الناصبة، وذكروا في إعرابه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه في محل جر بحرف جر

(١) انظر المحتسب ١١٨/٢، التبيان ٩٣٤/٢، البحر المحيط ٣٥٥/٦، الدر المصون ٢٣٧/٨.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) عزيت له في البحر ٣٥٥/٦، وهامش المحتسب ١١٨/٢.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣٩٢/٢، المحتسب ١١٨/٢، البحر المحيط ٣٥٥/٦، الدر المصون ٢٣٨/٨.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٩٢/٢، المحتسب ١١٨/٢،الكشاف ٧/٣، التبيان ٩٣٤/٢، البحر المحيط ٣٥٥/٦، الدر المصون ٢٣٨/٨.

(٦) معاني القرآن ٢١٧/٢.

محذوف ، تقديره: من أن تقع. الثاني:أنها بدل من (السماء) بدل اشتمال، الثالث: أنها مفعول لأجله، والتقدير: كراهة أن تقع[(١)].

وقرأ أبو السمَّال وحده (إنْ تقعُ) بكسر الهمزة ورفع العين، و لم أجد من ذكر هذه القراءة إلا الكرماني فقط[(٢)].

وكذلك لم يوجهها أحد من المعربين، والذي يظهر لي أن (إنْ) نافية بمعنى (ما) و(تقع) حينئذٍ مرفوع لتجرده من الناصب والجازم. قال أبو حيان: "وأما الكوفيون فنقل عنهم ابن مالك أن (إنْ) الداخلة على الجملة الإسمية وعلى الجملة الفعلية من ناسخ وغيره هي (إنْ) النافية. ونقل غيره عن الكسائي قال: إن دخلت على الأسماء كانت المخففة من الثقيلة – كما قال البصريون – أو على الأفعال كانت بمعنى (ما)"[(٣)].و(إنْ) في الآية مثلها في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾[فاطر:٤٠]. وتكون جملة (إن تقعُ) حينئذٍ جملة مستقلة،وهذا هو الأظهر فيها، وربما جاز حملها على الحالية.

حركة اسم الفعل (هيهات):

قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنون:٣٦] قرأ جمهور القراء بفتح التاء في (هيهات) غير منون[(٤)]. وهو اسم فعل مبني على الفتح إما في محل نصب،

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤١٠/٢،البحر المحيط ٣٦٧/٦، الدر المصون ٣٠٢/٨،٣٠٣.

(٢) شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق ١٦٥/خ.

(٣) الارتشاف ١٥١/٢، وانظر رصف المباني ص١٨٩.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤١٨/٢، المحتسب ١٣٤/٢، مشكل إعراب القرآن ٥٠٢/٢، البحر المحيط ٤٠٤/٦.

كأنك قلت: بعداً بعداً، أو في موضع رفع على الابتداء والجملة بعده خبر، وقيل: بمعنى بَعُدَ لا موضع له من الإعراب[١].

وقرأ عيسى بن عمر (هيهاتٍ هيهاتٍ) بالكسر منوناً، وخرج على أنه جمع مؤنث كبيضة وبيضات[٢]. وقرأ أبو عمرو في رواية عنه (هيهاتاً). وخرِّج على أنه قصد التنكير[٣]. وقرئت (هيهاتٌ هيهاتٌ) بالرفع والتنوين، على أنها اسم معرب فيه معنى البعد وليس اسم فعل، فهو مبتدأ و (لما توعدون) خبره. أو أنه ضمه ضمة بناء ثم اعتقد فيه التنكير فلحقه التنوين،أي شبهه بـ (قبلُ وبعدُ)[٤].

وقرأ أبو السمَّال (هيهاتُ هيهاتُ) بالضم بلا تنوين[٥]. وشاركه في هذه القراءة أبو حيوة[٦].

وتوجيهها: أن الضم ضم بناء تشبيهاً لها بقبل وبعدُ[٧].

ونقل عن أبي السمَّال أيضاً أنه قرأ (هيهاتُ هيهاتِ) بضم التاء الأولى وكسر الثانية[٨]. ولم أجد من وجهها، وهي قراءة مخالفة لإجماع المعربين على

(١) انظر المحتسب ١٣٤/٢، مشكل إعراب القرآن ٥٠٢/٢، التبيان ٩٥٤/٢، الدر المصون ٣٣٨/٨.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤١٨/٢، المحتسب ١٣٤/٢.

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٤١٨/٢، المحتسب ١٣٤/٢، مشكل إعراب القرآن ٥٠٢/٢، البحر المحيط ٤٠٤/٦، الدر المصون ٣٣٨/٨.

(٤) انظر المحتسب ١٣٥/١، إعراب القراءات الشواذ ١٥٦/٢.

(٥) عزيت إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٦٧، الدر المصون ٣٣٨/٨.

(٦) انظر الدر المصون ٣٣٨/٨.

(٧) انظر التبيان في إعراب القرآن ٩٥٤/٢، إعراب القراءات الشواذ ١٥٦/٢.

(٨) ذكرت له وحده في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٦٧، وعزاها أبو حيان لأبي السماك ٤٠٤/٦ وذكرت سابقاً أنه لا يوجد علم من القراء بهذه الكنية، والمقصود أبو السمال.

أن الثانية توكيد للأولى[١]. ولعله بنى الاسمين، الأول منهما بني على الضم والثاني على الكسر، لا سيما أن العكبري شبه (هيهاتِ) بـ (نَزالِ)[٢].

وقد وجدت للرضي رأياً مخالفاً لما يذكره المعربون في (هيهات) فبعد أن ذكر بعض الأوجه فيها قال: "وهذا كله وهم وتخمين، بل لا مانع أن نقول: التاء والألف فيهما زائدتان، فهي مثل (كوكب)، ولا مَنْعَ أيضاً من كونها في جميع الأحوال مفردة، مع زيادة التاء فقط، وأصلها (هيهيةِ) ونقول: فتح التاء على الأكثر؛ نظراً إلى أصله حين كان مفعولاً مطلقاً، وكسرت للساكنين؛ لأن أصل التاء السكون، وأما الضم فللتنبيه بقوة الحركة على قوة معنى البعد فيه، إذ معناه: ما أبعده"[٣]. وأبعد عن التكلف والتعسف أنْ يقال: إنّ هذه لغات للعرب في هذه الكلمة، وأبو حيان ذكر أن فيها نحواً من أربعين لغة، ويقال: إن العرب تلعبت بها[٤]، وقال الفيروزابادي أن فيها واحداً وخمسين لغة[٥]. وجلّي هنا أن في بعض قراءات أبي السمَّال وما ينسب إليه غرابة، يمكن إرجاعها إلى بيئته (نجد) أو أنها لغة قومه بني عدي الذين اشتهروا في كتب اللغة بالغريب، وشعر ذي الرمة خير شاهد على ذلك.

---

(١) انظر التبيان ٩٥٤/٢، الارتشاف ٢٠٧/٣.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ١٥٦/٢.

(٣) شرح الكافية ق٣١٦/١٢،٣١٧.

(٤) انظر البحر المحيط ٤٠٥/٦ وقال إنه ذكر ذلك في التكميل لشرح التسهيل.

(٥) القاموس المحيط (مادة: هيه) .

نصب الاسم السابق في باب الاشتغال:

قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ... ﴾[النور:٢] قرأ السبعة بالرفع في (الزانية)[١]. وخرجها سيبويه على أنّ (الزانية) مبتدأ وخبره محذوف قال: والتقدير: "في الفرائض الزانية والزاني، أو الزانية والزاني في الفرائض"[٢]، وجعل فاجلدوا مستأنفة. وخرجها آخرون على أن الرفع على الابتداء، والخبر جملة الأمر، ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط[٣].

وهذا التوجيه يصبح مشكلا بدخول الفاء في خبر المبتدأ، وهي مسألة خلافية بين النحاة[٤].

وقرأ أبو السمَّال (الزانيةَ والزاني) بالنصب[٥]، وهو يشارك بهذه القراءة عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبا جعفر وشيبة وأبا رزين العقيلي وأبا الجوزاء وابن أبي عبلة[٦].

وقراءة النصب هي الموافقة لقاعدة النحاة من أن الاسم السابق يترجح نصبه إذا كان الفعل الواقع بعده طلباً[٧]. ولهذا قال سيبويه: "وقد قرأ الناس

---

(١) انظر الكشاف ٤٧/٣، البحر المحيط ٤٢٧/٦.

(٢) الكتاب ١٤٣/١.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٤٤/٢، الدر المصون ٣٧٩/٨.

(٤) انظر الخلاف في: المقتضب ١٩٥/٣، الازهية ٢٤٦، المفصل ٢٧، شرح التسهيل ٣٢٨/١، أوضح المسالك ١٦٣/٢-١٦٥، تعليق الفرائد ١٣٩/٣، الهمع ٥٦/٢-٥٩.

(٥) عزيت له في البحر المحيط ٤٢٧/٦.

(٦) انظر المحتسب ١٤٣/٢، إعراب القراءات الشواذ ١٧٠/٢،١٧١، البحر المحيط ٤٢٧/٦، الدر المصون ٣٧٩/٨.

(٧) انظر أوضح المسالك ١٦٣/٢.

(السارقَ والسارقةَ)[١] و (الزانيةَ والزانيَ) وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع"[٢].

ويكون الناصب حينئذ لـــ (الزانية) فعلاً محذوفاً يفسره الفعل المذكور ، أي: اجلدوا الزانية والزاني[٣].وجلي أن القراءة الشاذة هنا أرجح من قراءة العامة وفق قواعد النحاة وأقيستهم، وإلا لما جعـــل سيبويه الوجه في كـــلام العـــرب النصب ، ولكن القراءة سنة متبعة.

حال المفعول به عند تغير صيغة الفعل:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨] قـــرأ العامـــة (يُسألُ) بالياء ورفع الفعل والبناء للمجهول[٤].و(المجرمون) نائب فاعل حينئذ.

وقرأ أبو جعفر (ولا تُسألْ) بالتاء وجزم الفعل والبنـــاء للمجهـــول[٥]. و(المجرمون) بالرفع.

قال العكبري في توجيه القراءة: "ورفع (المجرمون) على تقدير: هم المجرمون، ولو قال: المجرمين صح في القياس على أنه مجرور بدلاً من ضمير الجماعة"[٦].

---

(١) من الآية ٣٨ المائدة.

(٢) الكتاب ١٤٤/١.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٤/٢، المحتسب ١٤٣/٢، الكشاف ٤٧/٣، إعراب القراءات الشواذ ١٧٠/٢، التبيان٩٦٤/٢.

(٤) انظر إعراب القراءات الشواذ ٢٦٧/٢، البحر المحيط ١٣٤/٧، الدر المصون ٦/ ٦٩٥،٦٩٦.

(٥) انظر المصادر السابقة إلا أن العكبري لم يعزها وجعل أبو حيان (المجرمين) نصباً و لم يشر إلى قراءة البناء للمجهول.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ٢٦٧/٢.

وقرأ أبو السمَّال (ولا تَسْألْ) بالتاء المفتوحة والجزم، و(المجرمون) بالرفع(١). وهذه القراءة عزيت أيضاً إلى ابن سيرين و أبي العالية(٢).

وتوجيهها: أن (لا) ناهية، و (تسأل) فعل مضارع مبني للمعلوم مجزوم بـ(لا). ونقل عن ابن أبي إسحاق قوله: "لا يجوز ذلك حتى تنصب (المجرمين)(٣)."قال صاحب اللوامح: هذا هو الظاهر إلا أنه لم يبلغني فيه شيء، فإن تركاه مرفوعاً – أي المجرمون – فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون خبر مبتدأ محذوف – أي هم المجرمون، وثانيهما: بدل من أصل الهاء والميم في (ذنوبهم) لأن أصلها الرفع وإن كانت مجرورة(٤). قال الكرماني: "ورفع (المجرمون) بعيد."(٥) قال السمين عن قراءة أبي السمَّال وابن سيرين وأبي العالية وتوجيه صاحب اللوامح: "وهذا تعسف كثير، ولا ينبغي أن يقرأ ابن سيرين وأبو العالية إلا (المجرمين) بالياء فقط، وإنما ترك نقلها لظهوره"(٦). ولعله يريد بقوله : "وإنما ترك نقلها لظهوره" التنصيص على وجوب نصب المجرمين. أي لم ينقل عمن سبق؛ لأنه أمر توجبه القاعدة.والذي أرجحه هو التوجيه الأول وهو حمل (المجرمون) على أنه خبر لمبتدأ محذوف ؛ وذلك لأن التخريج على البدلية من الهاء في (ذنوبهم) بعيد جداً ؛ لأنه ينظر إلى أن هذا

---

(١) وردت معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٨٦.

(٢) انظر شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٦٨، البحر ١٣٤/٧، الدر المصون ٦٩٥/٨.

(٣) الدر المصون ٦٩٥/٨.

(٤) ورد هذا النقل في إعراب القراءات الشواذ ٢٦٧/٢،البحر المحيط ١٣٤/٧، الدر المصون ٦٩٦/٨.

(٥) شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٨٦.

(٦) الدر المصون ٦٩٦/٨.

من إضافة المصدر إلى فاعله ولو صح مثله لفتح باباً كبيراً للحن ، ولــن يعــدم اللاحن من يحمل لحنه على وجه نحوي، و لم تنضبط للعربية قاعدة حينئذٍ.

وما ذكر هنا من توجيه للقراءة هو محاولة للهروب من تلحينـها، وفي كل الأحوال هي تؤيد – إن صحت – ما يمكن أن يقال من أن العامل غـير مطرد العمل ، وإنما كان كثيره ، والدليل على ذلك كثرة خروج كلامهم على ما يقتضيه العامل ، ولكن النحويين – لاسيما البصريين – عمدوا إلى كل مـا خرج عن مقتضى العامل فحاولوا رده إليـه بالتقدير المتمحـل ، والتـأويل المتكلف ، وربما أخرج تقديرهم الكلام عن سياق المعنى .

ومن نظير هذا مما قرأ به أبو السمَّال :

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر:١٨] في هذه الآية تحويل للصيغة الفعلية من المبني للمفعول إلى المبني للفاعل، فقد قرأ العامـة (يُحمل) بالبناء للمفعول و(شيء) حينئذ نائب عن الفاعل[(١)]. وقرأ أبو السمَّال (تَحْمِلْ) بفتح التاء وكسر الميم مبنياً للفاعل، و(شيئا) بالنـصب[(٢)]. وشـاركه طلحة ورويت عن الكسائي[(٢)].

أما توجيهها فعلى أن الفعل أصبح مسنداً إلى الفاعل، ويكون الفاعـل حينئذٍ ضمير النفس المحذوفة التي جعلت مفعولة للفعل (تدع)،ويكون التقـدير: "إن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفساً إلى حملها لا تحمل تلك النفس المدعوة منـه شيئاً"[(٣)]. والضمير في رأيي عائدٌ إلى مذكور وهو (مثقلة) فهي صفة قامت مقام

(١) انظر البحر المحيط ٣٠٨/٧، الدر المصون٢٢٢/٩.

(٢) وردت معزوة إليه في البحر المحيط٣٠٨/٧، الدر المصون ٢٢٢/٩.

(٣) انظر الدر المصون ٢٢٢/٩.

موصوفها، وهو (نفس).

حذف ما تضاف إليه (قبل وبعد) وعدم نيته :

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ [الروم:٤] قرأ العامة بضم (قبل) و(بعدُ) [١].

على أنهما مبنيان على الضم لقطعهما من الإضافة [٢].

وقرأ أبو السمَّال (من قبلٍ ومن بعدٍ) بالجر منوناً[٣]. وشاركه الجحدري وعون العُقيلي[٤]. ونقل عن بعضهم أنه ليس أبا السمَّال وإنما ابن السماك عثمان بن أحمد بن عبد الله السماك وهو من القراء[٥]. والاسمان متقاربان والتحريف فيهما ممكن، ولكن الراجح أنه أبو السمَّال لأن الآخر عزيت إليه على أنه أبو السماك – عند بعضهم –[٦] ولا يوجد علم يكنى بهذا، على أن التحريف – هنا – يمكن أن يكون قد وقع في رواية من قال : أبو السماك لقرب صورة النون من الواو ، كما يقع التحريف في السمَّال لشبه صورتي اللام والكاف.

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء٢/٣٢١، مشكل إعراب القرآن ٢/٥٥٨، الكشاف ٢/٢١٤، التبيان ٢/١٠٣٦، الدر المصون ٩/٣١.

(٢) انظر التبيان ٢/١٠٣٦، الدر المصون ٩/٣١.

(٣) وردت معزوة إليه في البحر المحيط ٧/١٦٢.

(٤) المصدر السابق ٧/١٦٢.

(٥) جاء ذلك في كتاب ترشيح العلل في شرح الجمل ص٧٣، وفعل مثله محقق كتاب شفاء العليل في هامشه ٢/٧١٤.

(٦) هامش شفاء العليل ٢/٧١٤.

وعلى كل حال فالقراءة ترد في كتب النحو كثيراً دون عزو[١].

وتوجيهها هو أن (قبلٍ وبعدٍ) حذف منهما المضاف إليه و لم ينو لفظه ولا معناه فأصبحا معربين ، وجاءا منونين لزوال ما يعارض التنوين لفظاً وتقديراً[٢]، فهما نظير قول الشاعر:

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أكاد أغص بالماء الفرات[٣]

وحذف المضاف إليه وعدم نيته في (قبل وبعد) سمع عن العرب، قال الفراء: "ولو اطلقتهما بالعربية فنونت وفيهما معنى الإضافة فخفضت في الخفض ونونت في النصب والرفع كان صواباً، قد سمع ذلك من العرب وجاء في أشعارها..."[٤] ثم ذكر شواهد على ذلك.

قطع النعت:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾[سبأ:٣]قرأ عامة القراء ومنهم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بجر(عالم)[٥].

---

(١) انظر شرح الكافية ق٢ ٦٩/١، أوضح المسالك ١٥٦/٣، شفاء العليل ٧١٤/٢، الهمع ١٩٢/٣.

(٢) انظر الكشاف ٢١٤/٢، التبيان ١٠٣٦/٢، البحر المحيط ١٦٢/٧، الدر المصون ٣١/٩.

(٣) البيت لعبد الله بن يعرب، ورد ذكره في معاني القرآن ٣٢٠/٢، ترشيح العلل ص٧٣، شرح الكافية ق٦٩/١١، أوضح المسالك ١٥٦/٣، شفاء العليل ٧١٤/٢، شرح التصريح ٥٠/٢، الهمع ١٩٢/٣.

(٤) معاني القرآن ٣٢٠/٢ .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣٥١/٢،السبعة٥٢٦،إعراب القرآن للنحاس٦٥٥/٢،الكشف٢٠١/٢ حجة القراءات ص٥٨١، البحر المحيط ٢٥٧.

وله ثلاثة أوجه: أحدها: أنه صفة(لله) والمعنى: الحمد لله عالم الغيب. ثانيها: أنه صفة للرب في قوله تعالى(قل بلى وربي).ثالثها:بدل من الـــرب في قوله (وربي)[١].

وقرأ أبو السمَّال (عالمُ) بالرفع[٢]. وهو موافق لنـــافع وابـــن عـــامر ورويس وسلام والجحدري[٣]. وعزاها الفراء لأهـــل الحجـــاز[٤] ،وعزاهـــا النحاس لأهل المدينة[٥] ، ولعل المراد بأهل المدينة هنا نافع.

أما توجيهها : فالرفع على القطع عن الوصفية والاستئناف بالمـــدح ، فيكون خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: هو عالمُ، أو أنه مبتدأ والخبر ما بعده، أي لا يعزب، أو أنه مبتدأ خبره محذوف والتقدير: عالم هو[٦]. والوجه الأخير نقل عن الحوفي، وقال عنه السمين "فيه بعدٌ"[٧]. ويمكن لي أن أبين البعد من خلال أن الذي يلائم المقام الإخبار عن الرب المذكور صراحة في الآية ، فالكلام كله متجه إليه ، وليس إلى (عالم) ، ولا الإخبار عنه . ثم الأصل في الوصـــف أن يكون خبراً لا مبتدأ ، ثم إن المتبادر من المعنى أن (عالم) صفة للرب ، والصفة

(١) انظر حجة القراءات ص ٥٨١، البحر المحيط ٢٥٧/٧.

(٢) عزيت إليه في البحر المحيط ٢٥٧/٧.

(٣) انظر الكشف ٢٠١/٢،حجة القراءات ٥٨١، البحر المحيط٢٥٧/٧، الدر المصون ١٤٨/٩.

(٤) معاني القرآن ٢٥١/٢.

(٥) إعراب القرآن ٦٥٥/٢.

(٦) انظر معاني القرآن ٢٥١/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٥٥/٢، الكشف ٢٠١/٢، حجة القراءات ٥٨١، البحر المحيط ٢٥٧/٧.

(٧) الدر المصون ١٤٨/٩.

إذا قطعت عن الموصوف كانت خبراً ، والصيرورة إلى خلاف الأصل تحتاج إلى مسوغ .

والتوجيه الثاني هو الأرجح والأقوى من حيث الصناعة النحوية - مع جواز الآخَرَيْن - وذلك لأنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف، وحسّنه تقدم جواب القسم - كما قال النحاس-[1] ، ثم إنه الرأي الذي عليه النحاة[2]. أما من حيث المعنى فالإعراب الأول هو الأرجح؛ لأنه يربط الجملتين إحداهما بالأخرى بخلاف الإعراب الثاني.

كسر الاسم لالتقاء الساكنين أو بحرف قسم مقدر:

قال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[يس:١-٢] قرأ العامة بسكون النون في (يٰس)، ولها توجيهات متعددة[3]. وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق بفتح النون[4]. وفيه أوجه منها: أنه حرك بالفتح لالتقاء الساكنين، وفتح من أجل الياء، أو أنه منصوب على حذف حرف القسم، أو أنه على إضمار فعل أي: اتل ياسين، أو أنه مبني على الفتح تخفيفاً كأين وكيف، أو أنه مجرور بحرف قسم محذوف ممنوع الصرف للعلمية والتأنيث[4]. قال سيبويه: "ويجوز أن ويجوز أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما لزمت الأسماء غير

---

(١) إعراب القرآن ٢/٦٥٥.

(٢) انظر الجمل المنسوب للخليل ص١١٠، معاني القرآن للفراء ٢/٣٥١.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٧١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٠٧، المحتسب ٢/٢٤٨، مشكل إعراب القرآن ٢/٥٩٨، إعراب القراءات الشواذ ٢/٣٥٤، البحر المحيط ٧/٣٢٣، الدر المصون ٩/٢٤٣.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٧١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٠٧، المحتسب ٢/٢٤٨، مشكل إعراب القرآن ٢/٥٩٨، إعراب القراءات الشواذ ٢/٣٥٤، البحر المحيط ٧/٣٢٣، الدر المصون ٩/٢٤٣.

المتمكنة الحركات نحو كيف وأين..."[١].

وقرأ الكلبي بضم النون إما لالتقاء الساكنين أو أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه ياسينُ، أو أن ياسينُ مأخوذة من إنسان، وهو منادى، كأنه قيل: يا إنسان[٢].

وقرأ أبو السمَّال (ياسينِ) بكسر النون[٣]. وشاركه في القراءة ابن أبي إسحاق[٤].أما توجيهها فقال الفراء:"ولو خفض كما خفض: جير لا أفعل ذلك، خفضت لمكان الياء في (جير)..."[٤] وقال العكبري: "على أصل التقاء الساكنين"[٥] والكسر هو الأصل في التقاء الساكنين كما ذكر ذلك المبرد وعلله[٦].

وقال آخرون: إن الكسرة للإعراب وإن الاسم مجرور بحرف قسم مقدر[٧]. وقال العكبري عن هذا التوجيه: "إنه ضعيف جداً؛ إذ لو كان كذلك لنون"[٧] ونفى السمين جواز الإعراب أيضاً[٨]. وقال أبو حيان: هو جائز عند

---

(١) الكتاب ٢٥٨/٣.

(٢) انظر المحتسب ٢٤٨/٢، الكشاف ٣١٣/٣، إعراب القراءات الشواذ ٣٥٤/٢، البحر المحيط ٣٢٣/٧، الدر المصون ٢٤٤/٩.

(٣) وردت معزوة إليه في مختصر ابن خالويه ١٢٤، المحتسب ٢٤٨/٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٢٦، الدر المصون ٢٤٥/٩، وعزاها أبو حيان في البحر ٣٢٣/٧ للسماك، وهو مخالف لما عليه المصادر، ويظهر أنه تحريف في النسخة المطبوعة؛ وإلا لنبه عليه السمين الحلبي.

(٤) معاني القرآن ٣٧١/٢.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ٣٥٥/٢ وانظر مشكل إعراب القرآن ٥٩٩/٢.

(٦) المقتضب ١٧٤/٣.

(٧) انظر إعراب القراءات الشواذ ٣٥٥/٢.

(٨) انظر إعراب القراءات الشواذ ٣٥٥/٢، الدر المصون ٢٤٥/٩.

الكوفيين[١].

والذي أرجحه أنه كسر على الأصل في التقاء الساكنين؛ لأنه محل إجماع بين العلماء الذين وجهوا القراءة، ولأن الإعراب يقتضي تقديراً وحذفاً.

حركة ياء المتكلم المقترنة بالفعل:

قال تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[يس:٢٣] قرأ الجمهور بحذف ياء المتكلم من (يردني) التي بعد النون[٢]، وذلك لالتقاء الساكنين والاكتفاء بالكسرة، وحذفها هذا خاص بدرج الكلام[٣].

وقرأ أبو السمَّال (يردنيَ) بفتح ياء المتكلم[٤]. وعزيت إلى طلحة بن مصرف وقيل: طلحة السلماني[٥]، وعزاها بعضهم إلى أبي جعفر[٦].

أما توجيهها فهو على أن الأصل في هذه الياء الفتح فأبقي عليه[٧].

وجعل النحاس فتح ياء المتكلم – هنا – وإسكانها سواء[٨].

---

(١) البحر المحيط ٢٢٣/٧ والخلاف في الارتشاف ٤٧٨/٢، الهمع ٢٣٣/٤.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٧١٦/٢، البحر المحيط ٣٢٩/٧.

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٧١٦/٢.

(٤) وردت معزوة إليه في إعراب القراءات الشواذ ٣٦٠/٢، ولم تعز إليه في : البحر المحيط ٣٢٩/٧ الكشاف ٣١٩/٣.

(٥) انظر مختصر ابن خالويه ص١٢٥، البحر المحيط ٣٢٩/٧، الدر المصون ٢٥٥/٩.

(٦) البذور الزاهرة ص٢٦٥.

(٧) انظر إعراب القراءات الشواذ ٣٦٠/٢.

(٨) إعراب القرآن ٧١٦/٢.

ويرى الزمخشري وأبو السعود أن (إن يردنِ) بفتح الياء يعني إن يوردني ضراء[١]،أي يجعله مورداً للضراء. قال أبو حيان:"هذا – والله أعلم – رأي في كتب القراءات بفتح الياء فتوهم أنها ياء المضارعة فجعل الفعل متعدياً بالياء المعدية كالهمزة... ثم قال: والذي في كتب القراءات الشواذ أنها ياء الإضافة المحذوفة خطاً ونطقاً لالتقاء الساكنين"[٢].

تحويل المتعدي إلى لازم وتغير إعراب ما بعده:

قال تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[يس:٧٠] قرأ نافع وابن عامر (لِتُنْذِرَ) بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون من السبعة (لِيُنْذِر) بالياء على الغيبة،ويكون الفعل رافعاً لضمير يعود على النبي - صلى الله عليه وسلم - أو يعود على القرآن الكريم[٣]. وفي القراءتين (مَنْ) مفعول به.

وقرأ ابن السميفع والجحدري (لِيُنذَر) بالبناء للمجهول[٤]. و(مَنْ) نائب فاعل.

وقرأ أبو السمَّال (لِيَنذَر) بفتح الياء والذال[٥]. ووافقه ابن السميفع اليماني[٦] في رواية، أما توجيهها: فعلى أنها من (نَذِر) بكسر الذال بمعنى (علم)

(١) الكشاف ٣/٣١٩، تفسير أبي السعود ٧/١٦٤.

(٢) البحر المحيط ٧/٣٢٩.

(٣) انظر القراءة في السبعة ٥٤، إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٣٣، حجة القراءات ٦٠٣، التبيان ٢/١٠٨٥، البحر المحيط ٧/٣٤٦، الدر المصون ٩/٢٨٥.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٣٣، البحر المحيط ٧/٣٤٦، الدر المصون ٩/٢٨٥.

(٥) وردت معزوة إليه في مختصر ابن خالويه ١٢٦، البحر المحيط ٧/٣٤٦، الدر المصون ٩/٢٨٥.

(٦) انظر البحر المحيط ٧/٣٤٦، الدر المصون ٩/٢٨٥، تفسير أبي السعود ٧/١٧٨.

يقال: نَذِر به أي علمه[١]. قال النحاس: "نَذِرت بالقوم أنذر، إذا علمت بهم فاستعددت لهم"[٢].

وهذه القراءة تلتقي مع قراءة العامة ويكون الفعل فيها رافعاً لضمير يعود على الرسول – صلى الله عليه وسلم – و(مَنْ) في محل نصب مفعول به. هذا هو ظاهر التوجيه فيها، لكن الفعل (نَذِر) أصبح لازماً ولا يتعدى لمفعوله إلا بحرف الجر، وعلى هذا قد تحمل (مَنْ) على الرفع محلاً على الفاعلية مع أنها مجرورة في التقدير وكأن التقدير: ليَنذَر بمن كان حياً، أي: يعلم بمن كان حياً. وفيه بعد من حيث المعنى المراد من الآية. والأقرب للصواب – من وجهة نظري – أن نجعل (مَنْ) في محل رفع فاعل، ويكون المعنى : (ليعلم من كان حياً).

إعمال اسم الفاعل المجرد من "أل":

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾[الصافات:٣٨] [٣] قرأ العامة بحذف النون من (ذائقو) وجر (العذاب) بالإضافة[٤].

وقرأ أبو السَّمَّال (لذائقو العذاب) بحذف النون والنصب[٥]. ووافقه في

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٤٦/٧، الدر المصون ٢٨٥/٩، تفسير أبي السعود ١٧٨/٧.

(٢) إعراب القرآن ٧٣٣/٢، البحر المحيط ٣٤٦/٧.

(٣) جمعت مع هذه الآية نظائرها و لم أذكرها في موضعها بين الأنفال ويوسف عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣]؛ لأن آيات الصافات قرأها أبو السمال بأكثر من قراءة وأكثر العلماء من الحديث عنها؛ فدفعاً للتكرار جمعت معها نظائرها وإن كان موضعها التقديم، وقد نبهت على ذلك في مقدمة هذا البحث.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس ٧٤٧/٢.

(٥) وردت معزوة إليه في معاني القرآن للأخفش ٢٥٧/١،مختصر ابن خالويه ١٢٧،المحتسب١٢٣/٢=

هذه القراءة أبان بن تغلب[(١)].

أما توجيهها فمعلوم أن النحاة يشترطون لإعمال اسم الفاعل المثنى أو المجموع جمع مذكرٍ سالم أن تحذف نونه ويقترن بـ "أل" كقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء:١٦٢] الذي تحذف نونه لو قصدت إضافته ، فإن حذفت نونه و لم يقترن بأل وجبت الإضافة نحو : هذان ضاربا زيد وهؤلاء ضاربو عمر[(٢)].

أما هنا فقالوا: أجريت النون مجرى التنوين في الحذف لالتقاء الساكنين ،فهي نظير قوله تعالى: ﴿أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص:١-٢]

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا[(٣)] ... [(٤)]

ومثل هذه الآية قرأ أبو السمَّال قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣] ، وقرأ أبو السّمال بنصب لفظ الجلالة (الله)[(٥)]. وتوجه بما ذكر في

= سر صناعة الإعراب ٥٣٩/٢،إعراب القراءات الشواذ ٢٧٨/٢،البسيط في شرح الجمل ١٠٣٧/٢، البحر المحيط ٣٥٨/٧، الدر المصون٣٠٢/٩.

(١) انظر البحر المحيط ٣٥٨/٧، الدر المصون٣٠٢/٩.

(٢) انظر الكتاب ١٨٧/١، إصلاح الخلل ٢٠٤،البسيط في شرح الجمل ١٠٣٧/٢،أوضح المسالك ٢٢٥/٣.

(٣) البيت لأبي الأسود في ديوانه ص١٢٣،معاني القرآن للأخفش٢٥٧/١،شرح المفصل ٢٣٤/٩،رصف المباني ٤٩.

(٤) انظر التوجيه في معاني القرآن للأخفش ٢٥٧/١، إعراب القرآن للنحاس ٧٤٧/٢، البحر المحيط ٣٥٨/٧، الدر المصون ٣٠٢/٩.

(٥) عزيت إليه في معاني القرآن للأخفش ٢٥٧/١، سر الصناعة ٥٣٨/٢، وبلا عزو في إعراب القرآن للنحاس ٤/٢، البحر المحيط ٥/٥، الدر المصون ٦/٦.

الآية السابقة، إلا أن ابن جني حمل ما جرد من "أل" على ما فيه "أل" ، والحمل عليه في نصب ما بعده، وأنه أشبهه في كونه لا يتعرف بالإضافة كما لا يتعرف ذلك بدخول أل ؛ لكون الإضافة لفظية ، فقال : "فهذا يكاد يكون لحناً، لأنه ليست معه لام التعريف المشابهة للذي ونحوه، غير أنه شبه (معجزي) بالمعجزي وسوغ له ذلك علمه بأن (معجزي) هذه لا تتعرف بإضافتها إلى اسم الله تعالى كما لا يتعرف بها ما فيه الألف واللام وهو (المقيمي الصلاة) فكما جاز النصب في (المقيمي الصلاة) كذلك شبه به (غير معجزي الله)... "(١)

ويروي ابن جني رواية تشير إلى أن الآيتين في قراءة النصب يمكن أن توجها على إرادة التنوين؛ لأن النون في جمع المذكر السالم – عند النحويين – بمترلة التنوين في المفرد ، مستدلاً بقوله تعالى : ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ [يس:٤٠].

قال:" أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال: سمعت عمارة بن عقيل يقرأ: (ولا الليل سابقُ النهارَ) بنصب (النهار)، فقلت له: ما تريد؟ فقال: أريد سابقٌ النهارَ [بالتنوين]، فقلت: فهلا قلته ؟ قال: لو قلته لكان أوزن، أي أقوى وأقيس"(٢). وهذه الرواية لا تبعد عن حذف التنوين لالتقاء الساكنين.

وحكم بعض العلماء على أبي السمال باللحن في قراءته ،قال أبو زيد: "وكان أبو السمال يقرأ حرفاً يلحن فيه بعد أن كان فصيحاً ، وهو قوله : (إنكم لذائقو العذابَ الأليمَ) يقرأ (العذاب) بالنصب."(٣)

(١) المحتسب ١٢٣/٢.

(٢) انظر المحتسب ١٢٣/٢، سر صناعة الإعراب٢ /٥٣٩، الخصائص ١٢٥/١.

(٣) انظر الإيضاح١/١٥٠،وفي إعراب القراءات الشواذ٣٧٨/٢ عزى القول لأبي علي الفارسي، والحق أنه ناقل له فقط، البسيط في شرح الجمل ١٠٣٧/٢.

وحكم العكبري على أبي السمال بالسهو في هذه القراءة،قال: "وهو سهو من قارئه؛ لأن اسم الفاعل تحذف منه النون وينصب إذا كان فيه الألف واللام"[(١)].

وحُكْمُ أبي زيد والعكبري يخالفه وصف الأخفش لأبي السمال عند هذه القراءة بأنه فصيح، وأن حذف النون ونصب ما بعد اسم الفاعل جائز إلا أنه في الشعر أمثل[(٢)]. ورد السمين الحلبي على العكبري بأنه ليس بسهو ثم وجه الآية[(٣)]. قلت: وأجمع القراء على الجر في قوله تعالى:﴿كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ [الدخان:٣] ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة:١٢] ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة:١] ﴿مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ [القمر:٢٧] و لم أجد من نقل فيها غير ذلك،ولكن لو ورد لحمل على ما ذكر.

وقراءة أبي السمَّال يعضدها غير البيت السابق قول الآخر:

ومساميح بما ضُنّ به حابسو الأنفسَ عن سود الطمع[(٤)]

وكذا قول قيس بن الخطيم :

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نطف[(٥)]

وإن كانت القراءة باقية على مخالفتها لقواعد النحاة مما جعلهم يعدونها

(١) التبيان ١٠٨٩/٢، وانظر الدر المصون ٣٠٢/٩.

(٢) معاني القرآن ٢٥٧/١.

(٣) الدر المصون ٣٠٢/٩.

(٤) القائل سويد بن أبي كاهل اليشكري: انظر المفضليات ص١٩٤ وفيها بالجر على القياس، المحتسب ١٢٣/٢، شفاء العليل ١٤٤/١.

(٥) انظر ملحقات الديوان ١٧٢، الكتاب ١٨٦/١، المقتضب ١٤٥/٤، همع الهوامع ١٦٨/١.

لحناً[١].

وفي كل الأحوال فالشواهد لا ضرورة فيها، إذ يمكن النصب والخفض، وإذا صحت القراءة وصحت الرواية في الشواهد الشعرية بالنصب فإن قواعد النحاة حينئذ إما مبنية على استقراء ناقص وإما أنها مقتصرة على الأفصح دون الصحيح، وإن لم يشتهر.

وجدير أن أشير – هنا – إلى أن أبا السمَّال قرأ آية الصافات قراءة أخرى وهي (لذائقٌ العذابَ) بتنوين القاف مفردة ونصب (العذاب)[٢] وتوجيهها: أن (ذائق) صفة لموصوف محذوف اسم جمع أي: إنكم لفريق، أو لَجَمْعٌ ذائق العذاب، ليتطابق الاسم والخبر في الجمعية[٣]. ونصب العذاب جاء على قياس اللغة في اسم الفاعل المنون، قال سيبويه: "هذا ضارب زيداً غداً، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيداً غداً..."[٤]

(ص) نوعها وحكمها الإعرابي:

قال تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص:١] قرأ الجمهور (صادْ) بسكون الدال على أنه حرف من حروف التهجي في أوائل السور[٥]. وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر الدال مع التنوين، وذلك إما على أنه اسم للسورة وجر بالقسم

---

(١) صرح بذلك ابن أبي الربيع في البسيط في شرح الجمل ١٠٨٣/٢.

(٢) وردت القراءة معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٠٥، الدر المصون ٣٠٢/٩.

(٣) انظر الدر المصون ٣٠٢/٩.

(٤) الكتاب ١٦٤/١.

(٥) انظر الكتاب ٢٦٥/٣، معاني القرآن للفراء ٣٩٦/٢، المحتسب ٢٧٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ٧٧٩/٢، مشكل إعراب القرآن ٦٢٢/٢، الدر المصون ٣٤٣/٩.

المحذوف وإما أنه نون كما تنون أسماء الفعل مثل صهٍ ومهٍ(١).

وقرأ الحسن البصري وابن السميفع وهارون الأعور (صادُ) بالضم من غير تنوين على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي هذه صاد، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث(٢).

وقرأ عيسى بن عمر بالفتح على أنها حركة بناء أو على الجر بحرف قسم مقدر وهو ممنوع من الصرف أو على أنه مفعول به لفعل مضمر أي (اتل صادَ)(٣).

وقرأ أبو السمَّال (صادِ) بكسر الدال(٤). وشاركه أبي بن كعب والحسن البصري وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم وابن أبي عبلة(٥).

أما توجيهها فعلى وجوه، منها: أنه فعل أمر من صادى يصادي إذا عارض، أي عارض بالقرآن عملك، وتكون الواو على هذا بمعنى الباء(٦). وقال ابن جني: "قال أبو علي هو فاعل من الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة، وليس فيه أكثر من جعل الواو بمعنى الباء في غير القسم"(٧).

---

(١) انظر المصادر السابقة، وتوجيهه على أنه حرف الأصل فيه البناء على السكون، ثم نون بالكسر كما نون نظيره في البناء.

(٢) انظر المحتسب ٢/٢٧٦، البحر المحيط ٧/٣٨٣.

(٣) انظر المحتسب ٢/٢٧٦، البحر المحيط ٧/٣٨٣، الدر المصون ٩/٣٤٤.

(٤) عزيت إليه في مختصر ابن خالويه ١٢٩، البحر المحيط ٧/٣٨٣، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢١٩، فتح القدير ٤/٤١٩، الدر المصون ٩/٣٤٣.

(٥) انظر المحتسب ٢/٢٧٦، البحر المحيط ٧/٣٨٣، الدر المصون ٩/٣٤٣.

(٦) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٧٩،المحتسب ٢/٢٧٦، مشكل إعراب القرآن ٢/٦٢٢، إعراب القراءات الشواذ ٢/٣٨٦، البحر المحيط ٧/٣٨٣، الدر المصون ٩/٣٤٣.

(٧) المحتسب ٢/٢٧٦.

ومنها: أن الكسر لالتقاء الساكنين[1]. والمقصود الألف والصاد؛لأن الأصل(صادْ) فكسرت الدال لالتقاء الساكنين في الوصل.

ولهذه الآية نظائر كثيرة، منها قوله تعالى:﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القلم :١] و﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [ق :١] والأولى فيها جميعاً أن تكون حروفاً كسرت لالتقاء الساكنين نطقاً.

حكم الاسم بعد "لات":

قال تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ [ص:٣] قرأ الجمهور بنصب (حين)[2]، وقرأ أبو السمَّال وعيسى بن عمر (حينُ) بالرفع[3].

ووجهت قراءة العامة على حذف اسم (لات) العاملة عمل (ليس)، والتقدير: ولات الحين حين مناص[4]. وهذا أوضح التوجيهات فيها، وقيل غيره[5]. أما توجيه قراءة أبي السمَّال وعيسى بن عمر، فعلى أن (لات) عاملة

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٧٩، المحتسب ٢/٢٧٦، إعراب القراءات الشواذ ٢/٣٨٦، البحر المحيط ٧/٣٨٣، الدر المصون ٩/٣٤٣.

(٢) انظر الدر المصون ٩/٣٤٧.

(٣) وردت معزوة في مختصر ابن خالويه ١١٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢١٩، البحر المحيط ٧/٣٨٣، وبلا عزو في الكتاب ١/٥٨، معاني القرآن للأخفش ٢/٦٧٠، تأويل مشكل القرآن ٥٢٩، الدر المصون ٩/٣٤٧، ونقل أبو حيان في البحر ٧/٣٨٤ أن قراءة عيسى بن عمر (ولاتِ حينٍ) بكسر التاء وجر النون وذكر توجيهات لها، قال: إن فيها تمحلاً.

(٤) انظر الكتاب ١/٥٨، معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٧، معاني القرآن للأخفش ٢/٦٧٠، تأويل مشكل القرآن ٥٢٩.

(٥) انظرها مفصلة في الدر المصون ٩/٣٤٧-٣٥٢.

عمل (ليس) فتكون (حينُ) اسم (لات) والخبر محذوف. قال سيبويه: "وزعموا أن بعضهم قرأ (ولات حينُ مناص) وهي قليلة كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك:

من فــرّ عن نيرانهـــا فأنا ابن قيس لا براحُ[١]

جعلها بمنزلة (ليس)، فهي بمنزلة (لات) في هذا الموضع في الرفع."[٢]

وهذا التوجيه جرى عليه الأخفش[٣] وابن قتيبة[٤] والعكبري[٥]، وقدر الزمخشري الخبر المحذوف، فقال: "والرفع على: ولات حينُ مناص حاصلاً له"[٦].

ونقل ابن السراج[٧] والسيوطي[٨] عن الأخفش أنها لا تعمــل شــيئاً، فتكون (حين) حينئذٍ مبتدأ محذوف الخبر، أي ولا حين مناص كائن لهم.

قال السيوطي: "بل الاسم الذي بعدها إن كان مرفوعاً فمبتدأ أو منصوباً فعلى إضمار فعل"[٢].

ويبدو أن للأخفش في المسألة أكثر من رأي، والذي في معاني القــرآن[٩] موافــقــة سيــبويه، قال: "(ولات حين مناص) فشبهوا (لات) بــ (لــيس)

---

(١) الكتاب ٥٨/١،الأمالي الشجرية ٣٢٣/١،التبيان ١٠٩٧/٢،الدر المصون ٣٤٨/٩،الهمع ١١٩/٢.

(٢) الكتاب ٥٨/١.

(٣) معاني القرآن ٦٧٠/٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن ٥٢٩.

(٥) التبيان ١٠٩٧/٢.

(٦) الكشاف ٣٥٩/٣، ومثله فعل أبو السعود في تفسيره ٢١٤/٧.

(٧) الأصول ١١٢/١، وكذا أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٣/٧.

(٨) الهمع ١٢٣/٢.

(٩) ٦٧٠/٢.

وأضمروا فيها اسم الفاعل، ولا تكون (لات) إلا مع (حين) ، ورفع بعضهم (ولات حينُ مناص) فجعله في قوله مثل (ليس) كأنه قال: ليس أحد، وأضمر الخبر"، أما قوله بعدم العمل فنقل في التعليقات على كتاب سيبويه[١].

ونقل عن أبي السمَّال أنه قرأ بضم التاء في (لاتُ)[٢]. و لم أجد من تحدث عن توجيه ضم التاء إلا الرعيني في "تحفة الأقران"[٣]، قال: "وذهب بعضهم إلى أن (لات) مبنية على الضم مثل منذ و(رُبَّ) في لغة".

احتمال الاسم لأوجه الإعراب الثلاثة :

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الذاريات:٤٦] قرأ الأخوان[٤] وأبو عمرو بجر الميم في (قوم)، والباقون بنصبها[٥].

وقرأ أبو السمَّال وابن مقسم وأبو عمرو في رواية الأصمعي بالرفع[٦].

وقد تحدث المعربون عن توجيه قراءتي الجر والنصب، وذكروا للجر أربعة أوجه وللنصب ستة أوجه[٧]. أما الرفع -وهو قراءة أبي السمَّال ومن

---

(١) الكتاب ١/ ٥٨ حاشية.

(٢) انظر مختصر ابن خالويه ١١٢، البحر المحيط ٧/ ٣٨٤.

(٣) ص٧٠.

(٤) هما حمزة والكسائي.

(٥) انظر السبعة لابن مجاهد ٦٠٩، معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٨ وعزاها للأعمش وأصحابه، الكشف ٢/ ١٨٩، الإقناع ٢/ ٧٧٢، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥٢، البحر المحيط ٨/ ١٤١، الدر المصون ١٠/ ٥٦.

(٦) وردت معزوة في البحر ٨/ ١٤١، الدر المصون ١٠/ ٥٦، تحفة الأقران ص١٧٧.

(٧) انظرها مفصلة في الكشف ٢/ ١٨٩، الدر المصون ١٠/ ٥٦، تحفة الأقران ص١٧٧.

معه - فلم يتحدث عن توجيهها إلا قلة ، منهم العكبري الذي قال: "بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده، أو على تقدير: أهلكوا"[١].

وقال السمين: "وأما الرفع فعلى الابتداء والخبر مقدر، أي أهلكناهم، وقال أبو البقاء: والخبر ما بعده، يعني قوله : (إنهم كانوا قوماً فاسقين) ولا يجوز أن يكون مراده (من قبل)؛ إذ الظرف ناقص لا يخبر به."[٢] وما قاله السمين ذكره قبله شيخه أبو حيان[٣].

وجلي أنها لا يمكن أن تحمل على غير ما ذكر، ولكن تقدير الخبر عند أبي حيان والسمين بـ (أهلكناهم) يدخل (قوم) في باب الاشتغال، ويسلط عليها احتمالات جديدة، ولهذا فتقدير العكبري أولى وأسلم. والواو في قراءة الرفع استئنافية، والكلام منقطع عما قبله. وعلى كل حال فالاحتمالات كلها صحيحة لكن بعضها أقوى من بعض فـ (إنهم) إن في هذا الأسلوب تدل على التعليل ، فينبغي أن يكون المعلل محذوفاً ؛ لأنه لم يذكر ، ومعنى الكلام أهلكناهم لأنهم كانوا...

ترك تنوين الاسم المصروف:

قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[الطور:٣٤] قرأ العامة بتنوين (حديث)[٤] ويكون (مثله) حينئذٍ صفة له[٥].

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/١١٨٢.

(٢) الدر المصون ١٠/٥٧، وانظر تحفة الأقران ص١٧٧.

(٣) البحر المحيط ٨/١٤١ .

(٤) انظر الكشاف ٤/٢٥، الدر المصون ١٠/٧٧.

(٥) البحر المحيط ٨/١٥٢، الدر المصون ١٠/٧٧.

وقرأ أبو السمَّال (بحديثِ مثلهِ) بالإضافة وحذف التنوين[١]. وشاركه في هذه القراءة الجحدري[٢].

ووجهت القراءة بأن (حديث) مضاف إلى موصوف محذوف قامت الصفة مقامه فأخذت حكمه وهو الجر. والتقدير: بحديث رجل مثله، ويكون الضمير في (مثله) عائداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأما على قراءة العامة فالضمير عائد على القرآن الكريم[٣]. واستدل ابن جني[٤] على عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة أبي السمَّال والجحدري بالآية التي قبل هذه وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الطور:٣٣].

قلت : ويمكن على هذه القراءة أن يعود الضمير على القرآن كما يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا قدرنا الموصوف المحذوف "بحديث كتاب مثله" أو "ذكر مثله" فهو للقرآن ، وإذا قدرنا: رجل مثله فهو النبي – صلى الله عليه وسلم – . والذي أراه أن كل الاحتمالات لا تنساق مع المعنى؛ لأن المتحدى به القرآن الكريم وليس شيئاً آخر، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[الإسراء:٨٨]، والتحدي بالإتيان بحديث مثل حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – لا معنى له، ولا معنى

(١) وردت القراءة معزوة إليه في البحر المحيط ١٥٢/٢، الدر المصون ٧٧/١٠، وبلا عزو في الكشاف ٢٥/٤.

(٢) عزيت إليه في المحتسب ٣٤٢/٢، البحر المحيط ١٥٢/٢، الدر المصون ٧٧/١٠.

(٣) انظر المحتسب ٣٤٢/٢، الكشاف ٢٥/٤، الدر المصون ٧٧/١٠.

(٤) المحتسب ٣٤٢/٢.

أيضاً لتقدير (بحديث كتاب مثله) ؛ لأن المراد الإتيان بمثل الكتاب في نظمه وإعجازه. والأقرب أن تحمل القراءة على أن التنوين ترك لأجل التخفيف، صحيح أن ذلك موضعه الضرورة، ولكن لعله لغة لقوم من العرب قرأ بها القارئان.

فتح همزة (إن) المكسورة :

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٤٢] قرأ العامة بفتح الهمزة، وكذلك كل الآيات التي لحقت بها[١].

وقرأ أبو السمَّال (إنّ) بكسر الهمزة[٢]. ووافقه أبان بن تغلب وابن السميفع اليماني، وابن أبي عبلة [٢].وتوجيهها على أنها مستأنفة، وهمزة (إنّ) تكسر في الابتداء، قال الفراء: "ولو قرئ (إن) بالكسر على الاستئناف كان صواباً " [٣] وما قاله هو ما سار عليه من جاء بعده كالزمخشري والعكبري والسمين الحلبي[٤].

جواز الوجهين في الاسم المشغول عنه مع رجحان النصب:

قال تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ [القمر:٢٤] قرأ العامة بنصب (بشراً)[٥].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٠١/٢، الكشاف ٣٤/٤، البحر المحيط ١٦٨/٨.

(٢) وردت معزوة في إعراب القراءات الشواذ ٥٢٤/٢، شواذ القراءة ق١٣١، الدر المصون ١٠٥/١٠.

(٣) معاني القرآن ١٠١/٢.

(٤) الكشاف ٣٤/٤، إعراب القراءات الشواذ ٥٢٤/٢، الدر المصون ١٠٥/١٠.

(٥) معاني القرآن للأخفش ١٨٠/٢، الكشاف ٣٩/٤، التبيان ١١٩٤/٢، الدر المصون ١٨٣/١٠.

وهذا هو الراجح عند النحاة لتقدم أداة هي بالفعل أولى، قال سيبويه: "تقول: أعبد الله ضربته، وأزيداً مررت به وأعمرًا قتلت أخاه ... ففي كل هذا قد أضمرت بين الألف والاسم فعلاً هذا تفسيره.. فإذا أوقعت عليه الفعل أو على شيء من سببه نصبته"(١).

وقرأ أبو السمَّال (أبشرٌ منا واحدٌ) بالرفع لـ(بشر) و (واحد)(٢).

وعزاها القرطبي إليه وذكر معه أبا الأشهب وابن السميفع اليماني(٣).

أما توجيه الرفع في (بشر) فعلى أمرين:

١) أنه مبتدأ، وجملة (نتبعه) خبر(٤).

٢) أنه مرفوع بفعل محذوف يدل عليه المذكور، قال ابن جني: "(بشر) عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾[القمر:٢٥]، فكأنه قال: أينبأ أو يبعث بشر منا؟"(٥) وقال العكبري: هو على إضمار فعل، أي: أيتبع أو يطاع(٦).

أما (واحدٌ) بالرفع فصفة لـ (بشر) سواء أكان مبتدأ أم كان فاعلاً.

والذي أرجحه في إعراب (بشرٌ) بالرفع الابتدائية، لأنها لا تحتاج إلى تقدير، ولكن لعل الذي دفع بعض العلماء إلى تقدير فعل هو همزة الاستفهام؛

---

(١) الكتاب ١٠٢/١، وانظر المقتضب ٧٦/٢، أوضح المسالك ١٦٥/٢.

(٢) وردت معزوة له وحده في مختصر شواذ ابن خالويه ١٤٨، المحتسب ٣٤٨/٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٣٣، البحر المحيط ١٧٩/٨، الدر المصون ١٣٩/١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣٧/١٧.

(٤) الكشاف ٣٩/٤، الدر المصون ١٣٩/١٠.

(٥) المحتسب ٣٤٨/٢.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ٥٣١/٢.

لأن الغالب أن يليها فعل[١]. على أن من العلماء من يوجب الرفع بعد الاستفهام إذا كان الاستفهام عن الاسم[٢].

ونقل السمين الحلبي قراءة أخرى في (واحد) وهي نصبه مع رفع (بشر) وعزاها إلى أبي السمَّال، قال: "وقرأ أبو السمَّال أيضاً فيما نقل ابن خالويه وأبو الفضل وابن عطية برفع (بشر) ونصب (واحداً)..."[٣].

قلت: وهي قراءة نص ابن جني على أنها لأبي السمَّال[٤].

أما توجيهها فلها توجيهان:

أولهما: أنه حال من الضمير في (منا) أي: أينبأ بشر كائن منا؟ والناصب لهذه الحال الظرف، كقولك: زيد في الدار جالساً[٥].

ثانيهما:أنه حال من الضمير في (نتبعه)، أي نتبعه واحداً منفرداً لا ناصر له[٦].

رفع الاسم المشغول عنه المترجح نصبه:

قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر:٤٩] قرأ عامة القراء بنصب(كل)[٧].
وتوجيهه بأن النصب بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور، ورجح بعضهم هذه

---

(١) أوضح المسالك ١٦٥/٢.

(٢) هو ابن الطراوة، انظر أوضح المسالك ١٦٥/٢.

(٣) الدر المصون ١٣٩/١٠. وما نقله عن ابن خالويه ليس في مختصر الشواذ، وقد نبه إلى ذلك المحقق وتأكدت مما قال فلم أجد غيره.

(٤) المحتسب ٣٤٨/٢.

(٥) المصدر السابق ٣٤٩/٢.

(٦) انظر المحتسب ٣٤٩/٢، الدر المصون ١٣٩/١٠ وعزي التخريج لأبي الفضل الرازي.

(٧) انظر الكتاب ١٤٨/١، التبيان في إعراب القرآن ١١٩٦/٢، الدر المصون ١٤٦/١٠.

القراءة لأن النصب يرفع توهم الصفة، وذلك لأن الصفة لا تعمل في الموصوف، وما لا يعمل لا يفسر عاملاً[١]. ونُقِل عن الرماني توجيه غريب لنصب (كـل) وهو أنه بدل من اسم (إن)[٢].

وقرأ أبو السمَّال برفع (كلٌّ)[٣]. وعزيت إلى أبي رجاء وأبي حيوة وأبي العالية وقتادة وعمرو بن عبيد[٤].

وتوجيه قراءة الرفع على الابتداء، وجملة (خلقناه) نعت لـ (كـل) أو لـ (شيء) و(بقدر) خبر المبتدأ[٥]. وهذا التخريج لا يوافق معنى الآية، ولـو صح لكان معناها: كل شيءٍ مخلوقٍ بقدر، وليس (شيء) في حاجة إلى الوصف إذ كل شيء هو مخلوق، والمراد أن كلمة "مخلوق" بعد شيء فضول ؛ لأن كـل شيء هو مخلوق فلا فائدة في ذكر أنه مخلوق ؛ لأنه تحصيل حاصل ، إنما الـذي يحتاج إلى أن يذكر لأن الكافرين كانوا لا يعرفونه أو ينكرونه هـو التقـدير . والتخريج الذي يلائم المعنى هو ما ذهب إليه بعضهم من جعل (خلقناه) خـبراً، والتقدير: كل مخلوق مخلوقٌ بقدر[٦].

ويرى سيبويه أن قراءة النصب – مع أنها قراءة العامة – جاءت على غير الراجح، وجعل الآية نظير قولهم : "زيداً ضربته" ولكنه قال : " إلا أن القراءة لا

---

(١) انظر شرح الكافية ق ٥٥٢/٢١، الارتشاف ١٠٩/٣، أوضح المسالك ١٧٠/٢.

(٢) نقلها الأصفهاني في شرح اللمع ٥٦٦/٢ وقال: "إنه فاسد".

(٣) عزيت له وحده في: المحتسب ٣٥٠/٢، مختصر ابن خالويه ص ١٤٨، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٣٣، البحر ١٨٣/٨، الدر المصون ١٤٦/١٠.

(٤) انظر جامع البيان ٦١/٢٧، الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٧.

(٥) انظر التبيان في إعراب القرآن ١١٩٦/٢، الدر المصون ١٤٦/١٠.

(٦) انظر شرح الكافية ق١ ٥٥٣/٢.

تخالف، لأن القراءة السنة."[١]

وقراءة أبي السمَّال - هنا - جاءت على الراجح من قواعد اللغة، ولهذا جعلها ابن جني أقوى من قراءة النصب، وردّ على المبرد الذي اختار النصب[٢].

والذي يتراءى لي أن الذي رجح النصب هو أن الرفع يجعل جملة (خلقناه) صفة في أحد الاحتمالين السابقين - كما نص على ذلك كثيرون[٣] - قال الأخفش: "فجعل (خلقناه) من صفة الشيء"[٤] وجَعْلُها صفة يدل على أن الله لم يخلق كل شيء، وإنما خلق الخير فقط، وهذا مذهب المعتزلة، وأما على احتمال أن الجملة خبر، فيدل على أن الله خلق كل شيء: الخير والشر، وهذا مذهب أهل السنة.

وتلافياً لهذه الاحتمالات ودفعاً لها ترجح النصب مع أنه يحتاج إلى تقدير، ولعل ابن جني حينما قوى القراءة الشاذة نظر إلى الصناعة النحوية و لم ينظر إلى المعنى.

وأبو السمَّال ديدنه الرفع في هذه الآية وفي نظيراتها التي لا يترتب على الرفع فيها فساد للمعنى. فقد قرأ به[٥] في قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:١٢] وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾

---

(١) الكتاب ١/١٤٨.

(٢) المحتسب ٢/٣٥٠.

(٣) انظر أوضح المسالك ٢/١٦٩ ، ١٧٠.

(٤) معاني القرآن ٢/٧٠٠.

(٥) عزيت القراءة إليه في مختصر ابن خالويه ص٧٥، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق١٣٦، الدر المصون ٩/٢٥٠.

[الإسراء:١٣]وقوله جل ثناؤه: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس:١٢] وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا﴾[النبأ:٢٩] مع رجحان النصب في ذلك؛ لأن الاسم معطوف على جملة فعلية غير مسبوقة بـــ (أما) فترجح النصب للتناسب بين الجمل[١]. ويدخل تحت هذا العنوان قراءة أبي السمَّال لقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾[٢] [الذاريات: ٤٧ – ٤٨] ، فالجمهور قرءوا ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ و﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنصب وذلك على الاشتغال ، أي بنينا السماء بنيناها، وفرشنا الأرض فرشناها.[٣]وقرأها أبو السمَّال بالرفع،على أنهما مبتدأ وما بعدهما خبر[٤] والنصب أولى وأرجح ؛ لأن به يتحقق عطف جملة فعلية على أخرى فعلية.

ولعل الأمر الذي يمكن أن نعلل به ظاهرة تغليب الرفع عند أبي السمَّال هو أنه الأصل وهو لا يحتاج إلى تقدير. مع أننا مسلمين مسبقاً بأن القارئ يقرأ ما انتهى إليه بالنقل فقط بغض النظر عن التوجيه اللغوي.

مراعاة الجملة ذات الوجهين في الاسم المشغول عنه:

قال تعالى : ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٦-٧] وقال سبحانه : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠] قرأ العامة (السماء) و(الأرض) بالنصب[٥] .

(١) انظر أوضح المسالك ١٦٨/٢.

(٢) الآيتان ٤٧-٤٨ الذاريات ، وأخرتها عن موضعها جمعاً للنظائر.

(٣) انظر الدر المصون ٥٨/١٠.

(٤) وشاركه في القراءة مجاهد وابن مقسم ، انظر البحث المحيط ١٤٢/٨ ، الدر المصون ٥٨/١٠.

(٥) انظر المحتسب ٣٥٢/٢، البحر المحيط ١٩٠/٨، الدر المصون ١٥٨/١٠.

وقرأ أبو السمَّال وحده برفعهما[١]. والقراءتان متساويتان من حيث الصناعة؛ لأن العطف على جملة ذات وجهين[٢]. فقراءة النصب عطف على جملة (يسجدان) ويقدر بـ (ورفع السماء رفعها) ، نحو قولهم: قام زيد وعمراً ضربته. قال ابن جني: "وفي نصب (السماء) على قراءة العامة رد على أبي الحسن في امتناعه أن يقول: زيد ضربته وعمراً كلمته على أن يكون تقديره: كلمت عمراً، عطفاً على ضربته، قال: لأن قولك (ضربته) جملة ذات موضع من الإعراب لكونها خبر المبتدأ، وقولك: (وكلمت عمراً) لا موضع لها؛ وليست خبراً عن زيد لخلوها من ضميره، قال: فلا يعطف جملة غير ذات موضع على جملة ذات موضع.."[٣] .أما سيبويه فيجوز عنده ما منعه الأخفش، قال: "وذلك قولك: عمرو لقيته وزيد كلمته. إن حملت الكلام على الأول، وإن حملته على الآخر قلت: عمرو لقيته وزيداً كلمته"[٤]،

وهذان الرأيان من أربعة آراء ذكرها أبو حيان، ثالثها: إن كان العطف بالواو أو الفاء جازت وإلا فلا، والرابع:إن كان العطف بثم جاز وإلا فلا[٥].

وجعل العكبري النصب أولى من الرفع، ثم جعل النصب إما على الجملة الصغرى (يسجدان) ، وإما على جملة فعلية كبرى وهي جملة: ﴿ خَلَقَ

---

(١) وردت معزوة إليه في مختصر ابن خالويه ص١٤٨، المحتسب ٣٥٢/٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٣٤، البحر المحيط ١٩٠/٨، الدر المصون ١٥٨/١٠.

(٢) انظر الكتاب ٩١/١، شرح الكافية ق٥٤٤/١١، الارتشاف ١١٠/٣.

(٣) المحتسب ٣٥٢/٢، وانظر شرح الكافية ق١ ٥٥٤/١.

(٤) الكتاب ٩١/١.

(٥) انظر الارتشاف ١١٠/٣.

ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾[الرحمن:٣] في أول السورة(١).

أما توجيه قراءة أبي السمَّال بالرفع فلمراعاة الجملة الكبرى و (السماء) مبتدأ، والجملة بعدها خبر، وإذا كان العكبري جعل النصب أولى من الرفع فقد جعل ابن جني الرفع أظهر من النصب، قال: الرفع هنا أظهر على قراءة الجماعة، وذلك أنه صرفه إلى الابتداء؛ لأنه عطفه على الجملة الكبيرة التي هي قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) فكما أن هذه الجملة مركبة من مبتدأ وخبر فكذلك (والسماء رفعها) جملة من مبتدأ و خبر..."(٢).

وجلي أن القراءتين متساويتان من حيث القوة؛ لأن ما علل به ابن جني قوة قراءة أبي السمَّال بالرفع يقابله ما علل به العكبري من أن قراءة النصب يمكن حملها على العطف على (خلق الإنسان) كما أن القول بأن الرفع لا يحتاج إلى تقدير فهو أولى يقابله أن الجملة الفعلية أقرب إلى المعطوف فهي أولى(٣). وحصول التشاكل بين الجملتين يتحقق على القراءتين، مع أن النصب قراءة متواترة، والرفع قراءة شاذة، إلا أنه ينبغي أن أشير إلى وجاهة قول أبي الحسن الأخفش- السابق- وانسياقه مع مقتضى المعنى،وموافقة قراءة أبي السمَّال لذلك. وما يقال عن (السماء) من إعراب وتقدير واحتمال يقال عن (الأرض) في الآية الثانية.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١١٩٧/٢.

(٢) المحتسب ٣٥١/٢.

(٣) انظر شرح الكافية ق٥٥٤/١١.

إحلال (لما) محل (لم) :

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦] قرأ الجمهور (ألم)[١] وتوجيهها ظاهر، وقرأ أبو السمَّال (ألما)[٢]. وبها قرأ الحسن البصري[٣].

أما توجيهها فقال ابن جني: "أصل (لما) (لم) زيد عليها (ما) فصارت نفياً لقوله: قد كان كذا. و(لم) نفي فعل. تقول: قام زيد، فيقول المجيب بالنفي: لم يقم، فإن قال: قد قام، قلت: لما يقم، لما زاد في الاثبات (قد) زاد في النفي (ما)، إلا أنهم لما ركبوا (لم) مع (ما) حدث لها معنى ولفظ. أما المعنى فإنها صارت في بعض المواضع ظرفاً، فقالوا: لما قمت قام زيد، أي وقت قيامك قام زيد، وأما اللفظ فلأنها جاز أن يقف عليها دون مجزومها كقولك: جئت ولما، أي ولما تجيء، ولو قلت: جئت و لم لم يجز"[٤]

والنحاة يكثرون من الحديث عن الفرق بين "لم" و"لما" ويفصِّلون ذلك في كتبهم[٥]. وهناك قراءة أخرى في الآية أذكرها هنا للمناسبة، فقد قرأ العامة الفعل (يأن) على أنه مجزوم بحذف حرف العلة من أنى يأني ، أي حان وقرب،

---

(١) انظر المحتسب ٣٦٣/٢، إعراب القراءات الشواذ ٥٦٢/٢، البحر المحيط ٢٢٢/٨، الدر المصون ٢٤٦/١٠.

(٢) عزيت إليه في البحر المحيط ٢٢٢/٨، فتح القدير ١٧٢/٥، الدر المصون ٢٤٦/١٠.

(٣) وردت معزوة إليه في المحتسب ٢٦٣/٢، مختصر ابن خالويه ١٥٢، البحر المحيط ٢٢٢/٨، الدر المصون ٢٤٦/١.

(٤) المحتسب ٢٦٣/٢.

(٥) انظر شرح المفصل ١٠٩/٨، الارتشاف ٥٤٤/٢،٥٤٥، رصف المباني ٣٥٠،٣٥١، الجنى الداني ٥٩٢، المغنى ٢٧٨/١.

فهي مثل رمى يرمي[١].

وقرأ أبو السمَّال (يَئِنْ) بسكون النون[٢]. وشاركه الحسن البصري[٣].

وتوجيهها: أن (يئن) فعل مضارع من آن بمعنى حان، مثل باع يبيع[٤]. قال النحاس: "آن يئين وأنى يأني وحان يحين ونال ينال وأنال ينيل بمعنى واحد"[٥] وقال العكبري: " آن يئين و لم يئن مثل حان يحين و لم يحن[٦]. فيئن فعل مضارع مجزوم بالسكون وحذف ما قبل آخره لالتقاء الساكنين.

المفعول المطلق المؤكد:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾[الحاقة:١٣] قرأ العامة برفع (نفخة) و (واحدة)[٧]. وذلك على أن (نفخة) نائب فاعل[٨]، قال النحاس: "لما نعت المصدر حسن رفعه، ولو كان غير منعوت كان منصوباً لا غير."[٩]

وكل العلماء ينصون على أن إنابة المصدر تصح إذا كان منعوتاً[١٠].

---

(١) انظر إعراب القراءات الشواذ ٥٦٣/٢، البحر المحيط ٢٢٢/٨، الدر المصون ٢٤٦/١٠.

(٢) عزيت له في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٣٨.

(٣) عزيت إليه في إعراب القرآن للنحاس ٣٥٩/٣، البحر المحيط ٢٢٢/٨، الدر المصون ٢٤٦/١٠.

(٤) انظر البحر المحيط ٢٢٢/٨، الدر المصون ٢٤٦/١٠.

(٥) إعراب القرآن ٣٥٩/٣.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ٥٦٣/٢.

(٧) انظر البحر المحيط ٣٢٢/٨.

(٨) انظر كتاب الجمل للزجاجي ص٨١، أوضح المسالك ١١٤١/٢، الدر المصون ٤٢٨/١٠.

(٩) إعراب القرآن ٤٩٨/٣.

(١٠) انظر المقتضب ٥٣/٤، الجمل ٨١، أوضح المسالك ١٤١/٢.

وقرأ أبو السمَّال (نفخةً واحدةً) بنصبهما[١]. ووجهها العلماء على أن الجار والمجرور (في الصور) نائب عن الفاعل، ونصب (نفخة) على أنها مفعول مطلق و(واحدة) تابع مبين للعدد[٢]. وهذا النصب مع بناء الفعل للمجهول جائز، قال الزجاجي: "وتقول: ضُرِب بزيد ضربٌ شديد، رفعت الضرب لما خفضت زيداً، ولو قلت: ضُرب بزيد ضرباً شديداً على أن تقيم (بزيد) مقام الفاعل جاز لك ما فسرت لك، ولكن الرفع في المصدر إذا نعت أحسن.. والنصب جائز."[٣]

ونقل عن أبي السمَّال أيضاً أنه قرأ الآية ببناء الفعل (نفخ) للمعلوم ونصب نفخة واحدة[٤]. وتوجيه هذه القراءة على أن الفاعل ضمير مستتر، و (نفخة) مفعول مطلق، و(واحدة) توكيد له[٥].

حذف عامل المصدر:

قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة:٤٣]، قرأ عامة القراء (تنزيل)، بالرفع، وذلك على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو تنزيل[٦].

---

(١) وردت معزوة إليه وحده في الكشاف ١٥١/٤، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/١٨، البحر المحيط ٣٢٣/٨، الدر المصون ٤٢٨/١٠.

(٢) انظر الكشاف ١٥١/٤، التبيان ١٢٣٧/٢، البحر ٣٢٣/٨، الدر المصون ٤٢٨/١٠.

(٣)كتاب الجمل ص٨٠، ٨١.

(٤) وردت معزوة إليه في شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٤٨، وبلا عزو في إعراب القراءات الشواذ ٦١٣/٢.

(٥) انظر إعراب القراءات الشواذ ٦١٣/٢.

(٦) انظر مشكل إعراب القرآن ٧٥٥/٢، الكشاف ١٥٤/٤، الدر المصون ٤٤٢/١٠.

وقرأ أبو السمَّال منفرداً (تنزيلاً) بالنصب[١]. ووجهت على أن (تنزيلاً) مصدر لفعل محذوف، والتقدير: نزل تنزيلاً[٢]. ونَصْبُ المصدر بعامل محذوف جائز لقرينة لفظية أو معنوية، فإن كان له فعل انتصب به، وإن لم يكن له فعل قدر من معناه[٣].

و لم ينقل عن أبي السمَّال أنه نصب (تنزيل) في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[السجدة:٢] ولا في قوله سبحانه ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[يس:٥] كما نصبها بعض القراء السبعة (ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي)[٤].

إعراب ضمير الفصل مبتدأ:

قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠] قرأ العامة (خيراً) بالنصب[٥] . على أنه مفعول ثانٍ، و(هو) حينئذٍ إما تأكيد للمفعول الأول وإما ضمير فصل[٦]. وإما بدلٌ كما قال

(١) وردت معزوة إليه في الكشاف ١٥٤/٤ ، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق ٢٤٩ ، البحر المحيط ٣٢٩/٨، الدر المصون ٤٤٢/١٠.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر الارتشاف ٢٠٦/٢.

(٤) انظر الكشف ٢١٤/٢، الدر المصون ٢٤٦/٩.

(٥) انظر معاني القرآن للأخفش ٧١٩/٢، الكشاف ١٧٩/٤، التبيان في إعراب القرآن ١٢٤٨/٢، البحر المحيط ٣٦٧/٨، فتح القدير ٣٢٢/٥، تفسير أبي السعود ٥٣/٩، الدر المصون ٥٣١/١٠.

(٦) انظر الكشاف ١٧٩/٤، التبيان في إعراب القرآن ١٢٤٨/٢، البحر المحيط ٣٦٧/٨، الدر المصون ٥٣١/١٠.

العكبري[١]، وإن كان قد خطأه السمين قائلاً: "إنه لا يلزم أن يطابق ما قبله في الإعراب فيقال: إياه."[٢]

وقرأ أبو السمَّال وابن السميفع اليماني (خيرٌ) بالرفع[٣]. ووجهت هذه القراءة على أن (هو) مبتدأ و (خيرٌ) خبر، والجملة حينئذٍ مفعول ثان لـ(تجدوه)[٤].

وهذا التوجيه للقراءة هو ما نقله سيبويه عن كثير من العرب، بل ذكر المسوغ الذي جعل ما بعد الفصل ليس معرفة صريحة، قال: "واعلم أن (هو) لا يصلح أن يكون فصلاً، حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة، مما طال ولم تدخله الألف واللام، فضارع زيداً وعمراً نحو خير منك ومثلك، وأفضل منك وشر منك.. فلا يكون ما بعدها إلا معرفة أو ما ضارعها... ثم قال: وقد جعل ناس كثير من العرب (هو) وأخواتها في هذا الباب بمترلة اسم مبتدأ وما بعده مبني عليه... فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيداً هو خير منك، وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرءونها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[٥][الزخرف:٧٦] وقال الشاعر:

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١٢٤٨/٢.

(٢) الدر المصون ٥٣١/١٠.

(٣) وردت القراءة معزوة لأبي السمال في مختصر الشواذ لابن خالويه ١٦٤، الكشاف ١٧٩/٤، إعراب القراءات الشواذ ٦٣٧/٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٢٥٢، البحر المحيط ٣٦٧/٨، الدر المصون ٥٣١/١٠.

(٤) انظر هذا التوجيه في: معاني القرآن للأخفش ٧١٩/٢، الكشاف ١٧٩/٤، البحر المحيط ٣٦٧/٨، الدر المصون ٥٣١/١٠، تفسير أبي السعود ٥٣/٩، فتح القدير ٣٢٢/٥.

(٥) الآية ٧٦ الزخرف وهي قراءة عبدالله بن أبي إسحاق وأبي زيد الأنصاري، انظر شواذ ابن خالويه ١٣٦، البحر المحيط ٢٧/٨، الدر المصون ٦٠٦/٩.

تبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر[(١)]..."[(٢)].

والناس من العرب الذين عناهم سيبويه هم بنو تميم. والدليل على أن هذه لغة بني تميم ما نقله أبو حيان عن الجرمي في قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦] قال: "قرأ الجمهور (الحق) بالنصب مفعولاً ثانياً ليرى و(هو) فصل، وابن أبي عبلة بالرفع، جعل (هو) مبتدأ و(الحق) خبره والجملة في موضع المفعول الثاني ليرى، وهي لغة تميم يجعلون ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ، قاله الجرمي"[(٣)] وجعل ابن هشام لغة تميم هذه أضعف اللغات الجائزة في ضمير الفصل فقال: "يجوز في الضمير المنفصل ثلاثة أوجه: الفصل وهو أرجحها والابتداء وهو أضعفها، ويختص بلغة تميم والتوكيد."[(٤)] قلت: والذي يؤيد صحة نسبة هذه اللغة إلى تميم أيضاً قراءة أبي السمَّال بها، وهو يلتقي بهم نسباً كما أشرنا في التعريف به، وعدي مساكنون لنبي تميم في الدار وأبناء عمومة في النسب ، وهذا مدعاة للتوافق في اللغة .

فتح همزة (إما) :

قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] قرأ العامة بكسر همزة (إما)[(٥)] .

---

(١) البيت لقيس بن ذريح، ورد في الكتاب ٣٥٣/٢، المقتضب ١٠٥/٤، شرح المفصل ١١٢/٣، البحر المحيط ٢٧/٨، الدر المصون ٥١٨/٤، ٥٣١/١٠.

(٢) الكتاب ٢٩٢/٢،٢٩٣.

(٣) البحر المحيط ٢٥٩/٧.

(٤) المغني ٦١٤/٢. وانظر النوادر ص١٥٤، الدر المصون ٥٣١/١٠، همع الهوامع ٢٤١/١.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٥٧٢/٣، مشكل إعراب القرآن ٧٨٢/٢، البحر المحيط ٣٩٤/٨، الدر المصون ٥٩٥/١٠.

واختلفوا في أصلها وعملها ، فمنهم من قال: إنها عاطفة مرادفة لـ(أو)[١]،وذهب أبو علي الفارسي وابن كيسان إلى أنها غير عاطفة[٢].

ونقل بعضهم أنها (إنْ) الشرطية زيدت عليها (ما)، وهو مذهب الكوفيين[٣]، وما يفهم من كلام سيبويه[٤]. قال النحاس: "وهذا القول ظاهره خطأ، لأن (إنْ) التي للشرط لا تقع على الأسماء، وليس في الآية إما شكر، إنما فيها شاكراً، فهذان اسمان ولا يجازى بالأسماء عند أحد من النحويين"[٥].

والراجح أنها العاطفة كما ذهب إلى ذلك الصيمري حينما قال: "وإنما دخلت (إما) الأولى لتؤذن أن الكلام مبني على ما لأجله جيء بها، ودخلت الواو على (إما) الثانية لتنبئ بأنها هي الأولى... ولا يصح أن تكون الواو عاطفة للكلام؛ لأنه فاسد، لأن الواو مُشَرِّكة لفظاً ومعنى و الكلام الذي فيه (إما) ليس كذلك بل على المخالفة من جهة المعنى"[٦]، وقال المالقي عن هذا القول إنه "الحق وأنه ظاهر مذهب سيبويه، ومذهب الأئمة المتأخرين"[٧]. قلت: ويرجح هذا أن الأصل البساطة لا التركيب،وهذا ما أشار إليه أبو حيان[٨].

---

(١) الكتاب ٢٦٦/١، المقتضب ٢٨/٣، رصف المباني ١٨٣، الأزهية ١٤٨، الجنى الداني ٥٢٩، المغني ٥٩/١.

(٢) انظر الإيضاح العضدي ٢٨٩، رصف المباني ١٨٣، المغني ٥٩/١.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٩/١، ٢١٤/٣، مشكل إعراب القرآن ٧٨٢/٢، الارتشاف ٦٤١/٢.

(٤) الكتاب ٢٦٦/١،٢٦٧.

(٥) إعراب القرآن ٥٧٢/١.

(٦) التبصرة والتذكرة ١٣٩/١.

(٧) رصف المباني ١٨٣،١٨٤.

(٨) الارتشاف ٦٤٣/٢.

وقرأ أبو السمَّال (أما) بفتح الهمزة في الموضعين[١].وشاركه في القراءة أبو العجاج كثير بن عبد الله السلمي[٢].

أما توجيهها فعلى أوجه:

الأول: أنها العاطفة، وفتح همزتها لغة لبعض العرب حكاها أبو زيد[٣]، ومن شواهدها قوله:

تَنَفَّحها أما شمالٌ عريّة وأما صبا جنح الظلام هبوب[٤]

ويدل على ذلك أيضاً فتحها- أي الهمزة - مع إبدال الميم الأولى ياء كما في قول الآخر:

يا ليتما أمنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار[٥]

الثاني: أنها (أما) التفصيلية، وجوابها مقدر، قال الزمخشري: "وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكراً فبتوفيقنا وأما كافراً فبسوء اختياره"[٦] قال السمين: "ولم يذكر هذا غيره"[٧].

---

(١) وردت معزوة إليه في مختصر ابن خالويه ص١٦٦، الكشاف ١٩٥/٤، البحر المحيط ٣٩٤/٨، الدر المصون ٥٩٥/١٠.

(٢) انظر البحر المحيط ٣٩٤/٨، الدر المصون ٥٩٥/١٠.

(٣) انظر مختصر ابن خالويه ١٦٦، البحر المحيط ٣٩٤/٨، الدر المصون ٥٩٥/١٠.

(٤) القائل أبو القمقام، انظر البيت في: المقرب ٢٣١/١، رصف المباني ١٨٤، البحر المحيط ٣٩٤/٨، الدر المصون ٥٩٥/١٠.

(٥) يعزى لسعد بن قرط وقيل للأحوص، ورد في رصف المباني ١٨٥، الجنى الداني ٥٣٣، الدر المصون ٥٩٥/١٠.

(٦) الكشاف ١٩٤/٤، ومثله فعل أبو السعود في تفسيره ٧١/٩.

(٧) الدر المصون ٥٩٦/١٠ والحق أن ابن هشام ذكر هذا التوجيه في المغني ٦٠/١.

الثالث: أنها (أما) المستعملة للشرط، فهي نظير قولهم: أما زيد فمنطلق، والتقـــدير: أما أحدهما فخلق شكورا، وحذف اعتماداً على المعنى[١]. وهذا التوجيه يلتقي مـــع التوجيه الثاني إلا أن التفصيل قد لا يكون مراداً، قال المـــرادي: " قـــال بعـــض النحويين : إنها قد ترد حيث لا تفصيل فيه كقولك : أما زيد فمنطلق"[٢].

الرابع: أن تكون (أنْ) الناصبة للفعل، و(ما) بدل من (كان)، والتقدير: هديناه السبيل لأنْ كان شاكراً أو لأن كان كفورا[٣]. ويشهد لها قول الشاعر:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضَّبُعُ[٤]

وسيبويه لا يجعل (ما) عوضاً عن (كان) وإنما هي للتوكيد[٥].

والذي يترجح عندي أنها لغة في (إما)؛ لأنها نقلت عن العـــرب، ولـــورود الشواهد التي تعضدها، ولأن التوجيهات الأخرى يترتب عليها إما تقدير محـــذوف كما في التوجيهين الثاني والثالث، وإما تحويل (إما) من بسيطة إلى مركبة كمـــا في التوجيه الرابع وتقدم معنا أن الأصل هو البساطة ولا يلجأ إلى تقدير التركيـــب إلا بمسوغ واضح ودليل بين.

حذف اللام من خبر (إنّ):

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات:١١] قرأ العامة بكسر الهمزة

(١) انظر هذا التوجيه في إعراب القراءات الشواذ ٦٥٢/٢.

(٢) الجنى الداني ص٥٢٢.

(٣) انظر إعراب القراءات الشواذ ٦٥٢/٢.

(٤) القائل العباس بن مرداس السلمي، والبيـــت في ديوانـــه ١٢٨، الكتـــاب ٢٩٣/١، الخـــصائص ٣٨١/٢، إعراب القراءات الشواذ ٦٥٢/٢، شرح المفصل ٩٩/٢، رصف المباني ١٨٣، المغني ٥٩/١.

(٥) الكتاب ٢٩٣/١.

ووجود اللام في خبر (إنّ)[١].

وقرأ أبو السمَّال منفــرداً (أنّ ربهم بهم يومئذٍ خبير)بفــتح همــزة (إن) وحذف اللام من الخبر[٢]. وعزاها أبو السعود إلى ابن السماك[٣]، وهو مخالف للمصادر الأخرى، ولهذا أحسبه من الخطأ الطباعي أو من قبيل التحريف وقد أشرت إليه سابقاً.

وقال ابــن خالويــه : "وقرأ الحجاج على المنبــر - وكان فصيحاً - (أن ربــهم) بالفتــح ، فلما عــلم أن اللام في خبــرها أســقط اللام لئـــلا يكون لحناً[٤]، ففر من اللحن عند الناس و لم يبال بتغيير كتاب الله لجرأته على الله وفجوره"[٥].

وقال السمين الحلبي بعد أن عزا القراءة إلى أبي السمَّال: " ويحكى عن الخبيث الروح الحجاج أنه لما فتح همزة (إن) استدرك على نفسه فتعمد سقوط اللام وهذا - إن صح - كفر؛ ولا يقال: إنها قراءة ثابتة عن أبي السمَّال؛ لأنه لو قرأها ناقلاً لها لم يمنع منه، ولكنه أسقط اللام عمداً إصلاحاً للسانه... وإنما قلت ذلك لأنني رأيت الشيخ[٦] قال: "وقرأ أبو السمَّال والحجاج" ولا يحفظ

---

(١) انظر إعراب ثلاثين سورة ص١٥٨، الدر المصون ٩٢/١١.

(٢) عزيت له في مختصر ابن خالويه ١٧٨، الكشاف ٢٧٩/٤، إعراب القراءات الــشواذ ٧٣٦/٢، البحر المحيط ٥٠٥/٨ وزاد الحجاج، وسيأتي الرد عليه.

(٣) تفسير أبي السعود ١٩٢/٩.

(٤) نص النحاة على أن اللام لا تدخل إلا بعد (إنّ) المكسورة. انظر الهمع ١٧٢/٢.

(٥) إعراب ثلاثين سورة ص١٥٨.

(٦) يعني أبا حيان في البحر المحيط ٥٠٥/٨، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

عن الحجاج إلا هذا الأثر السوء، والناس ينقلونه عنه كذلك، وهو أقل من أن ينقل عنه"[١].

وما دامت القراءة قد صحت عن أبي السمَّال فلا أرى مسوغاً لما قيل عن الحجاج،وما قاله ابن خالويه – وتناقله من جاء بعده – هو تحامل دفعه إليه تشيعه، إذ هو من أعيان الشيعة، كما نقل ذلك العاملي[٢]. لهذا أرى بعداً في أن يتجرأ الحجاج على كلام الله بهذه الصورة.

وعلى كل حال ذكرت هذه النقول لأبرهن على ما أثبته سابقاً من أن أبا السمَّال تفرد بهذه القراءة.

أما توجيهها فعلى أن (أنّ) واسمها وخبرها سدا مسد مفعولي (علم) من قوله تعالى: (أفلا يعلم)، يعضد هذا التوجيه استدلال بعض المعربين بالقراءة على تعليق (علم)، قال السمين: "العامة على كسر الهمزة لوجود اللام في خبرها، والظاهر أنها معلقة لـ(يعلم) فهي في محل نصب... ويدل على أنها معلقة للعلم لا مستأنفة قراءة أبي السمَّال بالفتح وإسقاط اللام"[٣].

❀ ❀ ❀

(١) الدر المصون ٩٢/١١.

(٢) أعيان الشيعة ٤٩/٢٥.

(٣) الدر المصون ٩٢/١١.

أبرز الملامح في قراءة أبي السمَّال

من أهم ما يمكن أن يلمح ويدون في قراءة أبي السمَّال في ختام هذا العمل المتواضع ما يأتي:

أولاً: أن أبا السمَّال القارئ عربي فصيح اللسان، شهد بفصاحته علماء أجلاء كالهذلي وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري، من هنا فإن كل قراءته الشاذة - على شذوذ سندها - لها وجهٌ في العربية لم تخرج قراءة منها عن التوجيه النحوي كما ظهر في البحث، بل إن أكثر قراءاته تمتاز بأن لها وجهاً قوياً في العربية ولها ما يعضدها من منقول الشعراء العربي الفصيح.

ثانياً : أن أبا السمَّال متأثر في قراءاته بلغة تميم، ولا غرابة، فهو يلتقي معها نسباً –كما أشرنا إلى ذلك – في التعريف به – وقد تنبه إلى ذلك الدكتور صاحب أبوجناح، فقال: "والواضح أن الحسن خفف (خطوات) بفتحتين وأضرب عن (خُطُوات) بضمتين، ونفترض هنا أن الأولى لتميم ونجد، فقد قرأ بها أبو حرام الإعرابي، وأبو السمَّال العدوي البصري، الذي يميل في قراءاته إلى لهجة تميم"[(١)].

والذي تبين لي أن ميله إلى لهجة تميم لم يتجل من خلال التوجيهات النحوية، إذ لم يوافقهم إلا في ضمير الفصل وقد نبهت إليه في موضعه، لكنه يوافقهم في كثير من الظواهر التصريفية - في قراءاته التي لم أتطرق لها في هذا البحث - ومنها على سبيل المثال:

قراءته لقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩] فقد قرأها (حَسْن)، قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور (حَسُن) بضم السين، وهي الأصل

(١) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص٣٧.

ولغة الحجاز، وقرأ أبو السمَّال (وحَسْنَ) بسكون السين وهي لغة تميم"[١]. وكقراءة (وهنوا) قرأها (وَهْنُوا) بإسكان الهاء[٢]، قال أبو حيان: "وتميم تسكن عين فَعِل"[٣]، وكقراءة ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾[البقرة:١٧]بسكون اللام وهي لهجة تميمية[٤]. وكذا قراءته (خطوات) السابقة.

وسوف أفرد قراءاته التصريفية بدراسة مستقلة أبين فيها ظاهرة تأثره بلغة تميم - إن شاء الله تعالى -.

ثالثاً: من يطلع على القراءات التي مرت معنا - وفيها بعض صور الاشتغال - يستخلص حكماً عاماً لمذهب أبي السمَّال في إعراب الاسم المشغول عنه وهو رفعه كثيراً وفي مواضع بعينها، في حين يميل غيره إلى النصب، وقد يكون الرفع لغة تميمية، ولكن لم أجد في المصادر التي أطلعت عليها ما يشير إلى ذلك.

رابعاً: يلحظ في قراءاته أنه يميل إلى فتح حروف المعاني التي تكسر قياساً في اللغة، كـ (لام) التعليل و(لام) الجحود وهمزة (إما)، والقراءات السابقة دليل على هذا الميل، وهذا الفتح هو لغة قيس وتميم وأسد وسليم[٥]. وأبو السمَّال يميل إلى لغة تميم كما تقدم.

---

(١) البحر المحيط ٣/٣٨٩.

(٢) الآية ١٤٦ آل عمران. وانظر المحتسب ١/٢٧٣، مختصر ابن خالويه ص٢٢، شواذ القراءة واختلاف المصاحف ق٥٤.

(٣) البحر المحيط ٣/٧٤ وانظر الكتاب ٢/٣٠٨.

(٤) انظر المحتسب ١/١٣٦.

(٥) انظر الجنى الداني ٥٣٥.

خامساً: اشتملت قراءاته على ظواهر غير مشهورة في القواعد المطردة كقراءته (هيهاتُ وهيهاتِ) كما تقدم، وكسكون واو (أو) في (أوْ كلما عاهدوا عهداً) وهذا أمر طبعي في القراءات الشاذة ولكنها لم تستعصِ على توجيهات النحويين.

سادساً: أنه تفرد بقراءات في حين شارك غيره في أخرى. وتَفَرّدُ أبي السمَّال بأكثر من تسع عشرة قراءة فيما ذكرت فقط مما فيه ظواهر نحوية فضلاً عن قراءاته ذات الظواهر التصريفية – يعطي صورة لأهمية قراءاته.

سابعاً: أن أبا السمَّال وافق في بعض قراءاته كبّار القراء ومنهم أبّي بن كعب وعبدالله بن مسعود والكسائي وابن محيصن وكانت متوافقة للحسن البصري أكثر من غيره، مع أن الفارق بينهما (خمسون عاماً)، لكن لا غرابة في ذلك فكلاهما عاش بالبصرة وتأثر ببيئتها، كما تأثرا كلاهما بلهجة تميم وقبائل شرقي الجزيرة العربية.

وفي الختام أترك للقارئ الكريم هذا العمل المتواضع الذي يدور حول التوجيهات النحوية لقراءة أبي السمَّال العدوي أملاً أن يعذرني فيما لحق محاولتي هذه من خلل أو قصور وأن يستنبط ما فاتني استنباطه من توجيهات أو قراءات لم أهتد إليها أو أخذتني غفلة البشر عنها، ملتمساً لي العذر بأني بذلت ما في وسعي للإلمام بقراءاته والوقوف على توجيهها، أملاً أن أخرج قريباً بحثاً متمماً لهذا البحث يتناول التوجيهات التصريفية إن لم يسبقني إلى ذلك أحد من الباحثين الذين سيجدون من قراءات أبي السمَّال مادة علمية تغري بالإقبال عليها، سائلاً الله التوفيق والسداد.

المصادر والمراجع

١) **اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، الدمياطي، رواه وصححه علي بن محمد الضباع، دار الندوة بيروت، وطبعة عبد الحميد حنفي.

٢) **الاختلاف بين القراءات**، أحمد البيلي، دار الجيل، بيروت، والدار السودانية، الخرطوم، ١٤٠٨هـ، ط١.

٣) **الاتقان في علوم القرآن**، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ط٣.

٤) **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، أبو حيان، تحقيق د.مصطفى النماس، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ط١.

٥) **الأزهية في علم الحروف**، علي بن محمد الهروي، تحقيق عبدالمعين الملوحي، دمشق، ١٣٩١هـ.

٦) **إصلاح الخلل الواقع في الجمل**، للزجاجي، تأليف ابن السيد البطليوسي، تحقيق د.حمزة عبد الله النشرتي، دار المريخ، الرياض، ١٣٩٩هـ، ط١.

٧) **الأصول في النحو**، ابن السراج، تحقيق د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١.

٨) **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، ابن خالويه، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ.

٩) **الأعراب الرواة، الدكتور عبد الحميد الشلقاني**، دار المعارف بمصر.

١٠) **إعراب القراءات الشواذ**، العكبري، دراسة وتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب.

١١) **إعراب القرآن**، النحاس، تحقيق د.زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

١٢) **الإقناع في القراءات السبع**، ابن الباذش، حققه وقدم له د.عبد المجيد قطامش، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ، ط١.

١٣) **أعيان الشيعة**، العاملي، مطبعة الاتقان، دمشق، سنجقدار، ١٣٦٧هـ.

١٤) ال**أمالي**، ابن الشجري، ت د.محمود الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي ١٤١٣هـ، ودار المعرفة للطباعة.

١٥) **الأنساب**، السمعاني، تعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ١٤٠٨هـ، ط١.

١٦) **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، أبو البركات الأنباري، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١٧) **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ابن هشام، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ، ط٥.

١٨) **الإيضاح** العضدي، أبو علي الفارسي، تحقيق د.حسن الشاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف بمصر، ١٣٨٩هـ، ط١.

١٩) **البحر المحيط**، أبو حيان، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ط٢.

٢٠) **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبي والدرة**، تأليف عبد الفتاح القاضي،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ، ط١.

٢١) **البسيط في شرح جمل الزجاجي**، ابن أبي الربيع، تحقيق د.عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١.

٢٢) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.

٢٣) **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٢٤) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الحافظ الذهبي، تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ، ط٢.

٢٥) **التاريخ الكبير**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٦) **تأويل مشكل القرآن**، ابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ، ط٢.

٢٧) **التبصرة والتذكرة**، للصيمري، من مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢٨) **التبيان في إعراب القرآن**، العكبري، تحقيق علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٩) **تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن**، لأبي جعفر الرعيني، تحقيق د.علي حسين البواب، دار المنارة، جدة، ١٤٠٧هـ، ط١.

٣٠) **ترشيح العلل في شرح الجمل**، صدر الأفاضل الخوارزمي، إعداد عادل محسن العميري، منشورات معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى بمكة، ١٤١٩هـ، ط١.

٣١) **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ.

٣٢) **تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد** ، الدماميني،تحقيق د.محمد بن عبد الرحمن المفدى، ١٤٠٣هـ، ط١.

٣٣) **تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤) **تقريب التهذيب**،الحافظ بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٥) **تهذيب التهذيب**، الحافظ بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ط١.

٣٦) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.

٣٧) **الثقات**، الحافظ ابن حبان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٤٠٣هـ، ط١.

٣٨) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩) **جامع البيان عن تأويل القرآن**، أبو جعفر الطبري، ودار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٤٠) **الجرح والتعديل**، الرازي، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٧٢، ط١.

٤١) **الجمل في النحو**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ط١.

٤٢) **الجمل في النحو**، الزجاجي، حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ١٤٠٥هـ، ط٢.

٤٣) **جمهرة أنساب العرب**، ابن حزم الأندلسي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤٤) **الجنى الداني في حروف المعاني**، المرادي، تحقيق د.فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٢.

٤٥) **حاشية الصبان**، مع شرح الأشموني على الألفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بمصر.

٤٦) **حجة القراءات**، أبو زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ط٥.

٤٧) **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٨) **الدرر اللوامع على همع الهوامع**، أحمد الأمين الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٣م.

٤٩) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، تحقيق د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ، ط١.

٥٠) **ديوان أبي الأسود الدؤلي**، تحقيق محمد حسين آل ياسين، بغداد، ١٣٨٤هـ.

٥١) **ديوان العباس بن مرداس**، تحقيق يحيى الجبوري، بغداد، ١٣٨٨هـ.

٥٢) **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق إبراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٦م.

٥٣) **ديوان الهذليين**، طبعة مصر، ١٣٨٤هـ.

٥٤) **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، أحمد عبد النور المالقي، تحقيق د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ، ط٢.

٥٥) **السبعة في القراءات**، ابن مجاهد، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ط٢.

٥٦) **سر صناعة الإعراب**، ابن جني، تحقيق د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ، ط١.

٥٧) **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٥٨) **شرح التسهيل**، ابن مالك، ت د.عبد الرحمن السيد، د.محمد بدوي المختون، مصر، ١٤١٠هـ، ط٢.

٥٩) **شرح التصريح على التوضيح**، خالد الأزهري، وبهامشه حاشية يس العليمي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦٠) **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، ابن هشام، رتبه وشرح شواهده عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤٠٤هـ.

٦١) **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ابن هشام، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مطبعة السادة بمصر، ١٣٨٣، ط١١.

٦٢) **شرح الكافية**، الرضي، تحقيق د.حسن الحفظي ود.يحيى بشير مصري، منشورات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٣هـ، ط١.

٦٣) **شرح الكافية الشافية**، ابن مالك، تحقيق د.عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث ١٤٠٢هـ، ط١.

٦٤) **شرح اللمع**، الأصفهاني، تحقيق د.إبراهيم بن محمد أبو عباة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ١٤١٠هـ، ط١.

٦٥) **شرح المفصل**، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.

٦٦) **شفاء العليل في إيضاح التسهيل**، السلسيلي، دراسة وتحقيق د.الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، بمكة، ١٤٠٦هـ، ط١.

٦٧) **شواذ القراءة واختلاف المصاحف**، الكرماني، مخطوط مصور عن الأزهرية (٢٤٤)، وبالجامعة الإسلامية برقم ١٨٩ ف.

٦٨) **الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري**، تأليف د.صاحب أبو جناح، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ١٤١٩هـ، ط١.

٦٩) **غاية النهاية في طبقات القراء**، ابن الجزري، عنى بنشره ج.براجستراس، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥٢هـ، ط١.

٧٠) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٧١) **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧٢) **القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب**، تأليف عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

٧٣) **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، إعداد محمد عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ط١.

٧٤) **الكتاب**، سيبويه، تحقيق محمد عبد السلام هارون، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، ط٣.

٧٥) **الكشاف**، الزمخشري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٢، الأخيرة.

٧٦) **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، مكي بن أبي طالب، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، ط٢.

٧٧) **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٧٨) **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، تحقيق فؤاد سزكين، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٧٤هـ.

٧٩) **مجموع الفتاوى** أو الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، إعداد محمد بن قاسم، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٨٠) **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ابن جني، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ط١.

٨١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب، ١٤٠٣هـ، ط٢.

٨٢) **مختصر في شواذ القرآن**، ابن خالوية، نشر المطبعة الرحمانية، بمصر، ١٩٣٤م.

٨٣) **مشكل إعراب القرآن**، مكي بن أبي طالب، تحقيق د.حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط٢.

٨٤) **معاني الحروف**، الرماني، حققه وخرج شواهده وعلق عليه د.عبد الفتاح شلبي، دار الشروق جدة، ١٤٠٤هـ، ط٣.

٨٥) **معاني القرآن**، الأخفش، تحقيق د.عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١.

٨٦) **معاني القرآن**، الفراء، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد النجار، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط٣.

٨٧) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار الباز، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، درا الفكر، ١٩٦٩، ط١.

٨٨) **المفصل في علم العربية**، الزمخشري، بذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار الجيل، بيروت، ط٢.

٨٩) **المفضليات**، المفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط٦.

٩٠) **المقتضب**، المبرد، ت د.محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٩١) **المقرب**، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد السلام الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٢هـ، ط١.

٩٢) **موقف النحاة من القراءات الشاذة وأثرها في النحو العربي**، بحث للدكتور مصطفى صالح جطل والدكتور محمود الصغير، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد السابع، ١٩٨٥م.

٩٣) **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، أبو البركات الأنباري، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

٩٤) **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، صححه وراجعه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٥) **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٦) **النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري**، تحقيق سعيد الشرتوني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩٧) **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، السيوطي، تحقيق د.عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠هـ، ط١.

٩٨) **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، دار صادر، بيروت.



فهرس الموضوعات





تنزيلُ القرآنِ وعَدَدُ آياتهِ واختلافُ الناس فيه

إملاءُ الشيخ
أبي زُرْعَةَ عبدِ الرحمنِ بنِ محمَّدِ بنِ زَنْجَلَةَ المُقْرِئ

دراسة وتحقيق

أ. د . غانم قدوري الحمد *

* غانم قدوري حمد صالح الناصري.

- من مواليد تكريت بالعراق عام ١٩٥٠م.
- نال الماجستير في علم اللغة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م بأطروحته "**رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية**".كما حصل على الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٩٨٥م بأطروحته "**الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**".
- درّس في جامعات بغداد وحضرموت، ويعمل حالياً أستاذًا بكلية التربية بجامعة تكريت.
- له مؤلفات وبحوث وتحقيقات عديدة، منها: تحقيق كتاب "**التحديد في الإتقان والتجويد**" لأبي عمرو الداني، و " **التمهيد في علم التجويد**" لابن الجزري.

الملخص

علم العدد القرآني وعلم المكي والمدني من علوم القرآن التي خصَّها عدد من علماء السلف بمؤلفات مستقلة، ومن بينهم عبد الرحمن بن محمد بن زَنْجَلَة المقرئ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الربع الهجري والنصف الأول مـــن القـــرن الخامس، و لم تتحدث كتب التراجم عنه بشيء يُذْكَرُ، لكن بقاء عدد من كتبه قد وضَّح بعض جوانب شخصيته، وكان كتابه " حُجَّة القراءات " هو الكتاب الوحيد المعروف من كتبه، وأمكن من خلال هذا الكتاب كشف بعض جوانب نـــشاطه العلمي والتعرف على بعض مؤلفاته، ويضيف كتاب " تنـــزيل القرآن " – الـــذي أقدمه محققاً – أبعاداً جديدة لما كنا نعرفه عن ابن زنجلة .

و لم يبق من كتاب " تنـــزيل القرآن" سوى نسخة خطية واحدة تحتفظ بها مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، و لم أجد في المصادر التي اطلعـــت عليهـــا أي إشارة إلى نسخة أخرى له، ونظراً إلى أهمية موضوع الكتاب، وما يمكن أن يضيفه نشره إلى معرفتنا بمؤلفه، فإني أقدمت على تحقيقه بالاعتماد على نـــسخته الخطيـــة الوحيدة، على الرغم من المحاذير المحتملة من جراء ذلك .

وقدَّمت للكتاب بدراسة عن مؤلفه، وناقشت بعض القضايا الـــتي تتعلـــق بشخصيته، وعن موضوع الكتاب، ومنهج ابن زنجلة فيه، ووَصْف للنسخة الخطية التي اعتمدت عليها، وأمطت اللثام عن خطأ وقع فيه من صنع فهرس مخطوطـــات المجمع حين ذكر أنها تقع في ١٥١ ورقة، والكتاب يقع في ثلاثة عشر ورقة فقط ، وتضم المخطوطة كتاباً آخر في عدد آي القرآن لمؤلف مجهول ويقع في ١٥١ ورقة.

وأحمد الله تعالى أن وفقني لإخراج الكتاب، وصلى الله على ســـيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقدمـــة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحابتهِ أجمعين . أَمَّا بَعْدُ:

فقد كان القرآنُ الكريمُ موضعَ عنايةِ العلماءِ من جوانبهِ كافةً ، رسماً وقراءةً وتفسيراً ، وكان من علومه علمُ عددِ آيِ السُّوَرِ وعدد كَلِمه وحروفه ، وعلمُ معرفةِ أماكنِ نزوله ، الذي صارَ يُعْرَفُ بعلم المكيِّ والمدنيِّ ، وقد جَمَعَ بعض العلماء بينهما في مُؤَلَّفٍ واحد ، على نحو ما فعل أبو زُرعة عبد الرحمن ابن محمد بن زنجلة المقرئ في مجالسه التي دوَّنها أحـــدُ تلامذتـــه في كتـــاب (تنـــزيل القرآن ، وعدد آياته ، واختلاف الناس فيه) الذي أكتب لـــه هـــذه المقدمة .

ودفعني إلى تحقيق الكتاب أمران :

الأول : مادتهُ العلميةُ الجيدة عن المكيِّ والمدنيِّ في القرآن ، وعَدَد آيِ السور ، والحروفِ التي جاءت عليها رؤوس الآي ، وهو بحـــثٌ متميِّـــزٌ في موضوعه ، إلى جانب ذِكْرِ نظائر السور في عَدَدِ الآي وما لا نظائر له .

والآخر : جلالةُ قَدْرِ مؤلفهِ ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس ، ومعلومات الدارسين عنه قليلة جـــداً ، لكنه اشتهر بكتابه (حُجَّة القراءات) الذي حققه الأستاذ سعيد الأفغاني.

وكتابُ (تنـــزيل القرآن) يُضيف أبعاداً جديدة إلى شخصيته العلمية.

وكتبتُ دراسةً موجزةً عن المؤلِّف والكتاب ، حاولتُ فيها جَمْعَ ما عُرِفَ عن حياة ابن زنجلة ومؤلفاته ، مع التعريف بالموضوعات التي تـــضمَّنها الكتاب ، والمخطوطة التي اعتمدتُ عليها في تحقيقه ، أسألُ الله تعالى أن يكون عملي في نشره مقبولاً ، وأن ينفع به طلبة العلم ودراسي القرآن وعلومــــه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

د . غانم قدوري الحمد

تكريت (العراق)

١٢/ ٣/ ١٤٢٧هـ

١٠/٤/٢٠٠٦م



القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول: تعريف بالمؤلِّف

(١) مصادر ترجمته :

تكاد المعلومات التي نعرفها عن المؤلِّف تقتصر على ما ورد في أول مخطوطة كتاب (حُجَّة القراءات) وخاتمته ، وأَوَّلِ كتاب (تنزيل القرآن)، وهي لا تتجاوز ذكر اسمه ، وفي ما ورد في آخر إحدى مخطوطات كتاب (الصاحبي في فقه اللغة) من أن ابن زنجلة سَمِعَ الكتابَ من مؤلفه أحمد بن فارس سنة ٣٨٢ هـ [١] ، ولم يرد لابن زنجلة ذِكْرٌ في كتب التراجم التي اطلعت عليها، ومن ثَمَّ فإن خيرالدين الزركلي حين ترجم له في كتابه (الأعلام) أحال على ما ورد من معلومات عنه في مقدمة تحقيق كتابه(حجة القراءات) [٢] ، واستند مؤلفو (الموسوعة الميسرة) في ترجمته إلى ما ورد في كتاب (الأعلام) ومقدمة التحقيق[٣] .

(٢) اسمه ، ونشأته ، وشيوخه

يَتَحَصَّلُ مِمَّا ورد في مخطوطات كتابَيْهِ:(حُجَّة القراءات) و (تنزيل القرآن) أنه : أبو زُرْعَة عبدُ الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ [٤]. ويؤيد ذلك ما ورد في إحدى مخطوطات كتاب (الصاحبي) لابن فارس ، ونصه: " فَرَغَ نوحُ بنُ أحمدَ من قراءة هذا الكتاب وتصحيحِه على الشيخ أبي الحسين أحمد

(١) ينظر: ابن فارس : الصاحبي ص ٤٧٢.

(٢) الأعلام ٣٢٥/٣ .

(٣) وليد بن أحمد الحسين : الموسوعة الميسرة ١١٨٥/٢ .

(٤) حجة القراءات ص ٤٥ و٤٧ و ٤٩ ، و ١٥٥ ، وتنزيل القرآن ٢ظ .

ابن فارس ، في يوم الاثنين تاسعِ شعبان من شهور سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، وسَمِعَ بقراءته أبو العباس أحمد بن محمد ، المعروف بالغضبان ، وأبـــو زرعـــة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القارئ " [١] ، "وكتبه أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه بالُمحمَّديَّة " [٢].

ويمكن أن يُسْتَدَلَّ بهذا السماع على عدة أمور تتعلق بحياة المؤلف ، منها تلمذتهُ على ابن فارس ، وأنه كان في المحمدية ، وهي محلة في مدينة الرَّيِّ، مـــن أكبر مدن شمال إقليم بلاد فارس، سنة ٣٨٢هـ.

ويبدو أنه كان في تلك السنة في عُمُرٍ يؤهِّلهُ لوصفه في السماع بالقارئ، وهو أمرٌ يدلُّ على شهرته بهذا العلم في تلك المرحلة من عمره.

واستدل الأستاذ سعيد الأفغاني على أن ابن زنجلة أَلَّفَ كتاب (حجـــة القراءات) قبل سنة ٤٠٣هـ مما ورد في إحدى نسخ الكتاب الخطية من الإشارة إلى أنها منقولة عن نسخة كُتِبَتْ في شهور سنة ثلاث وأربع مئة [٣].

وإذا تأكد أن ابن زنجلة قرأ على أبي الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ [٤] ، فيبدو أنه قد أخذ عن شيخٍ آخرَ أيضاً، هو أبو عبد الله محمد بـــن عبدالله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ، مؤلف كتاب (درة التنـــزيل) ، فقد قال ابن زنجلة في كتابه حجة القراءات : " سألت أبا عبد الله الخطيب عن

(١) الصاحبي ص ٤٧٢ هامش (١) .

(٢) ينظر : حجة القراءات ص ٢٦ .

(٣) حجة القراءات ص ٣٩ .

(٤) ذكر ابن زنجلة في حجة القراءات (ص ٥٤٤) أنه سمع من أبي الحسين.

هذا..." [١] .

(٣) هل كان فقيهاً مالكياً؟

وترجَّح لديَّ أن الذين ترجموا لابن زنجلة قد وقعوا في وَهْمٍ حين قالوا: إنه كان قاضياً، وفقيهاً مالكياً، وأول من وقع فيه الأستاذ سعيد الأفغاني حين نقل ترجمة ابن فارس من كتاب (الديباج المذهب)، التي جاء فيها: "رَوَى عنه أبو ذر والقاضي أبو زُرعة ، فقيهٌ مالكيٌّ " [٢] . واستخلص منها أن مؤلف حجة القراءات " مالكي المذهب ، وكان قاضياً " [٣] . وقال خير الدين الزركلي متابعاً للأفغاني:" عالم بالقراءات،كان قاضياً مالكياً " [٤].

ويبدو أَنَّ الذين ترجموا لابن زنجلة وقعوا في خطأين في فهم النص المنقول من كتاب (الديباج المذهب) ، وهو: " روى عنه أبو ذر ، والقاضي أبو زرعة ، فقيه مالكي " ، وهما :

١. القاضي أبو زرعة ليس عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة مؤلف كتاب (حجة القراءات) ، وإنما هو رَوْحُ بن محمد بن أحمد ، القاضي أبو زُرعة الرازي ، الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٢٣هـ ، الذي نص أهل التراجم

(١) حجة القراءات ص ١٥٥ ، وينظر: الخطيب الإسكافي: كتاب المجالس ص ١١.

(٢) ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٣٥ .

(٣) حجة القراءات ص ٢٧.

(٤) الأعلام ٣٢٥/٣ ، وينظر: وليد بن أحمد الحسين: الموسوعة الميسرة ١١٨٥/٢ ، حيث نقلوا ما ورد في الأعلام.

على أنه سمع من أحمد بن فارس اللغوي [(١)]، وهذا لا ينفي جلوس ابن زنجلة في مجلس ابن فارس وسماع كتاب الصاحبي بقراءة نوح بن أحمد الأديب عليه .

٢. عبارة (فقيه مالكي) المقصود بها ابن فارس وليس ابن زنجلة ، فابن فرحون لم يذكر ابن فارس في كتابه (الديباج المذهب) إلا لأنه فقيهٌ مالكيٌّ ، وقراءة ترجمة ابن فارس الموجزة فيه تشير إلى ذلك ، فقد ورد فيها: " أحمد بن زكريا بن فارس اللغوي ، أبو الحسين ، كان إماماً ... روى عنه أبو ذر والقاضي أبو زرعة ، فقيه مالكي، وله شرح مختصر المزني ..." [(٢)] .

وتَنَازَعَ أصحابُ تراجم الفقهاء ابن فارس ، فترجم له السبكي في طبقات الشافعية ، وترجم له ابن فرحون في فقهاء المالكية .

وسِرُّ ذلك أن ابن فارس كان فقهياً شافعياً ، ثم تحوّل مالكياً ، قال القفطي: " كان ... فقيهاً شافعياً ، وكان يناظر في الفقه ، وكان ينصر مذهب مالك بن أنس " [(٣)] . ثم تحوَّل في سنواته الأخيرة إلى مذهب الإمام مالك ، وكان يقول: دخلتني الحَمِيَّةُ لهذا الإمام أن يخلوَ مِثْلُ هذا البلد ، يعني مدينة الرَّيِّ، عن مذهبه [(٤)] ، وقد وُصِفَ لذلك بالمالكي [(٥)].

وقد يكون الشيخ أبو زُرعة بن زنجلة فقيهاً ، لكن لا يمكن الاستدلال

---

(١) ينظر: الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٤١٠/٨ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٥١/١٧ ، والسبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣٧٩/٤ .

(٢) الديباج المذهب ص ٣٥.

(٣) إنباه الرواة ٩٤/١.

(٤) ينظر: ابن الأنباري: نزهة الألباء ص ٢٣٦ ، وياقوت: معجم الأدباء ٨٣/٤ ، والسيوطي: بغية الوعاة ٣٥٢/١.

(٥) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠٣/١٧ ، وحاجي خليفة: كشف الظنون ١٢٧٩/٢ .

بالنص الذي أشرتُ إليه على ذلك، وقد اتضح ما فيه ، وإذا كان فقيهـاً فـأنْ يكونَ شافعياً أرجحُ من أن يكون مالكياً، فقد ذكر رأيَ الإمام الشافعي في حكم الآية ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائـدة : ٩٥] واحتجَّ له، وأشار إلى رأي الإمام أبي حنيفة ، ولكنه لم يذكر الإمام مالكاً في هذه المسـألة ولا في غيرها [١].

(٤) مؤلفاته:

وإذا كانت المعلومات شحيحة عن أكثر جوانب حياة أبي زرعة، سواء في ذلك نشأته وشيوخه وتلامذته ووفاته، فإن معرفتنا بمؤلفاته أحسن حالاً، بل إنَّ ما عرفناه منها، على قلته، هو الذي كشف لنا عن شخصيته هـذا العـالم الكبير، وهذه أسماء كتبه :

١. حُجَّةُ القراءات ، حققه الأستاذ سعيد الأفغاني .

٢. تنـزيل القرآنِ وعَدَدُ آياتهِ ، وهو الكتاب الذي نكتب له هذا التقـديم.

٣. تفسير القرآن ، ذكره أبو زرعة في (حجة القراءات)، فقال في احتجاجه لقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائـدة:٦]: "والأخبار كثيرة في هذا المعنى، وقد ذكرناها في تفسير القرآن " [٢] .

٤. شرف القراء في الوقف والابتداء في الكلام المترل على خاتم الأنبياء[٣].

(١) حجة القراءات ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) حجة القراءات ص٢٢٢ ، وينظر أيضاً ص٢٨٢ .

(٣) ذكره الأستاذ سعيد الأفغاني ، وأشار إلى أنه تلقى رسالة من الدكتور كوركيس عـواد الباحـث العراقي، مؤرخة في ١٩٥٧/٢/١٤م ، ذكر فيها أن السيد عاكف العاني الموظف في المكتبـة العامـة في بغداد في ذلك الوقت يحتفظ بنسخة من الكتاب تقع في جزأين ، وذكر أن أبا زرعة نوَّه فيه بكتاب حجة القراءات (ينظر : حجة القراءات ص٢٨-٢٩) .

ويمكن القول من خلال النظر في ما وصل إلينا من كتب أبي زرعـــة: إنه من العلماء بالقرآن وعلومه، فهو عالم بالقراءات، والتفسير، وعلم العـــدد، والمكي والمدني، إلى جانب معرفته الواسعة بعلوم اللغة العربية التي استند إليها في الاحتجاج للقراءات، وكذلك معرفته بالحديث النبوي الـــشريف، فقـــد استشهد بعشرات الأحاديث في كتابة (حجة القراءات) [1]. كما أنه ذكـــر مذاهب الفقهاء في عدد من مسائل القراءات [2] .

(٥) وفـــاته

إذا كانت كتب التاريخ والتراجم قد سكتت عن ذكر أبي زرعـــة بـــن زنجلة؛ فإننا يمكن أن نستنتج أنه عاش معظم سني حياتـــه في القـــرن الرابـــع الهجري، وأنه أدرك صدراً من القرن الخامس، فإنه في سنة ٣٨٢ هـ كـــان في مجلس أحمد بن فارس يسمع قراءة كتاب (الصاحبي) على مؤلفه، وأحـــسب أن حياته امتدت إلى ما وراء تاريخ وفاته شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي التي كانت سنة ٤٢٠ هـ، على نحو ما أشرت من قبل، بناءً على امتداد حياة الطلبة إلى ما بعد وفاة شيوخهم، في الغالب .

وقد يصعب إعطاء تاريخ تقريبي لسنة وفاته لفقدان القرائن الدالة علـــى ذلك، وغاية ما يمكن قوله في الوقت الحاضر إنه عاش في النصف الثاني مـــن القرن الرابع وسنين من أوائل القرن الخامس، وأنه عاصر اثنين من خلفاء بـــني العباس في الأقل، وهما : الطائع لله الذي امتدت خلافته بين ســـنتي (٣٦٣ –

---

(١) ينظر : فهرس الأحاديث الواردة في الكتاب ص٨٠٠ من حجة القراءات .

(٢) ينظر : حجة القراءات ص٢٢١-٢٢٣ ، وص٢٣٥-٢٣٧ .

٣٨١هـ)[١]، والقادر بالله الذي امتـدت خلافتـه بـين سـنتي (٣٨١ – ٤٢٢هـ)[٢] ، وكانت مدينة الرَّيِّ التي عاش فيها أبو زرعة مدة مـن حياتـه خاضعة لسلطان البويهيين إلى أن دخلها يمين الدولة محمود بـن سُـبكتكين الغَزنوي سنة ٤٢٠هـ [٣] .

المبحث الثاني: تعريف بالكتاب وتحقيقه

أولاً: موضوع الكتاب ومنهجه

(١) موضوع الكتاب:

يتناول الكتاب موضوعين من موضوعات علوم القرآن ، هما: البحث في تنـزيل القرآن الذي يُعَبَّرُ عنه بالمكي والمدني ، والآخر بيان عـدد آيـات السور وفواصل الآي.

ومن العلماء مَن جَمَعَ بين الموضوعين في كتاب واحد، ومنهم مـن أفرد المكيَّ والمدنيَّ عن علم العَدَدِ، وهناك عشرات الكتب في الموضوعين ، لا يتسع المقام لذكرها[٤]، ولكن يمكن القول: إن كتاب ابن زنجلة مـن أقـدم النصوص التي وصلت إلينا في موضوعه، ولا يخلو من تَمَيُّزٍ في بعض جوانبه ،

---

(١) ينظر : ابن الأثير : الكامل ٦٣٧/٨ ، والسيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤٠٥ .

(٢) ينظر : ابن الأثير : الكامل ٧٩/٩ ، والسيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤١١ .

(٣) ينظر : ابن الأثير : الكامل ٣٧١/٩ ، والزركلي : الأعلام ١٧١/٧ .

(٤) في مقدمة تحقيق كتاب (البيان في عَدِّ آي القرآن) للداني (ص ٤-٧) قائمة بمؤلفات العـدد ، وفي كتاب (المكيُّ والمدنيُّ في القرآن الكريم) لعبد الرزاق حسين أحمد (ص ٦٥ وما بعدها) قائمـة بالكتب المؤلفة في المكي والمدني .

مثل حديثه عن حروف فواصل الآي ، فمن تعرض لذكر حروف الفواصـــل اكتفى بتحديد حروف أواخر آيات كل سورة، لكن أبا زرعة حدَّد عدد كل حرف ، وما ورد منه في كل سورة ، وهو ما لانجده في كتاب آخر .

ويتألف الكتاب من مقدمة موجزة، وستة أبواب هذه عناوينها:

١. باب في ذكر ما اختلفوا في نزوله من السور .

٢. باب ما اتفقوا على نزوله من السور.

٣. باب في ذكر عدد آيات كل سورة.

٤. باب في ذكر جُمَلِ السور والآيات والكلمات والحروف.

٥. باب في ذكر أواخر الآي على عدد الكوفيين.

٦. باب في ذكر نظائر السور ، وما لا نظائر لها في العدد.

والسمة الغالبة على الكتاب الاختصار، ففي الباب الثـــاني لم يبِـــيِّن المؤلف الآيات التي استُثنيَتْ من السور المكية والمدنية، وكذلك لم يُبيِّن الآيات التي اختُلِفَ في عدِّها في الباب الثالث ، واكتفى بذكر الأعداد، وقد فَــصَّلَتِ الكتبُ الأخرى ذلك .

ومما يلاحظ على المؤلف اعتماده على مذهب الكوفيين في عدد الآي، كما صرَّح بذلك في عنوان الباب الخامس، ويبدو أن هذا المذهب قد انتـــشر في بلدان المشرق الإسلامي أكثر من غيره ، فالأندرابي (ت ٤٧٠ هـ) يقـــول في كتابه (الإيضاح في القراءات): " اعلم أن عدد أهل الكوفة أعلـــى الأعـــداد إسناداً، وأصحها في القياس تأويلاً ... " [(١)] .

---

(١) الإيضاح ص ٢١٩ .

ولعل من المفيد التذكير أن هناك خمسة مذاهب في عَدِّ آي القرآن تُنْسَبُ إلى عدد من الصحابة والتابعين وإلى الأمصار التي كانوا فيها، وهي:

١. المدني الأول: منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع القارئ (ت ١٣٢هـ) وشيبة بن نِصاح (ت ١٣٠هـ) .

٢. المدني الأخير: هو ما رواه إسماعيل بن جعفر المدني(ت:١٨٠هـ).

٣. المكي: هو ما رواه عبدالله بن كثير (ت ١٢٠هـ) عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ).

٤. البصري: مروي عن عاصم الجحدري (ت ١٢٨هـ).

٥. الكوفي: وهو ما رواه حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ)، عن أبي عبد الرحمن السلمي (ت ٧٤ هـ) عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه [(١)] .

وتلزم الإشارة إلى أن الاختلاف في عدد آيات السور هو خلاف شكلي لا يؤثر على نص القرآن شيئاً، قال الأندرابي: " ولقد عُنِيَ صدر هذه الأمة بالقرآن عناية أكيدة ، حتى عَدُّوا آيَهُ وكلماتِه وحَروفَهُ ، وقد وقع لهم في ذلك اختلاف ليس باختلاف على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظ، وذلك أن أهل الكوفة عَدُّوا: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ آية... وغيرهم يعدُّ تمام الآية ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾... من غير أن يكون أحدٌ منهم ادَّعى في القرآن زيادةً يُنْكِرُهَا الآخَرُ " [(٢)] .

---

(١) ينظر: الداني: البيان ص ٧٩، الأندرابي: الإيضاح ص ٢١٩، وابن الجوزي: فنون الأفنان ص ٩٨، والسخاوي: جمال القراء ١٨٩/١، وابن وثيق: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف ص ٨٥.

(٢) الإيضاح ص ٢١٤.

(٢) منهج المؤلف في فواصل الآي:

لابن زنجلة منهج تميَّز به في ذكر الفواصل، فقد ذكـــر أولاً في البـــاب الخامس الحروف التي انبنت عليها الفواصل، وهي الحروف الواقعـــة في آخــــر الآيات، فقال: " اعلم أن أواخر الآيات نزلت على خمس وعشرين حرفاً، وهي الألف، والباء ... ولم يترل على الخاء والغين والواو ... " .

ثم ذكر أعداد كل حرف، فقال : " على الألف تـــسعُ مئـــة وتـــسعٌ وخمسون آية، على الباء مئة واثنتان وستون آية ... " وذكر بعد ذلك تفاصـــيل كل حرف على السور، فقال مثلاً: " وأما الباء ففي البقـــرة تـــسع ، وفي آل عمران عشر، وفي المائدة أربع ... وفي الفلق آية " .

ولم أطلع على مثل صنيع ابن زنجلة في المصادر التي عالجت الموضوع مما وقفت عليه، ومَن ذكرَ من المؤلفين حروف الفواصل ســـلك مـــسلكاً آخـــر، فالأندرابي ذكر فواصل كل سورة على حدة من غير ذكر أعداد كل حـــرف، فقال في الباب الثامن عشر من كتابه (الإيضاح): " في ذكر معرفة الفواصـــل، أعني بالفواصل رؤوس الآيات: الفاتحة فواصلها على (من)، البقرة فواصـــلها علـــى (قم لندبر) ... " [(١)]، ولا شك في منهج ابن زنجلة أكثر فائدة، ولو أنه ذكر فواصل كل سورة على حدة، مع ذكره أعداد كل حرف لبلغ الغايـــة في تناول هذا الموضوع، واستوفى جميع عناصره .

واعتمد ابن زنجلة في ذكر حروف فواصل الآي على اصطلاح خاص به في حروف الألف والتاء والواو يستند على الرسم والنظـــر، لا علـــى النطـــق

---

(١) الإيضاح ص ٢٣٩.

والسمع، وهو اصطلاح خاص به، جعل الناسخَ يدوِّن اعتراضه عليه في حاشية الكتاب.

فقد جمع ابن زنجلة في باب الألف: الهمزة الممدودة في مثال يشاء، والسماء، ودعاء ونحوها، والألف القائمة في مثل الدنيا، وزكريا، والرسولا، وألف التنوين المنصوب في مثل: حسناً، وحكيماً، وخبيراً، وأخرج من الباب ما كان مرسوماً من الألفات بالياء في مثل: يخشى، والحسنى، وموسى، ونحوها، وجعلها مع فواصل الياءات، وحقها أن تكون مع الألفات، لأنها ألفاتٌ على الحقيقة .

وأدرج مع الألفات ثلاث آيات فواصلها انبنت على واو ضمير الجماعة، وهي ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء٣] ، و﴿ضَلُّوا﴾ [طه٩٢]، ﴿وَاعْبُدُوا﴾ [النجم٦٢] ، ومن ثَمَّ قال: لم ينزل على الواو شيء من فواصل القرآن ، واستند المؤلف في هذا المذهب على الرسم دون النطق، فما دامت الألف مرسومة في رأس الآيات الثلاث عدَّها من باب الألفات !

وعدَّ المؤلف في فواصل التاء: تاء التأنيث الساكنة في الفعل في مثل: انفطرتْ، وانتثرتْ، وفُجِّرَتْ وتاء التأنيث في آخر الأسماء التي تصير في الوقف هاء، في مثل: الراجفة، والرادفة، وخاسرة، وهي تحتمل أن تكون في باب التاء، وأن تكون في باب الهاء، لكن المؤلف جعلها في التاءات، واقتصر في باب الهاء على ما كان ضميراً أو هاءَ سكتٍ في مثل: حسابِيَهْ، وكتابِيَهْ، وفَغُلُّوهُ، وفَاسْلُكُوهُ .

وهذه القضية في منهج المؤلف تحتمل المناقشة، لكنها اصطلاح جرى عليه، ولا مشاحَّةَ في الاصطلاح، لا سيما إذا كان يعتمد على وجهة نظـــر معينة وفهم خاص للظاهرة، التزم بها وسار عليها .

ثانياً: تحقيق الكتاب

(١) وصف النسخة المخطوطة:

لكتاب (تنـــزيل القرآن وعدد آياته) لابن زنجلة المقرئ نسخة خطية واحدة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (١٣)[١]. ولم يشر الأستاذ عبد الرزاق حسين أحمد في كتابه (المكي والمدني في القـــرآن الكـــريم) إلى مخطوطة أخرى للكتاب[٢] .

وهذا وصف المخطوطة كما ورد في فهرس مخطوطات المجمـــع: [**في ذكر تنـــزيل القرآن** . المؤلف .. ؟ ، أوله: " ... هذا كتاب جمعتُ فيه مـــا استفدته من مجلس الشيخ أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة المقرئ ، من ذكـــر تنـــزيل القرآن وعدد آياته و اختلاف الناس فيه ..." . آخره : (يظهـــر أن الورقة الأخيرة التي فيها اسم جامعه قد سقطت ، والورقة الأخيرة من الموجود جاء في آخرها: تم الكتاب).

نسخة خطية بقلم النسخ ، ورقها ترمذي ، كتبت الآيات بلون بـــني غامق ، وبعض كلماتها وعنوانات السور كتبت بالحمرة ، وعلى كـــثير مـــن حواشيها تعليقات مختلفة بخط التعليق.

---

(١) فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي ٢٤/١ ، علماً أنه مكتوب على المخطوطة رقم (١٤) .

(٢) المكي والمدني في القرآن الكريم ص٦٩ .

١٥١ق،١٧،٥× ١٣سم،١٤س(١٣/علوم القرآن)].

هذا وصف المخطوطة كما جاء في فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي (٢٤/١) ، ويثير هذا الوصف قضيتين ، الأولى: حول مؤلف الكتاب ، والأخرى : حول حجم الكتاب، وسوف أبدأ بالقضية الثانية، لأنها تصحح خطأً ورد في وصف المخطوطة .

ويتلخص الخطأ في أن المخطوطة تضم كتابين، وليس كتاباً واحداً ، وأن ماورد من إشارة إلى أن حجم المخطوطة هو (١٥١ورقة) يشير إلى حجم الكتاب الثاني، وليس كتاب ابن زنجلة (تنزيل القرآن)، وهذا وصف للكتابين اللذين تضمُّهما المخطوطة:

١. كتاب تنزيل القرآن وعدد آياته ، لابن زنجلة:

يبدأ الكتاب بظهر الورقة (٢ظ) ، وأوله: " بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ... هذا كتاب جمعت فيه ما استفدته من مجلس الشيخ أبي زرعة ... " ، وفي وجه هذه الورقة عنوان بخط حديث مستعجل: " في ذكر تنزيل القرآن للشيخ أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة المقرئ " وعليها ختمُ المَجْمَع ، ويبدو أن مُفَهْرِسَ المخطوطة أخذ هذا العنوان من مقدمة الكتاب، لأنه بخط حديث مغاير لخط الكتاب .

وينتهي الكتاب بظهر الورقة (١٣) بعبارة: " ...على ثلاث آيات: والعصر، والكوثر، والنصر " ، وليس هناك عبارة تم الكتاب ،أو تاريخ للنسخ.

ويتوقع الناظر في الكتاب أن تأتي الورقة بعدها تحمل رقم (١٤)؛ لكن جاءت تحمل رقم (١)، ويستمر الترقيم حتى نهاية المخطوطة التي تنتهي بالورقة

(١٥١ظ)، وسبب إعادة الترقيم هو أن المخطوطة تضم كتابين الأول: كتاب تنـــزيل القرآن ، والثاني كتاب في عدد آي القرآن، فات مَنْ فَهْرَسَ المخطوطة التَّنَبُّهُ له، لأنه نظر في أول المخطوطة وآخرها، وقد يحصل مثل هذا في فهرسة المخطوطات .

٢. كتاب في عدد آي القرآن، لمجهول:

ليس في وجه الورقة الأولى منه عنوان للكتاب ، وفيها عدد من آيات القرآن ، مع بعض الأسماء في حواشي الصفحة ، منها (مير محمد ، مقيم ولد مير عقيل) ولعلها تشير إلى مالك النسخة .

ويبدأ نص الكتاب بظهر الورقة الأولى على هذا النحو: " بـــسم الله الرحمن الرحيم ، سورة الفاتحة: مدنية، وقيل مكية، ولها عـــشرة أسمـــاء ... وكلامها: خمس وعشرون كلمة، وحروفها مئة وخمسة وعشرون حرفاً، وهي سبع آيات بالإجماع ... فواصلها (من) . وأعني بالفواصل أواخر الآيات: بسم الله الرحمن: الرحيم ، الحمد: العالمين ، الرحمن: الرحيم ، مالك: الدين ، إياك: نستعين ... ولا الضالين . سورة البقرة: مدنية ..."

ويستمر الكتاب يعرض سور القرآن سورة سورة ، يذكر اسمهـــا ، ومكان نزولها ، وعدد كلماتها ، وحروفها ، وعدد آياتها ، واختلاف العادِّين فيها ، ثم يذكر حروف فواصلها ، ويعرض بعد ذلك رؤوس الآيات مع ذكر الكلمة الاولى من الآية ، وهو أمر لم يلتزم به الداني في كتابه (البيان في عـــد آي القرآن) لكن ابن عبد الكافي (عمر بن محمد) التزم به في كتابه في عدد آي القرآن.

وينتهي الكتاب بظهر الورقة (١٥١)، وآخره بيان آيـــات ســـورة الناس، وفي آخر الصحيفة عبارة (تم الكتاب).

وقد يتبادر إلى الذهن أن يكون هذا الكتاب هو تتمة كتـــاب ابـــن زنجلة، وفيه تفصيل ما أوجزه في كتابه (تنـــزيل القرآن) عـــن عـــدد آي السور، ويمنع من هذا الاحتمال أمران:

الأول: ورود أسماء عدد من الكتب في الكتاب لعلماء عاشـــوا بعـــد عصر ابن زنجلة، وفي مقدمتها كتاب (مبهج الأسرار في معرفة اختلاف العدد) لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني المتوفى سنة ٥٦٩هـ ، وقد تكـــرر ذكر هذا الكتاب والنقل منه عشرات المرات .

الثاني: يختلف منهج الكتاب عن الأسس التي اعتمدها ابن زنجلـــة في كتابه في إحصاء حروف الفواصل ، فالواو تعـــد في فواصـــل الآي في هـــذا الكتاب ، فجعل فواصل: ﴿تَعُولُواْ﴾ و﴿ضَلُّوٓاْ﴾ و﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾ في حرف الواو (ينظر: ورقة ١١ظ ، ٥٣و ،١٠٩ظ) ، وقد جعلها ابن زنجلة في فواصـــل الألف ، كما مرَّ .

والحديث عن هذا الكتاب يحتاج إلى مساحة أوسع مما تسمح به هذه المقدمة ، ويكفي هنا التأكيد على أنه كتاب آخر لا يمت إلى كتاب ابن زنجلة بصلة .

(٢) تحقيق نسبة الكتاب إلى ابن زنجلة:

إن النظر في تبويب الكتاب وموضوعاته يُبيِّن أنه كتاب قـــد اعْتُنـــيَ بتأليفه، ومن ثَمَّ فإن العبارة الواردة في مقدمة الكتاب، وهي: " هذا كتـــاب

جمعتُ فيه ما استفدتُهُ من مجلس الشيخ أبي زرعة ...من ذكر تنـــزيل القرآن..." يجب ألاَّ تحملنا على الاعتقاد أن كاتبه استفاد مادته من أحاديث عامة أو عابرة كانت تدور في مجلس الشيخ أبي زرعة، فالتبويب والمادة وما فيها من أرقام، لا تتأتى إلا من خلال تخطيط ونظر مسبق، ومن ثم يمكن القول إن أبا زرعة كان يملي كتابه إملاء، وأن أحد تلامذته كان يدوِّن ما يمليه الشيخ ولذلك نسبه إليه.

ويمكن القول إن الكتاب الذي بين أيدينا اشترك في إخراجه اثنـــان، هما: المُؤلِّفُ أو المُمْلِي ، وهو الشيخ أبو زرعة ابن زنجلة، والثاني الكاتـــب أو الجامع، وهو شخص لم يُصَرَّحْ باسمه، ولا يَغُضُّ ذلك من قيمـــة الكتـــاب أو نسبته إلى أبي زرعة .

وعلى الرغم من أن النسخة الخطية للكتاب غير مؤرخة فإن الكتاب كانت نُسَخُهُ معروفة في القرن السابع الهجري، فقد نقل منه أبو القاسم علي ابن موسى بن طاووس الحسني المتوفى سنة ٦٦٤هـ ، في كتابه (سعد السعود) حيث قال: " فصل: فيما نذكره في كتاب مجلد ، يقول مصنفه في خطبته: هذا الكتاب جمعت فيه ما (استفدت) في مجلس الشيخ أبي زرعة عبدالرحمن بـــن محمد بـــن (بحلة) المقرئ ... " [(١)].

وقد تردَّدتُ في اختيار العبارة التي أنْسِبُ بها الكتاب إلى أبي زرعة ، وربما تكون عبارة (تأليف أبي زرعة) غـــير ملائمـــة ، وتردَّدتُ بين عبارة (مستفاد من مجلس أبي زرعة) وعبارة (إملاء إبي زرعـــة)، والعبـــارة الأولى

---

(١) سعد السعود ص ٢٨١ .

مُصَرَّحٌ بها في مقدمة الكتاب ، لكني آثرت عبارة (إملاء) لأنها أدلّ في بيان علاقة الكتاب بأبي زرعة ابن زنجلة، والله أعلم .

(٣) عملي في تحقيق الكتاب:

يتلخص عملي في تحقيق الكتاب بما يأتي:

١. نَسْخُ الكتاب على وفق أصول النشر المعاصرة، وتقسيمُهُ على فقرات، مراعياً تبويب المؤلف للكتاب ، مع الأخذ بعلامات الترقيم ، وراجعت الباب الثاني على النص الذي نقله ابن طاووس في كتابه سعد السعود.

٢. مراجعة مادة أبواب الكتاب على مصادر الموضوع المتيسرة عندي، وفي مقدمتها: كتاب البيان في عد آي القرآن للداني، والإيضاح في القراءات للأندرابي، وفنون الأفنان لابن الجوزي، وجمال القراء للسخاوي، وغيرها من الكتب التي اهتمت بموضوعه، وقد أشرت في الهوامش إلى ما خالف فيه ابن زنجلة في الكتاب ما ورد في المصادر المذكورة ، خاصة في الأبواب الثلاثة الأولى، من غير ذكر التفاصيل.

٣. التدقيق في الأعداد التي وردت في الكتاب، خاصة في الباب الخامس ، فراجعت مجموع آيات كل حرف من حروف الفواصل، مستعيناً بما ذكره الداني في كتابه البيان، وبالرجوع إلى المصحف، ووجدت دقة الأرقام التي وردت في الكتاب، وأشرت في الهوامش إلى بعض المواضع التي لم تكن أرقامها مطابقة لما في المصحف.

٤. لم أفصِّل في هوامش النص ما أوجزه المؤلف في ذكر عدد آيـــاتِ كل حرف من حروف الفواصل، لأن ذلك يقتضي ذكر جميـــع الفواصـــل، وسوف يضاعف حجم الكتاب، ويخرج به عن الغرض الذي قصده المؤلف فيه من إعطاء خلاصة لموضوع المكيِّ والمدنيِّ، وعدد آي القرآن، واختلاف الناس فيه ، وما أوجزه المؤلف مفصَّل في مصادر الموضوع .

٥. ليس هناك ما يشير إلى اسم الكتاب سوى قول جامعه في المقدمة: " هذا كتاب جمعت فيه ما استفدته من مجلس الشيخ أبي زرعة ... من ذكـــر تنـــزيل القرآن وعدد آياته و (اختلاف) الناس فيه "، وقد جعلتُ هذه الإشارة إلى موضوع الكتاب عنواناً له، على نحو ما فعل مفهرِس المخطوطة حين كتب على وجه الورقة الأولى " في ذكر تنـــزيل القرآن " .

٦. أوردتُ صورة للصفحة الأولى من كتاب "تنـــزيل القرآن" لابن زنجلة والصفحة الأخيرة منه، والصفحة الأولى من كتـــاب العـــدد لمجهـــول والصفحة الأخيرة منه، وهو الكتاب الثاني في المخطوطة، ليقف القارئ علـــى حقيقة هذا الكتاب بنفسه .

خاتمة الدراسة

تمخضت هذه الدراسة عن إضافات جديدة عن حياة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة مؤلف كتاب (حجة القراءات) ، تتمثل في عدم ثبوت اشتغاله بالقضاء ، وأنه لم يكن فقيهاً مالكياً ، كما ذكر ذلك من قبل الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمة تحقيقه كتاب (حجة القراءات) ، وكشف البحث عن أبعاد علمية جديدة تتعلق بحياته العلمية ، وكذلك الكشف عن حقيقة حجم مخطوطة كتاب " تنزيل القرآن " وأنها في ثلاث عشرة ورقة ، وليس في إحدى وخمسين ومئة ورقة ، كما شاع عند من أشار إلى الكتاب .

ولعل الأهم من ذلك تقديم نص جديد في علم المكي والمدني وعلم العدد القرآني ، وهو من أقدم النصوص المعروفة في هذين العلمين ، مع ما في هذا النص من تميز في بعض جوانبه ، مثل حصر حروف فواصل الآي ، وعدد مرات وروده في كل سورة ، كما أن هذا النص يذكِّرنا بالجهد الكبير الذي بذله علماء السلف في خدمة القرآن الكريم وعلومه ، حتى إنهم عَدُّوا حروف القرآن وكلماته وآياته .

هذا والله تعالى أعلم ، وصلَّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن: الحمد لله رب العالمين .

جدول بحروف الفواصل مرتب حسب مرات الورود التي ذكرها المؤلف

ت	الحرف	عدد مرات الورود		ت	الحرف	عدد مرات الورود
١	النون	٣١٢٧		١٤	الطاء	١٢
٢	الألف	٩٥٩		١٥	السين	١١
٣	الميم	٦٦٠		١٦	الزاي	١٠
٤	الراء	٤٤٩		١٧	الصاد	١٠
٥	الياء	٢٧٠		١٨	الجيم	٩
٦	الدال	١٩٩		١٩	الكاف	٨
٧	الباء	١٦٢		٢٠	الفاء	٣
٨	التاء	١٥٧		٢١	الثاء	٢
٩	اللام	٦٧		٢٢	الذال	٢
١٠	الهاء	٤٨		٢٣	الشين	٢
١١	القاف	٤١		٢٤	الحاء	١
١٢	الظاء	١٣		٢٥	الضاد	١
١٣	العين	١٣				

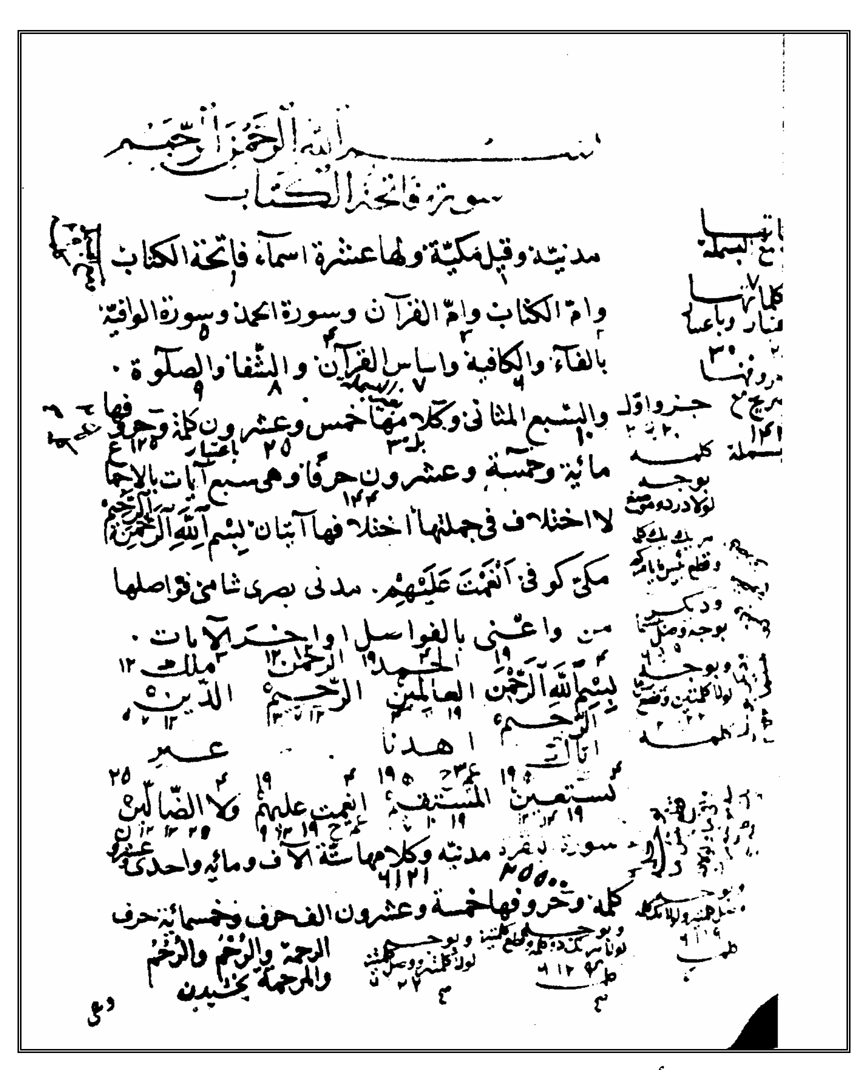
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه محمد وآله اجمعين
نحمد الله ابتدي واياه استهدي وبه استعين انه خير معين
هذا كتاب جمعت فيه ما استفدته من مجلس الشيخ ابي زرعة
عبد الرحمن بن زنجله المقرئ من ذكر تنزيل القرآن وعدد آياته
واختلاف الناس فيه متحريا به مرضات الله تعالى وقاصدا
وافادة من نظر فيه ومستعينا بالله تعالى في جميع الامور
انه خير معين فاول ذلك الكلام في ذكر نزول الآية
اعلم ان الكلام في نزول القرآن يقع في موضعين احدهما
الكلام في موضع نزوله والثاني الكلام في كمية نزوله في كل
موضع فاما الكلام في موضع نزوله فلا خلاف ان جميعه
نزل بمكة والمدينة وحواليهما الا في ثلث آيات نزل آمن الرسول
الى آخر الآيتين نزلت تحت العرش وقوله في يونس
فان كنت في شك الآية نزلت في السماء واما الكلام في كمية

الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب تنـــزيل القرآن لابن زنجلة

على خمس وسبعين الانفال والزمر على ثنتين الروم والذاريات
على اربع وخمسين سبا وحم السجدة على وخمسين ابرهيم
والقلم والحاقة على خمس واربعين ق ص وقاف على
اربعين الصافات والتساول على ثلثين السجدة والملك
والفجر على تسع وعشرين الفتح والحديد والقتال
على ثمان وعشرين المجادلة والبروج على عشرين المزمل البلد
على تسع عشرة الانفطار والاعلى والعلق على ثماني عشرة
الحجرات والتغابن على اثنتي عشرة الطلاق والتحريم
على احدى عشرة الجمعة والمنافقون والضحى على ثمان
آيات الانشراح والتين والقيمة والزلزلة والتكاثر
على سبع آيات وفاتحة الكتاب والماعون على ست آيات
الكافرون والناس على خمس آيات القدر والفيل
والفلق على اربع آيات قريش والاخلاص على ثلث
آيات والعصر والكوثر والنصر .

الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتاب تنـــزيل القرآن لابن زنجلة



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة فاتحة الكتاب
مدنية وقيل مكية ولها عشرة أسماء فاتحة الكتاب
وأم الكتاب وأم القرآن وسورة الحمد وسورة الواقية
بالقاف والكافية وأساس القرآن والشفا والصلوة.
والسبع المثاني وكلامها خمس وعشرون كلمة وحروفها
مائة وخمسة وعشرون حرفا وهي سبع آيات بالإجماع
لا اختلاف في جملتها اختلافها آيتان بسم الله الرحمن الرحيم
مكي كوفي أنعمت عليهم مدني بصري شامي فواصلها
من وعني بالفواصل أواخر الآيات.
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد العالمين الرحيم الدين
إياك نستعين اهدنا المستقيم عليهم ولا الضالين
سورة البقرة مدنية وكلامها ستة آلاف ومائة واحدى وعشرون
كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب في عدد آي القرآن لمجهول

قل اعوذ من شر ومن شر غاسق ومن شر

برب الفلق ما خلق اذا وقب في العقد

ومن شر حاسد

اذا حسد سورة الناس مدنية ويقال لها

وللفلق المعوذتين وكلاهما عشرون كلمة

وحروفها تسعة وسبعون حرفا وهي

سبع آيات في المكي والشامي وست في الباقين

اختلافها آية من شر الوسواس مكي شامي

وفي كتاب عدد آي القرآن وهي ست آيات كوفي ومدني

ومكي وبصري وعطاء المكي في رواية ابن ابي بزة

وسبع مكي في رواية ابي العباس وشامي فواصلها

على ... قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس

الذي يوسوس من الجنة

من شر الوسواس الخناس في صدور الناس والناس

الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتاب في عدد آي القرآن لمجهول

القسم الثاني

[النَّصُّ المُحَقَّقُ]

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين ، والصلاةُ على نَبِيِّهِ محمدٍ وآلهِ أَجمعينَ ، بحَمْدِ اللهِ أَبْتَدِي ، وإيَّاهُ أَسْتَهْدِي ، وبه أَستعينُ ، إنه خيرُ مُعِينٍ .

هذا كتابٌ جَمَعْتُ[1] فيه ما استفدتُهُ من مجلسِ الشيخِ أبي زُرْعَـةَ، عبدِ الرحمنِ بنِ زَنْجَلَةَ المقرئ ، من ذكرِ تنـزيلِ القرآنِ وعددِ آياتهِ واختلافِ[2] الناسِ فيه ، مُتَحَرِّياً به مَرْضَاةَ[3] اللهِ تعالى ، وقاصِداً إفادةَ[4] مَن ينظرُ فيه، ومستعيناً باللهِ تعالى في جميعِ الأُمورِ ، إنَّه خيرُ مُعِينٍ .

فأوَّلُ ذلك الكلامُ في ذِكْرِ نزولِ الآي[5]:

اعلم أَنَّ الكلامَ في نزولِ القرآن يَقَعُ في مَوْضِعَيْنِ: أَحَدُهما الكلامُ في نزولهِ ، والثاني الكلامُ في كَمِّيَّةِ نزولهِ في كلِّ موضعٍ .

---

(١) الضمير في الفعل يعود إلى أحد تلامذة الشيخ أبي زرعة بن زنجلة الذين كانوا يحضرون مجالسه ، و لم أقف على اسمه .

(٢) في الأصل: اخلاف .

(٣) في الأصل: مرضات ، ورسم الكلمة بالتاء المدورة أولى ، لأنها أحد مصادر الفعل (رَضِيَ) ، وحتى لا يُظَنَّ أنه جمعٌ مؤنثٌ سالم ، قال ابن منظور: (اللسان ٩٣/١٩ رضي) : " المَرْضَاةُ والرِّضوان: مصدران " .

(٤) في الأصل: وإفادة .

(٥) في الأصل: الآية .

فأمَّا الكلامُ في موضعِ نزولهِ فلا خلافَ أَنَّ جميعَهُ نزلَ بمكةَ والمدينـــةِ وحَوَالَيْهِمَا، إلاَّ ثلاثَ آياتٍ، قَوْلَهُ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى آخر الآيتين[1]، نزلت تحتَ العرشِ[2]، وقولَهُ في يونس: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾الآيـــة [٩٤] نَزَلَـــتْ في السماء[3] .

وأَمَّا الكلامُ في كَمِّيَّةِ [٣و] نزولهِ في كلِّ موضعٍ فقـــد اختُلِـــفَ في بعضِ السور أَنَّها مَدَنِيَّةٌ أو مكيَّةٌ، واتُّفِقَ في الباقي ، وأَنا أذكرُ ذلك مشروحاً ، بعونِ اللهِ تعالى ، إنْ شاءَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ.

(١) سورة البقرة ٢٨٥- ٢٨٦ .

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده (ص ١٥٧٣) عن أبي ذر قال: قال رســـول الله- صـــلى الله عليـــه وسلم: أُعْطِيتُ خواتيمَ سورةِ البقرةِ من كَنْزٍ تحتَ العرش ... "، وذكر السيوطي في الإتقـــان (٦٧/١) أنه يمكن أن يُسْتَدَلَّ على ذلك بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ص ٩٦) عـــن ابـــن مـــسعود في حديث الإسراء أنه – صلى الله عليه وسلم – انتهى إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وأُعْطِيَ خواتيمَ سورةِ البقرة.

(٣) لم أقف على هذا القول ، ووجدت في المصادر ما يشير إلى أن هذه الآية والـــتي تليهـــا مـــدنيتان ، استثناءً من السور التي نزلت في مكة (ينظر: الداني: البيان ص ١٦٣ ، والاندرابي: الإيضاح ص ١٨٥ ، والسخاوي: جمال القراء (١٢/١) ، اللهم إلا أن يكون المؤلف يشير إلى رواية رواها الطبري في تفسيره (٧٨/٢٥) ، عن عبد الرحمن بن زيد أن الأنبياء جُمِعُوا له – صلى الله عليه وسلم – ليلة أُسْـــرِيَ بـــه لبيتِ المقدسِ فأَمَّهم ، وصلَّى بهم ، فقال اللهُ – عز وجل – له: سَلْهُم ، قال: فكان أشدَّ إيماناً ويقيناً بالله وبما جاءه به مـــن الله أن يـــسأله ، وقـــرأ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ قال: فلم يكن في شَكٍّ ، ولم يسألِ الأنبياء ، ولا الذين يقرءُون الكتابَ.

[١] بابٌ في ذِكْرِ ما اخْتَلَفُوا في [موضع] نزولهِ مِنَ السورِ

اختلفوا في خَمْسَ عشرةَ سورةً(١) فقال بعضُم: إِنَّها مكيَّةٌ ، وقالَ آخرونَ: إِنَّها مدنيةٌ ، على شرحٍ يأتي في كلِّ سورةٍ عندَ ذكرِ عَدَدِها وتفاصيلِ نُزُولها(٢).

وهي: فاتحةُ الكتَابِ ، سورةُ الرَّعْدِ ، سورةُ الحَجِّ ، [سورةُ](٣) العنكبوتِ ، سورةُ الرَّحمنِ ، سورةُ الحديدِ ، سورةُ الصفِّ ، سورةُ المُزَّمِّلِ ، سورةُ الإنسانِ ، سورةُ البَلَدِ ، سورةُ الْقَيِّمَةِ ، سورةُ الزَّلْزَلَةِ ، سورة الإخلاصِ، سورةُ الفَلَقِ ، سورةُ الناسِ .

[٢] بابُ في ذِكْرِ ما اتَّفَقُوا في [موضع] نزولهِ مِنَ السُّوَرِ

اتَّفَقُوا على أَنَّ سورةَ الماعونِ ثلاثَ آياتٍ منها نزلتْ بمكةَ، وأَرْبَعَ

(١) لم تتفق كلمة العلماء في عدد السور المختلَف في نزولها ، فذكر بعضهم أقل مما ذكره ابن زنجلة ، وزاد بعضهم عليه (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص ٣٠٨ ، والداني: البيان ص ٨٣ ، والأندرابي: الإيضاح ص ١٨٤ ، والسخاوي جمال القراء ١/١١ — ٢٠ ، والزركشي: البرهان ١/١٩٤ ، والسيوطي: الإتقان ١/٣٠).

(٢) لعله يشير إلى ما ذكره في الباب الثالث .

(٣) سورة : زيادة يقتضيها السياق .

آياتٍ ، نَزَلَتْ في المدينة[١] .

واتَّفَقُوا على أَنَّ ثمانيةً وسبعينَ سورةً نزلت[٢] بمكة ، ثم ذلك على ضَرْبَيْنِ ، أَحَدُهُمَا: نَزَلَتْ السورةُ كُلُّها في مكة ، والثاني: أَنَّ السورةَ نَزَلَتْ بمكةَ إلاَّ أنَّ آياتٍ منها نَزَلَتْ بالمدينة [٣ظ] .

واتَّفَقُوا أيضاً على أنَّ عشرينَ[٣] سورةً منها نَزَلَتْ بالمدينةِ إلاَّ أنَّ آياتٍ منها نَزَلَتْ بمكةَ[٤].

فأمَّا السورة[٥] التي نزلتْ كُلُّها بمكةَ فهي تسعٌ وأربعونَ سورةً[٦]: يوسفُ ، والانبياءُ ، والنملُ ، والرومُ ، وسبأٌ ، وفاطرٌ ، والصافاتُ ، وصادْ ،

---

(١) هذا قول مقاتل بن سليمان ، وتشير المصادر إلى أنها قد اخْتُلِفَ فيها ، فقال فريقٌ: مكيِّةٌ ، وقال آخرون: مَدَنيَّةٌ (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص٣١٢ ، والأندرابي: الإيضاح ص١٩٧، والزركشي: البرهان ٢٠٣/١) .

(٢) نزلت: غير واضحة في الأصل ، والنص في كتاب سعد السعود ص٢٨١.

(٣) يكون مجموع السور المذكورة في هذا الباب والذي قبله مئة وأربع عشرة سورة ، وهو مجموع سور القرآن ، وجاء في عدد من الروايات أن مجموع السور المكية خمس وثمانون سورة ، والمدنية تسع وعشرون مع الفاتحة ، من غير اعتبار للاختلاف فيها (ينظر: الداني: البيان ص ١٣٦ ، وابن الجوزي: فنون الأفنان ص ١٨٤) .

(٤) النص في كتاب سعد السعود لابن طاووس (ص٢٨١) لا يخلو من اضطراب ، لكن فيه: " ثم ذلك أيضاً [على] ضربين: أحدهما السورة كلها نزلت بالمدينة ، والثاني آيات منها ، نزلت بمكة " وما جاء من تفصيل عن السور المكية في كتاب ابن زنجلة يؤيد صحة هذا التقسيم ، ولعله سقط من مخطوطة الكتاب التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب .

(٥) كذا في الأصل ، في هذا الموضع والمواضع الآتية ، وكذلك هي في كتاب سعد السعود لابن طاووس ص ٢٨١ ، والمناسب للسياق: السور.

(٦) وُضِعَتْ في الأصل أرقام فوق أسماء السور.

وحم السجدة[١] ، والدخانُ ، والذارياتُ ، والطورُ ، والمُلْكُ ، والقلمُ ، والحاقَّةُ ، والمعارجُ ، ونوحٌ ، والجنُّ ، والمدَّثِّرُ ، والقيامةُ[٢] ، والمرسَلاتُ، والمُعْصِرَاتُ[٣]، والنازعاتُ ، وعَبَسَ ، والعِشَارُ[٤]، والانفطارُ ، والانشقاقُ، والبروجُ ، والطارقُ ، والأعلى ، والغاشيةُ ، والفجرُ ، والشمسُ ، والليلُ، والضحى ، والانشراحُ ، والتينُ ، والعَلَقُ ، والقَدْرُ ، والعادياتُ ، والقارعةُ، والتكاثرُ ، والعصرُ ، والهُمَزَةُ ، والفيلُ ، وقريشٌ ، والكوثرُ ، والكافرونُ، وتَبَّتْ[٥].

وأمَّا السورة التي نزلتْ بمكةَ إلا أَنَّ آياتٍ منها نَزَلْنَ بالمدينة فهي تِسْعٌ وعشرونَ سورةً : الأنعامُ إلاَّ ستَّ آياتٍ[٦] ، الأعرافُ إلاَّ أربعَ

(١) هي سورة فصِّلت .

(٢) في الأصل: القيمة ، ويبدو أن هذا الرسم جاء على حذف الألف منها ، لأنَّ سورة القيمة ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ مدنية (ينظر: الداني البيان ص٢٨٢) .

(٣) هي سورة النبأ .

(٤) هي سورة التكوير.

(٥) هي سورة المسد .

(٦) قال ابن حبيب (كتاب التنبيه ص٣١١) : "وهي مكية غير ست آيات فإنهن مدنيات "، وذكر : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام:٩١] ، و ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٩٣]، و ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ [٩٣]، و ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... تَتَّقُونَ ﴾ [١٥١- ١٥٣] ونقل ذلك الزركشي في البرهان (١/ ٢٠٠) ، ويكون عدد الآيات حسب قول ابن حبيب خمساً ، لورود نصين من الآية (٩٣) ، وقد عدَّهما الأندرابي في الإيضاح (ص ١٨٤) موضعاً واحداً ، وهو الصواب ، وفي نزول السورة أقاويل أخر ، منها أنها=

آيات(١)، يـــونسُ إلاَّ آيـــتَيْنِ(٢) ، هُـــودُ إلاَّ آيـــةً(٣) ، إبـــراهيمُ إلاَّ ثـــلاثَ آيـــاتٍ(٤) ، الحِجْرُ إلاَّ آيـــةً(٥) ، النحلُ إلاَّ خمسَ آياتٍ(٦)، [٤و]

=نزلت كلها فـــي مكة جملة واحدة (ينظر: الداني: البيان ص١٥١ ، وينظر: السيوطي: الإتقان ٣٨/١).

(١) قيل: إلا ثلاث آيـات: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ إلى آخـرهن [١٦٣- ١٦٥] وقيل : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ ﴾ إلى قوله :﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ... ﴾[١٧٢] (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص ٣١١، والأندرابي: الإيضاح ص ١٨٥،والزركشي ،البرهان ٢٠٠/١ ، والسيوطي: الإتقان ٣٩/١) .

(٢) هما قوله تعالى:﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ .. ﴾[٩٤] والآية التي تليها ، وفيها أقوال أخـر(ينظـر: الأندرابي:الإيضاح ص١٨٥،وعلم الدين السخاوي:جمال القراء ١٢/١،والسيوطي: الإتقان ٤٠/١) .

(٣) في الأصل: إلاية ، وهي:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ...﴾[١١٤] . (ينظر: الأنـدرابي: الإيضاح ص١٨٥ ، والسيوطي: الإتقان ٤٠/١).

(٤) هي قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ... ﴾[٢٨] إلى آخر الآيات (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص٣١١ ، والداني: البيان ص١٧١ ، والأندرابي: الإيضاح ص ١٨٦ ، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ١٢/١،والزركشي:البرهان٢٠٠/١، والسيوطي: الإتقان ٤٠/١) .

(٥) في الأصل: إلاية ، وهي:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا ... ﴾ [٨٧] (ينظر: الأنـدرابي: الإيـضاح ص١٨٦ ، والسيوطي: الإتقان ٤١/١) .

(٦) قال السخاوي (جمال القراء ١٢/١-١٣) :" وقال الكلبي:غير أربـع آيـات: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ ﴾[١١٠] ،والثانية : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ...﴾[١٢٦] وما يليهـا إلى آخر السورة ، ووافقه مقاتل وزاد خامسة﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ...﴾[١١٢] ، وفي قولٍ الثلاث الآيات في آخر السورة ، وقيل من أولها إلى قوله تعالـى:﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ ...﴾[٤١] مكية ، وبقيتها مدنية (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيـه ص ٣١١، والـداني ، البيـان ص ١٧٥ ، والأندرابي: الإيضاح ص ١٨٦ ، والزركشي: البرهان ٢٠٠/١ ، والسيوطي: الإتقان ٤١/١).

بني إسرائيلَ إلاَّ خمسَ آيــاتٍ[١] ، الكهفُ إلاَّ آيةً[٢] ، مريمُ إلاَّ آيةً [٣] ، طــه إلاَّ آيةً [٤] ، المؤمنونَ إلاَّ أربعَ عشرةَ آيةً [٥] ، الفرقانُ إلا ثــلاثَ آيــاتٍ[٦]، الشعــراءُ إلاَّ أربــعَ آيــاتٍ [٧] ، القصــصُ إلا آيــةً [٨] ، لقمـــانُ إلا

(١) هي سورة الإسراء ، وهي مكيةٌ إلا خمس آيات في قول الحسن :﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ﴾[٣٣]، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [٣٢] ، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾[٥٧] ،﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [٧٨] ، ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٢٦] (ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص١٨٧) ، وفيها أقوال أخر (ينظر: السيوطي: الإتقان ١/٤١) .

(٢) هي قوله تعالى:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[٢٨] (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص٣١١ ، والزركشي: البرهان ١/٢٠١) .

(٣) وهي قوله تعالى:﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ...﴾ [٥٨] (ينظر: السخاوي: جمال القراء ١/١٤، والسيوطي: الإتقان ١/٤٢) .

(٤) هي قوله تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...﴾ [١٣٠] وقيل أيضاً قوله تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ [١٣٢] (الأندرابي: الإيضاح ص١٨٧ ، والسيوطي: الإتقان ص١/٤٢) .

(٥) هي من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ [٦٤] إلى قوله:﴿ مُبْلِسُونَ ﴾[٧٧] ، (ينظر: السيوطي: الإتقان ١/٤٢) .

(٦) هي من قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [٦٨] إلى﴿ رَّحِيمًا ﴾ [٧٠]، (ينظر الأندرابي: الإيضاح ص ١٨٨ ، والسيوطي: الإتقان ١/٤٢) .

(٧) هي من قوله تعالى:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[٢٢٤] إلى آخر السورة (ينظر: الداني: البيان ص١٩٦ ، والأندرابي: الإيضاح ص١٨٩ ، والسخاوي: جمال القراء ١/١٥) .

(٨) هي قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥٢] (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص٣١١ ، والأندرابي: الإيضاح ص١٨٩) .

آيتَيْـــنَ (١) ، الســـجدةُ إلا ثـــلاثَ آيـــاتٍ (٢) ، يـــس إلاَّ آيـــةً (٣) ، الزمرُ إلاَّ ثـــلاثَ آيـــاتٍ (٤) ، حـــم الـــمؤمن إلا آيـــتين (٥) ، عـــســـق إلا تـــســـعَ(٦) آيـــاتٍ (٧) ، الـــزخـــرفُ إلاَّ آيـــةً (٨) ، الجـــاثيةُ إلا

---

(١) هـــي قولـــه تعـــالى:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾[٢٧] إلى آخـــر الآيـــتين (ينظر:الداني:البيان ص٢٠٦) وقيل:تمـــام ثـــلاث آيـــات (ينظـــر:الأنـــدرابي: الإيـــضاح ص١٨٩، والسخاوي:جمال القراء ١/١٥).

(٢) هي قوله تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾[١٨] إلى آخر الآيات الثلاث (ينظر: الداني: البيان ص٢٠٧ ، والأندرابي: الإيضاح ص١٨٩) .

(٣) هـــي قولـــه تعـــالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا ﴾[٤٧] (ينظـــر: الأنـــدرابي:الإيـــضاح ص١٩٠، والسيوطي:الإتقان ١/٤٤) .

(٤) هي قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا ...﴾ [٥٣] إلى آخر الآيات الثلاث (ينظر: الـــداني: البيان ص٢١٦ ، والأندرابي: الإيضاح ص١٩٠) .

(٥) وهي قوله تعـــالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ...﴾ [٥٦] إلى آخـــر الآيـــتين. (ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص١٩٠ ، والسخاوي: جمال القراء ١/١٦) .

(٦) في الأصل: عسق إلا تسع إلا آيات ، وهو سهو من الناسخ .

(٧) يتحصل من الروايات الواردة في المصادر التي اطلعت عليها أن عدد الآيات المدنية في الشورى ســـبع آيات ، وهي من قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ...﴾ [٢٣] إلى قولـــه : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [٢٦]، ومـــن قولـــه تعـــالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ...﴾[٣٨] إلى قولـــه : ﴿ ...إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٤٠] (ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص١٩١ ، والسخاوي: جمـــال القـــراء ١/١٦ –١٧ ، والسيوطي: الإتقان ١/٤٤) ، وبناء على هذا قد تكون كلمـــة (تسع) تصحفت عـــن (ســـبع) ، وفي كتاب سعد السعود لابن طاووس (ص ٢٨٢) : سبع .

(٨) وهي قوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ [٤٥] (ينظر: الأندرابي: الإيـــضاح ص١٩١ ، والسيوطي: الإتقان ١/٤٤) .

آيـــةً (١)، الأحقـــافُ إلا ستَ عشـــرة آيـــةً(٢) قاف إلا آيةً(٣) ، والنجمِ إلا تسعَ آياتٍ(٤) ، القمرُ إلا آيتين(٥) ، الواقعةُ إلاَّ أربعَ آياتٍ(٦) ، المطففـــينَ إلاَّ ستَّ آياتٍ(٧) .

---

(١) وهي قوله تعالى:﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ ... ﴾ [١٤] (ينظر: الأنـــدرابي: الإيـــضاح ص ١٩١ ، والسخاوي: جمال القراء ١٧/١) .

(٢) أكثر المصادر التي اطلعت عليها لا تذكر إلا قولــه تعــالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[١٠] (ينظر: ابن حبيب: كتاب التنبيه ص ٣١٢ ، والأندرابي : الإيضاح ص ١٩١) وأضاف السخاوي في جمال القراء (١٧/١) قوله تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ ﴾[٣٥] ، وقـــال الـــسيوطي في الإتقـــان (٤٥/١) : "واستثنى بعضهم :﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ... ﴾[١٥] الآيات الأربع "، ومجموع ذلك ست آيات!

(٣) هي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾ [٣٨] (ينظر: الأنـــدرابي: الإيـــضاح ص١٩٢، والسخاوي: جمال القراء ١٧/١) .

(٤) ذَكَرَ أكثر المصادر التي اطلعت عليها قولــه تعــالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾[٣٢] (ينظـــر: الأندرابي: الإيضاح ص١٩٢، والسخاوي: جمال القراء ١٧/١) ، وقال السيوطي: في الإتقان (٤٥/١) : " وقيل :﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾[٣٣] الآيات التسع ".

(٥) ذكر السيوطي: في الإتقان (٤٥/١) : " وقيل:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٥٤] الآيتين " .

(٦) ذكر بعض المصادر قوله تعالى:﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٨٢] (ينظر: الأندرابي: الإيـــضاح ص١٩٣ ، والسخاوي : جمال القراء ١٨/١) ، وقال السيوطي في الإتقـــان (٤٥/١) " اسْـــتُثنِيَ منـــها : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[١٣و١٤] ، وقوله:﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[٧٥] إلى﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾[٨٢] ..." ومجموع ذلك ثماني آيات .

(٧) قال السيوطي: في الإتقان (٤٧/١) : " قيل مكية إلا ست آيات من أولها " ، وهي من السور المختلف فيها ، فقيل: مكية ، وقيل: مدنية ، وقيل بعضها مكي وبعضها مدني (ينظـــر: الـــداني: البيـــان ص٢٦٧ ، والأندرابي: الإيضاح ص١٩٥ ، والسخاوي: جمال القراء ١٩/١) .

فأمَّا السورةُ التي نَزَلَتْ كُلُّهَا بالمدينةِ فهي اثنتا عَشْرَةَ سورةً ، وهـــي: آلُ عمرانَ ، والتوبةُ ، والنورُ ، والأحزابُ ، والقتالُ ، والحُجُرَاتُ ، والجمعةُ ، والمنافقونَ ، والطلاقُ ، والتحريمُ ، والنصرُ[(١)].

وأمَّـــا السُّـــوَرُ التي نَـــزَلَتْ بالمديـــنة إلا أنَّ آيـــاتٍ نَزَلْنَ بمكـــــةَ فهي ثمانِ سُوَرٍ: البقرةُ إلا خـــمسَ آيـــــاتٍ[(٢)] ، النـــــساءُ إلا آيـــتين[(٣)] ، المائـــدةُ إلا آيـــةً[(٤)] ، الأنـــفالُ إلاَّ آيتين[(٥)]، الفتحُ إلا ثـــلاثَ آيـــاتٍ[(٦)]،

(١) المشهور أن ما نزل في مكة خمس وثمانون سورة ، وأن ما نزل في المدينة ثمان وعـــشرون ســـورة ، واختلف في سورة الفاتحة ، وذكر المؤلف عشرين سورة مما نزل في المدينة كاملة أو استثنيت منها آيات ، والسور المدنية الثمانية التي لم يذكرها: الزلزلة والحديد والرعد والرحمن والإنسان والبينة والحج والصف . وفي بعضها اختلاف (ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٦٥، وابن الضريس: فـــضائل القـــرآن ص ١٣٦ ، والسيوطـــــي: الإتقان ١/٢٥- ٢٩).

(٢) قال الأندرابي في الإيضاح (ص ١٨٤): "البقرة والنساء والمائدة مدنيات لا خلاف فيهن".

(٣) نقل السيوطي في الإتقان (٣١/١) عن النحاس أن قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ...﴾ [٥٨] نزلت بمكة، وردَّ عليه ذلك.

(٤) قال الداني في كتابه البيان (١٤٩): " مدنية إلا آية نزلت بعرفة ، وهـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ... ﴾[٣] ... " ، لكنَّ وَصْفَ الآية بأنها مكية ينبني على أساس أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، أما على القول المشهور فالآية مدنية ، لأنها نزلت بعد الهجرة.

(٥) قيل إن قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ...﴾[٣٣] مكيـــة (ينظـــر: ابـــن حبيب: كتاب التنبيه ص ٣١٢) ، وقيل إن قوله:﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ [٣٠] إلى آخر سبع آيات مكية (ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص ١٨٥).

(٦) أشار محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١١٩/٢٦) إلى أن الآيات الأولى من سورة الفتح نزلت مرجع النبي – صلى الله عليه وسلم – من الحديبية ، إي أنها نزلت قرب مكة ، لكن بعد الهجرة .

المجادلةُ إلا آيةً[١] المَوَدَّةُ[٢] إلا آيةً [٤ظ] التغابنُ إلا ثلاثَ آياتٍ[٣] .

فجُمْلَةُ الآياتِ التي اخْتُلِفَ فيها أنها مكيةٌ أو مدنيةٌ أربعُ مِئَةٍ وعشرونَ آيةً[٤].

وجُمْلَةُ الآياتِ المكيةِ على خلافٍ يُذْكَرُ في كُلِّ سورةٍ أربعةُ آلافٍ[٥] وثلاثُ مئةٍ وستٌّ وتسعونَ آيةً .

وجُمْلَةُ المدنيةِ على خلافٍ يُذْكَرُ في كُلِّ سورةٍ ألْفٌ وأربعُ مئةٍ وسبعَ عشرةَ آيةً[٦] .

---

(١) هي قوله تعالى:﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ... ﴾ [٧] (ينظر:السخاوي : جمال القراء١/١٨).

(٢) هي سورة الممتحنة، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير(٢٨/١١٧):"قال بعضهم: إن أول السورة نزل بمكة بعد الفتح "، وما ذكره المؤلف إنما يصح على رأي من يقول إن المكي ما نزل في مكة ولو بعد الهجرة .

(٣) هي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ ... ﴾ [١٤] إلى آخر الآيات الثلاث، وهي آخر السورة(ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص ١٩٣) ، وقيل السورة مكية إلا الآيات الثلاث في آخرها (ينظر: السيوطي: الإتقان ١/٣٤).

(٤) يبدو أن هذا العدد هو مجموع عدد آيات السور الخمس عشرة المختلف في كونها مكية أو مدنية التي ذكرها المؤلف في باب (في ذكر ما اختلفوا في نزوله من السور) في صدر الكتاب ، فقد بلغ عدد آياتها (٤١١) آية في العدد الكوفي المأخوذ به في المصاحف في زماننا،ويبدو أن وصول العدد إلى(٤٢٠) بناء على مذهب غير الكوفيين ، أو نتيجة خطأ في العد .

(٥) في الأصل: الألف ، وهو تحريف .

(٦) إنَّ مجموع الآيات المكية والمدنية التي ذكرها المؤلف هو (٦٢٣٣) وهو لا يتطابق مع أي من مذاهب أهل العدد ، قال ابن الجوزي في كتابه فنون الأفنان (ص٩٩): "وقد وقع إجماع العادِّين على أن القرآن ستة آلاف ومئتا آية،ثم اختلفوا في الكسر الزائد على ذلك " .وأقصى ما يصل إليه العدد هو (٦٢٣٦) في عدد أهل الكوفة (ينظر: الداني: البيان ص٧٣ ، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٤)، وقد ذكر المؤلف مجموع أعداد الآيات في باب يأتي في الكتاب .

وجُمْلَةُ الآياتِ التي نَزَلَتْ في السماءِ ثلاثُ آياتٍ[١] .

[٣] بابٌ في ذِكْرِ عَدَدِ آياتِ كُلِّ سورةٍ والاختلافِ[٢] فيها

اعلم أنَّ الكلامَ فيها يَقَعُ في ثلاثةِ مواضعَ[٣] :

أحدُها:الكلامُ في ذِكْرِ ما اتَّفَقُوا في جُمْلَةِ آياتها واختلفوا في تفصيلِها.

والثاني: الكلامُ في ما اتفقوا في جُملتِها وتفصيلِها .

والثالث: الكلامُ في ذِكْرِ ما اختلفوا في جُملةِ آياتِها وتفصيلِها .

أما التي اتفقوا في جُملةِ آياتِها واختلفوا في تفصيلِها فهي سورتانِ[٤]، وهما: الفاتحةُ[٥] والعَصْرُ[٦] .

---

(١) ذكرها المؤلف في الباب الأول من الكتاب .

(٢) في الأصل: الاختلاف ، بحذف واو العطف.

(٣) ذكر السيوطي مثل هذا التقسيم نقلا عن الموصلي (ينظر: الإتقان ١٩٠/١) ، والموصلي المذكور هو: محمد بن أحمد بن محمد المعروف بشُعْلَة ، توفي سنة ٦٥٦هـ ، له شرح على الشاطبية ، وله منظومة: ذاتُ الرَّشَد في الخلاف بين أهل العَدَدِ ، وشَرْحُهَا. (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٨٠/٢)، وهو أحد مصادر السيوطي التي أشار إليها في مقدمة الإتقان (٢٠/١).

(٤) ذكر السيوطي في الإتقان (١٩٠/١-١٩١) نقلاً عن شعلة الموصلي أنها أربع سور: القصص، والعنكبوت، والجن، والعصر. وما ورد في المصادر يؤيد ما ذكره السيوطي عن القصص والعنكبوت والعصر، وفي سورة الجن خلاف (ينظر: الداني:البيان ص٢٠١و٢٠٣ و٢٥٦، والأندرابي:الإيضاح ص٢٢٦ و٢٣١، وابن الجوزي:فنون الأفنان ص١٤٧ و١١٦، والسخاوي:جمال القراء ٢١٠/١ و٢١١ و٢٢٣).

(٥) الفاتحة سبع آيات في جميع العدد، واختلفوا في البسملة، فعدَّها المكيُّ والكوفيُّ، ولم يعدها الباقون . اختلفوا في:﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فلم يعدَّها الكوفي والمكي وعدَّها الباقون (ينظر: الداني:البيان ص١٣٩).

(٦) العصر ثلاث آيات في جميع العدد ، اختلفوا في: ﴿وَالْعَصْرِ ﴾ لم يعدَّها المدني الأخير وعدها الباقون. واختلفوا في: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ عدَّها المدني الأخير ولم يعدَّها الباقون (ينظر:الداني: البيان ص٢٨٧).

وأمَّا السُّوَرُ التي اتفقوا في جُملةِ آياتِها وتفصيلِها فهي تسعٌ وثلاثـــونَ سورة[١] :

يوسفُ ، والحِجْرُ ، والنَّحْلُ ، والفرقانُ ، والأحـــزابُ ، والفـــتحُ ، والحُجُرَاتُ ، وقافْ [٥و] ، والذارياتُ ، والقمرُ ، والحشرُ ، والمَـــوَدَّةُ [٢] ، والصَّفُّ ، والجمعةُ ، والمنافقونَ ، والتغابنُ ، والتحريمُ ، والقلمُ ، والإنسانُ ، والمرسلاتُ ، والانفطارُ ، والمطففينَ ، والبروجُ ، والأعلى ، والغاشيةُ ، والبلدُ، والليلُ ، والضحى، والانشراحُ ، والتينُ ، والعادياتُ ، والتكاثرُ ، والهُمَـــزَةُ ، والفيلُ ، والكوثرُ ، والكافرينَ ، والنصرُ ، وتبَّتْ ، والفلقُ .

وأمَّا السُّوَرُ التي اختلفوا في جُملةِ آياتِها وتفصيلِها فهي ثلاثٌ وسبعونَ سورة[٣]:

(١) نقل السيوطي في الإتقان (١/١٩٠) أنها أربعون سورة ، وأضاف سورة التكوير إلى مـــا ذكـــره المؤلف، قال السخاوي في جمال القراء (١/٢٢٥): " وهي عشرون وتسع آيـــات باتفـــاق " ، لكـــن الأندرابي قال: (الإيضاح ص٢٣٣): " تسع وعشرون في الأعداد كلها ، وثمان وعشرون في عـــدد أبي جعفر ، أسقط أبو جعفر: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [٢٦] " ، وما ذكـــره الداني (البيـــان ص٢٦٥) وابـــن الجوزي (فنون الأفنان ص١٧٠) يؤيد ما قاله الأندرابي .

(٢) المودَّة هي سورة الممتحنَة .

(٣) نقل السيوطي في الإتقان (١/١٩١) أنها سبعون سورة ، وأسقط منها القصص والعنكبوت والجـــن التي أدرجها ضمن السور المتفق على جملتها وتفاصيلها، وقد سبقت الإشارة إلى ذلـــك في ص (٢٦٩) الهامش (٤).

البقرةُ ثلاثَ عشرةَ آيةً(١) ، آلُ عمرانُ سبعُ آياتٍ ، النساءُ آيتـــان ، المائدةُ ثلاثُ آياتٍ ، الأنعامُ خمسُ آياتٍ(٢) ، الأعرافُ ستُّ آياتٍ(٣) ، الأنفالُ ثلاثُ آياتٍ ، التوبةُ خمسُ آياتٍ(٤) ، يُونُسُ ثلاثُ آياتٍ ، هُودٌ سبعُ آيـــاتٍ ، الرعدُ ستُّ آياتٍ(٥) ، إبراهيمُ سبعُ آياتٍ ، بني إسرائيلَ آيةٌ ، الكهـــفُ اثنتـــا عَشْرَةَ آيةً(٦) ، مريمُ ثلاثُ آياتٍ ، طه إحدى وعشرونَ آيةً ، الأنبياءُ آيتان(٧)، الحَجُّ خمسُ آياتٍ ، المؤمنونَ آيةٌ ، النورُ آيتانِ ، الشعراءُ أربعُ آيـــاتٍ، النمـــلُ

(١) قال الداني (البيان ص١٤٠) ، والأندرابي (الإيضاح ص٢٢١) وابن الجوزي(فنـــون ص١٣٠) : اختلافها إحدى عشرة،وأشار الداني إلى أن بعـــضهم نـــسب إلى المكـــي عَـــدَّ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ الأول [٢١٥]﴿ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[٢٨٢] ، قال الداني: وليس بصحيح ، فلعل المؤلف عـــدَّ هذين الموضعين ، فصار اختلاف السورة عنده ثلاث عشرة آية .

(٢) ما ورد في المصادر يشير إلى أنَّ عدد الآيات المختلف فيها في سورة الأنعام أربعة (ينظـــر: الـــداني: البيان ص١٥١ ، والأندرابي: الإيضاح ص٢٢٢ ، وابن الجوزي : فنون الأفنان ص١٣٣ ، والسخاوي: جمال القراء ٢٠٢/١) .

(٣) في المصادر التي رجعتُ إليها خمس آيات (ينظر: البيان ص١٥٥ ، والإيـــضاح ص٢٢٢ ، وفنـــون الأفنان ص١٣٤ ، وجمال القراء ٢٠٢/١) ، ولما كان المؤلف لم يذكر الآيات فإن من غير المتيسر تحديد الآية التي زادها .

(٤) في المصادر ثلاث آيات (ينظر: البيان ص١٦٠ ، والإيضاح ص٢٢٢ ، وفنون الأفنـــان ص١٣٥ ، وجمال القراء ٢٠٣/١) .

(٥) في (البيان ص١٦٩ ، والإيضاح ص٢٢٣ ، وفنون الأفنان ص١٣٧): خمس آيات ، وفي (جمـــال القراء ٢٠٤/١): أربع آيات .

(٦) في (البيان ص ١٧٩ ، والإيضاح ص ٢٢٤ ، وفنون الأفنان ص ١٤٠): إحدى عشرة آيـــة ، وفي جمال القراء ٢٠٦/١): عشر آيات.

(٧) في المصادر: آية واحدة (ينظر: البيان ص ١٧٨ ، والإيضاح ص ٢٢٥ ، وفنون الأفنان ص ١٤٤، وجمال القراء ٢٠٨/١).

آيتانِ ، القَصَصُ أربعُ آياتٍ[١] العنكبوتُ أربعُ آياتٍ[٢] ، [٥ظ] ، الرومُ خمسُ آياتٍ[٣] ، لقمانُ آيتانِ ، السجدةُ آيتانِ ، سبأ آيةٌ ، فاطرٌ ثمانِ آياتٍ[٤] يس آيةٌ، والصافاتُ آيتانِ ، صادْ خمسُ آياتٍ[٥] ، الزمرُ سبعُ آياتٍ ، حم المؤمن تسعُ آياتٍ ، حم السجدة آيتانِ ، عسق ثلاثُ آياتٍ ، الزخرفُ آيتانِ ، الدُّخَانُ أربعُ آياتٍ ، الجاثيةُ آيةٌ ، الأحقافُ آيةٌ ، القتالُ خمسُ آياتٍ[٦] ، والطورُ آيتانِ ، والنجمِ ثلاثُ آياتٍ ، سورةُ الرحمنِ – عَزَّ وجَلَّ – خمسُ آياتٍ ، الواقعةُ أربعَ عشرةَ آيةً ، الحديدُ آيتانِ ، المجادلةُ آيةٌ ، الطلاقُ ثلاثُ آياتٍ ، المُلْكُ آيةٌ ، الحاقَّةُ ثلاثُ آياتٍ[٧] ، المعارجُ آيةٌ ، نوحٌ خمسُ

---

(١) في المصادر: آيتان (ينظر: البيان ص ٢٠١ ، والإيضاح ص ٢٢٦ ، وفنون الأفنان ص ١٤٧ ، وجمال القراء ٢١١/١).

(٢) في المصادر: ثلاث آيات (ينظر: البيان ص٢٠٣ ، والإيضاح ص ٢٢٦ ، وفنون الأفنان ص ١٤٧، وجمال القراء ٢١١/١).

(٣) في المصادر: أربع آيات (ينظر: البيان ص ٢٠٥ ، والإيضاح ص ٢٢٦ ، وفنون الأفنان ص ١٤٨، وجمال القراء ٢١١/١) .

(٤) في المصادر : سبع آيات (ينظر: البيان ص ٢١٠ ، والإيضاح ص ٢٢٧ ، وفنون الأفنان ص ١٥٠، وجمال القراء ٢١٢/١).

(٥) في المصادر: ثلاث آيات (ينظر: البيان ص ٢١٤ ، والإيضاح ص ٢٢٧ ، وفنون الأفنان ص ١٥٢، وجمال القراء ٢١٣/١) .

(٦) في المصادر: آيتان (ينظر: البيان ص ٢٢٨ ، والإيضاح ص ٢٢٩ ، وفنون الأفنان ص ١٥٧ ، وجمال القراء ٢١٧/١) ، وقال الداني في البيان (ص ٢٢٨): " وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع سبعة مواضع ... " ولعل المؤلف عدَّ بعض هذه المواضع .

(٧) في المصادر: آيتان (ينظر: البيان ص ٢٥٣ ، والإيضاح ص ٢٣١ ، وفنون الأفنان ص ١٦٤، وجمال القراء ٢٢٢/١).

آياتٍ(١)، الجِنُّ آيتانِ ، المُزَمِّلُ ثلاثُ آياتٍ(٢)، المُدَّثِّرُ آيتانِ ، القيامة(٣) آيـــةٌ ، المُعْصِرَاتُ(٤) آيةٌ ، والنازعاتُ آيتانِ ، عَبَسَ ثلاثُ آياتٍ ، العِشَارُ(٥) آيـــةٌ ، الانشقاقُ خمسُ آياتٍ(٦) ، الطارقُ سبعُ آياتٍ(٧) والفجـــرِ أربـــعُ آيـــاتٍ ، والشمسِ آيةٌ ، العَلَقُ آيتانِ ، القَدْرُ آيةٌ ، القيِّمَةُ آيةٌ ، الزلزلةُ آيـــةٌ ، القارعـــةُ ثلاثُ آياتٍ ، قريشٌ آيةٌ ، الماعونُ آيةٌ ، الإخلاصُ آيةٌ ، والناسُ آيةٌ(٨) .

---

(١) في المصادر: أربع آيات (ينظر: البيان ص ٢٥٥ ، والإيضاح ص ٢٣١ ، وفنون الأفنان ص ١٦٥، وجمال القراء ٢٢٢/١).

(٢) قال الداني في البيان(ص ٢٥٧):أربع آيات،وذكر أن بعضهم عـــدَّ للمكـــي:﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [١٥] ولم يعدَّها الباقون ، لكن المصادر الأخرى اتفقت مع ما ذكره المؤلف (ينظـــر: الإيـــضاح ص ٢٣٢، وفنون الأفنان ص ١٦٧ ، وجمال القراء ٢٢٣/١) .

(٣) في الأصل: القيمة.

(٤) هي سورة النبأ.

(٥) هي سورة التكوير .

(٦) في المصادر: آيتان (ينظر: البيان ص ٢٦٨ ، الإيضاح ص ٢٣٣ ، وفنون الأفنان ص ١٧٠ ، وجمال القراء ٢٢٥/١).

(٧) في المصادر: آية واحدة ، وهي :﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [١٥] (ينظر: البيان ص ٢٧٠ ، والإيـــضاح ص ٢٣٣ ، وفنون الأفنان ص ١٧١ ، وجمال القراء ٢٢٦/١).

(٨) راجعت الأعداد التي ذكرها المؤلف في هذا الباب على عدد من المصادر ، وهي البيـــان للـــداني ، والإيضاح للاندرابي ، وفنون الأفنان لابن الجوزي ، وجمال القراء للسخاوي ، وقد أشرت إلى ما خالف فيه المؤلف هذه المصادر دون ما وافقها فيه .

[٤] بابٌ في ذِكْرِ جُمَلِ السورِ والآياتِ والكلماتِ والحروفِ

جُمْلَةُ السُّوَرِ مئةٌ وأربعَ [٦و] عشرةَ سورة .

وجُمْلَةُ الآياتِ على عَدَدِ الكُوفِيِّينَ ستةُ آلاف(١) ومئتانِ وستٌّ وثلاثونَ آيةً(٢) ، وهو العَدَدُ الذي رواه الكسائيُّ(٣) عن حمزة(٤) ، وأسندَهُ حمزةُ إلى أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ – رَضِيَ اللهُ عن(٥).

وعلى عَدَدِ البَصْرِيِّينَ ستةُ آلافٍ(٦) ومئتانِ وأربعُ آياتٍ(٧) ، وهو العَدَدُ الذي عليه مَصَاحِفُهُم .

(١) في الأصل: ألف .

(٢) ينظر: الداني: البيان ص٨٠ ، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٤ .

(٣) أبو الحسن علي بن حمزة ، الكوفي، ثم البغدادي ، إمام في القراءة واللغة، وهو أحد القراء السبعة ، توفى سنة ١٨٩هـ (ينظر: الذهبي : معرفة القراء ٢٩٦/١ ، وابن الجزري: غاية النهاية ٥٣٥/١) .

(٤) أبو عُمارة حمزة بن حبيب الزيات ، الكوفي ، أحد القراء السبعة ، توفى سنة ١٥٦هـ (ينظر: الذهبي: معرفة القراء ٢٥٠/١ ، وابن الجزري : غاية النهاية ٢٦١/١) .

(٥) أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين ، وأحد السابقين الأولين ، فضائله أكثر من أن تُحصى ، ومناقبه أعظم من أن تستقصى ، استشهد صبيحة سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة ، رضي الله عنه وأرضاه (ينظر: الذهبي: معرفة القراء ١٠٥/١ ، وابن الجزري: غاية النهاية ٥٤٦/١) .

(٦) في الأصل: ألف ، وكذلك في المواضيع الآتية ، وتمييز العدد من ثلاثة إلى عشرة يكون جمعاً .

(٧) ينظر: الداني: البيان ص٨٠ ، والأندرابي: الإيضاح ص٢١٦ .

وعلى عَـــدَدِ المدنيِّينَ ستةُ آلافٍ ومئتانِ وسبـــعَ عشرةَ آيةً(١) ، وعلى عَـــدَدِ إسماعيلَ – وهـــو الـــمَدَنـــيُّ الأخـــيرُ – بـــنُ جـــعفر(٢)، ســـتةُ آلافٍ ومئتانِ وأربعَ عشرةَ آيةً(٣) .

وعلى عَدَدِ أهلِ مكةَ ستَّةُ آلافٍ ومئتانِ وتسعَ عشرةَ آيةً(٤) .

وعلى عَدَدِ أهلِ الشامِ ستةُ آلافٍ ومئتانِ وستٌّ وعشرونَ آيةً(٥) .

وجُمْلَةُ كلماتِهَا سبعٌ وسبعونَ ألفاً وأربعُ مئةٍ وثلاثونَ كلمةً .

وجُمْلَةُ حروفِهَا ثلاثُ مئةِ ألفٍ وثلاثٌ وعشرونَ ألفـــاً ، وخمـــسةَ عشرَ(٦) حرفاً(٧) .

[٥] بابٌ في ذِكْرِ أواخرِ الآيِ على عَدَدِ الكوفيينَ وهي ستةٌ آلافٍ ومئتانِ وستٌّ وثلاثونَ آية

اعلم أنَّ أواخرَ الآياتِ نَزَلَتْ على خمسٍ وعشرينَ(٨) حرفاً ، وهي:

---

(١) ويسمى: المدني الأول (ينظر: الداني: البيان ص٧٩) .

(٢) كذا في الأصل ، وهو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المقرئ الحافظ ، كان أحد الأثبات والنبلاء ، توفى ببغداد سنة ١٨٠هـ (ينظر: الذهبي: معرفة القراء ٢٩٤/١ ، وابن الجزري: غاية النهاية ١٦٣/١).

(٣) ينظر: الداني: البيان ص٧٩ ، والسخاوي: جمال القراء٢٣١/١ .

(٤) ينظر: الداني: البيان ص٧٩ .

(٥) ينظر: الداني: البيان ص٨١ .

(٦) في الأصل: خمس عشرة ، وهو تحريف .

(٧) عدَّ علماء السلف من الصحابة والتابعين كلمات القرآن وحروفه ولم يتفقوا علـــى عـــدد معـــين لاختلافهم في الأسس التي يقوم عليها العَدُّ (ينظر: الداني: البيان ص٧٣ –٧٨ ، الأنـــدرابي: الإيـــضاح ص٢١٤ –٢١٨ ، وابن الجوزي: فنون الأفنان ص١٠١-١٠٤) .

(٨) في هامش الأصل: " الصواب: ستة وعشرون ، وإدخال الواو في العدد " .

الألفُ ، والباءُ ، والتاءُ ، والثاءُ ، والجيمُ ، والحاءُ ، والدالُ ، والذالُ،[٦ظ] والراءُ ، والزايُ ، والسينُ ، والشينُ ، والصادُ ، والضادُ ، والطاءُ ، والظاءُ ، والعينُ ، والفاءُ ، والقافُ ، والكافُ ، واللامُ ، والميمُ ، والنونُ ، والهاءُ ، والياءُ .

ولم يَنْزِلْ على الخاءِ ، والغينِ ، والواوِ[١] ، ثم نَزلَ على النونَ وَحْدَهَا ثلاثةُ آلافٍ[٢] ومئةٌ وسبعٌ وعشرونَ آية ، ونَزَلَ باقي القرآنِ على سائرِ الحروفِ المذكورة .

وقد سُقْتُهَا على حروفِ الْمُعْجَمِ ، وذَكَرْتُ من بَعْدُ جُمْلَةَ ما نَزَلَ على كُلِّ حرفٍ منها وتفصيلها ، ليكونَ أسهلَ على مَنْ أرادَ حِفْظَهَا ، وهي:

على الألفِ: تسعُ مئةٍ وتسعٌ[٣] وخمسونَ آيةً.

على الباءِ: مئةٌ واثنتانِ وستونَ آيةً.

على التاءِ: مئةٌ وسبعٌ وخمسونَ آيةً.

على الثاءِ: آيتانِ.

---

(١) في هامش الأصل: " هكذا قال ، وفيه نظر ، لأنَّ الواو أيضا نزلت عليه آيات ثلاث ، واحدة بالاختلاف،واثنتان بالاتفاق،فلا وجه لإسقاطه "، والآيات المشار إليها هي: ﴿أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾ في النساء [٣]، و﴿ضَلُّوٓاْ﴾في طه [٩٢] ، و﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾في النجم [٦٢] ، لكن هذا الاعتراض على المؤلف مدفوع لأنه أدخل الآيات المذكورة في ما آخره ألف من الآيات ، اعتماداً على الرسم دون النطق ، حسب المنهج الذي سار عليه في الكتاب .

(٢) في الأصل: ألف .

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب(وسبع)، لأن مجموع الآيات التي فواصلها الألف حسب منهج المؤلف هو (٩٥٧).

على الجيمِ: تسعُ آياتٍ.

على الحاءِ: آيةٌ.

على الدالِ: مئةٌ وتسعٌ وتسعونَ آيةً.

على الذالِ: آيتانِ.

على الراءِ: أربعُ مئةٍ وتسعٌ وأربعونَ آيةً.

على الزايِ: عشرُ آياتٍ ، كُلُّهَا ﴿عَزِيزٌ﴾.

على السينِ: إحدى عشرةَ آيةً.

على الشينِ: آيتانِ.

على الصادِ: عشرُ آياتٍ.

على الضادِ: آيةٌ.

على الطاءِ: اثنتا عشرةَ آيةً.

على الظاءِ: [ثلاثَ](١) عشرةَ آيةً .

على العينِ: [٧و] ثلاثَ عشرةَ آيةً.

على الفاءِ: ثلاثُ آياتٍ.

على القافِ: إحدى وأربعونَ آيةً.

على الكافِ: ثمانِ آياتٍ.

على اللامِ: سبعٌ وستونَ آيةً .

على الميمِ: ستٌّ مئةٍ وستونَ آيةً.

على النونِ: ثلاثةُ آلافٍ(٢) ومئةٌ وسبعٌ وعشرونَ آيةً.

---

(١) في الأصل:عشرة آية ، وما ذكره المؤلف في بيان فواصل حرف الظاء يدل على أنها ثلاث عشرة آية.

(٢) في الأصل: ألف.

على الهاءِ: ثمانٍ وأربعونَ آيةً.

على الياءِ: مئتانِ وسبعونَ آيةً[(١)].

فأمَّا الألفُ[(٢)]: ففي[(٣)] آلِ عمرانَ ثلاثُ آياتٍ ، وفي النساءِ مئةٌ وتسعٌ[(٤)] وستونَ آيةً ، وفي إبراهيمَ ستُّ آياتٍ ، وفي بني إسرائيلَ[(٥)] مئةٌ وعشرُ آياتٍ ، وفي الكهفِ مئةٌ وتسعُ آياتٍ ، وفي مريمَ تسعونَ آيةً ، وفي طه ستٌّ وعشرونَ آيةً ، وفي الحَجِّ آيةٌ ، وفي الفرقانِ ستٌّ وسبعونَ آيةً ، وفي الأحزابِ اثنتانِ وسبعونَ آيةً ، وفي فاطرٍ سبعُ آياتٍ ، وفي الصافَّاتِ ثلاثُ آياتٍ ، وفي القتالِ آيتانِ ، وفي الفتحِ تسعٌ وعشرونَ ، كُلُّهَا ، وفي الذارياتِ أربعُ آياتٍ ، وفي الطورِ ثلاثُ آياتٍ ، وفي النجمِ ثلاثُ آياتٍ[(٦)] وفي الواقعةِ ثمانِ آياتٍ ، وفي الطلاقِ إحدى عشرةَ آيةً ، وفي التحريمِ آيةٌ ، وفي المعارجِ سبعُ آياتٍ

---

(١) بلغ مجموع أرقام حروف أواخر الآيات التي ذكرها المؤلف (٦٢٣٣) بنقص ثلاثة أرقام على عدد أهل الكوفة البالغ (٦٢٣٦).

(٢) في هامش الأصل:"أراد بالألف الهمزة نحو: ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ و﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ و ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ والألف المبدلة من التنوين وقفاً ، وألف التأنيث أو غيرها المكتوبة في المصحف على صورة الألف نحو: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ، وكذا أراد الألفات الواقعة بعد الهاء " .

(٣) في الأصل : في ، والسياق يقتضي: ففي.

(٤) عدَّ المؤلف ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾[٣] مع الآيات التي أواخرها الألف.

(٥) هي سورة الإسراء.

(٦) في النجم ثلاث آيات أواخرها ألف ، هي:﴿شَيْـًٔا﴾[٢٧] و﴿ٱلدُّنْيَا﴾[٢٨] و﴿وَأَحْيَا﴾ [٤٤] ، وعدَّ المؤلف الياءات في السورة (٥٤) ياء ، وهي (٥٣) ، فلعله عدَّ ﴿وَأَحْيَا﴾ معها ، وجعل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟﴾ في آخر السورة مع الألفات ، لأنه لم يعتبر الواو ضمن حروف الفواصل.

[٧ظ] ، وفي نوحٍ أربعٌ وعشرونَ آيةً ، وفي الجِنِّ ثمانٍ وعشرونَ ، وفي المَزَّمِّلِ ثمانِيَ عشرةَ ، وفي المُدَّثرِ ستٌّ[(١)] ، وفي الإنسانِ إحدى وثلاثونَ ، وفي المُرْسَلاتِ تسعٌ ، وفي المُعْصِرَاتِ[(٢)] خمسٌ وثلاثونَ ، وفي الراجفةِ سبعَ عشرةَ، وفي عَبَسَ سبعٌ[(٣)] ، وفي الانشقاقِ ستٌّ ، وفي الطارقِ ثلاثٌ ، وفي الأعلى آيةٌ، وفي الفَجْرِ أربعٌ ، وفي البلدِ آيةٌ ، وفي الشمسِ خمسَ عشرةَ ، وفي الانشراحِ آيتانِ ، وفي الزلزلةِ خَمْسٌ ، وفي العادياتِ خمسٌ ، وفي النصرِ آيتانِ.

وأمَّا الباءُ: ففي البقرةِ تسعٌ ، وفي آلِ عمرانَ عشرٌ ، وفي المائدةِ أربعٌ ، وفي الأنفالِ أربعٌ ، وفي التوبةِ آيةٌ ، وفي هودٌ ثلاثَ عشرةَ ، وفي الرَّعْدِ خمسَ عشرةَ ، وفي إبراهيمَ أربعٌ ، وفي الحَجِّ آيتانِ ، وفي النورِ آيتانِ ، وفي سبأ خمسٌ، وفي فاطرٌ آيةٌ ، وفي الصافاتِ خمسٌ ، وفي صادْ خمسٌ وثلاثونَ ، وفي الزُّمَرِ أربعٌ، وفي حم المؤمنِ[(٤)] سبعَ عشرةَ ، وفي حم السجدة [(٥)] ، وفي عسق[(٦)] خمسٌ [٨و] وفي قافْ سبعٌ ، وفي الواقعةِ آيةٌ ، وفي الحديدِ آيةٌ ، وفي الحَشْرِ آيتانِ ،

---

(١) جاء في هامش الأصل: " ولم يذكر في القيامة عشر آيات على الألف " ، والمؤلف في الواقع قد ذكرها مع الياءات ، لأنها مرسومة ياءً.

(٢) هي سورة النبأ.

(٣) جاء في هامش الأصل: " والصواب أنها سبع عشرة " ، وهذا القول مبني على عدم التفريق بين الألفات المرسومة بالألف ، وتلك المرسومة بالياء ، وهو عكس مذهب المؤلف ، ومن ثم لا وجه للاعتراض على العدد المذكور هنا.

(٤) وتسمى أيضاً: سورة غافر.

(٥) هي سورة فصِّلت .

(٦) هي سورة الشورى.

وفي المرسلاتِ آيتانِ ، وفي البروجِ آيةٌ ، وفي الطارقِ آيتانِ ، وفي الفجرِ آيةٌ ، وفي الانشراحِ آيتانِ ، وفي العَلَقِ آيةٌ ، وفي تَبَّتْ أربعٌ ، وفي الفَلَقِ آيةٌ.

وأمَّا التاءُ[1] ففي النجمِ آيتانِ ، [وفي الواقعةِ عشرٌ][2] ، وفي الحاقَّةِ ثلاثٌ وعشرونَ ، وفي المعارجِ آيةٌ ، وفي المدَّثِّرِ ثمانٍ[3] ، وفي القيامةِ عَشْرٌ، وفي المرسلاتِ خمسٌ ، وفي النازعاتِ تسعٌ ، وفي عَبَسَ إحدى عشرةَ ، وفي التكويرِ أربعَ عشرةَ ، وفي الانفطارِ خمسٌ ،[وفي الانشقاق خمس][4]، وفي الغاشيةِ ثمانيَ[5] عشرةَ ، وفي الفجرِ آيتانِ ، وفي البلدِ عشرٌ ، وفي العلقِ ثلاثٌ، وفي القيِّمَةِ سبعٌ ، وفي القارعةِ ستٌّ ، وفي الهمزةِ سبعٌ ، وفي قريشٍ آيةٌ.

وأمَّا الثاءُ: ففي الضحى آيةٌ ، وفي المعارجِ آيةٌ.

وأمَّا الجيمُ: ففي الحَّجِ آيةٌ ، وفي صادْ آيةٌ ، وفي قافْ خمسٌ ، وفي المعارجِ آيةٌ ، وفي البروجِ آيةٌ.

وأمَّا الحاءُ: ففي النصرِ آيةٌ.

---

(١) جاء في هامش الأصل: " إدخال الهاءات التي هي في الوقف وفي التاء (كذا) ، وخالفه الجمهور، وعددها في الهاء ، وهو الصحيح " يريد الكاتب أن المؤلف عدَّ تاء التانيث في الاسماء في مثل: (الحاقة ، بالقارعة ، بالطاغية ، عاتية ...) التي تصير في الوقف هاء ، ضمن الآيات التي أواخرها التاء .

(٢) ما بين المعقوفين مرسوم بهامش الأصل .

(٣) في المدثر سبع آيات آخرها تاء التأنيث ، لكن المؤلف عدَّ (ذَكَرَهُ) [٥٧] معها ، وأسقطها من عدد الهاءات فصار مجموع الآيات التي آخرها التاء (١٥٧) كما ذكر المؤلف في أول الباب.

(٤) زيادة لازمة غفل عنها الناسخ ، وبها يكمل مجموع الآيات التي فواصلها التاء .

(٥) في الأصل: ثمان.

وأمَّا الدالُ: ففي البقرةِ سبعٌ ، وفي آلِ عمرانَ تـسعٌ ، وفي المائـدةِ آيتـانِ [٨ظ] وفي الأنفالِ آية ، وفي هودٍ إحدى وعشرونَ[١] ، وفي الرعدِ أربعٌ ، وفي إبراهيمَ عشرةٌ [٢]، وفي مريمَ واحدةٌ[٣] ، وفي الحجِّ خمسَ عشرةَ ، وفي لقمانَ آيتانِ ، وفي سبأ تسعٌ ، وفي فاطرٍ ثلاثٌ ، وفي الصافاتِ آيتـانِ ، وفي صادْ ستٌّ ، وفي الزمرِ ثلاثٌ[٤] ، وفي حم المؤمن عشرٌ، وفي حم السجدة سبعٌ ، وفي عسق أربعٌ ، وفي قافْ تسعٌ وعشرونَ[٥]، وفي الطورِ آيةٌ[٦] ، وفي الواقعةِ ثلاثٌ ، وفي الحديدِ آيةٌ ، وفي المجادلةِ آيةٌ ، وفي المَوَدَّةِ آيةٌ ، وفي التغابُنَ آيةٌ ، وفي المُدَّثِرِ آيةٌ ، وفي البروجِ
ستَّ عشرةَ ، وفي الفجرِ عشرٌ ، وفي البلدِ ستٌّ ، وفي العادياتِ ثلاثٌ ، وفي الكافرونَ آيتانِ ، وفي تَبَّتْ آيةٌ ، وفي الإخلاصِ أربعٌ ، وفي الفَلَقِ آيتانِ[٧] .

وأمَّا الذالُ: ففي هودٍ آيتانِ .

وأمَّا الراءُ: ففي البقرةِ إحدى وعـشرونَ ، وفي آلِ عمـرانَ ثـلاثٌ وعشرونَ ، وفي المائدةِ سبعٌ ، وفي الأنعامِ أربعٌ ، وفي الأنفالِ عشرٌ ، وفي التوبةِ

---

(١) في هود ثلاثة وعشرون آية آخرها دال .

(٢) في إبراهيم إحدى عشرة آية فواصلها تنتهي بدال .

(٣) كذا في الأصل ، ويبدو أنه يقصد ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾، بناء على لفظ (صاد) .

(٤) يبدو أن المؤلف عدَّ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾[١٧] مع الياء ،فجعل في السورة ثلاث دالات ، وياءين.

(٥) في سورة ق سبع وعشرون آية آخرها دال ، ولعل (سبع) تحرفت إلى (تسع) .

(٦) ليس في الطور آية آخرها دال .

(٧) مجموع الآيات التي فواصلها الدال كما ذكر المؤلف ثمان وتسعون ومئة آيـة ، وإذا أخـذنا بنظـر الاعتبار ما ورد في سورة هود من زيادة آيتين ، وفي سورة إبراهيم آية ، وحذف آيتين من سورة قـاف فإن المجموع يصبح تسعاً وتسعين ومئة آية ، وهو المجموع الذي ذكره المؤلف في أول الباب .

أربعٌ ، وفي هودٍ إحدى عشرةَ ، وفي يوسفَ آيتانِ ، وفي الرعدِ ثمانٍ ،[٩و] وفي إبراهيمَ إحدى عشرةَ ، وفي النحلِ آيتانِ ، وفي بني إسرائيلَ(١) آية ، وفي الحَجِّ خمسٌ وعشرونَ ، وفي النورِ سبعٌ ، وفي القَصَصِ آيتانِ ، وفي العنكبوتِ ثلاثٌ، وفي الرومِ آيتانِ ، وفي لقمانَ ستٌّ عشرةٌ ، وفي سبأ اثنتا عشرةَ ، وفي فاطرٍ تسعٌ وعشرونَ ، وفي صادْ خمسَ عشرةَ ، وفي الزمرِ ستٌّ ، وفي حم المؤمن خمسَ عشرةَ ، وفي حم السجدة آيتانِ ، وفي سورة عسق عشرونَ ، وفي الأحقافِ آيةٌ ، وفي الحجراتِ آيةٌ ، وفي قافْ آيتانِ ، وفي الطورِ خمسٌ ، وفي القمرِ خمسٌ وخمسونَ ، وفي الرحمنِ آيتانِ ، وفي الحديدِ إحدى عشرةَ ، وفي المجادلةِ خمسٌ ، وفي الحشر ثلاث ، وفي المَوَدَّة(٢) ثلاثٌ ، وفي التغابنِ سبعٌ، وفي التحريمِ أربعٌ ، وفي المُلْكِ إحدى وعشرونَ ، وفي المدَّثرِ إحدى وثلاثونَ ، وفي القيامةِ سبعٌ ، وفي المرسَلاتِ آيتانِ ، وفي الانشقاقِ آيةٌ ، وفي البروجِ آيةٌ ، وفي الطارقِ ثلاثُ آياتٍ(٣) ، وفي الغاشيةِ أربعٌ ، وفي الفجرِ خمسٌ ، وفي الضحى آيتانِ ، وفي القَدْرِ خمسٌ ، وفي العادياتِ ثلاثٌ ، وفي التكاثرِ آيتانِ ، وفي العصرِ آيةٌ(٤)، وفي الكوثرِ ثلاثٌ(٥).

---

(١) هي سورة الإسراء .

(٢) هي سورة الممتحنة .

(٣) في الأصل: آية .

(٤) في سورة العصر ثلاث راءات .

(٥) مجموع ما ذكره المؤلف من الآيات التي آخرها راء (٤٤٨) وهو ينقص عن المجموع الذي ذكره في أول الباب برقم واحد ، وإذا عددنا سورة العصر ثلاثاً كان المجموع (٤٥٠) بزيادة رقم واحد.

وأمَّا الزاءُ[١] : ففي هودٍ آيتانِ [٩ظ] وفي إبراهيمَ آيـــةٌ ، وفي الحَـــجِّ آيتانِ ، وفي فاطرٍ آيةٌ ، وفي حم السجدة آيةٌ ، وفي عسق آيةٌ[٢] . وفي المجادلةِ آيةٌ.

وأمَّا السينُ: ففي يس آيةٌ[٣] ، وفي التكويرِ أربعٌ ، وفي الناسِ سٌّت .

وأمَّا الشينُ: ففي القارعةِ آيةٌ ، وفي قريشٍ آيةٌ .

وأمَّا الصادُ: ففي الأعرافِ آيةٌ[٤] ، وفي هود آيةٌ ، وفي إبراهيمَ آيةٌ، وفي مريمَ آيةٌ[٥] ، وفي صادْ آيتـــانِ ، وفي حم السجدة آيةٌ ، وفي عسق آيـــةٌ، وفي قافْ آيةٌ ، وفي الصَّفِّ آيةٌ .

وأمَّا الضادُ: ففي حم السجدة آيةٌ .

وأمَّا الطاءُ: ففي آلِ عمرانَ آيةٌ ، وفي الأنفالِ آيةٌ ، وفي هود أربـــعُ ، وفي الحَجِّ آيةٌ ، وفي صادْ آيةٌ ، وفي حم السجدة آيتانِ ، وفي قافْ آيةٌ ، وفي البروجِ آيةٌ .

---

(١) يجوز فيه الزاي ، والزاء .

(٢) في سورة الحديد آية (عزيز) [٢٥] ، وبذلك يكتمل مجموع آيات الزاء عشر آيات ، كما نـــص المؤلف في أول الباب .

(٣) هي ﴿يسٓ﴾ [١] ، لأن المؤلف يعتبر الرسم هنا دون النطق .

(٤) هي ﴿الٓمٓصٓ﴾ [١] في أول السورة .

(٥) سبق أن عدَّ المؤلف ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ في الدال بناء على النطق،ويبدو هنا كأنه يعدها بناء على الرسم.

وأمَّا الظاءُ: ففي الأنعامِ آيةٌ ، وفي هودٍ ثلاثٌ ، وفي إبراهيمَ آيةٌ ، وفي الحَجِّ آيةٌ ، وفي لقمانَ آيةٌ ، وفي سبأ آيةٌ ، وفي حم السجدة آيةٌ ، وفي قافْ آيتـانِ ، وفي البروجِ آيةٌ ، وفي الطارقِ آيةٌ.

وأمَّا العينُ: ففي الرَّعْدِ آيةٌ ، وفي حم المؤمن آيةٌ ، وفي الذارياتِ آيةٌ ، وفي الطورِ ثلاثٌ ، وفي المعارجِ آيتانِ [١٠و] ، وفي المرسَلاتِ آيةٌ ، وفي الطـارقِ آيتانِ ، وفي الغاشيةِ آيتانِ .

وأمَّا الفاءُ: ففي الذارياتِ آيةٌ ، وفي قريشٍ آيتانِ .

وأمَّا القافُ: ففي البقرةِ آيةٌ ، وفي آلِ عمرانَ آيةٌ ، وفي الأنفالِ آيـةٌ ، وفي هود آيةٌ ، وفي الرعدِ ثلاثٌ ، وفي الحَجِّ ستٌّ ، وفي الصافات آيةٌ ، وفي صـادْ ستٌّ ، وفي حم المؤمن آيتانِ ، وفي عسق آيةٌ ، وفي الذارياتِ آيةٌ ، وفي القيامـةِ أربعٌ ، وفي الانشقاقِ أربعٌ ، وفي البروجِ آيةٌ ، وفي الطارقِ أربـعٌ ، وفي العلـقِ آيتانِ ، وفي الفلقِ آيتانِ .

وأمَّا الكافُ: ففي الذارياتِ آيتانِ، وفي الانفطارِ آيتانِ، وفي الانشراحِ أربعٌ.

وأمَّا اللام : ففي البـقرةِ آيةٌ ، وفي آلِ عمرانَ ثلاثٌ ، وفي النسـاءِ آيـةٌ، والمائدةِ ثلاثٌ ، وفي الأنعامِ ثلاثٌ ، وفي الأعرافِ آيتانِ ، وفي التوبةِ آيـةٌ ، وفي يونسَ آيةٌ ، وفي هودٍ آيتانِ ، وفي يوسفَ آيةٌ ، وفي الرعدِ سـبعٌ ، وفي إبراهيمَ أربعٌ ، وفي الحِجْرِ آيتانِ ، وفي النورِ آيةٌ ، وفي الفرقـانِ آيـةٌ ، وفي الشعراءِ أربعٌ ، وفي القَصَصِ آيتانِ ، وفي الـسجدة آيـةٌ [١٠ظ] ، وفي الأحزابِ آيةٌ ، وفي سبأ آيةٌ ، وفي صادْ آيةٌ ، وفي الزُّمَرِ آيتـانِ ، وفي حـم المؤمن ثلاثٌ ، وفي عسق أربعٌ ، وفي الزخرفِ آيةٌ ، وفي الواقعةِ آيـةٌ ، وفي

المَوَدَّة آيةٌ ، وفي الحاقَّة آيةٌ ، وفي المعارجِ آيـــةٌ ، وفي المُزَّمِّـــلِ آيـــةٌ ، وفي المرسلاتِ آيتانِ ، وفي الطارقِ آيتان ، وفي الفيلِ خمسٌ .

وأمَّا الميمُ: ففي فاتحةِ الكتابِ ثلاثٌ ، وفي البقرةِ أربعٌ وخمسونَ ، وفي آلِ عمرانَ ثلاثونَ ، وفي النساءِ خمسٌ ، وفي المائدة أربـــعٌ وعـــشرونَ ، وفي الأنعامِ ثلاثَ عشرةَ ، وفي الأعرافِ عشرٌ ، وفي الأنفالِ تـــسعَ عـــشرةَ ، وفي التوبةَ سبعٌ وثلاثونَ ، وفي يونسَ عشرٌ ، وفي هودٍ خمسٌ ، وفي يوسفَ خمـــسَ عشرةَ ، وفي إبراهيمَ سبعٌ ، وفي الحِجْرِ ستَّ عشرةَ ، وفي النحلِ خمسَ عشرةَ، وفي مريمَ آيتانِ ، وفي طه آية ، وفي الأنبياءِ ستٌّ ، وفي الحَجِّ اثنتا عشرةَ ، وفي المؤمنونَ أربعٌ ، وفي النورِ ثلاثٌ وعشرونَ ، وفي الشعراءِ تسعٌ وعـــشرونَ(١)، وفي النملِ تسعٌ ، وفي القَصَصِ ثلاثٌ ، وفي العنكبوتِ سبعٌ ، وفي الرومِ أربعٌ ، وفي لقمانَ ثمانٍ [١١و] ، وفي السجدة آيتانِ ، وفي الأحزابِ آيـــة(٢) ، وفي سبأ أربعٌ ، وفي فاطرٍ آية ، وفي يس اثنتـــا عـــشرةَ ، وفي الـــصافاتِ ســـتٌّ وعشرون، وفي صادْ ثلاثٌ ، وفي الزمرِ خمسٌ ، وفي المؤمنِ خمسٌ ، وفي حـــم السجدة ثمانٍ ، وفي عسق إحدى عشرةَ ، وفي الزخرفِ عشرٌ، وفي الـــدخانَ خمسَ عشرةَ ، وفي الجاثيةِ سبعٌ ، وفي الأحقافِ ثمـــانٍ ، وفي القتـــالِ ســـتٌّ وثلاثونَ ، وفي الحجراتِ سبعٌ ، وفي الذارياتِ تسعٌ ، وفي الطورِ سبعٌ(٣) ، وفي

---

(١) في الشعراء ثلاثون آية فواصلها على حرف الميم .

(٢) ليس في سورة الأحزاب آية فاصلتها ميم ، فكل فواصلها على الألف إلا آية واحدة جاءت على اللام.

(٣) في الطور ثماني آيات فواصلها على حرف الميم.

سورةِ الرحمنِ – عَزَّ وجَلَّ – سبعٌ ، وفي الواقعةِ ثماني[١] عشرةَ ، وفي الحديدِ عشرٌ ، وفي المجادلةِ ثلاثٌ ، وفي الحَشْرِ خمسٌ ، وفي المَوَدّةِ أربعٌ ، وفي الصَّفِّ ثلاثٌ ، وفي الجُمَعَةِ ثلاثٌ ، وفي التغابنِ سبعٌ ، وفي التحريمِ اثنتانِ ، وفي المُلْكِ آيتانِ ، وفي القلمِ عشرٌ ، وفي الحاقَّةِ أربعٌ ، وفي المعارجِ ثلاثٌ ، وفي نوحٍ آيةٌ ، وفي المُزَّمِّلِ آيةٌ ، وفي المرسلاتِ آيةٌ ، وفي المُعْصِراتِ آيةٌ ، وفي النازعاتِ آيةٌ ، وفي عَبَسَ آيةٌ ، وفي التكويرِ ثلاثٌ ، وفي الانفطارِ ثلاثٌ ، وفي المطففينَ تسعٌ ، وفي الانشقاقِ آيةٌ ، وفي الغاشيةِ آيتانِ [١١ظ]، وفي الفجرِ آيةٌ ، وفي التينِ آيةٌ ، وفي العلقِ ثلاثٌ ، وفي الزلزلةِ آيةٌ ، وفي التكاثرِ آيتانِ ، وفي الماعونِ آيةٌ ، وفي الكافرونَ آيةٌ [٢].

وأمَّا النونُ: ففي فاتحةِ الكتابِ أربعٌ ، وفي البقرةِ مئةٌ وثلاثٌ وتسعونَ، وفي آلِ عمرانَ مئةٌ وعشرونَ ، وفي النساءِ آيةٌ ، وفي المائدةِ ثمانونَ ، وفي الأنعامِ مئةٌ وأربعٌ وأربعونَ ، وفي الأعرافِ مئةٌ وثلاثٌ وتسعونَ ، وفي الأنفالِ تسعٌ وثلاثونَ ، وفي التوبةِ ستٌّ وثمانونَ ، وفي يونسَ ثمانٍ وتسعونَ ، وفي هودٍ ستٌّ وخمسونَ ، وفي يوسفَ تسعونَ [٣] ، وفي الرعد خمسٌ ، وفي إبراهيمَ ستٌّ ، وفي الحِجْرُ إحدى وثمانونَ ، وفي النحلِ مئةٌ وإحدى عشرةَ ، وفي مريمَ

---

(١) في الأصل: ثمان.

(٢) ذكر المؤلف في أول الباب أن فواصل حرف الميم (٦٦٠) فاصلة ، لكن مجموع ما ذكره هنا (٦٦٣) ، وإذا حذفنا فاصلة سورة الأحزاب التي ذكرها وهي ليست موجودة ، وأضفنا فاصلة على فواصل سورة الشعراء وأخرى على فواصل سورة الطور اللتين لم تذكرا فإن مجموع فواصل الميم يكون (٦٦٤) وليس (٦٦٠) .

(٣) في المصحف ثلاث وتسعون آية فواصلها على حرف النون في سورة يوسف .

خمسٌ ، وفي الأنبياءِ مئةٌ وستٌّ ، وفي الحَجِّ اثنتا عشرةَ ، وفي المؤمنـــونَ مئـــةٌ وأربعَ عشرةَ ، وفي النورِ إحدى وثلاثونَ ، وفي الشعراءِ مئةٌ وأربعٌ وتسعونَ ، وفي النملِ أربعٌ وثمانونَ، وفي القَصَصِ إحدى وثمانونَ، وفي العنكبوتِ [١٢و] تسعٌ وخمسونَ ، وفي الرومِ أربعٌ وخمسونَ ، وفي لقمانَ ثمانٍ [١] ، وفي السجدة سبعٌ وعشرونَ ، وفي سبأ اثنتانِ وعشرونَ ، وفي فـــاطرٍ ثـــلاثٌ ، وفي يـــس سبعونَ، وفي الصافاتِ مئةٌ وخمسٌ وأربعونَ ، وفي صادْ ثمانيَ [٢] عشرةَ ، وفي الزمرِ ثلاثٌ وخمسونَ [٣] ، وفي حم المؤمن اثنتانِ وثلاثونَ ، وفي حم السجدة ثلاثونَ ، وفي عسق ستٌّ ، وفي الزخرفِ ثمانٍ وسبعونَ ، وفي الدخانِ أربـــعٌ وأربعونَ ، وفي الجاثيةِ ثلاثونَ ، وفي الأحقافِ ستٌّ وعشرونَ ، وفي الحجراتِ عشرٌ ، وفي الذارياتِ اثنانِ وأربعونَ ، وفي الطورِ ثلاثونَ ، وفي النجمِ ثلاثٌ ، وفي [ســـورةِ] الرحمـــنِ – عَـــزَّ وجَـــلَّ – تســـعٌ وستـــونَ ، وفي الواقعةِ خمسٌ وخمسونَ ، وفي الحديدِ خمسٌ ، وفي المجادلةِ اثنتا [٤] عشرةَ ، وفي الحشرِ أربعَ عشرةَ ، وفي المَوَدَّةِ أربعٌ ، وفي الصفِّ عشرٌ ، وفي الجمعـــةِ ثمـــانٍ ، وفي المنافقونَ إحدى عشرةَ ، وفي التغابنِ ثلاثٌ ، وفي التحريمِ خمسٌ ، وفي المُلْـــكِ سبعٌ ، وفي القلمِ اثنانِ وأربعونَ [١٢ظ] ، وفي الحاقةِ خمـــسَ عـــشرةَ ، وفي المعارجِ إحدى وعشرونَ ، وفي نوحٍ ثلاثٌ ، وفي المُدَّثِّرِ عشرٌ ، وفي المرسلاتِ

(١) في المصحف سبع فواصل للنون في سورة لقمان .

(٢) في الأصل: ثمان.

(٣) في المصحف اثنتان وخمسون فاصلة للنون في سورة الزمر ، إذا لم نعد ﴿دِينِي﴾ [١٤] التي عدها المؤلف في فواصل الياء .

(٤) في الأصل: اثنان.

ثمانٍ وعشرونَ ، وفي المُعْصِرَاتِ أربعٌ ، وفي التكويرِ ثمانٍ ، وفي الانفطارِ ثمــانٍ ، وفي المطففينَ سبعٌ وعشرونَ ، وفي الانشقاقِ خمسٌ ، وفي الفجرِ ثــلاثٌ ، وفي البلدِ ثلاثٌ ، وفي التينِ سبعٌ ، وفي التكاثرِ أربــعٌ ، وفي المــاعونِ ســتٌّ ، وفي الكافرونَ ثلاثٌ [١] .

وأمَّا الهاءُ: ففي طه آيةٌ ، وفي الحاقةِ تسعٌ [٢] ، وفي المعارجِ أربــعٌ[٣] ، وفي القيامةِ ثمانٍ ، وفي عَبَسَ ثلاثَ عشرةَ ، وفي الانفطارِ آيةٌ ، وفي الانــشقاقِ ثلاثٌ ، وفي الزلزلةِ آيتانِ ، وفي القارعةِ ثلاثٌ ، وفي العلقِ آيةٌ ، وفــي القيِّمَــةِ آيةٌ[٤] ، وفي همزةٍ آيتان.

وأما الياء[٥] : ففي الكهفِ آيةٌ ، وفي طه مئــةٌ وســبعٌ ، وفي الزمــرِ آيتانِ[٦]، وفي الطلاقِ آيةٌ ، وفي النجمِ[٧] أربعٌ وخمسونَ[٨] ، وفي المعارجِ أربعٌ ،

---

(١) ذكر المؤلف في أول الباب أن مجموع فواصل النون (٣١٢٧) فاصلة ، لكن مجموع ما ذكــره هنــا تفصيلاً هو (٣١٢٤) ، فإذا أضفنا ثلاث فواصل على سورة يوسف ، وحذفنا فاصلة من سورتي لقمــان والزمر كان مجموع فواصل النون هو (٣١٢٥) ، والله أعلم .

(٢) في الأصل: تسعة .

(٣) في المدَّثر﴿ذَكَرَهُۥ﴾[٥٥] ، ولم يذكرها المؤلف ، وقد جعل مجموع الآيات التي آخرها هاء ثمانياً وأربعين آية ، كما تقدَّم في أول الباب .

(٤) موقع العلق والقيِّمة قبل الزلزلة في المصحف.

(٥) في هامش الأصل: " أدخل الألفات المكتوبة في المصاحف ياء في حرف الياء ، وفيه نظر ، لأنها ألفات حقيقة " وهذه ملاحظة صحيحة ، لكن المؤلف اعتمد على هذا المنهج في كتابه وطبَّقه فيه .

(٦) يبدو أن المؤلف عد ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] في فواصل الياء ، مع قوله تعالى : ﴿دِينِي﴾[١٤].

(٧) سورة النجم قبل سورة الطلاق في المصحف .

(٨) في سورة النجم ثلاث وخمسون آية آخرها مرسوم بالياء،ولعل المؤلف عــدَّ ﴿وَأَحْيَا﴾[٤٤] معها ينظر ص (٢٧٨) الهامش (٦).

وفي القيامةِ إحدى عشرةَ ، وفي النازعاتِ تسعَ عشرةَ ، وفي عَبَسَ عــشرَ ، وفي الأعلى ثمانيَ عشرةَ ، وفي الفجرِ أربعٌ ، وفي الليلِ إحدى وعشرونَ ، وفي الضحى ثمانٍ ، وفي العلقِ تسعٌ[1]. [١٣و]

[٦] بابٌ في ذِكْرِ نظائرِ[2] السُّوَرِ وما [لا][3] نظائرَ لها في العَدَد

اعلم أنَّ عَدَدَ آياتِ السورِ على ضَرْبَيْنِ ، إحداهما لها نظيرٌ في جُمْلَةِ العَدَدِ ، والثاني: لا نظيرَ لها.

فالتي ليسَ لها نظيرٌ في العَــدَدِ فهــي ثــلاثٌ وخمــسونَ ســورة[4] : البقــــرةُ [٢٨٦] [5]، وآلُ عمرانَ [٢٠٠] ، والنساءُ [١٧٦] ، والمائدةُ [١٢٠]، والأنعامُ [١٦٥]، والأعرافُ [٢٠٦]، والتوبةُ [١٢٩]، ويونسُ [١٠٩] ، وهودٌ [١٢٣] ، والرعــدُ [٤٣] ، والحجــرُ [٩٩]، والنحــلُ [١٢٨] ، والكهفُ [١١٠] ، ومريمُ [٩٨] ، وطــه [١٣٥]، والأنبيــاءُ [١١٢] ، والمؤمنونَ [١١٨]، والنورُ [٦٤]، والفرقــانُ[٧٧]، والــشعراءُ [٢٢٧] ، والنملُ [٩٣] ، والعنكبوتُ [٦٩] ، ولقمانُ [٣٤] ، والأحزابُ [٧٣]، ويس [٨٣]، والصافاتُ [١٨٢] ، وحم المؤمن [٨٥] ، وعــسق

---

(١) ذكر المؤلف في أول الباب أن فواصل الياء (٢٧٠) فاصلة ، لكن مجموع ما ذكــره هنــا هــو (٢٦٩).

(٢) المراد بالنظائر من السور هنا المتفقة في عدد آياتها، وهو واضح في عنوان الباب.

(٣) في الأصل: وما النظائر.

(٤) هذا عدد أهل الكوفة خاصة ، فهذا العدد يكمل مع السور التي لها نظير في عدد آياتها: مئة وأربع عشرة سورة.

(٥) زدتُ بعد اسم السورة عدد آياتها بين قوسين مربعين .

[٥٣]، والزخرفُ[٨٩] ، والدخانُ [٥٩]، والجاثيةُ[٣٧] ، والأحقافُ [٣٥]، والقتالُ [٣٨]، والطورُ [٤٩]، والنجمُ [٦٢]، والقمرُ [٥٥]، الواقعةُ [٩٦]، والحشر[٢٤]، والمَوَدَّةُ[١٣]، والصفُّ[١٤]، والمعارجُ[٤٤]، والمدثرُ [٥٦] ، والإنسانُ [٣١]، والمرسلاتُ [٥٠]، والنازعاتُ [٤٦] ، وعَبَسَ [٤٢] ، والمطففينَ [٣٦] ، والانشقاقُ [٢٥] ، والطارقُ [١٧] ، والغاشيةُ [٢٦] ، والشمسُ [١٥] ، والليلُ [٢١] ، وهمزة [٩] .

والتي لها نظيرٌ في جُمْلَةِ العَدَدِ فهي إحدى وستونَ(١) :

فأكثرُ الآياتِ مِنَ السورِ على مئةٍ وإحدى عشرةَ : يوسفُ وبني إسرائيلَ.

على ثمانٍ وثمانينَ: القَصَصُ ، وصادْ .

على ثمانٍ وسبعينَ: الحَجُّ ، وسورةُ الرحمنِ [١٣ظ] .

على خمسٍ وسبعينَ: الأنفالُ ، والزمرُ .

على ستينَ: الرومُ ، والذارياتُ .

على أربعٍ وخمسينَ: سبأ ، وحم السجدة .

على [اثنتينِ] (٢) وخمسينَ: إبراهيمُ ، والقلمُ ، والحاقَّةُ .

على خمسٍ و أربعينَ: فاطرٌ ، وقافْ .

على أربعينَ: القيامةُ ، والتساؤلُ(٣) .

---

(١) هذا على عدد أهل الكوفة،لأن النظائر تختلف باختلاف مذاهب العادِّين،قال الداني (البيان ص٨٥): " ذِكْرُ نظائرِ الكوفيِّ: جملتها إحدى وستون سورة ... " ، وجملة ما ذكره المؤلف هنا ست وخمسون سورة ، وسوف أشير إلى ما سقط منها في مواضعه في الهامش .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) سورة النبأ .

على ثلاثينَ: السجدةُ ، والمُلْكُ ، والفجرُ .

على تسعٍ وعشرينَ: الفتحُ ، والحديدُ ، والعشارُ[١] .

على[٢] اثنتينِ[٣] وعشرينَ: المجادلةُ ، والبروجُ .

على عشرينَ: المُزَّمِّلُ ، والبلدُ .

على تسعَ عشرةَ: الانفطارُ ، والأعلى ، والعَلَقُ .

على ثمانيَ عشرةَ: الحُجُرَاتُ ، والتغابنُ .

على اثْنَتَيْ عشرةَ: الطلاقُ ، والتحريمُ .

على إحدى عشرةَ: الجمعةُ ، والمنافقونَ ، والضحى[٤] .

على ثمانِ آياتٍ: الانشراحُ ، والتينُ ، والقيِّمَةُ ، والزلزلةُ ، والتكاثرُ .

على سبعِ آياتٍ: فاتحةُ الكتابِ ، والماعونُ .

على ستِّ آياتٍ: الكافرونَ ، والناسُ .

على خمسِ آياتٍ: القَدْرُ ، والفيلُ ، والفَلَقُ[٥] .

على أربعِ آياتٍ: قريشٌ ، والإخلاصُ .

على ثلاثِ آياتٍ: والعصرِ ، والكوثرُ ، والنصرُ[٦].

---

(١) سورة التكوير .

(٢) سقط في هذا الموضوع سهواً: " على ثمانية وعشرين: نوح والجن " ، وهي تتمة المجموع البالغ إحدى وستين سورة (ينظر: الداني: البيان ص٨٥) .

(٣) في الأصل: اثني .

(٤) وسورة العاديات والقارعة ، كلتاهما إحدى عشرة آية ، ويبدو أنها سقطت سهواً من الناسخ ، لأنها داخلة في مجموع العدد البالغ إحدى وستين سورة ، (ينظر: الداني: البيان ص٨٥) .

(٥) معها سورة المسد ، فعدد آياتها خمس ، وهي تتمة مجموع إحدى وستين سورة مما له نظير من السور (ينظر: الداني: البيان ص٨٥) .

(٦) هكذا نهاية نص الكتاب في المخطوطة، من غير إشارة إلى تمام الكتاب ، أو الناسخ وتاريخ النسخ.

مصادر الدراسة والتحقيق

١. **الإتقان في علوم القرآن** / السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٨٧ هـ =١٩٦٧م.

٢. **الأعلام** / الزركلي(خيرالدين) ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

٣. **إنباه الرواة على أنباه النحاة** / القفطي (علي بن يوسف) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

٤. **الإيضاح في القراءات** / الأندرابي (أحمد بن أبي عمر)؛ تحقيق منى عدنان غني ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات- جامعة تكريت ٢٠٠٢م.

٥. **البرهان في علوم القرآن** / الزركشي (محمد بن عبدالله)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٢م.

٦. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** / السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٧. **البيان في عَدِّ آي القرآن** / الداني(أبو عمرو عثمان بن سعيد) ؛ تحقيق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

٨. **تاريخ بغداد** / الخطيب البغدادي (أحمد بن علي)، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ = ١٩٣١م.

٩. **التحرير والتنوير** / ابن عاشور (محمد الطاهر) ؛ مؤسسة التاريخ ، بيروت ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م .

١٠. **كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن** / ابن حبيب (أبو القاسم الحسن بن محمد)؛ تحقيق محمد عبدالكريم الراضي ، مجلة المورد ، مج ١٧ع٤ ، بغداد ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

١١. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** / الطبري (أبو جعفر محمد بـــن جريـــر)، ط٣، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨ هـ =١٩٦٨م.

١٢. **الجامع لِمَا يُحْتَاج إليه من رسم المصحف** / ابن وثيق (إبراهيم بن محمد) ؛ تحقيق غانم قدوري الحمد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

١٣. **جمال القراء وكمال الإقراء** / السخاوي (علم الدين علي بن محمد) ؛ تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة مكة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

١٤. **حجة القراءات** / ابن زنجلة (أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد) ؛ تحقيق الأستاذ ســـعيد الأفغاني، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

١٥. **الديباج المذهب في معرفة المذهب** / ابن فرحون (إبراهيم بن علي) ؛ تحقيق محمـــد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة.

١٦. **سعد السعود** / ابن طاووس (علي بن موسى) ؛ المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٦٩هـ =١٩٥٠م.

١٧. **سير أعلام النبلاء** / الذهبي (محمد بن أحمد) ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣هـ .

١٨. **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** / ابن فارس (أحمد) ؛ تحقيق الـــسيد أحمد صقر ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٧م.

١٩. **صحيح مسلم** / مسلم بن الحجاج (أبو الحسين القشيري) ، بيت الأفكار الدوليـــة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٢٠. **طبقات الشافعية الكبرى** / السبكي (عبد الوهـــاب بـــن علـــي) ، ط ٢؛ تحقيـــق د٠عبدالفتاح محمد الحلو ، ود٠ محمود محمد الطناحي ، هجر للطباعة ١٩٩٢م.

٢١. **غاية النهاية في طبقات القراء** / ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمـــد) ؛ تحقيـــق برجستراسر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٣٢م.

٢٢. **فضائل القرآن** / أبو عبيد (القاسم بن سلام) ؛ تحقيق مروان العطية وزميليه ، ط٢ ، دمشق — بيروت ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٢٣. **فضائل القرآن** / ابن الضريس (محمد بن أيوب) ؛ تحقيق غزوة بـــدير، دار الفكـــر ، دمشق ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٤. **فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن** / ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي)؛ تحقيق د. رشيد عبدالرحمن العبيدي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغـــداد ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٥. **فهرس مخطوطات المجمع العلمي** / المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول.

٢٦. **الكامل في التاريخ** / ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد) ، دار صـــادر ، بـــيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٢٧. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** / حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله) ، استانبول ١٩٤١م.

٢٨. **لسان العرب** / ابن منظور (محمد بن مكرم) ، طبعة بولاق .

٢٩. **كتاب المجالس** / الخطيب الإسكافي (محمد بن عبدالله) ؛ تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

٣٠. **مسند أحمد بن حنبل** / أحمد بن حنبل (الإمام) ، بيت الأفكار الدولية ٢٠٠٤م .

٣١. **معجم الأدباء** / ياقوت بن عبدالله الحموي ، طبعة دار المأمون ، القاهرة.

٣٢. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** / الذهبي (محمد بن أحمد) ، تحقيق د. طيار آلتي قولاج ، إستانبول ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٣٣. **المكي والمدني في القرآن الكريم** / عبد الرزاق حسين أحمد ، ط١، دار ابـــن عفـــان، القاهرة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٣٤. **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة** / وليد بـــن أحمـــد الحسين الزبيري وزملاؤه ، منشورات مجلة الحكمة ، المدينة المنورة ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م.

٣٥. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** / ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)؛ تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ط٣ ، مكتبـــة المنار ، الزرقاء ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات



دليل
كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة
حتى عام ١٤٢٧ هـ

إعداد

فؤاد بن عبده أبو الغيث

مسؤول وحدة المعلومات بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية

المقدمــة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو، أرسل إلى الناس رسولاً، وأوحى إليه قرآنًا يقرأه عليهم، وقال له عن هذا القــرآن: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص : ٢٩]، وصلى الله وسلم على نبيه ورســـوله محمد الأمين الذي بلغ البلاغ المبين، وعلى آله وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فهذه أسماء ما طبع من كتب علوم القرآن التي تشتمل علــى أحاديــث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو آثار صحابته أو من بعدهم ممن كان على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى نهاية القــرن الثالث من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، بــشرط أن تورد هذه الأحاديث والآثار مسندة إسنادًا متسلسلاً من أصحاب هذه الكتب إلى أصحاب تلك الآثار .

ويذكر الكتاب وإن لم يُر فيه إلا أثر واحد على هذا الــشرط ، وقــد وقفت تسمية الكتب عند الحد المذكور؛ لقرب العهد في ذلك برســول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق علــى صحته : ((**خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجــيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته**)) ؛ فأصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم وتابعوهم وتابعو تابعيهم خير الناس – بعد الأنبيــاء – علمًا وعملاً .

وبجمع مذاهبهم من خلال هذه الكتب تتبين الأصول العلمية التي كانوا عليها، والقواعد الشرعية التي لا تصح مخالفتها، والحدود التي يجب الوقــوف عندها ولا يجوز تعديها.

أما علة اشتراط الإسناد المتسلسل فهي التثبت من صحة الأثر، والترجيح عند الاختلاف في سياقه بتقديم الأوثق إسنادًا على ما هو دونه ، وهذا علــى الأصل في الإسناد ، وإلا فإن أسانيد بعض المتأخرين لا تساق من أجل ذلك . وقد ذكرت كتب يغلب على الظن أن إسنادها لا يفيد ، ولكن الجزم بذلك يحتاج إلى دراسة ، وهي ما لم يتم عمله في هذا الدليل ؛ فبقيت هذه الكتــب على حالها .

وقد صنفت الكتب المذكورة تصنيفًا موضوعيًا، حسب تصنيف مقترح، من أبرز معالمه ما يلي :

- **علوم القرآن**، ويُذكر تحته الكتب التي لا تخص علمًا معينًا من علــوم القرآن بالقول والبيان، بل تتناول علوم القرآن بصفة عامة.

- وتحت علوم القرآن خمسة موضوعات فرعية، وهي:

١- جمع القرآن.

٢- القراءات والتجويد.

٣- لغة القرآن.

٤- تفسير القرآن.

٥- مباحث قرآنية متنوعة.

- وتحت **جمع القرآن** الموضوعات التالية:

- نزول القرآن، ومن الموضوعات التي تصنف تحته أسباب النزول وظرف النزول.

- أسماء القرآن وتجزئته، ومما يصنف تحته الآيات.

- المصاحف، ومما يصنف تحته رسم المصحف.

- وتحت **القراءات والتجويد** الموضوعات التالية :

- القراءات، ومما يصنف تحتها الأحرف السبعة، وأصول القراءات، وفرشها.

- التجويد، ومما يصنف تحته مخارج الحروف وصفاتها، والوقف والابتداء.

- وتحت **لغة القرآن** الموضوعات التالية:

- كلمات القرآن ، ومما يصنف تحته الوجوه والنظائر .

- لغات القرآن .

- نحو القرآن وصرفه، ومما يصنف تحته إعراب القرآن .

- معاني القرآن، ومما يصنف تحته المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ ، والمشكل .

- بلاغة القرآن .

- وتحت **تفسير القرآن** الموضوعات التالية :

- أصول التفسير .

- التفاسير .

- تاريخ التفسير وتراجم المفسرين .

- وتحت **المباحث القرآنية المتنوعة** ترد الموضوعات التالية:

- إعجاز القرآن .
- خصائص القرآن .
- فضائل القرآن .
- أحكام وآداب قراءة القرآن والاستماع إليه .
- تعليم القرآن .
- القرآن والعلوم الأخرى.
- دفع المطاعن عن القرآن.
- فهارس القرآن.

ثم رتبت الكتب الواردة في موضوع واحد ترتيبًا زمنيًا حسب تـــواريخ وفيات أصحابها؛ فيقدم الكتاب الذي كانت وفاة صاحبه أقدم على الكتـــاب الذي كانت وفاة صاحبه أحدث ...

ورتبت بيانات كل كتاب على هذه الصورة :

رقم الكتاب الذي يدل على مكانه في هذه التسمية – اسم الكتـــاب / اسم مؤلف الكتاب (تاريخ وفاة المؤلف)؛ نوع المساهمة التي لحقت بالكتـــاب بعد تأليفه واسم المساهم .ـ اسم الناشر: بلد الناشر، رقم الطبعـــة أحيانًـــا، تاريخ النشر أو الطبعة بالهجري = تاريخ النشر بالميلادي .ـ عدد الأجزاء أو الصفحات إذا لم يكن الكتاب متعدد الأجزاء .(ذكر سلسلة الكتب التي يعد الكتاب فيها – إن وجدت– أو إيراد ملاحظات عليه أو على بيانات طبعته) .

وقد نقلت بيانات طبعة كل كتاب منه مباشرة إلا الطبعات القديمة فنقلت بياناتها بواسطة أدلة الكتب كالمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع لمحمد عيسى صالحية ، ولم يكن استقصاء طبعات كل كتاب غرضًا في هذا الدليل ، وإنما الغرض من ذلك ذكر أبرز الطبعات ولا سيما الطبعات التي حققها متخصصون عرفوا بسعة الثقافة والمعرفة باللغة العربية - ألفاظها وأساليبها - وبقواعد الكتابة والتوثيق ، أو كانت مادتها من قبل خاضعة للنقد والتقويم كالرسائل الجامعية .

ولما كانت جميع كتب القراءات تؤكد أصل التلقي والرواية والسماع في القراءات بإيراد مصنفيها أسانيدهم في القراءات في مقدمات كتبهم ؛ وقفت تسميتها عند كتاب " النشر في القراءات العشر" للإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ؛ لأنه جمع القراءات والروايات والطرق الصحيحة المعتمدة في الكتب المتقدمة بأسانيده إليها حتى أصبح مرجعًا اعتمد عليه كل مصنف في القراءات بعده .

وهذه التسمية جزء من مشروع كبير لتسمية ما طبع من الكتب المسندة في شتى العلوم ، وقد سبق نشر جزء من هذا المشروع عام ١٤٢٢هـ في صفحات التراث التي كانت تلحق كل جمعة بصحيفة البلاد (السعودية) ، وكان موضوعه " كتب العقيدة المطبوعة المشتملة على أحاديث مسندة مرفوعة من أصحابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بداية الطباعة حتى عام ١٤٢١هـ " .

وكل جزء مقيد بسنة نشره ، والله الموفق .

فؤاد بن عبده أبو الغيث
مسؤول وحدة المعلومات
مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
بمعهد الإمام الشاطبي

جدة

في ٢ / ١٢ / ١٤٢٧ هـ

دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧ هـ

علوم القرآن

١- **كتاب العقل وفهم القرآن** / الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) .

- نشر أحمد أتش .ـ مطبعة بريل: ليدن ، ١٩٦٨م .
- تحقيق حسين القوتلي .ـ دار الفكر: بيروت، ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .ـ ٥٣١ص .
- دار الكندي : بيروت، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، عن السابقة .

٢- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن** / عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ؛ تحقيق حسن ضياء الدين عتر .ـ دار البشائر الإسلامية: بيروت ، ط١، ١٤٠٨هـ .ـ ٥٦٧ص . (فيه إسناد كما في أوله) .

١- جمع القرآن / نزول القرآن / أسباب النزول

٣- **أسباب النزول** / علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ).

- تحقيق السيد أحمد صقر .ـ دار الكتاب الجديد: القاهرة، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .ـ ٥٧٤ص .

- تحقيق عصام عبد المحسن الحميـــدان .ـ دار الإصـــلاح: الـــدمام (السعودية)، ١٤١١هـ .ـ ٤٨٨ص .
- رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبدالله الأرغيـــاني (ت٥٢٩هـ) ؛ حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه ماهر بن ياسين الفحل .ـ دار الميمان: الرياض ، ط١ ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .ـ ٨٤٨ص .

١- جمع القرآن / نزول القرآن / ظرف النزول

٤- **تنـــزيل القرآن** / محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهـــري (ت ١٢٤هـ) .

- تحقيق صلاح الدين المنجد .ـ دار الكتـــاب الجديـــد : بـــيروت ، ١٩٦٣م .ـ ١٦ص .
- تحقيق حاتم صالح الضامن .ـ مؤسسة الرســالة : بـــيروت ، ط٣ ، ١٤١٨هـ .ـ ٦ص (عقب كتاب منسوخ القرآن للزهـــري الـــذي سيأتي ذكره في موضعه) .

١- جمع القرآن / أسماء القرآن وتجزئته / الآيات / عد الآي

٥- **البيان في عدّ آي القرآن** / أبو عمرو عثمان بـــن ســـعيد الـــداني (ت ٤٤٤هـ)؛ تحقيق غانم قدوري ا لحمد .ـ منـــشورات مركـــز

المخطوطات والتراث والوثائق : الكويت، ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .ـ ٣٧٨ص .

١- جمع القرآن / المصاحف

٦- **المصاحف** / أبو بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٣١٦هـ).

- تحقيق آرثر جفري .ـ تصوير دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٦هـ، عن طبعة ليدن مع حذف مقدمة المحقق .
- تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ .ـ دار البشائر الإسلامية: بيروت، ١٤٢٢هـ .ـ ٢ج، ٩٤٨ص .

٧- **المحكم في نقط المصحف** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

- تحقيق عزة حسن .ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المطبعة الهاشمية: دمشق، ١٣٧٩هـ .ـ ٣٠٦ص .
- تحقيق عزة حسن .ـ دار الفكر، المطبعة العلمية: دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ .ـ ٣٤٥ص .
- تحقيق عزة حسن .ـ دار الفكر: بيروت، دار الفكر المعاصر:دمشق ، ط٢، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .ـ ٣٠٥ص .

٨- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** / أبو عمرو عثمان ابن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

- o عناية برتزل .ـ جمعية المستشرقين الألمان: استانبول وبيروت.
- o تحقيق محمد أحمد دهمان .ـ مكتبة النجاح: طرابلس الغرب، ١٣٥٩هـ .ـ ١٥٦ص .
- o تحقيق محمد أحمد دهمان .ـ دار الفكر: دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ .ـ ١٩٠ص .

٢- أ - القراءات

٩- **جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم** / أبو عمر حفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ) ؛ تحقيق حكمت بشير ياسين .ـ مكتبة الدار : المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م .ـ ٢٢٢ص .

١٠- **السبعة في القراءات** / أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ)؛ تحقيق شوقي ضيف .ـ دار المعارف: القاهرة ، ط٢، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .ـ ٧٨٦ص .

١١- **القراءات وعلل النحويين فيها المسمى (علل القراءات)** / أبو منصور محمد ابن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)؛ تحقيق نوال بنت إبراهيم الحلوة .ـ السعودية، ١٤١٢هـ .ـ ٢ج .

١٢- **معاني القراءات** / أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)؛ تحقيق عيد مصطفى درويش وعوض بن أحمد القوزي .ـ نشر المحققين وطبع بمطابع دار المعارف :مصر ، ١٤١٧هـ .ـ ٣ج .

١٣- **الحجة في علل القراءات السبع** / أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ؛ تحقيق علي نجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي .ــ دار الكتاب العربي: القاهرة، ١٩٦٦م .ــ ٣ج .

O بعنوان : **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد** ؛ تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي ؛ راجعه ودققه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق .ــ دار المأمون للتراث: دمشق، ١٤٠٤هـ .ــ ٧ج .

١٤- **الغاية في القراءات العشر يليه باب الاستعاذة والتسمية وإمالات قتيبة عن الكسائي** / أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) ؛ تقديم أحمد علم الدين رمضان الجندي ومصطفى مسلم؛ دراسة وتحقيق محمد غياث الجنباز .ــ دار الشواف: الرياض، ط٢، ١٤١١هـ .ــ ٤٩٣ص .

١٥- **المبسوط في القراءات العشر** / أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) ؛ تحقيق سبيع حمزة حاكمي .ــ دار القبلة للثقافة الإسلامية : جدة ، مؤسسة علوم القرآن : بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ .ــ ٥١٤ ص .

١٦- **المحتسب في بيان وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** / عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي (ت ٣٩٢هـ) .

o تحقيق علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل .ـ لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية : القاهرة، ٢ج .

o شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٢٩م.ـ ١٦٩ص .

١٧- **التذكرة في القراءات الثمان** / أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ الحنفي (ت ٣٩٩هـ)؛ دراسة وتحقيق أيمن رشدي سويد .ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة: السعودية، ١٤١٢هـ .ـ ٢ج .ـ (سلسلة أصول النشر (أي الكتب التي اعتمد عليها ابن الجزري في كتابه : النشر في القراءات العشر)؛ ١) .

١٨- **بيان الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات** / أحمد ابن عمار أبو العباس المهدوي (ت ٤٣٠هـ) ؛ شرح وتحقيق أحمد فارس السلوم .ـ دار ابن حزم : بيروت، ١٤٢٧هـ .ـ ٥٧ص .

١٩- **التبصرة فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورين** / مكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت ٤٣٧هـ) ؛ محي الدين رمضان .ـ معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الكويت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .ـ ٤٥٣ص .

٢٠- **الروضة في القراءات الإحدى عشرة** / أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي المالكي (ت ٤٣٨هـ) ؛ دراسة وتحقيق مصطفى عدنان محمد سلمان .ـ مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م .ـ ٢ج .

o **الأحرف السبعة للقرآن** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)؛ تحقيق عبد المهيمن الطحان .ـ مكتبة المنارة: مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ .ـ ٨٠ص . (أفرده المحقق ، وهو جزء من كتاب أبي عمرو الداني جامع البيان في القراءات السبع الآتي ذكره) .

٢١- **كتاب الإدغام الكبير في القرآن** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) ؛ حققه وقدم له زهير غازي زاهد .ـ عالم الكتب : بيروت، ١٤١٤هـ .ـ ١٥٢ص .

٢٢- **التعريف في اختلاف الرواة عن نافع** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) ؛ تحقيق التهامي الراجي الهاشمي ؛ طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر إحياء التراث الإسلامي بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة ، مطبعة المحمدية : المغرب ، ١٤٠٣هـ =١٩٨٢م .

٢٣- **التيسير في القراءات السبع** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

o تصحيح أوتو يرتزل .ـ مطبعة الدولة: اسطانبول، ط١، ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م .ـ ١مج، ١ج ، ٢٤٠ص .

o مكتبة المثنى: بغداد، ١٩٦٥م بالأوفست .

٢٤- **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

- تحقيق محمد كمال العتيك .ــ مطابع مديرية النشر والطباعة والتجارة التابعة لوقف الديانة التركية : أنقرة ، ١٤٢٠هـ .ــ ٢مج .
- تحقيق محمد صدوق الجزائري .ــ دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م .ــ ٨٠٧ ص .

- **المقنع في القراءات والتجويد** (؟)/ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)؛ تحقيق محمد أحمد دهمان .ــ مطبعة جامعة دمشق: دمشق، ١٣٥٩هـ . (لعله الكتاب السابق برقم ٨ ؛ فلم يرد له ذكر في فهرسة تصانيف أبي عمرو الداني ، وإنما وقع ذكره هكذا في المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع !) .

٢٥- **مفردة الحسن البصري** / أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي المقرئ (ت ٤٤٦هـ) ؛ دراسة وتحقيق عمر يوسف عبد الغني حمدان .ــ دار ابن كثير للنشر: عمان؛ توزيع المكتب الإسلامي، ١٤٢٧هـ .ــ ٦١٧ص .

٢٦- **الوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية أئمة الأمصار الخمسة** / أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي المقرئ (ت ٤٤٦هـ)؛ حققه وعلّق عليه دريد حسن أحمد ؛ قدّم له وراجعه بشار عواد معروف .ــ دار الغرب الإسلامي: بيروت، ٢٠٠٢م .ــ ٤٤٨ص .

٢٧- **الكافي في القراءات السبع** / أبو عبد الله محمد بن شريح (ت٤٧٦هـ)؛ تحقيق وتعليق جمال الدين محمد شرف .ــ دار الصحابة للتراث: طنطا، ٢٠٠٤م .ــ ٢٢٤ص .

٢٨- **التلخيص في القراءات الثمان** / أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ)؛ دراسة وتحقيق محمد حسن عقيل موسى .ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة: السعودية، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .ـ ٥٢٧ص .

٢٩- **قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين** / أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت بعد ٤٩٣هـ)؛ تحقيق أحمد نصيف الجنابي، مؤسسة الرسالة: دمشق بيروت، ١٤٠٥هـ .ـ ١٦٧ص .

٣٠- **المستنير في القراءات العشر** / أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر ابن سوار البغدادي (ت ٤٩٦هـ) .

- اعتنى به وعلق عليه جمال الدين محمد شرف .ـ دار الصحابة للتراث: طنطا (مصر) ، ٢٠٠٢م .ـ ٤٦٤ص .
- تحقيق عمار أمين الددو .ـ دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث : دبي ، ط١ ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .ـ ٢ج ، ٧٦٧ص .

٣١- **كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع** / عبد الرحمن بن عتيق المعروف بابن الفحام الصقلي المقرئ (ت ٥١٦هـ)؛ دراسة وتحقيق ضاري إبراهيم العاصي الدوري .ـ دار عمار: عمان، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .ـ ٣٨٧ص .

٣٢- **إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي (في القراءات العشر)** / أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي (ت ٥٢١هـ)؛ تحقيق

عمر حمدان الكبيسي .ــ جامعة أم القرى والمكتبة الفيصلية: مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .ــ ٦٩١ص .

٣٣- **كتاب الكفاية الكبرى في القراءات العشر** / أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي (ت ٥٢١هـ)؛ مراجعة وتعليق جمال الدين محمد شرف .ــ دار الصحابة: طنطا (مصر)، ٢٠٠٣م .ــ ٣٣٥ص .

٣٤- **كتاب الإقناع في القراءات السبع** / أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد ابن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش (ت ٥٤٠هـ)؛ حققه وقدّم له عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى: مكة المكرمة ، دار الفكر: دمشق ، ١٤٠٣هـ .ــ ٢ج .

٣٥- **غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار** / الحسن بن أحمد ابن الحسن الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ)؛ دراسة وتحقيق أشرف فؤاد طلعت .ــ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة: المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ .ــ ٢ج .

٣٦- **الدر النثير والعذب النمير في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)** /عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد المالقي (ت ٧٠٥هـ).

- تحقيق ودراسة أحمد بن عبد الله المقري .ــ دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف: جدة، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .ــ ٤ج .

- تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ؛ شارك في التحقيق أحمد عيسى المعصراوي .ـ دار الكتب العلمية : بيروت ؛ توزيع مكتبة عباس أحمد الباز : مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م .ـ ٧١٢ص .

٣٧- **خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاث** / إبراهيم بن عمر ابن إبراهيم بن خليل المعروف بالجعبري (ت ٧٣٣هـ) ؛ دراسة وتحقيق إبراهيم بن نجم الدين بن محمود بن أحمد المراغي .ـ دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر: القاهرة، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .ـ ٤١١ص .

٣٨- **الكنز في القراءات العشر** / عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (ت ٧٤٠هـ) ؛ دراسة وتحقيق خالد أحمد المشهداني .ـ مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .ـ ٢ج .

٣٩- **النشر في القراءات العشر** / محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) .

- تحقيق علي محمد الضباع .ـ المكتبة التجارية الكبرى : القاهرة ، ١٩٤٠م .ـ ٢ج .
- قدم له وحقق نصوصه وعلق عليه محمد سالم محيسن .ـ مكتبة القاهرة: مصر .ـ د.ت .ـ ٣ج .

٢- ب - التجويد

٤٠- **التحديد في الإتقان والتجويد** / أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) ؛ دراسة وتحقيق غانم قدوري الحمد .ـ دار عمار: عمان، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .ـ ٢٠١ص .

٤١- **التمهيد في معرفة التجويد** / أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) ؛ تحقيق غانم قدوري الحمد .ـ دار عمار: عمان، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .ـ ٣١٩ص .

٤٢- **التمهيد في علم التجويد** / محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣هـ) .

- تحقيق علي حسين البواب .ـ مكتبة المعارف: الرياض، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .ـ ٢٤٧ص .
- تحقيق غانم قدوري الحمد .ـ مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٧هـ .ـ ٢٥٦ص .

٢- ب - التجويد / الوقف والابتداء

٤٣- **الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** / أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير (ت ٢٣١هـ) ؛ تحقيق وشرح محمد خليل الزروق ؛ راجعه وقدم له عز الدين بن زغيبة .ـ مركز جمعة الماجد للثقافة

والتراث: دبي (الإمارات العربيـــة المتحـــدة) ، ط١ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .ــ ٢٦٠ص .

٤٤- **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** / أبو بكر محمد بن القاسم ابن محمد الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ؛ تحقيـــق محيـــي الـــدين عبد الرحمن رمضان.ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية ، مطبعة الترقـــي التعاونية : دمشق ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م .ــ ٢ج .

٤٥- **القطع والائتناف أو الوقف والابتداء** / أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) .

- تحقيق ودراسة أحمد خطاب عمر .ــ وزارة الأوقـــاف والـــشؤون الدينية: بغداد ، ١٩٧٨م .ــ ٩٤٠ ص .
- تحقيق أحمد فريد المزيدي .ــ مكتبة عباس أحمد الباز: مكة المكرمـــة، ١٤٢٣هـ .ــ ٦٠٠ص .

٤٦- **المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** / أبـــو عمـــرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

- تحقيق جايد زيدان مخلف .ــ مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: بغداد ، ١٩٨٣م .ــ ٤٧٥ص .
- تحقيق يوسف بن عبد الرحمن مرعشلي .ــ مؤسسة الرسالة: بيروت ، مؤسسة أبجد غرافيكس : دمشق ، ١٤٠٤هـ ، ط٢، ١٤٠٧هـ .ــ ٧٠٤ص .

- حقق نصوصه وعلق حواشيه محي الدين عبد الرحمن رمضان .ــ دار عمار: عمّان ، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م .ــ ٢٦٨ص .

٣- لغة القرآن / كلمات القرآن / الوجوه والنظائر

٤٧- **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم** / مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) ؛ عبد الله محمود شحاته .ــ وزارة الثقافة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة ، ١٣٥٩هـ = ١٩٧٥م .ــ ٢ج ، ٣٦٠ص .

٤٨- **التصاريف (تفسير القرآن مما أشبهت اسماؤه وتفرقت معانيه)** / يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) ؛ تحقيق هند شلبي .ــ الشركة التونسية للتوزيع : قرطاج ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .ــ ٤١٠ص .

٣- لغة القرآن / لغات القرآن

٤٩- **كتاب اللغات في القرآن** (رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس)/ عبد الله بن الحسين بن حسنون (ت ٣٨٦هـ)؛ تحقيق صلاح الدين المنجد .ــ مطبعة الرسالة: القاهرة، ١٩٦٤م .

- دار الكتاب الجديد: القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م .
- ط٣، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.ــ ٧٥ص .

٣- لغة القرآن / نحو القرآن وصرفه / إعراب القرآن

٥٠- **إعراب القرآن** / أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) ؛ تحقيق زهير غازي زاهد .ـ عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية : بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .ـ ٥ج .

٥١- **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** / الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ؛ تصحيح عبد الرحيم محمود .ـ المكتبة الثقافية: بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .ـ ٢٤٩ص .

٥٢- **إعراب القراءات السبع وعللها** / أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي (ت ٣٧٠هـ) ؛ حققه وقدّم له عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين .ـ مكتبة الخانجي : القاهرة ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .ـ ٢ج .

٥٣- **إعراب القرآن ؟** / أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ) ؟ ؛ قدمت له ووثقت نصوصه ووضعت فهارسه فائزة بنت عمر علي المؤيد .ـ السعودية ، ١٤١٥هـ .ـ ٦١٦ص . (في اسم الكتاب ونسبته لقوام السنة نظر كما بين عبد الهادي حميتو في مقال نشر في مجلة الحكمة ، العدد ١٦، جمادى الآخرة ١٤١٩هـ ، ص ٤٨١ - ٥٦١) .

٣- لغة القرآن / معاني القرآن

٥٤- **ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد** / أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) .

- نشر عبد العزيز الميمني الراجكوتي .ـ المطبعة السلفية : القاهرة ، ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م .ـ ٤٣ص .
- دراسة وتحقيق أحمد محمد سليمان أبو رعد .ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، مطبعة الموسوعة الفقهية : الكويت .ـ ١١٠ص.

٣- لغة القرآن / معاني القرآن / المحكم والمتشابه

٥٥- **متشابه القرآن العظيم** / أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن أبي داود المنادي (ت ٣٣٦هـ)؛ تحقيق عبد الله بن محمد الغنيمان .ـ كلية القرآن بالجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ .ـ ٢٤٦ص .

٣- لغة القرآن / معاني القرآن / الناسخ المنسوخ

٥٦- **كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى** / قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ)؛ تحقيق حاتم الضامن .ـ مؤسسة الرسالة:

بيروت، ط٢، ١٩٩٨م .ــ ٦٨ص . ضمن أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ ؛ وهي بالإضافة إلى كتاب قتادة – حسب ترتيب ورودها في المجموع – :

٢- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لعبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).ــ ٧٢ص .

٣- ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لهبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم المعروف بشرف الدين ابن البارزي (ت ٧٣٨هـ).ــ ٦٧ص .

٤- الناسخ والمنسوخ لمحمد بن مسلم ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) .ــ ٣٦ص .

٥٧- **الناسخ والمنسوخ** / أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)؛ تحقيق محمد بن صالح المديفر .ــ مكتبة الرشد : الرياض ، ط١، ١٤١١هـ .ــ ٤١٢ص .

٥٨- **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك**/ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) .

- تصحيح محمد أمين الخانجي .ــ مطبعة السعادة : القاهرة ، ١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م .ــ ٢٧٦ص .
- تحقيق سليمان بن عبد الله اللاحم .ــ مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤١٢هـ .ــ ٣ج .

٥٩- **نواسخ القرآن** / عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)؛ تحقيق محمد أشرف علي المليباري .ــ الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ .ــ ٥٧١ص .

٦٠- **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** / أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ) ؛ تحقيق عبد الكبير العلوي المدغري .ــ مكتبة الثقافة الدينية : القاهرة ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .ــ ٢ج ؛ ٢٨سم . (فيه إسناد كما في ٢ / ١٠٧- ١٠٨) .

٣- لغة القرآن / معاني القرآن / مشكل القرآن

٦١- **تأويل مشكل القرآن** / محمد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ؛ شرحه ونشره السيد أحمد صقر .ــ دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ١٩٥٤م .ــ ٧٠٥ ص . (قد يسند كما في ص ١٠٠) .

٤- تفسير القرآن

٦٢- **تفسير القرآن** (**تفسير مجاهد**) / مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي (ت ١٠٤هـ)؛ تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي .ــ إدارة الشؤون الدينية: الدوحة، مطبعة المنشورات العلمية: بيروت، ١٩٧٦م.ــ ٢ج ، ٧٩٨ص . (توصل أ.د حكمت بشير ياسين إلى

أن التفسير المطبوع بعنوان " تفسير الإمام مجاهد بن جبر " هو تفسير آدم بن أبي إياس) .

٦٣- **تفسير مقاتل بن سليمان** / مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)؛ تحقيق عبد الله محمود شحاتة .ــ دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ٥ج .

٦٤- **تفسير سفيان الثوري** / سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١هـ) رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي عنه .

- تصحيح امتياز علي عرشي.ــ المكتبة الرضوية بإعانة وزارة المعارف، مطبعة هندوستان : راضارامبور ، ١٣٨٥هـ .ــ ٥٢٦ ص .
- راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر .ــ دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .ــ ٤٨٢ص .

٦٥- **تفسير يحيى بن يمان** (ت١٨٩هـ)**ونافع بن أبي نعيم القاري** (ت١٦٩هـ) **ومسلم بن خالد الزنجي** (ت١٧٩هـ)**وعطاء الخراساني**(ت١٣٥هـ)، رواية أبي جعفر محمد بن أحمد الرملي (؟)؛ تحقيق حكمت بشير ياسين .ــ مكتبة الدار: المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ .ــ ١٩٠ص .

٦٦- **تفسير القرآن** (وبعض ما يتعلق بعلوم القرآن من الجامع في الحديث)/ عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (ت ١٩٧هـ) ؛ رواية سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ) ؛ تحقيق وتعليق ميكلوش موراني .ــ دار الغرب الإسلامي : بيروت ، ط١، ٢٠٠٣م .ــ ٣ج . (فيه

تفسير آيات غير مرتبة ، وقد عرض المحقق الآيات المفسرة في فهـــرس خاص حسب ترتيب القرآن مشيرًا إلى رقم الفقرات أو الآثار المفسرة في الكتاب ، وقد جاء في الجزء الأخير وهو الجزء الثالث من المطبوع أبواب في علوم القرآن ؛ مثل : ترغيب القرآن ، واختلاف حـــروف القرآن ، والناسخ والمنسوخ وغيرها).

٦٧- **تفسير يحيى بن سلام** [من سورة النحل إلى سورة الصافات] / يحـــيى ابن سلام التيمي البصري القيرواني (ت ٢٠٠هـ)؛ تحقيق هند شـــلبي .ــ دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٤م .ــ ٢ج .

٦٨- **معاني القرآن** / أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)؛ تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي وعبد الفتاح إسماعيل شلبي .ــ عالم الكتب : بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .ــ ٣ج . (فيه إسناد كما في ١ / ٣٠٢) .

٦٩- **تفسير القرآن** / عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)؛ تحقيق مصطفى مسلم محمد .ــ مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤١٠هـ .ــ ٤ج في ٣مج ؛ أحدها فهارس .

٧٠- **قطعة من تفسير عبد بن حميد** / عبد بن حميد بن نصر الكـــشي (ت ٢٤٩هـ) ؛ اعتنى به مخلف بنيه العرف .ــ دار ابن حزم : بـــيروت، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .ــ ١٣٧ص .

٧١- **أحكام القرآن** / إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت ٢٨٢هـ)؛ تحقيق عامر حسن صبري .ـ دار ابن حزم: بيروت، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .ـ ٢٩٠ص .ـ (سلسلة الأجزاء والكتب الحديثية؛ ٣٤).

٧٢- **تفسير القرآن العظيم** / سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري أبو محمد (ت ٢٨٣هـ) .

- O تصحيح محمد بدر الدين النعساني .ـ مطبعة السعادة: القاهرة، ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م .ـ ٢٠٤ص .
- O المطبعة الميمنة: القاهرة، ١٣٢٩هـ = ١٩١١م.ـ ١٣٦ص .
- O تصحيح لجنة في المطبعة .ـ على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى : القاهرة ، ١٣٢٩هـ = ١٩١١م .ـ ١٣٦ص .
- O حققه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي .ـ دار الحرم للتراث : القاهرة ، ٢٠٠٤م .ـ ٣٤٧ص .

- ■ **تفسير النسائي** / أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)؛ تحقيق سيد الحليمي وصبري الشافعي .ـ مكتبة السنة : القاهرة ، ١٤١٠هـ .ـ ٢ج . (هذا التفسير جزء من السنن الكبرى للنسائي؛ فلا يعد من كتب علوم القرآن؛ لأنه لم يخصها بالتصنيف) .

٧٣- **جامع البيان في تفسير القرآن** / محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ).

- O تحقيق لجنة من العلماء ومحمد الزهري الغمراوي.ـ المطبعة الميمنية: القاهرة، ط٢، ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م .ـ ٣٠ج .

- تصحيح لجنة من العلماء .ــ على نفقة عمر الخشاب المكتبي ونجله ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق : القاهرة ، ١٣٢٥هـ = ١٩٠٤م .ــ ٣٠مج .
- تصحيح مصطفى السقا ولجنة من العلماء .ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة ، ط٢، ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م .ــ ٣٠ج .
- تحقيق محمود محمد شاكر، مراجعة أحمد محمد شاكر.ــ دار المعارف: مصر، ١٩٦١ — ١٩٦٩م .ــ ١٦ج .(وصل التحقيق إلى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم ، ولم يكمل) .
- تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي .ــ دار عالم الكتب : الرياض ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .ــ ٢٦ج .

٧٤- **معاني القرآن وإعرابه** / إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) .

- تحقيق إبراهيم الأبياري .ــ وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الهيئة العامة لشؤون المطابع: القاهرة، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .ــ ٣ج .
- دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري: القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .(بالتصوير بالأوفست عن الطبعة السابقة) .
- تحقيق عبد الجليل عبده شلبي .ــ عالم الكتب: بيروت، ١٩٨٨م .ــ ٥ج.

٧٥- **تفسير القرآن** / محمد بن إبراهيم بن المنـــذر (ت ٣١٩هـ)؛ تحقيـــق سعد بن محمد السعد .ــ دار المآثر: المدينـــة النبويـــة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .ــ ٢ج. (القطعة التي وصلتنا منه، من الآية (٢٧٢) مـــن سورة البقرة إلى الآية (٩٢) من سورة النساء) .

٧٦- **أحكام القرآن الكريم** / أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١هـ) ؛ تحقيق سعد الدين أونـــال .ــ منـــشورات مركـــز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركـــي: اســـتانبول، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .ــ ٢ج .

٧٧- **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول صلى الله عليـــه وســـلم والصحابة والتابعين** / أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بـــن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ) .

- حققه وخرج أحاديثه أحمد عبد الله العماري الزهراني (ج١)، حكمت بشير ياسين (ج٢).ــ مكتبة الدار : المدينة المنـــورة ، ١٤٠٨هـ .ــ ٢ج ؛ ٢٨سم . (ج١: القسم الأول من سورة البقرة ، ج٢: القسم الأول من سورة آل عمران) .
- تحقيق أسعد محمد الطيب .ــ مكتبة نزار مـــصطفى البـــاز: مكـــة المكرمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .ــ ١٤ج .

٧٨- **معاني القرآن الكريم** / أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)؛ تحقيق محمد علي الـــصابوني .ــ معهـــد البحـــوث

الإسلامية وإحياء التراث بجامعة أم القـــرى: مكـــة المكرمـــة، ط١، ١٤٠٨هـ .ــ ٦ج.

٧٩- **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام** / محمـــد ابن علي الكرجي القصاب (ت في حدود ٣٦٠هـ) ؛ تحقيق علـــي ابن غازي التويجري .ــ دار ابن القيم : الدمام (السعودية) ، دار ابن عفان : القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م ، ٤ج . (ذكر المحقق في بيان منهج المؤلف فيه أنه قد يروي بعـــض الأحاديـــث والآثـــار بإسناده مع ملاحظة اختصار كلمة " حدثنا " بحرف " د " ، وأشار في الهامش إلى أرقام سبع صفحات تحوي أمثلة لـــذلك ، ولـــيس في الصفحات المحال إليها رواية بالإسناد ؛ فكأن الكتاب كـــان علـــى صورة من الصور ثم نقل عنها دون أن تعـــدل الإحـــالات بحـــسب الصورة التي نقل إليها ، كما يقع كثيرًا ، ويبدو أن أول الأمثلة لرواية المؤلف بالإسناد بحسب هذه الطبعة في ١ / ١٨١) .

٨٠- **أحكام القرآن** / أبو بكر أحمـــد بـــن علـــي الـــرازي الجـــصاص (ت ٣٧٠هـ) ؛ تحقيق محمد الصادق قمحاوي .ــ دار إحياء التراث العربي : بيروت ، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م .ــ ٥ج .

٨١- **تفسير القرآن العزيز** (مختصر تفسير يحيى بن سلام) / أبو عبـــد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)؛ تحقيق حسين عكاشة، محمد بن مصطفى الكنـــز .ــ الفاروق الحديثة للطباعـــة والنـــشر: القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .ــ ٥ج .

٨٢- **تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم)** / نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم أبو الليث السمرقندي (ت حوالي ٣٧٣هـ) ؛ حققه وعلق عليه عمر غرامة العمروي ؟ .ـ دار الفكر : بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .ـ ٣ج .

٨٣- **حقائق التفسير** / أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢هـ)؛ تحقيق سيد عمران .ـ دار الكتب العلمية : بيروت ، ٢٠٠١م .ـ ٢ج ، ٨٩٦ ص . (وهذا التفسير غير محمود حيث سُلك فيه اتجاه منحرف ، وما ينقل فيه عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر ، كما قال ابن تيمية في منهاج السنة) .

- **زيادات حقائق التفسير** / أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢هـ) ؛ تحقيق جيرهارد بوورينغ .ـ دار المشرق : بيروت ، ١٩٩٧م .ـ ٢٨٨ ص .

٨٤- **الكشف والبيان في تفسير القرآن** / أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)؛ دراسة وتحقيق أبي محمد ابن عاشور؛ مراجعة وتدقيق نظير الساعدي .ـ دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .ـ ٩ج .

٨٥- **أحكام القرآن** للإمام الشافعي/ جمعها أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)؛ تقديم محمد زاهد الكوثري، كتب هوامشه عبد الغني عبد الخالق .ـ دار الكتب العلمية: بيروت ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .ـ ٢ج.

٨٦- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** / علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ)؛ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود .ـ دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .ـ ٤ج ، ٢٣٨٤ص .

٨٧- **لباب التأويل في معالم التنزيل** / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) .

- تصحيح محمد رشيد رضا .ـ على نفقة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، مطبعة المنار: القاهرة ، ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤.ـ ٨ج .
- إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار .ـ دار المعرفة : بيروت ، ط٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .ـ ٤ج ؛ ٢٨سم .
- تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان الحرش .ـ دار طيبة: الرياض، ١٤١٢هـ .ـ ٨ج .

٨٨- **تفسير القرآن** / أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩هـ)؛ تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس ابن غنيم .ـ دار الوطن: الرياض، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م ، ٥ج. (قد يسند ، كما في ٣/١٤٩ ، ٤/٢١٠ ، ٦/٣٠٩) .

٨٩- **زاد المسير في علم التفسير** / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)؛ قدّم له زهير الشاويش .ـ المكتب الإسلامي: بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .ـ ٩ج . (فيه إسناد في ١/ ١٤٨) .

٩٠- **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز** / عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي (ت ٦٦١هـ)؛ دراسة وتحقيق محمد بن صالح البراك .ـ دار ابن الجوزي: السعودية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .ـ ٦٥٢ص .

٩١- **مجالس من تدريسه في آية**: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ / ابن ناصر الدين الدمشقي محمد بن عبدالله القيسي (٧٧٧-٨٤٢هـ)؛ تحقيق محمد عوامة .ـ مؤسسة الريان: بيروت، ١٤٢١هـ .ـ ٥٤٩ص . (الآية ١٦٤من سورة آل عمران) .

٥- مباحث قرآنية متنوعة / إعجاز القرآن

٩٢- **بيان إعجاز القرآن** / أبوسليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البستي (ت ٣٨٨هـ) ؛ تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله .ـ دار المعارف : القاهرة ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م. (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني ، في ٢٣٠ص ، وكتاب الخطابي فيه أسانيد ،كما في ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٥١، وغيرها) .

٥- مباحث قرآنية متنوعة / فضائل القرآن

٩٣- **فضائل القرآن** / أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .

- تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين .ـ دار ابن كثير: دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٥هـ .ـ ٤٧٨ص .
- باسم: **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه** .ـ تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي .ـ وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٩٥م .ـ ٢ج.

٩٤- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة** / أبو عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي الرازي (ت ٢٩٥هـ) ؛ تحقيق مسفر سعيد دماس الغامدي .ـ دار حافظ: جدة، ١٤٠٨هـ .ـ ٢٢٠ص .

٩٥- **فضائل القرآن** / أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١هـ)؛ تحقيق يوسف عثمان فضل الله .ـ مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٠٩هـ .ـ ٣١١ص .

- **فضائل القرآن** / أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)؛ تحقيق فاروق حمادة .ـ دار الثقافة: الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ .ـ ١٤٣ص . (هذا الكتاب جزء من السنن الكبرى للنسائي) .

٩٦- **فضائل القرآن** / أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر المستغفري (ت ٤٣٢هـ)؛ تحقيق وتخريج أحمد بن فارس

السلوم .ـ دار ابن حزم : بيروت، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .ـ ٢ج، ٩٥٣ص .

٩٧- **من فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها** / الحسن بن محمد الخلال (ت ٤٣٩هـ)؛ تحقيق محمد بن رزق الطرهوني .ـ مكتبة لينة: دمنهور، مصر، ١٤١٢هـ .ـ ١٣٢ص .

٩٨- **فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاوته وحملته** / عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي (ت ٤٥٤هـ)؛ تحقيق عامر بن حسن صبري .ـ دار البشائر الإسلامية: بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .

٩٩- **جزء فيه حديث الستة من التابعين وذكر طرقه ووجوهه** / الخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣هـ)؛ تحقيق محمد بن رزق الطرهوني .ـ دار فواز : الأحساء ، ١٤١٢هـ .ـ ٧٧ص . (وهو تخريج لحديث " أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ") .

١٠٠- **فضائل القرآن وثواب من تعلمه وعلّمه** / أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي (ت ٦٤٣هـ)؛ تحقيق صلاح بن عايض الشلاحي .ـ دار ابن حزم: بيروت، ١٤٢١هـ .ـ ١٣١ص .

٥- مباحث قرآنية متنوعة / أحكام قراءة القرآن والاستماع إليه

١٠١- **أخلاق حملة القرآن** / أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) ؛ تحقيق عبد العزيز القاري .ـ مكتبة الدار: المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ .ـ ١٨٧ص .



الكشافات

كشاف بأسماء الكتب وأصحابها

حسب تواريخ وفيات أصحابها بدءًا بالأقدم فالذي يليه وانتهاءً بأحدثها :

١- **تفسير القرآن (تفسير مجاهد)** /
مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي (ت ١٠٤هـ) .

٢- **كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى** / قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) .

٣- **تنزيل القرآن** /
محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) .

٤- **تفسير يحيى بن يمان** (ت١٨٩هـ)**ونافع بن أبي نعيم القاري** (ت١٦٩هـ) **ومسلم بن خالد الزنجي** (ت١٧٩هـ)**وعطاء الخراساني**(ت١٣٥هـ)، رواية أبي جعفر محمد بن أحمد الرملي (؟) .

٥- **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم** /
مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) .

٦- **تفسير سفيان الثوري** / سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١هـ) رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي عنه .

٧- **تفسير مقاتل بن سليمان** / مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) .

٨- **تفسير القرآن** (وبعض ما يتعلق بعلوم القرآن من الجامع في الحديث)/ عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (ت ١٩٧هـ) ؛ رواية سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ) .

٩- **التصاريف (تفسير القرآن مما أشبهت اسماؤه وتفرقت معانيه)** / يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) .

١٠- **تفسير يحيى بن سلام** [من سورة النحل إلى سورة الصافات] / يحيى ابن سلام التيمي البصري القيرواني (ت ٢٠٠هـ) .

١١- **معاني القرآن** / أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) .

١٢- **تفسير القرآن** / عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) .

١٣- **فضائل القرآن** ... / أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .

١٤- **الناسخ والمنسوخ** / أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .

١٥- **الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** / أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير (ت ٢٣١هـ) .

١٦- **كتاب العقل وفهم القرآن** /
الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) .

١٧- **جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم** / أبو عمر حفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ) .

١٨- **قطعة من تفسير عبد بن حميد** /
عبد بن حميد بن نصر الكشي (ت ٢٤٩هـ) .

١٩- **تأويل مشكل القرآن** / محمد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) .

٢٠- **أحكام القرآن** / إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت ٢٨٢هـ) .

٢١- **تفسير القرآن العظيم** / سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري أبو محمد (ت ٢٨٣هـ) .

٢٢- **ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد** / أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) .

٢٣- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة** / أبو عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (ت ٢٩٥هـ) .

٢٤- **فضائل القرآن** / أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١هـ) .

٢٥- **جامع البيان في تفسير القرآن** / محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ).

٢٦- **معاني القرآن وإعرابه** / إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) .

٢٧- **المصاحف** / أبو بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٣١٦هـ) .

٢٨- **تفسير القرآن** / محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت ٣١٩هـ) .

٢٩- **أحكام القرآن الكريم** /

أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١هـ) .

٣٠- **السبعة في القراءات** / أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ) .

٣١- **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين** / أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ) .

٣٢- **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** / أبو بكر محمد بن القاسم ابن محمد الأنباري (ت ٣٢٨هـ) .

٣٣- **متشابه القرآن العظيم** / أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن أبي داود المنادي (ت ٣٣٦هـ) .

٣٤- **إعراب القرآن** /

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) .

٣٥- **القطع والائتناف أو الوقف والابتداء** / أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) .

٣٦- **معاني القرآن الكريم** /

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) .

٣٧- **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك**/ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) .

٣٨- **أخلاق حملة القرآن** /

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) .

٣٩- **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام** / محمد ابن علي الكرجي القصاب (ت في حدود ٣٦٠هـ) .

٤٠- **أحكام القرآن** /

أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ) .

٤١- **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** / الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) .

٤٢- **إعراب القراءات السبع وعللها** / أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي (ت ٣٧٠هـ) .

٤٣- **القراءات وعلل النحويين فيها المسمى (علل القراءات)** /

أبو منصور محمد ابن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) .

٤٤- **معاني القراءات** /أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ).

٤٥- **تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم)** / نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم أبو الليث السمرقندي (ت حوالي ٣٧٣هـ) .

٤٦- **الحجة في علل القراءات السبع أو الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد/** أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ) .

٤٧- **الغاية في القراءات العشر يليه باب الاستعاذة والتسمية وإمالات قتيبة عن الكسائي /**
أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) .

٤٨- **المبسوط في القراءات العشر /**
أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) .

٤٩- **كتاب اللغات في القرآن** (رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس)/ عبد الله بن الحسين بن حسنون (ت ٣٨٦هـ) .

٥٠- **بيان إعجاز القرآن** / أبوسليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البستي (ت ٣٨٨هـ) .

٥١- **المحتسب في بيان وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** / عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي (ت ٣٩٢هـ) .

٥٢- **التذكرة في القراءات الثمان** / أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ الحنفي (ت ٣٩٩هـ) .

٥٣- **تفسير القرآن العزيز** (مختصر تفسير يحيى بن سلام) / أبو عبـــد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ) .

٥٤- **حقائق التفسير** /

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢هـ) .

- **زيادات حقائق التفسير** /

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢هـ) .

٥٥- **الكشف والبيان في تفسير القرآن** / أبو إسحاق أحمد بن محمد بـــن إبراهيم النيسابوري الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) .

٥٦- **بيان الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات** / أحمد ابن عمار أبو العباس المهدوي (ت ٤٣٠هـ) .

٥٧- **فضائل القرآن** / أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بـــن المستغفر المستغفري (ت ٤٣٢هـ) .

٥٨- **التبصرة فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورين** / مكي بـــن أبي طالب حموش القيسي (ت ٤٣٧هـ) .

٥٩- **الروضة في القراءات الإحدى عشرة** / أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي المالكي (ت ٤٣٨هـ) .

٦٠- **من فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها** /

الحسن بن محمد الخلال (ت ٤٣٩هـ) .

٦١- **كتاب الإدغام الكبير في القرآن** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٢- **البيان في عدّ آي القرآن** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٣- **التحديد في الإتقان والتجويد** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٤- **التعريف في اختلاف الرواة عن نافع** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٥- **التيسير في القراءات السبع** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٦- **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٧- **المحكم في نقط المصحف** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٨- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** /

أبو عمرو عثمان ابن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٦٩- **المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** /

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

٧٠- **مفردة الحسن البصري** / أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي المقرئ (ت ٤٤٦هـ) .

٧١- **الوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية أئمة الأمصار الخمسة** /

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي المقرئ (ت ٤٤٦هـ).

٧٢- **فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاوته وحملته** / عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي (ت ٤٥٤هـ) .

٧٣- **أحكام القرآن** للإمام الشافعي/ جمعها أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) .

٧٤- **جزء فيه حديث الستة من التابعين وذكر طرقه ووجوهه** / الخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣هـ) .

٧٥- **أسباب النزول** /

علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ) .

٧٦- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** / علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ) .

٧٧- **الكافي في القراءات السبع** /

أبو عبد الله محمد بن شريح (ت ٤٧٦هـ) .

٧٨- **التلخيص في القراءات الثمان** / أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ) .

٧٩- **تفسير القرآن** /

أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩هـ) .

٨٠- **قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين** / أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت بعد ٤٩٣هـ) .

٨١- **المستنير في القراءات العشر** / أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر ابن سوار البغدادي (ت ٤٩٦هـ) .

٨٢- **كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع** / عبد الرحمن بن عتيق المعروف بابن الفحام الصقلي المقرئ (ت ٥١٦هـ) .

٨٣- **لباب التأويل في معالم التنزيل** / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) .

٨٤- **إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي (في القراءات العشر)** / أبو العز محمد ابن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي (ت ٥٢١هـ) .

٨٥- **كتاب الكفاية الكبرى في القراءات العشر** / أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي (ت ٥٢١هـ)

٨٦- **إعراب القرآن ؟** / أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ) ؟

٨٧- **كتاب الإقناع في القراءات السبع** / أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد ابن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) .

٨٨- **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** / أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ) .

٨٩- **التمهيد في معرفة التجويد** / أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) .

٩٠- **غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار** / الحسن بن أحمد ابن الحسن الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) .

٩١- **زاد المسير في علم التفسير** / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) .

٩٢- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن** / عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) .

٩٣- **نواسخ القرآن** / عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) .

٩٤- **فضائل القرآن وثواب من تعلمه وعلّمه** /

أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي (ت ٦٤٣هـ) .

٩٥- **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز** / عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي (ت ٦٦١هـ) .

٩٦- **الدر النثير والعذب النمير في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)** /

عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد المالقي (ت ٧٠٥هـ) .

٩٧- **خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاث** / إبراهيم بن عمر ابن إبراهيم بن خليل المعروف بالجعبري (ت ٧٣٣هـ) .

٩٨- **الكنز في القراءات العشر** /

عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (ت ٧٤٠هـ) .

٩٩- **التمهيد في علم التجويد** / محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣هـ) .

١٠٠- **النشر في القراءات العشر** / محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) .

١٠١- **مجالس من تدريسه في آيـــة :** ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ / ابن ناصر الدين الدمشقي محمد بـــن عبـــد الله القيسي (٧٧٧-٨٤٢هـ) .



كشاف الموضوعات

كشاف العناوين

أ

ت

ن

و



كشاف المؤلفين

أ

ب

ث

ج

خ

د

ر

ز

س

ف

ق

ل

م

كشاف المساهمين

أ

ن

ه

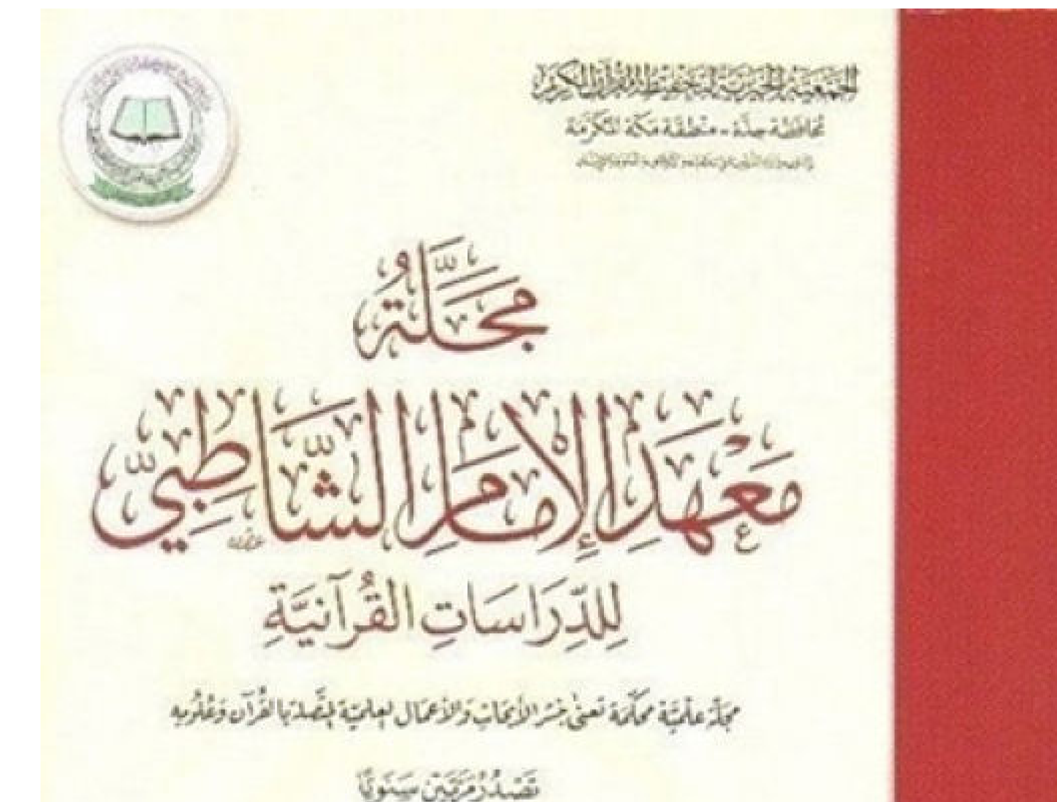
و

ي



محتويات الدليل





العدد الثالث

تصدر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

تكوين ملكة التفسير

د . الشريف حاتم بن عارف العوني
الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، وعضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية

* من مواليد مدينة الطائف عام ١٣٨٥هـ .
* نال شهادة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحته "المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس (دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصري)، ثم شهادة الدكتوراه بأطروحته "أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى) لأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري الحنبلي الشهير بقاضي المارستان (ت ٥٣٥هـ): دراسة وتحقيق".
* له أكثر من ثلاثين كتابًا و بحثًا منشوراً , مع حضور العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية والمشاركات الإعلامية .

الملخص

يحاول المقال أن يضع خطةً عمليةً لإنشاءِ ملكةٍ في العلوم التفسيريّة الأصيلة، مبنية على إثارة الذهن ، وإعمال التفكير ، في كل علم تحتاجه العملية التفسيرية احتياجًا كاملا . على أن يتمّ تقويم هذا النتاج الذهني الخاص بالمتدرّب ، من خلال الرجوع إلى كتب أئمة كل علم من علوم التفسير . فرتّبَ خطواتٍ لذلك، راعت في تنظيمها سَيْرَ العمليةِ التفسيرية، وأن تذكر أهم مؤلفات علوم التفسير في هذا السياق العملي التطبيقي .

وملخص هذه الخطوات ، هو :

الأولى: التزوُّدُ من العلوم الضرورية لعلم التفسير .

الثانية:اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها، والتي يجب أن يتوفّر في سبب اختيارها أنها أبعد الآيات عن أن يكون استفاد تفسيرَها من أحد.

الثالثة:فهم الآية بالجهد الذاتي المحض،دون الاستعانة على فهمها بأحد.

الرابعة : السعيُ إلى التفسير اللغوي الصِّرْفِ للآية .

الخامسة: تفسير الآية بالمنقول ، من: القرآن، والسنة، وأقوال السلف .

السادسة (والأخيرة) : الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية ؛ لتقويم النتيجة النهائية من دراستي ، ولاختيار الصياغة الدقيقة للتفسير الذي توصلّت إليه.

المــقدمــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسـلين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى ذُرّيّته إلى يوم الدين .

أما بعد : فلا يشك ناصحٌ لأمته أن سبيل نهضتها منوطٌ بأمور ، مـن أجَلِّها وأهمِّها أن نُعيدَ إلى العلوم الإسلامية حيويتها وعُمقَها وأثرهـا في حيـاة الناس . وهذه الغاية الغالية العالية تستوجب جهودًا جبارةً في تجديد هذه العلوم، التجديدَ الذي يعيدها إلى ما كانت عليه في زمن سلفنا الصالح وخيرِ القـرون ، من خلال التجديد لمناهج التعلُّم والتعليم ، وتخيُّرِ المناهج التي تُورثُ علما حقيقيا وفقها عميقا وإيمانا تزكو به النفوس .

وقد رغبتُ أن أُسهمَ في ذلك ، بطرح خطة عَمَليّة تحقّـقُ (بـإذن الله تعالى) تكوينَ مَلَكَة عِلْميّة لأحد أجلِّ العلوم ، وهو علمُ التفسير .

ومرادي بالمَلَـكَةِ التفسيرية : التأهُّلُ العلميُّ والـذِّهْنيُّ لإدراك الفهـم الصحيح للآية بالاجتهاد المبني على أدلته ، لا تقليدًا[1] .

---

(١) الملكة : صفةٌ راسخةٌ في النفس ، تحصل بتكرارٍ وممارسة .

هذا أشهر تعريف للملكة ، كما في : التعريفات للجرجاني (٢٩٦) ، والتوقيف على مهمـات التعاريف للمناوي (٦٧٥)، والكُليّات للكفوي (٧٥٢ ، ٨٥٦) .

لكن ابن خلدون دقّق في بيانها ، فقال في مقدمته (٢/٣٥٠) : «وذلك أن الحِذْقَ في العلم واليقينَ فيه والاستيلاءَ عليه، إنما هو: **بحصول ملكـةٍ في الإحاطـة بمبادئـه وقواعـده،والوقـوفِ علـى مسائله،واستنباطِ فروعه من أصوله**.وما لم تحصل هذه الملكةُ لم يكن الحذقُ في ذلك الفنِّ حاصـلاً. **وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي** ؛ لأنّا نجد فَهْمَ المسألة الواحدة من الفن الواحد مشتركًا بين من شدا في ذلك الفن ومن هو مبتدئٌ فيه، وبين العامي الذي لم يُـحصِّل عِلْمًا وبين العـالم النِّحريـر. والمَلَـكة إنما هي للعالم والشادي في الفنون،دون من سواهما.فدلَّ على أنّ هذه المَلَـكةَ غيرُ الفهم».=

وكان من بين أسباب اختيار هذا العلم خاصة لطرح هذه الخطة قبل غيره من العلوم، أنه مع جلالته التي لا يُستغربُ معها البَدْءُ به، أنه أحد أكثر العلوم التي قَلَّ المتفقِّهون فيها ، واستقرَّ العمل في تدريسها (غالبًا) على مجرّد التلقين الذي لا يؤدّي (غالبًا) إلى الفقه الصحيح في العلوم . ونُظِّرَ لهذا المنهج غير السديدِ بتأكيد أمور : بذكر خطر علم التفسير ، وحُرمةِ الكلام في

= وفي موطن آخر (٣/٢٦١-٢٦٢) فرّقَ ابنُ خلدون بين معرفة قوانين العلم وملكتِه ، فعقد فصلا بعنوان: (في أن هذا اللسان غيرُ صناعة العربيّة ومستغنيةٌ عنها في التعليم) ، ثم قال: «والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهو علمٌ بكيفيّة ، فليست هي الملكة . وإنما هي بمثابة من يعرف صناعةً من الصنائع علما ، ولا يُحكمُها عملا ... وهكذا هو العلم بقوانين الإعراب ، إنما هو علمٌ بكيفية العلم ، وليس هو نفس العلم . ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، إذا سُئلَ في كتاب سطرين إلى أخيه أو ذي مودّته ، أو شكوى ظُلامة ، أو قصدٍ من قُصوده، أخطأ فيها الصواب، وأكثر من اللحن ...». إلى آخر كلامه البديع المفيد .

وقد تكلّم الأصوليون في شروط المجتهد عن أنه لا يُشترطُ في تكوين ملكته أن يكون عالمًا بتفاريع الفقه، فقال الغزالي: «فأما الكلام وتفاريع الفقه فلا حاجة إليهما ، وكيف يُحتاج إلى تفاريع الفقه؟! وهذه التفاريع يُولِّدُها المجتهدون، ويحكمون فيها ، بعد حيازة منصب الاجتهاد ، فكيف تكون شرطًا في منصب الاجتهاد ، وتقديمُ الاجتهادِ عليها شرطٌ؟! نعم .. إنما يحصل منصب الاجتهاد في زماننا بممارسته ، فهو طريقُ تحصيلِ الدُّربة في هذا الزمان ، ولم يكن الطريقُ في زمن الصحابة ذلك . **ويمكن الآن سُلوكُ طريقِ الصحابة أيضًا**» ، المستصفى (٢/٣٨٨) .

وهذا ما قرّره عامة الأصوليين، فانظر : المحصول لفخر الدين الرازي الشافعي (٣/٢/٣٦)، والتحرير للكمال ابن الهُمام الحنفي، وشرحه: التقرير والتحبير لابن أمير الحاج الحنفي (٣/٣٩٢)،والبحر المحيط للزركشي (٦/٢٠٥)، وجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، وشرحه: البدر الطالع للجلال المحلّي(٢/٣٨٣)، والتحبير شرح التحرير للمرداوي الحنبلي (٨/٣٨٧٨).

التفسير بغير علم ، وبـ«أيّ سماءٍ تظلّني وأيّ أرض تقلّني إذا قلتُ في القرآن برأيي» ! وهذا كله حقٌّ لا مرية فيه ؛ لكنّ استثماره في إضعاف ملكة الفهم ، وفي عدم التدرُّب على إثارة القوّة الذهنية وزيادة قُدْرَتها على الفقه والاستنباط[1]= استثمارٌ خاطئ ، لن يؤدي إلا إلى إضعاف عِلْمِ التفسير، وإلى الوصول إلى ما وصلنا إليه : من قِلَّةِ أهل التحرير فيه ، وإلى توقّف نمائه .. أو ما يقترب من التوقّف!!

لذلك قد رغبت في وضع هذه الخطة ، التي هي نتاجُ تفكيرٍ عميق، وخبرةٍ في التعليم قاربت العقدين .

فأرجو أن ينظر فيها المعلِّمون؛ليُفيدوا منها، ويضيفوا إليها ويهذّبوا فيها ما يزيد من جدواها. وأن يطبّقها المتعلِّمون؛ فسيجدون فيها (بإذن الله تعالى) ما يحققُ لهم أملَهم في الرُّقيّ بمستواهم العلمي، وما يقوّي مَلَكَاتِهم العلميةَ، ويُؤَهِّلُهم إلى مراتب أهل التحقيق (بتوفيق الله تعالى).

أسأل الله تعالى قبولها ، وأن ينفع بها ؛ إنه سميعٌ مجيب

---

(١) ليس المقصودُ بالاستنباط في هذا المقال (إذا جاء ذكره) الاستنباطَ الخفيَّ للفوائد والأحكام الفقهية ، وإنما المقصود به مطلق الاجتهاد في الوصول إلى المطلوب، الذي هو هنا : فهم المعنى الأولي للآية. فالاستنباط واردٌ في مقابل التلقي للمعلومة من غيرك ، دون إعمالك الذهنَ في محاولة إدراكها .

فكرة الخطة

لقد قامت فكرة الخطة على أمرين :

الأول : تدريبُ المستفيدِ من الخطة على استخراج كلِّ معلومةٍ تنفعه في فهم الآية وتفسيرها (مما يصحُّ الوصول إليه بالاجتهاد) باستنباطه الخاص وإعماله لذهنه ، ثم أن يقوم بتقويم اجتهاده هذا بالرجوع إلى كلام أهل العلم . وفائدة هذا التقويم (بعد ذلك الاجتهاد): لا تقتصر على معرفة الصواب في تلك المسألة الجزئية ، بل تتعداه إلى ما هو أهمّ في هذا السياق ، وهو : أن يتبيّنَ سببَ الإصابة من سبب الخطأ ؛ ليستمسك بالأول ويجتنب الثاني . وكُلُّنا يعلم ما هو مقدار ثبات المعلومة التي تأتي بعد الاجتهاد في تحصيلها ، سواء بعد الإصابة في الاجتهاد أو الخطأ فيه، كما نعلم أثر تبيُّنِ معالمِ طريق الصواب وطريق الخطأ على الحياة العلمية !

كما أن هذا الاجتهاد الذاتي أدْعَى إلى تمرين الذهن على الاستنباط والتحليل والنقد ، وهو أيضًا يجعل النتيجةَ التي يُوصلُنا إليها أعمقَ من النتيجة التي تلقّيناها عن غيرنا دون إعمالِ ذهنٍ[1] ؛ مما سيكون له أثرٌ كبير في حسن تناولنا لتلك المسألة، وفي قُدرتنا على الترجيح العلمي العميق بين اختلافات العلماء فيها، إذا ما اختلفوا .

كما أن لها فوائد أخرى :

---

(١) ولذلك قال الزركشي في البحر المحيط (٦/٢٢٨) : «ليس يكفي في حصول الملكة على الشيء تعرُّفُه، بل لا بُدّ مع ذلك من الارتياض في مباشرته ... **ومما يُعِيْنُه على ذلك أن تكون له قوةٌ على تحليل ما في الكتب ، وردِّه إلى الحُجَج**: فما وافق الصواب فهو صواب ، وما خرج عن ذلك فهو فاسد ، وما أشكل أمره توقّف فيه» .

- من مثل الشعور بالذات ، وأن لها حضورا في ذلك العلم ، وهذا أحد أهم دواعي حب العلم، وحب الإبداع فيه .
- وبالتالي فإن ذلك سيُشعر الطالب بلذّة العلم ، التي هي أحد أكبر أسباب الاستمرار في الطلب، وفي استعذاب عذاب التعب في تحصيله، وفي الجَلَدِ على طُول مشواره .

الثاني : التنبيه على علوم التفسير ، وعلى مواطن استعمالها عند القيام بالعملية التفسيرية ، وكيفيّة الاستفادة منها . كما أن ذلك يتضمّنُ المرور بكُتبها والمصنفاتِ فيها ، مع بيان أهم مميزاتها[1] .ويأتي هذا التنبيه على علوم التفسير وكُتبه في سياقٍ عملي حيٍّ، يكون أفضلَ في الإفادة من السياق النظريّ الجامد، الذي تُسرَدُ مصنفاتُ التفسيرِ وعلومهِ فيه سردًا؛ ليكون هذا السياقُ العملي أرسخَ فائدةً وأكثرَ عائدةً على المتدرّب؛ لفضل الممارسة العملية والخبرة التي نكتسبها بها على الدروس النظرية البحتة .

ومن أهم مميّزات هذه الخطة أيضًا : أنها نظرتْ في خطواتها إلى كل العلوم التفسيرية الأصيلة ، وحاولت أن تُنمّي ملكةَ الفهم والاجتهادِ فيها[2]

---

(١) وقد استفدتُ كثيرًا في هذا المجال من كتاب فضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار (أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم)؛ فجزاه الله خيرا .وقد استدركتُ عليه فيه نوعين لم يذكرهما :

الأول : علم مقاصد السور . وللبقاعي فيه مصنّف مفرد ، واعتنى به الفيروزبادي في تفسيره وغيره من المعاصرين ، كما ستجده في أصل الخطة .

الثاني : الترتيب الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، وهو نوع حديثٌ في وجوه التصنيف المتعلقة بالتفسير .

(٢) المقصود بالاجتهاد : عدم أخذ قول إلا بدليله ، مع عمق الفهم للأدلة ومراتبها في القوة .

(علمًا علمًا) بطريقة مباشرة وواضحة.

وهذه المَـــلَـــكَـــاتُ العديدة من الممكن أن تنمو بغير هذه الخطة،لكن بصورة أدّعِي أنها أبطأ، وأنها كثيرةُ العِثار[1].كما أن بعض هذه الملكات قد يغفل عنها الطالب، فلا تنمو معه، على طول طريقه في الطلب. أما بهذه الخطة.. فإنها راعت تنميةَ الملكاتِ فيها جميعها، وأوضحت وسيلة تنميتها بوضوح.

ولذلك فإني لا أدعي بأن هذه الخطة جديدةً على منهج التعلــيم، ولا يمكن أن أزعم بأنها مستحــدثة على غير مثالٍ ســابق[2]. فهـــي خُـــطـــةٌ ضروريةُ المَدْرك، بَـــدَهِيـــَّـــةُ المَأْخَذ؛ لكني اجتهدتُ في إبرازها، وفي اقتـــراح خـــطواتها، وَفق ترتيبٍ عِـــلميٍّ واضحِ الأسباب. وإلا.. فهل يشك أحدٌ بـــأن من لم يُعمل ذهنه في فَهْمِ المعلومة وفي معرفة أدلّتها القائدةِ إلى قبولها أو ردّهـــا، واكتفى في طلبه على الحفظ والتلقّي المحض، أو شبه المحض = أن ملكة العلـــم عنده ستكون ضامرةً ضعيفة ؟![3] هذا ما سعيت إلى ضِدِّه في خطتنا هذه ، بأن يحاولَ الطالبُ أن يُعمل ذهنه في كل معلومة يصح فيها إعمالُ الذهن ، وأن ينظر في الأدلة بنفسه ، وأن يقوّم جُهدَه باجتهاد الأئمة في كل فن ؛ لكي تنشأ ملكةُ العلمِ لديه ، وتنمو آلةُ الاجتهاد عنده .

وليس المقصود من ذكر هذه الخطة أن يسير عليها العالمُ المفـــسِّر عنـــد

---

(١) بسبب قلّة من يسير في تعليمه على منهج إثارة القرائح والتدريب على الاجتهاد في العلم.

(٢) سبقت عبارة الزركشي في بيان وسيلة تكوين الملكة ، في حاشية الصفحة السابقة .

(٣) انظر:كلام الإمام أبي زيد الـــدَّبُّـــوسي(ت٤٣٠هـ) عن الفرق بين ملكتي الفهم (الذي هـــو الفقـــه) والحفظ، في كتابه:تقويم الأدلة (٤٦٨). وكلامَ أبي الوفاء ابن عقيل (ت٥١٢هـ) عن خطأ مـــن قـــدّمَ في الاستفتاء الحافظَ بغير فقه على الفقيهِ بغير حفظ، في كتابه: الواضح في أصول الفقه (٥/٤٥٦-٤٥٧).

تأليفه تفسيرًا؛ فإن المفسّر حقًّا هو من كان ذا ملكةٍ مكتملة في التفسير ، فليس محتاجًا إلى خطة لتكوينها . وليس المقصود منها أيضًا أن يَقُوم المتدرّبُ بتطبيقها على القرآن الكريم كاملا ، فإن هذا مع قُربه من حدِّ الاستحالة ، فهو كذلك لا داعي له ؛ فإن تطبيق هذه الخطة في جزء واحد من القرآن أو جزئين قد يكون كافيًا لإنشاءِ الملكةِ المقصودة منه . ويبقى على المتدرب بعد ذلك : إكمالُ آلاته العلمية من العلوم الإسلامية (أوّلا) ، وزيادة ملكته التفسيرية ، بممارسة التفسير قراءةً وجمعًا ودراسةً ومناقشةً وترجيحًا (ثانيا).

ولو أمكن أن يتولّى تطبيق هذه الخطة المعلّمون ، لكان هذا أكمل لفائدتها ، وأولى بتحقيق مقصودها[1] .

ومن هنا ندخل في ذكر خطوات خطتنا العملية لتكوين ملكة التفسير:

---

(١) وقد جربت ذلك عمليّا، فكنت (مثلا) أذكرُ الآيةَ للطلاب، ثم أطلب منهم أن يبينوا لي معنى الكلمة الغريبة في الآية استنباطا منهم من خلال سياقها، ثم أقرأ عليهم ما جاء عند الراغب الأصبهاني في مفرداته؛ ليظهر صواب من أصاب منهم، وقُرب من اقترب، وخطأ من أخطأ، وأنبهُ على سبب الخطأ وسبب الصواب. وهذه إحدى خطوات الخطة الآتية ، وقصدتُ من ذكرها هنا: التنبيهَ على طريقةٍ عملية من طرق تطبيق هذه الخطة ، يمكن للمعلّمين أن يسيروا عليها .

خطوات تكوين ملكة التفسير

الخطوة الأولى : التزوُّدُ من العلوم الضرورية لعلم التفسير .

لقد تحدّث العلماء عن العلوم الضرورية للمفسّر ، وعن شروطه[1]. فعلى الباحث الذي ينوي الدخول في دورته التدريبية هذه أن يكون قد تقـدَّمَ منه تأصيلٌ جيدٌ في تلك العلوم ، تأصيلٌ لا يُغرق معه فيها إغراقَ المُختصِّين بها ، **بل يكتفي منها بما يمكّنه إدراكَ مبادئها وفهمَ كلام علمائها ومراجعة مطوّلاتها عند الحاجة إلى ذلك** .

كما أن عليه أن يبدأ مشوارًا طويلا جدًّا في التعرّف على أساليب العرب في البيان عن مكنونات أنفسها ، من خلال القراءة المتأملة المتذوقة لمختار كلامهم شعرا ونثرا . وهو مشوارٌ ينبغي أن يبدأ .. ولا ينتهي ؛ لأنه من أعظم ما سيحتاجه المفسِّر ، وأعمقه ، وأحوجه إلى جميل الصبر على طول الطريق[2] .

كما أن عليه أن يقرأ ما كتبه العلماء عن أصول علم التفسير ، وعن

---

(١) انظر: شروط المفسر في كتب علوم القرآن ، كالإتقان للسيوطي (٢/١١٩٧-١٢٢٤) ، والتحبير في علم التفسير له .

(٢) سبق نقلُ كلامٍ لابن خلدون عن التفريق بين صناعة النحو والصرف والإعراب ونحوها من علم قوانين العلوم العربية ومقاييسها (من جهة) والعلومِ نفسِها (من الجهة الأخرى)، حيث فرّقَ بين قوانين العلوم وملكةِ العلمِ بها، التي هي حقيقةُ العلم. وله كلام آخر يبين فيه طريقة تكوين ملكة اللسان العربي ، فنصح بما نصحتُ به ، وشرح ووضّح ، فانظر المقدّمة (٣/٢٦١).

ولا أنسى في هذا السياق ما حكاه الإمام الواحدي (ت٤٦٨هـ) عن نفسه من عنايته البالغة باللغة والأدب والشعر ، من أجل أن يُهيئ نفسه لعلم التفسير. فانظر حديثه المطوّل عن ذلك في ترجمته في معجم الأدباء لياقوت (٤/١٦٦١-١٦٦٣) .

مدارس التفسير ومناهجها ، وعن كتبه ومميزاتها .

وأنصحه خاصة بمقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية في أصـــول التفـــسير(١)، وبكتاب (قواعد التفسير) لفضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت، وبكتاب (أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم) لفضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار، و(فصول في أصول التفسير) له(٢).

ثم عليه مع ذلك أن لا يقطع الانشغال بالتفسير وكتبه ومشاريعه العلمية: النظرية والتطبيقية، فإن هذا هو سبيل من أراد أن يتخصّص في علم من العلوم.

وهذه الخطوة من الممكن أن تُذكر منفصلةً عن هذه الخطوات ، لأنهـــا تأصيل لها (أولا) ، ولكون التزوّد منها لن ينتهي على طول طريق التحـــصيل (ثانيًا) ، ولأنها تبدأ بخطوة، تتلوها خطواتٌ منها ، لتكون منـــهجًا لإكمـــال الملكة التفسيرية ، وليست خطوةً من خطوات إنشائها وتكوينها (ثالثا) . وإنما أوردتها (مع ذلك) ضمن الخطة ، لتكون خطوات الخطة شـــاملةً لأســـباب تكوين الملكة ولإكمالها ، ولكون البداية بها مهمةً قبل الدخول في تطبيق هذه الخطة .

وقد يُستحسن في هذه الخطوة أن لا تدخل ضمن الخطوات ؛ لأنها خطوةٌ لن يتجاوزها المتدرّبُ ولا المفسِّر أبدًا ، مادام منشغلًا بالتفسير . لكني رأيـــتُ إدخالها فيها ؛ لأنها خطوةٌ تأسيسية لا بُدّ منها ، قبـــل الـــشُّروع في بقيّـــة

---

(١) وأفضل شروحها شرح فضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار .

(٢) وسيأتي ذكر كتبٍ ودراسات معاصرة مهمة غير هذه الكتب ، لكن لمّا كان موضوعها متعلّقًـــا بالخطوات التالية ، ذكرتها هناك في موطنها .

الخطوات . ثم إن الأمر فيها (إفرادًا عن بقية الخطوات أو عدم إفراد) بعد هذا التنبيه الواضح ؛ لا يتجاوز أن يكون خلافًا صوريًّا ، لا يؤثر على الحقيقة العلمية .

الخطوة الثانية :اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها ، والتي يجب أن يتوفّر في سبب اختيارها أنها أبعد الآيات عن أن يكون استفاد تفسيرَها من أحد.

وذلك بأن يُقْدِمَ على اختيار جزءٍ من القرآن الكريم أو سورةٍ منه ، لتكون منطلقَ تدبُّرِه وموضعَ دراسته التي سيُجريها . وإذا كان الدارسُ له قراءاتٌ سابقةٌ في كتب التفسير ، فمن الأفضل أن يختار من القرآن أبعدَ الأجزاء عن قراءاته السابقة ، فكلما كان الجزءُ المدروسُ أخفَى معنًى عليه كان أولى بالاختيار من غيره !

الخطوة الثالثة :فهم الآية بالجهد الذاتي المحض ، دون الاستعانة على فهمها بأحد .

وذلك بأن يقرأ الدارِسُ الجزءَ أو السورة المختارة للدراسة من المصحف ، ويحاول أن يفهمها من المصحف وحده ، دون الرجوع إلى أي كتاب ليستعين به على الفهم الأوليِّ الذي نريده أن يصل إليه .

وعليه في هذه الخطوة أن يتعلّم طولَ التأمل والتفكيرَ المديد ، وأن لا يستعجل في البتّ بمعنى معين لكل آية ؛ إلا بعد أن يتأكّد من أن تأخُّرَه في تأمّله لها لن يضيفَ إليه فهمًا جديدا.

وعليه أيضًا أن يحاول استنباطَ معنى أي كلمةٍ غريبةٍ لغويًّا عليه من خلال سياقها ، باذلاً في ذلك كل جهده الذهني .

كما أنه ينبغي عليه أن لا يُغفل سياقَات الآية **الخمسة** ؛ لأن السياق من أقوى ما يؤثِّر على تحديد المراد من الكلام. وسياقات[1] الآية الخمسة هي:

١- السياق القرآني العام ، أي استحضار الغاية الكبرى من إنزال القرآن الكريم ، وهي هداية الخلق إلى توحيد الله تعالى ، وإلى مراضيه سبحانه ، والتي بها تنتظم شؤونُ الخلقِ جميعُها ، بما يحقق لهم سعادةَ الدارين ؛ لأنها تبيِّنُ العلاقةَ الصحيحةَ الكاملةَ لكل فرد بربِّه عزّ وجل ، والعلاقةَ الصحيحةَ المطلوبةَ بجميع الخلق . فاستحضارُ الغرضِ من إنزال القرآن مُهمٌّ في فهمه ، وعاصمٌ من شَطَطِ التفسير ؛ كبعض من انْسَاقَ وراءَ إثباتِ سَبْقِ القرآنِ العلمي، فتعسّفَ التأويل ، حتى يُخَيَّل للواقف على تأويله أن كتاب الله العزيز كتابٌ في بعض العلوم العصرية!! ومن المعلوم أن القرآنَ قد تعرّض لحقائق علمية كثيرة حقًّا ، وسبقَ إلى ذِكْرِ بعضِها العلمَ الحديث صدقًا ؛ لكن ذلك كان ضمنَ تحقيقه لغرضه الأكبر وغايته العظمى المذكورةِ آنفًا ، فلا يجوز أن نخرج به عن هذا السياق الأجلِّ الأفخم .

٢- سياق الآياتِ الزمنيُّ، وأعني به : معرفة مكيّة الآيات أو مدنيّتها ، هل نزلت قبل الهجرة ؟ أم بعدها ؟ وتحديد ذلك مفيدٌ لفهم الآيات ؛ لأن الآيات المكية لها أغراضها وخصائصُها التي تختلف بها عن الآيات المدنية ، وكذلك الآيات المدنية أيضًا . ومعرفة أغراض الآيات المكية والمدنية هو أحد السياقات ولا شك ، وما دامت سياقًا فلا بُدّ أن تكون مؤثرةً في إدراك معنى الكلام

(١) المقصود من (السياق) في هذا (السياق) : كل ما أحاط بالنصّ فكان له أثرٌ في فهمنا لدلالاته ومعانيه .

الذي تَــحُفُّ به ، وهذا أحد أهم أسباب عناية العلماء بمعرفة المكي والمدني.

٣- ومعرفة المكي والمدني لا بد فيه من النقل ، ولذلك لا بد من الرجــوع إلى كتب التفسير وكتب علوم القرآن لمعرفة ذلك . فإذا اختلف النقل وتعــارض ، يكون ما أدركه الباحث من خصائص المكي وخصائص المدني أحــد قــرائن الترجيح . ويُــمكن تكوين ملكةٍ في ذلك ، بطول التأمل في مجموعــة مــن السور المكية والسور المدنية ، لمحاولة استخلاص أهم الأغراض التي تعتني بهــا، ولاستخلاص خصائص كل قسم ، ثم يُراجعُ الدارِسُ ما كتبه أهل العلم في ذلك والباحثون المعاصرون ، للتكميل والتصويب . [1]

٤- سياق السورة التي أدرسها ؛ إذ لكل سورة مقاصدُ وأغراضٌ خاصة ، فهي سياقٌ مهمٌّ لكل آية فيها . فعلى الدارِسِ أن يقرأ السورة لاســتنباط أغراضــها ومقاصدها ، محاولاً معرفةَ جميعِ الموضوعات التي بينت السورةُ الهدايةَ الربانيــةَ فيها . ثم إن استطاع تحديدَ الوصفِ الجامعِ لها والقاسمِ المشتَركِ بينها .. فهــو أولى ، وإن كانت أوصافا عديدةً وقواسمَ مُــشْتَــرَكَةً (لا قاسمًا واحــدًا) .. فهو حسنٌ أيضا .

فإن انتهى من ذلك ، فليقوّمْ جُهدَه بتحريرات العلماء في بيــانِ مقاصــدِ السُّوَرِ ، وقد خُصّ هذا النوع من أنواع علوم القرآن بالتأليف المفرد من عــالمٍ واحد ، هو : برهان الدين البِقاعي (ت٨٨٥هـ) في كتــاب (مــصاعد النظــر للإشراف على مقاصد السور). كما اعتنى به عددٌ من المفسرين في تفاسيرهم،

(١) انظر كتاب : (المكي والمدني في القرآن الكريم ، دراسة تأصيليّة نقدية للسور والآيات مــن أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء) لعبد الرزاق حسين أحمد . وأكمل مشروعه الدكتور محمد الفــالح في رسالته (تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس) .

ومنهم من السابقين : الفيروزبادي (ت٨١٧هـ) في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)[١]. وممن اعتنى بمقاصد السور من المعاصرين: الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) ، وسيّد قطب (ت١٣٨٧هـ) في كتابه (في ظلال القرآن) .

٥- سياق الآيات المدروسة خاصة ، وهو موضوعها الخاص الذي تتناوله بالتحديد . ويُدرَكُ ذلك من خلال التأمل في الآيات القريبة والمحيطة بالآيات موضوعِ الدراسة ، وهي الآيات التي قبلها والتي بعدها مباشرة . وهو أهم السياقات (مع السياق التالي) ، لكونه أقوى السياقات أثرًا على الكلام ، إلى درجة قدرته أحيانا على تخصيص اللفظ العام وتقييد مطلقه[٢] .

وسنؤجلُ تقويمَ هذا الاجتهادِ إلى آخر خطوة ، لأن تقويمه يحتاج إلى الانتهاء من التفسير بكل مراحله !

٦- سياق الآية الواحدة ، وهو معرفة علاقتها بالآية السابقة والآية اللاحِقة، وهو ما يسمّيه العلماءُ بعلم مناسبات الآيات . فإنه إن كان للسياقِ القريبِ

٧- ذلك الأثرُ القويُّ المنوَّهُ به آنفًا ، فكيف ستكون قوةُ أقربِ السياقات على الإطلاق، وهو سياقُ السِّباقِ واللحاق ؟!

واستخراج المناسبة بين الآية والآية يحتاج في هذه المرحلة الأُولى من مراحل التفسير أن تتأكد من درجة تأثير الآية السابقة والآية اللاحقة على

---

(١) وقد جمع الدكتور أيمن الشوّا ما ذكره الفيروزبادي في تفسيره عن هذا الموضوع في جزءٍ مستقل مطبوع باسم : (مقاصد سور القرآن) .

(٢) انظر : الرسالة للإمام الشافعي (٦٢-٦٣ رقم٢٠٨-٢١١) ، والبحر المحيط للزركشي (٣/٣٨٠-٣٨١) .

دلالة الآية الواقعةِ بينهما المقصودةِ بالدراسة .

ولا أنصح بتقويم هذا الاجتهاد الآن ، كما قلتُ في السابق ؛ لكي لا تـزول خصوبةُ اجتهادِ الدارسِ وعُذْرِيَّةُ تَفَهُّمِه المقصودتان في هذه الخُطة أصالةً ؛ لأنه بالاطلاع على اجتهادات أهل العلم سيتلقّاها الدارسُ عنهم دون إعمالِه التامّ لذهنه ، فلا تتكوّنُ ملكتُه بذلك على الوجه الصحيح الكامل[1] .

فعليه أن لا ينسى تعميقَ وتقويمَ إدراكِ مناسبات الآيات ببعضها **بعد الوصول إلى آخر خطوة**، بالرجوع إلى كتب أهل العلم المعتنية بذلك . وعلى رأسها كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، ثم عموم كتب التفسير ، وخاصة (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) .

كما أن على الدارسِ مراعاةَ مفاصلِ الآيةِ الواحدة ، وأن يُعيِّنَ تمامَ أركانِ الجُمَلِ فيها ، وهو ما يُسمِّيه العلماء بـ(علم الوقف والابتداء). ويتم ذلك من خلال فهمه للآية ، وإدراكه لعلاقة مقاطعها ببعض . فليلحظْ هذا الباب ، ولا يكتفي بعلامات الوقف الموجودة في المصحف ؛ لأنها اجتهادات للعلماء مبنية على فهمهم للآيات .

ولا ترجع في هذه الخطوة إلى كتب الوقف ولابتداء ؛ لأنها تتضمن فهما وتفسيرا نريدك أن تصل إليه بجهدك الخاص ، ولكن يحسن الرجوع إليها بعد بلوغك آخر الخطوات . ولا بأس أن ترجع إليها في غير الآيات المدروسة ؛ لتعرف منهجَ هذه الكتب وفكرةَ التأليف فيها . ومن هذه الكتب: (إيضاح

---

(١) أي : وَفق هذه الخطة .

الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) لأبي القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، و(القطع والائتناف) لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، و(المكتفى في الوقف والابتدا) لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، و(الوقف والابتداء) لأبي عبدالله السَّجاوندي (ت٥٦٠هـ) .

ثم لا يتجاوز كل آية إلا بعد أن يكون قد قرَّر معناها عنده بكل وضوح، وعليه أن يكتب هذا المعنى الأوّليَّ الذي توصّل إليه بجهده الخاص والخالص .

وليتذكّر الدارسُ أنه لن يأثم بهذه المحاولة ، حتى لو أخطأ ، ولو كان خطأه فاحشًا ؛ لأن مقصود القائمِ بهذه المحاولة هو أن تصل به في النهاية إلى فهم الآية الفهمَ الصحيح ، ولأنه مدرِكٌ بأنه في أُولى مراحل هذا الفهم . كما أنه يجب أن يكون صادقًا في مواجهة نفسه ، جريئًا في اعترافه بينه وبينها بخطئه الذي سيكتشفه (ولا بدّ) في بقية خطوات دراسته[1].

الخطوة الرابعة : السعيُ إلى التفسير اللغوي الصِّرْفِ للآية .

والمقصود بالتفسير اللغوي : الوصول إلى الدلالة اللغوية للآية ، وفهمها وَفْقَ معناها في لغة العرب وحدها ، دون الاستعانة ببقية أركان الفهم الكامل للآية[2] .

وهذه الخطوة تمرُّ بمراحل عِدّة :

فالمرحلة الأولى : تحديد الكلمات التي يُحتاج إلى دراستها لُغويًّا، وهي

---

(١) انظر الكلام البديع عن الهوى الخفيّ للنفس ، في كتاب التنكيل للمعلّمي (٢/١٩٧-١٩٨) .

(٢) اختار الدكتور مساعد الطيار في رسالته للدكتوراه (التفسير اللغوي للقرآن الكريم) تعريفًا للتفسير اللغوي (صـ ٣٨) ، هو: «بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب» .

كل كلمة لم يكن إدراك معناها اللغوي بدهِيًّا لدى الدارس . فالماء والهــواء والجبل والشجر ألفاظ لا يجهلها إلا غير العربي إلى اليوم ، فهذه لا نحتاج إلى دراستها غالبًا ؛ لشدة وضوح معناها . وإن كان الحذرُ واجبًا حتى مع أمثال هذه الألفاظ ؛ إذ قد يكون لها معنى آخر سوى ذلك المتبادر إلى الذهن ، ولو كان الأصل بُعدَه . ويعرف وجوبَ تأكيدِ هذا التحذير كلٌّ من عرف ســعة لغة العرب ، ومن عرف بُعدَنا الكبير عن معينها الثرّ .

وبعد تعيين تلك الكلمات التي تحتاج أن تُدرس ، بنــاءً علــى ســبب الاختيار المذكور آنفًا، ننتقل إلى :

المرحلة الثانية : محاولة معرفة أصلِ المعنى اللغوي للكلمة ، وهو المعــنى الذي انبثقت منه بقية معانيها الأخرى ، أو المعنى الذي تجتمع في أصله كــل معانيها المستعارة .

وأهمية هذا الإدراك للمعنى الأصلي للكلمة تأتي من جهاتٍ عدّة ، منها :

أنه يُعمِّقُ فهمَنا للكلمة العربية ، ليعيننا هذا العمقُ على إدراك معناهــا المستعار في سياقها الذي جاءت فيه إدراكًا دقيقًا . وهــذا الإدراك الــدقيقُ للمعنى اللغوي للكلمة هو الأداة الصحيحة لمعرفة الصواب في معناها ولترجيحه في ذلك السياق الخاص على غيره من المعاني المشتقّة لها ، وسيكون من أكبر ما يُعِينُ على معرفة الراجح عند اختلاف العلماء فيها .

كما أن ذلك الإدراك العميق للمعنى الأصلي للكلمة مفتاحٌ مهمٌّ من مفاتيح المناقشةِ والمخالَفةِ العلمية والترجيحِ في باب اللغة ، وفي باب بيان المعاني اللغوية للكلمة بالأخص ، ذلك الباب الذي يظن كثيرٌ من الباحثين أنه مطلقًا بابُ تَلَقٍّ كامل وتقليدٍ محض ، وأنه لا مجال البتّة للاجتهاد فيه ، غافلين عــن أن بعــضَ

الاختلافِ الحقيقيِّ الذي وقع بين اللغويين وأئمة العربية في هذا الباب نفسه ، وأن ما جرى لهم من تخطيء بعضهم بعضًا في ذلك ، والذي قد يصل إلى حدّ التهمة في صحة النقل = يدل ذلك كله على أنهم ربما اجتهدوا في تفسير اللفظة العربية ، وأن تفسيرهم للألفاظ ليس كله نقلا عن العرب المحتَجِّ بلغتهم، بل إنهم ربما اجتهدوا فوقع منهم الخطأ في اجتهادهم[1]. وهذا كله

(١) وهذا أمرٌ مشهور معلوم ، فليس كل ما فسّره أئمة اللغة من معاني الكلمات مأخوذًا عن العرب المحتَجِّ بلغتهم ، بل منه ما يستنبطونه بالاجتهاد . ومن ذلك قول أبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة (٣١/١) عن ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) : «وما رأيتُ أحدًا يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن أبي حاتم السجزي والعباس بن الفرج الرِّياشي ، وأبي سعيد المكفوف البغدادي . فأما ما يستبدُّ في برأيٍ **من معنى غامضٍ** أو حرفٍ من علل التصريف والنحو مشكل ، **أو حرفٍ غريب** ، فإنه ربما زلَّ فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة . **وألفيتُه يحدسُ بالظنّ فيما لا يعرفه ولا يحسنه...**» ، إلى آخر نقده لغير ابن قتيبة من المصنفين في اللغة وبيان الغريب ، كما فيه (٣٤/١-٤٠) .

وذكر ابن فارس (٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي (٥٨) قول من قال :«ولو جاءنا جميعُ ما قاله العرب لجاءنا شعرٌ كثير وكلامٌ كثير» ، ثم أتبعه بقوله : «وأحرِ بهذا القول أن يكون صحيحًا ؛ لأنا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب ، **فلا يكاد واحدٌ منهم يُخبرُ عن حقيقة ما خُولِفَ فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان** » .

وكم صنّف العلماء كتبا في بيان خطأ من أخطأ من أئمة اللغة في تفسير بعض الكلمات ، فانظر كتاب (معجم المعاجم) لأحمد الشرقاوي إقبال (٨٦ ، ٢١٠-٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٧،٢٣٨ ، ٢٤٨ وغيرها) .

ومن ذلك كتاب ابن قتيبة (إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد) ، وفي بعضه تخطيءٌ منه لأبي عبيد في ذكره معنى كلمةٍ من غريب اللغة ، كما فيه (رقم ٣٠ ، ٣٩ ، ٥٠) .

وكذلك كتاب (التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف **وخطأٌ في تفسيرها ومعانيها** وتحريفٌ في كتاب الغريبين) لأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي (ت٥٥٠هـ) ، وهو معنيٌّ بكتاب (الغريبين) لأبي عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي (ت٤٠١هـ)، ويظهر من عنوان الكتاب : أنه استدرك عليه فيه أخطاءه في تفسير الألفاظ وبيان المعاني . وذكر في مقدمته (١١٦-١١٨) طائفةً من كُتُبِ رُدود علماءِ اللغة بعضهم على بعض . =

يُوجِبُ على المتأخِّر الترجيحَ بين أقوالهم بالدليل العلمي ، وهـذا التـرجيح دخولٌ في اجتهادات هذا الباب ، وهذا هو الذي يدل على أن الاجتـهاد في باب تفسير اللفظة اللغوية لم يُغلق بالكلية ، بل ما زال فيه مجال للاجتهاد(١) .

وقد نصَّ على أحقِّيّة المتأخرين من أهل العلم بأن يجتهدوا في تقرير معاني المفردات العربية، ولو بمخالَفة أحد أئمة اللغة المصنِّفين، وهو ما قررتُه آنفًا = تقيُّ الدين السبكي (ت٧٥٦هـ)، في كتابه (إبراز الحِكَم من حـديث: رُفِـع القلم)، حيث قال فيه : « واعلم أن الجوهريَّ وغيرَه من المصنِّـفين في اللغة إذا نقلوا نقلًا أخذناه مُسَلَّمًا مقبولاً، وإذا تصرّفوا وعلّلوا نظرنا في كلامهـم، كغيرهم من المصنِّـفين في العلوم »(٢).

وهنا تأتي أهمية التفقّه في معنى الكلمة الأصلي ؛ لأن ذلك أحد أوائـل

= وبين يدي الآن كتابٌ طُبع مؤخرًا ، هو: (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري مـن الـوهم) للـصفدي (ت٧٦٤هـ) . ومما جاء فيه :

– (٤٦) : «قال الجوهري : البراء : أوّل ليلة من الشهر . وقد وهم في هذا ، قال ابن قتيبة : البراء آخـر ليلة من الشهر » ،

– (٨١) : «قال الجوهري : الخِصاب : النخل الكثير الحمل ، والواحدة خَصْبَة . قلتُ : الخِصاب : نخلُ الدَّقَل ، قال الفراء والمؤرج السدوسي : والدَّقَل : أردأ التمر» .

– (٨٢):«قال الجوهري:والدبدبةُ ضربٌ من الصوت.قلتُ هذا ما صحّفه، والصواب: الدندنة بنونين » .

(١) لا شك أن الطالب المبتدئ لن تكون عنده أهلية الدخول في هذه الأعماق ، لكن لا بُدّ من سعيه إلى تحصيل أهليتها ، من خلال المبادرة إلى الاجتهاد المصوَّبِ بكلام الأئمة ، ومـع اسـتمراره في التحـصيل العلمي مدى الحياة . فلن يخسر هذا الطالبُ شيئًا ، ولن يقع في محظور ، إن بدأ في ذلك من بداية مراحله التدريبية ، مادام مدركًا لكونه متدرِّبًا فقط ، وما دام حريصًا على تصويب اجتهاده بكلام أئمة الفن .

(٢) إبراز الحِكَم لتقي الدين السبكي (٣٧) .

أدوات الاجتهاد في هذا الباب .

وإدراك الباحث المتأخر للمعنى الأصلي للكلمة باجتهاده (دون تقليد أو اتباع) قد يمكن لبعض ذوي الأهلية من الباحثين ، لكنه ليس ممكنًا لكل أحد ؛ ولذلك فإننا في هذه المرحلة نكتفي من الباحث بأن يعتمد في معرفة المعنى الأصلي للكلمة على المعنى الذي ذكره أحد أئمة اللغة . وأجلُّ كتابٍ في ذلك، بل ينفرد بالتخصُّصِ في هذا الباب : معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت٣٩٥هـ) . فهو أصلُ هذا الباب، وإمامُ هذا الفنِّ من فنون العربية الكبرى.

وبعد أن عرفتُ المعنى الأصلي للكلمة بكل دقة ، أنتقل إلى :

المرحلة الثالثة : حصر المعاني الفرعية والمشتقة لتلك الكلمة المدروسة ، وذلك من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة عمومًا ، كـ(لسان العرب) لابن منظور ، و(تاج العروس) للزَّبيدي ، والمعاجم الأصيلة خصوصًا ، كـ(الصحاح) للجوهري ، و(تهذيب اللغة) للأزهري ، و(مجمل اللغة) لابن فارس . مع الاهتمام بأصول هذه المعاجم من كتب المتقدمين ، كـ(الغريب المصنَّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام .

ويُستحسن أن أراجع أيضًا كتب بيان الفروق الدقيقة بين المترادفات اللغوية، كـ(فقه اللغة) للثعالبي ، و(الفروق) لأبي هلال العسكري .

ثم أتأمّل تلك المعاني الفرعية تأمُّلاً دقيقًا، لكي أُحدِّدَ منها المعنى المناسب للآية وَفْقَ سياقِها.

فإذا ما حدَّدْتُ المعنى المراد من الكلمة في الآية ، عدتُ إلى المعنى الذي كنتُ قد اجتهدتُ في الوصول إليه في الخطوة الثانية ؛ لأُوازِنَ بين المعنيين اللذين توصّلتُ إليهما : هل اتّحدا ؟ أم اختلفا ؟ وما درجة الاختلاف ؟ وما أسبابه ؟

هل كانت العجلة في التأمّل هي السبب ؟ أم ماذا ؟ عليّ أن أتفحّصَ ذلك بعمق وموضوعيّة ، وأن أستفيد من أخطائي ومن إصابتي : بالحذر من أسباب الخطأ ، ولُزوم أسباب الإصابة .

فإذا انتهيتُ من هذه المرحلة ، انتقلتُ إلى :

المرحلة الرابعة : التأكد من صحة المعنى الفرعي للكلمة الذي كنتُ قد رشّحتُه في المرحلة السابقة للآية محلِّ الدراسة حسبَ سياقها.

ويتمُّ هذا التأكد من خلال الرجوع إلى كتب (غريب القرآن) أولا، وكتب (الوجوه والنظائر) ثانيًا . وأهم كتب غريب القرآن : (المفردات) للراغب الأصبهاني ، و(عمدة الحفاظ) للسمين الحلبي . ومن كتبه القديمة المهمة (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، و(غريب القرآن) لابن قتيبة . وأهم كتب الوجوه والنظائر : (الأشباه والنظائر) لمقاتل بن سليمان ، و(التصاريف) ليحيى بن سلام ، و(نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) لابن الجوزي .

وتمتاز هذه الكتب بمميزات عديدة ، منها مما يفيدنا في هذا المجال : أنها تحصر المعاني الفرعية للفظة الواردة في القرآن خاصة ، وتبيّن الآيات (أو بعضها) التي وردَ فيها كل معنى من تلك المعاني . كما أنها تُوقِفُ القارئ على المصطلحات الشرعية ومعانيها ، والألفاظ القرآنية واستعمالاتها .

فإن قيل : لماذا لم نرجع إلى هذه الكتب ابتداءً ؟ فالجواب : هو أننا في هذه الخُطّة جميعها نريد تكوين الملكة ، وتكوين المَلَكَةِ لا يأتي بمجرّد التلقّي ، بل لا بدّ لتكوينها من اجتهادٍ مُصَوَّب، يُوصِلُ إلى معرفة وسائل إصابة الحقّ ، والصوارف عنه ؛ ليُعتَصَمَ بالأولى، وتُجتَنَبَ الأخرى . كما أن السير على

هذه الخطة ، وما تُكْسِبُهُ من مَلَكَةٍ ، وما تُعمِّقُ به إدراكَ معنى الكلمة لدى الباحث ، هي التي ستمكّنه من الترجيح المبني على المنهج العلمي الصحيح بين أقوال أصحاب تلك المصنفات .. إذا ما اختلفوا فيها ، أو تمكّنه من الترجيح بين الاحتمالات التي يُوردها الواحدُ منهم لمعنى الكلمة في الآية الواحدة دون بيانه للرأي المُختار منها .

وبنهاية هذه المرحلة أكون قد حدّدتُ المعنى اللغوي لكل كلمة واردة في الآية ، لأنتقل بعدها إلى :

المرحلة الخامسة : تفسير الآية بحسب ما تقتضيه لغة العرب وحدها، باجتهادي الخاص ، بعد أن حدّدتُ معنى كل مفردة من مفردات الآية . فأقوم بالربط بين تلك المفردات جميعها ؛ لتقييد المعنى اللغوي للآية كاملةً، فأصوغ معناها بالصياغة التي أراها توضّحه لفهمي ولفهم أهل زمني .

وأكتب هذا المعنى ، ثم أزنه بالمعنى الذي قيّدته أيضًا في الخطوة الثانية؛ للغرض نفسه الذي ذكرناه آنفًا من هذه الموازنة . وهذا هو الشأن عند الانتقال من كل مرحلة إلى أخرى ، كما سبق .

وهنا أنتهي إلى آخر مراحل هذه الخطوة ، وهي :

المرحلة السادسة : التأكّد من صحة تفسيري اللغوي للآية ، بالرجوع إلى كتب التفسير اللغوي. من أمثال : (معاني القرآن) للفرّاء ، و(معاني القرآن) للزجّاج ، (ومعاني القرآن) لأبي جعفر النحّاس .

وسبب عدم البَدَاءِ بها :هو سبب عدم البداء بكتب غريب القرآن الذي بيّنّاه من قبل ، وفائدته : هي فائدته !

وهذه المرحلة هي آخر الخطوة الرابعة ، لأصل بعدها إلى :

الخطوة الخامسة: تفسير الآية بالمنقول، من:القرآن،والسنة،وأقوال السلف.

فبعد أن فسّرتَ الآية بمقتضى لغة العرب وحدها ، لا بُدّ من أن تتثبّت من صحّة ذلك التفسير ، بالرجوع إلى الأَوْلى بمعرفة معنى الآية . ولا شكّ أن الآية هي أَولى ما تُفَسَّرُ به الآية ؛ إذ إن أحقّ كلامٍ بيَّنَ مرادَ صاحبِه كلامُ صاحبه نفسه . كما أن رسول الله ﷺ أعلم بمراد ربه عزّ وجلّ من جميع الثقلين ؛ فهو الذي نزل القرآنُ عليه ، وأُمر بتبليغ ألفاظه ومعانيه ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤] .

وأما السلف: فإن كانوا من الصحابة: فلا يخرج تفسيرهم عن أحد حالين: أن يكون منقولا عن رسول الله ﷺ (وماذا نريد فوقه حينها؟!) ، أو اجتهادا منهم ، وهم حينها أولى من اجتهد فأصاب ؛ لأن الاجتهاد في التفسير مرجعه إلى اللغة ، وهم (رضي الله عنهم) أصحاب اللغة ؛ ولذلك كان الصحابةُ رضي الله عنهم أكملَ الناس في اجتماع آلة الاجتهاد الصحيح فيهم. وأما التابعون وتابعوهم فقد تلقّوا عمن سبقهم علمَهم ، وجاء النص بتفضيلهم « **خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** »[1]. لذلك كله لم يَجُزْ أن أتجاوزَ التفسيرَ المنقولَ ، بل لا تفسيرَ إلا بعد الاحتكامِ إليه .

ومن أسباب وجوب الاحتكام إلى التفسير المنقول : أن لغة العرب من السعة إلى حدّ أنه لا يمكن أن يحويها أحدٌ بقدرةٍ بشريةٍ[2]، فاحتمال الخطأ في

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٦١٥ ، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ، ومسلم (رقم ٢٥٣٣) .

(٢) وهذا هو مراد الإمام الشافعي عندما قال : « ولسانُ العربِ أوسعُ الألْسِنَةِ مَذْهَبًا، وأكثرُها ألفاظًا ، ولا نعلمه يُحيطُ بجميع عِلْمِهِ إنسانٌ غيرُ نبيٍّ !! »، الرسالة: (٤٢ رقم ١٣٨). وانظر تعليق =

التفسير اللغوي واردٌ حتى من كبار أئمة اللغة ، فلا بد له من تصحيح نتائجه بالتفسير المنقول . كما أن القرآن الكريم من أعظم خصائصه أنه يحتمل وجوهًا عديدةً من المعاني ، قد يصح حَمْلُ الآية عليها جميعها ، أو على بعضها دون بعضها الآخر ، أو لا يصح منها إلا وجهٌ واحد فقط ؛ وكثيرًا ما يحدِّدُ التفسيرُ المنقولُ ذلك المعنى أو تلك المعاني المُرَادة ، ويُبعدُ المعانيَ غيرَ المرادة .

وفي هذه الخطوة سوف أخرج منها بواحدٍ من احتمالات ثلاثة ، بالنظر إلى تفسيري اللغوي الذي انتهيتُ إليه في الخطوة السابقة مسبورًا بالتفسير المنقول:

فالاحتمال الأول : أن يتّضحَ لك خطأ تفسيرك اللغوي ؛ لمنافاته أو إبطاله للتفسير المُحتَجِّ به من التفسير المنقول . وحينها يجب عليك أن تصحّحَ خطأك ، وأن تستفيد من أسباب الخطأ ، كما شرحناه لك .

وأنبّه هنا : على أننا عندما نقرّرُ احتمالَ إسقاطِ التفسير المنقول للتفسير اللغوي ، فلا يعني هذا التقرير أن التفسير المنقول خارجٌ عن التفسير اللغوي ، بل هو ذروة سنامه ؛ ولذلك قدّمناه .

والثاني : أن يتّضح لك أن تفسيرك اللغوي صحيحٌ ؛ لموافقته ومطابقته للتفسير المنقول. وحينها تمسّك بصوابك، وتشبّث بالمنهج الذي أوصلك إليه.

والثالث : أن يتّضح لك أن تفسيرك اللغوي مُغايِرٌ للتفسير المنقول؛ لكنه لا ينافيه ولا يُبطله. وحينها يُحتمَلُ أن يكون المعنى اللغويُّ صحيحًا مع

= ابن فارس على هذه العبارة وعلى هذا الموضوع في كتابه الصاحبي (٢٦-٢٧) .

المعنى الوارد في التفسير المنقول ، فتُحْمَلُ الآية على المعنيينِ كليهما[1] . ويحتمل أن يكون المعنى اللغوي مع قبوله لغةً ، إلا أن التفسير المنقول أظهر أنـــه معـــنىً مرجوحٌ أو غيرُ مرادٍ في الآية .

ويظهر هنا : أن التفسير المنقول لا ينحصر أثره في تقـــويم عملـــي بـــين التخطيء والتصويب للتفسير اللغوي ، كما كان الحال في مـــسيرة خطواتنـــا ومراحلها السابقة ، بل هناك (في هذه الخطوة خاصة) احتمـــالٌ ثالـــثٌ؛ لأن التفسير المنقول قد يضيف إلى التفسير اللغوي معنى جديدًا .

وهذه الخطوة تتفرّعُ إلى ثلاثة فروع ، وهي :

الفرع الأول : تفسير القرآنِ بالقرآن . فالكلام كلام الله ، وهو تعالى أعلم، وفهم كلامه بكلامه أوجب وأحكم .

لكن علاقة الآية بالآية في تفسيرها لمعناها مختلِفةٌ مراتبُهُ ، باختلاف قـــوّة ظهور علاقة الآية بالآية ، وبتباين وضوح هذه العلاقة في بيان مراد الله تعالى . ومع أهمية محاولة استنباط التفسير القرآني كله ، الظاهرِ منه والخفي ، وتقليـــل الفوات منه ما أمكن ؛ إلا أن الذي لا ينبغي فواتُه ، ولا يصح أن يُـــغْفَلَ عنـــه

---

(١) ومن أمثلة ذلك : تفسير قوله تعالى ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[محمد : ٦]. جاء عن السلف تفسير (عرّفَها) من المعرفة، وأن المؤمن يعرف مترله وأهله في الجنة. وذهب بعض أهل اللغة أن (عرّفَهـــا) مـــن قولهم : طعامٌ مُعَرَّف ، أي مُطَـــيَّب، والمعنى : طيّبها لهم . فالمعنى الثاني لا يبطل الأول ، وإن كان مختلفًـــا عنه . فيمكن قبول التفسير اللغوي مع التفسير المأثور ، ولا يلزم ردّ اللغوي في هذه الحالة .

انظر:تفسير عبد الرزاق (٢/٢٢١-٢٢٢)، وتفسير الطـــبري (٢١/١٩١-١٩٢)، والـــدر المنثـــور للسيوطي (١٣/٣٥٩-٣٦٠). وانظر : غريب الحديث للحربي (١/١٨٩)، وغريب القرآن لابـــن قتيبـــة (٤٠٩-٤١٠). والمثال مستفادٌ من كتاب التفسير اللغوي للدكتور مساعد الطيار (٦٣١-٦٣٢) .

خاصة ، هو التفسير القرآني الظاهر ، الذي تتضح فيه علاقة الآية بالآية غايةَ الوضوح ؛ لا لأن الغفلة عنه أقبح من الغفلة عن التفسير القـــرآني الخفـــي .. فقط، ولكن أيضًا: لأن درجةَ حجيّته في التفسير أقوى ، والالتـــزامَ ببيانـــه أوجب .

ومن هنا يتبيّنُ أن إطلاقَ القول بتقديم تفسير القرآن للقرآن على غيره من مصادر التفسير ومآخذه ليس صحيحًا ؛ إلا بقيد التفسير القرآني الظـــاهر ، الذي تكون فيه علاقة تفسير الآية للآية علاقةً واضحة. وأما ما كـــان دون ذلك ، فيُنظر إلى مايخالفه (سواء أكان تفسيرًا نقليًّا أو لغويًّا) فيُقَدَّم الأرجـــح والأقوى .

ولاستخراج التفسير القرآني مراحل :

الأولى : استخراج الآيات ذات العلاقة بآيات الدَّرْس مـــن كتـــاب الله العزيز بالجُهد الذاتي الخالص . إما من خلال قراءة القرآن كاملا ، وإما مـــن خلال استعراض الآيات التي تقترب في موضوعها من موضوع الآيات الـــتي أدرسها : إما بالاستعراض الذهني لمن كان ذا حافظةٍ جيدةٍ لكتاب الله العزيز واستحضارٍ قويٍّ لآياته الكريمة ، أومن خلال الاستعانة بالفهارس الموضوعية للآيات ، المؤلفة حديثًا؛ حيث إن الآيات التي يفسِّرُ بعضُها بعضًا يغلـــب أن تكون في سياق موضوعٍ متّحدٍ .

الثانية : الاستعانة بالجهود المتفرّقة لأهل العلم التي تتضمّنُ جمْعَ النظيرِ إلى نظيرِهِ من الآيات .

ويأتي في رأس هذه الجهود (غير المختصّة بتفسير القرآن بالقرآن) : كتب مشكل القرآن : كـــ(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، و(فوائد في

مشكل القرآن) للعزّ بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ) ، وغيرها من الكتب القديمة ، والحديثة كـ(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للأمين الشنقيطي (ت١٣٩٢هـ) . حيث إن ذِكْرَ المتعارض في الظاهر من الآيات (وهذا هو المقصود الأكبر من متشابه القرآن هنا) ، وبيانَ عدمِ وُقُوعِ التعارضِ في باطن الأمر وواقعه = هو تفسيرٌ للقرآن بالقرآن في حقيقته! كما أن هذا السياق لا يخلو من ذكر الآيات العديدة التي تدل على المعاني التي يبينها مؤلفُ الكتاب .

كما أن كتب الناسخ والمنسوخ نافعةٌ أيضا في معرفة الآيات ذات العلاقة؛ لكن ينبغي أن لا ترجع في هذه الخطوة إلى كتب الناسخ والمنسوخ إلا لجمع الآيات فقط ، دون معرفة رأي مؤلف الكتاب في توجيهه إشكالَ التعارضِ بين الآيات التي قيل فيها بنسخ بعضها لبعض، وهل أيّدَ القول بالنسخ أم أيّدَ الجمع ؛ لأن الجمعَ بين الآيات المتعارضة والعجزَ عنه مطلبٌ مهمٌّ لاجتهادك ولتكوين ملكتك ، فلا ينبغي أن تقفز عليه بتلقُّنه عن غيرك في هذه المرحلة . أما معرفة النسخ من عدمه فمرحلة قادمة ، لأنه من وجوه إفادة السنة الضرورية في تفسير القرآن.

ومن هذه الجهود : كتبُ العلم الموضوعية ، التي تَعْرِضُ لكل موضوع قرآني بتوسع . فمثلًا : كتب الفقه التي تحرص على الاستكثار من الاستدلال ، كثيرا ما تورد الآيات العديدة الدالّة على حُكْمٍ فقهيٍّ . وكذلك كتب العقائد، فإن مرت بي آية تتحدثُ عن مسألة عَقَديّة، رجعتُ إلى كتب المعتقد ، وإلى باب تلك المسألة فيها . وإذا كانت المسألة متعلّقةً بالزهد وتزكية النفوس، رجعت إلى الكتب المؤلفةِ في ذلك. مع الحذر من غُلُوِّ بعضِ تلك الكتب في إلحاق الآية بالآية ، أو في تحميلها معنًى لا تحتمله ؛ إلا على وجهِ

قياس معنى على معنى ، أو من باب : «الشيء بالشيء يُذكر» ، وهي سِمَةٌ معروفةٌ في التفسير الإشاري الصوفي .

ومن هذه الجهود أيضًا : كتبُ أحكام القرآن ؛ لأنها كتبٌ تُعنَى بالآيات التي تختصُّ ببيان الأحكام ، ولذلك فإنها ستحرص على استيعاب الآيات الدالّة على كل حُكمٍ من الأحكام . كـ(أحكام القرآن) لأبي جعفر الطحاوي(ت٣٢١هـ)، و(أحكام القرآن) لأبي بكر الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ)، و(أحكام القرآن) لأبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ)، و(الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ).

وخلال هذه المرحلة قوِّمْ جهدَك الذي قمتَ به في المرحلة السابقة ، لتقف على سبب فَوَاتِ الآياتِ المفسِّرةِ عليك أثناءَ اجتهادك المحض ، ولربّما وقفتَ على فواتٍ على من سبقك من أهل العلم ، فيستدركه عليه عالمٌ آخر . فحدِّدْ من خلال هذا التقويم أسبابَ الاستيعاب ، وتمسَّكْ بها، وحدّد أسباب الفوات ، واحذرها .

الثالثة : الرجوع إلى كتب التفسير عموما ، وإلى تلك التي اعتنت عنايةً واضحةً بتفسير القرآن للقرآن خصوصا ، كـ(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، والتي تخصّصت في هذا الباب ، كـ(أضواء البيان) للشنقيطي (ت١٣٩٢هـ) .

ويدخل في هذه المرحلة : الرجوع إلى كتب التفسير الموضوعي العصريّة، إذا كان أحدها قد تناول موضوعَ آياتِ دراستك .

واحرص على أن تقتصر في استفادتك من هذه الكتب في هذه المرحلة على جمع الآيات فقط، لتقوم أنت بإيجاد وجه البيان في الآية للآية وإيضاح

كيفيّة تفسيرها لها ، دون أن تستفيد ذلك من تلك الكتب . فالوقوف على الآية المفسِّرة بجهدك الخالص وإن كان مطلبًا من مطالب تكوين الملكة ، لكن الوقوفَ عليها فرعُ العلمِ بوجهِ دلالتِها على التفسيرِ والبيان . فإن فاتك الوقوفُ على الآية بجهدك ، فلا يفوتنّك جُهْدٌ آخر ، هو: جهدُ الوقوفِ على وجهِ دلالتِها على التفسير ؛ فإن جهدَك الثاني هو المقصود الأكبر لإيقاظ الحِس التفسيريّ لديك؛ ولذلك نلفت انتباهَك إلى ضرورة عدم فوات فرصته عليك.

الرابعة : الرجوع إلى كتب القراءات ؛ حيث إن من أعظم وجوه إفادةِ القراءات الثابتة العديدة للآية الواحدة التفسيرَ والبيانَ . فلربما أوضحت قراءةٌ لآية معناها الخفيَّ في قراءةٍ أخرى لها، ولربما أوضحت كلٌّ قراءةٍ من القراءتين معنى الأخرى أو أتمّته.

فعلى الدارس أن يراجع كتب القراءات التي تضم القراءات الثابتة[1]، والخالية من توجيهها، لكي ينظر في مدى إفادة القراءات في فهم الآية.

وعليه أن يؤخر الرجوع إلى كتب توجيه القراءات إلى آخر مرحلة؛ لكي لا يتلقّن منها ما يؤثر في انطلاقة اجتهاده . ومن أهم هذه الكتب: (الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، و(المحتسب) لابن جني (ت٣٩٢هـ) ، و(الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) .

وبذلك نكون قد انتهينا من الفرع الأول من فروع التفسير بالمنقول ، وهو تفسير القرآن بالقرآن ، لنصل إلى الحديث عن :

(١) ومن أيسرها كتاب (القراءات العشر المتواترة) للشيخ محمد كريّم راجح .

الفرع الثاني : تفسير القرآن بسنة النبي ﷺ . لم يكن ليصحّ أن يتخلّف أحدٌ من أهل التفسير عن ذكر هذا المصدر من مصادر التفسير ؛ لأنه لا شكَّ في أن النبي ﷺ أعلم الثقلين بمراد الله تعالى ، وأن إحدى أعظم مهامِّ نبوته بيانُ معاني كلام الله سبحانه ، وأنه ﷺ أدّاها على أكمل وجه . فكان من أوجب الواجبات على المفسِّر أن يحتكم في تفسيره إلى تفسير النبي ﷺ ، فيكون التفسيرُ النبويُّ هو مقياسَ إصابته وخطأه :

(١) فما ضادّه التفسيرُ النبوي وأبطله فهو الباطل المردود ، ولا يجوز أن يُفَسَّر به كتاب الله العزيز .(٢) وما وافقه فهو الحق الذي لا شك فيه.(٣) وما لم يوافقه و لم يضادّه فتُحتَمَلُ فيه الصحة ، فيكون صحيحًا مع التفسير النبوي، ويُحتمل فيه الخطأ . كما كنت قد بيّنته في بداية حديثي عن التفسير بالمنقول، وعن علاقته بالتفسير اللغوي (المعقول) .

ولتفسير السنة للقرآن الكريم وجهان معلومان :

الأول: التفسير النبوي الصريح للآية،وهو الذي يكون قصدُ بيان معنى الآية واضحًا فيه نصًّا[(١)]،أو شِبْه النص:بأن لا تُفهم الآية الفهم الصحيح إلا به[(٢)].

---

(١) كحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:«﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ **ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» . أخرجه الإمام مسلم (رقم ١٩١٧) .

(٢) كقول ابن عُمر رضي الله عنه : «أُحلّ لنا من الميتة ميتتان ، ومن الدم دمان : من الميتة : الجراد والحوت ، ومن الدم : الكبد والطحال» .أخرجه الإمام أحمد في علله (رقم ١٠٩٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١/٢٥٤) ، موقوفًا ، وهو صوابُ الحديثِ المرفوعِ في المسند للإمام أحمد (رقم٥٧٢٣) ، وابن ماجه (رقم٣٢١٨ ،٣٣١٤) ، كما بيّنَ ذلك أبو زُرعة (العلل لابن أبي حاتم : رقم ١٥٢٤) ، والدارقطني (العلل رقم :٢٢٧٧ ،٣٠٣٨) ، والبيهقي (١/٢٥٤) . =

الثاني : التفسير غير الصريح ، ولا شبه الصريح . وهو عموم السنة النبويّة، من أقوالٍ وأفعالٍ وتقريرات .

ولا شك أن علاقة التفسير بالوجه الأول أقوى ، وإن كانت علاقته بالثاني لا يُمكنُ إغفالها، بل قد لا يصح فهم الآية إلا به ؛ إذ لا يجوز أن أُقرّرَ معنًى لآيةٍ يُعارض (معارضةً حقيقيةً) حديثًا نبويًا ، على غير وجه النسخ . كما أن كثيرا من مجملات القرآن لا يأتي بيانها إلا في السنة ، كبيان السنة لأحكام الصلاة والزكاة والحج وغيرها من شرائع الدين .

غير أن التوسُّعَ في تفاصيل الأحكام ، وما يكتنفها من اختلافٍ طويل، سَيَخْرُجُ بالتفسير عن مقصوده الأكبر وغايته العظمى ، وهو البيان والتوضيح للنصِّ القرآني . وإن كان النصُّ القرآنيُّ لن يستغنيَ عن تكميل السنة لإيضاح بقيّة معالم الدين ؛ لأن التفسير ليس هو الدين كله[1]، بل التفسير أحد علوم الدين ، ومن أجلِّها ، أو هو أجلّها!

وقد حرص العلماء على جَمْعِ التفسيرِ النبويِّ من الوَجْهِ الأوّل ، وهو التفسير الصريح وشِبْهُه. أما الوجه الثاني : فلما كان هو السنةَ النبويةَ كلَّها ،

= وهو مع وَقْفِه له حُكْمُ الرَّفْعِ ، لكونِ التحليل والتحريم ، وخاصة فيما يخالف ظاهرَ القرآن ، لا يكون إلا بتوقيفٍ من النبي ﷺ. وإلى ذلك أشار البيهقيُّ (١/٢٥٤) ، وابنُ عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٤/٦٤١-٦٤٣ رقم٣١٢٨) .

وعلاقة هذا الحديث بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ ظاهرةٌ، تشمل الدلالةَ على التفسير باللفظ (بذكر الميتة والدم) وبالمعنى (بتخصيص ما ظاهره العموم في الآية) .

(١) انظر كتاب (مفهوم التفسير والتأويل) لفضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار ، فقد أكّد فيه هذا المعنى.

كان جَمْعُهُ مطلبًا آخر ، ولذلك فقد كان هو مصنّفاتِ السنةَ جميعَها ، ولم يدخل منه في كتب التفسير إلا القليل .

غير أن هذا التفسير النبوي لا بد من التثبّت من صحة نسبته إلى النبي ﷺ ، بدراسة إسناده وتخريجه والنظر في أحكام أهل العلم فيه (إن وُجدت) ، ولا يجوز أن يُعتَمَدَ عليه اعتمادَنا على النصِّ النبوي ؛ إلا بعد التثبّت من كونه نبويًّا حقًّا . ويُمكن الاكتفاء بأحكام أهل الاختصاص ، لمن لم يكن منهم ، ولا بُدّ من الترجيح بين أقوالهم إذا ما اختلفوا، أو تقليدِ أولاهم بالتقليد، لمن لم يعرف دليلَ الترجيحِ بين أقوالِهم ووَجْهَه .

وللوصول إلى تفسير القرآن بالسنة أربعُ مراحل :

المرحلة الأولى : الوقوف على التفسير المروي عن النبي ﷺ .

على أن يكون المقصود من هذه المرحلة جمعَ المرويّاتِ فقط ، دون أيِّ جهد إضافيٍّ آخر ، خاصة فيما يتعلق باستنباطِ وجهِ بيانِ الحديثِ للآية ؛ فهذه مرحلةٌ لاحقةٌ ، لا يصحُّ أن تتقدّم موضعَها ؛ لأسباب ستتضح عند مجيء ذكرها .

وطريقة الوقوف على هذا التفسير تكون بالرجوع إلى وجوه التصنيف التالية :

الأول : كتب التفسير بالمأثور المسندة : كـ(التفسير) لعبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)، و(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، والموجود من تفسير يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) ، ومن تفسير عبد بن حُميد (ت٢٤٩هـ) ، ومن تفسير محمد بن إبراهيم ابن المنذر (ت٣١٨هـ) ، ومن (تفسير القرآن العظيم) لابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) ، ونحوها . وأغناها تفسيرا : كتابا الطبري وابن أبي حاتم .

الثاني :كتب التفسير الجامعة للتفسير بالمأثور غير المسندة : كـ(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، و(الدُّرّ المنثور) للسيوطي (ت٩١١هـ) . ويمتاز الأول : بسياقه أسانيد الكتب أحيانا كثيرة، وبالحكم عليها أحيانا أقل . ويمتاز الثاني : بكونه أكثر استيعابًا للمرويات . وفائدتهما فيما لا إسناد له عندهما: هو الوقوف على الوارد في الآية من التفسير المروي ، والوقوف على مصدره ولفظه ، لمحاولة تخريجه – بعد ذلك – والتثبّت من صحّته .

الثالث : كتب التفسير الواردة ضمن كتب السنة : كـ(كتاب التفسير) في صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ) ، وصحيح مسلم (ت٢٦١هـ)، والسنن الكبرى للنسائي (ت٣٠٣هـ) ، والجامع لعبد الله بن وهب (ت١٩٧هـ) ، والسنن لسعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ) ، والمستدرك للحاكم (ت٤٠٥هـ) ونحوها .

الرابع : كتب التفسير في كتب الزوائد : ككتاب التفسير في (مجمع الزوائد) ، و(مجمع البحرين في زوائد المعجمين) ، و(بغية الباحث بزوائد مسند الحارث) ، و(موارد الظمآن من زوائد صحيح ابن حبان)، و(كشف الأستار عن زوائد مسند البزار) : خمستُها للهيثمي (ت٨٠٧هـ)، و(المطالب العالية) لابن حجر (ت٨٥٢هـ) ، و(إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) للبوصيري (ت٨٤٠هـ).

الخامسة : كتب أسباب النزول : كـ(أسباب النزول) للواحدي (ت٤٦٨هـ) ، و(العجاب في بيان الأسباب) لابن حجر (ت٨٥٢هـ) ، و(الصحيح المسند من أسباب النزول) لمقبل بن هادي الوادعي (ت١٤٢٢هـ) ، و(المحرَّر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة) للدكتور خالد المزيني ، و(الاستيعاب في بيان الأسباب) لسليم الهلالي ومحمد آل نصر .

السادسة : كتب الناسخ والمنسوخ : كـكتاب (الناسـخ والمنـسوخ في القرآن العزيز) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، و(الناسخ والمنسوخ) لأبي جعفر ابن النحّاس (ت٣٣٨هـ) ، و(عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسـخ) المطبوع باسم (ناسخ القرآن ومنسوخه) لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، و(الناسـخ والمنسوخ) لأبي بكر ابن العربي (ت٥٤٣هـ) ، ونحوها .

ومع أن عامةَ ما يَرِدُ في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ آثارٌ موقوفةٌ على الصحابة أو التابعين ، إلا أن الأصل في الإخبار بسبب النـزول وفي الإخبـار بتأخُّرِ نزول الآية الناسخة عن المنسوخة أنه نقلٌ لواقعٍ مشاهَدٍ مباشرة (كما هو الحال مع الصحابة غالبا) أو بواسطة (كما هو الحال مع التابعين) . وهذا يعني أن الإخبارَ بذلك ليس عن اجتهادٍ .. غالبًا ؛ لأن مدخلَ الاجتهاد فيها ضيّقٌ جـدًّا ومحدودُ الإمكانِ كثيرًا . ولذلك كان الذي يصحُّ منه فهو حجةً ،يجب أن يُراعى مراعاتَه الكاملةَ في التفسير . وهذا هو معنى إدخال المحدثين لهذا النوع من الآثار الموقوفة في قسم الأحاديثِ المرفوعةِ :(١) المتصلةِ المسندةِ .. إن كانت موقوفـةً على صحابي،(٢) أو المرسلةِ .. إن كانت موقوفةً على تابعي .

وكما يجب الانتباه إلى المقصود بذكر سبب النزول وإلى صِيَغِه ، يجب أيضًا الانتباه إلى سعة مدلول لفظ النسخ عند السلف عن مدلوله عنـد المتـأخرين ، ليشمل عند السلف في دلالته التخصيصَ أيضًا .

السابعة : استعراضُ مواضعِ وُرُودِ الآيات في كُتب السنة ، ولو من خلال فهارس الآيات فيها ، أو باستخدام برامج الحاسوب ، من خـلال البحـث في كتب السنة عن نصٍّ قرآني (آيةٍ أو جزءٍ منها) . فهذا العمل قد يُوقِـفُ علـى تفسيرٍ نبويٍّ واردٍ في غير مظنته من كتب السنة ، فتضيفُ بذلك على كتـب

التفسير إضافةً مهمة .

المرحلة الثانية : دراسة هذا التفسير المروي عن النبي ﷺ لتمييز صحيحه من سقيمه .

وهذا علمٌ واسع و تخصُّصٌ كبير من أعمق وأجل علوم الإسلام ، فمن لم يكن من أهله، فينبغي عليه أن يحتكم إلى أهله . وينبغي أن يكون لديه من علومهم ما يُمكّنه من الترجيح بين أدلتهم إذا اختلفوا في التصحيح والتضعيف ، ولو أن يقتصر في مقدرته على الترجيح على أن يكون قادرا على الترجيح في خلافيّاته الواضحاتِ المآخِذِ .

فإذا ميّز الصحيحَ من الضعيف (بجهده أو باحتكامه لأهله) ، جعل الصحيحَ وحده منطلقَ دراسته بعد ذلك .

المرحلة الثالثة : فَهْمُ الحديثِ الثابتِ عن النبي ﷺ في التفسير ، والاجتهادُ في استنباط وجهِ بيانه للآية التي يفسرها ، دون الرجوع إلى شروح الحديث ؛ إلا عند وجود كلمة غريبة في الحديث النبوي ، فليرجعْ حينها إلى كتب غريب الحديث ، وعلى رأسها كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لمجد الدين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) .

المرحلة الرابعة : تقويمُ فَهْمِهِ للحديث ، ومراجعةُ استنباطِه لعلاقته بتفسير الآية ، بالرجوع إلى كُتُبِ شروح الحديث وإلى كُتب التفسير التي أوردتْه، ليرى كيف فَهِمَ العلماءُ الحديثَ ، وأين سار بهم الاستنباطُ في تفسير الآية .

وبذلك يكون قد انتهى من هذا الفرع من فروع التفسير المنقول ، وهو تفسير السنة للقرآن. لننتقل بعده إلى الفرع الثالث ، وهو :

الفرع الثالث: تفسير الآية بأقوال السلف، من الصحابة والتابعين وأتباعهم

وقد تكلم العلماء عن أهمية الرجوع إلى تفسير السلف[١] ، وخاصة تفسير الصحابة رضوان الله عليهم . كما أن هناك أقوالاً عديدةً حول حجية تفسيرهم ، على اختلاف طبقتهم. لكن أحدًا لم يخالف في ضرورة الرجوع إلى أقوالهم ، ولا في عدم جواز الخروج برأي يُبطل أقوالَهم المتواردةَ في تفسير الآية ، سواء اتّفقوا (وهو أبين في الحجية) أو اختلفوا (بعدم الخروج عن مجموع أقوالهم بقولٍ يُضادُّها)[٢] ؛ لأن ما علمنا أنه هو فهم السلف في الآية،

(١) انظر لبيان منزلة أقوال السلف (من الصحابة والتابعين) في التفسير المراجع التالية: الردُّ على الجهمية للدارمي (رقم١٥٣-١٥٤ ، ٣٢٦) ،ونقض الدارمي على المريسي (٣٣٩-٣٤١) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (١/٨٨-٨٩) ، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية - مع شرحها للدكتور مساعد الطيار- (رقم١١٢ ،١٢٠ -١٢٥ ، ١٤٥)، وبغية المرتاد لابن تيمية (٣٣٠-٣٣٢) ، والمسودة لآل تيمية (١/٣٨٥٠٣٨٤)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٤/١٥٣-١٥٦)، والبرهان للزركشي (٢/١٥٧-١٥٩) .

(٢) وقد نصّ عامة الأصوليين على عدم جواز الخروج عن مجموع أقوال السلف في الأحكام الفقهية، وقَيّدَ بعضُهم عدمَ الجواز بأن يكون في القول الخارج عن أقوالهم رفع وإبطال لها كلها، وليس هذا موطن تحرير الكلام في هذه المسألة ، وتكفي هنا هذه الإشارة ، مع العزو التالي :

فانظر : الرسالة **للشافعي** (٥٩٥-٥٩٦ رقم ١٨٠١) ، وتطبيقًا عمليًّا له في الأم (٣/٥٠٤- ٥٠٦ رقم ١٢٦٥، ١٢٦٧) ، الفصول في الأصول لأبي بكر الجَصّاص الرازي الحنفي (٢/١٥٤-١٥٥) ، والعدة لأبي يعلى الفراء الحنبلي — **وهو منصوصُ الإمامِ أحمد** - (٤/١١١٣) ، والتحرير للكمال ابنِ الهُمَام **الحنفي—وعزاه للأكثرين**- و شرحَه : التقرير والتحبير لابن أمير الحاج الحنفي(ت٨٧١هـ) — **وعزاه لمحمد بن الحسن الشيباني**- (٣/١٤١-١٤٢) ، ونحوه في تيسير التحرير لأمير بادشاه الحنفي ت ٩٧٢هـ(٣/٢٥٠) ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي المالكي — **ونقله عن كافة المالكية** — (رقم٥٢٧-٥٣١) ، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - **وهو اختيار شيخ الإسلام**- (٢١/٢٩١)(٣٤/١٢٥) ، والبحر المحيط للزركشي الشافعي (٤/٥٤٠-٥٤٣) ، والتحبير شرح التحرير=

وغلب على ظننا أنه لو كان لهم فهمٌ آخر فيها لنُقل إلينا ، لا يمكن أن يكون باطلا ؛ لأن في اعتقاد بطلان فهم السلف للقرآن لازمًا فاسدًا ، وهو أن النبي ﷺ توفّي وما أتمّ بلاغَ الدِّين؛ إذ إن بيان القرآن إحدى أعظم واجبات الرسالة التي كُلِّف النبيُّ ﷺ بها من ربه عزّوجلّ ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤]، فكيف يجتمع اعتقادُ أن النبيَّ ﷺ قد أدّى الأمانةَ وبلّغَ الرسالة مع اعتقاد أن الأمة كلها جهلت شيئًا مما أُمر النبي ﷺ ببيانه ؟! وكيف يجتمع اعتقادُ حفظِ الدين مع اعتقاد أن ما بلّغه النبي ﷺ لم يُحفظ .. لا مرفوعا ولا موقوفا ؟!

وكما أن لأقوال السلف في التفسير هذه المكانة ، فإن المكانة الأكبر هي لمنهجِ السلف في التفسير ، فهو حجةٌ مطلقا ، لا يجوز الخروجُ عليه بنقصٍ منه أو زيادةٍ عليه (١). والتزامُ منهجهم في فهم القرآن أوجبُ الواجبات في هذا الباب ؛ لأن منهجهم إجماعيٌّ لا يجوز فيه احتمالُ الخطأ أو الضياع ؛ إلا باعتقادٍ باطلٍ من نمط ما ألمحنا إليه آنفا وأشنع. فالزيادة على منهجهم مردودة: كتأويل الآية بقرينة يُدّعى أنها عقلية (وليست كذلك) ، أو اللجوء إلى حساب الجُمَّل لاستخرج معنًى خفيٍّ ، أو إلى عَدِّ الأحرف والآيات ، ونحو

= للمرداوي الحنبلي (٤/١٦٣٨-١٦٤٧) .

(١) وبذلك ردَّ الإمام الشاطبي على بعض أقوالِ سهلٍ التُّسْتَري التفسيرية ، التي جرى فيها على التفسير الإشاري ، وختم ردّه عليه بقوله :« والدليل على ذلك أنه لم يُنقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تفسيرٌ للقرآن يماثله أو يقاربه . ولو كان عندهم معروفًا لنُقل ؛ لأنهم كانوا أحرى بفهم ظاهر القرآن وباطنه ، باتّفاق الأئمة ، ولا يأتي آخرُ هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أوّلها ، ولا هم أعرف بالشريعة منهم » . الموافقات للشاطبي (٤/٢٤٨) .

ذلك مما لم يصحَّ عن السلف الرجوعُ إليه في التفسير[١] = فكلّه باطل. كما أن النقص من منهجهم باطلٌ أيضًا، كمن خرج عن دلالة اللغة تماما، بحجة التفسير الباطن، أو بحجة تجدُّدِ منهج الفهم !!

وللوصول إلى تفسير السلف نسير أولا وَفْقَ المرحلتين الأُولَيَيْنِ في الفرع السابق ، وهما : ١/مرحلة الجمع ، ومصادره في الفرع السابق هي مصادره نفسها في هذا الفرع ، ٢/ومرحلة التثبت من صحته .

لكن يجب أن تعرف بأن آثار السلف في التفسير يمكن أن تفيدك في التفسير ولو لم تصح بالمنهج الحديثي للأحاديث المرفوعة ، ولبيان هذا المنهج موطن آخر[٢] . لكن يكفي أن تعرف هنا أننا نكتفي من بعض الآثار بإثبات رأيٍ للسلف في الآية ، إن لم يصح عن آحادهم ، فإنه قد يدل على أن ذلك الفهم قد كان موجودًا لدى بعضهم وفي جيلهم . كأثرٍ لا يصح عن الصحابي لعدم سماع التابعي الذي رواه عنه منه ، لكنه يصح عن التابعي الذي نقله عنه،

---

(١) أما الرجوع إلى شيء من ذلك لإثبات وجهٍ من وجوه الإتقان (والإعجاز) ، دون الدخول في فهم الآيات ، فليس هذا تفسيرًا ، فلا بأس به . بشرط إثبات علميّته وصحّته بدليلٍ ظاهر ، لا بتلاعبٍ ولا احتزاءاتٍ لا وزنَ لها في سياقاتِ العلم !

قلتُ ذلك ؛ لأن المحظورَ هو الخروج عن منهج السلف في التفسير ، أما استخراج عجائب القرآن ووجوه إعجازه ودقائق دلالاته ، فهذا ما لم يزل أهلُ العلم جادّين فيه . فانظر كلامَ العلماء في إظهار إعجاز القرآن البلاغي ، ماذا تجد منه في تفسير السلف ؟ لا تكاد تجد منه إلا أقل القليل . فإن قيل : لكنّ إعجازَ القرآنِ البلاغيَّ ثابتٌ بالدليل أنه إعجازٌ قرآنيٌّ تُحُدِّيَ به العرب ، قلتُ : ولذلك نشترط ممن ادعى وجها جديدا من الإعجاز أن يثبته بدليلٍ صحيح، بخلاف الإعجاز البلاغي .

وأحسب المسألة ستُحسم عند الدليل الصحيح، فلا داعي للحذر من تقريرٍ يشترطُ صِحّةَ الدليل !!

(٢) لي بحثٌ في ذلك أرجو أن يخرج قريبًا .

فنرجع إليه في التفسير على أنه فهمٌ معتبرٌ للآية . وكمجموعة آثـار لا تـصح أفرادُها، لكنها تدل بمجموعها على أن ذلك الفهم كان سائدا لدى الـسلف . فضلا عن التفسير اللغوي المنقول عن السلف ، ودلت عليه اللغةُ نفسُها ، فمثل هذا مستغنٍ غالبًا عن الأسانيد ؛ لأن نَقْلَ اللغةِ نقلٌ مستفيضٌ، والعمدة فيه على الاستفاضة لا على نقل الآحاد غالبا[1] .

فإن انتهى الباحث من هاتين المرحلتين ينتقل إلى التالية :

المرحلة الثالثة : النظر في معاني أقوال السلف ، وهل اتفقوا أم اختلفـوا ؟ وتصنيف أقوالهم بحسب الاتفاق والافتراق .

فإن اتفقوا وتواردت أقوالهم وتكاثرت على رأي واحد ، فهو غايـة مـا يُتوصَّل إليه في هذه المرحلة .

وإن اختلفت عباراهم ، فيجب أن أحاول الجمع بين أقوالهم ؛ لما علمناه من تفسيرهم واختلاف عباراهم فيه ، وأن أكثرَ اختلافِ عباراتِهم هو من بابِ اختلافِ التنوّع ، لا اختلافِ التضادّ . من مثل الاختلاف بـذكر المترادفـات الدالّةِ على معنىً واحد ، أو ذكرِ بعض أفراد العام من باب التمثيل [2]. وبذلك سَيُضْطَـرُّ الباحثُ إلى إعمال فكره في كلام السلف وفي التفقّه فيـه، وهـذا تدريبٌ مهمٌّ جدًّا لتكوين الملكة .

فإن تعذّر الجمعُ ، وصحَّ حَـمْلُ الآية على أكثر من معنى من المعـاني

---

(١) وإلى ذلك أشار البيهقي في دلائل النبوّة (٣٧/١) ، عندما قال :«وإنما تساهلوا في أخذ التفـسير عنهم (أي الضعفاء) ؛ لأن ما فسّروا به تشهد لهم به لغات العرب ، وإنما عملـهم في ذلـك الجمـع والتقريب فقط» .

(٢) انظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (رقم١٤-٣٨) .

التي ذكرها السلف ، توجَّهَ ذلك ، خاصة عند عدم وجود مرجِّحٍ لأحد تلك المعاني على الآخر [١]. وهذا يستلزم دقّةً بالغةً في الفهم ، وفي مراعاة القرائن والمرجّحات المختلفة . وهذا تدريبٌ آخر ، يحتاج الباحثُ إليه أقوى احتياج ؛ لتكميل جوانب ملكته التفسيرية .

ومما يعينه على فهم الاختلاف الفهمَ المؤديَ إلى حُسن التعامل معه: محاولةُ تحديد سبب الاختلاف ، فعليه أن يجيل ذهنه في ذلك . وليستعن في تقوية ملكته في هذا الباب بتقوية علمه بالتنظير المعاصر له ، وذلك ببعض الدراسات الحديثة فيه : كـ(اختلاف المفسرين : أسبابه وآثاره) لفضيلة الشيخ الدكتور سعود الفنيسان ، و(أسباب اختلاف المفسرين) للدكتور محمد الشايع ، و(أسباب الخطأ في التفسير) للدكتور طاهر محمود محمد يعقوب ، و(الأقوال الشاذّة في التفسير : نشأتها وأسبابها وآثارها) للدكتور عبد الرحمن الدهش .

فإن تعذّر الجمعُ، وتعذّرَ أيضًا حَمْلُ الآية على المعاني الواردة جميعها، ومعنى ذلك أن التعارض مع كونه حقيقيًّا، فهو ممّا لا تحتمل الآيةُ قبولَ اختلافِه وجوهًا عديدةً في فهمها = فعندها يتوجّبُ الترجيحُ بين تلك الأقوال المختلفة.

والترجيح بين أقوال السلف والمفسرين عموما هو أحدُ أوسعِ علوم التفسير وأجلّها خطرًا ، وعلى الباحث أن يسعى لتحصيل ملكته . وأنصح في هذا المجال أن يقرأ كتاب (قواعد الترجيح عند المفسرين) للدكتور حسين بن علي الحربي ، لكي يتسع نظره في المرجّحات .

---

(١) انظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (رقم٣٩-٤١) .

وبوصوله إلى هذه المرحلة يكون الباحث قد انتهى من خطـوة التفـسير بالمنقول ، وقوّمَ بها الخطوةَ السابقةَ ، وهي التفسير اللغوي . وقد قدّمنا في أول حديثنا عن هذه الخطوة الاحتمالاتِ الثلاثةَ التي سيُخْرِجُه بحثُه إليها من تقويمه التفسيرَ اللغويَّ بالمنقول ، فكنْ على ذُكْرٍ منها .

ومن هذه الخطوة نصل إلى الخطوة السادسة والأخيرة :

الخطوة السادسة: الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية.

فبعد أن مررتُ بالخطوات السابقة جميعها لفهم مراد الله تعالى في كتابه الكريم ، واجتهدتُ في كل خطوة منها ، ولم أرضَ منهجَ التَّلقِّي بغير فقهٍ صحيح ولا طريقةَ التلقُّنِ لاجتهادِ غيري دون معرفةِ دليله بعمقٍ كافٍ ، بل اجتهدتُ في كل مرحلة من كل خطوة ، وقوّمتُ أغلبَ اجتهاداتي الجزئيّةِ السابقةِ باجتهادِ أئمةِ كلِّ علمٍ فيه = بقي عليَّ التقويمُ النهائيّ ؛ بالرجوع إلى خلاصة آراء أئمة التفسير في الآية .

وهنا ينبغي عليّ أن أختار عددًا من أئمة التفسير ، ممن وُصِفوا بأنهم أكثر أئمة التفسير تحقيقًا، وأقواهم تحريرًا ، وأدقّهم تعبيرًا. وهم كُثُرٌ، بحمد الله تعالى. دون إغفال الآخرين، بل كلما توسّعتَ في النظر في كتب التفسير خرجتَ بفائدة أكبر ؛ خاصة مع وجود مميزات في بعض التفاسير تختصُّ بها دون غيرها .

وعلى رأس هذه الكتب : تفسير ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، وتفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ؛ لما تميّزا به من تحقيق وتحرير ، ومن صحة معتقد وسلامة منهج . ثم تفسير (المحرَّر الوجيز) لابن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) ، و(الوجيز) للواحدي (ت٤٦٨هـ) .

ومن المهمّ في هذا الباب أن تتعرّفَ على تراجم المفسرين ، وعلى

مكانتهم ومكانة كتبهم في التفسير ، وعلى منطلقاتهم العقدية والمنهجية؛ لتحسن الاستفادة من كتبهم . فمثلاً : كتابُ (الكشاف) للزمخشري (ت٥٣٨هـ) من أبدع كتب التفسير في إظهار النواحي البلاغية ، وفي سَبْكِها ضمنَ عبارةِ البيانِ والتوضيح للآية ؛ لكن مؤلِّفَه من أئمة الاعتزال الدُّعاةِ إليه؛ ولذلك لا يُنصح بالرجوع إليه ؛ إلا لمن كان ضليعًا من علم المعتقد ، قادرًا على تمييز القول المؤسَّسِ على معتقَدٍ باطلٍ والقولِ المؤسَّسِ على معتقَدٍ صحيح . وهكذا الشأن في كل كتابٍ عُلِمَت من مؤلِّفه مخالفةُ منهجِ السلف في معتقدٍ أو سلوكٍ أو طريقةٍ في الفهم : أن يرجع إليه ويستفيد منه من كان قادرًا على تخليصه من شوائبه ، وأن يتجنّبه الطالبُ المبتدئ غير القادر على ذلك .

وطريقة السير في هذه الخطوة : أنني بعد أن خرجتُ بتفسيرٍ للآيات المدروسة ، اعتمدتُ فيه على التفسير بالمعقول (وَفقَ دلالة اللغة وأساليب العرب في البيان)[1] والمنقول ، بجهديَ الخاصّ ، وجب عليَّ تقويمُ هذا الجهد؛ للاطمئنان إلى سلامة نتائجه (أولا) ، ولمعرفة أسباب الخطأ وأسباب الصواب (ثانيا) ؛ لتُجْتَنَبَ الأولى ، وتُلْتَزَمَ الثانية .

فإن وجدتُ المفسرين الذين احتكمتُ إليهم قد اتفقوا على قول ، كان قولُهم هذا هو الصوابَ الذي لا يكون سواه إلا الخطأ، خاصة وأنني أتحدّثُ عن طالب متدرِّبٍ متمرِّن. فيجب تقويم اجتهادك وَفقَ هذا التفسير، فإن وافقتَه فذاك ثمرةُ جهدِك المتواصِل، بعد توفيق الله تعالى لك. وإن خالفتَه فقد استفدتَ

(١) لا يكون التفسير المعقول مقبولاً ؛ إلا أن يكون فهمًا للدلالة اللغوية من الآية . أما ما خرج عن هذه الدلالة وعن الاعتماد على المنقول ، فهو التفسير بالهوى .

سببَ الخطأ، وعرفتَ موطنَ النقص في اجتهادك ، وهي ثمرةٌ لا تقلُّ عن الأولى ؛ لأنها تعصمك (بإذن الله تعالى) من إعادة الخطأ ومن تكرار الغفلة عن مـــوطن النقص .

وإنِ اختلفوا: نظرتُ إلى مقالاتهم، هل فيها القول الذي وصلتُ إليه؟

فإن خرج القول الذي وصلتُ إليه عن جميع مقالاتهم ، كان كالأول : دليلًا على أني لم يحالفني الصواب . فعليّ أن أنظر في الخطأ وأسبابه ، على ما بينتُه آنفًا .

وإن وافقتُ بعضَهم دون بعض ، كان هذا دليلًا على عُمق الفهم الذي توصّلتُ إليه ؛ لكن لا يلزم أن يكون ما توصلتُ إليه هو الصواب! فالصواب لا يُعرَفُ بمجرّد موافقة جُهدك له ، بل يُعرف بدليله . أما العمق .. فيمكن أن يستحق ما توصّلتَ إليه أن يُوصفَ بأنه فهمٌ عميق ؛ لمجرّد موافقتك لإمامٍ من أئمة التفسير . لكن ليس كل عمقٍ يُوصِلُ إلى الصواب ، وليس كلُّ ظاهريـــةٍ حليفُها الخطأ .

وعليّ في حالة موافقة بعض أئمة التفسير دون بعضِهم الآخر : أن أنظر في استدلال كل إمامٍ على قوله ، وأن أُدقِّقَ في أساس رأيه الذي بناه عليـــه ، وأن أزن ذلك بما اجتمع لديّ من أدلةٍ زاخرةٍ أوصلتني إلى قـــولي ، لأخـــرج بالترجيح النهائي . وهنا تظهر إحدى أهم فوائد اجتهاداتك السابقة ، الـــتي أظهرت لك مآخذَ الأقوال ، ووضَّحت لك معالمَ الوصول إليها ، وعمّقت لديك الاجتهاد ، بما أزعم أنه لا يمكن الوصول إليه بغـــير هـــذه الخطـــة **أو نحوها**.وحينها تكون أقدر على الترجيح الـــرَّجيح ، وأن تـــصل إلى القـــول الصحيح .

فإن وصلتَ إلى القول الراجح الذي سبقك إليه أحدُ أئمة التفسير ، بكل إنصاف ، ودون التّعصُّبِ الخفيّ لقولك الأول . فعليك بالنظر في العبارة التي تعبّر بها عن ذلك القول الراجح ؛ فإن تحريرَ المعنى وسَبْكَهُ في قالبِ الألفاظِ فَنٌّ آخر مهمٌّ ، فلا تُغفلْ تكوينَ ملكته أيضًا . وذلك بالنظر في تعبيرك أنت الذي قيدتَه أولا ، ثم في صياغة الأئمة لذلك المعنى ؛ لاختيار أوضحها وأدقِّها وأجمعها للمعنى المراد من كل جوانبه .

وهنا تكون قد وصلتَ إلى آخر المطاف ، وحان منك أوانُ القِطاف ، لتقول بكل ثقة : تفسير قول الله تعالى في آية كذا هو كذا وكذا ؛ فهنيئًا لك أيها المفسر الصغير[1]!!

والأهم أنك بدأتَ في تكوين ملكة التفسير لديك ، وفي السير على دربٍ طويلٍ منتهاه أن تكون مفسِّرًا كبيرًا (إن شاء الله تعالى) !!!

وأرجو أن تَحْمَدَ لي هذه الخطة بعد حين ،فإن كان ذلك، فلا تنسني من دعوةٍ صالحةٍ،ربما أكون أسيرَ إجابتها من ربٍّ سميع قريب مجيب (سبحانه).

---

(١) ما زال صغيرًا لأننا قرّرنا أن تأصيله العلمي في العلوم الإسلامية المرتبطة بالتفسير يجب أن تستمرَّ عنايته به ، ولا شك أن هذا طريقٌ لا نهايةَ له ، كما أن قوّةَ الملكة أيضًا لا حدّ لآخرها . وتدرُّبُ الطالب على هذه الخطة في جزءٍ أو جزئين من القرآن الكريم ، لن يصل به إلى أن يكون مفسِّرًا كبيرًا؛ إلا بعد إكمال المسيرة .

الخاتـــمة

لقد تضمّن المقالُ ذكر خطة تعليمية لإنشاء ملكةٍ في علم التفسير ، مبناها على محاولة ترتيب الوصول إلى التفسير الصحيح من خلال خطواتـــه العديـــدة ومراحلها الدقيقة بالجهد الذاتي ، الذي يعقبه تقويمٌ علميٌّ له ؛ ليتمكّن المتدرِّبُ من معرفة مآخذِ الاجتهاد في علوم التفسير ، ومن إدراك أسباب إصابته فيلزمها، ومن معرفة أسباب الخطأ فيجتنبها . وهو بذلك يبدأ في تكوين ملكة التفـــسير لديه تدريجيًّا ، ولا يكون مجرّد متلقِّنٍ لأقوال المفسرين.

ومُلخَّصُ خطواتِ الخطة ومراحل كل خطوة منها ، هو ما يلي :

الأولى : التزوُّدُ من العلوم الضرورية لعلم التفسير .

الثانية :اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها ، والتي يجـــب أن يتـــوفّر في سبب اختيارها أنها أبعد الآيات عن أن يكون استفاد تفسيرَها من أحد.

الثالثة :فهم الآية بالجهد الذاتي المحض، دون الاستعانة على فهمها بأحد .

الرابعة : السعيُ إلى التفسير اللغوي الصِّرْفِ للآية .

ولها مراحل :

١–تحديد الكلمات التي يُـــحتاج إلى دراستها لُغويًّا ، وهي كل كلمة لم يكن إدراك معناها اللغوي بَدَهِيًّا لدى الدارس .

٢–محاولة معرفة أصلِ المعنى اللغوي للكلمة .

٣–حصر المعاني الفرعية والمشتقة لتلك الكلمة المدروسة ، وذلك من خـــلال الرجوع إلى معاجم اللغة ، وتحديد أليق المعاني منها بالآية .

٤–الـــتأكد من صحة المعنى الفرعي للكلمة الذي توصّلتُ إليه سابقًا ، مـــن خلال كتب غريب القرآن والوجوه والنظائر .

٥–تفسير الآية كاملةً بحسب ما تقتضيه لغة العرب وحدها، باجتهادي الخاص.

٦–التأكّد من صحة تفسيري اللغوي للآية ، بالرجوع إلى كتب التفسير اللغوي .

الخامسة : تفسير الآية بالمنقول، من : القرآن ، والسنة ، وأقوال السلف .

للوصول بالتفسير اللغوي السابق إلى واحد من المواقف الثلاثة التالية من خلال تقويمه بالمنقول:

الموقف الأول : أن يتفق التفسير اللغوي مع المنقول ، فيُقبل .

الموقف الثاني : أن يُبطل التفسيرُ المنقولُ التفسيرَ اللغويَّ ، فيُردُّ اللغوي .

الموقف الرابع : أن يختلف التفسيران ، لكن لا يبطل أحدهما الآخر ، فيُحتمل قبول اللغوي مع المنقول ، ويحتمل ظهورُ أن اللغوي مرجوحٌ أمامَ المنقول .

ولهذه الخطوة فروعٌ ثلاثة :

الفرع الأول : تفسير القرآن بالقرآن . وله مراحل :

١– استخراج الآيات ذات العلاقة بآيات الدَّرْس من كتاب الله العزيز بالجُهد الذاتي الخالص .

٢– الاستعانة بالجهود المتفرّقة لأهل العلم التي تتضمّنُ جمْعَ النظيرِ إلى نظيرِهِ من الآيات .

٣– الرجوع إلى كتب التفسير عموما ، وإلى تلك التي اعتنت عنايةً واضحةً بتفسير القرآن للقرآن خصوصا ؛ بغرض جمع الآيات ذات الصلة في تفسير الآية ، دون الاستفادة من كتب التفسير في هذه المرحلة إلا في حصر الآيات المعينة على التفسير .

٤– الرجوع إلى كتب القراءات ؛ حيث إن من أعظم وجوه إفادة القراءات

الثابتة العديدة للآية الواحدة التفسيرَ والبيانَ .

الفرع الثاني : تفسير السنة للقرآن ، وله مراحل :

١- الوقوف على التفسير المروي عن النبي ﷺ،وجمعه من مظانه المتعدّدة .

٢- دراسة هذا التفسير المروي عن النبي ﷺ لتمييز صحيحه من سقيمه .

٣- فَهْمُ الحديثِ الثابتِ عن النبي ﷺ في التفسير ، والاجتهادُ في استنباط وجهِ بيانه للآية التي يفسرها .

٤- تقويمُ فَهْمِه للحديث ، ومراجعةُ استنباطِه لعلاقته بتفسير الآية ، بالرجوع إلى كُتُبِ شروح الحديث وإلى كُتب التفسير التي أوردتْه .

الفرع الثالث : تفسير السلف للقرآن الكريم ، وله مراحل :

١- جمعه من مظانه .

٢- التثبت من صحته ، وفق منهج معيّن .

٣- النظر في معاني أقوال السلف ، وهل اتفقوا أم اختلفوا ؟ وتصنيف أقوالهم بحسب الاتفاق والافتراق . ومحاولة الجمع بغير تعسّف بين ما ظاهره الاختلاف ، فإن لم يمكن الجمع فالترجيح بينها .

السادسة (والأخيرة) : الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية؛ لتقويم النتيجة النهائية من دراستي ، ولاختيار الصياغة الدقيقة للتفسير الذي توصلّت إليه . والله أعلم

والحمد لله على ما لا يُحصىٰ له من إنعام ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين أجلّ صلاةٍ وأشرفَ سلام ، وعلى أزواجه وآله ما أشرقت شمسٌ أو بدا بدرُ التمام .

المصادر والمراجع[1]

١- **إبراز الحِكَم من حديث «رُفع القلم»** : لتقي الدين السبكي . تحقيق : كيلاني محمد خليفة . الطبعة الأولى :١٤١٢هـ . دار البشائر : بيروت .

٢- **الإتقان في علوم القرآن** : للسيوطي . تحقيق مصطفى ديب البغا . الطبعة الأولى : ١٤٠٧هـ . دار ابن كثير : دمشق .

٣- **إحكام الفصول في أحكام الأصول** : لأبي الوليد الباجي المالكي . تحقيق : عبدالمجيد تركي . الطبعة الأولى : ١٤٠٧هـ .دار الغرب : بيروت .

٤- **إصلاح غلط أبي عبيد** : لابن قتيبة . تحقيق عبد الله الجبوري . الطبعة الأولى : ١٤٠٣هـ . دار الغرب : بيروت .

٥- **إعلامُ الموقِّعين عن ربِّ العالمين** : لابن قيّمِ الجوزيّة .تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجيل : بيروت .

٦- **الأم** : للإمام الشافعي . تحقيق : د/رفعت فوزي عبد المطلب . الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ . دار الوفاء : المنصورة .

٧- **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم** : د/ مساعد الطيار . الطبعة الثانية : رجب ١٤٢٣هـ . دار ابن الجوزي : الدمام .

٨- **البحر المحيط في أصول الفقه** : لبدر الدين الزركشي . تحقيق : الشيخ عبد القادر العاني، وجماعة .الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ .وزارة الأوقاف : الكويت .

٩- **البدر الطالع في حل جمع الجوامع:** للجلال المحلي. تحقيق : أبي الفداء مرتضى علي الداغستاني.الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ .مؤسسة الرسالة ناشرون : بيروت .

١٠- **البرهان في علوم القرآن** : لبدر الدين الزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة :١٤٠٠هـ . دار الفكر : بيروت .

(١) التي تم العزو إليها ، دون ما ذُكرت في النص تمثيلا من الكتب المتعلقة بالتفسير وغيرها .

١١- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد** : لابن تيمية . تحقيق : د/ موسى بن سليمان الدويش . الطبعة الثانية : ١٤١٥هـ .مكتبة العلوم والحكم : المدينة المنورة .

١٢- **التحبير شرح التحرير** : للمرداوي الحنبلي .تحقيق د/ عوض القرني، ود/ أحمد السراح . الطبعة الأولى :١٤٢١هـ .مكتبة الرشد : الرياض .

١٣- **التحرير في أصول الفقه** : لكمال الدين محمد بن عبد الواحد بن مسعود المعروف بابن الهُمام الحنفي . ضمن شرحَيْهِ : التقرير والتحبير : لابن أمير الحاج ، و تيسير التحرير : لأمير بادشاه . وستأتي معلومات طبعهما .

١٤- **التعريفات** : للجرجاني . تحقيق إبراهيم الأبياري . الطبعة الثانية :١٤١٣هـ . دار الكتاب العربي : بيروت .

١٥- * **تفسير الطبري** = جامع البيان .

١٦- **تفسير عبد الرزاق الصنعاني** . تحقيق : د/ مصطفى مسلم محمد . الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ .مكتبة الرشد : الرياض .

١٧- **تفسير غريب القرآن** : لابن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر . ١٣٩٨هـ . تصوير دار الكتب العلمية : بيروت .

١٨- **التفسير اللغوي**: د/ مساعد الطيار.الأولى : ١٤٢٢هـ. دار ابن الجوزي: الدمام .

١٩- **التقرير والتحبير**:لابن أمير الحاج الحنفي. الطبعة الأولى:١٤١٧هـ .دار الفكر:بيروت .

٢٠- **تقويم الأدلة في أصول الفقه** : لأبي زيد الدَّبُوسي الحنفي . تحقيق : خليل محيي الدين المَيْس . الطبعة الأولى : ١٤٢١هـ . دار الكتب العلمية : بيروت .

٢١- **التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيفٌ وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين** : لأبي الفضل محمد بن ناصر السَّلامي . تحقيق : د/ وليد السراقبي . الطبعة الأولى :١٤٢٤هـ . المجمع الثقافي : أبو ظبي .

٢٢- **تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق** : لابن عبد الهادي . تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله ، وعبد العزيز بن ناصر الخباني . الطبعة الأولى : ١٤٢٨هـ .أضواء السلف : الرياض.

٢٣- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل** : للمعلمي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الثانية : ١٤٠٦هـ . مكتبة المعارف : الرياض .

٢٤- **تهذيب اللغة** : للأزهري . تحقيق عبد السلام محمد هارون . الطبعة الأولى : ١٣٨٤هـ . المؤسسة المصرية العامة للتأليف .

٢٥- **التوقيف على مهمات التعاريف** : للمناوي . تحقيق د/ محمد رضوان الداية. الأولى : ١٤١٠هـ . دار الفكر المعاصر : بيروت .

٢٦- **تيسير التحرير**: لمحمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي. الطبعة الأولى: ١٣٥٢هـ. مطبعة صبيح: القاهرة. تصوير: دار الكتب العلمية : بيروت .

٢٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : للطبري . تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي .الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ . دار هجر : الجيزة .

٢٨- **جمع الجوامع**: لتاج الدين السبكي الشافعي:(ضمن: البدر الطالع: للجلال المحلي) .

٢٩- **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** : للسيوطي . تحقيق :د/ عبد الله بن عبدالمحسن التركي . الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ . مركز هجر : الجيزة .

٣٠- **دلائل النبوة** : للبيهقي . تحقيق : د/ عبد المعطي قلعجي . الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ . دار الكتب العلمية : بيروت .

٣١- **الرد على الجهمية** : للدارمي . تحقيق : بدر البدر . الطبعة الثانية : ١٤١٦هـ . دار ابن الأثير : الكويت .

٣٢- **الرسالة** : للإمام الشافعي . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر .الطبعة الثانية . ١٣٩٩هـ . دار التراث : القاهرة .

٣٣- **السنن** : **لابن ماجه** . تحقيق : بشار عواد معروف . الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ . دار الجيل: بيروت .

٣٤- **السنن الكبرى** : للبيهقي . الطبعة الأولى : ١٣٤٤هـ . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية : الهند .

٣٥- **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية** : للدكتور مساعد بن سليمان الطيار .

الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ . دار ابن الجوزي : الدمام .

٣٦- **الصاحبي** : لابن فارس . تحقيق السيد أحمد صقر . مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٣٧- **صحيح البخاري** . طبعة دار السلام : الرياض .

٣٨- **صحيح مسلم** . تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي .

٣٩- **العُدّة في أصول الفقه** : لأبي يعلى الفراء الحنبلي . تحقيق : د/ أحمد علي سير المباركي . الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ . لا توجد دار طابعة .

٤٠- **العلل** : للإمام أحمد (برواية ابنه عبد الله) . تحقيق : د/ وصي الله محمد عباس . الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ .المكتب الإسلامي : بيروت .

٤١- **العلل** : لابن أبي حاتم . تحقيق فريق من الباحثين ، بإشراف : د/ سعد الحُمَيِّد ، ود/ خالد الجريسي .الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ .

٤٢- **علل الأحاديث** : للدارقطني . تحقيق : د/ محفوظ الرحمن زين الله . الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٤١٦هـ . دار طيبة : الرياض .

٤٣- **غريب الحديث** : لإبراهيم الحربي. تحقيق د/ سليمان العايد. الأولى: ١٤٠٥هـ . جامعة أم القرى.

٤٤- **الفصول في الأصول** : لأبي بكر الرازي الجصّاص الحنفي . تحقيق : د/ محمد محمد تامر. الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ . دار الكتب العلمية : بيروت .

٤٥- **الكليات** : لأبي البقاء الكَفَوي . تحقيق د/ عدنان درويش ، ومحمد المصري . الأولى: ١٤١٢هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت .

٤٦- **مجموع الفتاوى** : لشيخ الإسلام ابن تيمية . الطبعة الأولى : ١٤١٦هـ . وزارة الشؤون الإسلامية : السعودية .

٤٧- **المحصول في علم الأصول** : لفخر الدين الرازي . تحقيق :طه جابر العلواني . الطبعة الأولى : ١٤٠١هـ . جامعة الإمام محمد بن سعود : الرياض .

٤٨- **المستصفى من علم الأصول** : لأبي حامد الغزالي الشافعي . تحقيق : د/: محمد سليمان الأشقر . الطبعة الأولى :١٤١٧هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت .

٤٩- **المسند** : للإمام أحمد : تحقيق : شعيب الأرناؤوط وجماعة ، بإشراف د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي . الطبعة الثانية :١٤٢٠هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت.

٥٠- **معجم الأدباء** : لياقوت الحموي . تحقيق د/ إحسان عباس . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٤١٤هـ . دار الغرب الإسلامي : بيروت .

٥١- **معجم المعاجم**: لأحمد الشرقاوي إقبال. الطبعة الثانية: ١٩٩٣م. دار الغرب: بيروت .

٥٢- **مفهوم التفسيرِ والتأويلِ والاستنباطِ والتدبُّرِ والمفسِّرِ** : د/ مساعد الطيار . الطبعة الأولى : ١٤٢٣هـ .دار ابن الجوزي : الدمام .

٥٣- **المقدمة** : لابن خلدون . تحقيق عبد السلام الشدادي . الطبعة الأولى:٢٠٠٥م . بيت العلوم والفنون : الدار البيضاء .

٥٤- **مقدمة في أصول التفسير** : لابن تيمية . (مع شرحها للدكتور مساعد الطيار). الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ .دار ابن الجوزي : الدمام .

٥٥- **الموافقات** : للشاطبي . تحقيق : أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان . الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ . دار ابن عفان : الخُبر .

٥٦- **نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي** . تحقيق : منصور السماري . الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ . أضواء السلف : الرياض .

٥٧- **نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم** : لصلاح الدين الصفدي . تحقيق محمد عايش . الطبعة الأولى :١٤٢٧هـ .دار البشائر : بيروت .

٥٨- **الواضح في أصول الفقه** : لأبي الوفاء ابن عقيل . تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي . الطبعة الأولى :١٤٢٠هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت .

فهرس الموضوعات

عـادات عربيـة
في ضـوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

أ.د.عبد الفتاح محمد أحمد خضر
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة بجامعة الملك خالد في أبها بالمملكة العربية السعودية

* ولد عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٩٦٤م بمصر.
* نال شهادة الماجستير من كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر بأطروحته "المجمل والمبين في القرآن الكريم" ، ثم نال منها شهادة الدكتوراه بأطروحته: "العلامة الجمل وحاشيته على تفسير الجلالين دراسة وتحقيق".
* له العديد من البحوث والمشاركات العلمية، منها: "الدخيل في تفسير القرآن الكريم - الجزء الأول" ، "وصايا الرحمن(تفسير سورة لقمان) دراسة تحليلية"، "العلامة برهان الدين البقاعي وكتابه نظم الدرر".

الملخص

يدور بحث "**عادات عربية في ضوء القرآن الكـــريم**"حـــول العـــادة : تعريفها- منشؤها - أقسامها - موقف التشريع الإسلامي منها - أهميتـــها عنـــد المفسرين- الألفاظ ذات الصلة.

ثم بينت عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم وهي كثيرة منها: الجوار، وتـــولي توثيق العهد ونقضه برجل من ذات القبيلة، وتعظيم حرمـــة البيـــت، والحجابـــة، والسقاية، وتقليد الهدي وإشعاره. ثم وضحت عادات عربية هذبها القرآن الكـــريم وهي- أيضاً- كثيرة منها: عادة المساواة بين الفأل والطيرة، والتفاخر بالآباء، ورفع الصوت، والتحية، والحرمان من الميراث، والتعدد في الزواج، والإيلاء، والظهـــار، والطلاق، والتهذيب بالعدة، والإحداد،وتغيير الأشهر الحرم، والجـــدال في الحـــج، واتباع الهوى في إبداء الرأي.

ثم أشرت إلى عادات عربية أبطلها القرآن الكريم مثل: اعتقاد وجود قلـــبين في صدر اللبيب، ونسبة نزول المطر ونحوه إلى الأنواء، والاستعاذة بالجن،والحلف بغير الله تعالى، والدخول على الغير دون إذن، والتبرج، والاختلاط، والتعري، واتخـــاذ الأخدان، والقذف، ووراثة المرأة، ومراجعة المرأة استخفافًا بها، وعـــضل المـــرأة، وزواج الرجل من امرأة أبيه،و الجمع بين الأختين، وتطفيف الموازين،وأكل مهـــر المرأة، والتبني، وسفك الدماء، وقتل الأولاد، ووأد البنات، واحتقار أهل الأعـــذار، وتحريم الحلال من المطعومات، وتحليل الحرام من المطعومات، وتحريم بعض الأطعمة على النساء، وأكل الربا، ونهب الأموال، وعبادة الأوثان. ثم ختمت بخاتمة بينـــت فيها أهم نتائج البحث شافعاً إيَّاها بالتوصيات. والحمد لله الـــذي بنعمتـــه تـــتم الصالحات.

مقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى، ثم أما بعد:

فإنه لمن توفيق الله للعبد اختياره لخدمة كتابه - ﷻ - قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢] فاللهم اجعلنا ممن ورثوا كتاب ربهم وعملوا بما فيه.

وموضوع هذا البحث:"**عادات عربية في ضوء القرآن الكريم**" يفصح عما تحته، إذ هو دراسة تفسيرية موضوعية تدور حول عادات كانت في العرب العرباء، تحدث عنها القرآن الكريم ووقف منها طبيباً معالجا، وناصحاً أميناً، وحكيماً عليماً، وضع الأمور في نصابها، فأقر ما يستحق الإقرار لعموم نفعه، وطيب ثمره، وشمول فضله، وهذب وسدد ما يحتاج إلى تهذيب وتسديد، ليرقى بعد ذلك إلى مصافّ القبول، ويكون بعد تصفيته كلبن خالص سائغ للشاربين، وأبطل ما عم فساده، وطمَّ خرابه، وادلهم خطبه، وذلك من رحمة الله بعباده فهو وحده الذي يعلم السر وأخفي، بل هو العالم سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤].

وتأتي **أهمية دراسة هذا الموضوع وسبب اختياره** من خلال تأمُّل آيات قرآنية تحدثت عن عادات تأصلت في مجتمع العرب، سلط عليها القرآن العظيم نوره فبانت حقيقتها، ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال:٤٢]، وليكون هذا الموضوع درساً واقعياً لنا في زماننا المعاصر الذي أبت فيه العادة أن تعترف

بحدود جغرافية، ولا بثوابت تاريخية دينية، فدخلت علينا من كل باب بحلوهـــا ومرها، فكان هذا المثال القرآني الذي يقول بلسان حاله: هاكم الآباء وما كان فيهم وكيف عولجوا، ودونكم العلاج الذي عافاهم وهو هو - بفــضل الله - يعافيكم، فهل أنتم مقتدون؟؟!

كما تأتي أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره - أيضاً - لندرته في المكتبة القرآنية، ولجمع ما تيسر مما اكتحلت به عيني على مدار أكثر من عشرين ســنة مطالعة في أمهات كتب التفسير التي تورد عبارة "وهذه من عادات العرب" و ما شابهها، ولفتح المجال أمام موسوعة تعنى بــ **"العادات العربية"** في ضوء القرآن الكريم.

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة فبينت فيها أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره .

وأما المبحث الأول: فحول العادة، وتضمَّن: تعريفها - ومنــشأها - وأقسامها - وموقف التشريع الإسلامي منها - وأهميتــها عنــد المفــسرين- والألفاظ ذات الصلة.

و المبحث الثاني: عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم، تضمن العــادات الآتية: الجوار، تولي توثيق العهد ونقضه برجل من القبيلة، تعظيم حرمة البيت، الحجابة، السقاية، تقليد الهدي وإشعاره .

المبحث الثالث: عادات عربية هذبها القرآن الكريم، تضمن العــادات الآتية: المساواة بين الفأل والطيرة، التفاخر بالآباء، رفع الصوت، التحية، الحرمان من الميراث، التعدد في الزواج، الإيلاء، الظهار، الطلاق، التهــذيب بالعــدة، الإحداد، تغيير الأشهر الحرم، الجدال في الحج ، اتباع الهوى في إبداء الرأي.

المبحث الرابع: عادات عربية أبطلها القرآن الكريم واحتوى العادات الآتية: اعتقاد قلبين في صدر اللبيب، نسبة نزول المطر ونحوه إلى الأنواء، الاستعاذة بالجن، الدخول على الغير دون إذن، التبرج، الاختلاط، التعري، ارتكاب الفاحشة، القذف، وراثة المرأة، مراجعة المرأة استخفافًا بها، عضل المرأة، زواج الرجل من امرأة أبيه، الجمع بين الأختين، تطفيف الموازين، أكل مهر المرأة، التبني، سفك الدماء، قتل الأولاد، وأد البنات، احتقار أهل الأعذار، اختلاق التحليل أو التحريم ، عادات تخص المطعوم، تحريم بعض الأطعمة على النساء، أكل الربا، نهب الأموال، عبادة الأوثان.

الخاتمة: وقد جمعت فيها أهم نتائج البحث وشفعت ذلك بالتوصيات.

والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في العلم والعمل

المبحث الأول

العـــــــــادة

تعريفها – منشؤها – أقسامها – موقف التشريع الإسلامي منها – أهميتها عند المفسرين – الألفاظ ذات الصلة

هذا المبحث يمثل مفاتيح موضوعنا، من حيث إنه يوضح ضابط العـــادة من خلال تعريفها في اللغة والاصطلاح، وفي تصور علمـــاء التفـــسير وعلـــوم القرآن الكريم، وعلماء الاجتماع، كما يوضح منشأ العادة وأقسامها، وموقف التشريع الإسلامي منها، وكون معرفة المفسر للعادة ضرورياً، كما يبين الألفاظ ذات الصلة.

أولاً: تعريف العادة:

تعريف العادة لغة: خلاصة ما قاله أهل اللغة: إن العادة هي: معاودة الأمر حتى يصير سجية لصاحبه وديدناً وطبعاً[(١)]، ولذلك قيل: العادة طبيعة ثانية[(٢)].

العادة اصطلاحاً: هي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول[(٣)]، وعادوا إليه مرَّة بعد أخرى"[(٤)] قاله الجرجاني، وهو بهذا يقصر العادة على الحسن منها فحسب، في حين أن من العادة ما هو حسن، ومنها ما هو سيء، لذا أستطيع

---

(١) ابن فارس:٤/١٤٥، والراغب:٢/٢١٨ ، وابن منظور:١/٣٦٨، ٣/٣١٦، والفيـــومي: ٣٥٥، وسليمان الجمل: ١/ ١٥٢،

(٢) الراغب: ٢/٢١٨، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: ١٢.

(٣) قلت: أي: المتزن الموافق للمصلحة العامة.

(٤) التعريفات للجرجاني: ١٨٨. قال على حيدر في درر الحكام: الْعَادَةَ يُفْهَمُ مِنْهَا تَكَـــرُّرُ الـــشَّيْءِ وَمُعَاوَدَتُهُ بِخِلافِ الأَمْرِ الْجَارِي صُدْفَةً مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَلا يُعَدُّ عَادَةً ". ١/١٤٥.

القول بأن **العادة هي: مجموع سلوكيات مجتمع ما حسنة كانت أو سيئة**. وقد جزم بوجود سيء العادات كوجود حسنها ابن نجيم في البحر الرائق، وعلى حيدر وأبو حيان التوحيدي الذي قال: والعادة طبيعة، ولكنها بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار [١] ومن هنا جزمنا بأن تعريف الجرجاني - رحمه الله - للعادة غير جامع ولا مانع.

العادة عند علماء التفسير وعلوم القرآن : لم أقف على تعريف للعادة من خلال علماء التفسير ، ولكنني أستطيع تعريفها في ضوء هذا البحث فأقول: العادة عند العرب هي: **أحوال العرب السلوكية السائدة وقت نزول القرآن الكريم**.

قلت هذا؛ لأن القرآن مَعْنِيّ بالعادة وقت نزوله، أما ما أتى بعد ذلك فيمكن قياسه على السبب السابق، ومن هنا كانت قاعدة:" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

العادة في علم الاجتماع: لا يختلف الأمر في تعريف العادة بين ما ذكرناه سابقاً، وبين ما ذكره **علماء الاجتماع** من أن العادة هي: **الإلف والطبيعة** [٢] **كما رأينا الاتساق التام بين تعريف العادة عند أهل اللغة، وفي الاصطلاح، وفيما نتصوره من تعريف عند علماء التفسير وعلوم القرآن، وفي علم الاجتماع**.

---

(١) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي: ودرر الحكام في شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر :١٤٥/١. الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: ١٢.

(٢) ابن خلدون: ٣٧.

منشأ العادة: أصل العادة خاطرة ، ثم تطورت إلى هم ، ثم عمل، ثم يكرر هذا العمل حتى أصبح عادة، و ما ورد في البحث يبرهن على ذلك.

أقسام العادة: العادة تنقسم إلى قسمين:

عادة حسنة: وهي السلوك المتكرر بين عقلاء الناس المتفق مع الشريعة الغراء، وهي التي لا تصادم نصاً أو تعطله، والعادة الحسنة هي التي نعبر عنها بقولنا: "وفقاً للعادة المتبعة، أو جرت العادة بكذا، أو ما شابه ذلك من المصطلحات".

وعادة سيئة: وهي عكس العادة الحسنة، إذ هي التي اعتادها جمع من الناس اعتماداً على موروث خاطئ أو فهم مغلوط مضاد للقرآن والسنة والعقل السليم.

موقف التشريع الإسلامي من العادة: يقول العلماء:" لا ريب أن التشريع الإسلامي استبقى المحمود من عادات العرب وأقره، ولا شك أنه قضى قضاء مبرمًا على أكثر ما هو ممقوت منها، وسلك بباقيها سنة التدرج حتى ذهب ريحه، وتلك هي الطريقة المثلى، وسنة كل تشريع حكيم يراعى الصالح فيما يقرره من الأحكام. [١]

ضرورة معرفة المفسر لعادات العرب:

اشترط العلماء[٢] على من أراد التعرّض لتفسير كلام الله – تعالى – أن يكون فاقها لقصة نزول كل آية لها سبب، وهذا يعني بالضرورة اتصال هذه القصة وذاك السبب بعادات من نزلت الآية فيهم – وهم العرب - كذا

(١) موسوعة الفقه الإسلامي: ١/٤.

(٢) كالواحدي، وابن تيمية، وابن دقيق العيد، ومن وافقهم كالسيوطي وغيره من العلماء.

تقاليدهم، ومن جهل هذا فقد خسر أقوى طرق الفهم، وناله من الوعيد ما ناله.

قال الواحدي في بيان أهمية معرفة أسباب النزول: " إذ هي – أي: أسباب النزول – أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطِّلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار..." [١] وقال ابن دقيق العيد:" بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيميه:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[٢].

من الأمثلة التي تبرهن على ما قاله العلماء من ضرورة معرفة عادات العرب من خلال تفسير القرآن:

ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة:١٥٨] فإن ظاهر لفظ الآية لا يقتضي أن السعي فرض، لذا ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بهذا الظاهر، ولعزله الآية عن عادة الجاهلية، وقد ردت السيدة عائشة – رضي الله عنها – على ابن أختها عروة – رضي الله عنه – في فهمه ذلك بسبب نزولها، وهو أن **الصحابة** تأثموا من السعي بينهما؛ لأنه من عمل الجاهلية فنزلت.[٣]

---

(١) الواحدي في أسباب النزول:٤، والسيوطي في لباب النقول: ١٣، وفي الإتقان: ٩٢/١.

(٢) اين تيمية في فتاواه : ٣٣٩/١٣، السيوطي في لباب النقول:١٣، وفي الإتقان: ٩٢/١.

(٣) البخاري: كتاب الحج، باب: وجوب الصفا والمروة رقم: ١٦٤٣.ومسلم: كتاب: الحج باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن رقم: ٢٢٣٩، وانظر السيوطي في الإتقان:٨٩/١.

ضرورة معرفة مفسري الأحكام لعادات العرب:

ولما كان القرآن الكريم مقصد المفسرين على اختلاف تنوعهم، أضحى للعادة عند المفسرين الفقهاء – الذين عنوا بأحكام القرآن الكريم – أهمية كبرى لتقاسمها الوحي النازل بالأحكام الفقهية، حيث قال العلماء: إن ما نزل به الوحي من الأحكام الفقهية ينقسم إلى قسمين:

أما أحدهما: فهو ما من شأنه ألا يتأثر كثيرًا باختلاف البيئات والأقاليم والأعراف والعادات، وتجدد الأحداث وتقلب الظروف، وهذا قد قُرِّرَت أصول مسائله، وفصلت أحكامه تفصيلاً وافيًا، ومع هذا كان تفصيلاً يفسح الطريق للاجتهاد إذا دعا داعيه. [1]

وأما الآخر: فهو ما من شأنه أن يتأثر تأثرًا ملحوظًا بالعوامل المذكورة سابقاً وهذا كانت له القواعد الكلية المرنة التي تصلح لكل زمان ومكان وبيئة، وتتسع لحاجات الناس، وتفتح للاجتهاد في أحداثها بابًا واسعًا، وهذه الأحكام بنوعيها إنما شرعها الله – سبحانه – لمصالح العباد تفضلاً منه ، وتقوم على تحقيق سعادقم في الدارين[2] من هنا أقول إن معرفة العادة من أهم ضروريات المفسر الفقيه كغيره من المفسرين، بل إن العادة قد تنفرد بالحكم عند عدم وجود نص، قال صاحب درر الحكام:" وَالْعُرْفُ وَالْعَادَةُ إِنَّمَا تُجْعَلُ

(١) وذلك كاجتهادات الفاروق –رضي الله عنه– في حكم السرقة في عام الرمادة، وتأخيره الصدقة.. ونحو ذلك، وليس المقام مقام تفصيله.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي:١/٤، قلت: ومثاله: الضرائب، وبعض جوانب التأمين، وكتصرفات الإمام على الرعية لكونها منوطة بالمصلحة كفرضه على الفلاحين زراعة معينة لأن عدمها يضر بالبلاد، وتغير الوسيلة بتغير مقصدها....ومحل ذلك كتب الأصول.

حَكَمًا لإِثْبَاتِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ إِذَا لَمْ يَرِدْ نَصٌّ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ الْمُرَادِ إِثْبَاتُهُ، فَإِذَا وَرَدَ النَّصُّ عُمِلَ بِمُوجِبِهِ"[١] .

ومن الألفاظ ذات الصلة:

من الألفاظ ذات الصلة بالعادة : العرف والتقليد وهما بمعنى العـــادة على صحيح القول [٢] .

(١) علي حيدر: ١/١٤٥.

(٢) الموسوعة الفقهية: ٣٠/٥٤. ويقول الجرجاني: العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقـــول وتلقته الطبائع بالقبول وهو حجة – أيضًا – لكنه أسرع إلى الفهم، والعادة هي ما استمر الناس عليـــه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى. التعريفات – الجرجاني: ١/١٩٣. أما التقليد فهو إلف مـــا عليه الناس ومجاراتهم في عاداتهم.

المبحث الثاني

عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم

حفل المجتمع العربي بعادات متأصلة في بيئته، وعندما نزل القرآن الكريم وقف منها موقف الإقرار فذكرها وخلّدها وسطرها وحياً يُتلى إلى يوم القيامة، وهذا من فضائله، قال العلماء:" لا ريب في أن التشريع الإسلامي امتداد لما قبله من الشرائع السماوية الحقة، التي تكون دينًا واحدًا ساير الإنسانية في نموها وتطورها حتى إذا بلغت أشدها كانت الخاتمة الملائمة هي ما استقر عليه التشريع الإسلامي وتم به دين الله، والكتاب الكريم ينطق بهذا فى مواطن كثيرة،فلا غضاضة على هذا التشريع إن هو أقر عادات محمودة صالحة للبقاء أو كانت فيه آثار الشرائع الإلهية السابقة، فذلك من كماله ومن أفضل محاسنه. [1] **وفي هذه العجالة لن نستطيع أن نأتي علي كل ما أقره القرآن، بل سنذكر ما تيسر ليكون عنواناً يفتح آفاق هذا الموضوع أمام طلابه، ودونك الأمثلة:**

إقرار عادة الجوار :

من عادات العرب الاجتماعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة الجوار، هذه العادة تعني دخول الرجل مكان الأعداء آمنًا لكونه دخل في عهد رجل كبير مهاب في قومه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦] والمعنى: وإذا طلب أحد من المشركين الدخول في جوارك - أيها النبي - ورغب في الأمان؛ فأجبه إلى

(١) موسوعة الفقه الإسلامي:١/٤.

طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويقف على هدايته، ثم أعدْه من حيث أتى آمنًا؛ ذلك الصنيع لإقامة الحجة عليه ؛ حيث إن الكفار قـوم جـاهلون بالإسـلام وشريعته، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم، وقد أورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن:٦] ما بيَّنَ أن الجوار عادة عربية أصيلة فقال: " كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يـدخل بـلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامـه وخفارته..."[(١)] وبالأمر الكـائن في آيـة التوبة ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ يكون الإقرار لهذه العادة العربية الأصيلة.

إقرار عادة تولي توثيق العهد ونقضه برجل من القبيلة:

ومن العادات الاجتماعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة تـولي نقـض العهد برجل من ذات القبيلة التي أبرمته، قال تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:١] حج أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – سنة تسع، وكـان على الموسم، ثم أمر أبا هريرة – رضي الله عنه – ((أن يؤذن في الناس بِمنًى، بأَنْ لا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ..، ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّـهِ – صلى الله عليه وسلم – عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًـى يَـوْمَ النَّحْرِ: لا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ))[(٢)].

قال العلماء: إن توهَّم مُتَوهِّمٌ أن في أخذ (براءة) من أبي بكر وتـسليمها إلى عليٍّ، تفضيلاً لعليٍّ على أبي بكر، فقد جهل؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أجرى العرب في ذلك على عادهم، قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقـد عهـدها

---

(١) ابن كثير: ٤/٤٢٩.

(٢) البخاري: كتاب: الصلاة باب: ما يستر من العورة، رقم:٣٥٦.

ونقضها، أن يتولىَّ ذلك على القبيلة رجل منها، وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقضَ العهد مَن ليس من رهط النبي – ﷺ – : هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود،فأزاح النبي – ﷺ – العلّة بما فعل[1].

إقرار عادة تعظيم حرمة البيت:

من العادات الاجتماعية الشرعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة تعظيم حرمة البيت، وتعظيم حرمة البيت تعني بسط الأمن والأمان على البيت وعلى من يدخله، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧] والآية تحمل أمراً بتأمين الحرم والداخل فيه من أن يصاب بأدنى مكروه، وذلك بدعاء إبراهيم – عليه السلام – حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] والتحذير من مجرد إرادة الظلم فيه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

وكانت العرب من قديم الزمان تعظم حرمته، ففي الجاهلية كان يقتل بعضهم بعضًا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة، قاله أكثر المفسرين[2].

وقد امتنَّ الله على عباده بأن جعل الكعبة البيت الحرام صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياتهم، قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧]، وبذا أقر الله تعالى عادة العرب المعظمة لحرمة بيته.

إقرار السقاية:

من العادات الاجتماعية التي أقرها القرآن الكريم: سقاية الحجيج، قال

(١) الفخر: ٤٥٢/٧،البيضاوي: ٢/ ٤١٦، وابن الجوزي:١٤٥/٣، الخازن: ٢/ ٢٢٦ .
(٢) البغوي:٣٢٩/١، والثعالبي:١٦٦/١.

تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[التوبة:١٩].

سقاية حجاج بيت الله الحرام عند العرب منقبة منذ القدم، وقد أورد الطبري وابن كثير: أن آية التوبة نزلت في علي وعباس وعثمان وشيبة – رضي الله عنهم – تكلموا في ذلك فقال العباس: ما أراني إلا أني تارك سقايتنا، فقال رسول الله – ﷺ – ((**أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا**))[1].

وقد أكد الإسلام على السقاية وأقرها من خلال ما نطق به – ﷺ – من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – الطويل وفيه : ((أتى النبي – ﷺ – بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وهم يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ: **انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**))[2]، قال النووي:" يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَم مَعْنَاهُ : يَغْرِفُونَ بِالدِّلاءِ وَيَصُبُّونَهُ فِي الْحِيَاض وَنَحْوهَا وَيُسْبِلُونَهُ لِلنَّاسِ.وَقَوْله – ﷺ – : ((**لَوْلا أَنْ يَغْلِبكُمْ النَّاس لَنَزَعْت مَعَكُمْ**)) مَعْنَاهُ: لَوْلا خَوْفِي أَنْ يَعْتَقِد النَّاس ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِك الْحَجّ وَيَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَغْلِبُونَكُمْ وَيَدْفَعُونَكُمْ عَنْ الاسْتِقَاء لاسْتَقَيْت مَعَكُمْ لِكَثْرَة فَضِيلَة هَذَا الاسْتِقَاء. وَفِيهِ فَضِيلَة الْعَمَل فِي هَذَا الاسْتِقَاء[3]، وعَنْ عَبْدِاللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ : ((.. **ألا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُذْكَرُ وَتُدْعَى مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ إِلا مَا كَانَ مِنْ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَسِدَانَةِ**

---

(١) الطبري: ٩٦/١٠، ابن كثير:٢٤٣.

(٢) مسلم: كتاب الحج باب: حجة النبي – ﷺ – رقم٢١٣٧. نزعْتُ الدَّلْوَ أَنزِعُها نَزْعاً، إذا أخْرَجْتَها. وأصل النَّزْع، الجَذْب. النهاية: ٧٩/٣.

(٣) النووي على مسلم: ١٩٤/٨، وفتح الباري: ٤٩٢/٣، وعون المعبود: ٢٦٨/٥.

الْبَيْتِ)) [(١)]. وكما أقر الإسلام ونبيه – ﷺ – السقاية والحجابة أقر – أيضًا – الرفادة بإطعام زوار البيت، والعمارة بتعهد البيت ورعايته، وهذا يؤكد وقوف الإسلام بجانب كل خير يعود على مجتمع الموحدين ولو كان من عادات غيره، فالإسلام لا يعرف التعصب، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

إقرار الحجابة:

من العادات الاجتماعية التي أقرها الإسلام : الحجابة، [(٢)] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء:٥٨]، حكى الحافظ ابن كثير أن كثيراً من المفسرين ذكر أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة حاجب الكعبة المعظمة، وذلك أنه – ﷺ – لما أخذ منه مفتاح الكعبة يوم الفتح، واطمأن الناس، خرج حتى جاء إلى البيت، فطاف به سبعًا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلها .. ثم أعطاه إياه .. ثم قال ابن كثير: "**وهذا من المشهورات** أن هذه الآية نزلت في ذلك،وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية: هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد"[(٣)]، حكى الألوسي أثناء مناقشته مكية سورة النساء

---

(١) سنن أبي داود كتاب: الديات باب: دية الخطأ شبه العمد رقم:٣٩٤١، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١١٣/٣.

(٢) الحجاب: الستر، وحجبه: أي: منعه عن الدخول، وحجابة الكعبة: سدانتها وتولي حفظها ممن بأيديهم مفاتيحها " . انظر ابن منظور في اللسان: حجب ٢٩٨/١.

(٣) ابن كثير : ٥١٦/١، وانظر القرطبي: ٢٥٦/٥. والطبري:١٤٥/٥، والبغوي:٤٤٣/١، ابن=

الاستشهاد باتفاق المفسرين على أن هذه الآية نزلت في شأن مفتاح الكعبة[(١)].

هكذا أقر النبي – ﷺ – أمر الحجابة كفضيلة وميزة يمتاز بها أهلها من العرب بصفة عامة، وعثمان بن طلحة ونسله بصفة خاصة.

إقرار تقليد الهدي وإشعاره:

من العادات الشرعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة تقليد الهدي وإشعاره، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة:٢] والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا تتعدَّوا حدود الله ومعالمه، .. ولا تستحِلُّوا حرمة الهَدْي، ولا ما قُلِّدَ منه، علامةً على أنه هَدْيٌ، وأن صاحبه يريد الحج.

وقد قلَّد النبي– ﷺ – ناقته،أي: وضع لها في عنقها عروة أو ضفيرة من صوف أو وَبَر علامةً على أن البهيمة هَدْيٌ، وأنه يريد الحج، وأشعرها – أي: جرحها – في صفحة سنامها الأيمن[(٢)]، علامة له لِيُعْلَم أَنَّهُ هَدْي، فَإِنْ ضَلَّ رَدَّهُ وَاجِده، وَإِنْ اخْتَلَطَ بِغَيْرِهِ تَمَيَّزَ.[(٣)]ولهذا كان تقليد الهدي من السنة والشعائر المسنونة[(٤)]، وقد كانت عادة قديمة في العرب، وأقرها النبي – ﷺ – في الإسلام.

=حجر في العجاب: ٨٩٥/١، السيوطي في الدر المنثور:٥٧٠/٢، وفي لباب النقول: ١٧١، وهي رواية ابن عباس ، قال صاحب الهيثمي: رواية ابن عباس رواها الطبراني في الكبير والأوسط، وفيها عبد الله بن المؤمل، وثقه ابن حبان، وقال: يخطئ، ووثقه ابن معين في رواية وضعفه جماعة. انظر مجمع الزوائد: باب في أمر مكة من الأذان والحجابة وغير ذلك، ٢٨٥/٣.

(١) الآلوسي: ١٧٨/٤، والإتقان:٤١/١.

(٢) مسلم كتاب: الحج باب: تقليد الهدي وإشعاره عند الإحرام رقم:٢١٨٤.

(٣) النووي على مسلم: ٢٢٨/٨.

(٤) ابن سعدي في تفسير الكريم المنان: ٢١٩/١.

المبحث الثالث

عادت عربية هذبها القرآن الكريم

وكما حفل المجتمع العربي بعادات أقرها القرآن الكريم فذكرها وخلَّدها وسطرها وحياً يتلى إلى يوم القيامة، فقد سجل – أيضاً – عادات وقف القرآن الكريم منها موقف التهذيب والتدرج حتى وصلت إلى الحق الذي أراده الله – تعالى– فرضيه لعباده، ولن نستطيع – في هذه العجالة – أن نأتي علي كل ما هذبه القرآن، بل سنذكر ما تيسر من الأمثلة المبينة لهدايات القرآن، وليكون عنواناً يفتح آفاق هذا الموضوع أمام طلابه وباحثيه، ودونك الأمثلة:

تهذيب عادة المساواة بين الفأل والطيرة:

من عادة العرب العقدية المساواة بين الفأل والطيرة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[النساء:٧٨]، تثبت هذه الآية الكريمة أن الكفار كانوا يتطيرون عندما يقع عليهم ما يكرهونه، وينسبونه إلى الرسول – ﷺ – جهالة وتشاؤمًا، وما علموا أن ذلك من عند الله وحده، بقضائه وقدره، والأصل في التطير: زجر الطير ثم كثر استعمال التطير حتى قيل لكل من تشاءم تطير، وكانت العرب تتيمن بالسانح، وهو الطير الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشاءم بالبارح وهو الطير الذي يأتي من ناحية الشمال، وكانوا يتطيرون – أيضًا – بصوت الغراب، وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها بعضًا على أمور، وبأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل

ذلك، وهكذا الظباء، إلا أن أقوى ما عندهم كان يقع في جميع الطير فسموا الجميع تطيرًا من هذا الوجه، وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن الطيرة، فعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: ((**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**))[1]، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي - ﷺ - الفأل وأبطل الطيرة[2].

تهذيب عادة التفاخر بالآباء:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠]، من عادات العرب الاجتماعية أنهم إذا قضوا حجهم يقفون عند الجمرة ، فيتفاخرون بالآباء، ويذكرون أيام أسلافهم من بسالة وكرم ، وغير ذلك، حتى أن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية.هذا قول جمهور المفسرين.[3]

تهذيب عادة رفع الصوت:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة رفع الصوت قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[لقمان:١٩]، هذه الآية الكريمة تأديب من الله - تعالى - للناس بترك الصياح في وجوه

---

(١) البخاري: كتاب: الطب باب: لا عدوى رقم: ٥٧٥٦.ومسلم: كتاب: السلام وباب:الطيرة والفأل٤١١٦.

(٢) الرازي:١٧٦/١٤.

(٣) ابن كثير: ٢٣٩/٨وانظر: أبا السعود:٢٠٩/١، وتفسير البيضاوي: ٤٨٧/١.

غيرهم تهاونًا بهم أو بترك الصياح جملة، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، وشاع ذلك في أشعارهم، فنهى الله – سبحانه وتعالى – عن هذا الخلق الجاهلي بقوله: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩]، أي: لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل سواء(١)، وقد أمر الله المؤمنين بغَضِّ الصوت في حضرة نبيهم – ﷺ – تأدبا معه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات:٣].

تهذيب عادة التحية:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة العرب في قولهم: حياك الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٨٦] يقول الفخر عن هذه الآية:" اعلم أن عادة العرب قبل الإسلام أنه إذا لقي بعضهم بعضاً قالوا: حياك الله ، واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة وطولها، فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام،...واعلم أن قول القائل لغيره: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله، وبيانه من وجوه : الأول : أن الحي إذا كان سليمًا كان حيًا لا محالة ، وليس إذا كان حياً كان سليمًا، فقد تكون حياته مقرونة بالآفات والبليات، فثبت أن قوله: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله . الثاني: أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فالابتداء بذكر الله أو بصفة من صفاته الدالة على أنه يريد إبقاء

(١) ابن عطية:٣٥١/٤، القرطبي:٧٢/١٤، الآلوسي:٩١/٢١.

السلامة على عباده أكمل من قوله: حياك الله. الثالث: أن قول الإنسان لغيره: السلام عليك فيه بشارة بالسلامة، وقوله: حياك الله لا يفيد ذلك، فكان هذا أكمل،ومما يدل على فضيلة السلام القرآن والأحاديث والمعقول"(١).

تهذيب عادة الحرمان من الميراث:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالشرع والتي هذبها القرآن بالتدرج فيها عادة حرمان البعض من الميراث، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة :١٨٠] قال ابن عاشور : " هذه الآية تغيير لما كانوا عليه في أول الإسلام من بقايا عوائد الجاهلية في أموال الأموات فإنهم كانوا كثيرا ما يمنعون القريب من الإرث بتوهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه، وربما فضلوا بعض الأقارب على بعض، ولما كان هذا مما يفضي بهم إلى الإحن وبها تختل الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام، وكانت عادة العرب في الجاهلية أن الميت إذا كان له ولد أو أولاد ذكور استأثروا بماله كله، وإن لم يكن له ولد ذكر استأثر بماله أقرب الذكور له من أب أو عم أو ابن عم الأدنى فالأدنى، وكان صاحب المال ربما أوصى ببعض ماله أو بجميعه لبعض أولاده أو قرابته أو أصدقائه، فلما استقر المسلمون بدار الهجرة واختصوا بجماعتهم شرع الله لهم تشريك بعض القرابة في أموالهم ممن كانوا قد يهملون توريثه من البنات والأخوات والوالدين في حال وجود البنين ولذلك لم يذكر الأبناء في هذه الآية، وخص الوالدين والأقربين لأنهم

(١) الفخر: ٣١٢/٥، الآلوسي:٩٨/٥، أبو السعود:٢١١/١، النسفي:٢٣٧/١.

مظنة النسيان من الموصى، لأنهم كانوا يورثون الأولاد أو يوصون لسادة القبيلة، وقدم الوالدين للدلالة على أنهما أرجح في التبدية بالوصية، وكانوا قد يوصون بإيثار بعض أولادهم على بعض أو يوصون بكيفية توزيع أموالهم على أولادهم، ومن أشهر الوصايا في ذلك وصية نزار بن معد بن عدنان إذ أوصى لابنه مضر بالحمراء، ولابنه ربيعة بالفرس، ولابنه أنمار بالحمار، ولابنه إياد بالخادم، وجعل القسمة في ذلك للأفعى الجرهمي، وقد قيل: إن العرب كانوا يوصون للأباعد طلبًا للفخر ويتركون الأقربين في الفقر، وقد يكون ذلك لأجل العداوة والشنآن، ..ثم إن آية المواريث التي في سورة النساء نسخت هذه الآية نسخًا مجملاً فبينت ميراث كل قريب معين؛ فلم يبق حقه موقوفا على إيصاء الميت له؛ بل صار حقه ثابتا معينا رضي الميت أم كره، فيكون تقرر حكم الوصية في أول الأمر استئناسا لمشروعية فرائض الميراث، ولذلك صدر الله تعالى آية الفرائض بقوله :﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء:١١] فجعلها وصية نفسه – سبحانه – إبطالاً للمنَّة التي كانت للموصى، فعَنْ جَابِرٍ – رضي الله عنه– قَالَ: ((عَادَنِي النَّبِيُّ – ﷺ – وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْنِ فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ – ﷺ – لا أَعْقِلُ شَيْئًا فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَنَزَلَتْ " ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾))[1] فدل على أن آخر عهد بمشروعية الوصايا سؤال جابر بن عبد الله، وفي البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –

(١) البخاري: كتاب:تفسير القرآن، باب: يوصيكم الله في أولادكم، رقم:٤٥٧٧، ومسلم: كتاب الفرائض باب: ميراث الكلالة، رقم: ٣٠٣٢.

قَالَ: كَانَ الْمَالُ لِلْوَلَدِ، وَكَانَتْ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ، فَنَسَخَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ [(١)]. وقد اتفق علماء الإسلام على أن الوصية لا تكون لوارث والأدلة على ذلك متظاهرة". [(٢)]

تهذيب عادة التعدد في الزواج:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة التزوج بأكثر من أربعة، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء:٣] ، هذّب القرآن الكريم عادة التعدد في الزواج، حيث كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والست والعشر فيقول الآخر: ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان، فيأخذ مال اليتيم فيتزوج به، فنهوا أن يتزوج الرجل فوق الأربع[(٣)]. قال النحاس:"ولم يزل المسلمون من لدن رسول الله - ﷺ - إلى هذا الوقت يحرمون ما فوق الأربع بالقرآن والسنة". [(٤)]

تهذيب عادة الإيلاء:

من العادات الاجتماعية التي هذبها الشرع الإيلاء، قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٦] فقد "كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها فكان

---

(١) البخاري: كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث ، رقم:٢٧٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٣/٥٠٨.

(٣) وردت روايات يعضد بعضها بعضاً تحكى هذه العادة أوردها الحافظ ابن حجر في العجاب: ٢/٨٢٦.والحافظ السيوطي في الدر المثور ٢/٤٢٧.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٢٩٢.

يتركها بذلك لا أيما ولا ذات بعل، والغرض منه مضارة المـرأة ثم إن أهـل الإسلام كانوا يفعلون ذلك – أيضا – فأزال الله – تعالى – ذلـك وأمهـل للزوج مدة أربعة أشهر حتى يتروى ويتأمل، فإن رأى المصلحة في ترك هـذه المضارة فعلها، وإن رأى المصلحة في المفارقة عن المرأة فارقها" قاله سعيد بـن المسيب. [1]

تهذيب عادة الظهار:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن الظهار، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[المجادلة:٢]، هذه الآية الكريمة تعيب على المظاهرين قولهم، وتبين أنهم قد عصوا الله وخالفوه؛ لأنهـم قـالوا قـول زور وكذب،و الظهار: قول الرجل لامرأته أنت عليَّ كظهر أمـي،أي: في حرمـة النكاح، وكان الظهار طلاقًا عند أهل الجاهلية، فكانوا يتجنبون المرأة المظـاهر منها كما يتجنبون المطلقة[2]، قال القرطبي: وحكم الظهار عند بعض العلمـاء ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقًا، وقد روي معنى ذلك عن ابـن عباس وأبي قلابة وغيرهما[3]، فالقرآن جعل للظهار في الإسلام حكمه وكفارته المخالفة للطلاق.

---

(١) الفخـر:٦٩/٦، ابـن عطيـة:٣٠٢/١، والقـرطبي:٢٧٠/١٧، وابـن كـثير:٣٢٢/٤، والبغوي:٢٠٢/١، وابن الجوزي:٢٥٦/١، غريب القرآن : ٥٢٩.

(٢) الزمخشري:٥٢٩/٣، النحاس: ٣٠٢/٣، والشوكاني:١٨١/٥، المحرر الوجيز:٣٦٨/٤ .

(٣) القرطبي:٢٨٧/١٧.

تهذيب عادة الطلاق:

من العادات الاجتماعية: الطلاق، وقد وقف القرآن منـها موقـف التهذيب بجعله الطلاق مرتين، قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقـرة:٢٢٩] كان أهل الجاهلية وأهل الإسلام قبل نزول هذه الآية لم يكن لطلاقهم نهاية، حيث كان الرجل يطلق ما شاء، ثم إن راجع امرأته قبل أن تنقضي عدتها كانت امرأته، فعنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ((كَانَ النَّاسُ وَالرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ مَا شَاءَ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَهِيَ امْرَأَتُهُ إِذَا ارْتَجَعَهَا وَهِيَ فِي الْعِدَّةِ وَإِنْ طَلَّقَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ، حَتَّى قَالَ رَجُلٌ لامْرَأَتِهِ: وَاللَّهِ لا أُطَلِّقُكِ فَتَبِينِي مِنِّي وَلا آوِيكِ أَبَدًا قَالَتْ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: أُطَلِّقُكِ فَكُلَّمَا هَمَّتْ عِدَّتُكِ أَنْ تَنْقَضِيَ رَاجَعْتُكِ، فَذَهَبَتْ الْمَرْأَةُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَسَكَتَتْ عَائِشَةُ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ – ﷺ – فَأَخْبَرَتْهُ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ – ﷺ – حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾))[1]. وبذا هذَّب الإسلام هذه العادة.

التهذيب بالعدة:

من العادات الاجتماعية المتصلة التي هذبها القرآن عادة تخص الطلاق حيث لم يكن للمطلقة عدَّة فنـزل القرآن بعدة للمطلقـة، قـال تعـالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾[البقـرة:٢٢٨] كان أهل الجاهلية يطلق أحدهم ليس لذلك عدة، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الأَنْـصَارِيَّةِ أَنَّهَـا

(١) سنن الترمذي: كتاب الطلاق، باب: ما جاء في طلاق المعتوه، رقم:١١١٣، قَالَ أَبُو عِيسَى وَهَـذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ شَبِيبٍ.

طُلِّقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه – ﷺ – وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُطَلَّقَة عدَّةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّـهُ – ﷻ – حِينَ طُلِّقَتْ أَسْمَاءُ بِالْعِدَّة لِلطَّلاقِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أُنْزِلَتْ فِيهَا الْعِدَّةُ لِلْمُطَلَّقَاتِ[1].

تهذيب عادة الإحداد:

من العادات الاجتماعية الإحداد على المتوفى، وقد تدرج القرآن في هذه العادة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] قال العلماء:" يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى ، وكان ذلك أول الإسلام على الصحيح ، ثم نسخت المدة بقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فإنه وإن كان متقدمًا في التلاوة متأخر في النزول، وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن[2]، ومن هنا فلا يحل الإحداد فوق ثلاث إلا على زوج، لحديث زينب بنت أبي سلمة قالت: قال رسول الله – ﷺ –: ((**لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ، إِلا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**))[3]. وبذا يظهر التدرج المهذَّب لمدة الإحداد، وهذا من باب التخفيف والرحمة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

---

(١) أبو داود: كتاب الطلاق، باب في عدة المطلقة، رقم: ٢٢٨١، وحسَّنه الألباني ٣٤/٢.

(٢) أبو السعود : ٢٣٦/١، ابن كثير: ٢٩٧،٢٨٧/١، البغوي: ٢١٣/١،الألوسي: ١٥٩/٢.

(٣) البخاري: كتاب الجنائز، باب: إحداد المرأة على غير زوجها، رقم: ١٢٨٠.

تهذيب عادة تغيير الأشهر الحرم:

من عادات العرب الاجتماعية: تعظيم الأشهر الحرم، إلا أنهم كانوا يتلاعبون فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧] الآية تكشف عادة من عادات العرب في الجاهلية وهي النسيء في الأشهر الحرم، فهم كانوا يقرون بحرمة القتال في الأشهر الحرم – ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب – إلا أنهم كانوا يستكثرون الأيام دون إغارة على بعضهم البعض، فنتج عن ذلك النسيء للأشهر الحرم الذي هو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر،ليكون في نهاية الأمر ما مجموعه أربعة أشهر حرم في كل عام ولو في غير مكانها،وهذا ما وصفه الله بأنه زيادة في الكفر(١)،ومن هنا كان تهذيب هذه العادة بجعلها في عين مكانها من العام،وجعل التلاعب فيها زيادة في الكفر.

تهذيب عادة الجدال في الحج:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة الجدال في الحج، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٩٧]. وردت صور متعددة تضرب أمثلة على الجدال الذي كان من عادة العرب في معظم الأحوال، والذي تطرَّق إلى مناسك الحج، من هذه الأقوال: أن قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة، وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن أصوب، ويقول

(١) الطبري:٥٤/٦، الزمخشري: ٢٥٧/٢، وابن عطية: ٢٩٠/١، ١٤٦/٢، أبو السعود:٦٣/٤، الآلوسي: ٩١/١٠، النسفي:٨٨/٢. الكلبي: ٧٥/٢، السمرقندي:٤٩١/٣، الواحدي :١٣٠/١.

هؤلاء: نحن أصوب[1]،كلهم يدعى أن موقفه موقف إبراهيم - عليه السلام - فقطعه الله حين أعلم نبيه بالمناسك،وكلهم يدعي تمام حجه، ونقصان حج غيره،قول بعضهم الحج غدًا وقول بعضهم الآخر الحج اليوم،وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الأقوال وهو قطع التنازع في مناسك الحج والله أعلم[2]. فالحج أصل قائم والمناسك كائنة، ولكن الذي هذّب هو منطق العرب في جدالهم وخصوماتهم من ذلك لا يليق بالحج ولا يليق فيه.

تهذيب عادة اتباع الهوى في إبداء الرأي:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن الكريم: اتباع الهوى في إبداء الرأي، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]، جاء التوجيه في هذه الآية الكريمة مهذباً لعادة عربية قديمة وهي: تكلم المرء بما يشاء هو وفعله لما يحب ولو في حضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ ((أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدٍ، وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرْ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا أَرَدْتَ إِلَى -أَوْ إِلاَّ- خِلافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلافَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ حَتَّى انْقَضَتْ الآيَةُ))[3].

قال الحافظ في الفتح:" قَالَ اِبْن عَطِيَّة : الصَّحِيح أَنَّ سَبَب نُزُول هَذِهِ

(١) ابن كثير:١/٢٣٩.

(٢) ابن كثير:١/٢٣٩.

(٣) البخاري: كتاب تفسير القرآن: باب: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، رقم: ٤٤٦٩.

الآيَة كَلام جُفَاة الأعْرَاب . قُلْت: لا يُعَارِض ذَلِكَ هَذَا الْحَدِيث، فَإِنَّ الَّذِي يَتَعَلَّق بِقِصَّةِ الشَّيْخَيْنِ فِي تَخَالُفهمَا فِي التَّأْمِير هُوَ أَوَّل السُّورَة ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ وَلَكِنْ لَمَّا اِتَّصَلَ بِهَا قَوْله :﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ﴾ تَمَسَّكَ عُمَر مِنْهَا بِخَفْضِ صَوْته، وَجُفَاة الأعْرَاب الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هُمْ مِنْ بَنِي تَمِيم، وَالَّذِي يَخْتَصّ بِهِمْ قَوْله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾، قُلْت: وَلا مَانِع أَنْ تَنْزِل الآيَة لأسْبَاب تَتَقَدَّمهَا ، فَلا يُعْدَل لِلتَّرْجِيحِ مَعَ ظُهُور الْجَمْع وَصِحَّة الطُّرُق، وَلَعَلَّ الْبُخَارِيّ اِسْتَشْعَرَ ذَلِكَ فَأَوْرَدَ قِصَّة ثَابِت بْن قَيْس عَقِب هَذَا لِيُبَيِّن مَا أَشَرْت إِلَيْهِ مِنْ الْجَمْع ، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ كُلّه بِتَرْجَمَةِ " بَاب قَوْله:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾"، إِشَارَة إِلَى قِصَّة جُفَاة الأعْرَاب مِنْ بَنِي تَمِيم.[1] فهذه الآية جاءت مهذبة لأهل الرأي من العرب خاصة عند الاختلاف ورفع الصوت بين يدي الله ورسوله.

(١) انظر فتح الباري:٨/٤٥٦، وأما ما أشار إليه الحافظ من رأي ابن عطية فهو قوله: كانت عادة العرب وهي- إلى الآن- الاشتراك في الآراء وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب، فمشى بعض الناس ممن لم تتمرن نفسه مع النبي-ﷺ- على بعض ذلك، و..ربما قال قوم لو نزل كذا وكذا في معنى كذا وكذا، وينبغي أن يكون كذا، ...فنزلت الآية...انظر المحرر الوجيز: ٥/١٤٤.

المبحث الرابع

عادات عربية أبطلها القرآن الكريم

كما حفل المجتمع العربي بعادات أقرها القرآن الكريم فذكرها وخلَّدها وسطرها وحياً يتلى إلى يوم القيامة، وحفل بعادات هذبها، فقد سجل – أيضاً – عادات وقف القرآن الكريم منها موقف الرفض والإبطال لخطورتها على المسلمين بصفة خاصة، وعلى الناس بصفة عامة، ولن نستطيع أن نأتي علي كل ما أبطله القرآن – في هذا المقام – بل سنذكر نماذج تكون عنواناً يفتح آفاق هذا الموضوع أمام أهل العلم وذوي الاهتمام، ودونك الأمثلة:

إبطال عادة عبادة الأوثان:

أبطل القرآن عادة عربية تزيل العقيدة من أساسها تتمثل في عبادة الأوثان، حيث قال تعالى:﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾[الحج:٣٠] والرجس: الشيء القذر، والوثن: التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها والنصارى تنصب الصليب وتعبده[١]، فجاءت الآية الكريمة بتحريم ذلك وتجريمه فأصبح العرب بصفاء التوحيد إخواناً.

إبطال عادة نسبة نزول المطر ونحوه إلى الأنواء:

من العادات العقدية التي أبطلها القرآن الكريم نسبة حصول الأشياء إلى الأنواء، قال تعالى:﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾ [يونس:٢١] قوله تعالى:﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ

---

(١) القرطبي:١٢/٥٤.

ءَايَاتِنَا ﴾ أي: بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها، والظاهر أن المراد بالآيات الآيات القرآنية، وقيل: المراد بها الآيات التكوينية كإنزال الحياة، ومكرهم فيها: إضافتها إلى الأصنام والكواكب، وقيل: إن الناس عام لجميع الكفار ولا يجوز حمله على ما يشمل العصاة ، وكانت العرب تضيف الأمطار وكذا الرياح والحر والبرد إلى الأنواء، وهو جمع نوء مصدر ناء ينوء إذا نهض بجهد ومشقة، ويقال ذلك – أيضًا – إذا سقط، فهو من الأضداد، ويطلق على النجم الذي هو أحد المنازل الثمانية والعشرين، وهو المراد في كلامهم إلا أن الإضافة إليه باعتبار سقوطه مع الفجر وغروبه كما هو المشهور أو باعتبار طلوعه ذلك الوقت كما قال الأصمعي، وقد عُد القائل بتأثير الأنواء كافرًا، فقد روى الشيخان عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – ((**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ** ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، **قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**))[(١)]، ولعل كون ذلك من الكفر بالله – تعالى – لاعتقاد زعمٍ هو أن للكواكب تأثيرًا اختياريًا ذاتيا في ذلك[(٢)]، وبهذه الآية الكريمة ومثيلاتها خلصت العقيدة من أدران الشرك، إذ لا مؤثر في الكون إلا الله تعالى.

إبطال عادة الاستعاذة بالجن:

من العادات العربية المتصلة بالعقيدة والتي أبطلها القرآن الكريم: استعاذة

(١) البخاري : كتاب الجمعة، باب: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون، رقم: ١٠٣٨، ومسلم: كتاب الإيمان باب: بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء، رقم :١٠٤.

(٢) الكشاف:٣/٢٩٢،الفخر:١٧/٥٣،البيضاوي:٥/٢٩٣،روح المعاني:١١/٩٣، ٢٩/١٧١،النسفي:٤/ ٣٠٧.

البشر بعظيم المكان من الجن، وقد صور القرآن هذه العادة السيئة بقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] أي: إن الجن كانوا يرون أن لهم فضلاً على الإنس؛ لأن الإنس كانوا يعوذون بهم، إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها،يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم زادوهم خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يظل الإنس في خوف دائم لا ينقطع[1].

ولإبطال هذه العادة الشركية أمرنا ربنا ألا نستعيذ إلا به – سبحانه– قال تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] وقال – أيضاً –:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، والأحاديث بينت أنه لا استعاذة ولا استعانة إلا بالله وحده.

إبطال اعتقاد وجود قلبين في صدر الذكي اللبيب:

من مزاعم العرب الفكرية التي تناقلوها ونزل في إبطالها قرآن يتلى إلى يوم القيامة اعتقادهم بأن الذكي اللبيب له قلبان، قال تعالى:﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: "اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُرَادِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَنَى بِذَلِكَ تَكْذِيبَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَصَفُوا نَبِيَّ اللَّهِ – ﷺ – بِأَنَّهُ ذُو قَلْبَيْنِ، فَنَفَى ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ وَكَذَّبَهُمْ ثُمَّ ذَكَرَ أَثَرَ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا، ثُمَّ قَالَ : وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ عَنَى بِذَلِكَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يُدْعَى ذَا الْقَلْبَيْنِ مِنْ ذِهْنِهِ ثُمَّ ذَكَرَ

---

(١) القرطبي: ٤٣١/٢، تفسير الثعالبي:١١٦/١ ، المحرر الوجيز: ٢٧٦/١.

مَنْ قَالَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ عَنَى بِذَلِكَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – كَانَ تَبَنَّاهُ فَضَرَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَثَلاً" (١).

قال صاحب غوامض الأسماء المبهمة:" والشاهد لذلك – أي: لنزول الآية في أبي معمر – ما أنبأ به أبو محمد عبد الرحمن بن محمد عن أبيه قال: ثنا أبو علي بن أيوب..عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من قريش من بني فهر يقال له: جميل بن أسد يُكنى أبا معمر وكان راوية للحديث حافظًا له، فكان يرويه ويحدث به قريشًا، فيتعجبون من حفظه للحديث وروايته وكثرة حديثه، فكانت قريش تقول: له قلبان يعني له عقلان في جوفه، وللناس قلب واحد، حتى إذا كان يوم بدر وهزم الله المشركين انهزم أبو معمر بن أسد فيمن انهزم من المشركين، فأخذ في الخيل فتلقى أبا سفيان من وراء الخيل في العير وأبو معمر معلق إحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال أبو سفيان: يا أبا معمر ما فعل الناس قال: انهزموا فبين معقول وبين هارب، قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخر في رجلك؟! قال: والله ما شعرت إلا أنهما جميعًا في رجلي؛ فعرفوا حينئذٍ أنه لو كان له عقلان في جوفه ما نسي نعله في يده، فنزلت هذه الآية ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ يعني: أبا معمر، ﴿مِّن قَلۡبَيۡنِ ﴾ يعني: عقلين، ﴿فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ يعني: صدره"(٢). وعلى هذا القول فإن الآية تبطل ذلك الزعم، لأن لكل إنسان قلباً واحداً مهما كان.

---

(١) الطبري:١١٨/٢١، والقرطبي: ١١٦/١٤، الآلوسي:١٤٤/٢١، وابن كثير:٤٦٧/٣، تحفة الأحوذي: ٤٣/٩.

(٢) غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال:٧٠٤/٢.

إبطال عادة الدخول على الغير دون إذن:

ومن العادات الاجتماعية التي حرمها القرآن الكريم: عدم الاستئذان، حيث رصد القرآن الكريم هذه العادة ووجهها الوجهة الصحيحة حفاظاً على العورات والأسرار وعلاقات الناس العامة، حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[النور:٥٨].

حدد الله تعالى للمملوكين وللأطفال ثلاث أوقات لا يدخلون فيها إلا بإذن، لأنها أوقات انكشاف العورات وإتيان الزوجات، وهي من قبل صلاة الفجر وحين وضع اللباس وقت الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، وبذا انتهت عادة مرذولة كادت تعصف بالبيوت، وكم شكا منها الصحابة، كما حكى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – بعث غلامًا من الأنصار إلى عمر ليدعوه فوجده نائمًا في البيت فدفع الباب وسلم فلم يستيقظ عمر، فعاد ورد الباب، وقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ، فقال الغلام: اللهم أيقظه لي، ودفع الباب ثم ناداه، فاستيقظ وجلس، ودخل الغلام، فانكشف من عمر شيء، وعرف عمر أن الغلام رأى ذلك منه، فقال: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى الرسول – ﷺ – فوجده قد نزلت عليه الآية:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ... ﴾ ، فحمد الله – تعالى – عند ذلك، وقال بعضهم:

نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت: إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فيه فأتت رسول الله - ﷺ - فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت الآية[١].

وعندما يبلغ الطفل الحلم عليه أن يستأذن إن أراد الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، لقوله تعالى:"﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور:٥٩].

إبطال الإسلام عادة الاختلاط:

من العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم:الاختلاط،قال تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

قال الإمام النووي والخطابي في شرح حديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- ((..**وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ**))[٢]:كَانَ الْحَدِيث مِنْ الرِّجَال إِلَى النِّسَاء مِنْ عَادَات الْعَرَب لا يَرَوْنَ ذَلِكَ عَيْبًا وَلا يَعُدُّونَهُ رِيبَة، فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَة الْحِجَاب، وَصَارَتْ النِّسَاء مَقْصُورَات ؛ نَهَى عَنْ مُحَادِثَتهنَّ وَالْقُعُود إِلَيْهِنَّ. [٣]

(١) أورد المفسرون هذه الأسباب وغيرها. انظر: الفخر:٢٦/٢٤، وابن كثير:٣٠٤/٣، والسيوطي في الدر المنثور: ٢١٧/٦.

(٢) مسلم: كتاب: الحج باب: حجة النبي - ﷺ - رقم:٢١٣٧.

(٣) النووي على مسلم:١٨٤/٨، والسيوطي في الديباج: ٣٢٦/٣، وعون المعبود:٥٦٣/٥. وحاشية السندي على ابن ماجة: ١٠٨/٤.

ومن العجيب قيام الغرب برعاية مؤتمرات عالمية أهمية الهدف منها إشاعة الاختلاط بين الذكور والإناث على كل المستويات التعليم، العمل ...، واعتبار عدم الاختلاط بين الجنسين نوعاً من التخلف الرجعي الذي يجب على المسلمين أن ينتهوا عنه ، والله غالب على أمره.

إبطال عادة التبرج:

من العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم : عادة التبرج، وقد نهى القرآن الكريم عنها فقال- عز من قائل- :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣] والتبرج: إظهار الزينة، والنهي عنه نهي عن إظهار المرأة لزينتها ومحاسنها - كقلائدها وقرطها وعنقها وكل ما يصاحب ذلك من تكسر أو تغنج- للرجال، قاله مقاتل.

وقد فسر العلماء تبرج الجاهلية الأولى بأقوال منها: ما كان عليه نساء الجاهلية من الانكشاف والتعرض للنظر، في أزمان سابقة كزمن ما بين آدم ونوح – عليهما السلام – ، والجاهلية الأخرى من كان بعده، وقيل: زمن ما بين موسى وعيسى – عليهما السلام – ، أو زمن ما بين عيسى ومحمد- عليهما السلام – وقيل: الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر وما قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى: حال من عمل في الإسلام بعمل الكافرين والفاسقين ، ويؤيد ذلك قوله – ﷺ – لأبي ذر: ((**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**)) أي: خصلة من خصال الجاهلية، أو فيك جهل [1]، قال الجصاص:" فهذه الأمور كلها مما أدب الله

(١) الفخر: ١٨١/٢٥، وابن كثير :٤٨٣/٣، والكلبي :١٣٧/٣، وأبو السعود : ١٠٢/٧.والحديث رواه البخاري كتاب: الإيمان باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها.رقم:٣٠.وانظر فتح الباري:٨٧/١، ٤٦٨/١٠.

تعالى به نساء النبي – ﷺ – صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها".[١]

إبطال عادة التعري عند الطواف:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالعبادات والمرفوضة: عادة الطواف بالبيت مع التجرد من الثياب، وقد أبطل الله – تعالى – هذا الصنيع الأخرق، وأنزل قرآناً يتلى إلى يوم القيامة حيث قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، قال ابن عباس: إن أهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، وكانوا إذا وصلوا إلى مسجد منى طرحوا ثيابهم، وأتوا المسجد عراة، وقالوا: لا نطوف في ثياب أصبنا فيها الذنوب، ومنهم من يقول: نفعل ذلك تفاؤلاً حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب، وكانت المرأة منهم تتخذ ستراً تعلقه على حقويها لتستتر به، وأما الحِمس – وهم قريش – فإنهم كانوا لا يفعلون ذلك، وكانوا يصلون في ثيابهم، ولا يأكلون من الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، فقال المسلمون: يا رسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أي: البسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا. [٢] هذا وقد أمَّرَ رسولُ الله –ﷺ– أبا بكر على الحج بالناس وأنفذه، ثم أتبعه علي بن أبي طالب على ناقته العضباء، وأمره أن يؤذن في الناس بأربعة أشياء، وهي: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وفي

---

(١) الجصاص في أحكام القرآن:٥/٢٣٠. قلت: لقد عاب القرآن على أهل الجاهلية ما يعد الآن حشمة – إن صح التعبير – إذا ما قيس بتبرج أهل زماننا هذا مما يجعل الحليم حيرانَ، فماذا نحن فاعلون مع العري والمجون والفوضى التي عصفت بمجتمعات المسلمين ؟ الجواب في شيء واحد لا ثاني له هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله – ﷺ – فالذي أصلح أولنا هو وحده الذي يصلحنا.

(٢) الشنقيطي:٤/٢٤١، ابن جزي:٢/٣١، الفخر:١٤/٥٠ ، والمحرر الوجيز:٣/٦.

بعض الروايات: ولا يدخل الجنة كافر، ولا يطوف بالبيت عريان.(1)

ولكذبهم كانوا يلصقون كل خطيئة أو فاحشة بالله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨]، ومن هنا قضى القرآن الكريم على هذه العادة المرذولة، وغسل المجتمع المسلم من أدرانها.

إبطال عادة اتخاذ الأخدان:

أبطل القرآن عادة اجتماعية متصلة بالحلال والحرام وهي عادة الزنى في السر باتخاذ الأخدان، قال تعالى:﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء:٢٥] قال القرطبي: قيل: المسافِحة: المبذولة، وذات الخدن: التي تزني بواحد - يعني في السر -، وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنى ولا تعيب اتخاذ الأخدان، ثم رفع الإسلام جميع ذلك، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ..﴾ ، وقال- أيضاً- : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ... وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ... ﴾ [الأنعام:١٥١] ، وقال- أيضاً- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] (2).

ومما نحذر منه في أيامنا هذه ما انتشر في بعض المجتمعات من فساد أخلاقي داخل بعض البيوت المسلمة وغيرها أدى إلى الزنى بين المحارم في السر، وذلك

---

(1) البخاري: كتاب: الصلاة، باب: ما يستر من العورة، رقم:٣٦٩، ومسلم: كتاب الحج ، باب: لا يحج بعد العام مشرك.

(2) القرطبي: ١٤٣/٥، والشوكاني: ٤٥١/١.

لأسباب متعددة منها: مشاهدة القنوات الفضائية الداعرة، ودخـــول النـــت دون ترشيد، وغياب الأب مدة طويلة عن بيته، وعمل المرأة وترك الأولاد دون رقيب، وتشجيع المجتمع الدولي للفساد ومحاربة العفة عالميًا ، حتى أصبح القابض على دينه كالقابض على جمر.

إبطال عادة القذف والرمي:

ومن العادات الاجتماعية التي لا تمت إلى الشريعة بصلة: القذف ورمـــي المحصنين والمحصنات، وقد نهى الله – تعالى – عن هذا المرض وأبطله فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] قال الفخر: قيل المراد من الآية : النهي عن القذف ورمي المحـــصنين والمحصنات بالأكاذيب ، وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكروها في الهجاء ويبالغون فيه(١).

وقد تظاهرت الآيات محذرة من هذا العيب المشين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:٢٣].

إبطال عادة وراثة المرأة:

من العادات الاجتماعية الظالمة التي قضي عليها الإسلام قضاء مبرمـــاً: جعل المرأة موروثة شأنها شأن الجماد والحيوان، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ... ﴾ [النساء:١٩]، وسبب نزول هذه الآية الـــذي جاء بألفاظ متعددة كلها يبين عادة العرب في غمط المرأة حقها : ما أخرجـــه البخاري وغيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : ((كـــانوا إذا مـــات

(١) الفخر: ٥٢/١٠، النيسابوري: ١٠٤/٥.

الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت))[1]، وفي لفظ لابن جرير وابن أبي حاتم عنه: ((فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها))[2]، يقول ابن حجر: كانت هذه العادة في الجاهلية، في أهل المدينة، وقد استمرت في أول الإسلام إلى أن نزلت هذه الآية ، وبذلك جزم الواحدي[3].

والمقصود من الآية نهي الأولياء عن ظلم المرأة[4]، وبإبطال هذه العادة الظالمة أصبحت المرأة لا تورث بل لها هي الحق في الميراث وتملّك المال، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

إبطال عادة مراجعة المرأة استخفافا بها:

من العادات الاجتماعية السيئة مراجعة المرأة بهدف الاستخفاف بها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ

---

(١)كتاب التفسير، باب: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا رقم:٤٥٧٩.

(٢) الطبري:٣٠٥/٤.

(٣) فتح الباري: ٨/ ٢٤٧.

(٤) والدر المنثور:٤٦٢/٢، الطبري:٣٠٥/٤، القرطبي: ٩٤/٥، وابن كثير:٤٦٦/١، الآلوسي: ٢٤١/٤، والجصاص:٤٦/٣، والسيوطي في لباب النقول: ٦٥. ومن صور هذه العادة ما حكاه الزهري وأبو مجلز قالا: كان من عاداتهم إذا مات الرجل وله زوجة ألقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبته ثوبه على المرأة، فيصير أحق بها من نفسها ومن أوليائها، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها و لم يعطها شيئًا، وإن شاء عضلها لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت فيرثها، فنزلت الآية.انظر الشوكاني :٤٤٠/١.

بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣١]. فقد بين الله – تعالى – في هذه الآية أنه يجب احترام أمر النساء، ومن ذلك أمر الطلاق والرجعة ، وعدم اتخاذ ذلك هزوًا، يقول أبو حيان:"والذي يظهر أنه- تعالى- لما أنزل آيات تضمنت الأمر والنهي في النكاح، وأمر الحيض والإيلاء،والطلاق والعدة،والرجعة والخلع،وترك المعاهدة، وكانت هذه أحكامها جارية بين الرجل وزوجته، وفيها إيجاب حقوق للزوجة على الزوج، وله عليها، **وكان من عادة العرب عدم الاكتراث بأمر النساء والاغتفال بأمر شأنهن**،وكنّ عندهم أقل من أن يكون لهنّ أمر أو حق على الزوج، فأنزل الله فيهنّ ما أنزل من الأحكام، وحدّ حدوداً لا تتعدى، وأخبرهم أن من خالف فهو ظالم متعدٍّ، أكد ذلك بالنهي عن اتخاذ آيات الله – التي منها هذه الآيات النازلة في شأن النساء – هزءًا ، بل تؤخذ وتتقبل بجد واجتهاد، لأنها من أحكام الله، فلا فرق بينها وبين الآيات التي نزلت في سائر التكاليف التي بين العبد وربه، وبين العبد والناس" .[(١)] وهذه الآية ومثيلاتها ترد على كل زاعق أو ناعق يتهم الإسلام بعدم تحرير المرأة.

إبطال عادة عضل المرأة:

ومن عادات العرب الاجتماعية التي أبطلها القرآن عادة عضل المرأة بالتحكم في تزويجها، بل ومنعها ممن تحب انتصاراً من وليها لمصلحته هو، ضارباً بالمرأة وبمستقبلها عرض الحائط، قال تعالى محذراً: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ

(١) أبو حيان: ٤١٧/٢.

يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

هذه الآية جاءت رداً على عادات العرب في الجاهلية والتي بموجبها كان الرجال يتحكمون في تزويج النساء، إذ لم يكن يزوّج المرأة إلا وليُّها، وقد يزوجها بمن تكره، ويمنعها ممن تحب لمصلحته هو، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ((أَنَّهُ زَوَّجَ أُخْتَهُ رَجُلاً مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه – ﷺ – فَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا كَانَتْ ثُمَّ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً لَمْ يُرَاجِعْهَا حَتَّى انْقَضَتْ الْعِدَّةُ، فَهَوِيَهَا وَهَوِيَتْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا مَعَ الْخُطَّابِ، فَقَالَ لَهُ: يَا لُكَعُ أَكْرَمْتُكَ بِهَا وَزَوَّجْتُكَهَا فَطَلَّقْتَهَا !! وَاللَّهِ لا تَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبَدًا آخِرُ مَا عَلَيْكَ، قَالَ: فَعَلِمَ اللَّهُ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا وَحَاجَتَهَا إِلَى بَعْلِهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ... ﴾..فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْقِلٌ قَالَ: سَمْعًا لِرَبِّي وَطَاعَةً، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ))[1].

وبذا كان التحذير الصارم من الله للكف عن منع المرأة ظلماً وعضلها.

إبطال زواج الرجل من امرأة أبيه:

من سيء العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم زواج الرجل من امرأة أبيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٢٢].

قال ابن جزي الكلبي:" كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده فنزلت الآية تحريمًا لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد"[2].

(١) الترمذي كتاب:تفسير القرآن باب:ومن سورة البقرة رقم: ٢٩٠٧ ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) ابن جزي الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣٥/١.

وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقتي أو مقيت، وكــان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية. وعن البراء بن عازب قال: مر بي خالي ومعه لواء فقلت أين تذهب؟ قال: بعثني النبي-ﷺ- إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه (١)، وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم وكان نكــاح الأمهات من أقبح الأشياء عند العرب، فلما كان هذا النكاح يشبه ذلك لا جرم كان مستقبحًا عندهم، فبين الله - تعالى - أن هذا النكاح أبدًا كــان ممقوتًــا وقبيحًا، ومراتب القبح ثلاثة القبح في العقول وفي الشرائع وفي العادات،فقولــه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ إشارة إلى القبح العقلي، وقوله:﴿وَمَقْتًا﴾ إشــارة إلى القبح الــشرعي، وقولــه: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ إشــارة إلى القــبح في العــرف والعادة،ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح.(٢)

إبطال عادة الجمع بين الأختين:

ومن عادات العرب الاجتماعية التي هدمها القرآن المجيد وأبطلها: الجمع بين الأختين، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣]، استثنى سبحانه من الإثم المفهوم من التحريم في الآية زواج الأخــتين الذي وقع قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام فأزاله، وهذا أرجح الأقوال.(٣)

---

(١) صحيح ابن حبان: ٤٢٣/٩، رقم:٤١١٢.وسنن ابن ماجه :كتاب الحدود، باب من تزوج امرأة أبيه من بعده، ٨٦٩/٢، رقم: ٢٦٠٧.وسنن الترمذي: كتاب الأحكام، باب فيمن تزوج امرأة أبيــه ٦٤٣/٣، رقم: ١٣٦٢، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

(٢) الفخر:٢١/١٠، ٦٠/١٢.

(٣) ابن عطية:٣٤/٢، والبيضاوي:١٦٩/٢، الكلبي في التسهيل:١٣٥/١.

وقد حكم الله – تعالى – على زواج الأختين بأنه فاحشة لليقين بعدم صلاح الحياة مع هذا الزواج، والآية تقتضي تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم، وقد خيَّر رسول الله – ﷺ – من جمع بين الأختين باستبقاء أيتهما، فعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَسْلَمْتُ وَتَحْتِي أُخْتَانِ قَالَ: ((**اخْتَرْ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ**))[1]. وبالقرآن والسنة قضى الله – تعالى – على هذه العادة الفاحشة إلى الأبد.

إبطال عادة تطفيف الموازين:

ومن العادات العربية الاجتماعية التي أبطلها القرآن: تطفيف الموازين، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ١-٦].

أول سورة نزلت بعد الهجرة سورة "ويل للمطففين" كما قال مجاهد[2]. وقد كان أهل المدينة أبخس الناس كيلاً أو أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله هذه السورة لتعالج مرض التطفيف ، قال السيوطي: أخرج ابن ماجه بسند صحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: ((لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ – ﷺ – الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلاً فَأَنْزَلَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ – ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ))[3].

---

(١) سنن الترمذي:كتاب النكاح: باب: ما جاء في الرجل يسلم وعنده أختان، رقم:١٠٤٩.وقال أبو عيسى: حديث حسن.

(٢) فتح الباري: ٦٧٨/٨.

(٣) السيوطي في لباب النقول: ٢٢٨، وسنن ابن ماجه: كتاب التجارات، باب: التوقي في الكيل=

وقد عالج القرآن هذه العادة في أكثر من موضع[1]؛ لنعتبر ونصطلح مع الله ونبتعد عن الظلم الواقع من خلال الموازين، حيث إنه عين السرقة وأكل المال بالباطل والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:١٨٨] .

إبطال عادة أكل مهر المرأة:

من العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم: أكل مهر المرأة، قال تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:٤].

لما كان هضم حق المرأة في امتلاكها مهرها شائعاً في مجتمع العرب الأوائل؛ كان هذا الأمر القرآني بإيتاء النساء مهورهن نحلة، أي: فريضة مسماة وديناً، فالنحلة في اللغة معناها: الديانة والملة والشرعة والمذهب، كما قال السلف – رضوان الله عليهم – ، أو النحلة: العطية عن طيب نفس من غير مطالبة من النساء؛ لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة، كما قال القفال وأبو عبيدة.

والخطاب في الآية **إما لأولياء النساء**؛ لأن عادة بعض العرب كانت

=والميزان رقم:٢٢١٤.وصحيح ابن حبان: ٢٨٦/١١، رقم:٤٩١٩.

(١) كالأنعام:١٥٢،والإسراء:٣٥، والرحمن:٩،.. وكذلك ذكر القرآن أن التطفيف كان من عادات بعض الأقوام السابقين كقوم شعيب – عليه السلام – الأعراف:٨٥، والشعراء : ١٨١.وذكر في سبب نزول سورة المطففين – أيضاً – "أن رجلاً كان له مكيالان كبير وصغير إذا اكتال لنفسه على غيره اكتال بالمكيال الكبير وإذا كال من عنده لغيره اكتال بالمكيل الصغير ففي كلتا الحالتين تطفيف أي تنقيص على الناس من حقوقهم"انظر الكشاف: ٧١٩/٤، وزاد البغوي في سبب نزول سورة المطففين رواية السدي: " قدم رسول الله – ﷺ – المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية فالله تعالى جعل الويل للمطففين. البغوي:٤٥٧/٤، والألوسي :٦٧/٣٠.

تقضي بأكل ولي المرأة مهرها فرفع ذلك الإسلام، ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت: هنيئًا لك النافجة، ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلاً فتضمها إلى إبلك فتنفج مالك أي: تعظمه، وقيل:النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان إذا زوج ابنته، فنهى الله- تعالى - عن ذلك وأمر بدفع الحق إلى أهله، وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة، **أو للأزواج** أمروا بإيتاء النساء مهورهن، وهذا قول علقمة والنخعي وقتادة واختيار الزجاج[1]، قال تعالى:﴿.. وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٢٠]، قال ابن كثير:" قال عبد الرحمن بن أسلم: ليس ينبغي لأحد بعد النبي- ﷺ - أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب، وأن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتما مع طيب النفس" [2]، قلت: ليتنا نلتزم في مجتمعنا المسلم بهذا الأدب القرآني، ونبهج البنات بمهورهن،والبنين بالتيسير عليهم، وبذا نصيب عين الإسلام النقي الخالص.

إبطال عادة التبني:

من العادات الاجتماعية التي قضى عليها القرآن قضاءً مبرماً عادة التبني، حيث قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب:٣٧]. لما كان من عادة العرب تحريم الزواج من المتبنِّي لامرأة المتبنَّى، بيَّن الله- تعالى- حلِّية ذلك من خلال ما

---

(١) الفخر :١٤٦/٩،وابن عطية:٨/٢، والسمعاني: ٣٩٧/١، السيوطي في لباب النقول: ٦٤،

(٢) ابن كثير:٤٥٢/١، وابن حجر: ٢٤٦/٨.

نزل في حق السيدة زينب بنت جحش- رضي الله عنها- وزيد بن حارثة- رضي الله عنه- متبنَّى النبي-ﷺ- فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، أي: لكي لا يظن ظان أن امرأة المتبنى لا تحل للمتبني، وقوله- سبحانه -﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ خطاب خاص بالنبي-ﷺ- وقد صرح – تعالى- بشمول حكمه لجميع المؤمنين في قوله :﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ ، وبذا قطع اليقين ما اعتاده العرب في هذه القضية[1].

قال السمعاني:"وقد كانت العرب تعد ذلك- أي: الزواج من مطلقة المتبني – حرامًا فنسخ الله التبني، وأحل امرأة المتبنين"[2].

وقال القرطبي:" وقد كان التبني معمولاً به في الجاهلية والإسلام ، يتوارث به ويتناصر إلى أن نسخ الله ذلك بقوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥] أي: أعدل، فرفع الله حكم التبني ومنع من إطلاق لفظه وأرشد بقوله إلى أن الأولى والأعدل أن ينسب الرجل إلى أبيه نسبا، يقال: كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه من الرجل جَلَده وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له نصيب الذكر من أولاده من ميراثه، وكان ينسب إليه فيقال: فلان ابن فلان، وقال النحاس: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف، فإن لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولائه، فإن لم يكن له ولاء معروف، قال له يا أخي،

---

(١) الواحدي : ٨٦٧/٢. الشنقيطي: ٣٧٨/١

(٢) تفسير السمعاني: ٢٥٨/٤، ٢٨٩.

يعني:في الدين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات:١٠](١).

وقال ابن عطية في تفسير آية﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣]: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ تخصيص ليخرج عنه كل من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وكان عندهم أمراً كثيراً قوي الحكم(٢)، والعلم عند الله تعالى.

إبطال عادة سفك الدماء:

أبطل القرآن الكريم عادة اجتماعية كادت تقضي على المجتمع العربي لسيادة القتل وسفك الدماء بسبب عدم وجود قصاص رادع، قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩]هذا من الكلام البليغ الوجيز، ومعناه: لا يقتل بعضكم بعضًا، رواه سفيان عن السدي عن أبي مالك، والمعنى: أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر مخافة أن يقتص منه فحييا بذلك معًا، وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمى قبيلاهما وتقاتلوا، وكان ذلك داعيًا إلى قتل العدد الكثير، فلما

---

(١) القرطبي: ١١٩/١٤.وانظر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٢٦.

(٢) ابن عطية:٣٤/٢

شرع الله القصاص قنع الكل به، وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة[١].
ولكن نبتت نابتة في بعض مجتمعات المسلمين لا ترضى بحل المشكلات المتعلقة بالدماء عن طريق ولي الأمر، بل ارتضت أخذ ثأرها بنفسها دون الرجوع لأحد؛ مما جعل القتل يتعدى حدوده ليصل إلى ذرية الذرية من الطرفين، بل من الأطراف؛ مما أورث الفوضى وأشاع الكراهية وشريعة الغاب، في حين أن الحل الناجع في كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- كما بينا.

إبطال عادة قتل الأولاد:

من عادات العرب الاجتماعية التي نزل بسببها القرآن محذراً فاعلها، ومخطئاً إياه: قتل الأولاد، وقد جاء النهي عن ذلك في آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾[الممتحنة:١٢] ،وقتل الأولاد عند العرب كان من الفقر ومن خوف الفقر، قال تعال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام:١٥١]وقال تعالى- أيضًا -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٣١][٢].

إبطال عادة وأد البنات:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالحلال والحرام والتي قضى عليها الإسلام قضاءً مبرماً: عادة وأد البنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩]، حيث كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بقاء

(١) القرطبي: ٢/٢٥٦.
(٢) ابن عطية: ٥/٢٩٩.

حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر لترعى له الإبل والغنم في الباديـــة، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار، فيقول لأمهـــا: طيبيهـــا وزينيها حتى أذهب بها إلى أقاربها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء، فيبلغ بها إلى البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حـــتى يستوي البئر بالأرض، روى عكرمة عن ابن عباس: كانت الحامل إذا قربـــت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتًا رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابنًا أمسكته.

والذي حملهم على وأد البنات: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[الإسراء:٣١] [(١)].

وفي ذات قضية- وأد البنات- أنزل الله تعالى قوله:﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[الأنعام:١٤٠]، حيث نزلت في ربيعة ومضر والعرب الـــذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفهًا بغير علم؛ لخفة أحلامهم وجهلهم

---

(١) وقد افتخر الفرزدق به في قوله:

ومنا الـــذي منع الوائـــدات		فأحيـــا الوئـــيد فلم توأد

وانظر:الزمخشري:٧٠٨/٤،والفخر:٦٤/٣١،أبوالسعود:١١٥/٩،البغوي:٤٥٢/٤،البيضاوي:٤٥٧/٥، الآلوسي:٥٢/٣٠، النسفي:٣١٩/٤. وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد، وقد ذكر الآلوسي قصة هي السبب في وأد البنات، فقال: ورأيت في بعض الكتب أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، وذلك أنهـــم أُغير عليهم فنهبت بنت لأمير لهم فاستردها بعد الصلح، فخيرت برضا منه بين أبيها ومـــن هـــي عنـــده، فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها، فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم ومخافة أن يقع لهـــم بعد مثل ما وقع، وشاع في العرب غيرهم، والله تعالى أعلم بصحة ذلك، الآلوسي:٥٢/٣٠.

بأن الله هو رازق أولادهم لا هم[(١)].

إبطال عادة احتقار أهل الأعذار:

من عادات العرب الاجتماعية السيئة التي أبطلها القرآن الكريم عادة: احتقار أهل الأعذار، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[النور:٦١].

هذه الآية بينت أصنافاً من أهل الأعذار تحرَّجوا من مخالطة مجتمعهم، أو تحرَّج مجتمعهم منهم لسطوة العادة السيئة، وتمكنها من نفوس الكثير من الناس، فكان توجيه الله عباده إلى الصواب المتمثل في التواد والتراحم والتعاون بين أبناء الأمة الواحدة بكل أطيافها، وقد اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأصناف الثلاثة، فظاهر الآية وظاهر أمر الشريعة أن الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر، وتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالأكمل، ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا، قال الحافظ في الفتح:" ذَكَرَ أَهْل التَّفْسِير أَنَّهُمْ - أي العرب - كَانُوا إِذَا اجْتَمَعُوا للأَكْلِ عُزِلَ الأَعْمَى عَلَى حِدَة، وَالأَعْرَج عَلَى حِدَة، وَالْمَرِيض عَلَى حِدَة، لِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ أَكْل الأَصِحَّاء فَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَتَفَضَّلُوا عَلَيْهِمْ ..بل كَانَ الأَعْمَى يَتَحَرَّج أَنْ يَأْكُل طَعَام غَيْره لِجَعْلِهِ يَده فِي غَيْر مَوْضِعهَا، وَالأَعْرَج كَذَلِكَ لاتِّسَاعه فِي

---

(١) الزمخشري:٦٨/٢، أبو السعود:٣/ ١٩١، البغوي:١٣٥/٢، و الألوسي: ٣٧/٨ ، فتح القدير: ١٦٨/٢.

مَوْضِعِ الأَكْلِ، وَالْمَرِيضِ لِرَائِحَتِهِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة، فَأَبَاحَ لَهُمْ الأَكْلِ مَعَ غَيْرِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيَة أَثَر آخَر مِنْ وَجْه صَحِيح، قَالَ عَبْد الرَّزَّاق أَنْبَأَنَا مَعْمَر عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد " كَانَ الرَّجُل يَذْهَب بِالأَعْمَى أَوْ الأَعْرَج أَوْ الْمَرِيض إِلَى بَيْت أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ قَرِيبه، فَكَانَ الزَّمْنَى يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يَذْهَبُونَ بِنَا إِلَى بُيُوت غَيْرهمْ، فَنَزَلَتْ الآيَة رُخْصَة لَهُمْ " [١]

فكانت الآية نهياً صريحا عن أخلاق الجاهلية.

إبطال عادة السخرية

قال تعالى: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١].

قبل الشروع في بيان عادة السخرية وموقف القرآن الكريم منها،أحب أن أنوه بأنه قد ورد في نزول الآية المذكورة أسباب كثيرة أكثر من أن تحصى- والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – لذا قال ابن عطية "عندي أن هذه الآية نزلت تقويمًا كسائر أمر الشرع، ولو تتبعت الأسباب لكانت أكثر من أن تحصى". [٢]

وهذه الآية الكريمة تضع أيدينا على جرح يسغب دماً في جسد هذه الأمة، هذا الجرح يتمثل في السخرية من الغير، كبراً وغطرسة واحتقاراً لخلق الله، وقد كان العرب في جاهليتهم أكثر الناس أنفة وسخرية، فجاء القرآن فهذبهم وأخذ بأيديهم إلى أقوم طريق، مبطلاً هذه العادة السيئة من خلال أكثر من آية،كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) فتح الباري: ٥٢٩/٩، وانظر: ابن عطية:١٩٥/٤، القرطبي:٣١٣/١٢، وابن كثير: ٣٠٦/٣.

(٢) المحرر الوجيز ١٤٩/٥.

لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩] وقوله سبحانه :﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [البقرة:٢١٢] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦] ، هذه الآيات وغيرها أثّرت في حياة السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – حتى أفرطوا في توقيهم وتصونهم ، حتى قال بعضهم:" لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع"، وقال الآخر:"البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا" [(١)]. وعلى هذا فلا ينبغي لمن رأى مسلمًا في حالة رثة تظهر بها عليه آثار الفقر والضعف أن يسخر منه ، أو أن يسخر من صاحب عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته، فلعل من يسخر منه أخلص ضميرًا وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهزاء بمن عظمه الله[(٢)].

ولعلنا نقف على الحكمة من تعبير القرآن الكريم بقوله: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ... وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ دون أن يقول: "لا يسخر رجل من رجل ولا امرأة من امرأة" على التوحيد، وذلك لإعلامنا بإقدام غير واحد من رجال العرب وغير واحدة من نسائه على السخرية،ولاستفظاع شأن العرب الذي كانوا عليه، ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه

(١) القرطبي :١٦/٣٢٥

(٢) أضواء البيان – الشنقيطي :٧/٤١٣.

من النهي والإنكار فيكون شريك الساحر وتلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك - وإن أوجده واحد - إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقومًا[1]. وما أشبه اليوم بالبارحة عندما نسخر من بعض خلق الله لمهنة شريفة إلا أن المجتمع يحتقرها، أو من صنف من الناس لأنهم لم ينالوا حظًا من الدنيا ، أو من بعض الآدميين للون بشرتهم، أو لانحدارهم من غصن ضعيف في العائلة أو القبيلة أو.... وقد نسي الساخر قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات:١٣]، فالمعول عليه هو تقوى القلوب، لا قوة الأجسام، ولا علو الأنساب، ولا شرف الأحساب ، ولا كثرة الأموال، ولا ولا... روى مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :((**إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**))[2].

فالكل لآدم وآدم من تراب. ولله در القائل:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة ... وأعظُم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب ... يفاخرون به فالطين والماء[3]

إبطال عادة تحريم الحلال من المطعومات:

من العادات المتصلة بالحلال والحرام التي أبطلها القرآن الكريم: عادة

(١) الكشاف - الزمخشري :٣٧٠/٤. أبو السعود :١٢١/٨

(٢) مسلم كتاب: البر والصلة باب:تحريم ظلم المسلم رقم: ٤٦٥١.

(٣) القرطبي: ٣٤٢/١٦. وقد نسبه لعلي - رضي الله عنه - .

اختلاق التحليل والتحريم بهوى النفس، قال تعالى: "﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[المائدة:١٠٣].

هدم القرآن الكريم عادة عربية سيئة حولت الحلال إلى حرام، وذلك من خلال ما شرعوه في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ودونك التفصيل:

أما البحيرة فمأخوذة من البحر وهو الشق، ومن عادة العرب شق أذن الناقة التي نتجت عشرة أبطن، فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر، ويتركونها ترعى وترد الماء ويُحَرَّم لحمها على النساء ويحلل للرجال، فنهى الله -تعالى- عن ذلك نهياً صريحا[1].

وأما السائبة من الأنعام: فهي ما كانت العرب تتخذها شكراً لله كالقُربة عند المريض يبرأ منه، والقدوم من السفر، وإذا نزل بأحدهم أمر يشكر الله عليه تقرب بأن يسيب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره، يرون ذلك كعتق بني آدم، ذكره السدي وغيره، وكانت العرب تعتقد أن من عرض لهذه النُّوق فأخذها أو انتفع منها بشيء فإنه تلحقه عقوبة من الله[2].

وأما الوصيلة فهي الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة فكان آخر ذلك جديًا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة، وإن كانت عناقًا استحيوها، وإن كانت جديًا وعناقًا استحيوا الجدي من أجل العناق فإنها وصيلة وصلت أخاها[3].

وأما الحام : فالفحل يضرب في الإبل عشر سنين، ويقال: إذا ضرب ولد ولده قيل: قد حمي ظهره، فيتركونه لا يمس ولا ينحر أبدًا ولا يمنع من كلأ يريده،

---

(١) لسان العرب: بحر، ٤/٤٣.

(٢) ابن عطية:٢/٢٤٨، الثعالبي:١/٤٩٣.

(٣) الطبري: ٧/٩١.

وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها[1].

وقد علق الفخر نقلاً عن القفال: "إن في تحريم العرب للحلال كـــالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وفي تحليلهم للحرام كالميتة والدم..عدم وفاء بالعقود التي أمر الله بالوفاء بها في قوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ [المائدة:١][2]. وقد أراح الله عباده بإبطال هذه الفرية إلى يوم القيامة.

إبطال عادة تحليل الحرام من المطعومات:

من العادات العربية المتصلة بالحلال والحرام وقد أبطلها القرآن الكـــريم: عادة أكل ما لم يأذن به الله، كأكل الميتة، والدم، ولحم الخنـــزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، لقوله تعالى:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣].

وقد نصت الآية على أنواع من المحرمات كان العرب يستحلونها منها: الميتة، والدم أي : المسفوح ولحم الخنـــزير، وما أهل لغير الله به : يعني مـــــا ذبح لغير الله – تعالى– وقصد به صنم أو بشر من الناس، كما كانت العـــرب تفعل وكذلك النصارى، وعادة الذابح أن يسمي مقصوده ويصيح بـــه فـــذلك إهلاله، والمنخنقة أي: التي تموت خنقًا، والموقوذة أي: التي ترمى أو تـــضرب بعصا وشبهها، والمتردية: التي تتردى من علو إلى سفل تموت، والنطيحة: فعيلـــة بمعنى مفعولة، وما أكل السبع: يريد كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان،

---

(١) الطبري:٩١/٧.

(٢) الفخر:٥٣/١٧، البغوي:٤١٠/١.

وكانت العرب تأكل هذه المذكورات و لم تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع [(١)].

وما ذبح على النصب: عطف على المحرمات المذكورة، والنصب: حجارة تنصب يذبحون عليها، قال ابن جريج: وليست النصب بأصنام، فإن الصنم يصور وينقش، وهذه حجارة تنصب، وكانت العرب تعبدها، قال ابن زيد: ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به شيء واحد، لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة أمره.[(٢)] وبعد تفصيل هذا التحريم أصبح الباقي حلالاً بأمر الله رب العالمين.

إبطال تحريم بعض الأطعمة على النساء:

ومن العادات المتصلة بالحلال والحرام التي أبطلها القرآن الكريم: تحريم بعض الأطعمة على النساء فحسب، قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٣٩]، أي: ومن مذاهب المشركين الفاسدة قولهم: ما في بطون الأنعام من أجنَّة خرجت حية لا ميتة فهو خالص لذكورنا ومحرم على نسائنا، وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث- وقيل: ما في بطونها أي : الألبان - على رأي- سيجزيهم وصفهم، أي: سيعاقبهم الله إذ شرَّعوا لأنفسهم من التحليل والتحريم ما لم يأذن به الله، إنه - تعالى- حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم، وهو زجر على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق، وهذا يظهر أن الأشياء التي يقولون: إن هذا

---

(١) الثعالبي: ١/٤٤٠.

(٢) تفسير الثعالبي: ١/٤٤١. وابن عطية:١/١٥٠.

حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله. [1] وبهذه الآية التي توعدهم الله بها على سيء صنيعهم أبطل هذا الفساد الذي لا وجه له إلا القبح والكذب على الله- تعالى-، والتفريق المشين بين الذكور والإناث.

إبطال عادة أكل الربا:

من العادات العربية السيئة التي أبطلها القرآن وهي متصلة بالاقتصاد عادة أكل الربا قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٧٨] سبب نزول الآية: "أن أهل مكة كانوا يرابون فلما أسلموا عند فتح مكة أمرهم الله – تعالى – أن يأخذوا رؤوس أموالهم دون الزيادة، وقيل سبب نزول الآية: أنه كان بين قريش وثقيف ربًا في الجاهلية فلما فتح رسول الله – ﷺ – مكة قال: في خطبته كل ربا كان في الجاهلية موضوع، ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش فأبوا من دفعه، وقالوا: قد وضع الربا، فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله–ﷺ– فنزلت الآية[2]. وقيل غير ذلك[3].

وبيت القصيد يكمن في كون الربا الذي يزيد الغنيَّ غنى والفقير فقراً، ويزيد المجتمع ظلماً،كان منتشرًا بين العرب، وجاء الإسلام فحرمه بكل أنواعه وأشكاله، بل ولعن الله فيه آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه إذا علموا به،والآثار في ذلك كثيرة.

إبطال عادة شرب الخمر:

من العادات العربية التي أبطلها القرآن العظيم وهي تتصل بالحلال

---

(١) الفخر:١٣/١٧١، الطبري:٨/٤٨، والثعالبي:١/٥٦٢، وأبو السعود:٤/١٥٦

(٢) الفخر:٧/٨٦، والكلبي: ١/٩٥.

(٣) الفخر:٧/٨٧. وقد تركت ما يتعلق بتعريف الربا وبيان أنواعه لكتب الفروع.

والحرام: عادة شرب الخمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]، معلوم أن الخمر كانت المشروب الأكثر رواجاً لدى العرب، وقد أحدثت من الخبائث ما أحدثت فصدت عن ذكر الله وعن الصلاة، وفرَّقت بين الناس، ونشرت الفوضى بين العرب وكانت بحق أم الخبائث، لذا حرمها الله بالقرآن والسنة، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ((سَمِعْتُ عُمَرَ - رضي الله عنه- عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ: مِنْ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ)).(١)

وقد سلك الشارع الحكيم في تحريمها مسلكاً متدرجاً اقتلع به أمَّ الخبائث من معاقريها وذلك بفضل الله ثم بفضل دعاء الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه،كما روى أصحاب السنن، ((عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ :﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ:" ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [النساء:٩١]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا)) (٢).

---

(١) البخاري: كتاب الأشربة، باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، رقم: ٥٢٦٦. ومسلم: كتاب التفسير، باب: في نزول تحريم الخمر، رقم:٣٠٣٢.

(٢) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة رقم:٢٩٧٥، قَالَ أَبُو عِيسَى: وَقَدْ =

قال القفال – رحمه الله – : والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله – تعالى– علم أن القوم قد كانوا ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيرًا، فعلم أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق ذلك عليهم[1]. ومن ناحية أخرى فإن الله – تعالى – أحل الطيبات كلها من المأكول والمشروب لتغني من أراد الغناء عن كل محرم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] ولكثرة الطيبات لم يرد لها تفصيل، أما المحرَّم فمفصَّل لقلته قال تعالى:﴿...وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ [الأنعام:١١٩].

إبطال عادة المكاء والتصدية:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالعبادات والتي أبطلها القرآن: المكاء والتصدية،قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٥]، أي: إن صلاة المشركين وعبادتهم عند المسجد الحرام لم تكن رهبة ولا رغبة بل صفيرًا بالفم، وتصفيقًا باليد لأجل خلط الصلاة على المسلمين.

قال ابن عطية: وذهب أكثر المفسرين إلى أن المكاء والتصدية إنما أحدثها الكفار عند مبعث رسول الله – ﷺ – لتقطع عليه وعلى المؤمنين قراءتهم وصلاتهم ويخلط عليهم، فكان المصلِّي إذا قام يقرأ من المؤمنين اكتنفه من الكفار عن يمينه وشماله من يمكو ويصدي حتى تختلط عليه قراءته،فلما نفى الله– تعالى– ولايتهم

= رُوِيَ عَنْ إِسْرَائِيلَ هَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ ..وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ.

(١) الطبري:١٠٧/٣، الفخر: ٣٥/٦، والسيوطي في لباب النقول : ٩٧.

للبيت ﴿...وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ...﴾ [الأنفال:٣٤]؛ أمكن أن يعترض معترض بأن يقول: وكيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده ؟!! فقطع الله هذا الاعتراض بأن قال: وما كان صلاتهم إلا المكاء والتصدية، وهذا كما يقول رجل: أنا أفعل الخير فيقال له: ما فعلك الخير إلا أن تشرب الخمر وتقتل أي: هذه عادتك وغايتك[1].

ولمّا توعدهم الله في ختام الآية بما توعدهم به أقلعوا عن ذلك، وبهذا أبطل القرآن الكريم هذه العادة التي كانت تَنْهى عبداً إذا صلى.

إبطال عادة اعتقاد أن البر في إتيان البيوت من ظهورها:

من العادات التي أبطلها القرآن الكريم وهي تتصل بالعبادات: إتيان البيوت من ظهورها بعد الإحرام، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩]، عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: ((كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾))[2].

وكأنهم كانوا يتحرجون من الدخول من الباب من أجل سقف الباب أن يحول بينهم وبين السماء صرح به الزهري في رواية ابن جرير عنه، ويعدون فعلهم

---

(١) ابن عطية:٢/٥٢٤، وقال ابن عطية: " وقيل إن المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديما قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع والله أعلم .٢/٥٢٤.وانظر الطبري:٩/٢٤١، وابن كثير: ٢/٣٠٨، وابن الجوزي:٣/٣٥٢.

(٢) البخاري : كتاب تفسير القرآن، باب:قوله(لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) رقم: ٤٥١٢، وابن حجر في العجاب في بيان الأسباب: ١/٤٦٢، والسيوطي في لباب النقول:٣٦ .

ذلك براً ، فبين لهم أنه ليس بــبر[1]. وظل الحرج من دخول البيوت من أبوابها في الجاهلية وفي أول الإسلام حتى أبطله القرآن بتجريده عن البر [2].

إبطال عادة تحليل شعائر الله:

من العادات المتصلة بالعدوان على طاعة أمر الله، والتي أبطلها القــرآن الكريم: عادة تحليل شعائر الله، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائــدة:٢] والشعائر: جمع شعيرة، أي: قد أشعر الله أنها حــده وطاعته فهي بمعنى معالم الله، وقال ابن الكلبي: كان عامة العرب لا يعدون الصفا والمروة من الشعائر، وكانت قريش لا تــقف بعرفــات فنــهوا بهــذه الآيــة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٢]، وكانت العرب مجمعة على ذي القعدة وذي الحجة والمحرم، وكانت تطول عليها الحرمة، وتمتنع من الغارات ثلاثة أشهر، فلذلك اتخذت النسيء وهو أن يحل لها ذلك[3].

وخلاصة الأقوال أن هذه الآية تحكي نهياً صريحا لعادات متعددة كانت عند العرب اتحدت كلها على مخالفة ما أمر الله به، سواء أكان ذلك حرم الله، أم مناسك الحج، أم إخراجهم الصفا والمروة من عموم الشعائر، أم تأخير بعــض الأشهر التي يحرم فيها القتال من الإغارة، أم غير ذلك، والنهي الوارد في الآية الكريمة يمثل جدعاً لأنف الهوى، ومحواً لمظاهر الشر في المجتمع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) الطبري:٢/١٨٦، الآلوسي:٢/٧٣.

(٢) انظر الفخر: ٥/١٠٦، وما أورده من أسباب لنــزول هذه الآية.

(٣) ابن عطية: ٢/١٤٦.

الخاتـــمة

بعد رحلة قرآنية مع هذا البحث ؛ أستطيع رصد النتائج الآتية:

- بيان أن أمة الإسلام أمة مرحومة؛ لأن الله هو الذي سددها ونبهها ونقاها.
- معرفة أن مدار صلاح الكون منوط بصلاح المسلمين.
- أن دراسة هذا الموضوع جددت الأمل فينا بأننا نستطيع - بفـــضل الله - الثبات على مبادئ ديننا، وتهذيب ما يجب تهذيبه مما اعترى حياتنا وعاداتنـــا، وإبطال كل دخيل مدسوس على عقيدتنا أو عبادتنا أو معاملاتنا أو أخلاقنا...
- بيان أن العادة تبدأ بخاطرة، وتتوسط بعمل، وتنتهي بعادة وديـــدن، فـــإن كانت هذه العادة طيبة فنعم المقدمات لأفضل النتائج، وإن كانت الأخرى فلا نلوم إلا أنفسنا.
- أضاف البحث دليلاً جديداً على وسطية الإسلام واعتداله، حيث لم يقف من كل العادات موقفاً واحداً، بل أقر وهذَّب وأبطل، كلاً بحسبه، وذلك عين النَّصَفة والعدل.
- أن دراسة هذا الموضوع أبانت عن مدى حاجة المفسر لمعرفة عادات العرب إذ بمعرفتها يسترشِد المفسر ويسدَّد.
- كون العادة من أصيل المجتمعات البشرية فهي هويتهم وعمق ثقافتهم، ومن هنا يجب أن تصان العادات الطيبة من العبث أو الإضرار بها.
- كشف البحث عن عادات عقدية، واجتماعية واقتصادية، حظيـــت كلـــها بعناية القرآن الكريم.
- رد البحث على الأدعياء في أمور متعددة، خاصة موضوع المرأة التي رفعت

إلى مقام ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾.

أهم التوصيات:

أوصي بعمل موسوعة للعادات العربية من خلال القـــرآن الكـــريم، نستفيد منها في حل مشكلاتنا الحاضرة على نور من كتاب ربنا – سبحانه .

فهرس المراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي**،دار الفكر بلبنان، ١٤١٦/١٩٩٦م، الأولى ت:سيد المندوب.

٢- **أحكام القرآن** للجصاص- دار إحياء التراث العربي- بيروت - ١٤٠٥- ت: محمد الصادق قمحاوي .

٣- **إرشاد العقل السليم** لأبي السعود العمادي - دار إحياء التراث - بيروت - د .ت.

٤- **أسباب الترول** للواحدي - دار الباز للنشر والتوزيع - مكه المكرمة . د.ت.

٥- **أضواء البيان** للشنقيطي - دار الفكر ببيروت، ١٤١٥هـ - ت: مكتب البحوث والدراسات.

٦- **الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي - مؤسسة العلم للطباعة - القاهرة - ١٩٩٠م.

٧- **أنوار التتريل** وأسرار التأويل للبيضاوي - دار الفكر - بيروت - د .ت.

٨- **البحر الرائق** شرح كتر الدقائق لابن نجيم - دار الكتاب الإسلامي - د. ت.

٩- **بحر العلوم** للسمرقندي دار الفكر - بيروت - ت: د.محمود مطرجي.د.ت.

١٠- **البحر المحيط** لأبي حيان - الكتب العلمية - بيروت - الأولى.

١١- **تحفة الأحوذي للمباركفوري** - دار الكتب العلمية - بيروت .

١٢- **التحرير والتنوير** لابن عاشور - دار سحنون - تونس.

١٣- **التسهيل لعلوم التتريل** للكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣/١٩٨٣م- الرابعة.

١٤- **تفسير السمعاني** - دار الوطن - الرياض - ١٤١٨/١٩٩٧م - الأولى - ياسر غنيم .

١٥- **التعريفات** للجرجاني دار الكتاب العرب بيروت ١٤٠٥- الأولى ت:إبراهيم الأبياري .

١٦- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ -

١٧- **تيسير الكريم الرحمن** لابن سعدي، الرسالة بيروت، ١٤٢١/ ٢٠٠٠م.

١٨- **الجامع لأحكام** القرآن للقرطبي - دار الشعب - القاهرة - د .ت.

١٩- **جامع البيان** للطبري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

٢٠- **الجامع الصحيح** للبخاري - دار ابن كثير - بيروت - ١٤٠٧.

٢١- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** الثعالبي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - د.ت

٢٢- **حاشية الجمل** سليمان بن منصور الجمل - دار الفكر — بيروت.
٢٣- **حاشية السندي على ابن ماجة** - كتاب الكتروني - من المكتبة الشاملة .
٢٤- **درر الحكام في شرح مجلة الأحكام** لعلي حيدر، دار الجيل بيروت — د. ت.
٢٥- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** للسيوطي - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣م — د. ت.
٢٦- **الديباج على صحيح مسلم** للسيوطي - دار ابن عفان - الخبر - ١٩٩٦/١٤١٦م - ت: أبو إسحاق الحويني.
٢٧- **روح المعاني** للآلوسي - دار إحياء التراث - بيروت .
٢٨- **زاد المسير** لابن الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤- الثالثة.
٢٩- **سنن ابن ماجه** - شركة الطباعة العربية - بيروت - لبنان - ١٩٨٤م.
٣٠- **سنن أبي داود** - المكتبة العصرية - بيروت - د ت.
٣١- **سنن الترمذي** - دار التراث العربي - بيروت - ت : أحمد شاكر.
٣٢- **شرح النووي على مسلم**، إحياء التراث العربي بيروت - ١٣٩٢- الثانية
٣٣- **صحيح ابن حبان** - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٣/١٤١٤م.
٣٤- **صحيح سنن أبي داود** - مكتبة المعارف - الرياض - الأولى - ١٩٩٨/١٤١٩م.
٣٥- **صحيح مسلم** - إحياء التراث العربي - بيروت - ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي د .ت.
٣٦- **العجاب في بيان الأسباب** لابن حجر، دار ابن الجوزي،١٤١٨ /١٩٩٧م ، الأولى، ت: عبد الحليم الأنيس.
٣٧- **عون المعبود** للعظيم آبادي،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥- - الثانية — د. ت
٣٨- **غوامض الأسماء المبهمة** لابن بشكوال - عالم الكتب - بيروت - الأولى - ١٤٠٧، تحقيق د. عز الدين على السيد، ومحمد كمال الدين عز الدين.
٣٩- **غريب القرآن** للسجستاني - دار قتيبة - ١٩٩٥/١٤١٦م - ت: محمد أديب جمران .
٤٠- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** للنيسابوري - دار الكتب العلمية - لبنان — د.ت.
٤١- **فتح الباري** لابن حجر - المكتبة السلفية - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - ١٤٠٧هـ -.
٤٢- **فتح القدير** للشوكاني - دار الفكر - بيروت — د.ت.
٤٣- **كتب ورسائل ابن تيمية** - مكتبة ابن تيمية - الثانية - ت عبد الرحمن النجدي.دت.

٤٤- **الكشاف** للزمخشري - دار إحياء التراث - بيروت - ت: عبد الرزاق المهدي.

٤٥- **لباب التأويل في معاني التتزيل** للخازن - دار الكتب العلمية - بيروت

٤٦- **لباب النقول في أسباب التزول** للسيوطي - دار إحياء العلوم - بيروت - د .ت.

٤٧- **لسان العرب** لابن منظور - دار صادر - بيروت - الأولى.

٤٨- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لابن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣/١٩٩٣ الأولى - ت: عبد السلام محمد .

٤٩- **مدارك التتزيل وحقائق التأويل** لأبي البركات النسفي، مصطفي الحلبي - مصر ت د ت.

٥٠- **المصباح المنير** للفيومي - الأميرية بمصر - عناية حمزة فتح الله - د.ت.

٥١- **معالم التنـــزيل للبغوي** - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

٥٢- **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس - ط الحلبي - الأولى - بتحقيق عبد السلام هارون.

٥٣- **مفاتيح الغيب** للفخر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى — ١٤٢١هـ .

٥٤- **المفردات** للراغب الأصفهاني ، دار ابن قتيبة - الأولى — د.ت.

٥٥- **مقدمة ابن خلدون** - دار ابن خلدون بالإسكندرية بمصر - ب.ت.

٥٦- **الموسوعة الفقهية**: وزارة الأوقاف الكويتية.

٥٧- **الناسخ والمنسوخ** للنحاس، مكتبة الفلاح بالكويت ١٤٠٨ الأولى ت: محمد عبد السلام.

٥٨- **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير - المكتبة العلمية - بيروت - ت طاهر الزاوي.

فهرس الموضوعات

وحدة النسق في السورة القرآنية

فوائدها وطرق دراستها

رشيد الحمداوي

* من مواليد الدار البيضاء بالمغرب عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م.
* نال الإجازة من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة القاضي عياض بمراكش،كما نال دبلوم الدراسات العليا المعمقة (الماجستير) من دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا في " مؤلفات التفسير والحديث بالغرب الإسلامي".
* له عدة بحوث، منها: "المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير الغرناطي من إصدار مكتبة أولاد الشيخ بمصر سنة ٢٠٠٣م". و "قواعد الترجيح في التفسير عند ابن جزي الأندلسي".

الملخص

يتناول هذا البحث خصيصة من خصائص السور القرآنية وهي وحدة النسق، ونعني بها تماسك بناء السورة القرآنية واتساق معانيها المتشعبة التي تتضمنها ضمن غرض محوري واحد دون تنافر أو تفكك.

والدلائل على تميز سور القرآن بهذه السمة متوافرة بشكل يجعلها وجهًا من أوجه الإعجاز. وقد وفق العلماء المتقدمون في استجلاء هذه السمة ودراستها في علمين من علوم القرآن : الأول علم المناسبات الذي عني بأوجه الارتباط بين الآي والسور، والثاني علم مقاصد السور الذي أبدعه برهان الدين البقاعي، وبفضله تنبه بعض المفسرين - لا سيما من المعاصرين- إلى أن لكل سورة غرضًا محوريًا تدور عليه جميع آياتها،فعنوا ببيانها في تفاسيرهم.

ومن خلال تتبع بعض التفاسير القرآنية تبينت بضعة فوائد لملاحظة وحدة نسق السورة في تفسير أجزائها، منها تيسير التفسير،وتسديد فهم بعض ما أشكل على المفسرين،وترجيح ما اختلفوا فيه،واستجلاء أسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة اللفظ. بالإضافة إلى الوقوف على الأصح من المناسبات بين الآي واستكناه بعض الحكم التربوية واللطائف المعنوية المكنونة فيها. وهذه الفوائد تنبئ عن أهمية دراسة نسق السور القرآنية وجعله مرتكزًا في التفسير السديد لكتاب الله المجيد .وقد خلصت إلى بيان طرق استجلاء الغرض المحوري للسورة، وحددتها في أربعة مسالك وهي: تدبر فواتيح السورة وخواتيمها،وتقسيمها إلى مقاطع حسب مضمونها، ومعرفة زمن نزولها، والاستئناس بأسمائها المأثورة.ولا ريب أن الالتفات إلى نسق السورة القرآنية واستحضارها في التفسير سيثمر دراسات قرآنية جديرة بالأخذ بيد المسلم نحو فهم مراد الله تعالى وملامسة هداياته في كلامه.

المقدمة

القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم ،وآيته الظاهرة ومعجزته الخالدة على مر العصور، وقد نزله الله تعالى على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم – على خلاف الكتب السماوية السابقة – مُنجّماً حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة،وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه آيات أمر أصحابه بكتابتها في مواضعَ يُعيّنها حسبما أوقفه عليه جبريل عليه السلام دون مراعاة لترتيب النزول، وقد تألف مما جمع على هذا النحو سُوَر مؤتلفة المباني متسقة المعاني، لا تكاد تحس بأدنى خلل في بنائها أو تنافر بين أجزائها. وبهذه السور وقع التحدي، وصحت المعجزة كما في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٢].

وقد اهتم العلماء منذ وقت مبكر بدراسة أسرار نظم آي القرآن الكريم تحت مسمى الإعجاز بالنظم تارة، وبعنوان علم المناسبات تارة أخرى، إلا أن تفسير القرآن ظل بمنأى عن بيان وحدة نسق السورة والتحام موضوعاتها واتساق أجزائها بحيث تترامى في جملتها إلى غرض واحد،وبقيت المناسبات بين الآيات والسور لونًا من ألوان النكت التفسيرية التي تظهر بعض أسرار ترتيب القرآن المعجز دون أن ترقى إلى جعل السورة بنية متماسكة لها مقصود واحد. ومع أن بعض المفسرين تنبهوا إلى أن لكل سورة غرضًا محوريًا تدور عليه جميع آياتها فإن أكثرهم لم يستصحبوا هذا الملحظ في تفسير أجزائها وبيان ارتباط معانيها.

وقد تزايد الاهتمام بالتناسق الموضوعي في القرآن تسديدًا لعلم التفسير ، وتجديداً لطرائق التعامل مع القرآن الكريم وتدبر آياته وسوره.

وقد اخترت أن أستعمل للدلالة على هذه الخصيصة القرآنية مصطلح وحدة

النسق[1]، وأعني بها: التحام موضوعات السورة القرآنية وتماسك بنائها واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد. وأعني بالنسق[2]بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين آياته. وقد يعبر عنه بعض الباحثين بسياق السورة العام، إلا أن كلمة " النسق " – في رأيي – أدل على التكامل والتناسب من الناحيتين المعنوية والبيانية، وأشمل لأجزاء السورة، بخلاف السياق الذي يراد به سوابق الآية ولواحقها.كما أن وحدة النسق أدل على إحكام بناء السورة من التناسق الموضوعي الذي يدل على تناسب مواضيعها فحسب.

وقد عبر كثير من الكاتبين عن هذا المفهوم بالوحدة الموضوعية[3]، ولكنني آثرت التعبير بوحدة النسق دفعا لما قد يُتَوهّم من أن إضافة الوحدة الموضوعية إلى السورة يقضي بأن لها موضوعًا واحدًا[4]، فالحقيقة أن معظم السور القرآنية متعددة المواضيع، ولكنها مع تعددها متحدة في هدف عام تتجه إليه، ملتحمة في نسيج واحد دون تنافر أو تفكك؛ وما يعبر عنه بعض الكاتبين بأنه موضوع السورة إنما هو هدفها المحوري الذي تدور عليه جميع موضوعاتها. وهو ما سأتناوله في هذا البحث، بيانًا لجهود العلماء من المتقدمين والمعاصرين فيه، وإيضاحًا لطرائق استجلائها وفوائد ملاحظتها في التفسير .

---

(١) وقد سبقني إلى هذا المصطلح د أحمد أبو زيد في كتابه " التناسب البياني في القرآن " .منشورات كلية الآداب بالرباط ١٩٩٢م .

(٢) هذه الكلمة وردت في نص لأبي إسحاق الشاطبي حيث يقول عن سورة المؤمنون:" إلا أنه غلب على نسقها ذكر الكفار للنبوة"الموافقات (ج ٣ / ٣١٢)وفي كلام محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم (١٥٦).

(٣) وهذه التسمية سائغة اعتبارًا بكون المقصود بها هي وحدة موضوعات السورة ، ولكنني اخترت استعمال "وحدة النسق "، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٤) وممن يوحي كلامه بهذا المعنى الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في مثل قوله "حول وحدة موضوع السورة القرآنية" (قواعد التدبر الأمثل ٤٢) وفي تعبيره تسامح،وإلا فإن معظم السور متعددة الموضوعات.

المبحث الأول

دلائل وحدة النسق القرآني

من خصائص القرآن الكريم أنه لم يُفرِد كل سورة من سوره لموضوع معين في الغالب[١]، بل كان يجمع في السورة الواحدة مواضيع متنوعة وأغراضًا مختلفة من عقائد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وجدل وحكم ويتنقل بينها من غير فصل. وهو بذلك مباين لمناهج التأليف البشرية التي تعتمد التبويب والترتيب،وهذا ما جعل المغرضين من المستشرقين كدوزي وبلاشير وغيرهم يطعنون في القرآن ويرون أن آياته لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق ! بل في سرده للموضوعات عشوائية واضطراب، وزعموا أن ذلك يعزى إلى البدائية والبساطة في طريقة التأليف مما يدل على أنه فكر بشري لا وحي إلهي![٢]

ومن ثم أوصوا بإعادة الحياة للمصحف - في زعمهم - وذلك بترتيب القرآن وسوره وفق السياق التاريخي المعقول بناء على أسباب النزول،تيسيرًا للقارئ الغربي ومساعدة له على فهم القرآن،وسار على ذلك بعض مترجمي المصحف؛ وفي ذلك يقول بلاشير[٣]معلقًا على اقتراح

---

(١) واحترزت بقولي " الغالب" لاستثناء قصار السور فإن أكثرها يتناول موضوعًا واحدًا .

(٢) انظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان (٢ /٥٧٩) دار طيبة، ط ١، ١٩٩٣م.

(٣) مستشرق فرنسي : من أشهر كتبه " تاريخ الأدب العربي "، و"دراسة حول القرآن " وله مقالات عديدة في أشهر مجلات الاستشراق . تراجع ترجمته في مجلة الوعي الإسلامي ع٢٨٨ - ذو الحجة ١٤٠٨ هـ -ص ١٥ ويراجع " المستشرقون" للأستاذ نجيب العقيقي (١ /٣٠٩ - ٣١٢)ط دار المعارف.

نولدكه[1] بإعادة ترتيب السورة : " ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك بمنطق لا تكلف فيه إلى الاقتناع بأن الحياة قد أعيدت للمصحف،فما عاد يظهر على شكل متتابع مصطنع وغير منتظم للنصوص،بل على شكل سلسلة من الموضوعات،عالجها محمد خلال عشرين سنة وفقًا لمقتضيات دعوته " [2] .

والحقيقة أن التاليَ لأي سورة من مطلعها إلى ختامها لا يشعر بنشاز أو اضطراب، ولا يرى انقطاعًا أو انفصالاً، بل يخلص من معنى إلى آخر خلوصًا طبيعيًا لا عسر فيه ولا اقتسار، وتنطوي هذه الخصيصة في تمازج المعاني والأغراض في سور القرآن على عدة حِكَم كما سيأتي،من أظهرها أنه يكون سببًا لطرد سآمة القارئ والسامع وتجديد نشاطهما،مما يجعل الإنسان لا يمل من ترداد القرآن الكريم وسماعه.

و عند إمعاننا للنظر في كتاب الله المجيد نجد الدلائل متضافرة على أن آياتِ القرآن وكَلِمَه محكمة البنيان متناسقة الأركان،ومن هذه الدلائل :

١- إن القرآن ليس كلام أحد من البشر،وإنما هو كلام الحكيم العليم سبحانه،وهو كلام من له الكمال المطلق،فله الأسماء الحسنى والصفات العلى ، ومن ثم لا يمكن أن ترى ثغرة في بنائه أو تنافرًا في أجزائه أو تفككًا في معانيه،فكمال حكمته تعالى وسعة علمه سبحانه تقتضي إيقاع المباني والمعاني

---

(١) مستشرق ألماني : حصل على الدكتوراه في علوم القرآن وكان عنوان رسالته " أصل وتركيب سور القرآن " وقد أعاد النظر فيها وفي توثيق مراجعها ونشرها بعنوان " تاريخ النص القرآني " وله مؤلفات أخرى . تراجع ترجمته كاملة في " المستشرقون " (٢ / ٣٧٩- ٣٨٣).

(٢) "القرآن : نزوله ، وتدوينه وترجمته وتأثيره " لبلاشير- الفصل الأول (ص ٢٣- ٤٤) ط دار الكتاب اللبناني /بيروت ط ١ ١٩٧٤م .

على أبدع نظام، وقد وصف تعالى كتابه بالإحكام فقال:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هـود :١]، وقال تعالى منبهًا على كمال علمه وحكمته :﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل:٦].

وكثيرًا ما يستفتح السور القرآنية بوصف القرآن بالإحكام والتنويه بعلو مصدره وعظمة المتكلم به سبحانه تنبيهًا للقارئ على عظم قدر ما يتلقاه وسمو مضمونه،وطردًا لكل الوساوس التي تهجس في نفس السامع من جهة تعدد موضوعاته وتشعب معانيه أو غرابة أحكامه . ومن تأمل مطالع معظم سور القرآن التي تتسم بالطول نسبيًا وجد هذا الأمر مطردًا على نحو يجعلنا نجزم بوجود مقصود عظيم وراء ذلك، وكلما كانت السورة مجالاً فسيحًا لتعدد موضوعاتها كلما كان التأكيد على عظمة القرآن أشد، والتنبيه على إحكامه وإعجازه أقوى .

ولننظر على سبيل المثال سورة البقرة، فإنها أطول سور القرآن وأكثرها تشعبًا في مضامينها، ولذلك افتتحت بنفي الريب الذي قد يتردد في الصدور من القرآن، فقال تعالى مشيرًا إلى علو قدره :﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢] كما افتتح سورة الأعراف – وهي من السبع الطوال – بقوله سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٢] وفي مطلع آل عمران بين الله إنزال القرآن بالحق وموافقته للكتب السابقة – لتوجه السورة بالخطاب في شطر منها إلى أهل الكتاب – فقال سبحانه:﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران :٣، ٤].

ونجد سوراً أخرى افتتحت بالتنبيه على حكمة الكتاب:﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس :٢، ولقمان:٢]، أو وصف القرآن بالحكمة كقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[يس : ٢-٥].

وفي سور أخرى يقرن تعالى إنزال القرآن بصفاته العليّة :﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر :١ والأحقاف:٢ والجاثية :٢]،﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:٢]. وفي سور أخرى يقرن إنزال القرآن بنفي الريب والعوج واتسامه بالحق والاستقامة:﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:٢].﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد:١].﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:١].

وكما وصف آيات القرآن بالإحكام وصف السورة بذلك فقال تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد:٢٠].

ولو شاء الله تعالى لأنزل القرآن الكريم دون تقطيعه إلى سور، أو أنزل كل سورة منه في موضوع واحد، ولكنه عز وجل جعل كتابه سورًا غير متماثلة، منها الطويل والقصير والمتوسط بينهما، ومنها ما هو طويل الآيات، ومنها ما هو قصير الفواصل ، ومنها ما يركز على مسائل الإيمان، ومنها ما يركز على الأحكام؛ كل ذلك وفق بالغ حكمته تعالى .

٢- تسمية المجموعة من الآيات القرآنية بالسورة، فقد قال تعالى في مطلع سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١] وهذا الاسم يحمل في طواياه معنى الإحاطة وتوحيد الأجزاء المتعددة، فتصاريف مادة " س و ر" تدور على هذا المعنى كالسور الذي يحيط بأبنية المدينة ويجمع بيوتها، والسوار الذي يحيط بالمعصم... وفي السور وحدة واستقلال، وفي السوار زينة وجمال؛ والعلماء يُعرّفون السورة القرآنية بأنها " طائفة مستقلة من آيات القرآن ذاتُ مطلع ومقطع "[١]، ومن ثم فالسورة تحيط بطائفة من الآيات ذات المعاني المتنوعة وتجمعها برباط وثيق . ومطلع السورة وختامها بمنزلة الحدود التي تحف بآياتها فتجعل لها صبغة الاستقلال والتميز عن غيرها من السور الأخرى، وما تضمه السورة بين تضاعيفها من مواضيع مرصوص متكاملٌ كَتراصّ لَبنات البناء الواحد، متساوٍ في الجودة والحسن كالسوار الذي لا يدرى أين طرفاه، فتكتسي من اجتماعها على ذلك النحو رونقًا وجمالاً.

وتقسيم القرآن إلى سور مختلفة أحد مظاهر تيسير القرآن للذكر كما في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧]. فالسورة الواحدة من القرآن كافية للتذكير لمن أراد أن يتذكر، لتنوع موضوعاتها وتعدد الجوانب التي تتناولها، ومن ثم فما من مسلم أقبل على كتاب الله إلا ونال حظه منه تلاوة وحفظًا، على قدر ما يسعفه وقته واستعداده وذاكرته ، وأخذ نصيبه من تذكر المعاني الرئيسة مهما كانت منزلته في المعرفة والفهم.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني(١ / ٣٥٠).

٣- وقوع التحدي بالسورة الواحدة من سور القرآن، فقد قال تعالى :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣]، وقال تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨]، وهذا التحدي دليل على أن بناء السورة وتأليف آياتها على هذا النحو العجيب أمر معجز للأولين والآخرين، ولا يمكن أن يصح الإعجاز بالسورة القرآنية إلا إذا كانت متآزرة المعاني متسقة المباني معجزة في ترتيبها وبنائها مع تنوع مضامينها . وقد دعا الله الخلق إلى تدبر القرآن والتأمل فيه، وعلى رأسهم العرب الذين كانوا فرسان البلاغة وأرباب البيان، ومع علمهم بعيوب الكلام و قوادح بلاغته شعرا ونثرا فإنهم لم يعيبوا القرآن بأنه ضعيف الترابط أو مهلهل النسج أو متنافر الأجزاء، كما يقول المستشرقون الذين يفتقرون إلى الذوق البلاغي .

ونظام السور القرآنية نظام متميز، فالكتب التي يؤلفها البشر تُقسَّم إلى أبواب وفصول ومباحث حسب جزئيات الموضوع التي تتناوله، وكل مبحث يتناول واحدة منها دون أن يخلطها بغيرها، أما السورة القرآنية فتجمع في كثير من الأحيان مواضيع متعددة، وهي على اختلافها متآلفة في نسيجها، وهنا يكمن الإعجاز . ثم إننا لو عمدنا إلى القرآن وجمعنا طائفة من الآيات متحدة الموضوع من سور مختلفة وجعلناها سورة واحدة لوجدناها متنافرة الأسلوب مضطربة التركيب، ولو أخذنا من سورة معينة آياتٍ ذات موضوع واحد كالآيات التي تتحدث عن قصة خلق آدم في سورة البقرة مثلاً [من الآية ٣٠ إلى الآية ٣٨] وجعلناها سورة قصيرة لوجدنا أن القصة قد خفتت إشعاعاتها

وانكسفت أنوارها. ولكن الله تعالى أراد أن تكون سور القرآن على ذلك النحو، وترك استخراج المواضيع ذات الصبغة الواحدة للجهد البشري تصنيفًا وتفسيرًا واستنباطًا على مدى العصور، بما يلبي حاجات البشرية ويوفي بمطالبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- ترتيب آيات سور القرآن الكريم توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم مأخوذ من الوحي، فقد تنزل القرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة، و لم تكن تنزل آيات السورة مجتمعة في آن واحد، ولا متوالية في أوقات متقاربة، وإنما كانت تنزل متفرقة حسب الدواعي والأحداث، ويكفينا للتمثيل على ذلك أن سورة العلق نزل مطلعها﴿ٱقْرَأْ﴾ إلى قوله تعالى :﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ في بدء الوحي، ونزل شطرها الأخير في وقت لاحق بعد نزول آيات من سورة المدثر وتتابع نزول الوحي عليه[(١)].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اكتمل إنزال السورة دعا كتبة الوحي ليكتبوها على وفق ترتيبها الذي أخبره به جبريل ، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال له : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: « **ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** »، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: «**ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** »

(١) انظر سبب نزول مطلع سورة المدثر في لباب النقول بهامش تفسير الجلالين (٨٠٥) وسبب نزول الآيات الأخيرة من سورة العلق (٨٢٨) .

وإذا أنزلت عليه الآية قال : « **ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** »[1].فكأنه عليه الصلاة والسلام يرشدهم – بوحي من الله – إلى المواضع التي تلائم الآية التي أنزلت عليه، وتتصل بها بروابط معنوية معينة.

وما دام الترتيب في المصحف على غير ترتيب النـــزول فهو ترتيـــب مستند إلى ما في اللوح المحفوظ الذي استكَنَّ الله فيه كتابه قبل إنزاله على قلب رسوله مصداقا لقوله تعالى :﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج:٢٢] وهذا الأمر ليس منحصرًا في ترتيب الآيات، بل يشمل ترتيب السور، فهو كذلك وفق ترتيبها في اللوح المحفوظ، ولذلك قال ولي الدين المَلَّوي : « قد وهم من قال :لا تطلب للآية الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطـــاب أنها على حساب الوقائع تنـــزيلاً، وعلى حسب الحكمـــة ترتيبًـــا وتأصـــيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بـــالتوقيف؛ وحافظ القرآن العظيم لو استُفتِيَ في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لَذَكر آية كل حكم على ما سُئِل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كمـــا نزل مفرقًا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ... »[2]. ولا ريب أن وضع الآية لا يكون إلا في الموضع الذي يناسبها والذي علم الله تعالى أنه أوفق بها وأوقع في تحقيق مقاصدها.

و لو تأملنا سورة البقرة وقد نزلت ترتيلاً في ما يقارب عشر سنوات ؛

---

(١) مسند الإمام أحمد (١ / ١١١ رقم ٥٠١) . الترمذي (كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم ٣١٨٧) وصححه الحاكم (٢ / ٢٣٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي(١/ ٣٧)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي(٢ / ١٠٨) .

لوجدناها مع ذلك معجزة ظاهرة، متناسقة الألوان، متوافقة الأشكال، تأخذ ألباب الناظرين بجمالها وروعتها، وتوحي للمتوسمين بإشاراتها ودلالاتها . ومن مظاهر الإعجاز التي نلمحها فيها أن اختلاف أسباب نزول آياتها وتباعد أوقات تنزيلها كان أدعى إلى تفكك أجزائها وتداعي بنائها، ومع ذلك تجدها متصلة الوشائج، متينة النسج، متنوعة المشاهد، متحدة المقاصد، متآلفة البدايات والنهايات :﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٣].

٥- كراهة السلف للتنقل بين السور دون إكمال واحدة منها، والخلط في التلاوة بين آيات من سور متعددة، ولعل أساس ذلك هو ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم « أنه مر ليلة بأبي بكر وعمر وبلال رضي الله عنهم وكلٌّ منهم يقرأ القرآن، فلما أصبح قال لبلال : **مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة !** فقال : أخلط الطيّب بالطيّب فقال: **اقرأ السورة على وجهها - أو قال- على نحوها** »[1].

فقد نحى بلال رضي الله عنه - حسب هذه الرواية - في تلاوته للقرآن منحى خاصًا، إذ كان ينتخب من كل سورة آيات الرجاء والرحمة وما يتضمن وصفَ الجنة والنعيم[2] وما أشبه ذلك ويضمه إلى نظائره في سورة أخرى؛ فأمره النبي أن يقرأ السورة على الوجه الذي أنزلت عليه بتنوع موضوعاتها وتعدد أغراضها وتشعب معانيها، تحقيقا للمقصد الإلهي من

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢ / ٤٩٥ رقم ٤٢٠٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٦ / ١٥١ رقم ٣٠٢٥٩)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (١ / ٣٦٠ رقم ٢٩٨)، وسنن البيهقي الكبرى (٣ / ١١).

(٢) بهذا شرح أبو عبيد القاسم بن سلام أثر بلال كما نقله عنه الزركشي في البرهان (١ / ٥٥٣).

التسْوِير، وفي رواية أخرى أن النبي قال له: ((**إذا قرأت السورة فأنفذها**))[1] أي أكملها، وهذا الأمر النبوي يحمل في ثناياه نكتة لطيفة، وهي أن السورة وحدة متماسكة متكاملة لا يغني بعضها عن سائرها، ومن ثَم لا يحصل الانتفاع بها واستخراج بركاتها وهداياتها إلا باستيفائها تلاوةً وتدبراً، فآياتها حلقات مترابطة آخذٌ بعضُها بأعناق بعض، ولو ظهرت باديَ الرأيِ مختلفة المقاصد متنائية الأغراض .

ولعل من أبرز حِكَم الامتزاج بين تلك المعاني المختلفة، أن كتاب الله تعالى شفاء لصدور الخَلقِ ، وليتناسب الشفاءُ مع مكونات النفوس البشرية المتداخلة وأحوالها المتعددة، لا بد أن يوضع بميزان دقيق ليتمكن من تتبع مسارب النفوس ومعالجة دخائلها المختلفة، ومن ثم كان من اللازم أن يقرن الترغيب بالترهيب، والبشارة بالإنذار، ويشفع ذكر الدنيا بنبأ الآخرة، ويؤكد ما يقرره بالدلائل التي تشهد عليه، ويمهد للأحكام التشريعية بأساس إيماني تحمل النفوس على الالتزام بها، بحيث يبادر النفوس بما تحتاج إليه عند تلقيها للوحي، ويجيب العقول عما تبحث عنه، ويغذي العواطف ويمتع الأرواح بما تهفو إليه؛ كل ذلك بشكل متوازن متناسق، شأنه شأن الدواء الذي يركبه الصيدلي لعلاج مرض معين[2]، فيضعه بنسب مضبوطة بدقة، كي يتحقق الشفاء التام دون أضرار أو مخاطر، فإذا تغير مقدار واحد من المواد التي تركب منها، أو زالت مادة من تلك المواد بالجملة، لم يؤد ذلك الدواء مفعوله، بل قد يستحيل سمًا قاتلاً ، ولكن

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (١ / ٣٦٠ رقم ٢٩٩).

(٢) نقل الزركشي عن أبي عبيد قوله : " فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة كما أنزل الله تعالى؛ فإنه أعلم بدواء العبد وحاجتهم، ولو شاء لصنفها أصنافًا، كل صنف على حدة، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام الإيمان " البرهان (١ / ٥٥٣).

القرآن يتميز بكونه شفاءً خالصاً، إلا أن الانتفاع بآثاره المباركة استشفاءً واستهداءً لا يكون إلا بأخذه على الوجه الذي ألّفه الله سبحانه عليه، وبقدر ما يجتزئ المَرْء ببعضه دون بعض ينقص حظه من مِنَح القرآن وهِباته، وبقدر ما يتعامل معه على هيئته الممتزجة ينال خيراته وبركاته، ولا ريب أن سر شفاء القرآن هو في ترتيبه على ذلك النحو المعجز، ومَثَلُه في ذلك كمَثَل العسل؛ فإن الله تعالى شهد له بكونه شفاءً للناس، وعلة ذلك أن النحل تأكل من نباتات مختلفة وأزهار متنوعة، وفي الآية التي يخبر الله فيها عن وحيه للنحل قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩]، وبقدر تنوع طعامها تكون جودة عسلها، وقوة أثره الشفائيّ .

ولكن كلام الله تعالى يعلو على غيره، ويمتاز بأنه كلّه شفاء وهدى ورحمة ونور، فما من سورة إلا وهي في نفسها شفاء لعلة من علل النفوس، وهداية إلى سبيل من سبل الخير، ورحمة للإنسان من الوقوع في مَهْواة من مهاوي الضلال، ونور يزيح عنه ظلمة من الظلمات .

فالقرآن يروم من قارئه أن ينال من قراءة كل سورة من سوره نصيباً وافراً من الهدايات التي بثها فيها، ويخرج من تدبره لأسلوبها ومعانيها وفواصلها ومعايشة قصصها وصورها وحواراتها برسالة السورة التي تحملها إليه.

وقد تأملت في سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فوجدته غالباً يتلو في صلاته سوراً كاملة، ولا يقطعها أو يكتفي بأجزاء منها إلا

أحيانا[1]، وكان تحزيب السلف للقرآن ينتهي عند آخر السور، ولا يتوقف عند أواسطها أو أواخرها .

ولعلّ حكمة ذلك هو أن السورة - كالآية الواحدة - ينبغي للوارد على حياضها ليستسقي من معينها بالمكيال الأوفى أن يتم تلاوتها إذا أراد أن يستمنحها هداها كله، لا أن يتوقف عند جزء منها؛ لأنه بذلك يكون قد قطَّع أوصالها؛ فإذا استأنف قراءتها بعد ذلك لم يتلق الرسالة القرآنية الكلية في السورة، وإنما أخذ بعض معانيها فحسب .

وما ورد في السنة من استحباب تلاوة آيات مخصوصة في مواضع معينة - كآية الكرسي وخواتيم البقرة ونحوها - فإنها تؤخذ كذلك مجتزأة من السورة التي وردت فيها لكونها تحمل معنى مستقلاً يناسب المقام الذي تقال فيه من أجل الذكر أو التحصين أو سؤال الله تعالى والاستعانة به .

وبذلك يكون القرآن قد نفع من يتلوه - بسوره وأبعاضها- على اختلاف درجاتهم؛ إذ منهم الأمي الذي لا يعرف القراءة، والشيخ الذي لم يتعلم شيئًا كثيرًا من القرآن في شبابه، والقارئ الذي يكتفي بقراءة حروفه، والمتأمل الذي يقتنص من تلاوته للقرآن مقاصده وغاياته.

٦- الجمع بين الآيات المكية والمدنية في السورة الواحدة : فمن المعلوم أن القرآن منه ما نزل قبل الهجرة النبوية، ومنه ما نزل بعدها، فالأول يطلق عليه المكي من القرآن تغليبًا، والثاني يطلق عليه المدني لكون معظمه نزل بالمدينة، ولكلٍّ من المكيّ والمدنيِّ خصائصُ موضوعية وأسلوبية تميزه عن قسيمه.

---

(١) وقد أكد هذه الملحوظة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صفة صلاة النبي (١٠٣) .

ولكن الأمر المُعجِب في بناء السور القرآنية، أنك تُلفي كثيرًا منها قد امتزجت فيه آيات مدنية بأخرى مكية في سياق واحد، وتجدها مع ذلك في غاية الالتئام والانسجام، بحيث تحسَب أن السورة كلها نزلت في مكان واحد، فلا تدري أنها مكية أو مدنية إلا من كتب التفسير، التي تَسِمُ السورة - مثلاً- بكونها مكيةً بناء على الغالب منها وتستثني بعض آياتها فتذكر أنها مدنية النزول، أو العكس، وكثيرًا ما تورد اختلافًا في كونها من هذا القسم أو ذاك.

وهذا البناء المُحكَم يدلنا على أن المقصود من ترتيب آي السورة مُباين للمقصود من ترتيب النزول، فزمان النزول إنما كان على مقتضى سنة التدرج في تنزيل شرائع الإسلام ومراعاة حال المخاطبين في تربيتهم على مبادئها وتكاليفها، أما حكمة وضع الآيات المدنية في سورة مكية أو وضع آيات مكية في سورة مدنية فهي أن هذه الآيات دون غيرها هي التي تخدم مقصود السورة وتلتئم مع المعنى الذي تدور عليه سائر آياتها.

ومن أمثلة السور المكية التي استفتحت بآيات مدنية سورة العنكبوت، ففي قولٍ لابن عباس وقتادة وغيرهما أنها مكية إلا عشر آيات من أولها[(١)].

ومن أمثلة السور المكية التي جاء في أثنائها آيات مدنية سورة الأنعام، فقد قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية:٩١] ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ [الآية:١٤١][(٢)].

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٣٢٣) .

(٢) زاد المسير (٣ / ٣) ط دار الفكر، د ت .

ومن أمثلة السور المكية التي اختتمت بآيات مدنية النـــزول سورة النحل فإنها على قول عطاء بن يسار مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومُثِّل به(1)، وكذلك سورة الشعراء، فإنها على قول ابن عباس وقتادة مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة من قوله :﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الآية: ٢٢٤] إلى آخرها(2).

ومن أمثلة السور المدنية التي تخللتها آيات مكية سورة الرعد فهي مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة؛ وهما قوله عز وجل:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد:٣١] إلى آخرهما(3).

ومثال سورة مدنية جاءت في ختامها آيات مكية النـــزول سورة المطففين، فهي على قول ابن عباس وقتادة مدنية إلا ثمان آيات من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [الآية:٢٩] إلى آخرها(4).

وهذه الأمثلة شواهد بيِّنة على كمال تآلف الآيات وتكامل مضامينها، واتصال عُراها .

---

(1) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٢٧) وانظر أقوالا أخرى في زاد المسير (٤ / ٣١١) .

(2) تفسير القرطبي (١٣ / ٨٧).

(3) المصدر السابق (٩ / ٢٧٨) .

(4) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٠)

المبحث الثاني

عنايـــة المفسرين بعلم المنـــاسبات

لقد استرعى هذا النمط في عرض مضامين السورة اهتمام العلماء قـــديمًا وحديثًا، فنشأ علم عني ببيان أوجه التعلق والربط بين الآيات الـــتي ظاهرهـــا الانفصال والاستقلال، وهو ما سمي بعلم المناسبات. وقد ظهرت بوادر العنايـــة بالتناسب بين الآيات عند فريقين من المفسرين:

- مفسرون غلب عليهم البحث عن الأسرار البيانية في نظـــم القـــرآن الشاهدة بإعجازه.

- مفسرون غلب عليهم الاتجاه الصوفي، فَهُم يلتمسون لطائف القـــرآن وبدائع إشاراته.

ومن أقدم من اهتم بذلك أبو بكر النيسابوري[١] (ت ٣٣٨ هـ) الذي أظهر المناسبات في دروسه التفسيرية ببغداد، فكان يقول: لم جعلت هذه الآية جنـــب هذه؟وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟[٢].

ثم انتقل إلى طور التأليف حيث يحدثنا أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٢ هـ) عن هذا العلم وتأليفه فيه فيقول: « ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حـــتى تكـــون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله لنـــا فيه، فلما لم نـــجد له حملـــة ، ورأيـــنا الخلق بأوصـــاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننـــا وبين الله ورددناه

(١) هو أبو بكر محمد بن عبدوس بن أحمد النيسابوري المفسر الواعظ، إمام فاضـــل عـــالم بمعـــاني القرآن، كان غزير العلم في الشريعة والأدب. طبقات المفسرين الداودي (٢ / ١٩١).

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي(١ /٣٦) .

إليه »[1].

والظاهر من كلامه أنه لم يجد من طلاب العلم في زمانه إقبالاً على هذا الفن، فلم يمل تصنيفه على طلابه كعادته في باقي تصانيفه، ولم يعطه للنساخ لينشروه، وإنما أخفاه كما أشار إليه في كتاب "الناسخ والمنسوخ " حيث قال: «والأحكام فيها (أي سورة الأنعام) قليل لعارض بينا وجهه في "ترتيب آي القرآن "، وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفِيّ، فوضعناه في سرب خفيّ »[2].

كما احتفل الفخر الرازي (٦٠٦هـ) بهذا النوع في تفسيره أيما احتفال، حتى إنه كان يورد في تناسب بعض الآيات أكثر من وجه. وقد أفصح عند تفسيره لخواتيم سورة البقرة بأنه أحد وجوه الإعجاز وعاب على المفسرين غفلتهم عنه[3] فقال : « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته   والذنب للطرف لا للنجم في الصغر»[4]

وقد كان للرازي عميق الأثر في المفسرين الذين جاءوا بعده،لا سيما أبي حيان

---

(١) البرهان (١ /٣٦).

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (٢ /٢١٠) تحقيق: د. عبد الكبير العلوي المدغري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٨٨.

(٣) قال الزركشي معللا ذلك : " وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته " البرهان (١ / ٦٢).

(٤) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (٧ /١٢٨) دار الكتب العلمية، طهران، ط ٢.

الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في "البحر المحيط"، والشهاب الخفاجي (ت ٧٩١ هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي، والآلوسي (ت ١٢٨٠ هـ) في "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

أما في الغرب الإسلامي فقد برز جانب العناية بالتناسب بين الآيات عند أبي الحكم بن برَّجان الإشبيلي (ت ٥٣٦ هـ) في تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم"[١]، ثم عند أبي الحسن الحرّالي المراكشي (ت ٦٣٨ هـ) في تفسيره[٢]. وعند أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المُرْسيّ(٦٥٥ هـ) في تفسيره "رِيّ الظمآن في تفسير القرآن"، حيث قصد فيه ارتباط الآي بعضِها ببعض[٣].ونضجت فكرة التناسب عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي(ت ٧٠٨ هـ)، فألف كتاب " البرهان في ترتيب سور القرآن " في تناسب السور، كما ألف كتابه " مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل "، وبين فيه مناسبة كل آية من الآيات المتشابهة في ألفاظها لمساقها.

وعلى الحرالي وابن الزبير كان اعتماد برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) الذي صنف تفسيرًا حافلاً استوعب فيه المناسبات بين السور والآيات في القرآن كله، وسماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

---

(١) انظر ابن برجان والتفسير الصوفي، محمادي بن عبد السلام الخياطي، أطروحة دكتوراه بدار الحديث الحسنية (٢ /٣٧١ – ٣٩١).

(٢) انظر: أبو الحسن الحرالي المراكشي، أثره ومنهجه في التفسير، محمادي الخياطي رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية (٢ /٢٨٩ – ٢٩٩).

(٣) معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦/ ٦٤٢) مؤسسة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

وعلى نهجه سار الإمام السيوطي (٩١١هـ) حين ألف كتاباً جامعاً لمناسبات السور والآيات مع بيان ما تضمنه القرآن من وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة سماه " أسرار التنزيل "[١]، وأفرد كتابا لتناسب السور سماه" تناسق الدرر في تناسب السور".

ومع أنهم كانوا يؤكدون أن فائدة هذا العلم هو "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حالَ البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[٢]؛ فإن قصارى ما كانوا يعمله أكثرهم هو التماس بعض أوجه الربط بين الآيات دون أن يضعوا أيديهم على الخيط الجامع الذي تنتظم فيه حبات عقد السورة، وكانت عنايتهم بالمناسبات من باب استجلاء اللطائف التفسيرية التي يستدل بها على جمال القرآن وعلو نظمه، باعتبار التناسب المعنوي من محاسن الكلام، مما جعل علم المناسبات من مُلَح علم التفسير لا من متينه. وقد أوغل في البعد عن تحقيق ثمرته حين صارت المناسبات حبيسة لبعض الاصطلاحات البلاغية والظواهر الأسلوبية، كما تجده عند الزركشي (٧٩٤هـ) والسيوطي حيث يتحدثون عن التناسب حديثَ البيانيين ويستعرضون أساليب الربط بين الآيات : كالتنظير، و المضادة، والاستطراد، والتذييل والعطف، والالتفات والاعتراض وغيرها[٣].

وعلى هذا النحو كان محمد الطاهر بن عاشور في بيانه للتناسب في"التحرير والتنوير" يوظف مبحث الجمل من النحو ومباحث الفصل والوصل

(١) انظر تناسق الدرر حيث ذكر الأنواع الأربعة عشر التي اشتمل عليها هذا الكتاب (ص٥٣ -٥٤).
(٢) البرهان (١/ ٣٦).
(٣) انظر المصدر السابق (١ /٤٠ – ٥٠)، والإتقان في علوم القرآن (٢ /١٠٨ – ١٠٩).

والاستئناف البياني والابتدائي من البلاغة وغير ذلك[١]، ويغرق المناسبات في سيل من المصطلحات الأسلوبية.

ومن جهة أخرى فإن بعض المناسبات التي ذكرها بعض أولئك المفسرين لم تخل من شيء من التكلف والتمحل[٢]، وذلك لخفاء وجه التناسب ودقته في كثير من الآيات، واعتمادهم في بيانها على مجرد الرأي والذوق، وذلك ما جعل بعض العلماء كالعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) يشترط أن تُلتمَس المناسبة في كلام متحد يرتبط أوله بآخره، فإن وقع الكلام على أسباب مختلفة لم يلزم في رأيه أن يكون أحد الكلامين مرتبطًا بالآخر[٣].

وبالغ الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) فعدّ علم المناسبات علمًا متكلفًا ليس من ورائه فائدة، وأنحى باللائمة على المفسرين الذين اشتغلوا به، وأطال الاحتجاج في إبطال هذا المسلك[٤].

ولكن إنكاره محمول على أوجه التناسب البعيدة؛ إذ هو نفسه كان يذكر في تفسيره بعض المناسبات القريبة حين بيان علة انتقال سياق الآيات من موضوع إلى آخر[٥].

---

(١) انظر (١ /١١٦ – ٣٧٧) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

(٢) وهذا ما تعلق به الشوكاني فقال : "و ذلك أنه أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، جاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه " فتح القدير (١ / ٧٢).

(٣) انظر البرهان (٣٧/١).

(٤) انظر فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير (١ /٨٥ –٨٧) ط. ابن كثير بدمشق.

(٥) انظر (١ / ١٨٣ ــ ١٨٤ و١٨٨ و٢٤١).

ومرد هذا النقد هو أن معظم المفسرين الذين اعتنوا ببيان المناسبات كـــانوا يصرفون أنظارهم إلى التناسب بين الآيات معتمدين على السياق القريـــب دون أن ينظروا إليها نظرة شمولية يشرفون فيها على بناء السورة ليبصروا موقع كل قـــضية تناولتها من نظامها الكلي الذي وضعت عليه في جملتها، وهذا ما جعلهم يذكرون أحيانا مناسبات بعيدة وأوجها ضعيفة لا تبرز التحام الآيات واتساق معانيها، وإنما تزيدها تفككًا وانفصالاً، ومن ثم لم تحقق تلك المناسبات ثمرتها المرجوة منها، لأنها كانت منفصلة عن غرض السورة المحوري الذي تشتبك حوله سائر موضوعاتها.

ولعل أول من صرح بعلاقة المناسبات الوثقى بمقصود السورة العام هو أبو الفضل المَشَذّالي البجائي (ت ٨٦٥ هـ)[١] الذي أخذ عنه البقاعي المنهج الأمثل في التوصل إلى أوجه التناسب بين الآيات. وقد نص على ذلك في مطلع تفـــسيره للفاتحة حيث قال: « قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشذالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان : الأمر الكلـــي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر إلى الأحكـــام واللـــوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقـــوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك – إن شاء الله– وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة سورة »[٢].

---

(١) مفتي بجاية وخطيبها، من مؤلفاته مختصر البيان لابن رشد والفتاوى .ترجمته في توشيح الديباج لبـــدر الدين القرافي (٢١٩ –٢٢٠)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١١ /٢٥٩).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/١٧-١٨) توزيع مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٦٩.

المبحث الثالث

عناية العلماء المتقدمين ببيان مقاصد السور

من أوائل المفسرين الذين استبصروا بوحدة نسق السورة وأدركوا أن لكل سورة مقصودًا رئيسًا تدور عليه جميع أجزائها أبو الحكم بن برجان، إذ كان ينبه في غير موضع على غرض السورة الذي تأسست عليه، لا سيما في الربع الأخير من القرآن، ومن أمثلة ذلك قوله في سورة القمر:"الغرض الأساسي فيها هو إثبات نبوة محمد عليه السلام وتصحيح رسالته وأنه في ذلك على سبيل سلوكه للأنبياء والرسل قبله الذين أرسلوا إلى أمم لهم، فعصوهم وأهلكهم الله، وأن موعدهم الساعة. والحض على التذكر والتفكر والاعتبار وأن العاقبة للمؤمنين والمتقين "[1]، وتتردد عنده أمثال هذه العبارات: "وتأسيس تنزيل هذه السورة"، "المراد إثباته في هذه السورة"، " الغرض في هذه السورة".

وقد رأى بعض الباحثين[2] أن استشعار الموضوع الكلي للسورة قد ظهرت ملامحه عند الرازي، وضرب له مثالاً يتيمًا حيث يقول في سورة النساء: « اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة» [3]، وهو-كما ترى – لم يكشف عن غرض السورة الأساس، وإنما ذكر الطابع العام

---

(١) انظر: ابن برجان والتفسير الصوفي (٢ /٤٠٢).

(٢) د.رفعت فوزي عبد المطلب، الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية (ص ٧)، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

(٣) التفسير الكبير (٣ /١٥٩).

الذي يغلب على موضوعاتها.

ومن استشعر باختلاف سياق كل سورة عن غيرها الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في تفسيره " لطائف الإشارات "، وهذا ما أفصح به محققه الدكتور إبراهيم بسيوني في مقدمته حيث قال: « سار القشيري في اللطائف على خطة واضحة محددة..فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة...ومع تكرار البسملة في كل سورة فإنه يفسرها كل مرة على نحو ملفت للنظر...ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها »[1].

ومن تنبه إلى الغرض الأساس للسورة أبو جعفر بن الزبير الغرناطي الذي كان يبني التناسب بين بعض السور في كتابه "البرهان" على تلاحم مقاصدها.

ومن ذلك بيانه لمجمل معاني سورة البقرة، حيث استعرض أبرز معانيها وخلص إلى وحدتها قائلاً: « فحصل من السورة بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذًا وتركا، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه»[2].

وكذلك قوله عن سورة المائدة: « فحصل من جملتها الأمر بالوفاء فيما تقدمها، وحال من حاد ونقض، وعاقبة من وفّى وأنهم الصادقون»[3].

ومن العلماء الذين تنبهوا إلى تعانق موضوعات السورة المختلفة ودورانها

---

(١) لطائف الإشارات (١ / ٢٦)، وانظر تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء على التوالي (١ / ٤٤ و٥٢ و٢١٧ـــ ٢١٨ و٣١٠).

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص١٩٤)تحقيق محمد شعباني، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب ١٩٩٣م.

(٣) المصدر السابق (٢٠٣) وانظر (ص ٢٠٥ و٢٢٦ و٢٨٦ و٣٢٢و ٣٢٩)، ولي بحث قيد الإعداد في نظرية النسق القرآني عند أبي جعفر بن الزبير .

حول غرض واحد ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)؛ أما ابن تيمية فحديثه عن بعض السور كان يَشِي باستشعاره بالهدف المحوري للسورة وتناسب معانيها المتفرعة، ومن أمثلة ذلك قوله: « سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي؛ ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: هي آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحَرَّموا حرامها، ولهذا افتتحت بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١] ، والعقود هي العهود، وذكر فيها من التحليل والتحريم والإيجاب ما لم يذكر في غيرها، والآيات فيها متناسبة مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧] »(١).

وكان يبين أن المعاني على تشعبها متناسبة في موضعها، ولذلك قال عند استعراضه لمواضيع سورة البقرة:«فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض»(٢).

أما ابن القيم فمع أنه لم يصنف كتابًا في التفسير، إلا أن ما بثه في تضاعيف كتبه المتعددة يدلنا على التفاته للسياق العام للسورة القرآنية واستجلائه لمقصودها، ومن أبرز الأمثلة التي وقفت عليها قوله بعد تحليل بديع لمجموع آيات سورة العنكبوت: « فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمتها وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤ / ٤٤٨)، وانظر وصفه للبقرة بأنها أجمع سور القرآن لقواعد الدين أصوله وفروعه وبيانه لتقرير خواتيمها لمضمونها (١٤ / ٤١ و١٢٩).

(٢) المصدر السابق (١٤/ ٤٤) .

وتوكل، وآخره هداية ونصر »[1].

وممن لمح وحدة نسق السور القرآنية مع تعدد القضايا التي تتضمنها أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، إذ استبان له أن السورة وإن تعددت قضاياها فهي باعتبار النظم كلام واحد متصل من أوله إلى آخره، فلا يُسوِّغ لنا تعددُ قضاياها أن ننظر إليها باعتبارها أجزاء مستقلة عن بعضها، بل لا بد من استيفائها بالنظر لمن أراد التفهم السديد لها بناء على أن نظمها وترتيبها مأخوذ من الوحي، وقد أعرب عن ذلك فقال: « وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات. فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد النظر في جميعها، فسورة البقرة – مثلاً– كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو المؤكد والمتمم ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب منها، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك »[2].

وقد ضرب مثلاً آخر لسورة تعددت معانيها وبين أن جميع آياتها تدور على مقصود واحد، فقال: « وسورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معان كثيرة، فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد،وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى، أحدها: تقرير الوحدانية لله...

(١) بدائع التفسير لابن القيم، جمع : يسري السيد محمد (٣/٣٧٠) نقلاً عن شفاء العليل (٢٤٧) .
(٢) الموافقات في أصول الأحكام (ج ٣ /٣١٠ ــ ٣١١)، دار الكتب العلمية د. ت.

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد...والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة...وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر...فإذا تقرر هذا وعدنا إلى النظر في سورة المؤمنين مثلاً وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه، إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنيين الباقيين »[١]. وبعد استعراض جملة من آياتها والربط بين معانيها خلص إلى وحدة موضوعاتها قائلاً : « فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد »[٢].

وقال في موضع آخر مؤكدًا أن النفي الوارد في قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢] وارد على ظلم مخصوص وهو الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآياته : « فإن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص؛ فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد وهادمة لقواعد الشرك وما يليه »[٣]. كما ذكر في موضع آخر أن سورة البقرة هي التي قررت قواعد التقوى [٤].

وقد اكتمل الإحساس بوحدة بناء السورة وتعانق موضوعاتها عند البقاعي الذي أبدع علمًا جديدًا من علوم القرآن هو علم مقاصد السور، وأفرده بكتاب استعرض فيه مقصود كل سورة، وبين فيه مناسبة اسمها لغرضها الذي تدور عليه سائر معانيها، قال في مقدمته: « فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع

---

(١) المصدر السابق (٣ / ٣١٢).

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣١٢).

(٣) الموافقات (ج ٣ / ٢٠٥).

(٤) المصدر السابق (ج٣ / ٣٠٥)

نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع...وآخرُ السورة قد واصل أولها كما لاحَم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغُرّ، البديعة النظم العجيبة الضم...»[1].

وقد وفق في إبراز وحدة السورة ودوران موضوعاتها المختلفة على غرض واحد، وأورد مثالاً تطبيقيًا في المقدمة بين فيه كيف توالت أجزاء سورة البقرة على إقامة الدليل على أن الكتاب هدى مما دل على أنه مقصودها المحوري فقال : «مثاله: مقصود سورة البقرة وصف الكتاب المذكور أولها بصريح اسمه الناظر بأصل مدلوله إلى جمعه لكل خير، المشير بوصفه إلى ما في آخر الفاتحة من سؤال الهداية والإبعاد من طريق الضلال، ثم بوصفه في قوله:﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [الآية:٤] المنوه آخرها بالذين آمنوا به في قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: ٢٨٥] إلى آخره. وذلك هو عين أولها لكونها تعيينًا لرؤوس من شمله وصف التقوى في فاتحتها... »[2].

ثم راح يستعرض مساقات الآي وأجزاء السورة وينبه كيف أنها تخدم هدف السورة الذي ذكره، وأنها ترجع إلى بيان شأنه مرة بعد أخرى « حتى عُرِف أنه مقصودها وسر معانيها وعمودها »[3].

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١ /١٤٩)، تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين. مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.
(٢) المصدر السابق (١ /١٥٠).
(٣) المصدر السابق (١ /١٥١).

المبحث الرابع

جهود المعاصرين في الكشف عن مقاصد السور

أما المعاصرون فإنهم قد أفادوا مما وصل إليه المتقدمون في هذا الشأن، وساروا بخطوات ثابتة نحو استجلاء المحور الذي تشد إليه جميع موضوعات السورة، وقد استطاع بعضهم أن ينظر بعين متفحصة إلى أجزاء السورة ويبصر بناءها المتكامل المتسق، ويضع يده على غرضها الرئيس بشكل أدق مما توصل إليه بعض المفسرين من قبل.

وفي طليعة المفسرين الذين أدركوا وحدة السورة وحسن اتساقها رشيد رضا، فقد ألمع في تفسيره إلى كون الجمع بين الموضوعات المتعددة والنسيج الواحد المتماسك أحد دلائل الإعجاز، فقال : « إن التفنن في مسائل مختلفة ... منتظمة في سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المذهبية التي لم تسبق، ولن يَبلغ شأوَه فيها بليغ، والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه وحسن اتساقه »[(١)].

و يعد أديب العربية مصطفى صادق الرافعي من الذين تبينوا في بناء السورة رابطًا خفيًا يرص لبناتها مع تعدد وجوه الكلام فيها أمرًا ونهيًا وتبشيرًا وتحذيرًا وإخبارًا وتمثيلاً، وقد سمى هذا الرابط بروح التركيب حيث قال: « فهذه الروح التركيبية وهذه الوحدة الموضوعية هي التي تميز القرآن عن غيره رغم تعدد الوجوه التي يتصرف فيها من أغراض الكلام كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الأمثال والجدل والتشريع ... ولولا تلك الروح لخرج أجزاء

(١) تفسير المنار (١ / ٢٨٩) .

متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازًا،كما تعرفه كلام البلغاء عند تباين الوجوه التي يتصرف فيها »[1].

ومن المفسرين الذين حاولوا التنبيه على مجمل أغراض السورة محمد الطاهر بن عاشور، وقد نص على ذلك في مقدمته حيث قال: « ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرف عن روعة انسجامه وتحجب عن روائع جماله »[2]. ومن ذلك تقسيمه لأغراض سورة البقرة بعد أن قرر تنوع مواضيعها إلى قسمين :

الأول: يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه، وأصول تطهيره للنفوس.

الثاني: يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم ... وكان في خلال ذلك أغراض شتى سيقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات ...[3].

ولكن أحسن من استشعر وحدة النسق القرآني واستدل لها وأطنب في إثباتها وعمد إلى إبرازها تطبيقيا في إحدى سور القرآن الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم"، حيث توخى بيان حسن التأليف في السورة الواحدة التي تتنوع فيها الموضوعات باعتباره أحد وجوه الإعجاز،فبين أن القرآن كان يتنزل منجمًا حسب الوقائع والدواعي المتجددة، وأن الانفصال

(١) إعجاز القرآن (٢٤٥)

(٢) تفسير التحرير والتنوير (١ / ٨).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (١ / ٢٠٣).

الزمني بينها واختلاف دواعيها كانا داعيين إلى ضعف الترابط وعدم الانسجام، ومع ذلك فإن تدبر أي سورة يوقفك على جليل الالتحام وبديع التناسق بصورة لا تعرف منها أأُنزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى، وقد صور تماسك بناء السورة فقال بتعبير بليغ: « إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة،كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد... »(١).

ثم بين دراز أن الصلة بين أجزاء السورة لا تعني اتحادها أو تماثلها أو ما إلى ذلك، بل إن القرآن سلك في الانتقال من معنى إلى آخر مسالك شتى، فتراه تارة يجاور بين الأضداد فيبرز محاسنها ومساوئها، وتارة يعمد إلى الأمور المختلفة من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها بسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاحتراس إلى غير ذلك. وأحيانا يقرن بين معنيين في النظم لاقترانهما في الوقوع التاريخي أو الوضع المكاني استجابة لحاجات النفوس التي تتداعى فيها تلك المعاني(٢).

---

(١) النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن (١٥٥)، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٧٠.

(٢) المصدر السابق (١٦١ – ١٦٢).

وقد اختار سورة البقرة نموذجا على وحدة النسق في السورة القرآنية، فهي أطول سور القرآن، وأكثرها نجومًا وأبعدها تراخيًا[١]، وتلك دواع قوية لجعل نظم هذه السورة متباين المعاني متناثر الأجزاء، ومع ذلك أثبت أن بين أجزائها وشائج قوية، وأوضح أن بنيتها تتألف من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة. فالمقدمة في التعريف بشأن هذا القرآن، وأنه لا يصد عنه إلا من في قلبه مرض.

والمقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

والمقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب بخاصة إلى ترك باطلهم والدخول في الإسلام.

والمقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

والمقصد الرابع: في ذكر الوازع الديني الذي يبعث على العمل بتلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

والخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة للمقاصد المذكورة وبيان ما يرجى لهم في الدنيا والآخرة [٢].

وقد حاول أن يعرض السورة عرضًا إجماليًا يبين فيه خط سيرها إلى غايتها، ويبرز نظامها المعنوي في جملتها، ويظهر كيف وقعت كل حلقة موقعها في السلسلة الكبرى، وكيف أن كل قسم ملتئم في نفسه، ومتسق مع سائر الأقسام. ولعل دراز يكون بذلك أول من سن التفسير الإجمالي الذي يلحظ

---

(٢) فقد نزلت في نيف وثمانين نجما، ومن آياتها ما نزل في أوائل السنة الثانية للهجرة، ومنها ما نزل في آخر السنة العاشرة (ص ١٥٨).

(٣) المصدر السابق (ص ١٦٣).

وحدة أجزاء السورة. وإن كنا نلاحظ أنه لم يعبر بعبارة جامعة تشمل المقاصد الأربعة وترجعها إلى مقصود واحد على نحو ما يصنع البقاعي.

وإذا كان عمل دراز قد توقف عند سورة البقرة، فإن سيد قطب كان من أوائل المفسرين الذين أبرزوا وحدة النسق في السور القرآنية كلها تطبيقيًا في كتابه " في ظلال القرآن "، فقد استشعر أن السورة وحدة متلاحمة، قد تتعدد مواضيعها وتتنوع مقاصدها ولكنها تشد في النهاية إلى محور واحد هو غايتها ومآلها. وقد أفضت به رحلته في ظلال القرآن وعيشه بين جنباته إلى أن يفصح بذلك قائلاً: « إن لكل سورة من سور القرآن شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها. ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو »[1]. ويقول في موضع آخر: « إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبرى، إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية »[2].

ولهذا كان يعمد إلى افتتاح السور التي يفسرها بعرض خطوطها العريضة وموضوعاتها البارزة بحيث يبين انسجامها منبهًا على الغرض المحوري الذي تدور حوله . ثم يسير في ضوء ما قرر ليحلل الآيات ويضع أيدينا بيسر على

---

(١) (٢٨/١) ط. دار الشروق . القاهرة. ط٩ . ١٩٨٠م.

(٢) المصدر السابق (١٢٤٣/٣)

وجه الانتقال من موضوع إلى موضوع.

ومن أمثلة بيانه لمقاصد السور قوله في سورة النساء : « هذه السورة بما تضمنته من تشريعات وتوجيهات تهدف أساسًا إلى محو ملامح المجتمع الجاهلي وتكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، وتلفت الأنظار إلى الدفاع عن كيانه المميز، وذلك ببيان طبيعة منهجه، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله من المشركين واليهود والمنافقين وكف حيلهم ومكائدهم وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم المسلم، وتصبه في قالب مضبوط »[1].

ومن ذلك قوله في موضوع سورة الأنعام: « إن موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة بكل مقوماتها وبكل مكوناتها، وهى تأخذ بمجامع النفس البشرية، وتطوف بها في الوجود كله ... إنها تطوف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، تلحظ فيها الظلمات والنور، وترقب الشمس والقمر والنجوم، وتسرح في الجنات المعروشات وغير المعروشات...»[2].

ومن أمثلة عنايته بمحور السورة العام وتتابعه وربطه بسياقها قوله في سورة الكهف: « محور السورة هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر والنظر،وتصحيح القيم بميزان العقيدة، ويسير سياق السورة حول هذه الموضوعات الرئيسية في أشواط متتابعة »[3].

---

(١) المصدر السابق (٢ /٥٥٥).

(٢) المصدر السابق (٢ / ١٠١٦).

(٣) المصدر السابق (٥ / ٥٢) .

ويقول أيضاً في سورة النحل مبيناً مناسبة التعبير بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢] لنسق السورة: «معظم سياق السورة يدور حول المكذبين والمشركين والجاحدين لنعمة الله ، والمحرمين ما أحله الله، والناقضين لعهد الله، والمرتدين عن الإيمان،ومن ثم يكون إظهار الإنذار أليق في هذا السياق. وتكون الدعوة إلى التقوى والحذر والخوف أولى في هذا المقام» [١].

كما التفت رحمه الله إلى تناسق بعض السور القرآنية المتوالية في ترتيبها والوشائج التي تصل بينها، ومن ذلك قوله في شأن سورة المائدة : « ومن ثم نجد في هذه السورة كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها - موضوعات شتى، الرابط بينها جميعًا هو هذا الهدف الذي جاء القرآن كله لتحقيقه : إنشاء أمة وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد..الأصل فيه إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان، وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه بلا شريك.. » [٢].

وقد كان لسيد قطب أعمق الأثر في باقي المفسرين المعاصرين ، وأول من تأثر به شقيقُه محمد قطب الذي استحضر هذه الخصيصة في دراساته القرآنية ، وتَكشَّف له أن ما يتكرر ذكره في سور متعددة لا يكون تكراراً تاماً ؛ بل إنه يحمل دلالات جديدة حسب السياق الذي ورد فيه ، وقرر« أن كل سورة من سور القرآن على إطلاقها لها شخصيتها المتميزة وجَوُّها الخاص ، وكل نص من نصوص القرآن - وإن بدا متشابهًا - فإنه يأخذ جو السورة التي يرد فيها ، ومن ثم تكون له

---

(١) المصدر السابق (٤/٤٥٤) .

(٢) يراجع الظلال (٢/ ٨٢٥)بتصرف يسير.

ملامحه الخاصة في كل مرة »[1] .

وفي دراسته لسورة البقرة أكد على وحدة موضوعاتها مع تنوعها بشكل لا تماثله موضوعات سورة أخرى فقال: « ولأول وهلة يبدو هذا الحشد مجـــرد انتقال من موضوع إلى موضوع بغير نظام! وذلك الذي يقوله الذين لا يعلمون من المستشرقين وتلامذتهم المثقفين! ولكن هذه السورة ورغم طولها ذلك، ورغم هذا الحشد المتنوع من الموضوعات، ذاتُ تنسيق دقيق في بنائها، يـــربط هـــذا الحشد المتنوع كله في رباط محكم، بحيث يصبح له على تنوعه أهداف واضـــحة محددة، وشخصية موحدة »[2].

وفي تدبره لسورة النساء يستوقفه الانتقال الذي قد يبدو مفاجئًا مـــن حديث عن العقيدة إلى الحديث عن شعيرة من الشعائر، إلى حكم من أحكـــام المعاملات إلى توجيه اجتماعي أو اقتصادي أو عسكري، ومن تأمُّله في ذلك كله يخلص إلى كون المقصود من ذلك هو تذكيرنا بوحدة هذا الدين وتكامل شرائعه وشعائره، وأنه ليس عقيدة فحسب، أو أحكامًا، أو آدابًا فحسب، بل هو كُلّ لا يتجزأ، وعلينا أن نتلقاه ونأخذه بكليته؛ قال : « وهذا النسق الخاص من العرض الذي ينتقل فيه السياق من نقطة إلى أخرى بلا انفصال جدير بأن يكشف لنـــا عن هذه الحقيقة في هذا الدين، وهي اتصال موضوعاته وجزئياته اتصالاً عضويًا غير قابل للانفصال .. بالضبط كما يعرضها السياق القرآني ، متـــصلة علـــى اختلافها بلا انقطاع ولا انفصال ... والله يريد لنا أن نتعرف علـــى ديننـــا في صورتـــه الشاملة المتصلة المتـــرابطة ، ولكيلا يتجزأ في حسّـــنا وفي ممارستنا إلى

(١) دراسات قرآنية (٢٤٨).

(٢) المصدر نفسه (٢٧٧) .

صورته الشاملة المتصلة المترابطة، ولكيلا يتجــزأ في حِــسّنا وفي ممارســتنا إلى موضوعات منفصلة لا يربط بينها رباط » [١].

أما محمد عزة دروزة فقد نص في مقدمة تفسيره على أن مــن معــالم منهجه الاهتمام ببيان ما بين آيات السور وفصولها من ترابط كلما كان ذلــك مفهوم الدلالة لتجلية النظم القرآني والتلاحم الموضوعي فيه [٢]، ولكن لم تتضح له المحاور الموضوعية والمقاصد التي تهدف إليها السورة، ثم إنه تجانف عن ســبيل الصواب حين رتب السور على حسب ترتيب النــزول بدل ترتيبها كما جاءت في المصحف . ويكفي في نقض هذا المنهج أن كثيرًا من الآيات لا يدرى علــى وجه الدقة زمن نزولها، وبعض السور اجتمع فيها ما نزل قبل الهجرة وما نــزل بعدها وما نزل في زمن وما تأخرعنه في الترول بمدة مديدة . ولا توجد أدلة على ترتيب النــزول بشكل يستقصي القرآن كله، وذلك من تدبير الله لكتابه؛ حتى لا تفكر الأمة إلا في ترتيب التلاوة الذي استقر عليه وما يحويه من حِكَم ومــا يترتب عليه من فوائد .

ولكن أهم من سار على نهج سيد قطب وعمق الخط الذي ابتدأه -فيما أرى- هو سعيد حوى في كتابه "الأساس في التفسير"، إذ لم يقتصر فقط علــى وحدة نسق السورة، بل بنى بيانه لهذه الوحدة على نظرية شاملة تنطلــق مــن وحدة نسق القرآن كله. فقد حرص على ربط معاني كل سورة يفسرها بمطلع سورة سبقتها أو موضوعها أو إحدى آياتها، كما اهتم في السورة الواحدة بإبراز الروابط المعنوية بين المقاصد والموضوعات التي تتــضمنها بعــد تقــسيمها إلى

---

(١) المصدر نفسه (٤٠٥ ـــ ٤٠٦) .

(٢) التفسير الحديث (١/ ٦).

مجموعات وفقرات ومقاطع وأقسام حسب طول السورة. ففي سورة البقرة مثلاً يتعرض بعد تفسير كل مقطع إلى ذكر وجه مناسبته لباقي المقاطع، ويبين بعد تمام كل قسم اتصاله بالقسم الآخر. ومن ذلك قوله: «إن القسم الثاني يكمل القسم الأول ويكمل مقدمة السورة في الدلالة على التقوى أركانًا وطريقًا واستقامة. ومن خلال القسم الأول والثاني نعرف محل أركان الإسلام الخمسة في قضية التقوى. فالملاحظ أن مقدمة سورة البقرة ذكرت من أركان الإسلام: الإيمان والصلاة والإنفاق، فذكر القسم الثاني من أركان الإسلام الصوم والحج...وبعد ذلك يأتي القسم الثالث فيتحدث عن أمر الدخول في الإسلام...وفي ذلك كله مظهر من مظاهر وحدة السورة وتكامل معانيها وارتباط بعضها ببعض »[1].

و قد برع في تقسيم مقاطع السورة واستهدى بالمعاني المستقلة مع الاستئناس ببعض الكلمات القرآنية المتكررة في مواضع من السورة، حيث اعتبرها علامة لابتداء مقطع جديد، وقد أفصح بذلك في تفسيره لسورة الأنعام فقال : «جرينا أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد المعنى في تحديد بداية المقطع ونهايته، ولكن الشيء الأكثر تحديدًا والذي يجعلنا نحدد به المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى»[2]، ومن أمثلة ذلك ما صنعه في سورة (ص)حيث قسم المقطع الأخير منها إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة منها تبدأ بقوله تعالى﴿ قُلْ ﴾:

المجموعة الأولى تبدأ بقوله تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ﴾[الآية:٦٥].

---

(١) (١/٣٦٥) دار السلام. القاهرة. ط ٥. ١٩٩٩.

(٢) المصدر السابق (٣ / ١٥٦٧) .

والمجموعة الثانية تبدأ بقوله تعالى﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴾ [الآية:٦٧].

والمجموعة الثالثة تبدأ بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [الآية ٨٦ إلى آخر السورة] (١).

ويعلق على هذا التقسيم بقوله: نلاحظ أن كلمة ﴿ قُلْ ﴾ تكررت في المقطع ثلاث مرات ،ومن ثم فالمقطع يتألف من ثلاث مجموعات، كل مجموعة تسهم في توجيه الإنذار إلى المشركين وإقامة الحجة عليهم ضمن سياق السورة وبما يخدم محورها .

ومن خلال استكشافه لمقاصد السور ومحاورها الموضوعية كان يستجلي تكاملها، فهو يقول مثلا عن سورة المائدة : « إن سورة المائدة تفصل فيما هو نقض للميثاق، وفيما هو قطع لما أمر الله به أن يوصل، وفيما هو إفساد في الأرض، فتدعونا لتركه وتطالبنا بما لو فعلناه لا نكون فاسقين ولا خاسرين ... فهي تكمل سورة النساء، فإذا كانت سورة النساء قد فصلت فيما هو من التقوى، فسورة المائدة تفصل فيما ليس من التقوى لتعمق عندنا قضية التقوى وتحققنا بها بتخليصنا من أضدادها ... » (٢).

وقد تميز سعيد حوّى بمحاولة رائدة في كشف النسق القرآني العام ملتمسا لخيوط الوحدة بين طائفة من السور المتوالية في ترتيب المصحف، ويعبر عنها بكلمة زمرة، ويعني بها مجموعة السور التي تتحد في خصيصة معينة ولكنها تنتسب إلى أكثر من مجموعة داخل القسم، وذلك كزمرة الحواميم التي

(١) المصدر السابق (٩ / ٤٨٥٤) .

(٢) المصدر السابق (٣ /١٢٩٧ ــ ١٢٩٨) باختصار .

قدم لها في مقدمة سورة غافر تحت عنوان " كلمة في زمرة آل حـــم "[(١)]. ثم ختم الحديث عنها في سورة الأحقاف تحت عنوان " كلمة أخيرة في ســـورة الأحقاف وزمرة آل حم "، تحدث فيها عن مضمون هذه الـــسور وأوجـــه التناسب بينها[(٢)] .

كما امتد نظره إلى النسق الذي تشكله السور القرآنية واكتـــشف أن سورة البقرة تفصيل لما أجملته سورة الفاتحة من مقاصد ومعان، وأن الـــسور التالية لسورة البقرة لتفصل في معان واردة فيها .. بحيث تتصل كل سورة بآية في سورة البقرة وبارتباطاتها وامتداداتها، فسورة آل عمـــران تلقـــي أضـــواء التفصيل على الآيات الأولى من سورة البقرة .

وسورة النساء تقابل بعد ذلك في سورة البقرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقـرة:٢١] مستأنسًا في ذلك بمشابهتها لمطلع سورة النساء:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ الآية.

وسورة المائدة تفصل في قولـــه تعـــالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [البقرة:٢٧] ، منبها على أن سورة المائدة مبدوءة بـــــ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ .

---

(١) المصدر السابق (٩ / ٤٩٢٥).

(٢) المصدر السابق (٩ / ٢٥٨٨). وانظر كلامه عن زمرة " ألم . العنكبـــوت والـــروم ولقمـــان والسجدة " في سورة العنكبوت(٨/ ٤٢٤٠)، وفي نهاية هذه الزمرة في سورة السجدة تحت عنوان " كلمة أخيرة في سورة السجدة وزمرتها "(٨/ ٤٣٧٥).

وتفصل الأنعام في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة الآيتان ٢٨-٢٩] ، وتفصل سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨] ملاحظاً الصلة بين هذه الآية ومقدمة سورة الأعراف، أما سورتا الأنفال والتوبة فإنهما يفصلان في محور واحد من سورة البقرة وهو قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [الآية:٢١٧] وينبه القارئ إلى ملاحظة الصلة بين استفتاح الآية بالسؤال واستهلال سورة الأنفال بالسؤال أيضا[١].

وإنما اعتبر سورة البقرة محوراً لسائر سور القرآن، وما عداها تفصيل لما ورد فيها لأن سورة البقرة جامعة لمقاصد الدين ومجمل أحكامه، مستوعبة لأهداف القرآن ومراميه. وفي ذلك يقول : « وكل قسم من الأقسام يكمل بقيتها، فقسم المفصل يكمل قسم المثاني، وقسما المثاني والمفصل يكملان تفصيل قسم المئين، والأقسام الثلاثة تكمل تفصيل قسم الطوال، ولهذا كله قواعده وأسرار انتظامه، وكل ذلك قد ربط بخيوط إلى سورة البقرة، فكأنها الأصل الذي ينبثق عنه بانتظام فروع أولى، ثم فروع ثانية، ثم فروع ثالثة، ثم فروع رابعة، فكأنها شجرة فيها أربعة وعشرون غصنًا، كل غصن له فروعه وأوراقه وثماره وارتباطاته بسورة البقرة ارتباطًا منتظمًا دقيقًا »[٢].

ويوضح سعيد حوّى الصلة بين بناء القرآن على هذا النحو وبناء النفس البشرية فيؤكد أن «كل مجموعة لاحقة تُبنَى على كل ما سبقها من مجموعات،

(١) المصدر السابق (٢ / ٦٨٥ ـــ ٦٨٦).

(٢) الأساس في التفسير (١٠ / ٥٧٢٨) بتصرف .

وكل سورة تفصل في محور تبنى على التفصيلات السابقة لهذا المحور، بحيث تعمق المعاني وتؤكدها وتكملها في عمليات متلاحقة، يتكامل بها بناء النفس البشرية لتؤدي دورها مع غيرها في سير منضبط إلى الله عز وجل وفي صف واحد نحو تحقيق الأهداف » [1].

وبين أن كل سورة تعمل عملها في تطهير النفوس وجِلاء القلوب من الصدأ الذي ران عليها، وعبر عن ذلك قائلاً: « لقد جاءت سورة البقرة فربت على التقوى من خلال السياق، وجاءت سورة آل عمران لتفصل أساس التقوى ضمن السياق، وجاءت سورة النساء لتفصل في ماهية التقوى ضمن السياق ثم تأتى سور القرآن، وفي كل سورة يأتي جديد، فما إن يبدأ الإنسان يقرأ القرآن حتى يغسل القرآن قلبه؛ إذا أدركت هذه النقطة تكون قد أدركت حكمة من حكم التكرار والتفصيل في القرآن، وتكون قد عرفت سببًا من أسباب كون القرآن على مثل هذا الترتيب» [2].

وقد ظهر لون من ألوان التفسير عني عناية شديدة بوحدة مواضيع السورة القرآنية، وعمل على إبرازها مقتصرا على الأغراض المتعددة التي تتضمنها وتحديد محورها، دون تفسير السورة آية آية، ومن أفضل النماذج على ذلك كتاب الشيخ الغزالي "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم".

وقد ذكر – رحمه الله – في مقدمة الكتاب أنه تأسى بالشيخ محمد عبد الله دراز معتبرًا إياه أول من فسر سورة كاملة تفسيرًا موضوعيًا. وقد بين مراده بالتفسير الموضوعي فقال: « والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي:

---

(١) المصدر السابق (١٠ / ٥٧٢٨).

(٢) المصدر السابق (٢ / ١٢٦٧ ــ ١٢٦٨) بتصرف .

الأخير يتناول الآية أو الطائفة فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام. أما الأول فهو يتناول السورة كلها، ويحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدًا لآخرها وآخرها تصديقًا لأولها »[١].

ويلتحق بهذا النوع كتابات اعتنت ببيان موضوعات كل سورة وأهدافها إجمالاً مع محاولة الربط بينها بإطار كلي[٢]، مثل كتاب "النظم الفني في القرآن" لعبد المتعال الصعيدي، و" إيجاز البيان في سور القرآن " لمحمد علي الصابوني، و"أهداف كل سورة ومقاصدها" لعبد الله شحاته.

أو كتابات اكتفت بدراسة الأغراض المحورية لبعض السور ككتاب "الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية " لرفعت فوزي عبد المطلب، حيث درس فيه سورة مريم، وطه، والأنبياء، والحج، والنور، والشعراء، والقصص، والأحزاب، ويس، والصافات، وص، والزمر، وغافر .

كما ظهرت مجموعة من الدراسات القرآنية التي تفسر سورًا قرآنية معينة وتستحضر وحدة نسقها وتعانق قضاياها الكبرى، ومن أبرزها كتب الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسير سورة الرعد وسورة فاطر، وكتب د. حسن محمد باجودة مثل "تأملات في سورة المائدة" "تأملات في سورة آل عمران " تأملات في سورة الإسراء" وغيرها... حيث نص على أن هدفها هو

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى (ص ٥) دار الشروق ط ١٩٩٢، وعلى هذا النحو سار محمد قطب في بعض السور بشكل أوسع في كتابه دراسات قرآنية .

(٢) ومن أوائل الكتب التي سارت على هذا النهج " نظرة العجلان في أغراض القرآن " للشيخ محمد ابن كمال الخطيب، طبع بالمطبعة العصرية دمشق سنة ١٣٦٥هـ ، ولكني لم أقف عليه.

" تبيين مظاهر إعجاز السورة الكريمة، وتبيين الروابط الظاهرة والخفية بين موضوعاتها وآياتها وأجزاء الآية الكريمة الواحدة " [1]، وهذا النمط هو من التفسير التحليلي لا من التفسير الموضوعي.

ويبقى أن أشير إلى أن التفسير الموضوعي ينصرف إذا أطلق إلى «دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم وذلك بجمع الآيات المتعلقة به لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية » [2]، ويدرج فيه طائفة من الكاتبين النمط التفسيري المتقدم الذكر، والذي يقوم على تفسير السورة إجمالاً ويكتفي بعرض مضامينها بشكل يبين التحامها ويلحظ الهدف الذي تلتقي عليه آياتها، ولكنني أوثر– للتمييز – أن أطلق على هذا اللون " التفسير الشمولي للسورة ".

---

(١) تأملات في سورة المائدة (٧).

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (١٦ و٢٧) وينظر : مقدمات في التفسير الموضوعي لمحمد باقر الصدر (١٧) دار التوجيه الإسلامي، ١٩٨٠م.

المبحث الخامس

فوائد وحدة النسق في تفسير السورة القرآنية

إن إدراك وحدة نسق السورة القرآنية والكشف عن المحور الذي تدور عليه جميع مواضيعها وإبراز الروابط التي تربط بين أجزائها من أهم العوامل المساعدة على **تفهم معاني آياتها واستجلاء الدلالات المكنونة في طواياها.**

وقد تنبه الإمام الشاطبي إلى ذلك حيث قرر أنه لا محيص للمتفهم عن استيفاء جميع أجزاء السورة بالنظر باعتبارها كلامًا واحدًا من جهة النظم[(١)].

كما استشعر البقاعي فائدة النظر الشمولي إلى السورة ومعرفة مقصودها وقرر في كتابه "مصاعد النظر" ثمرة علم مقاصد السور وغايته فقال: «وغايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة. ومنفعته التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير. ونوعه التفسير. ورتبته أوله فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له من حيث أنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً»[(٢)].

ومن يتأمل التفاسير التي سارت على منهج لا يلحظ وحدة السورة ويقارن بينها وبين التفاسير التي لاحظتها يرى أثر ذلك بينًا، فتفسير الآيات بناء على معرفة موقعها من مقصود السورة العام يكون أدق وأعمق، فلا تبدو موضوعات السورة أشتاتًا مفرقة وأجزاء مبددة، وإنما تبدو متسقة المعاني ملتحمة المقاصد، كفروع وأغصان متشابكة تتفرع عن جذع واحد. ومن هنا

(١) الموافقات (٣ /٣١١).

(٢) مصاعد النظر (١ /١٥٥).

يكون بيان المفسر للموضوعات الجزئية في ضوء الغرض الأساس للسورة، ويوجه تفسيرها بما يجلي الهدف المحوري الذي تعالجه.

أما أخذ السورة آية آية وتفسيرها على أنها منفصلة دون النظر إلى السلك الجامع الذي تنتظم فيه حبات عقدها فإنه يفوت على المفسر إدراك جملة من هدايات القرآن ولطائفه ومظاهر إعجازه، ومن هنا التفت بعض المشتغلين بالتفسير والدراسات القرآنية من المعاصرين إلى ملاحظة هدف السورة واستلهام روحها الخاصة في تفسير أجزائها.

ولعل برهان الدين البقاعي من أوائل من نبه على فائدة ملاحظة ذلك في التفسير حين تحدث عن فوائد علم المناسبات المرتبط بنسق السورة في مقدمة "نظم الدرر" وقال: «وبذلك يوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب، منها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [الآيتين:١٣٣-١٤٤]. ومنها قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [الآية: ٩٥]، مع قوله عقيبه: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَـٰتٍ ﴾ [الآيتان:٩٥-٩٦] وقوله تعالى في آخر هود: ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ [الآية:١٠٩]، إلى غير ذلك وقوله تعالى سبحانه في: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء:٨٥]، وقوله تعالى في السجدة: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الآية:١١] وقوله تعالى في يس: ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية:٣١] مما تراه وينكشف لك غامض معناه»(١). ولا غرو، فالمناسبة هي المصححة لنظم

(١) نظم الدرر (١ /١٣ –١٤).

الكلام[١]. ومعرفة وجه الصلة بين الآية وسابقاها، وإدراك موقعها من السياق العام للسورة يهدي إلى الصواب في تفسيرها، ويعين المفسر على ترجيح بعض ما تحتمله الآية من معان إذا كان أليق بالنظم وأنسب للمقصود.

ومن أمثلة ذلك قول محمد عبد الله دراز في دراسته لنسق سورة البقرة : «مضى جمهور المفسرين على أن قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾[٢]مشار به إلى أقرب الطائفتين في الذكر، وهم المنافقون، ولكن المروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أنه راجع إلى الكفار مطلقًا. وهذا الذي عولنا عليه لأنه أقعد في المعنى وفي النظم... وأما في النظم فلأن تناولها للطائفتين يتم به حسن المقابلة بين الإشارتين في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى ﴾ وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾. ثم به يتم جمال الصنعة في تفريق الأقسام ثم جمعها، ثم تفريقها ثم جمعها. فقد رأيته يفرق الطائفتين في أوصافها الخاصة ثم يجمعها في هذا الوصف المشترك. وستراه يعود إلى تفريقهما في ضرب الأمثال ثم يجمعهما مرة أخرى مع سائر العالم في النداء الآتي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:٢١] »[٣] .

كما أن **مراعاة النسق العام للسورة يعطينا معان أخرى للآيات** بشكل يؤكد أن القرآن لا تنقضي عجائبه مع كثرة الرد، فإن نظرت إلى الآية في بنائها اللفظي بقطع النظر عن سياقها استفدت معنى معينًا، وإن امتد نظرك إلى سوابقها ولواحقها القريبة استفدت معنىً آخر، وإن أشرفت على مقصود السورة ونظرت

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١ /٣٤).

(٢) البقرة ، الآية : ١٦ .

(٣) النبأ العظيم (١٦٨ هامش ١)، وانظر كذلك تفسيره للمثل (١٦٨ ــ ١٦٩).

إلى موقع الآية في بنائها الكلي استفدت معنًى آخر، وهذا دليل من دلائل عظمة القرآن واتساع مدلولاته، ومن أمثلة ذلك ما بينه سعيد حَوّى في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

يقول رحمه الله : «...وأما النهي عن إهلاك النفس : فإذا نظرنا إلى النص مجردا كان له معنى . وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها أعطانا معنى آخر، وإذا نظرنا إليه أنه جزء من السياق أعطانا معنى جديدًا . وكل هذه المعاني مرادة، وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية، فإذا نظرنا إلى النص مجردًا فهمنا منه أنه نهى عن قتلنا أنفسنا . أي لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال أهلك فلان نفسه بيده : إذا تسبب في هلاكها ... »[1].

وإذا نظرنا إلى هذا النهي وووروده بعد الأمر بالإنفاق فهمنا منه أنه نهى عن ترك الإنفاق في سبيل الله؛ لأنه سبب للإهلاك ، ويؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه في الآية قال : ((نزلت في النفقة))[2] .

وأورد أقوالاً أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسعيد بن جبير والحسن البصري رحمهم الله تؤيد ذلك، ثم عقبها بقوله: «وإذا نظرنا إلى هذا النهي من خلال وروده بعد آيات القتال فهمنا منه أنه نهى عن ترك الجهاد »، وأورد في ذلك حديثًا لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه يؤيد ذلك.[3] ثم قال: « وقد لاحظنا أن هذه الاتجاهات الثلاثة الرئيسية في

(١) الأساس في التفسير (١ / ٤٤٧) بتصرف .

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير،باب تفسير سورة البقرة، رقم٤٤٠٠ [فتح الباري ج٨/ ٣٣].

(٣) الأساس في التفسير (١ / ٤٤٧) بتصرف.

فهم هذا النص، سببها ملاحظة النص مجردًا، أو السياق القريب، أو السياق العام، وهذا قد يكون أبرز مثال من خلال كلام أئمة التفسير لما حاولنا إبرازه سابقًا من أن هذا القرآن لا تتناهى معانيه، فمن خلال المعنى المجرد ومن خلال السابق القريب والسياق العام والوحدة القرآنية، ومن خلال عبارة النص، ومن خلال إشارة النص، تتولد معان لا تتناهى، وكل يأخذ من كتاب الله على قدر ما قسمه الله له، وهذه المعاني كلها حق ... »[١].

وإلى جانب ذلك يهدي استحضار وحدة نسق السورة إلى كثير من الحكم والدقائق المعنوية واللطائف التربوية التي تجلي هدايات القرآن وتبرز إعجازه، وهذا ما أشار إليه الرازي بقوله: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[٢].

ومن فوائد معرفة مقصود السورة ولمح بنائها المعنوي العام أنها توقف المتدبر على القوي من المناسبات الجزئية بين آحاد الآيات. فكثيرًا ما كان المفسرون الذين عنوا بذلك يحاولون الربط بين بعض الآيات غافلين عن نظام السورة المعنوي فلا تظهر لهم وجوه قريبة للمناسبة، وقد تنبه البقاعي بفضل قاعدة شيخه المشذالي إلى أن معرفة الغرض الذي سيقت السورة لأجله هو السبيل إلى إدراك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية[٣]، وأن «من حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها»[٤]. بل إنه أكد أن

---

(١) المصدر السابق (١ / ٤٤٨)، ويراجع (٢ / ١١٣٦ ــ ١١٣٨) و(٣ / ١٣٦٧) .

(٢) المصدر السابق (١ /٣٦).

(٣) انظر نظم الدرر (١ /١٧ –١٨).

(٤) مصاعد النظر (١ /١٤٩).

الإجادة في علم المناسبات متوقفة على معرفة مقصود السورة الذي يفيد معرفة مقاصد جميع جملها وأجزائها، «ولذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبةَ علم البيان من النحو»[1].

وقد تفطن دراز إلى أهمية النظر الشمولي إلى مواضيع السورة ووحداتها الصغرى لاكتشاف الروابط الجزئية فقرر – وهو يمهد لبيان نظام معاني سورة البقرة – «أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين كل جزء جزء منه – وهي تلك الصلات المبثوتة في مثاني الآيات ومطلعها ومقاطعها- إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل على بينة»[2].

والمتتبع لعرض دراز لمعاني سورة البقرة التي جعلها نموذجًا لهذا المنهج يجد بعض الآراء الطريفة التي خالف فيها جمهور المفسرين بناء على مقتضيات نظم السورة ووحدة بنائها المعنوي، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة:٢٤٠] : « والجندي في الحرب تشغله – على الأقل – مخافتان : مخافة على نفسه وعلى المجاهدين معه من أخطار الموت أو الهزيمة، ومخافة على أهله من الضياع والعَيْلة لو قتل ... لذلك انساق البيان الكريم

(١) نظم الدرر (١ /١٢).

(٢) النبأ العظيم (١٥٦).

يطرد عن قلبه كلتا المخافتين، أما أهله فقد وصى الله للزوجة إذا مات زوجها بأن تمتع حولاً كاملاً في بيته، وكذلك مطلقته سيتقرر لها حق في المتعة لا يُنسى »[1]، فكأنه جعل هذه الآيات موصولة العُرى بشأن الجهاد، وليست انتقالاً كليًا إلى قضايا الأسرة، ومن ثم رأى أن هذه الآية تقرر حقًا غير منسوخ لزوجات المجاهدين، وأن سياق الآيات عند التأمل يوحي بذلك خلافًا لما ذهب إليه معظم العلماء من كونها آية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة:٢٣٤] ، بل إنه خالف بذلك من قال بإحكامها[2] لكونه خص المتاع بزوجات من قتلوا في الجهاد، وقد عبر عن ذلك قائلاً : « ... وواضح أن كلا القولين مبني على أن آية الحول يسري حكمها على الأزواج عامة... ولكن السياق الحكيم أوحى إلينا هذا المعنى الجديد: وهو أن تربص الحول الكامل كان خصوصية فضلت بها زوجات المجاهدين على زوجات القاعدين، والله أعلم»[3].

ومع أني أميل إلى القول بإحكام هذه الآية، إلا أنني لا أرى أنها خاصة بالمجاهدين، إذ دلالة السياق ليست من القوة لتخصص عموم الآية، لا سيما وأنها استهلت كالآية الأخرى بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ولو كان المراد بها المجاهدين فقط لكان الأوفق أن يكون التعبير: "و الذين قُتِلوا "، والله أعلم.

ومن ثمرات هذا النظر أنه بيّن أنه لا يشترط أن يكون ثمة تناسب بين

---

(١) المصدر السابق (٢٠٦).

(٢) من العلماء القائلين بإحكامها علم الدين السخاوي في جمال القراء (١ / ٢٦٦) والحرالي كما نقل عنه البقاعي (٣ / ٣٧٩ ــ ٣٨٢).

(٣) النبأ العظيم (هامش١ ص ٢٠٦). وقد استفاد من هذا المسلك في مواضع أخرى (١٦٨و١٦٩).

كل آية وقرينتها، بل إن من منهج النظم القرآني أنه قد يتم طائفة من المعاني ثم ينتقل إلى طائفة أخرى تقابلها، فيكون حسن التجاور بين الطائفتين مستدعيًا لحسن المقابلة بين الأوائل من كل منهما أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأول من هذه والآخر من تلك [1].

فالسورة القرآنية بمثابة حلقات مترابطة مشمولة بحلقة أكبر منها، وهي داخلة فيها متعلقة بها، ولا يتحتم أن تكون كل حلقة موجودة على مسار خط السورة مرتبطة بالحلقة التي قبلها مباشرة، بل قد تكون متصلة بالحلقة الكبرى التي تمثل مقصود السورة الرئيس، أو متصلة بحلقة دونها قد سبقت وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات[2].

ومن فوائد الاستبصار بمقصود السورة القرآنية استجلاء: أسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة في التعبير. وقد نبه البقاعي إلى ذلك فقال: «وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت به في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة»[3].

فالقصة في كتاب الله إنما تساق لتفيد عبرة من العبر، ولكل قصة عبر

(١) المصدر السابق (١٦٢).

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص ٢٨). دار القلم. دمشق .ط٢ ١٩٨٩م.

(٣) نظم الدرر (١ / ١٤).

ودروس، ودلالات كثيرة، والقرآن يورد في كل موضع مشاهد من القصة تناسب الموضع الذي جاءت فيه، ويشهد للمقصود الذي تهدف إليه سوابقها ولواحقها من آيات السورة.

فكل سورة لها هدف خاص وشخصية متميزة، وجميع ما تشمله من معان جزئية ومحاور صغرى تتجه لخدمة هدف السورة وتتأثر في صياغتها التعبيرية بروحها،ومن ثم فإن أي نص من نصوص القرآن - ولو بدا متشابهًا- يصطبغ بجو السورة التي يرد فيها وتكون له حينها ملامح خاصة تميزه عن نظائره.

وقد ضرب البقاعي مثالاً لذلك فقال: « ولأجل اختلاف مقاصد السور تتغير نظوم القصص وألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد. مثاله : مقصود سورة آل عمران التوحيد، ومقصود سورة مريم عليها السلام شمول الرحمة. فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر وما معه مما أعظمه التقوى. وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات الجامع لجميع الصفات فيها تكريرًا لم يكرر في مريم، فقال في قصة زكريا عليه السلام: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٤٠]. وقال في مريم :﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم:٩]. وقال في آل عمران في قصة مريم عليها السلام :﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ﴾ [آل عمران:٤٥] إلى أن قال:﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٤٧] . وفي مريم : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا (١٩) قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ

قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[مريم:١٨-٢١]. وغير ذلك بعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبد من خُلَّصِ عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له ودًا، وأنه سبحانه يسر هذا الذكر بلسان أحسن الناس خُلُقًا وخلْقًا، وأجملهم كلامًا وأحلاهم نطقًا. وكرر الوصف بالرحمن وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى في أثناء السورة تكريرًا يلائم مقصودها ويثبت قاعدتها وعمودها »[1].

ولكون القصص المكررة في القرآن مدخلاً يلجه الطاعنون في إعجازه فإن المفسرين المعاصرين التفتوا إلى هذا الملحظ، واستثمروا وحدة نسق السورة في توجيه تلك القصص ومنهم: سيد قطب، ومحمد عزة دروزة، وسعيد حوى وغيرهم، ويبدو نضج الفكرة عند هذا الأخير بشكل كبير؛ إذ لا ينفك في كل موضع وردت فيه قصة مكررة عن بيان كونها جاءت على ذلك النحو لتنسجم مع روح السورة ومقصودها، فيقول مثلاً: « إن قصة آدم وردت في سورة البقرة وترد هنا (أي في الأعراف) مرة ثانية، وقصة بني إسرائيل وردت في سورة البقرة وترد هنا مرة ثانية، ولكنهما تردان ضمن السياق الخاص لسورة الأعراف، وبما يخدم هذا السياق. وهناك وردتا ضمن السياق الخاص لسورة البقرة بما يخدم ذلك ...فمثلاً قصة آدم في سورة البقرة تخدم سياقها الخاص وهو الأمر ﴿**اعبدوا**﴾، فهي نموذج الانحراف عن الأمر وما يترتب عليه، وكيف ينبغي أن يفعل الإنسان ليتخلص من مخالفته. أما قصة آدم في سورة الأعراف فهي تخدم موضوع الاتباع وما يترتب عليه، والكفر وما يترتب عليه»[2].

(١) مصاعد النظر (١ /١٥٢ – ١٥٣).

(٢) الأساس في التفسير (٤ /١٨٨١).

ومن فوائد مراعاة نسق السورة وطابعها الخاص الوقوف على الأسرار البيانية المنطوية تحت الفروق التعبيرية في السور القرآنيـــة؛ ذلك أن الكلمـــات ومفردات التركيب تتجه برمتها لخدمة مقصود السورة وتتـــأثر في صـــياغتها وسبكها بروحها، ومن ثم تجد المعنى الواحد يرد في أكثر من سورة ولكن يعبر عنه في كل واحدة منها بما يلائم سياقها ويناسب مقصودها وجوَّها الخاص ، ومن هنا كان سر اختلاف الآيات المتشابهة في ألفاظها واختصاص كل واحدة بموضعها(١) .

ومن أمثلة ذلك توجيه أبي جعفر بن الزبير للفرق التعبيري بين قولـــه تعالى :﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩] وقوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٤] حيث يعزو التعبير بإبداء الخير في آية سورة النساء إلى مناسبة الطابع العـــام الذي يغلب عليها، فقال: « والجواب عن الأول أن قوله مقصود به خصوص طُرق الخير وعمل البر، جريًا على ما دارت عليه سورة النساء وتردد فيها من إصلاح ذات البين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيئات... ومن هنـــا لم يتعرض فيها لأحكام الطلاق، وإن كانت السورة مبنية على أحكام النـــساء، لكن خص من ذلك ما فيه التألُّف والإصلاح وما يرجع إلى ذلك، ولم يـــرد فيها من أحكام الطلاق إلا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا

(١) ينظر كتاب المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بـــن الـــزبير الغرنـــاطي للباحث (١٠٢ ـــ ١١٠).

مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ فذكر هذا القدر عند استدعاء معنى الكلام وتمام المقصود به إليه بأوجز لفظ، وبما يؤنس الفريقين، ولم يذكر فيها اللعان ولا الظهار ولا الخلع ولا طلاق الثلاث، بل ذكر فيها ما استصحب العشرة إلى التوارث، فلما كان مبنى السورة على هذا ناسب طرف الخير غير مشار إلى ضده إلا بالعفو كما وقع بالمكلف فيه فقال تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ ﴾ فنوسب بهذا الخصوص أي خصوص ما تكرر في السورة بما ذكر من العفو وما يحرزه..»[1].

وثمة فوائد أخرى عامة لدراسة نسق السورة القرآنية كتأكيد إعجاز القرآن في نظم آيه وكلمه، ودحض شبهة افتراق القرآن المكي والمدني، إذ نجد – كما تقدم لنا – آيات مدنية في سور مكية والعكس دون أن يظهر في نسيج معانيها أي تنافر أو اختلال[2]. غير أن أبرز ثمراتها هو التأسيس لنمط تفسيري يقرب للناس مقاصد القرآن وهداياته.

---

(١) ملاك التأويل (١/ ٣٦١ ــ ٣٦٣) .

(٢) انظر الأساس في التفسير (١ /٢٦ –٢٧).

المبحث السادس

مسالك الكشف عن وحدة نسق السورة القرآنية

إن تجلية بناء السورة القرآنية وإبراز اتساق عناصرها وتلاحم أجزائها ينطلق من الكشف عن مقصود السورة أو المحور الفكري الذي تدور عليه سائر تفاريع معانيها، ولا مرية في أنه أمر دقيق يحتاج إلى إجالة النظر في أجزاء السورة وإمعان الفكر في تدبر معانيها المتشعبة مع القدرة الفائقة على النظر الشمولي إلى هيكلها العام والتمييز بين الأغراض الرئيسة والمعاني الواردة على سبيل الاستطراد والتتميم.

ومن المسالك التي تعين على إبراز الغرض المحوري في السورة :

١- تدبر فواتح السور وخواتيمها: ففاتحة السورة تشير إلى أهم القضايا التي ستعالجها الآيات بعد ذلك، وتأتي خاتمة السورة لتعود للتذكير بإحدى تلك القضايا وتأكيدها وترسيخها، ولذلك اهتم العلماء بتناسب فواتح السور وخواتمها، حتى إن السيوطي ألف في ذلك كتابا سماه"مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"[(١)]. كما اعتنوا ببيان مناسبة مطلع السورة للموضوع الذي يغلب على آياتها تحت مسمى براعة الاستهلال[(٢)]، ولا ينبغي في الحقيقة أن نقف عند هذا الحد، بل لا بد من استثمارها في كشف الغرض المحوري الذي تلتقي فيه جميع مواضيع السورة. وقد تنبه دراز إلى موقع مطلع

(١) صدر بتحقيق د. محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية ط ١، مكة المكرمة، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢ م.

(٢) انظر كتاب "براعة الاستهلال في القصائد والسور " لمحمد بدري عبد الجليل.

السورة وخواتمها من بناء السورة فقال: « ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطًا حقيقيًا واضحًا محددًا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة»[1].

ومن أمثلة دلالة فواتح السورة وخواتمها على غرضها المحوري ما بينه عبد الرحمن الميداني في حديثه عن سورة الرعد حيث قال: « وموضوع سورة الرعد تجده في الآية الأولى منها: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وتتضمن هذه الآية الإشعار بالكلام على عناصر ثلاثة، وهي: (١) رسالة الحق (٢) رسول الصدق (٣) مُرسَل إليهم أكثرهم لا يؤمنون.

أما الكلام على الرسالة فيستدعي إقامة الدليل على أسسها، ومن أجل ذلك جاءت مجموعة من الآيات في السورة لإقامة الأدلة على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته. وأما الكلام على الرسول والمرسل إليهم فيستدعي بيان حال الصراع الذي تم بينه وبينهم، ويتضمن ذلك عرض أقوالهم وحججهم في تكذيبهم بالرسول، وكيف عالج الرسول صلى الله عليه وسلم إصلاحهم ضمن التعليمات والبيانات الربانية التي أنزلت عليه، كما يتضمن عرض تربية الله لرسوله أمام ما لاقى من المكذبين»[2].

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم (١١٩)، دار القلم، الكويت.

(٢) قواعد التدبر الأمثل (٣٢).

ويوضح سعيد حوى في تفسيره لسورة يونس المناسبة بين مقدمة السورة ومضمونها فيقول : «تبدأ السورة بآية تدل على مضمون السورة وهي ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ فالآية الأولى في السورة تذكر حكمة الكتاب، وذلك يؤكد أنه لا ريب فيه، وأنه هدى يجب أن يهتدي به الناس، فهذه الآية التي هي مقدمة السورة تشير إلى مضمونها، كما أنها في محلها تحقق ما يسمى في علم البلاغة (ببراعة الاستهلال) على أعظمه وأروعه،ولله ولكتابه المثل الأعلى، وتنـزه كتابه وكلامه أن يشبه كلام البشر» [1] .

ويبين سيد قطب في الظلال الصلة بين مطلع سورة يونس وخاتمتها فيقول: « والترابط في سياق السورة يوحد بين مطلعها وختامها، فيجيء في المطلع قوله تعالى:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾[يونس:١-٢].ويجئ في الختام ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩]... فالحديث عن قضية الوحي هو المطلع وهو الختام، كما أنه هو الموضوع المتصل الملتحم بين المطلع والختام» [2].

وفي تفسير سورة القصص يستكشف سعيد حوى الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها فيقول تحت عنوان (كلمة في السياق): « نلاحظ أنه قد ورد في القسم الأول من السورة على لسان موسى عليه السلام:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ

(١) الأساس في التفسير (٥ / ٢٤١٦) .

(٢) في ظلال القرآن (٣ / ١٧٤٥) وما بعدها، وينظر كذلك الأساس في التفسير (١٠ / ٦٠٠٩ ـــ ٦٠١٠).

عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص:١٧] وها هنا يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول :﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [القصص:٨٦] وهذا يشير إلى أن مقاصد السورة الرئيسية التربية على هذا المعنى»[(١)] .

ومن هذه الأمثلة يتبين أن مطلع السورة يأتي ليعين على معرفة هدف السورة والقضايا التي ستعالجها، وتتوزع مقاطع السورة وفق الخطوط التي رسمتها بدايتها، ثم تأتي الخاتمة لتساعد على توضيح تلك المقاصد في نفس القارئ المتدبر وتذكيره بها بعد أن جال في رحاب السورة ومعانيها المتنوعة.

٢- تقسيم السورة إلى أقسام حسب مضمونها: فالسورة تتكون من جملة من الآيات، وهي سوى المفصل متعددة الموضوعات، ويتحتم على المتدبر ألا يشتت نظره مع تفاريعها وتشعباتها، بل عليه أن يقسم السورة إلى مقاطع بحيث يكون كل مقطع متكونًا من مجموعة من الآيات التي تدور حول موضوع واحد، ثم يحاول البحث عن المواضيع التي تشمل جملة من تلك المقاطع مميزًا بين ما هو محوري فيها وما هو وارد على سبيل التكميل والتفريع، لتتحصل لديه أقسام السورة التي تمثل القضايا الكبرى التي تعالجها، ثم يحاول اقتناص الرابط المعنوي الدقيق الذي يجمع بينها ويكون بمثابة الجذع الذي تتفرع عنه سائر معاني آيات السورة. وقد يكتفي ببيان تلك القضايا والربط بينها في شكل يبين التحام أجزاء السورة.

ومن أحسن من سار على هذه الطريقة سعيد حوى في تفسيره لسورة البقرة حيث قال : «رأينا أن سورة البقرة تتألف من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة.

(١) الأساس في التفسير (٧ / ٤١٢٠).

أما المقدمة فهي الآيات العشرون الأولى. وفيها أقسام الناس حسب التقسيم الرباني الإسلامي: متقين وكافرين ومنافقين، وصفة كل منهم. وأما القسم الأول فمن الآية (٢١) إلى نهاية الآية (١٦٧)، وفيها دعوة عامة إلى الناس جميعًا كي يسلكوا الطريق الموصل إلى تقوى الله، ويتركوا كل ما ينافي ذلك.

وأما القسم الثاني فمن الآية (١٦٨) إلى نهاية الآية (٢٠٧)،وهو استمرار للقسم الأول في كونه دلالة على التقوى وتفصيلاً في شأنها وتبيانًا لأركانها وشروطها وما يدخل فيها، وموقف الناس منها، وغير ذلك من معان.

وأما القسم الثالث فمن الآية (٢٠٨) إلى نهاية الآية (٢٨٤) وفيه دعوة إلى الدخول في الإسلام كله،وتبيان لكثير من شرائع الإسلام وتبيان ما يلزم لإقامة الإسلام كله.وفيه التوجيهات الرئيسية في قضايا المال،وفيه الملامح الرئيسية لنظام الاقتصاد في الإسلام النظام القائم على الصدقات والنظام غير الربوي، والنظام القائم على التعامل المنضبط مع تقديم المالكية لله.

ثم تأتي الخاتمة التي يدخل فيها هذا كله؛ إذ مرجع هذا كله إلى الإيمان والسمع والطاعة والتوبة من التقصير، وهذا الذي عرضته الآية الأولى في الخاتمة، ومرجع ما مر كله يعود إلى التكليف المستطاع للإنسان،وأن هذا التكليف بسببه يكون الجزاء والعقاب، وهذا الذي ذكرته الآية الثانية من الخاتمة. وهذا والذي قبله لا يتأتى إلا بعبودية كاملة وتوفيق من الله ، وهذا الذي علمتنا إياه الدعوات» [١].

ويمكن الاستئناس في الوقوف على أجزاء السورة ومقاطعها بما تنبه إليه سعيد حوى في بعض السور القرآنية من تكرر كلمة معينة في مستهل جملة من

(١) الأساس في التفسير (١/ ٦٧٣ – ٦٧٤).

الآيات في مواضع متفرقة من السورة، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير سورة الأنعام:«من الملاحظ أن الآية الأولى في سورة الأنعام مبدوءة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم تأتي الآية الثانية مبدوءة بقوله تعالى﴿هُوَ﴾، الآية الثالثة المبدوءة بقوله تعالى ﴿وَهُوَ﴾ ثم تتكرر كلمة ﴿وَهُوَ﴾ في السورة كثيراً كما رأينا، فكأنها معطوفة على ﴿هُوَ﴾ الأولى في السورة، وإن من العلامات التي تحدد بدايات ونهايات بعض المقاطع في السورة أن نرى ﴿وَهُوَ﴾، فقد اعتدنا في السياق القرآني أن نرى مقطعاً تشبه بدايته نهايته ، ولذلك نرى أن آخر مقطع في السورة بدايته ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾[الأنعام:١٤١]، فأول آية فيه مبدوءة بقوله تعالى:﴿وَهُوَ﴾ وآخر آية فيه مبدوءة بقوله تعالى﴿وَهُوَ﴾،﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥][1]. وقد بيّن سعيد حوى نفسه أن هذا الأمر ليس مطردًا، وأن العمدة في استكشاف مقاطع السورة هو معاني آياتها فقال : " وقد نرى مقاطع ليست مبدوءة بمثل هذا ولا مختومة بمثله، وقد نرى مقاطع مبدوءة بذلك وليست مختومة به، ولقد جرينا على أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد المعنى في تحديد بداية المقطع أو نهايته، ولكن الشيء الأكثر تحديدًا والذي يجعلنا نحدد به المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى، وسنرى ذلك واضحًا في السورة »[2].

٣- معرفة الفترة الزمنية التي نزلت فيها معظم آيات السورة: ومن خلال ذلك يمكن التعرف على هدف السورة العام أو أغراضها الكبرى التي

(١) الأساس في التفسير (٣ / ١٥٦٧).

(٢) الأساس في التفسير (٣ / ١٥٦٧).

تدور عليها.

فمن المعلوم أن السور المكية عرضت أسس العقيدة الإسلامية،وقد توخت تقرير أربع قضايا كبرى : ١- الإيمان بالله وحده. ٢- الإيمان بالبعث بعد الموت. ٣- الإيمان بالرسالات السماوية. ٤- الدعوة إلى أمهات الأخلاق. فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها هذه القضايا الأربعة مجتمعة أو منفردة.

أما السور المدنية فهي تتوخى بناء المجتمع الإسلامي على أسس الإيمان والطاعة، وتفصيل التشريع في شؤون الحياة كافة،وحماية الأمة من الأخطار الداخلية والخارجية بفضح اليهود والمنافقين ومحاورة أهل الكتاب المجادلين، ولا تخلو سورة مدنية من هذين المقصدين [(١)]. ومن هنا يمكن للباحث أن يستدل على مقصود السورة من خلال معرفة زمن نزولها وملاحظة أهداف القسم الذي تنتمي إليه من السور في مجمل آياتها.

وقد مر معنا كيف أن الشاطبي اعتبر بكون سورة "المؤمنين" مكية، وتوصل بعد استعراض جملة من آياتها إلى أن القضية الغالبة على نسقها هي ذكر إنكار الكفار للنبوة.كما ذكر أن سورة الأنعام نزلت في الفترة المكية مبيّنة لقواعد العقائد وأصول الدين[(٢)]، وأنها جاءت مقررة للحق ومنكرة على من كفر بالله واخترع من تلقاء نفسه ما لا سلطان له عليه وصد عن سبيله[(٣)].

---

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (٤٢ – ٤٣) دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.

(٢) الموافقات (ج ٣ / ٣٠٤) .

(٣) المصدر السابق (ج ٣ / ٢٦٩).

غير أنه لا يلزم أن يكون الغرض المحوري لكل سورة موافقًا لمواضيع القسم الذي يندرج فيه من مكي أو مدني، فقد يكون مقصود السورة عامًا بحيث يشمل هذه الأغراض التي تغلب على أقسامها. فسورة آل عمران مدنية، ومع ذلك فإن مقصدها العام هو ترسيخ فكرة التوحيد[1]، أو معركة لا إله إلا الله، كما عبر عنه محمد قطب[2].

٤- الاستئناس باسم السورة أو أسمائها التي جاءت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: وأول من جعل أسماء السور معلمًا يهتدى به إلى معرفة مقصود السورة هو الإمام البقاعي، فقد قال في مطلع تفسيره للفاتحة بعد ما ذكر قاعدة شيخه المشَذَّالي: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل الكتاب أن اسم كل سورة مترجمٌ عن مقصودها؛ لأن اسمَ كل شيء تُظهِر المناسبةُ بينه وبين مسماه عنوانَهُ الدالَّ إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام. ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كل سورة، وأُطَبّق بينه وبين اسمها...»[3].

ومن أمثلة تطبيقه بين مقصود السورة واسمها قوله في سورة آل عمران: « والدليل على أن مقصودها التوحيد تسميتها بآل عمران؛ فإنه لم يعرب عن هذا المقصد في السورة ما أعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من أخبارهم بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد الذي ليس في درج الإيمان أعلى

(١) وهذا ما أشار إليه البقاعي في مصاعد النظر (٢/٦٧-٦٨)، وسيد قطب في الظلال (١/ ٣٥٧).

(٢) دراسات قرآنية (ص: ٢٥١ -٢٥٣).

(٣) نظم الدرر (١ - ١٨ /١٩).

منه...»[١]،ومن ذلك أيضا قوله في سورة النساء :«ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، فسميت سورة النساء لذلك؛ ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد»[٢].

وهذا المسلك طريق بديع في استكشاف مقصود السورة ، غير أن تطبيق البقاعي له على جميع السور لا يخلو في بعضها من شيء من التكلف، فهو في كثير من الأحيان لا يستهدي باسم السورة لمعرفة مقصودها، وإنما يلتمس وجه المناسبة بينهما بعد أن يتوصل إليه.

ومن جهة أخرى فإن كثيرًا من السور لها عدة أسماء، جملة منها من تسمية الصحابة والتابعين. وهذه الأسماء ليست كالعناوين التي تدل على مضمن مسماها بشكل إجمالي، وإنما جرت على عادة العرب في أخذ الأسماء.

وقد بين ذلك أبو جعفر بن الزبير حين قال:« والعرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في المسمى من خلق أو صفة تخصه أو تكون فيه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة من الشعر بما هو أشهر فيها أو بمطلعها إلى أشباه هذا،وعلى هذا جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لغريب قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة في أمرها، وتسمية سورة الأعراف بالأعراف لما لم يرد ذكر الأعراف في غيرها، وتسمية

(١) مصاعد النظر (٢/ ٦٧ – ٦٨) .

(٢) مصاعد النظر (٢ / ٨٨ – ٨٩).

سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها وكثر من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها»(١).

ولذلك أرى أن يكون الاعتماد على الأسماء المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الأسماء التوقيفية لا بد أن تكون منطوية على معان ترمي إليها، غير أن الاسم قد لا تظهر دلالته على مقصود السورة العام بجلاء،إلا إذا أجال المتدبره نظره في السورة وضم إلى دلالة الاسم ما توصل إليه عن طريق المسالك الآنفة الذكر.

ومن الأمثلة الجيدة على هذا المسلك ما قام به الدكتور مصطفى مسلم في دراسته لسورة الكهف كنموذج على التفسير الإجمالي الذي يلحظ الغرض المحوري للسورة (٢)، فقد لاحظ أن هذه السورة انفردت بأربع قصص لم تتكرر في سور أخرى، وهي قصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وقد جاءت تسمية هذه السورة بالكهف في أحاديث مرفوعة، منها قوله عليه الصلاة والسلام : ((**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**)) (٣). وحين تأمل في القصص الأربعة وجدها تشترك في بيان أسباب الفتن الكبرى في الحياة الدنيا، وهي: فتنة السلطان، والمال، والعلم، والأسباب المادية . ومن ثم استخلص أن السورة جاءت لتلقي أضواء كاشفة على هذه الفتن، وتكشف حقيقتها وتظهر

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (١/ ١٧٤ـ ١٧٥) تحقيق : سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي. ط ١. ١٩٨٣م.

(٢) وهو يعتبره أحد أنواع التفسير الموضوعي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٣) صحيح مسلم (٦ / ٧٧ رقم ١٨٣٣).

حقارة شأنها، وتعطي المؤمن الموازين التي يميز بها بين الحق والأباطيل ، وبذلك تكون قراءة هذه السورة عصمةً من جميع الفتن، وفي مقدمتها فتنة المسيح الدجال .

ثم تأمل في علة تسمية السورة باسم الكهف واستنبط وجهَ المناسبةِ بين اسم السورة وموضوعاتِها، فرأى أن اسم الكهف قد اختيرنظرًا إلى المكان الذي لجأ إليه الفتية لحمايتهم من الفتنة: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقًا﴾ [الكهف:١٦] ومن تدبر موضوعات السورة واعتبر بقصصها كانت له كالكهف الحصين الذي يؤوي من جميع الفتن، وإذا كان الكهف الذي لجأ إليه الفتية قد اكتنفته رعاية الله، فحفظهم الله به من بطش المشركين ، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عنايةِ الله –سبحانه– وحفظِه وسترِه، فلا تؤثر فيه الفتنُ المعروضةُ على قلبه ولو كانت مِثل قِطَعِ الليل المظلم[1] .

و يبقى – في خاتمة المطاف – ما توصل إليه المتأمل بعد طول تدبر في السورة، واستيفاءٍ لطرق كشف غرضها المحوري أمرًا اجتهاديًا لا يمكن القطع به، ولكل باحث أن يتدبر السور القرآنية ويتفكر في تناسق آياتها وترابطها، ويستخرج مقاصدها الكلية ما دام قد استفرغ وسعه واستدل لما أفضاه إليه تأمله، ولا ضير في الاختلاف في هذا، فذلك في نفسه مظهر من مظاهر ثراء القرآن وكرم عطائه .

(١) مباحث في التفسير الموضوعي (١٧٤).

الخاتمـــة

لقد صار الاستبصار بنسق الـــسورة القرآنيـــة وملاحظـــة وحـــدة موضوعاتها في التفسير أمرًا ضروريًا لاستجلاء هـــدايات القـــرآن وتفجـــير مكنوناته. وفي سبيل ذلك حاولت أن أبين ما يلي:

١- ظاهرة التناسق الموضوعي خصيصة من خصائص السور القرآنية، وما من سورة إلا ولها هدف محوري تتجه إليه جميع موضوعاتها، وهو منـــها بمنـــزلة الروح من الجسد، ولو تأمل الإنسان لوجد أن بين القـــرآن الكـــريم والكون العظيم توافقًا بديعًا، فكما أنك لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فلن تجد في كلامه أي اختلاف أو تهافت، وكما أن عناصر الكون متكاملة في تحقيق أداء ما خلقت من أجله، فكذلك آيات القرآن وسوره متكاملة في إبانة الرسالات التي تتضمنها، وكما أن الجسد الواحد تتكامل أعضاؤه وتتـــساند للقيام بوظائفها، فآيات السورة الواحدة تتضافر في مسار واحـــد لتحقيـــق مقاصدها. وكما أن في كل جسد حي روحًا تسري فيه لا تدرك إلا بآثارها، ففي كل سورة روح - خفية - تسري في أجزائها ولا تعرف إلا بتدبرها.

٢- إن علمي "المناسبات" و"مقاصد السور" اللذان أبدعهما أئمة التفسير هما الأساس الذي ينبغي أن يرجع إليه الكاتبون الذين يعتمدون النمط التفسيري الذي يستلهم الغرض المحوري للسورة، غير أنه لا ينبغي الوقوف عند جهود العلماء المتقدمين في هذا المجال، بل يجب السير به قدما نحو تفهيم القرآن للناس وتبليغهم مقاصدَه على نحو مقبول قريب من أفهامهم.

ومن ثم لا بد من تخليص المناسبات بين الآي من الاصطلاحات البلاغية التي تخص طرائق الانتقال وأساليب الربط بين الموضوعات المختلفة، كما يجب استجلاؤها في ضوء مقصود السورة العام لا بمعزل عنه.

ومن جهة أخرى ينبغي تصحيح تصور الروابط القائمة بين آيات السورة، فلا يتوهم أنه يجب أن تكون لكل آية علاقة معنوية واضحة بسابقتها، وأن كل معنى يلزم أن يفضي إلى ما بعده،كالحلقات المتسلسلة المستقيمة. وإنما تكون السورة كحلقة كبيرة ترتبط بها بعض الحلقات، وتكون مناسبة كل مجموعة منها للأخرى من جهة ارتباطها بالأصل لا من جهة تتاليها في الترتيب.

٣- البحث عن الغرض المحوري التي تدور في فلكه موضوعات السورة يسير على الخطوات التالية:

- تحديد الفترة الزمنية التي نزلت فيها السورة والطابع الذي يغلب عليها : المكي أو المدني، وتتبع أسباب نزول جملة من آياها.

- تدبر فواتح السورة وخواتيمها،والتماس ما تضمنته من معان في سائر أجزاءِ السورة وذلك بتتبع جميع آياها.

- استعراض أجزاء السورة وتقسيم آياها إلى مقاطع وأقسام حسب المعاني الجزئية والمحاور الصغرى التي تناولتها.

- التمييز بين الموضوعات الرئيسة والمعاني التي انجر إليها السياق لداع من الدواعي كالتي وردت على سبيل التتميم أو التفريع أو التنظير أو غيرها.

- الاستئناس بما ورد في بعض التفاسير من مناسبات تربط بين بعض مقاطع السورة.

- محاولة اقتناص الروابط المعنوية التي تصل بين المعاني الجزئية للخلوص إلى أهم القضايا التي تعالجها السورة. ومن ثم اكتشاف الجذع المشترك التي تتفرع عنه. ويبقى أن التعبير عنه قد يكون عامًا بحيث يستطيع شمول سائر تلك الموضوعات، وقد يكتفي بعرض تلك القضايا وبيان التحامها.

٤- إن ملاحظة وحدة بناء موضوعات السور القرآنية هو المصباح الذي يستضيء به المفسر المعاصر للإفادة مما تتضمنه تفاسير الأئمة المتقدمين من الروايات المأثورة والأقوال المختلفة، والتفصيلات الإعرابية والدقائق البلاغية والأحكام الفقهية والمسائل العقدية لينتقي منها ما يوافق مقصود السورة ويأخذ بيد المسلم نحو فهم مراد الله تعالى وملامسة هداياته في كلامه. وهذا لا يعني بحال إهمال كتب التفسير المتقدمة ومناهجها المتعددة أو إغفال ما تضمنته من ثروة قرآنية عظيمة، فهي بأجمعها مناهل عذبة للشاربين على اختلاف أصنافهم ومطالبهم .

٥- يمكن الإفادة من الوقوف على الغرض المحوري للسورة في شكلين من أشكال التفسير:

أ- التفسير الشمولي للسورة بعرض قضاياها الكبرى وبيان المعاني الإجمالية لمقاطعها والربط بينها وتجلية تعانقها، لتحقيق مقصود السورة العام.

ب- التفسير التحليلي لسورة أو عدة سور من القرآن الكريم بحيث يلحظ فيه غرضها المحوري ويستصحب من مطلعها إلى خاتمتها آية آية، مع

بيان المعاني التي تدور عليها مقاطعها والربط بينها واستكناه المناسبات الموضعية بين الآيات في ضوء بناء السورة الموضوعي. مع تجنب طمس معالم السورة بحشر التفصيلات القصصية والتاريخية والبلاغية التي تبعد القارئ عن جو السورة الخاص، والاقتصار في تحليل المعاني على ما يخدم مقصودها العام.

هذا وإذا كان مفهوم وحدة النسق في السورة القرآنية متقبلاً عند أكثر الباحثين وحاضرًا في كثير من الدراسات القرآنية، فإن الاستبصار بالنسق القرآني العام الذي يشمل مجموع سور القرآن الكريم ما زال غامضًا يحتاج إلى مزيد من الدرس والبحث، ونرجو من الله تعالى التوفيق لخوض غماره في مستقبل الأيام.

لائحة المصادر والمراجع

١- **ابن برجان والتفسير الصوفي**، محمادي بن عبد السلام الخياطي، أطروحة دكتوراه بدار الحديث الحسنية.

٢- **أبو الحسن الحرالي المراكشي، أثره ومنهجه في التفسير**،محمادي الخياطي، رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية.

٣- **الإتقان في علوم القرآن**،جلال الدين السيوطي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان د.ت.

٤- آراء **المستشرقين حول القرآن الكريم**، عمر إبراهيم رضوان دار طيبة،ط ١، ١٩٩٣م.

٥- **الأساس في التفسير**، سعيد حوى،دار السلام،القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م.

٦- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، د.ت.

٧- **بدائع التفسير لابن القيم**، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي.ط١، ١٩٩٢م.

٨- **البرهان في ترتيب سور القرآن** لأبي جعفر بن الزبير،تحقيق محمد شعباني، منشورات وزارة الأوقاف ،المغرب، ١٩٩٣م.

٩- **البرهان في علوم القرآن** لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة، بيروت، د ت.

١٠- **تفسير التحرير والتنوير**، محمد طاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١- **التفسير الحديث**، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، مصر،ط١ ،١٩٦٢م.

١٢- **تفسير القرطبي:الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

١٣- **التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب**،للفخر الرازي، دار الكتب العلمية،طهران،ط٢.

١٤- **تفسير المنار**، رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط٤، ١٣٧٣هـ.

١٥- **تناسق الدرر في تناسب السور**،للسيوطي،تحقيق عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية ١٩٨٦م.

١٦- **دراسات قرآنية**، محمد قطب، دار الشروق، مصر. ط ١٤١٤ ــ ١٩٩٣م.

١٧- **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج بن الجوزي، دار الفكر، د.ت.

١٨- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، ط ١٩٩٢.

١٩- **صحيح مسلم**، الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٢م.

٢٠- **طبقات المفسرين**،لشمس الدين الداودي،تحقيق محمد علي عمر نشرمكتبة وهبة ط١.

٢١- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،نشر دار الريان للتراث.

٢٢- **فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير**،للشوكاني،دار ابن كثير بدمشق.

٢٣- **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد الخياطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط ١٤١٥ - ١٩٩٥م.

٢٤- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق . ط٩، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٥- **القرآن: نزوله،وتدوينه وترجمته وتأثيره** لـبلاشير،ترجمة رضا سعادة،ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ط١، ١٩٧٤م.

٢٦- **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،دار القلم، دمشق، ط٢،١٩٨٩م.

٢٧- **لطائف الإشارات** للقشيري،تحقيق د. إبراهيم بسيوني،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨- **مباحث في التفسير الموضوعي**،د.مصطفى مسلم، دار القلم،دمشق،ط ١، ١٩٨٩م.

٢٩- **مدخل إلى القرآن الكريم**، لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، د. ت .

٣٠- **مجموع الفتاوى** لابن تيمية . دار عالم الكتب، د .ت.

٣١- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**،للبقاعي،تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين. مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.

٣٢- **مصنف ابن أبي شيبة**، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٣- **مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني**، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ط٢ ، ١٩٨٣م.

٣٤- **معجم الأدباء**،ياقوت الحموي، مؤسسة المعارف،بيروت، ط ١،١٩٩٩م.

٣٥- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنـزيل**،لأبي جعفر بن الزبير،تحقيق:سعد الفلاح،دار الغرب الإسلامي.ط ١، ١٩٨٣م.

٣٦- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني،دار الكتب العلميةط ١، ١٩٨٨م.

٣٧- **الموافقات في أصول الشريعة**، للشاطبي، دار الكتب العلمية د. ت.

٣٨- **المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير الغرناطي**، رشيد الحمداوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٣م.

٣٩- **المسند**، الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت .

٤٠- **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**،لأبي بكر بن العربي،تحقيق: د.عبد الكبير العلوي المدغري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٨٨م.

٤١- **النبأ العظيم**: نظرات جديدة في القرآن،لمحمد عبد الله دراز،دار القلم،الكويت،ط٢، ١٩٧٠م.

٤٢- **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، لمحمد الغزالي، دار الشروق ط ١٩٩٢م.

٤٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي،توزيع مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٦٩م.

٤٤- **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

الترجيح والتعليل لرسم وضبط بعض كلمات التنزيل

أ.د. أحمد خالد شكري
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة
بجامعة الإمارات العربية المتحدة

* من مواليد مدينة عمان بالأردن عام ١٩٦٠م.
* نال شهادة الماجستير من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) بأطروحته " القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، من أوله إلى آخر سورة الأنفال" ، ثم نال منها شهادة الدكتوراه بأطروحته:" إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة للقباقبي".
* له العديد من الكتب والبحوث والمشاركات العلمية، منها: "قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية"، و"القراءات القرآنية في مؤلفات السيوطي عرض ومناقشة"، و "مقولة الإعجاز العددي: دراسة نقدية".

الملخص

تضمن هذا البحث دراسة عدد من ألفاظ القرآن الكريم التي ورد في كيفية كتابتها أكثر من وجه؛ بهدف ترجيح أحد هذه الأوجه مع تعليل هـــذا الترجيح ببيان سبب اختياره دون غيره.

كما تضمن دراسة عدد من علامات الضبط المستخدمة في المصاحف أو المذكورة في الكتب المتخصصة، والتي ورد في كيفية ضبطها أكثر من وجه لترجيح أحدها وتبيين علة هذا الاختيار والترجيح.

وسبق ذلك تعريف بعض المصطلحات الواردة في البحث، وتحديـــد أسس الترجيح بين الأقوال والمذاهب المتعددة في البحث.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أولي العزائم والهمم، ومن سار على دربهم بإحسان وشمم، وبعد.

فإن من مظاهر الصحوة الإسلامية الإقبال الكبير على تعلم القرآن وتعليمه وحفظه ومدارسته وتدبره والبحث في دقائقه ولطائف أوجه بلاغته، وأوجه قراءاته المتعددة، ولذا فقد أُلفت حديثا عدة كتب في هذه الموضوعات، وظهرت وسائل إيضاح وإعلام عديدة تقرب هذه العلوم للراغبين فيها، وانتشرت المصاحف برواية حفص وبالروايات المتعددة المقروء بها حاليًا في العالم الإسلامي، ولما كان في رسم بعض الألفاظ في المصاحف المنشورة بغير رواية حفص، وفي كيفية ضبط ألفاظ منها اختلاف عما في المصحف المنشور برواية حفص، لفت ذلك الأمر انتباه القارئين فيها وأثار في أنفسهم التساؤل عن مشروعية ذلك ومدى جوازه، لظن كثير منهم أن رسم المصحف موضوع لا يحتمل الاختلاف، ولما كنت – بحمد الله تعالى – من طلبة العلم المشتغلين بهذا العلم الجليل والباحثين فيه، رغبت في إعداد هذا البحث لأبين من خلاله جواز تعدد الآراء في رسم بعض ألفاظ القرآن الكريم وحصوله فعلاً، وجواز الترجيح بين هذه الأقوال المتعددة، على أن يكون ذلك وفق أسس مقبولة، واختيار عدة ألفاظ مما ورد الاختلاف في كيفية كتابته، وذكر ما ترجح لي فيها مع تعليل ذلك الترجيح وتبيين سببه، مع تأكيد أن هذه الترجيحات اجتهادات شخصية قابلة للحوار والنقاش، وأن أي تعديل أو تغيير في كيفية كتابة لفظ أو أكثر في المصحف يحتاج إلى قرار لجنة من كبار العلماء المتخصصين في هذا العلم الجليل، ومن أعضاء لجان مراجعة المصاحف، وحسب هذا البحث أن يكون واحدًا من الجهود الكثيرة المبذولة في خدمة هذا الكتاب العزيز.

التمـــهيد

يتضمن التمهيد التعريف برسم المصحف وضبطه وتبيين حكم الالتزام به، والأسس المعتمدة في البحث للترجيح بين الأقوال المتعددة في الرسم أو الضبط.

*** رسم المصحف: هو ما كتب به الصحابة المصاحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولذا ينسب إليه فيقال: الرسم العثماني، ويقال له الاصطلاحي، وأكثر رسم المصحف موافق لقواعد الرسم القياسي، ومنه ما يخالفه**(١).

*** ضبط المصحف: هو العلامات المخصوصة التي توضع على الحرف للدلالة على حركته أو حالته وحكمه، كعلامة السكون أو المد أو التنوين أو الشد ونحو ذلك**(٢).

* **حكم الالتزام برسم المصحف:** يرى جمهور العلماء وجوب الالتزام بقواعد رسم المصحف وعدم جواز مخالفتها، وهذا القول هو الذي تعضده الأدلة وتؤكده، ولا تقوى أدلة القائلين بجواز مخالفة الرسم على ردها(٣)، ولا يلزم من القول بوجوب اتباع الرسم أنه معجز أو توقيفي، فهذان القولان - وإن قال بهما عدد من العلماء - لا يقويان على معارضة القول بأن الرسم اصطلاحي، وهو ما ذهب إليه كثير من العلماء(٤).

(١) دليل الحيران، ٣٨.

(٢) سمير الطالبين، ٢٠.

(٣) إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن، ١٠-٦٢.

(٤) وهو ما ترجح لي في بحث: "حكم الالتزام بقواعد رسم المصحف وضبطه" المقبول للنشر في مجلة الشريعة والقانون التي تصدرها جامعة الإمارات العربية المتحدة.

*** الأسس المعتمدة في البحث للترجيح بين الأقوال:**

بما أن هذا البحث يتضمن عددًا من الترجيحات في مسائل الرسم والضبط، فقد حرصت على أن أبين فيه الأسس المعتمدة في الترجيح، مع التنبيه قبل ذلك على أن الترجيح فيه لن يتجاوز ما ورد في كتب الرسم والضبط، فلن يتم ترجيح شيء أو وجه لم يسبق ذكره عند السادة علماء الرسم والضبط، فهو ترجيح ضمن أطر ووجوه محددة، كما أن مبدأ الترجيح بين الأوجه في الرسم أمر حاصل عند علماء الرسم، ونجد العبارات الدالة عليه متوافرة في كتبهم، ولن تخرج الأسس المعتمدة للترجيح في هذا البحث عما قرروه وسبقوا إليه، وقد تحصل المخالفة لبعضهم في ترجيح ما يراه آخرون مرجوحًا، وهذا باب واسع ولا حرج فيه على من اختار شيئًا ما دام ضمن الأصول والضوابط، وفيما يلي ذكر للأسس المعتمدة في هذا البحث، ولا يعني تقديم بعضها على غيرها مزية للمقدم أو انتقاصًا من المتأخر:

الأساس الأول: اختيار الرسم الأقرب إلى النطق، فإذا اختلف العلماء في رسمين أحدهما أقرب إلى النطق من الآخر فإنه أولى بالترجيح من الآخر، لأن الأصل في الكتابة أن تدل على كيفية القراءة، وبما أن الوجهين صحيحان عند علماء الرسم، فالأقرب إلى العمل به منهما ما كان أقرب إلى اللفظ.

ومن ذلك اختيار بعض علماء الرسم الألف في ﴿لَدَا﴾ لمراعاة لفظها، ومن اختار فيها الياء لانقلاب الألف ياءً مع الإضافة إلى الضمير[1].

الأساس الثاني: اختيار ما كان دليله أقوى من الآخر، وذلك في حال تفاوت الدليلين أو الأدلة، وفي اعتماد هذا الأساس خروج من الخلاف بطريق لا

(١) دليل الحيران، ٢٩٠.

يكاد ينازع فيه أحد.

الأساس الثالث: اختيار ما عليه أكثر المصاحف، وهو وجه معتـد بـه للترجيح حال حصول الخلاف، ومعتمد عند علماء الرسـم، قـال المـارغني: "والعمل عندنا على رسم ﴿لَدَى﴾ في غافر بالياء على ما في أكثر المصاحف"[1].

الأساس الرابع: حمل اللفظ على نظائره في الألفاظ التي تعدد ورودها في القرآن وورد عن علماء الرسم استثناء أحدها أو بعضها، فإذا ورد خـلاف في هذه الألفاظ المستثناة بين حملها على نظيرها أو استثنائها، فالأَولى حملها علـى النظير لئلا يختلف الرسم بين موضع وآخر في الكلمة الواحدة.

وقد أشار إلى هذا الأساس واعتمده عدد من علماء الرسم، ومن ذلك قول المارغني:"والعمل عندنا على حذفه [أي ألف لفظ ﴿ سُبْحَانَ ﴾ في الإسراء:٩٣] حملاً على نظائره"[2]، وقول أبي داود في ألفات بعض الأسماء الأعجمية: "حملاً على سائرها، مع مجيء ذلك كذلك في بعض المصاحف"[3].

وقد يترك حمل اللفظ على نظائره لِعلّة، ومن ذلك اختيارهم في ﴿لَدَا﴾ في يوسف:٢٥ أن تكتب بالألف لأن معناها: عند، و﴿لَدَى﴾ في غافر: ١٨ أن تكتب بالياء لأن معناها: في، فكان التفريق بينهما في الكتابة للإشارة إلى اختلاف معناهما في الموضعين[4]، وعلّل أبو داود اختياره حذف الألف في لفظ ﴿الرياح﴾ من قوله تعالى:﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾في [الروم:٤٦] بأمرين أولهما: " على

(١) دليل الحيران، ٢٨٢.

(٢) دليل الحيران، ١١٢

(٣) مختصر التبيين، ١١٥/٢.

(٤) دليل الحيران، ٢٨٢.

الاختصار لحذف الألف من الأسماء والأفعال كثيرًا مع بقاء الفتحة الدالة، وثانيهما ليكون رسمه بالحذف موافقًا للمواضع الأحد عشر التي وقع فيها الاختلاف[١] بين القراء ليأتي الباب واحدًا"[٢].

الأساس الخامس: اختيار الوجه الأيسر على عامة الناس وتقديمه على الوجه الأصعب أو الأبعد، وكم من قارئ مبتدئ حصل منه الخطأ أثناء القراءة بسبب عدم معرفته قواعد الرسم والضبط، فاختيار الرسم والضبط الأيسر أَولى من غيره.

الأساس السادس: اختيار اللفظ الدال على أصل اللفظ، أو الأقرب إليه، فمراعاة الأصل لها أهميتها ودلالتها، ومن ذلك اختيار وجه الفصل في كلمات على الوصل لأنه الأصل، وأشار إليه الخراز بقوله[٣]:

باب حروف وردت بالفصل ... في رسمها على وفاق الأصل

الأساس السابع: اختيار الرسم الذي يحتمل أوجه القراءة الأخرى على الرسم الذي لا يحتملها، لأن الإشارة إلى أوجه القراءة الأخرى واحتمالها مقصد أساس من مقاصد رسم المصحف حتى جعلت موافقته أحد شروط القراءة الصحيحة.

---

(١) وقع الخلاف في لفظ ﴿الريح﴾ إفرادًا وجمعًا بين القراء السبعة في أحد عشر موضعًا، وإذا أضيف إليه الخلاف بين القراء الثلاثة المتممين لهم يصبح عددها خمسة عشر موضعًا (التيسير، ٧٨، والنشر ٢/٢٢٣ و٢٢٤).

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٣٧.

(٣) مورد الظمآن، ٣٧.

الفصل الأول

الترجيح والتعليل لرسم بعض كلمات التنـــزيل

المبحث الأول:

ألفاظ مختلف فيها بين حذف الألف وإثباتها وإبدالها

لم يكن حذف الألف من وسط الكلمة خاصا برسم المصحف بل كان موجودًا في الكتابات القديمة عند العرب[١]، وظاهر أن حذف الألـــف – وكذلك الواو – يؤدي إلى قلة عدد وحدات الرسم[٢] في الكلمة الواحدة حيث إنهما من الحروف التي تفصل عما بعدها، وكانت الكتابة العربية القديمة تميل إلى استعمال الحد الأدنى من عدد وحدات الحروف، ولذلك كثر حذف الألف أو إبدالها ياء – حيث توصل الياء بما بعدها بخلاف الألف – وقلّ إبدالها واوًا لشبهها بالألف في عدم وصلها بما بعدها[٣].

ويندرج هذا التعليل لحذف الألف في علة الحذف للاختصار، وقـــد يجتمع معه في بعض الكلمات الإشارة إلى قراءة أخرى أو الاقتـــصار علـــى موضع واحد، كما أن إبدال الألف ياءً أو واوًا قد يكون للإشارة إلى أصـــل اللفظ أو لاحتماله الإمالة أو لأسباب أخرى.

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ٧٢٩-٧٣٨.

(٢) وحدة الرسم: مجموعة الحروف الموصولة في الكتابة، وأدناها حرف واحد (من قـــضايا الرســـم العثماني، مقال لعمر يوسف حمدان في مجلة الفرقان، العدد ٤١، ٢٠٠٥م، ص ١٧).

(٣) من قضايا الرسم العثماني، ص ١٦ و١٧.

المطلب الأول: ألفاظ فيها أوجه قراءات متعددة

الأَولى في مثل هذه الألفاظ أن تكتب بكيفية تحتمل معها أن تقرأ على الأوجه الواردة فيها، وهو المعمول به في معظم هذه الألفاظ و لم يخالَف ذلك إلا في كلمات قليلة وفي بعض المصاحف، ومن هذه الألفاظ:

١- ﴿سِقايَة﴾ و﴿عِمارَة﴾ من قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التوبة:١٩] اختلف القراء فيهما فقرأهما ابن وردان عن أبي جعفر في أحد الوجهين عنه: ﴿سُقاة﴾ بضم السين وفتح القاف وألف بعدها، و﴿عَمَرَة﴾ بفتحات وبلا ألف، وقرأهما الباقون ﴿سِقايَة﴾ بكسر السين وياء بعد الألف، و﴿عِمارَة﴾ بكسر العين وألف بعد الميم(١)، ومقتضى هذا الخلاف رسمهما بلا ألف ليحتملا القراءتين، إلا أن كثيرًا من علماء الرسم لم يذكرهما ضمن الألفاظ التي تحذف ألفها كأبي داود والخراز(٢)، في حين نص بعضهم على أنهما بالإثبات فقط(٣)، وهما مرسومان في المصاحف الحالية بالإثبات.

ونص عدد من علماء الرسم والقراءات على حذف ألفهما، فقال ابن الجزري: " وقد رأيتهما في المصاحف القديمة محذوفتي الألف كـ ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [نحو:القيامة:١]،و﴿جِمَٰلَتٌ﴾ [المرسلات:٣٣] ، ثم رأيتهما كذلك في مصحف المدينة

---

(١) إرشاد المبتدي، ٣٥١، وشرح الدرة المضية، ١٤٩/٢ و١٥٠، ووجَّه قراءة ابن وردان بأنها على الجمع نحو غاز وغزاة وماهر ومهرة، ووجّه قراءة الباقين بأنها على المصدر من سقى وعمر.

(٢) انظر: مختصر التبيين ٦١٧/٣، الحاشية ١٠.

(٣) الجوهر اللطيف في معرفة المحذوف من الأليف، ص ٩٠ و٩٤.

الشريفة، و لم أعلم أحدًا نص على إثبات الألف فيهما ولا في إحداهما"[1]، وذكر محمد العاقب أن الألف تحذف في لفظ ﴿سقاية﴾ المنكَّر- و لم يرد في غير هـــذا الموضع دون المعرف نحو:﴿ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ ﴾[يوسف:٧٠]، وأن ألف﴿عمرة﴾ محذوفة كذلك[2].

والذي أرجحه في هذين اللفظين أن يرسما بالحذف ليحتملا القراءتين، فـــإن رسمهما بالإثبات لا يحتمل القراءة الأخرى، ولأنهما رسما بالحذف في عدد مـــن المصاحف كما نص عليه الإمام ابن الجزري، ولأن عددًا من علماء الرسم سكتوا عنهما و لم ينصوا على كيفية رسمهما فترجح الرسم المحتمل لأكثر من قراءة على غيره، وهذا ما رجحه أيضا أحد الإخوة المتخصصين[3]، وفي هذا الحال يرســـم لفظ ﴿سِقَيَةَ﴾ بالياء أي بسن بعد القاف ليحتمل القراءتين، وتكون الألف مبدلة على قراءة ابن وردان، ومحذوفة على قراءة الباقين، أما ﴿عمرة﴾ فرسمه بحـــذف الألف يحتمل القراءتين.

٢- قوله تعالى:﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞ ﴾[المؤمنون:٧٢] حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خراجًا﴾ بألف بعد الراء، والباقون بلا ألف، وقرأ ابن عامر: ﴿فخرج﴾ بسكون الراء وبلا ألف بعدها، وقرأه الباقون بألف بعد

(١) النشر، ٢٧٨/٢، والمثال في الأصل (قيامة) بلا ألف، و لم يرد هذا اللفظ منكـــرًا بـــلا ألـــف في المصحف.

(٢) رشف اللمى شرح كشف العمى، ص ٢٤٠، وأعلمني أحد علماء الرسم الفضلاء "أن ممن نـــص على حذف ألفهما: الفيلالي، ومؤلف نثر المرجان ٥٣٩/٢ وحكاه عن صاحب الخزانة والخلاصـــة"، و لم يتيسر لي الوقوف على هذه الكتب، فنقلت عبارته كما هي.

(٣) التوجيه السديد في رسم القرآن المجيد وضبط بلاغته، ٧٥-٧٧.

الراء[١]، ويتحصل من جمع اللفظين معا وجود ثلاث قراءات فيهما هي:

١- ﴿خرجًا فخرج﴾ بلا ألف فيهما: ابن عامر

٢- ﴿خرجًا فخراج﴾ بألف في الثاني دون الأول: المدنيان والبصريان وابن كثير وعاصم.

٣- ﴿خراجًا فخراج﴾ بألف فيهما: حمزة والكسائي وخلف.

وقد اختلف في رسم اللفظين بالألف وبدونها، ونص الداني على الخلاف في ﴿خرجًا﴾ ورجح رسمه بلا ألف ليحتمل القراءتين، واختار أبو داود الحذف و لم يذكر سواه[٢].

أما ﴿فخراج﴾ فنقل الشيخان – الداني وأبو داود – إجماع المصاحف على كتبه بالألف، وقال أبو داود: "ولا أعلم حرفًا اختلف القراء في حذف الألف فيه وإثباتها، واجتمعت المصاحف على إثباته غير هذا"[٣]، إلا أن السخاوي شارح العقيلة نص على رسم هذا اللفظ بلا ألف في المصحف الشامي فقال: " وقد رأيت أنا في المصحف العتيق الشامي: ﴿فخرج﴾ بغير ألف وقد كنت قبل ذلك أعجب من ابن عامر كيف تكون الألف ثابتة في مصحفهم ويسقطها في قراءته حتى رأيتها في هذا المصحف فعلمت أن إطلاق القول بأنها في جميع المصاحف ليس بجيد ولا ينبغي لمن لم يطلع على جميعها دعوى ذلك"[٤]، ونقل ابن وثيق هذه النسبة للمصحف الشامي – دون أن يحدد الشخص المتحدث

(١) الغاية، ٣١٢، والتيسير، ١٥٩، وإيضاح الرموز، ٥٠٨.

(٢) المقنع، ٩٦، ومختصر التبيين، ٨٩٣/٤، وانظر: الجامع، ١١١.

(٣) مختصر التبيين ٨٩٤/٤، وانظر: المقنع، ٩٦.

(٤) الوسيلة، ١٧٧ و١٧٨.

عنه وقد يكون السخاوي نفسه – فقال: "وقال بعض المتأخرين رأيت في مصحف الشاميين الذي يقال إن عثمان رضي الله عنه بعث به إلى الشام ﴿فخرج ربـــك﴾ بغير ألف"[(١)].

والذي يترجح عندي القول بحذف الألف في اللفظين ليحتملا القراءتين، ولموافقته رسم أحد المصاحف، وهو أولى من توزيع الخلاف بين المصاحف فيكتب في عامتها بالألف وفي المصحف المخصص لقراءة ابن عامر بالحذف.

٣- قوله تعالى ﴿قل﴾ في مواضع اختلف القراء فيها بين الأمر والخبـــر وهي المواضع التالية:

- ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٣] قرأه بالإخبار ابن كثير وابن عامر.

- ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الأنبياء:٤] قرأه بالإخبار الكوفيون سوى شعبة.

- ﴿قَلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾[الأنبياء:١١٢] قرأه بالإخبار حفص وحده.

- ﴿ قَلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ [المؤمنون:١١٢] قرأه بالأمر ابن كثير وحمزة والكسائي.

- ﴿ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٤] قرأه بالأمر حمزة والكسائي.

- ﴿قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ [الزخرف:٢٤] قرأه بالخبر ابن عامر وحفص.

---

(١) الجامع، ١١١.

- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن:٢٠] قرأه بالأمر عاصم وحمزة وأبو جعفر[١].

واختلفت المصاحف في رسم هذه المواضع السبعة، ففي بعضها بالألف وفي بعضها بالحذف[٢]، والأَولى في جميعها أن تكتب بلا ألف لتحتمل القراءتين، وفي معظم المصاحف المطبوعة رُسم خمسة منها بالحذف ورسم موضعان بالألف، وهما موضع الإسراء والأول من الأنبياء، وقد نص الداني وأبو داود على أن موضع الإسراء بلا ألف في المصاحف العراقية، كما نصا على الخلاف في موضع الأنبياء الأول وأنه في المصاحف الكوفية[٣] بالألف على الإخبار[٤].

والذي يترجح عندي رسم المواضع السبعة بلا ألف لتحتمل القراءتين، ولموافقته بعض المصاحف وإن خالف المصحف الكوفي في موضع الأنبياء الأول، وقد وجدت من سبقني إلى ترجيح الحذف في موضع الأنبياء الأول معللا ذلك بأنه أكثر وأشمل[٥].

(١) إيضاح الرموز، ٤٩٦ و٥٣١ و٥٣٥ و٥٤٩ و٦٤٦ و٧١٢ على التوالي.

(٢) انظر: ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية، بحث لمحمد خازر المجالي منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٥٦ تاريخ ٢٠٠٤/٣، ص ١٥١ و١٥٢ ففيه تتبع للأقوال فيها.

(٣) لعل هذا النص ما جعل لجان تدقيق المصاحف تبقي موضع الأنبياء الأول بالألف لتتوافق رواية حفص الكوفي مع رسم المصحف الكوفي، ولكن الأفضل في مثل هذا توحيد الرسم واختيار ما يحتمل القراءة الأخرى.

(٤) المقنع، ٩٥ و١٠٤ و١١٠ و١١٢، ومختصر التبيين، ٧٩٥/٣ و٨٥٧/٤ و٨٥٨.

(٥) نقله محقق مختصر التبيين عن صاحب نثر المرجان ٣٦٤/٤، وعلّق عليه بقوله: "وهو الأولى والأحرى" (مختصر التبيين ٨٥٨/٤ حاشية ٣) ودعا د. محمد المجالي في بحثه المشار إليه قبل قليل إلى رسم هذا اللفظ في جميع مواضعه بالحذف ليحتمل القراءة الأخرى.

المطلب الثاني: ألفاظ لا خلاف فيها بين القراء

سأذكر في هذا المطلب عددًا[1] من الألفاظ التي وقع الخلاف في رسمها بين حذف الألف وإثباها و لم يقع خلاف بين القراء فيها، مع الترجيح والتعليل.

١- جمع المؤنث السالم ذي الألفين: اتفق الشيوخ على حذف ألفيه، وبعض كُتَّاب المصاحف أثبتوا الألف الأولى، ومنهم من أثبتها في ألفاظ معينة، وفي ما كان منها مضعفًا أو مهموزًا أقوال الأرجح منها حذف ألفيه، ونُقل عن أبي داود إثبات الألف الأولى - جزمًا أو ترجيحًا - في ألفاظ هي: ﴿يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف:٤٣و٤٦] و﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧] على قراءة الجمع ، و ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]،﴿بَاسِقَٰتٍ﴾[ق:١٠] ورجحه المارغني وجرى عليه العمل في عدد من المصاحف[2]، ونص الداني على حذف الألفين في ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾و ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ وعلى إثبات الألف الأولى في ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ في [المائدة:٦٧] و[الأنعام:١٢٤][3]، وقد اختلف القراء فيهما، فقرأ موضع المائدة بالجمع: المدنيان وابن عامر وشعبة ويعقوب، والباقون بالإفراد، وقرأ موضع الأنعام بالإفراد: المكيان وحفص، والباقون بالجمع[4]، فمن قرأه بالإفراد لا يندرج اللفظ ضمن جمع المؤنث السالم ذي الألفين، ولذا فألفه التي بعد السين ثابتة، ولا ألف ثانية فيه، أما ﴿يَابِسَٰتٍ﴾ فلم يتعرض له الداني مما يقتضي دخوله في القاعدة وهي حذف ألفيه، واستثناه أبو داود وأثبت ألفه الأولى، وأطلق محمد العاقب حذف

---

(١) يلاحظ أن الدراسة - بسبب الحاجة إلى الاختصار- اقتصرت على بعض هذه الألفاظ لا كلها.

(٢) دليل الحيران، ٥٠.

(٢) المقنع، ٢٣ و١١.

(٤) إرشاد المبتدي، ٢٩٩ و٣١٨، وإيضاح الرموز، ٣٦٣و٣٨٤.

ألف جمع المؤنث السالم ذي الألفين[١].

والذي يترجح لدي إلحاق الألفاظ المختلف فيها بأخواتها وكتابتها بحذف الألفين، وقد جرى عليه العمل في بعض المصاحف، ويؤكده نص عدد من علماء الرسم على إطلاق الحذف.

٢- ورد لفظ بنات في عشرة مواضع، ونص أبو داود على حذف الألف في ثلاثة منها هي: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾[النحل:٥٧]، ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٠]، ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[الطور:٣٩]، وعلى إثباتها في سائر المواضع وهي: ﴿وَبَنَاتُكُمْ ﴾[النساء:٢٣]، ﴿بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[هود:٧٨]، ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾[هود:٧٩]، ﴿بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[الحجر:٧١]، ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ ﴾[الصافات:١٤٩]، ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ ﴾ [الصافات:١٥٣] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[الزخرف:١٦]، ونص المارغني على العمل باختيار أبي داود، وعلّله محمد العاقب بوقوع حرفين فقط قبل الألف[٢]، أما أبو عمرو الداني فلم يستثن أي لفظ منها فتندرج ضمن عموم حذف ألف الجمع[٣].

والذي يترجح عندي العمل بما ذهب إليه الداني من تعميم الحذف في جميع المواضع حملاً للّفظ على نظيره، وتسهيلاً للقارئين وتيسيرًا عليهم.

٣- ورد لفظ ﴿داخرين﴾ في أربعة مواضع، وهي محذوفة الألف عند أبي داود سوى موضع واحد هو: ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]،

---

(١) رشف اللمى، ٢٣٢.

(٢) دليل الحيران، ٥١، ورشف اللمى، ٢٣٢.

(٣) المقنع، ٢٢، والتسهيل، ٢٣.

والمواضع الأخـــرى هي: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨]،﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧]، ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات:١٨]، ومصاحف المشارقة على العمل بهذا، أما الداني فإنه يحذف الألف في جميع المواضع دون استثناء لاندراجها في قاعدة حذف ألف جمع المذكر السالم[1]، والذي يترجح عندي العمل بما ذهب إليه الداني من تعميم الحذف حملاً للفظ على نظائره، وتيسيرًا على العامة.

٤- الألف المعانقة للام:حذفها الداني في ثلاثة وعشرين موضعًا وسكت عما عداها، وحذفها أبو داود إلا ثلاثة عشر لفظًا لم يتعرض لها فتبقى على الأصل بالإثبات أو يخير فيها الكاتب، وأطلق البلنسي الحذف في جميع المواضع، ونسبه إلى المصحف الإمام، ونقل اللبيب الإجماع على الحذف، وعليه إشكال النص على الإثبات في كلمات، واعتمد المارغني إطلاق الحذف تبعًا للبلنسي سواء اتفق الشيخان على حذفه أو انفرد به أحدهما إلا ﴿ٱلْـَٔانَ﴾ [الجن:٩] فإنه متفق على إثبات ألفه،و﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾[الإسراء:٢٣]تبعًا لترجيح أبي داود فيه[2].

والذي يترجح عندي إطلاق الحذف فيه إلا ما اتفق على إثباته وهو موضع الجن فقط،تيسيرًا على العامة وحملا للنظائر على بعضها،وإعمالاً لقاعدة الحذف.

٥- لفظ ﴿كَاتِب﴾ ورد أربع مرات كلها في سورة البقرة في آية الدين والتي بعدها، ذكر أبو عمرو الداني فيها جواز الحذف والإثبات، ونقل عن الغازي أنه بالألف ورجحه وعلل ذلك الترجيح بأنه لقلة دوره، ولئلا يشتبه بـِـ ﴿كِتَٰبٌ﴾ [المطففين:٩]،و﴿كِتَٰبًا﴾ [النساء:١٠٣][3]، وورد عن أبي داود قولان ؛

---

(١) المقنع، ٢٢، ومختصر التبيين ١٠٧٨/٤ حاشية ٤، ودليل الحيران، ٥٤.

(٢) المقنع، ٢٢، ومختصر التبيين، ١٩٠/٢و١٩١، وحاشية رقم ٨، ودليل الحيران، ١٠٨.

(٣) المقنع، ٢٣ و٢٤.

الأول: الخلاف في الموضع الأخير، والثاني: الخلاف فيها كلها، إلا أن الموضعين الأولين مسكوت عنهما، والموضع الثالث ألفه ثابتة، والرابع مختلف فيه(١)، ونقل المارغني أن العمل على الإثبات فيها كلها(٢)،وهو الذي أرجحه لدفع الاشتباه مع الكلمات المتشابهة، ولدفع الإشكال عن العامة، ولأنه الرسم الأقرب إلى النطق.

٦- ورد لفظ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ المسبوق بالباء في ثلاثة مواضع هي: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[يس:٨١]، و﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٣، والقيامة:٤٠]، وقرأه رويس عن يعقوب في يس ، ويعقوب بتمامه في الأحقاف ﴿يَقْدِرُ﴾ بياء مفتوحة وقاف ساكنة وراء مرفوعة من غير ألف ولا تنوين على أنه فعل مضارع ، والباقون بباء مكسورة وألف بعد القاف والراء منونة مكسورة على أنه اسم فاعل(٣)، واتفق الشيخان على رسم هذين الموضعين بحذف الألف، أما الموضع الثالث في القيامة، فسكت عنه الداني، وحذف أبو داود ألفه، ونقل ابن الجزري ثبوت ألفه في كثير من المصاحف، ورجح عدد من علماء الرسم الحذف فيه كالموضعين السابقين وإن لم يقرأ كما قُرئا(٤)، وهو الذي يترجح عندي حملاً للفظ على نظيره، وإعمالاً لقاعدة الحذف.

٧- ورد لفـظ﴿كاذبة﴾في موضعين هما:﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[الواقعة:٢]و ﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ﴾[العلق:١٦] نص البلنسي على حذف الألف فيهما،ونص أبو داود على حـذف موضـع العلق ، والعمـل في بـعض المصاحف بالحـذف

---

(١) مختصر التبيين، ٣٢١/٢.

(٢) دليل الحيران، ١١٣.

(٣) المستنير، ٣٩٥ و٤٤٧، وإيضاح الرموز، ٦١٥.

(٤) مختصر التبيين، ١٠٣٠/٤، والنشر، ٣٥٥/٢، ودليل الحيران، ١٦٩و ١٧٠و١٧١.

فيهما[1]،وفي بعضها باختيار أبي داود. والذي يترجح عندي الحذف فيهما من باب حمل اللفظ على نظيره، ولوروده نصًا عند البلنسي مع سكوت أبي داود عن الموضع الآخر، وللعمل بالحذف فيهما في بعض المصاحف.

٨- لفظ ﴿دِيار﴾ ورد حذف ألفه حيث ورد وكيف كان، واستثنى أبو داود ﴿ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾[الإسراء:٥] فأجاز فيه الإثبات والحذف ، واستحب الإثبات اختيارًا منه وليس عنده فيه عن المصاحف شيء، حيث قال: "و﴿الديار﴾ بألف ثابتة، ولا أمنع من كتبه بغير ألف، والذي أستحب بالألف"[2]، ونص المارغني أن العمل على الحذف فيما عدا هذا الموضع[3]، إلا أن ترجيح الحذف في جميع المواضع أَولى لعدم وجود نقل فيه، وحملاً له على سائر المواضع.

٩- لفظ ﴿صِراط﴾ ورد في مواضع كثيرة واختلف في ألفه عن أبي داود، واختياره الحذف، حيث قال: "وكلاهما حسن والأول أختار"[4]، والذي ذكره أولاً هو الحذف، وأطلق الخراز عن أبي داود الوجهين دون ترجيح وتعقبه عدد من الشراح، فقال ابن القاضي: "جرى العمل بالحذف وهو مختار التنـــزيل"[5] ولم ينص الداني على هذا اللفظ ففُهم من عدم ذكره له أنه يرى فيه الإثبات أخذًا من قوله: "إثبات الألف في كل ما كان على وزن فِعال"[6] ، ولذا نسب المخللاتي وغيره إلى الداني إثبات

---

(١) مختصر التبيين، ١٣٠٩/٥ وحاشية رقم١١، ودليل الحيران، ١٨٢، وسمير الطالبين، ٤٢.

(٢) مختصر التبيين٧٨٥/٣.

(٣) دليل الحيران ٦٨.

(٤) مختصر التبيين، ٥٥/٢.

(٥) نقله عنه محقق مختصر التبيين، ٥٦/٢، الحاشية ٧.

(٦) المقنع، ٢٠.

ألفـــه[(١)]، وتعقبه غيره بأن إثبات ألف ما كان على فِعال ليس بمطرد، ومثّـــل بلفظ ﴿كِتَبٌ﴾ محذوف الألف مع أنه على وزن فعال، ورُدّ على التعقب بـــأن لفظ ﴿كِتَبٌ﴾ نص عليه الداني أنه بالحذف[(٢)]، أما لفظ ﴿صراط﴾ فعدم نـــص الداني عليه أدخله في عموم عبارته السابقة.

والذي يترجح لي رسم هذا اللفظ بالألف، لأن الألفاظ التي بهذا الوزن معظمها ثابت الألف، ولأنه أيسر على العامة، ولأنه أحد الوجهين الجائزين فيه.

١٠- وقع لفظ ﴿ساحر﴾ مفردًا منكّرًا ومعرَّفًا، ومجموعًا معرفًا.

أما المفرد المنكر فمنه ما اتفق على قراءته ﴿ساحر﴾ بالألف وهو ثمانية مواضع[(٣)]، ومنه ما اتفق على قراءته ﴿سِحر﴾ وهو أربعة مواضع[(٤)]، ومنه ما اتفقوا على قراءته ﴿سَحَّار﴾ وهو موضع واحد [الشعراء:٣٧] ومنه ما اختلفوا فيه بين ﴿ساحر﴾ و﴿سحّار﴾وهما موضعان[(٥)]، ومنه ما اختلفوا فيه بين ﴿ساحر﴾ و﴿سِحر﴾ وهو أربعة مواضع[(٦)]، وهذه المواضع الست المختلف فيها رسمت

---

(١) إرشاد القراء والكاتبين، ٦٥ (٣٢/ب) وانظر: التسهيل، ١٦.

(٢) المقنع، ٢٠، ومختصر التبيين، ٥٦/٢ الحاشية ٦.

(٣) مواضعها: الأعراف:١٠٩، ويونس:٧٦، وطـــه:٦٩، والـــشعراء:٣٤، وص:٤، وغـــافر:٢٤، والذاريات:٣٩و٥٢.

(٤) هي: النمل:١٣، وسبأ:٤٣، والصافات:١٥، والأحقاف: ٧.

(٥) هما: الأعراف:١١٢، ويونس:٧٩ قرأهما حمزة والكسائي وخلف (سَحّار) بوزن فعال، والباقون (ساحر) بوزن فاعل (الغاية، ٢٥٨، والسبعة، ٢٨٩، والتيسير، ١١٢).

(٦) هي: المائدة:١١٠، ويونس:٢ وهود:٧، والصف:٦ قرأها بوزن فاعل الكوفيون سوى عاصم في المائدة وهود والصف، وقرأها كذلك في يونس الكوفيون وابن كثير، وقرأ الباقون بوزن فعل (السبعة، ٢٤٩، وإيضاح الرموز، ٣٦٦).

بلا ألف لتحتمل القراءتين، وأما المواضع التي لم يختلف فيها وقرئت بالألف فقط أو بدونها فقط فهي مرسومة بالحذف كذلك معاملة لها معاملة الألفاظ المختلف فيها، وورد عن الشيخين إثبات الألف حيث ورد، وهو مـــروي عن نافع ومصاحف المدينة، أما موضع ﴿إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]، فاتفق الشيخان على إثبات ألفه.

وأما المفرد المعرف ﴿السَّاحر﴾ [طه:٦٩، والزخرف:٤٩] فألفه ثابتـــة عنـــد الشيخين وذلك لأنه لا يحتمل أن يقرأ بحذف الألف.

أما المجموع المعرف فورد في موضع واحد فقط:﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧] وألفه محذوفة عند الشيخين(١).

والذي يترجح عندي رسم لفظ ﴿سَٰحِرٌ﴾ المنكّر المختلف في رسمه بالحذف ليحتمل القراءتين، وحملاً للّفظ على مواضعه الأخرى التي لم يختلف فيها، أما الموضع المجمع عليه بالإثبات آخر الذاريات فيرسم به، ويرسم المعرف بالإثبات، والمجموع بالحذف.

١١- لفظ ﴿تبارك﴾ ورد في تسعة مواضع(٢)، نص أبـــو داود علـــى حذف الألف في الرحمن والملك، وسكت عن البواقي، والمنقول عن الداني حذف ألفه في جميع المواضع نقلا عن كُتَّاب المصاحف(٣)، والذي يترجح عندي حذف الألف في الجميع حملاً للفظ على نظائره، ولنقل الداني الحـــذف عـــن كُتـــاب المصاحف مع سكوت أبي داود عنه.

---

(١) مختصر التبيين، ٤٦٤/٣ و٤٦٥، ودليل الحيران، ١٥٤، وسمير الطالبين، ٣٧.

(٢) هي:الأعراف:٥٤،المؤمنون:١٤،الفرقان:١و١٠و٦١،غافر:٦٤،الزخرف:٨٥،الرحمن:٧٨،الملك:١.

(٣) المقنع، ١٨، ومختصر التبيين٤/١١٧٤ وحاشية ٥، ودليل الحيران، ١١٩، وسمير الطالبين، ٣١.

١٢- اتفق الشيخان على حذف ألف ﴿سُبْحَٰنَ﴾ حيث ورد، ونقلا الخلاف في موضع الإسراء قبل الأخير [٩٣] ونقل الداني عن مصاحف أهل العراق أن هذا الموضع فيها بالألف، والمعمول به في مصاحف أهل المشرق إثبات الألف اتباعاً لمصاحفهم وهي المصاحف العراقية، وفي مصاحف أهل المغرب الحذف حملاً على نظائره، وفي بعضها بالإثبات كما في مصحف الجماهيرية[١]، والذي يترجح عندي الحذف حملاً على نظائره.

١٣- ورد لفظ ﴿شاهد﴾ مرفوعا ومنصوبا في سبعة مواضع[٢]، واختلف فيه عن الشيخين، فنُسب إلى الداني إثبات ألفه مطلقا، وقيد بعضهم عنه الحذف بالمنصوب دون المرفوع، أما أبو داود فإنه يحذف ألف المنصوب دون المرفوع[٣].

والذي يترجح عندي إثبات الألف في المواضع السبعة ما كان منها مرفوعًا أو منصوبًا،حملاً للّفظ على نظائره، ولأنه الأقرب إلى النطق، والأيسر على العامة.

١٤- ورد لفظ ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾ خمس مرات، حذفت ألفه في أربع[٤] منها باتفاق الشيخين، ووقع الخلاف في الموضع الخامس وهو﴿مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٩] فنقل الخلاف فيه عن الداني ، فمن نقل عنه الحذف لاحتمال

---

(١) المقنع، ٩٥، ومختصر التبيين، ٧٩٦/٣ وحاشية ٢، ودليل الحيران، ١١٢، ورسم المصحف، ١١.

(٢) المواضع المرفوعة هي: هود:١٧، ويوسف:٢٦، والأحقاف:١٠، والبروج:٣، والمنصوبة هي: الأحزاب:٤٥، والفتح:٨، والمزمل:١٥.

(٣) مختصر التبيين١٠٠٤/٤،وحاشية ٢١٣/٢،وسمير الطالبين٣٨،والتسهيل٣٣، والجوهر اللطيف٩٥،ورسم المصحف ٥٦.

(٤) هي: يوسف:٩١و٩٧ والقصص:٨، والحاقة:٣٧.

دخوله في القاعدة، ومن نقل عنه الإثبات لسكوته عنه، أما أبو داود فسكت عنه ، والمعمول بـــه عنه الإثبات كما نقله الخراز وغيره(١).

والذي يترجح عندي رسم جميع المواضع بالحذف على ما عليه العمـــل عن الداني حملاً للّفظ على نظائره، ولأن أبا داود لم ينص على إثبات ألفه بـــل سكت عنه.

١٥- ورد خلاف في رسم لفـــظ ﴿أحيا﴾ في أربعـــة مواضع هي: ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] ، ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣] ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩]، ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية:٢١]، نص أبو داود على ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ ونَقل أنه في بعض المصاحف بألف وفي بعضها بلا ألف، وعلق المحقق بأن الاختيار عن أبي داود الحذف وعليه رسم أهل المشرق هنا وفي ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ ، ولم يمنع من الإثبات وعليه مصاحف أهل المغرب مطلقًا(٢).

والذي يترجح عندي إثبات ألفه لأنه الأقرب إلى النطق، والأيسر على العامة، وعليـــه العمل عند المغـــاربة ، وفيـــه حمـــل اللفظ على نظائره فإن لفظ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة:٣٢] ألفه ثابتة باتفاق.

المطلب الثالث: ألفاظ أبدلت فيها الألف ياءً

اخترت في هذا المطلب عدة ألفاظ مما أبدلت فيه الألف ياء ورجحت ما ظهر لي فيها بعد النظر في أقوال علماء الرسم، وهذه الألفاظ هي:

١- ورد لفظ ﴿لَدَى﴾ في موضعين هما: ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف :٢٥]،

---

(١) دليل الحيران،٥٦،ورشف اللمى،٢٣٠، والجوهر اللطيف، ٨٥، والتسهيل، ١٣، وسمير الطالبين، ٢٦.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٩٢، والحاشية رقم ١٢، وانظر: دليل الحيران، ٢٧٧.

و﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:١٨] واتفقت المصاحف على رسم موضع يوسف بالألف، واختلفت في موضع غافر، فقال أبو عمرو الداني: "واختلفت - أي المصاحف- في غافر وأكثرها على الياء"[١] واقتصر أبو داود في موضعين من التنـزيل على الياء في غافر، وحكى الخلاف في موضع آخر منه، وقيل في تعليل الفرق في رسم اللفظ بين الموضعين: معنى الذي في يوسف: عند، والذي في غافر: في، ولذا فُرّق بينهما في الكتابة، وقال النحويون: "المرسوم بالألف على اللفظ، والمرسوم بالياء لانقلاب الألف ياء مع الإضافة إلى الضمير"[٢]. والراجح عندي رسم موضع غافر بالياء لأن عليه أكثر المصاحف، ولأنه يشير إلى الفرق في المعنى بين هذا الموضع وموضع يوسف المتفق على رسمه بالألف، ولأنه الأقرب إلى الرسم الإملائي.

٢- ورد لفظ ﴿اجتبى﴾ في أربعة مواضع هي: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾ [النحل:١٢١] ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ [طه:١٢٢]،﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[الحج:٧٨]،﴿فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم:٥٠]، روى أبو داود في موضعي النحل والحج ثلاثة أوجه هي: بالألف، وبالياء، وبدونهما، وحسّن الأوجه الثلاثة، ويؤخذ من كلامه أن رسمه بالياء من مجرد اختياره لا أنه كَتب بعض المصاحف، ويؤخذ من عبارته أنه تأمل في المصاحف القديمة فوجدها بغير ألف، وفي أكثرها بالألف ، وسكت أبو عمرو عنه ، ومقتضى سكوته رسمه بالياء حسب القاعدة ، ورجح المارغني وغيره رسمه بالياء اتباعًا للأصل في ذوات الياء ، وحملاً له على نظائره، ولسكوت أبي

(١) المقنع، ٦٥.

(٢) مختصر التبيين، ٧٦/٢، ٧١٣/٣، والحاشية رقم ٥، ودليل الحيران، ٢٨٢.

عمرو عن عده من المستثنيات[1].

أما موضعًا طه والقلم، فنص أبو داود على أنهما بالحذف بـــلا يـــاء، وعليه العمل خلافًا لما نقله المخللاتي أنهما بالياء[2].

والذي يترجح عندي رسم المواضع الأربعة بالحذف، حملاً للمختلف فيه على المتفق عليه، وتيسيرًا على العامة بسبب اجتماع الأمثال حال الكتابة بالإبدال، ولصحة النقل بالحذف.

٣- ورد لفظ ﴿سيماهم﴾ في ستة مواضع هي:﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٣، والأعراف:٤٦و٤٨، ومحمد:٣٠، والرحمن:٤١]، و﴿سِيمَاهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] وفي رسمه ثلاثة أوجه هي: بالألف، وبالحذف، وبالياء، والذي نص عليه أبو داود رسمه بالحذف في البقرة والقتال والرحمن، وبالياء في موضعي الأعراف، وبالألف في الفتح، وعلل الرسم بالحذف أنه اختصارًا واكتفاءً بفتحة الميم عنها لدلالتها عليها، وبالياء أنه على الأصل وللإشارة إلى الإمالة، وبالألف أنه على اللفظ والتفخيم[3]، ولم يذكر الداني إلا استثناء موضع الفتح من الرسم بالياء، ونقل عن معلى عن عاصم أنه قال: "تكتب ﴿سيماهم﴾ في القرآن بالألف"[4]، ولعل هذا ما جعل الخوارزمي ينقل رسم هذا اللفظ بالألف مطلقًا[5]، ومع رواية

(١) مختصر التبيين، ٧٨٢/٣، وحاشية ١٣، ودليل الحيران، ٢٧٨ و٢٧٩.

(٢) دليل الحيران، ٢٧٨، وإرشاد القراء والكاتبين، ١٦٣ و٢١٣، وسمير الطالبين، ٣١.

(٣) مختصر التبيين، ٣١٢/٢، وانظر: رشف اللمى، ٢٤٠ و٢٦١، وسمـــير الطـــالبين، ٦٢، ودليـــل الحيران، ٢٧٨.

(٤) المقنع، ٨٩.

(٥) موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني، نص مؤلفه على المواضع الخمسة أنها بـــالألف ولم يذكر شيئًا بالنسبة إلى موضع البقرة، ص ٣٥ و٨٢ و٨٥.

الداني هذا القول إلا أن المنقول عنه رسم باقي المواضع بالياء[(١)]، بل رسم موضع الفتح بالياء في مصحف من القرن التاسع الميلادي[(٢)]، وضبط بعضهم موضع الفتح المرسوم بالألف أنه غير المسبوق بباء الجر كباقي المواضع.

والذي يترجح عندي حمل المختلف فيه على المجمع عليه وهو موضع الفتح المجمع على رسمه بالألف،فيكتب به في جميع المواضع،وهو أقرب إلى النطق،وأيسر على العامة،ولا يتعارض مع قراءة اللفظ بالإمالة،ويتفق مع القول برسم جميع المواضع بالألف.

٤- لفظ ﴿وسُقْياها﴾ [الشمس:١٣] في رسمه ثلاثة مذاهب: بالألف، وبحذفها، وبالياء، ورجح بعضهم رسمها بالألف إعمالاً لقاعدة: "ما أدى رسمه بالياء إلى اجتماع ياءين يترك رسم الألف ياء وترسم ألفًا على اللفظ كراهة اجتماع متماثلين في الصورة"، ومن رجح رسمه بالياء فاتباعًا لقول اللبيب: "اتفقت المصاحف على رسمها بياءين من غير اختلاف"، واختار أبو داود رسمه بالحذف[(٣)].

والذي يترجح عندي رسمه بالألف إجراءً للقاعدة عليه ، وموافقة لمن رسمه كذلك، ولأنه أيسر وأقرب إلى النطق.

٥- لفظ ﴿ عُقْبَٰهَا ﴾[الشمس:١٥] ورد في رسمه وجهان: بحذف الألف، وبالياء، وهو القياس[(٤)]، إلا أن الأَولى رسمه بالوجه الأول بحذف الألف وبلا ياء كراهة اجتماع صورتين متشابهتين، ولأن العمل عليه في عدد من المصاحف.

---

(١) التسهيل، ٢٢، وعليه العمل في مصحف الجماهيرية.

(٢) رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، ٢٨، فيه صورة لصفحة من مصحف كتب في القرن التاسع أو العاشر الميلادي.

(٣) مختصر التبيين ١٣٠٠/٥ وحاشية ١، ودليل الحيران، ٢٧٧.

(٤) مختصر التبيين ١٣٠٠/٥ وحاشية ٢، ودليل الحيران، ٢٧٧، ورشف اللمى، ٢٦١.

٦- لفظ ﴿بِأَيَّٰمِ﴾ [إبراهيم:٥] اختلف الشيخان فيه على وجهين:

الأول: رسمه بياء واحدة بعدها ألف ثابتة.

الثاني: رسمه بياءين مع حذف الألف، وهو اختيار أبي داود في التنـــزيل[1]، وذكروا في تعليل زيادة الياء وجهين هما: التنبيه على جواز الإمالة، والتنبيه علـــى جـــواز كتابته على الأصل، كما كتب: ﴿ٱللَّهۡوِ﴾[الجمعة:١١]، و﴿ٱللَّٰعِبِينَ﴾[الأنبياء:٥٥] بلامين على الأصل.

واخـــتلفت المصـــاحف في رســـمـــه، ففـــي بعضـــها بيـــاءين[2]، وفي بعضها بالألف[3]، والذي أُرجحه رسمه بالألف لأنه أقرب إلى اللفظ، وأبعد عن الإشكال، ولأنه كتب كذلك في بعض المصاحف، ولأن التنبيه على جـــواز الإمالة لا وجه له في هذا اللفظ لعدم القراءة بها في المتواتر.

المبحث الثاني

ألفاظ زيدت فيها الألف

توجد ألفاظ عديدة زيدت فيها الألف، منها ما زيدت فيه في وســـط الكلمة، ومنها ما زيدت فيه في آخرها، وسأذكر في هذا المبحث عددًا منـــها مع ترجيح أحد الأوجه فيها، ومن هذه الألفاظ:

١- الألف بعد الواو المتطرفة: اتفق شيوخ النقل على زيادة الألف بعد

(١) المقنع، ٩٤، ومختصر التبيين، ٧٤٦/٣.

(٢) نص محقق مختصر التبيين على أنه في مصاحف المغاربة بياءين، وأن مصاحف المشارقة اختلفت في رسمه بين إثبات الألف وحذفها (مختصر التبيين ٧٤٦/٣ حاشية ٤) والمعمول به في معظم المـــصاحف المـــشرقية حاليا بياءين.

(٣) التسهيل٣٧، ومصحف الجماهيرية، وهو مرسوم بالألف في مصحف كتب سنة١٢٨٦ (رحلة المصحف ٣٨).

واو الجمع، وعلى زيادة الألف بعد واو اسم الفاعل المضاف نحـو: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ [الدخان:١٥] ، و﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾[السجدة:١٢]، واتفقوا على إسـقاط الألف من: ﴿وَبَآءُو﴾ [البقرة:٦١]،و﴿وَجَآءُو﴾ حيـث وقعـا،و﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ [الحشر:٩] ، و﴿سَعَوْ﴾[سبأ :٥]دون موضع الحـج[٥١]، و﴿فَآءُو﴾[البقـرة:٢٢٦] ، و﴿وَعَتَوْ﴾ [الفرقان:٢١] دون ما عداه، وزادوها باتفاق بعد واو الفرد المتطرفـة نحو: ﴿أَشْكُواْ﴾ [يوسف:٨٦]، واسـتثنوا: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء:٩٩] ، أما ما يشبهه مثل: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة : ٢٣٧] فبعده ألـف ، وكذلك لا ألف بعد واو﴿ذو﴾[1]. ووجه زيادة الألف: الدلالة علـى فـصل الكلمة عما بعدها وصحة الوقف عليها، ولا يصلح التوجيه بالتفريق بـين واو الجمع والفرد لعدم اختصاصها بأحدهما[2].

واختلفوا في: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الـروم:٣٩] ، و﴿ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب:٦٩] ، فالداني رجح الإثبات ونقله عن بعض الرواة، وأبو داود لم يرجح وسكت عنهما الخراز، والمعمول به في المصاحف إثبات ألفيهما[3]، وهو الذي أرجحه حملاً لهما على سائر المواضع.

٢- ورد لفظ ﴿لؤلؤ﴾ في ستة مواضع، اتفق شيوخ النقل على إثبات

(١) ورد في بعض كتب الرسم النص على زيادة ألف بعـد واو ﴿ ذو ﴾ في مواضـع منـها: ﴿ذُو رَحْمَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧]، و﴿ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ [البقرة:١٠٥]، وهو مخالف لنقـل الـداني اتفـاق المصاحف على حذف الألف بعد الواو من ﴿ذو﴾ (انظر: المقنع، ٢٨، وموجز كتـاب التقريـب في رسم المصحف العثماني، ٢٤ و٣٤ و٣٨ و٨٨ وغيرها).

(٢) دليل الحيران، ٢٥٤.

(٣) المقنع، ٢٧، ودليل الحيران، ٢٥٢ و٢٥٣، وجامع البيان، ٢٧٠ و٢٧١.

الألف بعد واو ﴿لؤلؤا﴾ المتفـــق على قـــراءته بالنصب، وذلك في موضع واحد ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩] ، واختلف القـــراء في موضعـــين آخـــرين هما: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[الحج:٢٣، وفاطر:٣٣] فقرأه نافع وعاصم وأبو جعفر بالنصب، وافقهم يعقوب في موضع الحج، وقرأ الباقون بالجر[1]، واتفق علماء الرسم على الأول أنه بالألف، واختلف في الثاني عن أبي عمرو الداني، والعمل على رسمه كموضع الحج.

أما المواضع الثلاثة الباقية فمنها ما هو مرفوع وهو: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]، و﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]، ومنها ما هو مخفوض وهو: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٣]، واختلف في رسم هذه الثلاثة، واختيار أبي داود عدم إثبات الألف في الطور والواقعة والتخيير في الرحمن، وقيل في وجه زيادتها إنها لتقوية الهمزة وبيانها ولشبهها بواو الجمع[2]، وجرى العمل في مصاحف أهل المغرب على إثبات الألف في موضع الرحمن ، وفي مصاحف أهل المشرق على عدم إثباتها في المواضع الثلاثة، وهو الأولى والأرجح، لأنه أقرب إلى النطق، وأيسر على العامة.

٣- لفظ ﴿جِاْيٓءَ﴾ اختلفت المصاحف فيه في موضعيه [الزمر:٦٩، الفجر:٢٣] حيث ذكر الداني وأبو داود والشاطبي أنهما في بعضها بألف وفي بعضها بلا ألف، وجرى عمل مصاحف أهل المشرق على إثبات الألف[3]،

---

(١) المبسوط، ٣٠٦، والنشر، ٢/٣٢٦.

(٢) دليل الحيران، ٢٥٥ و٢٥٦، وجامع البيان، ٢٧٣ و٢٧٤.

(٣) دليل الحيران، ٢٤٨.

والذي يترجح عندي رسمهما بلا ألف لأنه الأقرب إلى اللفظ، والأيسر على العامة، وفيه حمل اللفظ على نظائره.

٤- اتفقت المصاحف على زيادة الألف في ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾[النمل:٢١]، واختلفت في زيادة الألف وعدمها في ألفاظ هي : ﴿وَلَأَاْوْضَعُواْ ﴾[التوبة:٤٧]، ﴿ لَأَاْنتُمْ ﴾ [الحشر:١٣]،و﴿ لَأَاْتَوْهَا ﴾[الأحزاب:١٤]،و﴿ لَإِاْلَى ﴾ [آل عمران:١٥٨، والصافات: ٦٨]، وقيل في توجيه هذه الزيادة:

- الدلالة على إشباع حركة الهمزة وهي الفتحة وإتمام الصوت بها.
- تقوية الهمزة وبيانها لأنها حرف خفي فقويت بالألف في الكتابة كما قويت بالمد في النطق.
- هي الفتحة وكتبت ألفًا لأنهم لم يكونوا يثبتون الحركات.
- هي صورة الفتحة.(١)

ورجح أبو داود فيها الحذف وعلل اختياره بقوله: "لمجيء ذلك كذلك في أكثر المصاحف وموافقة لسائر ما جاء في القرآن من ذلك على اللفظ والأصل خارجًا عن الخمسة المواضع المذكورة الشاذة المختلف فيها"(٢).

والذي يترجح عندي رسم الألفاظ الخمسة المختلف فيها بلا ألف، وهو الراجح عند كثير من علماء الرسم فيها ، ورسم اللفظ السادس المتفق عليه وهو﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ بالألف، ولولا الإجماع عليه لرجّحتُ الحذف فيه، حملاً لِلَّفظ على نظائره، ولأن هذه الألف الزائدة تسبب إشكالاً عند كثير من

(١) دليل الحيران، ٢٤٤، وجامع البيان، ٢٦٤.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٣٧٩-٣٨١.

العامة، وكما أن الألفاظ الخمسة الأخرى روي فيها الوجهان عن المصاحف القديمة، فلعل في بعض المصاحف القديمة رُسِم ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ ﴾ بلا ألف ولم يصلنا، وهذا يحتاج إلى مواصلة البحث في المصاحف القديمة.

المبحث الثالث

ألفاظ مختلف في حذف أو زيادة حروف فيها سوى الألف

تقدم أن الألف أكثر الحروف حذفًا كما أنه أكثرها زيادة، أما باقي الحروف ومنها الواو والياء فحذفها أو زيادتها أقل من الألف ولذا جمعتها في مبحث واحد،اقتصرت فيه على ألفاظ حذفت منها الياء،وألفاظ زيدت فيها الواو.

المطلب الأول: ألفاظ حذفت منها الياء

قد يكون الحذف للياء بسبب اجتماع مثلين، وقد يكون بـدون هـذا السبب، وسأذكر ألفاظًا من كلا هذين النوعين على النحو الآتي:

١- حذف إحدى الياءين،وقد تكونان متوسطتين أو متطرفتين، أما المتوسطتان فحذفت إحدى الياءين من ألفاظ:﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[البقرة:٦١]،و﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ [الجمعة:٢]، و﴿ ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[المائدة:١١١]، و﴿ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران:٧٩]،حيث وردت باتفاق شيوخ الرسم،وأُثبتت الياءان في ﴿ عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين:١٨]، وفي﴿ يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [البقرة:٢٨] ، و﴿ أَفَعَيِينَا ﴾[ق:١٥]، و﴿ حُيِّيتُم ﴾ [النساء:٨٦]، و﴿ يُحۡيِينِ ﴾[الشعراء:٨١] ونحوها وعلة الحذف هنا ظاهرة وهي كراهة توالي المثلين.

وأما المتطرفتان فلهما صورتان؛ الأولى: إذا سكنت الياء الثانية نحو:﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[نحو:البقرة:٢٥٨]،و﴿ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [الحج:٦]، اتفق شيوخ الرسم على حذف

إحدى الياءين، والأرجح حذف الثانية، وثانيهما: إذا تحركت الثانية، وذلك في أربع كلمات هي: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٩٦]، و﴿حَيَّ﴾ [الأنفال:٤٢] على قراءة الإظهار، وهي قراءة المدنيين ويعقوب وخلف والبزي وشعبة وقنبل في أحد وجهيه(١)، و﴿يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]، و﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ﴾ [الفرقان:٤٩].

أما﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٣] فإن الشيخين سكتا عنه وأطلق الشاطبي في العقيلة وأبو العباس بن حرب في كتابه في الرسم الحذف فشمل موضع الأحقاف أيضًا، والعمل على حذف الياء في المواضع الخمسة(٢)، وهو الأَولى حملاً للَّفظ على نظائره.

٢- لفظ ﴿عباد﴾ المنادى حذفت الياء من آخره إلا في ثلاثة مواضع هي: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٥٦] وهو الموضع الأخير فيها،و ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣] وهو الموضع الأخير فيها، و﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الزخرف:٦٨]، فالأولان ياؤهما ثابتة بالاتفاق، والأخير فيه الوجهان وفيه أكثر من قراءة، حيث قرأ شعبة ورويس بإثبات الياء مفتوحة وصلاً ساكنة وقفًا، وقرأ المدنيان وأبو عمرو وابن عامر بإثبات الياء ساكنة في الحالين، وقرأ الباقون بحذف الياء في الحالين(٣)، وهو مرسوم بالياء في مصاحف المدينة والشام، وفي سائر المصاحف بلا ياء، وذكر المارغني أن العمل على إثباتها(٤)، والأَولى في نحو هذا أن يرسم بحذف الياء

---

(١) النشر، ٢/٢٧٦.

(٢) دليل الحيران، ٢٠٠-٢٠٢.

(٣) المستنير، ٤٣٨، وإيضاح الرموز، ٦٥٠.

(٤) دليل الحيران، ١٩٧.

ليحتمل القراءتين، وعلى قراءة الإثبات تلحق الياء.

٣- ورد لفظ ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في تسعة وستين موضعًا، منها ثلاث وثلاثون تقرأ بالألف بعد الهاء، منها خمسة عشر في سورة البقرة، وثمانية عشر في سور متعددة، وباقي المواضع وهي ستة وثلاثون موضعا تقرأ بالياء بلا خلاف، والقراءة بالألف في المواضع المذكورة لابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان، فتكون قراءة هشام عنه بالألف وجهًا واحدًا، وقراءة ابن ذكوان عنه بالوجهين[1]، والمختلف في رسمه منها مواضع سورة البقرة فقط، حيث نقل الداني حذفها عن مصاحف أهل العراق والبصرة خاصة وأهل لشام، وعلق عليه أبو داود بقوله: "لقراءتهم ذلك بالألف"[2].

والذي يترجح عندي رسم لفظ ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ بالياء حيث ورد، وذلك لما يسببه رسمه بالحذف من إشكال على العامة، وحملاً للفظ على نظائره، فإن الخلاف بين القراء حاصل في اللفظ في ثمانية عشر موضعًا خارج سورة البقرة لم ترسم إلا بالياء، فيُحمل القليل على الكثير، ويمكن قصر كتابتها بالحذف في المصاحف المكتوبة بقراءة ابن عامر.

المطلب الثاني: ألفاظ زيدت فيها الواو

زيدت الواو في ألفاظ باختلاف،وهي﴿سَأُوْرِيكُمۡ﴾[الأعراف:١٤٥،والأنبياء:٣٧] و﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾في موضعين [طه:٧١،والشعراء:٤٩]، أما الموضع الثالث من ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ [الأعراف:١٢٤] فلم تنقل فيه زيادة الواو، ومما عللت به هذه الزيادة

(١) سراج القارئ المبتدي، ١٥٦، وإيضاح الرموز، ٢٨٤ و٢٨٥.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٠٦، وسمير الطالبين، ٤٩.

أنها لتقوية الهمزة وبيانها، أو للدلالة على إشباع حركتها من غير تولد واو لتتميز عن المختلسة، أو أنها صورة لحركة الهمزة، أو أنها حركة الهمزة، أو أنها صورة الهمزة فتكون الألف قبلها زائدة، أو تكون الألف علامة لإشباع الفتحة التي قبل الهمزة، وقيل إن زيادة الواو في ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ لتحتمل قراءة أخرى وهي: (سأُورّثكم)، وهي قراءة شاذة لا يعول عليها، وقيل زيدت الواو للمبالغة في الوعيد والإغلاظ، ويمكّن الصوت بها ويزاد في إشباعه واعتماده(١).

وهذه الزيادة مروية عن الداني وأبي داود وغيرهما من شيوخ الرسم، ونسبت إلى المصاحف العراقية والمدنية، ونُسب إلى المصحف الشامي الوجهان، والمعمول به في المصاحف الآن زيادة الواو في ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ في الموضعين وعدم زيادتها في ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ في الموضعين(٢).

والراجح عندي رسم جميع المواضع بلا واو، موافقة للمصاحف التي حذفت فيها، وتيسيرًا على العامة، ولأنه الأقرب إلى النطق.

المبحث الرابع

ألفاظ مختلف في كتابة الهمزة فيها

تعد مسألة كتابة الهمزة من مشكلات علم الإملاء، ولعلها كذلك في رسم المصحف، ومن الألفاظ التي اختلف في كتابة الهمزة فيها في المصحف:

١- ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ﴾ [الأحزاب:٢٠] هذا الموضع خاصة دون سائر المواضع اختُلف في رسمه فرسم بالألف صورة للهمزة وبدونها، وفيه قراءتان:

---

(١) مختصر التبيين، ٣/٥٧٢-٥٧٤، ودليل الحيران، ٢٦٣.

(٢) دليل الحيران، ٥٦٣، وسمير الطالبين، ٥٦، وجامع البيان، ٢٧٩.

الأولى بتشديد السين بعدها ألف وبعدها همزة مفتوحة لرويس، والثانية بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة للباقين[١]، ونص علماء الرسم على الاختلاف في رسمه فقال الداني: " في بعض المصاحف ﴿يَسَّئَلُونَ﴾ بغير ألف وفي بعضها بالألف، ولم يقرأ بذلك أحد من أئمة القراء إلا ما رويناه من طريق رويس .."[٢]، ورجح عدد من علماء الرسم كتابته بالألف، ومنهم المخللاتي حيث قال:"و ﴿ يَسَّئَلُونَ ﴾ بحذف الألف وإثباته وهو المشهور لاحتمال قراءة يعقوب من رواية رويس عنه بتشديد السين ومدها وفتح الهمزة"[٣]، وقال ابن عاشر:

ورسم يسألون بالأحزاب　　　بألف حقًا بلا ارتياب[٤]

ونص عدد من علماء القراءات على أنه يوقف لحمزة في هذا الموضع بوجهين هما: النقل، والإبدال ألفًا اتباعًا لرسمه بالألف[٥]، ورجح آخرون رسمه بالحذف[٦].

والذي يترجح عندي رسمه بالألف صورة للهمزة ليحتمل القراءتين، ولأنه الأقرب إلى النطق، والأيسر على العامة.

٢- لفظ ﴿جزاء﴾ اختلف في رسمه بزيادة الواو على أنها صورة للهمزة أو

(١) المستنير، ٣٧٣/٢.

(٢) المقنع، ٤٣.

(٣) إرشاد القراء والكاتبين، ١٨٣، وانظر: ٢٠١، وموجز كتاب التقريب، ٧٢، وسمير الطالبين، ٨٢.

(٤) الإعلان بتكميل مورد الظمآن، ٤٠، وسمير الطالبين، ٨٢.

(٥) إتحاف فضلاء البشر، ٣٧٣/٢، والبدور الزاهرة، ٢٥٥.

(٦) دليل الحيران، ٢١٨.

عدم زيادتها، فاتفق على رسمه بالواو في ثلاثة مواضع هي: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٢٩]،و﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ﴾ [المائدة:٣٣]،﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] وموضع اختلف فيه عن أبي عمرو دون أبي داود الذي جـزم برسمه بالواو وهو :﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الحشر:١٧] ، ومواضع اختلف فيها الشيخان هي:﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف:٨٨] على قراءة ﴿جَزَآءُ﴾ بالرفع وهي قراءة المدنيين وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة[1]،﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:٧٦]،و﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٣٤]، ونص الداني على أن موضعي الكهف وطه بالواو في المصاحف العراقية ورجح رسمهما بالواو، ونقل الخلاف في موضع الزمر، ونص غيره على رسم المواضع المتفق عليها، وهما موضعا المائدة والشورى بالواو، وموضع الحشر والزمر كذلك، دون سائر المواضع[2]، وهما موضعا الكهف وطه.

والمعمول به في المصاحف في الألفاظ المختلف فيها كتابتها بالألف سوى موضع الحشر، وهو الذي يترجح لدي نظرًا للاختلاف فيها، بخلاف المواضع الأربعة الأخرى فهي مرسومة بالواو بالإجماع أو عند الأكثرين.

وتوجد ألفاظ أخرى مشابهة لهذا اللفظ اختلف فيها علماء الرسم مثل : ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ﴾ [المائدة:١٨]، و﴿يُنَشَّؤُاْ﴾[الزخرف:١٨]، وغيرهما والعمل فيها بحذف الألف وبإثبات الواو وألف بعدها.

٣- لفظ ﴿أولياء﴾ المصحوب بضمير حال كونه مرفوعًا أو مجرورًا، حذف

---

(١) الغاية، ٣١١ و٣١٢، والنشر، ٢/٣١٥.

(٢) المقنع، ٥٧، وجامع البيان، ٢٤٥.

بعض كُتّاب المصاحف صورة الهمزة منه والألف التي بعد الياء، وذلك في ستة مواضع هي: ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾[البقرة:٢٥٧،والأنعام:١٢٨] ، و﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] و﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ [فصلت:٣١] ، و﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١] ، و﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٦] ، وأثبت آخرون صورة الهمزة والألف، وهو اختيار أبي داود وعليه العمل(١)، وهو الراجح لأنه الأقرب إلى النطق، ولأن الرسم الآخر يلبس على العامة بسبب تشابه صورة الهمزة في حالتي الرفع والجر.

المبحث الخامس

ألفاظ مختلف فيها بين القطع والوصل وبين الهاء المربوطة والتاء المفتوحة

توجد ألفاظ عديدة اختلف فيها علماء الرسم بين القطع والوصل، وألفاظ اختلفوا فيها بين كتابتها بالهاء المربوطة أو بالتاء المفتوحة، وقد اقتصرت على ذكر مواضع قليلة منها مما ظهر لي وجه الترجيح فيه، وتركت ألفاظا عديدة شعرت بأن الترجيح فيها يحتاج إلى مزيد بحث وتأمل، ولعله يتيسر لاحقًا بحثها بإذن الله، وفيما يلي ذكر هذه المواضع:

١- الحروف المقطعة في فواتح بعض السور رسمت موصولة إلا﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى] فرسمت بالقطع بين الميم والعين، والقول بوصلها لم يصح فلا يعمل به ولا يلتفت إليه، وقيل في تعليل فصل﴿حمٓ﴾ عما بعدها: لتبقى في الرسم كسائر أخواتها، ولأنها معدودة آية في العدد الكوفي فينبغي قطعها عما بعدها، وهذا يقتضي جواز الوقف عليها والبدء بما بعدها بخلاف

(١) دليل الحيران، ٢١٠.

سائر الحروف المقطعة فلا يجوز فصل بعضها عن بعض ولا الوقوف على ما قبل آخرها اتباعًا للرسم[١].

٢- ﴿وَّلَاتَ حِينَ﴾ [ص:٣] اقتصر فيه أبو داود على القطع، ونقل الداني بسنده عن أبي عبيد أنها في مصحف عثمان موصولة، وتعقبه بأنه ليس كذلك في شيء من مصاحف أهل الأمصار، وأنها في جميع المصاحف القديمة والجديدة بالقطع[٢]، ويرى آخرون أن الإنكار على أبي عبيد غير متجه لأنه حكى ما رأى، وثبت عن العرب زيادة التاء في أول أسماء الزمان ومنها حين، ولذا لم ينكر الخراز و لم ينقل الإنكار على أبي عبيد[٣]، بل إن ابن الجزري أيد ما قاله أبو عبيد فقال: "إني رأيتها في المصحف الذي يقال له الإمام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿لا﴾ مقطوعة، والتاء موصولة، ورأيت به أثر الدم وتتبعت فيه ما ذكره أبو عبيد فوجدته كذلك، وهذا المصحف هو اليوم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة المحروسة"[٤] إلا أن أكثر علماء الرسم على عدم الاعتداد بما نقله أبو عبيد وحملوه على مخالفة الجمهور وسائر المصاحف[٥]، والمعمول به هو القطع وهو الحري بالاتباع، ويؤيده أن القراء جميعا يقفون على ﴿ولات﴾ عند الضرورة سواء من وقف منهم بالهاء وهو الكسائي أم بالتاء وهم الباقون[٦]

---

(١) هداية القاري، ٤٥٧.

(٢) المقنع، ٧٦، وكلام أبي عبيد في كتابه اختلاف الحديث ٢٥٠/٤.

(٣) دليل الحيران، ٢٩٨.

(٤) النشر، ١٥٠/٢ و١٥١.

(٥) مختصر التبيين، ١٠٤٧/٤ حاشية ٥، والمنح الفكرية، ٣١٣ و٣١٤، ودليل الحيران، ٢٩٨.

(٦) المستنير، ٤٠٣، وإيضاح الرموز، ٢٤٣.

و لم ينقل عن أي منهم أنه وقف على ﴿ولا﴾ بدون التاء[1].

٣- ﴿أن لو﴾ وردت في أربعة مواضع، رسمت مقطوعة في ثلاثة منها[2]، واختلف في﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ [الجن:١٦] فنص أبو داود على وصله وسكت عنه الخراز لما قاله بعضهم أن أبا عمرو لم يتعرض لما قاله أبو داود، وأنه لم يكتب في هذا الموضع إلا مقطوعًا، وكأنه يرى عدم وجود خلاف فيه، وأن جميع المواضع مقطوعة باتفاق[3]، وعلى القطع في موضع الجن كالثلاثة السابقة العمل في مصاحف أهل المغرب، أما في مصاحف أهل المشرق فالعمل على الوصل في موضع الجن.

والذي يترجح لي كتابته بالقطع حملاً للَّفظ على نظائره، ولأن كتابة الوصل تشكل على العامة، ولأن القطع في مثل هذا هو الأصل.

٤- ﴿فِي مَا﴾ اختلف في كتابتها بين القطع والوصل في أحد عشر موضعا[4]، وباقي مواضعها موصولة، ونص أبو عمرو على الخلاف في المواضع الأحد عشر وأن الأكثر على القطع فيها، ونص أبو داود على القطع في موضعي الشعراء والأنبياء واستثنائهما من الخلاف ، وأن العمل على القطع فيها كلها، وقال الصنهاجي: "بذلك جرى العمل عند جميع الناس في الحاضرة والبادية"[5]،

---

(١) هداية القاري، ٤٤٧.

(٢) هي: الأعراف:١٠٠، والرعد:٣١، وسبأ:١٤.

(٣) دليل الحيران، ٣٠٣.

(٤) هي: البقرة:٢٤٠ والمائدة:٤٨ والأنعام:١٤٥ و١٦٥ والأنبياء:١٠٢ والنور:١٤ والشعراء:١٤٦ والروم:٢٨ والزمر:٣ و٤٦ والواقعة:٦١.

(٥) المقنع، ٧١ و٧٢، ومختصر التبيين، ١٩٧/٢ ونقل محققه عبارة الصنهاجي في الحاشية، والمنح الفكرية، ٣٠٤-٣٠٧، ودليل الحيران، ٣٠٢.

وهو الذي يترجح لي لأن القطع في نحو هذا هو الأصل.

٥- لفظ ﴿كلمت﴾ اختلف في كتابته بين فتح التاء وربطها في ثلاثة مواضع هي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٣٧] رجح أبو داود رسمها بالهاء، وحكى أبو عمرو فيها الوجهين مستويين، وهي بالتاء في مصاحف أهل العراق، واقتصر الشاطبي على ذكر رسمها بالتاء، وعليه العمل في مصاحف أهل المشرق، وعلى رسمها بالهاء في مصاحف أهل المغرب[١]، وهو الأَولى لإجماع القراء العشرة على قراءته بالإفراد.

والموضعان الآخران هما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٩٦]، و﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٦] والمنقول عن المصاحف كتابتهما بالتاء وبالهاء، وعلى كتابتهما بالتاء العمل لأن ما اختلف فيه بين الإفراد والجمع لا يكتب إلا بالتاء[٢]، ليحتمل وجهي القراءة.

أما موضعا: [الأنعام:١١٥]، و[يونس:٣٣]، فاختلف في قراءتهما بين الإفراد والجمع ولم يختلف في رسمهما فهما بالتاء، وقرأ المواضع الأربعة بالإفراد الكوفيون ويعقوب، ووافقهم في سوى الأنعام ابن كثير وأبو عمرو، وقرأها الباقون بالجمع، ومن قرأ بالجمع وقف بالتاء، ومن قرأ بالإفراد فهم على أصولهم في الوقف عليها بالهاء أو بالتاء[٣].

---

(١) دليل الحيران، ٣١٧، وأحكام قراءة القرآن، ٣٠٦.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٧٤-٢٧٧ وفي حاشيته نقول عن ثاني موضعي يونس وكيفية رسمه في المصاحف، وهداية القاري، ٤٧٣ و٤٧٤، والمنير في أحكام التجويد، ٢٣٤.

(٣) إيضاح الرموز، ٣٨٣.

٦- اختلف في كتابة لفظ ﴿رحمة﴾ من قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، فروي عن أبي داود كتابته بالتاء نقلا عن الغازي وحكم وعطاء الخراساني، ورجّح كتابتها بالهاء وهو المشهور، ولم ينص على رسمه ابن الأنباري ولا الداني ولا المهدوي ولا ابن وثيق الأندلسي ولا ابن معاذ الجهني[1] مما يدل على أن الخلاف فيه عندهم غير معتد به أو أنه لم يصلهم، ولذا فالراجح رسمه بالهاء.

٧- اختلف في لفظ ﴿نعمة﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾ [الصافات:٥٧]، نقل أبو داود عن الغازي بن قيس وعطاء الخراساني وحكم بن عمران الناقط الأندلسي رسمه بالتاء، ورواه عن غيرهم بالهاء[2]، وهو المشهور وعليه العمل.

(١) مختصر التبيين، ٢٦٩/٢ والحاشية، ودليل الحيران،٣١٣.

(٢) مختصر التبيين، ١٠٣٦/٤ وحاشية ١١، ودليل الحيران، ٣١٤.

الفصل الثاني

الترجيح والتعليل لضبط بعض كلمات التنـــزيل

المبحث الأول

ترجيحات واختيارات لباحثين سابقين وكُتّاب المصاحف ومراجعيه

قبل أن أبدأ بذكر ترجيحات تتعلق بعلم الضبط، سأذكر بعض الترجيحات التي وقفت عليها في عدد من المصاحف والبحوث والكتب المؤلفة في الضبط، والتي تحتوي على اختيارات أو ترجيحات بين علامات الضبط أو إضافات إليها، مما يدل على وجود الاجتهاد في هذا العلم وحرص المشتغلين فيه على التيسير على عامة الناس فيه.

قال د. غانم الحمد: "ولم يقف علماء الضبط عند ما اخترعه الدؤلي والخليل من العلامات، فاستحدثوا علامة للسكون، وعلامة للمد، وهمزة الوصل، وكان لبعض تلك العلامات أكثر من صورة، مثل الشدة والسكون، ولا يزال بعض المصاحف يستخدم للسكون علامة الصفر، وهي الدائرة الصغيرة المفرغة، وبعضها يستخدم رأس حرف الخاء دلالة على كلمة (خفيف) .

ولا يتسع المقام لعرض مذاهب علماء الـــضبط في اســـتخدام تلـــك العلامات، لكن يمكن ملاحظة وجود قدر من الحرية في اختراع علامات جديدة وتغيير علامات قديمة، وهو ما لا يمكن حدوثه في رسم المصحف، فالرســـوم ثابتة، والعلامات فيها متسع للإضافة والتغيير، ومن ثم يمكن القول إن اختراع علامة جديدة لتمثيل صورة نطقية في قراءة القرآن أمر ممكن، ولكن ذلك يجب أن يكون في أضيق الحدود، حتى لا يتعرض ضبط المصحف لتغيير كبير، وألاّ يأخذ ذلك الطابع الشخصي أو الفردي، وإنما يجب أن يكون ذلك في إطـــار

المؤسسات العلمية والمجامع واللجان المتخصصة"[1].

ويمكن التمثيل لاختراع علامات جديدة في الـضبط بمـا نـراه في المصاحف وتقارير لجان تدقيق المصاحف المطبوعة قبل نحو قرن من اعتمـاد الألف الملحقة القصيرة، وتسمى: "الألف الخنجرية"، بدل الألـف الطويلـة الحمراء لتعذر تلوين الحروف في المطابع في ذلك الوقت[2]، واعتماد الـدائرة المطموسة السوداء بدل الحمراء للسبب السابق نفسه، وما يزال عدد من لجان تدقيق المصاحف يعيد الكلام القديم نفسه عن تعذر تلوين الحروف وعلامات الضبط في المصحف[3]، مع أننا نرى في المصاحف الحديثة اسـتخدام الألـوان بشكل كبير، لتلوين لفظ الجلالة، أو الكلمات المختلف فيها بين القراء وبألوان متعددة، ولعل هذا التطور في المطابع يقتضي من لجان مراجعة المصحف وتدقيقه إعادة النظر في التقارير القديمة، وفي علامات الضبط البديلة المؤقتة، فـالعود إلى الأصل أَولى عند إمكان فعله.

ومن البحوث القيمة في موضوع الرسم والضبط والترجيح فيهما بحث للأخ الفاضل الدكتور أحمد شرشال عنوانه: "التوجيه السديد في رسم القـرآن المجيد وضبط بلاغته"[4] بحث فيه عددًا من المسائل والكلمات في رسم المصحف

---

(١) الرسم العثماني أصوله وخصائصه، ٩٢.

(٢) انظر تقرير المصحف المطبوع في مصر سنة ١٣٣٧هـ، وفي مصاحف أخرى ذكرت هذا الأمر.

(٣) انظر على سبيل المثال تقرير اللجنة العلمية لمصحف المدينة النبوية، سنة ١٤١٣هـ، وتقرير لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر لمصحف الشمرلي، سنة ١٤٠٠هـ، والتعريف بالمـصحف في مـصاحف عديدة.

(٤) منشور في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٤٧، الـسنة ١٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٣٨-٩٥.

وضبطه ورجَّح بينها، ولن أعرض في هذا البحث لما سبق له بحثه تجنبًا للتكرار ، وأكتفي بإيراد ما دعا إليه في آخر بحثه وهو بذل الجهود في التقريب بين وجهات نظر المشارقة والمغاربة ومحاولة إيجاد صلة تجمع بينهما، خاصة أن اختيار كل منهما مذهبًا معينًا في الرسم والضبط ليس مبنيًا على قواعد علمية، وأن ما ذهب إليه بعض نساخ المصاحف كان من قبيل السهو والنسيان، كما دعا إلى تقليص مسائل الخلاف الذي لا قيمة له، وإلغاء بعض المسائل التي اختلفوا فيها والاكتفاء من الضبط بما يؤدي غرض التلاوة[١].

وبالانتقال في البحث إلى المصاحف يلحظ القارئ في المصاحف القديمة والمطبوعة المتداولة بين أيدي الناس حاليًا أن معظمها مضبوط بما يوافق رواية حفص عن عاصم، ومنها ما ضبط بما يوافق رواية ورش عن نافع، وقالون عن نافع، والدوري عن أبي عمرو وبروايات أخرى، وتختلف هذه المصاحف فيما بينها في عدد من علامات الضبط وتتفق على بعضها، وأصبح من المتعارف عليه والمشهور التزام طريقة المشارقة في الضبط على رواية حفص، وطريقة المغاربة في روايتي قالون وورش، وإن خالفت مصاحف عديدة في ذلك فضبطت مصاحف رواية ورش ورواية الدوري بطريقة المشارقة أو بطريقة تجمع بينهما، ويدل هذا التداخل على عدة أمور منها: سعة الأمر، وجواز عدم الالتزام بمذهب معين في الضبط، واختيار الأرجح والأقرب والأيسر ولو كان ذلك بالخلط بين المذاهب وتداخل الأقوال، وفيما يلي عرض لبعض أوجه في ضبط مصاحف متعددة:

---

(١) التوجيه السديد، ٩١.

١- من علامات الضبط المستخدمة في مصاحف قديمة ينـــسب بعـــضها إلى القرن الأول الهجري، ويعود بعضها إلى القرن الرابع الهجري وما بعده:

- علامة الهمزة دارة مطموسة ترسم قبل أو بعد الألف ملاصقة لها، وتكون حال الفتح أعلى الحرف، وحال الضم وسطه، وحـــال الكـــسر تحتـــه، وفي مصحف آخر إثبات الحركة مع الهمزة التي هي دارة مطموسة.
- إلحاق الألف المحذوفة بالحجم المعتاد بلون مختلف.
- نقط القاف نقطة واحدة فوق الحرف، وعدم نقط الفاء.
- إثبات كلمة (مد) بحرف صغير فوق حرف المد أو موضع المد في اللفظ.
- إثبات علامة الهمزة وهي رأس العين فوق الحرف في جميع الحركات حـــتى لو كانت مكسورة، وإثبات الكسرة تحت الحرف وحدها.
- كتابة كلمة (صل) كاملة فوق الألف التي هي صورة همزة الوصل.
- إثبات ألف صغيرة بدل الفتحة في الحرف المفتوح المتبوع بـــألف، وبـــدل الكسرة في الحرف المكسور المتبوع بياء مدية، وفي مصاحف تكون الألـــف الصغيرة القائمة بدل الكسرة مطلقًا.
- إثبات ثلاث نقاط على شكل مثلث قائم فوق الحرف الممال، وفي مصحف آخر يثبت حرف (ن) أو (ت) فوق الحرف إشارة إلى الإمالة[1].

٢- في مصحف مخطوط، كتب في حوالي القرن العاشر الميلادي عندي صورة لعدة أوراق منه، وهو مضبوط برواية الدوري عن أبي عمـــرو، وممـــا يلحظ فيه:

---

(١) رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، صفحات متعددة فيها صور لهذه المصاحف.

- عدم التفريق في التنوين بين التتابع والتركيب.
- في حالة الإدغام بغنة يوضع حرف (غ) صغير فوق النون أو التنوين، كما يوضع حرف (ك) صغير فوق النون أو التنوين في حالة الإدغام الكامل، ويوضع حرف (خ) صغير فوقهما في حالة الإخفاء، و(م) صغيرة في حالة القلب، و(ن) صغيرة في حالة الإظهار،و(غ) صغيرة وأحيانًا غير منقوطة وبطريقة مختلفة عنها في حالة الإدغام بغنة حالة إدغام حروف أخرى ببعضها كالميم في الميم، والباء في الباء، والذال في الدال أو الجيم وأحيانًا تهمل هذه الإشارات.
- إذا كانت الكلمة الأولى في الآية تبدأ بهمزة وصل فيتم إثباتها على صورة همزة القطع مع حركتها، والهمزة تكون دائمًا فوق الألف وإن كانت مكسورة.
- إثبات علامة المد على الحرف السابق لحرف المد لا فوقه ، كما تثبت علامة المد على حروف المد في مد البدل، وكذلك إثبات علامة المد بدل علامة صلة الهاء في حالتي الصلة الكبرى والصغرى.
- عدم إثبات علامة تدل على الزيادة فوق الحروف الزائدة رسمًا.

٣- في المصحف المطبوع في العراق والمأخوذ من نسخة خطية أهدتها والدة السلطان عبد العزيز بن محمود العثماني إلى مرقد الجنيد سنة ١٢٧٨هـ، وراجعته لجنة مكونة من ستة أشخاص يلاحظ أيضًا:

- عدم التفريق في التنوين بين التتابع والتركيب.
- عدم الالتزام بالإشارة إلى أحكام الإدغام والإخفاء والإظهار.

- عدم إثبات رأس العين على أنها صورة للـــهمزة والاكتفـــاء بالحركـــة أو السكون على الألف، أما الواو والياء فتثبت عليهما صورة الهمزة.
- عدم الإشارة إلى الحروف الزائدة رسمًا.
- كتابة كلمة (قصر) بخط صغير على بعض الحروف الزائدة للإشارة إلى عدم نطقها، وكتابة كلمة (تسهيل) بخط صغير تحت الهمزة المسهلة.

٤- في معظم المصاحف المطبوعة في الباكستان ملحوظات عديدة منها:

- لا تراعى مسألة التركيب والتتابع في التنوين.
- عدم الالتزام بجميع علامات الضبط الدالة على الأحكام.
- توضع علامة الصلة في حالة الضم: ضمة مقلوبة رأسها إلى أســـفل، وفي حالة الكسر ألف صغيرة قائمة.
- لا علامة تدل على همزة الوصل إلا إذا كانت أول آية فتوضع الحركة على الألف.
- تضبط الحروف المحذوفة رسمًا إذا كان المحذوف ألفًا بإلحاق ألف صـــغيرة فوق الحرف لا بعده، وإذا كان ياءً بإلحاق ألف صغيرة تحت الحرف لا بعده، وإذا كان واوًا بإلحاق واو صغيرة مقلوبة فوقه، ولا توضع الحركات في هـــذه الحالات اكتفاءً بالحروف الصغيرة عنها، ولا علامة تدل على الحروف المزيدة رسمًا.

٥- ورد في تقرير اللجنة العلمية التي راجعت المصحف المطبوع بروايـــة قالون عن نافع عام ١٣٩٨هـــ، ١٩٧٨م وصادقت عليه لجنة أخرى تـــضم نخبة من علماء القراءات في كل من ليبيا وتونس والمغرب أن الياء المتطرفة يجوز

أن تنقط أو لا تنقط، وكذلك بقية الحروف الأربعة المجموعة في كلمة (ينفق) وأن الإمام الداني اقتصر على عدم نقطها، ووجهه في ذلك أنها إذا تطرفت لا تلتبس صورتها بصورة غيرها، وفي هذا المصحف اختارت اللجنة بين علامات الضبط المروية عن الداني وعن أبي داود ما رأته أبعد عن الإشكال واحتمال الوقوع في التحريف، واعتمدت اللجنة الجمع بين طريقة المشارقة والمغاربة والدمج بينهما تسهيلاً على القارئين، وبناء على أساس علمي لا عشوائي، ووصفت اللجنة هذا العمل بأنه محاولة طيبة ومفيدة.

المبحث الثاني
ترجيحات في ضبط بعض الكلمات

من خلال المطالعة في كتب الضبط والقراءة في المصاحف المضبوطة بمذاهب واختيارات متعددة، والنظر في الأقوال المختلفة والاختيارات السابقة، وبعد إعمال الفكر والتأمل في علامات الضبط والبحث عن أيسر هذه العلامات وأقربها دلالة على المقصود وأبعدها عن الإشكال والتداخل، فإني سأقترح مجموعة من الترجيحات بين هذه العلامات، وإن كان تطبيق هذا الاقتراح أمرًا صعب الحصول، لاعتياد الناس على طريقة معينة في الضبط، وظن كثير منهم أن هذا الضبط هو المذهب الوحيد، ولذا فإن مخالفته تعد خطيئة كبرى عندهم وانحرافًا عن الصواب، بل قد تصل عند بعضهم إلى أن تكون تحريفًا في الكتاب العزيز، وكذلك الحال بالنسبة إلى ما استقر عليه العمل في مصاحف المغاربة، وقد سبق لي مرارًا أن تباحثت في موضوع الترجيح بين علامات الضبط مع عدد من الإخوة الفضلاء المتخصصين في علوم القرآن الكريم وعرضت بعض اقتراحاتي بالتعديل والترجيح، وكانت إجابة معظم هؤلاء الإخوة تتخوف من عدم تقبل مثل هذا التعديل من عامة الناس وإنكاره ورفضه، وهذا التخوف في محله إلا أنه لا ينبغي له أن يثنينا عن عرض أفكار ومقترحات هدفها خدمة كتاب الله وتيسير علامات ضبطه وتوحيدها، ولعل العمل بمثل هذه الاقتراحات والترجيحات يحتاج إلى تمهيد وتوطئة وتبيين وجهة النظر المؤيدة لها.

والترجيحات التي سأعرضها في هذا المبحث قابلة للنقاش والحوار العلمي،

وسأقتصر على بعض علامات الضبط للترجيح بينها آملاً أن يتيسر لي الرجوع إلى ما بقي منها لاحقًا والله الموفق لكل خير وهو المستعان.

١- الحروف الملحقة: جرى عمل المغاربة على إلحاق الياء والنون المحذوفة في موضعها ملتصقة بالحروف المرسومة، وجرى العمل عند المشارقة على إلحاقها منفصلة عن السطر، أما الألف والواو فالمعمول به حاليا في المصاحف إلحاقهما بحجم أصغر من المعتاد في أماكنهما، وتنص كتب الضبط على أن الحروف الملحقة كالحركات تلون بلون مغاير لمداد المصحف، واختار القدماء لها اللون الأحمر، وتلحق بالحجم المعتاد فلونها يظهر أنها من الضبط لا من الرسم، وهذا الأمر ليس مقتصرًا على حروف المد المحذوفة رسمًا بل يشمل الحركات والنقط.

وكان هذا الأمر مستخدمًا في المصاحف القديمة والحديثة متداولاً بين كُتاب المصحف وقرائه، وتوقف مع ظهور الطباعة حيث كان من المتعذر على المطابع أول ظهورها تلوين الحروف فأصبحت كلها بلون واحد موافق للون مداد المصحف مع تصغير الحروف الملحقة، وبما أن المطابع الآن أصبحت تملك القدرة على تلوين الحروف والحركات، وأصبح القائمون على طباعة المصاحف يتفننون في تلوين بعض الحروف من باب الزخرفة وجذب الانتباه أو من باب التنبيه على بعض أوجه القراءة، فأولى من هذا أن يعاد بالضبط إلى الأصل، ويعود تلوين الحروف الملحقة والحركات والنقاط والهمزات باللون الأحمر كما كان عليه الأمر سابقًا، وقد يجد الناس في هذا الأمر غرابة في أوله ولكنهم مع الوقت سيعتادون عليه ويتعارفونه، وقد أحسن الإخوة الكرام في مجمع الملك فهد طباعة المصحف الشريف حين استخدموا الألوان في الآيات

الكريمة المثبتة في كتاب مختصر التبيين، بتحقيق الأخ الفاضل د. أحمد شرشال، وهي خطوة طيبة في الاتجاه الصحيح[1].

وعليه فإني أرجح استخدام اللون الأحمر للحروف الملحقة، واللون الأحمر والأخضر والأصفر للهمزات حسبما تعارف عليه علماء الضبط قـــديمًا، وفي هذا الحال فلا بأس بوصل الياء الملحقة والألف الملحقة في مواضعها بـــالحجم المعتاد ملتصقة بالسطر إذ تلوينها يمنع من التباسها بالحروف المرسومة أصلاً.

٢- علامة همزة الوصل: تمتاز علامة همزة الوصل المستخدمة عند المغاربة بدلالتها على كيفية البدء بالكلمة وهو ما تفتقده العلامة المستخدمة عند المشارقة، وإن كانت هذه الأخيرة تمتاز عن تلك بكونها علامة واحدة بينما هي عند المغاربة جَرَّة ونقطة، وإن كان داعي استخدام الجرة مع إثبات الحركة على الحرف السابق لهمزة الوصل ليس لازمًا في غالب الألفاظ، وتكون الحاجة إليها قائمة في نحـــو: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١و٢] لتبيـــين أن الميـــم مفتـــوحة وصلاً ، وفي نحو : ﴿فَتِيلًا ۝٤٩ ٱنظُرۡ﴾ [النساء:٤٩و٥٠] لتبيين حركة التنوين ولكنها مواضع محدودة لا ينبغي من أجلها على قلتها إثقال آلاف المواضع بإثبات جرة تعد فيها من باب تحصيل الحاصل ، ولا ينبغي الاقتصار على النقطة وحدها للدلالة على حركة همزة الوصل لأنها في هذا الحال ستشتبه بغيرها ، وقد كثر في المصاحف استخدام النقطة لعدة دلالات.

وعليه فإني أرجح استخدام رأس الصاد للإشارة إلى همزة الوصل، ويمكن من خلالها الإشارة إلى حركة همزة الوصل بتغيير موضعها فتوضع حال الفتح فـــوق

---

(١) مقدمة مختصر التبيين ١٩/١.

الألف، وحال الكسر تحتها، وحال الضم وسطها، كما يفعل بهمزة القطع في عدد من المصاحف، كما أُرجح أن يقتصر الضبط لهمزة الوصل التي يمكن البدء بها، أما التي تقع بعد الواو والفاء والتاء مما لا يمكن البدء به فلا داعي لضبطها بشيء وتبقى ألفًا مجردة من الضبط كما هو معمول به عند المغاربة.

٣- علامة السكون: تشتبه عند المغاربة بعلامة المزيد رسمًا فهي في الحالتين دارة غير مطموسة، أما عند المشارقة فهي دارة مفتوحة من جهة الحرف التالي، ويعبر عنها بأنها رأس خاء غير منقوطة، وهذه العلامة أولى من تلك لأنها لا تشتبه بغيرها.

٤- همزة القطع المضمومة: تكتب عند المشارقة فوق الألف وفوقها الضمة، وتكتب عند المغاربة وسط الألف قبلها أو بعدها أو خلالها، وفوقها الضمة في الحالات الثلاث، وأرى أن وضع الضمة وسط الألف أولى من وضعها فوق الألف وأبعد عن اشتباهها بالمفتوحة، كما أن موضع الهمزة من الألف يغني عن جمع الحركة معها، فوجود الهمزة فوق الألف يعني أنها مفتوحة، ووجودها عند وسطها يعني أنها مضمومة، ووجودها تحتها يعني أنها مكسورة، فلم يبق هناك داع لإثبات الحركة معها، أما الهمزة الساكنة فتكتب فوق الألف وتجمع معها علامة السكون لئلا تلتبس بالمتحركة، وأما الهمزة على غير الألف كالتي تكتب على الواو أو الياء أو السطر فأرى أن تثبت معها الحركة.

٥- الياء المتطرفة: جرى العمل في جميع المصاحف على عدم نقط الياء المتطرفة والاكتفاء بإثبات الكسرة قبلها دلالة على أنها ياء مَدّية، أو بإثبات السكون عليها دلالة على أنها لينة، أو بإثبات حركتها إن كانت متحركة، وقد أدى هذا الفعل إلى إشكال عند عامة الناس حيث تلتبس عندهم الياء بالألف

المقصورة في كلمات عديدة، وعلماء الضبط ينصون على جواز النقط وعدمه في أربعة حروف إذا تطرفت وهي الياء والنون والفاء والقاف، وجرى العمل بعدم نقطها كلها في بعض المصاحف المغربية، وبنقطها سوى الياء في معظم المصاحف، ولا وجه لاستثناء الياء وحدها دون أخواتها، ولعل سبب هذا التمييز للياء اتباع طريقة من لا ينقط الياء المتطرفة في الإملاء [1].

والأولى والأرجح فيما أرى أن تنقط الياءات المتطرفة في المصاحف كأخواتها من الحروف المختلف فيها دفعًا للإشكال، وإتمامًا للضبط.

٦- علامة الإمالة والتقليل: اختلفت المصاحف في الدلالة عليهما ففي بعضها علامة الإمالة الشكل المعين وعلامة التقليل شكل المثلث، وفي بعضها علامة الإمالة دارة سوداء وعلامة التقليل دارة بيضاء الوسط، ولما كان استخدام الدارة السوداء في الهمزات المسهلة متعينًا لأنها علامته أرى عدم استخدامها في الإمالة لئلا يؤدي ذلك إلى الالتباس عند العامة، وعليه فأرجح استخدام الشكل المعين للإمالة وشكل المثلث للتقليل لخصوصيتهما به أو لقلة استخدامهما في غيره.

٧- علامات الوقف: كثرت علامات الوقف وتعددت في المصاحف، وهي في بعض المصاحف ست علامات وفي بعضها أكثر من ذلك، والمعمول به في مصاحف المغاربة استخدام علامة واحدة هي رأس الصاد مأخوذة من

---

(١) جرى على عدم نقط الياء المتطرفة كثير من الناشرين والكاتبين في مصر، ولما يؤدي إليه ذلك العمل من لبس، أوصى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وألزمت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض بالتمييز بين الألف اللينة والياء من خلال نقط الياء (انظر: فن الإملاء في العربية ١/٤٢٣ و٢/٩٣١، ومعجم الإملاء، ١٠١).

كلمة: (صه) وتستخدم في أماكن الوقف بجميع أنواعه: التام، والكافي، والحسن الذي يجوز الابتداء بما بعده، ومع أن هذه الطريقة تجعل الوقوفات المتباينة متقاربة إلا أنها أيسر على العامة، ولذا فهي أولى من استخدام علامات كثيرة للوقف.

٨- موضع الهمزة المكسورة مع غير الألف: جرى العمل على إثباتها تحت صورتها كما هو الحال مع الألف، وعلى إثباتها على السطر إن لم يكن لها صورة مثل﴿قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]، و﴿سُوٓءٍ﴾[نحو:آل عمران:٣٠]، واختلفت المصاحف في الهمزة المكسورة التي لا صورة لها بعد حروف موصولة بما بعدها مثل: ﴿أَفۡـِٔدَةُ﴾ [نحو:الأنعام:١١٣]، و﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [نحو:الحج:١٧]، و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾[نحو:الطور:٢٠] و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾[نحو: البقرة:٦٥] ففي بعض المصاحف كتبت فوق المطة وفي بعضها تحتها، والذي أراه أولى أن تكون الهمزة تحت المطة في مثل هذه الحالة فهي مكسورة وإن لم يكن لها صورة فوجود المطة يُلزِم برفعها أو بخفضها، وخفضها يجعل صورتها أقرب إلى ما صورت فيه الهمزة المكسورة في غير هذه الحالة، ففيه تجانس أكثر وتقريب للمعمول به في الكلمات الأخرى.

الخاتـــمة

بعد الانتهاء بحمد الله تعالى من هذا البحث، أذكر أهم نتائجه، وهي:

١- تحديد عدد من الأسس للترجيح بين الأقوال المتعـــددة في رســـم المصحف وفي ضبطه.

٢- تطبيق هذه الأسس على عدد من ألفاظ المصحف الـــتي ورد في كيفية كتابتها أو في كيفية ضبطها أكثر من وجه.

٣- اختيار أحد الأوجه في رسم تلـــك الكلمـــات أو في ضـــبطها وترجيحه على غيره، مع تأكيد أن هذه الاختيارات والترجيحات اجتهاد شخصي خاضع للتقويم والمراجعة.

٤- دعوة السادة العلماء المتخصصين في علم رســـم المـــصحف إلى دراسة هذه الترجيحات، والترجيحات المشابهة لباحثين آخـــرين، وبحث مدى إمكان العمل بها واعتمادها في المصاحف.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المـــراجع

١- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، لأحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيـــق: شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، وعالم الكتب، بـــيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـــ، ١٩٨٧م.

٢- **أحكام قراءة القرآن الكريم**، لمحمود خليل الحصري، تعليق: محمد طلحة بلال منيـــار، جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة، ط الأولى، ١٤١٥هـــ، ١٩٩٥م.

٣- **إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن**، لمحمد بن علـــي بـــن خلـــف الحسيني الحداد، مطبعة المعاهد بمصر، ط الأولى (بلا تاريخ نشر).

٤- **إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين**، لأبي عيد رضوان بن محمد بـــن سليمان المخللاتي، مصور عندي عن نسخة مكتبة الشيخ عامر عثمان الخاصة.

٥- **إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر**، لأبي العز محمد بن الحسين القلانسي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، جامعة أم القرى، مكـــة المكرمـــة، ط الأولى، ١٤٠٤هـــــ، ١٩٨٤م.

٦- **الإعلان بتكميل مورد الظمآن**، لابن عاشر (مطبوع بذيل مورد الظمآن).

٧- **إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة**، لمحمد بن خليـــل القبـــاقبي، تحقيق أحمد خالد شكري، دار عمار، عمّان، ط الأولى، ١٤٢٤هـــ، ٢٠٠٣م.

٨- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـــ، ١٩٨١م.

٩- **التسهيل في رسم وضبط بعض كلمات التنـــزيل**، لشكري أحمد حمادي (بلا معلومات نشر).

١٠- **التوجيه السديد في رسم القرآن المجيد وضبط بلاغته**، لأحمد بن أحمد شرشال، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٤٧، السنة ١٢، ١٤٢١هـــ، ٢٠٠٠م.

١١- **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو الداني، تصحيح: أوتو برتزل، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣٠م.

١٢- **جامع البيان في معرفة رسم القرآن**، لعلي هنداوي، دار الفرقان، الرياض (بلا تـــاريخ

نشر).

١٣- **الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف**، لإبراهيم بن محمد بـــن وثيـــق الأندلـــسي الإشبيلي، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار الأنبار، بغداد، ١٩٨٨م.

١٤- **الجوهر اللطيف في معرفة المحذوف من الأليف**، لعلي الجكاني، مطبوع بذيل كتـــاب التسهيل لشكري حمادي (بلا معلومات نشر).

١٥- **دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن**، لإبراهيم بن أحمد المارغني، تحقيق وتعليق عبد الفتاح القاضي، دار القرآن للطباعة والنشر، القاهرة (بلا تاريخ نشر).

١٦- **رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد**، لحسن البياتي، العراق (بلا تـــاريخ نشر).

١٧- **الرسم العثماني أصوله وخصائصه**، لغانم قدوري الحمد، منشور في موقع ملتقى أهـــل التفسير (www.tafsir.net).

١٨- **رسم المصحف إحصاء ودراسة**، لصالح محمد صالح عطية (بلا معلومات نشر).

١٩- **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، لغانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفـــال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، ط الأولى ١٤٠٢هـــ، ١٩٨٢م.

٢٠- **رشف اللمى شرح كشف العمى**، لمحمد العاقب الشنقيطي، ضمن رسائل أولاد مـــا يأبى، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ٢٠٠٣م.

٢١- **السبعة في القراءات**، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعرف، ط الثانية، (بلا تاريخ نشر).

٢٢- **سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي**، لعلي بن عثمان بن القاصح، المكتبـــة الثقافية، بيروت، (بلا تاريخ نشر).

٢٣- **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين**، لعلي بن محمد الضباع، مكتبة ومطبعـــة المشهد الحسيني، القاهرة، ط الأولى (بلا تاريخ نشر).

٢٤- **شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية**، لمحمد بن محمد النـــويري، تحقيـــق وتعليق: عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى ١٤١١هـــ.

٢٥- **الغاية في القراءات العشر**، لأحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: محمد غياث الجنباز، دار الشواف، الرياض، ط الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢٦- **فن الإملاء في العربية**، لعبد الفتاح الحموز، دار عمار، عمّان، ط الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٢٧- **ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية**، لمحمد خازر المجالي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٥٦، ٢٠٠٤م.

٢٨- **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، لأبي داود سليمان بن نجاح، تحقيق: د. أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٩- **المستنير في القراءات العشر**، لأبي طاهر أحمد بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي، تحقيق ودراسة: عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبيّ، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٠- **المصحف الشريف**، عدة طبعات وبعدة روايات.

٣١- **معجم الإملاء**، لمحمد محي الدين مينو، منطقة دبيّ التعليمية، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٢- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٩٤٠م.

٣٣- **المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية**، لملا علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: أسامة عطايا، مراجعة: أحمد خالد شكري، دار الغوثاني، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٤- **من قضايا الرسم العثماني**، لعمر يوسف حمدان، مجلة الفرقان التي تصدرها جمعية المحافظة على القرآن الكريم في الأردن، العدد ٤١، ٢٠٠٥م.

٣٥- **المنير في أحكام التجويد**، لأحمد خالد شكري ورفاقه، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط الثامنة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٦- **موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني**، ليوسف بن محمود الخوارزمي (بلا

معلومات نشر).

٣٧- **مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن،** لمحمد بن محمد بن إبراهيم الخراز، مصر (بـــلا معلومات نشر).

٣٨- **النشر في القراءات العشر،** لمحمد بن محمد بن الجزري، مراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت (بلا تاريخ نشر).

٣٩- **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري،** لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، طبع على نفقة محمد بن عوض بن لادن، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٢هـــ، ١٩٨٢م.

٤٠- **الوسيلة إلى كشف العقيلة،** لعلي بن محمد السخاوي، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـــ، ٢٠٠٣م.

فهرس الموضوعات

الفروق اللغويـة
بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله
في القرآن الكريم

د. محمود أحمد الأطرش
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والقانون بجامعة الحديدة باليمن

* وُلد في سوريا، عام ١٩٦٠م.
* نال شهادة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، بأطروحته: "المحبة والبغضاء في القرآن الكريم"، كما نال شهادة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان في تحقيق "تيسير المنان لتفسير القرآن لأحمد بن عبد القادر الكوكباني (ت ١٢٢٢هـ)".
* له اثنا عشر بحثاً علمياً واثنا عشر مؤلفاً في مجال الاختصاص، منها: تحقيق تفسير البيضاوي(بالاشتراك وهو مطبوع)، اليسر والعسر في القرآن الكريم(مطبوع).

الملخص

تعتبر ظاهرة الترادف اللغوي من أهم أسباب غنى اللغة العربية بالمفردات، ويقصد بالترادف تعدد الألفاظ بمعنى واحد.

وقد تناول هذا البحث الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن الكريم، مبيناً الفروق اللغوية بين هذه الألفاظ والمعنى الدقيق لها، وأن القرآن الكريم قد اختار كل لفظة في مكانها بحيث لو استبدلت بكلمة أخرى لتغير المعنى المقصود من الآية، وأن من أهم قضايا الإعجاز البياني معرفة الحكمة من استخدام تلك الألفاظ في مواضعها.

كما بين البحث أن بعض المعاجم اللغوية وبعض كتب التفسير لم تكن دقيقة في بيان المعنى الدقيق لهذه الألفاظ وغيرها، وأنه لابد من التحديد الدقيق للكلمة المفردة في القرآن الكريم، حتى يتبين لنا إعجاز القرآن الكريم في استخدام كل لفظة في مكانها اللائق بها، وأنه لا يمكن التحديد الدقيق للكلمة المفردة إلا ببيان الفروق اللغوية بين الكلمات المترادفة.

مقدمة

من القضايا التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً قضية الترادف ، التي تعني تعدد الألفاظ بمعنى واحد.

ويؤكد الكثير من الدارسين للقرآن الكريم خلوه من الترادف ، إذ إن لكل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم معنى دقيقاً يغاير معنى اللفظة الأخرى .

وقد تكلم العلماء قديماً على الفروق اللغوية بين الكلمات المترادفة ، كما فعل أبو هلال العسكري في كتاب (الفروق اللغوية) وابن فارس في (الصاحبي) والسيوطي في (المزهر) وفي (الإتقان) كما ظهرت دراسات حديثة تؤكد نفي الترادف في القرآن الكريم ، وتبحث في الفرق بين المترادفات ، كما فعل محمد نور الدين المنجد الذي ألف كتاباً بعنوان (الترادف في القرآن الكريم).

إن بيان الفرق بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة ، يعدّ أحد أسرار فصاحة القرآن وإعجاز بلاغته ودقة معانيه.

وهذا البحث الذي بعنوان: (**الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن الكريم**) إنما هو دراسة من هذا القبيل ، يؤكد نفي الترادف في القرآن الكريم، ويتناول بالبحث التحديد الدقيق لمعاني تلك الألفاظ ويبين الفرق فيما بينها.

فعلى سبيل المثال: العلم غير المعرفة والدراية والإدراك ، إذ العلم إدراك الشيء بحقيقته ، أما المعرفة فهي إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وأما الدراية فهي المعرفة المدركة بشكل خفي غير ظاهر، وأما الإدراك فيعني بلوغ غاية الشيء والإحاطة به أو الوصول إليه وتجاوزه .

والشك غير الريب والامتراء ، إذ الشك هو اعتدال النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر ، أما الريب فهو قلق النفس وانتفاء الطمأنينة ، وأما الامتراء فهو التردد في الشيء رغم ظهور الحق وجلائه .

والقراءة غير التلاوة والدراسة ، فالقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، أما التلاوة فهي أخص من القراءة لأنها تعطي معنى القراءة التي تفيد معنى الاتباع ، والدراسة تعني القراءة المستمرة أو المتكررة .

وقد تم في هذا البحث تناول ألفاظ العلم في القرآن الكريم لكثرة الحاجة إليها وكثرة استخدامها في مجال العلم والمعرفة.

كما تم تقسيم هذا البحث إلى خمسة مباحث، وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول: الألفاظ التي تدل على العلم، وهي: العلم،المعرفة،الدراية،الإدراك.

المبحث الثاني: الألفاظ التي تدل على مراتب العلم ، وهي : الشك ، الريب ، الامتراء ، الظن ، اليقين .

المبحث الثالث: الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق النقل، وهي: الخبر، النبأ، الإلهام، الوحي، القراءة وما في معناها: القراءة، التلاوة، الترتيل، الدراسة.

المبحث الرابع: الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق الحواس، وهي:

١- الحس وما في معناه ، وألفاظه : الحسّ ، الجسّ ، الشعور ، القص .

٢- ألفاظ الرؤية وهي: البصر ، النظر، الرؤية ، الطرف ، اللمح.

٣- ألفاظ السمع ، وهي: الأذن ، السمع ، الإصغاء .

٤- اللمس.

المبحث الخامس: الألفاظ التي تدل على العلم بواسطة المحاكمة العقلية، وهي: العقل ، الفهم ، الفقه ، التفكر ، التدبر ، التذكر ، الاعتبار.

المبحث الأول

ألفـــاظ العـــلم

استخدم القرآن الكريم ألفاظاً للدلالة على العلم ، وهذه الألفاظ : العلم ، المعرفة ، الدراية، الإدراك . ولكل لفظ من هذه الألفاظ معنى محدد مخـــالف للآخر، وإليك بيانها.

أولاً : لفظ العلم

ورد شيء من الخلاف في المعاجم اللغوية في تعريف لفظة العلم ، ففـــي القاموس المحيط عرف العلم بأنه المعرفة، فقال: «علمهُ كسمعه علماً: عرفه»[١] وكذا عرّفه في (مختار الصحاح)[٢] وفي (المصباح المنير) عرفه بأنه اليقين، فقال: «العلم : اليقين ، يقال: علم يعلم إذا تيقن ، وجاء بمعنى المعرفة أيضا ، كمـــا جاءت [المعرفة] بمعناه ، ضمن كل واحد الآخر لا شتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل ،لأن العلم وإن حصل عن كسب فـــذلك الكـــسب مسبوق بالجهل»[٣].

إلا أن لفظة العلم تختلف في حقيقة معناها عن المعرفة وعـــن الـــيقين ، وسياتي بيان المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ .

(١) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة الرابعـــة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مؤســـسة الرسالة بيروت، ص ١٤٧١ باب الميم فصل العين ثم اللام.

(٢) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ص ٤٥٢ ، الطبعـــة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

(٣) المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ص ٤٢٧، دار الفكر، بيروت، (بلا تاريخ).

أما المعنى الدقيق للعلم فيمكن تعريفه بأنه : الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو هو إدراكه على ما هو عليه[١]، وهو على أشكال ، قال الراغب الأصفهاني[٢]: «العلم إدراك الشيء بحقيقته ، وهو ضربان : أحدهما :حصول صور المعلومات في النفس. والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود، أو نفي شيء عنه هو غير موجود له، نحو الحكم على زيد بأنه خارج أو ليس طائراً . فالأول هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد ؛ وفي النحو المعرفة ويتعدى إلى مفعول ، والثاني هو الذي يسمى العلم دون العقل ؛ ويتعدى إلى مفعولين ؛ ولا يجوز الاقتصار على أحدهما من حيث إن القصد إذا قيل: علمت زيداً منطلقاً إثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد»[٣] وقال : «فالأول هو المتعدي إلى مفعول واحد، نحو ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والثاني المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]...»[٤].

وقد أكثر القرآن الكريم من استخدام لفظة العلم ، حتى بلغ استخدامها حوالي (٧٨٠) سبعمائة وثمانين مرة .

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ص١٦٠، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٠م، مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) الراغب الأصفهاني: هو الحسين بن محمد ، إمام من حكماء العلماء ، اشتهر بالتفسير واللغة، عاش ببغداد ، توفى عام ٥٠٢هـ (معجم المفسرين ١/ ١٥٨).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ، ص ١٧٩ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨م تحقيق أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة بالقاهرة ودار الوفاء بالمنصورة.

(٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص ٣٤٣ ، دار المعرفة ،بيروت (بلا تاريخ).

والعلم وصف يوصف به الله سبحانه وتعالى كما يوصف به الإنسان ، إلا أن علم الله سبحانه وتعالى أزلي قديم غير قابل للتغيير والزوال ، وعلمه سبحانه شامل لجميع المخلوقات محيط بها ، فيعلم سبحانه تفاصيل الأمور ودقائق الأشياء ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

أما علم العبد فهو مكتسب قابل للزوال مسبوق بالجهل .

ثانياً : المعرفة

أصل المعرفة من العرف ، وهو الريح سواء كانت طيبة أو منتنة ، وهي من قولهم : عرفته أي أصبت عرفه أي رائحته[١] ثم صارت تستخدم فيما يدرك بتفكر وتدبر لأثره .

وقد فرق أبو هلال العسكري[٢] بين العلم والمعرفة وعدّ المعرفة أخص من العلم وأدق فهي علم بعين الشيء مفصلاً بخلاف العلم فإنه يكون مفصلاً ومجملاً ، وعليه فكل معرفة عنده علم وليس كل علم معرفة ، فقال : «الفرق بين العلم والمعرفة ، أن المعرفة أخص من العلم ، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه ، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً»[٣] لكن الراغب الأصفهاني فرق بينهما بقوله : «المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضاده الإنكار ، ويقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال يعلم الله – متعدياً إلى مفعول واحد – لما كانت معرفة البشرلله بتدبر آثاره دون

---

(١) القاموس المحيط ، مادة (عرف) ص ١٠٨.

(٢) أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل ، يوصف بالعلم والفقه وغلب عليه الأدب والشعر ، صاحب الصناعتين وله مصنفات ، توفي بعد ٣٩٥هـ (بغية الوعاة ١/ ٥٠٦).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص٦٢ – ٦٣، طبعة دار الكتب العلمية،بيروت، بلا تاريخ.

إدراك ذاته . ويقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال يعرف كذا ، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر»[1] وقال أيضاً : «وأما الفرق بين العلم البسيط -أعني المتعدي إلى مفعول واحد- وبين المعرفة ، فهو أن المعرفة قد تقال فيما تدرك ذاته ، والعلم لا يكاد يقال إلا فيما يدرك ذاته ، ولهذا يقال: فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله ، لما كانت معرفته تعالى ليست إلا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته .

وأيضا ، فالمعرفة تقال فيما لا يعرف إلا كونه فقط ، والعلم أصله أن يقال فيما يعلم وجوده وجنسه وكيفيته وعلته ...

وأيضاً ؛ فالمعرفة تقال فيما يتوصل إليه بتفكر وتدبر ، والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره .

ويضاد العرفان الإنكار، والعلم الجهل»[2].

وعليه ، فالمعرفة تكون من خلال التفكر والتدبر لأثر الشيء أو من خلال علاماته الظاهرة، وذلك لا يكون إلا من خلال الشيء الموجود دون المعدوم.

والمتأمل للآيات القرآنية يجد صواب ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني ، فقوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد: ٣٠]، فقد أشارت الآية إلى أن المعرفة بعد الرؤية كما أنها تكون بسيماهم أي علاماتهم . وقوله سبحانه : ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الحج: ٧٢]، وقوله : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] وقوله : ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

(١) المفردات ص ٣٣١.

(٢) الذريعة ص ١٨٠.

وقوله: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣] فكلها تشير إلى أن المعرفة تفيد العلم من خلال معرفة العلامات الدالة عليه.

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] فقد أخبر سبحانه أن أهل الكتاب يعرفون محمداً ﷺ معرفة تامة بأوصافه التي أشارت إليها كتبهم وأوصافه التي لا يجادل فيها إلا مبطل، حيث كان يعرف بالصادق الأمين ويعرف بنسبه وبكلامه وبما جاء به... ولذلك عبر عن ذلك بالمعرفة . أما العلم فقد يكون بالمعرفة وقد يكون بغيرها أي عن طريق النقل ، ولذلك فإن المجادل بالأمر المعلوم قد يكون سبب جداله هو شكه في السبيل الذي أوصل إليه العلم ، أما المجادل بما يعرف فهو يرى العلامات واضحة أمامه ثم ينكرها ، كما قال سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] فكأنه يرى الشيء وينكر أنه يراه ، وهذا شدة الغلو والمكابرة .

لكن المعرفة من جهة أخرى قاصرة ، لأن حواس الإنسان قابلة للمرض وبالتالي قد تكون المعلومات الواصلة عن طريقها غير دقيقة ، كالمريض الذي يحس بأن الماء مر . فالمعرفة إن كانت من عاقل بعيد عن الهوى والتعصب تفيد العلم غالباً ، وإلا كانت قاصرة غير تامة .

وأما أن المعرفة يضادها الإنكار ، فيشير إليه قوله تعالى : ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

وقوله تعالى : ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] أي بينها لهم حتى عرفوها

من غير استدلال ، وذلك أنهم إذا دخلوا تفرقوا إلى منازلهم[1].

ثالثاً: الدراية

الدراية هي المعرفة المدركة بضرب من الخفاء، فهي أعمق من المعرفة، وأصله من دريت الصيد ، والدرية تقال لما يتعلم عليه الطعن ، وللناقة التي يسيبها الصائد ليأنس الصيد بها فيرمي من ورائها[2]. واعتبرها بعضهم أنها بمعنى الفهم ، وذلك بنفي السهو عما على الإنسان ، فيدريه أي يفهمه[3].

ولا يصح أن يوصف الله سبحانه وتعالى بالدراية ، لأن معنى الحيل لا يصح عليه ، و لم يرد بذلك سمع فيتبع . وقول الشاعر :

لاهم لا أدري وأنت الداري

فهو من تعجرف الأعراب الأجلاف[4].

وعليه فإن قيل : حصل هذا دون أن أدري ، أي بخلسة مني دون أن أشعر به . وقوله تعالى : ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١] أي قد حصل أمر ما في إعادة العلاقة بين الزوجين دون أن يشعر بها أحد، أو من دون أن تكون له مقدمات أو أسباب.

وقوله: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ [لقمان: ٣٤] يؤكد ذلك، إذ قد يحصل لها رزق بشكل خفي.

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني (٥ /٣٢) . والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٧١).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٨٠.

(٣) الفروق اللغوية ص (٧٣).

(٤) الذريعة ص ١٨٠ والمفردات ص ١٦٩.

وكل موضع ذكر في القرآن الكريم ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد عقب ببيانه، نحو: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [القارعة: ١٠ – ١١] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: ٢] ، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ٣]. وكل موضع ذكر فيه ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ لم يعقبه... نحو : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ [عبس: ٣] ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

واستعمال فعل الدراية في الحاقة وليلة القدر للإشارة إلى خفاء وقتها أو ما أخفي فيها.

رابعاً: الإدراك

الإدراك هو بلوغ غاية الشيء أو الإحاطة بكماله(١)، يقال : أدركته العناية الإلهية أي أحاطت به من كل جانب .

قال الراغب في بيان معنى الإدراك : «الدرك كالدرج ، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود والدرك اعتباراً بالحدور، ولهذا قيل : درجات الجنة ودركات النار ... والدرك أقصى قعر البحر ... وأدرك : بلغ أقصى الشيء ، وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا وذلك حين البلوغ»(٢).

والإدراك يستخدم في العلم وفي غيره، وهو في العلم يعني بلوغ غاية الأمر والإحاطة به من كل جوانبه.

وقال أبو هلال العسكري في الفرق بين العلم والإدراك : «إن الإدراك موقوف على أشياء مخصوصة ،وليس العلم كذلك ، والإدراك يتناول الشيء

---

(١) التعريفات ص١٣.

(٢) المفردات ص ١٦٨.

على أخص أوصافه وعلى الجملة ، والعلم يقع بالمعدوم ولا يدرك إلا الموجود»[1].

وأما قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ... ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقد عبر هنا بالإدراك لأن معناه أنه لا تحيط به الأبصار .وهذا لا ينافي الرؤية في الآخرة ، لأنه حتى في الآخرة لا تدركه الأبصار ، وعليه فالرؤية شيء والإدراك شيء آخر إذ هو أبلغ منها . وفي ذلك رد على المعتزلة الذين قالوا بعدم رؤيته تعالى في الآخرة استدلالاً بهذه الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦] أي تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به وعاينوه[3].

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧١.

(٢) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٧٠/٣) دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بلا تاريخ). وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (٢٤٥/٧) الطبعة الرابعة ، ١٣٧٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٤٣).

المبحث الثاني

مراتب العلم

العلم والجهل نقيضان، فإذا وجد العلم انتفى الجهل، فإذا كانت نسبة العلم بالشيء تامة فيكون الجهل منعدماً، هذا يسمى اليقين. فإذا تساوى في الشيء طرفا الإثبات والنفي أو ما يعبر عنه بتساوي النقيضين فيسمى الشك،وهو ما يراد به تساوي جانب العلم والجهل بالشيء.فإن غلب جانب العلم فيسمى ظنّاً.

أولاً : الشك وما في معناه

١- الشك

هو: التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك[(١)]، قال أبو هلال العسكري: «الشك هو استواء طرفي التجويز ، وأصله في العربية من شككت الشيء إذا جمعته بشيء تدخله فيه ، واستخدم في اجتماع شيئين في الضمير ، وعليه فهو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر»[(٢)] قال الراغب الأصفهاني : «الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين أو لعدم الأمارة فيهما. والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود ، وربما كان في جنسه من أي جنس هو ، وربما كان في بعض صفاته، وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد .

---

(١) التعريفات ص١٣٤.

(٢) الفروق اللغوية ص ٧٩ (بتصرف).

والشك ضرب من الجهل ،وهو أخص منه، ويراد بطرفي التجويز: الإثبات والنفي، وهو بمعنى النقيضين، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً، فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً»(1) وقال أبو السعود(2): «والشك كما يطلق على مالم يترجح أحد طرفيه ، يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم»(3)، قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ .... ﴾ [النساء: ١٥٧] ، فنسب إليهم الشك ونفى عنهم العلم مما يشير إلى أن الشك يعتبر من الجهل .

والشك مناف للإيمان كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ... ﴾ [سبأ: ٢١] أي إلا لنعلم من يؤمن ومن هو شاك أو من لا يؤمن(4).

٢- الريب

الريبة تعني قلق النفس وانتفاء الطمأنينة(5) قال الراغب : «الريب أن تتوهم بالشيء أمراً ما فينكشف عما تتوهمه»(6).

---

(١) المفردات ص ٢٦٥.

(٢) أبو السعود : محمد بن محمد العمادي ، مفسر أصولي شاعر من فقهاء الحنفية وعلماء الأتراك، ولد قرب القسطنطينية عام ٩١٩هـ وتوفي فيها عام ٩٨٢هـ (معجم المفسرين ٢/ ٦٢٥).

(٣) تفسير أبي السعود (٢/٢٥٠).

(٤) فتح القدير (٤/ ٣١٣).

(٥) فتح القدير (٢/ ٥١٩) وتفسير أبي السعود (٤/ ٢٢١).

(٦) المفردات ص ٢٠٥.

والقرآن الكريم ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى كالساعة والكتاب، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم[١] قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

كما أنه يوصف الكافرون والمنافقون بالريب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٤٥].

وعليه فالريب غير الشك، إذ الريب أشد وأخطر، وقد وصفت بعض أنواع الشكوك بالريب ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠].

٣- الامتراء

قال أبو هلال العسكري: «الامتراء هو استخراج الشبه المشكلة، ثم كثر حتى سمي الشك مرية»[٢] وقد فسرت المعاجم اللغوية الامتراء بالشك[٣] وكذلك فسرته بعض كتب التفسير، كما فسر الشوكاني[٤] في فتح القدير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج: ٥٥] أي في شك من القرآن[١] وقال أبو السعود: أي في شك وجدال[٢].

---

(١) انظر الفرق بين الشك والريب في إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس ص ١٨٤. بلا تاريخ ولا مكان الطبع.

(٢) الفروق اللغوية ص ٨٠.

(٣) انظر القاموس المحيط ص ١٧١٩. ومختار الصحاح ص ٦٢٢.

(٤) الشوكاني: محمد بن علي، أبو عبد الله، فقيه أصولي محدث مفسر، من كبار علماء اليمن، له مؤلفات كثيرة، ولد في هجرة شوكان من بلاد خولان باليمن عام ١١٧٣ هـ وتوفي بصنعاء عام ١٢٥٠هـ (معجم المفسرين ٢/ ٥٩٣).

إلا أن الراغب اعتبر أن المرية أخص من الشك ، وإذا كان الشك هـو التردد بين أمرين متناقضين فإن المرية هي مطلق التردد(٣).

لكن التأمل في هذه المفردة يجد أنها استخدمت في التردد رغم ظهـور الحق وجلائه ، إذ استخدمت كثيراً في التردد في الحـق : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧] و[آل عمـران: ٦٠] وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقولـه: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [هود: ١٧] أما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الحج: ٥٥] من القرآن أو من الرسول ، فقد وصف بالمرية بعد ظهـور الحـق لديهم بما لا شك فيه. وقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ [فـصلت: ٥٤] فنسبهم إلى المرية لكون اللقاء حق لا يجادل فيه إلا مكابر .وأما قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ... ﴾ [السجدة: ٢٣] ومعنى لقائه إما لقاء ما لقي موسى أو لقاء النبي ﷺ بموسى عليه السلام ، وأياً كان فهو وعد للـنبي ﷺ بذلك والوعد حق لا مرية فيه لذا عبر بقوله : ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [هـود: ١٧]، والله أعلم .

ثانياً :الظن

الظن هو عبارة عن إصابة المطلوب بضرب من الأمارة ، وقد يكـون قوياً أو ضعيفاً ويقال له راجح ومرجوح ، قال الراغب : «وأما الظن فإصابة

---

(١) فتح القدير (٣/ ٤٦١).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ١١٤).

(٣) المفردات ص ٤٦٧.

المطلوب بضرب من الأمارة ، ولما كانت الأمارات مترددة بين يقين وشك ، فتقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك جاز تفسير أهل اللغة بهما .

فمتى رئي إلى طرف اليقين أقرب استعمل أن المثقلة والمخففة منها ، نحو قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١] ومتى رئي إلى طرف الشك أقرب استعمل معه أنْ التي للمعدومين من الفعل ، نحو أن تخرج وأن خرجت .

وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] لأمرين : أحدهما : تنبيه إلى أن علم أكثر الناس في الدنيا بالإضافة إلى علمه في الآخرة كالظن في جنب العلم . والثاني : أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبيين والصديقين المعنيين بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

والظن متى كان عن أمارة قوية فإنه يمدح به ، ومتى كان عن تخمين لم يعتمد ذمٌّ به ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] »(١).

وعليه ، فقد يقع الظن بمعنى اليقين لأمر بياني كما في الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، قال الشوكاني: «والظن هنا عند الجمهور بمعنى اليقين، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] وقوله : ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] »(٢).

---

(١) الذريعة ص ١٨٦ وانظر المفردات ص ٣١٦ –٣١٧.

(٢) فتح القدير (١/ ١٤١).

وفرق أبو هلال العسكري بين العلم والظن فقال : «يجوز أن يكون المظنون على خلاف ما هو ظنه ولا يحققه ، والعلم يحقق المعلوم»[1].

ثالثاً: اليقين

اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، ويكون ذلك عندما تنتفي جميع الشكوك والارتيابات . ويختلف اليقين عن الطمأنينة بأن الطمأنينة إنما هي سكون بعد انزعاج[2].

واليقين نوع من العلم يحصل به سكون الفهم ، قال الراغب : «اليقين من صفة العلم،فوق المعرفة والدراية وأخواتها ... وهو:سكون الفهم مع ثبات الحكم»[3] وعرفه أبو هلال العسكري بقوله : «هو سكون النفس وثلج الصدر بما علم»[4] وعرفه البيضاوي[5] بقوله: «واليقين إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً»[6]. وعرفه الجرجاني بقوله: «العلم الذي لا شك معه»[7]. ولذلك لا يجوز وصف علم الله سبحانه بذلك[8].

(١) الفروق اللغوية ص ٨٠ .

(٢) المفردات ص ٣٠٧.

(٣) المفردات ص ٥٥٢.

(٤) الفروق اللغوية ص ٦٣.

(٥) البيضاوي : عبد الله عمر البيضاوي الشيرازي ، قاض مفسر عالم بالفقه والعربية والحديث ، من أعيان الشافعية ، له تفسير مشهور عليه حواش كثيرة ، توفي بتبريز من إيران عام ٦٨٥هـ (معجم المفسرين ١ / ٣١٨).

(٦) تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (١/ ٦٢) مؤسسة شعبان،بيروت،(بلا تاريخ).

(٧) التعريفات ص٢٨٠.

(٨) الفروق اللغوية ص ٦٣ وتفسير البيضاوي (١/ ٦٢).

وقد وصف سبحانه إيمان المؤمنين المتقين باليقين ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] ووصف الكافرين بأنهم لا يوقنون ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠] ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٦].

واليقين وصف قد يوصف به الحق فيقال حق اليقين ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقد صف به الإيمان ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] وقد يوصف به الشيء الذي لا شك فيه ، فوصف الموت بذلك ، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] كما وصف به اليوم الآخر ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٤٦ – ٤٧].

وكذلك يوصف العلم باليقين ،فقد يسمى النبأ باليقين ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] والرؤية كذلك ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٧] وكذا العلم ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥].

وعليه فاليقين قد يكون وصفاً للعمل ولغيره ، لكن اليقين يكون عندما تنتفي جميع الشكوك والأوهام .

المبحث الثالث

الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق النقل

أولاً :الخبـــر

عرف الراغب في : (المفردات) الخبر بأنه العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر ... وقيل : الخبرة المعرفة ببواطن الأمور(١) وقال في كتابه (الذريعـــة): «وأما الخبر فالمعرفة المتوصل إليها من قولهم : خبرته أي أصبت خبره ، وقيل : هو من قولهم :ناقة خبيرة وهي المخبرة عن غزارها أي غزيرة اللبن ، فكـــأن الخبر هو غزارة المعرفة»(٢) وقال أبو هلال العسكري : «الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها ، ففيه معنى زائد على العلم»(٣). وقال الجرجـــاني: «هو الكلام المحتمل للصدق والكذب»(٤).

لكن القول بأن الخبر هو العلم ببواطن الأمور ودقائقهـــا هـــو الأولى ، وذلك لأن الله سبحانه وصف نفسه بأن عليم خبير ، فقد جمع بـــين العلـــم والخبرة ، وفسرت صفة الخبير بأنه العلم ببواطن الأمور ، وذلك جمعـــاً بـــين الصفتين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥] وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] وقد فسر ذلك بأنه العلم بالظواهر والبواطن(٥).

---

(١) المفردات ص ١٤١.

(٢) الذريعة ص ١٨٥.

(٣) الفروق اللغوية ص (٧٤).

(٤) التعريفات ص١٠١.

(٥) انظر تفسير أبي السعود (٢ /١٧٥). وروح المعاني للألوسي (٥/ ٢٧).

ثانياً : النبـــأ

النبأ هو خبر ذا شأن ، واشترط له الراغب الأصفهاني ثلاثـــة شـــروط حتى يكون نبأ ، وهي :أن يكون خبراً ذو فائدة يحصل به علم أو غلبة ظـــن، قال الراغب : «النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظـــن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة . وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليـــه الصلاة والسلام .

ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا، كقولك أخبرته بكذا. ولتضمنه معنى العلم قيل أنبأته كذا كقولك أعلمته كذا»[1]. قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧ – ٦٨] وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [النبـأ: ١– ٢] ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ ﴾ [هـــود: ٤٩] ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَا ﴾ [الأعراف: ١٠١]... فكلها أنباء ذات شان عظيم وفيها الخبر الصادق...

وقولـــه تعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [الحجـرات: ٦] فيه تنبيه على أنه إذا كان الخبر شيئاً عظيماً له قدر فحقه أن يتوقف فيه وإن علم وغلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه ويتـــبين فضل تبين[2].

ونّبأ أبلغ من أنبأ ، كما في الآيـــة :﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[التحريم: ٣] فلم يقل أنبأني بل قال نبأني الذي هو أبلغ تنبيهاً على

(١) المفردات (٤٨١).

(٢) انظر روح المعاني (٢٦ / ١٤٥) والمفردات ص ٤٨١.

تحقيقه وكونه من قبل الله .

ثالثاً : الإلهام

الإلهام هو إلقاء المعلومة في الروع أي القلب ، قال الراغب : «الإلهام إلقاء الشيء في الروع ، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى كقوله عليه السلام : ((**إن روح القدس نفث في روعي**))[1] وأصله من التهام الشيء أي ابتلاعه»[2].

ولم يرد الإلهام إلا في موطن واحد في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨] أي أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت[3]، وذكر الشوكاني بعض الأقوال في بيان معنى الإلهام في الآية فقال: «قال ابن زيد[4]: جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور . واختار هذا الزجاج[5]، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان . قال الواحدي[1]: وهذا

(١) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (٢٢٧٣) ونسبه لأبي نعيم في الحلية ورمز له بالضعف . ونسبه المناوي في فيض القدير (٢ / ٥٧٢) للطبراني وابن أبي الدنيا والحاكم عن ابن مسعود وللبيهقي في المدخل وقال : منقطع. لكن صححه الألباني في فقه السيرة للغزالي ص ٩٦ لتعدد طرقه وكذا في صحيح الجامع رقم (٢٠٨٥).

(٢) المفردات ص ٤٥٥.

(٣) تفسير أبي السعود (١٦٤/٩).

(٤) ابن زيد: أحمد بن محمد بن أحمد، شهاب الدين، أبو العباس، محدث مفسر له اشتغال بالتاريخ من علماء الحنابلة، ولد عام ٧٨٩ هـ، وتوفي عام (٨٧٠هـ) (معجم المفسرين ٧٢/١).

(٥) الزجاج: إبراهيم بن السري ، أبو إسحاق الزجاج ، نحوي لغوي مفسر ، ولد في بغداد عام ٢٤١هـ وتوفي عام ٣١١هـ (معجم المفسرين ١/ ٧٢).

هوالوجه لتفسير الإلهام ،فإن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام ، والإلهام أن يوقع في قلبه ويجعل فيه»(٢).

رابعاً : الوحي

يطلق الوحي عادة على الكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه ، إما برسول مشاهد ، أو بسماع كلام ، أو بالإلهام والإلقاء في الروع ، أو بتسخير، أو بمنام .

وأصل الوحي في اللغة الإشارة السريعة ، وقد يكون ذلك بالكلام أو الإشارة أو الكتابة . قال الراغب الأصفهاني : «أصل الوحي : الإشارة السريعة ... وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١١] فقد قيل: رمز ... وقيل : كتب ...

وقوله : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١] فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤].

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي ، وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ إلى قوله : ﴿بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١] وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع

---

(١) الواحدي : على بن أحمد ، أبو الحسن الواحدي ، أوحد عصره بالتفسير وعالم بالأدب ، ولد بنيسابور وتوفي فيها عام ٤٦٨هـ (معجم المفسرين ١ / ٣٥٢).

(٢) فتح القدير (٥ / ٤٤٦).

كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صورة معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله ،وإما بإلقاء في الروع كما ذكر ﷺ : ((**أن روح القدس نفث في روعي**))[1]، وإما بإلهام نحو : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧]، وإما بتسخير نحو قوله: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ [النحل: ٦٨] أو بمنام كما قال ﷺ: ((**انقطع الوحي وبقيت المبشرات : رؤيا المؤمن**))[2] فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله: ﴿إِلَّا وَحۡيًا ﴾ [الشورى: ٥١] وتبليغ جبريل في صورة دل عليه قوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴾ [الشورى: ٥١]»[3].

وقد ذكر القرطبي[4] في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) أن الوحي في كلام العرب هو الكتابة[5] لكن هذا التفسير إنما هو لبعض أنواع الوحي، قال في القاموس المحيط : «الوحي : الإشارة ، والكتابة، والمكتوب ،والرسالة، والإلهام ،والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك ، والصوت يكون في الناس وغيرهم»[6].

---

(١) سبق تخريجه في الفقرة السابقة.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، لكن ورد نحوه عند البخاري رقم (٦٩٩٠) بلفظ: ((لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة)).

(٣) المفردات ص ٥١٦.

(٤) القرطبي : محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله ، من كبار المفسرين محدث صالح متعبد، من أهل قرطبة، استقر بمصر وتوفي فيها عام ٦٧١هـ (معجم المفسرين، ٢ / ٤٧٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٥).

(٦) القاموس المحيط ص ١٧٢٩.

خامساً : القراءة وما في معناها

استخدم القرآن الكريم ألفاظ :القراءة والتلاوة والترتيل والدراسة . وإليك بيانها.

١- القراءة

القراءة في الأصل اللغوي تأتي بمعنى الضم ، وهي بمعنى : «ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل»(١) قال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] قد ذهب البعض إلى تفسير القراءة بمعنى الجمع والضم(٢) إلا أن الجمع غير القراءة، ولعل معنى الجمع هو جمع الشيء المتفرق دون ترتيبه،أما القراءة فهو جمعه مرتباً، ولذا تفسيره بمعنى الضم أو الجمع المرتب أولى.

ومعنى الآية أن المراد بجمعه هو ألا يذهب منه شيء، والقرآن هو تثبيته مرتبا متوالياً كما هو في اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

٢- التلاوة

التلاوة أخص من القراءة ، ولعلها تفيد معنى القراءة التي فيها معنى الاتباع ، لأن أصل التلاوة المتابعة ، قال الراغب : «تلى : تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها ، وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم ... وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ... والتلاوة تختص باتباع كتب الله المترلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام، لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك . وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة

(١) المفردات ص ٤٠٢.

(٢) القاموس المحيط ص ٦٢.

تلاوة»[١].

٣- الترتيل

الترتيل هو: «رعاية الولاء بين الحروف المركبة»[٢] وهو في الأصل التنسيق والتنضيد، وهو بمعنى إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة[٣]، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] قال القرطبي : «أي لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني»[٤].

٤- والدراسة

والدراسة تعني القراءة المستمرة أو المتكررة ،وأصله يعطي بقاء الأثر الذي يقتضي الانمحاء ، قال الراغب : «درس الدار معناه بقي أثرها ، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه فلذلك فسر الدروس بالانمحاء ، وكذا درس الكتاب ، ودرست العلم تناولت أثره بالحفظ ، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس»[٥].

قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] أي تداومون على قراءته. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ...﴾ [الأعراف: ١٦٩] أي قرؤوه فهم ذاكرون لذلك[٦].

---

(١) المفردات ص ٧٥.

(٢) التعريفات ص٥٧.

(٣) المصدر السابق ص١٨٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/٣٧) وانظر المفردات (١٨٧).

(٥) المفردات (١٦٧).

(٦) روح المعاني (٩ / ٩٧).

المبحث الرابع

الألفاظ التي تدل على العلم عن طريق الحواس

تصل المعلومات إلى العقل عن طريق الحواس ، ثم يقوم العقل بمعالجتها والاستنتاج منها. وهذه الحواس هي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

والإحساس هو إدراك المعلومات عن طريق الحواس . وقد استخدم القرآن الكريم كلمات الحس والجس والشعور . وعليه فننظر في استخدام القرآن لهذه الكلمات .

أولاً :الحس

١- الحسّ

هو: الإدراك بالحاسة، والحاسة هي القوة التي تدرك بها الأعراض الحسية، وهي المشاعر الخمس ، وهي : السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

وقد اعتبر أبو هلال العسكري أن الحس ما يدرك من أول وهلة وهو أول العلم ، فقال : «الحس هو أول العلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي علمه في أول وهلة» ثم قال : «وتسمية العلم حساً وإحساساً مجاز ، ويسمى بذلك لأنه يقع مع الإحساس ، والإحساس من قبيل الإدراك»[١] .

وقوله إن الحسّ هو أول العلم ، لعل الأولى أن يقال هو سبيل إلى العلم.

ولكن الراغب الأصفهاني أشار إلى أن التعبير بالإحساس فيه أمر أدق من الفهم ، فقال : «الحاسة القوة التي بها تدرك بها الأعراض الحسية ، والحواس

(١) الفروق اللغوية ص ٧١.

المشاعر الخمس ... وأحسسته أدركته بحاستي ... وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] فتنبيه أنه قد ظهر منهم الكفر ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢]»[1] قال أبو السعود في بيان معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ [الأنبياء: ١٢]: «أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس»[2].

وقوله تعالى حاكياً قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧] أي اسلكوا للتعرف عليه ومعرفة خبره أي وسيلة من وسائل الإدراك، عن طريق السمع أو النظر أو الشم أو الذوق أو اللمس.

والحس معناه ألا تبقي له أثراً يحس بأي وسيلة من وسائل الإدراك فعبر عنه بالقتل، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢] أي تستأصلوهم استئصالاً بحيث لا يبقى لهم أي أثر يدرك بالحواس.

وكذا قوله تعالى: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨] ولكون النار تأكل الأخضر واليابس ولا تبقي منه شيئاً سمي إحراقها بالحس، فقال: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

٢- الجسّ

الجسّ أدق من الحسّ، لأن الجسّ هو التعرف على ما كان مستوراً، أما الحسّ فليس بذلك، وقد ورد لفظ الجسّ في مكان واحد في القرآن الكريم،

---

(١) المفردات ص ١١٦.

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ٥٨).

وهو : ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعليه فالجسّ أدق من الحس ، ولذلك سمي الجاسوس بذلك لكونه يطلع على ما كان مخفياً ولا ينبغي له الاطلاع عليه .

ولذلك ورد النهي عن التجسس ،والمراد به عدم تتبع عورات المسلمين ومعايبهم ، قال النسفي[1] في تفسيره : «﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم . يقال : تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه ، تفعل من الجسّ . وعن مجاهد[2]: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله . وقال سهل[3]: لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده»[4].

٣- الشعور

الشعور هو الإدراك الدقيق بواسطة الحواس .وأصله من الشعر ،وسمي بذلك لدقته كالشعر ، قال الراغب : «شعرت :أصبت الشعر ، ومنه استعير شعرت كذا أي علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته. فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت

---

(١) النسفي :عبد الله بن أحمد ، أبو البركات ، مفسر متكلم أصولي من فقهاء الحنفية ، نسبته إلى (نسف) من بلاد السند ، رحل إلى بغداد ، من كتبه (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) توفي عام ٧١٠ هـ (معجم المفسرين ١/ ٣٠٤).

(٢) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي ، مولاهم المكي ، ثقة ، إمام في التفسير والعلم ، مات سنة ١٠١هـ تقريباً (تقريب التهذيب ص ٤٥٣).

(٣) سهل بن عبد الله التستري ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال ، ولد بتستر عام ٢٠٠هـ وسكن البصرة وتوفي فيها عام ٢٨٣هـ (معجم المفسرين ١ /٢١٨).

(٤) تفسير النسفي (٢ /٥٨٦).

شعري، صار في التعارف اسماً للموزون المقفى مــن الكــلام... والمــشاعر: الحواس ، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] ونحو ذلك معناه : لا تدركونه بالحواس»(١).

٤- القص

والقص هو تتبع الأثر لمعرفة الخبر(٢) ،قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ١١].

ثانياً : ألفاظ الرؤيـــة

استخدم القرآن الكريم ألفاظ:الإبصار والنظر والرؤية ونحوها.وإليك بيانها.

١- البصر

البصر اسم للرؤية ، وقد يطلق على العين مجازاً بوصفها أداة الإبــصار، ويسمى العلم بالشيء إذا كان جلياً بصراً ،قال أبو هلال العسكري :«البصر اسم الرؤية... ويسمى العلم بالشيء إذا كان جلياً بصراً ، يقال : لك فيــه بصر ، يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك»(٣)، وقال الراغب : «البــصر يقــال للجارحة الناظرة ... وللقوة التي فيها .ويقال لقوة القلب المدركــة بــصيرة وبصر ، نحو قوله تعالى : ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]... وجمع البصر أبصار ، وجمع البصيرة بصائر ... ولا يكاد يقال للجارحة بــصيرة .

(١) المفردات ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٤.

(٣) الفروق اللغوية ص ٦٥.

ويقال من الأول :أبصرت ، ومن الثاني :أبصرته وبصرت به . وقلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب...

والضرير يقال له بصير على سبيل العكس ، والأولى أن ذلك يقال لما له من قوة بصيرة القلب ، لا لما قالوه ، ولهذا لا يقال له مبصر وباصر(١).

٢- النظر

النظر هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يستخدم في غير ذلك قال الراغب: «النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشي ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروِّيّة... ويقال : نظرت إلى كذا ، إذا مددت طرفك إليه -رأيته أو لم تره- ونظرت فيه إذا رأيته وتدبرته»(٢).

وعليه فالنظر هو تقليب البصر أو إطالته ، أما البصر فهو رؤية بالعين دون تأمل وتقليب . وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ١٢٧] وقوله : ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ [المدثر: ٢١ - ٢٢] كلها تشير إلى الرؤية بالعين رؤية فيها تقليب بصر وتأمل . قال أبو السعود : «﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ أي في القرآن مرة بعد مرة»(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فقد استخدم في هذه الآية فعل الرؤية والنظر والبصر.

---

(١) المفردات ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٧.

(٣) تفسير أبي السعود (٩ / ٨٥).

وهذه الآية قيل: إن المراد بقوله: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ...﴾ يعني الأصنام، وقيل المراد بذلك المشركون[1]، فأما قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي يخيل إليك أن هذه الأصنام تنظر إليك أي تقلب بصرها فيك، قال أبو حيان[2]: «بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين ،فهم يشبهون من ينظر ومن قلب حدقته للنظر ، ثم نفى عنهم الإبصار»[3].

أقول :نفى عنهم الإبصار فضلاً عن النظر ، فإن من نفي عنه الإبصار فقد نفي عنه النظر ، وهذا سواء كان المراد بها الأصنام أم المشركون ،فإن الأصنام لا تبصر حقيقة ، وكذلك المشركون والكافرون فإنهم لا يبصرون، قال تعالى:﴿ ...وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩] قال الشوكاني:«فإن الذي انتفى من الأعين هو إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك»[4]،كما أنه أتى بفعل الرؤية ﴿وَتَرَىٰهُمۡ﴾ لأن الرؤية بصرية وقلبية وكأنه يريد الأمرين معاً ، أي يخيل إليك إذا رأيتهم بنظرك وبقلبك ...

٣- الرؤية

الرؤية هي إدراك المرئي ، سواء كان بالبصر وهو الأصل في الاستعمال ، أو بالقلب. والرؤية البصرية تحتاج لمفعول واحد ، فإذا عدي فعل النظر بـإلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٣٤٤) واختار الطبري أن المراد بها الأصنام (جامع البيان للطبري ٩ /١٥٢).

(٢) أبو حيان : محمد بن يوسف ،نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد بالأندلس عام ٦٥٤هـ ، وتنقل بالبلدان ثم توفي بالقاهرة عام ٧٤٥هـ (معجم المفسرين٢ /٦٥٥).

(٣) تفسير البحر المحيط (٤/٤٤٤) وانظر روح المعاني (٩/١٤٦) وفتح القدير (٢ /٢٩٣).

(٤) فتح القدير (٢ /٢٨١).

اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار ، أما الرؤية القلبية فتتعدى لأكثر من مفعول وتقتضي معنى العلم، ولعله يفيد معنى الظن. قال أبو هلال العسكري : «والرؤية في اللغة على ثلاثة أوجه ، أحدها العلم ،وهو قوله تعالى : ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٧] أي نعلمه يوم القيامة، وذلك أن كل آت قريب، والآخر بمعنى الظن، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ [المعارج: ٦] أي يظنونه ... واستعمال الرؤية في هذين الوجهين مجاز ، والثالث رؤية العين وهي حقيقة »[1]. أما الراغب الأصفهاني فاعتبر أن « الرؤية هي إدراك المرئي ، وذلك أضرب بحسب قوى النفس ، والأول : الحاسة وما يجري مجراها ... والثاني بالوهم والتخيل ... نحو قوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] والثالث بالتفكر نحو : ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] والرابع بالعقل ، وعلى ذلك قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]... ورأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم ، نحو : ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]... ويجري ﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الكهف: ٦٣] مجرى أخبرني ... والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، وعلى هذا قوله : ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[آل عمران: ١٣].

وعليه فالراغب الأصفهاني قسم الرؤية إلى :رؤية بصرية بالعين ، ورؤية بالوهم والتخيل ، ورؤية بالتفكر ، ورؤية بالعقل . فأما الرؤية بالوهم والتخيل فاستشهد لها بقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] ولا أرى أن الرؤية هنا من باب التوهم والتخيل، وذلك أن (لو) التي للامتناع ترد المضارع ماضياً، والمعنى – والخطاب للنبي ﷺ –: إنك لو رأيت كيف يتوفى

(١) الفروق اللغوية ص ٧٥.

الذين كفروا الملائكة لرأيت أمراً فظيعاً[1].

وأما اعتباره أن من الرؤية ما هو بالتفكر واستشهد له بقوله : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] فلعل فيه شيئاً من البعد ، لأن إبليس رأى نزول الملائكة وأنها تقاتل مع المؤمنين فولى هارباً وتبرأ منهم وقال إني أخاف الله ، فرؤيته رؤية بصرية حقيقية، والله أعلم .

وأما الرؤية الرابعة فهي بالعقل ، واستشهد لها بقوله : ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] ولعل فيه بعداً ، فالفؤاد هو القلب ، ومعنى الآية هي : أنه ما كذب قلب النبي ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام :« أي ما قال فؤاده ﷺ لما رآه ببصره لم أعرفك ،ولو قال ذلك لكان كاذباً ،لأنه عرف كما رآه ببصره»[2] ويدل على ذلك قراءة من قرأ ﴿ما كذّب﴾ بالتشديد للذال[3]، فالرؤية بصرية ، ولا مانع من كونها قلبية ، وهذا إذا كان المرئي جبريل ،فإن كان الله فلا بد أن تكون قلبية .

وعليه فالأولى أن يكون تقسيم الرؤية إلى بصرية بالعين وقلبية ، والرؤية القلبية تفيد معنى العلم والعلم يطلق على الظن واليقين .

٥- الطرف

الطّرَف هو جانب الشيء ،والطرف - بتسكين الراء - قال عنه الراغب إنه تحريك الجفن، وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النظر[4].

---

(١) روح المعاني (١٠ / ١٦).

(٢) روح المعاني (٢٧ / ٤٩).

(٣) المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ص ٣٤٥.

(٤) المفردات ص ٣٠٢.

لكن قد لا توجد علاقة قوية بين الاستعمال اللغوي وهو جانب الشيء وبين تحريك الجفن الذي يفيده معنى الطرف - ولعل الأولى أن يفسر الطرف بالنظرة الجانبية ،لأن العين إن نظرت بها بشكل كامل يقال له تحديق ، وإن كانت النظرة جزئية وجانبية يقال له طرف ، ولعل هذا هو الأولى في تفسير قوله تعالى : ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وكذا قوله: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨] أي يقصرن نظرهن على من هُيِّئن له، ولا تجد منهن أي نظرة جانبية لآخرين، وكذلك قوله : ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] أي نظرة جانبية .

٥- اللمح

واللمح هو النظر بسرعة ، أي الرؤية الخاطفة ، يقال : لمحته في مكان كذا، أي رأيته رؤية خاطفة. ويفهم من كلام الراغب الأصفهاني أنه اعتبر اللمح بمعنى الوضوح، فقال: « اللمح لمعان البرق، ورأيته لمحة البرق، قال تعالى: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] ويقال : لأرينك لمحاً باصراً أي أمراً واضحاً»[١].

إلا أن اعتبار أن اللمح هو النظرة السريعة أولى ، وهو ما فسره الشوكاني في تفسيره، فقال: «اللمح : النظر بسرعة »[٢] وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] أي الساعة أو جميع الأمور إلا مرة واحدة سريعة كلمح بالبصر في سرعته[٣].

---

(١) المفردات ص ٤٥٤.

(٢) فتح القدير (٣ / ١٨٦).

(٣) فتح القدير (٥ / ١٢٨) وتفسير أبي السعود (٨ /١٧٥).

ثالثاً : ألفاظ السمع

استخدم القرآن الكريم لفظ الأذن والسماع وقد يستخدم في اللغة الإصغاء بمعنى السماع ، وإليك ألفاظ السماع .

١- الأذن

الأُذُنُ آلة السمع ويقال لمن كثر استماعه أذن ، وقد يستخدم الإذن والأذان ونحوه بمعنى العلم الذي يتوصل إليه بطريق السماع ،ومنه ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي فاعلموا ،والإذن في الشيء هو إعلام بإجازته . قال الراغب: « الأذن الجارحة ... ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لما يسمع ،قال تعالى :﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] أي استماعه لما يعود بخيركم،وقوله :﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] إشارة إلى جهلهم لا إلى عدم سمعهم . وأذن : استمع ، نحو قوله :﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢] ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع نحو قوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، والإذن والأذان لما يسمع ، ويعبر بذلك عن العلم إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا ... والمؤذّن كل من يعلم بشيء نداء، قال: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: ٧٠]، والإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه...»[(١)].

٢- السمع

السمع هو القوة التي تدرك بها الأصوات ، وقد يستخدم في الأذن ذاتها بوصفها أداة السمع ، وقد يعبر به عن الفهم إذ السمع سبيل إلى الفهم،وقد

(١) المفردات ص ١٤.

يعبر به عن الطاعة إذ السمع سبيل إلى الفهم والفهم سبيل إلى الطاعة ، فمن التعبير بالسمع عن الأذن ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] ومن التعبير عن الفهم والطاعة: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣]و﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد وصف الله سبحانه نفسه بصفة السمع ، فقال : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨] ، وسمعه سبحانه ليس كسمع المخلوقات، فهو يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

٣- الإصغاء

قد يستخدم فعل الإصغاء بمعنى السمع الدقيق الذي فيه تركيز على المسموع، لكن القرآن الكريم استخدم فعل الإصغاء بمعنى الميل ،ولعل المصغي أي المستمع يميل بإحدى أذنيه إلى طرف الصوت، فصار يستخدم بمعنى الميل، لكن الظاهر أن القرآن الكريم استخدمها بما ليس فيه سمع، فقال : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وقال : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [الأنعام: ١١٣] لذا فسرها الراغب بالميل[١].

٤- الإنصات:

ويراد به السكوت لأجل الاستماع، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. قال القرطبي: «والإنصات: لسكوت للاستماع»[٢]. وقال ابن عاشور:والإنصات الاستماع مع ترك الكلام،

---

(١) المفردات ص ٢٨٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٥٤.

فهذا مؤكد (لا تسمعوا) [(١)] مع زيادة معنى[(٢)].

رابعاً : اللمس

اللمس هو إدراك بظاهر البشرة ، وأصله ما كان باليـــد، لأن اليـــد أداة اللمس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعـام: ٧]، فاللمس لا يكون إلا باليد ، لكنه ذكرها هنا لزيادة التعيين، ونفي احتمال المجاز[(٣)]وهذا لبيان شدة صلابتهم بالكفر، أي لو أتيناك بكتـــاب يلمـــسونه بأيديهم إضافة لما يرونه ويشاهدونه، فتجتمع لهم إدراك حاستي البصر واللمس لقالوا هذا سحر مبين . وهذا مثل ما يقول القائل: لا أصدق حتى ألمسه بيدي، وكأن اللمس نهاية المطاف للإدراك اليقيني ، ومع ذلك لو فعلنا لم يؤمنوا .

أما قوله تعالى حاكياً عن الجـــن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن: ٨٤] ، فقد عبر عن ذلك بفعل اللمس للإشارة إلى أنهم بحثوا بكل حواسهم ليجدوا منفذاً يريدون أن ينفذوا منه لاستراق الـــسمع فلـــم يجدوه، كأنهم نظروا بأبصارهم وآذانهم واستعملوا عقولهم وكذا أيديهم لإيجاد منفذ ينفذون منه ؛ فلم يجدوا .

وقد يكنى بالملامسة عن الجماع ، كما في قولـــه تعـــالى : ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء: ٤٣]، لما فيه من تمام الملامسة والملازمة ،بحيث تكون الملامـــسة بأكثر أعضاء الجسم إضافة إلى اليد.

---

(١) كذا في المطبوع ولعله تصحيف (لاستمعوا)

(٢) التحرير والتنوير ٨/٤١٠.

(٣) تفسير أبي السعود (٣ / ١١٢).

وقد عرف الراغب الأصفهاني اللمس بقوله : « اللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس ،ويعبر به عن الطلب .. »[١] وقال أيضاً : « اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد ،كما قال الشاعر : «وألمسه فلا أجده»[٢].

فذلك ليس على إطلاقه ، ولو قيل إنه ونظائره يستخدم للطلب باليد لكان أولى ، ويكون معنى قول الشاعر : «وألمسه» أي أطلبه بكل حواسي حتى بيدي ، لكان أولى.

(١) المفردات ص ٤٥٤.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦٧.

المبحث الخامس

الألفاظ التي تدل على العلم بواسطة المحاكمة العقلية

١- العقل

يراد بالعقل تلك القوة المتهيئة لقبول العلم ، وقد يراد به العلم الناتج عن العقل ، والعقل عقلان : غريزي فطري ، والآخر مكتسب، والمكتسب ضربان : أحدهما بالتجارب الدنيوية والمعارف الكسبية ، والثاني بالعلوم الأخروية والمعارف الإلهية[1]، والعاقل الحقيقي من عمل لما بعد الموت ، كما في الحديث : ((**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**))[2].

وأصل العقل في اللغة الإمساك ، وسمي العقل بذلك لأنه يمسك بصاحبه، ويمنعه من التصرف غير السليم . قال الراغب : «العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ... وإلى الأول أشار ﷺ بقوله : ((**ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل**))[3]، وإلى الثاني أشار بقوله : ((**ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردىً**))[4]، وهذا العقل هو المعنى بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) الذريعة ص ١٧٢.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٩) كتاب القيامة (٢٥).

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بسند ضعيف (إحياء علوم الدين ١ /١٢٦) وورد بنحوه في مجمع الزوائد ونسبه للطبراني في الأوسط وقال : فيه الفضل بين عيسى الرقاشي وهو مجمع على ضعفه (مجمع الزوائد ٨ /٦٠).

(٤) لم أجده.

وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فأشار إلى الثاني دون الأول نحو .. ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]... وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول»[1].

وعليه فإن قيل بأن العقل هو العلم أو علم معين[2]، فإنما هو على سبيل المجاز؛ لأن العقل هو مصدر العلم، ويراد به العلم الناتج عن استخدام العقل؛ لأن العلم قد يصل للإنسان بوسائل لا أثر للعقل في اكتسابها كالإلهام.

٢- الفهم :

الفهم هو إدراك المعنى ، سواء كان كاملاً أو إشارة أو قراءة ونحوه . وعدم الفهم مرده، إما لبلادة العقل أو لغموض الشيء أو لعدم الخبرة . والاستفهام هو أن يطلب من غيره أن يفهمه ، قال الراغب : «الفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحس ، يقال : فهمت كذا ،وقوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وذلك إما بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإما بأن ألقى ذلك في روعه ، أو بأن أوحى إليه وخصه به»[3].

وعليه فإن الله سبحانه قد يعطي من قوة الفهم إنساناً ما لا يعطيه لآخر، كما أعطى الخضر صاحب موسى عليه السلام ما لم يعطه لموسى .

والفهم لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة في الآية المشار إليها .

---

(١) المفردات ص ٣٤٢.

(٢) القاموس المحيط ص ١٣٣٦.

(٣) المفردات ص ٣٨٦.

٣- الفقه

عرف أبو هلال العسكري الفقه بأنه العلم بمقتضى الكلام على تأمله[١] وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد[٢] ولعل القول بأن المراد به هو الفهم الدقيق للأشياء، لكان أولى، وقد يكون أنسب في تفسير الآيات، ويقصد به الفهم الذي فيه إحاطة بالموضوع من جوانبه. ولذلك استخدمت كلمة الفقه للعلم بأمور الدين وفروعه الفقهية، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ...﴾ [التوبة: ١٢٢] حيث قال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ للإشارة إلى تمكنهم من العلم والإحاطة بفروعه الدقيقة. وسمي العلم بالفروع الشرعية فقهاً لكونه يغلب عليه ورود أكثر من قول في الكثير منها، وفي بعضها شيء من العلة، إضافة لأدلتها المتعارضة، لذا لا يمكن الخروج منها برأي معتمد إلا بفهم دقيق لها ومعرفة أدلتها والترجيح فيما بينهما.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي لا تفهمون حقيقة تسبيحهم، فإنه علمنا شيئاً من تسبيح الجمادات، كتسبيح الجبال مع داود عليه السلام وتسبيح الحصى في يد النبي ﷺ، وتسبيح الطعام وهو يؤكل[٣] إلا أن الفهم التام لتسبيح الجمادات غير معروف لدينا. إننا نعلم أن الجمادات تسبح لكننا لا نفقه هذا التسبيح.

---

(١) الفروق اللغوية ص ٦٩.

(٢) المفردات ص ٣٨٤.

(٣) انظر البخاري (٣٥٨٤) المناقب باب (٢٥).

وهذا ما يفسر كثيراً من المفردات: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود: ٩١] ﴿ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨].

٤- التفكر

الفكرة قوة مُطْرِقة للعلم إلى المعلوم ، وهو تخيل عقلي في الإنسان . والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل . والتفكر لا يكون إلا فيما له ماهية بما يصح أن يجعل له صورة في القلب مفهومة[1] ولذلك ورد في الحديث ((**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله**))[2].

وفسر التفكر بالتأمل[3] كما فسر بإعمال النظر في الشيء[4] وهو إلى التأمل أقرب ولعل المراد به هو التأمل الموصل إلى الحقيقة ، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٥- التدبر :

التدبر هو النظر في عواقب الأمور وما آلت إليه ، مأخوذ من النظر في دبر الأمور، قال الجرجاني: «التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو

(١) الذريعة ص ١٩٤.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٥٦) والبيهقي في شعب الإيمان (١ /١٣٦) رقم (١٢٠) عن ابن عمر مرفوعاً، وروى من طرق أخرى بألفاظ تختلف قليلاً ، وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يقويها (كشف الخفاء ١ /٣١١ رقم ١٠٠٥) وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٧٨٨) وحكم عليه بأنه حسن بمجموع طرقه.

(٣) مختار الصحاح ص ٥٠٩.

(٤) القاموس المحيط ص ٥٨٨.

قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»[1]. قال الشوكاني : «يقال : تدبرت الشيء تفكرت في عاقبته ، ثم استعمل في كل تأمل»[2].

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

٦- التذكر

التذكر هو استعادة ما قد استثبته القلب فانمحى عنه بنسيان أو غفلة[3] والذكر هو وجود الشيء في القلب أو اللسان[4]، وقيل إن الذكر ذكران:«ذكر بالقلب وذكر باللسان ، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان ، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ ... والذكرى كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر... والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأمارة...»[5].

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) التعريفات ص٥٦.

(٢) فتح القدير (٥٨١/١).

(٣) الذريعة ص ١٩٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٩٤.

(٥) المفردات ص ١٧٩ - ١٨٠.

٧- الاعتبار

الاعتبار هو أخذ العبرة من معرفة الشيء المشاهد إلى ما ليس بمشاهد . قال الراغب : « والعبر هو تجاوز من حال إلى حال . والعبارة تختص بالكلام، والاعتبار والعبرة تختص بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد»[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣] وقال سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] وقد ذكر الشوكاني أن المراد بالعبرة الاتعاظ[٢]، وكذا فسرها أبو السعود[٣] كما فسر الشوكاني قوله ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] بقوله : «أي اتعظوا وتدبروا ،...» ثم ذكر قول الواحدي في معنى الاعتبار فقال : «ومعنى الاعتبار : النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها»[٤]... لكن تفسير الاعتبار بالاتعاظ كلام غير دقيق. لأن الاتعاظ هو: الزجر المقترن بالتخويف[٥].

---

(١) المفردات (٣٢٠) (بتصرف).

(٢) فتح القدير (٤٠٠/١).

(٣) تفسير أبي السعود (١٤/٢).

(٤) فتح القدير (١٩٣/٥).

(٥) المفردات ص٥٢٧.

خـــاتمــــة

وبعد هذا الاستعراض للمفردة القرآنية الدالة على العلم أو ما يوصـــل إليه، نجد أن القرآن الكريم يستخدم الألفاظ القرآنية استخداماً دقيقـــاً ، وأن لكل مفردة من المفردات استخداماً خاصاً ، وليس ثمة كلمة قرآنية تعطي معنى كلمة أخرى . وهذا يفيدنا في نفي القول بالترادف في القرآن الكريم الـــذي يقصد به وجود كلمتين بألفاظ مختلفة تعطي المعنى نفسه.

ثم إن بعض المعاجم اللغوية لم تكن دقيقة في بيان الفروق اللغوية بـــين المفردات، وكذلك بعض كتب التفسير لم تعط هذا الموضوع أهميـــة لبيـــان الفروق بين المفردات المختلفة الألفاظ .

وقد استحسن بعضهم أن يذكر عنواناً للكلمـــات المختلفـــة الألفـــاظ المتقاربة المعنى أن يقال : (الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم)، وهو اســـتخدام دقيق يشير بدقة لمعنى المفردات القرآنية.

لذا يجب على الباحث في الدراسات القرآنية التدقيق في بيان المعنى الدقيق للمفردة القرآنية، ولا يكتفي بالمعنى المتقارب.

المصادر والمراجع

١- **إحياء علوم الدين** ، محمد الغزالي (أبو حامد) الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة ،بلا تاريخ .

٢- **إعجاز القرآن الكريم** ، فضل عباس وسناء عباس ، بلا تاريخ ولا مكان الطبع .

٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بلا تاريخ .

٤- **تفسير أبي السعود** ، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، محمد بن محمد العمادي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٥- **تفسير البحر المحيط،** محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، دار الفكر بيروت .

٦- **تفسير البيضاوي** ، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): عبد الله بن عمر البيضاوي ، مؤسسة شعبان ، بيروت ، بلا تاريخ .

٧- **تفسير الطبري** المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م دار الفكر، بيروت.

٨- **تفسير القرطبي** ، المسمى " الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م،مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .

٩- **تفسير التحرير والتنوير** ،محمد الطاهر بن عاشور ،الطبعة الأولى ١٤٢هـ - ٢٠٠٠م ، مؤسسة التاريخ ، بيروت .

١٠- **تفسير النسفي** ، المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) عبد الله بن أحمد النسفي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية بيروت .

١١- **تقريب التهذيب** ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الاولى ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢- **الجامع الصغير** ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٩٨١م ، دار الفكر ، بيروت .

١٣- **الذريعة إلى مكارم الشريعة** ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: أبو اليزيد العجمي ن الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار الوفاء بالمنصورة ودار الصحوة بالقاهرة .

١٤- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، محمود الألوسي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت .
١٦- **شعب الإيمان** ، أحمد بن الحسين البيهقي .
١٧- **صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل البخاري ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الفكر ، بيروت .
١٨- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر.
١٩- **الفروق اللغوية**،الحسن بن عبدالله،أبو هلال العسكري،دار الكتب العلمية،بيروت،بلا تاريخ.
٢٠- **فقه السيرة** ، محمد الغزالي ، الطبعة الثامنة ١٤٠٨- ١٩٨٨م ، دار الكتب الحديثة، مصر .
٢١- **فيض القدير في شرح الجامع الصغير** محمد عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الاولى١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٢- **القاموس المحيط** ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م / مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٢٣- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد العجلوني ، الطبعة الثالثة ١٣٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٤- **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق حمزة الحاكمي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .
٢٥- **مجمع الزوائد**
٢٦- **مختار الصحاح** ، محمد بن أبي بكر الرازي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، مؤسسة علوم القرآن ودار القبلة الإسلامية، بيروت .
٢٧- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، أحمد بن محمد الفيومي ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .
٢٨- **المعجم الأوسط** ، سليمان بن أحمد الطبراني .
٢٩- **معجم المفسرين** ، عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م ، مؤسسة نويهض ، لبنان .
٣٠- **المفردات في غريب القرآن** ، الحسين بن محمد ، الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت ، بلا تاريخ .

فهرس الموضوعات

تحفة الإخوان في الخُلف بين الشاطبية والعنوان

تأليف الإمام العلامة
محمد بن محمد بن الجزري

دراسة وتحقيق
خالد حسن أبو الجود

* ولد عام ١٩٦٤م بمصر.
* نال ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر قسم التفسير ، بالإضافة إلى تخصص القراءات من معهد القراءات الأزهري، كما نال دبلوم الدراسات إسلامية من معهد الدراسات الإسلامية، ثم دبلوم تحقيق تراث من معهد المخطوطات، كذلك نال شهادة الماجستير في القراءات بتحقيق كتاب الروض النضير للمتولي .
* له عدد من الكتب المحققة المطبوعة: كالروض النضير للمتولي ،و"العنوان في القراءات السبع" ، و"مفردة ابن الفحام" ، و"تحرير النشر للأميري".

الملخص

كتابنا هو كتاب " تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنـــوان " مؤلفه الإمام محمد بن الجزري ، وهو كتاب يقارن فيه المؤلف بين كتابين من أهم كتب القراءات هما كتابا الشاطبية تأليف الإمام الـــشاطبي ، والعنـــوان تأليف الإمام أبي الطاهر ، وقد بين فيه المؤلف منهج كل منهم ، وبين طريق كل كتاب ووجه الخلاف بينه وبين الكتاب الآخر ، وغرضه مـــن ذلـــك تسهيل الحفظ والمذاكرة ، ونشر العلم .

المــقدمــة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأنزله على حروف سبعة تيسيرًا وتسهيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي قال في كتابه الكريم : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢،٤٠]، وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين القائل صلى الله عليه وسلم:" **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** "(١).

أما بعد:

فهذه رسالة قليلة الصفحات عظيمة الأهمية، وذلك لما يأتي :

أولاً : أن موضوعها : القرآن الكريم والقراءات القرآنية، ويكفي ذلك لبيان أهميتها، فخير الحديث على الإطلاق كلام الله، وأعظم العلم ما يتعلق بهذا الكتاب المعجز، كيف؟ والحديث هنا عن القراءات القرآنية المتعلقة بالنص القرآني الشريف .

ثانياً : مؤلفها : الإمام العلم الكبير من جعل الله له في قلوب العباد ودًا، وجعل لمؤلفاته انتشارا، وجعل لكلامه قبولاً عند العلماء والعامة على السواء، ويكفي صاحب الكتاب فخرًا أنه صاحب كتاب " النشر " العظيم أهم كتاب في القراءات الكبرى على الإطلاق، فأهل القراءات منذ أن خرج الكتاب إلى الوجود بين محقق له، ومحرر، وناقل منه، ويكفيه فخرًا أنه صاحب طيبة النشر هذه المنظومة التي كتب لها القبول عند أهل القراءات فلا

---

(١) صحيح البخاري حديث (٥٠٢٧)، باب خيركم من تعلم القرآن.

يعد من أهل القراءات الكبرى إلا من حفظها، وقد تقرر حفظها ودراستها في معاهد القراءات لمعرفة العلماء بأهميتها .

ثالثًا : الحديث في هذه الرسالة عن كتابين من أعظم كتب القراءات؛ وهما كتابا العنوان في القراءات السبع، والقصيدة الشاطبية، وكل منهما له من المنـــزلة العظيمة ما هو معروف، ويكفي أن نعلم أن الناس إلى اليوم يحفظون عن ظهر قلب الشاطبية حين يبدءون تلقي علم القراءات، وأن العلماء حتى القرن التاسع كانوا يحفظون العنوان، وكان التنافس الشديد بين الكتابين أيهما يحفظ ويدرسه طالب القراءات المبتدئ، حتى استقر الأمر للشاطبية لاعتبارات عدة كما سنبينه؛ منها أنها نظم والنظم أيسر حفظًا، وسهولة ألفاظها، وكثرة العلماء الناقلين لها، وغير ذلك من الأسباب التي كتبت لها الانتشار، والمقارنة بين الكتابين تبين أهمية كل كتاب وتزيل الغموض من المعاني إن كان هناك غموض .

رابعًا : قرر ابن الجزري في هذه الرسالة بعض القواعد المهمة التي اعتمد في كتابه النشر عليها، مثل تقريره أنه يقدم أخذه عن المشايخ على ما في الكتب الورقية، وغير ذلك من القواعد المهمة التي تجلي لنا الكثير من المشاكل العلمية كما سنبينه في موضعه من هذه الرسالة.

لكل هذه العوامل أحببت أن أخرج هذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة الفائدة من عالم المخطوط إلى عالم المطبوع، وقد اتبعت في سبيل ذلك خطة للبحث مرت بالمراحل الآتية :

مدخل التحقيق : بينت فيها: ترجمة لصاحب العنوان وتعريفا بكتابه، ثم أتبعته بترجمة لناظم الشاطبية وتعريفا بها، وأتبعت ذلك بترجمة للإمام ابن

الجزري، ودراسة لبيان منهجه في تأليف كتابه " تحفة الإخوان " موضوع التحقيق، ثم بينت منهجي في تحقيق الكتاب، وأثبت نسبة الكتاب لابن الجزري، ثم أتبعت ذلك بوصف للنسخ المعتمدة .

القسم الثاني : النص المحقق لكتاب " تحفة الإخوان " .

وأتبعت النص المحقق بفهرس لموضوعات الكتاب، والمراجع المستخدمة في التحقيق .

وفي الختام، أسأل الله العظيم أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه، وأن يتقبله عنده سبحانه بقبول حسن، وأن يجزي مؤلفه عنا خير الجزاء، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو الموفق، وإليه المصير .

المحقق

خالد حسن أبو الجود

مدخل التحقيق

كتابا العنوان لأبي طاهر، والقصيدة الشاطبية من أهم كتب القراءات، وتظهر هذه الأهمية بصورة جلية إذا علمنا أنهما من أصول كتاب النشر المهمة، وكذلك إذا علمنا أن طالب علم القراءات كان إذا أراد الدخول في هذا العلم فإن شيخه يوجهه لحفظ أحد الكتابين، ومن أجل هذه الأهمية ألف العلماء كتباً في الفرق بين الكتابين وبيان طرقهما، ومن أهم هذه الكتب كتاب الإمام ابن الجزري الذي نحن بصدد تحقيقه " تحفة الإخوان "، ولكي تتضح لنا أهمية الكتابين قدمت بهذه الدراسة البسيطة للتعريف بالكتابين وكاتبيهما، فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : دراسة حول كتاب العنوان وترجمة لمؤلفه

كتاب العنوان من أهم كتب القراءات، ويعتبر من الكتب الأصول التي اعتمد عليها الإمام ابن الجزري في كتابه العظيم النشر ويجدر بنا في هذه العجالة أن نعرف بالعنوان وصاحبه :

أولاً : ترجمة أبي الطاهر العمراني صاحب العنوان :

اسمه وكنيته : إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، أبو الطاهر العمراني الأنصاري الأندلسي السرقسطي، الصقلي، المصري، ونسبته إلى هذه الديار الثلاثة لمولده بالأندلس، وإقامته بهذه البلاد الثلاثة مدة، المالكي مذهباً[1] .

نشأته: لم تكشف كتب التراجم عن نشأته ومكانها، والظاهر أنه نشأ بسرقسطة، وهي بلدة مشهورة بالأندلس، وكما بينا هو معدود من أهلها، أقام بمصر .

---

(١) انظر في ترجمته : بغية الوعاة ٤٤٨/١، وكشف الظنون ١٢٣، معرفة القراء الكبار ٣٤١/١، غاية النهاية ١٦٤/١، الصلة ١٠٥/١، الأعلام ٣١٠/١، قراءة الإمام نافع عند المغاربة ٤٨٣/٦، وفيات الأعيان ٥٥/١، معجم الأدباء ١٦٥/٦.

– **شيوخه** :عبد الجبار بن أحمد بن عمر أبو القاسم الطرسوسي[١]. وأحمد بن سعيد بن نفيس المصري، أبو العباس[٢].وعلي بن إبراهيم، أبو الحسن الحوفي[٣].

– **تلامذته** :جعفر بن إسماعيل، ولد المترجم له[٤] . وجماهر بن عبدالرحمن الفقيه[٥]. وعلي بن كموس، أبو الحسن الصقلي[٦] . ويحيى بن علي بن فرج المصري، المعروف بابن الخشاب[٧] .

– **حياته العلمية:** تصدر الإمام أبو الطاهر للإقراء، وأقرأ الناس زمانًا بجامع عمرو بن العاص بمصر[٨]، وكان إمامًا في الأدب والعربية، مالكي المذهب كعادة أهل المغرب .

– **مصنفاته** :١– كتاب إعراب القرآن، وهو موجود بخزائن مصر والمغرب[٩].

٢– اختصار الحجة في القراءات السبع للفارسي[١٠] .

٣– ديوان شعره، ذكره صاحب الوفيات[١١] .

---

(١) ترجمته في غاية النهاية ٣٥٧/١، الصلة ١/ ١٠٥، معرفة القراء ٣٤١/١ .

(٢) فهرسة ابن خير ٩٠، غاية النهاية ٣٤/١، معرفة القراء الكبار ٤١٦/١ .

(٣) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٠٠/٣، إنباء الرواة ٢١٩/١، معجم الأدباء ١٦٥/٦، بغية الوعاة ١٤٠/٢ .

(٤) انظر ترجمته في : غاية النهاية ١/ ١٦٤ .

(٥) انظر ترجمته في : الصلة لابن بشكوال ١٠٥/١ .

(٦) انظر ترجمته في : غاية النهاية ٥٦٢/١ .

(٧) انظر ترجمته في : غاية النهاية ٣٧٥/٢ .

(٨) غاية النهاية ١٦٤/١ .

(٩) راجع قراءة الإمام نافع ٤٩٠/٦.

(١٠)راجع قراءة الإمام نافع ٤٩٠/٦.

(١١) وفيات الأعيان ١٩٤/٣، قراءة نافع ٤٩١/٦ .

٤-كتاب الاكتفاء في القراءات السبع[١] .

٥- العنوان في القراءات السبع، وهو أشهر كتبه .

- **وفاته** :توفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة بمصر على الغالب، وإن ذكر صاحب الأعلام أنه مات بسرقسطة، فالله أعلم[٢] .

ثانياً : دراسة لكتاب العنوان[٣] :

هو أشهر كتب إسماعيل بن خلف، وهو معدود من أصول النشر، بل كان من الكتب التي عليها مدار القراءة والإقراء، ودراسة مسائل الخلاف بين الأئمة حتى إنه إذا ذكر هذا الإمام قيل : أبو الطاهر صاحب العنوان .

وقد اهتم علماء القراءات بالكتاب منذ خرج إلى الوجود، لأنه بحجمه الصغير عُد متنًا يفي بحاجة طالب العلم في استظهاره واستحضاره عند الحاجة، ومن هنا كانت عناية أهل الشام ومصر بحفظه، وروايته، والقراءة بمضمنه، يقول ابن خلكان في حديثه عن العنوان : " عمدة الناس في الاشتغال بهذا الشأن عليه "[٤]، ويقول ابن الجزري :" وكان أهل مصر أكثر ما يحفظون العنوان لأبي الطاهر مع مخالفته لكثير مما تضمنته الشاطبية"[٥].

وقد اشتهرت رواية الكتاب على يد جعفر ولد المؤلف، ومن طريقه أسنده ابن الجزري في النشر، وروي أيضًا من طريق يحي الخشاب المصري.

(١) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، بدار نينوي للطباعة .

(٢) انظر في ترجمته وتحليل حياته قراءة نافع ٤٨٣/٦، وما بعدها .

(٣) انظر في التعريف بهذا الكتاب دراسة صاحب قراءة الإمام نافع من ص ٤٩٢، فقد أفاض وأجاد وفقه الله تعالى .

(٤) وفيات الأعيان ٥٥/١ .

(٥) منجد المقرئين ٥٣ .

ومما يدل على توافر العناية به ما تجده من وفرة نسخه وفرة ملحوظة في جميع خزائن المخطوطات، وما لقيه الكتاب من إقبال من العلماء على تدريسه، وعقد المقارنة بينه وبين غيره من المصنفات في القراءات فمن ذلك:

- شرح العنوان، للعلامة المقرئ عبد الظاهر بن نشوان، والكتاب حقق كرسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية.

- كتاب البيان في الجمع بين القصيدة والعنوان، لأبي زكريا يحيى بن أحمد، وما زال مخطوطاً.

- معين القارئ النحرير على ما اختص به العنوان والشاطبية والتيسير، لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الكناني، وهو ما زال مخطوطاً .

- كتاب تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان، للإمام العلامة ابن الجزري، وهو كتابنا هذا الذي نحققه .

منهج المؤلف في الكتاب :

بدأ بالحمد وسبب التأليف وسبب جعله مختصرًا، ثم ذكر أئمة الإقراء وأحال على كتابه الاكتفاء لمن أراد التوسع في الأسانيد، ثم ذكر اصطلاحه، وبدأ في قسم الأصول، ثم قسم الفرش وذكر الخلاف في الكلمات سورة سورة، ولكنه لم يضع البسملة والفاتحة في أول الكتاب ووضعها في بداية الفرش، ثم أنهى الكتاب بباب التكبير، ومن خلال عرض مباحث الكتاب يظهر للمتأمل منهج صاحب العنوان حيث إنه :

- خالف الترتيب المعتاد في كتب القراءات فقدم بعض المباحث، وأخر أخرى مما يظهر شخصيته المستقلة في البحث .

- عقد لبعض الكلمات مباحث خاصة مثل فواتح السور، وقدمه على باب

المد، وأتبعه بهاء الكناية ثم المد بعكس علماء القراءات الذين يضعون فواتح السور مع باب المد وهو أحسن، و الملاحظ أنه رتب كتابه حسب عروض القاعدة في القرآن الكريم .

- لم يتعرض لباب الإدغام الكبير لأبي عمرو، والظاهر أنه لم يقرأ به ولذلك لم يدرجه .

- اختصر بعض الأبواب اختصاراً كثيراً مما جعل الباب مبهماً، كما ذكر ذلك ابن الجزري في باب المد خاصة فقال : " وعبارته في غاية الإشكال ".

- لم يذكر اختياره إلا نادرًا مما يبين أنه يأخذ بما تلقى عن شيوخه فقط ويركز على ذلك، وهذه طريقة محمودة فالقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول .

طبعات الكتاب : الكتاب طبع مرةً واحدةً بدار عالم الكتب وهي طبعة مشهورة بالسقم الشديد وسبب ذلك على الراجح أن المحققين الكريمين ليسا من أهل القراءات، والله ييسر لهذا الكتاب من ينقذه، ويحققه تحقيقًا علميًا .

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن كتاب العنوان أخذ شهرة كبيرة لما فيه من كبير علم على وجازته مما جعل الطلبة يستظهرونه، والعلماء يقررونه على طلبتهم، بل ويهتم العلماء بالمقارنة بينه وبين غيره من المختصرات كما فعل الإمام ابن الجزري في هذا الكتاب .

ثانياً : التعريف بالشاطبية، وناظمها

الشاطبية هي قصيدة "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" التي نظمها الإمام الشاطبي، وقد رزقت الشاطبية القبول والشهرة بين طلبة العلم، واشتدت عناية العلماء بها فهم بين شارح لها، ومحشٍ عليها، ومكمل لها، ومعارض، ومحرر، وفيما يلي ترجمة ناظمها والحديث عنها:

أولا : ترجمة الناظم الإمام الشاطبي[1] :

هو الإمام الكبير : القاسم بن فيره[2] بن خلف بن أحمد .

-كنيته: أبو القاسم،وأبو محمد الشاطبي،والكنيتان ملازمتان له معروفتان عنه .

- مولده : ولد في آخر سنة ٥٣٨ هـ بشاطبة .

- صفاته: ولد أعمى، كان غاية في الذكاء، حافظًا لصحيحي البخاري ومسلم والموطأ؛ يصلح من حفظه لمن يقرأ عليه، وكان لا يجلس للإقراء إلا على طهارة، في هيئة حسنة وحضور قلب، وكان من أشد الناس حفظًا للسان لا يسمع فضول الكلام .

- شيوخه: قرأ القراءات على الإمام محمد بن أبي العاص النفزي، وعرض التيسير للداني على أبي عبد الله محمد بن حميد البلنسي، وروى عن ابن عاشر، وعبد الله المرسي، وأبي الحسن بن النعمة وغيرهم كثير، ثم خرج للحج من بلاد الأندلس واستقر بمصر فسمع من أبي طاهر السلفي .

- تلاميذه: عرض عليه الإمام السخاوي، ومحمد بن عمر القرطبي، والسديد مكي، والكمال الضرير وهو صهره، وعبد الرحمن بن سعيد، ومحمد بن وضاح وغيرهم كثير .

- حياته العلمية : تصدر للتدريس في شاطبة وبقى بها مدة، وتولى خطبة الجمعة بها، ثم جاء إلى مصر فتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص لمدة ثمانية أعوام، وتزوج من أهل مصر،ثم تحول إلى المدرسة الفاضلية وسافر للحج وعاد.

---

(١) انظر في ترجمته : معجم الأدباء للحموي ٥/ ٢٢١٦، إنباه الرواة ٤/١٦٠، وفيات الأعيان ٤/٧١، سير أعلام النبلاء ٢١/٢٦١، غاية النهاية ٢/٢٠، مقدمة تحقيق فتح الوصيد ١/١٠١ .

(٢) بكسر الفاء بعدها ياء ساكنة ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء ، ومعناه بلغة أهل الأندلس الحديد .

– **مؤلفاته :- حرز الأماني ووجه التهاني**، وهي القصيدة الشهيرة في القراءات، وقد طبعت طبعات عديدة أهمها طبعتا الشيخ الضباع، والشيخ تميم الزعبي.

– **عقيلة أتراب القصائد**،وهي قصيدة شهيرة في علم الرسم، طبعت بمطبعة الحلبي بمصر .

– **ناظمة الزهر في عد الآي**، وهي قصيدة شهيرة في علم عد الآي، طبعت بمطبعة الحلبي بمصر، وأخيرا طبعت بتحقيق الدكتور أشرف طلعت بدار البخاري بمصر.

– **منظومة في ظاءات القرآن**، طبعت أثناء الترجمة للشيخ .

– **وفاته** : توفي يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ ودفن يوم الاثنين، رحمه الله وغفر له .

ثانياً : منهج صاحب الشاطبية في تأليفها:

الشاطبية قصيدة لامية من البحر الطويل، موضوعها القراءات السبع المتواترة، وقد سماها ناظمها "حرز الأماني ووجه التهاني"، قال الإمام الشاطبي:

وسميتها حرز الأماني تيمنًا ووجه التهاني فاهنه متقبلا

وقد اشتهرت بالشاطبية نسبة إلى ناظمها .

– **تاريخ نظمها**: لم يعرف على وجه الدقة متى بدأ الناظم في نظمها ولكن بعض المصادر أشارت إلى أنه قد بدأ فيها بالأندلس حتى بلغ البيت الخامس والأربعين:

جعلت أبا جاد على كل قارئ دليلاً على المنظوم أول أولا

ثم أكملها بالقاهرة[١] .

– **سبب التأليف** : وقد بين سبب نظمه لها في إجازته لتلميذه السخاوي حيث أخبر بأنه عملها رغبة في ثواب الله الكريم وحرصًا على إحياء العلم الذي

---

(١) غاية النهاية ٢٢/٢.

تضمنه كتاب التيسير الذي عني بجمعه الإمام الداني[1] .

– **عدد أبياتها** : ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا قال الناظم في آخر الشاطبية:

وأبياتها ألف تزيد ثلاثة   ومع مائة سبعين زهراً وكملا

– **موضوعها** : القراءات السبع، حيث نظمها تسهيلاً لطلبة العلم الذين كانوا يحفظون الكتب الطوال فنظم التيسير للداني ليسهل على الطالب حفظه قال:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره   فأجنت بعون الله منه مؤملا

– **طريقته في الاختصار**: قسم الشاطبي القصيدة إلى :

– **مقدمة** : بين فيها أهمية حفظ القرآن وثواب الحافظ والتالي، ثم بين رموز القراء ومنهجه في العمل، ونصائح لطالب العلم .

– **الأصول**: وعقد هذا القسم في عدة أبواب يشتمل على الأمور العامة مثل الاستعاذة والبسملة،والإدغام الكبير،والمد،والإمالة،واللامات،والراءات،وغيرها.

– **الفرش** : حيث يذكر سور القرآن سورة سورة ويبين ما فيها من خلاف حتى انتهى من سورة الناس .

– **خاتمة**:ذكر فيها التكبير،ومخارج الحروف،وشكر المنعم تبارك وتعالى على توفيقه .

مكانة القصيدة عند العلماء :

تبوأت الشاطبية مكانة عالية لدى العلماء منذ نظمت وحتى اليوم، فأهل مصر جعلوها مكان العنوان الذي كان يحفظه طالب القراءات، حتى قال ابن الجزري :"ومن وقف على قصيدته علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصًا اللامية التي عجز البلغاء بعده عن معارضتها ... ولقد رزق هذا الكتاب من

---

(١) انظر الفتح المواهبي ص٥٩، وفتح الوصيد ١/١٢٦.

الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن .. "(١)

شراح القصيدة : شرح القصيدة كثير جداً من العلماء منهم :

- علي بن محمد السخاوي في كتابه: فتح الوصيد، وهو مطبوع بمكتبة الرشد.
- المنتجب الهمذاني في: الدرة الفريدة، ومازال مخطوطا، منه نسخة بالمكتبة الأزهرية.
- محمد الفاسي : في اللآلئ الفريدة، وهو مطبوع بمكتبة الرشد .
- إبراهيم الجعبري في : كنـــز المعاني، طبع منه جزء في المغرب بوزارة الأوقاف. وغيرهم كثير جدًا(٢).

طبعات الشاطبية : طبع الكتاب طبعات كثيرة جداً، لكن أهمها وأفضلها على الإطلاق طبعة الشيخ على الضباع بمطبعة البابي الحلبي بمصر، وطبعة تميم الزعبي بدار الهدى بالمدينة المنورة .

وهذه القصيدة اشتهرت في الدنيا وسارت بها الركبان، فالعلماء ما بين ناقل عنها، ومتأس بها، ومزيد عليها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثالثا:ترجمة الإمام ابن الجزري ودراسة كتابه "تحفة الإخوان "وبيان منهجه فيه:

الإمام ابن الجزري علم كبير، وإمام عظيم من أئمة علم القراءات، وقد اشتهر بكتبه العظيمة بداية من النشر، ومرورًا بغاية النهاية، وتحبير التيسير، ونهاية بمنظومتيه الطيبة والدرة، إذا علمنا ذلك بان لنا أهمية هذا الكتاب فالكاتب يكتب في ميدانه وساحة سبقه، فمن هو ابن الجزري(٣) ؟

---

(١) غاية النهاية ٢/٢٣ .

(٢) انظر : مقدمة تحقيق فتح الوصيد ١/١٥٠، وما بعدها .

(٣) انظر ترجمته في : غاية النهاية له ١/٢٤٧، إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني ٣/٢٨٧، الضوء=

أولا: ترجمة الإمام ابن الجزري:

– **اســـمه:** محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، **كنيته** : أبو الخير، **لقبه** : شمس الدين، **نسبه:** العمري، المشهور بابن الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر بالعراق .

– **مولده** : ولد ليلة السبت، الخامس والعشرين من رمضان، سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، بخط القصاعين بدمشق .

– **نشأته** :نشأ بدمشق، وعلمه أبواه القرآن صغيرًا، وحفظ الحديث والفقه، وقرأ على مشايخ كبار وهو في هذه السن الصغيرة، ولما أتم حفظ القرآن اشتغل بعلم القراءات وهو في الرابعة عشرة من عمره، ثم رحل ثلاث مرات الأولى أثناء الحج مع والده، ثم بمفرده إلى مصر، ثم الثالثة إلى مصر أيضًا بصحبة والديه، ثم عاد ثانية إلى دمشق، ورحل إلى القاهرة ثانية سنة ثمان وسبعين .

– **شيوخه** : لابن الجزري الكثير جدا من الشيوخ، منهم : أبو بكر ابن الجندي، وأبو عبد الله الأنصاري، أبو الرشيد الغرناطي، وابن فزارة أبو العباس الحنفي، وابن الصائغ، عمر بن أميلة، عبد الوهاب بن السلار، وإسماعيل ابن كثير ،والشيخ الطحان، و اللبان، وأحمد بن رجب، وغيرهم كثير[(١)].

– **تلاميذه** :وهم كثير جدًا امتلأت الأرض بـــهم نظرًا لأن الإمام كان كثير الترحال لطلب العلم والتعليم، منهم : إبراهيم البقاعي، رضوان العقبي، ابن الخياط، محمد بن عبد الرحمن المدني، وغيرهم .

– **وظائفه** : تولى الإقراء بالجامع الأموي مدة، وتولى مشيخة الإقراء بتربة أم

=اللامع للسخاوي ٢٥٥/٩ وغير ذلك كثير.

(١) انظرهم في قائمة شيوخه في ترجمته لنفسه في غاية النهاية ٢٤٧/١ وما بعدها.

الصالح، والعادلية، ومشيخة الإقراء بدار القرآن الجزرية بدمشق، وشيراز، والتدريس بالصلاحية،وتولى القضاء مرات عديدة بدمشق وشيراز، ولي خطابة مسجد التوتة،تصدى للإقراء والتحديث في القاهرة في عهد السلطان الأشرف.

– **مؤلفاتـــه** : له الكثير من المؤلفات التي تشهد له بالعلم و الفضل في سائر العلوم منها : النشر في القراءات العشر، المقدمة في التجويد، الدرة في القراءات الثلاث، التمهيد في علم التجويد، وغاية النهاية في طبقات القراء، تحبير التيسير، تقريب النشر، وغيرها كثير في علوم الحديث مثل: الجمال في أسماء الرجال، والسيرة مثل ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء.

– **صفاتـــه** : كان دينًا ورعًا زاهدًا في الدنيا و متعها، و كان لا يدع قيام الليل في حضر أو سفر، ولا يترك صوم الاثنين و الخميس وثلاثة أيام من كل شهر – رضي الله عنه – .

– **أســـرته:** كان والده تاجرًا، وقد تزوج الشيخ ورزق أولادا جميعهم من أهل العلم وقد ترجم لهم في غاية النهاية وهم : محمد، وأحمد، وإسماعيل، وإسحاق، وفاطمة، وعائشة .

– **وفـــاته** : توفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة من الهجرة بشيراز، ودفن بمدرسته التي أنشأها هناك، وكانت جنازته مشهودة حضرها الخواص و العوام، رحمه الله على ما قدم .

ثانيا : منهج ابن الجزري في تأليف كتابه :

كتابنا هو كتاب " **تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان** "، وهو من تأليف العلامة ابن الجزري .

– **موضوعه** : بيان أوجه الخلاف بين كتابي الشاطبية والعنوان، والكتابان في

القراءات السبع، ولكل كتاب طرق مختلفة للقراء العشر، كما هو معلوم عند أهل القراءات .

أهمية الكتاب :

١- كتابا الشاطبية والعنوان، كانا في فترة من الفترات كفرسي الرهان بالنسبة لطلبة علم القراءات حيث كان طالب العلم يحفظ أحد المتنين، وكانت البداية والسيادة لكتاب العنوان، فلما نظمت الشاطبية أخذت مكان كتاب العنوان لسهولة حفظها، حيث إن العنوان كتاب منثور، والشاطبية كتاب منظوم، وبالتالي حفظ الشاطبية أسهل، وكذلك لما في الشاطبية من سهولة في الألفاظ، وبيان سهل لمعان العبارات، عكس العنوان الذي يحتاج إلى حل مغلقه في أبواب كثيرة من أبواب القراءات، وكذلك كثرة الكتب الشارحة للشاطبية عكس العنوان، وأخيرا ما قيضه الله للشاطبية من قبول بين طلبة العلم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، من أجل ذلك كانت أهمية معرفة الفرق بين الكتابين ليسهل على طالب العلم حفظهما، وفهم معانيهما .

٢- بين ابن الجزري في الكتاب منهجه في التعامل مع ما وصله من طرق وروايات، حيث نجده في نواح عديدة من كتابه يذكر أنه قد أخذ ذلك من شيوخه، رغم أن صاحب العنوان ذكر نصًا غير ما قرره ابن الجزري وأثبت صحته مما يبين لنا لماذا خالف ابن الجزري نصوص الكتب في النشر حيث إنه يذكر ما أخذه عن شيوخه - انظر مثلاً ص : ٣٥٩، ٣٦٣ من هذه الرسالة لتعلم منهج ابن الجزري - وفيه الرد على أهل التحرير الذين يريدون أن يعودوا بالنشر إلى أصول الكتب، وابن الجزري يقرر أنه يأخذ ما رآه في الكتب، وما سمعه من شيوخه ويثبت ما أخذه من شيوخه عند الخلاف، من أجل ذلك

ينبغي عند التحرير أن ننظر إلى قول ابن الجزري لا لقول أصحاب الكتب الموجودة بالنشر لربما تكون الرواية غير الرواية، ونقل مشايخه للكتاب من طرق مختلفة غير ما وصلنا .

٣- هذا الكتاب حل مغلق كتاب العنوان بطريقة سهلة ميسورة تعين على فهم كتاب من أهم كتب أصول النشر .

إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه :

الكتاب ثابت النسبة لمؤلفه حيث ذكر اسم الكتاب، وسند المؤلف إلى الكتابين في مقدمة الكتاب؛ مما لا يحتاج معه إلى دليل آخر لإثبات صحة نسبة الكتاب لابن الجزري، وكل من ترجم لابن الجزري ذكر له هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، راجع في ذلك مصادر ترجمته، وفي النهاية، فالكتاب ثابت النسبة لمؤلفه دون شك .

عملي في تحقيق الكتاب :

أولاً : اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين من دار الكتب المصرية للكتاب: (أولاهما) تحت رقم ٣٠٦ تفسير تيمور، وقد رمزت لها بالرمز(أ) وجعلتها أصلا. (الثانية) تحت رقم ١٩٤٠٩ / ب، ورمزت لها بالرمز (ب) .

ثانيًا : كتبت النسخة (أ) طبقا للرسم الإملائي الحديث .

ثالثًا : قارنت بين النسختين، وبينت ما فيهما من فروق، وصححت الأخطاء الإملائية، واللغوية .

رابعًا : ترجمت للأعلام ترجمة مختصرة تعرف بهم، وأحلت على أماكن وجود الترجمة للمستزيد .

خامسًا : خرجت الآيات القرآنية .

سادسًا : أرجعت الأقوال إلى مصادرها، وكتبت أبيات الشاطبية ليسهل معرفة الفرق بين الكتابين .

سابعًا : أوضحت الغامض من الكلمات .

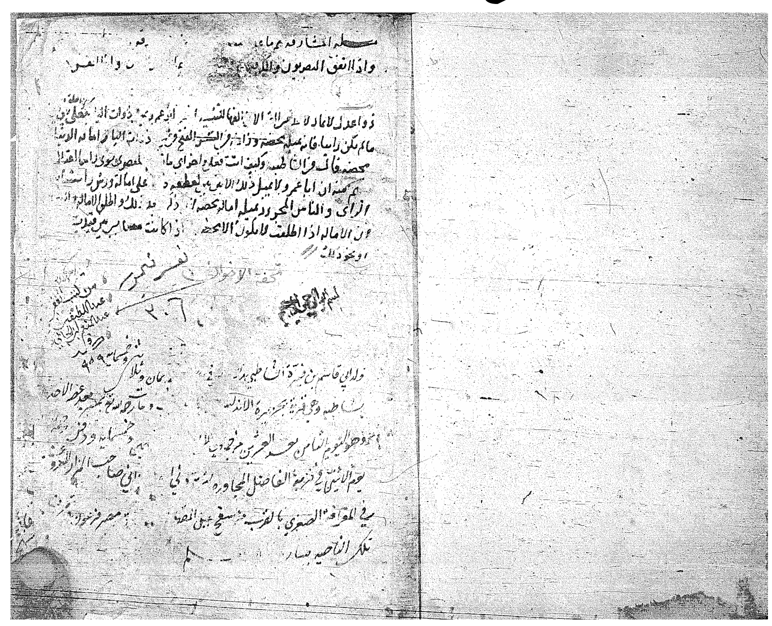
وصف نسخ الكتاب :

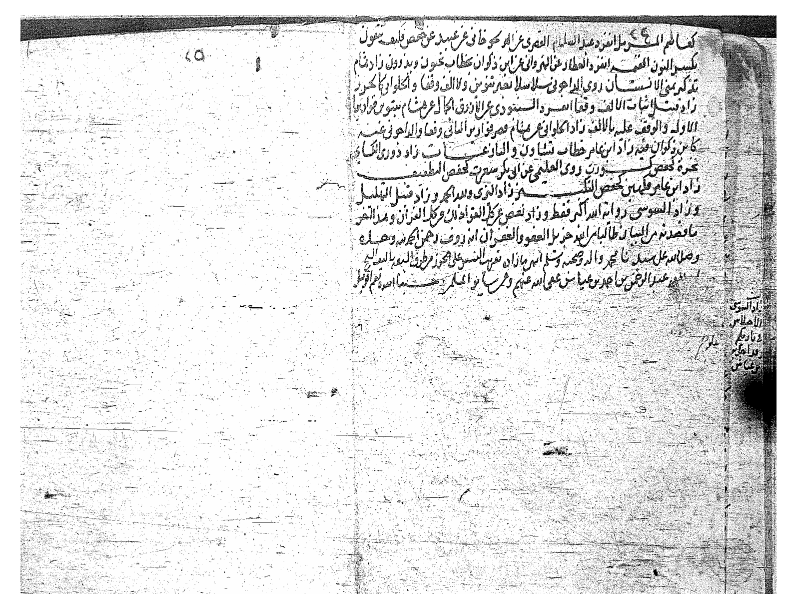
كما ذكرت، للكتاب نسختان :

الأولى: (أ) وهي تحت رقم ٣٠٦ تفسير تيمور، وتقع في (١٦ ورقة)، عدد سطور كل صفحة (٣٥ سطرا)، وكلمات السطر الواحد حوالي (١٧ كلمة) في المتوسط، وهي مكتوبة بخط فارسي مقروء، وهي قليلة الأخطاء جدًا، لا يعرف ناسخها، وكتب على غلافها: " من كتب الفقير عبد اللطيف عبد المنعم ابن الحاجة سنة ٩٥٩هـــ" .

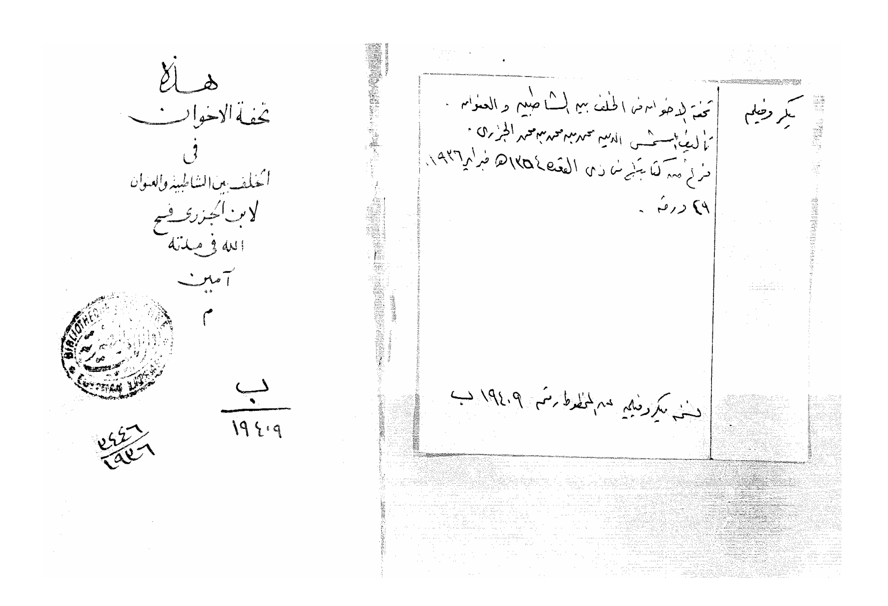
الثانية : (ب) تحت رقم ١٩٤٠٩ /ب، بدار الكتب المصرية، وتقع في (٢٩ ورقة)، وعدد سطور كل صفحة (٢٢ سطرا)، وعدد كلمات السطر الواحد (٩ كلمات) في المتوسط، وهي مكتوبة بخط فارسي جيد جدًا، وهي قليلة الأخطاء والسقط، كتبها محمود عبد اللطيف عن نسخة رقم ٦٦٩ بدار الكتب.

نماذج مصورة للمخطوطتين





النسخة (أ)



ميكروفيلم

تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان .
تأليف شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري .
فرغ من كتابتها في ذي القعدة ١٣٥٤هـ فبراير ١٩٣٦ ،
٢٩ ورقة .

نسخة ميكروفيلم من المخطوط رقم ١٩٤٠٩ ب

هذه
تحفة الاخوان
في
الخلف بين الشاطبية والعنوان
لابن الجزري فسح
الله في مدته
آمين
م

ب
١٩٤٠٩

٢٤٤٦
١٩٣٦

٢٨

متعلق بالمنعوت . والوقف على رب قبيح لأنه مضاف الى العالمين
والوقف على العالمين حسن تام لان نعت يوم الدين نعت لله
والوقف على مالك قبيح لأنه مضاف الى اليوم . والوقف على اليوم
قبيح لأنه مضاف الى الدين . والوقف على الدين تام لأن الكلام
الثاني مستغني عنه . وقوله اياك الوقف على اياك قبيح
لأنه منصوب بنعبد والمنصوب على الناصب . والوقف
على نعبد حسن وليس بتام لأن قوله واياك نستعين نسق
على اياك نعبد . والوقف على اياك الثاني قبيح أيضا لأنه منصوب
بنستعين والوقف على نستعين تام لان الكلام الثاني
مستغني عنه . وقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم الوقف
على اهدنا تام لأن الصراط منصوب به والمنصوب متعلق
بالناصب . والوقف على الصراط قبيح لأن المستقيم نعته
والنعت متعلق بالمنعوت . والوقف على المستقيم حسن وليس
بتام لأن الصراط الثاني مترجم عن الصراط الأول المترجم
متعلق بالاسم الذي يترجم عنه . والوقف على الذين قبيح لأن
أنعمت عليهم صلة الذين والصلة والموصول بمنزلة حرف واحد
والوقف على أنعمت قبيح لأن عليهم صلة أنعمت . والوقف على عليهم
حسن وليس بتام لأن قوله غير المغضوب خفض على النعت للذين
وقال الفراء يجوز أن يخفضه على ذكر الصراط عليه كأنك تقول اهدنا
الصراط المستقيم صراط غير المغضوب عليهم فعلى هذا المذهب أيضا لا
يتم الوقف على عليهم . والوقف على غير قبيح لأنه مضاف الى المغضوب
والوقف على المغضوب قبيح لأن على في موضع رفع على المغضوب
وهو اسم لما لم يسم فاعله فالمرفوع متعلق بالرافع والله أعلم

بعون

٢٩

بعون الله تعالى وحسن توفيقه قد تم
نسخ هذه التحفة في صباح يوم الثلاثاء
الموافق ١٨ من شهر ذي القعدة من سنة
١٣٥٤ من الهجرة النبوية الشريفة . موافق
١١ من شهر فبراير سنة ١٩٣٦م نقلا عن النسخة
الخطية المحفوظة بالدار تحت نمرة ٦٦٩
قراءات . وكتبها راجي عفو المنان
محمود عبد اللطيف فخر الدين
على نفقة دار الكتب
المصرية العامرة
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا . والحمد لله رب العالمين

النسخة (ب)

[كتاب تحفة الأخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان

تصنيف العلامة محمد بن الجزري صاحب النشر وغيره][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم،رب يسر وأعن:

قال الشيخ الإمام العالم العلامة، فريد دهره، ووحيد عصره، شمس الملة والحق والدين : أبو الحسين محمد، شيخ القراء، إمام أئمة الأداء – فسح الله في مدته، وأعاد على المسلمين من بركاته – ابن الشيخ الجليل شمس الدين محمد بن محمد، الشهير بالجزري – عفا الله عنهما أجمعين –][2]:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على [سيدنا][3] محمد وآله وصحبه [أجمعين][4]، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .   وبعد ...

فهذه " **تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان** "، إذ كان "**العنوان** " تأليف الإمام [أبي الطاهر] [5]، إسماعيل بن خلف، المقرئ، [النحوي][6] – رحمه الله – من أشهر هذه الكتب التي قرأنا [بها][7]، [ولا زال للناس به اعتناء][8] كثير ؛ خصوصًا أهل مصر فإنهم لا زالوا يحفظونه قبل

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط في (ب) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) أبو الطاهر، وهو خطأ،وفي (أ) [أبي طاهر]،وما أثبته هو الصواب .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط في (ب) .

(٨) ما بين المعقوفتين في (ب) [و لا زال بها للناس به] .

نظم الشاطبية وبعدها[١] .

أخبرني شيخنا الإمام المقرئ : أبو محمد، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي[٢] – رحمه الله – وغيره، قالوا : كان شيخنا الإمام أبو عبد الله الصائغ[٣] يحفظ " العنوان "، ولا يحفظ " الشاطبية ".

وقال لي شيخنا أيضًا: وقد أدركت بمصر خلقًا يشتغلون في [القراءات][٤]، ولا يحفظون غير " العنوان ".

قال : ولقد حضرت مرة عند شيخنا الصائغ المذكور ؛ فجاء شخص فعرض عليه جميع كتاب " العنوان " من حفظه في مجلس واحد .

---

(١) في (أ) وبعده، كان الناس إلى عهد ابن الجزري يحفظون العنوان، والشاطبية، والآن أصبح منهج أهل القراءات حفظ الشاطبية في القراءات السبع، والدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشر وهي من نظم ابن الجزري، وسموا هذه العشر الصغرى، وبعد ذلك على من يريد جمع القراءات العشر الكبرى أن يحفظ متن طيبة النشر في القراءات العشر وهي لابن الجزري، وسموها بالعشر الكبرى، وهذا عليه العمل في معاهد القراءات والجامعات والكليات التي تتعلق مناهجها بالقراءات، وبالتالي أصبح العنوان داخلاً في العشر الكبرى فهو من ضمن أصول النشر كما هو معروف .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن المبارك بن معالي، أبو محمد البغدادي، الواسطي، المصري، الشافعي شيخ ابن الجزري ولد سنة اثنتين وسبعمائة، وتفرد بالسماع من سبط زيادة، وقرأ عليه ابن الجزري وغيره، توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة رحمه الله (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٦١، الأعلام للزركلي ٢٩٥/٣، الدرر الكامنه ٣٢٣/٢) .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي، الشيخ تقي الدين، أبو عبد الله الصائغ، المصري الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة، وقرأ على الشيخ كمال الدين فارس، وقرأ على الشيخ كمال الدين الضرير العباسي قرأ عليه ابن الوجيه، توفي ثامن عشر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة بمصر رحمه الله (انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٠٦، العبر ٢٧٨/١، الدرر الكامنة ٤٥٢/١)

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) [القرآن] .

قلت : وهذا الكتاب مع شهرته فأسانيده أعلى من سائر كتب المغاربة كالتيسير، والتذكرة، وغيرها ؛ ومن ثم اعتنى الناس به حتى شرحوه مع كونه نثرًا، ولا أعلم مختصرا من كتب القراءات المنثورة شرحه غير مصنفه سواه، وقد وقفت على شرحه للإمام الحاذق، المقرئ : عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري[1]، وهو والد الشيخ محيي الدين بن عبد الظاهر[2]، الكاتب البليغ المشهور، ولكنه لم[3] يضع شيئًا، ولا حَرَّر لفظًا مُشْكِلاً ؛ ولذلك[4] أفردت خِلاَفَه عن الشاطبية ؛ ليسهل تناوله على من يريد التلاوة به ممن حفظ[5] فاللَّفظ للعنوان، والمسكوت عنه كما في الشاطبية، مع بياني لما أُبْهِم، وتَقْييدي ما أوهم بعد أن أذكر أسانيدي[6] به فأقول :

أعلى ما وقع لي في روايته مما لا أعلم أحدًا اليوم على وجه الأرض يُسَاويني فيه ؛ أنني قرأته، وتلوت بمضمونه[7] بمحروسة مصر على شيخنا

(١) عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة، رشيد الدين، أبو محمد الجذامي، المصري، المقرئ ،أخذ القراءات عن أبي الجود، قرأ عليه القراءات سلامة بن ناهض الأزدي، شرح كتاب العنوان، ومات سنة تسع وأربعين وستمائة بالقاهرة (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٧٣، الوافي بالوفيات ١٦٨/٦، معرفة القراء الكبار ٢٣٩/١) .

(٢) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة، الجذامي، المصري، سمع من جعفر الهمداني، وجماعة، وكتب عنه : البرزالي وغيره، ولد سنة عشرين وستمائة، وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة، (انظر الوافي بالوفيات ٥ / ٤١١) .

(٣) في (ب) لا .

(٤) في (ب) فلذلك .

(٥) في (أ) حفظه .

(٦) في (ب) إسنادي .

(٧) في (ب) بمضمنه .

الإمام الصالح، شيخ القراء بها : تقي الدين، أبي محمد، عبد الرحمن بن أحمد بن علي الشافعي - رحمه الله - في شهور سنة تسع وستين وسبعمائة، عن شيخنا الإمام الصالح : أبي علي، الحسن بن عبد الكريم الغماري[١]، قال : أخبرنا به شيخنا الإمام المقرئ، أبو القاسم عبد العزيز بن عيسى المالكي[٢] قراءة عليه قال : أخبرنا أبو الحسن[٣] مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب[٤] المقرئ [قراءة وتلاوة، قال أخبرنا أبو علي الحسن بن خلف المقرئ][٥] كذلك، وبحق إجازة عبد العزيز المذكور من الشريف الخطيب الآتي ذكره سماعًا وتلاوة[٦] /١أ/ على أبي الحسن الخشاب، عن المصنف كذلك .

وقرأت بمضمنه القرآن العظيم جمعا خمس ختمات، أولها : على الشيخ

---

(١) في (ب) المعماري، وهو : الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام، الشيخ أبو علي الغماري، المصري، المعروف بسبط زيادة، قرأ على مرتضى بن جماعة الخشاب، توفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة عن خمس وتسعين سنة (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٩٤، معرفة القراء الكبار ٣٧٥/١) .

(٢) عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد بن سليمان أبو محمد اللخمي الأندلسي، أحد طلبة السلفي، ولد سنة خمس وعشرين ومائة، روى عنه ولده أبو القاسم عيسى، وتوفي سنة ست وتسعين وخمسمائة .

(٣) في (أ) أبو محسن، على الحسن .

(٤) مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب، أبو الحسن، ويقال أبو محمد البرقي نزيل الإسكندرية، ولد سنة خمسمائة وقيل سنة إحدى وخمسمائة، وروى كتاب العنوان سماعاً عن جعفر ولد مؤلفه عنه، روى عنه أحمد بن يحيى، ومات في سادس شهر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة بالإسكندرية (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤١٢، معرفة القراء الكبار ٣١٣/١).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٦) في (ب) بسماعه وتلاوته .

الإمام الأستاذ أبي[1] المعالي، محمد بن أحمد بن علي اللبان[2]، المقرئ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق المحروسة[3]، في شهور سنة ثمان وستين، وأوائل سنة تسع وستين وسبعمائة، وأخبرني أنه قرأ بمضمنه القرآن العظيم على شيخنا[4] الإمام الأستاذ أبي حيان، محمد بن يوسف بن حيان، الأندلسي[5]، قال : قرأت القرآن على شيخنا أبي الطاهر، إسماعيل بن هبة الله[6] بن علي المليجي[7]، (ح) وقرأت به القرآن العظيم من أوله إلى آخره جمعا ختمتين أخريين[8] إحداهما: مع مضمن[9] الشاطبية والتيسير في سنة تسع وستين

(١) في (ب) أبو، وهو خطأ .

(٢) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع، أبو المعالي ابن اللبان الدمشقي، ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة، تخرج بالإمام أحمد بن نحلة سبط السلعوس ،قرأ عليه ابن الجزري، توفي رحمه الله سنة ست وسبعين وسبعمائة . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣١٠)

(٣) في (أ) (المحرمة)، وهو تصحيف .

(٤) في (ب) شيخه .

(٥) محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة بغرناطة، قرأ على عبد الحق الأنصاري، قرأ عليه أبو بكر بن أيدغدي الشمسي، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالقاهرة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٠٢، معرفة القراء الكبار ٣٧٠/١) .

(٦) في (أ) عبد الله، وهو تصحيف .

(٧) في (أ) المليحي، وهو تصحيف، هو : إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله، أبو طاهر المليجي، قرأ السبع على أبي الجود غياث بن فارس، قرأ عليه أبو حيان و الجعبري، مات سنة إحدى وثمانين وستمائة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٧٤، معرفة القراء الكبار ٣٣٧/١) .

(٨) في (ب) أخريتين .

(٩) في (ب) (مكمل) .

وسبعمائة بالقاهرة المحروسة[١]، والثانية: مع جملة كتب أُخرى[٢] في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة على شيخنا الإمام [المسند، شيخ المقرئين][٣]، [العالم، شيخ القراء، والنحاة، والأدباء][٤] أبي عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن علي الحنفي[٥] - رحمه الله - بحق قراءته بمضمنه القرآن [العظيم][٦] غير مرة على شيخه الإمام المسند، شيخ المقرئين ؛ أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ، (ح) وقرأت به القرآن العظيم ختمتين كما تقدم[٧] ؛ بعد أن قرأته على شيخنا الإمام : أبي محمد[٨]، عبد الرحمن بن أحمد بن علي، البغدادي، الشافعي، [بحق سماعه][٩] له، وتلاوته بمضمنه ختمتين جمعا[١٠] على شيخه الإمام، مسند القراء، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ، قال : قرأته حفظا، وتلوت بمضمنه على شيخي الإمام العالم

---

(١) في (أ) المحرمة .

(٢) في (ب) أخر .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن، الإمام العلامة شمس الدين بن الصائغ، ولد سنة أربع وسبعمائة بالقاهرة، وقرأ على الشيخ تقي الدين ابن الصائغ، توفي في ثالث عشر شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٤٩).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٧) في (أ) " كما تقدم ختمتين " .

(٨) في (أ) " أبي عبد الله محمد " وهو تصحيف، والصواب ما أثبته .

(٩) ما بين المعقوفتين في (ب) [بسماعه] .

(١٠) في (ب) " جما " وهو تصحيف .

[الصالح][1] : كمال الدين، [أبي الحسن][2] بن شجاع بن [سالم][3]، الضرير، وتقي الدين، أبي القاسم، عبد الرحمن بن مرهف بن عبد الله بن ناشرة[4]، قالوا : - أعني المليجي[5]، والضرير، وابن ناشرة[6] -، أخبرنا به أبو الجود، غياث بن فارس اللخمي[7]، قراءة، وتلاوة، زاد الكمال الضرير فقال[8]: أخبرنا به : عبد الغني بن علي بن إبراهيم النحاس[9]، قراءة، وتلاوة قالا[10]: أخبرنا به أبو الفتوح ، ناصر بن الحسن بن إسماعيل

---

(١) ما بين المعقوفتين سقطت من (أ) .

(٢) ما بين المعقوفتين في (أ) أبي الحسين، وفي (ب) أبو الحسن، والصواب ما اثبته.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، هو : علي بن شجاع بن سالم بن علي، كمال الدين الضرير، صهر الشاطبي، ولد سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وقرأ على الشاطبي، وروى ابن الوزيري، مات في سنة إحدى وأربعين وستمائة. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٤٣).

(٤) عبد الرحمن بن مرهف بن ناشرة، أبو القاسم الناشري، الشافعي، ولد سنة ثمانين وخمسمائة، وأخذ القراءات عن أبي الجود، وتصدر بالجامع العتيق، قرأ عليه بالروايات ابن الصائغ، مات سنة إحدى وستين وستمائة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٦٨، معرفة القراء الكبار ٣٢٥/١).

(٥) في (أ) المليحي .

(٦) في (ب) ناشر، وهو تصحيف .

(٧) غياث بن فارس بن مكي بن عبد الله، أبو الجود، ولد سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وقرأ على أبي يحيى اليسع بن عيسى وغيرهم، توفي في تاسع رمضان سنة خمس وستمائة، (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٧٧، معرفة القراء الكبار ٢٩٩/١)

(٨) في (ب) قال .

(٩) قال عنه في الغاية : عبد الغني بن علي بن إبراهيم أبو القاسم النحاس، قرأ بمضمن العنوان على الشريف الخطيب وسمعه منه، وقرأ بمضمن التجريد على أبي جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن حموشة القلعي عن مؤلفه. (غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٧٦).

(١٠) في (أ) قال، والصواب ما أثبته .

الشريف[١]، الخطيب، قال : أخبرنا أبو الحسن يحيي بن علي بن الفرج الخشاب[٢] سماعا و[٣]تلاوة، قال : أخبرنا مؤلفه الإمام أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف المقرئ .

وقرأت بمضمنه من أول القرآن العظيم إلى قوله - تعالى - ﴿ إِنَّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ في سورة النحل[٤]، وفي إجازتي إلى آخر النحل سهو[٥] على شيخنا [الإمام الأستاذ][٦] أبي بكر عبد الله بن أيدغدي[٧]، الشمسي[٨]، بحق[٩] قراءته بمضمنه على الشيخين : أبي حيان، والصائغ، بسندهما[١٠] المتقدم .

---

(١) ناصر بن الحسن بن إسماعيل بن زيد، أبو الفتوح، المعروف بالشريف الخطيب، قرأ على محمد بن مسبح الفضي، قرأ عليه أبو الجود غياث ابن فارس، توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٢١، معرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٦) .

(٢) يحيى بن علي بن الفرج، أبو الحسين المصري، يعرف بابن الخشاب، قرأ على أحمد ابن نفيس، قرأ عليه أحمد بن خلف الأنصاري، مات سنة أربع وخمسمائة(غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٤٢، و معرفة القراء الكبار ١/٢٣٦) .

(٣) في (ب) أو .

(٤) الآية / ٩٠.

(٥) في (ب) " سو "، وهو تصحيف .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٧) في (ب) أيدغلي، وهو تصحيف، هو : أبو بكر بن أيدغدي بن عبد الله الشمسي، الشهير بابن الجندي، ولد سنة تسع وتسعين وستمائة بدمشق، قرأ على التقي الصائغ، قرأ عليه ابن الجزري، توفي سنة تسع وستين وسبعمائة (غاية النهاية ١ / ٧٨) .

(٨) في (أ) السمسي، وهو تصحيف .

(٩) في (ب) نحو، وهو تصحيف .

(١٠) في (أ) " مسندهما "، وهو تصحيف .

وهذه ترجمة مؤلف العنوان فأقول :

هو أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، الأنصاري، الأندلسي، ثم [المصري][1]، المقرئ، النحوي، قرأ على الإمام عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي[2] بالروايات الكثيرة بالجامع العتيق بمصر، وألف كتابي الاكتفاء[3]، والعنوان في القراءات[4]، واختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، وتصدر زمانًا بمصر لتعليم القراءات والعربية، وكان رأسًا فيهما، أخذ عنه ابنه جعفر، وأبو الحسين[5] /اب/ بن الخشاب، وجماهر[6] بن عبد الرحمن الفقيه، وجماعة، وتوفي في أول المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عمر بن الحسن أبو القاسم الطرسوسي، أخذ القراءة عن أبي أحمد السامري، قرأ عليه القراءات أبو الطاهر صاحب العنوان، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي سنة عشرين وأربعمائة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٥٧).

(٣) طبع بتحقيق الدكتور / حاتم الضامن بدار نينوي .

(٤) طبع بتحقيق الدكتور زاهر الزاهد، والدكتور خليل العطية بعالم الكتب .

(٥) في (ب) ابن الحسين، وهو تصحيف، وهو : يحيى بن علي بن الفرج أبو الحسين المصري يعرف بابن الخشاب، قرأ على أبي الطاهر ابن خلف مؤلف العنوان به، قرأ عليه أحمد بن خلف الأنصاري، مات سنة أربع وخمسمائة (انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٤٢، معرفة القراء الكبار ٢٣٦/١) .

(٦) في (ب) " وجماعة "، وهو تصحيف، وهو : جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري روى عن أبي محمد بن ذنين، توفي سنة ستٍ وستين وأربع مائة (الصلة ١ / ٤٢).

باب البسملة[١]

ورش، وأبو عمرو، كحمزة[٢] بالوصل، وابن عامر بالبسملة كالباقين .

سورة أم القرآن

أشم خلاد ﴿ صِرَٰطَ ﴾[٣] الثاني كالأول[٤] .

وحذف الصلة من ميم الجمع قالون؛ فقرأ بالإسكان وجهًا واحدًا[٥].

---

(١) لا خلاف بين القراء في قراءة البسملة في أول الفاتحة في الوصل والابتداء، ولا خلاف في تركها أول براءة في حال الوصل والابتداء، واختلفوا فيما عدا ذلك ففي الشاطبية قال :

وبسمل بين السورتين بسنة رجال نموها دريـة وتحملا

ووصلك بين السورتين فصاحة وصل واسكتن كل جلاياه حصلا

ولا نص كلا حب وجه ذكرته وفيها خلاف جيده واضح الطلا

ونَصَّ صاحب العنوان على ما ذكره ابن الجزري في ص : ٦٥ من المطبوع حيث قال : "فقرأ أبو عمرو، وحمزة، وورش بغير فصل بين السورتين ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع القرآن، والباقون بالفصل بينهما في القرآن كله " .

فقد قرأ ورش وأبو عمرو بغير فصل بالبسملة بين السورتين من طريق القصيدة والعنوان وزاد الشاطبي البسملة لورش، ولا نص عن أبي عمرو، وقرأ ابن عامر بالفصل بالبسملة من طريق العنوان وبغير فصل بالبسملة من طريق القصيدة، وزاد في القصيدة ولا نص عنه .

(٢) في (أ) وحمزة .

(٣) الفاتحة /٦.

(٤) قال في العنوان ص: ٦٧ : " وأشم خلاد في هذه السورة فقط "، أي أن خلاد عن حمزة قرأ في حرفي ﴿ **الصراط** ﴾، و﴿ **صراط** ﴾من سورة الفاتحة فقط بإشمام الصاد زاي، وفي القصيدة قرأ بإشمام الحرف الأول فقط قال الإمام الشاطبي : " واشمم لخلاد الاولا ".

(٥) قالون له في ميم الجمع إذا وقعت قبل محرك من القصيدة التخيير بين الإسكان أوالضم والصلة قال الشاطبي : " وصل ضم ميم الجمع قبل محرك دراكا وقالون بتخييره جلا "

أما من طريق " العنوان " فله الإسكان قولاً واحدًا، انظر العنوان ص: ٤١.

الإدغام الكبير[1]

لا يدغم أبو عمرو شيئًا من المتحرك سوى ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾[2] فبكماله على أصله.

هاء الكناية

[أشبع هشام[3] الهاء في : ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ في الموضعين[4]، و ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ في الثلاثة[5]، و﴿نُوَلِّهِۦ﴾[6]، و﴿وَنُصْلِهِۦ﴾[7]، و ﴿فَأَلْقِهْ﴾[8]، و][9] أشبع هشام [وخلاد][10] ﴿وَيَتَّقْهِ﴾[11]، واتفق القراء على إشباع

---

(١) أي أن الإمام الشاطبي زاد في الشاطبية باب الإدغام الكبير، و لم ينص عليه في العنوان فليس من طريقه الإدغام الكبير .

(٢) النساء /٤١، قال في العنوان ص: ٨٥ : " ﴿ بيت طائفة ﴾ بالإدغام أبو عمرو وحمزة .

(٣) أي أن هشام وصل هاء الكناية بياء في الوصل في هذه المواضع المنصوص عليها عاليه من طريق العنوان انظر باب هاء الكناية هناك ص: ٤٢، أما في القصيدة فقد قصر هشام الياء بخلاف عنه في ذلك كله قال الشاطبي : وسكن يؤده مع نوله ونصله ونؤته منها ....
حتى قال : وفي الكل قصر الهاء بان لسانه بخلف ....

(٤) آل عمران /٧٥ .

(٥) آل عمران / ١٤٥، موضعان، الشورى /٢٠ .

(٦) النساء / ١١٥.

(٧) النساء /١١٥.

(٨) النمل /٢٨.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) .

(١١) النور/٥٢، لخلاد من طريق الشاطبية إسكان الهاء أو الكسر والصلة قال في الشاطبية : " ويتقه حمى صفوه قوم بخلف "، وفي العنوان قال ص: ١٣٩"ويتقه بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء حفص، الباقون بكسر القاف، وأسكن الهاء الأبوان،واختلس كسرتها قالون، ووصلها الباقون بياء".

﴿يَأْتِهِۦ﴾[(١)] في طه، وأسكن ﴿يَرْضَهُ﴾[(٢)] أبو عمرو وحده، واختلس[(٣)] هشام وجهًا واحدًا مع من اختلس، واختلف عن أبي بكر فاختلس وسكن[(٤)].

المد والقصر

أطول القراء مدا في الضربين[(٥)]ورش ، وحمزة ، ودونهما الباقون [مدًا][(٦)] وسطًا، وقصر المنفصل قالون ، والدوري مع من

---

(١) طه /٧٥، قرأ قالون وهشام ﴿ **ومن يأته** ﴾ في سورة طه بكسر الهاء مع القصر أو الوصل فذلك وجهان، وقرأ السوسي بإسكان الهاء من طريق القصيدة قال :

.... ويأته لى طه بالاسكان يجتلا

وفي الكل قصر الهاء بان لسانه بخلف وفي طه بوجهين بجلا

ولم يذكر في العنوان ﴿ **ومن يأته** ﴾ في الأصول أو الفرش، ولكنه قال في أصل العنوان الذي هو كتاب الاكتفاء ص: ١٩٩ طبع دار نينوي " وكلهم قرأ ﴿ **ومن يأته مؤمنا** ﴾ بوصل الهاء بياء في اللفظ "، أي أنه قرأ بالإشباع مثل باقي القراء، والله أعلم .

(٢) الزمر/٧ .

(٣) في (ب) وبالعكس .

(٤) الدوري عن أبي عمرو أسكن الهاء من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وهو السكون أو الضم مع الصلة، وقرأ هشام من طريق العنوان بضم الهاء مع القصر، ومن القصيدة له الخلف بين السكون أو القصر مع الضم، أما أبو بكر فبضم الهاء والقصر من طريق القصيدة، وله من العنوان ثلاثة أوجه : السكون أو الضم مع القصر أو الضم مع الصلة قال في الشاطبية :

وإسكان يرضه يمنه لبس طيب بخلفهما والقصر فاذكره نوفلا

وفي العنوان ص: ١٦٥ قال : " ﴿ **يرضه** ﴾ بإسكان الهاء أبو عمرو، وأبو بكر بخلف عنه، واختلس ضمتها نافع، وعاصم بخلف عن أبي بكر، وحمزة، وهشام، ووصلها الباقون بواو " .

(٥) في (ب) المصريين، وهو تصحيف، والمراد بالضربين المد المتصل والمد المنفصل.

(٦) ما بين المعقوفتين (أ) زائد في (أ) .

قصر[1].

وأشبع ورش المد في ﴿ ءَامَنَ ﴾ وشبهه، وجهًا واحدًا، ولم يستثن [له شيئًا][2]، وعبارته في غاية الإشكال[3]، ولكن أجمع من قرأت عليه من الشيوخ على أن يُسْتَثْنَى له ما استثناه الشاطبي، سوى ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ فبالمد كالباب لأنه مَثَّلَ به[4] .

وأطلقوا[5] المد في ﴿ يُؤَاخِذُ ﴾، و ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ في يونس[6] معا، و ﴿ عَادًا

---

(١) قال صاحب العنوان ص ٤٣ : " وأطولهم مدًا حمزة وورش " وبين ذلك في الاكتفاء فقال ص: ٣٢: " غير أنهم يتفاضلون في المد ؛ فأشبعهم مدًا حمزة وورش، ثم عاصم دون مذهبهما قليلاً، ثم ابن عامر والكسائي دون مد عاصم قليلاً، وهذا الإشباع الذي يتفاضلون فيه إنما هو على التقريب، من غير تمطيط ولا إسراف " . أما من طريق القصيدة فعنهما خلاف بين القصر والمد والتوسط قال الإمام الشاطبي :

إذا ألف أو ياؤها بــعد كسرة   أو الواو عن ضم لقى الهمز طولا

فإن ينفصل فالقصر بادره طالبا   بخلفهما يرويك درا ومــخضلا

(٢) في (أ) سقط ما بين المعقوفتين .

(٣) قال في العنوان ص ٤٤ : " وكان ورش يشبع المد في حروف المد واللين الواقعة بعد الهمزة نحو ﴿ **آمنا** ﴾، **و** ﴿ **آدم** ﴾ . . . . . **و**﴿ **إسرائيل** ﴾ وما أشبه ذلك " وكذلك في الشاطبية جعل له القصر والتوسط والمد قال الإمام الشاطبي :

وما بعد هــمز ثابت أو مغير   فقصر وقد يروى لورش مطولا

ووســطه قوم كآمن هؤلاء   آلــهة آتى لــلايــمان مثــلا

(٤) نص الشيخ أبو طاهر على مد ﴿ **إسرائيل** ﴾ كما في الفقرة السابقة حيث نص على الكلمة ومثل بها للباب، واستثناه الشاطبي رحمه الله حيث قال :

سوى ياء إسرائيل أو بعد ساكن   صحيح كقرآن ومسئولاً اسئلا

(٥) في (أ) وأطلق .

(٦) يونس /٥١، ٩١، في (ب) بيونس .

﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾[١] بالنجم، طردًا للباب ؛ لا أعلم بينهم في ذلك خلافًا، وبه قرأت.

إلا أن المحققين منهم كانوا يستثنون ﴿يُؤَاخِذُ﴾ كيف وقع ؛ وبه آخذ.

وفي ﴿ عين ﴾ لجميع القراء التوسط وجهًا واحدا في الموضعين[٢] .

[ولم يمد ورش][٣] من حروف اللين قبل الهمز سوى ﴿شَيۡءٍ﴾[٤] كيف أتت، ووافقه على المد فيها حمزة فلم يسكت،[ومدها مدًا متوسطًا] [٥].

باب الهمزتين من كلمة

في المفتوحتين ورش بالتسهيل من غير بدل كقالون وغيره[٦]، وهشام

---

(١) النجم / ٥٠.

(٢) أجمع القراء على تمكين العين من الحروف المقطعة ﴿ **كهيعص، حم عسق** ﴾ من أجل حرف اللين من طريق العنوان قال في العنوان ص٤٢ بعد ذكره الإجماع على التمكين :" ولا يمدون لأنه ليس بحرف مد " وقال في القصيدة :

ومد له عنـــد الفواتح مشبعا   وفي عين الوجهان والطول فضلا

(٣) في (ب) (والمد يمد)، وهو تصحيف .

(٤) سقطت (شيء) من (ب) .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) (ومدهما مد متوسط)، والصواب ما أثبته، قال في العنوان ص٦٨ :" ﴿**على كل شيء قدير** ﴾ بالمد في هذه الكلمة كيف تصرفت حمزة وورش " فحمزة من العنوان بالمد وهو بالسكت قليلا من طريق الشاطبية بخلاف عن خلاد، وقرأ ورش بالمد من طريق العنوان وبالمد والتوسط من طريق القصيدة قال الشاطبي :

ويسكت في شيء وشيئًا وبعضهم   لدى اللام للتعريف عن حمزة تلا

وشيء وشيئًا لم يزد ....

(٦) قرأ ورش بتسهيل الهمزة الثانية من المفتوحتين من طريق العنوان قال أبو طاهر ص ٤٤ " وأما المفتوحتان نحو ﴿ **أأنذرهم** ﴾ فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتليين الثانية فتصير كالمدة في اللفظ "، وعن ورش خلاف من طريق القصيدة وهو التسهيل أو البدل قال الإمام الشاطبي :

وقل ألفًا عن أهل مصر تبدلت   لورش وفي بغداد يروى مسهلا

بالتسهيل وجهًا واحدًا ؛ وهو على أصله في إدخال الألف[1] .

وقول العنوان في الأعراف في قراءة قنبل في ﴿ءَامَنتُم ﴾[2] يقتضي أن يكون بواو[3] بعدها ألف محضة ؛ وبذلك قرأت، وهذا في الوصل، وأما في الابتداء فالذي قرأت به : تحقيق الأولى، وتسهيل الثانية فقط[4] .

---

(١) قرأ هشام بتسهيل الثانية من المفتوحتين من طريق العنوان كما نص في العنوان في الفقرة السابقة، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو التسهيل والتحقيق قال الإمام الشاطبي : " **وبذات الفتح خلف لتجملا** "، واتفقت القصيدة مع العنوان على المد لهشام بين الهمزتين المفتوحتين، وإنما الخلاف في تسهيل الثانية أو تحقيقها، قال في العنوان ص٤٤: " غير أن أبا عمرو وقالون وهشام أطولهم مدًا لأنهم يدخلون بينهما مدًا " .

(٢) الأعراف /١٥٣ .

(٣) في (أ) (واو) .

(٤) قال صاحب العنوان ص٩٧ : " ﴿ **قال فرعون وآمنتم به** ﴾ بواو موضع الهمزة بعدها ألف هاهنا فقط قنبل ... " قال الإمام يحيى بن أحمد الأندلسي في كتابه : البيان في الجمع بين الشاطبية والعنوان ص (٤/ب) : وفي ذلك نظر، قال في التيسير : " قنبل ﴿**قال فرعون آمنتم به** ﴾ يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير ألفين " انتهى قلت بتوفيق الله تعالى : والذي ذكر صاحب التيسير هو الصواب وبالله التوفيق، واعلم أن الهمزة المفتوحة يعبر عن تسهيلها بين بين وهو القياس والعرف وعليه جرت القصيدة، ومنهم من يعبر عنها بالمد كما تقدم وقد عبر عنها في العنوان بالمد والله أعلم، قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله في تأليفه المسمى بالتذكار : قال أبو الفتح بن شيطا و لم أقرأ على شيوخي في قراءة من مذهبه تليين الهمزة الثانية من هذا الباب إلا بإبدالها ألفا ولا لفظ لي بها إلا كذلك، والصواب الصحيح الموافق لتراجم القراءات هو أن تكون الهمزة ملينة الصوت على حركتها مخففة لا فرق بينهما إلا تليين صوتها فقط وهذا بين بالمشافهة، فأما الأول فعلى غير القياس لأنه المعروف بالقياس، وسألت شيخنا أبو طاهر بن سوار عن تحقيق ذلك فقال : القول ما قاله أبو الفتح، والذي ذكرناه في كتابنا على سبيل التقريب على المبتدئ، وسألت أبا الكرم عن التحقيق في ذلك فقال : الذي حكاه الشيخ أبو الفتح هو مذهب النحاة، ومذهب القراء يرجع إليه مَعْناً ويخالفه لفظا، وسألت الرئيس أبا الخطاب عن ذلك فقال الذي حكاه الشيخ أبو الفتح شافهته به=

وقوله في الأحقاف في ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾[١] لهشام، وابن كثير : يحمل على أصليهما[٢].

وفي المكسورة بعد الفتح لا يفصل هشام سوى في السبعة المواضع، وسهل مع ذلك حرف فصلت وجهًا واحدًا .

و لم يدخل هشام بين الهمزتين ألفًا في ﴿أَئِمَّةَ﴾[٣].

وفي المضمومة بعد الفتح قالون، وأبو عمرو بلا فصل، وهشام في آل عمران كحفص، وفي الباقي بالتسهيل والفصل .

وكذا ﴿أَشَهِدُواْ﴾[٤] قالون كورش بلا خلاف .

وأما ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾[١] وبابه، فالتسهيل لكل القراء وجهًا واحدًا .

= حين قراءتي عليه فلم أر فيه فرقا بين اللفظين، لكن تخفيف التحقيق في الهمزة الثانية حكاه شيخنا أبو الفتح وعليه الاعتماد، والذي عندي في ذلك أن الذي قاله شيخنا أبو الكرم هو القول المعول عليه والتحقيق الذي يرجع إليه، انتهى ما نقلته من كتاب المبهج رحمة الله عليهم أجمعين. قال في القصيدة :

وطه وفي الأعراف والشعرا بها ءامنتم لــلكل ثالـــثا أبدلا

(١) الأحقاف /٢٠ .

(٢) في (أ) (تحمل على أصلها)، قال في العنوان ص١٧٥ : " ﴿ **ءاذهبتم** ﴾ بهمزة بعدها مدة ابن كثير وهشام، ﴿ **أأذهبتم** ﴾ بهمزتين من غير مد ابن ذكوان، الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر "، وقال في القصيدة :

وهمزة أذهبتم في الأحقاف شفعت بأخرى كما دامت وصالا وموصلا

(٣) التوبة /١٢ . قرأ هشام ﴿ **أئمة** ﴾ بغير مد من طريق العنوان، وعنه خلاف في المد وتركه من طريق القصيدة قال الإمام الشاطبي :

وآئمة بالخلف قـــد مـــد وحده وسهل هنا وصفا وفي النحو أبدلا

قال في العنوان : " ﴿ **أئمة** ﴾ بالهمزتين ابن عامر والكوفيون، وكذلك حيث وقعت هذه الكلمة " .

(٤) الزخرف /١٩، قال في العنوان ص : ١٧١ : ﴿ **أؤشهدوا خلقهم** ﴾ نافع، الباقون ﴿ **أشهدوا** ﴾.

وهذا معنى قول العنوان بهمزة بعدها مدة كما هو مراده[٢] حيث قال في الملك في قراءة من سهل ﴿ أَأَمِنتُمْ ﴾ : " بهمزة بعدها مدة "[٣] .

وعلى ذلك شرح[٤] عبد الظاهر كلامه، وهو الحق ألا تراه قال في قراءة ورش بالنقل ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾، و﴿ قُلْ ءَآللَّهُ ﴾[٥]، و﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾[٦]فتحركها /٢أ/ بحركتها، وتسقط الهمزة فتنطق[٧] بمد يسير من غير همز إذ لا فرق في المد الساكن بين ورش وغيره ؛ وهذا واضح[٨]، وقد قرأت به، وبه آخذ، وإنما نبهت على ذلك لأن بعض الناس توهم[٩] أن عبارته تعطي[١٠] البدل، وليست[١١] كذلك .

---

(١) الأنعام / ١٤٣، ١٤٤، قال في العنوان ص : ٤٦ " إلا أن ورشًا نقل حركة الهمزة إلى اللام الساكنة التي قبلها في قوله: ﴿**قل الذكرين**﴾ في الموضعين ".

(٢) في (أ) (زيادة) .

(٣) العنوان ص : ١٩٤.

(٤) في (أ) شروح، وابن نشوان سبقت ترجمته .

(٥) يونس /٥٩ .

(٦) الأنعام / ١٤٣، ١٤٤ .

(٧) في (ب) فتلفظ .

(٨) في (أ) واقع .

(٩) في (ب) تتوهم .

(١٠) في (ب) يعطي .

(١١) في (ب) وليس .

باب الهمزتين من كلمتين[(١)]

قرأ قالون والبزي ﴿ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا ﴾[(٢)] بتسهيل الأولى بين بين، وجهًا واحدًا[(٣)] .

وسهل الثانية من المتفقتين في الثلاثة ورش وقنبل وجهًا واحدًا، ولا فرق لورش بين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَنتَ ﴾[(٤)]، و ﴿ ٱلْبِغَآءِ إِنْ ﴾[(٥)] وبين غيرهما، ولم يذكر جواز القصر في حرف المد قبل همز مغير ؛ فالمد على الأصل[(٦)] .

وفي باب ﴿يَشَآءُ إِلَىٰ ﴾ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويجعلون الثانية بين

---

(١) في (ب) الهمزتين بالكلمتين .

(٢) يوسف /٥٣، قرأ قالون والبزي ﴿ **بالسوء إلا** ﴾ بتليين الهمزة الأولى كالياء المختلسة الكسر من العنوان ص: ٤٧ " وقرأ أبو عمرو: بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية فتحصل في قراءته مدة واحدة قبل الهمز فقط، وتابعه البزي وقالون في المفتوحتين لا غير، وقرأ في المكسورتين و المضموتين بتليين الأولى، وتحقيق الثانية، فتصير الأولى من المكسورتين كالياء المختلسة الكسرة، ومن المضمومتين كالواو المختلسة الضمة "، وعنهما من طريق القصيدة وجهان : الأول : إبدال همزة الأولى واوا ، وإدغام الواو الساكنة فيها ، والثانية تسهيل الهمزة الأولى وتحقيق الثانية على أصلهما في المكسورتين قال في القصيدة :

وبالسوء إلا أبدلا ثم أدغما وفيه خلاف عنهما ليس مقفلا

قال الفاسي في شرحه على الشاطبية : ويقال إن الإبدال عن قالون أكثر، والتسهيل عن البزي أشهر .

(٣) العبارة في (ب) بها تقديم وتأخير .

(٤) البقرة / ٣١.

(٥) النور /٣٣.

(٦) قال في العنوان ص : ٤٧ " فقرأ قنبل وورش بتحقيق الأولى، وتليين الثانية فتحصل في قراءتهما مدتان: مدة قبل الهمزة، ومدة بعدها. غير أن المدة الأولى أطول لأنها ألف محضة، والثانية: ليست ألفًا محضة، ولا ياءً ولا واوًا، وإنما هي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها ".

الهمزة[1] والياء وجهًا واحدًا[2] .

الهمز المفرد[3]

عبارة العنوان في ﴿الذيب﴾[4] في يوسف توهم[5] أن السوسي يحققها[6]، وليس كذلك، بل هو على أصله في ترك الهمزة[7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) الهمز .

(٢) قرأ الحرميان وأبو عمر ﴿ **يشاء إلى** ﴾ وما أشبهه بتسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء من العنوان ص: ٤٧ قال : " وأما المختلفتا الحركتين، فقرأ الحرميان وأبو عمرو بتحقيق الأولى، وتليين الثانية. فإن كانت الثانية مفتوحة، وقبلها ضمة أو كسرة، قلبوها حرفا من جنس حركة ما قبلها نحو: ﴿**السفهاءُ إلا، و أَن لو نشاءُ أصبناهم**﴾ هذه واو محضة، و﴿**من الشهداء أن تضل وهؤلاء أضلونا**﴾ هذه ياء محضة.وإن كانت الثانية مكسورة، أو مضمومة جعلوها من الهمزة والحرف الذي منه حركتها ولم يحفلوا بحركة ما قبلها نحو: ﴿**الشهداء إذا ما والبغضاء إلى و جاء أمة** ﴾ وما أشبه ذلك " ولهم من القصيدة ثلاثة أوجه وهي : إبدال الثانية واوًا، أو بالتسهيل بين الهمزة والياء أو بالتسهيل بين الهمزة والواو وهذا الثالث يفهم من لفظ القصيدة، قال الإمام الشاطبي :

وتسهيل الاخرى في اختلافهما سما   تفئ إلى مع جــاء أمــة أنــزلا
نشاء أصبــنا والسماء أو أئــتــنا   فنوعان قل كالياء وكالواو سهلا
ونوعان منها أبــدلا منهما وقــل   يشــاء إلى كالياء أقيــس معدلا
وعن أكثــر القراء تــبدل واوهــا   وكل بــهمز الكل يــبدا مفصلا

(٣) في (أ) الهمزة المفرد .

(٤) يوسف / ١٣، ١٤، ١٧ قال في العنوان ص: ١١٠ : "﴿ **الذيب**﴾ بغير همز الكسائي وورش " .

(٥) في (ب) يوهم .

(٦) في (ب) تحققها .

(٧) في (ب) الهمز، انظر العنوان ص ٥١، وما بعدها، قال في آخرها :" والذي قرأت به لأبي عمر الدوري بالهمز وللسوسي بغير همز " .

ونص على الهمز في ﴿ يألتكم ﴾[١] لأبي عمرو بكماله، وهو مخصص بما تقدم في بابه، والبدل للسوسي .

وكذلك نصه على ﴿لُؤْلُؤٌ ﴾[٢] في [الحج لأبي بكر فخص][٣] بما تقدم أيضًا.

باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها

لا ينقل[٤] ورش ﴿كِتَٰبِيَهْ إِنِّي ﴾[٥] أي في الحاقة وجهًا واحدًا، ولم يذكر وجه الاعتداد بالعارض في الابتداء فيبدأ بالأصل مطلقًا .

[و][٦] لا ينقل حمزة إلى[٧] شيء مما ينقل [إليه][٨] في الوقف مما كان من كلمتين أو في حكمهما وجهًا واحدًا،ويسكت على الساكن الصحيح أو ما في حكمه على ما كان من كلمتين،أو ما في حكمه حمزة في روايته وجهًا واحدًا وقفًا ووصًلا نحو:﴿ٱلْأَخِرَةُ ﴾[٩]،﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾، ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ﴾، وإن

---

(١) الحجرات /١٤، قال في العنوان ص ١٧٨ :"﴿ **لا يألتكم** ﴾ بالهمز أبو عمرو ".

(٢) الطور /٢٤ .

(٣) في (ب) [في الجمع لأبي بكر مخصص] .

(٤) في (أ) يقولب، وهو تصحيف .

(٥) الحاقة / ١٩،٢٠، وفي (ب) كتابته، وهو تصحيف، أي يقرأ ورش ﴿**كتابيه إني**﴾ بتحقيق الهمزة من غير نقل قال في العنوان ص ٤٨:" ... ﴿**كتابيه**﴾إلا في الحاقة فإنه لا ينقل إليها حركة الهمزة "، وقال الشاطبي : "... وكتابيه بالاسكان عن ورش أصح تقبلا ".

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٧) في (أ) في .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٩) في (ب) بالآخرة .

كانت عبارته عامه فتمثيله بهذا[١] تخصيص بما[٢] قيدنا، هكذا قرأنا[٣] .

أما ﴿شَيْـًٔا ﴾ كيف تصرف [فقد][٤] تقدم أنه يمد عليه وسطًا كورش.

باب وقف حمزة وهشام على الهمز[٥]

يقف[٦] حمزة على ﴿وَرِءْيًا ﴾[٧] وشبهه، ﴿وَتُـْٔوِىٓ ﴾[٨]، و﴿تُـْٔوِيهِ ﴾[٩] بالإدغام وجهًا واحدًا .

وفي الأصل من الواو، والياء إذا سكن قبل الهمز النقل فقط مثل ﴿شاء، وسوء ﴾[١٠]، ونحوه .

وفي المتطرف بعد الألف ﴿ كالسماء، ويشاء ﴾ البدل ليس إلا [يمد مدًا مشبعًا من أجل الألفين ؛ أو على الأصل][١١] .

---

(١) في (ب) هذا .

(٢) في (ب) كما .

(٣) في (ب) أقرأنا .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) في (ب) وقف حمزة وهشام .

(٦) في (ب) يقصر .

(٧) مريم / ٧٤ .

(٨) الأحزاب / ٥١،

(٩) المعارج /١٣ .

(١٠) في (ب) [ومن سوه] .

(١١) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) قال في العنوان ص٥٥ :" فإن كانت الهمزة التي بعد الألف متطرفة قلبها ألفا على كل حال بأي حركة تحركت لسكونها في الوقف وانفتاح ما قبل الألف التي قبلها، لأن الألف ليست بحاجز حصين فكأن الفتحة قد وليت الهمزة نحو ﴿ **يشاء**﴾، و ﴿ **من ماء** ﴾، =

وفي المتطرف المتحرك بعد متحرك البدل بحركة ما قبلها بنية[1] السكون للوقف .

ولم يذكر رومًا، ولا إشمامًا إلا حالة النقل بالمتطرف، وفي [نحو][2] : ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾، و﴿ سئل ﴾ التسهيل بحركة الهمزة فقط .

ولم يذكر تخفيفًا بحسب اتباع الرسم .

ولم يذكر كسرًا في نحو : ﴿أَنْبِئْهُم﴾[3] .

ولم يذكر في المتوسط بزائد تسهيلاً فالتحقيق[4] ليس إلا .

مثل حمزة في المتطرف بحسب ما تقدم .

الإظهار والإدغام

أظهر خلاد ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[5] .

[وأدغم ابن ذكوان ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ بلا خلاف][6] .

= و ﴿**شهداء**﴾ ويمد مدًا طويلا لاجتماع الألفين" وقال الشاطبي:

ويبدله مهما تطرف مثله ويقصر أو يمضي على المد أطولا

(١) في (ب) بقية، وهو تصحيف .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٣) لم يذكر صاحب العنوان كسر الهاء في ﴿ **أنبئهم، ونبئهم** ﴾، وقال في القصيدة :

وما واو أصلي تسكن قبله أو الياء عن بعض بالادغام حملا

(٤) في (أ) بالتحقيق .

(٥) الأحزاب / ١٠، قرأ خلاد بإظهار ذال إذ عند الزاي في هذا الموضع، قال في العنوان ص٥٦ :" زاد خلاد إظهارها عن الزاي في قوله: ﴿**وَإذ زاغَت الأبصار**﴾ لا غير "، وقرأ من طريق القصيدة بالإدغام.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

ويظهر[١] ابن ذكوان حروف (سجز) ؛ – السين، والجيم، والزاي/٢ب/ – حيث أتت، وأدغمها عند ذلك هشام بلا خلاف[٢] .

وأدغم هشام ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾[٣] فلم يفرق بينه وبين غيره[٤] .

وأظهر خلاد ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ بغير خلاف[٥] .

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾[٦] أظهره خلاد بغير خلاف[٧] .

حروف قربت مخارجها

أدغم[٨] أبو عمرو الراء الساكنة في اللام بلا خلاف[٩] .

---

(١) في (أ) وأدغم .

(٢) قرأ هشام بإدغام تاء التأنيث عند ثلاثة أحرف هي حروف (سجز) السين، والجيم، والزاي من طريق العنوان ص ٥٧: " قرأ الأخوان أبو عمرو وهشام بالإدغام فيها كلها "، وقرأها من طريق القصيدة بالإظهار .

(٣)الحج / ٤٠.

(٤) قرأ هشام ﴿ **لهدمت صوامع** ﴾ بالإدغام من طريق العنوان ص : ٥٧، كما بالنص السابق من العنوان، ومن طريق القصيدة بالإظهار قال الإمام الشاطبي :" وأظهر راويه هشام لهدمت " .

(٥) قرأ خلاد ﴿ **بل طبع** ﴾ في النساء / ١٥٥ بالإظهار من طريق العنوان ص: ٥٧، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :   " وبل في النسا خلادهم بخلافه " .

(٦) الحجرات / ١١ .

(٧) هذه الترجمة مكانها في الباب التالي حيث جعلها الإمام الشاطبي في أول بيت من حروف قربت مخارجها للتقارب بين الباء والفاء، قرأ خلاد ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ بالإظهار من طريق العنوان ص٥٧، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : " وخير في يتب قاصدا ولا " .

(٨) في (ب) (و) زائدة .

(٩) قرأ أبو عمر الدوري عن أبي عمرو بإدغام الراء الساكنة في اللام من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال :   " والراء جزمًا بلامها   كواصبر لحكم طال بالخلف ".

وأظهر ورش النون من ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ بلا خلاف[١] .

وأظهر ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[٢] ورش، وحمزة بلا خلاف ، وأدغمه الباقون بلا خلاف [عن][٣] أحد منهم[٤] .

وأظهر ﴿يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ﴾[٥] قالون بغير خلاف،وعاصم[مع من أظهر][٦] .

وأظهر ﴿ يُعَذِّبُ مَن ﴾[٧] في البقرة، حمزة مع ورش[٨]، والباقون بالإدغام وجهًا واحدًا سوى من رفع[٩] .

---

(١) قرأ ورش ﴿ **ن والقلم** ﴾ بالإظهار من طريق العنوان قال ص١٩٥ :" أدغم النون في الواو ابن عامر والكسائي، وأبو بكر وأظهرها الباقون "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال :" ونون وفيه الخلف عن ورشهم جلا " .

(٢) هود /٤٢ .

(٣) في (ب) من .

(٤) قال في العنوان : ص١٠٧ " ﴿ **اركب معنا** ﴾ بإظهار الباء ورش وحمزة "، وقرأ قالون والبزي وخلاد بوجهين من طريق القصيدة قال الشاطبي :" وفي اركب هدى بر قريب بخلفهم " .

(٥) الأعراف /١٦٧.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة في (ب)، قرأ قالون وعاصم ﴿ **يلهث ذلك** ﴾ بالإظهار من العنوان ص٩٨ قال :" ﴿ **يلهث ذلك** ﴾ بالإظهار الحرميان وعاصم وهشام، وقرأها عاصم وقالون بخلاف عنه من القصيدة قال الشاطبي : " يلهث له دار جهلا　وقالون ذو خلف " .

(٧) البقرة /٢٨٤.

(٨) في (ب) [بالإظهار] زائدة، ولا معنى لها .

(٩) قرأ حمزة ﴿ **ويعذب من يشاء** ﴾ بالإظهار من العنوان مع ورش قال ص٧٦ :" وأظهر الباء ورش وحمزة "، وقرأ بالإدغام من طريق القصيدة قال الشاطبي :

" ...وفي البقرة فقل　يعذب دنا بالخلف جودا وموبلا " .

الفتح والإمالة وبين اللفظين

هذا الباب مشكل في العنوان، وما يخلو[1] من تقصير في العبارة، وها أنا أوضحه لك على حسب ما قرأت به، وما يظهر لي من التصحيح[2] في ذلك فأقول :

أمال نافع بكماله كلما اتفق على إمالته حمزة والكسائي بين بين من ذوات الياء، براء[3] كان أو بغير راء[4]، [إلا ما استثنيته فيما بعد][5] .

وكذلك ﴿أَحْيَا﴾ كيف وقع بين بين له[6] .

وكذلك ﴿أَعْمَىٰ﴾حيث وقع .

وقول العنوان في سورة الإسراء : " وأما الذي في طه فإن[7] معناه الذي [ليس][8] برأس آية، وهو الثاني "[9]، هذا هو الصواب، والله أعلم .

---

(١) في (أ) (يح) .

(٢) في (ب) الصحيح .

(٣) في (ب) سيرا .

(٤) في (ب) نداء .

(٥) ما بين المعقوفتين في (أ) [إلا فيما استثنيته]، نص في العنوان لنافع بكماله على الإمالة بين بين قال ص: ٦٠ " وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين "، أما من طريق القصيد لقالون الفتح قولاً واحدًا، ولورش بوجهين من طريق القصيدة قال: "**وذو الراء ورش بين بين** "، "**وورش جميع الباب كان مقللا** ".

(٦) لمطلق قوله في العنوان ص : ٦٠ :" وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين "، أما حمزة فقال في العنوان : ص٥٩ " حمزة لم يمل إلا ما كان قبله واو فقط "، والكسائي أمال جميع ذلك .

(٧) في (أ) فإنما .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٩) العنوان : ص ١٢٠

وأما ذوات الواو وهو ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1]، و ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿كِلَاهُمَا﴾[2]، فمقتضى إطلاقه أن يميله [نافع][3] بين بين، وبه قرأت على شيخنا الإمام أبي المعالي ابن اللبان – رحمه الله – وعلى غيره، ولكن سألت شيخنا أبا محمد بن البغدادي – رحمه الله – عن ذلك فقال : كان شيخنا أبو عبد الله الصائغ يستثني هذه الثلاثة من إطلاق العنوان[4] .

وأما ﴿تَلَىٰهَا﴾[5]، و ﴿طَحَىٰهَا﴾[6] و ﴿سَجَىٰ﴾[7]، ﴿دَحَىٰهَآ﴾[8]، وكذلك ﴿ٱلْقُوَىٰ﴾[9] فمقتضى إطلاق العنوان إمالتها لنافع بين بين، ولم يذكر لي أحد من شيوخي الذين قرأت عليهم فيها شيئًا، والذي آخذ به فيها، وفي الثلاثة قبلها لنافع من طرق ذا الكتاب بين بين على مقتضى عبارته[10]، وقد نص عليها[11] أبو عمرو الداني الحافظ في جامع البيان ، وأطلق إمالتها

(١) في (ب) (ألم بوا)، وهو تصحيف .

(٢) الإسراء /٢٣ .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٤) قال في العنوان ص ٢١٠ : " ﴿**وضحاها، وتلاها، وطحاها**﴾ بالإمالة، الكسائي وحده، وكذلك﴿**دحاها**﴾ في "والنازعات" و﴿**سجا**﴾ في سورة و "الضحى" وقرأ نافع، وأبو عمرو بين اللفظين في الأربعة، الباقون بالفتح، وقد ذكرنا أواخر آياتها" .

(٥) الشمس / ٢.

(٦) الشمس / ٦.

(٧) الضحى /٢.

(٨) النازعات / ٣٠.

(٩) النجم /٥.

(١٠) في (ب) قراءته .

(١١) في (أ) عليه .

لنافع[1]، وقرأت أنا بإمالتها[2] بين بين [لقالون][3] من طريق أبي محمد سبط الخياط في كتابه[4] المبهج[5] .

وفتح حمزة ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾[6] في طه، وسبح ؛ لأن الفعل لم يأت بعد واو، فإنه لم يخصص الماضي كما فعل الشاطبي ؛ بل عمم، وقال :" ماضيًا /٣١أ/كان أو مستقبلاً "[7]. قلت : وقد حكى الداني في هذين الموضعين خلافًا في جامع البيان لمجيئهما[8] بغير واو وقال إنه قرأ بفتحهما لحمزة على أبي الفتح عن قراءته على عبد الباقي بن الحسن .

وقد انـــفرد[9] العنوان عن كتاب الشـــاطبية بفتح ﴿ٱلرُّءْيَا﴾كيف وقعت[10]،و﴿مَثْوَايَ﴾[11]، و﴿هُدَايَ﴾، و﴿وَمَحْيَايَ﴾[12]، و﴿مَّحْيَاهُمْ﴾[13]،

---

(١) أي إمالتها بين بين انظر جامع البيان ٤٤٩/١ .

(٢) في (ب) بابا، وهو تصحيف .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٤) في (أ) كتاب .

(٥) في (ب) المنهج، وهو تصحيف، انظر المبهج ٣٥٩/١.

(٦) طه/٧٤، والأعلى /١٣.

(٧) العنوان / ٥٩.

(٨) في (أ) بمجيئهما .

(٩) في (ب) تفرد .

(١٠) قال في القصيدة :" ميلا .... ورؤياي والرؤيا ".

(١١) يوسف / ٢٣ .

(١٢) الأنعام / ١٦٢.

(١٣) الجاثية / ٢١ .

و﴿ خطايا ﴾[١] كيف أتى، ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٢]، و﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾[٣]، و﴿زَرْعٍ عَصَانِي﴾[٤]، و ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ في الكهف[٥]، و ﴿وَأَوْصَىٰنِي﴾[٦] بمريم، وفيها[٧]، وفي النمل[٨]﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾ لورش وجهًا واحدًا، ووافقه على فتحها قالون[٩] .

[واتفقا على فتح ﴿مَرْضَاتِ﴾ حيث وقع[١٠]، و ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ لهما][١١].

واتفقا على إمالة ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾[١٢]بين بين لورش وحده[١٣] .

وفتح ورش ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾[١٤] كقالون، هذا ظاهر عبارته في هود، ولكن نصه في باب الإمالة يقتضي بين بين لنافع، وبه قرأت[١٥] .

---

(١) في (أ) وخطاياي،

(٢) آل عمران / ١٠٢ .

(٣) الأنعام / ٨٠.

(٤) إبراهيم / ٣٦.

(٥) الكهف /٦٣.

(٦) مريم / ٣١.

(٧) مريم / ٣.

(٨) النمل / ٣٦ .

(٩) في (أ) لقالون .

(١٠) في أربع مواضع : البقرة / ٢٠٧، ٢٦٥، النساء / ١١٤، والتحريم / ١ .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) لهما : أي لورش وقالون .

(١٢) هود / ٤١

(١٣) في العنوان ص ١٠٧ : " مجراها، بفتح الميم وإمالة الراء الأخوان وحفص، والباقون بضم الميم وأمال الراء أبو عمرو، وقرأها ورش بين اللفظين، وفتحها الباقون " . وقال في القصيدة :" وحفصهم يوالي بمجراها وفي هود أنزلا " .

(١٤) هود / ٤١ .

(١٥) قال في العنوان في هود ص: ١٠٧ " و لم يختلفوا في ضم الميم من ﴿ **مرساها** ﴾ وأمال السين =

وكذا ﴿ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾[1] في الروم، وتخصيصه حمزة والكسائي بالإمالة لا يقتضي[2] أن نافعا يفتحها، بل هو على أصله بين بين .

وفتح السوسي، وورش ﴿أَرَىٰكَهُمۡ ﴾[3]، وظاهر عبارته مما تقدم في باب الإمالة[4] بين بين لقالون[5] .

ولم يخص[6] أبا عمرو في إمالته ذوات الياء بوزن بل بما كان رأس آية مطلقًا بين بين[7] فَعَلَى هذا تمثل بمثل[8] : ﴿ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾[9]، و﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[10] لأنه رأس آية، هكذا رأيت الشيوخ

= الأخوان "، وفي ص : ٦٠ " وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين " .

(١) الروم / ١٠ .

(٢) في (أ) تقتضي .

(٣) الأنفال / ٤٣ .

(٤) في (ب) إمالة .

(٥) قرأ ورش ﴿ **لو أراكهم** ﴾ بالفتح من طريق العنوان، وعنه خلاف من القصيدة، وسكت في العنوان عن قالون، لاندراجه تحت القاعدة العامة في الباب بأن له بين بين، قال في القصيدة : " وفي أراكهم وذوات اليا له الخلف جملا " .

(٦) في (ب) يختص .

(٧) قال في العنوان ص٦٠ " وقرأ أبو عمرو ما كان من ذلك كله رأس آية، وليس في آخره راء بعدها ياء في الخط بين اللفظين" .قال في القصيدة : وذو الراء ورش بين بين .. ..

وكيف أتت فعلى وآخر أي ما تقدم للبصري سوى راهما اعتلا "

إن أبا عمرو يقرأ بالفتح ما على وزن فعلى ما لم يكن في آخره راء أو رأس آية، وفي القصيدة له بين بين قولاً واحدًا .

(٨) في (ب) (نخيل مثل).

(٩) الكهف / ١٣ .

(١٠) محمد / ١٩ .

المصريين يذكرون، وأما شيخنا أبو المعالي بن اللبان الدمشقي فأوقفته على عبارة صاحب العنوان، وقلت له :"إن مقتضى ذلك أن لا تختص[١] رؤوس الآي بالإحدى عشرة سورة بل حيث جاءت رأس آية على أي وزن كانت[٢] يميلها أبو عمرو بين بين "، فقال لي - معناه - :" إن هذا من العام الذي أريد به الخصوص، وأن صاحب العنوان لا[٣] يريد بهذه العبارة إلا[٤] رؤوس آي الإحدى عشرة سورة "، ثم إنه - رحمه الله - أقرأني بفتح ذلك لأبي عمرو .

وخُصَّ أبو عمرو في إمالته ذوات الراء بما رسم بالياء، فَعَلَى هذا[٥] يفتح أبو[٦] عمرو ﴿ تَتْرَا ﴾[٧] حال[٨] الوقف وجهًا واحدًا، كما نص عليها في موضعها[٩]، ونص على إمالتها بين بين لورش وحده، وعلى فتحها لقالون[١٠].

---

(١) في (أ) تخص .

(٢) في (أ) كان .

(٣) في (أ) سقطت (لا) .

(٤) في (أ) سقطت (إلا) .

(٥) في (أ) سقطت (هذا) .

(٦) في (ب) أبا .

(٧) المؤمنون / ٤١ .

(٨) في (ب) حالة .

(٩) في (ب) موضعها .

(١٠) ﴿ **تترى** ﴾ قرأها أبو عمرو بالفتح من طريق العنوان، وعنه ثلاثة أوجه من طريق القصيدة : الفتح، وبين بين، والإمالة المحضة، ووقف أبو عمرو على تترى بوجهين من طريق القصيدة وهي الفتح والإمالة المحضة،قال في العنوان ص ١٣٦:"﴿ **تتراً**﴾ بالتنوين،ابن كثير وأبو عمرو ويقفان بالألف=

وفتح الدوري عن أبي عمرو ﴿ وَيْلَتَى ﴾، و﴿أَنَّى ﴾، و﴿حسرتى﴾، و ﴿ أَسَفَى ﴾ وغيره على أصولهم المتقدمة[١] .

وفتح ابن ذكوان ﴿ زَادَ ﴾ كيف أتى به [في][٢] القرآن وجهًا واحدًا[٣] غير أول البقرة[٤] .

وأمال[٥] الألفات التي قبل راء[٦] طرف بين بين مطلقًا كـ ﴿ٱلنَّارَ ﴾، و﴿ٱلنَّهَارِ﴾[٧]، و﴿ٱلْقَهَّارُ﴾[٨]، و﴿ٱلدَّارُ﴾ حمزة، ونافع، وأبو الحارث[٩].

=عوضا من التنوين،والباقون ﴿تترى﴾ بغير تنوين، وأماله الأخوان وقرأه ورش بين اللفظين وفتحه الباقون " .

(١) قرأ الدوري هذه الكلمات الأربع إذا كانت استفهامية بالفتح من طريق العنوان، وبين اللفظين من طريق القصيدة قال : " وياويلتى أنى ويا حسرتى طووا وعن غيره قسها ويا أسفى العلا " .

(٢) ما بين المعقوفتين زائدة في (ب) .

(٣) في (ب) واحد .

(٤) قرأ ابن ذكوان ﴿ زاد ﴾ غير أولى البقرة بالفتح من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، واتفق القصيدة والعنوان على إمالة الحرف الأول من البقرة، قال الشاطبي :

وحاق وزاغوا جاء شاء وزاد فز وجاء ابن ذكوان وفي شاء ميلا

فزادهم الأولى وفي الغير خلفه ....

(٥) في (ب) وإمالة .

(٦) في (أ) راه .

(٧) سقطت من (أ) .

(٨) سقطت من (ب) .

(٩) انظر العنوان ص٦١، ٦٢، أي أن حمزة وقالون من طريق الشاطبية لهما الفتح، ولحمزة تقليل ﴿البوار ﴾، ﴿والقهار ﴾ فقط وقال في القصيدة :

وفي الـفات قبل را طرف أتت بكسر أمل تدعى حميدا وتقبلا =

وأمال ما تكررت فيه الراء كـ ﴿ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ حمزة، وأبو عمرو[١] والكسائي [بالإمالة المحضة][٢]، وبين بين نافع، وابن ذكوان[٣] .

وأمال ﴿ هَارٍ ﴾[٤] /٣ب/ ابن ذكوان مع من أمال بلا خلاف، وبين بين ورش وحده، وفتح قالون مع من فتح .

وفتح ورش ﴿ جَبَّارِينَ ﴾[٥] ،﴿ وَٱلْجَارِ ﴾[٦] بلا خلاف .

وفتح ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ مع من فتح [نافع بلا خلاف][٧] .

وفتح الدوري عن الكسائي ﴿ يُوَٰرِى ﴾[٨] ، ﴿ فَأُوَٰرِىَ ﴾[٩] بلا خلاف،

= .... وورش جميع الباب كان مقللا

وهذان عنه باختلاف ومعه في الـــ بـــوار وفي القهار حمزة قـــللا

(١) في (ب) كأبي عمرو .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٣) ما تكررت فيه الراء مثل ﴿ **الأبرار** ﴾ حمزة يقرأه بالإمالة المحضة من طريق العنوان، وبين اللفظين من طريق القصيدة، وأبو الحارث يقرأه بالإمالة المحضة من طريق القصيدة والعنوان، وقالون وابن ذكوان يقرآنه بين اللفظين من طريق العنوان وبالفتح من القصيدة، قال في العنوان ص ٦٢ : " ما تكررت فيه الراء نحو: الأبرار والأشرار وقرار، فإن حمزة وأبا الحارث قرآه بالإمالة، وقرأه نافع وابن ذكوان بين اللفظين " . انظر العنوان ص٦١، وقال في القصيدة :

وإضجاع ذي راءين حج رواته كالابرار والتقليل جادل فيصلا

(٤) في (أ) جبار، والصواب ما أثبته قال في العنوان :" {هار} بالإمالة النحويان، وأبو بكر، وابن ذكوان، وورش بين اللفظين، الباقون بالفتح.

(٥) في موضعي : المائدة / ٢٢، الشعراء / ١٣٠ .

(٦) موضعي النساء الآية ٣٦ .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (ب)، ولورس بين بين من الشاطبية قولا واحدا .

(٨) في موضعين : المائدة / ٣١، الأعراف / ٢٦ .

(٩) المائدة / ٣١ .

[وفتح ﴿ضِعَـٰفًا﴾[1]، و﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾[2] مع خلاد[3] بغير خلاف][4] .

وفتح أبو عمرو[5] ﴿ النَّاس ﴾ من غير خلف[6] .

وفتـــح ابـــن ذكـــوان ﴿حِمَارِكَ ﴾[7]، و﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾[8] غير المجرور بغير خلف[9] .

وأمال ابن ذكوان بين بين ﴿عِمْرَٰنَ﴾[10]حيث وقع سوى التي في التحريم فإنه نص عليها بالإضجاع، وكذلك بين بين ﴿إِكْرَٰهِهِنَّ﴾[11]بلا خلاف .

---

(١) النساء / ٩ .

(٢) موضعي النمل / ٣٩، ٤٠ .

(٣) يوجد طمس في (ب)، في جملة (مع خلاد) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، قرأ الدوري عن الكسائي { يواري، فأواري } في العقود بالفتح في الحرفين من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وهذا مما خرج به الشاطبي عن طريق القصيدة، قال الشاطبي : " يواري أواري في العقود بخلفه ".

(٥) في (أ) الناس، أبو عمرو .

(٦) قرأ أبو عمرو ﴿ **الناس** ﴾ المجرور بالفتح من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة فالدوري بالإمالة والسوسي بالفتح، قال الشاطبي :" وخلفهم في الناس في الجر حصلا".

(٧) قرأ ابن ذكوان ﴿ **الحمار** ﴾ في سورة الجمعة بالإمالة المحضة من العنوان، وبالخلف من الشاطبية، وقرأ حمارك في سورة البقرة المجرور بخلاف من طريق القصيدة، ولم يذكر في العنوان إمالتها قال في القصيدة :

حمارك والمحراب إكراههن والــ حمار وفي الإكرام عمران مثلا
وكل بـــخلف لابن ذكوان ما يجر من المحراب فاعلم لتعملا

(٨) في أربعة مواضع : آل عمران / ٣٧، ٣٩، مريم / ١١، ص / ٢١ .

(٩) أمال ابن ذكوان ﴿**المحراب**﴾ في موضع الجر وهما موضعان: في آل عمران ﴿**يصلي في المحراب**﴾، وفي مريم ﴿ **يخرج على قومه من المحراب** ﴾ إمالة محضة من العنوان والقصيدة .

(١٠) في ثلاثة مواضع : آل عمران / ٣٣، ٣٥، التحريم / ١٢ .

(١١) النور / ٣٣ .

وأمال ابن ذكوان﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[(١)][مع و﴿ٱلۡحِمَارِ﴾[(٢)] من غير خلاف] [(٣)].

وفتح السوسي الراء قبل ألف الوصل مثل ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾[(٤)] وصلاً بغير خلاف، ولم يتعرض للوقف على النون[(٥)] بفتح ولا إمالة، والذي يظهر في [ذلك][(٦)] الإمالة مطلقًا وبذلك قرأت، وبه آخذ[(٧)] .

---

(١) موضعي الرحمن / ٢٧، ٧٨ .

(٢) الجمعة / ٥ .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) [معا، و ﴿ **أبكارا** ﴾ من غير خلاف]، وهو تصحيف حيث : أمال ابن ذكوان ﴿ **المحراب** ﴾ في موضع الجر، وهما موضعان في آل عمران، ﴿ **يصلي في المحراب** ﴾، وفي مريم ﴿**خرج على قومه من المحراب** ﴾، وأمال ﴿ **إكراههن** ﴾ في سورة النور، ﴿ **والإكرام** ﴾ في موضعين في الرحمن، و ﴿ **الحمار** ﴾ في سورة الجمعة و ﴿ **عمران** ﴾ إمالة محضة في هذه الحروف كلها من طريق العنوان، وعنه في هذه الحروف الخلف من طريق الشاطبية إلا موضعي ﴿ **المحراب** ﴾ في موضع الجر فإنهما ممالان بلا خلاف من الكتابين قال في القصيدة :

حمارك والمحراب إكراههن والـــ ... الحمار وفي الإكرام عمران مثلا

وكل بخلف لابن ذكوان غير ما ... يجر من المحراب فاعلم لتعملا

(٤) في (أ) سقطت (الدار) .

(٥) في (ب) المنون

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة في (أ) .

(٧) لم يذكر في العنوان إمالة الراء للسوسي إذا لقيت الساكن في الوصل وذكر له ابن الجزري الإمالة كما ذكر في النص، وعنه خلاف من طريق القصيدة ،وذكر في القصيدة له ثلاثة أوجه في الوقف على المنون وهي : الفتح، أو الإمالة، والوجه الثالث الفتح في موضع النصب والإمالة في موضع الرفع والجر، ولم يذكر ذلك في العنوان قال في القصيدة :

ولا يمنع الإسكان في الوقف عارضا ... إمـــالة ما لـــلكسر في الوصل ميلا

وقبل سكون قف بـــما في أصولهم ... وذو الراء فيه الخلف في الوصل يجتلا

كموسى الهدى عيسى بن مريم والقرى الـــ ... لتي مع ذكرى الـــدار فافهم محصلا

إمالة هاء التأنيث في الوقف

أمال الكسائي هاء التأنيث، وما قبلها إلا عند الحروف العشرة[1] بلا خلاف، وإن[2] وقعت الهاء بعد همزة قبلها فتح، أو ألف نحو : ﴿ٱمۡرَأَةٌ﴾، و ﴿بَرَآءَةٌ﴾ فتحها بلا خلاف[3]، وإن وقع قبلها ساكن غير الألف أمالها بلا خلاف سواء كان قبل الساكن فتحة، أو كسرة، نحو : ﴿سَوۡءَةَ﴾[4] ، و ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾.

قلت : وقد اختلف أهل الأداء فيما إذا كان قبل الساكن فتح، فمنهم من روى الإمالة ليس إلا كصاحب العنوان وغيره، وقد حكاه الداني في جامع البيان .

وإن وقعت بعد كاف أو راء، وقبلهما[5] غير كسرة أو ياء ساكنة فتحها

---

(١) في (أ) العشر، الحروف العشرة في القصيدة :

وفي هاء تأنيث الوقوف وقبلها ممال الكسائي غير عشر ليعدلا

ويجمعها حق ضغاط عص خطا ....

أما في العنوان فقد ذكر نفس الحروف فقال ص٦٣ : " إلا أن يقع قبل الهاء عشرة أحرف يجمعها أواخر كلمات هذا البيت :

يروغ أخ لفرط حريق غيظ يمض بنص داع راح يلحى "

ملحوظة : تصحيح البيت من مخطوط العنوان، وهو مكتوب خطأ في المطبوعة.

(٢) في (أ) سقطت (و) .

(٣) إن وقع قبل الهمزة فتحة أو ألف نحو ﴿ **امرأة** ﴾ و ﴿ **براءة** ﴾ وقف بالفتح من طريق العنوان (انظر ص ٦٣)، وعنه خلاف من طريق القصيدة والأشهر الفتح .

(٤) المائدة / ٣١ .

(٥) في (أ) قبلها .

بلا خلاف نحو: ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾، و﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[١]، و﴿ٱلشَّوۡكَةِ﴾[٢]، و﴿شَجَرَةٍ﴾، و﴿حُفۡرَةٍ﴾، ﴿مَّحۡشُورَةً﴾ .

وإن وقعت بعدها و لم يكن قبل الهاء[٣] كسرة، فتحها أيضًا بغير خلاف، ولكن [إن حال][٤] بين الكسرة وبينها ساكن، فمقتضى عبارته الفتح كـ ﴿وَجۡهَهُۥ﴾ والذي آخذ به الإمالة، إذ لا أعلم أحدًا من أهل الأداء استثناه[٥].

الراءات

فخم ورش كل راء مضمومة سواء كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة[٦] نحو : ﴿ فَبَشِّرُوا ﴾[٧]، ﴿ٱنفِرُواْ﴾[٨]، و ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ ، و ﴿ خَبِيرٌ ﴾، و﴿بَصِيرٌ﴾ ، وفخم من الراء[٩] المفتوحة إذا كان بعدها[١٠] ألف وبعد الألف عين نحو ﴿سِرَاعًا﴾ ، و﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعًا﴾[١١] ، ورقق

---

(١) في (أ) والهلكة، البقرة / ١٩٥ .

(٢) الأنفال / ٧ .

(٣) في (أ) مالها .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) [إدخال] وهو تصحيف .

(٥) في (ب) استثناها .

(٦) قرأ ورش الراء المضمومة إذا انكسر ما قبلها أوكان قبلها ياء ساكنة بالتفخيم من طريق العنوان انظره ص٦٣، وهي مرققة من طريق القصيدة قال الشاطبي :

ورقق ورش كل راء وقبلها مسكنة ياء أو الكسر موصلا

(٧) سقطت الآية من (ب) .

(٨) سقطت الآية من (أ) .

(٩) سقطت (الراء) من (أ) .

(١٠) في (أ) قبلها، وهو خطأ .

(١١) الحاقة / ٣٢، يفخم ورش الراء إذا كان بعدها ألف بعدها عين مفتوحة نحو ﴿ **سراعًا**،=

﴿ إِرَمَ ﴾[1] ، وباب ﴿ذِكْرًا﴾، و﴿سِتْرًا﴾ بلا خلاف[2] ، وكذلك ﴿حَيْرَانَ﴾[3]، وفخم ﴿بِشَرَرٍ﴾[4].

اللامات

رقق ورش اللام [الواقع بعدها][5] طاء بلا خلاف مطلقًا نحو ﴿ٱلطَّلَٰقَ﴾، و﴿مَطْلَعِ﴾[6] /٤٤أ/، وكذلك ﴿طَالَ﴾[7]، و ﴿فِصَالًا﴾[8]وبابه

=**وسبعون ذراعًا** ﴾ من طريق العنوان حيث أنهما مما استثناه من الترقيق قال ص٦٣ :" الخامس : إذا كان بعد الراء ألف بعدها عين مفتوحة نحو ﴿ **سراعًا، وسبعون ذراعًا** ﴾ " ورققها ورش من طريق القصيدة .

(١) الفجر / ٧ .

(٢) قرأ ورش باب ﴿ **سترا** ﴾ وما أشبهه بالترقيق من طريق العنوان ص٦٢، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال :

" وتفخيمه ذكرًا وسترًا وبابه	لدى جلة الأصحاب أعمر أرحلا ".

(٣) يظهر من قوله في العنوان ص٦٢ : " إذا كانت الراء مفتوحة وكان قبلها كسرة أو ياء قرأها ورش بين اللفظين " أن الراء مرققة لورش، وفيها خلاف من طريق القصيدة قال :" وحيران بالتفخيم بعض تقبلا " .

(٤) المرسلات / ٣٢ . رقق ورش فتحة الراء في ﴿ **بشرر** ﴾ من طريق القصيدة قال :" وفي شرر عنه يرقق كلهم "، ولم يذكرها في العنوان، من هنا ذكر له المؤلف التفخيم .

(٥) في (ب) الواقعة بعد .

(٦) موضعي : الكهف / ٩٠، والقدر / ٥، رقق ورش اللام المفتوحة إذا وقع قبلها طاء مفتوحة أو ساكنة من طريق العنوان، وفخمها من طريق القصيدة قال :

وغــلظ ورش فتح لام لصادها	أو الطاء أو للظاء قبل تنــزلا
إذا فتحت أو سكنت كصلاتهم	ومطلع أيضًا ثم ظل ويوصلا

(٧) سقطت من (أ)، الأنبياء / ٤٤.

(٨) البقرة / ٢٣٣ .

بلا خلاف[١]، ووقفه على اللام كوصله .

وفي مثل رؤوس الآي احتمالان[٢] : إن أخذنا بعموم قوله في الإمالة أملنا ورققنا [٣]، وإن أخذنا بعموم قوله في التغليظ فتحنا، وفخمنا، ولا تجوز[٤] الإمالة مع التفخيم بوجه، وقد أجرى هذين[٥] الوجهين عبد الظاهر في شرح العنوان، ورجح [في مثل ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾[٦] الإمالة مع الترقيق][٧]، وفي مثل ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٨] التفخيم كما هو المشهور.

الوقف على أواخر الكلم

لم يذكر عن عاصم نصًا بروم، ولا إشمام ؛ بل جعلهما له كغيره اختيارًا، كذا[٩] اختار الروم والإشمام على السكون[١٠] .

---

(١) وفي القصيدة له الخلاف حيث قال :" وفي طال خلف مع فصالا "

(٢) في (أ) احتمالين .

(٣) في (أ) ووقفنا، وله من القصيدة الترقيق قال :" وعند رؤس الآي ترقيقها اعتلا ".

(٤) في (ب) يجوز .

(٥) في (ب) غير ظاهرة .

(٦) القيامة / ٣١ .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) .

(٨) البقرة / ١٢٥ .

(٩) في (ب) وكذا .

(١٠) قال الشاطبي : " وعند أبي عمرو وكوفيهم به من الروم والاشمام سمت تجملا " وقال في العنوان ص ٦٤ :" الذين روى عنهم الروم والإشمام في الوقف النحويان وحمزة "، وقال في العنوان المخطوط، وسقط من المطبوع :" فأما الإشمام فلا يكون إلا في المضموم معربًا كان أو مبينًا لأنه ضم الشفتين من غير صوت يسمع، فلذلك لا يسمعه الأعمى " انتهى من المخطوط ٧/أ .

الوقف على مرسوم الخط

أهمل كثيرًا من هذا الباب فلم يذكره في الكتاب، ومقتضى ذلك أن يكون الوقف عنده [على الرسم][1] في كل ما لم [يذكره: فلم يذكر][2] هاء التأنيث المكتوبة تاء[3] .

ولم يذكر[4]﴿مَرْضَاتِ﴾، ولا ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[5]، ولا ﴿وَكَأَيِّن﴾، ولا ﴿مَالِ﴾ في[6] الأربعة، ولا ﴿وَيْكَأَنَّ﴾[7]، ولا ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾، ولا ﴿أَيًّا مَّا﴾، ولا ﴿وَادِ النَّمْلِ﴾[8]، ولا ﴿فِيمَ﴾[9]، و﴿مِمَّ﴾[10] ، و﴿عَمَّ﴾[11]، و﴿لِمَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٢) ما بين المعقوفتين في (أ) (يذكر) فقط .

(٣) في (ب) ياء، وهو تصحيف .

(٤) أي في العنوان أما في القصيدة فقال :

وكوفيهم والمازني ونافع	عنوا باتباع الخط في وقف الابتلا
ولابن كثير يرتضى وابن عامر	وما اختلفوا فيه حر أن يفصلا
إذا كتبت بالتاء هاء مؤنث	فبالهاء قف حقا رضى ومعولا

(٥) النمل / ٦٠ .

(٦) في (أ) (ولا في) .

(٧) القصص / ٨٢ .

(٨) النمل / ١٨ .

(٩) في موضعي : النساء / ٩٧، النازعات ٤٣ .

(١٠) الطارق / ٥ .

(١١) النبأ / ١ .

فيوقف باتباع الرسم [في هذا للجميع][1]، وهذا في غاية الإشكال فإنه مصادم لما ورد عنهم من النصوص في ذلك .

ووقف أبو الحارث على ﴿ هَيْهَاتَ ﴾[2]بالتاء كالجماعة، والخلاف عند صاحب العنوان في الثاني، وأما الأول فالوقف عليه لجميع القراء بالتاء على الرسم، وكذلك ﴿وَّلَاتَ حِينَ ﴾[3] [وقف أبو الحارث وحمزة على رسمه بالتاء كالجماعة]، وكذلك ﴿ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾[4]لأبي الحارث[5]، والباقي وافق فيه الشاطبية .

وياءات الإضافة والزوائد أذكرها آخر كل سورة في الفرش – إن شاء الله تعالى – [وبالله التوفيق][6] .

[وها أنا أذكر الفرش مرتبًا إلى آخر القرآن، والله الموفق][7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (أ) [في الجميع] .

(٢) المؤمنون /٣٦.

(٣) ص/٣.

(٤) النجم /١٩.

(٥) يقف أبو الحارث على ﴿ **هيهات** ﴾ الثاني، وعلى ﴿ **ولات حين** ﴾، وعلى ﴿**أفرأيتم اللات** ﴾ بالتاء في الثلاثة من طريق العنوان ص١٣٦، ١٦٣، ١٨٢، ووقف بالهاء في الثلاثة من طريق القصيدة قال :

وفي اللات مع مرضات مع ذات بهجة ولات رضى هيهات هاديه رفلا

ووقف الدوري عن الكسائي بالهاء في الثلاثة من طريق القصيدة والعنوان (انظر العنوان ١٣٦، ١٦٣، ١٨٢)، ووقف البزي والكسائي على ﴿ **هيهات** ﴾ الأول بالتاء من طريق العنوان وبالهاء من طريق القصيدة، ووقف البزي على ﴿ **هيهات** ﴾ الثاني بالهاء من طريق القصيدة والعنوان .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

سورة البقرة

﴿بَارِئِكُمْ﴾[1]، وأخواته الخمسة[2] بالاختلاس، أبو عمرو بكماله وجهًا واحدًا[3] .

[وإذا وقف حمزة على ﴿ هُزُؤًا ﴾[4]، و ﴿كُفُؤًا﴾ فالنقل وجهًا واحدًا][5] يقتضي ما أصله في بابه .

واختلس أبو عمرو بكماله ﴿أَرِنَا﴾[6]، و﴿أَرِنِي﴾[7] حيث وقع وجهًا واحدًا، وسكوته على التنبيه عليه في الأعراف لا يقتضي الإشباع، بل أحاله[8] على ما تقدم في البقرة .

وحقق[9] البزي[10]﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾[11]بلا خلاف .

---

(١) البقرة /٥٤ .

(٢) أي ﴿ **يأمركم** ﴾، و﴿**يأمرهم** ﴾، و﴿**تأمرهم** ﴾، و﴿**يشعركم** ﴾، و﴿**ينصركم**﴾.

(٣) قرأ أبو عمرو بالاختلاس فيها جميعًا من العنوان قال ص ٦٩:" بالاختلاس في ذلك كله أبو عمرو"، أما من القصيدة فقرأها بالإسكان عن السوسي، وبخلاف بين الإسكان والاختلاس عن الدوري قال :

وإسكان بارئكم ويأمركم لــه ويـــأمرهم أيضًا وتأمرهم تلا
وينصركم أيضًا ويشعركم وكم جليل عن الدوري مختلسا جلا

(٤) البقرة / ٦٧ .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)،وفي (أ) فمقتضى، وله من الشاطبية وجه آخر وهو الإبدال.

(٦) البقرة /١٢٨ .

(٧) البقرة / ٢٦٠.

(٨) في (ب) أماله، وهو تصحيف .

(٩) في (ب) وخفف، وله من الشاطبية الخلاف كما هو معلوم.

(١٠) في (أ) الذي، وهو تصحيف .

(١١) البقرة / ٢٢٠.

و ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾[١] بالصاد ابن ذكوان وجهًا واحدًا مع من قرأ بالصاد، وبالسين البزي، وخلاد وجهًا واحدًا مع من قرأ بالسين[٢].

و﴿بَسۡطَةً﴾[٣] هنا بخلاف[٤] عن أبي بكر[٥].

وسكن العين[٦] من ﴿نِعِمَّا﴾[٧] معا، أبو عمرو، وقالون، وأبو بكر من غير اختلاس[٨] .

---

(١) البقرة /٢٤٥ .

(٢) قرأ البزي ﴿ **ويبسط** ﴾ في البقرة بالصاد من طريق القصيدة وبالسين من العنوان، وقرأ ابن ذكوان في البقرة بالصاد من العنوان وعنه خلاف من طريق القصيدة، أما خلاد فبالسين من العنوان وبالخلف من القصيدة قال الشاطبي :

وصية ارفع صفو حرميه رضى ويبصط عنهم غير قنبل اعتلا
وبالسين باقيهم وفي الخلق بسطة وقل فيهما الوجهان قولا موصلا

وقال في العنوان ص ٧٤:" يقبض ويبصط بالصاد نافع والكسائي وأبو بكر وابن ذكوان والبزي "، وانظر المخطوط ص ١٤/أ حيث لم يذكر البزي في المطبوع .

(٣) البقرة /٢٤٧ .

(٤) في (أ) بخلاف .

(٥) قرأ ابو بكر ﴿ **بسطة** ﴾ هنا بالصاد بخلاف عنه، ابن ذكوان ﴿ **بصطة** ﴾ في الأعراف بالصاد من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وقرأ أبو بكر ﴿**بسطة**﴾في البقرة بالصاد بخلاف عنه من طريق العنوان، وقرأ بالسين وفاقًا للرسم من طريق القصيدة وهو المشهور، واتفق الأئمة السبعة على السين في البقرة من طريق القصيدة ومن وافقهما من كتب القراءات قال في العنوان ص٧٤:"﴿**بصطة**﴾ بالصاد أبو بكر بخلف عنه ".

(٦) في (ب) السين، وهو تصحيف .

(٧) البقرة / ٢٧١، النساء ٥٨.

(٨) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو بكر ﴿ **فنعما** ﴾ في البقرة، وفي النساء بكسر النون وإسكان العين من طريق العنوان، وبإخفاء كسر العين من طريق القصيدة : =

الياءات :

﴿ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1] حذف قالون الياء من الأولى[2] في الحالين، وأثبتها[3] في الثانية وصلاً وجهًا واحدًا .

آل عمران

/٤ب/ ﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾[4] قالون بين بين لورش[5] أو حمزة وجهًا واحدًا[6].

وأثبت الألف في ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾[7] حيث وقع مع تسهيل الهمزة ورش كقالون، وأبو[8] عمرو وجهًا واحدًا، ولم يتعرض إلى [{ ها } هنا][9]،

= نعما معا في النون فتح كما شفا وإخفاء كسر العين صيغ به حلا

أما العنوان فقال ص ٧٥:" ﴿ **فنعما هي** ﴾ ساكنة العين مع كسر النون الأبوان وقالون، ﴿ **فنعما** ﴾ بفتح النون وكسر العين ابن عامر والأخوان والباقون بكسرهما جميعًا ومثله في النساء " .

(١) البقرة / ١٨٦ .

(٢) في (ب) الأول .

(٣) في (ب) وأثبتهما .

(٤) آل عمران /٣

(٥) في (ب) كورش .

(٦) قرأ قالون ﴿ **التوراة** ﴾ بين اللفظين من طريق العنوان قال في ص ٧٨ :" ﴿ **التوراة** ﴾ بالإمالة حيث وقع النحويان وابن ذكوان، وقرأه نافع وحمزة بين اللفظين، الباقون بالفتح "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الإمالة بين اللفظين أو الفتح قال الشاطبي :

وإضجاعك التوراة ما رد حسنه وقلل في جود وبالخلف بللا

(٧) آل عمران / ٦٦، ١١٩، النساء / ١٠٩.

(٨) في (ب) وأبي .

(٩) في (أ) ما بين المعقوفتين [المها]، وهو تصحيف .

[هل][(١)] هي للتنبيه عند أحد من القراء أو لا ؟ . وظاهر كلامه يقتضي أنها مبدلة من همزة في قراءة قنبل، ويبقى الاحتمال للباقين، والله أعلم[(٢)].

وخفف التاء من ﴿كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾[(٣)] البزي بلا خلاف.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾[(٤)] هشام بالخطاب كالجماعة بلا خلاف[(٥)].

النساء

سكن قالون العين مع تشديد الدال من غير اختلاس في ﴿تَعْدُوا۟﴾[(٦)] .

---

(١) ما بين المعقوفتين زائدة من (أ) .

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو ﴿ **ها أنتم** ﴾ حيث وقع بالمد من غير همز قال في العنوان ص ٧٩ :" ﴿**ها أنتم** ﴾ مثل (هعنتم) حيث وقع قنبل ﴿ **ها أنتم** ﴾ ممدودًا غير مهموز، نافع وأبو عمرو والباقون بالمد والهمز حيث وقع ". وقال في القصيدة :

ولا ألف في ها أنتم زكـــا جنـــا	وسهل أخا حمد وكم مبدل جلا
وفي هائه التنبـــيه من ثابت هدى	وإبـــداله من همزة زان جـــملا
ويحتمل الوجهين عن غيرهم وكم	وجيه بـــه الوجهين للكل حملا
ويقصر في التنبيه ذو القصر مذهبا	وذو البدل الوجهان عنـــه مسهلا

(٣) آل عمران /١٤٣، وله من الشاطبية الخلف قال الشاطبي :

وكنتم تـــمنون الذي مع تفكهو	ن عنه على وجهين فافهم محصلا

(٤) آل عمران / ١٦٩.

(٥) قرأ هشام ﴿ **ولا تحسبن** ﴾ بالخطاب من طريق العنوان قال ص٨١ :"﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا**﴾ بالتشديد فيهما هشام "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال:" وبالخلف غيبا يحسبن له ولا " .

(٦) النساء /١٥٤، قرأ قالون ﴿ **لا تعدوا** ﴾ بإسكان العين وتشديد الدال من العنوان قال ص٨٦ :" ﴿**لا تعدوا في السبت** ﴾ بفتح العين وتشديد الدال ورش، الباقون بإسكان العين إلا قالون شدد الدال وخففها الباقون "، أما من القصيدة فقرأ بإخفاء حركة العين وتشديد الدال قال الشاطبي :

بالاسكان تعدوا سكنوه وخففوا	خصوصا وأخفى العين قالون مسهلا

المائدة[1]

[ق][2]، و ....

الأنعام

﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ كيف أتى، بتحقيق[3] الهمزة بين بين ورش وجهًا واحدًا كقالون[4] .

وسَوَّى ابن ذكوان في ﴿ رَأَىٰ ﴾ من[5] المضمر وغيره، فأمال الحرفين مع من أمال، واختلف عن أبي بكر بوجهين أحدهما إمالتهما كالمشهور، والثاني: إمالة الهمزة، وفتح الراء، هذا الوجه هو الذي ذكره عن أبي عمرو، ولنافع بكماله [إمالة][6] الحرفين بين اللفظين .

و ﴿ رَءَا ٱلْقَمَرَ ﴾[7] وبابه إذا وقع قبل ساكن لم يذكر للقراء فيه سوى

(١) ليس فيها خلاف .

(٢) هكذا في (ب) وهو بين كل سورتين أحدهما لا يكون فيها خلاف، وفي (أ) (و) كفاصل بين السورتين .

(٣) في (ب) بتخفيف .

(٤) قرأ ورش ﴿ **أرأيتكم** ﴾ و ﴿ **أرأيت** ﴾ إذا كان استفهاما بتسهيل الهمزة التي بعد الراء حيث وقع من طريق العنوان قال ص٩٠ :" ﴿ **أرأيتكم** ﴾ و ﴿ **أرأيت** ﴾ و ﴿ **أرأيتم** ﴾ بغير همز حيث وقع الكسائي، الباقون ﴿ **أرأيتكم** ﴾ و ﴿ **أرأيت** ﴾ و ﴿ **أرأيتم** ﴾ بهمزة بعد الراء حيث وقع، إلا أن نافعًا يلين الهمزة فتصير كالمدة اليسيرة في اللفظ "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو التسهيل أو البدل قال الشاطبي : أريت في الاستفهام لا عين راجع وعن نافع سهل وكم مبدل جلا

(٥) في (ب) بين .

(٦) ما بين المعقوفتين في (أ) الإمالة في .

(٧) الأنعام / ٧٧، ٧٦، ٧٩ . والمقصود لفظ (رأى) .

وجهين :

أحدهما : لحمزة، وأبي بكر : إمالة الراء وفتح الهمزة بلا خلاف .

والثاني : فتحها لباقي(١) القراء(٢) .

---

(١) في (ب) كباقي .

(٢) قرأ قالون ﴿ **رأى كوكبًا** ﴾ وما أشبهه بإمالة الراء والهمزة بين اللفظين من طريق العنوان وبفتح الراء والهمزة من طريق القصيدة، وقرأ ورش بإمالة الراء والهمزة بين اللفظين من طريق القصيدة والعنوان، وقرأ السوسي ﴿ **رآه** ﴾، و﴿ **رآك** ﴾، و﴿ **رأى** ﴾ وما أشبهه بفتح الراء وإمالة الهمزة إمالة محضة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : إمالة الراء والهمزة جميعًا إمالة محضة أو فتح الراء وإمالة الهمزة، وقرأ ابن ذكوان ﴿ **رآك** ﴾، و﴿ **رآه** ﴾ وما أشبهه إذا اتصل بمضمر بإمالة الراء والهمزة جميعًا إمالة محضة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو فتح الراء والهمزة جميعًا أو إمالة الراء والهمزة جميعًا، واتفق العنوان والقصيدة على إمالة الراء والهمزة إذا لم تتصل بمضمر نحو : ﴿ **رأى كوكبا** ﴾ وما أشبهه، وقرأ أبو بكر ﴿ **رأى** ﴾ إذا وقع بعدها متحرك حيث وقع بإمالة الراء والهمزة إمالة محضة من طريق القصيدة، وعنه خلاف من طريق العنوان وهو إمالة الراء والهمزة أو فتح الراء وإمالة الهمزة فقط، قال في العنوان ص٩١ : " ﴿ **رأى كوكبا** ﴾ بكسر الراء والهمزة الأخوان، وابن ذكوان، وأبو بكر في رواية أهل بغداد، وفتح أبو عمرو الراء وكسر الهمزة، وكذلك أبو بكر في رواية أهل واسط، نافع بين اللفظين، الباقون بالفتح، وكذلك ﴿**رأى**﴾،و﴿**رآه**﴾، و﴿**رءاك**﴾ حيث وقع" .

وقرأ السوسي ﴿ **رأى القمر** ﴾ وما أشبهه مما وقع بعده ساكن منفصل بفتح الراء والهمزة في حال الوصل من طريق العنوان وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو فتح الراء والهمزة، وإمالة الراء والهمزة إمالة محضة، وقرأ أبو بكر ﴿ **رأى القمر** ﴾ وما أشبهه بإمالة الراء وفتح الهمزة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو إمالة فتحة الراء والهمزة، وإمالة فتحة الراء فقط، قال في العنوان ص ٩١:" ﴿ **رأى القمر** ﴾، و﴿ **رأى الشمس** ﴾ بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر، الباقون بفتحهما، وكذلك ما أشبهه فيما لقيه الألف واللام "، قال في القصيدة : =

وخفف هشام النون من[1]﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾[2] كغيره بلا خلاف[3]

وأشبع الهاء من ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾[4] ابن ذكوان وجهًا واحدًا[5] .

وفتح أبو بكر ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ﴾[6] وجهًا واحدًا[7] .

= وحرفي رأى كلا أمل مزن صحبة		وفي همزة حسن وفي الراء يجتلا

بخلف وخلف فيهما مع مضمر		مصيب وعن عثمان في الكل قللا

وقبل السكون الرا أمل في صفا يد		بخلف وقل في الهمز خلف يقي صلا

وقف فيه كالأولى ونحو رأت رأوا		رأيت بفتح الكل وقفا وموصلا

(١) في (أ) في .

(٢) في (ب) سقط (قال)، الأنعام / ٨٠ .

(٣) قرأ هشام ﴿ **أتحاجوني** ﴾ بتخفيف النون من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الكسر والصلة أو الكسر من غير صلة، قال في العنوان ص ٩١: " ﴿**أتحاجوني**﴾ مخففة النون نافع وابن عامر " قال في القصيدة :

وخفف نونا قبل في الله من له		بخلف أتى والحذف لم يك أولا

(٤) الأنعام /٩٠ .

(٥) قال في العنوان ص ٩١ :" ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾ بحذف الهاء في الوصل الأخوان ﴿**اقتدهي قل** ﴾ بياء بعد الهاء في اللفظ ابن ذكوان ﴿ **اقتده قل** ﴾ بكسرة مختلسة هشام، الباقون بهاء ساكنة في الوصل، ولا خلاف في الوقف أنه بالهاء "، قال في القصيدة :

.... واقتده حذف هائه		شفاء وبالتحريك بالكسر كفلا

ومد بخلف ماج والكل واقف		بإسكانه يذكو عبيرا ومندلا

(٦) الأنعام / ١٠٩ .

(٧) قرأ أبو بكر ﴿ **أنها إذا جاءت** ﴾ بفتح همزة ﴿ **أنها** ﴾ من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الفتح أو الكسر قال في القصيدة :

.... واكسرانها		حمى صوبه بالخلف در وأوبلا

الأعراف

﴿بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ﴾[١] ضم[٢] ابن ذكوان التنوين بلا خلاف .

﴿بَصۜۡطَةً﴾[٣] بالصاد ابن ذكوان بلا خلاف،وبالسين خلاد بلا خلاف.

﴿بَيۡـَٔسِۭ﴾[٤] على وزن فيعل[٥] أبو بكر وجهًا واحدًا[٦] .

وحذف الألف من ﴿أنا﴾[٧] وصلا مما يأتي[٨] بعده همزة مكسورة، قالون[٩] بلا خلاف كالجماعة .

وأثبت الياء من ﴿كِيدُونِ﴾[١٠] في الحالين هشام بلا خلاف[١١] .

---

(١) في (أ) ادخلوها، الأعراف / ٤٩ .

(٢) في (أ) بضم .

(٣) الأعراف /٦٩.

(٤) الأعراف / ١٧٥.

(٥) في (أ) فعيل .

(٦) قرأ أبو بكر ﴿ **بيئس** ﴾ بفتح الباء والهمزة مفتوحة بعد الياء على وزن فيعل من طريق العنوان قال ص ٩٨ :" ﴿**بعذاب بئس**﴾ مثل بئر ابن عامر، وكذلك نافع مثله إلا أنه بغير همز ﴿ **بيئس** ﴾ على فيعل أبو بكر، الباقون ﴿ **بيئس** ﴾ على وزن فعيل "، وقال في القصيدة :"

وبئس بيـــاء أم والهمز كهـــفه ومـــثل رئيس غيـــر هذين عولا
وبيئس اسكن بين فتحين صادقا بخف وخفف يمسكون صفا ولا

(٧) في (ب) (أناء إلا)

(٨) في (أ) إذا أتى .

(٩) في (ب) النون، وهو تصحيف .

(١٠) الأعراف /١٥٤.

(١١) قال في العنوان ص ٩٩: " ﴿ **ثم كيدون** ﴾ أبو عمرو بياء في الوصل فقط، وهشام بياء في الحالين، الباقون بغير ياء في الحالين " قال في القصيدة : " وكيدون في الأعراف حج ليحملا بخلف "

الأنفال

كسر قنبل الدال من ﴿مُرۡدِفِينَ ﴾[1] كالجماعة وجهًا واحدًا[2] .

التوبة

[ق][3] و .

يونس

أمال الراء من ﴿الٓر ﴾[4] من الفواتح بين بين نافع بكماله[5] .

وأثبت الألف من ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم ﴾[6] البزي كالجماعة وجهًا واحدًا .

وأمال ﴿أَدۡرَىٰكُم ﴾ حيث وقع وكيف أتى /٥أ/ ابن ذكوان مع من أمال بلا خلاف، وبين بين نافع بكماله[7] .

---

(١) الأنفال / ٩ .

(٢) أي ليس لقنبل فتح الدال لا من الشاطبية وقد نبه أنه وجه ضعيف، ولا من العنوان، قال في العنوان ص١٠٠ : " ﴿ **مردفين** ﴾ بفتح الدال نافع "، وقال في القصيدة :

وفي مردفين الدال يفتح نافع		وعن قنبل يروى وليس معولا

(٣) ما بين المعقوفتين من (ب)، وفي (أ) و.

(٤) في (ب) (أكبر)، وهو تصحيف، الآية ١/ يونس .

(٥) قرأ قالون الراء من ﴿ **الر** ﴾ حيث وقع بالإمالة بين اللفظين من طريق العنوان، وبالفتح من طريق القصيدة، وقرأ ورش بالإمالة بين اللفظين من طريق القصيدة والعنوان، قال في العنوان ص ١٠٤ : "{الر} بالفتح ابن كثير وحفص، وقرأ نافع بين اللفظين، الباقون بالإمالة، وكذلك أخواتها "، وقال في القصيدة :		واضجاع را كل الفواتح ذكره		حمى غير حفص ....

وذو الرا لورش بين بين .....

(٦) يونس / ١٦ .

(٧) قرأ قالون﴿**ولا أدراكم**﴾و﴿**ولا أدراك**﴾حيث وقع بين اللفظين من العنوان،وبالفتح من الشاطبية،وقرأ ورش بين بين من العنوان والشاطبية،وقرأ ابن ذكوان بالإمالة المحضة من طريق العنوان،=

وأسكن الهاء[١] من ﴿ يَهِدِّيَ ﴾[٢] مع التشديد قالون، وأبو عمرو من غير اختلاس.[٣]

و لم يذكر عن حفص في الوقف على ﴿ تبوأ ﴾ شيئًا .

هود

[ق]، و .

يوسف

﴿ بُشْرَايَ ﴾[٤] بالفتح أبو عمرو وجهًا واحدًا مع من فتح ، وبين بين ورش وحده كالمشهور[٥]، وفتح قالون فخالف أصله في

=وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو:الإمالة المحضة أو الفتح، وقرأ البزي بإثبات الألف بعد اللام من طريق العنوان،وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو اثبات الألف أو حذفها، قال في العنوان ص١٠٤: "﴿**ولا أدراكم به**﴾ بغير مد قنبل الباقون بالمد وفتح الراء حيث وقع ابن كثير وحفص وهشام، وكذلك ﴿ **أدراك** ﴾ حيث وقع، وقرأ نافع بين اللفظين حيث وقعا، الباقون بالإمالة فيهما في كل القرآن "

(١) في (أ) سكن الهاء .

(٢) يونس /٣٥.

(٣) قرأ قالون ﴿ **أمن لا يهدي** ﴾ بإسكان الهاء وتشديد الدال من طريق العنوان، وقرأ بإخفاء حركة الهاء وتشديد الدال من طريق القصيدة، وقرأ أبو عمرو بإخفاء حركة الهاء، وتشديد الدال من طريق القصيدة والعنوان قال ص ١٠٥ : " ﴿ **أمن لا يهدي** ﴾ ساكنة الهاء خفيفة الدال الأخوان وأبو عمرو وقالون مثلهما إلا أنهما شددا الدال، وأشم أبو عمرو الهاء شيئًا من الفتح ﴿ **يهدى** ﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال الإبنان وورش، ﴿ **يهدي** ﴾ بكسر الهاء وتشديد الدال حفص، ﴿ **يهدي** ﴾ بكسر الياء والهاء والتشديد أبو بكر و لم يكسر الياء غيره ". قال في القصيدة :

ويا لا يهدي اكسر صفيا وهاه نل وأخفى بنو حمد وخفف شلشلا

(٤) يوسف / ١٩، في (ب) (عشر أتى) .

(٥) في (أ) كالمشهورين .

العنوان[1] .

وفتح هشام التاء[2] من ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[3] بلا خلاف[4] .

و﴿يَاْيَئَسِ﴾ وأخواته بالقلب مع [البدل][5] البزي وجهًا واحدًا[6] .

وحذف الياء من ﴿يَرْتَعْ﴾[7] في الحالين قنبل بغير خلاف .

الرعد

[ق]، و

---

(١) قرأ أبو عمرو ﴿**يا بشراي**﴾ بالفتح من طريق العنوان قال ص١١٠:" وقرأه ورش بين اللفظين، وفتحه الباقون"،وعنه ثلاثة أوجه من القصيدة وهي: الفتح،وبين اللفظين،والإمالة المحضة قال الشاطبي :

.... وبشراي حذف الياء ثبت وميلا

شـــفاء وقـــلل جهبذا وكلاهما عن ابن العلا والفتح عنه تفضلا

(٢) في (أ) الياء، وهو تصحيف .

(٣) يوسف / ٢٣ .

(٤) قرأ هشام ﴿ **هيت لك** ﴾ بفتح التاء من طريق العنوان ص١١٠ :" ﴿ **هيت لك** ﴾ بفتح الهاء وضم التاء ابن كثير، ﴿ **هيت لك** ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء نافع وابن عامر ؛ غير أن هشامًا همز، الباقون ﴿**هيت لك**﴾ بفتح التاء والهاء من غير همز "، وعنه خلاف من القصيدة وهو : فتح التاء وضمها، واتفقت القصيدة مع العنوان على الهمز لهشام قال الشاطبي :

وهيت بكسر أصل كفؤ وهمزه لسان وضم التا لوا خلفه دلا

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٦) قرأ البزي ﴿ **فلما استيأسوا، ولا تيأسوا، إنه لا ييأس** ﴾ وفي الرعد ﴿ **أفلم ييأس الذين** ﴾ بالقلب والإبدال من غير همزة في الخمسة من طريق العنوان قال ص١١١ بعد ذكره ما سبق من آيات :" بغير همز في ذلك كله البزي "، وعنه خلاف فيها من طريق القصيدة قال الشاطبي :

وييأس معا واستيأس استيأسوا وتيـــ ـــأسوا اقلب عن البزي بخلف وأبدلا

أي أن البزي قدم الهمزة على الياء ثم خففها وأبدلها ألفا .

(٧) يوسف / ١٢.

إبراهيم

﴿خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ﴾[١] ضم ابـــن ذكوان التنـــوين مع من ضم بلا خلاف[٢].

وحذف هشام الياء من ﴿أَفْـِٔدَةً﴾[٣] بعد الهمزة بلا خلاف[٤] .

الحجر

[ق]، و

النحل

﴿شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ﴾[٥] بالهمز البزي بغير خلاف كالجماعة[٦] .

---

(١) إبراهيم / ٢٦ .

(٢) قال صاحب العنوان في فرش البقرة ص٧٢ : ﴿**فمن اضطر**﴾ بكسر النون أبو عمرو وعاصم وحمزة وكذلك الـــــنون من ﴿ **إن** ﴾، و ﴿ **لكن** ﴾، والدال من قد، والتاء من ﴿ **قالت** ﴾، واللام من ﴿**قل**﴾، والواو من ﴿ **أو** ﴾ والتنوين إذا لقيهن ساكن بعده ضمة لازمة إلا أن أبا عمرو خالف أصله في اللام من قل والواو من أو فضمهما والباقون بضم هذه الحروف كلها إلا أن ابن ذكوان خالـــــفهم في التنوين فكسره- حيث وقع- إلا موضعين خالف أصله فيهما فضم الـــتنوين، وهما: ﴿**بِرَحْمَةٍ ادخلوا**﴾ الأعراف و ﴿**خبيثة اجتثت**﴾ في "إبراهيم"، وقال الشاطبي :

وضمك أولى الساكنـــين لثـــالث ... يضم لزوما كسره في ند حلا
قل ادعوا أو انقص قالت اخرج أن اعبدوا ... ومحظورا انظر مع قد استهزئ اعتلا
سوى أو وقل لابن العلا وبكسره ... لتـــنوينه قال ابن ذكوان مقولا
بـــخلف لـــه في رحمة وخبـــيثة ... ورفعك ليس البر ينصب في علا

(٣) إبراهيم / ٣٧ .

(٤) قرأ هشام ﴿ **أفئدة** ﴾ بغير ياء بعد الهمزة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة في هذه السورة فقط قال في القصيدة : " وأفئيدة باليا بخلف له ولا ".

(٥) النحل / ٢٧ .

(٦) أما في القصيدة فله الخلف قال الشاطبي : " وفي شركاي الخلف في الهمز هلهلا "

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ﴾[1] بالياء ابن ذكوان وجهًا واحدًا[2] .

الإسراء

[ق]، و

الكهف

﴿ قَالَ ائْتُونِي ﴾ بالوصل أبو بكر بلا خلاف كحمزة[3] .

وأثبت ابن ذكوان الياء من ﴿تَسۡـَٔلۡنِى﴾[4] في الحالين[5] بغير خلاف كالجماعة[6] .

---

(١) النحل / ٩٦ .

(٢) لابن ذكوان من القصيدة والعنوان الياء قولاً واحدًا قال في العنوان ص١١٨ : " ﴿**ولنجزين الذين صبروا**﴾ بالنون ابن كثير وعاصم، وقال في القصيدة :

.... ونجـــ ـــزين الذين النون داعيه نولا

هذا الموضع ليس من شرط الكتاب حيث أنه لا يوجد خلف بين الكتابين .

(٣) قرأ أبو بكر ﴿**قال ايتوني**﴾ وهو الثاني بوصل الألف من المجيء من طريق العنوان قال ص ١٢٤ – والتصويب من المخطوط – :" ﴿ **ردما ايتوني** ﴾ بكسر التنوين ووصل الهمزة من المجيء أبو بكر "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الإمام الشاطبي :

.... واهـــمز مسكنا لدى ردما ائتوني وقبل اكسر الولا

لشعبـــة والثاني فشا صف بخلفه ولا كسر وابدأ فيهما الياء مبدلا

وزد قبل همز الوصل والغير فيهما بقطعهما والمـــد بـــدءا وموصلا

واتفق الطريقان لأبي بكر على ﴿ **ردما ايتوني** ﴾ وهو الأول أنه من باب المجيء والهمزة في هذه القراءة همزة وصل فإذا ابتدأت بها كسرتها وقلبت الهمزة التي بعدها ياء ساكنة (انظر البيان ١٧/أ) .

(٤) الكهف / ٧٠.

(٥) في (ب) الحالتين .

(٦) أثبت ابن ذكوان الياء من طريق العنوان قال في ص١٢٣ :" { فلا تسئلني } بفتح اللام وتشديد النون نافع وابن عامر "

مريم

فتح الياء من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[١] السوسي مع من فتح وجهًا واحدًا[٢].

وهمز قالون ﴿لِأَهَبَ﴾[٣] بلا خلاف[٤] .

و ﴿ إِذَا مَا مِتُّ ﴾ بالإخبار وجهًا واحدًا ابن ذكوان[٥] .

طه

[ق]، و

الأنبياء

[ق]، و

---

(١) مريم / ١.

(٢) قال في العنوان ص١٢٦:"﴿ **كهيعص** ﴾ قرأ ابن كثير وحفص بفتح الهاء والياء وقرأهما نافع بين اللفظين وأمالهما الكسائي،وأبو بكر،وقرأ ابن عامر،وحمزة بفتح الهاء وإمالة الياء أبو عمرو بعكسهما"، وقال في القصيدة :

واضجاع را كل الفواتح ذكره حمى غير حفص طا ويا صحبة ولا
وكم صحبة يا كاف والخلف ياسر وها صف رضى حلوا وتحت جنى حلا
شـــفا صادقا حم مختار صحبة وبـــصر وهم أدرى وبالخلف مثلا
وذو الرا لورش بين بين ونافع لـــدى مريم ها يا وحا جيده حلا

(٣) مريم / ١٩.

(٤) قرأ قالون ﴿ **لأهب لك** ﴾ من العنوان بالهمز قال ص ١٢٦ :" ﴿ **ليهب لك** ﴾ بالياء أبو عمرو وورش "، وقرأ بالياء بخلاف عنه من القصيدة قال الشاطبي :

وهمز أهب باليا جرى حلو بحره بخلف ....

(٥) قرأ ابن ذكوان ﴿ **إذا ما مت** ﴾ على الخبر من طريق العنوان قال ص١٢٧ :" ﴿ **إذا ما مت** ﴾ على الخبر ابن ذكوان، الباقون على أصولهم في الهمزتين من كلمة "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

" .... وأخبروا بخلف إذا ما مت موفين وصلا "

الحج

[ق]، و

المؤمنين

[ق]، و

النور

[ق]، و

الفرقان

[ق]، و

الشعراء

أمال (الطاء) في الطواسين[1] الثلاثة نافع بين اللفظين[2] .

النمل

لم يتعرض بوقف ولا ابتداء في ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾ [3] في قراءة الكسائي[4]، ولكن قال بعض شيوخنا إنه قرأ على الصائغ فأوقفه على [يا] بالإمالة من طريق العنوان، قلت : أما العنوان [فما فيه][5] ما يدل على ذلك

(١) في (ب) الفواتح .

(٢) قال في العنوان ص١٤٢ :" ﴿ **طسم** ﴾ بإمالة الطاء الكوفيون سوى حفص، وقرأها نافع بين اللفظين، والباقون بالفتح وكذلك أختاها، وأظهر النون من هجاء سين عند الميم حمزة ولا خلاف في إخفاء النون عند التاء من ﴿ **طسم تلك** ﴾ " قال في القصيدة :

وإضجاع را كل الفواتح ذكره حمى غير حفص طا ويا صحبة ولا

(٣) النمل / ٢٥.

(٤) قال في العنوان ص١٤٤ :" ﴿ **ألا يسجدوا** ﴾ بتخفيف { ألا } الكسائي " .

(٥) ما بين المعقوفتين في (أ) (فإنه) .

نصا، ولكن إن كان من حيث الأداء فالصائغ كان محققًا وهو [أخبر][١] بما كان يأخذ لا سيما بالعنوان الذي هو كتابه، على أن الإمالة قد نص عليها أبو الكرم الشهرزوري[٢] في كتابه المصباح[٣] وغيره .

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾[٤] حذفها في الوقف قالون، وأبو عمرو، وحفص بلا خلاف عنهم كورش[٥] .

و لم يتعرض[للوقف][٦] على ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾[٧]في القراءتين،ولا إشكال في ذلك لأنه كتب في المصاحف بالياء،فالوقف عليها[٨] لجميع القراء بالياء[٩].

القصص

﴿عِندِىٓ أَوَلَمْ﴾[١٠] فتح الياء ابن كثير مع من فتح من

(١) في (أ) أخبرنا .

(٢) في (أ) عبد الكريم السهرزوري، وهو تصحيف .

(٣) انظر المصباح ٢١٠/أ حيث نص على الإمالة للكسائي، وقال في القصيدة :

ألا يسجدوا راو وقف مبتلى ألا　　ويا واسجدوا وابدأه بالضم موصلا
أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا وقف　　لـه قبـله والغير أدرج مبـدلا
وقد قيل مفعولا وأن أدغموا بلا　　وليس بمقطوع فقف يسجدوا ولا

(٤) النمل / ٣٦

(٥) قال في العنوان ص١٤٤: " ﴿ **فما آتاني الله** ﴾ بياء مفتوحة في الوصل نافع وأبو عمرو وحفص، الباقون ﴿ **فما أتان الله** ﴾ بغير ياء في الوصل والوقف وأماله الكسائي وحده " .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) إلى الوقف .

(٧) النمل / ٨١ .

(٨) في (ب) عليه .

(٩) قال الإمام الشاطبي في قصيدته :

بهادي معا تهدي فشا العمي ناصبا　　وباليا لكل قف وفي الروم شمللا

(١٠) القصص /٧٨.

غير[1] خلاف عنه[2] /٥ب/.

العنكبوت

[ق]، و

الـــروم

﴿تُخۡرَجُونَ﴾[3] بضم التاء[4] فتح الراء ابن ذكوان بلا خلاف كهشام[5]، وغيره[6].

وسكن [هشام][7] ﴿كِسَفًا﴾[8] بغير خلاف كابن ذكوان .

ولم يتعرض [إلى الوقف على ﴿بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ﴾[9]][10] في القراءتين ، وكان متعينا ذكره لأنه ليس كحرف النمل، فإن ذلك ثابت في جميع المصاحف بلا خلاف، وهذا محذوف بلا خلاف ، وقد جاء النص في الوقف على هذا بالياء[11] لهما [للنص][12] الوارد

---

(١) في (أ) بغير .

(٢) نص على ذلك في العنوان قال ص ١٤٨ :" ﴿ **عندي أولم** ﴾ فتح ... الحرميان وأبو عمرو "

(٣) الروم /١٩، في (أ) يخرجون .

(٤) في (ب) الياء .

(٥) في (أ) كشام، وهو تصحيف .

(٦) قال في العنوان ص١٥١:" ﴿ **وكذلك تخرجون** ﴾ بفتح التاء وضم الراء الأخوان.

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، وعن هشام من القصيدة الخلاف .

(٨) الروم / ٤٨ .

(٩) الروم /٥٣ .

(١٠) ما بين المعقوفتين في (أ) [ولم يتعرض بهادي الوقف] وهو تصحيف .

(١١) في (أ) سقطت الباء أي كتب (الياء) .

(١٢) ما بين المعقوفتين في (أ) (لكنه من) .

عنهما[١]، ولكن قطع في الهداية للكسائي وحده بالياء هنا، وزاد في التبصرة عدم الياء [له][٢]، وقطع في الكافي بعدم الياء للجميع[٣]، والله أعلم .

لقمان

[ق]، و

السجدة

[ق]، و

الأحزاب

﴿ٱلَّـٰٓئِى﴾[٤] [حيث أتى بياء ساكنة من غير همز البزي][٥]، وأبو عمرو وجهًا واحدًا، ولا إشكال في إظهار الياء له من طريق العنوان لخُلُوِّهِ من الإدغام الكبير[٦] .

---

(١) قال في الشاطبية : " وباليا لكل قف وفي الروم شمللا " .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، قال في التبصرة ص١٩٤ طبعة الصحابة :" وهذا الحرف في المصاحف بالياء والذي في الروم بغير ياء ووقف عليهما جميعًا حمزة والكسائي بالياء وهو مذهب شيخنا أبي الطيب "

(٣) قال في الكافي ص ١٧٥: " قرأ حمزة ﴿ **وما أنت تهدي العمي** ﴾ هنا وفي الروم .... ووقفوا هنا بالياء (أي في النمل) وفي الروم بغير ياء اتباعا للمصحف، وروى عن الكسائي أنه يقف في الروم بالياء أيضًا " هكذا في الكافي المطبوع أي أن الكسائي عنده له الوقف بالياء وعدمها في الروم من هذا الطريق وهذا ما ذكر ابن الجزري عكسه في النص حيث أكد قطع الكافي بعدم الياء للجميع، فالله أعلم .

(٤) الأحزاب / ٤ .

(٥) ما بين المعقوفتين في (أ) (ساكنة الياء من غير همز للبزي) .

(٦) قرأ أبو عمرو والبزي ﴿ **اللائي** ﴾ هنا وفي المجادلة والموضعين من الطلاق بياء ساكنة من طريق العنوان قال في ص ١٥٤ :" ﴿ **اللاي** ﴾ بياء ساكنة أبو عمرو والبزي وقرأ ورش بشبه المكسورة، وقرأ قالون وقنبل ﴿ **اللاء** ﴾ بهمزة مكسورة من غير ياء والباقون ﴿ **اللائي** ﴾ بهكزة بعدها ياء، ومثله في=

سبأ

[ق]، و

فاطر

[ق]، و

يس

أمال الياء نافع، وحمزة بين بين[1] .

وسكن قالون الخاء من ﴿ يَخِصِّمُونَ﴾ [2] مع تشديد الصاد[3] .

=المجادلة والطلاق "، وعنهما خلاف من طريق القصيدة وهو: بياء ساكنة أو كالياء المكسورة،وهذا الوجه الأخير من زيادات القصيدة على التيسير حيث لم يذكر صاحب التيسير هذا الوجه قال في القصيدة :

وبالهمز كل اللاء والياء بعده ذكا وبياء ساكن حج هملا
وكالياء مكسورا لورش وعنهما وقف مسكنا والهمز زاكيه بجلا

(١) قال في العنوان ص١٥٩ :" أمال الياء الكسائي وأبو بكر، وقرأها نافع وحمزة بين اللفظين وفتحها الباقون ".

(٢) يس / ٤٩.

(٣) قرأ قالون ﴿ **يخصمون** ﴾ بإسكان الخاء وتشديد الصاد من طريق العنوان وقرأ بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد من طريق القصيدة، وقرأ أبو عمرو بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد من طريق القصيدة والعنوان، وقرأ ورش وابن كثير وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد من طريق القصيدة، قال في العنوان ص١٥٩:" ﴿**يخصمون**﴾ بإسكان الخاء وتشديد الصاد قالون وهشام غير أن أبا عمرو وهشامًا يشمان الخاء شيئًا من الفتح، ﴿**يخصمون**﴾ ساكنة الخاء أيضًا خفيفة الصاد حمزة ﴿**يخصمون**﴾ بفتح الخاء وتشديد الصاد ابن كثير وورش الباقون ﴿**يخصمون**﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد". وقال في القصيدة :

وخا يخصمون افتح سما لذ وأخ حلـــ ـــو بر وسكنه وخفف فتكملا

الصافات

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ ﴾[١] بقطع الهمزة كالجماعة ابن ذكوان بلا خلاف[٢] .

ص

﴿بِٱلسُّوقِ ﴾[٣] بهمزة ساكنة موضع الواو قنبل وجهًا واحدًا[٤] .

الزمر

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ٱلَّذِينَ ﴾[٥] بحذف الياء السوسي وصلا ووقفا كالجماعة[٦] .

المؤمن[٧]

أمال الحاء[٨] في[٩] الفواتح السبعة بين بين، قالون كورش وأبي عمرو[١٠] .

---

(١) الصافات / ١٢٣ .

(٢) قرأ ابن ذكوان ﴿ **وإن إلياس** ﴾ بقطع همزة ﴿ **إلياس** ﴾ من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وهو تحقيق همزة ﴿ **إلياس** ﴾ أو حذفها كأنه في الأصل (ياس) دخلت عليه لام التعريف، وهمزة التعريف همزة وصل قال في القصيدة :" وإلياس حذف الهمز بالخلف مثلا ".

(٣) ص / ٣٣ .

(٤) قرأ قنبل ﴿ **بالسؤق** ﴾ بهمزة ساكنة من طريق العنوان قال ص١٦٣ :" ﴿ **بالسؤق** ﴾ بالهمز قنبل"، وقرأ بإثباتها من طريق القصيدة قال الشاطبي :

مع السوق ساقيها وسوق اهمزوا زكا   ووجه بهمز بعده الواو وكلا

(٥) الزمر / ١٧، ١٨ .

(٦) قال في الشاطبية :" فبشر عباد افتح وقف ساكنًا يدًا " .

(٧) هي سورة غافر .

(٨) من ﴿ **حم** ﴾ أول سورة غافر، والفواتح السبعة وهي بداية سور " غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف ".

(٩) في (أ) سقطت (في) .

(١٠) قال في العنوان ص١٧٦ :" ﴿ **حم** ﴾ وأخواتها بفتح الحاء ابن كثير وحفص وهشام، وقرأ نافع=

وحذف الياء من ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [1]، و ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ [2] في الحالين قالون بلا خلاف[3] .

فصلت

﴿نَّحِسَاتٍ﴾ [4] لم يذكر فيه إمالة لأبي الحارث فهو كالجماعة بالفتح وجهًا واحدًا[5].

وسكن الياء من ﴿رَبِّيٓ إِنَّ لِى﴾ [6] قالون بغير خلاف[7] .

الشورى

[ق]، و

=وأبو عمرو بين اللفظين الباقون بالإمالة "، ولقالون من الشاطبية الفتح فقط قال في القصيدة :

وذو الراء ورش بين بين ونافع　　　لدى مريم ها يا وحا جيده حلا

(١) غافر /١٥ .

(٢) غافر / ٣٢ .

(٣) قال في العنوان ص١٦٨ :" ﴿ **التلاق، والتناد** ﴾ ورش بياء فيهما في الوصل فقط ابن كثير في الحالين، الباقون بغير ياء في الحالين "، وقال في القصيدة :" والتلاق والتــ　　ناد درا باغيه بالخلف جهلا " .

(٤) فصلت / ١٦ .

(٥) قال في العنوان ١٦٩: " ﴿ **في أيام نحسات** ﴾ بكسر الحاء ابن عامر والكوفيون "،وقال في القصيدة :

وإسكان نحسات به كسره ذكا　　　وقول مميل السين لليث أخملا

وبذلك يكون ليس هناك خلاف بين الشاطبية والعنوان، ويكون الكاتب قد خرج فيه عن شرطه .

(٦) فصلت / ٥٠.

(٧) قال في العنوان ص ١٦٩ :" ﴿ **إلى ربي إن لي عنده** ﴾ فتحها أبو عمرو وورش "، وقال في القصيدة: " ويا ربي به الخلف بجلا " .

الزخرف

شدد { لما }[١] هشام[٢] بلا خلاف[٣] .

الدخان

[ق]، و

الشريعة[٤]

[ق]، و

الأحقاف

﴿لِّتُنذِرَ﴾[٥] بالخطاب البزي بلا خلاف[٦] .

محمد صلى الله عليه وسلم

لم يذكر ﴿ءَانِفًا﴾[٧] فيكون للبزي بالمد كالجماعة وجهًا واحدًا[٨].

---

(١) الزخرف / ٣٥ .

(٢) في (أ) (هشام لما) .

(٣) قال في العنوان ص ١٧١ :" ﴿ **لما متاع** ﴾ بالتشديد عاصم وحمزة وهشام "، وقال في القصيدة :

وفيها وفي ياسين والطارق العلى يشدد لما كامل نص فاعتلا

وفي زخرف في نص لسن بخلفه

(٤) هي سورة الجاثية .

(٥) الأحقاف / ١٢ .

(٦) قرأ البزي ﴿ **لينذر** ﴾ بالتاء من طريق العنوان قال ص١٧٥:" ﴿ **لتنذر الذين ظلموا**﴾ بالتاء نافع وابن عامر والبزي "، وعنه خلاف من طريق القصيدة هنا فقط قال الشاطبي:

لينذر دم غصنا والاحقاف هم بها بخلف هدى

(٧) محمد / ١٦ .

(٨) قرأ البزي ﴿ **آنفًا** ﴾ بالمد كالجماعة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : وفي آنفًا خلف هدى وبضمهم وكسر وتحريك

[الفتح

لم يذكر عن قنبل في ﴿ مَّغۡفِرَةٗ ﴾[1] سوى الهمز من غير مد وجهًا واحدًا][2]

الحجرات

[ق]، و

ق

لم يذكر لابن كثير الوقف على[3]﴿يُنَادِ ﴾ بالياء [كالجماعة][4] بلا خلاف[5] .

الذاريات

[ق]، و

الطور

﴿ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾[6] بالصاد حفص[7] [من غير خلف، وأشم الصاد خلاد

---

(١) الفتح / ٢٩ .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) قال في العنوان ص١٧٧ : "﴿ **على سؤقه** ﴾ مهموز قنبل "، وله من الشاطبية وجهان : أحدهما بهمزة ساكنة، وهو وجه العنوان، والوجه الثاني بزيادة واو بعد الهمزة، قال الشاطبي : .... مع السوق ساقيها وسوق اهمزوا زكا
ووجه بهمز بعده الواو وكلا

(٣) في (أ) سقطت (على) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) قرأ ابن كثير ﴿ **ينادي** ﴾ بياء في الوقف بخلاف عنه من طريق القصيدة قال الشاطبي : " وباليا ينادي قف دليلا بخلفه "، و لم يذكرها في العنوان .

(٦) الطور /٣٧ .

(٧) في (أ) بزيادة واو (وحفص) .

بلا خلاف][1] .

النجم

[ق]، و

القمر

[ق]، و

الرحمن

﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ ﴾ [2] بضم الميم في الأول فقط الكسائي بكماله بلا خلاف[3] .

---

(١) في (أ) ما بين المعقوفتين [وحفص من غير خلف، وأشم الصاد بلا خلاف]، قرأ حفص ﴿ **المصيطرون** ﴾ بالصاد من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الصاد والسين، وقرأ خلاد بإشمام الصاد زايًا من طريق العنوان غير أنه في العنوان ذكر حمزة بكماله قال ص١٨١ : "﴿ **المسيطرون** ﴾ بالسين قنبل وهشام، الباقون بالصاد غير أن حمزة يشم الصاد الزاي "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو إشمام الصاد زايًا أو الصاد قال الشاطبي :

.... والمسيــ طرون لسان عاب بالخلف زملا

وصاد كزاي قام بالخلف ضبعه

(٢) الرحمن / ٥٦، وهو موضع الخلاف، والموضع الثاني بسورة الرحمن الآية ٧٤.

(٣) قرأ الكسائي ﴿ **لم يطمثهن** ﴾ بضم الميم في الحرف الأول وكسرها في الحرف الثاني من طريق العنوان، قال ص ١٨٤ :" ﴿ **لم يطمثهن** ﴾ بضم الميم في الحرف الأول، الكسائي وكسرها في الحرف الثاني كغيره "، وذكر في القصيدة ثلاثة أوجه : الأول : ضم الميم في الحرف الأول للدوري، وكسرها لأبي الحارث، وضم الميم في الحرف الثاني لأبي الحارث وكسره للدوري . الثاني : كالعنوان بضم الميم في الحرف الأول للكسائي، وكسرها في الحرف الثاني . الثالث : يخير الكسائي فيهما، وذكر عن الكسائي قوله في هذه الكلمة :" ما أبالي بأيهما قرأت بالضم أم بالكسر بعد أن أجمع بينهما " قال في القصيدة : =

الواقعة

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [1] بتخفيف التاء البزي وجهًا واحدًا كالجماعة[2] .

الحديد

[ق]، و

[ومن سورة المجادلة][3] إلى سورة ن

﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[4] بضم الشين / ٦أ / فيهما أبو بكر بلا خلاف كغيره[5] .

و ﴿يَكُونَ﴾ [6] بالتأنيث، ﴿دُولَةً﴾ [7] بالرفع هشام بغير خلاف فيهما[8].

= .... وكسر ميــ ـــم يطمث في الاولى ضم تهتدي وتقبلا

وقال بـــه لليث في الثـــاني وحده شيوخ ونص الليث بالضم الاولا

وقول الكسائي ضم أيهما تـــشا وجيـــه وبعض المقرئين بـــه تلا

(١) الواقعة / ٦٥ .

(٢) وله من طريق الشاطبية الخلاف قال في القصيدة :

وكنتم تمنون الذي مع تفكهو ن عنه على الوجهين فافهم محصلا

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٤) المجادلة / ١١ .

(٥) قرأ أبو بكر ﴿ **انشزوا فانشزوا** ﴾ بضم الشين في الحرفين من طريق العنوان قال ص١٨٧:"﴿**وإذا قيل انشزوا فانشزوا** ﴾ بضم الشين فيهما نافع وابن عامر وعاصم "،وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : كسر الشين أو ضمها قال الشاطبي :

وكسر انشزوا فاضمم معا صفو خلفه علا عم ....

(٦) الحشر / ٧، وفي (ب) وتكون .

(٧) الحشر /٧.

(٨) قرأ هشام ﴿**كيلا يكون** ﴾ بالتاء من طريق العنوان قال ص١٨٨:" ﴿ **كيلا يكون** ﴾ بالتاء ﴿**دولة**﴾ بالرفع هشام "، وبالتاء بخلاف عنه من طريق القصيدة قال:" ومع دولة أنث يكون بخلف لا " .

ومن سورة ن إلى سورة النبأ

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[١]، ﴿(٤٤) مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢] بالغيب فيهما ابن ذكوان بلا خلاف كهشام[٣] .

وضم لام ﴿لِبَدًا﴾[٤] هشام بلا خلاف[٥] .

وحذف الألف من ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ﴾[٦] البزي بلا خلاف كقنبل[٧] .

ووقف[٨] ابن ذكوان، وحفص، والبزي على ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾[٩] بألف كمن نون بلا خلاف عنهم[١٠] .

---

(١) الحاقة /٤١ .

(٢) الحاقة /٤٢ .

(٣) قرأ ابن ذكوان ﴿ **قليلا ما تؤمنون** ﴾، ﴿ **قليلا ما تذكرون** ﴾ بالياء من طريق العنوان قال ص١٩٦:" بالياء فيهما الإبنان، الباقون بالتاء فيهما، وخفف الذال الأخوان وحفص على أصلهم "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : " ويذكرون يؤمنون مقالة بخلف له داع " .

(٤) الجن / ١٩ .

(٥) قرأ هشام ﴿ **لبدا** ﴾ بضم اللام من طريق العنوان قال ص ١٩٨ :" ﴿ **عليه لبدا** ﴾ بضم اللام هشام "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : الضم أو الكسر قال الشاطبي :

وقل لبدا في كسره الضم لازم بخلف ......

(٦) القيامة /١ .

(٧) أي أن ابن كثير بكماله يحذف الألف قال في العنوان ص ٢٠٠ :" ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ ليس بين اللام والهمزة مدة ابن كثير، الباقون بالمد ولا خلاف في الثاني أنه ممدود "، وللبزي الخلاف من الشاطبية قال الشاطبي : وقصر ولا هاد بخلف زكا وفي الـــ قيامة لا الأولى وبالحال أولا

(٨) في (أ) وقف .

(٩) الإنسان / ٤ .

(١٠) وقف البزي وابن ذكوان وحفص على ﴿ **سلاسلا** ﴾ بألف من طريق العنوان قال ص٢٠١: =

و﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾ [(١)] فيهما بالتنوين هشام مع من نون، وهذا مما انفرد به صاحب العنوان، لا أعلم أحدًا ذكر [عنه ذلك غيره][(٢)]، وإنما ذكر الحرف الثاني[(٣)] فقط في رواية النقاش عن هشام من[(٤)] المصباح[(٥)] .

ولم يذكر عن خلاد إدغام ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ [(٦)] فيظهرها بلا خلاف[(٧)].

="﴿ **سلاسلا** ﴾ بالتنوين نافع والكسائي وأبو بكر وهشام، الباقون بغير تنوين، ووقف عليه قنبل وحمزة ﴿ **سلاسل** ﴾ بغير ألف ووقف الباقون بالألف "، وعن البزي وابن ذكوان وحفص الخلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

سلاسل نون إذ رووا صرفه لنا　　　وبالقصر قف من عن هدى خلفهم فلا

زكا ....

(١) الإنسان / ١٥، ١٦ .

(٢) في (ب) ما بين المعقوفتين [ذلك عنه غيره] .

(٣) في (أ) الأول .

(٤) في (ب) في .

(٥) قرأ هشام ﴿ **قواريرا** . **قواريرا**﴾ بتنوينهما ووقف عليهما بالألف من طريق العنوان، وقرأه بغير تنوين فيهما، ووقف عليهما بالألف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

.... وقواريرا فنونه اذ دنا　　　رضا صرفه واقصره في الوقف فيصلا

وفي الثان نون إذ رووا صرفه وقل　　　يـمد هشام واقفا معهم ولا

(٦) المرسلات / ٥.

(٧) قرأ خلاد ﴿ **فالملقيات ذكرا** ﴾ بالإظهار من طريق العنوان حيث نص على إدغام أوائل الصافات وأول الذاريات فقط قال ص١٦١ :" ﴿ **والصافات صفا** . **فالزاجرات زجرا** . **فالتاليات ذكرا** ﴾ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال حمزة، وكذلك ﴿ **والذاريات ذروا** ﴾ "،وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : وخلادهم بالخلف فالملقيات فالـ　　　مغيرات في ذكرا وصبحا فحصلا

ومن سورة النبأ إلى آخر القرآن

﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾(١) أشم الصاد الزاي خلاد بلا خلاف كخلف .

و ﴿بِٱلْوَادِ﴾(٢) بياء في الوصل دون الوقف وجهًا واحدًا قنبل كورش وغيره(٣) .

وحذف أبو عمرو الياء من ﴿أَكْرَمَنِ﴾(٤)، و﴿أَهَٰنَنِ﴾(٥) في الحالين بلا خلاف(٦).

وحذف قنبل الألف بعد الهمزة من ﴿رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾(٧) وجهًا واحدًا(٨) .

---

(١) الغاشية / ٢٢، وفي (أ) ﴿ **بمسيطر** ﴾ بالسين .

(٢) الفجر / ٩، إثبات الياء لقنبل من العنوان بلا خلاف، أما من القصيدة فله الخلاف في الوقف قال في القصيدة : وفي الفجر بالواد دنا جريانه وفي الوقف بالوجهين وافق قنبلا

(٣) قرأ خلاد ﴿ **بمصيطر** ﴾ بإشمام الصاد الزاي من طريق العنوان قال ص٢٠٨ :" ﴿**بمسيطر**﴾ بالسين هشام، الباقون بالصاد وحمزة يشم الصاد الزاي "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : الصاد أو إشمام الصاد الزاي قال في القصيدة :

" مصيطر اشمم ضاع والخلف قللا وبالسين لذ ...."

(٤) الفجر / ١٥ .

(٥) الفجر / ١٦ .

(٦) قال في العنوان ص٢٠٩ :" { ربي أكرمن } و { ربي أهانن } نافع بياء فيهما في الوصل فقط، والبزي بياء فيهما في الحالين، الباقون بغير ياء فيهما في الحالين .

(٧) العلق / ٧.

(٨) قرأ قنبل ﴿ **أن رآه استغنى** ﴾ بقصر الهمزة من طريق العنوان قال ص٢١١ :" ﴿ **أن رأه استغنى** ﴾ مثل (رعه) قنبل، الباقون ﴿ رآه ﴾ مثل (دعاه) "، وله من الشاطبية الخلاف بين قصر الهمزة وإثباها وقال في القصيدة :" وعن قنبل قصرا روى ابن مجاهد رآه و لم يأخذ بـــه متعملا

وجه القصر حذف الألف تخفيفا، ووجه المد الإتيان بالكلمة على أصلها من غير حذف .

وفتح الياء من ﴿وَلِيَ دِينِ﴾[1] البزي بغير خلف[2] .

وسكن الفاء من ﴿كُفُوًا﴾[3] قالون وقفًا ووصلاً كحمزة وصلاً، وهي[4] طريق القاضي عن قالون، وهي التي في العنوان، وتقدم أن حمزة له في الوقف عليها[5] النقل وجهًا واحدًا[6] .

والتكبير

عن البزي وحده من آخر الضحى بلا خلاف، ولفظه (الله أكبر) وجهًا واحدًا، ولم يتعرض إلى وصله، ولا إلى القطع عليه ولا دونه، فيحتمل الأوجه السبعة، وبأي وجه قرئ منها أجزأ ، ولم يتعرض إلى التكبير [في][7] آخر الناس ، ولكن يفهم من قوله التكبير في أثر كل سورة حتى يختم [فيكبر بين][8] الناس، والفاتحة [قطعا ، والله

---

(١) الكافرون / ٦ .

(٢) في (أ) من غير، قال في العنوان ص٢١٤ :" ﴿ **ولي دين** ﴾ فتحها نافع والبزي وحفص وهشام"، وله في الشاطبية الخلاف قال في القصيدة : " ولي دين عن هاد بخلف له الحلى " .

(٣) الإخلاص / ٤ .

(٤) في (ب) وهذه .

(٥) في (ب) عليهما .

(٦) قرأ قالون ﴿ **كفؤا** ﴾ بإسكان الفاء من طريق العنوان قال ص٢١٤ :" ﴿ **كفؤا** ﴾ بإسكان الفاء حمزة وقالون، الباقون بضمها وحفص يقلب الهمزة واوا "، وقرأ بضم الفاء من طريق القصيدة قال الشاطبي :

وفي الصابئين الهمز والصابئون خذ ... وهزؤا وكفؤا في السواكن فصلا

وضم لباقيهم وحمزة وقفه ... بواو وحفص واقفا ثم موصلا

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٨) في (أ) ما بين المعقوفتين [التكبير من] .

أعلم][1].

[تمت تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان، بحمد الله، وحسن توفيقه، في حادي عشر شعبان سنة خمس وثمانين وسبعمائة على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته، ولطفه موسى بن أحمد بن عبد الله القصيري الحلبي الشافعي عفا الله عنه، آمين، آمين، آمين .

تـــعلم يـــا فتى فالجهل عـــار ولا يـــرضى بـــه إلا الحمار

علم ينبئك من الآداب في الصغر حتى تقر بهم عيناك في الكبر

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم][2].

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، قال في العنوان ص٢١٥ :" كان البزي إذا ختم سورة والضحى كبر ثم افتتح السورة التي بعدها، وكذلك بأثر كل سورة حتى يختم، وقد اختلف عنه في لفظ التكبير والذي أختاره من ذلك (الله أكبر) لا غير وبه قرأت، وبه آخذ، والله تعالى أعلم "، وللبزي من طريق القصيدة ثلاث طرق: الأولى : التكبير من آخر والضحى ولفظه (الله أكبر) فقط، وهذه طريق العنوان أيضًا، الثانية : التهليل والتكبير ولفظه : (لا إله إلا الله والله أكبر)، الثالثة : التكبير من أول الضحى، وعن قنبل خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

وفيه عن المكيين تكبيرهم مع الـــ خواتم قرب الختم يروى مسلسلا

إذا كبـــروا في آخر الناس أردفوا مع الحمد حتى المفلحون توسلا

وقال به البزي من آخر الضحى وبعض له من آخر الليل وصلا

فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو صل الكل دون القطع معه مبسملا

وما قبله من ساكن أو منـــون فللساكنين اكسره في الوصل مرسلا

وأدرج على إعرابـــه ما سواهما ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا

وقـــل لفظه الله أكبـــر وقبـــله لأحمد زاد ابن الحباب فهللا

وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس وعن قنبل بعض بتكبيره تـــلا

(٢) ما بين المعقوفتين من (ب)، وفي (أ) " تمت التحفة بعون الله وتوفيقه، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين " .

المراجع

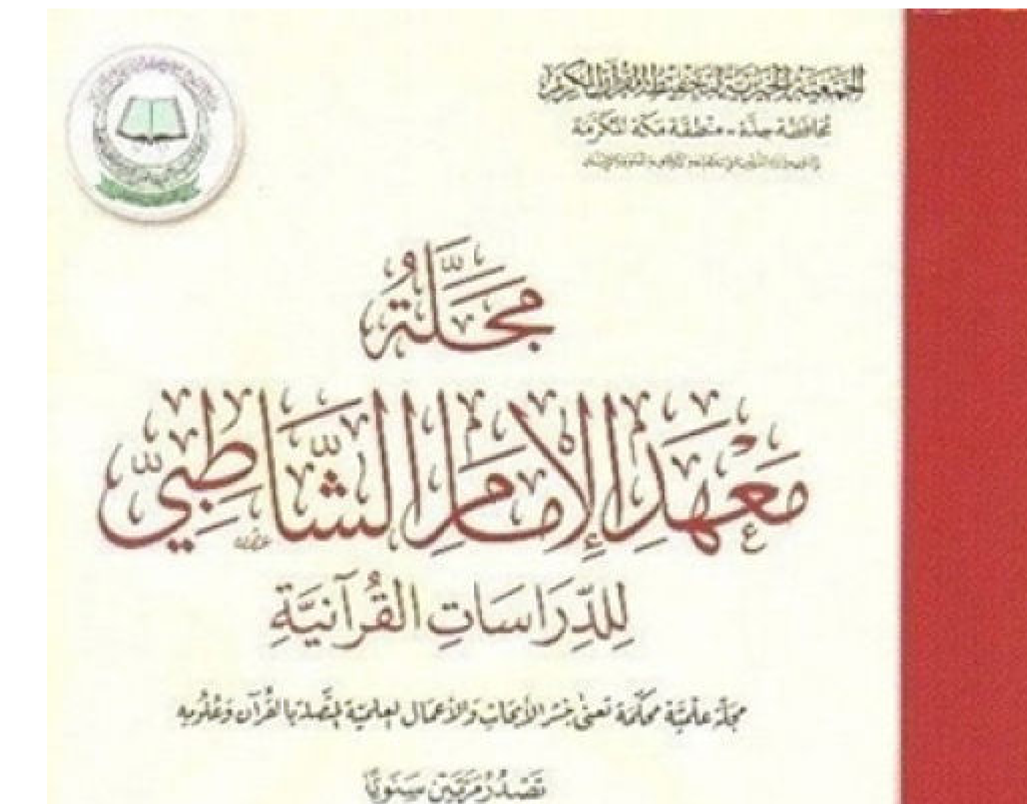
أولا : المخطوط :

- البيان في الخلف بين الشاطبية والعنوان، أبي زكريا يحيى بن أحمد، مصورة من الأزهرية .
- الكامل في القراءات الخمسين، للهذلي، مصورة عن الأزهرية .
- العنوان في القراءات السبع، لأبي الطاهر، نسخ مختلفة .
- كنـــز المعاني، للجعبري، نسخة دار الكتب المصرية .
- شرح الهمداني على الشاطبية، للإمام الهمداني، نسخة الأزهرية .

ثانيا : المطبوع :

- العنوان في القراءات السبع، لأبي الطاهر بن خلف، دار عالم الكتب .
- حرز الأماني ووجه التهاني، للإمام الشاطبي، طبعة الشيخ الضباع بمكتبة البابي الحلبي، وطبعة تميم الزعبي بالمدينة .
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار عالم الفكر .
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، دار الكتب العلمية .
- تحبير التيسير، ابن الجزري، دار الكتب العلمية .
- الإمام المتولي، إبراهيم الدوسري، مكتبة الرشد .
- معرفة القراء الكبار، الإمام الذهبي، دار أسام بتركيا .
- قراءة نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، المغرب .
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف .
- معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي، دار القلم .
- فتح الوصيد، السخاوي، مكتبة الرشد .
- اتحاف البرية بتحريرات الشاطبية، علي الضباع، أضواء السلف .
- التيسير في القراءات السبع، الداني، دار الكتب العلمية .
- جامع البيان، الداني، دار الحديث .
- الميسر في القراءات العشر، فهد خاروف، دار ابن كثير .
- شرح الفاسي على الشاطبية، الفاسي، مكتبة الرشد .

فهرس الموضوعات



العدد الرابع

تصدر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

معالم الاستنباط في التفسير

إعداد
نايف بن سعيد بن جمعان الزهراني *

* من مواليد محافظة المندق, بمنطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية, عام ١٣٩٧هـ.
* نال شهادة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة, عام ١٤٢٧ هـ , بأطروحته: (استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى - دراسة نقدية مقارنة) .
* دارسٌ حالياً في مرحلة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن, ومشرفٌ علمي في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.

المُلَخَّصُ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فهذا بحث بعنوان (معالم الاستنباط في علم التفسير)، يكشف عن جوانب من علمٍ جليلٍ من علوم القرآن الكريم، تأتي مرتبته بعد معرفة ألفاظ القرآن الظاهرة، ومعانيه المباشرة، ويختصُّ بمعاني المعاني، وما وراء الألفاظ من المعاني المتصلة بالآية من غير لفظها المتبادر ومعناها المباشر.

ويهدفُ هذا البحث إلى تأصيل مسائل ومعارف علم الاستنباط في فَنِّ التفسير، من خلال نصوص العلماء وأئمة المفسرين وتطبيقاتهم، مع إبراز مناهجهم في عرض المعاني المستنبطة، وشروط الاستنباط، وآداب المستَنبِط.

وقد تناول البحثُ هذا الموضوع من جانبٍ تمهيدي نظري، ثم تطبيقي عملي؛ وذلك بعرض نموذج تطبيقي من استنباطات الصحابة رضي الله عنهم في التفسير، ثم إبراز مسائل علم الاستنباط منه وتطبيقها عليه من خلال منهج تحليلي نقدي؛ يتناول هذا النموذج بالتحليل ودراسة الأقوال وما بُنيت عليه، ثُمَّ الحكم عليها، وبيان الراجح في موضع الخلاف، مع التعرض لعدد من المسائل الواردة في الرواية، ممَّا له علاقة بعلم التفسير وأصوله.

وقد أبرز البحث عِدَّةَ نتائج تتعلق بفروع من علم التفسير، يُرجَى لها أن تعود بفوائد حسنة – إن شاء الله تعالى– في جانب الدراسات التفسيرية بعامَّة.

الْمُقَدِّمَــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

فموضوع هذا البحث يرصد جانباً هاماً من جوانب علـــوم القـــرآن الكريم، هو من ألصق علومه بعلم التفسير، ويحاول إبراز أصـــوله وقواعـــده المبثوثة في كتب التفسير وعلومه، ويتجاوز ألفاظ القرآن ومعانيه المباشـــرة إلى ما وراءها من معاني وأحكام، فإن الناظر في موضوعات كتب التفسير يجدها قائمة على ثلاثة أنحاء: بيان الألفاظ والمعاني – وهذا صلب التفسير وحَدُّه –، وبيان معاني المعاني – وهذا مجال الاستنباط –، ولا يخرج حديث مفسر ما عن هذه الأنحاء، وقد اهتم العلماء كثيراً ببيان وتحرير الجانب الأول مـــن هـــذه الموضوعات: ألفاظ القرآن ومفرداته، فظهرت كتب غريب القرآن، وإعراب القرآن، ومتشابه الألفاظ، والوجوه والنظائر، ونحوها ممَّا تناول الألفاظ القرآنية مفردة.

كما ظهر اهتمام العلماء بجانب المعاني في كتـــب معـــاني القـــرآن، ومشكلات القرآن، ومتشابه المعاني، وأحكام القرآن، ومبـــهمات القـــرآن، وغيرها من الكتب القائمة على معاني الآيات وأساليبها درساً وإيضاحاً.

أما جانب معاني المعاني، ومـــستتبعات التراكيـــب، والاســـتنباطات القرآنية، فهو بابٌ جليل، لم يأخذ حظَّه من التحرير والتأصيل، مع كون هذا العلم من ألصق العلوم بعلم التفسير، بل هو شطر موضوع كتب التفسير كما

سيأتي بيانه.

ومع قيامِ عدد من كتب العلماء على الاستنباط جمعاً وتطبيقاً - كما سيأتي ذكره إن شاء الله - إلا أنها تكاد تكون خالية من حديث مباشر عن هذا العلم؛ يرتقي به إلى أن يكون من علوم القرآن الظاهرة المشهورة، ذات القواعد الثابتة الجامعة لأشتات أفرادها وجزئياتها تحت نظام واحد.

وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية الجليلة، رأيت أقرب طريق يحقق المراد منها: تصفح تفاسير السلف في القرون الثلاثة الأولى المفضلة في كل علم وخير وهدى؛ الذين أدركوا مَنْزلة علم التفسير من الدين فنَزل منهم أشرفَ منْزل وأعلاه، وتفرَّغ له طائفةٌ منهم، فأفنوا فيه أعمارهم تحصيلاً وتأصيلاً، وسلكوا لنشره وتبيينه للناس كُلَّ سبيل، فكان بيانهم أحسن بيان، وجاء استنباطهم أدَقَّ استنباطٍ وألطفه، ولا غرو؛ فهم خير هذه الأمة وأفضلها بشهادة خير البرية ﷺ(١).

وعمدت من تفاسير السلف إلى تفاسير الصحابة على الخصوص؛ وإن الناظر ليعجب من فقه الصحابة في تفاسيرهم، ودقة استنباطهم رضي الله عنهم، فقد بلغوا في هذا الباب درجة لا تكاد تجد مثلها لمن بعدهم، وليس هذا بمستغرب من مثلهم؛ فباب الاستنباط مبنيٌّ على زكاء نفس، وقوة نظر، وجودة قريحة، وصحة فهم، وحسن بيان، وقد جاؤوا من ذلك باللُّبَاب. ومن خلال دراسة بعض أقوالهم في التفسير ظهر لعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم تميزٌ ظاهرٌ عن غيرهم من الصحابة في هذا الباب؛ ولعل

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٤/١٥٧، وإعلام الموقعين ٢/١٥٠.

ذلك سبب عَدِّهم من أعلم الصحابة بالتفسير[1]، ولا يبعد ذلك؛ فإذا تساوى كثيرٌ من الصحابة في العلم بمعاني ألفاظ القرآن وأساليبه، تقدم هؤلاء الثلاثة على غيرهم في التقاط الدرر من معاني المعاني، في بديهة تعجب منها الصحابة في مواقف كثيرة.

وإن تميُّز السلف في تناول هذا النوع الدقيق من البيان لَيُبْرِزُ حرصهم على توفيةِ الآيات حَقَّها من المعاني، واستيعاب كُلِّ حقٍّ أشار إليه لفظ الآية، ودَلَّ عليه معناها، وذاك هو علم الاستنباط.

وتتلخَّصُ الغاية المرجوة من دراسة هذا الموضوع في تجلية هذا العلم من علوم القرآن الكريم، وإعلاء معالم يهتدي بها شُداة علم التفسير وقاصدو فهمه، وقد اجتهدت في إبراز ذلك من خلال مقدمات وتمهيدات في المبحث الأول، ثم بعرض نموذج تطبيقي من استنباطات الصحابة في المبحث الثاني، وبالله تعالى التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) ينظر: شفاء الصدور (مخطوط، لوحة:١٧، ١٨)، ومقدمات تفسير الأصفهاني (ص:٢٧١)، والتيسير في قواعد علم التفسير (ص:٢٤٦).

المبحث الأول

الاستنباطُ تعريفٌ وبيان

أولاً: تعريف الاستنباط:

النون والباء والطاء في لغة العرب كلمةٌ تدلُّ على استخراج الشيء والانتهاء إليه[(١)]، واستنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه[(٢)]، قال الزجاج (ت:٣١١):«معنى يستنبطونه في اللغة:يستخرجونه» [(٣)]، وقال ابن جرير(ت:٣١٠): «وكلُّ من أخرج شيئاً كان مُستَّرَاً عن إبصار العيون، أو عن معارف القلوب = فهو مستنبطٌ له، يقالُ: استنبطتُ الرَّكِيَّةَ[(٤)]: إذا استخرجتُ ماءَها، والنَّبَطُ: الماء المستنبطُ من الأرض، ومنه قول الشاعر:

قريبٌ ثَرَاهُ، ما يَنَالُ عَدُوُّه لَه نَبَطَاً، آبِي الهوانِ، قَطُوبُ » [(٥)].

ويستفادُ من هذه المعاني اللغوية ما يأتي:

أولاً: الاستنباط هو الاستخراج باتفاق أهل اللغة، وهو المعنى المطابق للَّفظ.

ثانياً: أن في الاستنباط نوع اجتهادٍ ومعاناة، دلَّ عليه صيغة اللفظ المفتتحة بحروف الطلب (ا، س، ت)، وعبارة صاحب ((العين)): «والانتهاء إليه»؛ المفيدة لبعده عن طالبه، ثمَّ هذا الاجتهاد والعناء في نيل المستَنبَط واضحٌ في ما

---

(١) ينظر: العين ٤/١٨٤، ومقاييس اللغة ٢/٥٣٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٣/٢٥٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/٨٣.

(٤) الرَّكِيَّة هي: البئر. ينظر: القاموس المحيط (ص:١١٦١).

(٥) جامع البيان ٧/٢٥٥، وتبعه في تعريفه ابن الشجري(ت:٥٤٢) في أماليه ١/٢٢٠.

يبذله مستنبطُ الماء من البئر، قال ابن القيم(ت:٧٥١): «الاستنباط هو: استخراج الشيء الثابت الخفي الذي لا يعثر عليه كل أحد» [١].

ثالثاً: أن الاستنباط أقرب إلى باطن الكلام منه إلى ظاهره، وأقرب إلى المعاني منه إلى الألفاظ، كما قال الأزهري(ت:٣٧٠): «استنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه»، وهو معنى الاستتار والتواري الذي ذكره ابن جرير(ت:٣١٠)، وقال البغوي(ت:٥١٦): «من العِلم ما يُدرَكُ بالتلاوة والرواية، وهو: النصُّ، ومنه ما يُدرَكُ بالاستنباط، وهو: القياس على المعاني المودعةِ في النصوص»[٢] والقياس نوعٌ من الاستنباط، وقال ابن القيم(ت:٧٥١): «الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفي على غير مستنبطه» [٣].

أمَّا الاستنباط في استعمال المفسرين فهو: استخراج ما وراء ظواهر معاني الألفاظ من الآيات القرآنية.

والمُرادُ بظواهر معاني الألفاظ: ما يتوقف فهم القرآن عليها من المعاني المباشرة.

ثانياً: مقدمات وقواعد في علم الاستنباط:

• مكانةُ علم الاستنباط من علم التفسير:

وَصَفَ ابنُ عاشور (ت:١٣٩٣) علم التفسير بأنه : « تفسير ألفاظٍ، أو

---

(١) مفتاح دار السعادة (ص:٤٢٣).

(٢) معالم التنْزيل ٢/٢٥٥.

(٣) إعلام الموقعين ١/٣٩٧.

استنباطُ معانٍ»[1]، وقال: «موضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه، وما يُستَنبَطُ منه»[2]، فالاستنباط بهذه المثابة قسيمٌ لبيان المعاني؛ وذلك بالنظر إلى جمهرة معلومات كتب التفسير التي يذكرها المفسر، وإلا فإن الاستنباط من علوم الآية التي تأتي بعد تمام التفسير - الذي هو بيان المعنى- ولكن لشدَّة ارتباط هذا العلم بعلم التفسير نظريةً وتطبيقاً، ولكثرة ما أُثيرَ في كتب التفسير، أُلحِق به في بيان علم التفسير وموضوعاته، وربما توسع بعض العلماء فسمَّاه تفسيراً[3]؛ وذلك حين يرتقي هذا المعنى المستنبط الباطن في شدة قربه وظهوره من المعنى الظاهر، وربما أُرِيدَ معه - على ما سيتبين -، فمن هنا يتوجه تسميته تفسيراً؛ لارتباطه بمعنى الآية من هذا الجانب. وقد كان الحالُ كذلك منذ أوَّلِ نشأةِ علم التفسير وظهوره، ولا تكاد تخرج تفاسير السلف عن هذين الوجهين في الأعم الأغلب.

ومن ثَمَّ يتفقُ علم الاستنباط مع التفسير في أنهما بيانٌ للمعنى، ثم يفترقان في المعنى المُبَيَّن في كلٍّ منهما؛ فللتفسير المعنى الظاهر المباشر اللازم لِلَّفظ،

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١، وسبقه ابن العربي(ت:٥٤٣) إلى قريب من ذلك في «قانون التأويل» (ص:٣٦٧).

(٢) المرجع السابق، وينظر: معالم التنْزيل ٢/٢٥٥.

(٣) كما فعل ابن القيم في تقسيمه لما يذكره الناس من التفسير في كتابه ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص:٨٤)، ومثله عبارة الطاهر ابن عاشور هذه في وصف علم التفسير. وبنحو هذا التصرُّف في مصطلح الاستنباط عند بعض المفسرين تصَرَّف جمهرةٌ من الأصوليين؛ فتناولوا هذا العلم محصوراً في طرف منه هو: ((القياس))، ومباحث العلة فيه على الخصوص. ينظر: أصول السرخسي ٢٤١/١، و١٤٠/٢، والبحر المحيط في الأصول ٩/٤، ٢١، ومذكرة في أصول الفقه (ص:٣٩٢).

وللاستنباط ما وراءه من المعاني الزائدة، وكلاهما من أجلِّ علوم القرآن الكريم، وألصقها بألفاظه.

• **سمَّى الله تعالى الاستنباط علماً**، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، ولولا أن الاستنباط علمٌ معتبَرٌ، وحُجَّةٌ في الشرع، لَمَا أمر اللهُ تعالى عبادَه برَدِّ ما لم يدركوا علمه نَصًّا إلى من يدركونه بالاستنباط من أهل العلم[1]، فالاستنباط من أهمِّ أسباب دَرَكِ العلوم؛ وله من الأصولِ والضوابط التي تجمع جزئياته، وتَلُمُّ متفرِّقاته، ما يجدر معه بأهل العلم إبرازها وتحديدها، بعد جمعها ودرسها.

• **يجب إعطاءُ ألفاظ القرآن حقَّها، وتوفيتها ما لَهَا من المعاني**، وحُسنُ الاستنباط وصحته سبيلٌ إلى ذلك، قال ابن القيم(ت:٧٥١): «الواجب فيما علَّقَ عليه الشارعُ الأحكامَ من الألفاظ والمعاني = أن لا يُتَجَاوَز بألفاظها ومعانيها، ولا يُقْصَر بِها، ويعطي اللفظَ حقَّه والمعنى حقَّه، وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه، وأخبر أنهم أهل العلم»[2]، ومن حقِّ اللفظ والمعنى

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص ٢/٢٧٠، والتفسير الكبير ١٠/١٥٩، ومجموع الفتاوى ٥/١٦٣.

(٢) إعلام الموقعين ١/٣٩٧، وينظر: أحكام القرآن، للشافعي ١/٢١، والإتقان في علوم القرآن ٢/٣٦٨.

استيعاب المعاني الصحيحة المتعلقة بهما من جهة نِدِّ المعنى ولوازمــه وأشــباهه ونظائره.

• **للقرآن ظاهرٌ وباطن**[١]؛ أمَّا ظاهره فهو: ظاهر المعنى، والمتبادر من اللفظ. وأمَّا باطنه فهو: المعاني الصحيحة المتَّصِلة بالآية من غير دلالة اللفــظ المباشرة[٢]، وهذا مجال الاستنباط في هذا العلم، وقد يرتفع المعنى الباطن البعيد فيكون مراداً مع المعنى الظاهر القريب لاشتراكهما في الصحة والقبول والدلالة – كما سيأتي في مبحث التطبيق بإذن الله –، لكن لا يصل المعنى الباطن بحالٍ إلى أن يكون مراداً دون المعنى الظاهر، وهذا ما يميز هذا التقسيم عن استعمال الباطنية له؛ فإنهم يؤَصِّلون لهذا التقسيم مع رَدِّهم وإلغائهم للظاهر، والإغراق

---

(١) قَرَّرَ ذلك وفصَّله طائفة من العلماء، كما في: قانون التأويل (ص:١٩١، ١٩٦– ٢٠٧)، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٣٠– ٢٤٨، وشفاء العليل ١/٧٧، والموافقات ٤/٢٠٨– ٢٥٥. وورد فيه حــديث مرفوع عن ابن مسعود ﷺ، أخرجه أبو يعلى في مسنده ٩/٨٠ (٥١٤٩)، وابن جريــر في تفــسيره ١/٢٢ طبعة التركي، والطبراني في الكبير ١٠/١٠٥ (١٠١٠٧)، وإسناده حــسن، ولــه متابعــات وشواهد تُنظَر في: الأقوال الشاذَّة في التفسير (ص:٣٠– ٣٣).

(٢) عَرَّف ابن العربي(ت:٥٤٣) الظاهر والباطن فقال: «نعني بالظاهر: ما تبــادر إلى الأفهــام مــن الألفاظ، ونعني بالباطن: ما يفتقر إلى نظر». قانون التأويل (ص:١٩١)، ويلاحظ في تعريفه للباطن أنه تعريف بالوصف لا بالحدِّ؛ فإنه ذكر طريق الوصول إلى المعنى الباطن و لم يزد عليه.

كما عَرَّفهما الشاطبيُّ(ت:٧٩٠) بقوله: «المراد بالظاهر هو: المفهوم العربي، والباطن هــو: مــراد الله تعالى من كلامه وخطابه». الموافقات ٤/٢١٠، والملاحظ هنا تخصيصه للباطن بأنه مراد الله تعالى من خطابه. وهذا التخصيص لا يتطابق مع طائفة من الأمثلة التي ذكرها في هذا الموضع، كما لا يتوافق مع تفصيله للباطن بعد ذلك (ص:٢٣١)؛ إذ ذكر شرطي قبول المعنى الباطن وهما: موافقة اللغة، وشهادة الشرع. وليس فيهما أنه مراد الله تعالى، ولا يلزم منهما ذلك.

في معاني باطنة باطلة لا يقبلها نقلٌ صحيح ولا عقلٌ صريح، فيؤول تفسيرهم إلى دعاوى ليست من الظاهر، ولا من الباطن الصحيح في شيء.

• **المعاني المأخوذة بالاستنباط - بطبيعتها - أكثر وأغنى من معاني الألفاظ المباشرة**، بل إن من أحكام الحوادث ما لا يُعرَفُ بالنصِّ وإنما بالاستنباط، وكم من سِرٍّ وحُكمٍ نَبَّهت عليهما الإشارة، ولم تبينهما العبارة[١]، قال السهيلي(ت:٥٨١): «ليس كل حكم يؤخذ من اللفظ، بل أكثرها تؤخذ من جهة المعاني والاستنباط من النصوص» [٢]؛ إذ الألفاظ محصورة، ومعانيها محددة، والوقائع والمناسبات متجددة، وقد أنْزل الله تعالى كتابه الكريم صالحاً لكُلِّ زمان ومكان، وتبياناً لِكُلِّ شيء يتوقف عليه التكليف والتعبد، وتستقيم به حياة الناس؛ من العلوم الشرعية، والحقائق العقلية[٣]، وقد أبان عن هذا ابنُ عاشور(ت:١٣٩٣) في حديثه عن المقصد الأول من مقاصد القرآن الكريم: «كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين؛ لتؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين»[٤].

• **العلمُ المستَنبَطُ على وجهه أقرب إلى علم النبوة وأعلى درجةً من غيره**، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى

(١) ينظر: التفسير الكبير ١٥٩/١٠، والموافقات ٢٠٢/٤، وروح المعاني ٤٨٩/٦.

(٢) كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية (ص:٧٧).

(٣) ينظر: قانون التأويل (ص:١٩٦)، والموافقات ١٢٧/٢- ١٣١.

(٤) التحرير والتنوير ١٥٨/٣.

﴿ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٨٣]، فَخَصَّ الله تعالى رسوله ﷺ بعلم حقيقة الأمر من الأمن أو الخوف، وما يُنشَر منه وما لا ينشر، كما خَصَّ بعلمه أهلَ الاستنباطِ من أولي الأمر - وهم العلماء - دون غيرهم من أهل العلم[١]، «والله سبحانه ذمَّ من سمع ظاهراً مجرَّداً فأذاعه وأفشاه، وحَمِدَ من استنبط من أولى العلم حقيقته ومعناه»[٢].

ولَمَّا كانت مراتب العلماء في فهم المراد متفاوتة؛ كان لأهل العلم بالاستنباط اختصاصٌ بجُملَة فضائل لا يشركهم فيها غيرهم من العلماء النَّقَلة الحفظة - على فضلهم -[٣]، ويوضح منازلَ العلماء تلك حديثُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: ((**مثلُ ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم، كمثلِ غيثٍ أصابَ أرضاً فكان منها طائفةٌ طيبةٌ، قبلت الماءَ فأنبتت الكلأَ والعشبَ الكثيرِ، وكان منها طائفةٌ أجادبَ، أمسكت الماءَ فسقى الناسُ وزرعوا، وأصابَ منها طائفةً أخرى إنما هي قيعانٌ؛ لا تُمسِك ماءً، ولا تُنبتُ كلأً، فذلك مثلُ من فقه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله به؛ فعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**))[٤]، ففي هذا

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص ٢٧٠/٢، والتفسير الكبير ١٥٩/١٠، والتحرير والتنوير ٢٥٢/٢٣- ٢٥٣.

(٢) إعلام الموقعين ٣٩٧/١.

(٣) ينظر: التيسير في قواعد علم التفسير (ص:٢٢٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٢١١/١ (٧٩)، ومسلم في صحيحه ٤٤٥/٥ (٢٢٨٢).

الحديث إشارةٌ ظاهرةٌ إلى تفاوت العلماء في ما معهم من الهدى والعلم حملاً وفهماً واستنباطاً، قال ابن القيم(ت:٧٥١): «قُسِمَ الناسُ إلى ثلاثةِ أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه، وفهم معانيه، واستنباط أحكامه، واستخراج حِكَمِه وفوائده:

أحدها: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه، وفهموا معانيه، واستنبطوا وجوه الأحكام والحِكَم والفوائد منه، فهؤلاء بمنْزلة الأرض التي قبلت الماء- وهذا بمنْزلة الحفظ-، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير- وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط؛ فإنه بمنْزلة إنبات الكلأ والعشب بالماء-، فهذا مثلُ الحفاظ الفقهاء أهل الرواية والدراية.

القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رُزِقُوا حفظه ونقله وضبطه، ولم يرزقوا تفقهاً في معانيه، ولا استنباطاً ولا استخراجاً لوجوه الحِكَم والفوائد منه، فهم بمنْزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه، ولم يُرْزَق فيه فهماً خاصاً عن الله، كما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه» [1]، والناس متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت، فَرُبَّ شخصٍ يفهم من النص حكماً أو حكمين، ويفهم منه الآخرُ مئةً أو مئتين، فهؤلاء بمنْزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فانتفعوا به؛ هذا يشرب منه، وهذا يسقى، وهذا يزرع.

فهؤلاء القسمان هم السعداء، والأوَّلون أرفع درجةً، وأعلى قدراً، وذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه٦/١٩٣(٣٠٤٧)، ومسلم في صحيحه ٣/٤٩٧ (١٣٧٠)، وسيأتي بتمامه.

فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم» [1].

فعلمُ الاستنباط علمٌ مبارك، يفيضُ على الأمَّة في كل زمان بكلِّ ما تحتاجه من معرفة الحَقِّ المطابق لوقائعها، والمستمَدِّ من خيرِ بيان وأصدق كلام؛ كتاب الله تعالى.

• **الاستنباط قدرٌ زائدٌ على مجرد إدراك المعنى الظاهر**؛ ومن ثَمَّ عزَّ وجوده، وصَعُبَ إدراكه، ولا يؤتاهُ كلُّ أحدٍ، بل هو من مواهب الله تعالى التي يُنعِمُ بها على من شاء من عباده، وقد امتَنَّ الله تعالى به على المؤمنين، وعصمهم به من اتِّباع غير الحق؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٨٣]، والاجتهاد في نيل العلم المُستَنبَط نوعٌ من الجهاد في سبيل الله، قال الزمخشري (ت:٥٣٨) عند قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤]: «فأما الجدال في آيات الله لإيضاح ملتبسها، وحَلِّ مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها، ورَدِّ أهل الزيغ بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله» [2]، كما أنه ميدان تنافس العلماء، وميزان تفاضلهم، قال البيضاوي (ت:٦٨٥) في قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[آل عمران:٧]: «محتملات لا يتضح مقصودها - لإجمال أو مخالفة الظاهر - إلا بالفحص و النظر؛ ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا

---

(٢) مفتاح دار السعادة (ص:٦٠)، وينظر: درء تعارض العقل والنقل ٩٨/٤، ومقدمات تفسير الأصفهاني (ص:٢٦٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص:٧٢)، والوابل الصيب (ص:١٣٥).

(٢) الكشاف ١٤٦/٤.

في تدبـــرها ، وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بـــه ، فينالوا بـــها – وبإتعاب القرائح في استـــخراج معانيها ، والتوفيق بينها وبين المحكمـــات – معالي الدرجات» [1].

وقد اجتهد الصحابة ﷺ في نيل تلك الفضائل والمنازل، وأصاب كلٌّ منهم ما قُسِمَ له؛ فمستَقِلٌّ ومستكثرٌ، وحين تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ لم يكن شيءٌ من كتاب الله خَفِيَّ المعنى عنهم، بل كُلُّ كتاب الله تعالى – ألفاظه ومعانيه – معلوم المعنى عند مجموع الصحابة ﷺ، ثُمَّ يتفاوت علم أفرادهم به بحسب ما اختصَّ الله تعالى كُلاًّ منهم، ولَمَّا قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيءٌ سوى القرآن؟ قال: «لا والذي فلَقَ الحبَّةَ وبَرَأَ النَّسمَة، إلا أن يُعطِي اللهُ ﷻ عبداً فهماً في كتابه» [2]، ومنه دعاء النبي ﷺ لابن عبـــاس ﷺ: ((**اللهم فَقِّهُ في الدين، وعلِّمهُ التأويل**))[3]، ولو كان المراد بهذا الـــدعاء معرفة معاني الألفاظ الظاهرة لَمَا كان لاختصاص ابن عباس بهذه الدعوة مزيَّة؛ فإنه مِمَّا يشترك فيه كثيرٌ من الصحابة، وإنما المراد ما ذكره علي ﷺ مِن الفهم في كتاب الله الذي يفتح الله تعالى به على من شاء من عباده، وقد وصف عليٌّ

---

(١) أنوار التنْزيل ١/١٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٦/١٩٣ (٣٠٤٧)، ومسلم في صحيحه ٣/٤٩٧ (١٣٧٠).

(٣) رواه ابن راهويه في مسنده ٤/٢٣٠ (٢٠٣٨)، وأحمد في المـــسند ١/٣١٤ (٢٨٨١)، وســـنده صحيح. وينظر: قانون التأويل (ص:٣٦٧).

ابنَ عباس ﷺ بقوله:«كأنما ينظر إلى الغيب من سترٍ رقيقٍ» [1]، ولمَّا بلغَه رأيَ ابن عباس في حادثةِ تحريق من غلو فيه قال: «ويح ابن أم الفضل؛ إنه لغوَّاص» [2]، وكان عمر يأذن له مع المهاجرين، ويسأله ويقول: «غُصْ غَوَّاص» [3]، وأمَّا عمر ﷺ فهو المُحَدَّثُ المُلهَم[4]، وحسبه أنه ممَّن عُنِيَ بقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣]، حيثُ قال في سبب نزولها: «فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر» [5].

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨) مبيناً تفاوت الصحابة في الفهم والاستنباط: «وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذي يقول فيه: «سمعت، ورأيت»، وسمع الكثيرَ من الصحابة، وبورك في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً، قال أبو محمد بن حزم : «وجُمِعَت فتاويه في سبعة أسفار كبار». وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي، وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص،

(١) المجالسة وجواهر العلم ٢٥٤/١، وينظر: شفاء الصدور، للنقاش (مخطوط، لوحة:٢٠)، ومقدمات تفسير الأصفهاني (ص:٢٧٢).

(٢) الإصابة ١٤٦/٤.

(٣) شفاء الصدور، للنقاش (مخطوط، لوحة:٢٠)، وينظر: مختصر تاريخ دمشق ١٧٣٥/١.

(٤) ينظر: صحيح البخاري ٥٩١/٦ (٣٤٦٩).

(٥) رواه مسلم في صحيحه ٦٦/٤ (١٤٧٩).

فأنبتت من كل زوج كـــريم، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة:٤] ، وأيـــن تقع فتاوي ابن عبـــاس وتفسيره واستنبـــاطه من فتـــاوي أبي هريرة وتفســـيره، وأبو هريـــرة أحفظ منـــه، بل هو حافظ الأمـــة علـــى الإطلاق؛ يؤدي الحديث كمـــا سمـــعه، ويدرســـه بالليـــل درساً، فكانـــت همته مصروفة إلى الحفظ وتبـــليغ ما حفـــظه كما سمعه، وهمـــة ابـــن عبـــاس مصروفة إلى التفقه، والاستنـــباط، وتفجير النصوص، وشـــقِّ الأنهـــار منـــها، واستخراج كنوزها» [1].

ومن ثَمَّ يشتدُّ حبور العالم وسروره حين يظفر بشيء من فرائد المعاني المستنبطة؛ مستشعراً نعمة الله تعالى وفـــضله عليـــه، ومـــن ذلـــك قـــول الشافعي(ت:٢٠٤) رحمه الله: «استنبطتُ البارحـــةَ آيـــتين، فمـــا أشـــتهي باستنباطهما الدنيا وما فيها» [2].

- **موضوع علم الاستنباط:**

إن المعاني المباشرة، وموضوعات الألفاظ ليست غَرَضاً للمستَنبِط، وإنمـــا غرضه ما وراء ظاهر معنى اللفظ، ويسميه بعض العلماء: المعنى الباطن[3]، وهو موضوع علم الاستنباط، قال الرازي (ت:٦٠٤): «والتمسك بالنص لا يـــسمى

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٤/٤، ونقله عنه ابن القيم في الوابل الـــصيب (ص:١٣٨)، وينظـــر: الجـــامع لأحكام القرآن ٥٨/١، ومفتاح دار السعادة (ص:٦٠)، والمقدمة الثالثة من مقدمات التحرير والتنوير.

(٢) أحكام القرآن ١٨٠/٢.

(٣) ينظر: قانون التأويل (ص:١٩١)، والموافقات ٢٠٨/٤-٢١٤.

استنباطاً» [1]. ولبيان: **ما الذي يُستَنبَط؟** يقول ابن العربي (ت:٥٤٣): «ومن علم الباطن — أي: المعاني المستنبطة — أن تستدلَّ من مدلول اللفظ على نظير المعنى، وهذا بابٌ جرى في كتب التفسير كثيراً»[2]، ويقول ابن القيم (ت:٧٥١): «معلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل، ونسبة بعضها إلى بعض، فيعتبرُ ما يصح منها بصحة مثله ومشْبِهِه ونظيره، ويُلغَى ما لا يصح، هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط» [3]، وقال: «الاستنباط كالاستخراج، ومعلومٌ أن ذلك قدرٌ زائدٌ على مجرد فهم اللفظ، فإن ذلك ليس طريقهُ الاستنباط؛ إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط، وإنما تنال به العللُ، والمعانيُ، والأشباه والنظائر، ومقاصد المتكلم. يوَضِّحُه أن الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفي على غير مستَنْبِطِه ..، ومعلوم أن هذا الفهم قدرٌ زائدٌ على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه، فإن هذا قدرٌ مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب، وإنما هذا فهم لوازم المعنى، ونظائره، ومراد المتكلم بكلامه، ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يُدخِل فيها غير المراد، ولا يُخرِج منها شيءٌ من المراد» [4]، ويقول الشاطبي(ت:٧٩٠) معلِّلاً لِصِحَّة

(١) التفسير الكبير ١٦٠/١٠، وينظر: البحر المحيط في الأصول ٤٨٨/٤.

(٢) المرجع السابق (ص:٢٠٧)، وأكَّدَ ذلك ابن ناصر الدين الدمشقي (ت:٨٤٢) في كتابه: مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٦٤]، (ص:٣٦٧).

(٣) إعلام الموقعين ٣٩٧/١.

(٤) المرجع السابق.

وجهٍ من المعاني المستنبطة: «ولكن أتى بما هو نِدٌّ في الاعتبار الشرعي الــذي شهد له القرآن» [(١)].

فيتلخَّصُ من مجموع ذلك أن ما يُستَنبَطُ هو:

نِدُّ المعنى الظاهر ونظيره؛ الذي يوافقه في القصد أو يقاربه، ولوازم المعنى، وعلله؛ ليُلحَق به أشباهه ونظائره، وتتبين معه نسبةُ الألفاظ بعضها إلى بعض، ثُمَّ مقاصد المتكلم ومراده، بحيث لا يُزادُ عليها ولا يُنقَصُ منها.

وهذه أمثلة من استنباطات العلماء؛ جليلةُ المعاني، دقيقةُ المآخذ، توضــح هذه الأنحاءَ المستنبطةَ بجلاء:

- قال ابن عباس ﷺ: «الرجم في كتاب الله لا يغوص عليه إلا غواص، وهو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ [المائدة:١٥] »[(٢)]، ومأخذ ابن عباس ﷺ في ذلك أن أهل الكتاب أخفَوا حكم الرجم في كتابهم، فبيَّنه لهــم رســول الله ﷺ[(٣)]، فطابق وصف الآية حالهم ذلك، فكان حكم الرجم مما جاء به كتاب الله تعالى بهذا الاعتبار. وهذا الاستنباط من ابن عباس ﷺ نِدٌّ للمعنى الظــاهر للآية، ويوافقه في القصد والعِلَّة. وقد استنبط الزهري(ت:١٢٤) نحواً من ذلــك

---

(١) الموافقات ٢٤٢/٤- ٢٤٥، بتصرف يسير.

(٢) زاد المعاد ٣٢/٥- ٣٤.

(٣) جاء ذلك من حديث ابن عمر في صحيحي البخــاري ١٣١/١٢ (٦٨١٩)، ومــسلم ٣٥١/٤ (١٦٩٩).

فقال: «فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ [المائدة:٤٤] كان النبي ﷺ منهم»[١].

- قال سفيان بن عيينة[٢](ت:١٩٨) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]: «ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم؛ فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطَوَّس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو أُلقِيَ إليها الطعام عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه؛ فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمةً لم يحفظ واحدة منها، وان أخطأ رجلٌ تَرَوَّاهُ وحفظه»[٣].

وهذا الاستنباط قريبُ المأخذِ من وجه استنباط ابن عباس ﭬ السابق؛ قال الخطابي(ت:٣٨٨): «ما أحسن ما تأوَّل سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة؛ وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمُهُ مطاوعاً لظاهره وجبَ المصيرُ إلى باطنه[٤]، وقد أخبر الله عن وجود المماثلةِ بين الإنسان وبين كلِّ طائرٍ ودابةٍ،

(١) سنن أبي داود ٥٦٠/٢ (٤٤٥٠)، وينظر: زاد المعاد ٣٤/٥.

(٢) اشتهر ابن عيينة(ت:١٩٨) رحمه الله بالاستنباطات الحسنة، والمَنَازِع المستَحسَنَة من الآيات، وله فيها نماذج عديدة، ينظر منها: جامع البيان ٩٦/٩ (١١٧٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٧١/٥ (٩٠٠٨)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٥٦٢/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٥٨/٨، والفوائد (ص:١٥٩)، وتفسير ابن عيينة (ص:٣٥٦).

(٣) شفاء العليل ٧٧/١، وينظر: التفسير الكبير ١٧٧/١٢، والبحر المحيط ١٢٥/٤.

(٤) هذا صحيحٌ في غير هذا المقام؛ إذ حُكمُ الكلام هنا مُطَاوِعٌ لظاهره؛ وذلك أنَّ دوابَّ الأرض أُمَمٌ أمثالنا: في الخلق والإيجاد، والتسبيح والعبادة، والحشر والبعث. وهو الوارد عن السلف في معناها،

وذلك ممتنع من جهةِ الخِلْقَة والصورَة، وعُدِمَ من جهة النطق والمعرفة، فوجب أن يكون منصرفاً إلى المماثلةِ في الطباع والأخلاق، وإذا كان الأمر كــذلك فاعلم أنك إنما تعاشر البهائم والسباع، فليكن حذرك منهم، ومباعدتك إياهم على حسب ذلك»[(١)].

– قال السُّهَيلي (ت:٥٨١) عند قولــه تعــالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ [النساء: ١١]: «وانتبه أيها التالي لكتاب الله المأمور بتدبره كيف قال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ بلفظ الأولاد دون لفظ الأبناء، ثم أضاف الأولاد إلــيهم بقوله: ﴿أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾، ومعلوم أن الولد فلذة الكبد، وذلك موجب للرحمــة الشديدة، فمع أنه أضاف الأولاد إليهم جعل الوصية لنفسه دونهم؛ ليدل على أنه أرأف وأرحم بالأولاد من آبائهم، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول العبــد لأخيه: أوصيك في أولادك. لأن أبا الولد أرحم بهم فكيف يوصي غيره بهم؟ وإنما المعروف أن يقول: أوصيك بولدي خيراً. فلما قال الله تبارك وتعــالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ عُلِمَ أن رب الأولاد أرحم بالأولاد من الوالِدِين لهم حيث أوصى بهم وفيهم، وحسبك بقوله ســبحانه: ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوســف:٦٤]، فالأبوان من الراحمين، فالله تعالى أرحم منهما؛ فلذلك أوصــى

واستنباط ابن عيينة مبنيٌّ على هذا المعنى الظاهر الصحيح. ينظر: جامع البيان ٢٣٢/٩، ومعــالم التنْزيــل ١٤١/٣، والمحرر الوجيز ٢٨٩/٢.

(١) شفاء العليل ٧٧/١.

الآباء بأولادهم»[1]، وهذا استنباطٌ حسنٌ أثنى عليه ابن كثير(ت:٧٧٤) وقال: «وقد استنبط بعض الأذكياء.. » ثم ذكره.[2]

– قال القاضي أبو يعلى (ت:٤٥٨) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]: «وفي هذا دلالة على أن هؤلاء النصارى الذين يتولون أعمال السلطان، ويظهر منهم الظلم والاستعلاء على المسلمين، وأخذ الضرائب = لا ذمة لهم، وأن دماءهم مباحة؛ لأن الله تعالى وصفهم بإعطاء الجزية على وجه الصغار والذل»[3]، قال ابن القيم (ت:٧٥١): «وهذا الذي استنبطه القاضي من أصح الاستنباط؛ فإن الله سبحانه وتعالى مد القتال إلى غاية وهي إعطاء الجزية مع الصغار، فإذا كانت حالة النصراني وغيره من أهل الجزية منافية للذل والصغار فلا عصمة لدمه، ولا ماله، وليست له ذمة، ومن ها هنا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط التي فيها صغارهم وإذلالهم، وأنهم متى خرجوا عن شيء منها فلا عهد لهم ولا ذمة، وقد حَلَّ للمسلمين منهم ما يحل من أهل الشقاق والمعاندة»[4].

- **علاقةُ علم الاستنباط بعلم التفسير:**

---

(١) كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية (ص:٣٠) بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨٥٩/٢.

(٣) أحكام أهل الذمة ١٢٢/١.

(٤) المرجع السابق.

الاستنباط على ما سبق تعريفه من أشد علوم القرآن ارتباطاً بعلم التفسير، ولا يتوصل إليه إلا بعد بناء التفسير وتمامه، وقد قَسَمَ ابنُ القيم(ت:٧٥١) التفسيرَ إلى ثلاثة أقسام، فقال: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول[١]:

١- تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحُو إليه المتأخرون.

٢- وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف.

٣- وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحُو إليه كثير من الصوفية وغيرهم»[٢].

والقسم الثالث من هذه الأقسام داخلٌ في علم الاستنباط من معاني الآيات، إذ ليس هو بتفسير على اللفظ ولا على المعنى؛ فإنهما ظاهران مباشران، ويبقى الاجتهاد والتأمُّل في هذا القسم. والاستنباط أعمُّ من القياس، وإنما القياس أحد صوره وأشهرها[٣]، وعَدُّ هذا القسم من التفسير نوعُ تَوَسُّعٍ سبقت الإشارة إليه»[٤].

قال ابن تيمية(ت:٧٢٨) عن هذا الوجه من التفسير: «أما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دلَّ اللفظ عليه، ويجعلون المعنى المُشار إليه مفهوماً من

---

(١) ذكر قريباً منها ابن عاشور في حديثه عن طرائق المفسرين، في المقدمة الرابعة لتفسيره التحرير والتنوير ٤٢/١، وينظر: تفسير آيات أشكلت ١٤٩/١.

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص:٨٤)، وينظر: مدارج السالكين ٢٧٣/٣.

(٣) ينظر: قانون التأويل (ص:٢٢٣)، والتفسير الكبير ١٥٩/١٠، والمُسَوَّدة في أصول الفقه ٨٣٠/٢، ومذكرة أصول الفقه (ص:٢٢٥).

(٤) ينظر (ص:٧)، وابن القيم هنا يصف حال تفاسير الناس ولا يؤصل لأقسام علم التفسير، فلا إشكال في تقسيمه وتوسعه في الإطلاق.

جهة القياس والاعتبار، فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار، وهــذا حقٌّ إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً، واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً»[1]، وقال في طرق دلالة اللفظ على المعنى الصحيح: «القسم الثاني: أن يُجعَل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ، فهذا من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياساً، هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل، كانقسام القياس إلى ذلك»[2]، فالإشارات من باب الاعتبار والقياس، واختصَّ بها في الغالب أرباب السلوك وتزكية النفوس، ومنها صحيحٌ مستقيمٌ، وفاســدٌ منحرفٌ.

- **شروط الاستنباط:**

لصِحَّة الاستنباط شروطٌ تعرض لها عددٌ من الأئمة كابن تيمية (ت:٧٢٨) وابن القيم (ت:٧٥١) والشاطبي (ت:٧٩٠) في مقامات وعبارات متشابهة، وهي تتطابق مع شروط التفسير على الإشارة والقياس التي ذكرها ابن القيم(ت:٧٥١) فقال: «وهذا - أي التفسير على الإشارة والقياس - لا بــأس بــه بأربعــة شرائط: ١- أن لا يناقض معنى الآية، ٢- وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه، ٣- وأن يكون في اللفظ إشعار به، ٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً»[3]، وقــال

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٢٨، وينظر منه: ٦/٣٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٣٤١، وينظر: قانون التأويل (ص:١٩١، ١٩٦، ٢٠٧).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص:٨٤)، وينظر: مــدارج الــسالكين ٣/٢٤٨، والوابــل الــصيب (ص:١٧٩).

الشاطبي(ت:٧٩٠): «كون الباطن هو المراد من الخطاب يشترط فيه شرطان، أحدهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية. والثاني: أن يكون له شاهدٌ نصًّا أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض»(١)، وهذان الشرطان يلتقيان مع الشرط الثاني والثالث عند ابن القيم (ت:٧٥١)، **وهذا بيان جميعها:**

أولاً: أن لا يناقض المعنى المُستَنبَط معنى الآية: لأنه تابعٌ لها؛ مبنٌّي عليها، فإذا عاد على معنى الآية بالنقض لم يعد استنباطاً منها، وانقطعت صلته بها، قال ابن القيم(ت:٧٥١): «والمقصود بالأقيسة والاستنباطات فهم المنقول لا تخطئته»(٢)؛ لأنها كالشواهد على المعاني، ولا يصح أن يأتي الشاهد بتجريح ولا تكذيب.(٣)

ثانياً: وأن يكون معنىً صحيحاً في نفسه: وهذا شرطٌ لقبوله، وما ليس كذلك لا يَصِحُّ منفرداً بنفسه، فضلاً عن أن يُزعَم ارتباطه بآيٍ من كتاب الله تعالى، قال القرطبي(ت:٦٧١): «من قال في القرآن بما سنح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، ومن استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح»(٤).

---

(١) الموافقات ٤/٢٣١- ٢٣٢.

(٢) بدائع الفوائد ٤/٩٨٥.

(٣) ينظر: قانون التأويل ٣٥١، والبحر المحيط في الأصول ٢/٥٠٩، وشرح الكوكب المنير ٣/٤٦٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/٥٨، وينظر: أحكام القرآن، للجصاص ٢/١١٢، والكشف والبيان ١/٨٧.

وصدقُ القضية، ومطابقة المعنى للواقع، وعدم تناقضه واستحالته، وعدم مخالفته لنصوص الشرع وقواعده = من شروط صحة التفسير به مباشرةً أو استنباطاً، ولهذا الشرط أمثلةٌ كثيرة في تفاسير السلف.[١]

ويتبع هذا الشرط: العناية بتحرير معنى الاستنباط وإيضاحه، ورَدِّ الشُّبَه والإيرادات الواردة عليه، واستفراغ الوُسعِ في الاستدلال عليه وتأصيله.[٢]

ثالثاً: وأن يكون في اللفظ إشعارٌ به: فيدخل في تنبيهه وإشارته ومعاني معانيه، ويتبع هذا موافقة المعنى المستنبَط للعربية، وعدمُ خروجه عن لسان العرب وسَنَنِها في كلامها، قال الشاطبي(ت:٧٩٠): «الاجتهاد إن تعلق بالاستنباط من النصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية»[٣]، وقال: «كلُّ معنىً مستنبط من القرآن غيرِ جارٍ على اللسان العربي = فليس من علوم القرآن في شيء ؛ لا مِمَّا يُستَفاد منه ، ولا مِمَّا يُستَفاد به ، ومن ادَّعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل»[٤]؛ وذلك الاشتراط ليتمكن المفسر من علم وجه دلالة اللفظ وإشارته على المعنى المستنبَط منه ؛ إذ اللفظ كالمدخل لهذه المعاني التابعة.

---

(١) ينظر: تفسير الثوري (ص:٨٣)(١٧٣)، وتفسير عبد الرزاق ٢/٢٢٠ (١٣٢٩)، وصحيح البخاري ٨/٤٢٦ (٤٨١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٣٥٥ (١٨٦٩)، ومنهاج السنة النبوية ٧/١٧.

(٢) ينظر في التمثيل لذلك: نكت القرآن ١/٢٠٤، والتفسير الكبير ٢٩/١٦٨.

(٣) الموافقات ٥/١٢٤، وينظر منه: ٣/٢٥٠، والتسهيل لعلوم التنْزيل ١/١٨.

(٤) الموافقات ٤/٢٢٤.

رابعاً: وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم: وهي العلاقة بينهما؛ ليَصِحَّ كونه مستنبطاً منها، وإلا بَقِيَ الاستنباطُ بمعزلٍ عن معنى الآية، ولا علاقة تربطه بها. وهذه العلاقة بين المعنيين هي نسبة المعنى إلى المعنى التي سبق ذكرها في موضوع علم الاستنباط.

ويُضاف إلى تلك الشروط:

خامساً: أن يكون المعنى المستنبَطُ مفيداً، إذ ينبغي صيانةُ كلام الله تعالى عمَّا لا فائدةَ فيه من المعاني تفسيراً أو استنباطاً[١]، وما لا فائدة فيه من المعاني يشملُ كُلَّ معنىً أبطل معنى الآية الظاهر، أو نزل ببيان القرآن العالي، أو حَطَّ من إجلاله وتعظيمه الواجب، أو ارتبط بعلوم فاسدة، أو لا فائدة فيها شرعية أو دنيوية[٢]، قال الرازي(ت:٦٠٦) في تعليله لأحد المعاني: «ومعلومٌ أن حمل الآية على محملٍ تبقى الآية معه مفيدة ، أولى من حملها على محملٍ تبقى الآية معه مجملة»[٣]، وهذا مُطَّردٌ في عامَّة المعاني المباشرة والمُستَنبَطة.

سادساً: ألاَّ يكون المعنى المستنبَطُ مُتَكَلَّفاً، وهذا شرطُ كمالٍ يصون هذا العلم عن الابتذال[٤]؛ إذ المعاني المستنبطة لا تُحَدُّ، ومراتبها في القرب والبعد

---

(١) إغاثة اللهفان ٩٢/١.

(٢) وأكثر الخلل الواقع في استنباطات ما يسمى (الإعجاز العلمي أو العددي في القرآن) راجعٌ إلى الإخلال بهذا الشرط.

(٣) التفسير الكبير ١٢٧/١١.

(٤) ينظر: قانون التأويل (ص:٢٠٧، ٣٦٧- ٣٦٨)، والتكميل في أصول التأويل، للفراهي (ص: ٢٧٠).

والظهور والخفاء متفاوتة، فلزمَ ضبط كُلِّ ذلك بصيانة المعنى من التكلف، قال ابن تيمية(ت:٧٢٨): «إن اللسان له موقع من الدين، والعبارة المَرضِيَّة منـــدوبٌ إليها، كما أن التعَمُّقَ منهيٌّ عنه»[١]، ويعيبُ ابنُ العربي(ت:٥٤٣) على بعـــض من وقع في ذلك بقوله: «ومن أحسن ما أُلِّفَ فيه– أي: كتب التفسير القائمة على الاستنباطات– كتاب: ((اللطائف والإشارات)) للقشيري رضي الله عنه، وإنَّ فيه لَتَكَلُّفاً أوقعه فيه ما سلكه من مقاصد الصوفية»[٢].

سابعاً: ألاَّ يَعُدَّ استنباطه من الآية تفسيراً لها بإطلاق، بل يتعيَّن عليه اعتقاده من المعاني التابعة للمعنى الأصلي الظاهر للآية الذي هو تفسيرها، كما يتعـــيَّن عليه تقييد وصفه لتلك الاستنباطات بالتفسير؛ فيسميها: بالتفسير الإشـــاري، أو نكت القرآن، أو غيرها ممَّا ميَّز به العلماء هذه الاستنباطات عن غيرها من مؤلفات التفسير الاصطلاحي؛ وذلك لصيانة معاني كتاب الله من التحريف؛ حين يعتقد القارئ مطابقة الاستنباط للفظ الآية.

وهذا ما عبَّر عنه الشاطبي(ت:٧٩٠) بقوله عن إشارة تفسيرية لأحد المفسرين؛ مُشكِلَةٍ في الظاهر، بعيدةٍ عن السياق: «ولكن له وجهٌ جارٍ علـــى الـــصِّحَّةِ، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية»[٣]، ولَمَّا فاتَ أبا عبـــد الـــرحمن

---

(١) تنبيه الرجل العاقل ٢٧١/١.

(٢) قانون التأويل (ص:٢٠٧).

(٣) الموافقات ٢٤٢/٤– ٢٤٣، ٢٤٧. وينظر: الإتقان ٣٦٧/٢.

السلمي[١](ت:٤١٢) الإشارةَ صراحةً إلى هذا الشرط في تفسيره ((حقائق التفسير)) شَنَّع عليه جماعةٌ من العلماء، حتى قال بعضهم: «إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر»[٢]، قال ابن الصلاح(ت:٦٤٣) : «وأنا أقول: الظنُّ بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن؛ فإن النظير يُذكَر بالنظير»[٣].

ثامناً: ألاَّ يَقصُرَ معنى الآية عليه؛ لأنه تابع ومترتب على المعنى الأصلي للآية كما سيأتي.

فبهذه الشروط يكمل الاستنباط ويحسن، وباختلالها يؤول الحال إلى ما ذكره ابن القيم (ت:٧٥١) عن استنباطٍ لبعض الصوفية اختلت فيه بعض هذه الشروط: «والاستشهاد بهذا من جنس الألغاز»[٤]، وهكذا هو الاستنباط

(١) محمد بن الحسين بن موسى الأزدي، أبو عبد الرحمن السلمي، شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، صنف: حقائق التفسير، وغيره، توفي سنة (٤١٢). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٤٣/٤، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص:٨٥)، وشذرات الذهب ٦٧/٥.

(٢) فتاوى ابن الصلاح ١٩٦/١، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣٦٥/٢.

(٣) المرجع السابق، وينظر: روح المعاني ١١/١.

(٤) طريق الهجرتين (ص:٥٠٧)، وفي التمثيل لبعض الاستنباطات المردودة وأسباب ردِّها ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٩/٧، وبدائع الفوائد ١٥١/٢، وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧٥/٨- ٧٦، وطبقات الشافعية الكبرى ١٤٧/٤، وفتح الباري ٣٩٥/١٢. وقد أطال

حين تتخلف فيه هذه الشروط أو بعضها، ينقلب من حق وعلم إلى باطل وجهل؛ لا تصح نسبته إلى كتاب الله تعالى بوجه من الوجوه.

• **بيان معنى اللفظ سابق للاستنباط منه**، ولا يصح استنباطٌ إلا على معنىً صحيحٍ ثابتٍ لِلَّفظ، فاللفظ بمنْزلة الأساس، والاستنباط بمنْزلة البنيان، و«لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن و لم يُحكِم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب»[1]، قال القرطبي(ت:٦٧١): «والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً؛ ليتَّقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتَّسعُ الفهم والاستنباط، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر»[2].

• **تتفاوت المعاني المستنبطة في القرب والبعد من معنى الآية، كما تتفاوت في الظهور والخفاء**، وكُلٌّ ذلك بحسب المعنى المستنبط، ووجه اتصاله بالمعنى الظاهر، وباستعراض أيٍّ من الكتب المفردة في الاستنباطات القرآنية يتضح ذلك بلا خفاء؛ فبينما ترى استنباطاً على التمام، إذ يتلوه آخرُ موغلاً في الإبهام، ثم يمر بك استنباطٌ في القرب والظهور كأنه المعنى المباشر للَّفظ، ويتبعه آخر في البعد والخفاء بما لا يكاد يسفر لك عن وجه اتصاله بالآية.

الشاطبي(ت:٧٩٠) في عرض نماذج من استنباطات مردودة مع التعليق عليها في كتابه الموافقات ٢٣٥/٤.

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣٦٧/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٩/١.

وهذا التفاوت في المعاني المستنبطة يستلزم التنبيه على أنه لا يمكن عَدُّ الاستنباط معنىً للآية على الاستقلال مهما اشتد قربه وظهوره من المعنى المباشر؛ لأنه تابعٌ للمعنى الأصلي ومترتب عليه كما سبق بيانه، والتفسير شرطٌ في وجوده ولا عكس.

• **يُعَبَّرُ عن المعاني المستنبطة في كلام العلماء بألفاظ عديدة،** من نحو: باطن الآية، ما وراءِ اللفظ، إشارات الآيات، لطائفُ ومُلح ونُكَتُ الآيات، حقائق المعاني، معاني المعاني، روح المعاني، رموز المعاني، مستَتْبَعات التراكيب، دقائق التفسير، أسرار التأويل، تأملات قرآنية، ظِلالُ الآيات، هداية الآيات، فوائد الآيات .. وغيرها، وبعضها أعمُّ من بعض في الاستعمال.

• **المنهج المُتَّبع لبلوغ درجة الاستنباط المحمودة شرعاً:**

إن هذا العلم عزيز، وليس في مقدور عامَّة الناس ولا أكثر علمائهم الخوض فيه، وإنما هو شأن القلَّة التي تمكنت منه بعد جَهدٍ واجتهاد وفتحٍ وتوفيق من الله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣]، قال شمس الدين الأصفهاني(ت:٧٤٩): «كُلُّ من كان حَظُّه في العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر»(١)، وقال ابن القيم(ت:٧٥١) في معنى ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: «أي يستخرجون حقيقته وتدبيره بفطنتهم، وذكائهم، وإيمانهم، ومعرفتهم بمواطن الأمن والخوف»(٢)، وقال: «ولو رُزِقَ العبدُ تضَلُّعاً من كتاب الله وسنة رسوله، وفهماً تامًّاً في النصوص

(١) مقدمات تفسير الأصفهاني (ص:٢٦٤).

(٢) مفتاح دار السعادة (ص:٤٢٣).

ولوازمها، لاستغنى بذلك عن كلِّ كلامٍ سواه، ولاستنبط جميع العلوم الصحيحة منه»[1].

ومن رامَ بلوغ شيءٍ من مدارج هذا العلم فلْيُحكِم أولاً الطريق إليه، وهو: العلم بحدود ألفاظ الآيات، وفهم وجوه معانيها، وتصرُّفاتِ أساليبها، ثُمَّ يستظهر بعد ذلك - بآلةٍ راسخة في علوم اللسان والبيان، وأصول الشرع ومقاصده، وبتحقُّقٍ تامٍّ فيما هو بصدد استنباط مسائِله من العلوم — ما تقع عليه بصيرته من دقائق المعاني، ومحاسن الإشارات؛ الأقرب منها فالأقرب إلى معنى الآية، ثمَّ الأقوى منها فالأقوى في الدلالة على مقصده ومُراده، قال ابن جرير(ت:٣١٠): «أولى العبارات أن يُعَبَّر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه»[2]، وقال الراغب الأصفهاني(ت:بعد٥٠٠): «إن المائل إلى دقيق المحاجَّة هو العاجز عن إقامة الحُجَّة بالجَليِّ من الكلام؛ فإنَّ من استطاع أن يُفهِمَ بالأوضح الذي يفهمه الكثيرون، لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، وقد أخرج الله تعالى مخاطباته في أجلى صورة تشتمل على أدقِّ دقيق؛ لتفهم العامَّة من جَلِيِّها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، ويفهم الخواص من أسرارها ودقائقها»[3]، وقال ابن القيم (ت:٧٥١): «وإذا دعاك اللفظ إلى المعنى من مكان

---

(١) زاد المعاد ٣٧٩/٤.

(٢) جامع البيان ١٦/١٧.

(٣) مقدمة جامع التفاسير (ص:٧٥) بتصرف يسير، ونقل هذا النص كاملاً عن الراغب: شمسُ الدين الأصفهاني(ت:٧٤٩) في مقدمات تفسيره (ص:٢٦٤)، والكافيجي(ت:٨٧٩) في التيسير في قواعد علم التفسير (ص:٢١٨).

قريب، فلا تُجب من دعاك إليه من مكان بعيد»[١].

وإنَّ بذلَ غاية الوُسعِ والاجتهاد في تفحُّصِ معاني الآيات، وتقليب وجوهها، والغوص في مدلولات ألفاظها ومقاصدها وعللها = لهو أعظم شرطٍ لنيلِ المرادِ في هذا البابِ، ولتحقيق ذلك عانى العلماء ما عانوه، ولحِقَهم فيه من المشقَّة والجَهدِ ما لَحقَهم، وهذه صورة من ذلك يرويها محمد بن سعيد الفاريابي، عن الإمام المُزَنيِّ(ت:٢٦٤) أو الرَّبيع(ت:٢٧٠) قال: «كنَّا يوماً عند الشافعي بين الظهر والعصر عند الصحن في الصُّفَّة، والشافعي قد استند – إما قال: إلى اسطوانة، وإما قال إلى غيرها –، إذ جاء شيخ عليه جبة صوف، وعمامة صوف، وإزار صوف، وفي يده عُكَّاز، قال: فقام الشافعي، وسوى عليه ثيابه، واستوى جالساً، قال: وسَلَّمَ الشيخُ وجلس، وأخذ الشافعيُ ينظر إلى الشيخ هيبةً له، إذ قال له الشيخ: أسأل؟ فقال: سل. قال: أيشٍ الحُجَّةُ في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. قال: وماذا؟ قال: وسنة رسول الله ﷺ. قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلت: اتفاق الأمة من كتاب الله؟ قال: فتدبر الشافعي ساعةً، فقال للشافعي: يا شيخ، قد أَجَّلْتُك ثلاثةَ أيام ولياليها، فإن جئت بالحُجَّةِ من كتاب الله في الاتفاق وإلا تُبْ إلى الله ﷻ. قال: فتغَيَّرَ لون الشافعي، ثم إنه ذهب فلم يخرج ثلاثةَ أيامٍ ولياليهن، قال: فخرج إلينا اليوم الثالث في ذلك الوقت – يعني بين الظهر والعصر –، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه، وهو مِسْقَام، فجلس، قال: فلم يكن بأسرعَ أن جاء الشيخُ فسلم وجلس، فقال: حاجتي. فقال الشافعي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص:٢١٦).

الرحمن الرحيم، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]، لا يُصليه على خلافِ المؤمنين إلا وهو فرضٌ. قال: فقال: صدقت. وقام وذهب. قال الفاريابي: قال المزنيُّ أو الربيعُ: قال الشافعي: لما ذهب الرجلُ قرأتُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ مراتٍ حتى وقفتُ عليه»(١). وقد كان هذا الاجتهاد دأبُ الشافعي رحمه الله، ومنه قوله: «لَمَّا أردتُ إملاءَ تصنيف أحكام القرآن قرأتُ القرآنَ مائةَ مَرَّة»(٢).

وبالتأمُّل في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه السابق: ((**مثلُ ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثلِ غيثٍ أصابَ أرضاً فكان منها طائفةٌ طيبةٌ، قبلت الماءَ فأنبتت الكلأَ والعشبَ الكثير**))(٣)، ترى جملةً ظاهرةً من أوصاف أهل العلم بالاستنباط احتواها هذا المثل النبوي الجليل، وبيانها: أن قلوبَ هؤلاء العلماء أرضٌ طيبةٌ، قبلت الوحي، واستقر في أعماقها، ثمَّ أنبت الوحي في جوارحهم العمل الصالح الكثير؛الذي يتعدَّى نفعه أنفسَهم إلى غيرهم.فهم أهل إيمانٍ راسخ، وعملٍ بالعلم ملازم، ونفعٍ للناس دائم.

وهذا يؤكد أنَّ لطهارة الباطن، وزكاء النفس، وعمارة القلب بالتقوى أثرٌ ظاهرٌ في باب الاستنباط، ولهذا المعنى نصيبٌ من قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ

---

(١) مجالس في تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٤]، (ص:٣٦٦)، وينظر: تاريخ دمشق ٣٦٢/٥١، وسير أعلام النبلاء ٨٣/١٠.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦٣/٥١.

(٣) سبق تخريجه.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]؛ ووجه ذلك أن انشغال القلب بمعاني العبودية والتقوى يُقَرِّبه من إشاراتها ودلالاتها في الآيات؛ ذلك أنَّ من اهتَمَّ بشيءٍ غلبَ على تفكيره، وتراءى له في كُلِّ ما يقصده، وقد دَلَّ قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ وَقُرۡءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٦٩- ٧٠]، على أنَّ فهم المراد من القرآن والانتفاع به إنما يحصل لمن هو حيُّ القلب. كما أن هذه الاستنباطات من نِعَمِ الله تعالى على العبد، ولا تُنَال نعمةُ الله تعالى بغير طاعته وتقواه، وقد أشارت النصوص الشرعية إلى أن أهل هذه الصفات - من الطاعة والتقوى وحياة القلب - أولى بإصابة الحق من غيرهم؛ إذ معهم من أسباب الهداية والإصابة ما يدنيهم من الحقِّ ويُجَلِّيه لهم؛ قال ﷺ: ((**الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء**))[١]، قال ابن تيمية(ت:٧٢٨): «ومن كان معه نورٌ وبرهانٌ وضياءٌ كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها؟!، وفي الحديث الصحيح: ((**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**))[٢]، ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرةٍ نافذةٍ، ونَفْسٍ فَعَّالَة، وإذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلت له الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخراب المُظلم، وكُلَّما قويَ الإيمانُ في القلب قويَ انكشافُ الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها»[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤٥٥/١ (٢٢٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٣٤٨/١١ (٦٥٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى ٤٣/٢٠- ٤٥ بتصرف.

ومِمَّا يُعين المفسِّر على حسن الاستنباط: تفريغ القلب من الشواغل، وجمعه على ما هو بصدده من تأمُّل دقائق المعاني ولطائفها، قال الرازي (ت:٦٠٦) مبيناً أثر انشغال القلب على الاستنباط: «فهذا جملة الكلام في المسائل الفقهية المستنبطة من هذه الآية، وهي مئةُ مسألة، وقد كتبناها في موضع ما كان معنا شيء من الكتب الفقهية المعتبرة، وكان القلب مشوَّشاً بسبب استيلاء الكفار على بلاد المسلمين، فنسأل الله تعالى أن يكفينا شرَّهم، وأن يجعل كَدَّنا في استنباط أحكام الله من نَصِّ الله سبباً لرجحان الحسنات على السيئات، إنه أعزُّ مأمول، وأكرم مسؤول»[1].

ولاعتياد الاستنباط والدربة عليه أثرٌ ظاهرٌ في التمكُّن منه وإتقانه، شأنه في هذا شأن سائر العلوم التي لا يتحقق العالم وترسخ فيها قدمه إلا بمعاناتها وإدمان النظر فيها، ومن أحسن الشواهد على هذا في علم الاستنباط حال الإمام الرازي(ت:٦٠٦) رحمه الله؛ الذي قصد إلى تحقيق استنباط عشرة آلاف مسألة من سورة الفاتحة، فشرع في تفسيره الجليل: التفسير الكبير، ومَلأهُ بعجائب العلوم والاستنباطات[2]. فيقول شاهداً على أثر معاناة الاستنباط واعتياده، بعد ذكره لطائفة من دقائق المسائل والاستنباطات في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]: «فهذه المسائل الأصولية استنبطناها من هذه الآية في أقلِّ من ساعتين، ولعل الإنسان إذا استعمل الفكر على الاستقصاء أمكنه استنباط

---

(١) التفسير الكبير ١٣٨/١١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٥/١.

أكثر مسائل أصول الفقه من هذه الآية»[١].

وقد ذكر بعضُ العلماء لزوم المسارعة إلى تقييد ما يسنح بالخاطر من هذه الإشارات واللطائف والمستنبطات؛ فإنها عزيزة الورود، سريعة الزوال، نادرة الرجوع، وفي شرح حديث علي ﷺ: «ما عندنا إلا ما في القرآن، أو فهماً يعطيه الله رجلاً في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة»[٢]، قال ابن حجر(ت:٨٥٢): «ومراد علي أن الذي عندَه زائداً على القرآن مِمَّا كَتَبَ عنه: الصحيفة المذكورة، وما استنبط من القرآن. كأنه كان يكتب ما يقع له من ذلك لئلا ينساه، بخلاف ما حفظه عن النبي ﷺ من الأحكام فإنه يتعاهدها بالفعل والإفتاء بها فلم يخش عليها من النسيان»[٣]، ولَمَّا كانت هذه الاستنباطات من نعم الله على العبد وفضله عليه وجب عليه إكرامها وشكرها؛ ومن ذلك تقييدها وحفظها، وقد تمثل ذلك الإمام الرازي(ت:٦٠٦) رحمه الله فقال عن إحدى لطائف استنباطاته: «ثم إن ههنا لطيفةٌ فقهية لاحت لهذا الضعيف حالَ تفكُّره في تفسير هذه الآية، فأراد تقييدها هنا؛ فإنها من فضل الله، فيجب عليَّ إكرامها بالتقييد بالكتاب»[٤].

- **الاستنباط في كتب التفسير:**

لا يكاد يخلو كتابٌ من كتب التفسير الموَسَّعة والمتوسطة من استنباط من

(١) التفسير الكبير ١٢٢/١، وينظر: التحرير والتنوير ١٥٨/٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري ٢٥٧/١٢.

(٤) التفسير الكبير ١٦٨/٢٩.

الآيات، بل أفردَ بعضهم علم الاستنباط في مصنفات مستقلة عن التفسير، وهذه أمثلةٌ من أشهر هذه المصنفات في خصوص هذا العلم:

- ((تفسير التستري)) (ت:٢٨٣)، و((لطائف الإشارات))، لأبي القاسم القشيري(ت:٤٦٥)، و((حقائق التفسير))، لأبي عبد الرحمن السلمي(ت:٤١٢)، وموضوعها الإشارات الصوفية، واستنباطات المعاني الإيمانية.[١]

- ((نكت القرآن الدالَّة على البيان في أنواع العلوم والأحكام))، للقصاب الكرجي[٢](ت:٣٦٠)، وموضوعه استنباطاتٌ في عامة العلوم الشرعية، ويغلب عليها الاستنباطات الفقهية، والعقدية.[٣]

- ((حُجَجُ القرآن))، لأبي الفضائل أحمد بن محمد بن مظفر الرازي(ت:٦٣١)، استنبط فيه الحُجج الاعتقادية لعامة الفرق الإسلامية من جميع القرآن الكريم.[٤]

- ((الإكليل في استنباط التنْزيل)) ، للسيوطي(ت:٩١١)، وموضوعه استنباطاتٌ فقهية، وأصولية ، واعتقادية ، وبعضاً ممَّا سوى ذلك ، وقرن فيه الاستنباط بتفسير الآية حيث توقف فهم الاستنباط عليها.[١]

---

(١) ينظر:تفسير التستري (ص:١٥- ١٧)، وحقائق التفسير ٢٠/١، وكشف الظنون ١٥٥١/٢.

(٢) محمد بن علي بن محمد الكَرَجيّ، أبو أحمد القَصَّاب؛ لكثرة ما قتل في مغازيه، إمام حافظ، صَنَّفَ: نكت القرآن، والسنة، وغيرها، مات في حدود (٣٦٠). ينظر: السير ٢١٣/١٦، والوافي بالوفيات ١١٤/٤.

(٣) ينظر: نكت القرآن ٥٩/١، ٧٧.

(٤) ينظر: معجم المفسرين ٦٥/١.

ويكاد يكون الاستنباط من الآيات غرض الرازي(ت:٦٠٢) في تفسيره ((التفسير الكبير))[٢]، فيكون من هذا القبيل من الكتب، لولا ما فيه من التفسير، وقد قيل عنه: «فيه كُلُّ شيء إلا التفسير»[٣]، ومثله في اعتماد الاستنباط وقصده بجلاء: ابنُ العربي(ت:٥٤٣) في: ((أنوار الفجر في مجالس الذكر))[٤]، والكرماني(ت:بعد٥٠٠) في: ((غرائب التفسير وعجائب التأويل))[٥]، والطوفي(ت:٧١٦) في: ((الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية))[٦]، على تنوعٍ في الموضوعات المستنبطة؛ ما بين عقيدة، وفقه، ولغة، وأصول، وتزكية، وآداب، وغيرها.

- **علاقة علم الاستنباط بعلوم القرآن:**

---

(١) ينظر: الإكليل في استنباط التنْزيل ٢٨٢/١، ويطابقه في موضوعه: (فصلٌ في معان مستنبطة من سورة النور)، لابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨١/١٥، وكتابَيْ: ((فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن))، لعبد الرحمن السعدي – وهو من أبرز المعاصرين المعتنين بهذا العلم–، و((المعاني المستنبطة من سورة الفاتحة))، لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٥/١، ٢٢– ٢٣.

(٣) نقل هذه العبارة غيرُ واحدٍ من المصنفين، وأعلى من نُسِبَت إليه: شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:٧٢٨) رحمه الله. ينظر: البحر المحيط ٥١١/١، والوافي بالوفيات ٢٥٤/٤.

(٤) قال ابن العربي في باب ((ذكر الباطن من علوم القرآن)): «وقد كنت في إملاء ((أنوار الفجر في مجالس الذكر)) أسلك هذا الباب كثيراً – أي: باب استنباط المعاني الباطنة – وأورِدُ فيه عظيماً». قانون التأويل (ص:٢٠٦).

(٥) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٨٨/١.

(٦) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ٢٠٤/١.

أثَّرَ علمُ الاستنباط في طائفةٍ من علوم القرآن؛ بعضها قائمٌ بأصله عليـــه، وبعضها آخذٌ منه بقليلٍ أو كثير، ومن هذه العلوم:

١- أمثالُ القرآن: وهي أفسحُ مجال تتزاحم فيه الاستنباطات والاجتهادات، كما أنها أشبه العلوم بعلم الاستنباط، قال تعـــالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣]؛ «إذ ليس كُلُّ أحـــدٍ يـــدرك حقيقة الأمثال، ولا يُصغِي إليها كُلُّ نفور القلب نَكُودِ الحال، والذي تضمَّنَت من الحكمة كثير»[١]، ومن حِكَمِ ضرب الأمثال: «أنَّ الله أراد أن يَعَلِّم الخلق كيف يتجاوزون في العِبْرَة من المُشَاهَدَةِ إلى الغيب»[٢]، وهذا مـــن غايـــات الاستنباط كما لا يخفى.

٢- المناسبات بين السور والآيات: وهو علمٌ استنباطي اجتهادي، تتفـــاوت فيه مدارك العلماء وأنظارهم دِقَّةً وخفاءً، ووضوحاً وجلاءً، وتكاد تتطـــابق شروطه مع شروط الاستنباط المذكورة سلفاً، قال السيوطي(ت:٩١١) بعـــد أن عدَّد وجوهاً من المناسبات: «وجميع هذه الوجوه التي استنبطتها من المناسبات بالنسبة إلى أسرار القرآن كنقطة من بحر»[٣].

٣- المتشابه المعنوي في الآيات: وهو مرتبطٌ بالاستنباط من جهة أن غالـــب وجوه التوفيق بين المعاني المتشابهات ورَدّ دعاوى التخالف عنها = راجعةٌ إلى استنباط المجتهد لتلك الوجوه، وإبداء خفيَّات المعاني التي يأتلف بهـــا ظـــاهر

---

(١) قانون التأويل (ص:٢٦١).

(٢) المرجع السابق (ص:٢٦٢)، وينظر: إعلام الموقعين ٣٢٩/١.

(٣) تناسق الدرر في تناسب السور (ص:٦٩).

الكلام في تلك المواطن(١). وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] إشارةٌ ظاهرةٌ إلى سبيل إزالة الاختلاف الموهوم في القرآن، وهو: تدبر القرآن، فإذا حصل التدبر لم يجد الناظر في القرآن اختلاف ألبَتَّة. وهذا التدبر هو باب الاستنباط الأعظم الذي لا بد منه لكل مستنبط.

المبحث الثاني:

---

(١) ينظر: قانون التأويل (ص:١٩٨- ٢٠٥)، وملاك التأويل ١٤٦/١- ١٤٧.

نموذج تطبيقي من استنباطات الصحابة ﵃

*** هذه دراسةٌ تطبيقيةٌ على أشهر أمثلة الاستنباط والتفسير على الإشارة في عهد الصحابة ﵃**[1]:

عن ابن عباس ﵄ قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجدَ في نفسه، فقال[2]: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَنْ حيثُ علمتم. فدعاه ذات يومٍ، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليُرِيهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١]؟ فقال بعضهم: أُمِرنَا نحمدُ اللهَ ونستغفرُه إذا نَصَرَنَا وفَتَحَ علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابنَ عباس؟ فقلت: لا . قال : فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسولِ الله ﷺ أَعْلَمَه له؛ قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١]، وذلك علامةُ أَجَلِك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٣] . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول»[3].

*** دراسةٌ وتحليل:**

---

(١) ينظر: الموافقات ٢١٠/٤.

(٢) القائل هو: عبد الرحمن بن عوف ﵁، كما في رواية الترمذي في الجامع ٤٥٠/٥ (٣٣٦٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٦٠٦/٨ (كتاب ٦٥- التفسير، باب ١١٠- قوله ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٣]، برقم: ٤٩٧٠).

لَمَّا سأل عمرُ ﷺ الصحابةَ عن معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر:١] سكت بعضهم، وفَسَّر بعضهم الآية بقوله: «أُمِرنَا نحمدُ اللهَ ونستغفِرُه إذا نَصَرَنَا وفَتَحَ علينا»، وهذا المعنى مأخوذ من ظاهر الآية، وهو المتبادر منها، قال ابن تيمية(ت:٧٢٨): «وقد كان عمر يسألُ ويسألُ عن معاني الآيات الدقيقة، وقد سألَ أصحابه عن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر:١]، فذكروا ظاهر لفظها»[1]، وقال الشاطبي(ت:٧٩٠): «فظاهر هذه السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبِّح بحمد ربِّه ويستغفره إذ نَصَره الله وفتح عليه»[2].

ثمَّ لَمَّا توجَّه السؤال لابن عباس ﷺ قال بأنَّه: «أجَلُ رسولِ الله ﷺ أَعْلَمَه له»، وهذا خلوصٌ من الظاهر إلى لازم المعنى؛ وذلك أن الله تعالى عَلَّقَ الاستغفار بنعمةٍ يُحدِثها سبحانه وهي: الفتح على رسوله ﷺ، ودخول الناس في دينه. وهذا ليس بسببٍ للاستغفار، فَعُلِمَ أن سببَ الاستغفار غيرُه، «وهو حضور الأجل؛ الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه؛ ليلقى ربه طاهراً مُطَهَّراً من كل ذنب، فيقدم عليه مسروراً راضياً مرضياً عنه»[3].

كما أنه قد استقرّ في الشرع وموارد النصوص تشريعُ الاستغفار والتوبة

---

(١) مجموع الفتاوى ٤١٧/١٦.

(٢) الموافقات ٢١١/٤، وينظر: المحرر الوجيز ٥٣٢/٥.

(٣) إعلام الموقعين ١٢٤/٣. وينظر: جلاء الأفهام (ص:١٦٤).

عند تمام الأعمال ونهايتها[1]، قال ابن تيمية(ت:٧٢٨) عن قول ابن عباس في الآية: «وهذا باطن الآية الموافق لظاهرها، فإنه لمَّا أمر بالاستغفار عند ظهور الدين، والاستغفار يؤمر به عند ختام الأعمال، وبظهور الدين حصل مقصود الرسالة؛ علموا أنه إعلام بقرب الأجل مع أمور أُخَر، وفوق كل ذي علم عليم»[2]، وقال ابن القيم(ت:٧٥١): «يدل عليه أيضاً أنه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال، فشرعها في خاتمة الحج وقيام الليل، وكان النبي ﷺ إذا سَلَّمَ من الصلاة استغفر ثلاثاً، وشرع للمُتَوَضِّئ بعد كمال وضوءه أن يقول: ((**اللهم اجعلني من التَّوَّابين، واجعلني من المتطهِّرين**))[3]، فعُلِمَ أن التوبة مشروعة عقيب الأعمال الصالحة، فأمر رسوله بالاستغفار عقيب توفيته ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد في سبيله حين دخل الناس في دين الله أفواجاً، فكأنَّ التبليغ عبادة قد أكملها وأدَّاها، فشُرِعَ له الاستغفار عقيبها»[4]، وقال أيضاً: «ويدل عليه أيضاً قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ ﴾ [النصر:٣] وهوﷺ كان يسبح بحمده

---

(١) ينظر: مدارج السالكين ٢٦٣/٣، وطريق الهجرتين (ص:٤٢٩)، وسرُّ الاستغفار (ص:٢٧)، ضمن مجموع: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، رسالة رقم (٨).

(٢) مجموع الفتاوى ٤١٨/١٦، وينظر: الموافقات ٢١١/٤.

(٣) رواه الترمذي ٧٨/١ (٥٥)، والطبراني في الأوسط ١٤٠/٥ (٤٨٩٥)، وعبد الرزاق في المصنف ١٨٦/١ (٧٣١)، وكذا ابن أبي شيبة ١٣/١ (٢٠)، عن عمر مرفوعاً، وعن علي موقوفاً، وأصله في مسلم ٤٧١/١ (٢٣٤)، وذكر الترمذي فيه اضطراباً، وله شواهد يرتقي بها إلى القبول، ذكرها ابن حجر في تحفة الأبرار (ص:٤١).

(٤) إعلام الموقعين ١٢٦/٣، وينظر: مدارج السالكين ٢٦٠/١، ٣٢٨، والصواعق المرسلة ٥٠٧/٢، وفتح الباري ٦٠٦/٨.

دائماً، فعُلِمَ أنَّ المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين أمرٌ أكبر من ذلك المُتقدِّم، وذلك مُقَدِّمةٌ بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأنه قد بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي تُرَقِّيه إلى ذلك المقام بقيَّةٌ، فأُمِرَ بتوفيتها»(١).

ومما أكد المعنى عند ابن عباس رضي الله عنه اجتهاد رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة كأشدِّ ما يكون اجتهاداً في أمر الآخرة (٢)، وكذلك كونها آخر سورة نزلت جميعاً من القرآن(٣).

***حاصلُ الرواية ونتيجتها:**

ما فهمه الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنه من الآية هو ظاهرها، وهو المعنى المطابق للفظ الآية، وهو معنى مليحٌ صحيح، سواء أُريد به الحمد والاستغفار باللسان، أو بالصلاة والدعاء، قال ابن كثير(ت:٧٧٤): «فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنه أجمعين، من أنه: قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه؛ يعني:نصلي له ونستغفره؛ معنى مليحٌ صحيحٌ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات،فقال قائلون:هي صلاة الضحى،وأُجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم ينو

---

(١) إعلام الموقعين ٣/١٢٤.

(٢) صَحَّ ذلك برواية ابن عباس في سنن النسائي الكبرى٦/٥٢٥(١١٧١٢).

(٣) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال:قال لي ابن عباس:(يا ابن عتبة:أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت جميعاً؟ قلت:نعم،﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١].قال:صدقت).رواه مسلم في صحيحه ٦/٤٤١(٣٠٢٤).وينظر في بقية الأدلة على هذا الوجه من التأويل:التفسير الكبير٣٢/١٥١.

الإقامة بمكة؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسع عشرة يوماً يقصر الصلاة ،ويفطر هو وجميع الجيش،وكانوا نحواً من عشرة آلاف. قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتح،قالوا: فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات، وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم فتح المدائن»[1].

وأما تفسير ابن عباس رضي الله عنه فهو استنباطٌ جليل، من أدقِّ الفهم وألطفه، مُنتَزَعٌ من لفظ الآية، ومُتَبَصَّرٌ بلوازمها ومقاصدها، ولا يدركه كل أحد،قال ابن حجر (ت:٨٥٢) : «وفيه جواز تأويل القرآن بما يُفهَم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم؛ ولهذا قال علي رضي الله عنه:«أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن»[2]، ولذا وافقه عليه عمر رضي الله عنه، وهو ما تأوَّلَه رسول الله ﷺ منها بفعله؛فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما صلى النبي ﷺ صلاةً بعد أن نزلت عليه﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر:١]إلا أن يقول فيها : ((**سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**))، يتأَوَّلُ القرآن»[3]. كما تأوَّلها عدد من الصحابة بأنه حضور أجل رسول الله ﷺ[4]، قال ابن عطية(ت:٥٤٦): «وهذا المنْزع الذي

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨٨٥/٨.

(٢) فتح الباري ٦٠٨/٨،وينظر:أعلام الموقعين١٢٤/٣،والوابل الصيب(ص:١٣٧)،والتيسير في قواعد علم التفسير(ص:٢٢٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٦٠٥/٨(٤٩٦٨)، ومسلم في صحيحه١٥٠/٢(٤٨٤).وينظر التسهيل ٤٣٠/٤

(٤) كأبي بكر، وعلي، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم. ينظر: فتح الباري ٦٠٨/٨، والدر المنثور ٦٠١/٨، ونقل الرازي اتفاق الصحابة على دلالة هذه السورة على نعي الرسول ﷺ. التفسير الكبير ١٥١/٣٢.

ذكره ابن عباس، ذكره ابن مسعود وأصحابه، ومجاهد وقتادة والضحاك، وروت معناه عائشة عن النبي ﷺ..، وقال لها مَرَّة: ((**ما أراه إلا حضور أجلي**))[١]، وتأوَّلَه عمر والعباس بحضرة رسول الله ﷺ، فصَدَّقَهما»[٢].

وعليه جمهور المفسرين[٣]، كمقاتل(ت:١٥٠)، وابن جرير(ت:٣١٠)، والواحدي(ت:٤٦٨)، وابن عطية(ت:٥٤٦)، والرازي(ت:٦٠٤)، وابن تيمية(ت:٧٢٨)، وابن القيم(ت:٧٥١)، والشاطبي(ت:٧٩٠).[٤]

*** من مسائل هذا الأثر في التفسير:**

أولاً: اشتمل تفسير الصحابة ﷺ لهذه الآية على معنيين:

- أحدهما: ظاهرٌ قريبٌ صحيح، وهو المعنى الذي ذكره من حضر من أشياخ بدرٍ من الصحابة ﷺ.

- والآخرُ باطِنٌ بعيدٌ أصحّ، وهو المعنى الذي ذكره ابن عباس ووافقه عليه عمر ﷺ، وتأوَّله طائفة من الصحابة.

وقد يترجَّح المعنى الباطن البعيد، على المعنى الظاهر القريب، مع اشتراكهما في الصحة والقبول ؛ لتفاوتهما في الدلالة على المراد ، وكم من إشارةٍ

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦٥٨/٨ مُعَلَّقاً بصيغة الجزم.

(٢) المحرر الوجيز ٥٣٢/٥، وينظر: الفتح السماوي ١١٣٣/٣.

(٣) زاد المسير (ص:١٥٩٩).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل ٥٣٠/٣، وجامع البيان ٤٣٣/٣٠، والوجيز ١٢٣٨/٢، والمحرر الوجيز ٥٣٢/٥، والتفسير الكبير ١٥١/٣٢، ومجموع الفتاوى ٤١٨/١٦، وإعلام الموقعين ١٢٤/٣، والصواعق المرسلة ٥٠٩/٢، ومدارج السالكين٣٢٨/١، والموافقات ٢١٠/٤.

أَغنَتْ عن عبارة.[1]

ثانياً: استكمل استنباطُ ابن عباس ﷺ من هذه الآية شروطَ الاستنباطِ الصحيح، فجاء صحيحاً في نفسه، موافقاً لمقاصد القرآن، مرتبطاً بمعنى الآية غيرَ مناقض لها، مفيداً غير متكَلَّف، و لم يقصر معنى الآية عليه. فكان تفسيره بذلك خيرَ مثالٍ على استيفاء المعنى، وحُسن الاستنباط.

ثالثاً: أن ابن عباس ﷺ لم يتجاوز ظاهر اللفظ إلى ما يستنبط منه إلا بعد معرفة المعنى الظاهر واستقراره، وظهوره في تفسير الصحابة ﷺ، وقوله: «لا» في جوابه على سؤال عمر: «أكذاك تقول يا ابن عباس؟» ليس نفياً لتفسير الصحابة بالظاهر، وإنما نفياً لاقتصاره عليه دون مراده وما يستنبط منه، وهو تفسيره بدُنُوِّ أجل رسول الله ﷺ.

رابعاً: أنه قد يقوى المعنى الخَفيّ في الآية عند المفَسِّر حتى يغيب معه المعنى الظاهر منها أو يكاد، ففي قول عمر لابن عباس ﷺ: «ما أعلم منها إلا ما تقول) » نفيٌ لما فهمه جلساؤه من الآية وهو ظاهرها، وهذا مُشكِل؛ فإن ما ذكره الصحابة ﷺ معنى صحيح لا شك فيه، والأخذ بالظاهر أصلٌ جرى عليه التفسير النبوي وتفسير الصحابة ﷺ - ومنهم عمر وابن عباس - في غيرما موضع. ويُجَاب عنه بأنه ليس في قول عمر ﷺ هنا إبطال لما فهمه الصحابة، أو عدم اعتبار للظاهر، وإنما ذلك منه مبالغة في تصحيح قول ابن عباس ، وتأكيد له في مقابل قول جميع من حضر من الصحابة، وفيهم كبارهم من أشياخ بدر، ويشهد له سياق القصة؛ فإن عمر ﷺ قصدَ من ذلك إظهار

---

(١) ينظر: الموافقات ٤/٢٠٢.

فضل ابن عباس وعقله وعلمه لَمَّا قالوا له: «لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَنْ حيثُ علمتم»، فكان أن وافقه أشد الموافقة بتلك الصيغة، وقد تكررت هذه العبارة من عمر لابن عباس ﷺ في غير هذا المقام، على نحو هذا المعنى، قال ابن عباس ﷺ: «كان عمر بن الخطاب ﷺ يدعوني مع أصحاب محمد ﷺ ويقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا. قال: فدعاهم وسألهم عن ليلة القدر، قال: أرأيتم قول رسول الله: ((**التمسوها في العشر الأواخر**))، أيُّ ليلةٍ ترونَها؟ قال: فقال بعضهم: ليلة إحدى. وقال بعضهم: ليلة ثلاث. وقال آخر: خمس. وأنا ساكت، فقال: ما لك لا تتكلم؟! فقلت: إن أذنت لي يا أمير المؤمنين تكلمت. قال: فقال: ما أرسلت إليك إلا لتتكلم. قال: فقلت: أُحدِّثُكُم برأيي. قال: عن ذلك نسألك. قال: فقلت: السبع؛ رأيت اللهَ ذكر سبع سماوات، ومن الأرضين سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وبرز نبت الأرض من سبع. قال: فقال: هذا أخبرتني ما أعلم، أرأيت ما لا أعلم؟ ما قولك: نبت الأرض من سبع؟ قال: فقلت: إن الله يقول: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس:٢٦]، إلى قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]، والأبُّ: نبت الأرض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس. قال: فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه بعد؟! إني والله ما أرى القول إلا كما قُلتَ، وقال: قد كنت أمرتك أن لا تتكلم حتى يتكلموا، وإني آمرك أن تتكلم معهم»[١].

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٩٧٠/٢ (١٩٠٤)، وابن جرير في تفسيره ٧٥/٣٠ (٢٨١٨٨)، وابن خزيمة في صحيحه ٣٢٢/٣ (٢١٧٢)، والحاكم في مستدركه ٦٠٤/١ (١٥٩٧)، والبيهقي =

خامساً: ما فهمه عمر رضي الله عنه من هذه الآية استنباطاً، يُطابِقُ ما فهمه من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]؛ فإنه لَمَّا نزلت هذه الآيةُ فرح الصحابةُ رضي الله عنهم بهذا التمام، وبكى عمر رضي الله عنه مستشعراً نعيَهُ ﷺ، وقال: «لم يكمُل شيءٌ إلا نقص»[١]، وما عاش بعدها رسول الله ﷺ إلا إحدى وثمانين يوماً[٢]. وظاهرٌ اعتماد عمر رضي الله عنه في هذا الاستنباط على لازم معنى اللفظ، قال ابن كثير(ت:٧٧٤): «ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: ((**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**))[٣]»[٤].

سادساً: أن الذي مَيَّزَ ابن عباس رضي الله عنه عن غيره من الصحابة في هذا المقام وأمثاله من مقامات التفسير والبيان: دقَّةُ الفهم، وجودة الاستنباط، كما سبقت الإشارة إليه.

سابعاً: الحَثُّ على التأمُّل في معاني المعاني، ولوازمها، وربط الوحي- كتاباً وسُنَّةً- بعضَه ببعض، والغوص فيما وراء الألفاظ؛ للوقوف على مُرادات الله ورسوله ﷺ، قال الغزالي(ت:٥٠٥): «من زعم أنه لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مُخبرٌ عن حَدِّ نفسه، وهو مُصيبٌ في الإخبار عن نفسه، مُخطِئٌ في الحكم بردِّ كافَّة الخلق إلى درجته التي هي حَدُّه ومَحَطُّه، بل الأخبار

= في السنن ٣١٣/٤ (٨٣٤٢)، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، وابن حجر في الفتح ٢٨٥/١٣.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٨٨/٧ (٣٤٤٠٨)، وابن جرير في تفسيره ٨١/٨ طبعة: التركي.

(٢) ينظر: جامع البيان ٨١/٨ طبعة: التركي، وتفسير ابن كثير ١١٠١/٣، والموافقات ٢١١/٤.

(٣) رواه مسلم ٣٣٣/١ (١٤٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم ١١٠١/٣.

والآثار تدل على أن في القرآن مُتَّسعاً لأرباب الفهم؛ ففيه رموزٌ وإشارات، ومعانٍ وعبارات، وتلويحٌ ودلالات، يختَصُّ بدَرْكها أهلُ الفهم من ذوي العنايات»[1]، وقال ابن القيم(ت:٧٥١): «والعلم بمُراد المتكلم يُعرَف تارةً من عموم لفظه، وتارةً من عموم علَّته، والحَوالَةُ على الأوَّل أوضح لأرباب الألفاظ، وعلى الثاني أوضح لأرباب المعاني والفهم والتدبر»[2]، «وإن شئتَ أدخلتَ هذا في باب معنى المعنى، أي المعاني التي وراء المعاني، ولا ضيرَ أن تكون وراءها بمسافةٍ أبعد، أو أن تكون من باب مُستَتبَعات التراكيب، وهو بابٌ جليلٌ غَيَّبَه غُبارُ العُجمَة»[3].

هذه أبرز مسائل هذا الأثر التفسيري الجليل، وبه يتم ما قصدتُ إليه من هذا البحث، وأختمه بمقالة الإمام الشافعي(ت:٢٠٤) رحمه الله في الوصية بهذا العلم إذ يقول: «فحَقٌّ على طَلَبة العلم بلوغُ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارضٍ دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراكِ علمه: نَصَّاً واستنباطاً، والرَّغبةُ إلى الله في العون عليه، فإنه لا يُدرَكُ خيرٌ إلا بعونه»[4].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٨٩/١ باختصار وتصرُّف، وينظر: الكلمات البيِّنات، لمرعي الكرمي، ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، رسالة رقم: ٦٢، (ص: ٢٢).

(٢) إعلام الموقعين ٣٨٧/٢.

(٣) قراءة في الأدب القديم، للدكتور محمد أبو موسى (ص:٣٤)، وينظر: التحرير والتنوير ٤٢/١.

(٤) الرسالة (ص:١٩).

الْخَاتِمَة

الحمد لله على إتْمام النعمة، واكتمال مباحث هذا البحث، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه، وبعد:

فهذا آخرُ هذا البحث وخاتِمَتُه، والتي أعرضُ فيها - بإذن الله - أبرزَ النتائج، وأهمَّ التوصيات، موضِّحاً فيها جُملَةً من القضايا التي تبيَّنَت وتأكَّدَت من خلال معايشة هذا البحث. وتتلخَّصُ هذه النتائج فيما يأتي:

أولاً: قامت موضوعات كتب التفسير على ثلاثة أنحاء: بيان الألفاظ والمعاني، وبيان معاني المعاني. وقد اهتم العلماء كثيراً ببيان وتحرير جانب ألفاظ القرآن ومعانيه، أما جانب معاني المعاني، ومستتبعات التراكيب، والاستنباطات القرآنية، فهو بابٌ جليل، لم يأخذ حظَّه من التحرير والتأصيل، مع كون هذا العلم من ألصق العلوم بعلم التفسير.

ثانياً: لَمَّا كان بيان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم لمعاني القرآن في الذروة من الإصابة والبيان، كان استنباطهم أدَقَّ استنباطٍ وأصَحَّه وألطفه، وهذا التَّميُّز في تفاسير السلف واستنباطاتهم جزءٌ من مقتضى خيريَّتِهم وتفضيلهم الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ.

ثالثاً: إن تميُّز السلف في تناول هذا النوع الدقيق من البيان، لَيُبْرِزُ حرصهم على توفيةِ الآيات حَقَّها من المعاني، واستيعاب كُلِّ حقٍّ أشار إليه لفظ الآية، ودَلَّ عليه معناها، وذاك هو علم الاستنباط.

رابعاً: أن الاستنباط علمٌ معتبَرٌ، وحُجَّةٌ في الشرع، دَلَّت على اعتباره وتقديمه جملةٌ من أدلة الكتاب والسنة.

خامساً: من حقِّ اللفظ والمعنى في التفسير استيعاب المعاني الصحيحة المتعلقة بهما من جهة نِدِّ المعنى ولوازمه وأشباهه ونظائره.

سادساً: المعاني المأخوذة بالاستنباط - بطبيعتها - أكثر وأغنى من معاني الألفاظ المباشرة، بل إن من أحكام الحوادث ما لا يُعرَفُ بالنصِّ وإنما بالاستنباط، وكم من سرٍّ وحُكمٍ نَبَّهت عليهما الإشارة، و لم تبينهما العبارة.

سابعاً: الاستنباط قدرٌ زائدٌ على مجرد إدراك المعنى الظاهر؛ ومن ثَمَّ عزَّ وجوده، وصَعُبَ إدراكه، ولا يؤتاهُ كلُّ أحدٍ، بل هو من مواهب الله تعالى التي ينعِمُ بها على من شاء من عباده.

ثامناً: موضوع علم الاستنباط: نِدُّ المعنى الظاهر ونظيره؛ الذي يوافقه في القصد أو يقاربه، ولوازم المعنى، وعلله؛ ليُلحَق به أشباهه ونظائره، وتتبين معه نسبةُ الألفاظ بعضها إلى بعض، ثُمَّ مقاصد المتكلم ومراده، بحيث لا يُزادُ عليها ولا يُنقَصُ منها.

تاسعاً: بيان معنى اللفظ سابق للاستنباط منه، ولا يصح استنباطٌ إلا على معنًى صحيحٍ ثابتٍ لِلَّفظ، فاللفظ بمنْزلة الأساس، والاستنباط بمنْزلة البنيان، ولا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

عاشراً: علمُ الاستنباط علمٌ مبارك، يفيضُ على الأمَّة في كل زمان بكلِّ ما تحتاجه من معرفة الحَقِّ المطابق لوقائعها، والمستمَدِّ من خيرِ بيان وأصدق كلام؛ كتاب الله تعالى.

هذه أبرز نتائج هذا البحث، وقد اشتمل إلى ذلك على بعض التوصيات الهادفة إلى رفع مستوى التأصيل والإيضاح لهذا العلم، وأُجمِلُ جميع ذلك فيما يأتي:

أولاً: الاستنباط من أهمِّ أسباب دَرَكِ العلوم؛ وله من الأصولِ والضوابط التي تجمع جزئياته، وتَلُمُّ متفرِّقاته، ما يجدر معه بأهل العلم إبرازها وتحديدها، بعد جمعها ودرسها.

ثانياً: يلزم العناية بآثار السلف في علم التفسير، مع إبراز أنواع العلوم والمعارف التفسيرية منها، ثمَّ تأصيل علوم التفسير على نَهجها.

ثالثاً: وجوب العناية بتقريب معاني الآيات وتسهيلها للناس، وربط الحوادث المستجدَّة لديهم بمعاني صحيحة من آيات القرآن الكريم، واستثمار علم الاستنباط في نيل هدايات القرآن في كل زمان ومكان.

هذه أبرز النتائج والتوصيات، وبالله تعالى التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

١ - **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١.

٢ - **اجتماع الجيوش الإسلامية**، لابن القيم، ت: د. عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٥.

٣ - **أحكام أهل الذمة**، لابن القيم، ت: يوسف بن أحمد البكري، وشاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨.

٤ - **أحكام القرآن**، للشافعي، جمعه البيهقي، ت: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢.

٥ - **أحكام القرآن، للجصاص**، ت: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥.

٦ - **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٧ - **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، للطوفي، ت: حسن بن عباس قطب، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤.

٨ - **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥.

٩ - **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣.

١٠ - **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، لابن القيم، ت: حسان عبد المنان، وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤.

١١ - **الأقوال الشاذَّة في التفسير**، لعبد الرحمن بن صالح الدهش، نشر مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٥.

١٢ - **الإكليل في استنباط التنْزيل**، للسيوطي، ت: عامر بن علي العرابي، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤٢٢.

١٣ - **أمالي ابن الشجري**، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٤ - **أنوار التنْزيل وأسرار التأويل**، للبيضاوي، تقديم: محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٥ - **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢.

١٦ - **البحر المحيط في أصول الفقه**، للزركشي، ت: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١.

١٧ - **بدائع الفوائد**، لابن القيم، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥.

١٨ - **تاريخ دمشق**، لابن عساكر، ت: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٩ - **التبيان في أقسام القرآن**، لابن القيم، ت: عصام فارس الحرستاني، ومحمد الزغلي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤.

٢٠ - **التحرير والتنوير**، للطاهر ابن عاشور، نشر الدار التونسية.

٢١ - **تحفة الأبرار بنكت الأذكار**، لابن حجر العسقلاني، مطبوع بذيل الأذكار، للنووي، ت: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، ط١، ١٤٠٨.

٢٢ - **التسهيل لعلوم التنْزيل**، لابن جزي الغرناطي، ت: رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٣.

٢٣ - **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء**، لابن تيمية، ت: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٧.

٢٤ - **تفسير التستري**، لسهل بن عبد الله التستري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣.

٢٥ - **تفسير سفيان الثوري**، ت: امتياز علي عريشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣.

٢٦ - **تفسير سفيان بن عيينة**، لأحمد صالح محايري، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣.

٢٧ - **تفسير عبد الرزاق** بن همام الصنعاني، ت: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩.

٢٨ - **تفسير القرآن العظيم**، لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٢٤.

٢٩ - **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ت: محمد إبراهيم البنـــا، دار ابـــن حـــزم، ط١، ١٤١٩.

٣٠ - **التفسير الكبير**، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١.

٣١ - تفسير مقاتل، لمقاتل بن سليمان البلخي، ت: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٣٢ - **التكميل في أصول التأويل**، ضمن: رسائل الإمام الفراهي، لعبد الـــرحمن الفراهـــي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ط٢، ١٤١١.

٣٣ - **تناسق الدرر في تناسب السور**، للسيوطي، ت: عبد الله محمد الدرويش، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٨.

٣٤ - **تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباط**ل، لابن تيمية، ت: علي محمد العمـــران، ومحمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،ط١، ١٤٢٥.

٣٥ - **تهذيب اللغة، للأزهري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١.

٣٦ - **التيسير في قواعد علم التفسير**، للكافيجي، ت: ناصر بن محمد المطرودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠.

٣٧ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطـــبري، ت: مـــصطفى الـــسقا، وآخرون، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥، (مصورة عن طبعة مكتبة البـــابي الحلـــبي عـــام ١٣٧٣). وطبعة: دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢، ت: عبد المحسن التركي.

٣٨ - **جامع الترمذي**، ت: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.

٣٩ - **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركـــي، وآخـــرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧.

٤٠ - **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**، لابن القيم، ت: زائد بـــن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥.

٤١ - **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود**، بهامش مختصر سنن أبي داود، للمنـــذري، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٢ - **حقائق التفسير (تفسير السلمي)**، لأبي عبد الرحمن السلمي، ت: سيد عمـــران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١.

٤٣ - **الدر المنثور، الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي، ت: نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١.

٤٤ - **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبيـــة، الرياض، ١٣٩١.

٤٥ - **الرسالة**، للشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٦ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للآلوسي، ت: محمـــد الأمـــد، وعمر عبد السلام، إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠.

٤٧ - **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣.

٤٨ - **زاد المعاد**، لابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرنـــاؤوط، مؤســـسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩.

٤٩ - **سرُّ الاستغفار**، للقاسمي، ضمن مجموع: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، رسالة رقم (٨)، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢١.

٥٠ - **سنن أبي داود**، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٥١ - السنن الكبرى، للبيهقي، ت: عبد السلام بن محمد علوش، مكتبة الرشـــد، الريـــاض، ط١، ١٤٢٥.

٥٢ - **سنن النسائي الكبرى**، للنسائي، ت: عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١.

٥٣ - **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤١٧.

٥٤ - **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦.

٥٥ - **شرح الكوكب المنير**، لابن النجار، ت: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ١٤١٨.

٥٦ - **شفاء الصدور** (المقدمة)، لأبي بكر النقاش محمد بن الحسن بـــن محمـــد (ت:٣٥١)، مخطوط برقم ٣٣٨٩ ف.

٥٧ - **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، لابن القيم، ت: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨.

٥٨ - **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم، مطبوع مع شرحه فتح البـــاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧.

٥٩ - **صحيح ابن خزيمة**، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠.

٦٠ - **صحيح مسلم**، لأبي الحجاج مسلم بن الحجاج، مطبوع مع شرحه للنووي دار الخير، بيروت، ط٣، ١٤١٦.

٦١ - **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن القيم، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨.

٦٢ - **طبقات الشافعية الكبرى**، للسبكي، ت: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، نـــشر هجر، مصر، ط٢، ١٤١٣.

٦٣ - **طبقات المفسرين**، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣.

٦٤ - **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن القيم، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابـــن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤.

٦٥ - **العين**، للخليل بن أحمد، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤.

٦٦ - **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، للكرماني، ت: شمران سركال العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٠٨.

٦٧ - **فضائل الصحابة**، لأحمد بن حنبل، ت: وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة، بـــيروت، ط١، ١٤٠٣.

٦٨ - **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**، لابن حجر، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧.

٦٩ - **الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي**، للمناوي، ت: أحمـــد مجتبى بن نذير عالم السلفي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩.

٧٠ - **الفوائد**، لابن القيم، ت: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ط٢، ١٤٠٨.

٧١ - **القاموس المحيط**، للفيروزابادي، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥.

٧٢ - **قانون التأويل**، لابن العربي، ت: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

٧٣ - **قراءة في الأدب القديم**، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٩.

٧٤ - **كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية**، للسهيلي، ت: د.محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥.

٧٥ - **الكشاف عن حقائق غوامض التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، ت: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ططا، ١٤١٥.

٧٦ - **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٧ - **الكشف والبيان**، للثعلبي، ت: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢.

٧٨ - **الكلمات البيِّنات**، لمرعي الكرمي، ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، رسالة رقم (٦٢)، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢١.

٧٩ - **مجالس في تفسير قوله تعالى** ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٤]، لابن ناصر الدين الدمشقي، ت: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٢١.

٨٠ - **المجالسة وجواهر العلم**، للدينوري، ت: يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١.

٨١ - **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٨.

٨٢ - **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، لأبي موسى المديني الأصفهاني، ت: عبد الكريم العزباوي، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦.

٨٣ - **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢.

٨٤ – **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لابن القيم، ت: عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٣.

٨٥ – **مذكرة أصول الفقه**، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦.

٨٦ – **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١.

٨٧ – **مسند ابن راهويه**، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢.

٨٨ – **مسند أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة. وطبعة: دار المعارف، القاهرة، ط١، ت: أحمد شاكر.

٨٩ – **المسودة في أصول الفقه**، لآل تيمية، ت: أحمد بن إبراهيم الذروي، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢.

٩٠ – **المصنف**، لابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩.

٩١ – **المصنف**، لعبد الرزاق الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣.

٩٢ – **معالم التنْزيل**، لمحيي السنة البغوي، ت: محمد عبد الله النمر، وزميلاه، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧.

٩٣ – **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج أبي إسحاق ابن السري، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨.

٩٤ – **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط٣، ١٤٠٩.

٩٥ – **معجم الطبراني الكبير**، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٤.

٩٦ – **معجم الطبراني الأوسط**، ت: طارق عوض الله محمد، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.

٩٧ – **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠.

٩٨ – **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣.

٩٩ – **مقدمات تفسير الأصفهاني** (ت:٧٤٩) دراسة وتحقيق، لإبراهيم بن سليمان الهويمل، بحث أكاديمي، نسخة المحقق، ١٤٢٠.

١٠٠ – **مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة**، للراغب الأصفهاني، ت: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥.

١٠١ – **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنْزيل**، لابن الزبير الغرناطي، ت: سعيد الفلاّح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣.

١٠٢ – **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦.

١٠٣ – **الموافقات**، للشاطبي، ت: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٧.

١٠٤ – **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**، لمحمد بن علي القصاب، ت: علي بن غازي التويجري، وآخرون، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٢٤.

١٠٥ – **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، لابن القيم، ت: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥.

١٠٦ – **الوافي بالوفيات**، للصفدي، ت: س. ديدرينغ، نشر فرانز شتايز، فيسبادن، ١٣٩٤.

١٠٧ – **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للواحدي، ت: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥.

فهرس الموضوعات

أثر الابتداء بحروف المعاني والوقف عليها في بلاغة المعنى القرآني واتساعه

د. محمد بن محمد بن عبد العليم الدسوقي
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر بالقاهرة *

تخرج من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع أسيوط سنة ١٩٨٢م بمصر.

• نال شهادة الماجستير من جامعة الأزهر بالقاهرة بأطروحته " المشاكلة، دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم " عام ١٩٨٨م ، ثم نال منها شهادة الدكتوراه بأطروحته: " التصوير البياني في فتح الباري لابن حجر " عام ١٩٩٦م.

• له العديد من البحوث والمشاركات العلمية، منها: " تحفة الإخوان في صفات الرحمن " ، " من بلاغة الوقف في القرآن الكريم "، " التضمين في الأفعال بين النحاة وأهل البيان".

الملخص

يرصد هذا البحث ظاهرة غَناء أسلوب القرآن في إفادة المعاني، حيث تتعدد تيك المعاني مع وحدة النظم الذي يأتي هكذا على حاله دون ما زيادة ولا نقصان ، حيث يرمق قاري آي الذكر الحكيم كيف تتنوع المعاني بمجرد البدء ببعض حروف المعاني وتختلف بمجرد الوقف عليها، على الرغم من عدم تغير السياق ومجيئه كما هو دون أن يتبدل منه حرف واحد أو يتغير .. ولسنا هنا في هذا العرض الموجز بصدد ذكر النماذج التي تدل على ذلك وتفيده، فهذا ما تكفل به البحث، لكن ما وجب التنويه إليه أنه ومن خلال سرد الأمثلة التي احتوتها هذه الدراسة استبان بشكل واضح وجليّ – وتلك من أهم نتائج البحث – مدى أهمية وضرورة أن تتم دراسة معاني الحروف وثيقة الصلة بالوقف والابتداء في ضوء التعرض لأوجه البلاغة ونكاتها التي لا تتزاحم، وألا يكون تناولها بمنأى عن بيان الأسرار التي يكتنفها كل من الوقف أو الابتداء على حروف المعاني، أعني على عكس ما لوحظ في العديد من الدراسات التي عنيت بالكشف عن معاني حروف الجر وما تفيده من معاني الابتداء والاستعلاء والمجاوزة والظرفية .. إلى غير ذلك، أو بالكشف عما يسوغ الابتداء به من هذه الحروف أو الوقف عليها وما لا يسوغ .. إذ بهذا الربط الذي ننشده وتنادي به فكرة البحث يتحقق – بصدق – فقه تلاحم الكلام في النسق الكريم، ويُتعرف على أوجه بلاغته ودلائل فصاحته، ويتم بالتالي التدبر المأمور به في محكم التنزيل.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترضيه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وبعد:

فحين نعت العرب القرآن بالشعر، لم يكن يرومون من وراء ذلك أن يعقدوا أوجهاً للتشابه فيما بينهما، وإنما كان ذلك منهم إقراراً بسمو بيانه واتساع لغته وجمال إيقاعه وكثرة مائه وتحدر نظمه، لأن هذه هي صفات الشعر لديهم .. كما كان وصفهم إياه بالسحر دليلاً على قوة تأثيره في نفوسهم وعلى شدة إحساسهم بثراء معانيه وعجزهم من ثمّ عن محاكاته .. ثمّ – وليس آخراً – كان هذا وذاك منهم فيما بعد، كيما يتسنى لهم أن يغالطوا غيرهم كما غالطوا أنفسهم وليوحوا إلى أوليائهم وإلى الدهماء بما يغرس بذور الشك في نفوسهم فلا يؤمنون.

وإن من أعظم ما يلفت الانتباه في أسلوب تنزيل رب العالمين وأبرز ما يميزه، الغَنَاءَ في الأداء والسخاءَ في إفادة المعاني .. ولست هنا بصدد سرد شتى الوسائل والأسباب التي تكشف عن هذه الخصيصة ولا حتى الإحاطة بواحدة منها، إذ تلك– فضلاً عن كونها أموراً لم تحط بها حتى يوم الناس هذا، الدراسات المطولة ولا الكتب الجمة ولا البحوث المتعددة – هي أمور يعجز عن الإلمام بها الفحول من جهابذة العلم، كما يعيا عن بلوغ منتهاها والوصول إلى أغوارها عباقرة الفنون على تنوعها واختلاف مشارب أربابها .. وإلا فكم من الدراسات والبحوث والكتب تأسست على تناول ظاهرة تعدد القراءات

مثلاً وصلاح وجوهها للدلالة على غير ما معنى و لم توفها حقها؟ .. وكم هي تلك التي تناولت ظاهرة الحروف المقطعة بما أضفاه ترتيبها الأنيق وتصنيفها العجيب، وما أثارته تيك الفريدة من رغبة العلماء الراسخين وشغف أعلام التفسير المخلصين في البحث عنها والتنقيب عن أسرارها والغوص في معانيها، على الرغم من تكاثر الأنظار في مغزاها وتخالف الآراء في مدلولاتها، بل وعلى الرغم من ذهاب السواد الأعظم لأهل العلم إلى أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه؟ .. وكم منها اختص وعني بالنظر في معاني غير ما ذكرنا من حروف فراحت ترقب عن كثب ما يفيده هذا الحرف في القرآن أو ذاك من جليل الألفاظ ودقيق المعاني، بل وتحقق القول في دلالاتها ومقاماتها، كالقول بأن (إنما) تفيد إثبات الشيء للشيء ونفيه عن غيره وأنها متضمنة معنى النفي والاستثناء الذي هو إثبات ونفي وأنها تخالفه، وفرقٌ بين أن يتضمن الشيء معنى الشيء وأن يكون الشيء الشيء، وأن قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[فاطر: ٢٣]، ليس كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾[هود: ١٢] ، وأن هذا له سياق يجري فيه، وذلك له سياق يقتضيه ؟ .. وكم منها عكف على مشتبه النظم يقارن ويوازن بين ما تشابه منه ابتغاء التدبر وابتغاء الوقوف على محامله ودلائله؟ .. وكم منها .. وكم منها .. وكم منها؟.

وتأتي هذه الدراسة البلاغية في ضوء هذا الفقه من تلاحم الكلام في النسق الكريم، تُؤمِّل نفسها بجبر ما نقص من دراسات تتعلق بمعاني الحروف وثيقة الصلة بالوقوف والابتداء، بعد أن لاحظت نضوب الدراسات لهذا النوع من البحوث، مع كثرة ما تناولته من حديث عن كل منهما على حدة، فمن

كتب رصدت دلالات أحرف المعاني وحسب في أجود الكلام وأبلغــه، إلى أخرى عنيت فقط بأمور الوقف والابتداء .. كذا دون ربط بين هــذا وذاك، ودون ربط كذلك بين تيك الأمور قاطبة وأوجه البلاغة ونكاتها الــتي لا تتزاحم .. تأتي هذه الدراسة التي تُعني بربط بعض أحرف المعاني في التنــزيل بما سمي لدى أهل الأداء القرآني بوقوف المراقبة، لتكون فاتحة خير أمام المزيد من تتبع هذه الظاهرة ومعالجة هذا اللون من الأداء القرآني المعجز، بعــد أن لاحظت قصر الأمر في نظيراتها على تتبع أسرار ما وضح من ذلك من أنواع الوقوف الأخرى من نحو الوقف اللازم أو الجائز أو الممنوع وما شابه.

كما تهدف تلك الدراسة من جانب آخر إلى رصد ظاهرة تعدد المعاني مع وحدة النظم، إذ تتنوع تلك المعاني بمجرد البدء وتختلف بمجرد الوقــف، على الرغم من عدم تغير السياق ومجيئه كما هو دون أن يتبدل منه حــرف واحد أو يتغير، فأنت تراك وأنت تقف مثلاً على قــول الله تعــالى:﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ ﴾ [البقــرة: ٢٨٢] ، تراقب الوقف على كاف الجر مع مدخولها في قولــه بعد: ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾[البقرة : ٢٨٢]، ويكون الأمر بحيث لو وقفــت على الموضع لانبهم المعنى واختل النظم لكون الوقف على لفظ الجلالة بعــد الوقف الأول لا يؤدي كبير فائدة، ولا تجد للضمير في ﴿عَلَّمَهُ﴾ مرجعاً، لأن الجملة بعد الوقف الأول كأنها منفردة في فراغ وحدها، والضمائر لا بــد أن تعود على مرجع، وعليه فلا مناص من اتصالها بما قبلها أو بما بعدها، كما لا مناص من وجود متعلق للجار والمجرور، وهو كــائن إمــا في الفعــل قبلــه ﴿يَكْتُبَ﴾ أو بعده ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ وفي كلٍّ من الدلالة وإكساب المعنى -وهذا

هو بيت القصيد– ما ليس في نظيره، إذ لو وصلت ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾بما قبلها كان المعنى: ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كتاب الدين على طريقة ما علمه الله من كتابة الوثائق أو كما بينه له تعالى بالعدل، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليم الكتابة، وإنما جاء الأمر بها بعد النهي عن إبائها تأكيداً لها .. وعلى أن جملة ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ مبدوء بها تكون الكاف متعلقة بما بعدها وهو الأمر في قوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ، وعليه فالنهي عن الامتناع منها مطلق، قيد بعد بالأمر بها، والمعنى حينذاك: فلأجل ما علمه الله فليكتب.

فهل ثمة ثراء أبلغ في الدلالة على المعنى بأكثر من وجه كهذا ؟ وهل هناك من اتساع في التعبير عن المعنى بأكثر من صورة والتأكيد على المراد بغير ما طريقة أبلغ مما أبصرنا؟ لكن ما يجب التنبه له هو أن هذه الإيماضات ما كان لها أن تتأتى عند الاقتصار على ما ذكره علماء الوقوف من أن الواقف على أحد هذين الموضعين عليه أن يراقب الوقف على الموضع الآخر بحيث إذا وقف على موضع لا يحق له أن يقف على الآخر، حتى يتصل الكلام ويأخذ بعضه بحجز بعض .. لأن ذلك غير كاف ما لم يتم الوقوف على سر ذلك ويبدو الوجه البياني فيه، فبذلك .. وبذلك وحده يتضح كيف يلتحم النسج وتلتئم المعاني ، ولا يسوغ معرفة ذلك – بالطبع – إلا من خلال الوقوف على بلاغة النص ووجوه إعرابه سيما وأن دراسة قوانين الفصل والوصل في البلاغة العربية تفتح لنا الباب واسعاً لمعالجة هذه الظاهرة القرآنية وما جاء على شاكلتها.

وأعلم يقيناً أن هذه الدراسة لا تستطيع بمفردها أن تصل إلى غاية المراد بل ولا حتى ما يقارب هذه الغاية، وإنما حسبها أنها تسعى بجـــد ودأب في أن تسد خلة، وفي أن ترفع حرجاً، وفي أن تشكل بداية لدراسات تكون أوسع .. كما أنها مقتنعة بأن اقتحام المخاطرة والسير في الطرق غير المعبدة باب عظيم النفع بقدر ما هو عظيم الخطر، وما ذلك إلا لأن خطأ السابق فيه يهدف إلى صواب اللاحق .. وعلى أي حال فهذا كسب جديد للبلاغة العربية لا بد أن يأخذ حظه كاملاً ولاسيما أن كل ما كتب ولا يزال وسيظل، إنما هو خدم لما جاء به كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه تنـــزيل من حكيم حميد.

هذا وقد اقتضت خطة هذا البحث أن تأتي في مقدمة وأربعة مباحث تناول أولها الحديث عن دلالة (بلى) في كلام أهل اللغة، ثم عن أثر الوقف على هذا الحرف أو البدء به في إثراء المعنى واتساعه .. وجاء ثانيها ليتناول بـــنفس الطريقة والمنهج حرف الرد والردع (كلا)، بعد الوقوف على دلالتها وما قاله أهل العلم في شأنها .. أما المبحث الثالث فكان عن حرف الكاف مع مدخوله ليستبين كيف أن الوقوف عليهما من خلال آي الذكر الحكيم دال على معنى، وكيف يفيد البدء بهما معنى آخر .. وجاء المبحث الرابع والأخير ليتناول مدى إساغة البدء أو الوقف على (الباء) و(على) و(من) و(في) ومدخولاتها، وأثـــر ذلك – إن صح وكان ممكناً والمعنى معه مساغاً – في إثراء المعنى واتساعه.

والله وحده هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

(بلى).. دلالتها وأثر الوقف عليها والبدء بها في إثراء المعنى

أولاً: أصل (بلى) واستعمالاتها:

ذكر بعض النحاة أن (بلى) من حيث الأصل « حرف ثلاثي الوضع والألف من أصل الكلمة، وليس أصلها (بل) التي للعطف فدخلت الألف للإيجاب أو للإضراب والرد أو للتأنيث كالتاء في (رُبّت) و(ثُمّت) خلافاً لزاعمي ذلك »(١)، كذا ذكره المرادي في (الجنى) وعضده السيوطي الذي نص على أن « (بلى) حرف مرتجل للجواب أصلي الألف »(٢) .. ويرى البعض أنها ركبت من (بل) التي للإضراب والألف التي للتأنيث أو الدالة على كلام مقدر أو على الإيجاب في جواب الاستفهام، أو منها ومن (لا) النافية، وينسب القول بالتركيب- أيا ما كانت دلالة الألف- إلى الكوفيين(٣).

ولـ (بلى) في القرآن وفي سائر الكلام البليغ استعمالان:

الأول: أن تكون رداً لنفي يقع قبلها، خبراً كان أو نهياً فينتفي بها ما قبلها من النفي وتحققه، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ ..﴾ [آل عمران :٧٥، ٧٦] أي عليهم سبيل.

---

(١) الجنى الداني للمرادي ص ٤٢٠.

(٢) همع الهوامع٤/ ٣٧٢، وينظر المعجم الوسيط مادة (بلى).

(٣) ينظر في غير ما تقدم المقتضب ٢/ ٤٣٢، وشرح الرضي ٢/ ٣٧٢، وشرح كلا لمكي ص ٧٩، ودراسات لأسلوب القرآن ١/ ٥٨، ٢/ ٩١ وما بعدهما، والدر المصون ١/ ٤٥٦، وقضايا التركيب د/ عبد الحميد سعد ص ٢١٧: ٢١٩.

أما الاستعمال الثاني: فهي أن تقع جواباً لاستفهام دخل على نفي، فتفيد بذلك الإثبات والتصديق لما قبلها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ﴾[القيامة : ٣،٤] ، قال الجمهور: التقدير بل نحييها قادرين، لأن الحسبان[1] إنما يقع من الإنسان على نفي جمع العظام، و ﴿بَلَىٰ﴾إثبات فعل النفي، فينبغي أن يكون الجمع بعدها مذكوراً على سبيل الإيجاب.

ثانياً: أثر الوقف على (بلى) والبدء بها في إثراء المعنى:

لوحظ أن مجيء (بلى) على هذا النحو السالف الذكر يسوغ الوقف عليها والبدء بها، ويأخذ ذلك عدة صور يتردد بينها، وتتمثل هذه الصور في:

١- الاستئناف بها والاستئناف بجملة الشرط:

ويكون ذلك في مقام التأرجح في حمل المعنى في (بلى) على الجواب أو جعلها وما بعدها كذلك، ففي قول الله تعالى على لسان معشر يهود :﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٨٠،٨١]،تعددت وجهات النظر في الوقوف على﴿بَلَىٰ﴾ والبدء بها، ففي كتابه (منار الهدى)، ارتأى الأشموني أن« ﴿بَلَىٰ﴾ وما بعدها جواب للنفي السابق قبلهما»[2].

ويبني صاحب المنار -وكذا من قال بقوله- رأيه في البدء بـ﴿بَلَىٰ﴾ وعدم الوقوف عليها على أساس أنها جاءت لتكون بمنزلة رد لكلام اليهود

(١) جاء في البرهان بلفظ (الحساب)، ولعل الصواب فيما ذكرته.

(٢) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ص ٤٢.

ومن قال بقولهم من أهل الكفر: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ ، والمعنى: (بلى تمسكم النار)، وذلك كقولك في جواب من يقول لك (ما قام زيد): (بلى) أي قد قام، وإنما سوغ جعل الجواب متعلقاً بما بعده في الآية لفظاً ومعنى- مع بقائه رداً لما قبلها- قوله تعالى فيما هو كالتتمة للجواب: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [1]،« قاله الزمخشري: يريد أن (أبداً) في مقابلة قولهم: ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ ، وهو تقدير حسن » [2].

وفي روح المعاني: قوله : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً..﴾ إلخ، « جواب عن قولهم المحكي وإبطال له على وجه أعم، شامل لهم ولسائر الكفرة .. كأنه قال: بل تمسَّكم وغيركم دهراً طويلاً وزماناً مديداً- لا كما تزعمون- ويكون ثبوت الكلية كالبرهان على إبطال ذلك بجعله كبرى لصغرى ، سهلة الحصول، فـ ﴿بَلَىٰ﴾ داخلة على ما ذكر بعدها، وإيجاز الاختصار أبلغ من إيجاز الحذف » [3].

ويرى المجيزون للوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في الآية الكريمة، إفادتها بالأساس إبطال قول اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾، وإنما سوغ البدء بقوله عز من قائل: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً..﴾ الآية، عدُّ جملة الشرط « جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، سيقت تعليلاً لما أفادته ﴿بَلَىٰ﴾ من ثبوت مس النار لهم، فكأنه قيل أنتم كاذبون في زعمكم أن النار لن تمسكم إلا أياما

(١) ينظر السابق كما ينظر على حاشية المقصد لتلخيص ما في المرشد للأنصاري ص ٤٢.

(٢) الدر المصون١/ ٤٥٦، وينظر الكشاف١/ ٢٩٢.

(٣) روح المعاني ١/ ٤٨٢.

معدودة ، فإنها ستمسكم وتخلدون فيها أبد الآبدين ، لأن من كسب سيئة -كفراً- وأحاطت به خطيئته واستولت عليه وأحدقت به من كل جانب فشملت ظاهره وباطنه وتناولت سره وجهره، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، فجملة ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً..﴾ إلخ، لا تعلق لها بما قبلها من حيث اللفظ، بل تعلقها به من حيث المعنى، فصح لذلك الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ وهو وقف كاف»[1].

وفي ترجيح الحمل على هذا المعنى-إيفاء بحق السياق- والتعليل له، يقول صاحب التحرير والتنوير: « قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ إبطال لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾، وكلمات الجواب تدخل على الكلام السابق لا على ما بعدها، فمعنى﴿بَلَىٰ﴾ :بل أنتم تمسكم النار مدة طويلة ، وقوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً..﴾، سند لما تضمنه ﴿بَلَىٰ﴾، من إبطال قولهم، أي ما أنتم إلا ممن كسب خطيئة .. إلخ، ومن كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته فأولئك أصحاب النار، فأنتم منهم لا محالة .. فـ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً..﴾ شرطية، بدليل دخول الفاء في جوابها، وهي في الشرط من صيغ العموم، ولذلك فهي مؤذنة بجملة محذوفة دل عليها تعقيب ﴿بَلَىٰ﴾ بهذا العموم، لأنه لو لم يرد به أن المخاطبين من زمر هذا العموم لكان ذكر العموم بعدها كلاماً متناثراً، ففي الكلام إيجاز الحذف ليكون المذكور كالقضية الكبرى لبرهان قوله:﴿بَلَىٰ﴾ »[2].

---

(١) معالم الاهتداء للشيخ محمود خليل الحصري ص ١١٤، ١١٥بتصرف.

(٢) تفسير التحرير للطاهر بن عاشور٢/ ٢٨١ مجلد ١.

وهو تعليل له وجاهته وهو كالتوضيح لما غمض في عبارة الآلوسي والتفصيل لما أجمله، وإن اختلفا في موضع الوقف أو البدء في حق حرف الجواب (بلى)، ويبقى القول على الرغم من ذلك أن في البدء بها عموماً وفي الوقوف عندها خصوصاً.

﴿مَن﴾ على القول بأنها شرطية هي في موقع الابتداء، خبرها الشرط ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وما عطف عليها، أو الجزاء﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، أو هما معاً .. وعلى جعلها موصولة بمعنى (الذي)، فالخبر قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، وإنما جاز دخول الفاء على الخبر لاستكمال الشروط المذكورة فيما تقدم، ويؤيد كونها موصولة ذكر قسيمها بعدها موصولاً وهو قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ الآية.

ومهما يكن من الأمر في ﴿ بَلَىٰ ﴾ وفي ﴿مَن﴾ فالمراد بالسيئة هنا، السيئة العظيمة وهي الكفر بدليل العطف عليها بقوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، وتعليق الكسب بالسيئة إنما جاء على سبيل التهكم، وأضاف الإحاطة إليه لكونها راسخة ومتمكنة فيه، وهو سر إضافة الكسب إلى ﴿سَيِّئَةً﴾ وعلة تنكيرها، والإحاطة مستعارة لعدم الخلو عن الشيء لأن ما يحيط بالمرء لا يترك له منفذاً للإقبال على غير ذلك ..والقصر المستفاد من التعريف في قوله:﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾،هو من نوع الإضافي لقلب اعتقادهم .. وقوله فيما بعد: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ، تذييل لتعقيب النذارة بالبشارة على عادة القرآن، والمراد بالصحبة في حق الصنفين الملازمة، وبالخلود حقيقته.

ونظير ما سبق ما جاء في قول الله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١١،١١٢]، فإصرار الأشموني ومن لف لفه على تعلق ﴿ بَلَىٰ ﴾ وما بعدها، بما قبلها في حال وجود شرط، وإساغة البدء بها مع جملة الشرط، وقوله في كتابه المنار: «﴿ بَلَىٰ ﴾ ليس بوقف، لأن﴿ بَلَىٰ ﴾ وما بعدها جواب للنفي السابق، والمعنى أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة أحد إلا من كان يهودياً، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، فقيل لهم (بلى يدخلها من أسلم وجهه)، فقوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾، رد للنفي في قولهم لن يدخل الجنة أحد»[1] .. يقابله إصرار من الطاهر- ومن قال بقوله سابقاً ولاحقاً- على أن قول الله تعالى: « ﴿مَنْ أَسْلَمَ ﴾ جملة مستأنفة عن﴿ بَلَىٰ ﴾ لجواب سؤال من يتطلب كيف نقض نفي دخول الجنة عن غير هذين الفريقين، أريد بها أن الجنة ليست حكرة لأحد ولكن إنما يستحقها من أسلم .. إلخ، لأن قوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾، هو في معنى: له دخول الجنة، وهو جواب الشرط لأن ﴿مَن ﴾ شرطية لا محالة، ومن قدر هنا فعلاً بعد ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي (يدخلها من أسلم)، فإنما أراد تقدير معنى لا تقدير إعراب، إذ لا حاجة للتقدير هنا»[2].

وأرى أن لا تنافي في القول بأي من هذه الآراء، بل هو من باب التوسع في المعنى وحمل الآي على غير ما وجه، وفي ذلك من الإثراء ومن

(١) المنار ص ٤٧.

(٢) التحرير للطاهر ٢/ ٦٧٤ مجلد١، وينظر (شرح كلا وبلى) لمكي ص ٨٢، والمعالم ١١٥.

الإيجاز ما فيه، ذلك أن كلمة(بلى)، مع نقضها هنا لقولهم:﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾، ونفيها عدم دخول غيرهم الجنة بما يفيد ثبوت أن غيرهم يدخلون الجنة دونهم .. هي مقررة على سبيل التأكيد- وبعد حذف ذلك لدلالة (بلى) عليه- استحقاق من أسلم من الفريقين لدخولها، وقد عضد من شأن هذا التقرير وحسّن من أمر الوقف على (بلى)، أن ما بعدها مبتدأ وخبر وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾، فـ (من) شرط في موضع رفع بالابتداء، و ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾، مبتدأ وخبر في موضع خبر الابتداء الأول ، والفاء جواب الشرط ولا يبتدئ بها لأنها جواب لما قبلها فحيث روعي ذلك كان الوقف على (بلى) والابتداء بجملة الشرط لاستقلالها وتوافر أركانها ،وحيث روعي الرد والجواب وتقدير المحذوف كان البدء بـ (بلى).

والذي ينبغي أن يعلم أن حكمهم- أعني أهل الكتاب ممن ورد ذكرهم في النظم الكريم- بعدم دخول الغير الجنة، إنما هو مستفاد من عبارتهم المفيدة للقصر أي قصر دخول الجنة عليهم دون غيرهم وهو قصر بمعناه الاصطلاحي .. وفي قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ كذا بجملة الحال، إيذان بأنه لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة للعبد إلا بهما، ورحمة الله فوق ذلك إذ لا يخلو امرؤ من تقصير[1].

وفي موضعي (بلى) في آل عمران، وهما قوله تعالى في تسويغ بعض أهل الكتاب لعدم تأدية الأمانة ورد تلك الشبهة وذاك الادعاء:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) ينظر: روح المعاني١/ ٥٦٦، والقرطبي ١/ ٥٧٠، و والتحرير٢/ ٦٧٥ مجلد ١.

قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:٧٥، ٧٦].

وكذا قوله تعالى في واقعة تنزل الملائكة على أهل بدر:﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٤،١٢٥].. أعقب حرف الرد (بلى) جمل شرط كما هو الحال في آيتي البقرة، ولأجل ذلك فقد تسنى للأشموني بأن يحيل ويكرر ما سبق أن ذكره هنالك، فيقول معلقاً على ما جاء في أولاهما: « (بلى) ليس بوقف، وقيل وقف، لأن (بلى) جواب للنفي السابق، أي: بلى عليهم سبيل العذاب بكذبهم، وتقدم في البقرة ما يغني عن إعادته»(١).

وعلى ما جاء في الثانية علق يقول: « (بلى) وما بعدها جواب للنفي السابق الذي دخلت عليه ألف الاستفهام وما بعد (بلى) في صلته، فلا يفصل بينهما، ولا وقف من قوله:﴿ بَلَىٰٓ ﴾ إلى ﴿مُسَوِّمِينَ ﴾، فلا يوقف على ﴿فَوْرِهِمْ﴾ ولا على (هذا)، لأن جواب الشرط لم يأت بعد وهو﴿يُمْدِدْكُمْ ﴾، فلا يفصل بين الشرط وجوابه بالوقف»(٢).. وهو كلام وإن كان يحمل في طياته ما تعصب له من وجوب البدء بـ ﴿ بَلَىٰٓ ﴾باعتبارها وما بعدها جواب للنفي السابق ومن ثم عدم إساغة الوقوف عليها، إلا أنه هذه المرة ألمح إلى من قال بعكس قوله – وإن جاء ذلك منه بلفظ التمريض- الأمر الذي يعني

(١) المنار ص ٨٢، وينظر: الدر المصون٣/ ٢٦٩.

(٢) منار الهدى ص ٨٧.

بالضرورة إقراره بأن القاعدة التي بنى عليها كل شرط جيء به بعد (بلى) وأنهما معاً يمثلان الجواب، ومن أن « (بلى) – لأجل ذلك – ليس بوقف »، هي محل نظر، وأن مرد ذلك إلى السياق الذي يسيغ البدء بـ (بلى) والوقف عليها على حدٍّ سواء، كما يسيغ حمل كلٍّ على معنى مغاير بما يدل على إثراء معاني ما ورد من ذلك في آي التنزيل وجعله على أكثر من وجه، وتلك من بلاغة القرآن ومن دلائل إعجازه.

ولا أدل على اضطراب المتشبثين بجعل (بلى) داخلة في جملة الشرط، من تراجع الآلوسي عما كان قد تمسك به من قبل في هذه القضية من جعل (بلى) مع جملة الشرط جواباً عن قولهم المحكي، وذلك أثناء معالجته وتناوله لما ورد في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ...﴾، فقد ذكر أن « (بلى) جواب لقولهم : ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ ، وإيجاب لما نفوه ، والمعنى: بلى عليهم في الأميين سبيل»[1].

فتقديره الجواب على هذا النحو بالنظر لما قاله عقيب ذلك من أن قوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ، استئناف مقرر للجملة التي دلت عليها (بلى)، فقد أفادت بمفهومها المخالف، ذم من لم يف بالحقوق مطلقاً فيدخلون فيه دخولاً أولياً» .. ولما ذكره في قول الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ ..﴾ إلخ، من أن « (بلى)، إيجاب لما بعد (لن) أي: بلى يكفيكم ذلك»[2]، مما يعني جعل جملة الشرط استئنافاً .. يظهر ويؤكد لنا ما قررناه هنا

(١) روح المعانى٣/ ٣٢٤ مجلد ٣.

(٢) السابق ٤/ ٧١ مجلد ٣.

من أمر اضطرابه وعدم جعله الباب طرداً وعلى وتيرة واحدة .. وإن كان من عذر يمكن أن يلتمس للآلوسي فهو مراعاته للفروق الدقيقة في سياقات الآيات وتفريقه في التقدير بين ما خالف مفهومه بعد (بلى) من سياقات عما كـــان قبلها، وما وافقه إعمالاً ووفاء بحق السياق.

وفي ترجيح ما ساقه الأشموني بلفظ التمريض وما رجع إليه الآلوســـي على مضض يقول صاحب المعالم في توجيهه والتعليل له: « كلمة (بلـــى) في الآية- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾-مبطلة قول اليهـــود﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾، يعنون بهذا القول: ليس علينا فيما أصبناه مـــن مـــال العرب إثم ولا حرج، ولا ذم ولا عتاب، لأنهم ليسوا أهل كتاب مثلنا، وهذا معنى وصفهم بالأميين، فهم بهذا القول قد نفوا الإثم والحرج عنهم في أخـــذ أموال العرب، فجاءت كلمة (بلى) فأبطلت هذا النفي، وإذا بطل نفـــي الإثم والحرج عنهم ثبت عليهم الإثم والحرج واستحقوا الذم واللوم فتكون هـــذه الكلمة أثبتت عليهم ما نفوه عن أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، جملة مستأنفة ليس لها موضع من الإعراب مقررة لمعنى الجملة التي نابت (بلى) منابها وسدت مسدها، وبيان ذلك أن (بلى) قامت مقام جملة تقديرها: عليكم إثم وذنب في ظلمكم العرب وخيانتكم لهم واستحلالكم أموالهم، وجملـــة: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ..﴾، مؤكدة بمفهومها معنى الجملة التي قامت (بلى) مقامها، وحيث كانت هذه الجملة- ﴿مَنْ أَوْفَىٰ ...﴾ - مستأنفة مؤكدة مضمون ما قبلـــها يكـــون الارتباط بيـــنها وبين ما قبلها معنوياً لا لفظياً ، فيكون الوقف على (بـــلى)

كافياً»[(١)] .. كما يشير صاحب التفسير الكبير إلى أن اليهود عندما قالوا:﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾، « قال الله تعالى راداً عليهم: (بلى) عليهم سبيل في ذلك، وهذا اختيار الزجاج، قال: وعندي وقف التمام على (بلى) وبعده استئناف»[(٢)].

وفي إساغة حمل الآية على وجهيها السالفي الذكر، ينص الرازي على أن « في (بلى) وجهين، أحدهما: أنه لمجرد نفي ما قبله »، وساق في إساغته كلام الزجاج السابق، «وثانيهما: أن كلمة (بلى)، كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده، وذلك لأن قولهم:(ليس علينا فيما نفعل جناح)، قائم مقام قولهم: (نحن أبناء الله تعالى)،فذكر الله تعالى أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى لا غيرهم،وعلى هذا الوجه فإنه لا يحسن الوقف على (بلى) »[(٣)].

ومجمل القول أن الجزم في أمر البدء بـ (بلى) في موضع يُسيغ سياقه الوقوف عنده لا يجوز القول به فضلاً عن التعصب له، وإنما ينبغي أن يكون مرد ذلك إلى السياق.

٢- (بلى) بين الاستئناف بها (وبما يترجح أو يغلب عليه التعلق اللفظي)[(٤)]:

يرى جمهور أهل العلم أن ما ولي (بلى) في قول الله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[القيامة: ٣-٤] ، حال من الضمير في الفعل المحذوف بعد (بلى) الذي يدل عليه قوله: ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ﴾ ، وعليه يكون المعنى: بلى

---

(١) معالم الاهتداء للشيخ الحصري ص ١١٧، ١١٨.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٤/ ٢٧٨.

(٣) السابق.

(٤) ويسمى مثل هذا الوقوف بالوقف الحسن، وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده؛ إلا أن الذي بعده متعلق به من جهة اللفظ.

نجمعها بعد تفرقها وجعلها رميماً ورفاتاً في بطون البحار وفسيحات القفار وحيثما كانت، حال قدرتنا على أن نسوي بنانه وقدرتنا على تأليف جميعها وإعادتها إلى تركيبها الأول، وهو قول سيبويه. واستشكل الفخر الرازي- وله في ذلك حق- حمل الآية على هذا المعنى على اعتبار « أن الحال إنما يحسن ذكره إذا أمكن وقوع ذلك الأمر لا على تلك الحال، تقول: (رأيت زيداً راكباً) لأنه يمكن أن ترى زيداً غير راكب، وههنا كونه تعالى جامعاً للعظام يستحيل وقوعه إلا مع كونه قادراً، فكان جعله حالاً جارياً مجرى بيان الواضحات وأنه غير جائز»، ويرى هو فيما يرى أن الأولى أن يكون المعنى و« تقدير الآية: كنا قادرين على أن نسوى بنانه في الابتداء فوجب أن نبقى قادرين على تلك التسوية في الانتهاء»، ولم يستبعد الفخر في حمل المعنى حتى على هذا الأخير الذي جعل ﴿قَدِرِينَ﴾ فيه خبراً لـ (كان) المضمرة، أن يكون القرآن قد « نبه بالبنان على بقية الأعضاء، أي نقدر على أن نسوى بنانه بعد صيرورته تراباً كما كان، وتحقيقه أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر أيضاً عليه في الإعادة، وإنما خص البنان- على أيّ- بالذكر لأنه آخر ما يتم خلقه، فكأنه قيل نقدر على ضم سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف القول في كبار العظام»[(١)].

ولا يخفى – في باب الموازنة – أن جعل التقدير على المعنى المفضي إلى تعلق فعل الجمع المقيد بتسوية البنان وبضم السلاميات على صغرها من غير نقصان فكيف بكبارها وما ليس من الأطراف منها، أوفق بالمقام وأبلغ في الجواب والرد وآكد في الدلالة على القدرة، مما ارتضاه سيبويه في تقديره لمعنى

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٦/ ٢٠.

الآية، إذ في الأول من تصوير الجمع المؤكد للقدرة البالغة ومن عدم التفاوت بين الإعادة والبدء المشتملان على جميع الأجزاء التي كان به قوام البدن أو كماله، ما فيه.

وعلى التقدير الذي ارتضاه ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وجلٌّ أهل التأويل والذي مفاده: بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوى وقت الجمع أصابع يديه ونجعلها مع كفه صفيحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة والبسط والقبض وسائر الأعمال اللطيفة التي يستعان عليها بالأنامل والأصابع .. «فالكلام يفيد المبالغة السابقة لكن من وجه آخر، وهو أنه سبحانه إذا قدر على إعادته على وجه يتضمن تبديل بعض الأجزاء، فعلى الاحتذاء بالمثال الأول في جمعه أقدر»[(1)].

ولعلمائنا في إعادة الخلق قولان، ذلك أن إعادة الخلق إما أن يكون بجمع أجزاء أجسامهم المتفرقة من ذرات الله أعلم بها، فيكون الفعل (نجمع) محمولاً على حقيقته، وإما أن يتحقق الجمع بخلق أجزاء أخرى على صور الأجسام الفانية سواء خلقاً مستأنفاً أو مبتدأ من أعجاب الأذناب على ما ورد في بعض الأخبار، فيكون الفعل مستعاراً للخلق الذي هو على صورة الجسم الذي بَلِيَ، ومناسبة استعارته مشاكلة أقوال المشركين وإنما قصد إليه حتى يتجنب الدخول معهم فيما لا تتحمله عقولهم من تصوير كيفية البعث.

ويصح في (بلى) على الاختلاف الحاصل في معنى الجمع ولاسيما عند حمل فعله على الحقيقة، أن يجعل حرف إبطال للنفي الذي دل عليه (لن نجمع

---

(١) روح المعاني ٢٩/ ٢٣٧ مجلد ١٦،وينظر: تفسير الرازي ١٦/ ٢٠.

عظامه)، ليكون المعنى: بل نجمعها قادرين، كما يصح كذلك أن يجعل إبطالاً للنفيين، النفي المفاد من الاستفهام الإنكاري من قوله:﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾،والنفي الذي بمفعول (يحسب)، فيكون ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مفعولاً ثانياً لـ (يحسبنا) المقدر .. والنكتة في العدول في متعلق ﴿قَٰدِرِينَ﴾، عن أن يقال: قادرين على جمع عظامه إلى ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ ، كونه أوفر معنى وأوفق بإرادة إجمال كيفية البعث والإعادة، ناهيك عما أفاده الإتيان بـ (لا) في أول السورة، وحذف جواب القسم واصطفاء لفظ الحسبان والمجيء بهمزة الإنكار مسنداً إلى الجنس، وبحرف الإيجاب والحال بعدها، من تهجين المعرِض عن الاستعداد لذلك ومن المبالغات في تحقيق المطلوب وتفخيمه[1].

وابتناء على ترتب (بلى) على تلك المعاني السالفة الذكر، أجاز نافع وأبو حاتم وأبو عمرو والشيخ زكريا الأنصاري الوقف على (بلى) لتعلقه بما قبله .. وإن لم يحبذه ابن أبي طالب القيسي حيث ذكر في كتابه (شرح كلا وبلى) أن «الوقف على (بلى)، لا يحسن، لأن (قادرين): حال من الفاعل المحذوف بعد (بلى) – يعني من فاعل الفعل المقدر والمدلول عليه بحرف الجواب – والتقدير: (بلى نجمعها قادرين على أن نسوى بنانه) »، ثم ذكر أنه لأجل ذلك يكون الوقف على (بنانه) ، تاماً حسناً ، « لأن (على) وما بعده متصل بـ﴿قَٰدِرِينَ﴾، و﴿قَٰدِرِينَ﴾ : حال من الضمير المحذوف ، والضمير متصل بـ(بلى) ، وكلاهما جواب النفي الذي تقدم ذكره، وهو قوله تعالى :﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ ، فالكلام مرتبط بعضه ببعض»[2]، ومفاد ما ذكره أنه لا يبتدأ بها أيضاً.

(١) ينظر: روح المعاني ٢٩/ ٢٣٧مجلد ١٦، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٤٠ مجلد١٤.

(٢) شرح (كلا)، و(بلى) ص ١٠٤،١٠٣، وينظر: منار الهدى وهامشه (المقصد) ص٤١٠.

بينا أجاز شيخ الإسلام زكريا الأنصاري البدء بها وتعلق معناها بما بعدها، وربما كان يقصد بذلك ما ذكره الزجاج ونقله عنه الإمام القرطبي من أنه سبحانه أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهو جواب للقسم .. وبجعل جملة﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾، حتى على القول بحذف جواب القسم وتقديره (لتبعثن)، وجعل الاستفهام دليلاً على المحذوف، يكون المعنى قد تم عند كلمة (عظامه)، ومن ثم يتسنى حينئذ البدء بالحرف (بلى)[(١)].. وبتقديري فإن البدء بـ (بلى) يسوغه- إضافة إلى ما أورداه- أن ما قبله رأس آية والوقوف على رؤوس الآي- على ما هو متعالم- هو من السنة المعروفة في القراءة.

ومما هو من هذا بسبيل ما جاء في قول الله تعالى:﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر:٥٨،٥٩]، فجملة من القراء وغيرهم من أهل العلم والتأويل، على أنه لا يسوغ في آية الزمر البدء بـ (بلى) ولا حتى الوقف عليها، لكونها وما بعدها جواباً لما قبلها، فهي «لم تسبق بنفي ملفوظ به ولا بشيء من مقتضيات الوقف ولا من موجباته، بل هي هنا جواب لنفي مقدر عليه تقرير، كأن الكافر قال: لم يتبين لي الأمر في الدنيا ولا هداني، فرد الله عليه حسرته وقوله بقوله:﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ ﴾»[(٢)]، قال أبو حيان: ليس حقها النفي المقرر، بل حقها النفي ثم

---

(١) المقصد بهامش المنار ص ٤١٠، وينظر: القرطبي ١٠/ ٧١٣٠.

(٢) منار الهدى ص ٣٣٥.

حمل التقرير عليه، ولذلك أجاب بعض العرب النفي المقرر بـــ (نعـــم) دون (بلى)، وكذا وقع في عبارة سيبويه(١).

وتفصيل ذلك أنه «لا نفي في واحدة من المقالات الثلاث التي حكاها الله تعالى عن الكافر – وهي﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾، ﴿ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي ﴾ ،﴿ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ – لكن قوله: ﴿ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ يدل على نفي هدايته، لأن كلمـــة (لو) موضوعة للدلالة على امتناع جوابها لامتناع شرطها، فهي هنا دالة علـــى امتناع كونه من المتقين لامتناع هدايته، فيكون امتناع الهداية سبباً لامتناع كونه من المتقين، فحينئذ تكون الهداية منفية، فكأن الكافر قال: لم يهدني الله فلم أكن من المتقين، فجيء بكلمة (بلى) لنقض نفي الهداية في قول الكافر (لم يهدني الله) وإبطاله، وإذا بطل نفي هداية الله له ثبتت الهداية .. فكأنه قيل للكافر قد هديتك وأرشدتك وأرسلت لك الرسل وأقمت لك الأدلة، فأنت الذي آثرت طريـــق الغيِّ على طريق الهدى، وبناء على هذا تكـــون جملـــة ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي ﴾، مؤكدة ومقررة للجملة التي دلت عليها وسدت مسدها كلمة (بلى) »(٢).

ويجب إزاء ما ذكرنا وصل المؤكِد بالمؤكَد .. ومع كل هذا فقد سوغ البدء بـــ (بلى) كون ما قبله رأس آية .. كما سوغ الوقف عليه جواز وقابليـــة أن يكون جواباً للنفـــي في قولـــه: ﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ ،لأن (إن) عنـــد الكوفيين بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إلا)، والتقدير: وما كنت إلا لمن الساخرين،

---

(١) وعبارته في الكتاب: "وإذا استفهمت فقلت أتفعل؟ أجيب بـــ (نعم) فإذا قلت: ألست تفعـــل؟ قال: (بلى)"، ينظر: الكتاب٢/ ٣١٢، وينظر: البحر المحيط لأبي حيان٧/ ٤٣٦.

(٢) معالم الاهتداء ص ١٢٨، ١٢٩.

فيكون التقدير: بلى كنت من الساخرين، فيوقف حينذاك على (بلى) في التقدير، ويبتدئ بـــ﴿ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾،على طريق التوبيخ والتقرير .. كذا أفاده ابن أبي طالب القيسي[1].

وإنما جاء التوبيخ والتقرير من جعل الحجة على الكفار من الله ولم تكن لهـــم على الله،ولو أن الأمر كما قالوا لكان لهم أن يقولوا: قد جاءتنا الآيات ولكنك خلقت فينا التكذيب بها، فوصفهم سبحانه بالتكذيب والاستكبار والكفر على وجه الذم، إذ لو لم تكن هذه الأعمال فيهم لما صح الكلام .. بل وأساغه تأويل جواب (لو) على معنى النفي- وذلك من جميل ما هُديت إليه- وفي شأنه يقول الإمام القرطبي : « قال الزجاج: (بلى) جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي، ولكن معنى ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾: ما هداني، وكأن هذا القائل قال: ما هُديت، فقيل: بلى، قد بُين لك طريق الهدى فكنت بحيث لو أردت أن تؤمن أمكنك أن تؤمن» [2].

هذا وللسمين الحلبي في جواب (بلى) — من غير ما ذكرنا من النفي المقدر والمقرر — وجه آخر قال فيه: «إن التمني المذكور وجوابه متضمنان لنفي الهداية، كأنه قال: لم أهتد، فرد الله عليه ذلك»، قال الزمخشري: « فإن قلت: هلا قـــرن الجواب بما هو جواب له، وهو قوله:﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ ولم يفصل بينـــهما؟ قلت: لأنه لا يخلو إما أن يقدر على إحدى القرائن الثلاث فيفرق بينهن، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى، فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بين القرائن، وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب، وهو التحسر على التفـــريط في الطاعـــة ثم

(١) ينظر: شرح كلا وبلى) ص ٩٤، ٩٥، والرازي١٣/ ٤٦٣.

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٥٩١٨، وينظر: تفسير الرازي ١٣/ ٤٦١.

التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة، فكان الصواب ما جاء عليه، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب»[(١)].

ونخلص من تحقيق القول في الوقوف على (بلى)، إلى أن الجنوح إلى القول بمنع الوقوف عليها أو عدم استحسانه- كما قال بكلٍّ طائفة من العلماء- قول غير صحيح ومجاف حتى لما يمكن ويسوغ حمل السياق في النظم الكريم عليه.

٣- (بلى) بين الاستئناف وبما يترجح أو يغلب عليه التعلق المعنوي[(٢)]:

في عدة مواضع في القرآن الكريم بلغت في مجموعها ثلاثة، أعقب (بلى) حرف التأكيد (إن) ومعلوم ما لـ (إن) من صدارة في الكلام، الأمر الذي يعني ضمناً ترجيح الوقف على (بلى) وجعل الوقف عليها والابتداء لأجلها بـ (إن) من قبيل الوقف الكافي، وفي أولى هذه المواضع الثلاثة وهو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٢٨] .. يرصد الإمام القيسي هذه الظاهرة ويعلق عليها وعلى الوجه في ذلك فيقول:

« الوقف على﴿بَلَىٰٓ﴾ حسن جيد بالغ، وهو قول نافع لأنه جواب النفي الذي قبلها وهو قولهم: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ﴾، فالمعنى: بلى عملتم سوءاً، ودل على حسن الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾، أن بعدها﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة- وهي ما يُكسَر في الابتداء- ولو علقت بما قبلها و لم يكن قولاً ولا قسماً لفتحت، فكسرها

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٥، وينظر: الدر المصون ٩/ ٤٣٧.

(٢) ويسمى بالوقف الكافي، وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده؛ غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى.

يدل على أنها للابتداء بها، فالوقف على ما قبلها حسن إذ هي للابتـــداء، ولا يحسن الابتداء بـــ ﴿بَلَىٰٓ﴾ لأنها جواب لما قبلها»، وأردف يقول: « والاختيار: الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾ على مذهب نافع للحجة التي ذكرنا»[1].

وحتى لا نكون بمنأى عن السياق تجدر الإشارة إلى أن مقصود الصلة في نظم الآية، وصف حالة من يموتون على الشرك، وقد ذكرت بعد حديث القرآن عن شأن من أدركهم الهلاك وحل بهم الاستئصال، وعن حالهم يـــوم القيامة وحالة وفاتهم التي هي بين حالي الدنيا والآخرة .. والوجه في اقتـــران الفعل﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بتاء المضارعة التي للمؤنث، إسناد تولي مـــسألة الوفـــاة إلى جماعة الملائكة، ومجيئُه بصورة المضارع- على الرغم من كونه حكايـــة عـــن الحال الماضية- هو لاستحضار صورة توفي الملائكة إياهم لما فيها من الهول.

وذكر الرازي قولاً في احتمال أن يكون إلقاء السلم هو حكاية القرآن عنهم عند القرب من الموت فيكون المعنى على ما ذكر ابن عباس: أســـلموا وأقروا لله عند الموت بالعبودية، ويسوغ هذا مع ما ذكره أبو البقاء وغيره من صحة العطف على ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ﴾ وقد استظهره أبو حيان، وذكر الشهاب أن ذلك يتمشى من كون ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ﴾ بمعنى الماضي[2].

ووصفهم بكونهم﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾يومئ إلى أن توفي الملائكة إيـــاهم وقولهم في ادعائهم:﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ﴾،مصحوب باتباع الملائكة أساليب

---

(١) شرح (كلا) و(بلى) ص ٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٩/ ٥١٣، وإملاء ما من به الرحمن، والبحر المحيط، وحاشية الشهاب: والدر المصون ٧/ ٢١٣.

الغلظة والتعذيب معهم، على نحو ما في قول الله تعالى:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[الأنفال:٥٠] .. وقد جاء الرد بعدها من الله أو من الملائكة بـ (بلى) لإبطال ما ادعوه والمعنى: بل كنتم تعملونه.

بله أن ما استحسنه الإمام القيسي من شأن الوقوف على (بلى) بعد وصلها بما قبلها واختاره، استهجنه الأشموني وساقه بلفظ التمريض، ورجح عليه القول بما هو عنده على العكس من ذلك، يقول- رحمه الله- في تقرير وتوجيه ما ارتآه: «﴿مِن سُوٓءٍۭ﴾، تام عند الأخفش لانقضاء كلام الكفار، فـ ﴿مِن سُوٓءٍۭ﴾ مفعول (نعمل) زيدت فيه (مِن)، أي ما كنا نعمل سوءاً، فرد الله أو الملائكة عليهم بـ (بلى) ، أي كنتم تعملون السوء»[1]، فهو جواب له ، و﴿مَا كُنَّا﴾ على هذا منصوب بقول مضمر على الحال، أي فألقوا السلم قائلين ذلك، وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني أنه عالم بما كنتم عليه في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب فإنه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم، وإنما جعلوا علم الله بما كانوا يعملون، كناية عن تكذيبهم في قولهم ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾، وكناية كذلك عن أنهم ما عوملوا من قبل الملائكة بالعذاب إلا بأمر من الله سبحانه العالم بهم.

والبدء على ذاك بـ ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هو لدى الأشموني، الأوجه والأبلغ في إتمام المعنى .. وعلى أيٍّ فما ذكرناه في هذا الصدد من كون ذلك حاصل في الدنيا أو الآخرة هو مما يصلح حمله على

---

(١) منار الهدى ص ٢١٤، وينظر: الدر المصون٧/ ٢١٣.

مذهب من رجح الوقوف على (بلى) ومن قدم عليه البدء بها، وإن كنت أرى أن الأبلغ في جعله رداً من الله أن يكون ذلك في الآخرة حيث الحساب، وأما إن جعل من الملائكة فيستوي.

وزاوج الشيخ الحصري على اعتبارين مختلفين، فجمع بين ما ارتآه كل من الأشموني والقيسي بما يفيد إساغة الوقف على (بلى) والبدء بها، بل وبما يدل على جعل الوقف على كل من لفظتي (سوء) و(بلى) كافياً، حيث ذكر في المعالم إمكانية أن يكون: « آخر كلام الكفار(سوء)، و(بلى) من كلام الله تعالى، أبطل بها قول الكفار: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾الدال على نفي عملهم السوء في الدنيا، فيكون عملهم السوء في الدنيا ثابتاً، لأنه إذا بطل نفي عمل السوء ثبت عمل السوء، وعلى هذا يكون الوقف على ﴿مِن سُوٓءٍۚ﴾ كافياً لأنه من كلام الكفار وما بعده من كلام الله تعالى رد له وإبطال .. ويكون الوقف على (بلى) كافياً أيضاً، لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ مستأنف، أتى به تعليلاً لمضمون الجملة التي دلت (بلى) عليها وقامت مقامها، والتقدير: أنتم قد عملتم السوء في الدنيا- ومن ثم تستحقون المحاسبة عليه- لأن الله عليم بما كنتم تعملون لا تخفى عليه أعمالكم ظاهرها وباطنها، فهناك ارتباط معنوي لا لفظي بين (بلى) وبين ما قبلها وما بعدها، فحينئذ يكون الوقف على كل من (سوء) و(بلى) كافياً»[1].

وهكذا نرى من محصلة ومن خلال ما جاء في (معالم الاهتداء) مدى ما حمله النسق الكريم من ثراء ومن حمل للمعنى على غير ما وجه، فحيث

---

(١) المعالم ص ١٢٢.

تكون (بلى) ومدخولها رد من الله يتم البدء بـــ (بلى)، وحيث يرتبط حرف الجواب (بلى) بما قبله وتكون الجملة المؤكدة مستأنفة كالتعليل لمضمون ما دل عليه حرف الجواب يكون الوقف على (بلى).

والشيء بالشيء يذكر فالبدء بـــ (بلى) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق:١٥،١٤]، يردُّه ويرد عليه وقوع (بلـــى) جواباً لما قبلها وكون ما بعدها جيء بها على الاستئناف، ويسيغه كون مـــا قبلها رأس آية، والوقوف على رؤوس الآيات هو من السنة المتبعة وإن تعلق ما بعدها بما قبلها على ما استقر عليه أهل العلم، ففي طيبة النشر أن « الوقـــف الحسن هو الذي تعلق ما بعده التعلق اللفظي إلا أن تكون رأس آية فإنه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء لمجيئه عن النبي ﷺ، ففي حديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا قرأ، قرأ آية آية»[1]، كذا رواه أبو داود والترمـــذي، وفي الحـــديث المتصل الإسناد إلى أم سلمة عليها رضوان الله وسلامه: أن النبي ﷺ كـــان إذا قرأ قطع قراءته، يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم يقف[2]، « وهذا – على حد ما ذكر الأشموني– أصل معتمد في الوقف على رؤوس الآي»[3].

وقد جيء في تلك الآيات التي تتحدث في سورة الانشقاق عن حـــال أولئك الذين أوتوا كتبهم من وراء ظهورهم، بحرف (لن) الدال بطريق التأبيد

(١) شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأبي القاسم النويري١/٣٢٨، والحديث في عون المعبود١١/ ٢٤.

(٢) الحديث وبنحوه في مسند ابن راهويه١/ ١٠٥، ومسند أبي يعلى٧٠٢٢.

(٣) منار الهدى ص ١٢، والحديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

على تأكيد نفيهم لمسألة الرجوع إلى الحياة بعد الموت، الأمر الذي يعكس شدة تكذيبهم بالبعث وجزمهم وقطعهم بنفيه، كما يستدعي المجيء بما يفيد إبطال هذا النفي ويقطع بنفس الشدة والقوة الشك باليقين، وليس من مؤد لهذا كله ولا من رادّ على هذا الزعم أعظم من حرف الجواب (بلى) ومن جملة ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ المبينة والمؤكدة على وجه الإجمال أن ظنه باطل لأن ربه أنبأه بأنه يبعث، فآل التقدير الحاصل من حرف الإبطال ومن حرف التأكيد إلى معنى: إن ربه بصير به وأما هو فغير بصير بحاله، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] .. وعليه فإن «الوقف على (بلى) حسن جيد بالغ، لأنها جواب للنفي قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾، أي أن لا يرجع بعد موته، فالمعنى: بلى يحور، أي بلى يرجع إلى الآخرة، ويدل على حسن الوقف على (بلى) أن بعده (إنّ) المكسورة، وهي مما يبتدأ بها وتكسر في الابتداء»[١].

وفي (معالم الاهتداء) أن « جملة ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب بمثابة التعليل لما أفادته (بلى)، أي لا بد من حَوْره ورجوعه إلى الله عز وجل يوم المعاد، لأن ربه الذي خلقه ورباه بنعمه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا تخفى عليه منها خافية .. فبين هذه الجملة التعليلية وبين ما قبلها تعلق في المعنى دون اللفظ، فيكون الوقف على (بلى) كافياً»[٢]، ويرى الأشموني والأنصاري أنه من قبيل الحسن، ويطمئن نافع إلى

(١) شرح (كلا وبلى) لمكي ص ١٠٤.

(٢) معالم الاهتداء للحصري ص ١٢٥، وينظر: رح المعاني ٣٠/ ١٤٥ مجلد ١٦.

جعله من قبيل التام[١]، وسواء لم يتعلق ما بعد (بلى) بما قبلها لفظاً ولا معنى فكان الوقف عليها تاماً، أم تعلق به معنى فكان الوقف كافياً، أم تعلق به لفظاً فحكم بالوقف على (بلى) بأنه من قبيل الوقف الحسن .. فالجميع سائغ ومقبول، إذ لكل وجهُه الذي يمكن حمل المعنى عليه، وإن كنت أميل إلى القول بأن النفي في قوله: ﴿لَّن يَحُورَ﴾ أياً ما كان الأمر، هو من مقتضيات الوقف عليها .. وإطلاق الرجوع إلى الحالة التي كان فيها بعد أن فارقها على (الحور)، هو من المجاز الشائع مثل إطلاق الرجوع عليه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ...﴾ [يونس:٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]، وهو كذلك في لغة العرب على ما ورد في قولة ابن عباس: « ما كنت أدري ما يحور، حتى سمعت أعرابية تدعو بنية: حوري حوري، أي ارجعي إليّ وترددي عليّ»[٢]، ومنه قول لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

وفي الحديث: ((**اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور**))[٣]، يعني ﷺ أبرأ إليك من النقصان بعد الزيادة، أو من التردد في الأمر بعد المضي فيه.

(١) ينظر: منار الهدى وهامشه ص ٤٢٣.

(٢) يقال حار الماء في الغدير: تردد فيه وحار في أمره وتحير، ومنه محاورة الكلام مراجعته.

(٣) أخرجه مسلم١٣٤٣، والترمذي٥/ ٤٩٧، وابن ماجة٢/ ١٢٧٩، وابن خزيمة٤/ ١٣ والبيهقي٥/ ٢٥٠، وأحمد٥/ ٦٣.

المبحث الثاني

دلالة (كلا) وأثر البدء بها والوقف عليها في إثراء المعنى واتساعه

أولاً : دلالة (كلا) في اصطلاح النحاة من حيث اللفظ والمعنى:

اختلف النحويون وأهل اللغة في الأداة (كلا) هل هي بسيطة أم مركبة؟ فذهب سيبويه والخليل والأخفش والمبرد والزجاج وأكثر البصريين إلى القول بحرفيتها فهي عندهم وعند جمهور النحاة حرف رباعي محض، بسيط غير مركب، كما أنه مهمل لا يعمل شيئاً.

وذهب ثعلب إلى أنها من الحروف المركبة كـ (هلاّ)، وهي عنده مركبة من كاف التشبيه و(لا) النافية أو التي للرد .. وإنما شددت اللام نتيجة زيادة لام أخرى بعد الكاف أدغمت في لام (لا) النافية لتخرج عن معناها التشبيهي ولتدفع عن (كلا) توهم بقاء معنى الكلمتين: التشبيه والنفي، لأن تغير لفظ الكلمة دليل على تغير معناها، وأيضاً لتقوية المعنى باعتبار أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[1]، وفيما ذكره ثعلب ومن لف لفه نظر، يقول ابن فارس في الصاحبي : « وهذا ليس بشيء و(كلا) كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورها في التثقيل»[2]، أي على تشديد اللام، وجعل الألف أصلية لحرفيتها.

وقيل إنها مركبة من (كَل) و(لا) وهذا المذهب دون سابقه بل هو من الضعف بمكان، وقيل: بل هي مركبة من (ألا) التي للتنبيه، و(لا) النافية، يقول

---

(١) الجنى ص٥٧٨، والمغني١/ ٣١٩ ، والبصائر٤/٣٨١-٣٨٣، والإتقان٢٥١، ومعترك الأقران٢/١٩٣، والكليات للكفوي ص٩٥.

(٢) الصاحبي لأحمد بن فارس ص ٢٥٠.

الإربلي: « ومع ظهور ضعفهما - يعني هذا الأخير وما ذكره ثعلب - لا دليل عليهما»[١] .. وقول مكي إن (كلا) تكون اسماً على مذهب الكسائي الذي يرى أنها بمعنى (حقاً)، وكذا قول الرضي: إنها « إذا كانت بمعنى (حقاً) جاز أن يقال: إنها اسم بنيت لكون لفظها كلفظ الحرفية، ولمناسبة معناها لمعناها، لأنك تردع المخاطب عما يقوله تحقيقاً لضده»[٢] .. فيه نظر، لأن اشتراك الاسم بين الاسمية والحرفية قليل ومخالف للأصل ومحوج لتكلف دعوى علة لبنائها، لأجل هذا حكم النحاة بحرفيتها إذا كانت بمعنى (حقاً) أيضاً لما فهموا من أن المقصود، تحقيق الجملة كالمقصود بـ (إنّ) فلم يخرجها ذلك عن الحرفية[٣].

هذا وتأتي (كلا) عند ثعلب وابن العريف وسيبويه وأكثر البصريين لتفيد معنى الردع والزجر[٤] قال صاحب الكتاب: « وأما (كلا) فردع وزجر»[٥]، ولا معنى لها عنده وعندهم إلا ذلك، حتى إنهم يجيزون أبداً الوقف عليها والابتداء بها وبما بعدها، وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت (كلا) في سورة فاحكم بأنها مكية[٦] لأن فيها معنى التهديد والوعيد وأكثر ما نزل ذلك

(١) جواهر الأدب للإربلي ص ٥٠٦.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٤/ ٤٧٩ وينظر شرح (كلا) لمكي ص ٢٤.

(٣) ينظر: المغني١/٣٢١ ، وجواهر الأدب ص ٥٠٥ ، والكليات ٤/ ٩٥ ، ودراسات لعضيمة: القسم الأول٢/ ٣٨٦.

(٤) وكلاهما بمعنى ، إذ يعني الردع: الكف عن الشيء،كما يرد الزجر ليفيد معنى المنع والانتهار[اللسان مادة ردع وزجر].

(٥) الكتاب ٢/ ٢١٢.

(٦) قال عطاء بن أبي مسلم: كانوا إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت مكية ويزيد الله فيها ما شاء بالمدينة [كذا في حاشية الأمير١/ ١٦٠]

بمكة، لأن أكثر العتو كان بها[1].

وصرح الزمخشري وأبو حيان إلى أنها كذلك، وإن لم يكن شيء قبل (كلا) يتوجه إليه الردع والزجر، وحجته في ذلك دلالة الكلام عليه[2].

ويرى الكسائي وأبو حاتم ومن وافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمراً فيها فزادوا فيها معنىً ثانياً يصح عليه أن يوقف دونـــها ويبتدأ بها ، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال:

أحدها: للكسائي ومتابعيه[3] قالوا: تكون بمعنى حقاً، فيبتدأ بها لتأكيـــد مـــا بعدها فهي في حكم الاسم وموضعها في موضع النصب على المصدر والعامل محذوف.

وثانيها: للنضر بن شُميل[4] والفراء ومن وافقهما، قالوا: (كلا) حرف تصديق يأتي جواباً لكلام سابق لفظاً أو تقديراً ويكون بمعنى (نعم) و(لا)، أو على حد قول الفراء هي حرف ردّ يكتفى بها كـــ (نعم) و(بلى) إثباتاً ونفيـــاً، وبـــذا

(١) ينظر: المغني١/ ٣٢٠، والبصائر ٤/ ٣٨١، والإتقان ص ٢٥١، ومعتـــرك الأقـــران ٢/ ١٩٣، ومعالم الاهتداء ص١٣٩.

(٢) ينظر: الكشاف ٢٢٤/٤، والبحر المحيط ٤٩٣/٨، ودراسات قرآنية د/ عضيمة: القسم الأول ٢/ ٣٨٥.

(٣) منهم – على ما جاء في الجنى – تلميذه نصير بن يوسف ومحمد بن أحمد بن واصل وأبو بكر ابن الأنباري [الجنى الداني ص٥٧٧ وينظر حاشية الجمل ٨٦/٣].

(٤) مصغراً، ابن خَرَشَة البصري من أصحاب الخليل بن أحمد قال أبو عبيدة: ضاقت عليـــه المعيـــشة بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محـــدث أو نحوي أو لغوي أو إخباري فأفاد بها إلى أن توفي سنة ٢٠٤ هـ [كذا ذكره الأمير في حاشـــيته علـــى المغني١/ ١٦٠].

تكون صلة لما بعدها كقولك: (كلا ورب الكعبة) بمعنى إي ورب الكعبة، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر:٣٢] [(١)].

وثالثها: لأبي حاتم السجستاني ومن شايعه، قالوا: تكون بمعنى (ألا) الاستفتاحية[(٢)]، كذا نص عليه ابن هشام صاحب المغني، ونسب المرادي هذا الأخير وما قبله لأبي حاتم .. والقول بإفادة (كلاّ) للرد هو مذهب أبي عبد الله الباهلي[(٣)] وهو قريب من معنى الردع.

ومن المعاني التي تأتي (كلاّ) لتفيدها من غير المعاني الأربعة السابقة أنها تأتي بمعنى (لا) فتكون لنفي ما تقدم قبلها من الكلام .. ومهما يكن من أمر فقد تحصل مما ذكر أن لـ (كلاّ) عدة معان أكثرها اطراداً هو مجيئُها للردع والزجر.

ثانياً: الوقوف على (كلا) والبدء بها وأثر ذلك في اتساع المعنى:

تشير الآيات التي ورد ذكرها في قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٧٧- ٨٢] إلى ما كان من شأن خباب بن الأرت مع العاص بن وائل

---

(١) ينظر: المغني١/ ٣٢٠، والجنى٥٧٧، والبصائر٤/٣٨١، وجواهر الأدب٥٠٦، وشرح المفصل٩/ ١٦، والدر٧/ ٦٣٧.

(٢) ينظر: المغني ١/ ٣١٩، ومعالم الاهتداء ص ١٤٠.

(٣) هو عبد الله بن محمد من أهل سمرقند روى عنه الدارقطني .. تاريخ بغداد١٠/ ١١٩.

السهمي وتحكي ما قاله الأخير وما سجله على نفسه من تكذيب بالله وبالبعث واليوم الآخر.

ففي الصحيح أن خباباً كان يصنع السيوف في مكة، فعمل للعاص بن وائل سيفًا وكان ثمنه دينًا على العاص، وكان خباب قد أسلم فجاء يتقاضى دينه من العاص، فقال له العاص بن وائل: لا أقضيكه حتى تكفر بمحمد، فقال خباب وقد غضب: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك، فقال العاص: أو مبعوث أنا بعد الموت؟ قال: نعم، قال العاص متهكما: إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك، فنزلت الآيات.

فالآيات كما هو متضح، جاءت في سياق الرد والإنكار على العاص ابن وائل، وذلك حين لم يكتف بما جاء على لسانه فيما سبق أن نقلناه عنه، حتى راح يقول للخباب الذي جاءه في رجال من أصحاب النبي ﷺ: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال على سبيل التهكم والاستخفاف: موعدكم الآخرة، والله لأوتين مالاً وولداً ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به[1].

فمجيء (كلا) في سياقات سورة مريم: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ..﴾[مريم:٧٩] ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ..﴾ [مريم:٨٢] زجر له ولمن معه لتفوهه بتلك العظيمة، وردع له ولهم عن اتخاذه ومن معه آلهة اعتقدوا فيها العزة والنصرة، وحسبوا أنها تمنعهم من عذاب الله، ونفي في الوقت ذاته وإبطال لصحة ما تضمنه قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾،

(١) ينظر: روح المعاني ١٨٨/١٦ مجلد ٩.

وقوله: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾، كأنه سبحانه كلف من شاء من ملائكته بتسجيل وضبط كل ما يصدر منه ومنهم تمهيداً لمجازاتهم عليه، فهو في معنى قوله على وجه التهديد والوعيد:

فليرتدع هذا الكافر عن التفوه بمثل هذا وليرجع عن صلفه وكبره ولينزجر من معه، فلا هو أطلع على الغيب ولا هو اتخذ عند الرحمن عهداً أن يحقق له شيئاً مما زعم حتى يقول ما قال، ولا الأمر على ما ظنه أهل ملته من أن الآلهة التي اتخذوها من دون الله ستشفع لهم أو تدفع عنهم أو تمنعهم من عذاب يوم القيامة، فإن هذه الآلهة ومنهم الملائكة والجن الذين يعبدونهم من دون الله تعالى سيكفرون بعبادتهم وينكرونها عليهم ويتبرؤون إلى الله منهم ويكونون عليهم ذلاً وهوانا لا عزاً ونصراً.

وعلى هذين الوجهين المتضمنين لمعنى الردع ولمعنى (لا) النافية يوقف على (كلا) في الموضعين، لكون ما بعدها فيهما على الاستئناف، ولكونها هي في معنى النفي لما قبلها والإثبات لما بعدها، فأما الأول ففي مقام التهديد والوعيد، وأما الثاني ففي مقام التنبيه على الخطأ لبيان أن الصواب قد جانبهم فيما تصوروه ورجوه لأنفسهم، ولتوضيح أنهم مخطئون فيما ظنوا فيه النفع والعزة والمنعة.. ويكون الوقف على (كلا) فيهما بذلك كافياً لتعلقه في الموضعين بما قبلهما تعلقا معنوياً، وقد أيد الوقف عليهما لما ذكرنا الداني والأشموني - متأثرين بالخليل وسيبويه - غير أنهما جعلاه من وقف التمام.

ولا يرد على ما جاء في حق العاص أن كيف يتأتى حدوث الكتابة مستقبلاً - مع ما أفادته سين التسويف - مع أنه قد كتب من غير تأخير، ولكون نفس الكتابة لا تتأخر عن القول كما قال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]؟ .. لأن جوابه، أنه على معنى سنظهره له ونعلمه أنا كتبنا قوله، وأنه على عادة وطريقة قول المتوعد للجاني: (سوف أنتقم منك)، يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر.

وعليه فالاستفهام في قوله تعالى:﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ مستعمل في التعجب من قصة العاص الذي نزلت في حقه هذه الآيات، ولفت الذهن إلى معرفتها أو إلى تذكرها، «والإيذان أنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب .. والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من شاهدها»[(١)]، والخطاب فيها لكل من يصلح له الخطاب، ويجوز أن يكون خطاباً للنبي ﷺ ، وعلى القول بأن (أرأيت) بمعنى أخبر تكون الفاء على أصلها، والمعنى: أخبر بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك الذين قالوا : ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[مريم:٧٣]، غير أن الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم هو جعل الفاء للعطف على مقدر محذوف، ليكون المعنى: انظر يا محمد إلى هذا الكافر فتعجب من حالته وجراءاته الشنيعة كذا ذكره أبو السعود[(٢)].

وعلى أي فجملة﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾جواب لكلامه على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيجده حين يبعث، جيء به على سبيل الاستفهام الإنكاري التعجبي، و(اطلع) افتعل من طلع للمبالغة في حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء .. ومن

---

(١) تفسير أبي السعود٥/٢٧٩مجلد٣.

(٢) ينظر السابق.

أجل هذا أطلق الاطلاع على الإشراف على الشيء، لأن الذي يروم الإشراف على مكان محجوب عنه يرتقي إليه من علو، فالأصل إن فعل (اطلع) قاصر غير محتاج إلى التعدية، قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٥٤،٥٥]، فإذا ضُمّن معنى (أشرف) عدى بحرف الاستعلاء، كقوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨][١].

قال في الكشاف: « ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب »[٢]، أي حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وأن يقسم عليه؟ ذلك أن في اختيارها رداً لقالته الشنعاء وإظهاراً لبطلانها على إثر ما أشير إليه بالتعجب منها، لأنه لما قال: (فسيكون لي مال وولد) عني أن ماله وولده راجعان إليه يومئذ، والمعنى على حد قول ابن عاشور: أأشرف على عالم الغيب فرأى مالاً وولداً معدّين له حين يأتي يوم القيامة أو صائرين معه في الآخرة، ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بأنه معطيه ذلك فأيقن بحصوله؟ فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين، إما مكاشفة ذلك ومشاهدته وإما إخبار الله بأنه سيعطيه إياه.

والمتعلِّق (عند)، ظرف مكان وهو استعارة بالكناية، حيث شُبه الوعد بصحيفة مكتوب بها تعاهد وتعاقد بينه وبين الله موضوعة عنده سبحانه، لأن الناس كانوا إذا أرادوا توثيق ما يتعاهدون عليه كتبوه في صحيفة ووضعوها في

(١) ينظر: التحرير١٦/ ١٥٨، ١٦٠ مجلد٨.

(٢) الكشاف ٤٢٢/٢.

مكان حصين مشهور كما كتب المشركون صحيفة القطيعة بينهم وبين بني هاشم ووضعوها في جوف الكعبة.

وفي تعقيبه بقوله: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾، إشارة إلى هذا المعنى بطريقة مراعاة النظير[1]، وفي التعرض لعنوان الرحمانية إشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه،كما أن استحضار مدلوله أجدر في وفائه بما عهد به من النعمة المزعومة لهذا الكافر .. وفي اختياره، تورك على المشركين الذين قالوا: وما الرحمن؟ والكلام بجملته مجاراة مع اللّعين بحسب منطوق مقاله، أي على طريقة كلامه مع خباب التي كانت كذلك[2].

وقوله (كلا) ردع له عن التفوه بتلك الكبيرة وزجر له عن التمادي فيها، والتعبير بحرف التنفيس في قوله: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ لبيان أن ذلك واقع لا محالة، وهو كقوله تعالى:﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ والمعنى: سنظهر أنا كتبنا، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه، فإنه نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

ومبنى العبارة على الاحتمال الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رءوس الأشهاد بإحداثها، ومدار الاحتمال الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة

---

(١) ينظر: التحرير ١٦/ ١٦٠، ١٦١مجلد٨.

(٢) ينظر السابق ،كما ينظر تفسير أبي السعود ٥/٢٧٩ مجلد٣.

جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعاً.

ومعنى (كلا) في الآية الثانية ردع عن اعتقادهم الباطل وإنكار لوقوع ما علّقوا به أطماعهم الفارغة من اتخاذ الأصنام آلهة ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ ووصلة إليه سبحانه وشفعاء عنده، فيكون مقابل قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ وفيه تمام المقابلة، أي بعد أن تكلفوا جعلهم آلهة لهم سيكفرون بعبادتهم وهذا هو الأظهر في حمل الآية عليه، خلافاً للقول بعود الضمير فيه على الآلهة بوصفه أقرب مذكور، إذ التعبير بالفعل﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ وبحرف الردع قبله يرجح جعل الواو في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ لأهل الكفر، كما يرجحه ما ولي هذه الآيات من قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٣،٨٤]، إذ هي كالتذييل لتلك الآيات والتقرير لمضمونها لأنها تستخلص أحوالهم وتتضمن تسلية لرسول الله ﷺ في إمهالهم وعدم التعجيل بعقابهم.

وعلى القول بأن (كلا) في الموضوعين في معنى (حقا) أو (ألا) التي للاستفتاح يكون المعنى والتقدير: سنكتب ما تفوه به هذه المعاند من مقالة نكراء وما صدر عنه من جريمة شنعاء، سنكتبه كتاباً حقاً أو كتباً حقاً، وسيكفر أهل ملته بعبادتهم لأصنامهم وابتغائهم العزة منها كفراً ثابتاً لابد من تحقيقه، لكون (حقاً) في المرتين نعتاً لمصدر محذوف.

أو مراده التنبيه على أن ما بعد ﴿كَلَّآ﴾ هو المقصود الذي يجب الاهتمام بشأنه، وعلى هذين الوجهين في الموضعين لا يوقف على ﴿كَلَّآ﴾ لتعلقها ولشدة اتصالها بما بعدها، ولأن أداة التنبيه لا بد من أن تجعل في صدر

الجملة المنبه عليها على ما أفاده محققو أهل التفسير وأئمة القراء من أهل الوقوف وأرباب التجويد[1].

ومن الآيات التي يجوز الوقف فيها على ﴿كَلَّآ﴾ على وجه ومعنى، والبدء بها على وجه آخر ومعنى ثان، ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج:١٠-١٥]، وقوله في نفس السورة: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٦-٣٩]، فقد أجاز المحققون من القراء وأهل التأويل والتجويد الوقوف فيهما على ﴿كَلَّآ﴾ والبدء فيهما بها.

وقد سوغ الوقوف في الموضعين على ﴿كَلَّآ﴾ حمل الآيات في الموضع الأول على ردع المجرم وزجره عن تمني الافتداء مع التنبيه على امتناع الإنجاء، وحملها في الموضع الثاني على ردع أهل الكفر عن طمأنتهم وطمع كل منهم في دخول الجنة إذا استمروا وتمادوا في كفرهم وماتوا عليه، بقصد أن يرعوي كل من تمنى ما هو محال وغير ممكن في حقه .. كما سوغ الوقوف عليها، حمل الآيات في الموضعين على معنى النفي، يعني نفي الافتداء من قِبل المجرم بأن لا يتحقق ما رجاه وتمناه من افتداء أقرب الناس إليه حتى ينجو من عذاب لظى

---

(١) ينظر: الكشاف ٥٢٣/٤ ومقالة (كلا) لابن فارس ص ١١، ١٧، وشرح (كلا) لمكي ص ٢٨، ٢٩والبحر ٦/ ٢١٣، ١٩٧،٢١٤، والرازي ١٠/ ٥٠٦ ، والقرطبي ٤٣١٩/١٠، والإملاء ص ٤١٣ والمغني١/ ١٦١، وحاشية الجمل ٣/ ٧٧.

التي تنـــزع الأعضاء من غير الرأس عضواً عضواً أو تسلخ جلد الرأس عنـــه[١]، ونفى الانبغاء في أن يتحقق ما يطمع إليه هؤلاء الكافرون من دخول الجنة مـــا داموا لم يؤمنوا و لم يقوموا بالأعمال التي تؤهلهم أو يستأهلون بها دخولها.

وقد جاء القول الكريم (كلا) لإبطال ما يخامر نفوس المجـــرمين مـــن الودادة، والأصل فيه أن يكون رداً لكلام سابق لكنه هنا نزّل ما هو مضمر في نفوسهم منـــزلة الكلام، لأن الله مطلع عليه وعالم به، ولا يبعـــد أن يكـــون حرف الردع في هذا السياق لإبطال ما يتفوه به من تمنى ذلك علـــى وجـــه الحقيقة كما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

والوقف على كلا في الموضعين كافٍ، أما الأول فللاستئناف الحاصـــل من قوله: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾، وأما الثاني فلكون الجملة بعدها وهي ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ مع كونها مستأنفة معللة لردعهم عن الطمع في دخول الجنة على القول بإفادتهـــا معنى الردع والزجر، ومعللة كذلك لنفي طمعهم في دخولها على الحمل على معنى النفي، وقدرها نافع رداً لما قبلها أي لا يدخلونها.

وعن إساغة البدء بـــ (كلا) تجدر الإشارة إلى أنه لا يصح في الموضعين حمل المعنى في الأداة (كلا) على جعلها بمعنى (حقاً)، لوجود ما يمنع من هـــذا الوجه وهو كسر همزة (إن)، وإن أجاز ذلك القرطبي وصرح به في الموضـــع الأول فجعل تمام الكلام ﴿يُنجِيهِ﴾[٢].

---

(١) واللظى في الأصل: اللهب ونقل علماً لجهنم، ولذلك منع من الصرف، والشوى: الأطراف، جمع شواه كـــ (نوى ونواة)، وقيل الشوى: الأعضاء التي ليست بمقتل، ومنه رماه فأشواه، وقيـــل: جلـــد الرأس .. كذا في الدر المصون١٠/ ٤٥٨.

(٢) ينظر: القرطبي ٧٠١٣/١٠.

وفيما قاله نظر، إذ ليس المسوغ للبدء بها جعلها بمعنى (حقاً)، وإنما سوغ البدء بها في الموضع الأول من سورة المعارج صحة جعلها بمعنى (ألا) فيكـــون الوقـــف على ﴿يُنجِيهِ﴾ كافياً، لكونه آخر متمنيات المجرم ولانتفـــاء التعلـــق اللفظي[1].

كما سوغ البدء بـــ﴿كَلَّآ﴾ في الموضع الثاني من السورة، تحقـــق التعلـــق المعنوي بالوقوف على (نعيم) إذا الوقف عليها بهذا الاعتبار كاف، ويبعد أن يكون سر البدء بـــ﴿كَلَّآ﴾ جعلها بمعنى (ألا)لأن المقام لا يناسبه، وإن أجـــاز الأشموني ذلك[2].

وبتقديري أن الأمر في ﴿كَلَّآ﴾ ليس قاصراً على ما سبق مـــن دلالات ومعان، فقد ذهب مكي بن أبي طالب القيسي في شرح (كلا) و (بلـــى) إلى عدّ هذا الموضع من المواضع التي يحسن الوقف فيها على ﴿كَلَّآ﴾ على معـــنى، ويحسن الابتداء بها على معنى آخر .. كما أجاز جعل ﴿كَلَّآ﴾ فيها للاستفتاح بمعنى (ألا) الأشموني في منار الهدى[3].. وعلى أي من الحالين فالتعبير عن مادة خلقهم بما يعلمون مما يكسر – ولا شك – سورة المتكبرين ويجعلهم على ذُكر بأصل خلقتهم[4].

---

(١) ينظر: المعالم ص ١٥٧.

(٢) ينظر: المنار ٤٠٤، والمكتفى ٥٨٧، كما ينظر في تفسير الآية الكشاف والقرطبي، ومقالة كـــلا ١٣والبحر ٣٣٠٦/٨ ، وحاشية الجمل ٤٤٨/٤، ٤٥١، ودراسات عضيمة: القـــسم الأول٣٩١/٢ ومعالم الاهتداء ص ١٥٦ ،١٥٧.

(٣) ينظر: شرح كلا وبلى لمكي ص٦٨ ، ومنار الهدى للأشموني ص٤.

(٤) ينظر: الآلوسي ٢٩/ ١١٢ مجلد ١٦.

و﴿ كَلَّا ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين:١٢-١٤]، يترجح فيها أربعة أوجه:

الأول: أن تكون للردع والزجر أي ردع وزجر المعتدين الآثمين عن قولهم الباطل في القرآن ورميهم آيات الله البينات بأنها أساطير الأولين، الثاني: أن تكون بمعنى لا النافية فيكون المعنى ليست آياتنا بالأساطير بل هي الحق والصدق الذي لا يرقى إليه الشك ولا ينزل بساحته الريب والكذب، فهي على حد قول ابن فارس: «رد، أي أنها ليست أساطير الأولين»(١)، والوقف على هذين الوجهين كافٍ، لأن قوله تعالى: ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ بيان لما أدى إليه التفوه بهذه الجريمة النكراء التي لا ترتكز على شبهة فضلاً عن أن تقوم على حجة أو دليل، والمعنى: ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنه مثل تلك المقالة المفتراة .. وما حدث، أنه غلب على قلوبهم ما استمروا على اكتسابه من الكفر والطغيان حتى صار كالصدأ في المرآة .. فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق فلذلك قالوا ما قالوا، وفي مجمل ما ذكر يقول مكي: «الوقف على﴿ كَلَّا ﴾ حسن بالغ بجعلها رداً لقول الكافرين في القرآن بأنه أساطير الأولين، فالمعنى ليس الأمر كما قالوا»(٢).

ففي﴿ كَلَّا ﴾ أيًّا ما كان معناها إبطال لقولهم، وقد تلا ذلك الحرف ﴿بَلۡ﴾ الذي دل هو الآخر على الإبطال، تأكيداً لمضمون ﴿ كَلَّا ﴾ وكشفاً عما حملهم

---

(١) مقالة كلا ص ١٤.

(٢) ينظر: شرح كلا لمكي ص ٥٤ بتصرف، والمكتفى ص٦١٣.

على أن يقولوا في القرآن ما قالوا، وبياناً لما أعمى بصائرهم من الرين[1] .. ثم أعقب كل هذا – إمعانًا في تقرير ذلك وتأكيده – بقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فـ «﴿كَلَّآ﴾ الثانية – على حد ما ذكر ابن عاشور – تأكيد لـ ﴿كَلَّا﴾ الأولى»، وقد جيء بها « زيادة في الردع ليصير توبيخاً» [2].

وفي إطار التأكيد على ما سبق اشتمل هذا القول الحكيم وما عطف عليه، على أنواع ثلاثة من الويل هي: الإهانة والعذاب والتقريع مع التيئيس من الخلاص من العذاب، أما الإهانة فحجْبُهم عن ربهم، وأما العذاب فهو ما في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ .. وقد عطفت جملته بـ(ثم) الدالة على عطفها الجمل على التراخي الرتبي وهو ارتقاء في الوعيد لأنه وعيد بأنهم من أهل النار وذلك أشد من خزي الإهانة..وأما التقريع مع التيئيس فهو مضمون جملة ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، كما دل عطف جملتها بـ﴿ثُمَّ﴾ على ما دلت عليه سابقتها، وأفاد اسم الإشارة أنهم صاروا إلى العذاب، ودل الإخبار عن العذاب بأنه الذي كانوا به يكذبون، على أنه العذاب الذي تكرر وعيدهم به وجحودهم إياه وهو ما يستلزم خلودهم فيه، وذلك أشد من الوعيد، وبذلك كان مضمون هذه الجملة أرقى رتبة في الغرض من مضمون الجملة المعطوفة هي عليها.. والنكتة في التعبير بالاسم الموصول التذكير بتكذيبهم به في الدنيا تنديماً لهم وتحزيناً ، وفي تقديم شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ اهتمام بـمُعاد الضمير مع

---

(١) الرين والران: الغشاوة على القلب كالصدأ على الشيء الصقيل من سيف ومرآة ونحوهما .. وأصل الرين: الغلبة ومنه رانت الخمر على عقل شاربها وران الغَشْيُ على عقل المريض .. كذا في الدر المصون١٠/ ٧٢٢.

(٢) التحرير ٣٠/ ٢٠٠ مجلد ١٥.

الرعاية على الفاصلة[١].

ويجوز عند أبي حاتم ومن لف لفه وجهان آخران، أولهما: الابتداء بـ ﴿كَلَّا﴾ على معنى (ألا بل ران)، فهي عنده تنبيه وابتداء كلام[٢]، ثانيهما: جعلها- على ما ذكره الحسن ونقله عنه القرطبي[٣] - على معنى (حقاً بل ران)، ولا يخلو جعلها بمعنى (حقاً) من حسن، يقول مكي في توجيهه: "وكونها بمعنى حقاً أحسن ليؤكد كون غلبة الذنوب والمعاصي على قلوبهم»[٤]، وليس في هذا الوجه ما زعمه في معالم الاهتداء من عدم صحة جعلها بمعنى حقاً، ولا لما ذكره من أن العلة في عدم صحته ركة التركيب وضعف الأسلوب [٥] .. وأيا ما كان فالوجهان الأولان أوفى بالغرض وأوفق بمعاني الآيات وأنسب لسياقاتها.

ومن المواضع التي يسوغ الوقف فيها على ﴿كَلَّا﴾ كما يسوغ البدء بها لجواز حمل المعنى على أكثر من وجه، ما جاء في قوله جل وعلا: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة:٣،٤].

فهي على الوقف عليها لردع الإنسان وزجره عن ذلك الحسبان الباطل، وأضاف الآلوسي: « أو عنه وعن جمع المال وحبه المفرط على ما قيل، واستظهر أنه ردع عن الهمز واللمز وتعقب بأنه بعيد لفظاً ومعنى»، وعقب هو يقول: « وأنا لا أرى بأساً في كون ذلك ردعاً له عن كل ما تضمنته الجمل

---

(١) ينظر: التحرير ٣٠/ ٢٠٠: ٢٠٢مجلد ١٥.

(٢) ينظر: شرح مكي ص ٥٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٧٢٩٥/١٠.

(٤) شرح (كلا) لمكي ص٥٤.

(٥) معالم ص١٦٩، وينظر: البحر ٤٤٠/٨ ، ودراسات عضيمة: القسم الأول ٣٩٥/٢.

السابقة من الصفات القبيحة، وقوله تعالى:﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ جواب قسم مقدر الجواب استئناف مبين لعلة الردع، والمعنى على ذلك والتقدير: والله ليطرحن بسبب أفعاله المذكورة في الحطمة أي في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقى فيها»[1].

وهو صريح في توجيه البدء بجملة القسم وجعلها مستأنفة ومبينة لعلة الزجر عند من ارتأى الوقوف على أداة الردع، ويسوغ الوقف على ﴿كَلَّا﴾ مع هذا بحمل معناها على النفي وجعلها بمعنى (لا) أي ليس الأمر كما يظنه الكافر من أن المال يخلده أو يبقيه حياً [2].

وهو قول نافع وأبي حاتم ونصير وغيرهم، وارتباط ﴿كَلَّا﴾ بما قبلها وتعلقها به في المعنى، هو من الوضوح بمكان، لذا كان الوقف عليها من قبيل الوقف الكافي.

ويجوز على جعلها بمعنى حقاً أو بحملها على معنى: (ألا لينبذن في الحطمة) أن يبتدأ بها وهو اختيار أبي حاتم[3] ، وإن كان ذلك ليس بمانع أن يكون المقام فيها مقام إقسام أو جعلها صلة يمين كما سبق بيان ذلك، ولقد ذكر الرضي في شرحه على الكافية، أن (كلا) تقوم مقام القسم إذا لم يكن ردعاً واستدل على ذلك بالآية الكريمة [4].

والقصد من ذلك إبطال أن يكون المال مخلداً لذاك الذي صار الهمز واللمز

---

(١) الآلوسي ٤١٦/٣٠ مجلد ١٦، وينظر: الكشاف ٢٤٨/٤ ، والبحر ٥١٠/٨.

(٢) ينظر: القرطبي ٧٥٢٨/١٠ ، وينظر: مقالة كلا ص١٤.

(٣) ينظر: شرح كلا ص٦٦، ومعالم الاهتداء ص ١٧٤.

(٤) ينظر: شرح الرضي٣١٩/٤، ودراسات عضيمة: القسم الأول ٣٩٨/٢.

ملكة فيه ، وإنما استكنه ذلك من الصيغة التي ورد بـــها ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ، فهما -كما هو بين- وصفان لمحذوف تقديره ومعناه: (ويل لكل شـــخص همـــزة لمزة)، فمن حذف موصوفه يعلم أن الوصف قائم مقامه ومن ثم أضيف إليـــه (كل)، وهذان الوصفان هما من ألزم صفات أهل الشرك، وأتبعا بـــــ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾[الهمزة:٢] لزيادة تشنيع صفتيه الذميمتين بصفة الحـــرص علـــى المال، وهذا إنما ينشأ عن بخل النفس والتخوف من الفقر .. والوجه فيه إدخـــال أولئك الذين عرفوا بهذه الصفة كما عرفوا بهمز المسلمين ولمزهم لتعيينهم في هذا الوعيد.

والسر في عدم العطف بالواو في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ ومجيئه في صورة النعت، بيان أن ذكر الأوصاف المتعددة للموصوف الواحد يسوغ أن يأتي بدون عطف كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم١٠-١٣]، فعلى القول بـــأن جملة ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾في موقع الحال يكون قد استعملت للتهكم على الموصوف بالهمز والحرص، لأنه لا يوجد من يحسب أن ماله أخلـــده فيكـــون الكلام على سبيل التمثيل أو التشبيه البليغ الذي يشبه فيه حالهم بحال من يحسب أن المال يقيهم الموت ويجعلهم خالدين .. وعلى القول باستئنافها يكون خـــبراً مراداً به الإنكار أو على تقدير همزة استفهام محذوفة بقصد التقريع أو التعجب.

ومهما يكن من أمر فمجيء ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾كذا بصيغة الماضي، هو إمعان وتأكيد وزيادة في التهكم به وتصويره في صورة الموقن بأن ماله سيخلده لا محالة حتى لكأنه قد حصل له ذلك بالفعل وثبت، وهذا أقصى ما يتمناه ذلك الغافل،

لانعدام إيمانه بحياة أخرى خالدة، ومن هنا يجيء القول الحكيم: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾ ، مُصَدّراً بحرف الردع والتأكيد المتعدد كالصدمة له لإبطال ما حسبه ولزجره عن التلبس بالحالة الشنيعة التي جعلته في حال من يطمئن ويوقن أن المال يخلد صاحبه، أو لإبطال حرصه في جمع المال جمعاً يمنع به حقوق الله فيه[1]، وفي ذلك من الوعيد ما لا يخفى.

(١) ينظر: التحرير ٣٠/ ٥٣٧ وما بعدها مجلد ١٥.

المبحث الثالث

أثر البدء بـــ (الكاف) الجارة مع مدخولها والوقف عليهما في إثراء المعنى واتساعه:

أولاً: الوجوه الإعرابية للكاف المقترنة باسم الإشارة البعيد وأوجه دلالتها:

في تناوله لما جاء في (كذلك) ولما توافق معها في المعنى والإعراب وجاء على شاكلتها؛ يقول ابن هشام: « تقع (كما) بعد الجمل كثيراً، صفة في المعنى فتكون نعتاً لمصدر أو حالاً، ويحتملهما قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] .. فإن قدرته نعتاً لمصدر فهو إما معمول لـــ (نعيده)، أي (نعيد أول خلق إعادة مثل ما بدأناه)، أو لـــ﴿نَطْوِى﴾، أي (نفعل هذا الفعل العظيم كفعلنا هذا الفعل) .. وإن قدرته حالاً فذو الحال مفعول (نعيده)، أي (نعيده مماثلاً للذي بدأنا) .. وتقع كلمة (كذلك) أيضاً كذلك.

فإن قلت: فكيف اجتمعت مع (مثل) في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة : ١١٨]، و(مثل) في المعنى نعت لمصدر (قال) المحذوف،أي كما أن (كذلك) نعت له، ولا يتعدى عامل واحد لمتعلقين بمعنى واحد،لا تقول: (ضربت زيداً عمراً)،ولا يكون (مثل) تأكيداً لـــ(كذلك) لأنه أبين منه،كما لا يكون (زيد) من قولك:(هذا زيد يفعل كذا) توكيداً لـــ(هذا) لذلك،ولا خبراً لمحذوف بتقدير:(الأمر كذلك)، لما يؤدي إليه من عدم ارتباط ما بعده بما قبله.

قلت: (مثل) بدل من (كذلك) أو بيان، أو نصب بـــ(يعلمون)، أي (لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى)، فـــ(مثل) بمنزلتها في (مثلك لا يفعل كذا)،

أو نصب بـ(قال)، أو الكاف مبتدأ والعائد محذوف، أي قاله .. ورد ابن الشجري ذلك على مكي بأن قال: قد استوفى معموله وهو (مثل)، وليس بشيء لأن (مثل) حينئذ مفعول مطلق أو مفعول به لـ(يعلمون)،والضمير المقدر مفعول به لـ(قال) أ. هـ »[1].

وآية البقرة التي استشهد بها ابن هشام هنا على أوجه الإعراب في (كذلك)، معطوفة على قوله:﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦]، المعطوف على قوله :﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾[البقرة:١١٣]، ووجه الارتباط أن الأول كان قدحاً منهم في التوحيد وهذا قدح في النبوة، والمراد من الموصول – على ما نقل عن قتادة والسدي والحسن وجماعة وعليه أكثر المفسرين – جهلة المشركين ويدل عليه قوله تعالى على لسانهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء:٩٠] ، وقولهم : ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:٥]، وقولهم:﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان:٢١]، وقيل غير ذلك.

وبتقديري أن ما ذكرناه هو الأرجح لكون المشبه بهم الوارد ذكرهم في الآيات السابقة على هذه الآية هم أهل الكتاب الذين (قالوا اتخذ الله ولداً) والذين قالوا متهمين بعضهم البعض: إنهم ليسوا على شيء، وقد قدم أهل الكتاب في قوله تبارك اسمه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ ..﴾ الآية، لأنهم الذين ابتدءوا بذلك أيام مجادلتهم في تفاضل أديانهم، ويومئذ لم يكن للمشركين ما يوجب

(١) مغني اللبيب ١/ ١٧٨، ١٧٩.

الاشتغال بذلك إلى أن جاء الإسلام فقالوا مثل قول أهل الكتاب، إلا أنه لم يكن فريق من الثلاثة فيه مقتبساً من الآخر بل جميعه ناشئ من الغلو في تقديس الموجودات الفاضلة، ومنشؤه سوء الفهم في العقيدة سواء كانت مأخوذة من كتابٍ توهم واضعوه التشبيهات والمجازات حقائق، كما ورد وصف الصالحين بأنهم أبناء الله ووصف الله بأنه أبو عيسى وأبو الأمة على طريقة التشبيه[١]، أم مأخوذة من أقوال قادتهم كما قالت العرب: (الملائكة بنات الله) .. وأيّا ما كان الأمر فإن في هذا تسلية للنبي بأن ما يلاقيه ﷺ من قومه هو من مثل ما لاقاه الرسل قبله.

ولا يستبعد أن تكون جملة ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾ واقعة موقع الجواب لمقالة الذين لا يعلمون- يعني على الاستئناف البياني- وكأن سائلاً سأل بعد سماعه بمقولة الذين لا يعلمون، هل كان لهم فيما قالوه سلف؟ فاقتصر فيه على تنظير حالهم بحال الذين من قبلهم، فيكون ذلك كناية عن الإعراض عن جواب مقالهم وأنه لا يستأهل أن يجاب لأنهم ليسوا بمرتبة من يكلمهم الله وليست أفهامهم بأهل لإدراك ما في نزول القرآن من أعظم آية، ويكون التذييل بجملة: (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) تعليلاً للإعراض عن جوابهم.

كما لا يستبعد أن تكون جملة ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ معترضة بين جملة﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾وجملة﴿ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾، فتكون جملة (قد بينا) هي الجواب عن مقالتهم[٢].

---

(١) على نحو ما جاء من ذلك في سفر التثنية الإصحاح الرابع عشر، وإنجيل متى الإصحاح الخامس والسادس .. إلخ.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٦٨٨ وما بعدها المجلد ١.

ومهما يكن من أمر ففيما جاء في سابقتها وفيما ابتدروه من قول واعتقاد الباطل ومن اتهام كل فريق الآخر بأنه ليس على شيء، كذا بالنكرة في سياق النفي، هو كناية عن عدم صحة ما بين أيديهم من الكتاب .. كما أفاد التنكير فيما رمى به كل فريق منهم الآخر أن ما عند كلٍّ لا حظ فيه من الخير.

وأكد ذلك ودل عليه من غير ما ذكرنا، جملة الحال ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التي جيء بها لمزيد التعجب من شأنهم أن يقولوا ذلك، وهم على هذا الحال، إذ لا يخلو كل كتاب يتلوه أهله من حق يشتمل عليه لو اتبعوه حق اتباعه[1].

ويدعونا ذكر ملابسة ما استشهد به وله صاحب المغني، لأن أنوه إلى أن مفاد ما ذكره ابن هشام في نص عبارته التي سبق أن ذكرتها له، أن الكاف في (كذلك) بمعنى (مثل) وأنها تأتي على عدة أوجه إعرابية كما هو الحال في آية البقرة سالفة الذكر، فقد صح جعلها نعتاً لمصدر محذوف منصوب بـ(قال) مقدم عليه، والمعنى: قولاً مثل قول اليهود والنصارى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وتكون (مثل) في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بدل من محل الكاف في (كذلك) أو عطف بيان[2]، وعلى أيّ من تلك الأحوال فجملة: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ تأكيد وتقرير للجملة قبلها، ويكون الوقوف على ﴿تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ حسن بالغ لتعلقها بما بعدها تعلقاً لفظياً، وإلى ذلك جاءت الإشارة بقول الأشموني: «﴿تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ حسن»[3].

---

(١) ينظر: الكشاف ١/ ٣٠٥، والتحرير والتنوير ١/ ٦٧٦ مجلد ١.

(٢) أو منصوبة بـ (تعلمون) الثانية في قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٣].

(٣) المنار ص ٤٧.

ولبعضهم هنا احتمال تعلق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ بــ﴿تَأۡتِينَآ﴾، وحينئذ يكــون الوقف علي﴿كَذَٰلِكَ﴾لا على آية، و﴿مِّثۡلَ﴾ على هذا الوجه مقول القــول لـــ (قال) الثانية.

ويصح في ﴿مِّثۡلَ﴾على وجه ثالث أن تكون منصوبة بـــــ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ المنفية سواءِ على جعل القول على معنى الاعتقاد أم بحمله على حقيقته، فتكون بمنـــزلتها في نحو قولنا: (مثلك لا يبخل ومثلك لا يصدر عنه هـــذا القـــول) والتقدير: وقال الذين لا يعلمون مثل اعتقاد اليهود والنصارى ولا مثل قولهم هذا – على الرغم من أهمية وضرورة معرفة بطلانه – قـــالوا قولاً كـــذلك الذي قاله الذين من قبلهم، قالوا :﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾، والمعنى: ما كان ينبغي أن يغيب عنهم بطلان مثل هذا المعتقد الفاسد أو أن يقع منهم القول به بعد إقامة الحجة على عدم صحته من باب الأولى، فــضلاً عـــن أن يصدر عمن كان قبلهم من غيرهم بعد إقامة الحجة عليهم من قبل أنبيائهم)، والكاف على هذا الوجه كالأول هي نعت لمصدر محذوف لـــ(قال) مقـــدم عليه ..كما يصح نصب (مثل) بـــ(قال) الأولى، ويكون (كذلك) على هذا الأخير معمولاً لـــ(قال) الثانية فيما يشبه الجملة المعترضة.

ولا يبعد في وجه خامس ألمع إليه الإمام الآلوســـي جعـــل (كـــذلك) منصوباً على المفعولية بـــ(يعلمون)، أي على تقدير (وقال الذين لا يعلمون، مثل قول الذين من قبلهم)، والمقصود – على حد ما ذكر– تـــشبيه المقـــول بالمقول في المؤدى والمحصول وتشبيه القول بالقول في الصدور عن مجرد التشهي والهوى والعصبية.

غير أنه لا الوقف على (كذلك) ولا البدء بها على هذا الوجه ولا على اللـــذين قبله محبذ، لاتصال الكلام بعضه ببعض.

وما استنكره ابن الشجري على مكي مما أشار إليه ابن هشام وعد في الآية الكريمة وجهاً سادساً في إعراب (كذلك) من إساغة جعل (كذلك) مرفوع على الابتداء، هو في الحقيقة من الوجاهة بمكان، فقد « جوزوا أن تكون الكـــاف في موضع رفع بالابتداء والجملة بعده خبر عنه والعائد على المبتدأ محذوف تقديره: قاله، و(مِثل) على هذا صفة مصدر محذوف[1]، والمعنى: مثـــل قـــول اليهـــود والنصارى قال الذين لا يعلمون اعتـــقاد اليهود والنصارى ولا يجوز أن يكون مفعول (قال) الثانية لأنه قد استوفى مفعوله وهو الضمير المحذوف» [2].

وقوله: ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ على هذا الوجه هو في موقـــع المفعول مقول القول لـــ (قال) الأولى، ولا يبعد مع القول بارتباط هذه الجملـــة بما بعدها من ناحية المعنى أن يجعل الوقف عليها من قبيل الوقف الكـــافي، وإلى ذلك جاءت الإشارة بقول شيخ الإسلام أبي زكريـــا الأنـــصاري: «﴿تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ كاف » [3].

ثانياً: أثر البدء بالكاف المقترنة باسم الإشارة للبعيد، والوقف عليهما في إثـــراء المعنى واتساعه:

سبق أن ألمعت إلى أن مرجع التشبيه والمماثلة في الآية الكريمة: ﴿كَذَٰلِكَ

---

(١) أو مفعول (يعلمون) الثانية في قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ [البقرة:١١٣].

(٢) روح المعاني١/ ٥٦٨ بتصرف، كما ينظر فيه ص٥٨٢، وإملاء ما من به الرحمن ص ٦٦.

(٣) المقصد لتلخيص ما في المرشد ص ٤٧.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ [البقرة:١١٨]، وارد على النحو الـــذي ورد في سابقتها ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[البقرة:١١٣]، ومن ثم يكون القول في مرجع هذا التـــشبيه كالقول في نظيره.

بيد أن التشبيه المستفاد من الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، تشبيه في الادعاء على أنهم ليسوا على شيء، لأن دعوى الذين لا يعلمون – وهم أهل الشرك – لما قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ..﴾ [الأنعام:٩١] كانت في تكـــذيب اليهود والنصارى والمسلمين .. بينا التشبيه المستفاد من الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ بعد قوله :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾ ، هو تشبيه في مقولة اليهود الفاجرة لموسى عليه الـــسلام ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥]، وفي سؤال النصارى الباعث على الشك لعيسى عليه السلام ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٢].

وفي توجيه المعنى في النسقين الكريمين ابـــتناء على وجوه الإعراب سالفة الذكر يكون الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾سائغاً عند جعل ما بعـــدها تقريـــراً أو تأكيداً لمضمون ما قبلها، وهو تأكيد يشير إلى أن المشابهة بين دعاوى هـــؤلاء وأولئك إنما هي مشابهة تامة بين قوليهما، ويسوغ البدء بها على الاستئناف سواء على الابتداء بها أو على جعلها الخبر لما تأخر عنها.

وللأشموني في شأن إساغة الوقوف علـــى قولـــه:﴿ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١١٣] والبدء من ثم بالكاف المقرونة باسم الإشارة البعيد (كذلك) وفي شأن

الوقوف أيضاً عليهما؛ رأي وإن كان لا يختلف كثيراً عما تقرر إلا أن له من الوجاهة ما له، لكونه يمثل إضافة جديدة في إثراء المعنى الذي يمكن حمل الآية عليه والاتساع في معناها، حيث يشير إلى أن الوقوف على « ﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حسن على أن الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ متعلقة بقول أهل الكتاب، أي قال الذين لا يعلمون وهم مشركو العرب مثل قول اليهود والنصارى، فهم في الجهل سواء، ومن وقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ذهب إلى أن الكاف راجعة إلى تلاوة اليهود، وجعل (وهم يتلون الكتاب) راجعاً إلى النصارى، أي والنصارى يتلون الكتاب كتلاوة اليهود، وأن أحد الفريقين يتلو الكتاب كما يتلو الفريق الآخر، فكلا الفريقين أهل كتاب وكل فريق أنكر ما عليه الآخر، وهما أنكرا دين الإسلام كإنكار اليهود النصرانية وإنكار النصارى اليهودية من غير برهان ولا حجة، وسبيلهم سبيل من لا يعرف الكتاب من مشركي العرب ، فكما لا حجة لأهل الكتاب لإنكارهم دين الإسلام، لا حجة لمن ليس له كتاب وهم مشركو العرب فاستووا في الجهل»[1].

وتفرض علينا لفتات الأشموني تلك الجديرة بالاعتبار لأن نعوِّل كثيراً- في معرفة نكتة البدء بـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ والوقف عليها- على ما قاله وألفت له الانتباه في كتابه القيم (منار الهدى)، لاسيما مع ندرة ما قيل وقلة من تعرض لهذا الضرب من التشبيه .. وفي استقصاء لمواضع ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في القرآن الكريم التي بلغ عدد مرات ذكرها فيه ست وعشرين ومائة تبين أن سبعة مواضع بالموضع الذي ذكرته له، هي جملة ما أوضح فيها الأشموني وجه البدء

(١) المنار ص٤٧.

بـ﴿كَذَٰلِكَ﴾والوقف عليها، يضاف إليها أربعة مواضع عرض لها أبو البقاء العكبري في كتابه الإملاء، وثلاثة مواضع أخرى عرض لها الشيخ الحصري في كتابه معالم الهدى.

وبظني أن في هذا القدر- ومنه بالطبع ما تكرر- ما يكفي للوقوف وللتأكيد على مدى ما يضفيه الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾والبدء بها من ثراء في المعنى ومن اتساع في تعدد الوجوه التي يمكن أن تحمل معاني الآيات الكريمة عليها وتؤديها في أخصر عبارة وأوجز بيان.

ومما هو متضح في إساغة الوقف على﴿كَذَٰلِكَ﴾والبدء بها مع تحقق ما ذكرت، قول الله تعالى :﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا [1] وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٣] ، فقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة أصحاب السبت وهم جماعة من بني إسرائيل كانوا يسكنون مدينة ساحلية تسمى (أيلة) المسماة الآن بـ (العقبة)[2].

وكانوا قد طلبوا أن يجعل لهم يوماً واحداً يتخذونه عيداً للعبادة ولا يشتغلون فيه بأمور الدنيا ولا بشؤون المعاش فجعل لهم السبت، ثم كان

---

(١) الحيتان: السمك، وقيل ما تعاظم منه وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة، كذا نص عليه أهل التفسير وأهل اللغة، وقوله: (شرعاً) جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف، وقيل حيتان شرّع أي رافعة رؤوسها كأنه جعل ذلك إظهاراً وتبييناً وقيل متتابعة وقيل ظاهرة.

(٢) وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر قرب جزيرة سيناء بين مدين والطور، كذا هو عن ابن عباس، وعن ابن شهاب أن اسم القرية طبرية، وقيل مدين [ينظر: الظلال٣/ ١٣٨٣ وما بعدها، وروح المعاني٩/ ١٣٣ مجلد٦ ، والتحرير ٩/ ١٤٧ مجلد٥].

الابتلاء ليزكيهم سبحانه ويعلمهم كيف تقوى إرادتهم على المغريات والأطماع وكيف ينهضون بعهودهم حين تصطدم بهذه المغريات والأطماع، وكان ذلك ضرورياً لبني إسرائيل الذين تخلخلت عقائدهم وطباعهم بسبب العناد الذي جبلوا عليه والذي عاشوا فيه طويلاً حتى تعتاد الصمود والثبات، فضلاً عن أنه ضروري كذلك لكل من يحملون دعوة الله ويؤهلون لأمانة الخلافة في الأرض.

لكن فريقاً من بني إسرائيل لم يصمد للابتلاء الذي كتبه الله عليهم بسبب ما تكرر قبل ذلك واعتادوا عليه من فسوق وانحراف.

لقد جعلت الحيتان التي نهاهم لله عن اصطيادها يوم السبت تتراءى لهم في ذات اليوم على الساحل قريبة المأخذ سهلة الصيد، تأتيهم بيضاً سماناً كأنها الماخض تنتطح بأفنيتهم وأبنيتهم ظهورها لبطونها، لا يرى الماء من كثرتها فإذا مضى السبت وجاءتهم أيام الحل لم يجدوا الحيتان قريبة ظاهرة كما كانوا يجدونها في اليوم الذي حرم الله عليهم فيها الصيد، كانت تتفلت منهم وتغوص بحيث لا يقدرون عليها، فتفوتهم وتنساب من أيديهم فلا يخلصون إليها إلا بعد مشقة وتعب ولا يتحصلون عليها إلا بعد عناء وكدّ.

فراح بعضهم يحتال ويقيم الحواجيز على الحيتان وينصب لها الشباك ويتخذ لأجلها الحياض ويسوقونها لكل ذلك يوم السبت فتبقى فيها ولا يمكنها الخروج منها لقلة الماء ولوقوعها في تلك الشباك، فيأخذونها يوم الأحد .. وراح فريق آخر يحذر – على إثر ما يراه من الفريق العاصي – من مغبة احتياله، وينكر عليه ما يزاوله من مكر ودهاء ومن التفاف حول أوامر الله تعالى .. بينا مضى فريق ثالث يقول للآمرين بتلبية أوامر الله الناهين عن

مخالفته: ما فائدة ما تزاولونه مع هؤلاء العصاة الذين لا فائدة تذكر من الكلام معهم لكونهم لا يرجعون عما هم سادرون فيه، فاستوجبوا لأنفسهم بسبب عنادهم ما يستحقونه مما كتبه سبحانه عليهم من الهلاك والعذاب؟! فكان أن أنجى سبحانه الذين ينهون عن السوء وأخذ الذين ظلموا بما كانوا يفسقون.

وأما الفريق الثالث الذي لم يعص ولم ينه فقد اختلف في أمره فقيل: أهلكه الله مع الهالكين عقوبة على ترك النهي، وقيل بل نجوا.

وهنا يجيء التذييل في عجز الآية باسم الإشارة المصحوب بكاف التشبيه والصالح لأن يعود على الفعل المنفي السابق عليه والماثل في قوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ليصير المعنى في أحد احتماليه: وفي سائر أيامهم لا تأتيهم الحيتان شارعة ظاهرة على الماء من كل طرق وناحية على ما كانت تأتيهم يوم سبتهم ابتلاء وامتحاناً.

فالجار والمجرور في (كذلك) متعلق على هذا الوجه بالكلام السابق عليه وهو الفعل الذي تعلق به الظرف، وتمام الكلام فيه: (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك) حذراً من صيدهم لاعتيادها أحوالهم وأن ذلك كان لمحض تقدير العزيز العليم ، وعبارة السجاوندي « لا تأتيهم إتياناً كإتيانها يوم السبت»[1].

وتعني عبارته أن الكاف في موضع نصب على أنه نعت لمصدر الفعل المحذوف قبله، أو في موضع نصب بالإتيان على الحال ، و(ما) في قوله (بما كانوا) مصدرية أي بسبب فسقهم، و﴿نَبْلُوهُم﴾ مستأنف.

(١) علل الوقوف ٢/ ٥٢٠.

ويسوغ على وجه ثان أن يكون تعلق شبه الجملة بـالكلام اللاحـق فيكـون قوله:﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، مميطاً اللثـام عن السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان وفي وقت معين تـارة وعدمه في غيره أخرى، فكان الجواب:﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ ، والتقدير على حد ما ذكر الزجاج: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم، أو على حد ما ذكر ابن الأنباري: نبلوهم بما كانوا يفسقون كذلك البلاء الذي وقع بهـم في أمر الحيتان .. والمعنى: كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذي ذكرنا بإظهار الحيتان لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم في الأيام المحللة لهم فيها صيده، كذلك نشدد عليهم في العبادة ونختبرهم بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون ويذرون .. الأمر الذي يعني أن الإشـارة في الآية الكريمة، متجهة إما إلى الابتلاء السابق وإما إلى الابتلاء المذكور بعد، وفي كلٍّ من المعاني ما ليس في الآخر.

وفي قول الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢] ، حيث يراقب قولـه:﴿ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ قوله: (كذلك)[1].. إخبار « عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾، أي .. كما أنزلـت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب السابقة، فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين، كقوله:

(١) على نحو ما ورد في الطبعة الباكستانية للمصحف ونص عليه صاحب نهاية القول المفيد ص١٧٣.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]، ولهذا قال: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾، قال قتادة : بيناه تبييناً، وقال ابن زيد : وفسرناه تفسيراً » انتهى من كلام ابن كثير[1]، وفي إجماله ما يغني عن التوسع والتفصيل في ذكر معنى الآية.

ومن خلال كلام الحافظ يبصر المتأمل موضعي الوقوف في الآية وأنه إما على قوله سبحانه على لسان أهل الكفر: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ﴾ ، وإما على قوله في الرد عليهم والتعليل لما ساقوه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾.

كما يدرك أنه على جعل التشبيه من تمام الكلام يصير المعنى: هلا نزل القرآن على محمد جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور، ومن ثم يكون الوقوف على قوله: (كذلك)، وأنه على جعله في طياته يصير المعنى: أنزلناه مفرقاً كما ترى يا محمد لنثبت به فؤادك ولتحفظه، ومن ثم يكون البدء بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ .. وأن (كذلك) على الأول من تمام قول المشركين، وعلى الثاني هو من قول الله تعالى ذكره جواباً لهم[2].

وبنظرة ثاقبة لما انتهى إليه كلام أهل العلم يُلاحَظ أن ثمة فريقاً يميل إلى إساغة الوقف على الإشارة المصحوبة بكاف التشبيه حتى عد البعض منهم ذلك هو الأجود والأحسن[3]، في حين نفى فريق آخر احتمال عود الإشارة إلى الكتب الماضية أصلاً بحجة أن نزولها هي الأخرى إنما كان منجماً، يعني تماماً

---

(١) تفسيره ٣/ ٣٢٧.

(٢) ينظر: منار الهدى ص ٢٢٣ والقرطبي ٧/ ٤٥٩.

(٣) ينظر: الإيضاح في الوقف والابتداء ٢/ ٨٠٥، والإملاء ص ٤٥٩، والقرطبي ٧/ ٤٩٠٤.

كما نزل القرآن، ومن ثم كان المشركون في دعواهم الداحضة وزعمهم الباطل معاندين أو جاهلين بحقيقة الأمر، لا يدرون كيفية نزول كتب الله على أنبيائه، وممن انتصر لهذه المقولة البقاعي والشوكاني وابن عاشور[1]، وعلى قولهم لا يبعد أن يكون في سياق النظم ما يمثل الرد على دعواهم ومقولتهم بعد أن ساقها على ألسنتهم.

بيد أن فيما ذكروه نظراً، وكان يمكن لرأيهم أن يسلم لولا ما أوضحه السيوطي ومن لف لفه من أن القول بـ « أن سائر الكتب أنزلت جملة، هو مشهور في كلام العلماء وعلى ألسنتهم حتى كاد يكون إجماعاً »[2]، قال رحمه الله بعد أن ساق من الأحاديث والآثار ما يدعم به رأيه: « فإن قلتَ: ليس في القرآن التصريح بذلك – يعنى ما يفيد أن الكتب السابقة نزلت جملة واحدة– وإنما هو على تقدير ثبوته قول الكفار.

قلتُ: سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول: إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقين».

وبعد أن استكنه – رحمه الله – من جمع الألواح في قول الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[الأعراف:١٤٥]، وقوله:﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ..﴾ [الأعراف:١٥٠]، الدلالة على نزولها جملة واحدة، أردف يقول: « ويؤخذ من الأثر الأخير– ويعني به قول ثابت بن الحجاج:

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٥/ ٣١٥، وفتح القدير٤/ ٧٣، والتحرير والتنوير١٩/ ١٩ من مجلد ٩.

(٢) الإتقان ص ٥٨.

جاءهم التوراة جملة واحدة فكثر عليهم فأبوا أن يأخذوها حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوها عند ذلك- حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرقاً، فإنه ادعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي، ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبداً » [1]، وقد خلص الآلوسي بعد سوقه لما ذكره السيوطي في هذا الصدد إلى أن القول بخلاف ذلك « ناشئ من نقصان الاطلاع» [2].

وإنما رمت من هذا التفصيل، بيان إساغة القول بالوقوف على مقولة أهل الكفر ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ﴾ والبدء حينئذ بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ .. أو على قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾، والبدء من ثم بقوله سبحانه في الرد عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، وكشف أن لكل من المجوزين لهذا الوقف أو ذك وجهة هو موليها، وإثبات أنه مهما يكن من أمر فإنه لا مشاحة في الوقوف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أو البدء بها طالما أن المعنى يستقيم في الحمل على كلٍّ .. والوجه في الأول هو فضحهم ودحض حجتهم وبيان فساد تعللاتهم في الطعن في هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

(١) الإتقان للسيوطي ٥٨ن ٥٩، والأثر في البخاري ٤٧٠٧، والبيهقي في السنن ٧٩٨٧، ١١٥٥٨.

(٢) روح المعاني ١١/ ٢٢.

ولا من خلفه، والإيذان بأن ما أثاروه ما هو إلا « فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنـــزوله جملة واحدة أو مفرقاً »[1]، فبيِّنة صحته وآية كونه من عند الله، نظمه المعجز الباقي على مر الدهور.

وإن مما يدل على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعـــه إيـــرادهم والتعبير عنهم بعنوان الكفر، بقصد ذمهم به وإشعارهم بعلـــة الحكـــم[2] .. فالكاف على هذا نصب على الحال من القرآن، أو على الصفة لمصدر (نزل) المذكور أو لـــ (جملة)، والإشارة فيه إلى تنـــزيل الكتـــب المتقدمـــة، ولام (لنثبت) لام التعليل والمعلل محذوف تقديره: ما سمعت أولاً لنثبت، أو: نزلناه مفرقاً لنثبت، أو على حد قول السجاوندي .. « جملة واحد كذلك الكتاب المنـــزل (التوراة) .. فرقناه، لنثبت به فؤادك »[3].

والوجه في الثاني أنه ﷺ لم يكن من أهل القراءة والكتابة، فقد فارقت حاله حال موسى وعيسى وداود عليهم السلام حيث كان أمياً وهم كـــانوا قارئين كاتبين، فلم يكن ثمة بدٌّ من التلقن، ولو نزل عليه القرآن جملة واحدة لتعيا بحفظه ولجاز عليه الغلط والسهو، فإن من كان الكتاب عنده فلربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فكان من حكمته سبحانه أن أنزله عليه مفرقاً ليكون حفظه له أكمل وليكون أبعد عن المساهلة وقلـــة التحـــصيل .. ثم إن

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣/ ٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/ ٩٠، وروح المعاني ١١/ ٢٢، والمقتطف من عيون التفاسير ٤/ ٢٠.

(٣) ينظر: العلل٢/ ٧٤٨، وإملاء العكبري ص ٤٥٩.

مشاهدة النبي جبريل حالاً بعد حال، تطمين لقلبه ﷺ وتقوية له على تأدية ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتماله أذية قومه وعلى الجهاد.

كما أن في نزول القرآن بحسب الحوادث وجوابات السائلين والوقائع الواقعة لهم، ازدياداً لبصيرتهم بمعرفتها وبمتابعة الوحي لها وتقبل أحكامها، لأنهم بذلك يكونون أوعى لما ينزل بشأن هذه الحوادث، لكونهم بحاجة إلى علم ما في الجوابات فيكثر العمل بما فيها ويكون ذلك هو الأوفق في باب التكاليف والاستبصار، والأدل على الإخبار عن الحوادث في أوقاتها .. ولو أنزل الكتاب جملة واحدة لنزلت بشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق ولكان ذلك أثقل عليهم، والقرآن إنما جاء « ليربي أمة وينشئ مجتمعاً ويقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثر والانفعال إلى واقع، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجيد، إنما تتأثر يوماً بعد يوم بطرف من هذا المنهج وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً، فلا تجفل منه كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً، وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح به في اليوم التالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية وأشد قابلية لها والتذاذاً بها .. ولقد حقق القرآن بمنهجه ذاك خوارق في تكييف تلك النفوس التي تلقته مرتلاً متتابعاً وتأثرت به يوماً يوماً وانطبعت به أثراً أثراً »[1].

ولا يرد على هذا أن فيه تعريضاً للأمم السابقة أو قدحاً في الكتب التي نزلت جملة واحدة ولم تنزل منجمة على غرار ما حدث للقرآن لـ« أن شاهد صحة القرآن إعجازه، وذلك ببلاغته وهي مطابقته لمقتضى الحال في كل جملة

(١) الظلال ٥/ ٢٥٦٢، ٢٥٦٣، وينظر تفسير الرازي ١٢/ ٤٢،٤٣، والتحرير ١٩/ ٢٠ مجلد ٩.

منه ولا يتيسر ذلك في نزوله دفعة واحدة، فلا يقاس بسائر الكتب فإن شاهد صحتها ليس الإعجاز»[1].

واسم الإشارة بالحمل على هذا الوجه مشار به إلى مفاد كلامهم، وهو في محل نصب على أنه نائب عن مفعول مطلق جاء بدلاً من الفعل، والتقدير: نزلناه تنـــزيلاً كذلك أو مثل التنـــزيل المفرق الذي قدحوا فيـــه واقترحـــوا خلافه، ليقوى بهذا التنـــزيل على هذه الصفة فؤادك، فإن تنـــزيله مفرقاً على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له وفهمك معانيه وذلك من أعظم أسباب التثبيت[2].

كما أن نزوله منجماً يوجب التحدي على أبعاضه وأجزائه، ونزولـــه جملة يقتضي وقوع التحدي على مجموعه، ولا ريب أن الأول أدخل في باب الإعجاز، لأن من تُحُدِّي بنجم منه فعجز عنه عُلِم أن عجزه عما هو أكثر منه أولى، وعلم كذلك أن اعتراضهم إنما كان من باب الفضول والمجادلة بمـــا لا محصلة من ورائه، وأن ما أثاروه هو من ضيق العطن وقلة الحيلـــة، كمـــا أن (كذلك) هنا وعلى هذا الوجه واقعة موقع الاستئناف في المحاورة، والـــلام في (لنثبت) متعلقة بالفعل المقدر الذي دل عليه (كذلك) والمعنى أنزلناه كـــذلك التنـــزيل الذي جهلوا حكمته وعجزوا عن مجاراته وعلمناكه شيئاً بعد شيء، لنقوي بتفريقه عزيمة قلبك ويقين نفسك، فإن في تنـــزيله مفرقاً تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعاني.

---

(١) روح المعاني ١١/ ٢٢.

(٢) ينظر: روح المعاني ١١/ ٢٢، والإملاء ص ٤٥٩، وفتح القـــدير ٤/ ٧٣ ، والتحريـــر ١٩/ ١٩ مجلد ٩.

وفيه إلى جانب ذلك وإلى جانب ما سبق ذكره، ضبط الأحكام والتأني في القراءة والوقوف على تفاصيل ما روعي فيه من الحكم والمصالح، وتجدد إعجاز الطاعنين في كل جملة تقدر بمقدار أقصر سور تنزل منه، كما فيه معرفة الناسخ المتأخر من المنسوخ المخالف لحكمه حيث كانوا يعبَّدون بالشيء إلى وقت بعينه قد علم الله فيه الصلاح، وفيه أيضاً- مما هو لصيق الصلة بما ذكرنا- انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية مما يعين على معرفة البلاغة لأنه بالنظر إلى الحال يتنبه السامع لما يطابقها ويوافقها، بل إن في نزوله كذلك عين المطابقة، يقول الجد الوزير فيما نقله عنه الطاهر: « إن القرآن لو لم ينزل منجماً على حسب الحوادث لما ظهر في كثير من آياته مطابقتها لمقتضى الحال ومناسبتها للمقام، وذك من تمام إعجازها »[1].

وتظهر براعة السياق في الآية الكريمة وهي تصور شدة تعنت أهل الكفر في اقتراحاتهم ودقة ما يحيكونه من شبهات بغية التشكيك في كلام الله وفي حكمة نزوله منجماً، فهم لشدة ضعفهم وقوة ريبهم ما كادوا يسمحون لأنفسهم أن يسموا القرآن تنزيلاً فضلاً عن أن يسندوا إنزاله إلى الله تعالى، حتى طفقوا يبنون الفعل للمجهول بل وجعلوا يقولون:﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾.

ولما عبروا بصيغة التفعيل المشيرة إلى التدريج والتفريق استجلاباً للسامع لئلا يعرض عنهم، أشاروا إلى أن ذلك غير مراد، فقالوا: ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾، أي المقتضي اسمه للجمع، ثم صرحوا بالمراد بقولهم: ﴿جُمْلَةً﴾ وأكدوا بقولهم:

(١) التحرير١٩/ ٢٠ مجلد ٩، وينظر: رغائب الفرقان ١٩/ ١٢مجلد ٩ على حاشية الطبري، ونظم الدرر ٥/ ٣١٥، وروح المعاني ١١/ ٢٢، القرطبي ٧/ ٤٩٠٤، والمقتطف ٤/ ٢٠.

﴿وَٰحِدَةً﴾، ليتحقق أنه من عند الله ويزول عنا ما نتوهمه من أنه هو الذي يرتبه قليلاً قليلاً، فتعبيرهم بما يدل على التفريق أبلغ في مرادهم، فإنهم أرغبوا السامع في الإقبال على كلامهم بتوطينه على ما يقارب مراده ثم أزالوه بالتدريج أتم إزالة، فكان في التعبير بالفعل ﴿نُزِّلَ﴾ من المفاجأة والروعة والإقناط مما أمَّل من المقاربة ما لم يكن في (أنزل)، كذا أفاده البقاعي(١).

وكلامه يحمل في طياته الرد على ما ذكره صاحب التحرير من أن «﴿نُزِّلَ﴾ هنا مرادف (أنزل)، وليس فيه إيذان بما يدل عليه التفعيل من التكثير»(٢)، إذ تأبى دقة الأداء فيما اشتمل عليه النظم الحكيم أن يكون الأمر على نحو ما ذكر وبخاصة أن صيغة التفعيل لا تعني بالضرورة الدلالة على التكثير إذ قد تدل على التدرج والتفريق استجلاباً كما قلنا للسامع، لئلا يعرض عن مقولة المتقولين على الله بغير علم على حد ما ذكر البقاعي رحمه الله.

وصفوة القول أنه مع إساغة الوقف على أي من الموضعين يمكن القول أنه على أي الوقفين قصدت، كانت الدلالة والإفادة التي تتناغى مع السياق العام والخاص الذي انتظمت في سلكه هذه الآيات الكريمات.

ثالثاً: أثر البدء بالكاف المقترنة بغير اسم الإشارة والوقف عليهما في إثراء المعنى:

وثمة نمط آخر يدق مجيئُه في النسق القرآني يأتي على غرار ما سبق من تعلق الجار والمجرور بكلام سابق تارة ومن تعلقه بكلام لاحق أخرى باعتبارين مختلفين، غير أن التشبيه هذه المرة لا يكون مصحوباً باسم الإشارة، وكيما

(١) ينظر: نظم الدرر ٥/ ٣١٥.

(٢) ١٩/ ١٩ مجلد ٩.

يستبين في هذا الضرب من الكلام، أعرِض لنماذج عدة ذكر بعض أهل الاختصاص أن الوقف فيها يجيء على المراقبة التي تعني بالضرورة الوقف على أي من الموضعين بحيث إذا تم الوقف على أحدهما لا يسوغ الوقف على الآخر، ولا أدعي لنفسي في اصطفاء ما أذكر من نماذج هنا، الحصر أو الاستقصاء إذ ذاك أمر يحتاج لدراسة تكون أكثر حصراً وأوسع استقصاء، لكن حسبي أن ألفت الانتباه لهذا الضرب الغني بالمعاني، الممتلئ بالوجوه المحتملة، المشير لظاهرة الاتساع موضوع بحثنا.

ففي غير موضع المراقبة الذي ورد في آية الدين، وجاء ذكره في مقدمة هذا البحث ونص عليه صاحبا كتابي: طيبة النشر في القراءات العشر ونهاية القول المفيد في علم التجويد[1] .. جاء فيهما التصريح بالتعانق في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: ١٠،١١] ، إذ يراقب قوله: ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾.

وهذا يعني أن الوقوف على رأس الآية والبدء بالكاف ومدخولها لا يصح معه الوقوف على ﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ ، وإنما يلزم عطف ما بعد هذا الأخير عليه، كما يلزم وصل رأس الآية بما بعدها الوقوف على ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾، ليكون ما بعدها جملة مستأنفة مستقلة بذاتها .. ويعني كذلك أن البدء بالكاف الجارة مع مدخولها ووصلهما بما بعدهما يفيد معنى ويمثل درجة

(١) ينظر: النشر لابن الجزري ص١٦٧، ونهاية القول المفيد للشيخ مكي نصر ص٧٣.

من درجات الوقف، كما يفيد وصلهما بما قبلهما معنى آخر ويمثل درجة أخرى .. وهذا ما عناه صاحب منار الهدى بقوله: «﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ تام، إن جعل ما بعده مبتدأ منقطعاً عما قبله وخبره ﴿كَذَّبُوا﴾، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره عادتهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ كعادة آل فرعون على تظاهرهم على موسى عليه السلام، وليس بوقف إن عطف على ما قبله»(١).

والأمر بهذا ولتعدد وجوه إعرابه يحتاج إلى تفصيل، ويلاحظ أن محور ذلك التفصيل ومحط وجوهه يكمن في إعراب قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، إذ هي إما على العطف على ما قبلها، وإما عليه وعلى الاستئناف، وإما على الأخير فحسب.

١- فعلى عطفها على ما قبلها وهو ما يقتضيه البدء بكاف التشبيه ومدخولها والوقف على رأس الآية التي قبلها وجعل ﴿كَذَّبُوا﴾ في موضع الحال و(قد) معه مراده، يجوز أن تكون الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف دل عليه ﴿كَفَرُوا﴾ التي هي صلة، وتقديره: كفروا كفراً كعادة آل فرعون .. أو تكون في محل نصب نعت لمصدر محذوف دل عليه قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾، وتقديره: يوقد بهم كعادة آل فرعون، ويكون التشبيه في نفس الاحتراق، وهذا قاله ابن عطية في المحرر الوجيز(٣/٤٦).. أو يكون الناصب له (يعذبون) المدلول عليه من السياق، والتقدير: يعذبون عذاباً كدأب آل فرعون .. أو تكون في محل نصب نعت لمصدر محذوف مدلول عليه بقوله:﴿لَن تُغْنِيَ﴾ تقديره: بطل انتفاعهم بالأموال والأولاد كعادة آل فرعون.

---

(١) المنار ص ٧١ ، وينظر على حاشيته: المرشد لأبي زكريا الأنصاري.

أو تكون في محل نصب نعت لمصدر محذوف للفعل (كذبوا) تقديره كذبوا تكذيباً كدأب آل فرعون في ذلك التكذيب، وبذا يكون الضمير في قوله: ﴿كَذَّبُوا﴾لكفار مكة وغيرهم من معاصري رسول الله ﷺ، وفي ذلك من التخويف لهم- لعلمهم بما حاق بآل فرعون- ما فيه، ويكون الضمير في (أخذهم) لآل فرعون، ويجمل مع هذا الوجه ألا تكون الجملة (كذبوا) حالاً لكونها متعلق الجار والمجرور .. أو يكون عامل النصب قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي فأخذهم الله أخذاً كأخذه آل فرعون، وهذا مردود - إلا عند الكوفيين - لأن ما بعد الفاء العاطفة لا يعمل فيما قبلها إلا فيما أجازه الكوفيون في نحو قولهم: (زيداً فاضرب) وعليه فيجوز، كذا ذكره السمين في الدر.

أو تكون الكاف ومدخولها في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دأب أولئك الكافرين في الكفر كدأب آل فرعون وحالهم في استحقاق العذاب كحالهم، وهذا الوجه بدأ به الزمخشري كلامه فيما يسوغ حمل الكاف عليها .. وعلى أيّ من هذا الأوجه فشبه الجملة ﴿كَدَأْبِ﴾ في كل ما ذكر، منفصلة عما قبلها ومستأنفة استئنافاً بيانياً بتقدير: ما سبب هذا ؟ على ما قاله بعض المحققين.

٢- ويجوز في الوجه الأخير- الذي عُدَّ فيه قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ مستأنف في موضع الخبر لمبتدأ محذوف، و﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في محل جر، و﴿كَذَّبُوا﴾في موضع الحال- أن تجعل الواو في ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ على الاستئناف أيضاً فتكون مبتدأ خبره (كذبوا)، ولا موضع لهذه الجملة الاستئنافية من الإعراب لكونها إنما ذكرت لشرح حالهم، وبذا يكون الكلام قد تم على (فرعون) الذي هو مدخول الكاف.

٣- كما يجوز أن يتعلق الجار والمجرور في قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾ بقوله:﴿كَفَرُواْ﴾ الذي في صدر الآية، فيكون هو عامل النصب فيه، والتقدير: دأب الذين كفروا كدأب آل فرعون أي كعادتهم في الكفر، فلا يوقف والحال هكذا على رأس الآية، وإنما يتعين الوقف على مدخول الكاف في حال ما إذا كان ما بعدهما وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَذَّبُواْ﴾ ، محمول على الاستئناف..كما يجوز تعلقهما بـ ﴿لَن تُغۡنِيَ﴾أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك ، وقد تُعقب هذين الوجهين – الذي مال إلى أولهما الفراء وأجاز ثانيهما الزمخشري – من قِبَل أبي حيان للفصل بين العامل والمعمول بجملة ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ وللإخبار عن الموصول قبل تمام صلته، إذا قدرت جملة (وأولئك .. إلخ) معطوفة .. فإن قدرت استئنافية أو اعتراضية – وهو بعيد – جاز[1].

وأجاز الزمخشري في خطوة ربما لتفادي ما تُعُقِّب به على الوجهين الأخيرين أن « ينتصب محل الكاف– يعني في (كدأب)– بالوقود، أي: توقد بهم النار كما توقد بآل فرعون، تقول: (إنك لتظلم الناس كدأب أبيك) تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم »[2]، وفيه – على حد ما أشار الآلوسي فيما نقله عنه الحلبي – نظر، لأن (الوقود) على القراءة المشهورة الأظهر فيه أنه اسم لما يوقد به، وإذا كان اسماً فلا عمل له، فإن قيل: إنه مصدر أو على قراءته الحسن، صح .. بله أن هذا الوجه لا يجمل معه الوقف لا على رأس الآية ولا على مدخول ﴿كَدَأْبِ﴾ ولا على ما عطف به عليه.

---

(١) ينظر، الإملاء للعكبري ص١٣٢، ١٣٣، ومعاني القرآن للفراء١/ ١٩١، والدر المصون للحلبي٣/ ٣٧- ٣٩، والمحرر الوجيز٣/ ٤٦، والكشاف١/ ٤١٤، والبحر لأبي حيان٢/ ٣٨٩.

(٢) تفسير الكشاف١/ ٤١٤، بتصرف يسير.

ولك أن تتأمل- يا رعاك الله- كم هي تلك المعاني التي أفادها الوقف على الكاف ومدخولها وأفادها كذلك البدء بهما في تلك الوجوه العشرة .. وفيما يشبه التلخيص لما فصل هنا والإجمال لما بسط في البدء بكاف الجر مع مدخولها والوقف عليهما يقول أبو زكريا الأنصاري: «﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ جائز، إن علق به وبـ ﴿كَفَرُوا﴾ ﴿كَدَأْبِ﴾، وكافٍ إن علق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾ بعدها، أو جعل ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف .. ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ تام إن جعل ما بعده مبتدأ وخبر، وليس بوقف إن علق ذلك عليه»[1].

ومفاد ما ذكره في هذا الصدد أن البدء بالكاف ومجروها إنما يجوز إذا تعلقا بما قبلهما، ويصل إلى درجة الكافي إن تعلقا بما بعدهما .. وأن الوقف عليهما يصل إلى درجة التمام إن كان ما بعدهما على الاستئناف ويمتنع إن حمل ما بعدهما على العطف.

ولا يفوتنا بعد الإلمام والتعرف بما تيسر على هذه الأوجه من الوقوف والإعراب وما أسدته هذه وتلك من معاني، أن ننبه إلى أن السر البلاغي في إيثار الجملة الاسمية في قوله تعالى:﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾، هو الدلالة على تحقق الأمر وتقرره، أو الإيذان بأن ذلك هو حقيقة حالهم وأنهم في حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم .. كما أن الأصل في كلمة (دأب) الكدح، وتكريره وإطلاقه في النظم الكريم على العادة وبمعنى الشأن- حتى صارا حقيقة فيه- هو على وتيرة ما جاء في لغة القوم ودرجت عليه ألسنتهم كما في قول النابغة: (كدأبكِ في قوم أراك اصطنعتهم) أي عادتك، وكقول

(١) المقصد لما في المرشد ص ٧١ ، وينظر: روح المعاني ٣/ ١٥٢ مجلد ٣.

امرئ القيس: (كدأبك من أم الحويرث قبلها) أي شأنك، ومرامه في الآية ضرب المثل للكفار لأنهم إذا استقرأوا الأمم التي أصابها العذاب وجدوا جميعهم قد تماثلوا في الكفر بالله وبرسله وبآياته، وكفى بهذا الاستقراء موعظة لأمثال مشركي العرب.

وتخصيص آل فرعون بالذكر- من بين بقية الأمم- وجهه أن هلاكهم معلوم عند أهل الكتاب بخلاف هلاك ثمود وعاد فهو عند العرب أشهر، ولأن تحدي موسى إياهم كان بآيات عظيمة فما أغنتهم شيئاً تجاه ضلالهم(1)..والله تعالى أعلم بمراده.

(1) ينظر: روح المعاني ٣/ ١٥٣مجلد ٣، والتحرير ٣/ ١٧٥ مجلد ٣.

المبحث الرابع

أثر البدء أو الوقف على الباء و(على) و(مِن) و(في) ومدخولاتها في إثراء المعنى

أولاً: البدء بالباء مع مدخولها والوقف عليهما وأثر ذلك في اتساع المعنى:

تستعمل الباء فيما تستعمل للسبب وتسمى بـ(باء الاعتمال)، كما تستعمل للاستعانة والقسم .. وفي دلالة تلك الأداة على تيك المعاني يقول ابن هشام في المغني: تكون الباء لـ« الاستعانة وهي الداخلة على آلة الفعل نحو: (كتبت بالقلم) (نجرت بالقدوم)، قيل ومنه باء البسملة لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها، و.. السببية نحو: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ..﴾ [البقرة:٥٤]، ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ..﴾ [العنكبوت:٤٠] ، ومنه: (لقيت بزيد الأسد)، أي بسبب لقائي إياه، وقوله:

قد سُقِيَتْ آبالُهم بالنار   والنار قد تشفي من الأوَارِ

أي أنها بسبب ما وسمت به من أسماء أصحابها يُخلى بينها وبين الماء، و.. القسم، وهو أصل حرفه، ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معه، نحو (أقسم بالله لتفعلن)، ودخولها على الضمير نحو (بك لأفعل)، واستعمالها في القسم الاستحقاقي نحو (بالله هل قام زيد) أي أسألك بالله مستحلفاً»[1].

وعلى تلك المعاني جميعها حملت الباء في﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ من قول الله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص:٣٥]، وفي بيان ذلك يقول

(١) المغني لابن هشام ١/ ١٠٣، ١٠٦، وينظر: الصاحبي ص٣٠ وما بعدها، والبرهان ٤/ ٢٥٦.

ابن عاشور:

« قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ ، يجوز أن يكون ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ متعلقاً بمحذوف دل عليه قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ..﴾ [القصص:٣٢] تقديره: اذهبا بآياتنا، على نحو ما قدر في قوله تعالى: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦ ..﴾، بعد قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ..﴾ [النمل:١٢]، أي اذهبا في تسع آيات، وقد صرح بذلك في قوله في سورة الشعراء: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥] ..ويجوز أن يتعلق بـ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا﴾ أو بـ﴿سُلْطَـٰنًا﴾ أي سلطاناً عليهم بآياتنا فنسلطكما عليهم بها حتى تكون رهبتهم منكما آية من آياتنا لما في ذلك من معنى التسلط والغلبة، ويجوز أن يتعلق بـ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ﴾ أي يصرفون عن أذاكم بآيات منا وتمنعون منهم بها كقول النبي ﷺ: ((**نصرت بالرعب**)) »[(١)].

وكلامه وكذا كلام الآلوسي الذي هو في معنى ما ذكر، واضحان في أنه بحمل الباء على المعاني سالفة الذكر وهي الاستعانة أو السببية يكون الوقف على قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ .. وإليه الإشارة بقول الأشموني في المنار: «﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ تام، إن علقت ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ بـ(يصلون) .. وقيل متعلقة بـ(نجعل)، أي ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا، وقيل متعلقة بـ﴿يَصِلُونَ﴾وهو المشهور .. وضعف قول من قال: إن في الآية تقديماً وتأخيراً، وإن التقدير ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا

---

(١) التحرير ٢٠/ ١١٨ مجلد ١٠بتصرف، وينظر: روح المعاني ٢٠/ ١١٦ مجلد ١١، والحديث أخرجه البخاري ٢٨١٥، ٦٥٩٧،٦٦١١، ٦٨٤٥، ومسلم٥٢١، ٥٢٣ ، والترمذي ١٥٥٣، والنسائي٣٠٨٧، ٣٠٨٩ ، والحاكم ٣٥٨٧.

فلا يصلون إليكما ، لأن ذلك لا يقع في كتاب الله إلا بتوقيف أو بدليل قطعي »[١].

ويسوغ في الجار والمجرور في قوله:﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وعلى حمل ذلك الجار على معنى السببية أيضاً، « أن يكون متعلقاً بقوله:﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي على أن (أل) ليست موصولة، أو موصولة واتسع فيه ما لا يتسع في غيره، والمعنى تغلبوهم وتقهرونهم بآياتنا التي نؤيدكما بها، وتقديم المجرور على متعلقه في هذا الوجه للاهتمام بعظمة الآيات التي سيعطيانها»[٢]، وبذا يكون البدء بشبه الجملة.

والحق أن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليهما، لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها وقد غلبوا بها السحرة و لم تمنع عنهم فرعون، ومن ثم يكون من الأحسن الوقوف على ﴿إِلَيْكُمَا﴾والبدء بالتالي بـ (آياتنا)، كذا ذكره السيوطي ناقلاً إياه عن الشيخ عز الدين[٣] وعلله بما ذكرنا لكن على أن (مَن)- في قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا﴾- ليست موصولة، أو موصولة واتسع فيه، والمعنى: أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا، فـ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ داخل في الصلة تبييناً، غير أن هذا غير سديد، لأن النحاة يمنعون التفريق بين الصلة والموصول، لكون الصلة تمام الاسم فكأنك قدمت بعض الاسم وأنت تنوي التأخير وهذا لا يجوز.

وأما حذف الموصول وإبقاء صلته عوضاً عنه ودليلاً عليه، نحو:﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ..﴾ [الحديد:١٨] ، أي والذين أقرضوا الله، فهو سائغ كقول الشاعر:

---

(١) منار الهدى للأشموني ص ٢٩١.

(٢) التحرير٢٠/ ١١٨ مجلد ١٠ بتصرف، وينظر: الدر المصون٨/٦٧٨، والبحر المحيط٧/ ١٨٨.

(٣) ينظر: البرهان ١/ ٣٤٦، والإتقان ص ١١٩.

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

يريد ومن يمدحه"[1].

أيضاً يجوز الوقف على﴿إِلَيۡكُمَا﴾ثم يبتدئ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ إن جعل﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ قسماً وجوابه ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾ مقدماً عليه –نص على ذلك الزمخشري– ورده أبو حيان وقال جواب القسم لا يتقدمه ولا تدخله الفاء أيضاً .. وإن جعل جوابه محذوفاً والتقدير فيه: وحق آياتنا لتغلبن، أو من القسم الذي يتوسط الكلام ويقحم فيه لمجرد التأكيد لهما بأنهما الغالبون تثبيتاً لقلبيهما، فلا يحتاج إلى جواب أصلاً .. جاز[2]، فيا لعظمة هذا الكتاب الخالد المعجز، الكلام واحد هو هو لا يتغير ولا يتبدل ولا يزيد ولا ينقص، ومع ذلك وبسبب مباديه ووقفاته تتعدد وجوهه وتتنوع عطاءاته.

« وعلى الوجوه كلها فالآيات تشمل خوارق العادات المشاهدة مثل الآيات التسع، وتشمل المعجزات الخفية كصرف قوم فرعون عن الإقدام على أذاهما مع ما لديه من القوة وما هم عليه من العداوة، بحيث لولا الصرفة من الله لأهلكوا موسى وأخاه.

ومحل العبرة من هذا الجزء من القصة، التنبيه إلى أن الرسالة فيض من الله على من اصطفاه من عباده، وأن رسالة محمد ﷺ كرسالة موسى جاءته بغتة فنودي محمد في جبل حراء كما نودي موسى في جانب جبل الطور، وأنه اعتراه من الخوف مثل ما اعترى موسى، وأن الله ثبته كما ثبت موسى، وأن الله يكفيه

(١) المنار ص ٢٩١.

(٢) ينظر: المنار ٢٩١ ، وروح المعاني٢٠/ ١١٦ مجلد١١، والكشاف ١٧٦/٣، والبحر المحيط والتحرير٢٠/ ١١٨ مجلد ١٠.

أعداءه كما كفى موسى أعداءه »[١].

وإنما أراد بشد عضده الربط والتقوية له بأخيه، ذلك أن من شأن العامل بعضو إذا أراد أن يعمل به عملاً متعباً للعضو، أن يربط عليه لـئلا يتفكك أو يعتريه كسر، ومما هو على العكس من ذلك قولهم: فُتَّ في عضده .. وجعل الأخ هنا بمنزلة الرباط الذي يشد به، والمراد: أنه يؤيده بفصاحته، فتعليقه بالشد ملحق بباب المجاز العقلي.

ويجوز أن يخرج على المجاز المرسل فيكون من إطلاق السبب على المسبب بأن يكون الأصل سنقويك به ثم نقويك ونشد عضدك بسببه، أو هو كناية تلويحية عن تقويته لأن اليد تشتد بشدة العضد وهو ما بين المرفق إلى الكتف والجملة تشتد بشدة اليد على مزاولة الأمور، أو هو خارج مخرج الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال موسى [٢] عليه السلام في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بعضد شديد، ولا يبعد أن يكون ذلك تمثيلاً لحال إيضاح حجته بحال من يريد تقوية من يريد عملاً عظيماً أن يشد على يده وهو التأييد الذي شاع في معنى الإعانة والإمداد، وإلا فالتأييد أيضاً مشتق من اليد.

ومما هو لصيق الصلة في استعمال حرف الباء للقسم وإساغة البدء بها مع مدخولها، بيد أن فيه شيئاً من التكلف .. ما ذكره أهل العلم في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: ١٣]، حيث « أغرب من وقف على ﴿لَا تُشْرِكْ ﴾وجعل﴿ بِٱللَّهِ ﴾ قسماً وجوابه ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ ﴾.

---

(١) التحرير ٢٠/ ١١٨ مجلد ١٠.

(٢) ينظر: روح المعاني ٢٠/ ١١٦ مجلد١١، والتحرير ٢٠/ ١١٧ مجلد١٠.

ووجه الغرابة في ذلك أنهم قالوا إن الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإن ذكرت الباء أتي بالفعل .. قاله في الإتقان »، ونص عبارته: «قال ابن الجزري: ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً أو ابتداء، ينبغي أن يُتعمّد الوقف عليه، بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه وذلك نحو الوقف على .. ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ﴾ ويبتدئ ﴿بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ .. ﴾ [النساء:٦٢] ، ونحو: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ﴾، ويبتدئ ﴿بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣] على معنى القسم .. ونحو: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ (فلا جناح)، ويبتدئ ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ ..﴾ [البقرة/:١٥٨] ، فكله تعسف وتمحل وتحريف للكلم عن مواضعه أ.هـ »(١).

وفي بيان ما يحمله الوقف على النحو السابق في آية النساء من معاني التعسف والتكلف، يؤكد الأشموني على عدم تحبيذ الوقف فيقول : « لا وقف .. على ﴿يَحْلِفُونَ﴾ ، وبعضهم تعسف ووقف على ﴿يَحْلِفُونَ﴾ وجعل بالله قسماً و﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ جواب القسم و(إن) نافية بمعنى (ما)، أي ما أردنا في العدول عنك عند التحاكم إلا إحساناً وتوفيقاً، وليس بشيء لشدة تعلقه بما بعده، ولأن الأقسام المحذوفة في القرآن لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ ..﴾ [الأنعام:١٠٩، النحل:٣٨، النور:٥٣، فاطر:٤٢] أي يحلفون بالله، ولا تجد الباء مع حذف الفعل أبداً، والمعتمد أن الباء متعلقة بـ ﴿يُخْفُونَ﴾ وليست باء القسم »(٢).

---

(١) الإتقان ص ١١٣، والمنار ص ٣٠٣.

(٢) المنار ص ١٠٢.

ومما هو من هذا بسبب ولا يخلو كذلك من تكلف أو من حمل على وجه بعيد، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ..﴾ [المائدة:١١٦]، وما قيل من مراقبة قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي﴾ لقوله: ﴿بِحَقٍّ﴾ .. وإنما كان ذلك من قبيل التعسف، لما في ذاك الوقف من « خطأ من وجهين، أحدهما: أن حرف الجر لا يعمل فيما قبله، الثاني: أنه ليس موضع قسم، وجواب آخر أنه إن كانت الباء غير متعلقة بشيء فذلك غير جائز، وإن كانت للقسم لم يجز لأنه لا جواب هنا، وإن كان ينوي به التأخير وأن الباء متعلقة بـ﴿قُلْتُهُۥ﴾، أي (إن كنت قلته فقد علمته بحق) فليس خطأ على المجاز لكنه -وهذا هو وجه البعد في البدء بقوله: ﴿بِحَقٍّ﴾- لا يستعمل كما صح سنده عن أبي هريرة قال: لُقن عيسى عليه الصلاة والسلام حجته، ولقنه الله في قوله لما قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ.. الآية﴾ ، قال أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: ((**لقنه الله حجته بقوله** : ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ﴾))، سبحانك : أي تنْزيهاً لك أن يقال هذا أو يُنطق به»[(١)].

وحتى على القول بتعلق الجار والمجرور﴿بِحَقٍّ﴾ بالفعل﴿عَلِمْتَهُۥ﴾ – وهو ما جعله السمين الحلبي وجهاً آخر في عود الضمير في اسم ﴿لَيْسَ﴾ على﴿مَا﴾ اسمها و﴿لِي﴾ خبرها، والبدء بحق – يعني على تقدير: فقد علمته بحق .. هو عند السمين فيه نظر، إذ نراه يشير في كلام أشبه بما قاله الأشموني إلى أن هذا:

(١) المنار ص١٢٦، والحديث رواه الترمذي برقم ٣٠٦٢ ، والنسائي١١١٦٢.

«قد ردَّ بأن الأصل عدم التقديم والتأخير»، ويعقب بالقول بأن « هذا لا ينبغي أن يكتفى به في رد هذا، والذي منع من ذلك أن معمول الشرط أو جوابه لا يتقدم على أداة الشرط، ولاسيما أن المروي عن الأئمة القراء الوقف على ﴿بِحَقٍّ﴾ ويبتدئون بـ ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ﴾، وهذا مروي عن رسول الله ﷺ فوجب اتباعه»[1].

فإنك واجد ما اكتنف البدء بقوله: ﴿بِحَقٍّ﴾ من تكلف ومن تقدير بعيد لا يخلو من كدر وإن لم يكن مخلاً في حقيقة الأمر بالمعنى، وهذا بالطبع يتعين معه أن يكون قوله: ﴿لِى﴾ خبراً لـ ﴿لَيْسَ﴾.. وإلا وعلى ما اشتهر من أمر الوقف على (بحق)، فيصح فيها أن تكون «في موضع الحال من الضمير في الجار – لي – والعامل فيه الجار، ويجوز أن يكون ﴿بِحَقٍّ﴾ مفعولاً به تقديره: ما ليس يثبت لي بسبب حق، لتعلق الباء بالفعل المحذوف لا بنفس الجار لأن المعاني لا تعمل في المفعول به، ويجوز أن يجعل ﴿بِحَقٍّ﴾ خبر ﴿لَيْسَ﴾، و﴿لِى﴾ تبيين كما في قولهم: سقياً له ورعياً، ويجوز أن يكون ﴿بِحَقٍّ﴾ خبر ﴿لَيْسَ﴾، و﴿لِى﴾ صفة ﴿بِحَقٍّ﴾ قدم عليه فصار حالاً، وهذا يخرج على قول من أجاز تقديم حال المجرور عليه»[2]، كما يصح الوقف على ﴿بِحَقٍّ﴾ ويسوغ، إن جعلت الباء فيها زائدة ، وتعلقت ﴿لِى﴾ بنفس (حق) لكونها والحال هكذا بمعنى مستحق ، والمعنى: ما يكون لي أن أقول ما ليس مستحقاً لي[3].

ونظيره في التخريج على وجه، لكن– وعلى نحو ما أفادته كلمة أهل العلم–

---

(١) الدر المصون للسمين ٤/ ٥١٣.

(٢) الإملاء للعكبري ص٢٤٠ ، وينظر: روح المعاني ٧/ ٩٥ مجلد ٥ ، والدر المصون ٤/ ٥١٣.

(٣) ينظر: الدر المصون للسمين ٤/ ٥١٣.

أقل في البعد، ما جاء في قول الله تعـــالى في حق بني إسرائيل:﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف:١٣٤] ..ذلك أن ما استنكره ابن الجزري والأشموني بشدة من مراقبة قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾لقوله على جهة الإقسام: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾،أجازه – ربما على وجه بعيد– كلٌّ من الآلوسي والعكبري وجعلاه – وكذا من لف لفهما – وجهاً آخر يمكن حمل المعنى عليه .. وبـــذا يكونان ومن قبلهما الزمخشري ومن قال بقوله قد أضافا وجهاً جديداً أسبغ على المعنى ثراء وأمكن معه حمل النظم في الآية على الاتساع.

فبعد أن ذكر الآلوسي ما اشتهر من تعلق الجار والمجـــرور بالفعـــل (ادع) وجعل التقدير في الآية على معنى: (ادع الله تعالى متوسلاً بما عهد عنـــدك)، أو على حد ما جاء في عبارة أبي البقاء (ادع الله بالشيء الذي علمك الله الـــدعاء به)، راح يقول: « ويحتمل أن تكون الباء للقسم الاستعطافي كما يقال: بحياتك افعل كذا، فالمراد استعطافه عليه السلام لأن يدعو، وأن تكـــون– أي البـــاء– للقسم الحقيقي وجوابه»، وبنحو ذلك فعل العكبري(١)، كما عرج الزمخـــشري على هذين الوجهين بقوله: « والباء إما أن تتعلق بقولـــه﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾علـــى وجهين: أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهـــد الله وكرامته بالنبوة، أو ادع لنا متوسلاً إليه بعهده عندك، وإما أن يكون قسماً مجاباً بـــ ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾، أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك»(٢)

(١) روح المعاني٩/ ٥٤ مجلد ٦، وينظر: إملاء ما من به الرحمن ص٢٩٠، والدر المصون٥/ ٤٣٥.
(٢) الكشاف٢/ ١٠٨، ١٠٩.

.. ويفيد كلامه جواز الوقف على ﴿بِحَقٍّ﴾ على وجه ومعنى، وجواز البدء بها على وجه ومعنى مغاير.

وفي حين يريان – أعني الآلوسي وأبا البقاء جرياً على ما ذكره من سبقهما من أهل العلم – ذلك الأخير وجها سائغاً من دون بأس، نلحظ في مقولة الأشموني ما ينم عن شدة الإنكار إذ تقول عبارته : « من وقف على ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ وابتدأ ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾ وجعل الباء حرف قسم، فقد تعسف وأخطأ، لأن باء القسم لا يحذف معها الفعل، بل متى ذكرت الباء لا بد من الإتيان بالفعل معها بخلاف الواو»[1].

وبتقديري أن الأمر أهون من ذلك بكثير – لاسيما مع وجود فعل الشرط وصحة المعنى في عد جملته جواباً على ما أفادته عبارة الزمخشري – وإن كان من الأفضل حمل معنى القرآن على أحسن الوجوه وأبلغها.

ثانياً: البدء بـ (على) مع مدخولها والوقف عليهما وأثر ذلك في اتساع المعنى:

سبق أن ألمعتُ إلى ما جاء في عبارتي السيوطي والأشموني من تمحل يصل لحد تحريف الكلم عن مواضعه، يكتنف الوقوف على كلمة (جناح) من قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ﴾ والابتداء من ثم بقوله: ﴿عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..﴾ [البقرة:١٥٨]، والمتأمل في سياق النظم يلمس بنفسه صدق ذلك، وفي تجلية ما شاب هذا الوقف من تكلف .. وفي بيان ما انتابه من تعسف جراء البدء بـ﴿عَلَيۡهِ﴾ في الآية الكريمة، يكشف صاحب المنار اللثام عن وجه ذلك ويوضح أن « من وقف على

(١) المنار ص١٥٠، وينظر: نهاية القول المفيد لمحمد مكي ص ١٧١.

﴿ جُنَاحَ ﴾ وابتدأ ﴿ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا .. ﴾ ليدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب، فـ(عليه)، إغراء! أي: يلزمه الطواف[١]، وإغراء الغائب ضعيف والفصيح إغراء المخاطب»، « والجيد – على ما ارتآه أبو البقاء هنا وفي محاولة منه للبعد عن هذا الحمل الضعيف ومن ثم إساغة البدء بشبه الجملة – أن يكون ﴿ عَلَيْهِ ﴾ في هذا الوجه خبراً ، و﴿ أَن يَطَّوَّفَ ﴾ مبتدأ» [٢]، وخبر (لا) على أيٍّ من هذين الوجهين المرجوحين محذوف قدره أبو البقاء بقوله: لا جناح في الحج.

ومع تفادي تخريج أبي البقاء لإشكاليات البدء بشبه الجملة﴿ عَلَيْهِ ﴾ إلا أنه يستأنس فيما ترجح من الوقف على (بهما) بمناسبة النُّزول، وفيها يقول الأشموني: «يروى أن المسلمين امتنعوا من الطواف بالبيت لأجل الأصنام التي كانت حوله للمشركين، فأنزل الله هذه الآية: أي فلا إثم عليه في الطواف في هذه الحالة، وقيل:إن الصفا والمروة كانا آدميين فزنيا في جوف الكعبة فمسخا ، فكره المسلمون الطواف بهما، فأنزل الله الرخصة في ذلك» [٣].

وقد أصاب الأشموني بما ذكره كبد الحقيقة، وبخاصة أن كلمة ﴿ جُنَاحَ ﴾ ما جاءت في آي القرآن إلا مقرونة بالنفي وموصولة بحرف الجر (على) ومرتبطة بهما، وأن الظاهر في شبه الجملة (عليه) أن يكون خبراً لـ (لا)، و ﴿ أَن يَطَّوَّفَ ﴾ في تأويل مصدر مرفوع بالابتداء، والمعنى: فمن حج البيت أو اعتمر فطوافه بهما لا جناح عليه .. وعلى جعل المعنى: فلا جناح عليه في أن يطوف

---

(١) فـ(أن يطوف) في محل نصب كقولك: (عليك زيداً) أي الزمه، وحكى سيبويه وضعفه (عليه رجلاً ليسُني) قال: وهو شاذ .. ،ينظر: الدر المصون ٢/ ١٨٩، والكتاب١/ ١٢٦، والإملاء ص٧٧.

(٢) الإملاء ص ٧٧ ، والمنار ص٥٢ بتصرف يسير، وينظر: الدر المصون٢/ ١٨٩.

(٣) المنار ص ٥٢.

بهما، فجملة ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾: في موضع الجر بـــ(في)، أو النصب على تقـــدير حذفها، أي فليلزم طوافه بهما، ولعل هذا ما عناه الحلبي بقوله: « أصـــله: (في أن يطوف)، فحذف حرف الجر، فيجيء في محلها القولان: النصب أو الجر، والوقف على هذا الوجه على قوله: (بهما) »[1].

لكن فات صاحب المنار القول بأن الصنمين اللذين مسخا بعد فعلتهما تلك الشنعاء وتحرج المسلمون بسببهما ولأجلهما من الطواف بـــين الـــصفا والمروة كانا – على ما ترجح لدى بعض المفسرين – إساف ونائلـــة، وقـــد وضعهما المشركون على أعلى جبلي الصفا والمروة للتعظيم بـــدلاً مـــن أن يجعلوهما عبرة لمن يعتبر، يقول الشعبي في تفصيل ذلك: « (كان إساف علـــى الصفا وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما فنـــزلت هذه الآية)، وكان محمد بن إسحاق قـــد ذكـــر في كتاب السيرة أن إساف ونائلة كانا بشرين، فزنيا داخـــل الكعبـــة فمـــسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هنالك ، فكان من طاف بالـــصفا والمـــروة يستلمهما»[2]، ولله في خلقه شئون!!

لكن ما ينبغي ألا يفوتنا هو التنويه إلى أن ما أبصرناه من تعسف في البدء بالحرف (على) مع ما بعده في آية البقرة، لا يستلزم أن يكون كذلك دومـــاً وفيما يصح الحمل عليه، إذ العبرة في ذلك باستقامة المعنى وإفادة السياق، وفي

---

(١) الدر المصون للسمين الحلبي٢/ ١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٩٩بتصرف.

صحة البدء بحرف الاستعلاء الدال على المصاحبة في قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] ، يشير الأشموني إلى أن الوقف على﴿ حَقًّا ﴾ جائز، إذ المعنى مع ذلك: « وكان الانتقام منهم حقاً ، فاسم (كان) مضمر و ﴿ حَقًّا ﴾ خبرها، ثم تبتدئ ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ف﴿ نَصْرُ ﴾ مبتدأ و﴿ عَلَيْنَا ﴾ خبره»(١).. ولازم قوله، إساغة البدء بشبه الجملة ﴿ عَلَيْنَا ﴾ وجواز حمل المعنى في الآية على ذلك، ورجوع اسم (كان) إلى ضمير الانتقام هو على حد قول الله تعالى :﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨] ، وقد كان أبو بكر شعبة راوي عاصم يفعل ذلك، فيقف على﴿ حَقًّا ﴾ ويبتدئ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، « وكأنه أراد التخلص من إيهام أن يكون للعباد حق على الله إيجاباً، فراراً من مذهب الاعتزال»(٢).

وهو تعليل وإن كان له وجاهته وليس فيه محذور من حيث المعنى بل يجب التعويل عليه أحياناً في رد عادية أهل الاعتزال، إلا أنه غير لازم ولا مانع من القول بأن الأولى هو تعلق الجار ومدخوله بـ﴿ حَقًّا ﴾ جرياناً على الظاهر المؤيد بالخبر، فقد أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما من امرئ مسلم يردُّ عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله تعالى أن يردَّ عنه نار جهنم يوم القيامة**)) ، ثم تلا عليه

(١) المنار ص ٣٠١.

(٢) التحرير ٢١/ ١٢٠مجلد ١٠.

الصلاة والسلام قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، وفي هذا إشعار بأن ﴿حَقًّا﴾ خبر (كان) و(نصرالمؤمنين) الاسم كما هو الظاهر، وإنما أخر الاسم لكون ما تعلق به فاصلة وللاهتمام بالخبر إذ هو محط الفائدة على ما في البحر، وما ذُكر ثمة في هذا الصدد هو ما يستلزمه عدم الوقوف على ﴿حَقًّا﴾ ولا البدء حينذاك بشبه الجملة.

وفي شأن ذلك يقول صاحب المنار: « وليس بوقف إن جعل ﴿نَصْرُ﴾ اسم (كان) و﴿حَقًّا﴾ خبرها و﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بـ﴿حَقًّا﴾، والتقدير: وكان نصر المؤمنين حقاً علينا[2]، قال أبو حاتم: وهذا أوجه من الأول لوجهين، أحدهما: أنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف، والثاني: من حيث المعنى، وذلك أن الوقف على ﴿حَقًّا﴾ يوجب الانتقام ويوجب نصر المؤمنين» [3] وهو كلام له دلالته، يعضد من شأنه ما ذكره ابن عطية في تفسيره للآية من أنه وقف ضعيف، « لأنه لم يدر قُدُماً عَرْضَه في نظم الآية » [4]، في إشارة إلى ضرورة أن يكون للضمير في اسم كان المقدر مرجع واضح يعود إليه.

(١) وأخرجه من غير من ذكروا: الترمذي١٩٣١، وأحمد ٢٧٥٧٦، ٢٧٥٨٣، والبيهقي في الشعب٧٦٣٥.

(٢) أو جعل (حقاً) مصدراً و(علينا) الخبر، أو تقدير ضمير الشأن في (كان) اسماً لها مع جعل (حقاً) مصدراً وجملة (علينا نصر) مبتدأ وخبر في موضع الخبر لـ (كان) .. الدر٩/ ٥١.

(٣) المنار ص ٣٠١، وينظر: في تفسير الآية البحر المحيط، وروح المعاني ٢١/ ٨٠ مجلد١٢.

(٤) المحرر الوجيز ١٢/ ٢٦٨.

ثالثاً: البدء بـــ (من) مع مدخولها والوقف عليهما وأثر ذلك في اتساع المعنى:

وتأتي (مِن) فيما تأتي للتعليل، ولا تجمجم أن ذكر الشيء معللاً أبلغ من ذكره بلا علة وذلك لوجهين:

أولهما: أن العلة المنصوص عليها قاضية بعموم المعلـــول، ولهـــذا اعترضـــت الظاهرية بالقياس في العلة المنصوصة ، ثانيهما : أن النفوس تنبعث إلى نقـــل الأحكام المعلـــلة بخلاف غيرها[1].

ومما هو بين في ذلك ما جاء في قول الله تعالى في شأن قابيـــل:﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا .. ﴾ [المائدة:٣٠: ٣٢] ، وقد ذهـــب فريـــق إلى أن الوقف على ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾والبدء بها هو من قبيل المراقبة على التضاد، وفي بيان ذلك يقول صاحب منار الهـــدى: « ﴿مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ و ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ وقفان جائزان، والوقوف إذا تقاربت يوقف على أحسنها ولا يجمع بينـــها، وتعلق ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ يصلح بقوله: ﴿فَأَصْبَحَ ﴾، ويصلح بقوله:﴿كَتَبْنَا ﴾ وأحسنها﴿ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ ، وإن تعلق﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ بـــ ﴿كَتَبْنَا ﴾ أي مـــن أجل قتل قابيل أخاه كتبنا على بني إسرائيل، فلا يوقف علـــى الـــصلة دون الموصول، قال أبو البقاء:

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ٩١.

لأنه لا يحسن الابتداء بـــ ﴿كَتَبْنَا﴾ هنا، ويجوز تعلقه بما قبله أي فأصـــبح نادما بسبب قتله أخاه وهو الأولى، أو بسبب حمله لأنه لما قتلـــه وضـــعه في جراب وحمله أربعين يوماً حتى أروح، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحـــدها الآخر ثم حفر بمنقاره ورجليه مكاناً وألقاه فيه وقابيل ينظر، فندمه من أجل أنه لم يواره، أظهر .. لكن يعارضه خبر ((**الندم توبة**))[1]، إذ لو ندم على قتلـــه لكان توبة ((**والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**))[2]، فندمه إنما كان علـــى حمله لا على قتله، كذا أجاب الحسين بن الفضل لما سأله عبد الله بن طـــاهر والي خراسان..وحينئذ فالوقف على﴿ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ هو المختار، والوقف علـــى ﴿ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ تام»[3]، وذلك « بناء على أن المشهور من جـــعل (من أجل ذلك) متعلقاً بـــ ﴿كَتَبْنَا﴾» .. كما لا يفوتنا التذكير بأن ﴿ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ رأس آية، وربما كان هذا سبباً في جعل تعليق ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ بما بعده هو المختار أو على الأقل – إضافة لما ذكرت – أحد أسبابه، « فإن علق بما قبله – وهو ظاهر مـــا روي عن نافع – فالوقف عليه، أي فأصبح نادماً من أجل قتله أخاه»[4].

وكلامهما– أعني الأشموني وأبا البقاء – واضح في إساغة الوقف على ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ وفي البدء به، بله أن المرجح لديهما هو البدء به ليكون علة لما بعده

(١) أخرجه ابن ماجة٤٢٥٢، وابن حبان ٦١٣،٦١٤، والحاكم٦٧١٢، ٦٧١٣، وأحمـــد ٣٥٦٨، ٤٠١٢، ٤٠١٦، ٤١٢٤.

(٢) أخرجه بسند فيه ضعف ابن ماجة ٤٢٥٠، والبيهقي في الشعب٥/ ٣٨٨، ٤٣٩ ، والطـــبراني في الكبير١٠/ ١٥٠، ٢٢/ ٣٠٦.

(٣) منار الهدى ص ١١٩، وينظر: إملاء ما من به الرحمن ص ٢٢١.

(٤) المقصد لتلخيص ما في المرشد لأبي زكريا الأنصاري ص ١١٩.

مقدم عليه، وذلك خلافاً لما جنح إليه الزركشي الذي أوجب الوقف على ﴿ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ وخطّأ من قال بخلاف ذلك .. فقد جزم بأن قوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ﴾ «لتعليل الكتْب، وعلى هذا فيجب الوقف على ﴿مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ »، يقول: «وظن قوم أنه تعليل لقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ أي من أجل قتله لأخيه، وهو غلط لأنه يشوش صحة النظم ويخل بالفائدة»[1].

والحق أن الأمر لا يصل إلى هذا الحد، وأنه أيما كان البدء أو الوقف على الجار والمجرور أفاد معنى غير الذي يفيده الآخر، وفي ذلك- بتقديري- من الثراء والاتساع لحمل الأمر في الآية على أكثر من وجه ما لا يخفى، وإلا فما الذي حمله على أن يبحث ويجتهد في أن يواري سوءة أخيه إلا شعور بالحسرة والندم؟! .. على أن قوله ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ أدل على تمكن الندامة من نفسه، من أن يقال (نادماً) الذي يقتضيه الظاهر، لدلالة الفعل الناسخ في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمه.

وما ترجح لدي جمهور أهل العلم يفرض سؤالاً مؤداه، «كيف يكون قتل أحد ابني آدم للآخر علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علة فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم؟»، والجواب: « إن الله سبحانه يجعل أقضيته وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره، فجعل- هنا- حكمه الكوني القدري علة لحكمة أمره الديني، لأن القتل لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخُم أمره وعظم شأنه وجُعل إثمه أعظم من إثم غيره، ونُزِّل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلها في أصل العذاب لا في وصفه»[2].

---

(١) البرهان ٣/ ٩٨.

(٢) السابق.

وفي توضيح ما ذكرنا يقول الطاهر ابن عاشور: «المقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل، وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعاً، ألا ترى أنه قابل للعفو من خصوص أولياء الدم دون بقية الناس»(١).

وإنما «خص بني إسرائيل بالذكر- وقد تقدمتهم أمم قبلهم كان قتل النفس فيهم محظوراً- لأنهم أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل النفس مكتوباً وكان قبل ذلك قولاً مطلقاً، فغلظ الأمر على بني إسرائيل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء»، كذا ذكره القرطبي في تأويله للآية(٢).

ومهما يكن من أمر فالمقصود من الإخبار بما كتب على بني إسرائيل بيان للمسلمين أن حكم القصاص شرع سالف ومراد لله قديم، إذ في معرفة تاريخ الشرائع تبصرة للمتفقهين وتطميناً لنفوس المخاطبين وإزالة لما عسى أن يعترض من الشبه في أحكام خفيت مصالحها كمشروعية القصاص، فإنه قد يبدو للأنظار القاصرة أنه مداواة بمثل الداء المتداوى منه، حتى دعا ذلك الاشتباه بعض الأمم إلى إبطال حكم القصاص وهي غفلة دق مسلكها، فقد جبلت النفوس على حب البقاء وعلى حب إرضاء القوة الغضبية، فإذا علم عند الغضب أنه إذا قتل فجزاؤه القتل ارتدع، وإذا طمع في أن يكون الجزاء دون القتل أقدم على إرضاء قوته الغضبية ثم علل نفسه بأن ما دون القصاص يمكن الصبر عليه والتفادي منه، وقد كثر ذلك عند العرب وشاع في أقوالهم وأعمالهم، لذا جاء قوله تعالت حكمته: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩].

ومعنى التشبيه في قوله: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ، حث جميع الأمم

(١) التحرير ٦/ ١٧٨ مجلد ٤.

(٢) تفسير القرطبي ٣/ ٢٢٤٢، وينظر: التحرير للطاهر ٦/ ١٧٦ مجلد ٤.

على تعقب قاتل النفس وأخذه أينما ثقف والامتناع عن إيوائه أو الستر عليه كلٌّ حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض .. ولك أن تجعل المقصد من التشبيه، توجيه حكم القصاص وحقيته وأنه منظور فيه لحق المقتول بحيث لو تمكن لما رضي إلا بجزاء قاتله بمثل جرمه، فلا يتعجب أحد حينذاك من حكم القصاص قائلاً: كيف نصلح العالم بمثل ما فسد به وكيف نداوي الداء بداء آخر، فبين لهم أن قاتل النفس عند ولي المقتول كأنما قتل الناس جميعاً، ومن اهتم باستنقاذها والذب عنها فكأنما أحيا الناس جميعاً[(١)].

وعلى غرار ما صح من تعلق الجار والمجرور بما قبله وبما بعده في قوله فيما مضى ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾.. فقد صح تعلقهما في قوله تعالى:﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ من الآية الكريمة في حق المشركين:﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾ [الشورى:٤٥] بما سبقهما وبما لحقهما، فقد « اختلف في قوله: (من الذل) بماذا تعلق؟، فإن علق بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾ كأنك قلت: (من الذل خاشعين)، كان الوقف على ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ .. وإن علقته بـ﴿يَنظُرُونَ﴾ كأنك قلت: من الذل ينظرون، كان الوقف على﴿خَٰشِعِينَ﴾ ثم تبتدئ ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ » ، «وهو على التقديرين كاف»[(٢)].

بيد أن الأول- على حد ما ذكر الآلوسي- أظهر، وتعلقه بما ظهر وترجح يغني عن تعلقه بـ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ويفيد ما لا يفيده تعليقه به، و(مِنَ) في قوله: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ على هذا الوجه للتعليل، فهي على معنى: خاشعين خشوعاً ناشئاً

(١) ينظر التحرير ٦/ ١٧٨ مجلد ٤.

(٢) المنار وبهامشه المقصد ص ٣٤٧.

عن الذل، وليس لتعظيم الله ولا للاعتراف له بالعبودية لأن ذلك الاعتقاد لم يكن من شأنهم في الدنيا، وجملة: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ على ما تقرر من شأن إساغة الوقوف على ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾، جملة مستأنفة .. ومن غير ما تقرر هي في موضع الحال من ضمير (خاشعين)، لأن النظر من طرف خفي حالة للخاشع الذليل[1] .. وقريب من هذا المعنى قول النابغة يصف سبايا:

ينظُرن شزْراً إلى من جاء عن عُرُض بأوجه منكِراتِ الرقِّ أحرارِ

وقول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ويطلق الطرف ويراد به على ما هو الأصل فيه، تحريك جفن العين، ويطلق ويراد به العضو وهو العين كما هنا فيكون من باب تسمية الشيء بفعله، ولذا لا يثنى ولا يجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ..﴾ [إبراهيم:٤٣] .. ووصفه في هذه الآية بـ﴿خَفِيٍّ﴾ يقتضي أنه إنما أريد به هنا حركة العين، فهم من هول ما يرونه من العذاب ينظرون نظراً خفياً أشبه ما يكون بمسارقة النظر لا حدة فيه، كما أنهم للروع الذي يصيبهم من هذا العذاب يحجمون عن مشاهدته، ويبعثهم ما في الإنسان من حب الاطلاع على أن يتطلعوا لما يساقون إليه كحال الهارب الخائف مَن يتبعه، فتراه يمعن في الجري ويلتفت وراءه الفينة بعد الفينة لينظر هل اقترب منه الذي يجري وراءه، وهو في التفاته إلى تلك المكاره ولكونه منكس الرأس لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل من نظره إلى المحاب، لكن حب الاطلاع مع كل ذلك يغالبه.

(١) والمقصود تصوير مآلهم وحالتهم الفظيعة، وعلى هذا الأخير لا وقف على أيٍّ لتعلق الكلام بعضه ببعض.

وحذف مفعول ﴿يَنظُرُونَ﴾ للتعميم لصحة حمل المعنى على (ينظـــرون العذاب) و(ينظرون أهوال الحشر) و(ينظرون نعيم المؤمنين)، فهم ينظـــرون إلى كل ذلك نظراً منبعثاً من حركة الجفن الخفية، فـــ(مِنَ) مع قولـــه: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ للابتداء المجازي، أو هي بمعنى الباء والتقدير: ينظرون بطرف ضـــعيف منكسر من الذل والخوف.

والنكتة في بناء الفعل ﴿يُعْرَضُونَ﴾ في صدر الآية للمجهول، الإيذان بأن المقصود حصول الفعل لا تعيين فاعله .. والذين يعرضون الكافرين على النار هم الملائكة كما دلت عليه آيات أخرى .. والضمير في﴿عَلَيْهَا﴾ عائد إلى العذاب بتأويل أنه النار لكونها عذابهم، أو جهنم المعلومة مـــن المقـــام .. ولا يَـــرِد أن الخشوع محمود فكيف يكون مظهراً من مظاهر الذل والمهانة، لأنه يطلق ويراد به التطامن وأثر انكسار النفس من استسلام واستكانة، فيكون للمخافة وللمهابة وللطاعة وللعجز عن المقاومة، ومراده في هذه الآية ما يبدو عليهم من أثر المذلة والمخافة[(١)] .. وإنما أفاده ودل عليه قوله بعد: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾، احترازاً– كما ألمحنا– عن الخشوع المحمود و« لأنهم عُرِّفوا إذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة مـــن عصوه»[(٢)].

رابعاً: البدء بـــ(في) مع مدخولها والوقف عليهما وأثر ذلك في اتساع المعنى:

وفي قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر:٣٨-٤٢] ، نص صاحب نهاية القـــول

---

(١) ينظر روح المعاني ٢٥/ ٧٨ مجلد١٤ والتحرير٢٥/ ١٢٧ مجلد١٢.

(٢) نظم الدرر ٦/ ٦٤٤.

المفيد كما نصت طبعات المصحف العراقية والباكستانية على مراقبة قوله:﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ لقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾..ولازم ذلك جواز الوقف على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾والبدء من ثم بـ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، والبدء كذلك بشبه الجملة والوقوف على رأس الآية قبلها، وفي إشارة لافتة لما يحمله ذلك من معان ثرية يقول أبو البقاء العكبري: «قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ يجوز أن يكون حالاً من ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾، وأن يكون حالاً من الضمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾»[1] .. وتعني عبارته تلك الموجزة أنه حيث ساغ الوقف على (في جنات) حسن جعلها حالاً من ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ ليتم وصل الحال بصاحبه الذي تقدم، وحيث ساغ البدء بقوله:﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾يحسن لنفس العلة السابقة أن يكون شبه الجملة حالاً من الضمير في قوله ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ الذي تأخر عنه، حيث التعلق اللفظي.

وفي إلماعة لترجيح هذا الأخير يقول الأشموني: «﴿رَهِينَةٌ﴾ الأُولى وصله بما بعده، ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ تام ورأس آية أيضاً، ثم تبتدئ ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، فالاستثناء متصل إذ المراد هم المسلمون المخلصون، أو منقطع والمراد هم الأطفال أو الملائكة»[2].

ويفاد مما ذكره أن الذي حدا بجل أهل العلم لأن يقولوا بترجيح البدء بـ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ويجعلونه الأولى لديهم ، ما بين المستثنى والمستثنى منه أيضاً من تعلق لفظي أياً ما كان نوع الاستثناء ، وكذا كون ما قبلها رأس آية ، إذ ذاك -على نحو ما سبق أن ذكرنا- ما أطلق عليه علماء الوقف وأسموه بوقوف السنة.

(١) إملاء ما من به الرحمن ص ٥٦٩.

(٢) المنار ص ٤٠٩.

ولا يخفى ما في هذا وذاك من بلاغة يتسع لها المعنى وينتظمها السياق ويتناغم معها نظم الذكر الحكيم، ولتفصيل ذلك نقول: لئن جاز عند البدء بـ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ ألا يكون التفاعل من الجانبين، بألا يكون المراد بالتساؤل أن يسأل أصحاب اليمين بعضهم بعضاً عما كان عليه كل واحد منهم سائلاً ومسئولاً عنه، فتخرج من ثم صيغة التفاعل عما وضعت له في الأصل من دلالة على صدور الفعل عن المتعدي ووقوعه عليه معاً بحيث يكون كل واحد من ذلك فاعلاً مفعولاً معاً كما في قولك: (تشاتم القوم) أي شتم كل واحد منهم الآخر، فيكون معنى الآية على ذلك: يسألون المجرمين عن أحوالهم وعن سبب حصولهم في سقر، فغير إلى ما في النظم الجليل وقيل ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾..ففي البدء بما ترجح يصح أن يجعل شبه الجملة ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف وأن يكون التنوين للتعظيم، والجملة استئناف بياني لمضمون جملة الاستثناء وقع جواباً عن سؤال أملاه ما سبقه من استثناء أصحاب اليمين، كأنه قيل: ما بالهم؟ فقيل: هم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها، وهذا وجه آخر يمكن حمل المعنى عليه إضافة لما سبق ذكره من جعل شبه الجملة حالاً من الضمير المتأخر عنه في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، وإنما قدم الحال ثمة للاعتناء وأيضا لرعاية الفاصلة، وجوز بعضهم أن يكون شبه الجملة على ما ترجح من هذا الوقف ظرفاً للتساؤل، و﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ هي الحال من﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾[1].. غير أن الوقف حينذاك - حيث التعلق اللفظي - يكون حسناً.

والقول بأن «الوقف على قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والابتداء ﴿وَفِي

(١) ينظر روح المعاني ٢٩/ ٢٢٧ مجلد ١٦ والكشاف ١/ ٤٩٣ والدر المصون١٠/ ٥٥٥.

ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾[الأنعام: ٣] .. تعنت وتعسف لا فائدة فيه فينبغي تجنبه لأنه محض تقليد، وعلم العقل لا يعمل به إلا إذا وافق النقل» - وهو ما ذكره ابن الجزري في النشر ونقله عنه صاحب الثغر الباسم وصاحب نهاية القول المفيد[١] - وكذا التعليل لذلك بـ« أنه سبحانه معبود في السموات وفي الأرض ويعلم ما في السماء والأرض فلا اختصاص لإحدى الصفتين بأحد الظرفين»[٢]، فيه نظر.

ذلك أن العلة المذكورة التي نص عليها أبو البقاء العكبري والتي يسوغ معها حمل قوله تعالى:﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾ على الاستئناف، والوقوف من ثَمَّ على قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ لكونه سبحانه المعبود فيهما، أو لأن الجار والمجرور فيهما « متعلق بالكون المستفاد من جملة القصر[٣] أو بما في ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ من معنى الانفراد بالإلهية، كما يقول من يذكر جواداً ثم يقول: هو حاتم في العرب، وهذا لقصد التنصيص على أنه لا يشاركه أحد في صفاته في الكائنات كلها»[٤].. ليست بمانعة من جواز الوقف على قوله:﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ لكون ذلك الوقف يتفق مع القواعد الكلية للقرآن والحديث ولمعتقد أهل السنة والجماعة وليس كما ادعى ابن الجزري من اصطدامه مع عقل أو نقل، فقد تضافرت كلمة

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) إملاء ما من به الرحمن للعكبري ص ٢٤٢.

(٣) والكلام حينئذ من التشبيه البليغ أو كناية على رأي من لا يشترط جواز المعنى الأصلي أو استعارة تمثيلية بأن شبهت الحالة التي حصلت من إحاطة علمه سبحانه وتعالى بالسموات والأرض وبما فيهما بحالة بصير تمكن في مكان ينظره وما فيه، والجامع بينهما حضور ذلك عنده، وجوز أن يكون مجازاً مرسلاً باستعماله في لازم معناه" كذا ذكره الآلوسي.

(٤) التحرير ٧/ ١٣٣ مجلد ٤ وينظر روح المعاني ٧/ ١٢٩ مجلد ٥.

سلف الأمة الصالح على أن تعالى بذاته في السموات، وبعلمه فيهما.

ومما جاء من أقوالهم المعضدة لـهذا قول شيخ الحنابلة الإمام الزاهد أبي عبد الله بن بطة في كتابه (الإبانة) تحت عنوان: (باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه) فيما نصه: « أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ..﴾ [الحديد:٤] فهو كما قالت العلماء: علمه»[١].

وهذا ما حفز الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) وذلك في كتابه (العلو للعلي الغفار) وفي معرض نقله لما ورد عن أبي الحسن على بن مهدي تلميذ الإمام أبي الحسن الأشعري، لأن يقول: « إن قيل: فما تقولون في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ..﴾ [الملك:١٦] ؟ قيل له: معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش كما قال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ..﴾ [التوبة:٢] أي على الأرض، وقال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ..﴾ [طه:٧١] .. فإن قيل: فما تقولون في قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ ؟، قيل له: إن بعض القراء يجعل الوقف في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ثم يبتدئ ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾، وكيفما كان فلو أن قائلاً قال: فلان بالشام والعراق ملك، لدل على أن ملكه بالشام والعراق، لا أن ذاته فيهما»[٢].

فقد وضح من خلال ما نقلناه عن خيرة أهل العلم، صحة قول القائلين بجواز الوقف على قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ وصحة البدء بها، بل وأن في البدء بها ترسيخ لما انعقد عليه إجماع الأمة وانعقدت عليه قلوبهم .. هذا وفي إعراب

---

(١) الإبانة لابن بطة ٢٠٧، وينظر: ٢٣٨ ، كما ينظر: العلو للذهبي ص ١٧٠.

(٢) العلو للذهبي ص ١٦٩.

النسق الكريم في هذه الآية المحكمة أقوال عديدة لما يتعلق بإعراب شبهي الجملة فيها، وقد اقتصرنا من ذلك على ما اختص به الحديث هنا وتحقق منه المراد من إساغة البدء بقوله عز من قائل:﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ والوقف عليه، ووقفنا على ما أضفاه ذلك من ثراء في المعنى بل واتساع في إتمام الفائدة.

هذا وقد أغرب الأشموني حين ذكر أن ضمن ما يمكن حمل المعنى عليه ويدخل في أوجه الإعراب ويحسن معه الوقف على ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ : «جعل (هو) ضمير عائد على ﴿ٱللَّهُ﴾ وما بعده خبره، وجعل قوله:﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقاً بـ ﴿يَعْلَمُ﴾ ، أي يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض»(١)، لكون عبارته موهمة ومشتماً منها القول بإنكار أنه سبحانه في السماء وعلمه مع استوائه على عرشه بكل مكان وهو ما استقر عليه معتقد أهل السنة، ولكون الخطاب في الآية موجهاً لبني البشر القاطنين في الأرض لا في السموات، اللهم إلا إذا وسع الدائرة وعمم الخطاب فجعله بحيث يشمل الملائكة .. ولكن يعكر عليه حتى على القول بالشمول أن في ذلك من التعسف والخروج عما يقتضيه ظاهر السياق وفوات المناسبة والارتباط ما لا يخفى.

كما لا صحة لقياسه هذه الآية على قوله تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ..﴾ [الكهف:١،٢] على تقدير: أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً، لاختلاف أمر التقديم والتأخير فيما بينهما ولوجود الفارق إذ يستقيم المعنى معهما في آية الكهف ولا يستقيم في آية الأنعام كما أوضحنا .. ولازم قول الأشموني عدم البدء أو الوقف على

(١) المنار ص ١٢٧.

قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ لتعلقه - وكذا قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ - بالفعل الذي وليهما، كما تشير إلى ذلك عبارته بأنه « ليس بوقف -يعني على ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾- إن جعلت الجملة -يعني جملة ﴿يَعْلَمُ﴾- خبراً ثانياً أو جعلت هي الخبر و﴿ٱللَّهُ﴾ بدل، أو جعل ضمير هو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبره يعلم»[١].

وقد فطن الطاهر ابن عاشور لبعض ما أخذته هنا على الأشموني، وأوضح أنه « لا يجوز تعليق ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالفعل في قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ لأن سر الناس وجهرهم وكسبهم حاصل في الأرض خاصة دون السماوات، فمن قدر ذلك فقد أخطأ خطأ خفياً»[٢]، ومن ثم صح له أن يجعل «قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ جملة مقررة لمعنى جملة﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ »، وأن يعلل بالتالي لما ذهب إليه بقوله: « ولذلك فصلت لأنها تنزل منها منزلة التوكيد لأن انفراده بالإلهية في السموات وفي الأرض مما يقتضي علمه بأحوال الموجودات الأرضية»، لكن ذلك يكون بالطبع لدى الوقف على ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهو كما سلف أحد الوقفين السائغين .. والنكتة في « ذِكر السر- في كل ما تم تقريره- أن علمه دليل عموم العلم، وفي ذكر الجهر استيعاب نوعي الأقوال ، والمراد بـ﴿مَا تَكْسِبُونَ﴾ في قوله بعد:﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ جميع الاعتقادات والأعمال من خير وشر، فهو تعريض بالوعد والوعيد، وتخصيص ذلك بالذكر مع اندراجه فيما تقدم على تقدير تعميم السر والجهر، لإظهار كمال الاعتناء به لأنه مدار فلك الجزاء ، وهو السر في إعادة﴿ يَعْلَمُ﴾ ، وعلى التغاير بين المتعاطفين يكون

(١) المنار ص ١٢٨ ، وينظر: البحر المحيط في تفسير الآية.

(٢) التحرير ٧/ ١٣٣ مجلد ٤.

العلم هنا عبارة عن جزائه وإبقائه على معناه المتبادر إلى الذهن.

والخطاب في الآية لجميع السامعين فيدخل فيه الكافرون من بـــاب أولى لكونهم المقصود الأول من هذا الخطاب لأنه بالنسبة إليهم تعليم وإيقاظ، كما يدخل فيه أيضاً المؤمنون لأنه لهم تذكير»[1]، وذلك بعض ما يكتنفه ســـياق الآية من نكات بلاغية، وإلا فالحديث عن تفصيل ذلك لا يقف عند حـــد، وحسب هذه الدراسة أن تشير إلى ضرورة أن تكون وجوه البلاغة حاضرة في أذهان أرباب الوقوف حتى يجتنى من ذلك ثمرة التدبر التي بها ينال المؤمن ثوابه من سماع أو قراءة كتاب الله العزيز على النحو المأمول أو يشير إلى أن معرفة ذلك لازم لمواضع هذا اللون من الوقف على وجه أخص.

(١) ينظر السابق ، وينظر: روح المعاني ٧/ ١٣٢ مجلد ٥.

الخاتــمـــة

هكذا ندرك من خلال هذه الصور التي سنح بتحليلها والوقوف على بعض أسرارها الوقت والمقام وهي في مجموعها غيض من فيض وقليل من كثير .. ندرك ما تحققه المعانقة بحق ، من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز، ومن غاية الاختصار وجمال الإيجاز، وكيف عد كل وقف استلزمته واقتضته تلك المعانقة بمثابة الآية، وأن لو جعلت دلالة كل وقف على حدة لكان في ذلـــك مــــن التطويل والإطناب ما لا يخفى.

ومما ينبغي التنبه إليه – بعد أن اتضح لنا واحد من معالم الثراء في المعنى ولون من ألوان التوسع في الأداء – أن نشير إلى أن ثمة ألواناً وصوراً أخرى من وقوف التعانق تصب في الإطار نفسه، وأن تيك الألوان والصور تحتاج إلى أن نكشف عنها في مستقبل الأيام بمشيئة الله إن كان في العمر بقية وســـاعة أن يأذن .. وما ذلك إلا سعياً في استكمال هذا العمل الجليل وأملاً في إبراز المزيد مما زخر به كتاب الله تعالى من كنوز وأسرار ذاك النبع الفياض بكل معـــاني الحسن والبهاء، والثريّ بجميع آيات الشرف والسناء.

وليس ذلك بالشأن العجيب ولا بالأمر الغريب على هذا الكتاب العزيـــز الذي أشبه النظم وليس بالنظم وضاهى النثر وليس بنثر، فأخذ – لأجل أسلوبه الفريد ذاك – بالألباب وجلب في صفه القلوب وجذب إليه العقول .. والـــذي فتح باباً جديداً في الأسلوب البياني والخطابي الفصيح هشت له النفوس وطربت منه القلوب وطابت به الأرواح.

ويبقى القول بأن الأمر يحتاج إلى مزيد من الاســـتقصاء والتـــعرف على

مواطن التعانق وصوره ومقاماته، ومزيد من الدراسات الجادة المتعمقة التي تكشف عن أسراره ومواطن إعجازه، لتقف من ثم على أوجه بيانه وبلاغته.

والله نسأل أن يجعلنا أهلاً لتحقيق ذلك أو شيء منه، أو أن يقيض من يقوم بهذه المهام الجسام، وهو سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم مراجع البحث

١- **الإتقان في علوم القرآن** لجلال الدين السيوطي، دار مصر للطباعة.

٢- **إعراب القرآن** لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د.غازي ط لجنة التراث بالعراق ١٩٧٧م.

٣- **أمالي السهيلي** لأبي القاسم عبد الرحمن الأندلسي، تحقيق: محمد البنا، ط دار السعادة.

٤- **إملاء ما منّ به الرحمن** لأبي البقاء عبد الله العكبري، دار الفكر المصرية ١٩٩٣م.

٥- **إيضاح الوقف والابتداء** لأبي بكرالأنباري، من مطبوعات مجمع اللغة بدمشق.

٦- **البحر المحيط** لأبي حيان، مطبعة النصر الحديث بالرياض.

٧- **البرهان في علوم القرآن** للزركشي، ت أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل بيروت ١٩٨٨م.

٨- **بصائر ذوى التمييز** للفيروبادي، تحقيق الطحاوي ، ط المجلس الأعلى بالأزهر سنة ١٤٢١.

٩- **البيان في غريب القرآن** لابن الأنباري ط٤ دار الكاتب للطباعة سنة ١٣٨٩.

١٠-**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** لابن مالك، ط وزارة الثقافة لسنة ١٣٨٧.

١١-**تفسير التحرير والتنوير** للطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع.

١٢-**تفسير أبي السعود** للعمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢ ، ١٩٩٠م.

١٣-**تفسير غرائب القرآن** للنيسابوري على هامش الطبري، دار المعرفة ١٩٩٢م.

١٤-**تفسير القرآن العظيم** لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة مصر بالفجالة.

١٥-**تفسير القرطبي** الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط٣، دار الغد العربي ١٩٨٩م.

١٦-**جامع البيان في تفسير القرآن** لابن جرير الطبري، دار المعرفة بيروت ١٩٩٢م.

١٧-**الجنى الداني في حروف المعاني** للمرادي ط١، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٣.

١٨-**حاشية الشهاب** للخفاجي تحقيق: المهدي ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م.

١٩-**الدر المصون للسمين** الحلبي ،تحقيق: د. أحمد الخراط دار القلم دمشق ١٩٨٦م.

٢٠-**دراسات لأسلوب القرآن الكريم** د. عضيمة ط١ لسنة ١٣٩٢ مطبعة دار السعادة.

٢١-**رصف المباني** للمالقي، تحقيق د .الخراط من مطبوعات مجمع اللغة بدمشق سنة ١٣٩٥.

٢٢-**روح المعاني** لأبي الفضل شهاب السيد محمود الآلوسي، دار الفكر ١٩٩٧م.

٢٣-**شرح جمل الزجاجي** لابن عصفور، ط لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف العراقية.

٢٤-**شرح الرضي على الكافية**، تحقيق: يوسف حسن عمر لسنة ١٣٩٨.

٢٥-**شرح طيبة النشر** للنويري، ط لجنة إحياء التراث بمجمع البحوث بالأزهر ١٤٠٦.
٢٦-**شرح (كلا) و(بلى) و(نعم) للقيسي**، تحقيق: فرحات، ط دار التراث بيروت سنة ١٩٨٣م.
٢٧-**الصاحبي في فقه اللغة العربية** لابن فارس، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٣م.
٢٨-**علل الوقوف** لابن طيفور السجاوندي، تحقيق: العبدي مكتبة الرشد بالرياض ط١ ١٩٩٤م.
٢٩-**العلو للعلي الغفار** للذهبي ط٢، ١٣٨٨ المكتبة السلفية لمحمد الكتبي بالمدينة المنورة.
٣٠-**الفريد في إعراب القرآن المجيد** للهمذاني، ط١ دار الثقافة بقطر ١٩٩١م.
٣١-**قضايا التركيب في لغة العرب** د. محمد سعد ط١ سنة ١٣٩٩ دار التوفيقية.
٣٢-**الكافية في النحو لابن الحاجب** بشرح الاستراباذي، ط دار الكتب العلمية بيروت.
٣٣-**الكتاب لسيبويه**، تحقيق: د. عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجي سنة ١٤١٢.
٣٤-**الكشاف عن حقائق التنـــزيل** للزمخشري، دار الفكر ط١، ١٩٩٧م.
٣٥-**لسان العرب** لابن المنظور، دار المعارف المصرية.
٣٦-**المحرر الوجيز** لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجمع العلمي بفاس، مكتبة ابن تيمية ١٩٩٢م.
٣٧-**معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء** لمحمود خليل المصري، ط الشمرلي.
٣٨-**معاني القرآن** للفراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، ١٩٨٠م.
٣٩-**معاني القرآن** وإعرابه للزجاج .ط١ عالم الكتب بيروت ١٩٨٨م.
٤٠-**مغنى اللبيب** لجمال الدين بن هشام الأنصاري، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.
٤١-**مفاتيح الغيب** للإمام فخر الرازي ط١، دار الغد العربي بمصر ١٩٩١م.
٤٢-**المقتطف من عيون التفاسير** لمصطفى المنصوري ، ط٢ دار القلم دمشق ١٩٩٦م.
٤٣-**المقصد لتلخيص ما في المرشد** لزكريا الأنصاري مطبوع بهامش منار الهدى، الحلبي.
٤٤-**المكتفى في الوقف والابتداء** لأبى عمرو عثمان بن سعيد الداني.
٤٥-**منار الهدى في بيان الوقف والابتداء** لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، ط الحلبي.
٤٦-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** للبقاعي، دار الكتب العلمية ط١ سنة ١٤١٥.
٤٧-**نهاية القول المفيد في علم التجويد** لمحمد مكي نصر،ط الحلبي ١٣٤٩.
٤٨-**همع الهوامع للسيوطي**، ط دار البحوث العلمية بالكويت سنة ١٣٩٩.

فهرس الموضوعات

فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي**

أ. د. غانم قدوري الحمد
الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت بالعراق*

* من مواليد تكريت بالعراق عام ١٩٥٠م.
* نال الماجستير في علم اللغة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م بأطروحته "رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية".كما حصل على الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٩٨٥م بأطروحته "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"، والرسالتان مطبوعتان.
* له مؤلفات وبحوث وتحقيقات عديدة، منها: تحقيق كتاب "التحديد في الإتقان والتجويد" لأبي عمرو الداني، و " التمهيد في علم التجويد" لابن الجزري.

** البحث الفائز بالمركز الأول في المسابقة العلمية الأولى التي نظمتها المجلة

الملخص

يتتبع هذا البحث جذور فكرة الصوت الساذج في الدرس الصوتي العربي، التي أخذ بها كثير من علماء العربية والتجويد المتقدمين في تفسير حدوث الصوت اللغوي ، وتتلخص في أن النَّفَسَ الخارج من الصدر يتشكل بفعل حركة عضلات الصدر والرئتين بصورةِ صوتٍ ساذَجٍ يُشَكِّلُ مادة تتكون منها حروف اللغة في تجاويف أعضاء آلة النطق ، وعرَّفوا الحرف بناء على ذلك بأنه صوت (ساذج) يعتمد على مقطع (أي مخرج) محقق أو مقدَّر، وهو تعريف لا يخلو من قصور وغموض ، ويُبَيِّنُ الأثر السلبي لهذه الفكرة في تصور علماء العربية والتجويد لعملية النطق ، وحدوث الصوت اللغوي ، وتعريف الحرف اللغوي والصوت المجهور والمهموس والشديد والرخو ، مما لا يزال تأثيره ظاهراً في الكتب المؤلفة في علم التجويد في عصرنا ؛ ذلك أن فكرة الصوت الساذج لا تفسر العملية النطقية تفسيراً يتطابق مع حقيقة الأمر ، فالصوت اللغوي يتكون من هواء الزفير ويتشكل حروفاً في أعضاء آلة النطق بدءاً من الحنجرة وانتهاء بالشفتين ، وليس هناك صوت ساذج يسبق مرور النَّفَس في تجاويف آلة النطق الكائنة فوق الحنجرة .كما يحاول البحث بيان وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث في حدوث الصوت اللغوي ، وإعادة صياغة عدد من التعاريف الصوتية في ضوء ذلك ، ويدعو إلى الأخذ بها في الكتب التعليمية لعلم التجويد، حتى يسهل فهمها على المتعلمين ، والله ولي التوفيق .

مقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتقينَ، ولا عُدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ التراث الصوتي العربي يتميَّزُ بالسعة ، والتنوع والحيوية والتجديد، وقد أدَّى ذلك التراث رسالته في الحفاظ على النطق العربي بريئاً من شوائب اللحن الخفي، نقياً من مظاهر العُجْمَةِ واللُّكْنَةِ، وهو لا يزال يؤدي ذلك الدور ، تشهد على ذلك المقارئ القرآنية، والحلقات التعليمية، والمؤسسات العلمية.

وفي التراث الصوتي العربي، سواء تمثل في كتابات اللغويين ، أم في مؤلفات علماء التجويد والقراءات، مجال واسع للاجتهاد والمراجعة ، لاسيما بعد أن تقدمت دراسة علم الأصوات اللغوية واستفادت من التقنيات الحديثة ، والمناهج الجديدة ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن ذلك التراث قد حقق إنجازات متميزة في الكشف عن خصائص الأصوات اللغوية وكيفية إنتاجها وأحكامها الصوتية في التركيب.

وكانت لعلماء اللغة العربية والتجويد محاولات جادة في تفسير ظاهرة الصوت الطبيعية، والكشف عن حقيقة الأصوات اللغوية، واستفاد متأخروهم مما توصل إليه علماء الطبيعة والحكماء في فهم كيفية حدوث الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها، ويبدو أن بعض الأفكار التي لم تتأكد صحتها حول إنتاج الأصوات قد تسربت إلى مناقشات علماء التجويد المتأخرين، وكانت عقبة في

طريقهم لتفسير حقائق النطق تفسيراً علمياً شاملاً لكل جوانب العملية النطقية.

وكانت أكثر تلك الأفكار تشويشاً على الدرس الصوتي العربي فكرة الصوت الساذج ، التي ألقت بظلها على بحوث علماء التجويد المتأخرين لتعريف الحرف والصوت، والتمييز بين الأصوات المجهورة والشديدة، وتتلخص تلك الفكرة في أن النَّفَس الخارج من الداخل يتشكل بفعل حركة عضلات الصدر والرئتين بصورة صوت ساذج يكون مادة لحروف اللغة ومحلاًّ لها، وشاع لديهم بناء على ذلك تعريف الحرف بأنه صوت يعتمد على مقطع محقق أو مقدَّر.

ولا شك في أن فكرة الصوت الساذج لا تفسر العملية النطقية تفسيراً علمياً ولا تشكل أساساً صحيحاً لفهم الأصوات اللغوية ، وهي في ظني مسؤولة عن إضعاف المناقشات الدقيقة التي عقدها شراح المقِّدمة الجزرية وغيرهم من علماء التجويد المتأخرين لتعريف الصوت ، والحرف ، وكيفية تنوع الأصوات ، والفرق بين الصوت المجهور والشديد ، والصوت الرخو والمهموس، وقد انعكس ذلك الخلل على مؤلفات علم التجويد الحديثة والمعاصرة بصورة لا تساعد المتعلم على الوقوف على الحقائق العلمية المتعلقة بموضوع الأصوات اللغوية التي تشكل أساس قراءة القرآن وتجويد حروفه.

ووجدت في كتابات علماء العربية والتجويد حقائق تتعلق بالعملية النطقية والأصوات اللغوية يمكن أن ينبني عليها تصور صحيح لحقيقة النطق وتفسير ظواهره ، ولا يتعارض ذلك مع ما أثبتته الدراسات الحديثة للأصوات،

فيرتبط الدارس بالتراث الصوتي العربي، ولا يحرمه ذلك من ثمرات الدراسات الحديثة.

وسوف يعرض هذا البحث تصور علماء العربية والتجويد لفكرة الصوت الساذج، وكيف انعكس ذلك على إدراكهم طبيعة الصوت اللغوي، وتعريف الحرف، وعوامل تعدد الأصوات التي تنتجها آلة النطق، ووجهة نظر الدرس الصوتي الحديث في هذه الموضوعات، وذلك من خلال المباحث الآتية:

(١) إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها في الدرس الصوتي الحديث.

(٢) الصَّوْتُ والنَّفَسُ عند سيبويه.

(٣) تعريف الصوت وكيفية حدوثه عند الحكماء.

(٤) ظهور فكرة الصوت الساذج.

(٥) أثر فكرة الصوت الساذج على علماء التجويد.

ثم الخاتمة التي تتضمن النتائج التي انتهى إليها البحث.

وقد بدأت بعرض وجهة النظر المعاصرة في إنتاج الأصوات اللغوية، وعوامل تنوع الصوت ، ليكون ذلك مقياساً محدداً لتقويم الأفكار التي وَجَّهَتِ الدراسة الصوتية العربية القديمة باتجاه معين، ثم عرضت بعد ذلك جوانب الموضوع مراعياً التطور التاريخي لفكرة الصوت الساذج.

وأرجو أن يكشف هذا البحث الأبعاد التاريخية التي أدَّت إلى تشكل فكرة غير دقيقة عن حقيقة الأصوات اللغوية ، وأن يؤدي إلى تخليص المؤلفات الحديثة في علم التجويد من فكرة الصوت الساذج وآثارها ، حتى يسهل على المتعلمين فهم القواعد التي يدرسونها ، والوقوف على العلل الصوتية للظواهر التي ينطقونها .

أسأل الله تعالى التوفيق للصواب في القول ، والرشاد في العمل، اللهم اجعل ما كتبته في هذا البحث وفي غيره خالصاً لوجهك، وابتغاء مرضـــاتك، اللهم تقبل ما فيه من صواب واعف عما فيه من زلل، إنك غفور رحيم .

أ. د.غانم قدوري الحمد

تكريت/ العراق

٢٠٠٧/٤/٢

المبحث الأول

إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها

في الدرس الصوتي الحديث

إن تتبع أثر فكرة الصوت الساذج في جهود علماء العربية والتجويد يقتضي الاحتكام إلى مقياس محدد في فهم عملية التصويت ، وقد انتهت دراسة علم الأصوات في العقود الأخيرة إلى الكشف عن آلية إنتاج الأصوات اللغوية على نحو واضح ، لا يدع مجالاً للاجتهاد الشخصي في فهم حقيقة الصوت ، أو سبباً للاختلاف في تحديد عوامل تنوعه .

إن هواء الزفير هو مادة الصوت[1] الإنساني ، والإنسان لا يتوقف عن التنفس في جميع أحواله ما دام يتصف بالحياة ، وحين يكون الإنسان في حالة صمت فإن مجرى الهواء يكون مفتوحاً خلال الحنجرة والتجاويف التي فوقها ، فيمر الهواء في عمليتي الشهيق والزفير من غير إحداث صوت مسموع ، فإن أراد الإنسان إنتاج الصوت احتاج إلى تحريك أعضاء آلة النطق لاعتراض هواء الزفير ، مما يؤدي إلى حدوث الصوت .

ويتوقف إنتاج الأصوات اللغوية على وجود عاملين : الأول

---

(١) الصَّوْت: ظاهرة طبيعية تنتج عن جسم يهتز يؤدي إلى حدوث اضطراب تضاغطي ينتقل في الهواء على شكل موجات ، تؤثر على طبلة الأذن ، فيؤدي ذلك إلى الإحساس بالصوت وسماعه (ينظر: بوش: أساسيات الفيزياء ص٤٠٠ ، و د. سعد عبد العزيز مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٨-١٩) . وينتقل الصوت في الهواء بسرعة يصل معدلها إلى ٣٤٠م في الثانية (ينظر: بوش: أساسيات الفيزياء ص٤٠٤ ، ومالمبرج : علم الأصوات ص١٢) . والصوت اللغوي نوع من ظاهرة الصوت الطبيعية ، ويُعَرَّفُ بأنه : أَثَرٌ سمعي يصدر طواعية واختياراً عن حركة أعضاء النطق (ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص١١٩) .

النَّفَسُ[(١)]، وهو هواء الزفير، والثاني العارض، ويتأتى من تحريك أعضاء النطق لاعتراض طريق النَّفَس بقفل أو تضييق لمجراه[(٢)] .

وإنتاج الأصوات اللغوية لا يتحقق بحركة عضو واحد من أعضاء آلة النطق ولكن بالتقاء عضوين، وقد تسهم بعض الأعضاء الأخرى بحركات مصاحبة لِتَكَوُّنِ الصوت في موضع النطق، وتتكون آلة النطق من ثلاثة تجاويف رئيسة هي : التجويف الفموي ، والتجويف الأنفي ، والتجويف البلعومي (أو الحَلْقي) ، الذي ينتهي في الأسفل بالحنجرة ، وهناك عدد من العوامل التي تؤدي إلى تنوع الصوت اللغوي ، وأهمها ثلاثة هي :

١. حالة الوترين الصوتيين عند إنتاج الصوت .
٢. موضع اعتراض النَّفَس في آلة النطق .
٣. كيفية اعتراض النَّفَس في ذلك الموضع .

وتوضيح جميع المسائل المتعلقة بهذه العوامل الثلاثة يحتاج إلى مجال أوسع مما يحتمله البحث ، وسوف أكتفي بذكر ما يساعد في تكوين تصور صحيح لعملية التصويت ، حتى يمكن من خلال ذلك تقويم الأفكار التي وردت عند علماء العربية والتجويد حولها .

(١) حالة الوترين الصوتيين عند إنتاج الصوت :

تتكون الحنجرة من عدد من الغضاريف تشكل صندوقاً صغيراً يقع في

---

(١) النَّفَسُ : هو الهواء الخارج من الأنف أو الفم ، والتنفس: استمداد النَّفَس ، وكل ذي رئة يتنفس (ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١٢٢/٨ نفس) .

(٢) ينظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص١٩ .

أعلى القصبة الهوائية وفي داخله الوتران الصوتيان اللذان يتخـذان أشـكالاً متعددة ، أهمها ثلاثة ، هي[1]:

١. التباعد، فتتشكل بينهما فتحة على شكل مثلث تسمى فتحة المزمار، يمر خلالها الهواء في عملية التنفس، ولا يؤدي ذلك إلى حدوث أي أثر صوتي، وهي الحالة التي يكون عليها الوتران عنـد نطق الأصوات المهموسة أيضاً.

٢. التضام، فينطبق الوتران أحدهما على الآخر ، انطباقاً تامّاً لكن ذلك لا يمنع من نفوذ هواء الزفير بينهما ، فيؤدي إلى فتحهما وغلقهما على نحـو سريع ، فتتشكل من هذه العملية ذبذبات متوالية سريعة ، تؤدي إلى حدوث النغمة الحنجرية التي تصاحب إنتاج الأصوات المجهورة[2]، ويبلـغ متوسـط الذبذبات عند الرجل من ١٠٠-١٥٠ ذبذبة في الثانية ، و٢٠٠-٣٠٠ ذبذبة في الثانية عند المرأة .

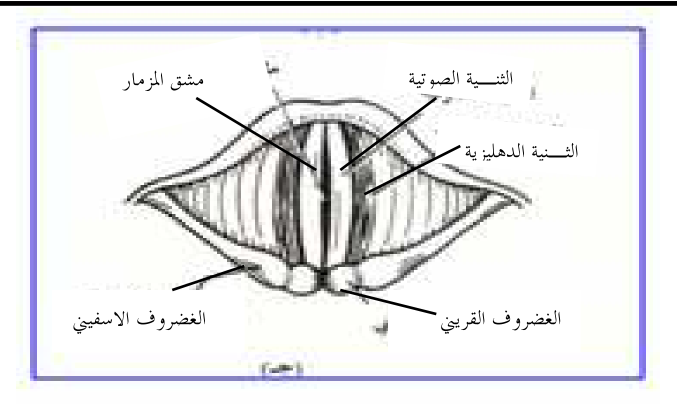
٣. انطباق الوترين انطباقاً محكماً، فينحبس الهواء لحظـة، ثم ينفرجـان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً هو صوت الهمزة، أو ما يشبهها .

وهذه صورة لحالة تباعد الوترين الصوتيين (أو الثنيتين الـصوتيتين) ، وحالة تضامهما :

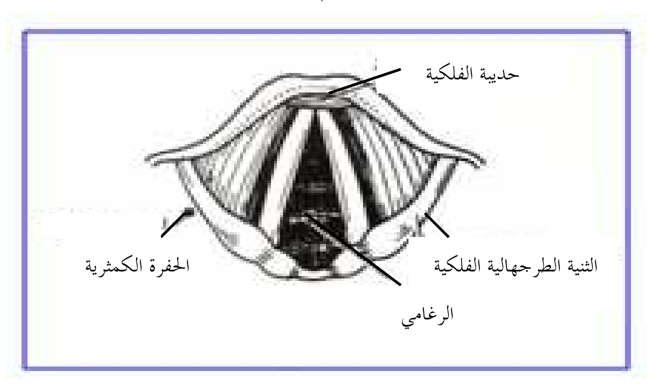
---

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١١٤ ، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٥٧ ، وسـعد عبد العزيز مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٠٧ ، وكمال بشر: علم الأصوات ص١٣٦ .

(٢) يمكنك التفريق بين المجهور والمهموس بسد أُذنيك عند النطق بالصوت ، فما صاحبه دوي نـاتج عن ذبذبة الوترين كان مجهوراً ، وما لم يصاحبه دويٌّ كان مهموساً ، فالأصـوات : ذ ظ ز د ض ج ...إلخ مجهورة ، والأصوات : ث س ش ت ك ...إلخ مهموسة (ينظر: إبراهيم أنـيس: الأصـوات اللغوية ص٢٠).



حالة تضام الوترين



حالة تباعد الوترين

(٢) موضع اعتراض النَّفَس

إن مرور الهواء من خلال فتحة المزمار في الحنجرة لا يؤدي وحده إلى إنتاج أصوات لغوية ، وإن ما يحدث في الوترين من اهتزاز يصاحب نطق الأصوات المجهورة ، أو تباعد يصاحب نطق الأصوات المهموسة ما هو إلا جزء من عملية مركبة من عدد من الأنشطة لأعضاء النطق التي تقع فوق الحنجرة لإنتاج الصوت اللغوي .

ويمكن أن تتحرك أعضاء النطق لاعتراض النَّفَس في مواضع متعددة من آلة النطق ، فيؤدي ذلك الاعتراض إلى تشكل الصوت ، ويسمى ذلك الموضع المخرج[١] ، وتتعدد مخارج الأصوات العربية[٢] ، فتجويف الحلق له ثلاثة مخارج لستة أصوات (ء هـ - ع ح – غ خ) ، ولتجويف الفم عشرة مخارج لثمانية عشر صوتاً (ق-ك-ج ش ي- ض-ل-ن-ر-ت د ط –س ص ز – ث ذ ظ)، وللشفتين مخرجان لأربعة أصوات هي:(ف-ب م و) ، وللخياشيم مخرج واحد للنون الخفية[٣].

(٣) كيفية اعتراض النَّفَس

يتنوع شكل أعضاء آلة النطق في مواضع الاعتراض التي أشرت إليها في الفقرة السابقة ، وهي المخارج ، ويؤدي ذلك إلى تنوع الأصوات وتمايز جروسها في السمع ، وأهم عامل مؤثر في تكوُّن الأصوات في مخارجها هو مقدار الاعتراض ، أو درجة انفتاح المخرج[٤] .

---

(١) يمكنك تحديد مخرج الصوت بالنطق به ساكناً بعد همزة وصل ، فحيث انقطع صوته كان مخرجه (ينظر: الخليل: العين ٤٧/١ ، وابن الجزري: النشر ١٩٩/١).

(٢) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٢-٩٧، والمدخل إلى علم أصوات العربية ص٦٣-٦٥.

(٣) هذا على مذهب سيبويه (ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤) ومن المتقدمين والمحدثين من جعل المخارج أربعة عشر مخرجاً باعتبار اللام والراء والنون من مخرج واحد ، ويضع المحدثون الضاد الحديثة في مخرج (د ت ط)، ولا يقتضي المقام الدخول في تفاصيل المخارج وبيان مذاهب القدماء والمحدثين حولها .

(٤) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٧-١٠٢ ، والمدخل إلى علم أصوات العربية ص ٦٥-٦٧.

وتقسم الأصوات إلى صامتة (أو جامدة) ومصوتة (أو ذائبة) بناء على درجة انفتاح المخرج ، فإذا كانت المخارج واسعة ، ومجرى النَّفَس مفتوحاً ، ولا يصاحبه إلا أدنى تضيق كان الصوت ذائباً أو مصوتاً ، مثل حروف المد الثلاثة ، والحركات مثلها لأنها أبعاضها ، وإذا حصل قفل لمجرى النَّفَس أو تضيق من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً كان الصوت جامداً أو صامتاً ، وهي بقية أصوات العربية ، ومنها الواو والياء إذا تحركتا ، أو كانتا ساكنتين وقبلهما حركة ليست من جنسهما، لكن المسافة بين اللسان والحنك الأعلى فيهما أوسع من بقية الصوامت .

وتقسم الأصوات الجامدة (الصامتة) على ثلاثة أقسام ، بحسب مقدار انفتاح المخرج ، وهي:

١. شديدة ، أو انفجارية ، وذلك إذا التقى عضوان من أعضاء آلة النطق وحَبَسا النَّفَس حبساً كاملاً ثم انْفَرَجا ، وذلك عند نطق: (ب ت د ط ج ك ق ء) ، ويمكن إضافة الضاد التي ينطقها مجيدو قراءة القرآن الكريم في زماننا إليها.

٢. رخوة أو احتكاكية، وذلك إذا كان اعتراض المخرج على النَّفَس لا يؤدي إلى قفل مجرى النفس ، بل يبقى منفذ ضيق يتسرب منه الهواء، ويحدث عند نطق:(ف ، ث ذ ظ ، س ص ز ، ش، غ خ ، ع ح ، هـ).

٣. متوسطة بين الشديدة والرخوة ، أو مائعة ، وذلك إذا أدَّى الاعتراض إلى قفل مجرى النَّفَس ، ولكنه يتسرب من موضع آخر، ويحدث ذلك عند نطق: (م ، ن ، ل ، ر) ، ويُلْحِقُ بعض الدارسين العين بها، وتفصيل ذلك لا يليق بهذا الموضع .

وهناك كيفيات أُخرى تتعلق بكيفية اعتراض آلة النطق للنفس ، تؤثر في تنوع الصوت ، أهمها :

١. قد يحدث عند نطق أصوات طرف اللسان أن يتصعد أقصى اللسان فتكتسب أصوات طرف اللسان صفة الإطباق ، وذلك في مقابل الأصوات المنفتحة التي لا يتصعد أقصى اللسان عند نطقها، والأصوات المطبقة أربعة (ظ ، ط ، ص ، ض).

٢. يتسرب النَّفَس من الفم عند نطق أكثر أصوات العربية ، إلاَّ في نطق النون والميم ، فينخفض الحنك اللين واللهاة عند النطق بهما، فيتخذ الصوت مجراه من تجويف الأنف (أو الخياشيم) فيكون أنفياً ، أو صوتاً أَغَنَّ.

٣. تتشكل بعض الأصوات على نحو يجعل جرسها متميزاً ، فتكتسي صفات صوتية تختص بها ، مثل أصوات الصفير (س ص ز) ، وأصوات الاستعلاء (ظ ط ص ض،ق غ خ) ، والصوت المكرر (الراء) ، والصوت المنحرف (اللام) والصوت المتفشي (الشين) ، وأصوات القلقة (ق ط ب ج د) ، وأصوات اللين (و ي).

ولا يكفي في وصف الصوت تحديد مخرجه ، فلا بد من النظر إلى صفاته الصوتية ، ولا أجد ضرورة للتوسع في دراسة المخارج والصفات في هذا البحث ، وأحسب أن ما ذكرته يعطي القارئ فكرة عن آلية إنتاج الصوت اللغوي وعوامل تنوعه ، كما يعرضها دارسو الأصوات المحدثون ، وهي لا تختلف في كثير من تفاصيلها عما قرَّره علماء العربية والتجويد بشأنها إلا في بعض النقاط التي يهدف البحث إلى تسليط الضوء عليها.

ومن المهم الانتباه إلى النقاط الآتية:

١. يحدث الصوت اللغوي إذا اعترضت أعضاء آلة النطق هواء الزفير، وأدَّى ذلك الاعتراض إلى تضييق مجرى النفس أو قفله ، فيحدث الصوت.
٢. يكون الصوت مجهوراً إذا اهتزَّ الوتران الصوتيان مع تكوُّن الصوت في مخرجه ، ويكون مهموساً إذا لم يهتز الوتران.
٣. يكون الصوت شديداً أو انفجارياً إذا أدَّى اعتراض أعضاء آلة النطق إلى قفل المخرج وحبس النَّفَس فيه لحظة ثم إطلاقه ، ويكون رخواً إذا أدَّى الاعتراض إلى تضيق المخرج من غير حبس للنَّفَس، ويكون متوسطاً إذا حصل حبس للنفس في مخرج الصوت وتسريب للنفس من موضع آخر .

ويكون الصوت الشديد مجهوراً في مثل : (ب ج ض) ، ويكون مهموساً في مثل : (ت ط ك ق).

ويكون الصوت الرخو مجهوراً في مثل : (ذ ظ ز ي و غ ع) ، ويكون مهموساً في مثل : (ف س ص ش ح خ هـ).

أما الأصوات المتوسطة فجميعها مجهورة ، وكذلك الأصوات الذائبة (المصوتة) وهي حروف المد والحركات.

وأنت تلاحظ من خلال هذا العرض أن هناك تمايزاً واضحاً بين صفة الجهر والهمس ، وصفة الشدة والرخاوة والتوسط ، وليس في تصور المحدثين لهما أي تداخل أو غموض ، وتحقق ذلك بعد أن تحددت طبيعة الصوت المجهور والمهموس من خلال اكتشاف دور الوترين الصوتيين في إنتاجها ، وكذلك تحديد طبيعة الصوت الشديد والرخو.

المبحث الثاني

الصَّوْتُ والنَّفَسُ عند سيبويه

أَسَّسَ سيبويه (ت١٨٠هـ) لعلم أصوات العربية في باب الإدغام خاصة في آخر الكتاب[١]، وترسخت المصطلحات التي استخدمها للتعبير عن الأفكار المتعلقة بعلم الأصوات، ويهمنا هنا تحديد وجهة نظره في آلية إنتاج الأصوات اللغوية، ووجدت أن تتبع دلالة مصطلح (الصوت) و (النَّفَس) عنده يمكن أن يكشف عن ذلك، ويمهد للحديث عن بروز فكرة الصوت الساذج من بعده .

ولاشك في أن سيبويه لم يتعرض للحديث بشكل مباشر عن آلية إنتاج الأصوات، وكيفية تنوعها، لكن دراسته للمخارج والصفات وظواهر الإدغام تكشف عن تصوره لعملية التصويت .

تحدَّث سيبويه في أول باب الإدغام عن عدد حروف العربية، وذكر أن أصل حروف العربية تسعة وعشرون، وذكر أنها تكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها التسعة والعشرون، وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف أخرى هن فروع أيضاً لكنها غير مستحسنة[٢]. والظاهر الجليُّ هو أن سيبويه يريد بمصطلح (الحروف) هنا الأصوات اللغوية، وليس الرموز الكتابية، وأكثرَ سيبويه من استخدام مصطلح الحرف، والحروف بهذا المعنى، وكذلك استخدم أسماء الحروف للدلالة على جانبها الصوتي.

---

(١) الكتاب ٤/٤٣١- ٤٨٥.

(٢) الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٢.

ويلفت نظر الدارس أن سيبويه استخدم مصطلح (الصوت) و(النَّفَس) ، و(هواء الصوت) للتعبير عن مكوِّنات الحروف الصوتية ، ولكن يمكن القول : إن مصطلح (الصوت) ليس مرادفاً لمصطلح (الحرف) عنده ويتضح ذلك من خلال النظر في النصوص التي وردت فيها هذه المصطلحات.

واستخدم سيبويه مصطلح (الصوت) أكثر من استخدامه مصطلح (النَّفَس) ، واستخدم عبارة (هواء الصوت) عدة مرات أيضاً.

أما مصطلح (النَّفَس) فقد استخدمه سيبويه في تعريف المجهور والمهموس ، وذلك حيث قال: « فالمجهورة: حرفٌ أُشبع الاعتماد في موضعه، ومَنَعَ النَّفَس أن يجريَ معه حتى ينقضيَ الاعتمادُ ، ويجريَ الصوتُ... وأما المهموس فحرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفَسُ معه... »[1].

وقد لا يكون سيبويه استعمل مصطلح (النَّفَس) في غير هذا الموضع ، لكنه أكثر من استعمال مصطلح (الصوت) ، فاستعمله في تعريف الشديد والرخو فقال: « ومن الحروف الشديد ، وهو الذي يمنع الصوت أن يجريَ فيه... ومنها الرخوة... وذلك إذا قلت: الطَّسُّ ، وانْقَضْ ، وأشباه ذلك ، أجريت فيه الصوت إن شئت » [2].

واستعمله أيضاً في بيان الصفات الأُخرى للأصوات ، وقد يقرنه بكلمة (هواء) فيقول: (هواء الصوت) ، ومن المفيد نقل كلامه في ذلك مع حذف بعض العبارات غير الضرورية للموضوع ، قال :

«ومنها: المنحرف،وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٤-٤٣٥.

مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام . وإن شئت مددت الصوت ، وليس كالرخوة ، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه ، وليس يخرج الصوت من موضع اللام من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك.

ومنها حرف شديد يجري معه الصوت ، لأن ذلك الصوت غنةٌ من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وهو النون والميم.

ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرَّر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء.

ومنها اللينة ، وهي الواو والياء ، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما...

ومنها الهاوي ، وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدَّ من اتساع مخرج الياء والواو ...

ومنها المطبقة والمنفتحة ... وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحَنَك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحَنَك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور في ما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف .

وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن[(١)] ... » .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٥-٤٣٦ ، وينظر أيضاً ١٧٦/٤ .

ولا يتضح على وجه التحديد مراد سيبويه في قوله في تعريف الصوت المجهور: « ومَنَعَ النَّفَس أن يجريَ معه » ، والنَّفَسُ في اللغة هو الهواء الخــارج من الفم أو الأنف[1] ، وهو لا ينفك عن الجريان مع الأصــوات المجهــورة والمهموسة ، وإلا لم يكن هناك صوت ، وقد يكون مراد سيبويه منه ما عبَّــر به في النصوص السابقة بقوله: « هواء الصوت » ، وقد يكون مراده ما عَبَّــرَ عنه في موضع آخر بقوله: « صوت الصدر» المصاحب للأصوات المجهــورة ، الذي يأتي الحديث عنه بعد قليل ، ووقف عدد من الدارسين المحــدثين عنــد تعريف سيبويه للمجهور والمهموس ، وحاولوا استجلاء معنى إشباع الاعتماد في موضع الحرف ، ومنعه النفس أن يجري معه ، محاولين فهم ذلك في ضوء تعريف المجهور والمهموس في الدرس الصوتي الحديث[2].

ومما يسهم في معرفة تصور سيبويه لحقيقة الصوت اللغوي ، والكشف عن دلالة مصطلح الصوت والنَّفَس عنده ، الوقوف عند بعض أقواله حول ما سماه "صوت الصدر " ، تلك الأقوال التي لم تحظ بعناية العلماء من بعده ، مع أهميتها وقيمتها العلمية المتميزة .

قال سيبويه في باب الوقف: « واعلم أن من الحروف حروفاً مُــشْرَبَةً ضُغِطَتْ من مواضعها فإذا وَقَفْتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونَبَا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة ... ومن المشربة حروف إذا وقفتَ عنــدها خرج معها نحوُ النَّفْخَةِ ، ولم تُضْغَطْ ضغطَ الأولى ، وهي: الــزاي والظــاء

(١) لسان العرب ١٢٢/٨ (نفس) .

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٢٤، وعبد الصبور شاهين: في التطور اللغــوي ص ٢٣٠-٢٣٧.

والذال والضاد ، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلَّ آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذاً ، فتسمعُ نحوَ النفخة ... وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نَفْخٍ ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر ... »[1] .

والعنصر الجديد في كلام سيبويه هذا هو (صوت الصدر) ، و لم يرد في الكتاب ما يوضح مراده منه ، و لم يذكره في الكتاب إلا في هذا الموضع ، حسب استقرائي ، ولكن السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ذكر في شرح الكتاب حكاية عن سيبويه نقلها عنه تلميذه أبو الحسن الأخفش توضح المقصود بصوت الصدر، وتضع في مقابله مصطلح (صوت الفم) ، من المناسب نقل بعض الفقرات منها .

قال السيرافي: « قال أبو الحسن الأخفش: سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال: ... وإنما فرَّق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر ، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر... وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها ، وذلك مما يُزْجِي[2] الصوت ، و لم يُعْتَمَدْ عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة فأُخْرِجَ الصوتُ من الفم ضعيفاً ، والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ، ولا تصل إلى ذلك في المجهورة ، فإذا قلت: شخص فإن الذي أزجى هذه الحروف صوت الفم... »[3].

---

(١) الكتاب ١٧٤/٤- ١٧٥ .

(٢) يُقال: أزْجَيْتُ الشيءَ إزجاءً وزَجَّاهُ تَزْجِيَةً: إذا دفعه برفق (ينظر: لسان العرب ٧٣/١٩ زجا) .

(٣) شرح كتاب سيبويه ٤٦١/٦ ، ونقله: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٢١ ، وهنري فليش: العربية الفصحى ص١٩٩ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١١٤.

وإذا جمعنا ما قاله سيبويه في الكتاب إلى ما رواه السيرافي عنه في شرحه اتضحت فكرة سيبويه عن إنتاج الصوت اللغوي ، وقد تظل بعض الجوانب تحتاج إلى مزيد من البيان ، لكن الفكرة الأساسية صارت واضحة ، فمادة الصوت عند سيبويه هي الهواء ، ويدل ذلك حديثه عن هواء الصوت. ثم الأصوات بعد ذلك تنقسم على قسمين رئيسين هما:

(١) أصوات تخرج بصوت الصدر ، أو يدخلها الصوت الذي يخرج من الصدر ، وهي المجهورة ، والراجح أن سيبويه يريد بصوت الصدر النغمة الحنجرية التي تصدر من اهتزاز الوترين الصوتيين.

(٢) أصوات تخرج من مخارجها ، ويُزْجِي أصواتها صوتُ الفم ، لا صوتُ الصدر ، وهي الأصوات المهموسة.

وتنقسم المجهورة والمهموسة بعد ذلك إلى :

(١) شديدة تمنع الصوت أن يجري معها ، وذلك بحبس النَّفَس في مخارجها.

(٢) رخوة ، وهي التي لا تمنع الصوت من الجريان في المخرج.

(٣) وبين الشديدة والرخوة ، وهي التي تشبه الشديدة في حبس النَّفَس في المخرج لكن هواء الصوت يجد منفذاً من مكان آخر فيجري فيه ، وذلك في مثل الصوت المنحرف والمكرر والأنفي.

ولم تجد فكرة سيبويه عن صوت الصدر وصوت الفم صدى في حديث علماء العربية عن المجهور والمهموس ، وأخذوا بتعريفه للمجهور الذي تحدَّث فيه عن منع النَّفَس أن يجري معه[1]. وتصرف بعض العلماء بتعريف

(١) ينظر: ابن السراج: الأصول ٤٠١/٣ ، وابن جني: سر صناعة الإعراب ٦٩/١.

سيبويه للمجهور والمهموس والشديد على نحو ما فعل المبرد في المقتضب ، فاستعمل (الصوت) في تعريف المجهور ، واستعمل النَّفَس في تعريف الشديد، عكس ما فعل سيبويه ، وذلك في قوله:

« ومن الحروف حروف تجري على النَّفَس ، وهي التي تسمَّى الرخوة.

ومنها حروف تمنع النَّفَس ، وهي التي تسمى الشديدة.

ومنها حروف إذا ردَّدها في اللسان جرى معها الصوت وهي المهموسة.

ومنها حروف إذا ردَّدها ارْتَدَعَ الصوت فيها ، وهي المجهورة» (١).

ويكاد شَمِرُ بن حَمْدَوَيْهِ الهَرَوِيُّ (ت ٢٥٥هـ) ينفرد(٢) بأخذه بفكرة سيبويه عن صوت الصدر في تعريفه للمجهور والمهموس ، فقال: « الهمس من الصوت ما لا غور له في الصدر ، وهو ما هُمِسَ في الفم... والهمس والهميس حِسُّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ولا جهارة في المنطق، لكنه كلام مهموس في الفم كالسر» (٣).

وشاع بين علماء العربية والتجويد الذين جاءوا بعد سيبويه الجزء الغامض من تعريفه للمجهور والمهموس وهو الذي يصاحبه مَنْعُ النَّفَس أو جريه ، وتلاشى الجزء الواضح منه وهو الذي يصاحبه صوت الصدر أو صوت الفم ، مما مهَّد لبروز فكرة الصوت الساذج ، واضطراب العلماء في تعريف المصطلحين بعد ذلك.

---

(١) المقتضب ١/١٩٤.

(٢) ذكره ابن جني عرضاً في سر صناعة الإعراب ١/٧٣.

(٣) لسان العرب ٨/١٣٧ (همس) ، وورد في كتاب (العين ٤/١٠) من قوله:" حس الصوت في الفم".

المبحث الثالث

تعريف الصوت وكيفية حدوثه عند الحكماء

كان للفلاسفة المسلمين مشاركة في دراسة الصوت بصفته ظاهرة طبيعية ، وكتب أبو علي بن سينا (ت٤٢٨هـ) رسالته في (أسباب حدوث الحروف) ، وكان لأبحاث هؤلاء الفلاسفة الذين سماهم بعض المؤلفين بالحكماء تأثير على تعريف الصوت والحرف عند علماء التجويد المتأخرين خاصة ، وقد يكون لهم دور في ظهور نظرية الصوت الساذج أيضاً ، ومن ثم فإنه من المفيد عرض وجهة نظرهم في الصوت وكيفية حدوثه ، مما وقفت عليه من كلامهم.

ومن أقدم ما وقفت عليه من ذلك قول أبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ) في كتابه (الموسيقى الكبير): « التصويت الإنساني يحدث بسلوك الهواء في الحُلُوقِ وقَرْعِه مُقَعَّرَاتِ أجزاء الحلوق وأجزاء سائر الأعضاء التي يسلك فيها ، مثل أجزاء الفم وأجزاء الأنف.

وهذا الهواء هو الذي يجذبه الإنسان إلى رئتيه وداخل صدره من خارج لِيُرَوِّحَ به عن القلب ، ثم يدفعه منها إذا سَخُنَ إلى الخارج.

فإذا دفع الإنسان هواء النفس إلى خارج جملة وترفق لم يحدث صوتٌ محسوس ، وإذا حصر الإنسان هذا الهواء في رئتيه وما حواليها من أسفل الحلق، وسرَّب أجزاءه إلى الخارج شيئاً شيئاً على اتصال ، وزَحَمَ به مُقَعَّرَ الحلق وصَدَمَ أجزاءه حدثت حينئذ نَغَمٌ بمنْزلة ما يحدث بسلوك الهواء في المزامير ، فإذا ضيَّق مسلكه كانت النغمة أحدَّ ، وإذا وسَّع كانت النغمة أثقل

... واستقصاء أمر الأشياء المعينة بهذه الجهات من المصوتات فليس يحتاج إليه في هذه الصناعة »[١].

وجاء في رسائل إخوان الصفا (فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات) وفيه : « فأما كيفية القوة السامعة للأصوات ، فاعلم يا أخي أن الأصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية... والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية ، فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير ناطقة[٢] ، وأما المنطقية فهي أصوات الناس ، وهي نوعان: دالة وغير دالة ، فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياح ، وبالجملة كل صوت لا هجاء له.

وأما الدالة فهي الكلام والأقاويل التي لها هجاء ، وكل هذه الأصوات إنما هي قرعٌ يحدث في الهواء من تصادم الأجرام ، وذلك أن الهواء لشدة لطافته ، وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها ، فإذا صدم جسمٌ جسماً آخر انسل ذلك الهواء من بينهما ، وتدافع وتموج إلى جميع

---

(١) كتاب الموسيقى الكبير ص ١٠٦٦، وتناول الفارابي في كتابه (الحروف) أيضاً الحديث عن إنتاج الأصوات اللغوية فقال : " وظاهر أن تلك التصويتات إنما تكون من القرع بهواء النفس بجزء أو أجزاء من حلقه ، أو بشيء من أجزاء ما فيه وباطن أنفه أو شفتيه ، فإن هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النفس ، والقارع أولاً هي القوة التي تسرب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أولاً فأولاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين ، ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء جزء من أجزاء باطن الفم ، وإلى جزء جزء من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان ، فيقرع به ذلك الجزء ، فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود ، وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم ، فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة ". (وينظر : عدنان محمد سلمان : دراسات في اللغة والنحو ص ١٥٠).

(٢) الأفصح القول : غير الناطقة .

الجهات ، وحدث من حركته شكلٌ كُرَوِيٌّ ، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزَّجَّاجُ فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجـــه ، إلى أن يسكن ويضمحل.

فمن كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات الذي له أُذُنٌ بالقرب من ذلك المكان ، فبتموج ذلك الهواء بحركته يدخل في أُذُنَيْـــهِ إلى صِـــمَاخَيْهِ في مؤخر الدماغ ، ويتموج أيضاً ذلك الهواء هناك ، فتحس عند ذلـــك القـــوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير»[(١)] .

وتحدَّث أبو علي بن سينا (٤٢٨هـ) في رسالته في (أسباب حـــدوث الحروف) عن تعريف الصوت ، وسبب حدوثه وعوامل تنوعه ، ومما قالـــه: «الفصل الأول: في سبب حدوث الصوت: تقديري أن السبب القريب للصوت تَمَوُّجُ الهواء دفعةً بسرعة وقوة من أي سبب كان ... أما في القرع فباضـــطرار أن الهواء إذا صار منضغطاً من القارع وقد وَجَدَ مَخْلَصاً في تلك المسافة الـــتي يجري فيها القارع بقوة وسرعة ، وأما في القلع فباضطرار القالع الهـــواء الـــذي يدفعه من المكان الذي يخلو من الهواء من القالع ، وفي كليهما يلزم انقياد الهواء البعيد التموج وشكل القالع في ذلك المكان ، ويكون الانبساط في القرعي أكثر منه ، وفي القلعي أقل ، ثم يصل ذلك التموج إلى الهواء الساكن في الصِّمَاخِ إلى ذلك العصب المفروش في سطحه»[(٢)].

وقال أيضاً: « الفصل الثاني: في سبب حدوث الحروف: أمـــا نَفْـــسُ التموج فإنه يفصل الصوت ، وأما حال التموج في نَفْسِهِ من اتـــصال أجزائـــه

---

(١) رسائل إخوان الصفا ١/١٨٨-١٨٩.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٣٠-٣١ ، وينظر: ص٥.

وتلمسها أو تشظيها وتشذبها فيفعل الحدة والثقل ، أما الحدة فيفعلها الأولان، وأما الثقل فيفعله الثانيان ، وأما حال التموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف.

والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع» [1].

ويتراءى في كلام ابن سينا تمييزه بين الصوت والحرف ، فالتموج يفعل الصوت ، والهيئات التي يستفيدها التموج من المخارج والمحابس في مسلكه يفعل الحرف ، ومن ثَمَّ عَرَّفَ الحرف بأنه: هيئة عارضة للصوت . ويبدو أن فكرة ابن سينا هذه في التمييز بين الصوت والحرف جعلت الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) يتساءل عن الحرف « هل هو نفس الصوت أو هيئة موجودة في الصوت مغايرة له» [2]. ومن التفريق بين الحرف والصوت جاءت فكرة الصوت الساذج ، فيما يترجح عندي ، على نحو ما سنتحدث عن ذلك في المبحث اللاحق ، إن شاء الله .

وتحدَّث الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في مقدمات تفسيره الكبير عن الحرف والصوت ، ومما قاله في ذلك: « ولاشك أن حدوث الصوت في الحيوان إنما كان بسبب خروج النَّفَس من الصدر ... وأيضاً لاشك أن هذه الحروف إنما تتولد عند تقطيع الصوت ، وهي مخارج مخصوصة في الحلق واللسان والأسنان والشفتين » [3] .

---

(١) المصدر نفسه ص ٧ ، وينظر: ص٣٢.

(٢) التفسير الكبير ٢١/١.

(٣) التفسير الكبير ٢١/١-٢٢ .

وتحدَّث في موضع آخر عن تعريف الصوت وسبب حدوثه ، وعن تعريف الحرف وعلاقته بالصوت ، فقال: « ذكر الرئيس أبو علي بن سينا في تعريف الصوت أنه كيفية تحدث عن تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع، وأقول: إن ماهية الصوت مدركة بحس السمع ، وليس في الوجود شيء أظهر من المحسوس حتى يُعَرَّفَ بالمحسوس به ، بل هذا الذي ذكره إن كان ولابد فهو إشارة إلى سبب حدوثه لا إلى تعريف ماهيته »[1] .

ثم قال الرازي: « قيل سببه القريب تَمَوُّجُ الهواء ، ولا نعني بالتموج حركة انتقالية من مبدأ واحد بعينه إلى منتهى واحد بعينه ، بل حالة شبيهة بتموج الهواء ، فإنه يحدث شيئاً فشيئاً لصدم بعد صدم ، وسكون بعد سكون، وأما سبب التموج فإمساس عنيف ، وهو القرع ، أو تفريق عنيف وهو القلع "، ثم نَقَلَ الرازي تعريف ابن سينا للحرف بقوله: " قال الشيخ الرئيس في حد الحرف: إنه هيئة عارضة للصوت ، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الخفة والثقل تميزاً في المسموع »[2].

ونقل بعض علماء السلف عبارات هؤلاء الفلاسفة عن تعريف الصوت وسبب حدوثه ، فقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): « الصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين ، وذلك ضربان: صوتٌ مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد ، وتنفس بصوت ما ، والمتنفس ضربان: غير اختياري كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات ، واختياري كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان: ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه ، وضرب بالفم ،

---

(١) المصدر نفسه ٣٥/١ .

(٢) المصدر نفسه .

والذي بالفم ضربان: نطق وغير نطق ، وغير النطق كصوت الناي ، والنطق منه إما مفرد من الكلام ، وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام »[١].

وتسربت عبارات الفلاسفة في تعريف الصوت إلى بعض شروح المقدمة الجزرية وجرى جدل في ذلك ، فقال التاذفي (ت٩٧١هـ): « والصوت هواء متموج بتصادم جسمين ، كما ذكره الجعبري (ت٧٣٢هـ) في شرح الشاطبية ، وجزم به ابن الناظم (ت٨٣٥هـ)[٢]، وفي شرح حاشية العقائد النسفية لشيخ الإسلام كمال الدين ابن أبي شريف (ت٩٠٥هـ)[٣]: إن مطلق الصوت عندنا كيفية تحدث بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير لتموج الهواء والقلع والقرع خلافاً للحكماء في زعمهم أنه كيفية في الهواء بسبب التموج المعلول للقرع الذي هو إمساس بعنف ، أو القلع الذي هو انفصال بعنف ، بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع ، فعلى كلا المذهبين لا يكون الصوت هواء أصلاً ، وقول القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في (لطائف الإشارات)[٤]: إن الصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدافعة ، فيتموج فيصدم الهواء الساكن فيحدث الصوت من قرع الهواء المندفع من الرئة ،إشارةٌ إلى تعريف الصوت الخارج من الفم على رأي الحكماء ، لا مطلق الصوت»[٥].

وغيرهم تعريف الصوت وسبب حدوثه وكيفية سماعه عن كتب

(١) المفردات ص٢٩١-٢٩٢ .

(٢) ينظر: أبو بكر أحمد بن الجزري: الحواشي المفهمة ص٥١ .

(٣) محمد بن أبي شريف القدسي ، واسم الحاشية: الفرائد في حل شرح العقائد (ينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١١٤٨/٢) .

(٤) لطائف الإشارات ١٨٣/١ .

(٥) الفوائد السرية ٨ظ ، وينظر: الفضالي: الدرة المضية ص٤٩.

الحكماء والفلاسفة القدماء أو من كتب الفيزياء المعاصرة ، فإن ذلك مما يساعد على فهم ظواهر النطق على نحو أقرب إلى الحقيقية ، لكن الإشكال في أن تتسرب بعض المفاهيم غير الدقيقة إلى كتب علماء العربية أو التجويد فتشوش على طريقة فهمهم للأصوات اللغوية ، وتفسيرهم لظواهر النطق ، على نحو ما حصل في تعريف الحرف ، وأثر ما سماه البعض بالصوت الساذج في ذلك ، وهو ما نلمح الإيحاء به من تعريف ابن سينا للحرف بأنه هيئة عارضة للصوت.

وإذا كان الفلاسفة والحكماء قد تحدَّثوا عن تعريف الصوت وبينوا أسباب تنوعه واختلافه بمعارف عصرهم فإن نقل عباراتهم كما هي في كتب علم التجويد أو علم الأصوات اللغوية في زماننا لإيضاح عملية التصويت أمر يفتقر إلى الدقة العلمية ، وقد يؤدي إلى ترسيخ مفاهيم غير صحيحة ، وذلك لقصور عباراتهم عن كشف جميع تفاصيل عملية التصويت كما أدركها الباحثون في زماننا ، ومن ثم يلزم الرجوع إلى الكتب الحديثة المؤلفة في الفيزياء والتشريح لتوضيح أجزاء الآلة المصوتة وعملها ، وبيان كيفية حدوث الصوت فيها.

ولاشك في أنَّ من لجأ من علماء العربية والتجويد الأوائل إلى كتب الحكماء في تعريف الصوت لم يجانب المنهج الصحيح ، لكن ذلك أدَّى بهم إلى تبني بعض التصورات غير الدقيقة مثل فكرة الصوت الساذج التي سنتحدث عن ظهورها وآثارها في المباحث الآتية ، إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع
ظهورُ فكرةِ الصَّوْتِ السَّاذَجِ

أخذت تتسلل إلى بعض كتب اللغة العربية في القرن الرابع الهجري وما بعده المعارف اللغوية التي يتداولها الفلاسفة وأهل المنطق ، وبرزت في كتابات ابن جني وأسهمت في تشكيل نظريته في تعريف الصوت والحرف ، والتي أخذها عنه بعض علماء العربية وعلماء التجويد.

عقد ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) مبحثاً لتعريف الصوت والحرف ، لخص فيه نظريته في كيفية إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها واختلاف جروسها ، فقال:

« اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيُسَمَّى المقطعُ أينما عَرَضَ له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ، ألا ترى أنك تَبْتَدِئُ الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فإن انتقلت عنه راجعاً منه ، أو متجاوزاً لـه ، ثم قطعت ، أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى الأول ، وذلك نحو الكاف ، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما ، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره ، وإن جزت إلى الجيم سمعت غيرَ ذَيْنِكَ الأَوَّلَيْنِ»[1].

---

(١) سر صناعة الإعراب ص٦.

وأنت تلاحظ أن ابن جني يتصور أن الصوت يبتدئ من أقصى الحلق، ثم يخرج مع النَّفَس ، ويتعرض هذا الصوت للاعتراض في تجاويف آلة النطق فتتشكل منه الحروف ، وسمَّى مواضع الاعتراض مقاطع ، وهي في الواقع مخارج الحروف[1].

ويلتقي تعريف ابن جني للصوت والحرف بتعريف ابن سينا لهما ، ويتلخص في أن الصوت: « كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع» ، وأن الحروف « هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر»، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق ، لكن ابن جني زاد الأمر إيضاحاً وتفصيلاً فكشف عن نظرية الصوت الساذج حين شبَّه الصوت اللغوي بالصوت الصادر من الناي.

قال ابن جني: « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها ، التي هي أسبابُ تَبَايُنِ أصدائها ، ما[2] شبَّهَ بعضهم الحلق والفم بالنَّايِ[3] ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملسَ ساذَجاً، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، وراوح بين أنامله ، اختلفت الأصوات ، وسُمِعَ لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتمادٍ على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

---

(١) ينظر: هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب (بحث في مجلة) ص ٥٨.

(٢) ما: زائدة للتأكيد.

(٣) قال الفارابي في كتابه الموسيقى الكبير (ص١٠٦٦): "فإن الحلوق كأنها مزامير طبيعية ، والمزامير كأنها حلوق صناعية".

ونظير ذلك أيضاً وَتَرُ العود... وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب ، وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق ، ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات والنَّغَم» (١).

وعلى الرغم من دقة التحليل لدى ابن جني ، وجمال التشبيه ، إلا أن هناك خللاً في تصوره للصوت والحرف ، لأنه يتصوَّر أن هناك مصدراً لإنتاج الصوت الساذج(٢) الذي يشبه صوت الألف ، موضعه أقصى الحلق ، وأن ذلك الصوت يحمله النَّفَس إلى التجاويف العليا لآلة النطق فتتقاطعه ، وينتج من كل مقطع حرف من حروف اللغة.

وقد يكون ابن جني يقصد بالصوت الساذج النغمة الحنجرية التي تنتج من اهتزاز الوترين وتصاحب نطق الأصوات المجهورة وسماها سيبويه بصوت الصدر ، وهو أمر محتمل ، لكننا نجده يتحدث عن الصوت الساذج في إنتاج صوت الكاف ، وهو صوت مهموس لا دور للوترين الصوتيين في نطقه ، ولا وجود للنغمة الحنجرية معه ، وصوته يتكون في مخرجه شأنه كل الأصوات المهموسة.

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٩-١٠.

(٢) السَّاذَجُ : فارسي معرَّب (الجواليقي: المعرب ص٢٤٦) ، وقيل: هو معرَّب ساذه ، والساذج: الخالص غير المشوب ، وفي اللسان: حجة ساذِجة وساذَجة ، بكسر الذال وفتحها: غير بالغة ، وقال ابن سيده: وأراها غير عربية ، وإنما يستعملها أهل الكلام في ما ليس ببرهان قاطع (ينظر: لسان العرب ٣/١٢١ سذج ، وتاج العروس ٦/٣٣).

ونقل عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) فكرة ابن جني في الصوت والحرف ملخصة في كتابه الموضح ، فقال: « الألفاظ بأسرها إنما تتركب من حروف وحركات وسكون ، وهذه الأشياء الثلاثةُ لكلِّ منطوقٍ به كالمادة ، عنها يأتلف ومنها ينشأ ، فالحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النَّفَس ممتداً مستطيلاً ، فتمنعه عن اتصاله بغايته ، فحيث ما عرض ذلك المقطع سُمِّيَ حرفاً ، وسُمِّيَ ما يُسَامتُهُ ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً ، ولذلك اختلف الصوت باختلاف المخارج والصفات...»[١].

وعَرَضَ أبو محمد الحسن بن علي العمانيُّ في كتابه (الأوسط في علم القراءات) الذي أَلَّفَهُ سنة ٤١٣هـ[٢] لتعريف الحرف والصوت ، وشرح الفكرة التي ذكرها ابن جني ، ولم يصرِّح العمانيُّ بالمصدر الذي اعتمد عليه ، واكتفى بعبارة" قال بعضهم" ، و" بعضهم يُشَبِّهُ" ، وقد يكون هذا البعض ابن جني وقد يكون مصدراً أقدم نقل كلاهما منه ، وأجد من المفيد نقل نص كلام العماني لما فيه من الإضافات المفيدة في التفريق بين الحرف والصوت وبيان دلالة كل منهما عنده.

قال العماني: « اعلم أن الكلام مبنيٌّ من الحروف ، والحرف مُوَلَّدٌ من الصوت ، فأول ما يجبُ علينا تبيينهُ والكشف عنه هو الصوتُ.

(١) الموضح ص٨٧.

(٢) الكتاب الأوسط ص٦٢.

قال بعضهم: الصوتُ عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً حتى يَعْرِضَ له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ [تثنيه][٣] عن امتداده واستطالته، فَيُسَمَّى المقطعُ أينما عَرَض له حرفاً، فهذا قد جَمَعَ بين الصوت والحرف، وحَدَّهما حَدًّا لا يخرجان عنه، فأتى باستيفاء المعنى وحُسْنِ العبارة، غير أنه لا يدرك إلا بالتأمل. وأنا أُبيِّنُهُ بياناً لا يخرج الفهمُ عنه، إن شاء الله.

اعلم أن الصوت مَنْشَؤُه الصدر، وهو نَفَسٌ يرتفع إلى الحلق، فيستطيل ويمتد حتى يحصرَهُ بعض المقاطع، فينحصرُ هناك، فإذا حَصَرَه مقطعٌ تولَّد منه حرف، فأنت إذا أطلعت النَّفَس من صدرك، ثم ثَنَاه حيِّزٌ سمعتَ له جَرْساً، فإن انتقلت منه إلى حيِّز آخر سمعت جَرْساً آخر، فالصوت هو الذي يستطيل، والمقطع الذي يثنيه عن الامتداد وهو الحرف.

وبعضهم يُشَبِّهُ الحلقَ والفمَ بالناي، فإن الصوت يخرج فيه ساذجاً أمْلَسَ، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً، فإذا وضع الزامرُ أنامله على خروق الناي المشقوقة اختلفت الأصوات، وسُمِعَ لكل خَرْقٍ منها صوتٌ لا يُشْبِهُ صاحبه، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهاتٍ مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصواتَ مختلفة الأجراس»[١].

وشرح رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٦٨هـ) نظرية الصوت الساذج بأوفى من ذلك، حيث قال: « لأن الصوت الساذج هو محل الحروف، والحروف هيئة عارضة له، غير مخالف بعضه بعضاً في الحقيقة، بل إنما تختلف بالجهارة واللين والغلظ والرقة، ولا أثر لمثلها في اختلاف الحروف، لأن

---

(٣) زيادة من سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦.

(١) الكتاب الأوسط ص ٧٦-٧٧.

الحرف الواحد قد يكون مجهوراً وخفياً ، فإذا كان ساذَجُ الصوتِ الذي هو مادَّةُ الحرفِ ليس بأنواع مختلفة ، فلولا اختلاف أوضاع آلة الحروف ، وأعني بآلتها مواضع تكونها في اللسان والحلق والسِّنِّ والنِّطْعِ والشفة ، وهي المسماة بالمخارج ، لم تختلف الحروف»[1]، وكلام الاستراباذي عن الصوت الساذج واضح ، ويدل على أن من أخذ بهذه النظرية يعتقد أن الحروف تتشكل من الصوت الساذج الذي يصدر من أقصى الحلق ، وأن النَّفَس يحمله خلال تجاويف آلة النطق كما صرَّح الاستراباذي نفسه بذلك في قوله: « لأن النَّفَس الخارج من الصدر ، وهو مركب الصوت ، يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف»[2].

ونقل بعض شرَّاح الجزرية فكرة الصوت الساذج ، لكنه جعله خاصاً بالحيوان غير الآدمي ، وأن أصوات البشر تُشَبَّهُ به ، فقال عمر بن إبراهيم المسعدي (ت ١٠١٧هـ) وهو يتحدث عن حروف المد الثلاثة : « وهذه الثلاثة بالصوت الساذج أشبه ، لكنها تتميَّزُ عنه بتَصَعُّدِ الألف ، وتَسَفُّلِ الياء، واعتراض الواو ، والصوت الساذج هو العاري عن الحركات والسكنات ، ويكون في الحيوان غير الآدمي... »[3]، وأحسب أن تخصيص المسعدي له بالحيوان غير الآدمي محض اجتهاد ، وكلام ابن جني والاستراباذي صريح بنسبته لحلوق البشر.

---

(١) شرح الشافية ٣/٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه ٣/٢٥٩.

(٣) الفوائد المسعدية ص٣٢.

و لم يرد مصطلح الصوت الساذج في معظم كتب علم التجويد ، لكن ظهرت فيها آثار الفكرة التي يشير إليها هذا المصطلح ، وهي أن حروف اللغة تمر بمرحلتين ، الأولى: مرحلة الصوت الساذج ، والتي لم يبين القائلون بها مصدر هذا الصوت ، سوى أنهم قالوا إنه يخرج من أقصى الحلق ، وقال عمر ابن إبراهيم المسعدي: « .. مادة الصوت ، وهي الهواء الخارج من الجوف الحاصل بتموج الرئة» (١).

والمرحلة الثانية: هي مرحلة تَشَكُّلِ الصوت الساذج حروفاً ، حين تعترض آلة النطق ذلك الصوت.

ويبدو لي أن عدم انكشاف الوترين الصوتيين للنظر ، وعدم وضوح دورهما في إنتاج الأصوات اللغوية لدى علماء العربية والتجويد المتقدمين قد مَهَّدَ لقبولهم فكرة الصوت الساذج الذي يصدر من أقصى الحلق وتقوم أعضاء آلة النطق بتقطيعه حروفاً ، وإذا كان المقصود بالصوت الساذج النغمة الحنجرية التي تصدر من اهتزاز الوترين الصوتيين التي تصاحب نطق الأصوات المجهورة ، فإن ذلك أمر صحيح ومقبول ، لكن القائلين بفكرة الصوت الساذج والآخذين بها في تفسير عملية التصويت يعدون الصوت الساذج المادة الخام لجميع الأصوات المجهورة والمهموسة ، وهو ما لا يستقيم مع حقيقة أن الأصوات المهموسة تتكون في مواضعها ويصدر صوتها من مخارجها.

ولا يخفى على القارئ أن مفهوم الصوت الساذج يقرب من مفهوم (صوت الصدر) الذي قال به سيبويه ، لكن سيبويه جعل معه (صوت الفم)

(١) الفوائد المسعدية ص٣٤.

الذي فسَّر به حصول الأصوات المهموسة ، ومن ثم فإن فكرة سيبويه أقـــرب إلى الصواب ، أو هي الحقيقية بعينها ، لكن علماء التجويد خاصة المتأخرين منهم تأثروا بفكرة الصوت الساذج في تعريف الحرف والصوت، وأغفلوا ما قاله سيبويه عن صوت الصدر وصوت الفم ، على نحو ما سنوضح في المبحث الآتي.

المبحث الخامس

أثر فكرة الصوت الساذج على علماء التجويد

كان جُلُّ اهتمام علماء التجويد المتقدمين منصبّاً على المسائل العملية في النطق وبيان ما يُسَهِّلُ تطبيق الأحكام وضبط الأداء ، أما المسائل النظريـــة والتعريفات والتعليلات العقلية فكان اهتمامهم بها محدوداً ، لكن المتـــأخرين وَسَّعُوا دائرة اهتمامهم ، واستفادوا مما دوَّنه الفلاسفة في تعريـــف الـــصوت وأسباب تنوعه ، وأطال بعضهم الوقوف عند ظاهرة الصوت ، وكان يحـــول بينهم وبين بلوغ نهاية الشوط في إدراك حقيقة الصوت الإنساني أمران :

الأول: عدم معرفة دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات .

والثاني: التراث النظري الذي ورثوه عن سابقيهم وفيه ما هو مفيد ، وفيه ما هو معيق عن إدراك الحقيقة.

وإذا كان لعلماء التجويد في العصور السابقة عذرهم في أنهم بـــذلوا جهدهم في فهم الحقائق العلمية المتعلقة بالصوت في ضوء معارف عصرهم ، فإن المؤلفين في العصر الحديث في علم التجويد لم ينتفعوا بما كشفه التقـــدم العلمي في ما يتعلق بدور الوترين الصوتيين في إنتاج الصوت ، وفي ما يتعلق

بإدراك حقيقة الصوت وكيفية تنوعه . فبقيت آثار نظرية الصوت الساذج تتراءى في كتاباتهم ، وظلَّ الغموض المترتب على عدم إدراك دور الوترين في إنتاج الصوت مهيمناً على عباراتهم ، ويترتب على ذلك آثار سلبية على استيعاب المتعلمين لقواعد هذا العلم الشريف وفهم أحكامه .

(١) موقف علماء التجويد المتقدمين

إن المؤلفات الجامعة في علم التجويد ظهرت في القرن الخامس الهجري، وأشهر ما وصلنا من تلك المؤلفات: كتاب (الرعاية) لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) ، وكتاب (التحديد) لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) وكتاب (الموضح) لعبد الوهاب القرطبي (٤٦٢هـ) ، وسوف أتتبع أقوالهم المتعلقة بإنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها في هذه الكتب الثلاثة .

خصَّص مكي في أول كتاب (الرعاية) عدداً من الأبواب تحدَّث فيها عن فضل القرآن وفضل قراءته وآداب القارئ والمقرئ ، ثم انتقل للحديث عن الحروف التي يؤلَّفُ منها الكلام ، وعلَّل تسمية كل منها حرفاً بقوله: «وإنما سُمِّيَ كل واحد من هذه التسعة والعشرين على اختلاف ألفاظها حرفاً لأنه طرف للكلمة كلها ، طرفٌ في أوَّلها وطرفٌ في آخرها ، وطرفُ كلِّ شيءٍ حَرْفُهُ من أوله ومن آخره» [١].

وتحدَّث عن المتحرك والساكن وأحوالهما ، ثم أطال في الحديث عن صفات الحروف وألقابها ، فذكر أربعة وأربعين لقباً ، قال في آخر الحديث

(١) الرعاية ص٩٣.

عنها: « فاعرف هذه الصفات والألقاب ، واختلاف معانيها وأحكامها وطباعها ، فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها وأحكامها وطباعها التي خلقها الله – جلَّ ذكره- عليها ، ما فُهِمَ الكلام ولا عُلِمَ معنى الخطاب ، ولكانت الأصوات ممتدة لا تُفْهَمُ ، من مخرج واحد ، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم... قال[أبو عثمان المازني ت٢٤٨هـ]:ولو كانت المخارج واحدة ، والصفات واحدة ، لكان الكلام بمنْزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد ، وصفة واحدة لا تُفهم... » [١].

ولا يبدو في كلام مكي هذا أي أثر لفكرة الصوت الساذج ، على الرغم من حديثه عن أصوات البهائم التي تأتي على صفة واحدة ، والتصور العام لإنتاج الأصوات اللغوية في هذا النص لا يتعارض مع ما هو مقرر في علم الأصوات في زماننا ، على الرغم من حاجته إلى الوضوح والتفصيل.

ولم يخرج مكي في تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، عما قرَّره سيبويه من قبل ، فقد حافظ على عباراته ومصطلحاته ، فقال في تعريف المجهور: «حرفٌ قَوِيٌّ يَمْنَعُ النَّفَس أن يَجْرِيَ معه» ، وعرَّف المهموس بقوله: « حَرْفٌ جَرَى مَعَ النَّفَسَ» [٢]. وعرَّف الشديد بأنه: « مَنَعَ الصَّوْتَ أن يجريَ معه» [٣]، وقال عن الصوت الرخو: « جرى معه الصوت » ، وأضاف: « ألا ترى أنك تقول(الس) ، (الش) فيجري النَّفَس والصوت معهما» [٤].

---

(١) الرعاية ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) الرعاية ص ١٦-١٧.

(٣) الرعاية ص ١١٧.

(٤) الرعاية ص ١١٩.

وإذا كان تأثير فكرة الصوت الساذج غير واضحة في كلام مكي في الرعاية فإن تأثير عدم إدراك دور الوترين في إنتاج الأصوات يبدو واضحاً من خلال احتفاظه بعبارات سيبويه ، ومن خلال الجمع بين (النَّفَس والصوت) في تعريف الصوت الرخو.

وورد في كلام مكي عن وصف الهمزة بالجَرْسي قوله:« سُمِّيَت بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها... والجَرْسُ في اللغة الصوت ، فكأنه الحرفُ الصوتيُّ ، أي المصوَّتُ به عند النطق ، وكل الحروف يصوَّتُ بها عند النطق بها ، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك»[1].

وقول مكي: « وكل الحروف يصوَّت بها" قد يشير إلى اعتقاده أن كل صوت إنما يتكون في مخرجه ، لا أن الصوت الساذج يخرج من أقصى الحلق ثم يُشَكِّلُهُ حرفاً اقتطاعه في مخرج ، كما يقول أصحاب هذه النظرية.

وكان أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) أكثر اقتصاداً من مكي في الحديث عن عملية التصويت ، واكتفى بالحديث عن تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، ولم يخرج في ذلك عن عبارات سيبويه ومصطلحاته ، فقال:" فالمهموسة عشرة أحرف... ومعنى المهموس أنه حرف أُضعف الاعتماد في موضعه ، فجَرَى معه النَّفَس ، والمجهورة هي ما عدا المهموسة ... ومعنى المجهورة أنه حرف قَوِيَ الاعتماد في موضعه فمنعَ النَّفَس أن يجريَ معه»[2].

(١) الرعاية ص ١٣٣.

(٢) التحديد ص ١٠٥- ١٠٦.

وقال أيضاً: « والشديد ثمانية أحرف... ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه ، حتى منع الصوت أن يجريَ معه... وأما الرخوة فثلاثة عشر حرفاً... ومعنى الرخو أنك إذا قلت: الظش والغض أجريت فيه الصوت إن شئت».

ولَخَّص عبد الوهاب القرطبي (٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح) الأفكار التي تضمنتها المصادر التي اعتمد عليها ، وفي مقدمتها كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني ، والرعاية لمكي ، والتحديد للداني ، ويتضح ذلك في ما كتبه عن عملية التصويت ، فتأثر بنظرية الصوت الساذج ، ولخص ما قاله ابن جني حولها[١]، وسبق نقل كلامه في المبحث الخاص بها.

وحافظ عبد الوهاب القرطبي على تعريف سيبويه للصوت المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، واستعمل في تعريف الأوَّلَيْنِ مصطلح مَنْعِ النَّفَسِ وجَرْيِهِ ، ومع الأخيرين مَنْعِ الصوت وجَرْيِهِ ، وهو عين ما قاله سيبويه من قبل[٢].

ولم يخرج علماء التجويد في القرون اللاحقة للقرن الخامس عما تقرَّر في المصادر الأولى لعلم التجويد ، في تعريف المجهور والمهموس والشديد والرخو ، مع عدم وجود أثر واضح لنظرية الصوت الساذج فيها[٣].

(١) الموضح ص ٧١.

(٢) الموضح ص ٨٨-٨٩.

(٣) ينظر: العطار: التمهيد ص ٢٨٠ ، والمرادي : المفيد ص ٤٨ ، وابن الجزري: التمهيد ص٩٧-٩٨.

(٢) موقف علماء التجويد المتأخرين

ليس هناك مقياس ثابت لتمييز المتأخرين من المتقدمين ، فكل من سبقنا فهو متقدِّم علينا ، والعرف هو الذي يحدد ذلك ، وأقصد بالمتأخرين في هذا المقام من عاش بعد عصر ابن الجزري من علماء التجويد ، والذي يُسَوِّغُ مثل هذا التحديد أن دراسة علم التجويد اتخذت منحى جديداً بعد ابن الجزري يتلخص في أمرين :

الأول: أن أكثر المؤلفات التي كُتِبَتْ بعد ابن الجزري في علم التجويد كانت شرحاً لمنظومته : «المقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه».

الثاني: أن كتابات العلماء في هذه الحقبة اتسمت بالتدقيق والتفصيل من خلال شرح ألفاظ المقدمة ، أو من خلال معالجة المسائل التي أثارها شرَّاحها.

وقد يطول الحديث إذا قصدنا تتبع ما قاله كل شارح أو مؤلِّف من هذه الحقبة ، حول عملية التصويت ، ومن ثم فإني سوف أقتصر على عرض وجهة نظر عدد من العلماء الذين يعكسون تصور أهل زمانهم حول الموضوع، مع التركيز على بعض الأفكار التي أبدعتها كتابات بعضهم ، ومحاولتهم كشف القناع عن الحقائق المتعلقة بإنتاج الصوت اللغوي وعوامل تنوعه.

وسوف أعرض وجهة نظر ابن الناظم أبي بكر أحمد بن الجزري (ت٨٣٥هـ) ، وهو أول من شرح المقدمة الجزرية ، وكان لشرحه تأثير مستمر على الشرَّاحِ اللاحقين والمؤلفين الآخرين في علم التجويد ، ثم أعرض نصّاً نادراً يُصَوِّرُ عملية التصويت صاغه عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير

بطاش كبري زاده(ت ٩٦٨هـ) في شرحه على المقدمة ، وأختم المبحث بعرض وجهة نظر خاتمة المحققين محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب ساجقلي زاده (ت١١٥٠هـ) الذي كان ذا فكر صوتي رائد لم يَحُلْ بينه وبين بلوغ الحقيقة الكاملة لعملية التصويت إلا تداعيات الصوت الساذج ، وغموض دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات اللغوية.

١. قول ابن الناظم:

أبدأ بعرض ما قاله ابن الناظم ، وكلامه موزَّع في أكثر من مكان ، وسوف أنقل ما له علاقة بعملية التصويت ، وتعريف الحرف والصوت ، وهو يتعلق بثلاث قضايا :

الأولى: تعريف الحرف والصوت ، قال: « المخارج: جمع مخرج ، اسم لموضع الخروج ، وهو عبارة عن الحيِّز المولد للحرف.

والحروف: جمع حرف ، ويريد حروف الهجاء لا حرف المعنى ، وسُمِّيَ بذلك لأنه غاية الطرف وغاية كل شيء حرفه ، أي طرفه.

ومادتُهُ: الصوتُ، وحَدُّه:هواء متموِّجٌ بتصادم جسمين،ومن ثَمَّ عمَّ به.

والحرفُ صوتٌ معتمدٌ على مقطعٍ محقَّقٍ أو مقدَّرٍ ، ويختص بالإنسان وضعاً ، والحركة عَرَضٌ تَحُلُّهُ» [(١)].

والثانية: مخرج حروف المد ، قال: « ويقال لهذه الثلاثة: حروف المد واللين ، وحروف العلة ، والجوفية والهوائية ، لأن مخرجهن من جوف الفم

(١) الحواشي المفهمة ص ٥١.

والحلق ، وهو الخلاء ، وليس لهنَّ حيِّزٌ ، ولذلك أشار بقوله: (للهواء تنتهي)، **وهُنَّ بالصوت أشبه** ، ويتميزن عنه بتصعد الألف ، وتسفل الياء ، واعتراض الواو» [٢].

والثالثة: تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، قال: «وسُمِّيَتْ هذه الحروف مهموسة لجريان النَّفَس فيها...

وسميت هذه الحروف مجهورة لمنع النفس أن يجري معها...

وسميت شديدة لمنعها الصوت أن يجري معها...

والرخاوة في اللغة اللين، وسميت بذلك لجري النَّفَس معها والصوت»[١].

وقال ابن الناظم في توضيح الأصوات المتوسطة: « والحروف التي بين الرخوة والشديدة خمسة ، يجمعها قولك: (لِنْ عُمَر) ، وهي: اللام والنون ، والعين ، والميم ، والراء . وإنما سُمِّيَت أو وُصِفَت بذلك لأن الرخوة إذا نُطِقَ بها في نحو: اجلسْ وافرشْ جرى معها النَّفَس والصوت ، والشديدة إذا نُطِقَ بها في نحو: اضربْ واقعدْ انحبس الصوت والنَّفَس معها ، و لم يجريا ، والتي بين الرخوة والشديدة إذا نُطِقَ بها في نحو: انْعَمْ واعْمَلْ لم يجر الصوت والنفس معهما جريانهما مع الرخوة ، و لم ينحبس انحباسهما مع الشديدة » [٢].

ويمكن لمح أثر نظرية الصوت الساذج في كلام ابن الناظم في تعريفه للحرف بقوله: صوت معتمد على مقطع محقق أو مقدر ، وكذلك في قوله

---

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢.

(١) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص٥٩ .

عن حروف المد: «وهن بالصوت أشبه» ، وهو يريد بذلك الصوت الساذج، وقد جاءت العبارة لدى المسعدي:« وهذه الثلاثة بالصوت الساذج أشبه» [٣].

وكذلك يمكن لمح أثر غموض دور الوترين في إنتاج الأصوات ما حصل من تداخل في تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، وقد سبقت الإشارة إلى أن سيبويه استعمل مصطلح (النَّفَس) مع المجهور والمهموس ، ومصطلح (الصوت) مع الشديد والرخو ، وحافظ علماء العربية على هذا التقليد ، وتابعهم كثير من علماء التجويد ، لكن بوادر التداخل بينهما بدأت تظهر ، فقال مكي: « ألا ترى أنك تقول: السّ ، الشّ ، فيجري النفس والصوت معهما» [١]، وهو ما نقله ابن الناظم عنه.

وقد تابع كثير من شرَّاح المقدمة الجزرية وغيرهم من المتأخرين ابن الناظم في ما سَطَّرَهُ في شرحه للمقدمة عن الحرف والصوت ، وعن تعريف المجهور والمهموس والشديد[٢].

٢. قول طاش كبري زاده:

وتابع طاش كبري زاده (ت ٩٨٦هـ) ابن الناظم في جميع ما قاله عن الحرف والصوت وتعريف المجهور والشديد[٣]، لكنه أتى بقول متميِّز في وصف عملية التصويت لم أجده بنصه عند أحد ممن كان قبله ، ونقله عنه

(٣) الفوائد المسعدية ص٣٢ .

(١) الرعاية ص ١١٩.

(٢) ينظر: المزي: الفصول المؤيدة ص ٥٥-٥٦ ، وزكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة ص ١٩ ، وعلي القاري: المنح الفكرية ص٨ ، والبرلوي: الدر النضيد ص ٢٤و٤٥.

(٣) ينظر: شرح المقدمة الجزرية ص ٦٨و٨٧.

بعض من جاء بعده(٤)، وذلك قوله: « **فائدة مهمة:** اعلم أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يُسَمَّى نَفَساً بفتح الفاء ، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموُّج بتصادم جسمين يُسَمَّى صوتاً ، وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب آلات مخصوصة يسمى حروفاً ، وإذا عرض للحروف كيفيات أُخَرُ عارضة بسبب الآلات تُسَمَّى تلك الكيفيات صفات.

ثم إن النَّفَس الخارج الذي هو وظيفة حرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً ، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً ، وأيضاً إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تامّاً فلا يجري يسمَّى شدة ، كما في (الحج) فإنك لو وقفت على قولك: الحج ، وجدت صوتك راكداً محصوراً حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك ، وأما إذا جرى الصوت جرياناً تامّاً ولا ينحصر أصلا يسمى رخوة[كذا] ، كما في (الطش) ، فإنك إذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جارياً تمده إن شئت ، وأما إذا لم يتم الانحصار ولا الجري يكون متوسطاً بين الشدة والرخاوة ... »(١).

وهذا النص يعالج عملية التصويت بدءاً بالصوت والحرف ، وانتهاء بتعريف المصلحات الأربعة: المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، ولا يخفى على القارئ أثر نظرية الصوت الساذج على تعريف طاش كبري زاده للصوت ، فهو يجعل تحول النفس إلى حرف يمر بثلاث محطات: النَّفَس - الصوت - الحرف ، ولو أنه دمج مرحلتي الصوت والحرف في محطة واحدة

---

(٤) ينظر علي القاري: المنح الفكرية ص١٤ ، والمرعشي: جهد المقل ص١٢٣.

(١) شرح المقدمة الجزرية ص٨٩-٩٠ .

لطابق المحدثين في تصورهم لحدوث الصوت ، لكن نظرية الصوت الساذج أفسدت عليه ذلك .

وكذلك لم يتخلص طاش كبري زاده من أثر عدم وضوح دور الوترين الصوتيين في عملية التصويت في تعريفه للمجهور والمهموس ، واضطر إلى القول بأن المهموس يبقى بعضه بلا صوت ، وبعضه يجري بصوت ليتوافق مع نظرية الصوت الساذج ، ومع ذلك فإنه استطاع أن يتخلص من عقدة (النَّفَس والصوت) في تعريف المصطلحات الأربعة ، على نحو ما ترى ، وهذا إنجاز كبير حققه طاش كبري زاده ، ومهَّد الطريق للمرعشي من بعده لتدوين بعض الأفكار الجديدة في فهم عملية التصويت ، وإن لم يتخلص نهائياً من آثار النظريات السلبية السابقة .

٣. قول محمد المرعشي

استطاع محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) أن يخرج من فلك المقدمة الجزرية، في وقت كان أكثر علماء التجويد يحرصون على شرحها ، فألَّف كتابه (جهد المقل) ثم لم يلبث أن كتب عليه تعليقات بمثابة الشرح له ، وأتى في الكتابين بتحقيقات دقيقة لكثير من المسائل الصوتية ، وما يهمنا هنا هو ما كتبه عن عملية التصويت ، ومدى تأثره بالأفكار الصوتية التي كانت سائدة ، وما قَدَّمَهُ من تعديل لبعض العبارات أو التعريفات المتعلقة بذلك .

قال في كتابه (جهد المقل) معلقاً على تعريف علماء التجويد لكل من المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، محاولاً الكشف عن العلاقة بين النَّفَس والصوت: « فصل: اعلم أن مبدأ أصوات جميع الحروف عند الجهر

بالقراءة جَهْرِيٌّ ، ولو كان الحرف مهموساً ، وإن صوت الحرف وإن كان مجهوراً فهو لا يتحقق بدون النَّفَس ، لأن حقيقية الصوت هو النَّفَس المسموع، كما سبق[1].

فاحتباسُ الصوت يستلزم احتباسَ النَّفَس معه ، وجَرْيُهُ جَرْيَهُ، وإنَّ نَفَس الحروف وإن كان مهموساً فهو لا ينفك عن الصوت ، لأن حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج كما سبق.

وإنَّ نَفَسَ الحرف المجهور قليلٌ ، ونَفَسَ الحرف المهموس كثيرٌ[1]، فما ذَكَرَ أنه قد يجري النَّفَس ولا يجري الصوت كالكاف والتاء ، أي المثناة الفوقية ، معناه يجري النَّفَسُ الكثير ولا يجري الصوت القوي الذي حصل في مبدأ الحرف ، وليس المراد نفي جريان الصوت بالكلية ، أَلاَ ترى أنه ذكر أنَّ صوت الشين في (الطش) جارٍ تمدُّه إن شئت ، مع أن الشين صوت مهموس كالكاف والتاء ، وما ذكره أنه قد يجري الصوت ولا يجري النَّفَس كالضاد والغين ، يعني المعجمتين ، معناه: يجري الصوت القوي ولا يجري معه نَفَسٌ كثيرٌ ، كما يجري في المهموس ، وليس المراد نفيُ جريانِ النَّفَس بالكلية ، ألا ترى إلى ما قال البعض: إن الرخاوة جريان الصوت والنَّفَس.

---

(١) قال المرعشي (جهد المقل ص ١٢٣):" اعلم أنَّ النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعاً فهو صوت ، وإلا فلا ، والصوت إن اعتمد على مخرج محقق أو مقدر فهو حرف ، وإلاَّ فلا". ولا يخفى على القارئ أثر مقولة الصوت الساذج في كلام المرعشي هذا .

(١) قال الدكتور محمد السعران (علم اللغة ص ١٢٧):" وما هو جدير بالملاحظة أن الصوامت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من (إخراج النَّفَس) (= الزفير) أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة ، ويمكن أن نلمس هذا الفارق في قوة النفس إذا بسطنا الكف أمام الفم ، ونحن ننطق صامتاً مهموساً ، مثلوّاً بنظيره المجهور: ث ، ذ/ س ، ز... إلخ".

إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف ونَفَسَهُ إما أَنْ يَحْتَبِسَا بالكلية فيحصل صوت شديد ، وهو في الحروف الشديدة ، أو لا يحتبسا أصلاً بل يجريا جرياناً كاملاً ، وهو في الحروف الرخوة ، أو يتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجري وهو في الحروف البينية ، فهذه ثلاثة أنواع :

ففي النوع الأول: إنْ جَرَى بعد ذلك الاحتباس نَفَسٌ كثيرٌ فالحرف شديد مهموس ، وإن لم يَجْرِ فالحرف شديد مجهور.

وفي النوع الثاني: إن كان صوت الحرف جارياً كله مع نَفَسٍ قليل فالحرف رخو مجهور ، وإن كان جارياً كله مع نفس كثير فالحرف رخو مهموس...

والنوع الثالث: مجهور كله... »[1].

ويبدو أن المرعشي لم يجد تفريق العلماء قبله بين الشديد والمجهور ، والرخو والمهموس ، من خلال جري الصوت والنَّفَس وعدم جريه ، متوافقاً مع ما يُحِسُّهُ من أن الصوت لا ينفك عن النَّفَس ، فلجأ إلى قوة جري النّفس وضعفها في التفريق بينهما ، على نحو ما مرَّ في كلامه السابق ، وهي وسيلة عملية تعكس بعض خصائص هذه الأصوات ، واستطاع المرعشي أن يُعَوِّضَ عن عدم معرفته بدور الوترين الصوتيين في عملية التصويت بالآثار التي تترتب على اهتزازهما مع المجهور ، وسكونهما مع المهموس ، على نحو ما وَجَدَ سيبويه من قبل في (صوت الصدر) و(صوت الفم) وسيلة للتمييز بينهما ، فالصوت القوي المصاحب للحروف المجهورة عند المرعشي هو النغمة

(١) جهد المقل ص ١٤٥-١٤٧.

الحنجرية التي تترتب على اهتزاز الوترين الصوتيين ، عكس الحروف المهموسة التي لا يصاحب نطقها ذلك الصوت .

وزاد المرعشي في كتابه (بيان جهد المقل) هذا المقياس الجديد للتفريق بين المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، توضيحاً وتأكيداً وذلك قوله: « جَرْيُ النَّفَسِ: يعني جَرْيَ نَفَسٍ كثير ، لأن المخرج إذا ضعف الاعتماد عليه ينسلُّ النَّفَسُ كثيراً ، ويَضْعُفُ الصوت ، وإذا قوي الاعتماد لا يَنْسَلُّ النَّفَسُ كثيراً ويَقْوَى الصوت ، ثم إن المجهور الرخو يجري نفسه قليلاً مع صوته، لأن النَّفَس داخل في حقيقة الصوت ، كما سبق في التتمة[1] ، فلا ينفك جريان الصوت عن جريان النَّفَس ، فالمراد بعدم جريه في الجهر عدم جري النَّفَس الكثير ، سواء لم يجر أصلاً كما في المجهور الشديد ، أو جرى قليلاً كما في المجهور الرخو» [2].

وقال في موضع آخر من (بيان جهد المقل) : « وأما إذا كرَّرْتَ المجهور والمهموس الرخوين ، كما إذا كرَّرْتَ الذال المعجمة والسين المهملة محركتين ، لا تجد النَّفَسَ محصوراً بل جارياً في كليهما ، وذلك لأن الرخاوة جري الصوت ، وهو لا ينفك عن جري النفس ، لأن النَّفَس ركن الصوت ، لكن جري النفس في المهموس الرخو أكثر من جريه في المجهور الرخو ، فيوجد الفرق أيضاً ، لكنه لا يعرفه إلا المهرة» [3].

---

(١) ينظر: جهد المقل ص ١٢٣.

(٢) بيان جهد المقل ١٤ظ.

(٣) المصدر نفسه ١٥و.

وقال أيضاً: « لأن جريان الصوت يستلزم جريان النَّفَس ، لأن النفس داخل في حقيقة الصوت كما سبق ، لكنا قلنا بدله : مع نَفَسٍ قليل أو كثير لأجل التفصيل ، ثم إن المراد من جري الصوت هنا تمام جريه ، وعدم انحصاره أصلاً ، لا في مبدئه ولا في منتهاه ، فالمراد من احتباس الصوت والنفس في الشديدة أعم من أن يوجد بعدَ احتباسِهِمَا جَرْيُهُمَا كما في الكاف والتاء المثناة الفوقية ، أو لا يوجد كما في حروف: قطب جد ، فإن هذه الحروف وإن وُجِدَ فيها بعد احتباس صوتها صوت زائد عند فتح مخارجها ، لكن ذلك الصوت آني غير جارٍ ، وهذا غاية البيان والله الموفق»[1].

ولا يتسع المقام لتتبع كل ما قاله المرعشي عن عملية التصويت وعوامل تنوعها ، وفي ما قاله جوانب تستحق أن يوقف عندها وتسليط الضوء عليها ، ولا يعني ذلك أن كل ما قاله مسلم به ، لاسيما أن بعض رواسب نظرية الصوت الساذج لا تزال تتراءى في بعض ما كتبه ، مع عدم وضوح دور الوترين الصوتيين لديه.

لكن اعتماده لكثرة النَّفَس وقلته في التفريق بين المجهور والمهموس يدل على دقة نظره وعمق تحليله ، بعد أن أَيَّدَ الدرس الصوتي الحديث هذه الملاحظة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٣) موقف المؤلفين في علم التجويد في العصر الحديث من فكرة الصوت الساذج

(١) المصدر نفسه ١٥ظ-١٦و.

ليس هناك حدٌّ فاصل بين العصر الحديث والقديم ، لكننا يمكن أن نَعُدَّ القرنين الأخيرين ضمن العصر الحديث ، ويتصدر كتب هذه الحقبة كتاب الشيخ محمد مكي نصر (كان حيّاً ١٣٠٥هـ) المسمَّى (نهاية القول المفيد في علم التجويد) ، الذي جمع فيه مؤلفه خلاصة ما سطرَّه علماء التجويد المتأخرون ، من شرَّاح المقدمة الجزرية وغيرهم ، وذكر أنه استمد مادته من أربعة وعشرين كتاباً ، منها سبعة من شروح المقدمة[٢].

وتابع الشيخ محمد مكي نصر علماء التجويد في تفسير عملية التصويت وتعريف الصفات الصوتية ، وخصص فصلاً لبيان ما تُعْرَفُ به الصفة من همس وجهر ونحوهما ، نَقَلَ فيه قول طاش كبري زاده في إنتاج الأصوات وكيفية تنوعها[١]، ثم عرَّف المصطلحات الأربعة بالتعريف المشهور بين علماء التجويد فقال:

الجهر: انحباس جري النَّفَسِ عند النطق[٢].

والهمس: جريان النَّفَسِ عند النطق بالحرف[٣].

والشدة: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف[٤].

والرخاوة: جريان الصوت مع الحرف[٥].

---

(٢) ينظر: نهاية القول المفيد ص٣.

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٤١.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٦.

(٥) المصدر نفسه .

ونقل بعد أن فرغ من الحديث عن هذه الصفات كلام المرعـــشي في العلاقة بين هذه الصفات ودور الصوت والنفس في تحققها(٦).

وإذا كان محمد مكي نصر قد عاش في حقبة مبكـــرة مـــن العـــصر الحديث وكان يعتمد على كتب التجويد المتأخرة فإن العقود الأخـــيرة قـــد أتاحت للمؤلفين في علم التجويد مصدرين جديدين هما: الكتب الأصول لهذا العلم من مؤلفات القرن الخامس والقرون التي تلته ، وكتب علم الأصـــوات الحديث ، لكن معظم مَن كتب في علم التجويد في العقود الأخيرة لم يستفد من هذين المصدرين ، وهيمنت على كتاباتهم رواسب فكرة الصوت الساذج، وعدم وضوح دور الوترين الصوتيين في الحنجرة .

وإذا كانت الظروف التي عاش فيها علماء التجويد في العصور السابقة قد فرضت عليهم تلك الفكرة لتفسير عملية التصويت ، ولم تُتِحْ لهم معارفُ عصرهم أكثر من ذلك فإن الاستمرار في ترداد عبارات تلك الحقبة بجانب ما حصل من تقدم في فهم طبيعة الصوت والكشف عن عوامل تنوعه أمر مخالف للمنهج العلمي ، ينبغي التنبه له والعمل على تداركه.

وتنوعت المؤلفات الحديثة في علم التجويد ، وكثرت كثرة تـــصعب متابعتها والوقوف عليها ، وغلب عليها النقل من كتب القـــرون المتـــأخرة لتفسير عملية التصويت ، على الرغم مما في هذه الكتب من جوانب إيجابيـــة كثيرة علمية وتعليمية ، لكن المحافظة على عبارات الكتب القديمة في تعريـــف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، ونقل عبارات القـــدماء في التفريـــق

---

(٦) المصدر نفسه ص ٤٧-٤٩ .

بينها، يشكل عقبة في طريق المتعلمين في إدراك حقيقية الصوت وفهم صفات الأصوات على نحو يتناسب مع الحقائق العلمية التي انتهى إليها تطور علم الأصوات في العصر الحديث.

وليس من الضروري تتبع كل ما ورد في كتب علم التجويد الحديثة عن عملية التصويت وعوامل تنوع الصوت ، وسوف أكتفي بعرض ما ورد في عدد من الكتب المهمة التي ألفَّها أساتذة متخصصون ، من أصحاب الرواية ولهم باع في البحث والتعليم ، مما له علاقة بتعريف المجهور والشديد وضدهما، والفرق بين هذه الصفات.

جاء في كتاب (فن الترتيل وعلومه)(١):

١. الهمس: جريانُ النَّفَس مع الحرف عند النطق به ساكناً.
٢. الجهر: انحباس جري النَّفَس مع الحرف عند النطق به.
٣. الشدة: انحباس جري الصوت مع الحرف عند النطق به.
٤. الرخاوة جريان الصوت مع الحرف حال النطق به.
٥. والتوسط: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال احتباسه وعدم كمال جريانه.

ثم عقد المؤلف مبحثاً في (توضيح هذه الصفات الخمس (الهمس والجهر والشدة والتوسط والرخاوة) قال فيه:

« أ- مدار التعريف فيها:

(١) أحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/٥٧٩-٥٨١.

يلاحظ أن الفرق بين هذه التعريفات هو: جَرْيُ النفس أو انحباسه بالنسبة (للهمس والجهر) فالنفس الخارج من الصدر يبقى جارياً مع الهمس ، أما مع الجهر فلا يجري.

وجَرْيُ الصوت أو انحباسه بالنسبة (للشدة والرخاوة والتوسط) كذلك.

فمدار التعريف فيها هو (النَّفَس والصوت).

ومدار الجهر على انقطاع النَّفَس ، ومدار الشدة على امتناع الصوت وعدم جريانه ، فإذا امتنعا كان الحرف مجهوراً.

ب- الفرق بين النَّفس والصَّوْت:

النَّفَس: الهواء الخارج من الفم دون أن يُسْمَعَ.

والصوت هو النفس المسموع الخارج من الفم.

فالهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه فهو (نَفَس).

وإن خرج بإرادة الإنسان واحتكَّ بالحنجرة فهو صوت.

فالصوت له تموُّج وتذبذب دون النَّفَس.

ج- قوة المخرج وضعفه.

ويلاحظ كذلك أن انحباس النَّفَس أو الصوت: يعتمد على قوة الاعتماد على مخرج الحرف وانحصاره فيه.

وأن جريان النَّفَس أو الصوت: يعتمد على ضعف الاعتماد على مخرج الحرف وعدم انحصاره فيه» [1].

---

(١) المصدر نفسه ٥٨٢/٢.

وهذا البيان للعلاقة بين الصفات الخمس مبني على ما تقرَّر في كتب علم التجويد المتأخرة ، مع بعض الإضافات التي قد تثير إشكالات جديدة ، وتزيد الغموض الذي اكتنف هذه الطريقة في تعريف الصفات الخمس والتعبير عن العلاقة بينها ، ولعل القارئ يدرك أصول هذه التعريفات في كتب علماء العربية والتجويد ، بما لا يحوج إلى التعليق عليها بأكثر من هذا.

وسار على المنهج نفسه مؤلفو كتاب (المنير في أحكام التجويد) مع اختلاف طفيف في بعض ألفاظ التعريفات ، وفي بيان العلاقة بين الصفات ، فقالوا [٢]:

١. الهمس: جريان النَّفَس عند النطق بالحروف.
٢. الجهر: انحباس النَّفَس عند النطق بالحرف.
٣. الشدة: انحباس الصوت عند النطق بالحرف.
٤. الرخاوة: جريان الصوت عند النطق بالحرف.

ثم أخذوا في بيان العلاقة بين هذه الصفات ودور النَّفَسَ والصوت في النطق بها ، فقالوا: « ويلاحظ أن علاقة هذه الصفات: الشدة والتوسط والرخاوة بالصوت ، وأن علاقة الهمس والجهر بالنفس.

فالصوت: الهواء الخارج بإرادة الإنسان ، ويحدث له تموج بتصادم جسمين أو بسبب تضييق مجراه أو غلقه نهائياً ثم إطلاقه.

والنَّفَس: الهواء الخارج من داخل الإنسان بدافع الطبع. وعليه فلا تعارض بين التعريفين ، وإن كان يلزم من انحباس النَّفَس انحباس الصوت ، ولا

(٢) أحمد خالد شكري وزملاؤه: المنير ص ١٢٧-١٢٨.

يلزم من انحباس الصوت انحباس النفس ، كما في حروف الجهر ، لأن الصوت لا يتصور انبعاثه دون نفس ، وعليه فالمتوقع أن يكون جميع الحروف الشديدة مجهورة ، إلا أن الكاف والتاء مهموسان[1] والجمع بين هاتين الصفتين أن يقال: إن الشدة في هذين الحرفين باعتبار بداية النطق بهما والهمس فيهما باعتبار انتهاءِ النطق بهما.

وفي الحروف الرخوة المجهورة كالضاد[2] والغين يجري الصوت ولا يجري معه نفس كثير كما يجري مع المهموس ، ولا يفهم منه عدم جريان النَّفَس بالكلية لأن جريان الصوت يقتضي وجود نَفَسٍ معه ولو كان يسيراً»[1].

ولا شك في أن مؤلفي الكتاب مُحِقُّونَ في شعورهم بوجود تعارض في هذه التعريفات ، وأحسب أن محاولتهم دفع هذا التعارض لم تؤد إلى إزالته، أو كشف الغموض الذي يكتنف الصورة التي تشكلها تلك التعريفات لعملية التصويت ، وذلك لأنها في الأصل لم تنبن على معرفة تامة بوظيفة الوترين الصوتيين وآلية إنتاج الأصوات اللغوية .

وأختم الحديث عن أثر فكرة الصوت الساذج بالإشارة إلى ما ورد في كتابين مهمين في قواعد التجويد وأصول تدريسه ، هما كتاب (حق التلاوة) وكتاب (أصول تدريس التجويد) للأستاذ حسني شيخ عثمان ، ويمكن

---

(١) هذا على قول علماء العربية والتجويد ، أما المتخصصون بدراسة الأصوات في زماننا فيضيفون إليها القاف والطاء ، وبعضهم يضيف الهمزة أيضاً.

(٢) الضاد في نطق مجيدي القراءة صوت شديد ، في زماننا .

(١) المنير ص١٢٩.

ملاحظة ذلك من خلال تعريفه للحرف ، ومن خلال تعريفه للصفات الصوتية .

قال في تعريف الحرف: « الحرف هو الصوت البشري الذي يتشكل معتمداً على مخرج محقق أو مقدر ، فإن لم يعتمد الصوت على مخرج فليس بحرف ، ويتشكل صوت كل حرف (متميزاً عن سواه) بانحراف الموجات الصوتية بهيئة مخصوصة بكل حرف ، متأثرة بأجواء المخرج (التي تعين على تميز صوت الحرف عن غيره) .

فلكل حرف (عند نطقه) محل يتشكل فيه صوته ، ويُسمَّى هذا المحل مخرجاً ، فالمخارج مقاطع تعترض الصوت الصادر فتمنعه من إيصاله لمنتهاه بهيئته الأولى لموجاته الصوتية ، فحيثما عرض ذلك وانحرفت الموجات الصوتية لتتشكل هيئة جديدة لها سُمِّيَ الصوت حرفاً ، وسُمِّيَ ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً ، ولذلك اختلفت أصوات الحروف باختلاف المخارج واختلاف الكيفيات التي تعرض للصوت عند خروجه ، والاختلاف هو خاصية حكمة الله تعالى المودعة في بني آدم ، إذ بها يحصُل التفاهم ، ولولا ذلك لكان الصوت واحداً بمنزلة أصوات البهائم العجماوات، والتي لا يتميز عند الكلام ، ولا يُعلم المراد ، فباختلاف المخارج والصفات يُعْلَم ، وبالاتفاق يُعْدَم »[1].

ولاشك في أن أصول هذا النص ترجع إلى ما قاله ابن جني في تعريفه الحرف ، وما قاله مكي ابن أبي طالب عن دور الصفات في اختلاف

---

(١) حق التلاوة ص٤٠٣ – ٤٠٥ ، وأصول تدريس التجويد ص٢٠٥.

الأصوات ، وهو ينبني على فكرة الصوت الساذج ، يدل على ذلك ما ورد فيه: (فالمخارج مقاطع تعترض الصوت الصادر) ، والصوت الصادر هو الصوت الساذج ، وأحسب أن الحديث في النص عن الموجات الصوتية وانحرافها أو تشكلها لا يغير من جوهر الفكرة التي يتضمنها .

ويؤكد ارتباط تصور المؤلف لعملية التصويت بالتراث الصوتي العربي القديم تعريفه للصفات الصوتية ، بقوله(٢):

١. الهمس: جَرْيُ النَّفَس عند النطق بالحرف .
٢. الجهر: انحباسُ جَرْيِ النَّفَس عند النطق بالحرف .
٣. الشدة: انحباسُ جَرْيِ الصوت عند النطق بالحرف .
٤. الرخاوة: جَرْيُ الصوت مع الحرف .

ويبدو لي أن مؤلف الكتابين كان مطلعاً على المصادر الحديثة التي تعنى بإنتاج الصوت وتشريح الحنجرة ، فقد عرض صورة لأعضاء آلة النطق ، ولوحة تبين أوضاع الوترين الصوتيين(١) ، لكن ذلك وحده لم يكن كافياً لأنه لم يربط بين تلك الأوضاع وعملية التصويت ، وحدوث صفة الجهر باهتزاز الوترين ، وصفة الهمس ببقائهما ساكنين .

وأود أن أُذكرَّ القارئ أن إشارتي إلى بعض الجوانب السلبية في الكتب المذكورة المتعلقة بإنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها ، لا تغض من القيمة العلمية والعملية لهذه الكتب ، فما القضية التي نناقشها إلا جزئية صغيرة في موضوع أقرب إلى الجانب النظري منه إلى الجانب العملي ، وأعتذر إلى

(٢) حق التلاوة ص ٢٢٥ و٢٢٩ ، ينظر: أصول تدريس التجويد ص٢٧٦ — ٢٧٨.

(١) ينظر: أصول تدريس التجويد ص٢٠٠-٢٠١ .

المؤلفين لهذه الكتب ، فالمقصود هو التنبيه إلى ما في بعض الأفكار المطروحة فيها من قصور من وجهة نظري ، والباحث حين يجد ملاحظات على ما كتبه مَن قبله فإن الواجب العلمي والنصيحة لأهل العلم تقتضي التنبيه عليها ، وليس في ذلك في ظني مساس بمكانة مؤلفيها ولا إنكار لفضلهم في عامة ما كتبوه فيها وفي غيرها .

الخاتـــمة

إن التراث الصوتي العربي بجوانبه كافة : ما كتبه علماء اللغة العربية ، وعلماء التجويد ، وما كتبه الفلاسفة والحكماء ، إنجاز علمي رائع ، سبق فيه العربُ غيرَهم ، ينبغي التنويه به ودراسته وإبراز الجوانب المتميزة فيه ، وفهم ما يمكن أن يؤخذ على بعض الأفكار فيه من خلال المعرفة العلميـــة المتاحـــة لكاتبيه في زمانهم .

وكذلك فإن الجهود المبذولة اليوم في تعليم القرآن ، روايةً للقراءات ، وتعليماً لقواعد التجويد ، وشرحاً للأحكام ، وتقويماً للأداء ، سواءٌ أكـــان ذلك من خلال مؤسسات التعليم الرسمية بكل مستوياتها ووسائلها في التعليم ، أم كان من خلال الجمعيات العلمية ، أو حلقات التعليم في المساجد وغيرها ، أو من خلال البرامج المرئية والمسموعة ، أو الكتابات الورقية أو المـــسجلة ، كل تلك الجهود تَسُرُّ المهتم بأمر القرآن وتعليمه ، وتبعث على التفاؤل في أن المستقبل سوف يشهد امتداداً لهذه الحركة المباركة ، فتصير القراءة الصحيحة للقرآن جزءاً من الثقافة العامة في المجتمعات الإسلامية ، كما هي علم مـــن العلوم ، وتصير قراءة القرآن وتفهم معانيه متاحة لكل من يرغب في ذلـــك ، وتتحقق رسالة القرآن في إصلاح الأفراد وتقويم المجتمعات .

تلكم رسالة عظيمة يحمل عِبْأَها أهل القرآن ، لأنهم يُعَلِّمون النـــاس قراءته ، ويبينون معانيه ، ويشرحون أحكامه ، ومن ثَمَّ فإنهم تقـــع علـــيهم مسؤولية عظيمة ، وأحسب أن عليهم أن يتساءَلوا: هل وسائل التعليم الـــتي يعتمدونها هي أفضل ما هو متاح في هذا العصر ؟ وهل جميع الأفكـــار الـــتي

تتعلق بالصوت اللغوي ، والتي يذكرونها في كتب تعليم التلاوة ، متوافقة مع الحقائق التي أثبتها علم الصوت الحديث ؟

إن ما ورد في هذا البحث يشير إلى وجود بعض القضايا في كتب هذا العلم تحتاج إلى مراجعة ، لاسيما ما يتعلق بوصف عملية التصويت وتعريف المجهور والشديد وضدهما ، فإن الاستناد إلى فكرة الصوت الساذَج في تفسير عملية التصويت لم يعد مقبولاً ، وكذلك بناء تعريف المجهور والمهموس على جري النَّفَسِ ومنعه ، والشديد والرخو على جري الصوت ومنعه ، لم يعد كافياً ، في إيضاح حقيقية هذه الصفات والتميز بينها.

وأحسب أنه قد حان الوقت لتخليص كتب التجويد التعليمية من ذلك ، وتلزم مراجعة هذه الكتب من خلال الاستعانة بمصدرين:

الأول: علم الأصوات اللغوية.

الثاني: علم التشريح .

ولا يحتاج معلم التجويد ومتعلمه إلى كل التفاصيل الدقيقة لهذين العلمين ، لكن لابد من فهم المبادئ الأساسية لتكوين آلة النطق ومكوِّنات الحنجرة ، وكيفية عملها ، ومعرفة حقيقة الصوت اللغوي والقوانين التي تخضع لها ظاهرة الصوت ، ولا يستغني دارس التجويد عن النظر في كتب هذا العلم التي كتبها علماء التجويد في العصور السابقة ، لأن الجوانب العلمية والتطبيقية الخاصة بقراءة القرآن لا تهتم بها كتب علم الصوت الحديث.

وقد يعترض بعض من يسمع هذا الكلام ، ويقول: وهل كان علماء القراءة على خطأ كل هذه القرون ، أَلَمْ يُعَلِّمُوا القراءة على نحو صحيح ، ويحافظوا على أداء القرآن سليماً من اللحن والتحريف ؟ والجواب: نعم

لاشك في ذلك ، ولكن لا يخفى على المهتم بأمر القـــراءة القرآنيـــة أنَّ لهـــا جانبين:

الأول: الرواية ، وهي تعتمد على التلقي ، ولا مجال للاجتهاد فيها.

الثاني: الدراية ، وهي تعتمد على النظر والاجتهاد في فهـــم حقـــائق النطق.

وعلم التجويد علم دراية ، وهدفهُ تعليم القراءة الصحيحة ، وقد أدَّى دوره خلال القرون الماضية ، وحقق هدفه في تعليم القراءة الصحيحة ، وهو لا يزال يؤدي ذلك الدور ، لكن هذا العلم وسيلة لتحقيق الهـــدف ، وهـــو كالطريق إن كانت معبَّدة أوصلت السائر فيها إلى هدفه بسرعة وبأقل عناء ، وإن كانت غير معبدة أوصلته إلى غايته ولكن بعد جهد وتعب ، والحكمـــة تقتضي تجنب المشقة ما أمكن ، وهذا البحث دعوة لرفع الحرج وتجنب المشقة في تعليم القراءة .

ولعل القارئ ينتظر في خاتمة هذا البحث البديل الذي يقدِّمه لفكـــرة الصوت الساذج ، وتعريف صفات الأصوات ، وليس من الـــسهل اختـــزال عملية التصويت الإنساني في سطور ، ولكني سوف أحـــاول أن أشـــير إلى العناصر الأساسية فيها. ويمكن أن يكون بديل فكرة الصوت الساذج طريقة سيبويه في التمييز بين المجهور والمهموس ، وهي أن الأصوات المجهورة تخـــرج بصوت الصدر (أي النغمة الحنجرية) والمهموسة تخرج بصوت الفـــم مـــن مخارجها ، وليس هناك مشكلة بعد ذلك في تعريف الـــصوت الـــشديد (أو الانفجاري) بأنه ما يحتبس النَّفَس في مخرجه ، والرخو (أو الاحتكاكي) بأنه ما يضيق مجرى النفس في مخرجه.

فإن أراد القارئ أوضح من ذلك فسيجده في الدرس الصوتي الحديث وخلاصته أن هواء الزفير هو مادة الصوت ، أي المادة التي يتمكن الإنسان من استخدامها في إنتاج الأصوات ، ولابد من تحريك أعضاء النطق لتحقيق ذلك، أما إذا كانت أعضاء النطق ساكنة ومجرى النَّفَس مفتوحاً فلا يتحقق الصوت، كما في حالة التنفس الاعتيادي.

إن إنتاج الصوت اللغوي يتطلب اجتماع عاملين هما:

١.النَّفَس وهو هواء الزفير.

٢. العارضُ ، وهو اعتراض آلة النطق لمجرى النفس بقَفْلٍ أو تضيق ، فيؤدي ذلك إلى تدافع جزئيات الهواء وتكوُّن موجة صوتية تسري في الهواء حتى تصدم أُذن السامع.

ولا يخفى على القارئ أن عملية التصويت أكثر تعقيداً من هذه الصورة المبسطة ، لكنها ليست مما يعجز المرء عن تصوره أو معرفته ، ويمكن أن نحدد مولِّدات الصوت الرئيسة بموضعين هما:

(١) الوتران الصوتيان في الحنجرة ، ويتخذان عدة أوضاع ، أهمها اثنان، فإن بقيا متباعدين مَرَّ خلالهما النَّفَس أثناء عملية التصويت حتى يبلغ موضع الاعتراض ، وهو المخرج ، ولا يؤثران في هذا الحالة على النَّفَس ، حتى تتدخل الأعضاء في المخرج بقفل أو تضيق ، ويؤدي ذلك إلى حدوث الصوت ، ويسمى الصوت الذي يحدث في هذه الحالة مهموساً.

فإن تضامَّ الوتران الصوتيان في أثناء عملية التصويت أدَّى ضغط النفس إلى فتحهما ثم غلقهما بسرعة كبيرة ، ومرَّات كثيرة ، وهو ما يُعَبَّرُ عنه بذبذبة الوترين الصوتيين ، ويؤدي ذلك إلى صدور النغمة الحنجرية ، التي

يحملها النَّفَس حتى يبلغ موضع الاعتراض من آلة النطق ويحدث قفل أو تضييق لمجرى النفس ، ويؤدي إلى حدوث صوت يتداخل مع النغمة الحنجرية ليتشكل الصوت المجهور.

(٢) موضع اعتراض النَّفَس ، وهو المخرج ، وقد يؤدي اعتراض النَّفَس في المخرج إلى حبسه حبساً تاماً ثم إطلاقه ، وذلك في نطق الأصوات الشديدة ، وقد يضيق مجرى النفس في المخرج ، فيؤدي ذلك إلى حدوث احتكاك مسموع ، وذلك في نطق الأصوات الرخوة .وقد يصحب اعتراض النفس في المخرج اهتزاز الوترين الصوتيين فيكون الصوت مجهوراً ، وقد لا يهتز الوتران عند الاعتراض فيكون الصوت مهموساً ، كما سبق بيانه .

ومن خلال ذلك تعلم أن الصوت المجهور هو الذي يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، والمهموس هو الذي لا يتذبذب الوتران عند النطق به في مخرجه ، وسبق تفصيل ذلك في المبحث الأول.

ولكي تقف على حقيقة مصطلح الصوت الشديد والصوت الرخو عليك أن تنظر في موضع اعتراض النفس ، أي المخرج ، فإن حصل حَبْسٌ للنفس ثم إطلاق كان الصوت شديداً ، وإن حصل تضيق فقط كان الصوت رخواً ، وإن حصل حَبْسٌ في موضع الاعتراض وتسريب للنفس من موضع آخر كان الصوت متوسطاً.

ويمكن التعبير عن آلية إنتاج هذه الأصوات بالقول إن بعض الأصوات أُحادي التصويت أي أن الصوت يخرج من موضع واحد أو جهة واحدة ، وذلك في الأصوات المهموسة ، التي يخرج صوتها من مخارجها ، وبعض

الأصوات ثنائي التصويت ، مثل الأصوات المجهورة التي يتكون صوتها من النغمة الحنجرية مع ما يحدث للنَّفَس المحمل بالاهتزازات في موضع الاعتراض.

والأمر يحتمل تفصيلاً أكثر من هذا ، ويمكن الاطلاع على كثير منه في كتب علم الأصوات ، وقد يكون في بعض ما كتبته قصور ، لكني أحسب أن الفكرة الأساسية للبحث صحيحةٌ ومهمةٌ ، ويجب على كل مشتغل بعلم التجويد تأليفاً أو تعليماً أن يقف عندها ، ويتابع درسها في المصادر المتخصصة حتى تنكشف له حقيقة الموضوع كاملة ، وسيقتنع حينئذ بصحة الدعوة إلى التخلص من رواسب فكرة الصوت الساذج في كتب علم التجويد. والله تعالى أعلم .

مصادر البحث

١. إبراهيم أنيس (دكتور): **الأصوات اللغوية** ، ط٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١.

٢. أحمد خالد شكري (دكتور) وزملاؤه (ثمانية): **المنير في أحكام التجويد** ، الطبعة الثامنة ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، عمان ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م.

٣. أحمد الطويل (الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد): **فن الترتيل وعلومه** ، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة الشريف ، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٤. أحمد مختار عمر(دكتور): دراسة الصوت اللغوي ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٥. إخوان الصفا: **رسائل إخوان الصفا** ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

٦. الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن): **شرح الشافية** ، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين ، مطبعة حجازي ، القاهرة .

٧. البرلوي (أحمد بن عبد اللطيف): **الدر النضيد في المسائل المتعلقة بالتجويد** ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م .

٨. بوش (ف): **أساسيات الفيزياء** ، ترجمة د. سعيد الجزيري ، ود. محمد أمين سليمان ، ط٣ ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٨م.

٩. التاذفي (محمد بن إبراهيم الحلبي): **الفوائد السرية في شرح الجزرية** ، مخطوط ، المكتبة الأزهرية رقم (١٣٤٩) — ٤٨١٣٩ .

١٠. جان كانتينو: **دروس في علم الأصوات العربية** ، ترجمة صالح القرمادي ، تونس ١٩٦٦م .

١١. ابن الجزري (أبو الخير محمد):

أ. **التمهيد في علم التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

ب. **النشر في القراءات العشر** ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

١٢. ابن جني (أبو الفتح عثمان): **سر صناعة الإعراب** ، ط١ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م .

١٣. الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد): **المعرَّب من الكلام الأعجمي** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

١٤. حاجي خليفة (مصطفى عبد الله): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، استانبول ١٩٤١م و ١٩٤٣م .

١٥. حسني شيخ عثمان:

أ. **أصول تدريس التجويد** ، ط١ ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

ب. **حق التلاوة** ، طبعة مزيدة ومنقحة ، جهينة للنشر والتوزيع ، عمان ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م .

١٦. الخليل بن أحمد الفراهيدي : **كتاب العين** ، ج١ ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

١٧. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): **التحديد في الإتقان والتجويد** ، ط٢ ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٩٩٩م = ١٤٢٠هـ .

١٨. الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

١٩. الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد): **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

٢٠. الزَّبيدي (محمد مرتضى) **تاج العروس من جواهر القاموس** (مجموعة من المحققين) ، دار الهداية.

٢١. زكريا الأنصاري: **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة** ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ١٤١١هـ=١٩٩٠م.

٢٢. ابن السراج (محمد بن السري): **الأصول في النحو** ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٢٣. سعد عبد العزيز مصلوح (دكتور): **دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك** ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٢٤. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (د.ت).

٢٥. السيرافي (الحسن بن عبد الله): **شرح كتاب سيبويه** ، ج٦ ، مخطوط ، دار الكتب المصرية (٥٢٨ نحو- تيمور).

٢٦. ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله): **أسباب حدوث الحروف** ، تفليس ١٩٦٦م.

٢٧. طاش كبري زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى) **شرح المقدمة الجزرية** ، تحقيق د. محمد سيدي محمد الأمين ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ١٤٢١هـ.

٢٨. عبد الرحمن أيوب (دكتور): **أصوات اللغة** ، ط١ ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٩. عبد الصبور شاهين (دكتور) : **في التطور اللغوي** ، ط١، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

٣٠. عبد الوهاب بن محمد القرطبي: **الموضح في التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

٣١. العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد): **التمهيد في معرفة التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمان ، عمان ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٣٢. علي القاري (الملا علي بن سلطان): **المنح الفكرية على متن الجزرية**، المطبعة الميمنية (مصطفى البابي الحلبي) بمصر ١٣٢٢هـ.

٣٣. العماني (أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد): **الكتاب الأوسط في القراءات** ، تحقيق د. عزة حسن ، دار الفكر ، دمشق ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٣٤. غانم قدوري الحمد:

أ. **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، دار عمار ، عمان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

ب. **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

٣٥. الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان):

أ. **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت).

ب. **كتاب الحروف** ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٣٦. الفضالي (سيف الدين بن عطاء الله): **الجواهر المضية على المقدمة الجزرية** ، تحقيق عزة بنت هاشم مُعيني ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

٣٧. القسطلاني (أحمد بن محمد): **لطائف الإشارات لفنون القراءات** ، تحقيق د. عبد الصبور شاهين ، والشيخ عامر السيد عثمان ، القاهرة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

٣٨. كمال بشر (دكتور): **علم الأصوات** ، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠٠م.

٣٩. مالمبرج (برتيل): **علم الأصوات** ، تعريب ودراسة ، د.عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥م.

٤٠. المبرد (محمد بن يزيد): **المقتضب** ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت).

٤١. محمد مكي نصر: **نهاية القول المفيد في علم التجويد** ، مراجعة الشيخ علي محمد الصباغ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٤٩هـ.

٤٢. محمود السعران (دكتور): **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، ط٢ ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

٤٣. المرادي (الحسن بن قاسم): **المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد** ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المنار ، الزرقاء ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٤٤. المرعشي (محمد بن أبي بكر):

أ. **بيان جهد المقل** ، مخطوط ، دار المخطوطات ، بغداد (الرقم ١١٠٦٨/٥).

ب. **جهد المقل** ، تحقيق د. سالم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

٤٥. المزي (أبو الفتح محمد بن حمد العوفي): **الفصول المؤيِّدة للوصول إلى شرح المقدمة** ، تحقيق جمال السيد رفاعي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، القاهرة ٢٠٠٥م.

٤٦. المسعدي (عمر بن إبراهيم): **الفوائد المسعدية في حل المقدمة الجزرية،** تحقيق جمال السيد رفاعي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، القاهرة ٢٠٠٥.

٤٧. مكي بن أبي طالب القيسي: **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** ، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ، ط٣ ، دار عمار ، عمان ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

٤٨. ابن منظور (محمد بن مكرم): **لسان العرب** ، طبعة بولاق.

٤٩. ابن الناظم (أبو بكر أحمد بن الجزري): **الحواشي المفهمة قي شرح المقدمة** ، تحقيق عمر عبد الرزاق معصراني ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ١٤٢٦هـ=٢٠٠٦م.

٥٠. هنري فليش:

أ. **التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب** ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٣، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

ب. **العربية الفصحى** ، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٣م.

موضوعات البحث

ظاهرة المنامات
في كتب القراءات وتراجم القراء

أ.د. عمر يوسف عبد الغني حمدان *
الباحث في معهد الدراسات العربيّة ، الجامعة الحرّة ، برلين

* نال شهادة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القدس بأطروحته " مفردة الحسن البصريّ . لأبي عليّ الأهوازيّ (ت ٣٦٢) " عام ١٤٠٨/١٩٨٧م ، وهي مطبوعة.
ثم نال شهادة الدكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها من معهد الدراسات الشرقيّة بجامعة توبنڤن بألمانيا عام ١٤١٥/١٩٩٥م ؛ بأطروحته (باللغة الألمانية) "دراسات عن تواتر النص القرآني".
*له مجموعة من التحقيقات والأعمال العلميّة المنشورة ، منها :
- رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذّ ليوسف أفندي زاده (ت١١٦٧هـ).
- مفردة ابن محيصن المكّيّ للأهوازيّ (ت٤٤٦هـ).

الملخَّص

ليست دراسة القراءات على اختلافها من جهة ولا معالجة المنامات على تنوّع أطيافها من جهة أخرى بشيء جديد عند القدامى ولا المحدَثين ، لكن مسألة الربط بين القراءات والمنامات لم يسبق على حدّ علمي أن تطرّق إليها أحدٌ بالطرح والتحليل في الدراسات الحديثة المعاصرة .

تهدف هذه المقالة إلى الوقوف على طبيعة العلاقة بين القراءات والمنامات ومدى تأثير هذه العلاقة وأبعادها على عمليّة تسبيع القراءات التي قام بها الإمام ابن مجاهد (٣٢٤) ، كما تتجلّى في كتاب السبعة في القراءات (ط) ، وإقرار تعشيرها النهائيّ على يد الإمام ابن الجزريّ (٨٣٣) ، كما هو مقرَّر في كتاب النشر في القراءات العشر (ط) ، وذلك بعد سلسلة من المعالجات والمداولات بين علماء القراءات خلال الفترة الواقعة بين هذين الإمامين .

كذلك تسلّط الأضواء فيها على كيفيّة توظيف المنامات في تعزيز مكانة القرّاء وزيادة توكيد على صحّة قراءاتهم ورواياتها وأسانيدها مع توثيق بعض وجوهها .

المقدّمة

إنّ فكرة هذا البحث تتمحور في معالجة موضوع المنامات وعلاقتها بالقرّاء وقراءاتهم وكشف النقاب عن طبيعة هذه العلاقة مع الوقوف على أسبابها ودوافعها وعلى آثارها وأبعادها .

البحث عبارة عن فصلين اثنين :

الفصل الأوّل : المنامات الواردة بحقّ القرّاء وقراءاتهم . وقد فرّعته إلى مباحث عمّا قيل في حقّ كلّ قارئ وقراءته .

الفصل الثاني : منامات أخرى ذات علاقة بالموضوع . وقد فرّعته كذلك إلى مباحث عمّا ورد في موضوعات مختلفة .

وقد وقفت في مباحث الفصلين على نصوص المنامات ، فنقلتها عن مصادرها ثمّ قمت بطرح موضوعاتها وتحليلها وتبيان مفادها .

ثمّ ختمتُ البحث بخاتمة ، ذكرت فيها أهمّ ما وصلتُ وخلصت إليه من نقاط ونتائج . تلا ذلك ثبت المصادر والمراجع مفصّلة بياناتها الفهرسيّة ومرتّبة ترتيبًا أبجديًّا حسب العنوانات .

أمّا مصادر المنامات التي اعتمدتها ورجعت إليها في هذا البحث ، فهي على الأغلب كتب القراءات ، مثل كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (٣٢٤) وكتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون (٣٨٩) وغيرهما ، وكتب تراجم القرّاء وطبقاتهم ، نحو معرفة القرّاء الكبار للذهبيّ (٧٤٨) ، وأحاسن الأخبار لابن وهبان (٧٦٨) ، وغاية النهاية لابن الجزريّ (٨٣٣) .

إنّ ما دعاني لكتابة هذا البحث يمكن إجماله في أربعة أسباب رئيسيّة ، كما يلي :

١) حضور ظاهرة المنامات في كتب القراءات وتراجم القرّاء بشكل كبير وملحوظ ممّا يوجب الوقوف عليها وتسليط الأضواء عليها وتخصيص بحث بشأنها غرض تحديد معالمها والكشف عن خصائصها .

٢) مدى أثر المنامات في تزكية القرّاء وتوثيق بعض وجوه القراءات .

٣) تغاير ردود أفعال علماء القراءات وذوي الاختصاص والمعرفة على هذه المنامات وتباين مواقفهم منها بين مؤيّد قابل ومعارض رافض .

٤) أبعاد هذه الظاهرة وانعكاساتها على عمليّة تسبيع القراءات وتعشيرها .

التمهيد :

أتحدّث فيه عن نشأة مدارس تعليم القرآن الكريم وتحفيظه في الأمصار الإسلاميّة بعد الفتوحات وعن دور القرّاء ومكانتهم فيها .

نشأة مدارس القرآن الكريم :

بالإضافة إلى مدرستي مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة تكوّنت في الأمصار الإسلاميّة الجديدة أثناء الفتوحات الإسلاميّة مدارس إقراء للقرآن الكريم وتعليمه ؛ ففي البصرة كانت مدرسة أبي موسى الأشعريّ (٤٤) ، كما هو واضح من بعض الروايات التي رواها أبو نعيم الأصفهانيّ (٤٣٠) في ترجمة الأشعريّ : «حدّثنا أبو رجاء العطارديّ ، قال : كان أبو موسى الأشعريّ

يطوف علينا في هذا المسجد ، مسجد البصرة ، يعقد حلقًا ، فكأنّي أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن . ومنه أخذت هذه السورة : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ . قال أبو رجاء : فكانت أوّلَ سورة أُنزِلَتْ على محمّد ، رسول الله ﷺ ». [1]

يُفْهَمُ من هذه الرواية أنّ مدرسة الإقراء بالبصرة التي اتّخذت مسجد البصرة مقرّها، وكانت برعاية الأشعريّ مديرًا ومنظّمًا لها، كانت كبيرة العدد بطلبتها ، ممّا جعله يوزّعهم صفوفًا (حلقًا) ويدور عليهم مجموعةً مجموعةً أثناء الإقراء . يشهد لذلك ويعضده روايتان أخريان ، رواهما أبو نعيم الأصفهانيّ (٤٣٠) في ترجمة الأشعريّ :

الأولى رواها بإسناده الموصول به إلى أبي الأسود الدؤليّ (٦٩) ، من أشهر تلامذة الأشعريّ ، قال : « جمع أبو موسى الأشعريّ القرّاء ، فقال : لا تُدخِلوا عليّ إلا مَن جمع القرآن ! قال : فدخلنا عليه زهاء ثلاثمائة ؛ فوعظنا وقال : أنتم قرّاء أهل البلد ، فلا يطولنّ عليكم الأمد ! فتَقْسُوَا قلوبكم ، كما قَسَتْ قلوبُ أهل الكتاب . ثمّ قال : لقد أنزلت سورةٌ ، كنّا نشبّهها ببراءة طولاً وتشديدًا ، حفظتُ منها آية : (لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لالْتَمَسَ إِلَيْهِمَا ثَالِثًا وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ) . وأُنزِلَتْ سورةٌ ، كنّا نشبّهها بالمسبّحات . أوّلها (سبّح لله) . حفظتُ آية ، كانت فيها :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ فَتُكْتَب شهادةً في أعناقِكم ثمّ تُسأَلون عنها يوم القيامة)». [2]

---

(١) حلية الأولياء ٣٢٢/١ (٨٥٤) .

(٢) أخلاق حملة القرآن ٢٠ (٣) ، حلية الأولياء ٣٢٣/١ (٨٥٧) [اللفظ له] .

الثانية تالية للأولى ، قد رواها بإسـناده «عن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعريّ ، رضي الله تعالى عنه ، أنّه جمع الذين قرؤوا القرآن ، فإذا هم قريبٌ من ثلاثمائة ، فعظّم القرآن وقال : إنّ هذا القرآن كائنٌ لكم أجرًا وكائنٌ عليكم وزرًا ؛ فاتّبعوا القرآن ولا يَتْبَعَنّكُمُ القرآنُ ! فإنّه مَن اتّبع القرآن هبط به على رياض الجنّة ؛ ومن تبعه القرآن زجّ في قفاه ، فقذفه في النار . رواه شعبة عن زياد مثله .»(١)

يُستقرَأُ من هاتين الرواتين أنّ عدد الخرّيجين الذين حفظوا القرآن جميعًا في هذه الدورة قارب الثلاثمائة ؛ وهذا عدد كبير ؛ فكم كان عدد المبتدئين والمتوسّطين من الطلبة الذين لم ينهوا بعد دورتهم ؟ كذلك يُستقرَأ منهما أنّ الأشعريّ مديرًا ومقرئًا قد أقام حفل تكريم وتخريج لهذا الفوج من الخرّيجين في مدرسته ، فألقى أمامهم كلمة بليغة ، توضّح الخطّ العريض الفارق بين النظريّة (حفظ القرآن عن ظهر قلب) والتطبيق (العمل به على أرض الواقع) .

أمّا مدرسة الإقراء ببلاد الشام ، فلا تقلّ شأنًا ومكانة عن مدرسة البصرة ، بل تزيد عليها حجمًا وسعة ؛ فقد بعث إليها الفاروق ﵁ برجلين من الصحابة ، كما قال عبد الله بن عامر (١١٨) ، أحد القرّاء السبعة: «بعث عمر بن الخطّاب ﵁ إلى كلّ مصر من الأمصار رجلاً من الصحابة، يعلّمهم القرآن والأحكام ، فبعث إلى الشام معاذ بن جبل وأبا الدرداء . قال ابن عامر: وقرأتُ عليهما»(٢).

(١) حلية الأولياء ٣٢٣/١ (٨٥٧) .

(٢) جمال القرّاء ٤٥٤/٢ .

لا شكّ أنّ بعثهما ضاعف الهمّة والنشاط في الأوساط التعليميّة ببلاد الشام ؛ فلو أخذنا أبا الدرداء (٣٢) وحده وما يُقال بحقّه بهذا الصدد ، لَلَمَسْنَا صحّة ذلك بكلّ وضوح . «قال سُويد بن عبد العزيز التنوخيّ : كان أبو الدرداء ، إذا صلّى الغداة في جامع دمشق ، اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرةً عشرةً ويجعل على كلّ عشرة منهم عريفًا ويقف هو قائمًا في المحراب ، يرمقهم ببصره ، وبعضهم يقرأ على بعض ؛ فإذا غلط أحدهم ، رجع إلى عريفهم ؛ فإذا غلط عريفهم ، رجع إلى أبي الدرداء ، فسأله عن ذلك . وكان ابن عامر عريفًا على عشرة . وكان كبيرًا فيهم ؛ فلمّا مات أبو الدرداء ، خلفه ابن عامر وقام مقامه مكانه . وقرأ عليهم جميعهم ، فاتّخذه أهلُ الشام إمامًا ورجعوا إلى قراءته ». [1]

تتحدّث هذه الرواية عن دار القرآن الكريم التي اتّخذت من جامع دمشق مقرًّا لها ووقف على رأسها أبو الدرداء منظّمًا ومقرئًا . لكثرة الأعداد المشاركة فيها تطلّب الأمر تقسيمهم إلى مجموعات عشريّة ، على رأس كلّ واحدة منها مقرئ عميد (عريف) ، هو أفضل أفراد المجموعة الواحدة في الحفظ والأداء والإحكام ، بينما يقف المقرئ الأعلى على رأس هذا الهرم وهو بمثابة المرجعيّة العليا في هذا الباب .

كذلك تحدّث مسلم بن مشكم عن هذه الدار وصاحبها وطبيعة تعليم القرآن فيها ، فقال : «قال لي أبو الدرداء : اعْدُدْ مَن يقرأ عندي القرآن ! فعَدَدْتُهم ألفًا وستّمائة ونيفًا . وكان لكلّ عشرة منهم مقرئ . وكان أبو

(١) جمال القرّاء ٢/٤٥٤ .

الدرداء يطوف عليهم قائمًا ، يستفتونه في حروف القرآن ؛ فإذا أحكم الرجل منهم ، تحوّل إلى أبي الدرداء»[1].

أمّا بالكوفة ، فقد شغلت العناية بالقرآن الكريم وتعليمه أهلَها منذ تمصيرها ؛ فقد بعث إليهم الفاروق عمر بن الخطّاب ﷺ عمّارًا أميرًا وعبد الله بن مسعود معلّمًا – في رواية : مؤدّبًا – ووزيرًا . لقد نجح الأخير في إرساء مدرسة لتعليم القرآن والحديث والفقه ، عمّت ثقافتها بخرّيجيها مناحي الكوفة بطونًا وأحياءً . خير مثال على ذلك ما كان يفتخر به إبراهيم التيميّ من قوله: «كان فينا ستّون شيخًا من أصحاب عبد الله ». [2] نظير ذلك من الاعتزاز والافتخار ما قاله بحقّ بني ثَوْر كلّ من أبي يعلى : «كان من بني ثَوْر ثلاثون رجلاً ، ما فيهم رجل دون الربيع بن خُثيم ». [3]وشُبْرُمَة : «ما رأيتُ حيًّا أكثر متعبّدًا فقيهًا من بني ثور». [4] من جملة هذه الأعداد برز ستّة من أصحاب ابن مسعود ، دارت عليهم القراءة والفتيا بالكوفة ، هم : علقمة والأسود ومسروق وعبيدة والحارث بن قيس وعمرو بن شُرحبيل .[5] وقد مدحهم إبراهيم النخعيّ ، فقيه الكوفة ، بقوله : «ما رأيتُ أحدًا كان أعظم حلمًا ولا أكثر علمًا ولا أكفّ عن الدماء من أصحاب عبد الله إلا ما كان من أصحاب رسول الله ﷺ»[6]. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكوفة كانت

---

(١) جمال القرّاء ٢/٤٥٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦/١٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ٦/١٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦/١١ .

(٥) الطبقات الكبرى ٦/١١ .

(٦) الطبقات الكبرى ٦/١١-١٢ .

صاحبة الحظوة في تسبيع القراءات ، إذ ثلاثة من القرّاء السبعة كانوا من أئمّة الكوفة : عاصم بن أبي النجود (١٢٧) وحمزة الزيّات (١٥٦) والكسائيّ (١٨٩) .

بالمحصّلة يدور الكلام هنا عن ثلاث مدارس كبرى للقرآن الكريم ، نشأت في ظلّ الفتوحات الإسلاميّة على يد ثلاثة من كبار حفظة القرآن من الصحابة ، هم أبو موسى الأشعريّ (٤٤) وعبد الله بن مسعود (٣٢) وأبو الدرداء (٣٢) ﷺ وخرّجت المئات من الحفظة لكتاب الله ، وذلك كلّه في صدر الإسلام .

دور القرّاء ومكانتهم :

هذا الحضور الكبير للحفظة والقرّاء بوّأهم مكانة رفيعة في الأوساط المحلّيّة ، فاعتُمدت قراءات مشاهيرهم في الأمصار الإسلاميّة وأصبح لها انتشار واسع فيها ، لكنّهم واجهوا خلال ذلك انتقادات عديدة وشديدة من داخل صفوفهم ومن خارجها .

من أشدّ الانتقادات الداخليّة نبرةً ما جاء على لسان الإمام الحسن البصريّ (١١٠) من انتقاد فئتين من القرّاء من مجمل ثلاثة حسب تقسيمه ، كما رواه الآجرّيّ (٣٦٠) بإسناده عن عيسى بن عمر الثقفيّ (١٤٩) ، قال: «أقبلتُ حتّى أقمتُ عند الحسن ، فسمعتُه يقول : قرّاء هذا القرآن ثلاثة رجال ؛ فرجل قرأه ، فاتّخذه بضاعةً ونقله من بلد إلى بلد . ورجل قرأه ، فأقام على حروفه وضيّع حدوده . يقول : إنّي واللهِ لا أُسقِطُ من القرآن حرفًا. كثّر الله بهم القبور وأخلى منهم الدور ! فواللهِ لهم أشدّ كبرًا من صاحب السرير على سريره ومن صاحب المنبر على منبره . [٦٥] ورجل

قرأه، فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهرته ، فجثوا في براثنهم وركدوا في محاريبهم. بهم ينفي الله عنّا العدوّ وبهم يسقينا الله الغيثَ . وهذا الضرب من القرّاء أعزّ من الكبريت الأحمر»[1] .

أمّا الانتقادات الخارجيّة ، فأبرز جهاتها النحاة على اختلاف مدارسهم، أصحاب صناعة النحو الذين اعترضوا على قراءات معيّنة ورفضوا قبولها وخطّؤوا أصحابها .[2] خير مثال على ذلك قراءة ابن عامر ﴿**زُيِّنَ لُكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكَينَ قَتْلُ أَولادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ**﴾ [٦:١٣٧] ، حيث فُصِلَ بين المضاف ﴿**قَتْلُ**﴾ والمضاف إليه ﴿**شُرَكَائِهِمْ**﴾ . قال السمين الحلبيّ (٧٥٦) بهذا الصدد: «هذه القراءة متواترة صحيحة . وقد تجرّأ كثيرٌ من الناس على قارئها بما لا ينبغي وهو أعلى القرّاء السبعة سندًا وأقدمهم هجرة .»[3] هذا ما استقرّ عليه الأمر ، لأنّ القراءة سنّة متّبعة ، لا تجري على الأفشى في اللغة ولا الأقيس في العربيّة ، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل[4]؛ فأصحاب القراءات السبع والثلاث المتمّمات لها هم أصحاب قراءات متواترات صحيحات بالإجماع .

كذلك اعترض بعض العلماء ، علماء الحديث والفقه ، على مظاهر معيّنة في التلاوة ، فرفضوها رفضًا قاطعًا وشنّعوا على صاحبها ، ممّا أساء

---

(١) أخلاق حملة القرآن ٦٤-٦٥ (٤٥) .

(٢) يُراجَع بهذا الخصوص الجندي ، أحمد علم الدين : "الصراع بين القرّاء والنحاة" ، مجلّة مجمع اللغة العربيّة [القاهرة] ٣٤ (١٣٩٤/١٩٧٤) ١١٣-١٢٥ .

(٣) الدرّ المصون ٥/١٦٢ .

(٤) جامع البيان ٣٩٦ ، منجد المقرئين ٦٥ .

بشدّة إلى سمعة القارئ في محيطه العامّ ونزّل بقوّة من مكانته ورفعته في مجمل الأوساط . كما يبدو أنّه تمّ توظيف المنامات في حالات من هذا القبيل على أن تكون مصدرًا أعلى ، يدعم القرّاء ومواقفهم ويسبغ شرعيّة على قراءاتهم وصحّتها عمومًا ويضفي مصداقيّة على حروف معترض عليها عند البعض خصوصًا .

كما سنرى لاحقًا ، فإنّ صاحب المرجعيّة العليا الذي يظهر في معظم المنامات هو الرسول الكريم وفي بعضها يظهر ربّ العزّة بهذه الصفة .

لتتبّع هذه الظاهرة والوقوف على معالمها نأخذ حمزة الزيّات مثالاً على قارئ وُجّهت له العديد من الانتقادات الشديدة في أدائه ، ثمّ نقف على المنامات المذكورة بحقّ كلّ قارئ من القرّاء السبعة وغيرهم .

مجموعة من الانتقادات :

«قال يعقوب بن شيبة في مسند عليّ ﷺ لَمّا ذكر حمزة : كان كثيرٌ من أهل العلم يتجنّب اختياره للقرآن لإفراطه في الكسر وغيره . وسألتُ ابنَ المدينيّ ؛ فجعل يذمّ قراءةَ حمزة وقال : لم يقرأ على قراءة عبد الله . وإنّما هذه القراءة وَضَعَهَا هو . ولم يكن من أهل العلم . وما زلنا نرى الرجلَ يقرأ قراءةَ حمزة ؛ فإذا اتّبع العلمَ ، تركها . وما زلنا نسمع أصحابَنا ينكرون قراءةَ حمزة»[1].

«قال ابن أبي داود : أنا أحمد بن سنان : سمعتُ عبد الرحمن بن مهديّ

(١) معرفة القرّاء الكبار ١/٢٦٢ .

يقول : لو صلّيتُ خلفَ مَن يقرأ قراءةَ حمزة ، لأعدتُ الصلاة ». [١]

«قال الحميديّ : سمعتُ ابن عتيبة[٢] يقول : لو صلّيتُ خلف إنسان بقراءة حمزة ، لأعدتُ صلاتي ». [٣]

«روى يعقوب الدورقيّ ، قال : سمعتُ ابن مهديّ يقول : ما يعجبني أن أصلّي خلفَ مَن يقرأ بقراءة حمزة ». [٤]

«قال أبو بكر بن أبي خَيْثَمة عن سليمان بن أبي شيخ : كان يزيد بن هارون أرسل إلى أبي الشَّعْثاء بواسط : لا تُقرِئْ في مسجدنا قراءة حمزة !»[٥]

«قال أبو عُبيد الآجرّيّ : سمعتُ أبا داود يقول : سمعتُ أحمد بن سِنان يقول : كان يزيد يكره قراءة حمزة كراهيةً شديدة . قال : وسمعتُ أحمد بن سنان يقول : لو كان لي سـلطانٌ على مَن يقرأ قراءة حمزة ، لأَوْجَعْتُ ظَهْرَهُ وبَطْنَه ». [٦]

«روى حاتم عن يحيى بن يمان عن سفيان : ما ابْتُلِيَ العبادُ ببليّة أعظم من رأي وقراءة حمزة .

قال ابن قتيبة : من العجب أنّ حمزة يقرئ بطريقة ويكره الصلاة بها .

(١) معرفة القرّاء الكبار ٢٥٦/١ .

(٢) كذا في المطبوع . لعلّ الصواب "ابن عُيَيْنَة" . يُنظَر الرواية الأخيرة في هذه المجموعة .

(٣) معرفة القرّاء الكبار ٢٥٧/١ .

(٤) معرفة القرّاء الكبار ٢٥٨/١ .

(٥) تهذيب الكمال ٣١٧/٧ [اللفظ له] ، معرفة القرّاء الكبار ٢٥٨/١ .

(٦) تهذيب الكمال ٣١٧/٧ .

قال : وكان ابن عيينة يأمر بإعادة الصلاة لمن قرأ بها . ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين ، منهم بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل .

قال البسريّ : سمعتُ سفيان بن عُيينة يقول : لو صلّيتُ خلفَ مَن يقرأ [٢٥٩] بقراءة حمزة ، لأعدت ». (١)

إجمال هذه الانتقادات :

١) إنّ أصحابها من كبار علماء الحديث والفقه الثقات ، أمثال يعقوب بن شيبة (٢٦٢) وابن المدينيّ (٢٣٤) ويزيد بن هارون الواسطيّ (١١٧/ ١١٨-٢٠٦) وعبد الرحمن بن مهديّ (١٣٥-١٩٨) وسفيان بن عُيينة (١٠٧-١٩٨) وغيرهم .

٢) إنّها شديدة اللهجة ، عنيفة النبرة ، تجعل الجهةَ الموجّهَ إليها مثل هذه الانتقادات في وضع لا تُحسَد عليه ، قد سلبت منها السمعة الطيّبة والمكانة الرفيعة . حالة من هذا القبيل ولّدت حالة موازية من ردود الفعل المتفاوتة عند مَن يهمّهم شأن حمزة وقراءته ؛ فبعضهم ذهب إلى التعاطف مع شخصه والدفاع عن قراءته ، كما جاء «عن مِندل ، قال : إذا ذكر القرّاء ، فحسبُك بحمزة في القراءة والفرائض ». (٢)، وكذا «قال أحمد بن زهير وعثمان الدارميّ : قال ابن معين : حمزة ثقة . وقال الثوريّ : غلب حمزة الناسَ على القرآن والفرائض . وقال عبيد الله بن موسى : ما رأيتُ أحدًا أقرأَ من

---

(١) معرفة القرّاء الكبار ١/٢٥٨-٢٥٩ .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ٢/٢٥٣ .

حمزة ».[1]، ومنهم من اعتبر ما رُوي عن حمزة سوء نقل عنه . «قال ابن مجاهد : قال محمّد بن الهثيم : احتجّ مَن عاب قراءة حمزة بعبد الله بن إدريس أنّه طعن فيها . والسبب أنّ رجلاً ممّن قرأ على سُليم حضر مجلسَ ابنِ إدريس ، فقرأ ؛ فسمع ابنُ إدريس ألفاظًا ، فيها إفراطٌ في المدّ والهمز وغير ذلك من التكلّف ، فكره ابنُ إدريس ذلـــك وطعن فيه . وقال : محمّد بن الهيثم : قد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه ». [2] ومنهم من لجأ إلى وسائل وأساليب دفاعيّة أخرى ، كالمنامات .

من الملاحظ أنّ الإمام ابن غلبون (٣٩٩) كان أكثر العلماء حرصًا على تبنّي المنامات بحقّ شتّى القرّاء واعتماد مفادها واعتبارها صحيحة الرواية من غير توجيه أدنى نقد ، لا للإسناد ولا للمتن . من جملة ذلك ما أَورَدُه عن حمزة في الرواية التالية : «قال إسماعيل بن زياد : قال حمزة : رأيتُ النبيّ ﷺ في منامي ، فقلتُ يا رسول الله ! قد رويتُ ألفَ حديث بإسناد عنك ؛ أفأقرؤها عليك ؟ قال : نعم ؛ فقرأتُها عليه كلّها بإسنادها عنه ، فزوّرها كلَّها إلا أربعة أحاديث ، فإنّه لم يُقرَّ منها إلا بتلك الأربعة وقال : لم أتكلّم بها ؛ فقلتُ : يا رسول الله ! قد قرأتُ القرآن . أأقرؤه عليك ؟ [٧٤] فقرأتُ عليه القرآن من أوّله إلى آخره ؛ فقال : كما أنزل عليّ ؛ فدلّ قوله ﷺ : (كما أُنزِلَ عليّ) على صحّة قراءة حمزة وجهل مَن يلحّنه فيها ويردّ عليه ، لأنّه كان متّبعًا لِمَن أخذ عنه ، كما تقدّم ممّن قد اتّصل إسنادُه برسول الله ﷺ ؛

---

(١) معرفة القرّاء الكبار ٢/٢٥٣ .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ٢/٢٥٩ .

فمن يردّ عليه ، فإنّما يردّ على مَن قرأ عليه وعلى مَن قرأ على رسول الله ﷺ. وكفى بذلك إثمًا وجَهْلاً مبينًا ». (١)

هذا استدلال في غاية الخطورة ، لأنّ صاحبه يجعل من المنام مرجعًا معتمدًا في إثبات صحّة قراءة حمزة من جهة وفي الردّ على الطاعنين بها من جهة أخرى .

منام آخر عن حمزة الزيّات ، رأى فيه الله تعالى ، رواه أبو الطيّب ابنُ غلبون (٣٨٩) ، والد أبي الحسن ابن غلبون (٣٩٩) ، كما نقله ابن سوار (٤٩٦) بتمامه مُسنَدًا فيما يلي : «حدّثنا أبو الوليد عُتبة بن عبد الملك بن عاصم القرشيّ العثمانيّ ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو الطيّب عبد المنعم بن عُبيد الله بن غلبون [٣٣٩] المقرئ قراءةً عليه بمصر في مَنْزله ، قال : أخبرنا أبو بكر محمّد بن نُصير السامَرّيّ قراءةً عليه : حدّثنا أبو بكر القاضي المعروف بوكيع ، قال : أخبرنا داود بن رُشيد ، قال : أخبرنا مُجّاعة بن الزبير ، قال : دخلتُ على حمزة الزيّات ، رحمه الله ، وهو يبكي ، فقلتُ : ما يُبكيك ؟ قال: وكيف لا أبكي ؟ أُريتُ في منامي كأنّي عُرضتُ على الله ، عزّ وجلّ ؛ فقال لي : يا حمزة ! اقرأ القرآنَ كما علّمتُك ! فوَثَبْتُ قائمًا ؛ فقال لي : اجلس ! فإنّي أحبُّ أهلَ القرآن ؛ فقرأتُ حتّى بلغتُ سورةَ طه ، فقلتُ : (طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) [٢٠:١٢-١٣] ؛ فقال لي : بيّنْ ! فبيّنتُ : (طُوًى ۞ وَأَنَّا اخْتَرْنَـــكَ) ؛ ثمّ قرأتُ حتّى بلغتُ سورة يس ، فأردتُ أن أُعطى ، فقلتُ : (تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) [٣٦:٥] ؛ فقال لي : (تَنْزِيلَ) ! يا حمزة ! كذا قرأتُ

(١) كتاب التذكرة في القراءات ١/٧٣-٧٤ .

وكذا أقرأتُ حملةَ العرش وكذا يقرأ المقربّون. ثمّ دعا بسِوَار ، فسوّرني، فقال: هذا بقراءتك القرآن . ثمّ دعا بمِنْطَقَة ، فنَطَّقَني ، فقال : [٣٤٠] هذا بصومك بالنهار . ثمّ دعا بتاجٍ ، فتوّجني . قال : هذا بإقرائك الناسَ . يا حمزة! لا تَدَعْ ﴿تنــزِيلَ﴾ ! فإنّي نَزَّلْتُهُ تَنْزِيلاً ». [1]

كذلك نقل ابن وهبان (٧٦٨) هذا المنام في أحاسن الأخبار ٣١٢-٣١٣، ثمّ أتى ببعض الزيادات ، فقال : «وقد زيد في بعض الروايات : فلمّا وصلتُ إلى قوله : ﴿**إِنَّنِى أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِى**﴾ [طه:١٤] ، قال الله، تعالى : نَعَمْ ، أنا الله ، لا إله إلا أنا ، فاعبدني ؛ فلمّا فرغتُ من القراءة ، قال الله ، تعالى ، لي : لك بكلّ آية درجة ؛ فقلتُ : يا ربّ ! لي خاصّة ؟ قال : لا ، بل لك ولمن قرأه وعمل به ».

هذا المنام والذي قبله يرميان بمَتْنَيْهما إلى إضفاء شرعيّة مطلقة على صحّة قراءة حمزة من باب الردّ على الطاعنين فيها ، لكنّ الذهبيّ (٧٤٨) ، من كبار نُقّاد علم الرجال ، شكّك في صحّة رواية المنام الذي رواه أبو الطيّب بن غلبون إسنادًا ومتنًا ، فقال : «قد بلغنا أنّه رأى ربّ العزّة في المنام؛ و لم يثبت إسناد ذلك وهو منكر جدًّا ». [2]

(١) المستنير في القراءات العشر ٣٣٨/١-٣٤٠ .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ٢٦٠/١ .

الفصل الأوّل

المنامات الواردة بحقّ القرّاء وقراءاتهم

الآن لنا وقفة شاملة ومحيطة مع تعقيبات وتحليلات على المنامات التي رُويت عن القرّاء العشرة[١]، ثمّ وقفة أخرى وجيزة على بعض القرّاءِ من غير العشرة وعلى مباحث أخرى ذات صلة بالموضوع لتوضيح مدى حضور المنامات وعموم ظاهرتها ، وذلك على الترتيب التالي :

المبحث الأوّل : ما ورد بحقّ ابن كثير المكّيّ (١٢٠) وقراءته

نصّ المنام :

«قال ابن مجاهد (٣٢٤) : "حدّثني حسين بن بشر الصوفيّ عن روح بن عبد المؤمن عن محمّد بن صالح عن شبل عن ابن كثير ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يقرأ ﴿**وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ**﴾ [٢:٩٨] بكسر الجيم والراء ، فلا أقرؤها[٢] أنا إلا هكذا ». [٣]

كذلك نقله أبو عمرو الدانيّ (٤٤٤) بإسناده عن ابن مجاهد ، كما يلي: «حدّثنا محمّد بن عليّ ، قال : حدّثنا ابن مجاهد ، قال : حدّثنا الحسين بن بشر الصوفيّ ، قال : حدّثنا روح بن عبد المؤمن ، قال : حدّثنا محمّد بن صالح

---

(١) يُستَثنى منهم في هذا البحث ابنُ عامر الدمشقيّ (١١٨) وعاصم بن أبي النجود الكوفيّ (١٢٧) وخلف بن هشام (٢٢٩) ، إذ لم أقف على منامات بخصوصهما .

(٢) في المطبوع "أَقرءها" ، حيث الهمزة بلا محمل .

(٣) كتاب السبعة في القراءات ١٦٦ (٣٦) .

المرّيّ عن شبل عن ابن كثير ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يقرأ ﴿**جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ**﴾ [٩٨:٢] بكسر الجيم والراء من غير همز ، فلا أقرأهما إلا هكذا ». [1]

التحليل : يثير هذا المنام بمفاده بعض الأسئلة ، كما يلي :

- لماذا جاء لفظ (جبريل) موصوفًا (على الأقلّ في جامع البيان) دون لفظ (ميكائيل) الذي جاء محرَّرًا على هذه الصورة في النقلَين ؟

- يتحدّث المنام بشأن (جبريل) عن موضع البقرة الثاني [٩٨:٢] دون الأوّل [٩٧:٢] — وهو قبله بآية واحدة فقط – ودون موضع التحريم [٤:٦٦] ؛ فلماذا ؟

- ما جاء فيه بصدد لفظ (جبريل) هو بخلاف المشهور عن ابن كثير أنّه قرأ ﴿**جَبْرِيلَ**﴾ بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز في موضعي البقرة [٩٧:٢/٩٨] وفي التحريم [٤:٦٦] ، كما في كتاب السبعة ١٦٦ (٣٦) وجامع البيان ٤٠٤ وغيرهما ؛ فكيف ذلك ؟

أمّا الإجابة عن السؤال الأوّل ، فأرجّح بقوّة أنّ وصف اللفظين في المتن الأصليّ للمنام غير موجود ، كما هو الحال في كتاب السبعة دون ما أضافه المحقّق بين حاصرتين . يؤكّد على ذلك أنّ متن المنام في الحجّة للقرّاء السبعة ١٦٣/٢ يخلو كذلك من وصف اللفظين .

(١) جامع البيان ٤٩ .

تجدر الإشارة إلى أنّ رواية المنام وردت في الحجّة مباشرة بعد وصف قراءة ابن كثير (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِلَ) في رواية شبل بن عبّاد من طريق محمّد بن صالح المرّيّ — وهو أيضًا من رجال رواية المنام - وفيما رواه محمّد بن سعدان عن عُبيد بن عَقيل عن شبل عنه ، وذلك غرض تدعيمها ؛ وهذا هو المقصود من المنام — بذلك إجابة على السؤال الثالث ، ليتوافق هو مع أبي جعفر ونافع المدنيَّين (أهل الحجاز) في قراءة اللفظين (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِلَ) على هذا الوجه ، ومع غيرهما من جمهور القرّاء في قراءة لفظ ﴿جِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم والراء ، أمثال عاصم برواية حفص وابن عامر وأبي عمرو ويعقوب .

أمّا السؤال الثاني ، فالإجابة عليه أنّ هذا الموضع يقرن بين اللفظين ، ممّا يتيح مجال وصفهما فيه مرّة واحدة من باب المقارنة . يُضاف إلى ذلك أنّ لفظ ﴿مِيكَائِيلَ﴾ لم يرد في القرآن إلا في هذا الموضع ، ومنه بالإمكان تعميم وجه (جبريل) على الموضعين الآخَرين . بهذا أخذ ابن مجاهد ، كما في كتاب السبعة ١٦٦ (٣٦) ، بينما أخذ أبو عمرو الدانيّ بتسلسل المواضع ، كما في جامع البيان ٤٠٤ .

المبحث الثاني : ما ورد بحقّ نافع المدنيّ (١٦٩) وقراءته

نصّ المنام الأوّل :

«رُوي أنّ نافعًا كان ، إذا تكلّم ، يُشَمُّ من فيه رائحة المسك ، فقيل له في ذلك ؛ فقال : رأيتُ فيما يرى النائم النبيَّ ﷺ وهو يقرأ في فمي ؛ فمن ذلك الوقت يُشَمُّ من فيّ هذه الرائحة ».[١]

(١) كتاب التذكرة في القراءات ٥١/١ .

لقد تبنّى الشاطبيّ (٥٩٠) معنى هذا المنام وأشار إليه في منظومته حِرز الأماني ووجه التهاني ٣ [البيت الخامس والعشرون] :

«فَأَمَّا الكَرِيمُ السِّرّ في الطِّيبِ نافعٌ　　فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ المدِينَةَ مَنْزِلا»

من جهته نقل المنامَ ابنُ وهبان (٧٦٨) واعتمده في ترجمة نافع في أحاسن الأخبار ٢٢٠-٢٢١ [الفصل الثالث في صفته وصفة قراءته وما ذكر العلماء عنهما] مع بعض الاختلافات والزيادات الطفيفة . هذا نصّه : «كان نافع ، رحمه الله ، إذا قرأ أو تكلّم ، يُشَمُّ من فمه رائحةُ المسك ؛ فقيل له : أتتطيّب إذا قعدتَ لإقراء الناس ؟ فقال : واللهِ لا أمسّ طيبًا ، ولكنّي رأيتُ النبيّ ﷺ وهو يقرأ في فيّ ؛ فمن ذلك الوقت توجد هذه الرائحة . [٢٢١] وفي بعض الروايات : وقد أدنى فاهُ من فيّ .» ثمّ عرّج بعد ذلك مباشرة إلى ما أشار إليه الشاطبيّ في شاطبيّته ، فأورد البيتَ الآنف ذكره .

ثمّ جاء بعده ابن القاصح (٨٠١) ، فصنع بدوره صنيع سابقه ، فذكر متن المنام وأشار إلى إشارة الشاطبيّ تلك ، كما في سراج القارئ المبتدي ١٣، لكنّ الأمر عند ابن وهبان لم يتوقّف عند هذا الحدّ ، بخلاف ابن القاصح ، فأتى لفرط تبنّيهِ هذا المنامَ [1]بإشارة أخرى ، فقال : «وقد أحسن القائل في ذلك المعنى :

فنافعٌ المختارُ طَيْبَةَ مَسكَنًا　　يَضُوعُ بِنَشْرِ المِسْكِ طِيبًا إذا تَلا»[2]

(١) وغيره ، كما سيأتي في ثنايا هذا البحث .

(٢) أحاسن الأخبار ٢٢١ .

بالمقابل لم يكن نقلُ ابن غلبونَ المنامَ واعتمادُ الشاطبيّ معناه ليصرف الذهبيَّ عن منهجيّته في نقد الروايات ، فقد وقف بدوره على قصّة هذا المنام وأوردها في ترجمة نافع بالإسناد التالي : «قال أحمد بن هلال المصريّ : قال لي الشيبانيّ : قال لي رجلٌ ممّن قرأ على نافع» إلخ[١]، وحكم عليها بعدم الثبوت: «لا تثبت هذه الحكاية من جهة جهالة راوٍ يرويها»[٢].

نصّ المنام الثاني :

«قال له المسيّبِيّ : ما أصبحَ وَجْهَك وأحسنَ خلقَك ! قال : وكيف وقد صافحني رسول الله ﷺ ». [٣]

نظير ذلك ما أورده ابن الجزريّ مع بعض الزيادات : «قال المسيّبِيّ : قيل لنافع : ما أصبحَ وَجْهَك وأحسنَ خلقَك ! قال : فكيف لا أكون كذلك وقد صافحني رسول الله ﷺ وعليه قرأتُ القرآن . [٣٣٣] يعني في النوم»[٤].

التحليل : يعلّل المنام الأوّل صدور رائحة المسك من فم نافع المدنيّ وقت تكلّمه وقراءته ، وذلك بسبب قراءة الرسول الأكرم في فيه ، بينما يعلّل المنام الثاني وجهه الصبوح وخلقه الحسن بمصافحة الرسول الأعظم له ؛ فهما يضفيان تزكيّة وتبريكًا على نافع المدنيّ ، لأنّه صاحب قرآن ؛ فهذا في عداد فضائله .

---

(١) معرفة القرّاء الكبار ٢٤٣/١ (سطر ٤-٨) .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ٢٤٣/١ (سطر ٩) .

(٣) أحاسن الأخبار ٢٢٤ .

(٤) غاية النهاية ٣٣٢/٢-٣٣٣ (٣٧١٨) .

يُضاف إلى ذلك أنّ المنام الأوّل يتحدّث عن تلقين الرسول الأعظم نافعًا المدنيَّ القرآنَ ، بينما جاء الثاني (حسب رواية ابن الجزريّ) ليتمّم الأوّل ، وذلك بعرض نافع المدنيّ قراءة القرآن على النبيّ الكريم ، أي أنّ نافعًا روى القرآن سماعًا وعرضًا عن الرسول ﷺ مباشرة بلا واسطة ، ممّا يهدف إلى جعله من أصحاب حقّ الصدارة في هذا الشأن من جهة وإلى جعل قراءته محكمة التلقّي والتلقين ، مقطوعًا في صحّتها من جهة أخرى .

نصّ المنام الثالث :

«قال أبو بكر محمّد بن يونس المقري المطرّز البغداديّ : رأيتُ النبيّ ﷺ في المنام ، فقلتُ : يا رسول الله ! أأقرأ بقراءة عاصم ؟ فسكت عنّي ؟ فقلتُ: أأقرأ بقراءة أبي عمرو ؟ فسكت عنّي ؛ فقلتُ : أأقرأ بقراءة حمزة ؟ فسكت ؛ فقلتُ : أأقرأ بقراءة نافع ؟ فتبسّم النبيّ ﷺ وقال : اقرأْ بقراءة نافع ! اقرأْ بقراءة نافع ! ثلاثًا ». [1]

التحليل : هو أيضًا في فضائل نافع المدنيّ على أنّه صاحب قرآن . لذا يمكن تصنيفه في أدب فضائل قرّاء القرآن . كذلك يقدّم المدينةَ المنوّرَة على البصرة والكوفة في القراءة من باب المنافسة والمفاضلة بين هذه البلدان ممثّلة بكبار قرّائهم. لذا يمكن إدراجه أيضًا في أدب فضائل البلدان وفي أدب المفاخرات .

(١) أحاسن الأخبار ٢٢٤ .

المبحث الثالث : ما ورد بحقّ حمزة الزيّات (١٥٦) وقراءته

نصّ المنام الأوّل :

«قال إسماعيل بن زياد : قال حمزة : رأيتُ النبيّ ﷺ في منامي ، فقلتُ يا رسول الله ! قد رويتُ ألفَ حديث بإسناد عنك ؛ أفأقرؤها عليك ؟ قال : نعم ؛ فقرأتُها عليه كلّها بإسنادها عنه ، فزوّرها كلَّها إلا أربعة أحاديث، فإنّه لم يُقرَّ منها إلا بتلك الأربعة، وقال : لم أتكلّم بها ؛ فقلتُ : يا رسول الله ! قد قرأتُ القرآن . أأقرؤه عليك ؟ [٧٤] فقرأتُ عليه القرآن من أوّله إلى آخره ؛ فقال : كما أنزل عليّ ». [١]

التحليل : قد سبق الكلام عن هذا المنام في إضفائه شرعيّة عامّة على قراءة حمزة الزيّات وصحّتها وعن استدلال ابن غلبون (٣٩٩) به على ذلك ، لكن تجدر الإشارة هنا إلى شطره الأوّل[٢] الذي يتحدّث عن ظاهرة وضع الأحاديث وقوّة انتشارها في الأوساط ، أي الأحاديث الموضوعة . وهو الشطر الذي يوضح شرعيّة قراءة حمزة وصحّتها من باب المقابلة والموازاة ؛ فالرسول ﷺ الصادق الأمين قد أسقط الألف حديث لزيفها إلا أربعة منها على أنّها صحيحة ، مرويّة عنه ؛ فلو كان شيئًا من عدم الصحّة في قراءة حمزة، لكان من المتوقّع ، بل من المؤكّد -كما يهدف المنام – أن ينبّهه الرسول الأكرم على ذلك ، كما فعل في مجموعة الأحاديث .

---

(١) كتاب التذكرة في القراءات ١/٧٣-٧٤ .

(٢) يُقابَل مقدّمة صحيح مسلم ١/٢٥ . يُقارَن تهذيب الكمال ٧/٣١٨ .

نصّ المنام الثاني :

قال ابن سوار (٤٩٦) : «حدّثنا أبو الوليد عُتبة بن عبد الملك بن عاصم القرشيّ العثمانيّ ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو الطيّب عبد المنعم بن عُبيد الله ابن غلبون [٣٣٩] المقرئ قراءةً عليه بمصر في منـــزله ، قال : أخبرنا أبو بكر محمّد بن نُصير السامرّيّ قراءةً عليه : حدّثنا أبو بكر القاضي المعروف بوكيع ، قال : أخبرنا داود بن رُشيد ، قال : أخبرنا مُجّاعة بن الزبير ، قال : دخلتُ على حمزة الزيّات ، رحمه الله ، وهو يبكي ، فقلتُ : ما يُبكيك ؟ قال: أُريتُ في منامي كأنّي عُرضتُ على الله ، عزّ وجلّ ؛ فقال لي : يا حمزة! اقرإِ القرآنَ كما علّمتُك ! فوَثَبْتُ قائمًا ؛ فقال لي : اجلس ! فإنّي أحبُّ أهلَ القرآن ؛ فقرأتُ حتّى بلغتُ سورةَ طه ، فقلتُ : (طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) [١٢:٢٠-١٣]؛ فقال لي : بيّنْ ! فبيّنتُ : (طُوًى ۞ وَأَنَّا اخْتَرْنَـــكَ) ؛ ثمّ قرأتُ حتّى بلغتُ سورة يس ، فأردتُ أن أُعطى ، فقلتُ : (تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) [٥:٣٦]؛ فقال لي : (تَنْزِيلَ) ! يا حمزة ! كذا قرأتُ وكذا أقرأتُ حملةَ العرش وكذا يقرأ المقربّون . ثمّ دعا بسِوَار ، فسوّرني ، فقال : هذا بقراءتك القرآن . ثمّ دعا بمِنْطَقَة ، فنَطَّقَنِي ، فقال : [٣٤٠] هذا بصومك بالنهار . ثمّ دعا بتاج ، فتوّجني . قال : هذا بإقرائك الناسَ . يا حمزة ! لا تَدَعْ ﴿تَنـــزِيلَ﴾ ! فإنّي نَزَّلْتُهُ تَنْزِيلاً .»(١)

نقله المزّيّ (٧٤٢) أيضًا بإسناده في ترجمة حمزة في تهذيب الكمال ٣٢١/٧، جاء في آخره : «أفَتَلُومني أن أبكي ؟» . كذلك أورده ابن وهبان

(١) المستنير في القراءات العشر ٣٣٨/١-٣٤٠ .

(٧٦٨) في أحاسن الأخبار مع هذه الجملة[١] وأضاف على ذلك بعض الزيادات، كما يلي : «وقد زيد في بعض الروايات : فلمّا وصلتُ إلى قوله : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [١٤:٢٠] . قال الله تعالى : نعم ، أنا الله ، لا إله إلا أنا، فاعبدني ؛ فلمّا فرغتُ من القراءة، قال الله ، تعالى ، لي : لك بكلّ آية درجة؛ فقلتُ : يا ربّ ! لي خاصّة ؟ قال : لا ، بل لك ولمن قرأه وعمل به»[٢].

التحليل : قد تقدّم هذا المنام والكلام على بعض جوانبه . من الأمور الجديرة بالوقوف عليها فيه هي مسألة الجوائز ؛ فهو يتحدّث عن ثلاث:

١) جائزة السوار على قراءة القرآن.

٢) جائزة المنطقة على الصوم بالنهار.

٣) جائزة التاج على إقراء الناس القرآنَ .

هذا تعزيز وتكريم لأهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته ؛ فهو في فضائلهم ومناقبهم .

يُضاف إلى ذلك مسألة قراءة القرآن وإقرائه في الملكوت الأعلى ، كما هو الحال عند بني البشر من المسلمين ؛ فالله تعالى يقرأ القرآن[٣]ويقرئُه حملةَ

---

(١) أحاسن الأخبار ٣١٢-٣١٣ .

(٢) أحاسن الأخبار ٣١٣ .

(٣) يُقابَل بهذا الصدد منام لأبي الحسن النعمان بن أحمد القاضي بمصر ، رأى فيه يعقوب بن سفيان الفسويّ (٢٧٧) بعد مماته ، أعلمه الأخيرُ فيه أنّه لم ير ربَّ العزّة ، لكن سمعه يقرأ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [٩٠:٢٦] ، كما ورد في ترجمة الفسويّ في تهذيب الكمال ٣٣٤/٣٢ (٧٠٨٨) .

عرشه ، كما قرأ الرسول الكريم القرآنَ المنـــزلَ عليه وأقرأه أصحابَه الكرامَ . يُقابِلُ هذه المسألةَ ويوازيها تمامًا في الفكرة والطرح مسألةُ رواية الحديث النبويّ الشريف ، كما جاء ذلك في منامين عن الفسويّ (٢٧٧) في ترجمته في تهذيب الكمال ٣٣٤/٣٢ (٧٠٨٨) : «قال محمّد بن إسحاق بن ميمون الفسويّ عن عَبْدان بن محمّد المروزيّ : رأيتُ يعقوب بن سفيان في النوم ، فقلتُ : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وأمرني أن أُحدِّث في السماء، كما كنتُ أحدّث في الأرض ، فحدّثتُ في السماء الرابعة ؛ فاجتمع عليّ الملائكةُ ، واستملى عليّ جبريل . وكتبوا بأقلام من ذهب . وقيل عن محمّد بن إسحاق بن ميمون عن أحمد بن جعفر التُّستريّ : لَمّا جاء نعي يعقوب بن سفيان ، رأيتُه في النوم كأنّه في السماء السابعة يحدّث وجبريلُ يستملي عليه».

كذلك تقدّم اطّلاع الذهبيّ (٧٤٨) على متن هذا المنام وتشكيكه في إسناده واعتباره خبرًا منكرًا ، كما قال : «قد بلغنا أنّه رأى ربّ العزّة في المنام. و لم يثبت إسناد ذلك وهو منكر جدًّا . رواه أبو الطيّب بن غلبون : أنا أبو بكر محمّد بن نصر بن هارون السامَرّيّ : ثنا وكيع القاضي : ثنا داود بن رشيد : ثنا مُجَّاعة بن الزبير ، قال : دخلتُ على حمزة الزيّات وهو يبكي ، فقلتُ : ما يبكيك ؟ قال : وكيف لا أبكي . إنّي رأيتُ في منامي كأنّي عرضتُ على الله ، عزّ وجلّ ؛ فقال لي : يا حمزة ! اقرأْ القرآن ! وذكر المنام»[1].

(١) معرفة القرّاء الكبار ٢٦٠/١ .

لقد وقف الذهبيّ على أكثر من علّة في إسناده . قال في ترجمة السامرّيّ: «محمّد بن نصر بن هارون ، أبو بكر السامريّ : لا يُعرَفُ . وأتى بمنام حمزة الزيّات ورؤيته الله تعالى فقال : حدّثنا محمّد بن خلف بن وكيع: حدّثنا داود بن رُشيد – فكذب . لم يدرك محمّدٌ داودَ : حدّثنا مُجّاعة بن الزُّبير – فكذب أيضًا . لم يَلْقَ مُجّاعة ؛ فلا يثبتُ المنام أصلاً .»(١) وقال في ترجمة مجّاعة : «قد رُكّب على مجّاعة منامُ حمزةَ الزيّاتِ وأنّه سمعه منه ، وذلك اختلاق .»(٢)

نصّ المنام الثالث :

«قال أبو الطيّب عبد المنعم بن عُبيد الله بن غلبون المقرئ : أخبرنا أبو بكر محمّد بن نصر السامَرِّيّ ، قال : حدّثنا سليمان بن جَبَلَة ، قال : حدّثنا إدريس بن عبد الكريم الحدّاد ، قال : حدّثنا [٣١٩] خلف بن هشام البزّار ، قال : قال لي سُليم بن عيسى : دخلتُ على حمزة بن حبيب الزيّات ، فوجدتُه يُمَرِّغُ خَدَّيْهِ في الأرض ويبكي ، فقلتُ : أعيذُك بالله ؛ فقال : يا هذا ! استَعَذْتَ في ماذا ؟ فقال : رأيتُ البارحة في منامي كأنّ القيامة قد قامت وقد دُعي بقرّاء القرآن ، فكنتُ فيمن حضر ، فسمعتُ قائلاً يقول بكلام عَذْبٍ : لا يدخُل عليّ إلا من عمل بالقرآن ؛ فرجعتُ القهقرى ؛ فهتف باسمي : أين حمزة بن حبيب الزيّات ؟ فقلتُ : لبَّيْك ، داعيَ الله ، لبَّيْك ! فبَدَرَني مَلَكٌ ، فقال : قل : لبَّيْك اللّهمّ لبَّيْك ! فقلتُ كما قال لي ؛ فأدخلني دارًا ؛ فسمعتُ

---

(١) ميزان الاعتدال ٣٥٥/٦ (٨٢٦٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩٧/٧ .

فيها ضجيج القرآن ، فوقفتُ أرعد ، فسمعتُ قائلاً يقول : لا بأس عليك . ارقَ واقرأْ ! فأَدَرْتُ وجهي ، فإذا أنا بمنبر من درٍّ أبيض ، دفّتاه من ياقوت أصفر ، مراقيه زبرجد[1]أخضر ؛ فقيل لي : ارقَ واقرأْ ! فرقيتُ ؛ فقيل لي : اقرأْ سورة الأنعام ! فقرأتُ وأنا لا أدري على مَن أقرأ حتّى بلغتُ الستّين آيةً؛ فلمّا بلغتُ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [٦١:٦] ، قال لي : يا حمزة ! ألستُ القاهر فوق عبادي ؟ قال : فقلتُ : بلى . قال : صدقتَ . اقرأْ ! فقرأتُ حتّى تمّمتُها . ثمّ قال لي : اقرأْ ! فقرأتُ الأعراف حتّى بلغتُ آخرَها ، فأومأتُ بالسجود ؛ فقال لي : حسبُك ما مضى . لا تسجد ! يا حمزة ! من أقرأك هذه القراءة ؟ فقلتُ : سليمان . قال : صدقتَ . من أقرأ سليمان ؟ قلتُ : يحيى . قال : صدق يحيى . على من قرأ يحيى ؟ فقلتُ : على أبي عبد الرحمن السلميّ ؛ فقال : صدق أبو عبد الرحمن السلميّ . من أقرأ أبا عبد الرحمن [٣٢٠] السلميّ ؟ فقلتُ : ابن عمّ نبيّك عليّ بن أبي طالب . قال : صدق عليّ . من أقرأ عليًّا ؟ قال : قلتُ : نبيُّك ﷺ . قال : ومن أقرأ نبيّي ؟ قال: قلتُ : جبريل . قال : ومن أقرأ جبريل ؟ قال : فسكتُّ ؛ فقال لي : يا حمزة: قل : أنت ! قال : فقلتُ : ما أجسُرُ أن أقول : أنتَ . قال : قلْ : أنت ! فقلتُ : أنتَ . قال : صدقتَ . يا حمزة ! وحقِّ القرآن لأكرمنَّ أهلَ القرآن ، سيّما إذا عملوا بالقرآن . يا حمزة ! القرآن كلامي . وما أحببتُ أحدًا كحبّي لأهل القرآن . ادْنُ ! يا حمزة ! فدنوتُ ؛ فغمر يده في الغالية ثمّ ضمّخني بها وقال : ليس أفعلُ بك وحدَك . قد فعلتُ ذلك بنظرائك من فوقك ومن

(١) في المطبوع "مراقته زبرجرد" مصحَّفَين .

دونك ومَن أقرأ القرآن كما أقرأتُه ، لم يُرِدْ به غيري . وما خبّأتُ لك ، يا حمزة ، عندي أكثر ؛ فأَعْلِمْ أصحابَك بمكاني من حبّي لأهل القرآن وفِعْلي بهم! فهم المصطفَوْن الأخيار . يا حمزة ! وعزّتي وجلالي لا أعذّب لسانًا تلا القرآنَ بالنار ولا قلبًا وعاه ولا أذنًا سمعتُه ولا عينًا نَظَرَتْهُ ؛ فقلتُ : سبحانك! سبحانك ! أيْ ربّ ! فقال : يا حمزة ! أين نُظّار المصاحف ؟ فقلتُ : يا ربّ! حُفّاظهم . قال : لا ، ولكنّي أحفظه لهم حتّى يوم القيامة ؛ فإذا أتوني ، رفعتُ لهم بكلّ آية درجة . أفَتَلُومني أن أبكي وأتمرّغ في التراب؟»[1]، هكذا رواه المزّيّ (٧٤٢) بإسناده في ترجمة حمزة .

التحليل : في هذا المنام تعظيم القرآن والحثّ على العمل به والترغيب فيه مع تشريف أهله وقرّائه ؛ فهو في فضائل القرآن وأهله وقرّائه ، خاصّة حمزة الزيّات . كذلك تكريم تالي القرآن وواعيه وسامعه وناظره ، أي الذي يديم النظر في المصحف وقت القراءة . أمّا بالنسبة لحمزة الزيّات ، ففيه إضفاء شرعيّة على صحّة قراءته باجتيازه الاختبار الإلهيّ في قراءة سورة الأنعام والأعراف اللتين لم يخطئ بحرف فيهما من جهة وعلى صحّة إسناد قراءته الموصول به إلى ربّ العزّة من جهة أخرى .

كذلك نقل ابنُ وهبان (٧٦٨) هذا المنامَ بطوله في أحاسن الأخبار ٣١٤-٣١٥ . هو والمزّيّ دون أدنى تعليق أو تعقيب عليه . أمّا الذهبيّ (٧٤٨)، فما كان ليفوته منام بهذا الإسهاب والطول دون نقد جدير ، فأورد إسناده دون المتن (لطوله) وحكم عليه أيضًا بعدم الثبوت . ها هو كلامه : «قال ابن

(١) تهذيب الكمال ٣١٨/٧-٣٢٠ .

غلبون : وأنا السامرّيّ : أنا سليمان بن حبيب : أنا إدريس الحدّاد : ثنا خلف، فذكر منام حمزة أطولَ من هذا . قلتُ [1]: السامرّيّ مجهول . هكذا ذكره ابن النجّار ؛ فأخاف أن[2]يكون وضعه . ورواه[3]ابن سوار في المستنير عن عتبة العثمانيّ عن أبي الطيّب .»[4]

واضح أنّ الذهبيّ (٧٤٨) قد تعامل مع هذا المنام والسابق له بنظرة ناقدة إلى حدّ اعتبارهما موضوعَين ، لكنّه مع ذلك يبقى منفردًا في رأيه ، إذا ما قُورِن بمواقف علماء آخرين قبله وبعده ، أمثال ابن المنادي (٣٣٦) وأبي الطيّب ابن غلبون (٣٨٩) وابن سوار (٤٩٦) والشاطبيّ (٥٩٠) والسخاويّ (٦٤٣) وابن وهبان (٧٦٨) ، فهؤلاء جميعًا نقلوا هذا المنام واعتمدوا روايته ، كما سيأتي ذلك مفصّلاً ، بل ذهب بعض هؤلاء – بالإضافة إلى توظيف المنامات المرويّة عنه عمومًا غرض تعزيز مكانته – إلى تأويل بعضها الذي بدا لغير صالحه . خير مثال على ذلك ما نقله السخاويّ (٦٤٣) فيما يلي : «قال يوسف بن أسباط : رأيتُ حمزةَ بعد موته في المنام كأنّه يلعق من سُكُرُّجَة ، فيها خردل ، ويقول : أَخٍ لحرارةِ طَعْمِهِ ! قال[5]: فتأوّلتُ ذلك لشدّة أَخْذِه على مَن قرأ عليه . وهذه الرؤيا لا تقوم بها حجّة[6]. قال أحمد بن جعفر بن محمّد بن

---

(١) القائل هو الذهبيّ .

(٢) في المطبوع "لا" . لا يستقيم المعنى بذلك ، بينما الصواب "أن" ، كما أثبتّه أعلاه .

(٣) يعني المنام الثاني حسب ترتيبي .

(٤) معرفة القرّاء الكبار ١/٢٦٠ .

(٥) القائل هو يوسف بن أسباط .

(٦) صاحب هذه الجملة هو السخاويّ ، مؤلّف جمال القرّاء .

عبيد الله بن المنادي : معنى هذا المنام يرجع إلى الذي رآه ، لأنّه كان يستعظم أَخْذَ حمزة وله عنده هول شديد ، فرأى ذلك لأجل ما كان عنده منه. وهذا الذي قاله ابن المنادي ، رحمه الله ، هو الحقّ . ومَن رأى رجلاً جليلَ القدر في المنام على حال سيّئة أو رآه قصيرًا أو ضيئلاً ، فإنّما[١]رأى اعتقاده فيه . وأين هذه الرؤيا من رؤيا حمزة ، رحمه الله ، أنّه قرأ القرآنَ كلَّه على ربّ العزّة . وقد حدّثني بها الشيخ الإمام أبو القاسم الشاطبيّ ، رحمه الله، بقراءتي عليه وحدّثني بها غيره ؛ وهي مشهورة ». [٢]

ثمّ تبع ابنُ وهبان السخاويَّ على ذلك ، فنقل كلامَه المذكورَ آنفًا بكماله واستشهد أيضًا باستدلال ابن غلبون بهذا الخصوص . لوصل المتون بعضها ببعض نورد هنا آخر اقتباس السخاويّ المنقول في أحاسن الأخبار ٣٢٦-٣٢٧ : «أين هذه الرؤيا من رؤيا حمزة ، رحمه الله ، وهو قد رأى ربَّ العزّة وقرأ عليه القرآن كلَّه . انتهى . وتقدّم رؤياه النبيَّ ﷺ وقراءته عليه القرآن كلَّه في المنام . [٣٢٧] قال ابن غلبون في التذكرة بعد أن حكى رؤياه: فدلّ هذا على صحّة قراءة حمزة وجَهْلِ مَن يُلَحِّنُه فيها ويردّ عليه ، لأنّه كان متّبعًا لِمَن أخذ عنه ، كما تقدّم ممّن اتّصل إسنادُه برسول الله ﷺ فمَن ردّ عليه، فإنّما يردّ على مَن قرأ عليه وعلى رسول الله ﷺ . وكفى به إثمًا عظيمًا وجهلاً مبينًا . انتهى كلامه ».

يُضاف إلى ذلك أنّ ابن وهبان (٧٦٨) قد استشهد بمنام آخر ، كما يلي:

---

(١) في المطبوع "فإنها" مصحَّفًا ، بينما التصويب من أحاسن الأخبار ٣٢٦ .

(٢) جمال القرّاء ٢/٤٧٤ .

«قال ابن شنبوذ : حدّثني بعض أصحابنا من أصحاب الحديث ، قال : رأيتُ فيما يرى النائم كأنّ القيامة قد قامت . وإذا رجل قائم في علوّ وعن يمينه آخر. قال : فسألتُ : من هذان في العلوّ ؟ فقيل لي : أبو عمرو بن العلاء وحمزة بن حبيب الزيّات والقرّاء من ورائهما ». (١)

التحليل : صاحب هذا المنام من أصحاب الحديث ، لا من القرّاء . لو كان منهم ، لقال قائل : يمدحون أنفسهم بأنفسهم . لذا جاءت الشهادة والتقدير من غيرهم ، ليكون أقرب إلى القبول . واضح أنّ هذا المنام يبرز أبا عمرو وحمزة على سائر القرّاء ويجعلهما في المقدّمة ؛ فهو في عداد فضائل القرّاء من جهة وفضائل البلدان من جهة أخرى ، أي فضل العراقيّين الممثّلين هنا بهذين القارئين على سائر الأمصار ، كالشاميّة والحجازيّة الممثّلة بغيرهما .

المبحث الرابع : ما ورد بحقّ الكسائيّ (١٨٩) وقراءته

نصّ المنام الأوّل :

«قال نصير : دخلتُ على الكسائيّ في مرضه الذي مات فيه ، فقال : لقد كنتُ أقرئ الناسَ في مسجد دمشق ، فأغضيتُ في المحراب ، فرأيتُ النبيّ ﷺ داخلاً من باب المسجد ؛ فقام إليه رجل ، فقال : بحرف مَن نقرأ ؟ فأومأ إليّ ». (٢)

---

(١) أحاسن الأخبار ٣٩٢ .

(٢) كتاب التذكرة ٧٩/١ . كذلك نقله الذهبيّ (٧٤٨) في معرفة القرّاء الكبار ٣٠٣/١-٣٠٤ وابن وهبان (٧٦٨) في أحاسن الأخبار ٤١٢ مع زيادة بيتين من الشعر ، أنشدهما الكسائيّ في هذه المناسبة. مثلهما ابن الجزريّ (٨٣٣) في غاية النهاية ٥٣٧/١، لكنّه رواه بإسناده الموصول به إلى نصير ابن يوسف النحويّ (ح٢٤٠) ، راوي الخبر؛ وهو من جلّة أصحاب الكسائيّ (١٨٩) .

التحليل : يهدف هذا المنام إلى إبراز مكانة الكسائيّ ومدى شيوع قراءته ، وذلك ليس في نطاق العراق (الكوفة وبغداد) فحسب ، بل تعدّت سمعته الآفاق وشاعت فيها قراءته ؛ فورود ذكر بلاد الشام في المنام هو على سبيل المثال ، لا الحصر .

من اللافت للنظر أنّ هذا المنام لم يكن مدار نقاش عند العلماء بقدر ما كان الخبر برمّته ؛ فقد احتجّ ابنُ الجزريّ به على قدومه الشامَ غَرَضَ توثيقِ قراءة عبد الله بن ذكوان على الكسائيّ ؛ فالخلاف يدور حول ابن ذكوان وهل أخذ على الكسائيّ حين قدم الشام . ذهب إلى ذلك أبو عمرو الدانيّ (٤٤٤) بالتعويل على قول أبي بكر محمّد بن الحسن النقّاش (٣٥١) : «قال ابن ذكوان : أقمتُ على الكسائيّ سبعة أشهر وقرأتُ عليه القرآن غير مرّة»[١] اعترض الذهبيّ على ذلك وأنكره بشدّة ، فقال : «هذا قول منكر ، والنقّاش ليس بعمدة ، وأبو القاسم بن عساكر الحافظ مع فرط تنقّبه لم يذكر الكسائيّ في تاريخ دمشق »[٢] - في رواية أخرى: «قال أبو عبد الله الذهبيّ: لم يتابع النقّاشَ أحدٌ على هذا والنقّاشُ يأتي بالعجائب دائمًا. وأمّا الحافظ ابن عساكر، فلم يذكر شيئًا من ذلك ولا ذكر الكسائيّ في تاريخ دمشق أصلاً .»[٣]

من جهته اعترض ابن الجزريّ على كلام الذهبيّ وإنكاره ، فروى خبر المنام بإسناده الموصول به إلى الكسائيّ ، ليستدلّ به على دخوله دمشق وإقرائه

---

(١) معرفة القرّاء الكبار ٣٠٣/١ . كذلك غاية النهاية ٥٣٧/١ .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ٣٠٣/١ .

(٣) غاية النهاية ٥٣٧/١ .

بمسجدها ، ومحتجًّا برواية ابن غلبون له ، فقال بعد سرده : «فهذا تصريح منه بدخوله دمشق وإقرائه بمسجدها . ولو اطّلع أبو القاسم بن عساكر الحافظ على هذا ، لذكره فيمن دخل دمشق ؛ فإنّه كان أوّلاً يطوف البلاد ، كما ذكر غيرُ واحد . وإنّما أقام ببغداد في آخر وقت . وقد ذكر هذه الحكاية أيضًا أبو الحسن طاهر بن غلبون في كتابه التذكرة ». (1)

نصّ المنام الثاني :

قال ابن سوار (٤٩٦) : «قرأتُ على شيخنا أبي الحسن عليّ بن محمّد الخيّاط المقرئ ، قلت : حدّثكم أبو الفرج عبيد الله بن عمر المصاحفيّ : حدّثنا أبو عليّ الحسن بن داود الكوفيّ إملاءً : حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن عيسى الفُسطاطيّ وكان متعبّدًا : حدّثني أحمد بن سهل التميميّ ، ورّاق أبي عبيد ، قال : سمعتُ الكسائيّ ، رحمه الله ، يقول : لَمّا فرغتُ من قراءتي ، جاء الناس ، ليكتبوها ؛ فقال لي الرشيد : يا عليّ ! ليس يَسَعُ الناسَ أن يقرؤوا عليك كلُّهم ؛ فاصعد على المنبر واقرأ على الناس ما تيسّر لك ! فكنتُ أقرأ ؛ فمن الناس من يجيء بنفسه ، فيستثبتني فيما كتب ، ومنهم من كان يَفهَم ويَشْكُل ، فلا يأتيني ؛ فلَمّا فرغتُ من القرآن ، رأيتُ النبيّ ﷺ في المنام؛ فقال لي : أنت الكسائيّ ؟ فقلتُ : نعم ، يا رسول الله ! قال : عليٌّ ابن حمزة ؟ قلتُ : نعم ، يا رسول الله ! [٣٦٧] قال : الذي أقرأتَ أمّتي بالأمس القرآن ؟ قلتُ : نعم ، يا رسول الله ! قال : فاقرأْ عليّ آيات ؟ فجرى على لساني ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾ [٣٧:١-٣] ؛

(١) غاية النهاية ١/٥٣٧ .

فقال: أحسنت . لا تَقُلْ : (وَالصَّافَّات صفًّا * فَالزَّاجِرَات زجْرًا * فَالتَّالِيَات ذكْرًا) ! نهاني عن الإدغام ، ثمّ قال لي : اقرأْ ! فقرأتُ حتّى انتهيتُ إلى قوله ، عزّ وجلّ: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [٣٧:٩٤]؛ فقال : أحسنتَ . لا تقل: (يُزِفُّونَ) ! نهاني عن الضمّ . ثمّ قال لي : قُمْ ! لأُبَاهِيَنَّ بك . قال الكسائيّ : لا أدري قال الملائكة أو القرّاء ». [١]

التحليل : يتحدّث المنام عن نهي الرسولِ الأكرمِ الكسائيَّ عن قراءة إدغام المتقاربين في الآيات الثلاث الأولى من سورة الصافّات لصالح الإظهار وعن قراءة (يُزِفُّونَ) لصالح (يَزِفُّونَ) ؛ فالمنام مزدوج الهدف ، يهدف إلى تصديق مخالفة الكسائيِّ شيخَه حمزة الزيّات في هذه المواضع من جهة وإلى تصديق متابعته العامّةَ وجمهور القرّاء من جهة أخرى .

بكلمات أخرى : المنام لصالح الكسائيّ على حساب حمزة ؛ فالأخير شبه منفرد بإدغامه هذه المواضع الثلاثة ، إذ وافق بذلك أبا عمرو[٢]، ومنفرد بضمّ الياء في (يُزِفُّونَ) بين أئمّة القرّاء العشرة[٣].

يعكس هذا المنام بعض ما وُجّه إلى حمزة الذي كانت قراءته مدار انتقاد واعتراض من قبل العديد من العلماء ، كما تقدّم . أمّا إدغامه فيهنّ ، فقد نقل

---

(١) المستنير في القراءات العشر ٣٦٦/١-٣٦٧ . كذلك يُنظَر تاريخ بغداد ٤٠٩/١١ ، أحاسن الأخبار ٤٢٠-٤٢١ .

(٢) التلخيص ٣٨٥ . قلتُ : الفرق بين مذهبيهما أنّ أبا عمرو جارٍ على أصله في إدغام المتقاربين ، كما هو مشهور عنه ، وحمزة خارج عن أصله .

(٣) كتاب السبعة ٥٤٨ (٧) ، كتاب معاني القراءات ٤١٠ "حمزة والمفضَّل عن عاصم" ، المبسوط ٣٧٦ (٦) ، كتاب التذكرة ٦٣٦/٢ (٧) "حمزة والمفضَّل" .

أبو جعفر النحّاس نفور الإمام ابن حنبل من ذلك حين سمعه ثمّ وقف بدوره على ضعف الإدغام في هذه المواضع مع التماسه له بعض العذر في إدغامه ، كما في إعراب القرآن ٤٠٩/٣ : «قرأ حمزة بالإغام فيهنّ . وهذه القراءة التي نفر منها أحمد بن حنبل لَمّا سمعها . قال أبو جعفر : هي بعيدة في العربيّة من ثلاث جهات . إحداهنّ أنّ التاء ليست من مخرج الصاد ولا من مخرج الزاي ولا من مخرج الذال ولا هي من أخواتهنّ . وإنّما أختاها الطاء والدال ، وأخت الزاي الصاد والسين ، وأخت الذال الظاء والثاء . والجهة الثانية أنّ التاء في كلمة وما بعدها في كلمة أخرى . والجهة الثالثة أنّك إذا أدغمتَ ، فقلتَ : والصافّات صَّفًّا ، فجمعتَ بين ساكنين من كلمتين ، فإنّما يجوز الجمعُ بين ساكنين في مثل هذا ، إذا كانا في كلمة واحدة ، نحو دَابَّة . ومجاز قراءة حمزة أنّ التاء قريبةُ المخرج من هذه الحروف .»

أمّا قراءة (يُزِفُّونَ) ، فقد "زعم أبو حاتم أنّه لا يعرف هذه اللغة» ، كما نقل ذلك النحّاسُ في إعراب القرآن ٤٢٩/٣ .

ثمّة مسألة أخرى في هذا المنام ، هي مباهاة الرسول الأعظم بالكسائيّ الملائكةَ أو القرّاء ؛ فهي عبارة عن تكريم وتشريف لشخص الكسائيّ قارئًا ومقرئًا .

المبحث الخامس: ما ورد بحقّ أبي عمرو بن العلاء البصريّ (١٥٤) وقراءته

نصّ المنام الأوّل :

«قال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدّثنا شُجاع بن أبي نَصْر – وكان صدوقًا مأمونًا – قال : رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ، فعرضتُ عليه أشياءَ من قراءة أبي عمرو ؛ فما ردّ عليّ إلا حرفين ».[1]

التحليل : يستخدم هذا المنام الطريقة السلبيّة في إضفاء شرعيّة على صحّة قراءة أبي عمرو ، إذ لا حاجة لعرض أو استعراض مجمل قراءته غرض التحقّق والتبيُّن ، بل يكفي مبدئيًّا الوقوف على الحالات أو المواضع أو الحروف التي كانت على الأرجح مدار انتقاد واعتراض ؛ وهذا ما عُبّر عنه حقيقة بكلمة "أشياء" الواردة بقول شجاع البلخيّ : "فعرضتُ عليه أشياءَ من قراءة أبي عمرو" . ثمّ يأتي الاستثناء الذي يفيد الحصر والقصر ليقلّل بدوره القليلَ [= الأشياءِ] إلى أبعد حدّ معقول ومقبول ؛ فالحرفان المردودان حسب المنام يضفيان مصداقيّة على دقّة المراجعة والفحص من جهة وعلى صحّة قراءة أبي عمرو إجمالاً من جهة أخرى .

هذا المنام وقف عليه الذهبيّ (٧٤٨) أيضًا ونقله في ترجمة أبي عمرو في معرفة القرّاء الكبار ١/٢٣٢ (٤٤) ، لكنّه بخلاف المتوقّع لم يطعن في صحّة روايته ، بل تراه هذه المرّة أنّه كان حريصًا على إيراد الرواية كاملة المتن، حيث يُكشَف فيها النقاب عن ماهيّة الحرفين المردودين حسب المنام. هذا

(١) تهذيب الكمال ١٢٥/٣٤ (٧٥٣٣) .

نصّه :

«أبو عبيد : حدّثني شجاع بن أبي نصر — وكان صدوقًا — قال : رأيتُ النبيّ ﷺ في المنام ، فعرضتُ عليه أشياءَ من قراءة أبي عمرو ؛ فما ردّ عليّ إلا حرفين . أحدهما (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) [٢:١٢٨] والآخر (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) [٢:١٠٦] ، فإنّ أبا عمرو قرأ (نَنسَأْهَا) .»

لا شكّ أنّ صحّة إسناد هذه الرواية المكوّن من أبي عبيد (٢٢٤) – وهو من الثقات الأثبات – وشجاع البلخيّ (١٩٠)[١] الذي أكّد أبو عبيد بنفسه على صدقه وأمانته ، كما جاء في الإسناد ، هي السبب وراء اعتماد الذهبيّ هذه الرواية دون أدنى إنكار أو تضعيف .

هذا بدوره يقود إلى الحديث عن متن المنام ؛ فبصحّة الإسناد يصحّ تلقائيًّا المتن ، أي ردّ حرفين من قراءته . هل هذا أمر قابل للتسليم به أم هو محلّ نظر ؟

أمّا (ننسأها) ، فردّها في غاية الإشكال ، لا في ردّ حرف أبي عمرو فحسب ، بل كذلك في ردّ حرف ابن كثير الذي أخذ عنه أبو عمرو قراءة أهل مكّة ، إذ وافقه في ذلك . قد يكون هذا الحرف محلّ نظر واعتراض عند البعض حسبما يصوّره هذا المنام ، خاصّة في فترة النصف الثاني من القرن الثاني والربع الأوّل من القرن الثالث ، حيث مدار هذه الرواية حسب إسنادها، لكن هذه الإشكاليّة حسمت نهائيًّا في حملة تسبيع القراءات على يد

---

(١) يُراجَع عنه قارئًا غاية النهاية ١/٣٢٤ (١٤١٦) [جاء هناك : "سُئل عنه الإمام أحمد ، فقال : بخ، بخ ! وأين مثله اليوم"] .

الإمام ابن مجاهد (٣٢٤) على أنّ هذا الحرف (ننسأها) قراءة صحيحة متواترة، كما في كتاب السبعة ١٦٨ (٤٠) وغيره ، ممّا يعني قطعًا عدم الأخذ بمفاد المنام بهذا الخصوص .

أمّا كلمة (أَرنَا) التي لم يحدّد متن المنام بالوصف وجه ردّها ، فالإشكاليّة فيها متعلّقة بلفظ الراء : إمّا بالكسر أو بالإسكان أو بالاختلاس (بين الكسر والإسكان) ؛ فمذهب أبي عمرو حسب معظم رواته الاختلاسُ في هذا الباب ، لا يسكّن ولا يثقّل ، كما في كتاب السبعة ١٧١ (٤٧) وكتاب معاني القراءات ٦٤ . بناءً على ذلك يمكن القول : إنّ الوجه المردود في هذا الحرف حسب المنام هو الإسكان . يعضد ذلك إنكار هذا الوجه من قبل بعض النحاة البصريّين واعتباره لحنًا . لقد وقف ابن الجزريّ على هذا الإنكار وردّ رأي صاحبه بشرح وبيان ، فقال في بداية كلامه : «وقد طعن المبرّد في الإسكان ومنعه وزعم أنّ قراءة أبي عمرو ذلك لحنٌ . ونقل عن سيبويه أنّه قال : إنّ الراويَ لم يضبط عن أبي عمرو ، لأنّه اختلس الحركة ، فظّن أنّه أسكن . انتهى . وذلك ونحوه مردود على قائله ، ووجهها في العربيّة ظاهر ، غير منكر وهو التخفيف ».[1] بذلك يعكس هذا المنام مواقف بعض النحاة البصريّين المعترضة على وجه الإسكان مع محاولة لإقصائه ، لكن بالمحصّلة حسم الأمر باعتبار الإسكان وجهًا من أوجه قراءة هذا الحرف ، وذلك ليس عند أبي عمرو وحده ، بل كذلك عند شيخه ابن كثير ، كما في كتاب السبعة ١٧١ (٤٧)، وأخذ به يعقوب الحضرميّ ، كما في معاني كتاب

(١) النشر ٢١٣/١ .

القراءات ٦٤ [مطلق] والمبسوط ١٣٦ (١١٤) [رواية رويس] .

كذلك فعل ابن وهبان (٧٦٨) الذي نقل هذا المنام ودافع عن الحرفين المردودين فيه : «حكى أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدّثنا شجاع بن أبي نصر – وكان صادقًا مأمونًا – أنّه رأى النبيّ ﷺ في المنام ، فذاكره أشياء من حروف أبي عمرو بن العلاء ؛ فلم يردّ عليه إلا حرفين . قال أبو عبيد : أحدهما (وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا) [١٢٨:٢] . قال : وأظنّ الآخرَ (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنسَأْهَا) [١٠٦:٢] . انتهى [٣٩٢] والقراءتان صحيحتان متواترتان . ولم ينفرد أبو عمرو بقراءة حرف منها ، بل على قراءة إسكان الراء في (أَرْنَا) عبد الله بن كثير . ووافقهما في حم السجدة [٢٩:٤١] ابنُ عامر وشعبة ».[1]

كذلك نقل ابن الجزريّ خبر هذا المنام في ترجمة أبي عمرو في غاية النهاية ٢١٩/١ (١٢٨٣) ، لكنّه لم يعلّق عليه شيئًا .

نصّ المنام الثاني :

«قال ابن شنبوذ : حدّثني بعض أصحابنا من أصحاب الحديث ، قال : رأيتُ فيما يرى النائم كأنّ القيامة قد قامت . وإذا رجل قائم في علوّ وعن يمينه آخر . قال : فسألتُ : من هذان في العلوّ ؟ فقيل لي : أبو عمرو بن العلاء وحمزة بن حبيب الزيّات والقرّاء من ورائهما ».[2] وقد تقدّم الكلام عليه في حمزة وقراءته ؛ فليُراجَع هناك !

---

(١) أحاسن الأخبار ٣٩١-٣٩٢ .

(٢) أحاسن الأخبار ٣٩٢ .

نصّ المنام الثالث :

«قال محمّد بن بُشير[1]: قال ابن عيينة : رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ، فقلتُ : يا رسول الله ! قد اختلفت عليّ القراءات ؛ فبقراءة مَن تأمرني أن أقرأ؟ قال : اقرأ بقراءة أبي عمرو !»، هكذا نقله ابن غلبون (٣٩٩) بإسناد منقطع في كتاب التذكرة في القراءات ٦٨/١ ، ثمّ عقّب عليه مباشرة بالاستدلال التالي [هناك] : «فدلّ ذلك على صحّة قراءة أبي عمرو وأنّها كلّها مختارة – الإدغام وغيره . ليس منها شيءٌ مكروهٌ لعموم قول رسول الله ﷺ لابن عيينة: "اقرأْ بقراءة أبي عمرو !" ؛ فعمّ و لم يفرّق ».

هذا استدلال خطير ، لأنّه اكتفى بالفائدة الجليّة من هذا المنام دون أن يكلّف نفسه عناء السؤال والنظر في أبعاد هذا المنام ، كأن يسأل على سبيل المثال : لماذا يفضّل النبيّ ﷺ حسب المنام قراءة أبي عمرو على غيرها من القراءات المتواترة ؟ هل من مسوّغ أو سبب موجب لذلك علمًا بأنّ السبع والثلاث المتمّمات على العشر قراءات صحيحة متواترة عنه ؟

لا شكّ أنّ هذا المنام بمفاده ينتصر بقوّة لأبي عمرو ولقراءته على غيره ويجعله في الصدارة ، فهو إذًا في عداد فضائله كصاحب قرآن وفضائل البصرة ومفاخرها على غيرها من الأمصار . لماذا هذا الانتصار الشديد له ؟ الإجابة على هذا السؤال تكمن في خبر المنام نفسه ، لكن برواية مزيدة ، رواها الإمام المسبّع ، كما في معرفة القرّاء الكبار ٢٣٣/١ :

---

(١) في المطبوع (بِشر) مصحَّفًا .

«ابن مجاهد : ثنا جعفر بن محمّد ، قال : قال محمّد بن بشير : قال سفيان بن عيينة : رأيتُ النبيّ ﷺ فقلتُ : يا رسول الله ! قد اختلفت عليّ القراءات ؛ فبقراءة مَن تأمرني أن أقرأ ؟ فقال : اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء! فإنّها تصير للناس إسنادًا ». – في رواية : «فإنّه سيصير للناس أستاذًا»(١).

يُفهَم من الجملة الأخيرة بوجهيها أنّ أبا عمرو في مقتبل مسيرته القرآنيّة، لم يلمع بعد نجمه في الأوساط المحلّيّة ، لكنّه يتمتّع بملكات رفيعة وطاقات فائقة ، تؤهّله مستقبلاً لنيل الأستاذيّة والرئاسة في القراءة والإقراء .

بالإضافة إلى ذلك تؤكّد هذه الرواية ذات الإسناد المتّصل بالإمام ابن مجاهد أنّ الأخير كان يعتمد في المقياس القرائيّ في عمليّة التسبيع على تقويم القارئ ، كما أجمل ذلك عبد الهادي الفضلي في القراءات القرآنيّة ١٢٣ على النحو التالي :

« أ – أن يكون القارئ مجمعًا على قراءته من قبل أهل مصره .

ب– أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته قائمًا على أساس من توفّره على العلم بالقراءة واللغة أصالة وعمقًا .»

إلى هذه النتيجة وصل الفضلي أيضًا بعدما وازن بين مقياس ابن مجاهد ومقاييس العلماء الذين جاءوا من بعده ، وعبّر عنها بقوله : «إنّ مقياس ابن مجاهد ينظر إلى القارئ نفســـه ويقوّمه مباشرة . ولعلّه يرى أنّ تـــقويم القارئ

(١) تهذيب الكمال ١٢٥/٣٤ (٧٥٣٣) .

تقويم لقراءته ، بينما تنظر المقاييس التي تلته إلى القراءة وتقوّمها مباشرة .»[١]

من الجدير بالذكر بهذا السياق أنّ ابن وهبان (٧٦٨) أورد خبر هذا المنام في أحاسن الأخبار ٣٩١ ، كما هو في كتاب التذكرة ، لكن باختلاف في اسم الراوي ، كالتالي : «قال سفيان الثوريّ : رأيتُ النبيّ ﷺ في النوم، فقلتُ : يا رسول الله ! قد اختلف عليّ القرآنُ ؛ فقراءة مَن تأمرني أقرأ؟ قال : اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء ».

بغضّ النظر عن أيّ الاسمين هو الصواب يمثّل كلّ واحد منهما شخصيّة كبيرة في مصره ؛ فسفيان الثوريّ فقيه أهل الكوفة وسفيان بن عيينة فقيه أهل مكّة . هذا يعني أنّ التقدير لشخص أبي عمرو صادر عن جهة غير جهة مصره (البصرة) ، ممّا يجعله أقرب إلى القبول ، لأنّه كان من المتوقّع أن ينتصر كلّ واحد منهما للقراءة المحلّيّة في بلده ، لا لقراءة مصر منافس .

المبحث السادس : ما ورد بحقّ يعقوب الحضرميّ (٢٠٥) وقراءته

نصّ المنام :

«رُوي عن أبي عثمان المازنيّ أنّه قال : رأيتُ النبيّ ﷺ في المنام ، فقرأتُ عليه سورة طه ، فقرأتُ (مَكَانًا سِوًى) [٢٠:٥٨] ؛ فقال لي : اقرأْ (سُوًى) ! اقرأْ بقراءة يعقوب !»[٢]

كذلك أورده الذهبيّ (٧٤٨) بهذه الرواية ، لكن دون أدنى تعليق ،

(١) القراءات القرآنيّة ١٢٤ .

(٢)كتاب التذكرة في القراءات ١/ ٨٢ .

كالتالي: «عن أبي عثمان المازنيّ ، قال : رأيتُ النبيّ ﷺ في المنام ، فقرأتُ عليه سورة طه ، فقلتُ : (مَكَانًا سِوًى) [٢٠:٥٨] ؛ فقال : اقرأْ (سُوًى) ! اقرأْ بقراءة يعقوب !»[١]

التحليل : الشخصيّة المركزيّة في هذا المنام هو يعقوب الحضرميّ (٢٠٥)، أحد القرّاء العشرة . قال الأندرابيّ : «كان قارئَ أهل البصرة ومقرئَهم وإمامَهم الذي تمسّكوا بقراءته بعد أبي عمرو بن العلاء من وقته إلى وقتنا . وكان ثقة ، صدوقًا ، متّبعًا آثارَ مَن قَبْلَه من الأئمّة ، غير مخالف لهم في القراءة.»[٢] أمّا راوي هذا المنام ، فهو أبو عثمان محمّد بن بكر المازنيّ (٢٤٧) ، من نحاة أهل البصرة ؛[٣] فهذا المنام رواية بصريّة محلّيّة . لذا ليس بمستغرب ولا مستبعد أن تنتصر بدورها وثقلها لصالح يعقوب الحضرميّ وتقدّم قراءته على غيرها من القراءات المحلّيّة وقراءات الأمصار ، من جملة ذلك قراءة أبي عمرو الممثّلة هنا بكسر السين مقابل قراءة يعقوب بضمّها[٤]؛ فهي في عداد فضائله كصاحب قرآن وقراءة وفي عداد فضائل البصرة ومفاخرها على غيرها من الأمصار الإسلاميّة .

في الواقع شاعت قراءة يعقوب الحضرميّ بالبصرة وقت حياته واعتُمدت عند أهاليها بعد مماته قرونًا من الزمان؛ فكلام الأندرابيّ (بعد٥٠٠): «من وقته إلى وقتنا» شاهد على ذلك، كما أكّد على ذلك قبله ابن غلبون (٣٩٩)، كما

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٣ .

(٢) قراءات القرّاء المشهورين ١٣٥ .

(٣) عنه يُراجَع نزهة الألبّاء ١٦٢-١٦٦ (٦٠) .

(٤) يُنظَر المبسوط ٢٩٥ (١١) .

جاء في معرفة القرّاء الكبار ٣٢٩/١: «قال طاهر بن غلبون: وإمام أهل البصرة بالجامع لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب، رحمه الله. يعني في الصلاة».

المبحث السابع : ما ورد بحقّ أبي جعفر (١٢٨) وقراءته

نصّ المنام :

«أخبرنا أبو الخطّاب أحمد بن محمّد بن عبد الواحد البزّاز المقرئ ﵁ قال : قال أخبرنا أبو الفرج النَّهْرُوانيّ المقرئ : حدّثنا أبو بكر محمّد بن الحسن النقّاش : حدّثنا عبد الله بن سليمان : حدّثنا [٣٨٨] أبو الربيع : حدّثنا ابن وهب : حدّثنا زيد عن سليمان بن أبي سليمان العمريّ ، قال : رأيتُ أبا جعفر القارئ على الكعبة ، يعني في المنام ، فقلتُ : أبا جعفر ؟ قال : نعم ، أقرئ إخواني السلام وأخبرهم أنّ الله جعلني من الشهداء والأحياء المرزوقين ؛ وأقرئ أبا حازم السلام وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكيْس الكيْس ! فإنّ الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيّات .»[1]

كذلك رواه ابن الجزريّ (٨٣٣) بإسناده الموصول بابن سوار في ترجمة أبي جعفر في غاية النهاية ٣٨٤/٢ (٣٨٨٢) . ورواه الذهبيّ (٧٤٨) أيضًا في معرفة القرّاء الكبار ١٧٥/١-١٧٦ (٣١) ؛ فالنصّ واحد ، لكنّ إسناده «ابن وهب : حدّثني ابن زيد بن أسلم عن سليمان بن مسلم بن جمّاز ، قال : رأيتُ» إلخ مغاير لما جاء عند ابن سوار وتبعه على ذلك ابن الجزريّ . ورواه الفسويّ (٢٧٧) في أخبار أبي جعفر في كتاب المعرفة والتاريخ ٦٧٦/١ ؛

(١) المستنير في القراءات العشر ٣٨٧/١-٣٨٨ .

فالنصّ واحد أيضًا ، لكن إسناده «حدّثنا زيد عن ابن وهب : حدّثني ابن زيد عن سليمان بن سليمان العصريّ ، قال : رأيتُ» إلخ مغاير في الضبط . لو أخذنا ابن وهب الذي يظهر اسمه مشتركًا فيها عند ثلاثتهم [لا أربعتهم ، لأنّ ابن الجزريّ ناقل الخبر عن ابن سوار] غرض تتبّع الإسناد ، لتبيّن ما يلي : هو عبد الله بن وهب المصريّ (١٩٧) ، يروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدنيّ (١٨٢) ، كما عند الفسويّ والذهبيّ .

التحليل : شخصيّة هذا المنام المحوريّة أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ (١٢٨/١٢٧) ، أحد القرّاء العشرة . يتحدّث المنام عمّا ناله أبو جعفر من ثواب جزيل ومن مكانة عالية بفضل أنّه صاحب قرآن وقراءة . هذا يعني أنّ أبا جعفر ختم رسالته القرآنيّة بتوفيق وتسديد ولم يكن عليه ولا على قراءته أدنى غبار ؛ فكان الجزاء من جنس العمل .

قد يكون هذا المنام قد وُظّف في جملة الردّ على مَن عدّ قراءته في الشواذّ أو طعن فيها . لقد تطرّق الذهبيّ (٧٤٨) إلى ذلك ودافع عنها ، فقال : «اختلفوا في قراءة أبي جعفر رحمه الله ؛ فبعض العلماء عدّها من قبيل الشاذّ وبعضهم عدّها من المتواتر . والصواب أنّها ليست بشاذّة ولا هي بالمتواترة ، بل هي ممّا نقله العدل عن العدل وأنّها متلقاة بالقبول لثقة حملتها ولموافقتها لرسم الإمام ولفصيح لغة العرب .»[1]، ثمّ ذكر أنّ قراءته دارت على الحلوانيّ، أحد الثقات ومن أقرأ بها إلى أن قال : «وحسبك أنّه أقرأ الناسَ الحروفَ في أيّام الصحابة وكبار التابعين في مثل مسجد رسول الله ﷺ وما أنكرها عليه

---

(١) معرفة القرّاء الكبار ١/١٧٧ .

أحدٌ منهم ، وما زال كبارُ القرّاء قديمًا وحديثًا يقرئون بها أو يسمعون من يقرئ بها ولا يزجرونه .»[١] تبعه ابن الجزريّ في ذلك ، فاستشهد أوّلاً بكلامه عمّن أقرأ بها ، ثمّ زاد من جهته : «وقد أسند الأستاذ أبو عبد الله القصّاع قراءة أبي جعفر من رواية نافع عنه في كتابه المغني . وروينا قراءته عنه في كتاب الكامل لأبي القاسم الهذلي . وكذلك أقرأ بها أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران وقرأ بها على إسماعيل بن جعفر . وصحّت عندنا من طريقه . والعجبُ ممّن يطعن في هذه القراءة أو يجعلها من الشواذّ وهي لم يكن بينها وبين غيرها من السبع فَرْق ، كما بيّنّاه في كتابنا المنجد ». [٢]

كذلك يتحدّث المنام عن شخص آخر ، هو أبو حازم سَلَمَة بن دينار المدنيّ ، من جلّة أصحاب أبي جعفر الذين رافقوه في دربه حتّى وقت احتضاره[٣]. كما جاء في المنام ، كان له مجلس ، وهو مجلس قصص ، كان يتكلّم فيه في الزهد[٤]. بذلك يقصد المنام في شطره هذا أن يضفي شرعيّة على مجلس أبي حازم مقابل مجالس قصّاص آخرين ، كانوا عرضة للانتقاد الشديد على أدائهم من قبل العامّة والخاصّة ، وذلك بأنّ الله وملائكته يتراءون مجلسه بالعشيّات حسب وصف المنام .

---

(١) معرفة القرّاء الكبار ١/١٧٧ .

(٢) غاية النهاية ٢/٣٨٣ .

(٣) يُنظَر بشأن شهوده أبا جعفر حين احتُضر معرفة القرّاء الكبار ١/١٧٦ ، غاية النهاية ٢/٣٨٣-٣٤٨ .

(٤) كتاب العلل ٢/٢٢٢ (٢٠٧٦) و ٢/٥٥٠ (٣٦٠٦) .

المبحث الثامن : ما ورد بحقّ إسحاق بن محمّد بن عبد الرحمن المسيّبي (٢٠٦) واختياره

نصّ المنام :

«قال محمّد بن إسحاق المسيّـبيّ : رأيتُ رسول الله ﷺ في النوم ، فقلتُ له : بِمَ أقرأ ؟ يا رسول الله ! فقال : عليك بأبيك !»(١)

التحليل : هذا المنام على قصر متنه بالغ الأهمّيّة والخطورة ؛ فالكلام فيه عن إسحاق بن محمّد المسيّـبِيّ (٢٠٦) ، إمام جليل من أهل المدينة المنوّرة ، وابنه محمّد (راوي المنام) . قرأ إسحاق على نافع المدنيّ ؛ فكان من جلّة أصحابه المحقّقين ، القيّمين في قراءته ، الضابطين لها . «قال أبو طاهر بن أبي هاشم : ورواية المسيّبيّ عن نافع من طريق ولده قريبة المتناوَل ، كاملة السياق. كان شيخنا ابن مجاهد يأخذ بها ، وقرأتُ عليه بها ». (٢)

كذلك كان عالمًا بالحديث والعربيّة . «قال يموت بن المزرّع : سمعتُ أبا حاتم يقول : إذا حُدّثتَ عن المسيّـبيّ عن نافع ، ففرّغ سمعَك وقلبك ! فإنّه أتقنُ الناس وأعرفهم بقراءة أهل المدينة وأقرؤهم للسنّة وأفهمهم للعربيّة ». (٣)

نظير ذلك ما قاله الهذليّ (٤٦٥) : «كان عالمًا بحديث رسول الله ﷺ وبالقرآن فقيهًا ». (٤)

---

(١) كتاب الكامل في القراءات الخمسين ٩أ (سطر ١-٢) . كذلك أحاسن الأخبار ٢٤٢ ، غاية النهاية ١/١٥٨ (٧٣٤) .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ١/٣١٣ .

(٣) معرفة القرّاء الكبار ١/٣١٣ .

(٤) كتاب الكامل في القراءات الخمسين ٨ب (سطر ١٨-١٩) .

كما يبدو أنّه قد أهّلته ثقافته القرآنيّة ومعرفته في القراءة والنحو أن يختار لنفسه ؛ فكان له اختيار في القراءة ، خالف فيه أستاذه نافعًا ، رواه الهذليّ في كتاب الكامل . قال الأخير عنه : «قرأ على نافع وغيره . واختار اختيارًا لا يخرج على السنّة والأثر والعربيّة . وكان مقدّمًا من أصحاب نافع ». [(١)]

واضح أنّ هذا المنام جاء ليسبغ شرعيّة عامّة على اختياره من خلال ابنه راوي المنام ، وذلك دون الدخول في تفاصيل أو الوقوف على حيثيّات فيه ؛ فهو من باب الدعاية والترويج له في الأوساط المدنيّة ، لكنّه يعكس بدوره أنّ اختياره لم يحظَ بالشيوع والقبول عند أهالي المدينة ، كما هو الحال عند آخرين كثيرين ، ممّا أحوج إلى بعض الدفع والتدفيع بشأنه ، كهذا المنام ، ولم يشفع له عدم خروجه على السنّة والأثر والعربيّة ، كما قال الهذليّ ، في مرحلتي التسبيع والتعشير ، فحكم عليه بالشذوذ واعتُبر من الشواذّ .

من جهته قد يكون إسحاق قد رجع عن فكرة اختياره وما خالف فيه أستاذه نافعًا ، بعدما رأى التفاف أهل المدينة على قراءة نافع وإجماعهم عليه دون غيرها . هذا ما يستشفّ ممّا ردّ به على سؤال الكسائيّ ، حين جمع الفضلُ بنُ الربيع (٢٠٨) بينهما بقرب دابق ، «عن حروف كيف كان أبو جعفر يقرأها وكيف كان شيبة يقرأها ؛ فقال له : قراءة نافع كذا وكذا وهي قراءتنا ، وذلك أنّه كفانا المؤنة ». [(٢)] ثمّ ألحّ عليه الكسائيّ بالتعاون مع الفضل أن يعلّمه ذلك ، فأبى في البداية معلّلاً : «ما يثقل عليّ أن أعلّمه ، إلا أنّه شيء

---

(١) كتاب الكامل في القراءات الخمسين ٨ب (سطر ١٩-٢٠) .

(٢) معرفة القرّاء الكبار ٣١٤/١ .

قد أَمَتْناه بالمدينة واجتمعوا بها على قراءة نافع .»[1] لكنّه أجابه في نهاية المطاف على مطلبه .

(١) معرفة القرّاء الكبار ٣١٤/١ .

الفصل الثاني

منامات أخرى لها علاقة بالموضوع

لا تقتصر المنامات في موضوعاتها على القرّاء وقراءاتهم ، بل تشمل كذلك مواضيع أخرى ذات صلة ، منها أضرب القراءة ؛ وهي خمسة مسموح بها : التحقيق ، اشتقاق التحقيق ، التجويد ، التمطيط ، الحَدْر ؛ وخمسة منهيّ عنها : الترعيد ، الترقيص ، التطريب ، التلحين ، التحزين .

هذا ما تمّ اعتماده بصفة نهائيّة على يد الأهوازيّ (٤٤٦)[١]، لكن سبق ذلك محاولات على أيدي علماء آخرين مع تباين في الترتيب والتنصنيف . هناك من وظّف المنامات في هذا الباب .

خير مثال على ذلك ما أورده أبو المظفّر السمعانيّ (٤٨٩) في سياق تفسير قوله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [٧٣:٤] : "في الحكايات عن صدقة المقابريّ أنّه قال : قمتُ ليلةً وقرأتُ أحدر حَدْرًا ، فرأيتُ في المنام كأنّي أزرع شعيرًا ، ثمّ رتّلتُ ، فرأيتُ في المنام كأنّي أزرع حنطة ، ثمّ حقّقت، فرأيتُ في المنام كأنّي أزرع سمسمًا .»[٢]

حسب هذا المنام يأتي التحقيق في المقدّمة ، ثمّ الترتيل ثمّ الحدر ؛ وهي من أضرب القراءة الخمسة المشروعة . غَرَضَ ترتيبِها على هذا النحو لقد تمّ

---

(١) يُراجَع بهذا الصدد الموضح في التجويد ٢١١-٢١٢ [فصل في ذكر كيفيّة القراءة وبيان ما يُستقبَح منها ويُستحسَن ويُختار منها ويُستهجَن] ، الإقناع في القراءات السبع ٣٤٦-٣٥١ [باب اختلاف مذاهبهم في كيفيّة التلاوة وتجويد الأداء] .

(٢) تفسير القرآن ٧٧/٦ .

توظيف ثلاثة أنواع من الحبوب الشائعة في الاستعمال : السمسم ، الحنطة ، الشعير .

المبحث الأوّل : زيادة توكيد وإثبات لقراءة راوٍ عن شيخ

نورد بهذا الصدد منامًا يخصّ حمّاد بن أبي زياد شعيب الكوفيّ ، أحد رواة عاصم بن أبي النجود (١٢٧) ، أحد القرّاء السبعة . قال ابن الجزريّ (٨٣٣) في ترجمته : «وهو معدود في أهل الرواية عن عاصم . وذكر الجاجانيّ أنّه من أجله ألّف كتاب حلية القرّاء، وأنّه رأى النبيّ ﷺ في النوم وقال له : إنّ حمّادًا قرأ على عاصم . وقال الحافظ أبو عمرو في جامعه : ورواية العليميّ عن حمّاد عن عاصم وعن أبي بكر عن عاصم سواء . واللفظ لهما واحد ».[1]

بذلك وُظّف هذا المنام للتوكيد على صحّة قراءة حمّاد هذا على عاصم وأخذه عليه .

المبحث الثاني : ما جاء في الترغيب في تعليم القرآن

هذا المبحث لا يُستغرَب فيه ورود منامات ، بل هو متوقّع . من جملة ذلك ما ذكره ابن الجزريّ (٨٣٣) في ترجمة داود بن طيبة المصريّ النحويّ : «وقد رآه بعض الناس في النوم ، فقال : إلى ما صرتَ ؟ فقال : رحمني الله بتعليم القرآن ».[2]

---

(١) غاية النهاية ٢٥٩/١ (١١٧٠) .

(٢) غاية النهاية ٢٨٠/١ (١٢٥٥) .

المبحث الثالث : ما جاء في فضائل السور

هذا المبحث كسابقه ؛ فهو أيضًا من المباحث ذات الصلة بالقرآن وقد ورد فيه منامات عديدة . من ذلك ما نقله الغافقيّ (٦١٩) : «(ث) وقال ابن سيرين : رأى رجلٌ في المنام سبعَ جوارٍ حسان في مكان واحد ، لم يُرَ أحسنَ منهنّ ، فقال : لِمَن أنتنّ ؟ فقلن : لمن قرأ آل حم .

[٩٠٧] (ع) وفي رواية عن محمّد بن قيس ، قال : لِمن أنتنّ ؟ بارك الله فيكنّ ؛ فقلن : أَمَا إنّك ، إن شئت ، كنّا لك . نحن الخواتيم أو قال : آل حم .

(ط) وعن أبي معشر عن محمّد بن كعب ، قال : رأى رجلٌ سبعَ نسوة حسان في المنام ، فقال : من أنتنّ ؟ بارك الله فيكنّ ؛ فقلن : أَمَا إن شئت ، كنّا لك . نحن الحواميم .

قال أبو عبيد : آل حم ، كما تقول : آل فلان ، كأنّك أضفتها إليه»[١].

(١) كتاب لمحات الأنوار ٩٠٦/٢-٩٠٧ (١٢٣٦-١٢٣٨) .

الخاتـــمة

إنّ نصوص المنامات لم ترد بلا سبب و لم تأتِ من فراغ ، بل جاءت ، كما يبدو ويظهر ، لتلعب دورًا ، لا يُستهان به في وظيفته . لذا رأينا من المناسب أن نجمل مضامينها ونلخّص أهدافها ونصنّفها أدبيًّا ونبيّن خصائصها اللغويّة والأسلوبيّة على النحو التالي :

مضامين المنامات :

- إجراء اختبار إلهيّ أو نبويّ في قراءة القرآن ، إمّا جزئيّ أو كلّيّ .
- تعظيم القرآن الكريم والعمل به .
- المباهاة بالقرّاء ، أصحاب القراءات ، وذلك من باب التكريم والتشريف .
- المجازاة والمكافآت المهداة إليهم .

أهدافها الإجماليّة :

- تدعيم مواقف القرّاء وتعزيز مكاناهم في الأوساط المحلّيّة .
- إسباغ شرعيّة وإضفاء مصداقيّة من باب الزيادة والإحسان على صحّة القراءات من السبع والعشر وغيرها .

تصنيف المنامات أدبيًّا :

- أدب فضائل القرّاء.
- أدب فضائل البلدان.
- أدب المفاخرات بين أهالي البلدان .

خصائص المنامات لغة وأسلوبًا :

- لغة الحوار بين طرفين ، حيث تجري مشاهده إمّا في الجنان أو يوم القيامة .
- يكثر فيها السؤال والاستفهام .

- كذلك يكثر فيها أسلوب النداء .

- بعضها طويل المتن مع إسهاب وتفصيل وبعضها الآخر موجز ومختصر .

والله تعالى من وراء القصد وله الحمد والمنّة .

ثبت المصادر والمراجع

١- **أحاسن الأخبار في محاسن الأخبار السبعة الأخيار أئمّة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سـائر الأقطار** / ابن وَهْبَان ، أبو محمّد أمين الدين عبد الوهّاب بن أحمد بن وهبان المزّيّ الحنفيّ (١٣٦٧/٧٦٨) . تحقيق : أحمد بن فارس السلّوم . بيروت : دار ابن حزم ، ط١ ، ٢٠٠٤/١٤٢٥ ، ٥٣٠ص .

٢- **أخلاق حَمَلَة القرآن** / الآجرّيّ ، أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله (٩٧٠/٣٦٠) . تحقيق وتعليق : فوّاز أحمد زمرلي . بيروت : دار الكتاب العربيّ ، ط١ ، ١٩٨٧/١٤٠٧ ، ٨٦ص .

٣- **إعراب القرآن** / أبو جعفر النحّاس ، أحمد بن محمّد بن إسماعيل المصريّ (٩٥٠/٣٣٨) . تحقيق : زهير غازي زاهد . [د. م.] : عالم الكتب / مكتبة النهضة العربيّة ، ط١ ، ١٩٨٥/١٤٠٥ ، ٥ج/٥مج .

٤- **الإقناع في القراءات السبع** / ابن الباذِش ، أبو جعفر أحمد بن عليّ بن أحمد بن خلف الأنصاريّ الغرناطيّ (٤٩١-١٠٩٨/٥٤٠-١١٤٥) . حقّقه وعلّق عليه : أحمد فريد المزيدي . قدّم له وقرّظه : فتحي عبد الرحمن حجازي . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٩٩٩/١٤١٩ ، ٥٣٦ص .

٥- **تاريخ بغداد** / الخطيب البغداديّ ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت (٣٩٢-١٠٠٢/٤٦٣-١٠٧٢) . بيروت : دار الكتب العلميّة ، [د. س.] ، ١٤مج .

٦- **تفسير القرآن** / أبو المظفّر السمعانيّ ، منصور بن محمّد بن عبد الجبّار بن أحمد التميميّ المروزيّ الحنفيّ ثمّ الشافعيّ (٤٢٦-١٠٣٥/٤٨٩-١٠٩٦) . تحقيق : ياسر بن إبراهيم . غنيم بن عبّاس بن غنيم . الرياض : دار الوطن ، ط١ ، ١٩٩٧/١٤١٨ ، ٦مج .

٧- **التلخيص في القراءات الثمان** / أبو معشر الطبريّ ، عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمّد القطّان الشافعيّ (١٠٨٥/٤٧٨) . دراسة وتحقيق : محمّد حسن عقيل موسى . جدّة : الجماعة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم ، ط١ ، ١٩٩٢/١٤١٢ ، ٥٢٧ص .

٨- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** / المزّيّ ، أبو الحجّاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (٦٥٤-٧٤٢/١٢٥٦-١٣٤١) . حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه : بشّار عوّاد معروف . بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٣/١٩٩٢ ، ٣٥مج .

٩- **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة** / أبو عمرو الدانيّ ، عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١-٤٤٤/٩٨١-١٠٥٣) . تحقيق : محمّد صدوق الجزائري . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤٢٦/٢٠٠٥ ، ٨٠٧ص .

١٠- **الجامع الصحيح / مسلم** ، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (٢٠٤-٢٦١/٨٢٠-٨٧٥) . القاهرة : مؤسّسة دار التحرير ، ١٣٨٣/[١٩٦٣] ، ٨ج/٢مج . [تصوير عن طبعة إستانبول ، ١٣٢٩/ [١٩١١]

١١- **جمال القرّاء وكمال الإقراء** / السخاويّ ، أبو الحسن علم الدين عليّ بن محمّد بن عبد الصمد المصريّ الشافعيّ (٥٥٨-٦٤٣/١١٦٣-١٢٤٥) . تحقيق : علي حسين البوّاب. مكّة المكرّمة : مكتبة التراث ، ط١ ، ١٤٠٨/١٩٨٧ ، ٢ج/٢مج .

١٢- **الحجّة للقرّاء السبعة أئمّة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد** / أبو عليّ الفارسيّ ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار (٢٨٨-٣٧٧/٩٠٠-٩٨٧). حقّقه : بدر الدين قهوجي ، بشير جويجاتي . راجعه ودقّقه : عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف الدقّاق. دمشق : دار المأمون للتراث ، ط٢ ، ١٤١٣/١٩٩٣ ، ٦ ج/٦مج .

١٣- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** / أبو نُعيم الأصفهانيّ ، أحمد بن عبد الله بن أحمد الشافعيّ (٣٣٦-٤٣٠/٩٤٨-١٠٣٨) . دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤١٨/١٩٩٧ ، ١٢ج/١٢مج .

١٤- **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي** / ابن القاصح ، أبو البقاء عليّ بن عثمان بن محمّد العذريّ (٧١٦-٨٠١/ ١٣١٥-١٣٩٩) . ضبطه وصحّحه وخرّج آياته. محمّد عبد القادر شاهين . بيروت: دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤١٩/١٩٩٩،٣٤٩ص .

١٥- **سير أعلام النبلاء** / الذهبيّ، أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣-٧٤٨/١٢٧٤-١٣٤٨). حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه:شعيب الأرنؤوط [وآخرون] . بيروت : مؤسّسة الرسالة، ط١ ، ١٤٠١-١٤٠٩/١٩٨١-١٩٨٨ ، ٢٥مج.

١٦-**الطبقات الكبرى** / ابن سعد، أبو عبد الله محمّد بن سعد بن مَنيع الزهريّ(١٦٨-٢٣٠/٧٨٤-٨٤٥). بيروت: دار صادر / دار بيروت، ١٣٧٧-١٩٥٧/٨٨-٦٨،٩مج .

١٧-**غاية النهاية في طبقات القرّاء** / ابن الجزريّ ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد الشافعيّ (٧٥١-١٣٥٠/٨٣٣-١٤٢٩) . عُني بنشره : G. Bergsträsser . القاهرة: مطبعة السعادة ، ١٣٥١-١٩٣٢/٥٢-٣٣ ، ٣ج/٢مج .

١٨-**قراءات القرّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين** / الأندرابيّ ، أبو عبد الله أحمد بن أبي عمر الخراسانيّ المقرئ (بعد٥٠٠/١١٠٧) . حقّقه وقدّم له : أحمد نصيف الجنابي . بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٥/١٩٨٥ ، ١٦٧ص .

١٩-**المبسوط في القراءات العشر** / ابن مهران ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ النيسابوريّ (٢٩٥-٣٨١/٩٠٨-٩٩١) . تحقيق: سبيع حمزة حاكمي . دمشق : مجمع اللغة العربيّة / دار المعارف للطباعة، ١٤٠٧/ ١٩٨٦ ، ٦١٦ص .

٢٠-**المستنير في القراءات العشر** / ابن سِوَار ، أبو طاهر أحمد بن عليّ بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغداديّ (٤٩٦/١١٠٣) . تحقيق ودراسة : عمّار أمين الددو . دبي : دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التراث ، ط١ ، ١٤٢٦/٢٠٠٥ ، ٢مج .

٢١-**معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار** / الذهبيّ ، أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣-٧٤٨/١٢٧٤-١٣٤٨) . تحقيق : Tayyar Altikulaç . إستانبول: وقف الديانة التركيّ ، ط١ ، ١٤١٦/١٩٩٥ ، ٤مج .

٢٢-**القراءات القرآنيّة – تاريخ وتعريف** / الفضلي ، عبد الهادي . جدّة : مكتبة دار المجمَع العلميّ ، ١٣٩٩/١٩٧٩ ، ١٦٠ص .

٢٣-**كتاب التذكرة في القراءات** / ابن غَلْبُون ، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله الحلبيّ (٣٩٩/ ١٠٠٩) . تحقيق : عبد الفتّاح بحيرى إبراهيم . مدينة نصر – القاهرة : الزهراء للإعلام العربيّ ، ط٢ ، ١٤١١/١٩٩١ ، ٢مج .

٢٤-**كتاب السبعة في القراءات** / ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى بن العبّاس البغداديّ (٢٤٥-٣٢٤/ ٨٥٩-٩٣٦) . تحقيق : شوقي ضيف. القاهرة : دار المعارف ، ط٣ ، [د. س.] ، ٧٨٦ص .

٢٥-كتاب العلل ومعرفة الرجال / ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ الوائليّ (١٦٤-٢٤١/٧٨٠-٨٥٥) . تحقيق وتخريج: وصيّ الله عبّاس . بيروت / الرياض: المكتب الإسلاميّ / دار الخاني ، ط١ ، ١٤٠٨/١٩٨٨ ، ٤مج .

٢٦-كتاب الكامل في القراءات الخمسين / الهذليّ ، أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جبارة المغربيّ (٤٠٣-٤٦٦/١٠٢٢-١٠٧٣) . نسخة مصوّرة عن مخطوطة المكتبة الأزهريّة (رواق المغاربة) ، رقمها ٣٦٩ ، ٢٥٠ ورقة ، تاريخ النسخ ١١ صفر ٥٢٤ للهجرة .

٢٧-كتاب معاني القراءات / أبو منصور الأزهريّ ، محمّد بن أحمد بن الأزهر الهرويّ (٢٨٢-٣٧٠/٨٩٥-٩٨١) . حقّقه وعلّق عليه : أحمد فريد المزيدي . قدّم له وقرّظه : فتحي عبد الرحمن حجازي . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤٢٠/١٩٩٩ ، ٦٣٢ص .

٢٨-كتاب المعرفة والتاريخ / الفسويّ ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسيّ (٢٧٧/٨٩٠) : . رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحويّ . تحقيق : أكرم ضياء العمريّ . بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠١/١٩٨١ ، ٣مج .

٢٩-منجد المقرئين ومرشد الطالبين / ابن الجزريّ ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ (٧٥١-٨٣٣/١٣٥٠-١٤٢٩) . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ١٤٠٠/١٩٨٠ ، ٧٩ص .

٣٠-الموضح في التجويد / القرطبيّ ، أبو القاسم عبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الوهّاب بن عبد القدّوس (٤٠٣-٤٦١/١٠١٢-١٠٦٩) . تقديم وتحقيق : غانم قدّوري الحمد . عمّان : دار عمّار ، ط١ ، ١٤٢١/٢٠٠٠ ، ٢٥١ص .

٣١-نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء / الأنباريّ ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ (٥١٣-٥٧٧/١١١٩-١١٨١) . تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار الفكر العربيّ ، ١٩٩٨ ، ٤١٩ص .

٣٢-النشر في القراءات العشر / ابن الجزريّ ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ (٧٥١-٨٣٣/١٣٥٠-١٤٢٩) . أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرّة الأخيرة: عليّ محمّد الضبّاع . بيروت : دار الفكر ، [د. س.] ، ٢ج/٢مج .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة

لعثمان بن عمر الناشري (ت ٨٤٨هـ) ***

دراسة وتحقيق

إياد سالم صالح السامرائي* و يعقوب أحمد محمد السامرائي **

المدرس بكلية الشريعة بجامعة تكريت بالعراق المدرس بكلية تربية سامراء -جامعة تكريت

* ولد عام ١٩٧٥م ببغداد.
* نال الماجستير في اللغة العربية بأطروحته" اختلاف الرواة عن نافع - دراسة لغوية"
* من بحوثه المنشورة: " الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني " ، "الاختلاف في القراءات القرآنية بين دعاوى المستشرقين ومفهوم علماء المسلمين " .

** ولد عام ١٩٧٠م بسامراء بالعراق.
* نال الماجستير في اللغة العربية بأطروحته" أبو حاتم السجستاني وجهوده في علوم القرآن "
* من بحوثه المنشورة: "لغة هذيل في لسان العرب"، "قراءة السيدة عائشة دراسة صوتية صرفية نحوية" .

*** البحث الفائز بالمركز الثالث في المسابقة العلمية الأولى التي نظمتها المجلة

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الأكرمين ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا بحث يُعنى بتحقيق كتاب لطيف في علم القراءات عنوانه (الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة)، وهو من تأليف عالم كبير من علماء القراءات في اليمن هو عثمان بن عمر الناشري (ت ٨٤٨هـ).

تناول كتاب الشمعة موضوعًا مهمًا من موضوعات القراءة القرآنية، إذ ذكر الحروف التي انفرد بها القرَّاء الثلاثة المتممين للقراء العشرة عن السبعة، وهم: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف، وذكر عن كل قارئ روايتين، فمجموع روايات هذا الكتاب هي ست روايات عن ثلاثة قرَّاء، وكان طريق هذه الروايات هو طريق الدرة المضية لشيخه العلامة ابن الجزري، وكان التحقيق على نسخة يحتفظ بها المركز الإقليمي للمخطوطات (دار صدام للمخطوطات سابقًا)، وقد شمل ضبط النص، وتخريج الآيات القرآنية، والتعريف بالمصطلحات والكتب، والترجمة للأعلام الواردة في النص، والتقديم له بدراسة شملت حياة المؤلف، ومكانته العلمية، ومؤلفاته، ونسبة الكتاب للمؤلف، والتعريف بمنهج التحقيق .

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه الأكرمين ومن تبعهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من أشرف ما تصرف فيه الأوقات والهمم والجهود ، وتفنى فيه الأعمار كتاب الله ﷻ، والعيش في كنف ظلاله ، وكان من توفيق الله لنا وتمام فضله علينا أن سخر لنا العمل على تحقيق كتاب (الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة) لعثمان بن عمر الناشري لعدة أسباب :

أولها : أن موضوع هذا الكتاب يتعلق بأشرف علم ، فهو متصل بأداء القرآن، وهل أعظم من القرآن شيء حتى تصرف فيه الأعمار والأقلام ؟

وثانيها : أن صاحبه عثمان بن عمر الناشري عالم جليل من علماء أهل اليمن، لم يحظ تراثه بالعناية المناسبة ، وإحياء تراث أمثال هؤلاء العلماء يكشف عن بعض جوانب الحياة العلمية في اليمن ، ويجلي غوامضها ، والحقيقة أن التراث اليمني لم يلق العناية الفائقة من الدارسين ، فلم يحقق منه -على كثرته - إلاَّ القليل ، وظلت مخطوطاته في طيِّ النسيان .

وثالثها : أن نسخة هذا الكتاب فريدة ، فلم نجد - على كثرة البحث والتفتيش - لها نسخة أخرى ، بل لم نجد لها ذكراً في كتب التراجم والطبقات ممن اهتموا بتراث الناشري ، فيعد أخراج هذا الكتاب إضافة علمية جديدة إلى المكتبة الإسلامية .

وجاء عملنا في هذا الكتاب على قسمين :

القسم الأول الدراسة ، واشتمل على مبحثين ، خُصِّص المبحث الأول منها للتعريف بالمؤلِّف ومكانته العلمية ، فعرفنا باسمه ، ونسبه ،

ومولده، ونشأته، ورحلته في طلب العلم، وشيوخه وتلاميذه، وثقافته، ومؤلفاته، ووفاته .

وكان المبحث الثاني للتعريف بالمؤلِّف ، فتحدثنا فيه عن كتاب الشمعة ، وموضوعه ومنهج المؤلِّف فيه ، وعنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه ، ووصف النسخة الخطية ، ثم ختمنا المبحث بصور من المخطوطة .

أما **القسم الثاني** فخصص لتحقيق النص على وفق قواعد التحقيق العلمي المتعارف عليها.

ويطيب لنا في هذا المقام أن نقدم شكرنا إلى كل من قدم لنا يد عون، ونخص بالذكر منهم أستاذنا وشيخنا الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد ، وأخانا وزميلنا الدكتور أحمد هاشم أحمد اللذين قرءا أصول هذا الكتاب في صورته الأولى ، على ما أفادانا به من ملاحظات وحسن توجيه قومت هذا العمل ، فجزاهما الله عنا خير جزاء .

والله نسأل أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجه الكريم ، وأن يَدَّخره في موازين حسناتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

المحققان

إياد سالم صالح السامرائي

ويعقوب أحمد محمد السامرائي

القسم الأول

الدراســـــة

المبحث الأول

الناشري حياته ومكانته العلمية

أولاً - حياته (اسمه ونسبه ، ومولده ونشأته ، ورحلته في طلب العلم ، وشيوخه وتلامذته، ووفاته).

- **اسمه ونسبه :**

هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن علي بن محمد[1] بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله العفيف الناشري المقرئ الشافعي (عفيف الدين) فقيه، مشارك في الأدب والشعر[2] ،" ابن أخي القاضي موفق الدين علي ، وابن عم القاضي الطيب ابن أحمد بن أبي بكر وتلميذه"[3].

وينتسب صاحبنا إلى بني ناشرة ، وعرف بهذه النسبة ثلاثة بطون ، أولها: ناشرة بن الأبيض بطن من بطون هَمدان من القحطانية ، وهم بنو ناشرة بن الأبيض بن كنانة بن مريسة ابن عامر بن عمرو بن عِلَّة بن جَلْد .

وثانيها ناشرة بن نصر بطن من أسد بن خُزَيْمة ، من العدنانية ، وهم بنو ناشرة بن نصر بن سُواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وثالثها : ناشرة بن هلال بطن من عامر بن صعصعة من قيس بن عيلان من العدنانية، وهم بنو ناشرة بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية

---

(١) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١٤٤ ، والضوء اللامع ١٣٤/٥ ، وهدية العارفين١/٦٥٦ ، والأعلام ٢١١/٤، ومعجم المؤلفين ٢٦٥/٦.

(٢) ينظر : هدية العارفين ١/ ٦٥٦ ، والأعلام ٢١١/٤، ومعجم المؤلفين ٢٦٥/٦.

(٣) الضوء اللامع ١٣٤/٥.

ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان[١].

• مولده ونشأته :

اختلف العلماء في تحديد سنة ولادته، لأن المعول عليه في كتب التـــراجم والطبقات أن يؤرخ لسنة الوفاة ، لأن الولادة لا يركز عليها إلاَّ بعد الشهرة والارتقاء ، فقد جاء عن السخاوي : « وكان فقيهاً ومقرئاً مولده سنة خمس وثمان مئة ، ومات بعد الأربعين ، أفادنيه حمزة الناشري ، وفي أثناء كتابـــه في الناشريين مما يدخل في ترجمته أشياء ، ومولده إنما هو في ربيع الثاني في ســـنة أربع »[٢].

نشأ عثمان بن عمر الناشري يتيماً فتكفله أعمامه ، فقد « مـــات أبـــوه وعمره أربع سنين ، فكفله عمه الإمام العلامة ولي الله شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري مدة يسيرة ، ثم لما توفي عمه المذكور انتقل إلى عمه الآخـــر شيخ الإسلام شمس الدين علي بن أبي بكر الناشري فحفظ القرآن العظـــيم ثم جمع القراءات السبع عند المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد الأشعري قبـــل بلوغ عمره عشرين سنة ، وكان موفقاً في صغره كما قيل في المثل عاش طفل ما مر به أب»[٣].

درَّس في مدارس مدينة زبيد ثم انتقل إلى تعز بترتيب مـــن الـــسلطان الظاهري يحيى بن إسماعيل بن العباس الرسولي ، ورتبه السلطان مدرساً بمدرسة الظاهرية والمرشدية ، فأقام بها نحو عشر سنين ، وكذلك درَّس في غيرها مـــن

---

(١) ينظر : معجم قبائل العرب ١١٦٦/٣-١١٦٧.

(٢) أي : أربع وثمانمائة ، الضوء اللامع ١٣٤/٥.

(٣) طبقات صلحاء اليمن ١١٥.

المدارس ، كالمدرسة الجلالية ، ثم لما تغير حال تعز سنة ثمان وأربعين وثمان مئة واتفق فيها ما اتفق من الفتن انتقل إلى مدينة إب بدعوة من أميرها أسد الدين أحمد بن الليث السيري الهمداني ، فتصدر للفتوى والإقراء ، وجُعِلَ مدرساً للمدرسة الأسدية التي أنشأها السلطان هناك ، وإماماً ومدرساً للقراءات فيها، ويذكر أن الأمير أسد الدين تلقاه أحسن ملقى ، وأكرمه وقابله بما يقابل مثله، ورتب له من النفقة ما يقوّم بها حاله ، وأحسن إليه إحساناً تاماً فطالت مدة إقامته حتى وافته المنية(١).

• **رحلته في طلب العلم :**

امتاز الناشري بحياة علمية زاخرة ، فنجده قد درس النحو ، واللغة ، والفقه، والقراءات، والأصول والحديث ، وغيرها من العلوم الشرعية ، مع مشاركته في الأدب والشعر، فحج بيت الله الحرام وجاور الرسول الكريم ﷺ في المدينة المنورة ، فصار فقيهاً محققاً لعلوم جمة(٢).

رحل إلى كثير من مدن اليمن مدرِّساً وواعظاً ، وإماماً لمساجدها ، فقد درَّس في مدارس زبيد ثم درَّس في مدارس الظاهرية بأمر من السلطان الظاهر ، وكذلك درَّس بالمدرسة المرشدية ، وكان مبارك التدريس. انتفع بعلمه جماعة كثيرون ، وولي أيضاً إمامة الظاهرية ، فلما اختل الأمر انتقل إلى إب في أواخر جُمَادى الأولى سنة ثمان وأربعين باستدعاء مالكها أسد الدين أحمد بن الليث السيري الهمذاني صاحب حصن جب ، فرتبه مدرساً بمدرسة الأسدية التي

---

(١) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١١٦ ، و الضوء اللامع ١٣٤/٥ ، والأعلام ٢١١/٤.

(٢) ينظر : طبقات صلحاء اليمن١١٥- ١١٦ ، والضوء اللامع ١٣٤/٥ .

أنشأها هناك ، وكلفه إمامتها وتدريس القراءات بها ، وتصدر للفتوى فيها ، ومكث هناك حتى توفي رحمه الله [(١)].

- **شيوخه وتلاميذه :**

تلقى عثمان بن عمر الناشري العلم من أساتذة أجلاء اختلفت مناحيهم وتعددت مشاربهم ، فمنهم المقرئ ، والمحدث ، واللغوي ، والنحوي، وراوية الشعر ، وقد لازم الناشري بعضهم مدة من الزمن ، ثم انصرف عنهم إلى سواهم، حتى إذا اكتملت جوانب ثقافته ، وروافد معرفته بان له أن يلازم علماء آخرين .

وقد أشارت كتب التراجم والطبقات وسواها إلى طائفة غير يسيرة من هؤلاء ، وأسقطت أخرى غيرهم اختصاراً ربما ، أو عجزاً عن الحصر ، ولو وصلنا كتابه (طبقات بني ناشر) لاختلف الأمر ، والله أعلم .

وسنكتفي هنا بذكر أسماء أشهر العلماء الذين أخذ عنهم الناشري في القراءات والنحو والفروع ، والحديث ، والأصول ، وسائر العلوم[(٢)]:

١. نفيس الدين العلوي .
٢. حافظ العصر شهاب الدين بن حجر .
٣. الشريف الحسيب تقي الدين المالكي .
٤. الإمام وجيه الدين البرشكي .
٥. الفقيه شرف الدين إسماعيل المقرئ .
٦. الفقيه شرف الدين الدمتي .

---

(١) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١١٧ ، والضوء اللامع ١٣٤/٥ .

(٢) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١١٥- ١١٦.

٧. الفقيه جمال الدين بن الخياط .
٨. المقرىء شمس الدين الشرعبي .
٩. المقرىء شهاب الدين أحمد بن محمد الأشعري ، جمع عليه القـــراءات السبع قبل بلوغ عمره عشرين سنة .
١٠. العلامة شمس الدين محمد بن محمد الجزري ،صاحب كتاب النـــشر ، جمع عليه علم القراءات العشر ، وقرأ وسمع عليه كتباً كثيرة وأجاز له، وذلك سنة مَقدم ابن الجزري إلى اليمن .
١١. الشيخ إسماعيل بن إبراهيم البومة ، فقد سمع وقرأ عليه النحو.
١٢. الإمام المقدسي ، فقد سمع وقرأ عليه النحو .
١٣. عمه شيخ الإسلام شمس الدين علي بن أبي بكر الناشري ، فقد أخذ عنه الحديث والفقه .
١٤. ابن عمه شيخ الإسلام الطيب بن أحمد الناشري .
١٥. وغير من ذكرنا ، منهم من قرأ أو سمع منه ، أو أجاز لـــه ، « وقـــد جمعهم بخطه بجزء لطيف ذكر أنه وقفه على أهله ، وعليـــه جماعـــة كثيرون من أهل العصر بمصر ، والشام ، والمقدس ، وغيرها » (١).

أما تلاميذه فهم كثر ، إذ وهب نفسه للتدريس والإقراء ، وكما مر بنا في الصفحات السابقة كيف استُدْعيَ الناشري للتدريس في مدارس الأسدية والجلالية وغيرها ، وبدعوة من أمرائها، ونقلت لنا بعض المصادر أنه –رحمـــه الله– كان قد رُزق المحبة عند أهل البلدة كافة ، وظهرت له فضائل ومناقب مما

---

(١) طبقات صلحاء اليمن ١١٥.

لا تكاد تحصر[1]، ومن البدهي أن يكون له تلاميذ عبر تلك المرحلة من التدريس، والتي تجاوزت العشرين عاماً .

والمتصفح في طبقات صلحاء اليمن يرى أثر هذا العالم الجليل على علماء اليمن ، وهم كثر لا يمكن استيعابهم في هذه العجالة .

- **وفاته :**

لم يختلف أصحاب الطبقات في تحديد سنة وفاته – رحمه الله – فقد توفي بالطاعون يوم الأحد التاسع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثمان مئة من الهجرة المباركة[2]، وكان آخر كلامه الإقرار بالشهادتين ، وتأسف الخلق على فقده، وشهد جنازته من لا يحصى ، ورثاه بعض الشعراء ، رحمه الله وإيانا [3].

ثانياً – مكانته العلمية (علمه ، و مؤلفاته) .

- **علمه :**

تنوعت مصادر علوم الناشري وتعددت مواردها ، فبعد أن عاش يتيماً بين أحضان أعمامه حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره ، وتعلم من أعمامه الشيء الكثير، إذ كانوا من علماء اليمن المبرزين، ثم تلقى القراءات السبع على يد شيخه الأشعري وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، ثم أخذ العلوم الشرعية على يد أكابر علماء اليمن، وعلى غيرهم ممن كانوا يَفِدُون إلى اليمن أو يرتحل إليهم، أمثال الشيخ العلامة إمام أهل القراءات في زمانه ابن

---

(١) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١١٦، والضوء اللامع ١٣٤/٥ .

(٢) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١١٦، والضوء اللامع ١٣٤/٥ ، وهدية العارفين ٦٥٦/١ ، والأعلام ٢١١/٤.

(٣) ينظر : الضوء اللامع ١٣٤/٥- ١٣٥ .

الجزري،إذ أخذ عنه القراءات العشر حين قدم إلى اليمن[1]،وكان إلى جانب براعته في القراءات، قد برع أيضاً في الفقه، والحديث، والأصول، وغيرها من العلوم الشرعية، وكان للشعر حظ وافر في حياته قراءةً ونظماً، فمن شعره قوله[2]:

تذكرت في نفسي فلم أر زلة ... كزلة من باع التهائم بالجبل
وأصبح عن ربع الأحبة نازحاً ... يسائل عن هذا وعن ذاك ما فعل

وله أيضاً :

يقولون لي ضيعت عمرك فانتبه ... وشمر فقد وافاك شهر محرم
فقلت لهم مالي سوى أن عادتي ... منامي على الأجفان فيه محرم

أفنى الناشري جلَّ حياته بين التدريس والتأليف ، ومما يدلل على مكانة هذا العالم الجليل ما تركه من مؤلفات ، تبرز عن مقدرة علمية كان يتمتع بها، والتي سنعرض لها في الفقرة القادمة .

- **مؤلفاته :**

خلف الناشري وراءه مؤلفات قيمة ، بقي أكثرها حبيس أدراج المكتبات الخطية ، أو فقد و لم يبق إلاّ عنوان الكتاب في كتب التراجم والطبقات والفهارس ، وقد تتبعنا أكثرها وأحصينا ما وجدناه في هذه الكتب وهي :

١- إيضاح الدرة المضية في قراءة الأئمة الثلاثة المرضية[3].

---

(١) ينظر : طبقات صلحاء اليمن ١١٦.

(٢) ينظر المصدر السابق ١١٧.

(٣) ينظر : الفهرس الشامل — القراءات ٢٧-٢٨، وقد علمنا — من أحد المحكمين — أنه قد طبع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتحقيق الشيخ عبد الرزاق علي إبراهيم موسى .

٢- انفرادات الناشري في مذهب قالون والدوري[١] .

٣- البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر في التأريخ والتراجم [٢] .

٤- خلاف قالون والدوري[٣] .

٥- دُر الناظم لرواية حفص عن عاصم[٤] .

٦- الدر الناظم لرواية قالون والدوري[٥] .

٧- شرح على الحاوي والإرشاد ، مات و لم يتمه[٦] .

٨- الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ، وهو كتابنا هذا .

٩- نفايس الهمزة في وقف هشام وحمزة[٧] .

١٠- الهداية إلى تحقيق الرواية[٨] .

---

(١) مخطوط ، ينظر : الفهرس الشامل – القراءات ٢٤.

(٢) ينظر : الضوء اللامع ١٣٤/٥ ، وكشف الظنون ٣١٠/١ وسماه (تاريخ عفيف الدين عثمان بن محمد الناشري) ، وهدية العارفين ٦٥٦/١ ، وإيضاح المكنون ١٨١/١ وسماه (البستان الناشر في طبقات علماء بني ناشر) ، و الأعلام ٢١١/٤ ، ومعجم المؤلفين ٢٦٥/٦.

(٣) ينظر:الفهرس الشامل– القراءات٩٠، وقد علمنا مؤخراً أنه قد طبع في شيكاغو بتقديم السيد محمد حسين الجلالي .

(٤) مخطوط، ينظر: الضوء اللامع ١٣٤/٥، ومعجم المؤلفين ٢٦٥/٦، والفهرس الشامل – القراءات ٩١.

(٥) مخطوط ، ينظر : الضوء اللامع وسماه (رواية قالون والدوري) ، والفهرس الشامل – القراءات ٩١.

(٦) ينظر : الضوء اللامع ١٣٤/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٦٥/٦.

(٧) مخطوط ، ينظر : الفهرس الشامل – التجويد ١/ ٢٣٠ .

(٨) مخطوط ، ينظر : الضوء اللامع ١٣٥/٥ ، والأعلام ٢١١/٤ ، ومعجم المؤلفين ٢٦٥/٦ وسماه (الهداية في القرءات) ، والفهرس الشامل – القراءات ٢٠٨.

المبحث الثاني

كتاب الشمعة ، دراسة ووصف

أولاً – دراسة حول الكتاب (موضوع الكتاب ، ومنهجه فيه ، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه، وعنوانه) .

- **موضوع الكتاب ، ومنهجه فيه :**

تناول كتاب الشمعة موضوعاً مهماً من موضوعات القراءات القرآنية، إذ ذكر انفرادات القرَّاء الثلاثة المتممين للقرَّاء العشرة عن السبعة ، وهم : أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف ، وذكر عن كل قارئ روايتين ، فمجموع روايات هذا الكتاب هي ست روايات عن ثلاثة قرَّاء .

وكانت غاية الناشري في هذا الكتاب هي الإحاطة بجميع القراءات ، إذ يقول : « وفائدتها الإحاطة بجميع القراءات »[1].

أما منهجه في الكتاب ، فكان يذكر القارئ ثم يورد الحرف الذي انفرد به عن بقية السبعة ، وكان مصدره في هذا الكتاب هو قصيدة الدرة المضية في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية لشيخه العلامة ابن الجزري ، وفي ذلك يقول : « وإنما اعتبرت الدرة المضية فقط في انفراد الثلاثة عن السبعة فاعلم ذلك »[2].

ولكن المتصفح للكتاب يلحظ أن الناشري لم يلتزم هذا المنهج في كل الكتاب ، فقد اعتمد على كتابي الشاطبية ، والطيبة في مواضع من الكتاب،

---

(١) الشمعة ١و .

(٢) الشمعة ١و .

منها قوله: «ابن وَرْدَان باختلاس﴿تُرْزَقَانِهِۦ﴾ [يوسف:٣٧] ، وقد ذكر ذلك في الطيبة لقالون لكني التزمتُ الزيادة باعتبار الشاطبية من الدرة»[(١)].

وقال في موضع آخر: «ونقل ابن وَرْدَان ﴿ مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ٩١] ، أعني همزة (مِّلْءُ) وقفاً ووصلاً ، وذكر الشيخ في الطيبة عنه خلافاً في لفظ (مِّلْءُ) »[(٢)].:

وقال في موضع آخر : «وكذلك فتح ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ وصلاً وكسر ابتداءً، وهذا في عبس[٢٥] ، وكذلك ذكر في الطيبة في ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ في المؤمنين [٩٢] أنه رفع في الابتداء فقط بخلف عنه . »[(٣)]، وغيرها[(٤)].

- **نسبة الكتاب وعنوانه :**

لم نجد فيما اطلعنا عليه من كتب التراجم والطبقات والفهارس وما شاهها ذكراً لهذا الكتاب ضمن تصانيف الناشري ، وربما يرجع ذلك لاهتمام المترجمين بذكر أشهر مؤلفاته، والشمعة لم يكن من الشهرة بمكان حتى يعرف به الناشري ، أو أنه ألفه في أواخر حياته فلم يعرف ، أو غير ذلك من أسباب، ولكن نسبة الكتاب إلى عثمان بن عمر الناشري كانت واضحة على صفحة العنوان ، فدُوِّن على صفحة العنوان عبارة : « هذا كتاب الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ، تأليف الشيخ العلامة الفاضل الكامل الفهامة الفقيه

---

(١) الشمعة ١و- ١ظ .

(٢) الشمعة ١ظ .

(٣) الشمعة ٤ ظ .

(٤) الشمعة ٦ ظ.

المقرئ عثمان بن عمر الناشري قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا به وبعلمه آمين »[1] ، فهذه النسبة لا تقبل الشك .

وكذا العنوان ، إذ ورد على صفحة العنوان — كما سبق — وفي الصفحة الأولى من المخطوطة ، إذ قال : « كتاب الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ، بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، وبعد : فهذه الحروف التي خالف القراء الثلاثة فيها السبعة ، وهم ... »[2].

فضلاً عن ذلك إن اعتماد الكتاب كان على قصيدة الدرة المضية ، للعلامة ابن الجزري ، شيخ الناشري ، وبهذا نقطع أن الكتاب أُلف بعد القرن الثامن ، وأن للناشري كتباً كثيرة حول هذا الموضوع ، إن لم نقل إن جل مؤلفاته في القراءات.

ومن خلال ما قدمنا نستطيع أن نجزم بأن كتاب الشمعة هو من تصنيف الشيخ عثمان ابن عمر الناشري المتوفى سنة (٨٤٨هـ) .

ثانيا – وصف المخطوطة (نسخة المخطوطة ، و نهجنا في التحقيق، وصور من المخطوطة)

- **نسخة المخطوطة :**

لم نجد – فيما اطلعنا عليه من كتب فهارس المخطوطات – نسخة ثانية لهذا الكتاب ، فاعتمدنا على نسخة فريدة يحتفظ بها المركز الإقليمي للمخطوطات (دار صدام للمخطوطات سابقاً) ، وهي ضمن مجموع (حلية

(١) الشمعة صفحة العنوان .

(٢) الشمعة ١و.

أهل الكمال بأجوبة أسئلة أهل الجلال) وتحمل الرقم ١٠٣٤/١ لغة ، ويقع الكتاب في اثنتي عشرة صفحة بقياس ٢٠× ١٤ سم ، وعدد الأسطر في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر ما يقارب تسع كلمات ، أما خط النسخة فكان دارج نسخ بخط الناسخ السيد حافظ أحمد البالوي في مصر سنة (١١٨١هـ) .

- **منهجنا في التحقيق :**

سرنا في تحقيق النص على وفق المنهج الآتي :

١. حررنا النص كله على وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث ، من دون الإشارة في الهامش إلى مواطن الخلاف في بعض الكلمات مع ما ورد في المخطوط ، من ذلك مثلاً كلمة (مسألة) ، إذ رسمت في المخطوط (مسئلة) ، وكذلك كلمة (الثلاثة) ، إذ رسمت في المخطوط (الثلثة) ، وغيرهما .

٢. كتبنا الآيات القرآنية الكريمة على وفق رسم المصحف الشريف ، وإن كتبت في المخطوط في بعض المواضع على خلاف الرسم ، فقد أشرنا في الهامش إلى ذلك ، ثم ضبطناها بما يتلائم مع قراءة القارئ أو الراوي بشرط ألاَّ تخالف الرسم العثماني .

٣. قسمنا النص على فقرات ، واستعملنا علامات الترقيم المستعملة في الكتابة العربية في زماننا .

٤. عَلَّقنا على النصوص بما يشرح مبهمه ، أو يزيل غامضه ، وذكرنا القراءات الأخرى الواردة في انفرادات الحرف ، معتمدين في ذلك على أمهات كتب القراءات .

٥. خَرَّجنا الآيات القرآنية داخل المتن ، ووضعنا ذلك بين قوسين معقوفين [ ] ، وذلك إن ورد الحرف في موضع أو موضعين من القرآن الكريم ، أما إذا ورد الحرف في أكثر من موضعين من القرآن الكريم أشرنا إلى هذه المواضع في الهامش ، وإن ذكر اسم السورة في المتن اكتفينا بوضع رقم الآية بين قوسين معقوفين.

٦. عرَّفنا بالأعلام والكتب الواردة في الكتاب تعريفاً موجزاً في الهامش مع الإحالة على مظانها في كتب التراجم والطبقات .

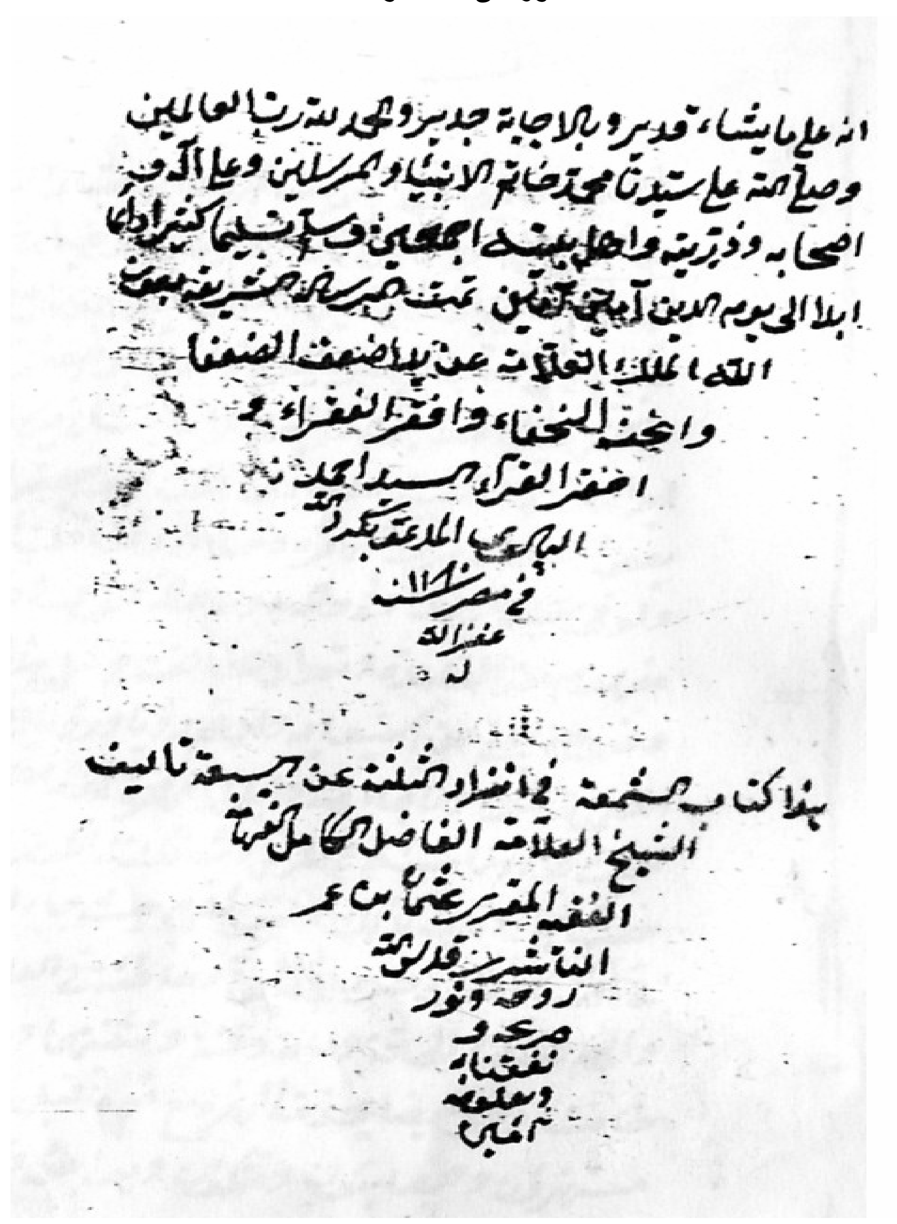
٧. رقمنا الانفرادات في فرش الحروف ووضعناها بين قوسين معقوفين .

٨. وضعنا كل زيادة في متن الكتاب بين قوسين معقوفين [ ] ، وأشرنا إلى ذلك في الهامش .

٩. أشرنا إلى أرقام صفحات المخطوطة بوضعها بين خطين مائلين في المتن / / ، ورمزنا لوجه الورقة بـ (و)، ولظهرها بـ (ظ) .

١٠. ضبطنا بعض الكلمات الواردة في المتن إذا كان ثَمَّة ضرورة لذلك .

صور من المخطوطة



انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبيا والمرسلين وعلى آله و
اصحابه وذريته واهل بيته اجمعين وسلم تسليما كثيرا دايما
ابدا الى يوم الدين آمين آمين تمت [illegible] شريفة بعون
الله الملك العلام عن يد اضعف الضعفا
واخف الخفاء وافقر الفقراء [illegible]
احقر الفقراء [illegible] السيد احمد بن
[illegible] الملا [illegible]
في مصر سنة ١١ [illegible]
غفر الله
له

هذا كتاب [illegible] عن [illegible] تاليف
الشيخ العلامة الفاضل الكامل [illegible]
الفقيه المقري عثمان بن عمر
الناشري قدس الله
روحه ونور
ضريحه و
نفعنا به
وبعلومه
آمين

صفحة العنوان

عن السبعة
في انفراد الثلثة

كتاب الشمعة بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في انفراد الثلثة
وبعد فهذه حروف التي خالف القراء الثلثة فيها السبعة وهم
ابو جعفر ويعقوب وخلف ورواتهم ابن وردان وابن جماز
ورويس وروح واسحاق وادريس وفي تلاوتها الاحاطة بجميع ما
تنبيه خلف لا يخالف السبعة في شيء الا لم يخالف حمزة و
الكسائي وشعبة الا في قوله تعالى وحرام على قرية وكوكب دري
ويسكت بين السورتين على قول وانما ذكرت خلف لانه من
الثلثة ائمة القران فيما يعقب بضم كل هاء الضمير جمعا و
مثنى بعد ياء ساكنة مثل عليهم وعليهن وعليهما وفيهم و
فيهن وفيهما وصياصيهم زاد ادريس بضم الهاء مع سقوط
الياء نحو فاستفتهم وآتهم وقهم الا ومن يولهم تنبيه
انما اعتبرت الاول المصنف فقط في انفراد الثلثة عن السبعة فعلى
ذلك الادغام قرأ ابو جعفر بادغام تأمنا بلا اشارة و
رويس ثم تتفكروا ربنا بادغام التاء فيهما يعقوب ربك
فتمارى كذلك بالادغام بلا في حال الوصل هاء الكناية
روى باختلاس بيده موضعي البقرة وحرف المؤمنين و
يتق ابن وردان باختلاس ترزقانه وقد ذكر ذلك في الطيبة

الصفحة الأولى من المخطوطة

بنون ساكنة بعدها الألف الأولى موضع الجيم من غير [illegible] سورة [illegible]
يعقوب يوم يجمعكم بالنون سورة الطلاق زوج وجدكم بكسر
الواو [illegible] يعقوب تدعون بتخفيف الدال [illegible]
سورة المعارج أبو جعفر سئل بغير الياء وقد روي عن البزي
لكني التزمت ذكر انفرادات الدرة باعتبار خلف طيبة [illegible]
مذكور للتزمة طيبة سورة قل أوحي يعقوب تقول الإنس
والجن بفتح القاف وفتح الواو وتشديده [illegible]
النبأ سورة والمرسلات أبو جعفر وقتت كأبي عمرو إلا أنه
خفف القاف [illegible] جمالات ضم بضم الجيم وعنه انطلقوا
إلى ظل في الثاني بفتح اللام سورة والنازعات إنما أنت
منذر بالتنوين عن أبي جعفر سورة التكوير أبو جعفر قتلت
بالتشديد سورة الانفطار أبو جعفر بل يكذبون بالغيب
سورة التطفيف يعقوب وأبو جعفر تعرف في وجوههم
نضرة بضم فتح سورة الغاشية أبو جعفر إيابهم بالتشديد
سورة البلد أبو جعفر لبدا بتشديد الباء سورة قريش
أبو جعفر ليلاف بياء ساكنة من غير همز وعنه الإيلاف بهمزة
مكسورة من غير ياء تم كتاب [illegible] بعون الله الملك العلام
على يد [illegible] الفقير إلى رحمة ربه الكبير
السيد حافظ أحمد [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

القسم الثاني

النص المحقق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

كتابُ الشمعةِ في انفرادِ الثلاثة عن السبعةِ

وبعد فهذه الحروف التي خالف القراء الثلاثة فيها السبعة[١]، وهم: أبو جعفر[٢]، ويعقوب[٣]، وخلف[٤]، ورواهم: ابن وَرْدَان[٥]، وابن جمَّاز[٦]،

---

(١) السبعة هم : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم قارئ المدينة ، وعبد الله بن كثير قارئ أهل مكة ، وأبو بكر عاصم بن أبي النَّجود الكوفي ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة الكسائي ، وأبو عمرو ابن العلاء البصري ، وعبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي ، وأول من سبَّع السبعة ابن مجاهد(ت٣٢٤هـ) في كتابه (السبعة في القراءات) .

(٢) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ ، أحد القراء العشرة ، تابعي مشهور كبير القدر توفي سنة ثلاثين ومئة ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك.ينظر:معرفة القراء الكبار ٧٦/١ ، وغاية النهاية ٣٨٢/٢-٣٨٤.

(٣) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرؤها ، توفي سنة خمس ومئتين وله ثمانون سنة.ينظر:معرفة القراء الكبار١٥٧/١ ، وغاية النهاية ٣٨٦/٢-٣٨٩.

(٤) هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثَعْلَب البزَّار البغدادي ، وقيل: خلف بن هشام بن طالب ، أحد القراء العشرة ،ولد سنة خمسين ومئة ، وتوفي سنة تسع وعشرين ومئتين.ينظر:معرفة القراء الكبار ٢٠٨/١، وغاية النهاية ٢٧٢/١-٢٧٤.

(٥) هو أبو الحارث عيسى بن وَرْدَان المدني الحذاء،عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع ، وهو من قدماء أصحابه ، توفي في حدود الستين ومئة.ينظر:معرفة القراء الكبار ١١١/١ ، وغاية النهاية ٦١٦/١.

(٦) هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جمَّاز ، وقيل:سليمان بن سالم بن جمَّاز الزهري المدني ، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع ، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع ، توفي بعد السبعين ومئة . ينظر:غاية النهاية ٣١٥/١.

ورُوَيْس[(١)]، ورَوْح[(٢)]، وإسحاق[(٣)]، وإدريس[(٤)]، وفائدتها الإحاطة بجميع القراء.

تنبيه: خلف لا يخالف[(٥)] السبعة في شيء ، بل لم يخالف حمزة[(٦)]، والكسائي[(٧)]، وشعبة[(١)]، إلاَّ في قوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري المعروف برُوَيْس ، مقرئ حاذق ضابط مشهور ، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي ، قال الداني: وهو من أحذق أصحابه ، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومئتين. ينظر: معرفة القراء الكبار ٢١٦/١ ، وغاية النهاية ٢٣٤/٢-٢٣٥.

(٢) هو أبو الحسن رَوْح بن عبد المؤمن الهذلي مولاهم البصري النحوي،عرض على يعقوب الحضرمي،وهو من جلة أصحابه،توفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومئتين.ينظر:معرفة القراء الكبار ٢١٤/١،وغاية النهاية ٢٨٥/١.

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي ثم البغدادي الوَرَّاق ، ورَّاق خلف وراوي اختياره عنه ، قرأ على خلف اختياره وقام به بعده ، وقرأ أيضاً على الوليد بن مسلم ، توفي سنة ست وثمانين ومئتين .ينظر: غاية النهاية ١٥٥/١.

(٤) هو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي ، قرأ على خلف بن هشام روايته واختياره ، وعلى محمد بن حبيب الشموني ، توفي سنة اثنتين وتسعين ومئتين عن ثلاث وتسعين سنة ، وقيل : ثلاث وتسعين ومئتين. ينظر:معرفة القراء الكبار ٢٥٤/١ ، وغاية النهاية ١٥٤/١.

(٥) في الأصل (لا خلف).

(٦) هو أبو عُمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التميميُّ ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين ، وأدرك الصحابة بالسن ، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم ، توفي سنة ست وخمسين ومئة. ينظر:معرفة القراء الكبار ١١١/١-١١٨ ، وغاية النهاية ٢٦١/١-٢٦٣.

(٧) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم ، الكسائي الكوفي ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، وأحد القراء السبعة توفي سنة تسع وثمانين ومئة. ينظر: معرفة القراء الكبار ١٢٠/١ ، وغاية النهاية ٥٣٥/١-٥٤٠.

﴿قَرْيَةٍ﴾ [(٢)][الأنبياء :٩٥]، و﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [(٣)][النور:٣٥]، ويسكت بين السورتين على قولٍ[(٤)]، وإنما ذكرتُ خلف لأنَّهُ من الثلاثة.

أم القرآن

قرأ يعقوب بضم كل هاء الضمير جمع أو مثنى بعد ياء ساكنة ، مثل: ﴿**مثليْهُم**﴾ [آل عمران: ١٣] ، و﴿**عليْهُنَّ**﴾ [البقرة:٢٢٨] ، و﴿**عليْهُما**﴾ [البقرة:٢٢٩]، و﴿**فيْهُم**﴾ [البقرة:١٢٩] ، و﴿**صياصيْهُم**﴾ [(٥)] [الأحزاب:٢٦]، زاد رُوَيْس[(٦)] بضم الهاء مع سقوط الياء ، نحو: ﴿**فاستفتهُم**﴾ [الصافات:١١و١٤٩]، و

---

(١) هو شعبة بن عياش ، أبو بكر الحناط الأسديُّ الكوفيُّ ، راوي عاصم ، ولد سنة خمس وتسعين ، عرض على عاصم بن أبي النجود وغيره ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وقيل : سنة أربع وتسعين. ينظر:معرفة القراء الكبار ١/١٣٤ ، وغاية النهاية ١/٣٢٥- ٣٢٧.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف ، والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها.ينظر:المستنير ٢/٣٠١-٣٠٢ ، والنشر ٢/٢٤٣.

(٣) اختلفوا في ﴿دري﴾ فقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال مع المد والهمز ، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والمد والهمزة ، وقرأ الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير مدٍّ ولا همز ، وحمزة على أصله في تخفيفه وقفاً بالإدغام .ينظر:المستنير ٢/٣٢٢ ، والنشر ٢/٢٤٩.

(٤) المشهور عن حمزة أنه يصل السورة بالسورة ، قال الواسطي في الكنْز ٢/٣٩٥: « فكان حمزة يصل السورة بالسورة قولاً واحداً ، والباقون يسكتون بين السورتين سكتة يسيرة تؤذنُ بانقضاء الأولى، وهذا هو المشهور عنهم والمختار ، ولهم الوصل أيضاً .واختار بعض أهل الأداء السكت لحمزة والبسملة لغيره في أوائل أربع سورة ، وهنَّ: القيامة ، والمطففون ، والبلد ، والهُمزة » .

(٥) وافق حمزة يعقوب في ثلاثة مواضع ، وهي قوله تعالى: ﴿عليهم﴾ و﴿إليهم﴾و﴿لديهم﴾ حيث وقعت ، وقرأ الباقون بكسر الهاء فيها.ينظر: غاية الاختصار ١/٣٧٤-٣٧٦ ، والكنْز ٢/٤٠٠-٤٠١، والنشر ١/٢١٤ ، وشرح طيبة النشر ١/٣١١-٣١٢.

(٦) في الأصل (إدريس) ، وهو تصحيف.

﴿آلهُم﴾ [الأحزاب:٦٨]،و﴿قهُم﴾ [غافر: ٧ و٩] إلاّ ﴿ومن يولهُم ﴾[1] [الأنفال:١٦].

تنبيه: إنَّما اعتبرتُ الدرة المضية[2] فقط في انفراد الثلاثة عن السبعة فاعلم ذلك.

الإدغام

قرأ أبو جعفر بإدغام ﴿تَأْمَنَّا﴾ [يوسف:١١] بلا إشارة[3]، ورُوَيْس ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ:٤٦] بإدغام التاء في التاء، يعقوب ﴿رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم:٥٥] كذلك بالإدغام فيها في حالة الوصل[4].

---

(١) لا خلاف في كسرها في سورة الأنفال ، يقول العطار في غاية الإختصار ٣٧٥/١ : « وقد أُجمعَ على كسره » . وينظر:الكنْز٤٠١/٢ ، والنشر ٢١٤/١ ، وشرح طيبة النشر ٣١٢/١.

(٢) الدرة المضية في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية ، وهي قصيدة للإمام العلامة شمس الدين محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) تقع في (٢٤١) بيتاً أكمل بها الشاطبية وزاد عليها الأئمة الثلاثة : (أبا جعفر، ويعقوب ، وخلفاً) ، وهي على وزن الشاطبية ورويها ، أولها :

قُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذي وَحْدَهُ عَلاَ ومَجِّدْهُ واسْأَلْ عَوْنَهُ وَتَوسَّلاَ

وهي مطبوعة وعليها شروح كثيرة ، ينظر:الضوء اللامع ٢٥٧/٩ ، وكشف الظنون ٧٤٣ ، وهدية العارفين ١٨٨/٢ ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٢٣ ومابعدها.

(٣) بلا إشارة : أي بلا إشمام ، وذلك بالإدغام المحض من غير إشارة إلى حركة النون المدغمة ، إذ أصل الفعل هو(تأمَنُنا) سُكِّنَتِ النون الأولى ثم أُدغمت في النون الثانية ، وقرأ الباقون بالإشارة.ينظر:المبسوط ٢٤٤-٢٤٥ ، والمستنير ٢١٣/٢ ،وغاية الاختصار ٥٢٦/٢ ، والكنْز ٥١٢/٢ ، والنشر ٢٣٨/١.

(٤) ينظر: غاية الاختصار ١٨٠/١ ، والكنْز ٦١٣/٢ و٦٦٦ ، وقال ابن الجزري في النشر ٢٣٨/١: « تنبيه : إذا ابتدئ ليعقوب بقوله ﴿تتمارى﴾ المتقدمة ، ولرُوَيْس بقوله ﴿تتفكروا﴾ ابتدئ بالتاءين جميعاً مظهرتين لموافقة الرسم والأصل ، فإن الإدغام إنما يتأتى في الوصل ، وهذا بخلاف الابتداء بتاءات البزي الآتية في البقرة ، فإنها مرسومة بتاء واحدة ، فكان الابتداء كذلك موافقة للرسم، فلفظ الجميع في الوصل واحد والابتداء مختلف لما ذكرنا والله أعلم». أما الباقون فبتاءين خفيفتين في الحالين.

هاء الكناية

رُوَيْس باختلاس ﴿بِيَدِهِۦ﴾ موضعي البقـــرة [٢٣٧،٢٤٩] ، وحـــرف المؤمنين[٨٨] ، ويس [٨٣] (١).

ابن وَرْدَان باختلاس ﴿تُرْزَقَانِهِۦ﴾ [يوسف:٣٧] ، وقد ذكـــر ذلـــك في الطيبة(٢) /١و/ لقـــالون(٣) ، لكني التزمتُ الـــزيادة باعتبـــار الـــشـــاطبية(٤)

---

(١) قال العطار في غاية الاختصار ٣٨٢/١: « وأربعة منها انفرد رُوَيْس بحذف ياء الـصِّلة منـــها ، وهي: ﴿بيده ملكوت﴾ في المؤمنين [٨٨] ، ويس[٨٣] ، و﴿بيدهِ عُقدة﴾ و﴿بيده فشربوا﴾ كلاهمـــا في البقرة [٢٣٧و ٢٤٩]. وأشبعها الباقون. ينظر: الكنْز٢٢٠/١ ، والنشر ٢٤٥/١ ، وشرح طيبـــة النشر ٣٧٠/١-٣٧١.

(٢) وهي قوله : بيدهِ غِث تُرزقَانهِ اختُلِف		بن خُذْ علَيهِ الله أنسانيه عسف .

ينظر : شرح طيبة النشر ٣٧٠/١.

والطيبة: هي قصيدة ألفية نظمها ابن الجزري في القراءات العشر وسماها طيبـــة النـــشر في القـــراءات العشر، أولها:

قَـــالَ مُحَمَّدٌ هـــُوَ ابْنُ الجَزَرِي		يَاذا الجَلالِ ارْحَمْهُ واسْتُرْ وَاغْفِرِ

وهي مطبوعة وعليها شروح كثيرة.ينظر:غاية النهاية ١٣٠/١ ،والضوء اللامـــع ٢٥٧/٩ ،وكـــشف الظنون١١١٨ ، وشرح طيبة النشر ٢٨/١ وما بعدها.

(٣) هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وَرْدَان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله الرزقيُّ ، ويقال المريُّ ، مولى بني زهرة الملقب قالون ، قارئ المدينة ونحويها ، ولد سنة عشرين ومئة، وقرأ على نافع سنة خمسين ، وهو من أشهر رواة نافع مع ورش ، توفي سنة عشرين ومئتين ، وله نيف وثمـــانون سنة.ينظر:الجرح والتعديل٢٩٠/٦ ،ومعرفة القراء الكبار١٥٥/١-١٥٦ ،وغاية النهاية ٦١٥/١-٦١٦.

(٤) الشاطبية: هي منظومة في القراءات السبع للإمام القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد أبـــو القاســـم الشاطبي الرعيني الضرير المتوفي سنة (٥٩٠هـ) أولها :

بَدَأْتُ بِبِسْمِ الله في النَّظْمِ أوَّلا		تَبَارك رَحْماناً رَحيماً ومَوْئِلا

من الدرة[1] .

الهمزتان من كلمة

أبو جعفر بالإخبار في أول النازعات من الاستفهامين[2]، والثلاثة

وهي مطبوعة وعليها شروح كثيرة ، إذ بلغت من الشهرة والصيت ما لم تبلغه منظومة أخرى ، وهي من أروع ما كتب في القراءات السبع ، يقول عنها ابن الجزري في غاية النهاية ٢٢/٢: « ومن وقف على قصيدته علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلاّ من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها ، ولقد رزق= = هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن ، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن ، فإنني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه ، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به ، ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلى غاية حتى أنه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوي مجلدة ، فأُعطيت بوزنها فضة فلم أقبل... ».

(١) يقول ابن الجزري في النشر٢٤٥/١: « واختلف عن قالون وابن وَرْدَان في اختلاس كسرة الهاء من ﴿ترزقانه﴾ فأما قالون فروى عنه الاختلاس أبو العز القلانسي في كفايته،وأبو العلاء في غايته وغيرهما عن أبي نشيط ،ورواه في المستنير عن أبي علي العطار من طريق الفرضي عن أبي نشيط والطبري عن الحلواني،ورواه في المبهج من طريق الشذائي عن أبي نشيط ،ورواه في التجريد عن قالون من قراءته على الفارسي يعني من طريق أبي نشيط والحلواني ،وروى عنه الصلة سائر الرواة من الطريقين، وهو الذي لم تذكر المغاربة سواه،وأما ابن وَرْدَان فروى عنه الاختلاس أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون الرازي ونص عليه الأستاذ أبو العز القلانسي في إرشاده ، وروى عنه سائر الرواة الإشباع وبذلك قرأ الباقون ».

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ ﴾ [١٠] ، و﴿أَءِذَا كُنَّا ﴾[١١] ، فقرأ أبو جعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقرأه نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني ، وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما.ينظر: المستنير ٥١٨/٢ ، وغاية الاختصار ٢٣٥/١ ، والكنْز ٢٦٢/١ ، والنشر ٢٩٠/١ ، وشرح طيبة النشر ٤٢٩/١.

يندرجون مع السبعة في جميع هذا الباب(١).

الهمزة المفردة

أبدل أبو جعفر كل همزة ساكنة مطلقاً خلا ﴿**نبئهم**﴾ [الحجر: ٥١ ، والقمر ٢٨] و﴿**أنبئهم**﴾ [البقرة:٣٣]،وأمّا﴿**نبئنا**﴾ في يوسف[٣٦] فمفهوم الدرة إبدالهُ(٢) وزاد في الطيبة عدمه(٣).

فإن قُلتَ: أبو جعفر وافق بعض السبعة في ترك الهمزة وصلاً أو

---

(١) وهو باب ما يكرر من الاستفهام في الآية أو في التي تليها ، نحو: ﴿أءذا ... أءنا﴾، وجملته أحد عشر موضعاً في تسع سور ، في الرعد آية [٥] ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، وفي الإسراء [٤٩، ٩٨] ، وفي المؤمنين[٨٢] ، وفي النحل [٦٧] ، وفي العنكبوت [٢٨] ،وفي السجدة [١٠]، وفي الصافات [١٦] ، وفي الواقعة[٤٧] ، وفي النازعات [١٠ و ١١] . ينظر: غاية الاختصار = = ٢٣٠/١-٢٣٧، والكنْز ٢٥٦/١-٢٦٢ ،والنشر ٢٩٠/١ ، وشرح طيبة النشر ٤٢٩/١.

(٢) إشارة إلى قول ابن الجزري في الدرة:

وسَاكِنَهُ حَقِّقْ حِمَاهُ وأبْـدِلَنْ (إ)ذاً غَيْرُ أَنْبِئْهُمْ وَنَبِّئْهُمُ فَلاَ

ينظر:شرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة٤٧.

(٣)إشارة إلى قول :

وَالكُلَّ (ثـ)ـقْ مَعْ خُلْفِ نَبِّئَنَا ولَن يَبْـدلَ أَنْبِئْهُمْ وَنَبِّئْهُـم إذَنْ

شرح طيبة النشر ٤٥٢/١ . وينظر:غاية الاختصار ١٩٥/١ ، والكنْز ٢٣٢/١ ، والنشر ٣٠٣/١ وفيه : « فقرأ أبو جعفر ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله ، إن كانت ضمة فواو، أو كسرة فياء ، أو فتحة فألف ، واستثنى من ذلك كلمتين وهما : ﴿أنبئهم﴾ في البقرة و﴿نبئهم﴾ في الحجر والقمر ، واختلف عنه في كلمة واحدة وهي ﴿نبئنا﴾ في يوسف ، فروى عنه تحقيقها أبو طاهر بن سوار من روايتي ابن وَرْدَان وابن جمَّاز جميعاً ، وروى الهذلي إبدالها من طريق الهاشمي عن ابن جمَّاز ، وروى تحقيقها من طريق ابن شبيب عن ابن وَرْدَان، وكذا أبو العز من طريق النهرواني عنه وإبدالها عنه من سائر طرقه ، وقطع له بالتحقيق الحافظ أبو العلاء ، وأطلق الخلاف عنه من الروايتين أبو بكر ابن مهران » .

وقفاً،قُلتُ : المراد المخالفة ولو في بعض الحروف أو في حالة دون حالة كـــ ﴿تئوي﴾ [الأحزاب:٥١]، وذلك مفهوم من القـــــاعدة، وتعداد مخالفته في مثل هذا يَعْسُر وضوحه يُعْفَى عن استيعابه، وأدغم[(١)]﴿ رؤيا﴾ [يوســف: ٤٣] ، و ﴿رؤياك﴾ [يوســف:٥] ، و﴿الرؤيا﴾ المضمومة الراء وما جاء منه[(٢)]، وأبـــدل الهمـــزة في ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيـــث جـــاء[(٣)]، و﴿نَاشِئَةَ﴾ في المزمـــل [٦]، و ﴿شَانِئَكَ﴾ في الكوثر[٣]، و﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾ حيـــث جـــاء[(٤)]، و﴿ قُرِئَ ﴾ كذلك[(٥)]، و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾حيـــث جـــاء[(٦)]، و﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ في النـــساء [٧٢]، و ﴿مُلِئَتْ﴾في الجن[٨] ، و﴿خَاطِئَةٍ﴾ في العلق [١٦]، و﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ في الحاقـــة [٩] ، و﴿مِاْئَةَ ﴾، و﴿فِئَةٍ ﴾ وتثنيتـــهما[(٧)]، و﴿مَوْطِئًا ﴾ [التوبــة:١٢٠]، و ﴿خَاسِئًا﴾ [الملك:٤]، وقرأ أيضاً بحذف الهمزة مع ضـــم مـــا قبلـــها في نحـــو

---

(١) والإدغام في هذا بأن يبدل الهمزة فيها واواً ثم يقلب الواو ياءً ويدغم الياء في الياء الـــتي بعـــدها. ينظر:الكنْز ٢٣٢/١ ، والنشر ٣٠٣/١.

(٢) جاءت ﴿الرُّؤيا﴾ المضمومة الراء في ثلاثة مواضع: الإسراء آية (٦٠)،والصافات آيـــة (١٠٥) ، والفتح آية (٢٧)، أما ﴿رُءياي﴾ فجاءت في يوسف آية (٤٣) وآية (١٠٠)

(٣) وهي في البقرة آية (٢٦٤)، والنساء آية (٣٨)، والأنفال آية (٤٧).

(٤) وهي في الأنعام آية (١٠) ، والرعد آية (٣٢) ، والأنبياء آية (٤١)

(٥) وهي في الأعراف آية (٢٠٤) ، والانشقاق آية (٢١).

(٦) وهي في النحل آية (٤١) ، والعنكبوت آية (٥٨).

(٧) وردت مئة في ثمانية مواضع أولها البقرة آية (٢٥٩)، وتثنيتها في موضعين الأنفال الآيـــتين (٦٥ ، و٦٦)، أما فئة فوردت في سبعة مواضع أولها البقرة آية (٢٤٩) وتثنيتها في ثلاثة مواضع ، الأنفال آية (٤٨) ، وآل عمران آية (١٣) ، والنساء آية (٨٨).

﴿مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقــــرة:١٤] ، و﴿وَالصَّابِئُونَ ﴾ [المائـــــدة:٦٩] ، و﴿مُتَّكِئُونَ ﴾ [يس٥٦]، و﴿لِّيُوَاطِئُواْ ﴾ [التوبة:٣٧]، و﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ ﴾ [التوبة:٦٤] /١ظ/و كذلك حذف الهمـــزة في﴿يَطَئُونَ ﴾ [التوبـــة:١٢٠]، و﴿تَطَئُوهَا﴾ [الأحـــزاب:٢٧] [١]، واختلف عن ابن وَرْدَان في﴿ٱلْمُنشِئُونَ ﴾ في الواقعة [٧٢] [٢]، واعلـــم أني لا ألتزم ذكر الوجه الموافق للسبعة ، وإن ذكرته فلا حرج.

وحذف أيضاً أبو جعفر الهمزة في نحو: ﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقـــرة:١٤]، و ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجـــــر:٩٥]، و﴿ ٱلْخَاطِئِينَ ﴾ [يوســـــف:٢٩]، و﴿خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف:٩٧، والقـــصص:٨] ، و ﴿ مُتَّكِئِينَ ﴾ [٣] فقط [٤] ، وســـهل الهمزة الثانيـــة

---

(١) وذكرت كتب القراءات موضعاً ثالثاً وهو قوله تعالى: ﴿ أَن تَطَئُوهُمْ ﴾ في الفتح آية (٢٥) ، قال العطار في غاية الاختصار ٢١٥/١: « فإن كان قبلها فتحة فإن الحلواني عن يزيد حـــذفها في ثلاثـــة= =أمكنة، وهي ﴿ولا يطئون﴾ [التوبة:١٢٠] ، و﴿لم تطئوهـــا﴾ [الأحـــزاب:٢٧] ، و﴿أن تطـــؤوهم﴾ [الفتح:٢٥] ، وليَّنها العمري [عن أبي جعفر] حيث جـــاءت ».وينظـــر: الكنْـــز ٢٣٧/١ ، والنـــشر ٣٠٩/١، وشرح طيبة النشر ٤٥٩/١.

(٢) يقول ابن الجزري في النـــشر ٣٠٨/١ : « واختلـــف عـــن ابـــن وَرْدَان في حـــرف واحـــد وهو﴿المنشؤن﴾ فرواه عنه بالهمز ابن العلاف عن أصحابه والنهرواني من طريقي الإرشاد وغايـــة أبي العلاء والحنبلي من طريق الكفاية ، وبه قطع له الأهوازي ، وبذلك قطع أبو العز في الإرشاد من غـــير طريق هبة الله وهو بخلاف ما قال في الكفاية ، وبالحذف قطع ابن مهران والهذلي وغيرهما ونص لـــه على الخلاف أبو طاهر بن سوار والوجهان عنه صحيحان و لم يختلف عن ابن جمَّـــاز في حذفـــه » . وينظر: شرح طيبة النشر ٤٥٩/١ .

(٣) وهي في سبعة مواضع أولها الكهف آية (٣١).

(٤) ينظر: غاية الاختصار ٢١٦/١-٢١٨، والكنْز ٢٣٧/١ ، والنشر ٣٠٨/١.

مـــن ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ حيث وقع[1] ، ومـــد ﴿ وَكَأَيِّن ﴾[2]، كـــابن كثـــير[3] وسهله[4].

وشـــدّدَ ﴿جُزْءًا﴾ و ﴿جُـزْءٌ﴾[5]، وحـــذف الهمـــــزة وشـــــدَّد اليـــــاء مـــــن ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[6] [آل عمـــران:٤٩، والمـــــائدة:١١٠]

---

(١) وهي في اثنين وأربعين موضعاً ، أولها البقرة آية (٤٠).

(٢) وهي في سبعة مواضع أولها آل عمران آية (١٤٦).

(٣) هو عبد الله بن كثير المكي إمام أهل مكة في القراءة ، ولد بمكة سنة خمس وأربعين ولقـــى بهـــا عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر ودرباس مولى عبدالله بن عباس وروى عنهم ، توفي سنة عشرين ومئة ، وقال عنه ابن مجاهد و لم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليـــه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومئة.ينظر:السبعة ٦٤، ومعرفة القراء الكبـــار٨٦/١، وغايـــة النهاية ٤٤٣/١-٤٤٥.

(٤) يقول الواسطي في الكنْز ٢٤٦/١: « فأمَّا ﴿إسرائيل﴾ و﴿كأين﴾ فقرأهما أبو جعفر بتليين الهمزة فيها بين بين» ، ويقول ابن الجزري في النشر٣١١/١: « وأمّا ﴿إسرائيل﴾ و﴿كأين﴾ حيث وقعـــا، فـــسهل الهمزة فيهما أبو جعفر وحققها الباقون وسيأتي»، ويفصل الخلاف في ســـورة آل عمـــران إذ يقـــول في النشر١٨٢/٢: «واختلفوا في ﴿كأين﴾ حيث وقع ، فقرأ ابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكـــاف وبعدها همزة مكسورة، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة، وانفرد أبـــو علي العطار عن النهرواني عن الأصبهاني في (العنكبوت) فقرأ كأبي جعفر من المد والتسهيل، وقد تقـــدم تسهيل همزتها لأبي جعفر في باب الهمز المفرد». وينظر:شرح طيبة النشر ٤٥٨/١.

(٥) وهي في أربعة مواضع ، يقول ابن الجزري في النشر ٣١٥/١: « وإن كان الساكن قبل الهمز زايـــاً فهو حرف واحد ، وهو ﴿جزءاً﴾ في البقرة [٢٦٠] ﴿على كل جبل منهن جزءاً﴾ ، وفي الحجـــر [٤٤] ﴿جزءٌ مقسوم﴾ وفي الزخرف [١٥] ﴿من عباده جزءاً﴾ ولا رابع لها، فقرأ أبو جعفـــر بحـــذف الهمـــزة وتشديد الزاي على أنه حذف الهمزة بنقل حركتها إلى الزاي تخفيفاً ثم ضعف الزاي كالوقف على (فَرْج) عند من أجرى الوصل مجرى الوقف، وهي قراءة الإمام أبي بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري» .

(٦) حذف الهمزة إنما يكون حال النقل ، أما أبو جعفر فلا نقل له ، وإنما يبدل الهمزة يـــاءً ويـــدغمها في الياء، قال ابن الجزري في النشر ٣١٤/١-٣١٥ : « أمّا ﴿كهيئة﴾ وهو في آل عمران والمائدة فرواه ابـــن

كحمزة في وقفه على أحد الوجوه[1] ، وحذف الهمزة من ﴿مُتَّكَـًٔا﴾[2] [يوسف٣١].

النقل

قرأ أبو جعفر ﴿ رِدۡءٗا ﴾ [القصص:٣٤] بالنقل كقالون غير أَنَّهُ أبدلَ من التنوين ألفاً في الحالين[3]، ونقل ابن وَرْدَان ﴿ مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران: ٩١]، أعني همزة (مِّلۡءُ) وقفاً ووصلاً ، وذكر الشيخ في الطيبة عنه خلافاً في

هارون من طرقه والهذلي عن أصحابه في رواية ابن وَرْدَان كذلك بالإدغام وهي رواية الدوري وغيره عن ابن جمَّاز ، ورواه الباقون عن أبي جعفر بالهمز ، وبه قطع ابن سوار وغيره عن أبي جعفر في الروايتين ».

(١) ذكر هذين الوجهين الحافظ أبو العلاء العطار في غايته ٢٥٢/١ في باب وقف حمزة على الهمز ، إذ قال: « وإن كان حرف لين لم يخل من أن يكون واواً أو ياءً أو ألفاً ، فإن كان واواً أو ياءً لم يخل من أن يكون قبلهما فتحة أو حركتهما، فإن كان قبلهما فتحة ساغ فيهما وجهان: احدهما: أن تلقى حركة الهمزة عليهما وتُحذف ،كالتي قبلها ساكن من غير حرف اللين وهو الاختيار.

والآخر: أن تُقلب حرف لين من جنس ما قبلها ويُدغم الأولُ في الثاني فتصير حرف لين مشدّداً ، وذلك= =نحو : ﴿ شيئاً﴾ ، و﴿كهيئة﴾ ... ». ونقل هذين الوجهين العلامة ابن الجزري في النشر ٣٣٧/١، عن أبي العلاء العطار ، وعلق على هذا النوع بقوله : « وحكى ابن سوار وأبو العلاء الهمذاني وغيرهما وجهين في هذا النوع ، أحدهما : النقل كما ذكرنا .قالوا والآخر: أن يقلب حرف لين من جنس ما قبلها ويدغم الأول في الثاني ، قالوا فيصير حرف لين مشدداً. قلت : والصحيح الثابت روايته في هذا النوع هو النقل ليس إلاَّ ، وهو الذي لم أقرأ بغيره على أحد من شيوخي ولا آخذ بسواه والله الموفق».

(٢) قال أبو العلاء العطار في غايته٢١٣/١: «وأما المفتوحة المفتوح ما قبلها فإنَّ العُمريُّ[عن أبي جعفر] لينها حيث جاءت، وحذفها الحلوانيُّ عن يزيد من﴿متكاً﴾ فيصير بوزن (مُتَّقىً) ».وينظر: الكنْز ٢٤١/١.

(٣) أي : في الوقف والوصل ، قال ابن الجزري في النشر ٣٢١/١ : «فقرأه بالنقل نافع وأبو جعفر إلاَّ أن أبا جعفر أبدل من التنوين ألفاً في الحالين ، ووافقه نافع في الوقف». وينظر: الكنْز ٢٤٥/١.

لفظ (مِّلْءُ) [1].

أحكام النون الساكنة والتنوين

قرأ أبو جعفر بإخفاء الخاء والغين المعجمتين[2]، خلا ﴿ الْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المائدة٣] ، و﴿ يَكُنْ غَنِيًّا ﴾ [النساء ١٣٥] ، و﴿فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ [الاسراء٥١] [3].

---

(١) وهذا الخلاف ذكره ابن الجزري في الطيبة بقوله:

ومِلْءُ الأَصْبَهاني مع عيسى اختُلف وسلْ (روى) (دُ)مْ كيْفَ جا القُرآنُ (دُ)فْ

ينظر:شرح طيبة النشر ٤٧٦/١.

وينظر : غاية الاختصار ٢٠٤/١-٢٠٥ وفيه : « فإن كان الساكن حرفاً صحيحاً نحو﴿مسؤلاً﴾ و﴿ملء الأرض﴾ ... فإنَّ العُمريَّ روى جميع ذلك بخيال النبر ، ولا يوقف على حقيقته إلاَّ بالمشافهة. وانفرد الحلواني عن يزيد بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام من قوله: ﴿من أحدهم ملء الأرض﴾ فقط » . وقال الواسطي في الكنْز ٢٤٥/١ : « وروى النهروانيُّ عن أبي جعفر ﴿ملءُ الأرض ذهباً﴾ بحذف الهمزة من (ملء) فقط ، ونقل حركتها إلى اللام »، وقال ابن الجزري في النشر ٣٢١/١:= =«أمّا (ملء) من قوله: ﴿ملء الأرض ذهباً﴾ في آل عمران فاختلف فيه عن ابن وَرْدَان والأصبهاني عن ورش، فرواه بالنقل النهرواني عن أصحابه عن ابن وَرْدَان وبه قطع لابن وَرْدَان الحافظ أبو العلاء ورواه من الطريق المذكورة أبو العز في الإرشاد والكفاية، وابن سوار في المستنير وهو رواية العمري عنه ، ورواه سائر الرواة عن ابن وَرْدَان بغير نقل، والوجهان صحيحان عنه، وقطع الأصبهاني فيه بالنقل أبو القاسم الهذلي من جميع طرقه وهو رواية أبي نصر بن مسرور وأبي الفرج النهرواني عن أصحابهما عنه ، وهو نص ابن سوار عن النهرواني عنه، وكذا رواه أبو عمرو والداني نصاً عن للأصبهاني،ورواه سائر الرواة عنه بغير نقل، والوجهان عنه صحيحان، قرأت بهما جميعاً عنه وعن ابن وَرْدَان، وبهما آخذ، والله أعلم».

(٢) الأولى أن يقول : (قرأ أبو جعفر بإخفاء النون الساكنة والتنوين عند الخاء والغين المعجمتين) ، لأن الإخفاء للنون الساكنة والتنوين وليس للخاء والغين .

(٣) ينظر: غاية الاختصار ١٧٤/١-١٧٥ ، والمستنير ٤٦٩/١ ، والكنْز ١٩٢/١ ، والنشر ١٨/٢ ، وشرح طيبة النشر ٥٥٦/١ ، وفيه : « استثنى بعض أهل الأداء عن أبي جعفر ﴿فسينغصون﴾

الوقفُ على مرسوم الخط

قرأ يعقوب بزيادة هاء السكت بعد الواو من (هو) والياء من(هي) كيف وقعا[١]، وكذلك بعد النون المشددة بعد الهاء ، نحو: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾[٢]و﴿حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤و٦] ،و﴿لَّهُنَّ﴾[٣]، و﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١ و٥٠، والممتحنة:١٢] ونحوه[٤] ، وكذلك بعد الياء المشددة، نحو ﴿عَلَيَّ﴾[٥]، و﴿إِلَيَّ﴾[٦]،و﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص٧٥]، و﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾[إبراهيم:٢٢][٧]

و﴿المنخنقة﴾ و﴿إن يكن غنياً﴾ فاظهروا النون عنه ، وروى الإخفاء فيها أبو العز في إرشاده من طريق الحنبلي عن هبة الله ، وذكرها في كفايته عن الشطوي كلاهما من رواية ابن وَرْدَان وخص في الكامل استثناءها من طريق الحنبلي فقط ، وأطلق الخلاف فيها من الطريقين ، والوجهان صحيحان ، والاستثناء أشهر وعدمه أقيس ».

(١) ينظر: التذكرة ٣٠٥/١ ،وغاية الاختصار٣٨٨/١ ،والكنْز٣٥٥/١،والنشر ١٠٠/٢،وشرح طيبة النشر ٦٥/٢.

(٢) وهي في أحد عشر موضعاً أولها البقرة آية(٢٢٨).

(٣) وهي في ثلاثة عشر موضعاً أولها البقرة آية(١٨٧).

(٤) قال الواسطي في الكنْز ٣٥٥/١: « وزاد القاضي عن رُوَيْس الوقف كذلك على ضمير جماعة المؤنث في (هُنَّ) سواء اتصل به شيء أم لم يتصل ، نحو ﴿هنَّ أطهر لكم﴾ ، و﴿ لهن مثل الذي عليهنَّ﴾ ... » وقال ابن الجزري في النشر ١٠١/٢ : « فاختلف عن يعقوب في الوقف على ذلك بالهاء فقطع في التذكرة بإثبات الهاء عن يعقوب في ذلك كله ، وكذلك الحافظ أبو عمرو الداني وذكره أبو طاهر بن سوار ، وقطع به أبو العز القلانسي لرُوَيْس من طريق القاضي وأطلقه في الكنْز عن رُوَيْس وقطع به ابن مهران لرَوْح والوجهان ثابتان عن يعقوب بهما قرأت وبهما آخذ» وينظر: شرح طيبة النشر ٦٦/٢.

(٥) وهي في ستة عشر موضعاً أولها النساء آية (٧٢) .

(٦) وهي في خمسة وعشرين موضعاً أولها آل عمران آية (٥٥) .

(٧) ينظر : شرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٦٥ .

/٢و/. وكذلك زاد رُوَيْس هاءً في ﴿يَـٰأَسَفَىٰ﴾ [يوسف:٨٤]، و﴿يَـٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الزمر:٥٦] و﴿يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾[1]، و﴿فَثَمَّ﴾ [البقرة: ١١٥] بفتح الثاء، لكن بهذه الأربع الكلم فيها عنه باختلاف[2]، صرَّح به في الطيبة[3].

وحذف يعقوب الهاء من ﴿كِتَـٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩و٢٥] ، و﴿حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٠ و٢٦] وصلاً[4].

ووقف بالياء على ما وقع بعده ساكن غير تنوين في عشرة أحرف[5]، وهي: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة:٢٦٩]، لأَنَّهُ كسر التاء ، ﴿وَسَوۡفَ

---

(١) في الأصل (أسفا)، و(حسرتا)، و(ياويلتا) ، ووردت﴿ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ ﴾في المائدة (٣١) وهود (٧٢) والفرقان (٢٨) .

(٢) في الأصل (بلاخلاف) وما أثبتناه هو الصواب كما سيتضح في الهامش القادم.

(٣) هو قوله :

وَوَيْلتى وحَسْرتى وأسفى　　　　وثمَّ غَرْ خُلفاً وَوَصْلاً حَذَفا　=

= ينظر: شرح طيبة النشر ٦٧/٢.

وينظر: الكنْز ٣٥٥/١ ، والنشر ١٠١/٢-١٠٢ وفيه: « وأما الكلمات المخصوصة في أربع : (ويلتى) و(أسفى) و(حسرتى) ، و(ثَمَّ) الظرف ، فاختلف فيها عن رُوَيْس فقطع ابن مهران له بالهاء، وكذلك صاحب الكنْز ، ورواه أبو العز القلانسي عن القاضي أبي العلاء عنه ، ونص الداني على (ثَمَّ) ليعقوب بكماله،ورواه الآخرون عنه بغير هاء كالباقين ، والوجهان صحيحان عن رُوَيْس قرأت بهما وبهما آخذ » .

(٤) ينظر: المبسوط ٤٤٥ ، والتذكرة ٧٢٩/٢ ، والمستنير ٤٩٨/٢ ، وغاية الاختصار ٣٨٨/١ ، والكنْز ٦٩١/٢ ، والنشر ١٠٦/٢.

(٥) ذكر العطار تسعة أحرف أربعة في الأسماء وخمسة في الأفعال ، وذكر ابن الجزري أحد عشر حرفاً في سبعة عشر موضعاً ، فزاد قوله تعالى : ﴿يناد المناد﴾ [ق٤١] ينظر: غاية الاختصار ٣٦٠/١-٣٦١ ، والنشر ١٠٣/٢.

﴿يُؤۡتِ ٱللَّهُ﴾[(١)] [النساء:١٤٦] ، ﴿وَٱخۡشَوۡنِ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [المائدة: ٣]، و﴿يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ﴾ [غافر:٢٠] ، و﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بيونس [١٠٣]، و﴿ٱلۡوَادِ﴾[(٢)] ، حيث جاء[(٣)]، و﴿لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٥٤]، و﴿يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [يس: ٢٣]، و﴿صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٣]، و﴿ٱلنُّذُرُ﴾[(٤)][القمر: ٥]، و﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ في الموضعين[(٥)]، وهذه المواضع مجملة في الدرة[(٦)] وقد بينتها شافياً ، وبالله التوفيق.

ياءاتُ الزوائد

فتح أبو جعفر ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [يس: ٢٣] ، و﴿تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ﴾ [طه:٩٣] وصلاً وأثبتها وقفاً[(٧)].

وأثبت رُوَيْس ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٦] في الحالين بخلاف عنه، أعني (يا عبادي)[(٨)].

---

(١) في الأصل (سوف يؤتي الله).

(٢) في الأصل (الوادي).

(٣) وهي في خمسة مواضع : سورة طه آية (١٢) ، وسورة القصص آية (٣٠) ، وسورة النازعات آية(١٦) ، وسورة الفجر آية(٩) .

(٤) في الأصل (نغني النذر).

(٥) أي : في سورة الرحمن آية(٢٤) ، وسورة التكوير آية(١٦).

(٦) ينظر: شرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٦٣-٦٨.

(٧) ينظر: غاية الاختصار ٣٦٥/١ ، والنشر ١٣٧/٢ ، و ١٤٢.

(٨) في هذا الموضع خرج المؤلف عن منهجه الذي التزمه ولم يشر إلى ذلك ، وهو الأخذ من طريق الدرة، فالخلاف إنما هو من طريق الطيبة ، أما الدرة فليس فيها إلا الإثبات قولاً واحداً ينظر: المستنير ٤١٥/٢ ، وغاية الاختصار ٣٥٦/١ ، والنشر ١٤٠/٢-١٤١ وفيه: « واختص رُوَيْس بإثبات الياء من المنادى في قوله : ﴿ياعبادِ فاتقون﴾ في الزمر أعني الياء من (عبادي) ، ولم يختلف في غيره من

وأثبت يعقوب جميع رؤوس الآي ، وهي ست وثمانون ياءً منها تسع مشهورة[1] وفي الأمثلة[2] ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة٤٠:،والنحل:٥١]، و﴿ تُنظِرُونِ ﴾[3]، و﴿ تَفۡضَحُونِ ﴾ [الحجر:٦٨]، و﴿ فَأَرۡسِلُونِ ﴾ [يوسف:٤٥] ، و﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف:٩٤]، و﴿ يُحۡيِينِ ﴾ [الشعراء:٨١] ، و﴿ وَيَسۡقِينِ ﴾ [الشعراء:٧٩]، و﴿ عَذَابِ ﴾ [ص٨]، و﴿ عِقَابِ ﴾[4] و﴿ مَتَابِ ﴾ [الرعد:٢٩]، و﴿ دُعَآءِ ﴾ بـإبراهيم[٤٠]، و﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾[5] و﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون:٦] ، ونحوه وهو ظاهر[6].

وكذلك أثبت جميع ياءات ﴿ ٱلۡجَوَارِ ﴾[7] إلاَّ ﴿ يَتَّقِ ﴾ بيوسف [٩٠] [1]/٢ظ/.

المنادى المحذوف، وهذه رواية الجمهور من العراقيين وغيرهم هو الذي في الإرشاد والكفاية وغاية أبي العلاء والمستنير والجامع والمبهج وغيرها ، ووجهة إثباتها خصوصاً مناسبة (فاتقون) ، وروى الآخرون عنه الحذف وأجروه مجرى سائر المنادى ، وهو الذي مشى عليه ابن مهران في غايته وابن غلبون في تذكرته ، وأبو معشر في تلخيصه وصاحب المفيد ، والحافظ أبو عمرو الداني وغيرهم ، وهو القياس وبالوجهين جميعاً آخذ لثبوتهما رواية وأداء وقياساً والله أعلم » ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٧٧ .

(١) ينظر: النشر ١٣٦/٢- ١٣٧ ، و١٤٣.

(٢) في الأصل وردت هذه الأمثلة بإثبات الياء ، وأثبتها من دون ياء التزاماً برسم المصحف .

(٣) وهي في ثلاثة مواضع : الأعراف آية (١٩٥) ، ويونس آية (٧١) ، وهود آية (٥٥) .

(٤) وهي في ثلاثة مواضع : الرعد آية (٣٢) ، وص آية (١٤) ، وغافر آية (٥) .

(٥) وهي في أربعة مواضع : البقرة آية(٤١) ، والنحل آية (٢) ، والمؤمنون آية (٥٢) ، والزمر آية (١٦).

(٦) ينظر : غاية الاختصار ٣٧١/١-٣٧٣ ، والكنز ٣٨٦/١-٣٨٧ ، والنشر ١٤٣/٢.

(٧) في الأصل (بحور) وهو تصحيف، ووردت (الجوار) في ثلاثة مواضع : الشورى آية (٣٢) ، والرحمن آية (٢٤) ، والتكوير آية (١٦) ، ينظر شرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٢١٠ و٢٢٢.

(١) ينظر: الكنْز ١/٣٧٩.

فرش الحروف

سورة البقرة

[١] أبو جعفر يسكت على جميع حروف التهجي ، كالألف واللام ، وميم حاميم سكتاً لطيفاً(١).

[٢] يعقوب ﴿ **تَرْجِعُونَ**﴾(٢) [٢٨] وما جاء منه غيباً أو خطاباً إذا كان من رجوع الآخرة بفتح أوله وكسر الجيم(٣).

[٣] أبو جعفر ﴿ **يُمِلَّ هْوَ**﴾ [٢٨٢] بالسكون(٤).

[٤] وعنه أيضاً ﴿ **لِلمَلائكةُ اسْجُدْوا**﴾ [٣٤] بضم التاء حيث وقع(٥).

---

(١) عبر بعضهم بقوله (سكتة يسيرة) أو (وُقَيفَة يسيرة) .ينظر:المستنير١٣/٢ ، وغاية الاختصار ٤٠٤/٢، والكنْز ٤٠٤/٢ ، والنشر ٣٢٩/١ ، وشرح طيبة النشر١٤٢/٢.

(٢) في الأصل (يرجعون)، وما أثبتناه أوفق لأنها في سورة البقرة آية(٢٨) والآية (٢٨١) ، أما (يرجعون) فوردت في غير سورة البقرة.

(٣) والباقون بضم أوله وفتح الجيم ، ووافقه أبو عمرو إلاَّ اليزيدي في اختياره في قوله : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه﴾ [البقرة٢٨١] فقط.وكذلك حمزة والكسائي وخلف في ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون١١٥]، ووافقهم نافع في ﴿وظنُّوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ [القصص:٣٩].أما ﴿ترجع الأمور﴾ حيث وقع، فقرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف كقراءة يعقوب ، ووافقه في ﴿واليه يرجع الأمر كله﴾ [هود١٢٣] كل القراء إلا نافعاً وحفصاً ، فإنهما قرءا بضم حرف المضارعة وفتح الجيم.ينظر:المبسوط١٢٧-١٢٨ ، والتذكرة ٣١٢/٢ ، والمستنير٢١/٢-٢٢ ، وغاية الاختصار ٤٠٦/٢-٤٠٧ ، والكنْز ٤٠٦/٢ ، والنشر ١٥٧/٢ ، وشرح طيبة النشر ١٤٧/٢-١٤٨.

(٤) لم يراعِ المؤلف ترتيب الآيات في هذا الموضع! والمقصود بالسكون،أي بسكون الهاء من(هو) والباقون بالتحريك. ينظر: النشر١٥٧/٢،وشرح طيبة النشر١٤٩/٢، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة٨٠.

(٥) وهي في الأعراف آية(١٢) ، والإسراء آية(٦٢)، والكهف آية(٥١)، وطه آية(١١٧)، إخلاص الضم عن أبي جعفر من رواية ابن جمَّاز ومن غير طريق هبة الله وغيره عن عيسى بن وَرْدَان ، أما=

[٥] يعقوب ﴿لا خَوْفَ﴾ [٣٨] بفتح الفاء من غير تنوين حيث جاء[١].

[٦] أبو جعفر ﴿أَمَانِيَ﴾ [٧٨]، و﴿أَمَانِيهِمْ﴾ [١١١]، و﴿أَمَانِيكُم﴾ [النساء١٢٣]، و﴿الأَمَانِيُ﴾ [الحديد١٤] و﴿أُمْنِيَتِه﴾ [الحج٥٢] بالتخفيف وإسكان الياء المرفوعة والمخفوضة وكسر الهاء[٢].

[٧] يعقوب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [٩٦] بالخطاب[٣].

[٨] يعقوب وأبو جعفر ﴿إنَّ القُوَّةَ لله جَمِيعاً ، وإنَّ اللهَ﴾ [١٦٥] بكسر الهمزة فيهما[٤].

[٩] أبو جعفر ﴿المَيِّتَةَ﴾[٥] [١٧٣]،و﴿ميِّتة﴾ [الانعام١٣٩و١٤٥]، و﴿مَيِّتاً﴾

=الباقون فبإخلاص الكسر. ينظر: المبسوط ١٢٨، والمستنير٢/٢٤ ، وغاية الاختصار ٢/٤٠٧ ، والكنْز ٢/٤٠٧، والنشر ٢/١٥٨ ، وشرح طيبة النشر ٢/١٥١.

(١) وهي في ثمانية مواضع أولها البقرة آية (٣٨) ، وقرأ الباقون برفع الفاء وتنوينها.ينظر:المبسوط ١٢٩ ، والتذكرة٢/٣١٣ ، والمستنير٢/٢٤ ، وغاية الاختصار٢/٤٠٨ ، والكنْز٢/٤٠٧ ، والنشر٢/١٥٩ ، وشرح طيبة النشر٢/١٥٣.

(٢) وقرأ الباقون بتشديد الياء فيهن وإظهار الإعراب.ينظر:المبسوط١٣١، والمستنير٢/٣٣، وغاية الاختصار ٢/٤١١ ، والكنْز ٢/٤١٠-٤١١ ، والنشر ٢/١٦٣-١٦٤ ، وشرح طيبة النشر ٢/١٦٧.

(٣) أي (تعلمون) بالتاء ، والباقون بالياء على الغيب .ينظر:المبسوط١٣٣ ، والتذكرة ٢/٣١٩ ، والمستنير٢/٣٨ وغاية الاختصار ٢/٤١٣ ، والكنْز ٢/٤١٣ ، والنشر٢/١٦٤ ، وشرح طيبة النشر٢/١٧٣.

(٤) وقرأ الباقون بفتح الهمزة فيهما: ينظر: المبسوط١٣٩، والمستنير٢/٤٨، والكنْز٢/٤١٩، والنشر ٢/١٦٨-١٦٩، وشرح طيبة النشر٢/١٩١-١٩٢.

(٥) أي ما كان مؤنثاً معرفاً باللام أو غير معرف ، والمعرف في أربعة مواضع هنا في البقرة أحدها ، ومثله في المائدة آية (٣) ، والنحل آية (١١٥) ، ويس آية (٣٣).

بالتشديد حيث وقع(١).

[١٠] أبو جعفر بكسر الطاء [في قوله تعالى] ﴿ **فَمَنُ اضْطِرَّ**﴾ [١٧٣] (٢).

[١١] وعنه ﴿ **اليُسُرَ**﴾ و﴿ **العُسُرَ**﴾ [١٨٥] ، و﴿ **عُسُراً**﴾ [الكهف:٧٣]، و﴿**ذُو عُسُرَةٍ**﴾ [البقرة:٢٨٠] ونحوه بضمِّ السين(٣).

[١٢] رَوْح [بضم ذال] (٤)﴿ **عُذُراً**﴾ في المرسلات(٥) [٦].

---

(١) وهي في ثلاثة مواضع : الفرقان آية (٤٩)، والزخرف آية (١١)، ق آية (١١)، لم يلتزم المؤلف في هذه المواضع بمنهجه في ذكر انفرادات أبي جعفر بتشديد (الميتة) ، فأبو جعفر في كلمة (ميتة) في سورة يس لم ينفرد ، بل وافقه نافع ، وكذلك لم ينفرد في (ميتاً) في سورتي الأنعام والحجرات إذ وافقه يعقوب، وقرأ الباقون بالتخفيف .ينظر: المستنير ٤٩/٢ ، وغاية الاختصار ٤١٢/٢، والكنْز ٤١٩/٢ ، والنشر ١٦٩/٢، وشرح طيبة النشر ١٩٢/٢ ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة٨٧.

(٢) وهي في أربعة مواضع هنا وفي المائدة آية(٣) ،والأنعام آية(١٤٥) ، والنحل آية(١١٥) ، وقرأ الباقون بالضم. ينظر:المبسوط١٤٢،والمستنير٥٠/٢، وغاية الاختصار ٤٢٢/٢ ، والكنْز ٤٢١/٢ ، والنشر ١٧٠/٢، وشرح طيبة النشر١٩٧/٢.

(٣) وجملته سبعة عشر موضعاً ، وهي : (العُسُر) ثلاثة مواضع في البقرة آية (١٨٥) والشرح آية(٥)و(٦)، و(عُسر) في الطلاق آية (٧) ، و(عُسُراً) في الكهف آية (٧٣) ، و(عُسُرة) في البقرة آية (٢٨٠) ، و(العُسُرة) في التوبة آية(١٧٧) ، و(للعُسُرى) في الليل آية (١٠) ، و(اليُسُر) في البقرة آية (١٨٥)، و(يُسُراً) ستة مواضع في الكهف آية (٨٨)، وفي الذاريات آية (٣)، وفي الطلاق آية (٤) و(٧)، وفي الشرح آية (٥) و (٦)، و(لليسرى) في موضعين ، في الأعلى آية (٨) ، وفي الليل آية (٧).

فقرأ أبو جعفر جميعها بضم السين، وقرأ بقية العشرة جميعها بالإسكان. ينظر: المبسوط١٤٣، والمستنير ٥١/٢ ، وغاية الاختصار ٤٢٣/٢ ، والكنْز٤٢٢/٢ ، والنشر ١٦٢/٢ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة على الأصل يقتضيها السياق لإيضاح المقصود.

(٥) أورد هذا الحرف في سورة البقرة جرياً مع شيخه ابن الجزري ومن ذهب مذهبه من المتأخرين في ذكر التثقيل والتخفيف في (هزواً) وأمثالها ، أما المتقدمون فقد ذكروا هذا الحرف في سورة المرسلات ، وقرأ الباقون بالإسكان. ينظر: المبسوط ٤٥٦ ، والتذكرة ٧٤٨/٢ ، والمستنير٥١٤/٢ ، وغاية الاختصار ٧٠٢/٢ ، والكنْز٧٠٢/٢، والنشر ١٦٣/٢ ، وشرح طيبة النشر ١٦٤/٢.

[١٣] أبو جعفر يرفع ﴿ **وَلا جِدَالٌ**﴾ [١٩٧] وينونهُ[١].

[١٤] وعنه كسر التاء في قوله تعالى : ﴿ **منَ الغَمَامِ وَالمَلائِكَةِ**﴾ [٢١٠] [٢].

[١٥] وعنه ﴿**لِيُحْكَمَ**﴾ [٢١٣] بضم الياء وفتح الكاف ، وكذا في آل عمران[٢٣] ، وموضعي النور[٤٨ و٥١] [٣].

[١٦] وعنه ﴿**تُضَار وَالِدَةٌ**﴾ [٢٣٣] و﴿**يُضَار كَاتِبٌ**﴾ [٢٨٢] بإسكان الراء مخففة ويمدُّ مداً مشبعاً[٤].

[١٧] يعقوب ﴿**وَمَنْ يُؤْتِ الحِكْمَةَ**﴾ [٢٦٩] بكسر التاء ويثبت الياء وقفاً[٥].

[١٨] وعنه ﴿**لا يُفَرِّقُ**﴾ [٢٨٥] /٣و/ بالياء[٦].

---

(١) وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين (جدالَ). ينظر: المبسوط ١٤٥، والتذكرة٢/١٣١ ، والمستنير٢/٥٤ ، وغاية الاختصار ٢/٤٢٧ ، والكنْز٢/٤٢٣، والنشر٢/١٥٩، وشرح طيبة النشر٢/١٥٤.

(٢) بالجر عطفاً على ظلل أو الغمام ، وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على لفظ الجلالة السابق من قوله : ﴿إلاَّ أن يأتيهم اللهُ ﴾. ينظر: المبسوط ١٤٥، والمستنير ٢/٥٥ ، وغاية الاختصار ٢/٤٢٨ ، والكنْز ٢/٤٢٤، والنشر ٢/١٧١ ، وشرح طيبة النشر ٢/٢٠٢.

(٣) وهي رواية الحلواني عن أبي جعفر ، وقرأ الباقون ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بفتح الياء وضم الكاف بالبناء للمعلوم. ينظر:المبسوط ١٤٦ ، والمستنير ٢/٥٥ ، وغاية الاختصار ٢/٤٢٨ ، والكنْز ٢/٤٢٤ ، والنشر ٢/١٧١ ، وشرح طيبة النشر ٢/٢٠٣.

(٤) ينظر: المستنير ٢/٥٨ ، وغاية الاختصار ٢/٤٢٩ ، والكنْز ٢/٤٢٥ ، والنشر ٢/١٧١ ، وشرح طيبة النشر٢/٢٠٥ ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٩٣.

(٥) وقرأ الباقون ﴿يُؤتَ﴾ بفتح التاء ويقفون بالتاء أيضاً .ينظر: المبسوط ١٥٣ ، والتذكرة ٢/٣٤١ ، والمستنير٢/٦٧ ، وغاية الاختصار٢/٤٣٧ ، والكنْز ٢/٤٣١ ، والنشر٢/١٧٧ ، وشرح طيبة النشر ٢/٢٢١.

(٦) وقرأ الباقون بالنون.ينظر: المبسوط ١٥٦ ، والتذكرة ٢/٣٤٥ ،والمستنير٢/٧٢ ، وغاية الاختصار ٢/٤٤٤، والكنْز ٢/٤٣٣ ، والنشر ٢/١٧٨ ، وشرح طيبة النشر ٢/٢٢٧.

سورة آل عمران

[١] يعقوب﴿**مِنْهُمْ تَقِيَّةً**﴾ [٢٨]بفتح التــاء وكــسر القــاف ويــاء مفتوحــة مشدودة(١).

[٢] أبو جعفر ﴿**ٱلطَّيْرِ** ﴾ [٤٩] هنا وفي المائدة [١١٠] بألف وبهمزة مكسورة(٢).

[٣] وعنه ﴿ **لا يُحزِنُهُمُ** ﴾ بالأنبياء [١٠٣]بضم الياء وكسر الزاي(٣).

[٤] رُوَيْـــس ﴿**لا يَغُرَّنْـــكَ** ﴾(٤) [١٩٦] ، و﴿**يَحْطِمْـــنكُم**﴾ [النمـــل:١٨] ،

---

(١) ينظر: المبسوط ١٦٢ ، والتذكرة٢/٣٥٠ ، والمستنير ٧٩/٢ ، وغاية الاختصار ٤٤٧/٢ ،والكنْز ٤٣٨/٢ ، والنشر ١٨٠/٢، وشرح طيبة النشر٢٣٤/٢.

(٢) أي : (الطَّائر) وكذا وردت في الأصل ، وإنما التزمت رسم المصحف ، وقرأ الباقون بياء ساكنة بعد الطاء من غير ألف ولا همز.ينظر:المبسوط ١٦٤،والمستنير ٨٢/٢ ، وغاية الاختــصار ٤٤٩/٢ ، والكنْز ٤٤٠/٢ ، والنشر ١٨٠/٢-١٨١ ، وشرح طيبة النشر٢٩٣/٢.

(٣) ذكر هذا الحرف في سورة آل عمران جرياً مع عادة القراء حينما يذكرون القراءة الواردة في قوله تعالى : ﴿ولايُحزنك﴾ [آل عمــران: ١٧٦] ، يقول ابن مهران في المبسوط ١٧١: « قرأ أبو جعفر ﴿ولا يَحْزُنكَ﴾ كلَّ شيء في القرآن بفتح الياء وضم الزاي إلاَّ قوله في سورة الأنبياء ﴿ لا يحــزنهم الفــزع الأكبر﴾ فإنه قرأه بضم الياء وكسر الزاي وقرا نافع ضد ذلك كل شيء في القران ﴿يُحزِنك﴾ بــضم الياء وكسر الزاي إلاَّ في الأنبياء فانه قرأه ﴿ لا يَحزُنهم﴾ بفتح الياء وضم الزاي».أما الباقون بفتح الياء وضمِّ الزاي حيث كان.ينظر: المستنير ٩٢/٢ ، وغاية الاختصار ٤٥٦/٢ ، والكنْز ٤٤٤/٢، والنشر ١٨٤/٢ ، وشرح طيبة النشر ٢٥٣/٢-٢٥٤.

(٤) في الأصل (لا يغرنكم) وهو وهم وقع به الناشري وبعض العلماء ، ونبه على ذلك كــثير مــن العلماء، فقد جاء في المبسوط ١٧٣: « قرأ يعقوب في رواية رُوَيْس ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا﴾ خفيفة النون، وكذلك ﴿ لا يحطمنكم﴾ و﴿ولا يستخفنك الذين ﴾ و﴿أو نرينك﴾ و﴿فإمــا نــذهبن بك﴾ بتخفيف النون فيها ، وفي رواية زيد ﴿قال لأقتلنك﴾ خفيفة النون هذا الحرف فقط . وقرأ =

و﴿يَسْتَخِفَّنْكَ﴾ [الروم: ٦٠]، و﴿نَذْهَبَنْ بِكَ﴾ و﴿نُرِيَنْكَ﴾ [الزخرف: ٤١ و ٤٢] بالتخفيف(١)، ويقف على ﴿نذهبن﴾ بالألف عوضاً من النون.

[٥] أبو جعفر ﴿لكِنَّ الَّذِينَ﴾ [١٩٨] هنا كالزمر[٢٠] بالتشديد(٢).

سورة النساء

[١] أبو جعفر ﴿ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾ [٣] بالرفع(٣).

[٢] وعنه ﴿ حَفِظَ اللهَ﴾ [٣٤] بنصب الهاء(٤).

= الباقون بتشديد النون فيها».ونحو هذا جاء في كتاب التذكرة ٣٦٨/٢ ، والمستنير ٩٥/٢، والكنْز ٤٤٦/٢ ، بهذه الخمسة المواضع فقط ، أما العطار فزاد موضعين في غايته ٤٥٨/٢: الأول ﴿لا يغرنكم﴾ والثاني ﴿ ولا يجرمنكم﴾ ، وقد علق على هذا العلامة ابن الجزري في النشر ١٨٥/٢ بقوله : « واختلفوا في ﴿ لا يغرنكم﴾ ... وانفرد أبو العلاء الهمذاني عنه [أي رُوَيْس] بتخفيف ﴿يجرمنكم﴾، لا أعلم أحداً حكاه عنه غيره ، ولعله سبق قلم إلى رُوَيْس من الوليد عن يعقوب فإنه رواه عنه كذلك وتبعه على ذلك الجعبري فوهم فيه كما وهم في إطلاق (يغرن) والصواب تقييده ﴿بلا يغرنك﴾ فقط والله أعلم » .وينظر : شرح طيبة النشر ٢٥٨/٢-٢٥٩.

(١) أي النون من هذه المواضع الخمسة.

(٢) أي بتشديد النون وفتحها ، وقرأ الباقون بالتخفيف فيهما.ينظر: المبسوط ١٧٣ ، والمستنير ٩٦/٢، وغاية الاختصار ٤٥٨/٢ ،والكنْز ٤٤٦/٢ ، والنشر ١٨٥/٢ ، وشرح طيبة النشر ٢٥٩/٢.

(٣) وقرأ الباقون ﴿فَوَاحِدةً﴾ بالنصب.ينظر: المبسوط ١٧٥ ، والمستنير ٩٩/٢ وفيه : « قرأ أبو جعفر والقطيعي عن أبي زيد ، فيما قرأت به على أبي علي العطار ﴿فواحدةٌ﴾ بالرفع. » ، وغاية الاختصار ٤٥٩/٢ وفيه : «﴿فواحدةٌ﴾ رفع يزيد غير العُمري ، وأبو زيد عن صاحبيه » ، والكنْز ٤٤٩/٢، والنشر١٨٦/٢، وشرح طيبة النشر٢٦٠/٢.

(٤) وقرأ الباقون ﴿حفظ اللهُ﴾ بالرفع .ينظر: المبسوط ١٧٩ ، والمحتسب ١٨٨/١، والمستنير ١٠٣/٢، وغاية الاختصار ٤٦٣/٢ ، والكنْز ٤٥٢/٢ ، والنشر ١٨٧/٢ ، وشرح طيبة النشر٢٧٠/٢.

سورة الأنعام

[١] يعقوب ﴿ **يَحْشُرُهُم ... ثُمَّ يَقُولُ**﴾ [٢٢] بالياء[١].

[٢] وعنه تخفيف ﴿ **قُلْ مَنْ يُنْجِيكُم** ﴾ [٦٣] ، و﴿**فَاليَومَ نُنْجيكَ بِبَدَنِكَ**﴾ [يونس٩٢]، و﴿**نُنْجِي رُسُلَنَا**﴾ [يونس:١٠٣]، و﴿**نُنْجِ المُؤمِنِينَ**﴾ [يونس:١٠٣]، وخفف رَوْح ﴿**وَيُنْجِي اللهُ**﴾ بالزمر[٦١] [٢].

[٣] يعقوب رفع الراء من ﴿**ءازَرُ**﴾ [٧٤] [٣].

[٤] وعنه ﴿**عُدُوّاً بِغَيْرِ عِلْم**﴾ [١٠٨] بضم العين والدال وتشديد الواو[٤].

[٥] و عنه ﴿ **عَشرٌ** ﴾ [١٦٠] بالتنوين ، ﴿ **أَمْثَالُها** ﴾ [١٦٠]

---

(١) ومثلها في الفرقان آية(١٧)،وسبأ آية (٤٠)،وقد وافقه حفص في (سبأ)،وقرأ الباقون بالنون فيها. ينظر:المبسوط ١٩١، والتذكرة٢/٣٩٥، والمستنير٢/١٢٧، وغاية الاختصار٢/٤٧٦، والكنْز٢/٤٦٥، والنشر ٢/١٩٣ ، وشرح طيبة النشر ٢/٢٩٤.

(٢) لم ينفرد يعقوب في جميع المواضع التي ذكرها المؤلف ، إذ وافقه الكسائي وحفص في (ننج المؤمنين) في سورة يونس ، وقد فصَّل العطار في غايته المواضع التي تخفَّف وتشدَّد فيها ، وذكر مذاهب القراء في ذلك وجملتها أحد عشر موضعاً ولخص ذلك بقوله : « فالحاصل: أنَّ يعقوب انفرد بالأول من الأنعام [٦٣]،وانفرد من روايته رَوْح بالذي في الزمر[٦١] ، وخفَّف هو والرشمي الأوسط من يونس[١٠٣]، وانفرد ابن عامر بتشديد ما في الصف[١٠] فأما السبعة الباقية ... وخفف يعقوب جميعها بلا استثناء» . غاية الاختصار ٢/٤٨٢-٤٨٣ . وينظر: الكنْز٢/٤٦٨-٤٦٩ ، والنشر ٢/١٩٤، وشرح طيبة النشر ٢/٣٠٢-٣٠٤ ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ١١٦-١١٧.

(٣) وقرأ الباقون بفتح الراء .ينظر:المبسوط ١٩٦ ، والتذكرة ٢/٤٠١ ، والمستنير ٢/١٣٢ ، وغاية الاختصار ٢/٤٨٣ ، والكنْز ٢/٤٦٩ ، والنشر ٢/١٩٥ ، وشرح طيبة النشر ٢/٣٠٥.

(٤)وقرأ الباقون﴿عَدْواً﴾ بفتح العين وإسكان الدال مع تخفيف الواو.ينظر:المبسوط٢٠٠، والتذكرة ٢/٤٠٦،والمستنير ٢/١٣٧،وغاية الاختصار٢/٤٨٥، والكنْز ٢/٤٧٢،والنشر ٢/١٩٦، وشرح طيبة النشر٢/٣١٠.

بالرفع[١].

[٦] رُوَيْس ﴿لَهُم جَزَاءً﴾ بالنصب والتنوين، ﴿الضِّعْفُ﴾ بالرفع في سبأ [٣٧][٢]/٣ظ/.

سورة الأعراف

[١] ابن وَرْدَان ﴿ لا يُخرِج إلاَّ ﴾ [٥٨] بضم الياء وكسر الراء[٣].

[٢] أبو جعفر ﴿نَكَداً﴾ [٥٨] بفتح الكاف[٤].

[٣] يعقوب ﴿حَلْيِهِمْ﴾ [١٤٨] بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء[٥].

[٤] أبوجعفر ﴿يَبْطُشُونَ﴾ [١٩٥]، و﴿يَبْطُشَ بالَّذي﴾ [القصص١٩] ، و ﴿نَبْطُشُ البَطْشَةَ﴾ [الدخان١٦] بضمِّ الطاءِ[٦].

---

(١) وقرأ الباقون ﴿عشرُ﴾ بغير تنوين،و﴿أمثالِها﴾ بالجر.ينظر:المبسوط٢٠٥ ، والتذكرة٤١٤/٢ ، والمستنير ١٤٤/٢ ، وغاية الاختصار ٤٩١/٢ ، والكنْز ٤٧٧/٢ ، والنشر ٢٠٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٢٤/٢.

(٢) وقرأ الباقون ﴿جزاءُ﴾ بالرفع من غير تنوين ، و﴿الضعفِ﴾ بالجر للإضافة ، وإنما ذكرها في هذا الموضع من سورة الأنعام لمناسبة الآية التي قبلها ، خلافاً لما جاء في كتب القراءات إذ وضعوها في سورة سبأ.ينظر: المبسوط٣٦٤ ، والتذكرة٦٢٤/٢ ، والمستنير٣٨٢/٢ ، وغاية الاختصار ٦١٣/٢ ، والكنْز ٦١٣/٢ ، والنشر ٢٦٣/٢ ، وشرح طيبة النشر ٥١٦/٢-٥١٧.

(٣) وقرأ الباقون﴿لا يَخْرُجُ﴾بفتح الياء وضم الراء.ينظر:المستنير١٥١/٢،والكنْز٤٨٢/٢،والنشر ٢٠٣/٢.

(٤) وقرأ الباقون بكسرها.ينظر: المبسوط٢٠٩،والمستنير ١٥١/٢ ، وغاية الاختصار ٤٩٥/٢ ، وفيه: «بالفتح يزيد غير العمري» ، والكنْز ٤٨٢/٢ ، والنشر ٢٠٣/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٣٣/٢.

(٥) وقرأ حمزة والكسائي ﴿حِلِيِّهِمْ﴾ بكسر الحاء واللام وتشديد الياء، والباقون كذلك إلاَّ أنهم يضمون الحاء .ينظر: السبعة ٢٩٤ ، والمبسوط ٢١٤ ، والتذكرة ٤٢٥/٢ ، والمستنير١٥٨/٢ ، وغاية الاختصار ٤٩٨/٢ ، والكنْز ٤٨٥/٢ ، والنشر ٢٠٤/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٣٨/٢-٣٣٩.

(٦) وقرأ الباقون بكسرها.ينظر:المبسوط٢١٧ ، والمستنير ١٦٣/٢ ، وغاية الاختصار ٥٠١/٢-٥٠٢، والكنْز ٤٨٨/٢ ، والنشر٢٠٥/٢-٢٠٦ ، وشرح طيبة النشر ٣٤٦/٢.

سورة الأنفال

[١] رُوَيْس ﴿بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٣٩] بالخطاب(١).

[٢] وعنه ﴿تُرَهِّبُونَ﴾ [٦] بفتح الراء وتشديد الهاء(٢).

[٣] أبو جعفر﴿فِيكُمْ ضُعَفَآءَ﴾ [٦٦] بضم الضاد وفتح العين والمد بهمزة مفتوحة(٣).

[٤] وعنه ﴿أُسَارَى﴾ في ﴿ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ [٦٧](٤).

سورة التوبة

[١] ابن وَرْدَان﴿سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ﴾ [١٩] بضم السين وحذف الياء وفتح العين والميم من غير ألف، وهذه المسألة لم يذكرها في الطيبة(٥).

---

(١) وقرأ الباقون ﴿بما يعملون﴾ بالغيب.ينظر:المبسوط ٢٢١ ، والتذكرة٢/٤٣٤ ، والمستنير٢/١٦٩ ، وغاية الاختصار ٢/٥٠٤ ، والكنْز ٢/٤٩٣ ، والنشر ٢/٢٠٧ ، وشرح طيبة النشر ٢/٣٥٠.

(٢) وقرأ الباقون (ترْهبون) بإسكان الراء وتخفيف الهاء ، وقد انفرد ابن غلبون في التذكرة ٢/٤٣٥ عن ورش بفتح الراء وتشديد الهاء! واعتقد انه تصحيف من قبل المحقق.ينظر: المبسوط ٢٢٢ ، والمستنير٢/١٧١ وفيه: «روى رُوَيْس وعبد الوارث﴿تُرَهِّبون﴾ بفتح الراء وتشديد الهاء» ، وغاية الاختصار ٢/٥٠٥ ، والكنْز ٢/٤٩٣ ، والنشر ٢/٢٠٨ ، وشرح طيبة النشر ٢/٣٥٣.

(٣) وقرأ عاصم وحمزة وخلف بفتح الضاد وإسكان العين والتنوين من غير مدٍّ ولا همز، وقرأ الباقون بضم الضاد وإسكان العين والتنوين من غير مدٍّ ولا همز.ينظر:المبسوط ٢٢٢ ،والمستنير ٢/١٧١-١٧٢ ، وغاية الاختصار ٢/٥٠٥ ،والكنْز ٢/٤٩٤، والنشر ٢/٢٠٨ ،وشرح طيبة النشر ٢/٣٥٤.

(٤) وقرأ الباقون (أسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها.ينظر:المبسوط٢٢٣-٢٢٤ ، والمستنير٢/١٧٢ ، وغاية الاختصار٢/٥٠٦ ، والكنْز ٢/٤٩٤ ، والنشر ٢/٢٠٨ ، وشرح طيبة النشر ٢/٣٥٥.

(٥) في الأصل (سُقَاة الحَاجِّ وَعَمَرة المَسجدِ) كما رواها ابن وردان ،والتزمت رسم المصحف، يقول ابن الجزري في النشر ٢/٢٠٩ : «وانفرد الشطوي عن ابن هارون في رواية ابن وَرْدَان في ﴿سقاية =

[٢] أبو جعفر ﴿اثْنَا عْشَرَ﴾ [٣٦]، و﴿ أَحَدَ عْشَرَ﴾ [يوسف:٤]، و﴿تِسْعَةَ عْشَرَ﴾ [المدثر٣٠] بإسكان العين وبمدّ ﴿اثنا﴾ (١).

[٣] يعقوب ﴿يُضِلُّ﴾ [٣٧] بضم الياء وكسر الضاد(٢).

[٤] وعنه﴿مَدْخَلاً﴾ [٥٧] بفتح الميم وإسكان الدال مخففاً(٣).

[٥] وعنه ﴿كَلِمةَ اللهِ هِيَ العُلْيَا﴾ [٤٠] (١) بنصب التاء(٢).

= الحاج وعمارة المسجد﴾ (سُقاة) بضم السين وحذف الياء بعد الألف جمع ساق كـ (رام ورماة)، و(عَمرة) بفتح العين وحذف الألف جمع : (عامر) مثل : صَانِع وصَنَعة ، وهي رواية ميمونة والقورسي عن أبي جعفر، وكذا روى أحمد بن جبير الأنطاكي عن ابن جمَّاز وهي قراءة عبدالله بن الزبيري وقد رأيتهما في المصاحف القديمة محذوفتي الألف كـ (قيامة وجمالة) ، ثم رأيتهما كذلك في مصحف المدينة الشريفة ، و لم أعلم أحداً نص على إثبات الألف فيهما ولا في إحداهما ، وهذه الرواية تدل على حذفها منهما ، إذ هي محتملة الرسم. وقرأ الباقون بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف وبكسر العين وبألف بعد الميم».

(١) وقرأ الباقون بفتح العين في المواضع الثلاثة .ينظر: المبسوط ٢٢٦ ، والمستنير ١٧٧/٢ ، وغاية الاختصار ٥٠٧/٢-٥٠٨ ، والكنْز ٤٩٧/٢ ، والنشر ٢٠٩/٢-٢١٠ ، وفيه : « اختلفوا في ﴿اثنا عشر﴾ ... فقرأ أبو جعفر بإسكان العين في الثلاثة ، ولابد من مدِّ ألف (اثنا) لالتقاء الساكنين ، نص على ذلك الحافظ أبو عمرو الداني وغيره ، وهي رواية هبيرة عن حفص من طرق فارس بن أحمد ، وقرأه شيبة وطلحة فيما رواه الحلواني عنه ، وقد تقدم وجه مدِّه في باب المدِّ ، وقيل : ليس من ذلك ، بل هو فصيح سمع مثله من العرب في قولهم : (التقت حلقتا البطان) ، بإثبات ألف (حلقتا) ... ، وقرأ الباقون بفتح العين في الثلاثة » .

(٢) وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بضم الياء وفتح الضاد ، وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الضاد .ينظر: المبسوط ٢٢٦-٢٢٧ ، والتذكرة ٤٤٠/٢-٤٤١ ، والمستنير١٧٧/٢-١٧٨ ، وغاية الاختصار ٥٠٨/٢ ، والكنْز ٤٩٧/٢ ، والنشر ٢١٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٥٩/٢.

(٣) وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الدال مشددة .ينظر:المبسوط ٢٢٧ ، والتذكرة ٤٤١/٢ ، والمستنير ١٧٩/٢ ، وغاية الاختصار ٥٠٨/٢ ، والكنْز ٤٩٧/٢ ، والنشر ٢١٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٥٩/٢.

[٦] وعنه ﴿يَلْمُزُكَ﴾ [٥٨]، و﴿ يَلْمُزُونَ﴾ [٧٩] و﴿لا تَلْمُزُوا﴾ [الحجرات:١١] بضم الميم(٣).

[٧] وعنه ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ [٩٠] بإسكان العين وتخفيف الذال(٤).

[٨] وعنه ﴿والأنصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ [١٠٠] برفع الراء(٥).

[٩] وعنه ﴿إلا أنْ تَقَطَّعَ﴾ [١١٠] بتخفيف اللام(٦).

سورة يونس (عليه السلام)

[١] أبو جعفر ﴿ أَنَّهُ يَبْدَؤُا﴾ [٤] بالفتح(٧).

[٢] رَوْح ﴿مَا يَمْكُرُونَ﴾ [٢١] بالغيب(١).

---

(١) لم يراعِ الترتيب في هذا الموضع ، إذ من حقه التقديم على الذي قبله .

(٢) وقرأ الباقون بالرفع. ينظر:المبسوط ٢٢٧ ، والتذكرة ٤٤١/٢ ، والمستنير ١٧٩/٢ ، وغاية الاختصار ٥٠٨/٢ ، والكنْز ٤٩٧/٢ ، والنشر ٢١٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٥٩/٢.

(٣) وقرأ الباقون بكسر الميم. ينظر:المبسوط ٢٢٧ ، والتذكرة ٤٤١/٢ ، والمستنير ١٧٩/٢ ، وغاية الاختصار ٥٠٨/٢ ، والكنْز ٤٩٧/٢ ، والنشر ٢١٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٥٩/٢.

(٤) وقرأ الباقون بفتح العين وتشديد الذال.ينظر: المبسوط ٢٢٨ ، والتذكرة ٤٤٢/٢ ، والمستنير ١٨١/٢ ، وغاية الاختصار ٥١٠/٢ ، والكنْز ٤٩٨/٢ ، والنشر ٢١٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٦١/٢.

(٥) وقرأ الباقون بالجر.ينظر: المبسوط ٢٢٨ ، والتذكرة ٤٤٣/٢ ، والمستنير ١٨١/٢ ، وغاية الاختصار ٥١٠/٢ ، والكنْز ٤٩٨/٢ ، والنشر ٢١٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٦١/٢.

(٦) بتخفيف اللام على أنه حرف جر ، وقد ورد رسمها في الأصل (إلى) ، وقرأ الباقون ﴿إلاَّ﴾ بتشديدها على أنه حرف استثناء.ينظر: المبسوط ٢٣٠ ، والتذكرة ٤٤٤/٢، والمستنير ١٨٣/٢ ، وغاية الاختصار ٥١٢/٢ ، والكنْز ٤٩٩/٢ ، والنشر ٢١١/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٦٤/٢.

(٧) وقرأ الباقون بكسر همزة ﴿إنه﴾ .ينظر: المبسوط ٢٣٢ ، والمستنير ١٨٧/٢ ، وغاية الاختصار ٥١٣/٢ ، والكنْز ٥٠١/٢ ، والنشر ٢١٢/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٦٦/٢.

[٣]رُوَيْس ﴿ فَلتَفْرحُوا﴾ [٥٨] بالخطاب(٢).

[٤] أبو جعفر ﴿يَهْدِّي ﴾ [٣٥] (٣) بسكون الهاء وتشديد الدال(٤).

[٥] ويعقوب ﴿شُرَكَاءُكُمْ﴾ [٧١] بالرفع(٥).

[٦] رُوَيْس ﴿فاجمَعُوا﴾ [٧١] بوصل الهمزة وفتح /٤و/ الميم(٦).

سورة هود (عليه السلام)

[١] أبو جعفر ﴿وَزُلُفاً﴾ [١١٤] بضم اللام(٧).

[٢] ابن جمَّاز﴿أُوْلُوا بِقْيَةٍ﴾ [١١٦] بكسر الباء [وإسكان القاف] (١) وتخفيف

---

(١) وقرأ الباقون﴿ما تمكرون﴾ بالخطاب.ينظر: المبسوط ٢٣٢-٢٣٣،والتذكرة ٤٤٩/٢،والمستنير ١٩٠/٢، وغاية الاختصار٥١٥/٢ ، والكنْز ٥٠٢/٢ ، والنشر ٢١٢/٢ ، وشرح طيبة النشر ٢٦٨/٢.

(٢) وقرأ الباقون﴿فليفرحوا﴾ بالغيب . ينظر: المبسوط ٢٣٤، والتذكرة٢/ ٤٥١، والمستنير١٩٣/٢، وغاية الاختصار ٢/ ٥١٦، والكنْز ٥٠٣/٢ ، والنشر ٢١٤/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٧٣/٢.

(٣)لم يراعِ الترتيب في هذا الموضع أيضاً .

(٤) وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش بفتح الياء وتشديد الدال كقراءة أبي جعفر إلاَّ أنه أسكن الهاء ، وهم فتحوها، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال (يَهْدِي) ، وقرأ يعقوب وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال (يَهِدِّي) .ينظر: السبعة ٣٢٦ ، المبسوط ٢٣٣-٢٣٤ ، والمستنير ١٩١/٢ ، وغاية الاختصار ٥١٥/٢-٥١٦ ، والكنْز ٥٠٣/٢ ، والنشر ٢١٢/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٧٠/٢.

(٥) وقرأ الباقون بالنصب.ينظر: المبسوط٢٣٥، والتذكرة٤٥٢/٢،والمستنير١٩٣/٢، وغاية الاختصار ٥١٧/٢، والكنْز٥٠٤/٢، والنشر ٢١٤/٢ ، وشرح طيبة النشر ٣٧٤/٢.

(٦) وقرأ الباقون﴿فأَجْمِعُوا﴾ بقطع الهمزة وكسر الميم.ينظر:غاية الاختصار٥١٧/٢،والكنْز ٥٠٣/٢، والنشر٢١٤/٢ .

(٧) وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: المبسوط ٢٤٢ ، والمستنير٢٠٧/٢ ، وغاية الاختصار ٥٢٤/٢ ، والكنْز ٥٠٩/٢ ، والنشر ٢١٩/٢ ، وفيه : « وقرأ الباقون بفتح اللام ، وهما لغتان مسموعتان في =

الياء[٢].

سورة يوسف (عليه السلام)

[١] يعقوب ﴿ رَبِّ السَّجْنُ﴾ [٣٣] بفتح السين[٣].

[٢] وعنه ﴿ يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ يَشَاءُ﴾ [٧٦] بالياء فيهما[٤].

سورة إبراهيم (عليه السلام)

[١] رُوَيْس ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى ﴾ [٢] بكسر الهاء وصلاً ويرفع في الابتداء[٥] ، وكذلك

= جمع (زلفة)، وهي: الطائفة من أول الليل كما قالوا: (ظُلَم) في (ظُلْمة و(يُسَر) في (يسرة) ».

(١) ما بين المعقوفين زيادة على الأصل . ينظر:المستنير٢/٢٠٧،والنشر٢/٢١٩،وشرح طيبة النشر٢/٣٨٦، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ١٤١ .

(٢) وقرأ الباقون بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء.ينظر:المصادر السابقة.

(٣) وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: المبسوط٢٤٦، والتذكرة٢/٤٦٧، والمستنير٢/٢١٦، وغاية الاختصار٢/٥٢٩، والكنْز٢/٥١٤ ، والنشر ٢/٢٢١ ، وشرح طيبة النشر ٢/٣٩٣-٣٩٤وفيه: «والباقون بكسرها على أنه أسم لا مصدر ، واتفقوا على كسر غيره ، لعدم صحة إرادة المصدر ، ولهذا قالوا : فرَّق يعقوب بين المصدر والاسم » .

(٤) وقرأ الباقون ﴿نرفع ... نشاء﴾ بالنون فيهما .ينظر: المبسوط ٢٤٧، والتذكرة ٢/٤٦٩ ، والمستنير٢/٢١٨، وغاية الاختصار٢/٥٣٠،والكنْز٢/٥١٥،والنشر٢/٢٢٢ ، وشرح طيبة النشر٢/٣٩٥.

(٥) وقرأ المدنيان وابن عامر برفع الهاء في الحالين ووافقهم رُوَيْس في الابتداء خاصة ، وكذلك رُوِيَ عن ابن كثير كما ذكر ابن غلبون في التذكرة ٢/٤١٨ ، والعطار في غاية الاختصار ٢/٥٣٤ ، والمشهور عن ابن كثير - كما يقول ابن غلبون - : « ما قدمت [أي : برفع الهاء في الحالين]، وبه قرأتُ». وقرأ الباقون بالخفض في الحالين.ينظر:النشر٢/٢٢٤ ، وشرح طيبة النشر ٢/٤٠٢.

فتح ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ وصلاً وكسر ابتداءً ،وهذا في عبس[٢٥] [(١)]، وكذلك ذكـر في الطيبة في ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ في المؤمنين [٩٢] أنه رفع في الابتداء فقط بخلف عنه[(٢)] وليس في هذه المسائل مخالفة للسبعة في الجملة بل ذكرها باعتبار أنه لم يوافق أحداً في الحالين.

سورة الحجر

[١] يعقوب﴿**صراط عَلِيٌّ مستقيم**﴾ [٤١]بكسر اللام وتشديد الياء منونة مرفوعة[(٣)].

---

(١) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح الهمزة في الحالين ، وقرأ الباقون ﴿إِنَّا﴾ بكسر الهمزة في الحالين.ينظر: المبسوط ٤٦٢ ، والتذكرة ٧٥٤/٢ ، والمستنير ٥٢٠/٢ ، وغاية الاختصار ٧٠٦/٢، والكنْز ٧٠٦/٢ ، والنشر ٢٩٨/٢ ، وشرح طيبة النشر ٦١١/٢-٦١٢.

(٢) شرح طيبة النشر ٤٦٩/٢-٤٧٠. وينظر: المبسوط ٣١٤ ، والتذكرة ٥٦٠/٢-٥٦١ ، وغاية الاختصار ٥٨٥/٢، ولقد فصَّل العلامة ابن الجزري في النشر ٢٤٧/٢ الخلاف عن رُوَيْس في هذا الحرف فقال:« واختلفوا في ﴿عالم الغيب﴾، فقرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر برفع الميم ، واختلف عن رُوَيْس حالة الابتداء، فروى الجوهري وابن مقسم عن التمار الرفع في حالة الابتداء، وكذا روى القاضي أبو العلاء والشيخ أبو عبدالله الكارزيني كلاهما عن النخاس، وهو المنصوص له عليه في المبهج وكتب ابن مهران والتذكرة وكثير من كتب العراقيين والمصريين،وروى باقي أصحاب رُوَيْس الخفض في الحالين من غير اعتبار وقف ولا ابتداء ، وهو الذي في المستنير والكامل وغاية الحافظ أبي العلاء،وخصَّصه أبو العز في إرشاديه بغير القاضي أبي العلاء الواسطي وبذلك قرأ الباقون ».

(٣) وقرأ الباقون ﴿عَلَيَّ﴾ بفتح اللام والياء مع تشديدها من غير تنوين .ينظر: المبسوط ٢٦٠ ، والتذكرة ٤٨٥/٢-٤٨٦ ، والمستنير ٢٣٨/٢ ، وغاية الاختصار ٥٣٧/٢ ، والكنْز ٥٢٨/٢، والنشر ٢٢٦/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٠٨/٢.

سورة النحل

[١] [رَوْح] [(١)]﴿تَنَزَّل﴾ [٢] بفتح الزاي مشددة ﴿المَلائِكَةُ﴾ [٢] بالرفع[(٢)].

[٢] أبو جعفر ﴿بِشَقِّ الأنفُسِ﴾ [٧] بفتح الشين[(٣)].

[٣] وعنه ﴿مُفرِّطُون﴾ [٦٢] بكسر الراء مشددة[(٤)].

[٤] وعنه ﴿تَسْقِيكُم﴾ [٦٦] في الحرفين[(٥)] بالتأنيث وفتح التاء[(٦)].

سورة سبحان[الإسراء]

[١] أبو جعفر﴿وَيُخْرَجُ لَهُ﴾ [١٣]بضم الياء وفتح الراء ، وعن يعقوب فتح

---

(١) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل.

(٢) قال ابن مهران في المبسوط ٢٦٢: « قرأ يعقوب في رواية رَوْح وزيد ﴿تَنَزَّلُ الملائِكَةُ بالرُّوحِ﴾ بفتح التاء والزاي وتشديدها ﴿الملائكةُ﴾ بالرفع مثل قراءة الحسن ... وقرأ الباقون ﴿يُنَزِّل﴾ بالياء وكسر الزاي ﴿الملائِكةَ﴾ بالنصب ، إلاَّ أن ابن كثير وأبا عمرو كأنهما يخففان (يُنزل) على أصلهما، وكذلك رُوَيْس عن يعقوب ، والباقون يشددون » . وينظر: التذكرة ٤٨٩/٢، والمستنير٢٤٣/٢، وغاية الاختصار٥٣٩/٢، والكنْز٥٣١/٢، والنشر٢٢٧/٢، وشرح طيبة النشر٤١١/٢.

(٣) وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: المبسوط ٢٦٢ ، والمستنير ٢٤٤/٢ ، وغاية الاختصار ٥٣٩/٢ ، والكنْز ٥٣١/٢ ، والنشر ٢٢٧/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤١١/٢.

(٤) وقرأ نافع وقتيبة عن الكسائي﴿مُفْرِطُونَ﴾ بإسكان الفاء وكسر الراء وتخفيفها ، والباقون كذلك إلاَّ أنهم يفتحون الراء. ينظر: المبسوط ٢٦٤ ،والمستنير ٢٤٦/٢ ، وغاية الاختصار ٥٤١/٢ ، والكنْز ٥٣٣/٢، والنشر ٢٢٨/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤١٤/٢.

(٥) أي هنا وفي سورة المؤمنين آية (٢١).

(٦) وهي رواية الحلوانيِّ عن أبي جعفر ، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر بنون مفتوحة ، الباقون بنون مضمومة . ينظر: المبسوط ٢٦٤ ،والمستنير ٢٤٦/٢ -٢٤٧ ، وغاية الاختصار ٥٤١/٢، والكنْز ٥٣٣/٢ ، والنشر ٢٢٨/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤١٤/٢.

الياء وضم الراء[١].

[٢] يعقوب ﴿ آمَرْنَا﴾ [١٦] بمدِّ الهمزة[٢].

[٣] أبو جعفر ورُوَيْس ﴿فَتُغْرِقَكُم﴾ [٦٩] بالتأنيث،ابن وَرْدَان بتشديد الراء بخلف عنه[٣].

[٤] أبو جعفر ﴿الرِّياح﴾ [٦٩] بالجمع هنا وفي الأنبياء [٨١] وفي سبأ [١٢] وصاد[٣٦]، وزاد في الطيبة حرف الحج[٣١] بخلاف عنه[٤].

سورة الكهف

[١] أبو جعفر ﴿أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ [٥١] بالجمع[٥].

---

(١) وقرأ الباقون ﴿ونُخرِجُ﴾ بضم النون وكسر الراء. ينظر: المبسوط ٢٦٧ ،والتذكرة ٢/٤٩٧، والمستنير ٢/٢٥١، وغاية الاختصار ٢/٥٤٤-٥٤٥ ، والكنْز ٢/٥٣٧ ، والنشر ٢/٢٣٠ ، وشرح طيبة النشر ٢/٤١٩.

(٢) وقرأ الباقون بقصرها. ينظر: المبسوط ٢٦٨ ، والتذكرة ٢/٤٩٨ ، والمستنير ٢/٢٥٢ ، وغاية الاختصار ٢/٥٤٥ ، والكنْز ٢/٥٣٧ ، والنشر ٢/٢٣٠ ، وشرح طيبة النشر ٢/٤١٩.

(٣) ينظر: المبسوط ٢٧٠ ،والتذكرة ٢/٥٠١ ،والمستنير ٢/٢٥٦ ، وغاية الاختصار ٢/٥٤٩ ، والكنْز ٢/٥٣٩،والنشر٢/٢٣١ وفيه: « فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون في الخمسة ، وقرأ الباقون بالياء إلاَّ أبا جعفر ورُوَيْساً في ﴿فيغرقكم﴾ فقرءا بالتاء على التأنيث ، وانفرد الشطوي عن ابن هارون عن الفضل عن ابن وَرْدَان بتشديد الراء ، وهي قراءة ابن مقسم وقتادة والحسن في رواية ».

(٤) ذكر العطار هذا الخلاف في غايته٢/٤١٩ بقوله: «واستثنى الحلواني إفرد ما في الحج»،وفصَّل ابن الجزري هذا الخلاف في النشر٢/١٦٨بقوله: «واختلف عن أبي جعفر في الحج﴿أو تهوي به الريح ﴾، فروى ابن مهران وغيره من طريق ابن شبيب عن المفضل عن ابن وَرْدَان ، وروى الجوهري والمغازلي من طريق الهاشمي عن إسماعيل عن ابن جمَّاز كليهما عنه بالجمع فيه ، والباقون بالإفراد » . وينظر:شرح طيبة النشر ٢/١٨٩.

(٥) وقرا الباقون : ﴿أَشْهَدْتُهُم﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف . ينظر: المبسوط ٢٧٩ ، والمستنير ٢/٢٦٨، وغاية الاختصار٢/٥٥٥، والكنْز ٢/٥٤٦، والنشر٢/٢٣٣، وشرح طيبة النشر ٢/٤٣٢.

[٢] وعنه ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ [٥١] بفتح/٤ظ/التاء(١).

سورة مريم (عليها السلام)

[١] يعقوب ﴿يَسَّاقَطْ﴾ [٢٥] بالتذكير(٢).

[٢] رُوَيْس ﴿نُوَرِّثُ﴾ [٦٣]بفتح الواو وتشديد الراء(٣).

سورة طه (عليه السلام)

[١] أبو جعفر ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ [٣٩] بإسكان اللام وجزم العين(٤).

[٢] وعنه ﴿ لا نُخْلِفْهُ﴾ [٥٨] بجزم الفاء(٥).

---

(١) وقرأ الباقون بضم التاء . ينظر: المستنير ٢٦٨/٢ ، وغاية الاختصار ٥٥٥/٢ ، والكنْز ٥٤٦/٢، والنشر ٢٣٣/٢ وفيه : « واختلفوا في ﴿وما كنت متخذ المضلين﴾، فقرأ أبو جعفر بفتح التاء ، وانفرد أبو القاسم الهذلي عن الهاشمي عن إسماعيل عن ابن جمَّاز عنه بضم التاء وكذلك قرأ الباقون».

(٢) قال ابن مهران في المبسوط ٢٨٨: « ويعقوب ﴿يَسَّاقط عليك﴾ بالياء وتشديد السين.وقرأ حمزة ﴿تَسَاقط عليك﴾ بالتاء خفيفة السين.وقرأ حفص عن عاصم ﴿تُسَاقِط﴾ بضم التاء وكسر القاف. وقرأ الباقون ﴿تَسَّاقط﴾ بفتح التاء وتشديد السين» . وينظر : المستنير ٢٨١/٢ ، وغاية الاختصار٥٦٤/٢، والنشر ٢٣٨/٢-٢٣٩ ، وشرح طيبة النشر ٤٤٣/٢.

(٣) وقرأ الباقون ﴿نُوْرِثُ﴾ بإسكان الواو وتخفيف الراء. ينظر: المبسوط٢٨٩، والتذكرة٥٢٦/٢، والمستنير٢٨٢/٢،وغاية الاختصار ٥٦٤/٢، والكنْز٥٥٣/٢،والنشر٢٣٩/٢،وشرح طيبة النشر٤٤٤/٢-٤٤٥.

(٤) وقرأ الباقون ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بكسر اللام وفتح العين.ينظر:المبسوط٢٩٤، والمستنير٢٨٩/٢،وغاية الاختصار٥٦٨/٢،والكنْز٥٥٨/٢،والنشر٢٤٠/٢،وشرح طيبة النشر٤٤٨/٢ ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ١٦٥.

(٥) وهي رواية الحلواني عنه ، ويلزم حينئذ حذف واو الصلة ، وقرأ الباقون ﴿ لا نُخْلِفُهُ﴾ بالرفع والصلة. ينظر: المبسوط ٢٩٥ ،والمستنير ٢٩٠/٢ ، وغاية الاختصار ٥٦٨/٢ ، والكنْز ٥٥٨/٢ ، والنشر ٢٤٠/٢، وشرح طيبة النشر ٤٤٩/٢ ، وشرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ١٦٥ .

[٣] رُوَيْس ﴿**إِثْرِي**﴾ [٨٤] بِكَسْرِ الهمزة وسكون الثاء[١].

[٤] أبو جعفر ﴿**لَنُحْرِقَنَّهُ**﴾ [٩٧] بإسكان الحاء وتخفيف الراء ، إلاَّ أن ابن وَرْدَان بِفَتْحِ النون وضمِّ الراء ،وابن جمَّاز بِضَمِّ النون وكَسْرِ الراء[٢].

[٥] يعقوب ﴿**نَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ**﴾ [١١٤] بالنون مفتوحة وكَسْرِ الضاد ونصب الياء فيهما[٣].

[٦] وعنه ﴿ **زَهَرَةَ** ﴾ [١٣١] بِفَتْحِ الهاءِ[٤].

سورة الأنبياء عليهم السلام

[١] يعقوب ﴿ **فَظَنَّ أنْ لَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ**﴾ [٨٧] بالياء المضمومة وفتح الدَّالِ[٥].

---

(١) وقرأ الباقون بفتحهما. ينظر: التذكرة ٥٣٧/٢ ، والمستنير ٢٩٣/٢، وغاية الاختصار ٥٧٠/٢ ، والكنْز ٥٥٩/٢-٥٦٠ ، والنشر ٢٤١/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٥٢/٢.

(٢) قال العطار في غايته ٥٧١/٢ : «﴿لنحرقنهُ﴾ خفيف يزيد ، وفتح الحلوانيُّ [عنه] نونه وضمِّ راءه»، وقال ابن الجزري في النشر ٢٤١/٢-٢٤٢ : « واختلفوا في ﴿لنحرقنه﴾ ، فقرأ أبو جعفر بإسكان الحاء وتخفيف الراء.وقرأ الباقون بفتح الحاء وتشديد الراء ، وروى ابن وَرْدَان عنه بفتح النون وضم الراء وهي قراءة علي بن أبي طالب ﷺ ... ، وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء».وينظر:شرح طيبة النشر ٤٥٣/٢-٤٥٤.

(٣) أي في (نقضي) و(وحيه) وقرأ الباقون ﴿يُقْضَى﴾ بالياء مضمومة مع فتح الضاد وألف بدل الياء مضارعُ (قُضى) ، و﴿وَحْيُهُ﴾ بالرفع. ينظر: المبسوط ٢٩٨،والتذكرة ٥٣٨/٢-٥٣٩،والمستنير ٢٩٥/٢، وغاية الاختصار ٥٧٢/٢،والكنْز ٥٦١/٢، والنشر ٢٤٢/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٥٤/٢.

(٤) وقرأ الباقون ﴿ زَهْرَةَ﴾ بإسكانها. ينظر: المبسوط ٢٩٨-٢٩٩ ، والتذكرة ٥٣٩/٢ ، والمستنير ٢٩٦/٢ ، وغاية الاختصار ٥٧٢/٢ ، والكنْز ٥٦١/٢، والنشر ٢٤٢/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٥٥/٢.

(٥) وقرأ الباقون ﴿ نَقْدِرَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الدال. ينظر: المبسوط ٣٠٢ ، والتذكرة٥٤٥/٢ ، والمستنير٣٠١/٢ ، وغاية الاختصار ٥٧٥/٢، والكنْز ٥٦٥/٢، والنشر ٢٤٣/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٥٩/٢.

[٢] أبو جعفر ﴿ **تُطْوَى**﴾ [١٠٤] بالتاء المضمومة وفتح الواو ، ورفع ﴿**السماءُ**﴾[١].

[٣] أبو جعفر ﴿**رَبُّ احْكُمْ**﴾ [١١٢] بضم الباء[٢].

سورة الحج

[١] أبو جعفر ﴿**وَرَبأتْ**﴾ [٥] هنا وفي فصلت [٣٩] بهمزة مفتوحة بعد الباء[٣].

[٢] يعقوب ﴿**لَنْ تَنَالَ ... وَلَكِن تَنَالُهُ التَّقْوَى**﴾ [٣٧] بالتأنيث[٤].

[٣] يعقوب ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾ [٧٣] بالغيب[٥].

---

(١) وقرأ الباقون ﴿نَطوِي﴾ بالنون مفتوحة وكسر الواو ، و﴿السماءَ﴾ بالنصب . ينظر: المبسوط ٣٠٣، والمستنير ٣٠٢/٢ ، وغاية الاختصار ٥٧٦/٢ ، والكنْز ٥٦٥/٢-٥٦٦ ، والنشر ٢٤٣/٢، وشرح طيبة النشر ٤٦٠/٢.

(٢) وقرأ الباقون ﴿رَبِّ﴾ بكسر الباء . ينظر: المبسوط ٣٠٣ ،والمستنير٣٠٣/٢ ، وغاية الاختصار ٥٧٦/٢ ، والكنْز ٥٦٦/٢ ، والنشر ٢٤٤/٢ وفيه : « واختلفوا في ﴿رب احكم﴾ فقرأ أبو جعفر بضم الباء ، وجهه أنه لغة معروفة جائزة في نحو (يا غلامي) تنبيهاً على الضم وأنت تنوي الإضافة، وليس ضمه على أنه منادى مفرد كما ذكره أبو الفضل الرازي ، لأن هذا ليس من نداء النكرة المقبل عليها ، وقرأ الباقون بكسرها » . وينظر:شرح طيبة النشر ٤٦٠/٢.

(٣) وقد شذت هذه القراءة لأنها خالفت رسم المصحف ، وقرأ الباقون ﴿وَرَبت﴾ بغير همز. ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٩٤ ، والمبسوط ٣٠٥ ، والمحتسب ٧٤/٢، والمستنير ٣٠٥/٢ ، وغاية الاختصار ٥٧٧/٢ ، والكنْز ٥٦٨/٢ ، والنشر ٢٤٤/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٦١/٢.

(٤) وقرأ الباقون بالياء فيهما على التذكير. ينظر: المبسوط ٣٠٧ ،والتذكرة ٥٥٢/٢ ، والمستنير ٣١٨/٢ ، وغاية الاختصار ٥٧٩/٢ ، والكنْز ٥٦٩/٢ ، والنشر ٢٤٥/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٦٤/٢.

(٥) وقرأ الباقون ﴿تدعون﴾ بالتاء على الخطاب. ينظر: المبسوط ٣٠٩ ،والتذكرة ٥٥٤/٢، والمستنير ٣١٠/٢، وغاية الاختصار ٥٨١/٢ ، والنشر ٢٤٥/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٦٦/٢.

سورة المؤمنون

[١] أبو جعفر ﴿**هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ**﴾ [٣٦] بكسر التاء فيهما(١).

سورة النور

[١] يعقوب ﴿**غَضَبُ اللهِ** ﴾ [٩] بفتح الضاد وضم الباء وخفض الجلالة الكريمة(٢).

[٢] وعنه ﴿**كُبْرَهُ**﴾ [١١] بضم الكاف(٣).

[٣] أبو جعفر ﴿**وَلا يتألَّ**﴾ [٢٢] بهمزة مفتوحة بين التاء واللام(٤).

---

(١) وقرأ الباقون ﴿هيهاتَ هيهاتَ﴾ بفتحهما وهما لغتان . ينظر: المبسوط ٣١٢ ،والمستنير ٣١٤/٢ ، وغاية الاختصار ٥٨٣/٢ ، والكنْز ٥٧٤/٢ ، والنشر ٢٤٦/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٦٨/٢.

(٢) وقرأ نافع بكسر الضاد وفتح الباء من ﴿غَضِبَ﴾ ورفع لفظ الجلالة بعده ، وقرأ الباقون ﴿غَضَبَ﴾ بالنصب ، وخفظ لفظ الجلالة . ينظر: معاني القراءات ٣٣١، والمبسوط ٣١٧، والتذكرة ٥٦٦/٢ ،والمستنير ٣١٩/٢-٣٢٠ ، وغاية الاختصار ٥٨٧/٢ ، والكنْز ٥٧٧/٢ ، والنشر ٢٤٨/٢، وشرح طيبة النشر ٤٧٣/٢-٤٧٤.

(٣) وقرأ الباقون ﴿كِبْرَهُ﴾ بالكسر. ينظر: معاني القراءات ٣٣٢، والمبسوط٣١٧، والتذكرة ٥٦٧/٢، والمستنير ٣٢٠/٢، وغاية الاختصار ٥٨٧/٢، والكنْز ٥٧٧/٢، والنشر ٢٤٨/٢ وفيه: « واختلفوا في﴿كبره﴾ فقرأ يعقوب بضم الكاف وهي قراءة أبي رجاء وحميد بن قيس وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب وعَمرة بنت عبد الرحمن، وقرأ الباقون بكسرها، وهما مصدران لكبر الشيء أي عظم، لكن المستعمل في الشَّيْنَ الضم، أي تولي أعظمه ، وقيل بالضم معظمه وبالكسر البداءة بالإفك ، وقيل الإثم». وينظر: شرح طيبة النشر ٤٧٤/٢.

(٤) قال ابن جني في المحتسب ١٠٦/٢: « ومن ذلك قراءة عباس بن عياش بن أبي ربيعة وأبي جعفر وزيد بن أسلم ﴿يتألَّ﴾ يَتَفَعَّلُ.قال أبو الفتح : تألَّيْتُ على كذا اذا حلفت ، و الألْوَةُ، والإلْوَةُ والأُلْوَةُ والألِيَّةُ : اليمين ... ومن قرأ ﴿ ولا يأتَلِ﴾ معناه: ولا يقصّر ، وهو يفتعل من قولهم : ما أَلَـوْتُ في كذا، أي ما قصرت». ويقول ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٤٨ : « واختلفوا في ﴿ولا يأتل﴾ فقرأ=

[٤] وعنه ﴿يُذْهِبُ بالأَبْصَارِ﴾ [٤٣] بضم الياء وكسر الهاء(١).

سورة الفرقان

[١] أبو جعفر ﴿ نُتَّخَذَ﴾ [١٨] بضم النون وفتح الخاء(٢).

= أبو جعفر ﴿يتألَّ﴾ بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة،وهي قراءة عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة مولاه، وزيد بن أسلم وهي من الألِيَّة على وزن فعيله من الألوة بفتح الهمزة وضمها وكسرها وهو الحلف،أي ولا يتكلف الحلف أولا يحلف أولو الفضل أن لا يؤتوا.ودل على حذف (لا)خلو الفعل من النون الثقيلة فإنها تلزم في الإيجاب.وقرأ الباقون بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام خفيفة إما من ألوت أي قصدت،أي ولا تقصر أو من آليت أي حلفت، يقال:آلى وأتلى وتألى بمعنى فتكون القراءتان بمعنى ، وذكر الإمام المحقق أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم القراب في كتابه علل القراءات أنه كتب في المصاحف (يتل) قال: فلذلك ساغ الاختلاف فيه على الوجهين انتهى.وهم في تخفيف الهمزة على أصولهم».وينظر:شرح طيبة النشر٢/٤٧٥.

(١) وقرأ الباقون ﴿يَذْهَبُ﴾ بفتحهما. ينظر: المبسوط ٣١٩، والمحتسب ٢/١١٤-١١٥، والمستنير ٣٢٣/٢، وغاية الاختصار ٢/٥٩٠، والكنْز ٢/٥٧٩، والنشر ٢/٢٤٩ ، وشرح طيبة النشر ٤٧٧/٢.

(٢) قال ابن مهران في المبسوط ٣٢٢-٣٢٣: « قرأ أبو جعفر وزيدٌ ﴿ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونك﴾ بضم النون وفتح الخاء،وقرأ الباقون بفتح النون وكسر الخاء» ويقول ابن جني في المحتسب٢/١١٩-١٢٠: « ومن ذلك قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي جعفر ومجاهد - بخلاف- ونصر بن علقمة ومكحول وزيد بن علي وأبي رجاء والحسن-واختلف عنهما- وحفص بن حُميد وأبي عبد الله محمد بن علي ﴿نُتَّخَذَ﴾ بضم النون.

قال أبو الفتح أما إذا ضمت النون فإن قوله: ﴿من أولياء ﴾ في موضع الحال ، أي: ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونك أولياء، ودخلت (من) زائدة لمكان النفي، كقولك: اتخذت زيداً وكيلاً ، فان نفيت قلت: ما اتخذت زيداً من وكيل ، وكذلك أعطيته درهما ، وما أعطيته من درهم، وهذا في المفعول.

وأما في قراءة الجماعة ﴿ما كان ينبغي لنا أن نَتَّخِذَ من دونك من أولياء ﴾ فان قوله ﴿من أولياء﴾ في موضع المفعول به ، أي : أولياء ، فهو كقولك :ضربت رجلاً ، فان نفيت قلت : ما ضربت من =

سورة الشعراء /٥و/

[١] يعقوب بفتح القافين في ﴿ **يَضِيْقَ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقَ لِسَانِي**﴾ [١٣] [(١)].

[٢] وعنه (**وأَتْبَاعُكَ**) عوض﴿ **وَٱتَّبَعَكَ** ﴾ [١١١] فقرأ بهمزة مفتوحة وسكون التاء مخففة وإثبات الألف بعد الباء ورفع العين[(٢)].

سورة الأحزاب

[١] رُوَيْس ﴿**يَسَّئَلُونَ**﴾[(٣)] [٢٠] شدد السين مفتوحة وأثبت الألف بعدها[(٤)].

=رجل، وقوله ﴿ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ ﴾ أي : لسنا ندعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا». وينظر المستنير ٣٢٧/٢، والنشر ٢٥٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٧٩/٢-٤٨٠.

(١) وقرأ الباقون: ﴿ يَضِيْقُ ... ولا يَنْطَلِقُ﴾ بالرفع فيهما ، ينظر: معاني القراءات ٣٤٦، والمبسوط ٣٢٦-٣٢٧ ، والتذكرة ٢٧٩/٢ ، والمستنير ٣٣٣/٢ ، وغاية الاختصار ٥٩٦/٢ ، والكنْز ٥٨٥/٢، والنشر ٢٥١/٢ ، وشرح طيبة النشر ٤٨٣/٢.

(٢) أي على الجمع ، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين من غير ألف. ينظر:معاني القراءات ٣٤٨/٢ ، والمبسوط٣٢٧، والمحتسب ١٣١/٢ وفيه : « ومن ذلك قراءة ابن مسعود والضحاك وطلحة وابن السميفع ويعقوب وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري ﴿ وَأَتْبَاعُكَ﴾...»، والتذكرة ٥٨٠/٢ ، والمستنير ٣٣٤/٢ ، وغاية الاختصار ٥٩٧/٢ ،والكنْز ٥٨٥/٢-٥٨٦، والنشر ٢٥١/٢ ،وشرح طيبة النشر ٤٨٣/٢.

(٣) في الأصل (يَسَّالون) من غير همزة ، وما أثبتناه موافق لرسم المصحف .

(٤) وقرأ الباقون ﴿يَسْئَلُونَ﴾ بإسكان السين وحذف الألف .ينظر: المبسوط ٣٥٧ ،والتذكرة ٦١٧/٢، والمستنير ٣٧٣/٢ ، وغاية الاختصار ٦١٩/٢، والكنْز ٦٠٩/٢ ،والنشر ٢٦١/٢ ، وشرح طيبة النشر ٥١٠/٢.

سورة سبأ

[١] رُوَيْس ﴿تُبُيِّنَت الجِنُّ﴾ [١٤] بضم التاء والباء وكسر الياء(١)، وكـذلك ﴿إِن تُوُلِيتم﴾ في سورة محمد ﷺ [٢٢] بضم التاء والواو وكسر اللام(٢).

[٢] يعقوب﴿ رَبُّنَا ﴾[١٩]بالضم،﴿بَاعَدَ﴾ [١٩] بالألف وفتح العين والدال(٣).

سورة فاطر

[١] أبو جعفر ﴿ تُذهِبْ﴾ [٨] بضم التاء وكسر الهـاء ، ﴿نَفْـسَكَ﴾ [٨] بالنصب(٤).

[٢] يعقوب ﴿يَنْقُصُ﴾ [١١] بفتح الياء وضم القاف(٥).

---

(١) وقرأ الباقون ﴿تَبَيَّنَت﴾بفتح التاء والباء والياء .ينظر: معاني القـراءات ٣٩١، والمبـسوط ٣٦١، والتذكرة ٢/٦٢٢-٦٢٣، والمستنير ٢/٣٨١ ، وغاية الاختصار ٢/٦٢٣، والكنْز ٢/٦١٢، والنشر ٢/٢٦٢ ، وشرح طيبة النشر ٢/٥١٤.

(٢) وقرأ الباقون ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ بفتح التاء والواو واللام.ينظر: معاني القراءات ٤٥١-٤٥٢، والتـذكرة ٢/٦٨٤، والمستنير ٢/٤٤٩ ، وغاية الاختصار ٢/٦٦٠، والكنْز ٢/٦٥٤ ،والنشر ٢/٢٨٠ ، وشرح طيبة النشر ٢/٥١٤.

(٣) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بفتح الباء من ﴿رَبَّنَا﴾ ،وكسر العين مشددة من غير ألف مـع إسكان الدال من ﴿بَعِّدْ﴾ ،وقرأ الباقون كذلك إلاَّ أنهم بالألف وتخفيف العين.ينظر: معاني القـراءات ٣٩٣، والمبسوط ٣٦٢- ٣٦٣،والتذكرة ٢/٦٢٣-٦٢٤، والمستنير ٢/٣٨٢، وغايـة الاختـصار ٢/٦٢٣-٦٢٤، والكنْز ٢/٦١٢-٦١٣،والنشر ٢/٢٦٢-٢٦٣، وشرح طيبة النشر ٢/٥١٥-٥١٦.

(٤) أي : بنصب السين من (نفسك) ، وقرأ الباقون ﴿ فلا تَذْهَبْ﴾ بفتح التاء والهاء ، ﴿نَفْـسُكَ﴾ بالرفع.ينظر: المبسوط ٣٦٦ ،والمستنير ٢/٣٨٥ ، وغايـة الاختـصار ٢/٦٢٦ ، والكنْـز ٢/٦١٦، والنشر ٢/٢٦٣ ، وشرح طيبة النشر ٢/٥١٩.

(٥) ينظر : المبسوط ٣٦٦-٣٦٧ ، والتذكرة ٢/٦٢٧ ، والمستنير ٢/٣٨٥، والنشر ٢/٢٦٣-٢٦٤، وشرح طيبة النشر ٢/٥١٩-٥٢٠.

سورة يس

[١] أبو جعفر ﴿ **أأن ذُكِرتُمْ**﴾ [١٩] بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها ويدخل بين الهمزتين ألفاً، وعنه تخفيف ﴿**ذُكِرتُم**﴾ [١٩] (١).

[٢] وعنه رفع (**صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ**) في قوله تعالى : ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ في الموضعين[٢٩ و٥٣] (٢).

[٣] وعنه ﴿**فَكِهُونَ**﴾ [٥٥] و﴿**فَكِهِينَ**﴾حيث وقع(٣) بالقصر(٤).

[٤] رَوْح ﴿**جُبُلاً**﴾ [٦٢] بضم الجيم والباء وتشديد اللام(٥).

---

(١) أي كاف (ذكرتم) .ينظر:المبسوط ٣٦٩-٣٧٠ ، والمستنير٣٩٠/٢،وغاية الاختصار ٦٢٩/٢،والكنْز٦١٨/٢،والنشر ٢٦٤/٢ وفيه : « واختلفوا في ﴿ أإن ذكرتم﴾ فقرأ أبو جعفر بفتح الهمزة الثانية وهو في تسهيلها والفصل بينهما على أصله ، وقرأ الباقون بكسرها وهم في التسهيل والتحقيق والفصل وعدمه على أصولهم ،واختلفوا في﴿ذكرتم﴾ فقرأ أبو جعفر بتخفيف الكاف».

(٢) وقرأ الباقون ﴿صيحةً واحدةً﴾ بالنصب في الكلمتين. ينظر: المبسوط٣٧٠، والمستنير٣٩٠/٢، وغاية الاختصار٦٢٩/٢، والكنْز٦١٨/٢، والنشر٢٦٤/٢، وشرح طيبة النشر٥٢١/٢-٥٢٢.

(٣) وهو في موضعين: الدخان آية (٢٧)، والطور آية (١٨) .

(٤) أي بغير ألف. ينظر: ينظر: المبسوط ٣٧١، والمستنير ٣٩٣/٢، وغاية الاختصار٦٣١/٢، والكنْز٦٢٠/٢، والنشر٢٦٥/٢-٢٦٦ وفيه: « واختلفوا في ﴿فاكهون﴾ و﴿فاكهين﴾ ... فقرأهنَّ أبو جعفر بغير ألف بعد الفاء ، ووافقه حفص في (المطففين) ، واختلف فيه عن ابن عامر ، فروى الرملي عن الصوري وغيره عن ابن ذكوان كحفص ، وكذلك روى الشذائي عن ابن الأخرم عن الأخفش عنه ، وهي رواية أحمد بن أنس عن ابن ذكوان ، وروى الحافظ أبو العلاء عن الداجوني عن هشام كذلك ، وهي رواية إبراهيم بن عباد عن هشام، وروى المطوعي عن الصوري والأخفش كلاهما عن ابن ذكوان بالألف ، وكذا رواه الحلواني عن هشام وسائر أصحاب الداجوني عن أصحاب هشام وهي رواية التغلبي وابن المعلي عن ابن ذكوان ورواية ابن أبي حسان والباغندي عن هشام وبذلك قرأ الباقون في الأربعة».وينظر: شرح طيبة النشر ٥٢٤/٢.

(٥) ينظر: المبسوط٣٧٢ وفيه: « وقرأ يعقوب برواية رَوْح وزيد ﴿جُبُلا﴾ بضم الجيم والباء وتشديد=

[٥] يعقوب ﴿يَقْدِرُ على﴾ [٨١] بالياء مفتوحة وإسكان القاف وحذف الألف وضم الراء من روايته[١]، ووافقه رَوْح في الأحقاف [٣٣] في هذه الترجمة[٢].

سورة الصافات

[١] أبو جعفر وصل همزة ﴿اصْطَفى﴾ [١٥٣] [٣].

سورة ص

[١] ﴿لِتَدَبَّرُوْا﴾ [٢٩] أبو جعفر بالخطاب وتخفيف الدال[٤].

=اللام... » ، والتذكرة ٦٣٢/٢، والمستنير٣٩٣/٢ وفيه: « قرأ ابن عامر إلاَّ الوليد ، وأبو عمرو ﴿جُبْلا﴾ بضم الجيم وسكون الباء ، وتخفيف اللام. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورُوَيْس والوليد عن يعقوب بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، رواه رَوْح وزيد وأبو حاتم كلهم عن يعقوب كذلك إلاَّ أنَّهم شددوا اللام، والباقون وهم: أهل المدينة، والوليد عن ابن عامر ، وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام»، وغاية الاختصار ٦٣١/٢-٦٣٢ ، والكنْز٦٢٠/٢ ، والنشر ٢٦٦/٢، وشرح طيبة النشر٥٢٥/٢.

(١) وهي رواية رُوَيْس عن يعقوب . ينظر : شرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة ٢٠٠ .

(٢) أي:في هذا الوصف للقراءة، وقرأ الباقون ﴿بِقَادِرٍ﴾ بالباء وكسرها وفتح القاف وألف بعدها وخفض الراء منونة في الموضعين.ينظر:معاني القراءات ٤٠٥، والمبسوط ٣٧٣، والتذكرة ٦٣٣/٢، والمستنير ٣٩٥/٢، وغاية الاختصار ٦٣٤/٢، والكنْز ٦٢١/٢، والنشر ٢٦٦/٢، وشرح طيبة النشر٥٢٧/٢.

(٣) وهي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع أيضاً ، وقرأ الباقون بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام. ينظر: المبسوط ٣٧٨، والمستنير ٤٠٠/٢، وغاية الاختصار ٦٣٦/٢، والكنْز ٦٢٥/٢، والنشر ٢٧٠/٢، وشرح طيبة النشر ٥٣٣/٢.

(٤) ينظر:المبسوط ٣٨٠، والمستنير٤٠٤/٢ ، وفيه: « قرأ أبو جعفر ، وأبان ، والأعشى ، والبرجمي، والكسائي عن أبي بكر ، وخلف عن يحيى ، وأبو زيد عن المفضل ﴿لِتَدَبَّروا ءايته﴾ بالتاء وتخفيف الدَّال»، وغاية الاختصار ٦٣٧/٢ ، والكنْز ٦٢٧/٢، والنشر ٢٧٠/٢ ، وشرح طيبة النشر ٥٣٤/٢.

[٢] وعنه ضم النون والصاد في قوله تعالى : ﴿ بِنُصُبٍ وَعَــذَابٍ ﴾ [٤١] ، يعقوب /٥ظ/ فتحهما[١].

[٣] أبو جعفر ﴿إِنَّمَا أَنا﴾ [٧٠] بكسر الهمزة[٢].

سورة الزمر

[١] أبو جعفر ﴿يَاحَسْرَتَاي﴾ [٥٦] بياء مفتوحة من رواية ابن جمَّاز ، واختلف من رواية ابن وَرْدَان ، فرُوي عنه سكون الياء وفتحها[٣].

سورة فصلت

[١] أبو جعفر﴿سَوَاءٌ للسَّائِلِينَ﴾ [١٠] بالرفع، يعقوب ﴿سَوَاءٍ ﴾ بالخفض[٤].

---

(١) وقرأ الباقون ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون وإسكان الصاد. ينظر: المبسوط ٣٨٠، والتذكرة ٦٤٤/٢ ، المستنير٤٠٤/٢ وفيه : « ورواه هبيرة من طريق حسنون بفتح النون وسكون الصاد» ، وغاية الاختصار٦٣٧/٢ ،والكنْز٦٢٧/٢ ،والنشر٢٧٠/٢ ،وشرح طيبة النشر٥٣٤/٢-٥٣٥.

(٢) وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: المبسوط٣٨١، والمستنير٤٠٦/٢، وغاية الاختصار٦٣٩/٢، والكنْز٦٢٨/٢، والنشر٢٧١/٢، وشرح طيبة النشر٥٣٦/٢.

(٣) وقرأ الباقون بغير ياء .ينظر: المبسوط٣٨٥ ،والمستنير٤١١/٢ وفيه: « قرأ أبو جعفر ﴿ياحسرتاي﴾بياء بعد الألف ، وروى النهراوني فتح الياء ،وإسكانها ابن العلاَّف ، الباقون بغير ياء بعد الألف. » ،والكنْز ٦٣١/٢، والنشر ٢٧١/٢-٢٧٢ وفيه: « واختلفوا في ﴿ياحسرتى﴾ فقرأ أبو جعفر ﴿ياحسرتاي﴾ بياء بعد الألف وفتحها عنه ابن جمَّاز ،واختلف عن ابن وَرْدَان فروى إسكانها أبو الحسن بن العلاف عن زيد وكذلك أبو الحسين الخبازي عنه عن الفضل ، ورواه أيضاً الحنبلي عن هبة الله عن أبيه كلاهما عن الحلواني ، وهو قياس إسكان(محياي) ، وروى الآخرون عنه الفتح وكلاهما صحيح نص عليهما عنه غير واحد كأبي العز وابن سوار وأبي الفضل الرازي ، ولا يلتفت إلى من رده بعد صحة روايته ، وقرأ الباقون بغير ياء » . وينظر: شرح طيبة النشر ٥٣٩/٢.

(٤) وقرأ الباقون ﴿سواءً﴾ بالنصب. ينظر: معاني القراءات ٤٣٠، والمبسوط ٣٩٣، والمستنير ٤٢٣/٢، وغاية الاختصار ٦٤٧/٢، والكنْز ٥٦٩/٢ ، والنشر٢٧٤/٢، وشرح طيبة النشر ٥٤٥/٢.

سورة الزخرُف

[١] أبو جعفر ﴿**أَوَلَوْ جِئْنَاكُم**﴾ [٢٤] بالجمع(١).

[٢] يعقوب ﴿ **يُقَيِّضْ لَهُ**﴾ [٣٦] بالياء(٢).

[٣] أبو جعفر ﴿**حتى يَلْقَوْا**﴾ [٨٣] هنا وفي الطور[٤٥] وسأل(٣) [٤٢] بفتح الياء وإسكان اللام(٤).

سورة الجاثية

[١] أبو جعفر ﴿**لِيُجْزَى**﴾ [١٤] بضم الياء وفتح الزاي(٥).

[٢] [يعقوب] (٦)﴿**كُلَّ أُمَّةٍ تُدْعَى**﴾ [٢٨] بنصب اللام ، وهو الثاني(٧).

---

(١) مع إبدال الهمز الساكن وصلة ميم الجمع في حالة الوصل على أصل أبي جعفر ،وقرأ الباقون ﴿جِئْتُكُم﴾ بتاء مضمومة من غير ألف على الإفراد. ينظر: المبسوط٣٩٨، والمستنير٤٣٣/٢، وغاية الاختصار٦٥٢/٢، والكنْز٦٤٣/٢،والنشر٢٧٦/٢،وشرح طيبة النشر٥٥١/٢.

(٢) وقرأ الباقون﴿نقيض﴾ بالنون ، ينظر: معاني القراءات ٤٣٩ ، والمبسوط ٣٩٩ ، والتذكرة٦٦٧/٢، والمستنير٤٣٣/٢ ، وغاية الاختصار٦٥٢/٢ ، والكنْز٦٤٣/٢، والنشر٢٧٦/٢، وشرح طيبة النشر ٥٥١/٢-٥٥٢.

(٣) أي سورة المعارج .

(٤) وقرأ الباقون﴿يُلاقوا﴾ بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف فيهنَّ.ينظر: المستنير٤٣٥/٢، وغاية الاختصار٦٥٣/٢، والكنْز٦٤٤/٢، والنشر٢٧٦/٢-٢٧٧، وشرح طيبة النشر٥٥٣/٢.

(٥) وهي رواية الحلواني عن أبي جعفر ،وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ﴿لنجزي﴾ بالنون ، وقرأ الباقون ﴿لِيَجزِي﴾ بياء مفتوحة مع كسر الزاي. ينظر:المبسوط٤٠٣-٤٠٤،والمستنير٤٤٣/٢ ، وغاية الاختصار ٦٥٦/٢، والكنْز ٦٤٩/٢، والنشر ٢٧٨/٢، وشرح طيبة النشر ٥٥٧/٢-٥٥٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل .

(٧) أي الموضع الثاني من كلمة (كل) ، وقرأ الباقون برفعها. ينظر:معاني القراءات ٤٤٦، والمبسوط٤٠٤، والتذكرة ٦٧٧/٢ ، والمستنير٤٤٤/٢ ، وغاية الاختصار٦٥٧/٢، والكنْز٦٥٠/٢، والنشر٢٧٨/٢، وشرح طيبة النشر٥٥٨/٢.

سورة الأحقاف

[١] يعقوب ﴿**وَفَصْلُهُ**﴾ [١٥] بفتح الفاء وسكون الصاد[(١)].

سورة محمد ﷺ

[١] يعقوب ﴿ **وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [٢٢] بفتح التاء وسكون القاف وفتح الطاء مخففة[(٢)].

[٢] وعنه ﴿**أُمْلِيْ**﴾ [٢٥] كأبي عمرو غير أنه يسكن الياء[(٣)].

[٣] رُوَيْس ﴿**وَنَبْلُوْا أخْبَارَكُم**﴾ [٣١] بإسكان الواو[(٤)].

سورة الحجرات

[١] يعقوب ﴿**لا تَقَدَّمُوْا**﴾ [١] بفتح التاء والدال[(٥)].

---

(١) وقرأ الباقون ﴿وفِصَالُهُ﴾بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها. ينظر:معاني القراءات ٤٤٧ ، والمبسوط٤٠٥-٤٠٦، والتذكرة ٦٧٩/٢، والمستنير٤٤٥/٢، وغاية الاختصار٦٥٨/٢، والكنْز٦٥١/٢، والنشر٢٧٩/٢، وشرح طيبة النشر٥٥٩/٢.

(٢) وقرأ الباقون ﴿وَتُقَطِّعُوا﴾بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء وتشديدها. ينظر: معاني القراءات ٤٥٢ ، والمبسوط ٤٠٩ ،والتذكرة ٦٨٤/٢،والمستنير٤٤٩/٢ ،وغاية الاختصار٦٦٠/٢ ، والكنْز٦٥٤/٢، والنشر٢٨٠/٢،وشرح طيبة النشر٥٦٢/٢.

(٣) أي بضم الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء ، وهي رواية رُوَيْس عنه ، وأبو عمرو كذلك إلاَّ أنه يفتح الياء ، وقرأ الباقون﴿وأَمْلَى﴾ بفتح الهمزة واللام وقلب الياء ألفاً. ينظر:معاني القراءات ٤٥١ ، والمبسوط٤٠٨،والتذكرة ٦٨٤/٢،والمستنير٤٥٠/٢ ،وغاية الاختصار٦٦٠/٢،والكنْز٦٥٤/٢، والنشر٢٨٠/٢،وشرح طيبة النشر٥٦٢/٢.

(٤) وقرأ الباقون بفتحها. ينظر:معاني القراءات ٤٥٣ ، والمبسوط ٤٠٩ ،والتذكرة ٦٨٥/٢، والمستنير ٤٥٠/٢، وغاية الاختصار ٦٦١/٢، والكنْز ٦٥٥/٢، والنشر ٢٨٠/٢ ، وشرح طيبة النشر٥٦٣/٢.

(٥) وقرأ الباقون ﴿لا تُقَدِّمُوا﴾ بضم التاء وكسر الدال. ينظر:معاني القراءات ٤٥٧ ، والمبسوط٤١٢، والتذكرة ٦٨٩/٢، والمستنير٤٥٥/٢ ، وغاية الاختصار ٦٦٣/٢، والكنْز٦٥٨/٢، والنشر٢٨١/٢،=

[٢] أبو جعفر ﴿الحُجَرَاتِ﴾ [٤] بفتح الجيم(١).

[٣] يعقوب ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُم﴾ [١٠] بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة(٢).

سورة والنجم

[١] رُوَيْس ﴿ اللاَّتَّ﴾ [١٩] بشديد التاء(٣).

سورة القمر

[١] أبو جعفر ﴿مُسْتَقِرٍّ﴾ [٣] بكسر الراء(٤).

سورة الواقعة

[١] رُوَيْس ﴿فَرُوحٌ﴾ [٨٩] بضم الراء(٥).

= وشرح طيبة النشر٢/٥٦٥.

(١) وقرأ الباقون ﴿الحُجُراتِ﴾ بضمها.وينظر: المبسوط٤١٢،والمستنير٢/٤٥٥ ،وغاية الاختصار ٢/٦٦٣، والكنْز٢/٦٥٨،والنشر٢/٢٨١،وشرح طيبة النشر٢/٥٦٥.

(٢) أي على الجمع ، وقرأ الباقون ﴿أَخَوَيْكُم﴾ بياء ساكنة وفتح الهمزة والخاء على التثنية.ينظر: معاني القراءات ٤٥٧-٤٥٨،والمبسوط٤١٢،والتذكرة ٢/٦٨٩،والمستنير٢/٤٥٥ ،وغاية الاختصار٢/٦٦٣، والكنْز٢/٦٥٨، والنشر٢/٢٨١،وشرح طيبة النشر٢/٥٦٥.

(٣) ينظر: المستنير٢/٤٦٤: ، وغاية الاختصار ٢/٦٦٨، النشر ٢/٢٨٣ وفيه: « واختلفوا في ﴿اللات﴾ فروى رُوَيْس بتشديد التاء ويمد للساكنين وهي قراءة ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وطلحة وأبي الجوزاء.وقرأ الباقون بتخفيفها ،وتقدم وقف الكسائي عليها في الوقف على المرسوم » .

(٤) وقرأ الباقون بالرفع.ينظر: المبسوط٤٢١،والمستنير٢/٤٦٧ ،وغاية الاختصار٢/٦٧٠ وذكر أن هذه قراءة يزيد غير العمري ، والكنْز٢/٦٦٨،والنشر٢/٢٨٤،وشرح طيبة النشر٢/٥٧٢.

(٥) وقرأ الباقون بالفتح. ينظر: معاني القراءات ٤٧٩، والمبسوط٤٢٨، والتذكرة ٢/٧١٠، والمستنير٢/٤٧٦، وفيه: « روى ابن أبي شُريح ورُوَيْس ﴿فَرُوح﴾ بضم الراء . » ،وغاية الاختصار٢/٦٧٤ ،والكنْز٢/٦٧٤، والنشر٢/٢٨٦،وشرح طيبة النشر٢/٥٧٨.

سورة الحديد

[١] رُوَيْس ﴿**وَلا تكُونُوا**﴾ [١٦] بالخطاب[(١)].

سورة المجادلة

[١] أبو جعفر ﴿**مَا تَكُونُ**﴾ [٧] بالتأنيث[(٢)].

[٢] يعقوب ﴿**وَلا أَكْثَرُ**﴾ [٧] برفع الراء[(٣)].

[٣] رُوَيْس ﴿**فلا تَنْتَجُوا**﴾ [٩] بنون ساكنة/٦و/ بعد التاء الأولى وضم الجيم من غير ألف[(٤)].

سورة التغابن

[١] يعقوب ﴿ **يَوْمَ نَجْمَعُكُم**﴾ [٩] بالنون[(٥)].

---

(١) وقرأ الباقون ﴿ولا يكونوا﴾ بالياء على الغيب. ينظر: المبسوط ٤٣٠، والتذكرة ٢/٧١٢، والمستنير ٢/٤٧٨، وغاية الاختصار٢/٦٧٦، والكنْز ٢/٦٧٥، والنشر ٢/٢٨٧،وشرح طيبة النشر٢/٥٨٠.

(٢) وقرأ الباقون ﴿ما يكون﴾ بالياء على التذكير .ينظر المبسوط٤٣١،والمستنير٢/٤٧٩،وغاية الاختصار٢/٦٧٧،والكنْز٢/٦٧٧،والنشر٢/٢٨٧،وشرح طيبة النشر٢/٥٨١.

(٣) وقرأ الباقون بالنصب.ينظر: معاني القراءات ٤٨٤،والمبسوط٤٣١،والمستنير٢/٤٧٩ ،وغاية الاختصار٢/٦٧٧،والكنْز٢/٦٧٧،والنشر٢/٢٨٧،وشرح طيبة النشر٢/٥٨١.

(٤) وقرأ الباقون ﴿فلا تَتَناجُوا﴾ بتاء ونون مفتوحتين بعدهما ألف مع فتح الجيم.ينظر:معاني القراءات٤٨٤، والمبسوط٤٣١-٤٣٢،والتذكرة ٢/٧١٥-٧١٦،والمستنير٢/٤٨٠ ،وغاية الاختصار٢/٦٧٧، والكنْز٢/٦٧٧، والنشر٢/٢٨٨،وشرح طيبة النشر٢/٥٨٢.

(٥) وقرأ الباقون ﴿ يجمعكم﴾ بالياء.ينظر:معاني القراءات٤٩٣ ،و المبسوط٤٣٧ وفيه: « قرأ يعقوب برواية رُوَيْس ﴿يومَ نجمعكم﴾ بالنون... »، والتذكرة ٢/٧٢٢، والمستنير٢/٤٨٨وفيه: « قرأ يعقوب إلاَّ المعدَّل عن زيد ﴿يوم نجمعكم﴾ بالنون،ورواه أبو زيد من طريق الزهري بسكون العين» ، والكنْز٢/٦٨٥، والنشر٢/٢٩٠ ، وشرح طيبة النشر٢/٥٨٨.

سورة الطلاق

[١] رَوْح﴿وِجْدِكُمْ﴾ [٦] بكسر الواو(١).

سورة المُلك

[١] يعقوب ﴿تَدْعُون﴾ [٢٧] بتخفيف الدال الساكنة(٢).

سورة المعارج

[١] أبو جعفر ﴿يُسْئَلُ﴾ [١٠] بضم الياء،وقد روى عن البَزِّيّ(٣)،لكني التزمت ذكر انفرادات الدرة باعتبار الشاطبية ، والضم مذكور للبَزِّيِّ في الطيبة(٤).

---

(١) قال ابن مهران في المبسوط ٤٣٨: «قرأ يعقوب في رواية مختلفاً عنه ﴿من حيث سكنتم من وجدكم﴾ بكسر الواو كما روي عن عيسى بن عمر وزيد بن علي وغيرهما.والقراء على ﴿وُجْدِكم﴾ بضم الواو،وهو الأكثر والأشهر في القراءة واللغة.وفتح الواو أيضاً كثير، وكسرها أقلها والله أعلم». وينظر: التذكرة ٧٢٣/٢، والمستنير ٤٨٩/٢، وغاية الاختصار ٦٨٥/٢، والكنْز٦٨٦/٢، والنشر٢٩٠/٢ ، وشرح طيبة النشر٥٨٩/٢.

(٢) وقرأ الباقون ﴿تَدَّعُون﴾ بتشديد الدال مع فتحها. ينظر: معاني القراءات ٤٩٨، والمبسوط٤٤٢، والتذكرة ٧٢٥/٢، والمستنير٤٩٣/٢ ، وغاية الاختصار٦٨٧/٢، والكنْز٦٨٨/٢، والنشر٢٩١/٢، وشرح طيبة النشر٥٩١/٢.

(٣) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بَزَّة البَزِّيُّ المكيُّ ، مقرئ مكة ، ومؤذن المسجد الحرام ، أستاذ محقق وضابط ثقة ، أحد رواة ابن كثير المكي المشهورين ، قرأ على عكرمة بن سليمان وغيره ، وقرأ عليه أبو ربيعة محمد بن إسحاق ، وأبو عبد الرحمن عبدالله بن علي، وأبو جعفر محمد بن علي اللهبيان ، وغيرهم ، توفى سنة(٢٥٠هـ) عن ثمانين سنة.ينظر: معرفة القراء الكبار ١٧٣/١ ، وغاية النهاية ١١٩/١-١٢٠.

(٤) وهي قوله :

تعرُجُ ذَكِّرْ (ر) مْ ويسأل اضمُمَا (هـ)ل خُلْفُ (ثـِ)ق شهادة الجمع (ظ)مَا

ينظر: شرح طيبة النشر ٥٩٤/٢-٥٩٥ .وقال ابن مجاهد في السبعة ٦٥٠: « قرأ ابن كثير فيما أخبرني به مضر عن البزي ﴿ولا يُسئلُ حميم﴾ برفع الياء وفتح الهمزة، وقرأت عن قنبل عن النَّبال عن=

سورة قُل أوحي [الجن]

[١] يعقوب ﴿تَقَوَّلَ الإنسُ وَالجِنُّ﴾ [٥] بفتح القاف والواو مشددة(١).

[٢] رُوَيْس ﴿لِيُعْلَمَ﴾ [٢٨] بضم الياء(٢).

سورة والمرسلات

[١] أبـــو جـــعفر ﴿وُقِّـــتَتْ﴾ [١١] كأبي عـــمرو(٣) إلاَّ أنـــه خـــفـــف

= أصحابه عن ابن كثير ﴿ولا يَسئلُ﴾ بفتح الياء المهموزة وروى أبو عبيد عن إسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر وشيبة ﴿ولا يُسئلُ﴾ بفتح الياء وهو غلط [أي في الرواية] وكلهم قرأ ﴿ولا يَسئلُ﴾ بفتح الياء. »،وقال ابن مهران في المبسوط ٤٤٦: « قرأ أبو جعفر ، وابن كثير في رواية ابـــن أبي بـــزة ، والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم ﴿ولا يُسئلُ حميم حميما﴾ بضم الياء مثل قراءة الحسن وغيره..وقـــرأ الباقون ﴿ولا يَسئَلُ﴾ بفتح الياء» وقال ابن سوار في المستنير ٥٠٠/٢:« قرأ أبو جعفر، وهبة الله عـــن اللهبي ، وابن فرح عن البزي، والبرجمي ﴿و لا يُسئلُ﴾ بضم الياء »، وينظر: غاية الاختـــصار ٦٩١/٢، والكنْز ٦٩٢/٢، والنشر٢٩٢/٢ وفيه: « واختلفوا في ﴿و لا يُسئلُ حميم﴾ فقرأ أبو جعفر بضم اليـــاء ، واختلف عن البزي فروى عنه ابن الحباب كذلك وهي رواية إبراهيم بن موسى واللهبي ، ونصر بن محمد بن فرح عنه ، وكذلك روى الزينبي عن أصحاب أبي ربيعة وغيره عنه ، قال الحافظ أبو عمرو : وبـــذلك قرأت أنا له من طريق ابن الحباب ، قال: وعلى ذلك رواة كتابه متفقون ، وروى عنه أبو ربيعة بفتح الياء وهي رواية الخزاعي ومحمد بن هارون وغيرهم عن البزي ، وبذلك قرأ الباقون. » ، وينظر:شـــرح طيبـــة النشر ٥٩٥/٢.

(١) وقرأ الباقون ﴿ تَقُولَ﴾ بضم القاف وإسكان الواو. ينظر: معاني القراءات ٥٠٩، والمبـــسوط ٤٤٩، والتذكرة ٧٣٦/٢-٧٣٧، والمستنير ٥٠٤/٢، وغاية الاختـــصار ٦٩٤/٢، والكنْـــز ٦٩٥/٢، والنـــشر ٢٩٣/٢، وشرح طيبة النشر ٥٩٨/٢.

(٢) وقرأ الباقون ﴿لِيَعْلَمَ﴾ بفتح الياء. ينظر: المبسوط٤٤٩،والمستنير٥٠٥/٢ ،وغاية الاختصار ٦٩٥/٢، والكنْز ٦٩٦/٢، والنشر ٢٩٣/٢، وشرح طيبة النشر٥٩٩/٢.

(٣) قد اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولاً ، ولكن أصحها كما ينقل ابن الجزري عن الحافظ أبي العلاء الهمذاني هو: زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسن بن الحارث بن جلهمة بـــن حجر بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن معد=

القاف(١).

[٢] رُوَيْس ﴿ جُمَالاتٌ صُفْر﴾ [٣٣] بضم الجيم(٢).

[٣] وعنه ﴿انْطَلَقُوا إلى ظِلٍّ﴾ [٣٠] في الثاني بفتح اللام(٣).

سورة النازعات

[١] ﴿إنما أنت مُنْذِرٌ﴾ [٤٥] بالتنوين عن أبي جعفر(٤).

سورة التكوير

[١] أبو جعفر ﴿قُتِّلَتْ﴾ [٩] بالتشديد(٥).

= ابن عدنان الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة،ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومئة، وقيل سنة خمس وخمسين،وقيل سنة سبع وخمسين،وقيل سنة ثمان وأربعين ومئة.ينظر:معرفة القراء الكبار ١/١٠٠،وغاية النهاية ١/٢٨٨-٢٩٢.

(١) يقول ابن مهران في المبسوط ٤٥٦-٤٥٧ : « وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿ وقتت﴾ بالواو وتشديد القاف وقرأ الباقون ورُوَيْس عن يعقوب ﴿اقتت﴾ بالألف وتشديد القاف» . وينظر: النشر ٢/٢٩٦-٢٩٧، وشرح طيبة النشر٢/٦٠٨.

(٢) وهي رواية العمري عن رُوَيْس ، وقرأ حفص عن عاصم ، وحمزة والكسائي وخلف والضرير ﴿كأنه جِمَالتٌ صُفر﴾ بغير ألف على الواحد ،وقرأ الباقون ﴿جِمَالاتٌ﴾ بالألف وكسر الجيم. ينظر: المبسوط٤٥٧، والمستنير ٢/٥١٥، وغاية الاختصار٢/٧٠٣، والكَنْز ٢/٧٠٢، والنشر ٢/٢٩٧، وشرح طيبة النشر٢/٦٠٩.

(٣) وقرأ الباقون ﴿انْطَلِقُوا﴾ بكسر اللام. ينظر:المبسوط٤٥٧،والمستنير٢/٥١٥ ،وغاية الاختصار٢/٧٠٣،والكَنْز٢/٧٠٢،والنشر٢/٢٩٧،وشرح طيبة النشر٢/٦٠٨.

(٤) وقرأ الباقون من غير تنوين .ينظر:المبسوط٤٦١،والمستنير٢/٥١٩ ،وغاية الاختصار ٢/٧٠٥، والكَنْز ٢/٧٠٥، والنشر ٢/٢٩٧، وشرح طيبة النشر ٢/٦١١.

(٥) وقرأ الباقون ﴿قُتِلَتْ﴾ بتخفيف التاء. ينظر: المبسوط ٤٦٤، والمستنير ٢/٥٢١، وغاية الاختصار ٢/٧٠٩، والكَنْز ٢/٧٠٧، والنشر ٢/٢٩٨، وشرح طيبة النشر ٢/٦١٣.

سورة الانفطار

[١] أبو جعفر ﴿ بَلْ يُكَذِّبُونَ﴾ [٩] بالغيب(١).

سورة التطفيف

[١] يعقوب وأبو جعفر ﴿تُعْرَفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ﴾ [٢٤] بالرفع(٢).

سورة الغاشية

[١] أبو جعفر ﴿ إِيَّابَهُمْ﴾ [٢٥] بالتشديد(٣).

سورة البلد

[١] أبو جعفر ﴿لُبَّداً﴾ [٦] بتشديد الباء(٤).

سورة قريش

[١] أبو جعفر ﴿لِإِيلَٰفِ ﴾ [١] بياء ساكنة من غير همز(٥).

---

(١) وقرأ الباقون ﴿بل تكذبون﴾ بالخطاب. ينظر: المبسوط ٤٦٥، والمستنير ٥٢٢/٢، وغاية الاختصار ٧٠٩/٢، والكنْز ٧٠٩/٢، والنشر ٢٩٨/٢، وشرح طيبة النشر ٦١٣/٢.

(٢) أي بضم تاء (تُعْرَفُ) وفتح الراء ، و (نَضْرَةُ) بالرفع ، وقرأ الباقون ﴿تَعْرِفُ﴾ بفتح التاء وكسر الراء ، و﴿نَضْرَةَ﴾ بالنصب. ينظر:معاني القراءات ٥٣٤-٥٣٥، والمبسوط٤٦٨،والتذكرة ٧٥٨/٢،والمستنير٥٢٣/٢ ،وغاية الاختصار٧١٠/٢،والكنْز٧١٠/٢، والنشر٢٩٨/٢،وشرح طيبة النشر٦١٤/٢.

(٣) وقرأ الباقون بتخفيف الياء. ينظر: المبسوط ٤٦٩، والمستنير ٥٢٩/٢، وغاية الاختصار٢ /٧١٥، والكنْز ٧١٤/٢، والنشر ٢٩٩/٢، وشرح طيبة النشر ٦١٧/٢.

(٤) وقرأ الباقون بتخفيفها. ينظر: المبسوط ٤٧٣، والمستنير ٥٣٣/٢، وغاية الاختصار ٧١٧/٢، والكنْز ٧١٧/٢، والنشر ٣٠٠/٢، وشرح طيبة النشر ٦١٩/٢.

(٥) رسمت في الأصل (لِيْلافِ) بقراءة أبي جعفر، والتزمت رسم المصحف، وقرأ ابن عامر بغير ياء بعد=

[٢] وعنه ﴿ إِۦلَـٰفِهِمْ ﴾ [٢] بهمزة مكسورة من غير ياء [١].

تم كتاب الشمعة بعون الله الملك الخلاق على يد الحقير الفقير إلى رحمة رَبِّه الكبير السيد حافظ أحمد البالوي في مصر سنة (١١٨١هـ).

=الهمزة ، وقرأ الباقون بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة .ينظر: المبسوط٤٧٧-٤٧٨ ، والمستنير٢/٥٤٤، وغاية الاختصار٢/٧٢٦،والكنْز٢/٧٢٣،والنشر٢/٣٠٢،وشرح طيبة النشر٢/٦٢٥.

(١) رسمت في الأصل (إلافِهِم) بقراءة أبي جعفر ، والتزمت رسم المصحف ، قال أبو العلاء العطار في غايته ٢/٧٢٦: « ﴿الافهم ﴾ مثل (عِلافهم) : الحلواني عن يزيد ، وابن فليح ».

وقال ابن الجزري في النشر ٢/٣٠٢: « واختلفوا في ﴿إيلافهم﴾ فقرأ أبو جعفر بهمزة مكسورة من غير ياء وهي قراءة عكرمة وشيبة وابن عتبة ...، وقرأ الباقون بالهمزة وياء ساكنة بعدها» .

قائمة المصادر والمراجع

١. **الأعلام** ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م) .

٢. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** ، لإسماعيل بن محمد باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، دار إحياء التراث العربي — بيروت ، (د.ت) .

٣. **التذكرة في القراءات** ، لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم ، الزهراء للإعلام العربي — مصر ، الطبعة الثانية (١٤١١هـ = ١٩٩١م) .

٤. **الجرح والتعديل** ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية — الهند ، الطبعة الأولى (١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) .

٥. **السبعة في القراءات** ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف– مصر ، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

٦. **شرح الإمام السَّمَنُّوديِّ على الدرة** ، لأبي عبد الله محمد بن الحسن المنير (ت ١١٩٩هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق بن على بن إبراهيم موسى ، دار الضياء– مصر، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م) .

٧. **شرح طيبة النشر في القراءات العشر** ، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري (ت ٨٥٧ هـ) ،تحقيق : الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣م) .

٨. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٦هـ) ،منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (د. ت) .

٩. **طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي** ، لعبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني ، من علماء القرن التاسع ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد — صنعاء ،الطبعة الأولى (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م) .

١٠.غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ) ، دراسة وتحقيق : الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت ، جدة ، الطبعة الأولى

(١٤١٤هـ = ١٩٩٤م) .

١١. **غاية النهاية في طبقات القراء** ، لأبي الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، عني بنشره: ج. برجستراسر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) .

١٢. **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** ، مؤسسة آل البيت – عمَّان ، الطبعة الثانية (د. ت) .

١٣. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، لمصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د. ت) .

١٤. **الكنْز في القراءات العشر** ، لعبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (ت٧٤٠هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور خالد أحمد المشهداني ، مكتبة الثقافة الدينية – مصر ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م) .

١٥. **المبسوط في القراءات العشر** ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ)، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (د. ت) .

١٦. **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الحليم نجار ، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) .

١٧. **مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه** ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، عني بنشره : ج. برجستراسر ، دار الهجرة (د. ت) .

١٨. **المستنير في القراءات العشر** ، لأبي طاهر أحمد بن علي بن سوار البغـداي (ت ٤٩٦هـ)،ة تحقيق ودراسة : الدكتور عمار أمين الددو ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث– دبي ، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م) .

١٩. **معاني القراءات** ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق : الشيخ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م) .

٢٠. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة الثامنة (١٤١٨ = ١٩٩٧م) .

٢١. **معجم المؤلفين** ، لعمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى – بيروت ، ودار حياء التراث العربي –

بيروت (د. ت).

٢٢. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، للذهبي (ت٧٤٨هـ) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط ، وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) .

٢٣. **النشر في القراءات العشر** ، لابن الجزري ، قدم له الشيخ علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م) .

٢٤. **هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، لإسماعيل بن محمد باشا البغدادي ، طبعة استانبول سنة ١٩٥١م ، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي – بيروت (د. ت) .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة